

عبد الله القصيمي

العرب ظاهرة صوتية

”إنه لا أضيع أو أخسر أو أردأ خطأً ومجداً
من كتاب عظيم أو جيد يتكلم اللغة العربية
ويكتب بها مخاطباً الإنسان العربي.. إن
اللغة العربية لن تكون إلا كفتاً غير مجيد
أو نظيف لكل فكر أو معنى عظيم أو صراً أو صادق
أو شجاع أو متبرع يكتب بها أي لو كتب بها
.. وهل حدث أن كتب بها؟...“

الفهرس

صفحة

٥	الشمس بصمت ٠٠ أم القمر بصراخ
٧	حين وصل وفد من السماء الى القاهرة
٣٦	تعليم غير الموهوبين ٠٠ اضخم عملية تزوير
٧٤	انت مبصوق في رأسك ولست مؤمنا
١٣٥	كن سهيلا بلا جواد ٠٠ لا جوادا بلا سهيل
٢٦٥	العلاقة بين فم النبي وآذان السوق
٢٨١	يوم يحاكم العرب البشر امام الاله
٣٠٩	اسمعوا ٠٠ كل الناس رعايا لنا
٣١٩	لماذا يلد الانسان الانبياء والقادة
٣٤٣	لماذا الاذن قبل العقل في بلاغة القرآن
٣٨٢	حينما تلد كل يوم نبيا
٣٩٥	لا تقراوا هذا ٠٠ لئلا تشفقوا قبور أنبيائكم
٤١٩	اقرأوا هذا ٠٠ كي يتواضع اعجابكم بتاريخ قبوركم
٤٢٧	وما الناس الا منشدون لمجدنا
٤٨٥	لوقسمت العبقريه بعدل ٠٠ لما قامت اية حضارة
٥١٤	غرابا ناعبا ٠٠ لا صقرا صامتا
٥٣١	المتنبي يروي معارك سيناء والجولان
٥٧١	مؤلف الكتاب ٠٠ من يؤلفه
٦١٣	يقتلون الذباب ويصلون لخالقه
٦٣٦	اللغة بلا موهبة ٠٠ أقبح اجهزة الاستفراغ
٦٤٩	لغة بلا مجد أو شرف
٦٦٠	هل اللغة منطق
٦٩٥	غيروا القادة ولكن لا تنتظروا اخبارا جديدة
٧٥٨	لماذا لا نستورد حكامنا كما نستورد عقولنا
٧٧٨	كم تفجعونني يا اصحاب المواهب الخرساء

عبد الله القصيمي

العرب ظاهرة صوتية

”إنه لا أضيع أو أخسر أو أردأ خطأً ومجداً
من كتاب عظيم أو جيد يتكلم اللغة العربية
ويكتب بها مخاطباً الإنسان العربي.. إن
اللغة العربية لن تكون إلا كفناً غير مجيد
أو نظيف لكل فكر أو معنى عظيم أو صراً صادقاً
أو شجاعاً أو متبرعاً يكتب بها أي لو كتب بها
.. وهل حدث أن كتب بها؟...“

.. الشمس بصمت ..

أم القمر بصراخ ؟

ان العربي ليرفض الصعود الى الشمس يمتلكا لها ان كان ذلك بصمت ليختار
التحدث بصراخ ومباهاة وعن صعوده الى القمر وامتلاكه له اي بلا صعود ولا امتلاك .

ان العرب ليظلون يتحدثون بضجيج وادعاء عن امجادهم وانتصاراتهم الخطابية
حتى ليذهبون يحسبون ان ما قالوه قد فعلوه ، وانه لم يبق شيء عظيم او جيد لم
يفعلوه لكي يفعلوه ..

ان من اصل وارسخ واشهر مواهبهم ان يعتقدوا انهم قد فعلوا الشيء لانهم قد
تحدثوا عنه . اليسوا قد فعلوا امجاد وانتصارات حرب اكتوبر لانهم قد قالوا انهم
فعلوها ؟ اليسوا قد اعتقدوا ذلك لانهم قد تحدثوا عن فعلهم له ؟ اليسوا قد فعلوا
كل امجاد وحضارات وانسانيات التاريخ لانهم قد قالوا ذلك ؟ اليسوا قد قالوا ذلك
لكي يعتقدوا انهم قد فعلوه ؟ اليسوا قد قالوه ليكون بديلا عن ان يفعلوه ؟

انه لن يقاسي من الضياع والاغتراب مثل من يتحدث الى الآذان والعقول والاخلاق
والاصالة العربية بغير الصهيل والنهاويل والاختراق لكل حواجز وشروط واوامر
المنطق والذكاء، والتعذيب والوقار والصدق والحب والتواضع والرؤية بعيون غير
كاذبة او منافقة او جبانة او بليدة او عمياء اي بعيون غير عربية اي بعيون ليست
امية الرؤية والقراءة والتفسير والتفكير والحوار والاخلاق .

انه في كل التاريخ العربي ، في كل الوطن العربي لم يحدث ولن يحدث ان يعطو
ان يسمع ، بكل الجراءة والقوة والحرية ومشاعر الامن والمباهاة والكبرياء ، من فوق
كل منبر الا الصوت الجاهل او المنافق الكاذب او الدجال او الابله او للفاجر !
لهذا اتعنى بل واطالب ان يكتب فوق كل منبر عربي وعلى غلاف كل كتاب
عربي وعلى الصفحة الاولى من كل صحيفة عربية وعلى كل قلم وفم عربي هذا التهتاف
او الانشاد او التمجيد :

« ايها الكذب البليد ، ايها النفاق الفضاح المفضوح ، ايها الغباء الجاهل ، ايها
الجهل الغبي ، ايها الصهيل العقيم البذي ، ايها السقوط ، ايها المار الفكري
والنفسى والاخلاقي والفني والتعبيري .. ان كل المجد والسلطان لك .. »

ان التفسير الدائم الشامل الصادق للانسان العربي انه الكائن الذي لا توجد اية
علاقة محاكمة او محاسبة او محاورة او مسالة او غضب او رفض او احتجاج او حتى
عقاب بين لسانه وعينيه او تفكيره او ضميره او ارادته او قدرته او حقيقته او
كينونته او نيته او اي شيء من حياته او مواجهاته ..

حين وصل وفدٌ من إسماء الى القاهرة

• • • ما اصفرُ الافواه التي تتحول فيها اصفر
الاشياء واكذبها الى اكبر الاشياء واصدقها. لهذا
ما اصفر افواه النبوات والقيادات والزعامات
العربية ! • • • اننا صفار صفار لهذا تصبح اصفر
الاعمال والامجاد بل واكذبها في رؤانا ومزاعمنا
كبارا ، كبارا • فمتى نصبح كبارا ، كبارا
لتصبح اكبر الاعمال والامجاد في افواهنا
وحساباتنا صفارا ، صفارا ؟ •

بعد المواجهة العربية الاسرائيلية الاخيرة ، اي مواجهة شهر اكتوبر المعتدى عليه ، تفجرت آبار الايمان والتقوى المخزونة في النفوس العربية منافسة لتفجر آبار نفطهم ، وتصاعدت ارواحهم واصواتهم وصلواتهم الى الله ، الى السموات يؤمنون ويهتفون ويشكرون ويمجدون .. نعم، لقد اعتدينا على شهر اكتوبر وحولناه الى شهر ذليل حزين مهان ..!! كيف لا يفعل الآخرون شيئا لانقاذ شهر اكتوبر من تحقيرنا له ، وكذبنا واستفراغنا عليه ؟

والعربي دائما لا يفخر او يجدد تقواه وايمانه وتدينه الا الكوارث والهزائم والفضائح والهوان . انه لا يتذكر الله الا مهزوما مفضوحا مهانا مذعورا . انه قويا ومنتصرا وسعيدا يتكبر ويطغى حتى على اعظم ما يراه اعظم قيمة . انه قويا ومنتصرا . وسعيدا ينسى ويهزم كل تقاسيره الانسانية .. انه لا يستطيع ان يرى جمال الاله او اشراقه الا في دمامات وظلمات هزائمه وفضائحه وآلامه وعجزه وقبحه ..

لحنا اذن لعدل ومنطقي ان يكون ثواب ومجد تقواه اي تقوى الانسان العربي ومجد وثواب ايمانه محسوبين ومنسوبين ومردودين لمن اوقعوا به الهزائم والكوارث والآلام والضعف والعجز ..

اذن افرحي يا اسرائيل فان مجدك وثوابك عظيمان .. ان الاله سوف يبالح ويتأنق ويتعب جدا في حسابات وتقدير مجدك وثوابك يا مجددة ومفجرة آبار الايمان والتقوى المخزونة في الارواح العربية .. يا من سوف تظلين تفجرين وتجدين هذه الآبار لانك سوف تظلين طويلا تصنعين اسباب ذلك ، يا اسرائيل المحظوظة .. المحظوظة بأعدائك ، بكون العرب هم اعدائك ..

وانه لاحتمال اليم ان يكون الاله قد فطن الى ذلك ، وانه لهذا سوف يظل يصنع ويدبر الهزائم والفضائح والهوان والضعف للعرب ويساعد على ذلك لكي يتجدد ويقوى ايمانهم به ورجوعهم اليه وتذكرهم له . ولعله اي الاله لم يظن الى

شيء مثلما فطن الى هذه الحسياسة والخدعة والمكر . ومهما عجز أي الاله عن أن يخدع فلن يعجز عن أن يخدع العرب !!

وهل يمكن وجود أو تصور انتهازية أو انانية مثل انتهازية أو انانية الاله ؟ كيف والاله هنا الاله العربي ، عربي بكل تفاسيره وصيغه ؟ واليه العرب لن يجيء مثل آلهة غيرهم لانهم أي العرب لم يجيئوا مثل غيرهم أي في المزايا والنماذج . . والعربي لم يفطن الى انه بهذا السلوك والمنطق لا بد أن يحرض الاله على أن يظل يتقصده بالهزائم والكوارث والآلام لكي يزداد رجوعا اليه وإيمانا به وشكرا وحبا له . والاله العربي كالسلطان العربي ، كالإنسان العربي ، يجزي على الهوان والاستسلام له بالمزيد من الاسباب الصانعة لذلك .

وقد كان المفروض أن يتمرد ويخرج عليه ويجازيه بالعصيان والاستنكار كلما أصابه بآية هزيمة أو أذلال أو هوان أو ضعف لكي لا يصيبه شيء من ذلك أو يعرضه له بل ولكي بحميه من ذلك . ليس كل كائن حتى الاله ينبغي أن يجازي ويعامل بما ينفع ويداوي ؟ ليس كل أحد حتى الاله يجب أن يجزي خيرا أو شرا بما يجعله افضل وانبل واعقل ؟

كيف لم يفطن الى هذا المكر البسيط السهل الذي فطن اليه الاله . . أي كيف لم يفطن اليه الإنسان العربي ؟

كيف لم يفطن الى شيء فطن اليه الاله العربي ؟

أكل شيء وكل أحد أذكى من الإنسان العربي حتى الاله العربي أذكى من الإنسان العربي ؟ أيمن أن يوجد من يتفوق بغبائه على الاله العربي سوى الإنسان العربي ؟

نعم ، بعد حرب أكتوبر المهان المحقر بمزاعمنا عنه وله وبانتفاء أمجادنا وانتصاراتنا اليه هجم العرب على الله إيمانا وتمجيذا وتعبدًا وقراءة وتفسيرًا لآخلاقه وعقوباته النفسية والفكرية والسلوكية والتخيطية . . لقد فضحوه وارهقوه وعروه حبا وتقبيلًا ومعانقة ومغازلة ووصالا وانتظارا . .

لقد أصابتهم نوبة حادة ضاجة شاملة من الدروشة الدينية المتخيطية لكل حدود الوقار والرصانة والذكاء ، والتقوى والصدق العقلي . . حتى لقد جن سكان السماء سرورا وأعجابا بهذه الهجمة الدينية العربية على الله . والتاريخ لا يعرف للعرب أية هجمات قوية من أي نوع سوى هجماتهم الدينية على الله . أن الله لا يفتضح أو

يصغر أو يحرص مثل افتضاحه وحرجه وصغره حينما يهجم العرب عليه ايماناً وتمعبداً وامتداداً ودعاءً وتأميلاً وتفسيراً ...

لقد اجتمعوا أي سكان السماء بالاله ليسعدوا ويغنوا ويرقصوا فرحاً بهذه العودة العربية إلى الله ، ولكي يتذكروا ويتشاوروا فيما ينبغي أن يفعلوه ويقدموه للعرب من شكر وحب وتأييد وحماية وتحذير من جميع الاحتمالات الفادرة الخسيسة التي يجبرها ويتآمر بها دائماً كل العالم وكل الكون وكل من فيهما ليقوموا بالعرب كل ألوان الخراب والمذاب والاذلال ، غيرة وخوفاً من تفوق عبقرياتهم وحضاراتهم ومواجهاتهم واصالاتهم وتقواهم ونفطهم .. آه يا كرامة وشجاعة وعبقريات العالم . كم يجب الرثاء لك من اذلال وفضح وارهاب النفط العربي لك .

لقد تكررت وتكررت اجتماعاتهم أي اجتماعات سكان السماء برئاسة الاله . لقد قرروا في خاتمة اجتماعاتهم قراراً خطيراً قد يكون بلا شبيه .. حتماً أنه بلا شبيه ..

قرروا أن يؤلفوا وفداً سماوياً ليهبط إلى الأرض ليرفع شكر واعجاب وآراء ونصائح وولاء السماء وسكانها إلى العرب .

انها بعض نتائج حرب اكتوبر الموضوعة المغنية للعرب عن أي مجد آخر ! .. تألف الوفد .. نزل إلى القاهرة لانها عاصمة الدنيا ، عاصمة للعروبة ، عاصمة الحضارات والديتها ومصدرتها ..

طالب بأن يؤلف وفد عربي من كل الاوطان العربية ليكون اللقاء والحوار معه . تألف الوفد العربي الموحد متجمعاً من الرؤساء والمسوك والقادة العسكريين والسياسيين ومن المفكرين والشعراء والاساتذة والكتاب وغيرهم برئاسة مصر لان مصر هي ابدأ البداية لكل الكينونات العظيمة ..

تواجه الوفدان وتعانقا .. والعربي لا يعانق أو يقبل بقلبه مهما عانق وقبل بفمه وبكل جسده . انه لا بد أن يهب القبلات والماتقات بجسده وفمه وثيابه مهما جهلت اخلاقه وقلبه وفكره وضميره ونياته وحبه كل معاني المانقة والتقبيل والشوق والصدق . ان العربي لا يهب احر قبيلات جسده الا حين يهب احر لعنات قلبه ونياته . ان للجسد العربي لغات خارجة على كل لغات وتقاسير عواطفه وخواطره وافعاله . انه ليس للانسان العربي لغات تفسره أو يفسر بها .. انه لن يوجد من يستطيع أن يتعامل مع الانسان العربي أو يفهمه باللغة ، بأية لغة .

تكلم طويلا ، طويلا وفد السماء ، مثنيا وشاكرا ومعجبا ومحبا ٠٠ ثم انتقل
الى القضايا الحادة الخطيرة بكل الحماس واللفه ٠٠

قال مارتجاف ورهبة ومودة مملوءة بالاخلاص والصدق :
ان لدينا نحن وفد السماء معلومات واستنتاجات خطيرة ، مخيفة ٠ وان الاله ،
اعظم واصحق واوفى صدق لكم انيها العرب ، ليشاركنا بكل التخوف والارتجاف في
هذه المعلومات والاستنتاجات ٠

تقول هذه المعلومات والاستنتاجات السماوية :

ان اسرائيل الغادرة قد تحتل القاهرة ٠٠

نعم ، تحتل القاهرة ٠ كلمة تخرج الكواكب عن مداراتها عند سماعها ٠٠ فرد
للفرد العربي بصوت واحد مشحون بالكبرياء والثقة :

لا بأس ، لا يهيم لان لنا مجد العبور ٠٠٠ رد هذا الرد بكل السرعة قالها الوفد
العربي بنبرات ارتجفت لها كل اعصاب واخلق التاريخ ٠٠

قال وفد السماء : وتحتل الارض المصرية كلها ٠٠

فرد الوفد العربي بالصوت الواحد : لا بأس ، لا يهيم لان لنا مجد العبور ٠

قال اي وفد السماء : وتأخذ اي اسرائيل كل الشعب المصري ليكون اسرى
وارقاء واشياء اخرى ١٠٠

فرد الوفد العربي بضجر واستنكار : لا ، لا ، لا تنزعجوا ، لا تنزعجوا فان لنا
مجد العبور ٠٠ ان لنا وحدنا مجد العبور ٠٠

قال اي وفد السماء : وتزيل القناة شرقها وغربها ٠٠ وتحتل الكعبة والحدينة
والنجف وكربلاء والازهر وكل الاماكن المقدسة وكل العالم العربي والاسلامي ،
وتسرق كل المصاحف وكتب الحديث ليصبح العرب والمسلمون بلا قرآن أو احاديث
نبيهية ٠٠ وايضا تشرب اي اسرائيل كل النفط العربي الذي هو كل التاريخ العربي ،
وتحكم كل العالم والكون وتأسر الاله وكل سكان السماء ٠٠٠ تحذيرات تصنع كل
الذعر والهول ٠٠٠

وعند كل تحذير من هذه التحذيرات السماوية الرهيبة كان الوفد العربي كله
يكرر نفس الرد متصاعدا في ضجره واستنكاره وتعجبه بل وفي سخريته واشمئزازه
من الجاهلين بامجاد عبوره ٠

سمعنا ، سمعنا ، أجل ، أجل • لا بأس ، ابدا ، ابدا لا بأس •• الم تسمعوا ،
الم تسمعوا ما قلناه لكم ؟

لقد قلنا لكم : ان لنا مجد العبور ••

هل انتم صم ؟ هل انتم لا تعرفون اللغات ، لا تعرفون اللغة العربية ؟ هل يمكن
ان يجهل سكان السماء اللغة العربية ؟ ولو جهلوا فباية لغة يمكن حينئذ ان يتكلموا
ويقبل الاله ان يخاطبوه بها ؟ هل انتم يا سكان السماء لا تقرون التاريخ العربي ،
لهذا لا تعرفون امجاده وانتصاراته ، لهذا لا تعرفون امجاد عبوره ؟

كم يجب ان ناسى ونرثي لكم يا سكان السماء لانكم لم تسمعوا عن عبورنا ،
لم تعلموا ان لنا مجد العبور ، ولانه ليس لكم مجد مثل مجد عبورنا ، لانه ليس لكم
عبور مثل عبورنا ؟

آه •• كم يجب ان نحزن ونتعذب من اجلكم لو انكم يا سكان السماء قراتم
تاريخنا وعرفتم مجد عبورنا ثم حاولتم ان تجدوا لكم تاريخا مثل تاريخنا او مجدا
مثل مجد عبورنا ؟ آه •• ان كل امجاد التاريخ لا تساوي امجاد تاريخنا ، وان كل
امجاد تاريخنا لا تساوي شيئا من امجاد عبورنا ١٠٠

ذهل وانبهر وارتاح وفد السماء وقاسى من مشاعر الهوان والحيرة والاستحياء
والانكسار مما سمع لانه لم يسمع عن هذا العبور ومجده ••

وبتأدب وتضرع وتشوق هائل تجرأ وفد السماء وسال :

ما مجد العبور هذا •• ما هذا العبور الذي صنع مجدا استطاع ويستطيع ان
يستمر ويفخر ويهزم كل الهزائم والمهانات والعيوب والذنوب والمار والقبح الكوني ،
ويعوض ويغني عن كل مجد مطلوب مفقود ؟ ما هذا العبور الذي لم تعرفه او تتعلمه
لغات السماء ولا امجاده ؟!! حتى سكان السماء لا يعرفون كل امجادكم ايها العرب ؟
آه •• كم انتم معجزون ومحيرون ايها العرب • نعم ، اذن كيف جاءت اسرائيل ؟

فسروا لنا ايها القادة العرب ذلك •• اننا نحن سكان السماء ومثلنا مولانا الاله
الخزين المنبوذ البائس المحظوظ محتاجون جدا الى ان يكون لنا شيء ولو قليلا من
هذا المجد ، من هذا العبور ، من مجدكم وعبوركم هذا • نعم ، ولكن كيف
امكن ان تجيء اسرائيل ايها العرب ؟ نعم ، سوف نظل نسال ويسال كل معجب
بالعرب ورافض لهم : اذن كيف جاءت اسرائيل •

انا لنسترحمكم ايها العرب الكرام .. نستجديكم ، نصلي لكم ، نمد ايدينا
وامالنا اليكم ايها العرب الرحماء . جودوا علينا ، تصدقوا على الاله وعلينا بشيء
من هذا المجد .. علمونا ، هبونا شيئاً منه .. اليس الكرم كله هو دائماً كرماً عربياً ؟
اليس العرب هم وحدهم الذين علموا التاريخ وقرأوا على التاريخ وفسروا للتاريخ كل
لغات الكرم واخلاقه ؟ الستم تقولون هذا وتصدقونه وتلقنونه لابنائكم ؟ الستم
تعلمون ابنائكم ان العالم لم يتعلم شيئاً من الكرم الا من العرب ؟

آه ايها العرب . لقد ارهبتونا واخذلتونا واخجلتونا بل لقد سحقتونا
بحديثكم عن مجدكم هذا ، عن عبورك هذا ..

كل رثائنا لالهنا المسترخي هناك فوق عرشه حين يسمع عن عبورك هذا
و يحاسب مجده بمجدكم هذا ..

العبور .. العبور .. العبور .. مجد العبور . مجده . مجده ! لقد نسينا نحن
سكان السماء كل شيء ، هان في حسابنا كل شيء غير العبور ومجده ، غير عبورك
ومجدكم اللذين سمعنا منكم الحديث عنهما . لقد هان وصغر كل مجد وكل شيء امام
حديثكم عن عبورك وعن مجده .. هل هذا العبور نوع من الالهيات الجديدة
المفوقة جدا التي تحتاج الالهيات القديمة ، الوهيات السماء والوهيات الكون ان
تتعلم منها القوة والمجد او ان تتنازل لها عن وظائفها ؟

ان حديثكم ايها العرب عن عبورك هذا ليفرض علينا هذا التصور اي ليفرض
علينا ان نتصور ان هذا العبور ليس الا الوهية جديدة مفوقة جدا على كل الالهيات .

ايها العرب ، يا اكرم واعظم وامجد من مجد وكرم وافرح الاله نفسه وتاريخه
وعبقريته بان خلقهم .. يا من لم يجرب الاله الابتسام ولا النظر الى وجهه او الى
مرآته الا بعد ان خلقهم فراهم .. يا من لم يحب الاله نفسه وعبقريته ووجوده
وبقاءه الا لانه خلقهم وعاشهم وعاملهم وفهمهم وحق في عبقرياتهم .. يا من لم
يرغب الاله في ان يكون الها ومعبودا الا لكي يكون الهكم ومعبودكم ..

يا هؤلاء العرب فسروا لنا هذا العبور ، ارونا اياه ، هبونا وهبوا الهنا المحروم
المهزوم الجائع ابدا شيئاً منه . علمونا اياه ..

نرجوكم ، نرجوكم ايها العرب يا من لم يرج اجود او انبل منهم ... لقد مبطنا
من السماء اليكم محبين وشاكرين وناصحين ومفارضين ... مبطنا اليكم ضيونا

فتقبلتمونا في ضيافتكم ولا زلنا فيها ، بمعدين كثيرا عن مكاننا في سمواتنا مع الهنا
العاجز الضائع الحزين المهجور ابدا .. من اجل هذا وباسم هذا نرجوكم ، نرجوكم .
اليس تركنا الاله نحن سكان السماء لنكون معكم يستحق كل جزاء نطلبه منكم ايها
العرب ؟ فكروا ، فكروا ايها العرب . لقد تركنا الهنا الحزين جدا وحده لكي نلتاكم
ونحدث معكم ..

كان وفد السماء مصابا بغفلة اليمه او بصفاء نفسي واخلاقي وفكري عجيب .
لهذا كان يفترض ان الانسان العربي قد يفسر او يفهم من اقواله ، وانها قد توجد
علاقة بين لغته وواقعه او بين لغته ونيته او قدرته او رغبته او رؤيته او معرفته او
تاريخه . انه اي وفد السماء لم يكن قد قرا شيئا من شعر العرب او من تعاليمهم او
صهيلهم او شرائعهم او كتبهم او قوانينهم واقام مقارنة بين ذلك وبين كل صيغ
وجودهم في كل تاريخهم ليعرف انها لا توجد اية علاقة بين ما يقولون وما
يستطيعون او يفعلون او يعنون او يريدون او يحترمون او يحبون او يعلمون او حتى
يؤمنون . وكما انه اي وفد السماء لم يكن يعرف ان العربي لا يقول شيئا ولم يقل في
كل تاريخه شيئا مهما قال ، كذلك لم يكن يعرف ان العربي لا يقال له شيء مهما قيل
له كل شيء ، اي ان كل ما يقال له ويعلمه وينزل عليه ويوجه اليه ويكتب من اجله
يمر به بعيدا عنه بعيدا عن فكره وقلبه وضميره واخلاقه وفهمه واهتمامه وحساباته
وعن كل حياته بل وبعيدا عن افئذيه . ان كل ما يقال له يمر به خارج كل حدوده ..
ان قول وتعليم كل شيء للانسان العربي يساوي الا يقال له شيء والا يعلم شيئا
اي في العجز عن صياغة حياته او نياته او اخلاقه او عقله او ضميره او قوته او
ضعفه ، في صياغة اي معنى من معانيه .. ان كل النبوات والافكار والتعاليم لا بد
ان تدحر وتبعث على ابواب افئذ الانسان العربي .

لقد ضاع وقاه ومات بلا ثمن او اجر او جزاء او تاثير كل الانبياء والعلماء
والدعاة والمعلمين والقادة والفكرين والمرشدين في التيه الواسع الفاصل بينهم وبين
الانسان العربي حينما جاؤا وتوجهوا اليه ، ليحدثوا في حدوده وحصونه واسواره
المغلقة اية شروخ او صدوع لينفذوا منها الى ذاته المعقمة ضد الاصابة باية قيمة
حضارية او انسانية او فكرية او نفسية او اخلاقية .. ان ذات الانسان العربي
محصنة تحصينا لا تستطيع اختراقه اية قوة من قوى الفكر او الحضارة او الذكاء او
الجمال او الحب او النقاء او الصفاء .. انها لا توجد اية علاقات بين ذات العربي
وبين ما يقال له ويقول ..

لقد ذهب كل هؤلاء الذين جاؤا الى الانسان العربي دون ان ياخذوا منه شيئا او

يهبوه شيئاً • أي دون أن يسحبوا منه أو يضعفوا فيه أية نقيصة ، أو يضموا أو يضحوا فيه أية مزية • • وهذا لأن الإنسان العربي لا يكون شيئاً مما يقال له كما لا يكون شيئاً مما يقول هو كما لا يعني أو يحترم أو يعرف شيئاً مما يقول لنفسه أو عنها أو للآخرين أو عنهم • انه يقول بالتفسير والنيات التي بها يعطس ويسعل ويقتاب وبجي، ويتوالد ويمرض ويموت ويحقد ويكره •

ولأن وفد السماء لا يعرف هذا عن الإنسان العربي فقد حسب انه يقول ويعني شيئاً حينما حدثه عن عبوره وعن مجد عبوره • • لقد حسب انه يتحدث عن شيء هو اكبر واعظم من كل امجاد السماء التي عرفها وعاشرها وهبط بها ومنها • انه لم يعرف ان الإنسان العربي تصويت فقط •

هذه سطور اعتراضية تفسيرية لم يكن بد منها هنا • • ولنعد بعدما السى اكمال رواية هذا الحدث الاعظم • •

بعد كل هذا التضرع والتوسل للذين صلى بهما وفد السماء لكبرياء الوفاء العربي تحركت الشهامة وموهبة السخاء والمطاء والرحمة في النفس العربية • تحركت ولكن بكبرياء وفضافة وعروبة تهون وتصفز وتهزم امام وقاحتها وقبحها كل الوقاحات والقبح • •

آه ما اصفر واقبح كل الاشياء حين تتحرك النخوة العربية ، عارضة نفسها ، مظنة عنها ، متحدية كل شيء ، عظيم وايضا كل شيء تافه ، بكل لغات واساليب للصراخ والادعاء والادلال • • آه يا نخوة المروبة كم انت ضخمة وقهارة ولكن في الشعر وفوق المنابر وفي افواه القادة والزعماء وكل الصارخين • •

قال وفد المروبة لوفد السماء : نعم ، نعم ، لقد رققنا لكم واشفقنا عليكم ، لهذا قررنا بالاجماع ان نعلمكم بل ونهبكم شيئاً من عبورنا ، من مجدنا هذا ، لكي تصبخوا بعض رعايانا وتلامذتنا وبعض مجدنا انتم والحكم الحزين المنبؤ المسترخي بعيداً ، بعيداً فوق عرشه يتغذى بالضياح والاهمال الدائمين الاليمين • •

نعم ، ادعوا الحكم البائس ليحضر سريعاً ، سريعاً • • ادعوا الحكم الذي لا مثيل لجوعه الى المجد ولا مثيل لقسوة ودوام حرمانه من المجد • نعم ، انه لا احد يتعذب بالحرمان من المجد مثل اله العرب بل وبالحرمان من الحب والاحترام والوفاء والصداقة والخوف منه • •

حضر الاله وانضم الى وفده ، وفد السماء • •

قاد وفد العروبة الاله ووفده الى القناة وكانت قوارب وجسور العبور قد اعدت
لكي يصبح للاله ووفده عبور ومجد مثل عبور العرب ومجدهم ...

عبر الاله ووفده الى الجانب الشرقي من القناة . عبروا الى الجيش العربي
المصري الثالث ١٠٠

آه . لتفجع ، لتتوقف عن الحركة ايها الكون المفجوع .. لتتحول كل انهارك
وبحارك وسحاباتك الى دموع ، لتكون بعض دموعك ، تعبيرا عن بعض احزانك ..
لتنطفئ الشمس وتساقط المجرات .. ليتحول كل شيء فيك ايها الكون الى ماتم
لتتلقى العزاء من كل الحزاني لك وبك .. هل تموت ايها الكون .. هل تستطيع ان
تموت ؟ هل قبيح ان تموت ايها الكون ؟ اليس شيئا رائعا ان تجرب الموت ؟ هل
تقبل ان تحيا لو جربت الموت :

واهلوا ، واعاراه .. لقد اصبح الاله ووفده السماوي الذين جاءوا ليكون لهم
عبور ومجد مثل عبور للعروبة ومجدها .. لقد اصبحوا محاصرين مع الجيش العربي
المصري الثالث ..

ايتها الارض لا تخبري النجوم .. ايتها النجوم لا تخبري الشمس .. ايتها
الشمس لا تخبري المجرات ، لا تخبري الشمس الاخرى ... ايها الكون لا يخبر
بعضك بعضا بان الاله ومعه وفده قد اصبح محاصرا وبان العرب هم الذين جروه
الى هذه الفاجعة ..

انها الفاجعة الكونية الاولى .

انها المرة الكونية الاولى التي يحاصرها الاله واعوانه وكل مستشاريه وكل
اجهزته الكونية السماوية .

اذن كم انت مذنب وفاجع وخائب يا مجد العبور ؟ هل يوجد اذن صانع
للخسران والفواجع والاسى مثلك يا مجد العرب ، يا مجد عبورهم ؟ هل يمكن تصور
جريمة تساوي او تشبه جريمة من خدعوا وقادوا الاله وجميع حراس ومنفذي جميع
اعماله الكونية والسماوية ليصبحوا محاصرين مع جيش عربي محاصر ؟

اذن هل يمكن تصور جريمة تساوي او تشبه جريمة العرب حينما صنعوا عبورهم
ومجده وحينما تحدثوا الى وفد السماء عن عبورهم وعن مجده بالاساليب التي
يتحدثون بها الى قطمانهم العربية ؟ معذور انت ومعذور وفدك ايها الاله حين

عجزتم عن تصور ماذا تعني أو تساوي الكلمة عند الانسان العربي ، قائلًا لها ومقولة له .. هل يستطيع غير العربي ان يعرف ماذا يعني ان يقول العربي اي شيء . وأن يقال له ؟ ..

علمت المنظمات والقيادات العالمية بذلك . ذعرت ذعرا يتكافأ مع ضخامة الحدث .. رأت وقررت كتمان الحدث الرهيب الفريد عن جماهير كل العالم حتى تتدبر القضية لعلها تجد لها حلا ما من نوع ما قبل ان تعلم بما حدث شعوب العالم . ان ما لا بد أن يصيب الشعوب وما قد تفعله ان يستطيع حساب نتائجها لو علمت .. آه . لقد أصبح الاله محاصرا ومعه اعوانه الكونيين . ماذا يمكن ان يحدث لو عرفت الشعوب ذلك ؟

جيد ، جيد .. ليطمئن العالم ويفرح لان الاله ومعه وفده ، سيصبح طليقا ليذهب ويظل يمارس العابه وحماقاته في هذا الكون الضخم البليد المقيم الخارج على جميع النماذج والشروط والحدود الفنية والمنطقية والاخلاقية والجمالية .. ليظل اي الاله يمارس ذنوبه والعابه وتوتراته في هذا الكون بلا اي وقار او تقوى او حب او شهامة او توبة ..

آه . هل يوجد احوج الى التوبة واحق بها من الاله ؟

نعم ، لقد وجد الحل . لقد كان حلا امريكيا ، الهمة وخططه واخرجته المبقرية اليهودية الامريكية او اليهودية التي زعمت وقرئت امريكية ١١٠ نعم ، ايها الذكاء ، ايها الذكاء المبدع المسيطر على كل العالم هل لك من خالق غير اليهود في مزاعم ورؤى كل الزعامات والقيادات والنبوات العربية ؟

السنا نرى ونعلم ان كل شيء قوي ار ذكي او ماكر يقع في هذا العالم بل في هذا الكون انما هو تعبير وتخطيط واخراج ومكر يهودي ؟ السنا نرى ان الله لم يتخلق بالفضب ولم يخلق الجحيم الا لان اليهود قد وجدوا ؟

اجل « الدنيا لعبة اسرائيل » ، اي لعبة اليهود ١٠٠ اليس هذا اسم كتاب صدر باللغة العربية وآمن به الانسان العربي بل آمن به الحاكم والقائد والكاظم والفكر العربي وجوزي كاتبه او معربه كما زعم وطابعه وناشره بالثناء والاعجاب وبالنفط والحب ؟ السنا نؤمن ونقول دائما على السنة كل ذوي اللسنة فينا ان كل ما يصيبنا او يصيب سوانا ليس الا بعض تدبير وتخطيط ومكر وعمل اليهود الحاكمين بدهائهم لكل العالم ؟

لقد جاء الحل الامريكي اليهودي او اليهودي فقط الذي زعم امريكا ليصاغ هكذا :

تعلن الزعامة العربية المصابة دائما بالغرور الخطابي وبالوقاحة الاستعراضية الصوتية ، تعلن بأسلوب طيب وودي وصالح ومقبول جدا توبتها الى امريكا من كل ما كان .. من كل الذنوب والعيوب والنشوز ومن الحديث عن طلب الطلاق والتفكير فيه ، ومن العصيان اللفظي الخطابي العاجز عن التنفيذ الذي هو موهبة اصيلة وشهوة خالدة لا تداوى ، في كل زعامة وقيادة ونبوة عربية ..

تعلن توبتها من هذا العصيان اللفظي الخبيري العربي العاجز ابدا عن ان يكون عصيانا ميدانيا .. ان يكون عصيانا اكثر من صوتي .. اليس العصيان العربي يجيء دائما عصيانا صوتيا خطابيا حينما يجب او يراد او ينبغي او يطلب او يفترض ان يكون عصيانا ميدانيا ؟ هل يستطيع او استطاع العربي ان يعصي هذا العصيان الميداني حينما وجب ان يعصيه ، مهما اراد ان يعصيه ومهما زعم او حسب انه يعصيه ؟ هل استطاع العربي في اية مرحلة من تاريخه ان يعصي حين وجب ان يعصي او الا يعصي حين وجب الا يعصي ؟

انها لموهبة عربية اصيلة : ان يظلوا يفعلون بالقول ما يجب ان يفعلوه بالفعل وما يعجزون او يهابون او لا يعرفون ان يفعلوه بالفعل . انهم بقدر ما يعجزون عن الفعل بالفعل يذهبون يبالغون جدا في الفعل بالقول . ان اصواتهم لتعلو بقدر ما قصمت قدراتهم .. ان اسلحة كل العالم لا تستطيع ان تصنع شيئا من الانتصارات التي تصنعها السنة العرب ..

انها لا توجد قوة تساوي قوة العرب في فعلهم بالصوت لكل ما يجب وينبغي فعله بالفكر والتخطيط والارادة والقدرة والجسارة والقلب .. انهم حينما يفعلون بالقول ليسمعون بالرضا والزهو وبانهم قد انتصروا اكثر مما يشعر بذلك من يفعلون بالفعل ..

ان اسواء العرب هي المبدل الجيد الدائم المرضي عن كل المواهب والالتزامات الاخرى المطلوبة من الانسان والمفترضة فيه . ان العرب في كل تاريخهم لم يحملوا او يرفعوا سلاحا لينتصروا به على الاعداء او على الطبيعة مثل اقوامهم .. اجل ان العربي لينتصر بالقول اقوى مما ينتصر المنتصرون بالفعل .

نعم ، جاء الحل هكذا او اريد ان يجيء او يبدو هكذا :

العرب يتوبون هذه التوبة الى اميركا لكن لا كما يتوبون الى الله .. يتوبون الى اميركا توبة تقنع اميركا بانها ليست مثل توبتهم الى الله .

أما امريكا فتعلن باسلوب يهودي أمريكي هو في غاية البراعة والمق والاسترضاء والتلطف والتدليل ومحاولة الستر على الضعفاء المهزومين المفضوحين المحتاجين الى الانقاذ والستر - تعلن عن خطة للفصل بين الجيوش العربية والاسرائيلية ..

انه لحل يبدو فوق قمة الذكاء والدعاء وروعة التخطيط . انه يعني ان يفك الحصار عن الآله ووفده بهذا الاسلوب المتلطف المتخفي الذي قد تمجز كل العقول والاخلاق غير العقول والاخلاق اليهودية الاميركية ان تعرفه او تستطيعه . حل يرفع الحصار عن الآله ووفده دون ان تشعر جماهير العالم بما حدث . اذن اليس محترما الا يكون الا حلا يهوديا امريكيا ؟

لقد كانت شعوب العالم ولا زالت وقد تظل ابدا تحسب ان الذي ينقذ من هذا الحصار ويدبر لانقاذه هو الجيش العربي وليس الآله ووفده السماوي الذي قاده استماعه الى الصهيل العربي وتصديقه له الى السقوط في هذه الكارثة ..

لهذا لم تستطع الشعوب ولا سيما العربية التصديق بان كل هذه الشهامة الاميركية اليهودية هي فقط من اجل انقاذ الجيش العربي من الحصار والدمار . اذن لا بد من ان يكون وراء هذه الشهامة وفي احشائها ونياتها ألوان الاتهامات واشتات الاغراض الماكرة اللثيمة . انه لا بد من الاقتناع بذلك . ان الشعوب العربية لا تقبل او تستطيع ان تخدع . لهذا لن تصدق اي خير او جمال او نبيل يفعله الاخرون .

ان العربي لا يستطيع ان يصدق ان احدا غيره وغير آبائه وخلفائه وسلطينه ومعلميه قد يفعل شيئا جميلا او نبيلًا بدون ان يكون مدفوعا باغراض دميعة او لثيمة او شريرة . ان كل الناس غير العرب لن يكونوا في اقتناع العربي الا اشرارا ولثاما واعدا وخبثاء وانذالا ومحاربين مهما فعلوا الحب والصدقات والسلام والجمال والخير كله ..

وقد صنع هذا الحدث مشكلة صعبة جدا ، هي :

هل يمكن ان يغفر الله للمعرب او ينسى لهم في اي طور من اطوار حياته انهم هم الذين قادوه الى هذا الحصار ، الى هذا الهوان والاذلال والافتضاح ؟ اليس المفروض ان الآله هو اقسى الكائنات انتقاما لكرامته ؟

اذن هل يتصور من يستحقون كل غضب الآله مثل من اوقعوه في هذا الحصار اي مثل المعرب ؟

نعم ، اذا لم يستطع اي الآله ان ينسى او يغفر للعرب ذلك فما الذي يحتمل ان يوقع بهم ؟ العرب يوقعون الآله في الحصار واليهود ينقذونه ..

ينقذونه باذكي واستر والطف الاساليب . اذن كم هو رهيب ان نتصور لو
نقوع او ننتظر ما يحتمل ان يفعله بهم ، ان يفعله بالمرب الذين سمعهم يتحدثون
عن عبورهم وعن امجاده فصحتهم واراد ان يكون له شيء من عبورهم وامجاده فوق
في الكارثة ..

اذن يا مجد العبور ، ليتك كنت شهما او مهذبا او رحيما فلم تات الى
المرب لتكون احد امجادم ، لتكون اعظم امجادم ، لتكون التدليل الاليم على
قيمة امجادم القديمة المروية ، والتفسير الفاجع لما تبغيه تلك الامجاد التاريخية .
لقد عرفت تلك الامجاد من حديثهم عنها . وقد عرف الان ماذا يساوي حديثهم عن
امجادمهم .

وبعد فهل هذه رواية لحدث قد وقع ام هي تصور هو اذكي واصدق واقوى
واقعية مما وقع ؟

اليس التصور ولو احيانا هو اذكي واقوى واعمق منطقا وتفسيرا وتخطيطا
من الواقع ؟ اليس للتصور اتقى وارحم من الواقع ؟

اليس كل واقع بلا تصور ومتصور سفها مهما عايشه وعاش به العقل ؟
اليس الكون وكل شيء يجيء حقا وعدلا وجمالا ومقبولا ومعقولا بالتصور
اكثر مما جاء او يجيء كذلك بالواقع ؟

اليس الكون قد جاء بكل هذا القبح والغباء لانه قد جاء بلا تصور له
او منه ؟ اليس التصور او المتصور واقعا بأسلوب وتفسير ومنطق آخر ؟ والان
ماذا يجب علي ان اقول او ماذا اريد ان اقول ؟

اولا :

اعتذر اصدق واقوى الاعتذار لاني تحدثت عن هذه الفاجعة الكونية الاولى من نوعها
وقد تكون الاخيرة ..

وقد يكون من اسباب الغفران لي اني قد كشفت عنها بعد ان رفع أخطارها
عن العالم والكون الذكاء اليهودي الامريكي ...

ثانيا :

متى يشفى او هل يمكن ان يشفى او اليس واجبا ان يشفى الانسان العربي
والاعلام العربي والزعامات والقيادات العربية من هوس العبور او من مجد العبور
او مرض العبور ؟ لقد أصبح العبور ومجده والتحدث عنه والتباهي به جنونا
ومرضا وسخفا وافتضاحا عربيا يجب ان يداووا ويفرغوا منه كل اساليب التفرغ ..

ان اخطر واقبح امراض العرب حديثهم الدائم عن امجادهم التي لم يروها او يعرفوها
او يريدوها او يستطيعوها .

وهم محتاجون دائما الى ان يصدر اليهم الطب والشفاء من خارج انفسهم
 لمواجهة كل امراضهم وآلامهم . انهم المرضى الذين لا يلدون الاطباء او يتحولون
الى اطباء . . .

ما اخس وانذل واقسى وأبلد العالم اذا لم يفعل كل شيء ويسخر كل
 عبقرياته لشفاء العرب من عبورهم ومجده ومن حديثهم عنه ومباهاتهم به وهم
 كما فسر وثبت لا يملكون احتمالات ان يشفوا انفسهم الا بقدر ما كانوا يملكون
 من احتمالات تكافؤ عبقرياتهم واخلاقهم مع عبقریات واخلاق نفطهم . .

بل ان العرب لمحتاجون الى من يشفيهم من كل امجادهم ومن الحديث عنها
 والمفاخرة والتحدي والاعجاب بها والتحقيق الدائم الاعمى فيها مثل احتياجهم الى
 ان يكون لهم مجد فوق الارض ، فوق النجوم والاقمار والسحاب وليس فقط فوق
 الخابر والسطور والشفاء وتحت شواهد القبور . انه لا مرض كمرض العربي متحدثا
 عن امجاده ، مصليا لها ، منشدا فيها وعنفا وفوق مقابرها كل اشعاره الامية في
 اخلاقها وموحياتها ولغتها . .

ثالثا :

قد يظل العرب يتحدثون عن عبورهم وعن مجده ويظلون يسترون ويكفرون
 به كل مزائهم وضعفهم وفتوبهم وفضائحهم حتى يصبح العالم لا يعرف عنهم
 الا انهم شعب العبور او الشعب العابر . . وحينئذ قد تنسى او تطرد وتهزم كلمة
 « الشعب العربي » ليصبح البديل « الشعب العبري » ، ليصبح العرب هم « الشعب
 العبري » ، لا « الشعب العربي » . ويجب الا ننزعج أو نخجل أو نخضب من هذا الاحتمال
 فقد يكون ربنا لنا دون أي خسران . واي خسران في الهرب من كلمة « عرب » ؟
 قد يكون لهذا الاسم الجديد العديد من المزايا . منها ان كلمة « الشعب العبري »
 تصبح حينئذ بعض كلمة « الشعب العبري » اي اقل منها اي يصبح « العبري » أكثر
 من « العبري » أي يصبح الانسان العربي اي الذي كان عربيا اكبر من الانسان اليهودي .
 اليس العرب قوما صوتيين وقد أصبح التصويت بهم اكبر من التصويت
 باليهود اذن هم اكبر منهم ؟

ان معنى هذا ان تصبح الامة العبرية اي اسرائيل وكل اليهود في العالم احد

معانينا نحن العرب وأحد تفاسيرنا وأملكانا وقوانا وأمجاننا وانتصاراتنا ، لا معنى مضادا أو عاصيا أو معاديا أو هازما أو مذلا أو متحديا لنا أو خارجا علينا أو أخذنا منا أو فاضحا لماضيينا ومستقبلنا بالقسوة التي فضح بها حاضرينا .. نعم ، أنه لم يفضح أو يهيج أو يهن ماضي أي شعب أو مستقبله بحاضره مثلما فضحت وهجت وأهانت إسرائيل ماضي العرب ومستقبلهم بحاضرمهم أي بما فعلت بحاضرمهم أي بكشفها عنه وتفسيرها له .

اذن اليس هذا كسبا ومجدا لا يرتفع اليه أي مجد من أمجاننا حتى ولا كل ما في قبور كل أنبيائنا وخلفائنا وسلاطيننا ودرائشنا وأبائنا من أمجاد مخطوب بها مكتوبة مقروءة مروية دون أن تكون مرثية أو تستطيع أن تكون مرثية ؟ نعم ، اليس ذلك كذلك ؟ أي ليست كل أمجاد العرب هي أمجادا مروية لا مرثية ، أمجادا صوتية ؟

الليست كل أمجاننا أمجادا قبورية لا تراها العين أو تمسك بها اليد أو تحيا بها الحياة ، وإنما يستمرغها الفم على الأذان والاقلام والصفحات والتاريخ ؟
ليست كل الامجاد المرثية هي أمجادا غير عربية ؟

اليس العرب مرضى جدا بالوقار والتقوى الاخلاقية لهذا يرفضون أن تكون أمجادهم مرثية ؟

ليست الامجاد العربية مصابة بأقصى حالات الخجل والتواضع لهذا لا تستطيع أو تريد أو تقبل أن تكون مرثية، لهذا هي أبدا مروية قبورية منبرية ، تروى ويخطب بها وترقد في مقابرنا مع تاريخنا الراقد في مقابره دون أن ترى أو أن تستطيع أو استطاع أن ترى أو أن تحيا أو أن يحيا بها أحد ؟ ليست كل الامجاد العربية أمجادا غيبية أي كالامجاد الالهية ، كالذات الالهية ؟

لماذا لا ترى الامجاد العربية ؟ ان الجواب عن هذا السؤال هو الجواب عن :
لماذا لا ترى الذات الالهية .

وابعا :

هذه محاولة لماتبة الذات أنها محاولة مبتدئة ومع انها مبتدئة فانها تسكاد تكون الاولى في معاتبتنا لانفسنا ولتاريخنا بكل هذا الجهر والرؤية .. انه عتاب للنفس لا يرتفع الى محاكمتها بل لعله لا يصل الى نقدها بالاسلوب المطلوب المفروض .
اليس المفروض أن تجيء قسوة أو قوة النقد متكافئة مع بشاعة الخطأ أو

الغضب أو التقصير أو العار أو التدليل للنفس أو الاعجاب بضعفها وتفاهتها مع سماجة وقبح الغرور بها والادعاء لها ؟

اذن هل هنالك من يستحقون ان يعاقبوا ويعذبوا بأقسى النقد واشمل وأدوم غير العرب أو مثلهم ؟

هل تستطيع موهبة النقد في كل تاريخها ، في كل البشر ان تكون كافية لنقد العروبة وتاريخها أو قادرة على ذلك ان كان محتوما ان يكون النقد متكافئا مع الاستحقاق له ؟ ان النقد القاسي الصحيح لمحب الذات وضعفها ليست قيمته في انه نقد ولكن في انه رؤية وشجاعة وصدق ورغبة في الانتقال الى الافضل وتطلع الى ذلك وشوق اليه . لهذا كم يجب ان نتعود نحن الشعب العربي أو « الشعب العبوري » ما لم نتعود شيئا منه في كل تاريخنا ، اي ان نتعود تقبل وغفران هذا العتاب أو النقد للنفس الذي لم نتعود قط ان نقوله أو نكتبه أو نقرأه أو نسمعه ، بل الذي لم يصبح يوما ما حلما أو املا أو تصورا من أحلامنا أو آمالنا أو تصوراتنا ، اعني النقد الذي يعني الرؤية والجرأة والصدق والشوق الى الاقتحام والتغيير والاصرار على التنفيذ ..

انها لقضية حضارية وانسانية واخلاقية ، بل وطنية قومية .

انها حروف اولى من لغة يجب ان تتعلم العروبة الجرأة على النطق الجاهر بها وعلى الاستماع المتوثب اليها بكل معاني الاستقبال المستجيب المتلهف المتوقد ..

انها لغة انسانية قد تخلفنا كثيرا عن بلوغ طورها ..

ان اللغة الانسانية ليست للتفاهم أو التخاطب أو للتحدث عما هو موجود أو للتعريف به أو لامتداحه والدفاع عنه أو لتفسير مزاياه الدينية أو الاخلاقية أو التاريخية أو القومية أو المذهبية كما نفعل نحن باللغة . ولكنها اي اللغة الانسانية جهاز انساني هائل وشامل للتغيير والتخطي والخلق والابداع والرفض والرؤية المخترقة بلا حدود أو حواجز .. حين يقال : الانسان كائن متكلم أو لغوي يجب ان يعني ذلك انه كائن مخطط مقترح مغير متغير رافض لذاته التي كانت بالامس ..

ان اللغة عند الانسان الآخر لا تعني الا اقوى واعظم الوسائل للخروج والارتحال والصعود والطموح والرؤية البعيدة انها تطلع وزحف دائم الى الآتي البعيد الاعظم ، واحتلام به وحذاء له ليحيى ..

لما عنفنا نحن الشعب العربي أو « الشعب العبوري » فلا تعني اي اللغة الا

الاعتقال في التاريخ والخيمة والصحراء والبدواة الاولى والحراسة الدائمة على ذلك
 مهما اختلفت الاسماء والازياء والالوان .. اما النقذ عندنا اي لو وجد فلا يعني
ارادة التخطي او القدرة عليه اي على التخطي او دفع تكاليفه وانما يعني التلذذ
بالجهر به .

ولهذا قاننا لا نعرف او نتكلم اية لغة انسانية مهما حسبنا وبدونا كائنات
 لغوية .. اننا غير لغويين مهما كانت السننتنا اطول من كل الالسنة ومهما تفوقنا
 على كل البشر بكثرة الكلام وبلاغته اللغوية وطنينه المفرغ من كل التفاسير
 والالتزامات والقيم الانسانية واللغوية ..

ان من اعظم ما تعنيه اللغة لدينا ان تتحول الى جيوش حراسة لثمننا من ان
 نفهم او نفكر او نرى او نحاور او نحاسب او حتى نتكلم او نحتج ونغضب او نقالم
 او نؤن او نصرخ مهما تهاوت علينا الآلام .. اي لثمننا من ان نغادر طفولتنا
التاريخية والانسانية او نفكر في مفادرتها . انها اي اللغة ليست الاسودا وحدودا
 وقيودا نضربها على انفسنا ويضربها علينا كل قادتنا ومعلمينا وانبيائنا لئلا
 نغادر او نتجاوز او نكون او نصرف ..

انها اي لغتنا لثمننا من كل ذلك لانها تحدد لنا كل شيء تحديدا مطلقا ،
 تحده لنا كلما وجب علينا او اردنا او طولبنا ان نرى او نفكر او نفسر او نقرا
 او نسمع او نحاور او نحب او نبغض او نعجب او ننكر او نوؤمن او نكفر او نريد
 او نعمل او نمدح او نذم .. انها تضعنا في ولادة واحدة وثوب وكفن وقبر
وتاريخ واحد .

انها اذن اي لغتنا توقف او تقتل او تخيف وتهدد كل وظائف وتفاسير وقوى
 وطموح الانسان فينا او تحاول ان تفعل ذلك بنا . انه لذلك لحق ان يقال : ان
اي عربي في كل التاريخ لم يتكلم قط وانه لا يوجد اليوم عربي واحد يتكلم
او يستطيع ان يتكلم ١٠٠

ان العربي ليبعد عن ان يكون متكلما كلما تكلم او بدا مثل من يتكلم ..
 اذن كم يجب ان نخطي لغتنا هذه صاعدين الى طور اللغة الاخرى ، لغة
 الانسان التي تعني التخطي لكل اطوار التاريخ ومداياته وتعني تعليم الارتحال
 والخروج الدائمين ، وتعني الرؤية والقراءة البعيدة المطلقة المتجددة الدائمة .. تعني
 انه لا يوجد تاريخ وانما يوجد خطو دائم يسمى تاريخا ؟ نعم كم يجب ان نصعد
 الى اللغة التي تعني الارتحال الدائم من الذات والتاريخ ومن كل موقع قديم ؟

كم أتمنى أن نفارق كل أطوار طفولتنا التاريخية المستعصية على كل معاني
وصيغ النمو والنضج والتمرد وإرادة الارتحال من التاريخ الى الحياة .
كم أتمنى أن نكبر في التاريخ ويكبر التاريخ فينا ..
لقد ظللنا طويلا ، طويلا بلادة وعجزا في التاريخ وظل التاريخ فينا كذلك
بلادة وعجزا ، طويلا ، طويلا ..

لقد صغر التاريخ بنا حتى كاد يفقد أو ينسى أو ينكر ضخامته بغيرنا ..
لقد تحولنا طويلا ، طويلا الى هجاء للتاريخ كما تحول التاريخ الى هجاء لنا .
فمتى يعتذر أحدنا الى الآخر ويعمّض عليه ويكفر عن هجائه ؟ أينما يجب عليه أكثر
أن يعتذر الى الآخر ويعمّض عليه ؟

هل اذنبنا الى التاريخ أكثر أم اذنب الينا أكثر ؟ ان ذنبنا اليه اننا هبطنا
به وذنّب الينا أنه حفظ وروى هبوطنا . فاي الذنبين اعظم ؟

آه . ما أقوى وأعماق وأشمل وأدوم كل صيغ ومعاني الطفولات الذاتية
والنفسية واللغوية والانسانية والاخلاقية والتاريخية فينا نحن الشعب العربي أو
« الشعب العبروي » ، نحن أصحاب « مجد العبور » . لهذا فما أحوجنا الى كل
الجسور والمصاعد والى كل وسائل العبور لكي نعبر عليها كل طفولتنا هذه
لنتجاوزها ونرتفع فوقها وبعيدا عنها .. أن كل جسور ومصاعد الحضارات ووسائل
عبورها عجزت عن أن تعبر بنا شيئا من طفولتنا هذه ..

آه .. اننا صفار ، صفار . لهذا تصبح أصغر الاعمال والامجاد بل اكنبها
كبارا ، كبارا في مزاعمنا ورؤانا . فمتى نصبح كبارا ، كبارا لتصبح اكبر الامجاد
والاعمال واصدقها واشهرها صفارا ، صفارا في افواهنا وحساباتنا وتحدياتنا
وطموحنا ؟ أن شهوعنا الصغيرة أو المنطفئة أو التي لم توجد لنراها ونزعمها اكبر
من كل شمس الأخرين ..

آه . ما اصغر الافواه التي تتحول فيها أصغر الأشياء واكنبها الى اكبر الاشياء
واصدقها . لهذا فما اصغر افواه النبوات والقيادات والزعامات العربية ؟ هل كبرت
أو تكبر اتفه التفاهات مثلما كبرت وتكبر في اكبر الافواه العربية ؟

هل كان مستحيلا أن نصبح كبارا لا نصاب بشيء من الغرور حينما يصبح
لنا عبور ، يبدأ عبورا ويزحف عبورا وينتهي عبورا ويظل عبورا ؟ هل كان
مستحيلا أن نصبح كبارا على أن نصاب بأي شيء من الغرور حينما نفعل ما يصبح
معقولا ومقبولا ومغفورا ومنظرا أن يصيبنا بكل نماذج الغرور ؟

هل كان محتوما ان نظل أصغر من كل الاحجام ، نملا الدنيا غرورا يصنع
 الغثيان للكائنات التي لا تصاب بالغثيان حين ندبر عبورا ليقرا ويسمع عبورا ،
 وينتهي ثبورا ، ليظل ثبورا وغرورا ، أي لنكتبه ونقرأه ونسمعه ونعلنه نحن عبورا ،
 عبورا ٠٠ اما العالم كله فيكتبه ويقرؤه ويسمعه ويعرفه ويفسره ثبورا ، ثبورا ٠٠
 هل كان محتوما ان نصبح ونظل صفارا لنصاب بكل لغات الغرور وتفاصيله
 حينما نصبح هوانا واقتضاحا وعارا في كل العيون والمقول والقراءات والتفاسير ،
 في كل المقاييس والخصايص والنماذج ؟ وهل نحن نصبح كل هذا حيننا دون حين
 لا دائما ؟ السنا كذلك كل الاحيان ؟ هل نستطيع ان نكون حيننا شيئا وحيننا
 شيئا آخر ؟

هل كان محتوما ان نصاب بموهبة غرور لم تصب ولن تصاب بشيء منها
 اقل الحشرات وقارا واستحياء ؟ لماذا نحن وحدنا ؟ هل نستطيع او تقبل أدنى
 الحشرات ان تصاب بأي غرور لو أنه او لانه قد أصبح لها عبور مثل عبورنا ؟
 ان قبج غرورنا ليس في غرورنا فقط بل وفي قبج أساليبنا في التعبير عنه .
 وفي أيهما نحن اوقع واقبح : في غرورنا أم في تعبيرنا عن غرورنا ؟
 انه لا شبهة لقبج غرورنا الا قبج تعبيرنا وحديثنا عن غرورنا ٠٠ آه ايها
 الغرور البليد السخيف المتحول الى استهزاء وسخرية وانفجاع ورثاء لكل العالم وفي
 كل العالم لماذا وهبت كل صيفك وتفاصيلك لابناء العروبة ؟

كيف تتقبل اية مرأة ان يقف امامها اي عربي ليقرا فيها وعنها بأعلى واقبح
 الاصوات كل لغات وتفاصيل غروره متجمعا فيه كل غرور تاريخه ؟ ان العربي
 ليرى في المرأة كل غرور تاريخه حين يقف امامها . ليرى خيول ونياق آبائه محلقة
 فوق النجوم لتعطر الارض بالحضارات والنبوات ٠٠
 اذن كيف لا ترفض اية مرأة ان يقف امامها اي عربي ، رفضا لوثاثة وسذاجة
 غروره واشمئزازا من ذلك ؟

من علم المرأة البلادة والهوان لتتقبل ان يقف امامها اي عربي ليرى فيها ويقرأ
 عليها غروره ؟ كيف تقبل اية مرأة ان يحرق فيها اي عربي ليقرا عليها وفيها وليروي
 لها ويرى فيها كل امجاد عبوره ٠٠ ليستفرغ عليها كل امجاد عبوره ؟ كيف يقبل
 اي نجم ان ينظر اليه او يعيش تحته اي عربي بعد عبوره وبعد حديثه عن امجاد
 عبوره وبعد اعجابه ومباهاته بعبوره ؟

نعم ، ايها « العبر » كم انت فاضح او آثم او نافع او مصحح للأخطاء

لأنك قد صنعت شكاً أو احتمالاً بل أو يقيناً بأن جميع أمجاد العروبة المروية هي من نوع مجنك قوة وصدقاً وضخامة وروعة وتعبيراً باللغة أو بالصوت . .
 إذن أي ذنب وفضح مثل ذنبك وفضحك أيها العبور إذا أثبت ذلك عن كل أمجادنا الخفونة في القبور والمروية عن القبور ؟ أي هاج ومكذب ومفسر بكل القسوة لامجادنا الحقة مثلك أيها العبور ؟

نعم ، ان السفر والطيران الدائمين الى الآفاق الاخرى القصوى على اجنحة الكلمات وبخطوطها هما التفسير الشامل الدائم لكل لغة انسانية . ان اللغة الانسانية او الحضارية في تفاسيرها كلها ليست الا تحليفاً وارتحالا الى الاشواق والاهداف البعيدة .

إذن هل يستطيع الانسان العربي ان يكون كائننا لغويا ، ان تكون له لغة ؟
 نعم ، ان الانسان أي غير العربي باللغة يتعلم ويخلق ويسير .
اما الانسان العربي فانه باللغة يرفض ويقاوم ان يتعلم او يعرف او يتخطى
او يتحرك او حتى يتكلم ! . .

هل يستطيع صاحب « العبور » . . الذي تحدث عن عبوره كما تحدث ويتحدث ان يتكلم أية لغة انسانية أي ان يكون انسانا لغويا ؟ هل يمكن ان يحسب العرب او ان يكونوا لغويين او متكلمين بعد ان تحدثوا عن عبورهم بالاساليب التي بها تحدثوا ؟

لقد تحول حديثنا عن عبورنا وعن امجاده الى هجاء لكل الأذان الاخرى التي استطاعت وتقبلت ان تستمع اليها ، والى هجاء لكل اللغات أي في حساب من يرونها كائنات لغوية . وهل يوجد من يرونها كذلك أي كائنات لغوية ؟

لقد تحولنا بذلك الى هجمات ونشوة لثيمة لكل الشامتين والمعادين والساخرين والمتلفذين بعار وهوان وافتضاح الآخرين . . والى تعذيب وترويع وانفجاع لكل الاصدقاء والرحماء والانسانيين . .

لقد أسمعنا الاعداء واللؤماء وروعنا الاصدقاء والنبلاء . .

اننا بعبورنا وبأحاديثنا عنه وعن امجاده وانتصاراته قد اصبحنا اعظم فنانين في تأليف وأخراج وصناعة المأساة الواهية كل الفرح والسعادة النشوى لبعض المشاهدين ، والصناعة ، كل العذاب والخجل والاسى للمشاهدين الآخرين ، أي للقارئ والسامعين والمفسرين من الفريقين بالاسلوبين والاحساسين المختلفين . .

بل السنا دائما عباقرة في صناعة الماساة الصانعة للسخرية والفرح والصناعة
للأسي والخجل لاننا ابدأ نحن شعب « العبور » ! والان لتسمعوا وتعرفوا وتعترفوا !
هل يوجد عباقرة مثل من يحولون أقسى الهزائم بالفعل والرؤية الى اعظم
الانتصارات بالقول والسمع .٥٠ اي لتصبح اعظم الانتصارات بالتصديق والايمان
والاقتناع والوطنية التورية ؟

هل وجد أو يمكن ان يوجد هؤلاء ؟

نعم ، لقد وجدوا ويوجدون دائما ، انهم العرب ، انهم اصحاب العبور .٥٠ لقد
للسوا بعبورهم وباعلانهم عن عبورهم انهم اعظم المحولين لافدح الهزائم المفعولة
المرئية الى أضخم الانتصارات المسموعة المقروءة المخطوب بها .

اذن هل توجد عبقرية مثل عبقرية العرب ؟

بهذا التفسير لا ، لا توجد ولن توجد ويجب ألا توجد .٥٠ ان العرب دائما أضخم
العبقريات اي العبقريات المضادة للعبقريات ١٠٠

آه يا عبورنا البائس الحزين . لیتنا بلا اقدام ولا أجنحة ولا حركة لئلا
نمبرك أو نحاولك ، أو لیتنا بلا السنة لئلا نتحدث عنك ، أي لكي لا يسمع
العالم زعماءنا وقادتنا وفلاسفتنا ومفكرينا وشعراءنا وفنانينا وقديسينا وعلماءنا
وكتابنا العظام ، العظام وهم يتحدثون عنك ، وهم يرهبون بامجادك وكبريائك
الشموس والنجوم وكل امجاد التاريخ وكبريائه وهم يخجلون ويفضحون كبرياء
الآله بزعيمهم أنك اكبر هداياه وعطاياه لهم ١٠٠

انني لو كنت آلهيا راضيا عن الوهيتي معجبا مؤمنا بها كل الرضا والاعجاب
والايمان - أو لو كنت عبقريا راضيا عن عبقريتي معجبا مؤمنا بها كل الرضا
والاعجاب والايمان ثم سمعت العرب يتحدثون ويخطبون ويكتبون عن عظمة الوهيتي
أو عبقريتي لكان محتوما أن أشك في أنني آله أو عبقرى بل ولرفضت وخجلت أن
أكون هذا أو هذا أي ان كنت قد سمعتهم وهم يتحدثون ويخطبون ويكتبون عن
« عبورهم » وعن امجاده .٥٠

اذن اليس محتوما ان يكون الآله قد وقع في أزمة أو ورطة في علاقاته بذاته
وفي اقتناعه واعجابه بها ؟

لقد كان راضيا عن نفسه مؤمنا بها رضا وإيمانا مطلقين بلا حدود .٥٠ وكان
من أقوى أسباب رضاه عنها وإيمانه بها طوفان الدائش والتعظيمات والصلوات
والهتافات التي كانت تغرقه بها وتصيبها عليه كل الانواء العربية من فوق كل المنابر،

بكل الاقلام ، بل بكل الاصوات واللغات ، كل الاوقات ، حتى غرق في رضاه عن نفسه وفي ايمانه واعجابه بها •• حتى أصبح عاجزا عن أن يقرأ نفسه أو يراها أو يفسرها أو يحاسبها أو يشك في أي موقف و عمل و قيمة من مواقفه واعماله وقيمه • لقد أقنعه في نفسه ما قاله ويقولوه العرب فيه • لقد سحروه وبهروه وقهروه وخدروهم وأغنوه بمدائحهم عن كل التصادم والحوار مع ذاته والتفكير فيها والرؤية لها بل وعن نقدها وتقويمها وعن محاولة تغييرها والسمو بها وعن أن يكون أية صيغة أخرى ••

لقد كان يصدق العرب جدا ، أو لقد أصبح يصدقهم لانه يريد ويشتهي أن يصدق ما يقولونه فيه وله وعنه • لقد مدحوه ومجدوه وزعموا فيه وله حتى صار عاجزا ومستحييا أن يكذبهم أو يرتاب في صدقهم •• لقد أفسدوه أي أفسدوا الآله بمدائحهم كما أفسدوا بها كل سلاطينهم وحكامهم وأنبيائهم ودرأويشهم ولصوصهم ورجالهم في كل تاريخهم •• ان من أعظم مواهب العرب أفسادهم لآلهتهم وكبرائهم وطفاتهم بمدائحهم لهم •••

نعم ، لعل العرب مسؤولون عن مواقف الآله واعماله وأخلاقه لانهم بمدائحهم وتمجيدهم له في كل ما يفعل ويرى ويريد ويكون جعلوه يتوقف ويكف عن أن يتغير ويتطور الى الأفضل أو الاذكي أو الاعقل أو الاجمل أو الاعدل أو الاقوى • ان كل العالم في كل التاريخ يتغير ويتبدل حكماءه وطفاته الا الكون فان آلهه أو طاغيته واحد ثابت لا يتغير أو يتبدل • اذن كم هو بانس هذا الكون ؟

ان مسؤولية العرب هذه لمسؤولية تهون وتغفر وتنسى امامها جميع المسؤوليات في كل العالم بل في كل الكون ••

لقد منموا الآله أو صرفوه أو خدعوه أو اغنوه أو خدروهم عن أن يحاول تغيير وتطوير نفسه بتمجيدهم له كيفما كان وفعل وبزعمهم أن ذلك هو الكمال المطلق •
لقد ظل كل الارباب يتفخرون الى الأفضل الا رب هذا الكون ••

ولكن الآله الان لابد أن يكون قد سقط في أزمة أو ورطة أو قد يسقط في ذلك وصانع هذه الأزمة أو الورطة هو • العبود ، والحديث عن أمجاده •

لقد كانت مدائح العرب له هي التي خلقت فيه رضاه عن نفسه واعجابه وايمانه بها ورسخت فيه هذا الرضا والاعجاب والايمان لانه كان يصدق العرب جدا فيما يقولون أو كان يريد أن يصدقهم •••

ولكن لقد سمع العرب يتحدثون عن عبورهم وعن انتصارات وامجاد عبورهم بالاساليب التي بها تحدثوا ويتحدثون ٠٠ وهو يعرف كل هوان وعار عبورهم ٠٠ لقد رأى ذلك رؤية ١١٠٠

فهل يستطيع بعد اليوم ان يصدقهم في اي شيء يقولونه عنه او عن اي شيء آخر ؟

لقد كان ايمانه بنفسه مساويا لايمانه بالانسان العربي مادحا واعيا صادقا اي مساويا لايمانه بالذاتح العربية ٠ ولكن لقد سقط او الفروض ان يكون قد سقط ايمانه بالانسان العربي قائلا وصامتا ، مادحا وذاما بعد ان سمعه متحدثا عن « عبوره » وعن امجاد عبوره ٠٠ اذن ما الذي يستطيع ان يبقي له ايمانه بنفسه اي بكونه آلهها جيدا كاملا بلا اي نقص او عيب ؟ اذن لا بد ان يتراجع عن ايمانه واعجابه بنفسه وان يتحول الى ناقد ومحاسب وقارىء لنفسه ولاخلاقه واعماله وحيفه لا بد ان يصوغ او يحاول ان يصوغ ذاته وتصرفاته صياغات اخرى افضل واتوى واكثر جمالا وحبا ورحمة وصدقة وفنا وشعرا وذكاء كونيا ٠٠ نعم ، هل يمكن ان يرضى عن نفسه آله وخالق هذا الكون لولا مدائح العرب له ؟ هل قبل نفسه او عمله الا مخدوعا بهذه الدائح العربية ؟

اذن لقد اعطى حديث العرب عن امجاد عبورهم اعظم النتائج لقد جعل ذلك الآله يغير ويصحح نفسه ٠ وهل يوجد شيء يساوي في نفعه وعظمته ما يجعل الآله يغير ويصحح نفسه ؟

اذن ايها « العبور » الهزيل ان لك وللحديث عنك كما تحدثوا لمزية ، مزية عظيمة ١٠٠ اذن اليس كل شكر يعجز عن شكرك ايها العبور الهزيل ؟ لقد جعلت الآله ايها العبور يرفض العربي مادحا ومتكلما لانه سمعه مادحا لك ٠ اذن لا بد ان يرفض مدحه له ٠ اذن لا بد ان يقرأ ويرى نفسه من جديد ٠٠

ولكن اليس محتوما او محتملا جدا ان يكون استماعه اي استماع الآله الى العرب متحدثين ، مادحين وممجدين ومؤمنين ومصلين ومعاشرته ومعايشته ومصادقته ومحاورته ومعاملته لهم كل هذا التاريخ الطويل قد قتلت او اخمدت فيه او سحبت منه كل القدرة على الرؤية والنقد والرفض والغضب والاستقباح وعلى التمييز بين الجمال والصدق والذكاء والشجاعة والشهامة وبين نقيض ذلك ، اي قد افسدت وشوهت فيه كل اخلاق ومواهب الآله المفترضة او المزعومة او المطلوبة ؟

واذا كان قد اصيب بذلك فلن يستطيع بل ولن يريد او حتى يقبل ان يكتشف قيمة الدائح العربية بل الكلمة العربية بعد ان جرحته وامينت وشتمت افناء

طويلا ، طويلا بالمدايح التي قيلت والتي سوف تظل تقال عن أمجاد « العبور » وعن معجزاته التي سوف يظل التاريخ في كل التاريخ يهاب ويرهب ويستحيي ويجبن عن أن يذكر أي مجد من أمجاده لانه أي كل التاريخ في كل التاريخ سوف يظل مشغولا ومسحورا مبهورا مقهورا بأمجاد العبور العربي ومعجزاته ، متصاغرا مصغرا محقرا لكل ما يفعله وينجزه محاسبا منافسا بأمجاد ومعجزات هذا العبور العربي . هذا العبور العربي الذي لا بد أن يصبح ويظل نبوة وبطولة وقيادة وتاجا لكل التاريخ بل تاريخا لكل التاريخ . بل صلاة ومعبدنا ودينا لكل عقل التاريخ وقلبه وضميره وأخلاقه وشهامته وتقواه !

وهل يمكن ألا يكون الانسان العربي قد فعل كل ذلك بالآله بمدايح له ؟
انه لا حدود لقدرة المدايح العربية على الاغواء والافساد والتشويه . .

اذن لا خوف على الآله من أن يصاب بهذه الازمة او الورطة او الصدمة التي لابد أن تجعله يرى نفسه ويفقد ايمانه واعجابه بها ، ويرى انه لا بد أن يدخل عليها وفيها الكثير من التغيير والتصحيح بل كل التغيير والتصحيح . انه أي الآله لم يكن يرى نفسه وانما كان مشغولا باستماعه الى المدايح العربية له . ومن لا يرى نفسه كيف يريد تغييرها أو تجميلها ؟

لقد تملق ونافق الانسان العربي اذنيه أي آله وانشد وغنى وصلى وهتف لهما واستفرغ فيها كل قبائح مدائحه واعتقاداته البدوية الجاهلة الحمقاء - نعم ، لقد فعل الانسان العربي كل ذلك في اذنيه الآله وبأذنيه طويلا ، طويلا حتى نسي وأهل وأسكت وأمات أي الآله كل وظائفه ومعانيه الأخرى غير اذنيه . . كل وظائفه ومعانيه العقلية والنفسية والفنية والأخلاقية أي المفترضة المزعومة فيه وله لقد تجمعت كل معانيه أي معاني الآله في اذنيه ، لقد تحول الى أذنين فقط تستقبلان وتطربان وتتسعان لكل ما يستفرغ فيهما من الاكاذيب والبلادات والبذاءات ومن المستحيل .

لقد أصبح اذنين فقط لا تقرأ أو تحاسبان أو تحاوران شيئا مما يلقي فيهما .
نعم ، لقد أصبح اذنين فقط كالانسان العربي . .

لقد صاغه استماعه إلى الانسان العربي ومعاملته وصداقته له الى كائن يسمع المييح والهتاف الغبي السخيف المناق فيصدق ويضطرب ويفرح ويرضى بلا أية تفاسير أو مواهب أو شروط أخرى كما صاغ الانسان العربي نفسه أو كما صيغ الانسان العربي أو كما صاغ الآله الانسان العربي . لقد مرض الآله بحب

المديح وتصديقه وبالاستغناء به عن كل عمل جيد • لقد اصاب مديح الانسان العربي بهذا المرض العربي ..

لقد فعل الانسان العربي بالآله ما فعله الآلهة بالانسان العربي .. لقد جمع الآلهة كل طاقات وعبقريات وفروسيات وشاعريات الانسان العربي وكل رؤاه وأشواقه وامجاده وانتصاراته واديانه وتقواه وفنونه وكبريائه في فمه وفي اذنيه ، فعاد الانسان العربي وفعل بالآله نفس الشيء • لقد جرى الآلهة او عاقبه جزاء او عقابا ملائما • لقد اصبحت كل مواهب وعبقريات الآلهة في فمه واذنيه كما أراد للانسان العربي ان يكون كذلك ، اي كما صاغ الانسان العربي كذلك • ولماذا صاغه كذلك هل هي خطة أم غلطة أم عجز ؟ او لعلها شهوة شاذة • لعله اشتهى ان يصوغ الانسان العربي كذلك ..

ولكنه بهذا العقاب الذي عاقب به الآلهة قد عاقب نفسه وعاقب العالم بل وعاقب الكون كله لانه قد جمد الآلهة في صيغته الاولى الواحدة فلم يتغير او يتطور الى الافضل او الاعظم كما تتغير وتتطور كل الاشياء • وهل يوجد عقاب للكون والناس والكائنات مثل ان يظل المريد المدير المخطط الخالق لكل شيء ، والمسؤول عن كل شيء متجمدا في صيغة واحدة ابتدائية بدوية راضيا عنها معجبا مؤمنا بها لا يريد او لا يستطيع او لا يعرف تغييرها او تصحيحها بل او نقدها اي لان عقائد وهتافات ومدائح الانسان العربي له ، مهما كان وفعل ، ومهما كف عن ان يكون او يفعل ، جعلته يرى نفسه في كل كينوناته وتصرفاته هو الكمال والجمال المطلق الابدی الذي لا يجوز التفكير في تغييره أو تبديله ، كما جعلته يزداد اصرارا على ان يظل يريد ويفعل ما لا يرد او يقبل او يريح او يعقل او يغفر اي لأن الانسان العربي يزداد ايمانا واعجابا به وتمجيذا وصلاة وثناء عليه كلما أراد وفعل ما لا يرد او يعقل او يقبل او يغفر او يريح ؟ ليس الانسان العربي يرى الله جميلا ورحيما وحكيما ومحبيا حين يفعل كل التشوهات والآفات اكثر من ان يراه كذلك اذا لم يفعل ذلك ؟

لقد وجد الآلهة ان الانسان العربي يزداد ايمانا واعجابا به وحبا وتمجيذا له كلما فعل أي الآلهة الاخطاء والآلام والتشوهات والبلادات والنقائص ، وكلما عجز أو رفض أو جهل أن يفعل الحب والجمال والسرور والسعادة والمنطق والذكاء والمبقرية والانسانية ..

اذن ليس محتوما ان يخشى فقدان هذا الايمان والاعجاب والحب والتمجيد لسو

أنه غير أو بدل شيئا من سلوكه هذا أي لو أنه أصبح أفضل أو انبل أو أعقل أو أعدل أو أذكى أو أبقى أو أقوى مما كان أي مما وجدته الإنسان العربي ؟ نعم ، لقد وجد الله أن الإنسان العربي يتذكره ويمجده ويتضرع اليه ويصلي له ، ويرى جماله وحبه وعبقريته ويعلن عن ذلك ويفسره ويزداد ثناء عليه وعلى حكمته ورحمته ومحبته ويتصاعد إيمانه به كلما أوقع به كل التشوهات والأمراض والآلام والمظالم وكل فنون السوء أكثر مما يفعل له ذلك إذا لم يوقع به ذلك أو إذا فصل نقيض ذلك به وله .

أذن ليس المفروض أو المقول ألا يكون الآله غير ما كان لئلا يفقد هذه الامجاد والدلائل التي يهبه إياها الإنسان العربي ، أي لو أنه أي الآله تحول إلى صيغة أفضل أو أعظم أو أقل قبحا ووحشية وبدلوة ؟ لقد وجد أي الآله كل مجده وسروره في أن يكون كما كان فما الذي يجعله يغامر ويخاطر بمجده وسروره أي بأن يكون غير ما كان ؟ لقد اتفقه العرب بأنه في صيغته هذه هو كل الجمال والكمال . فكيف أذن يفكر في تغيير صيغته أو يقبل تغييرها ؟

ولكن ماذا لو أن العالم عرف أن العرب بمعائدهم وهتافاتهم ومدائحهم لئله بقدر ما يكون رديئا ومسيئا وخارجا على كل ما ينبغي ويراد ويعقل وبقبل هم الذين قتلوا وفسدوا فيه كل معانيه ما عدا اذنيه ، وهم الذين قتلوا وفسدوا فيه كل القدرة على الرؤية والنقد والرفض والتغيير والتطوير والتصحيح لذاته ولسلوكه وكل الرغبة في ذلك ؟ وهل العالم لا يعرف ذلك ؟

نعم ، ماذا لو أن العالم عرف ذلك ؟

أن العرب في حساب العالم عربان : عرب قبل النفط ، وعرب بعد النفط أي بعد وجود النفط . أذن لو أن العالم عرف هذه الحقيقة عن العرب وهم بلا نفط لكانت الاحتمالات والتفاسير قاسية جدا بل لعل الاحتمالات والتفاسير والنتائج تكون جيدة جدا حينئذ . . . فقد يكون من نتائج ذلك أن يبدل ويطور ويصحح الآله نفسه وسلوكه ليصبح لها بمواهب وأخلاق الله لا لها بمواهب وأخلاق حاكم أو زعيم أو شيخ عربي . لأن العالم حينئذ لا بد أن يحمي الآله من تضليل وتخدير وخداع العرب له بإيمانهم وهتافاتهم ومدائحهم الذليلة الجبانة الجاهلة المناقة الفسدة لمن يستمعون إليها موجهة اليهم حتى ولو كان المستمع إليها هو الآله . وهذا لا بد أن يعني احتمالا أو حتما أن يصبح أي الآله لها بتفاسير ونماذج حضارية إنسانية لا لها بتفاسير ونماذج عربية بدوية جاءت على مقاييس الدلائل والمعائد العربية . . .

اما بعد ان اذل وامان وافسد وروى النفط العربي كل عقول وقلوب وضمان
واخلاق ومواهب وحضارات وكرامات وعقريات وانسانيات كل الشعوب فقد اصبح
العرب مغفورة لهم كل ذنوبهم ووقاحاتهم ويداوتهم واماناتهم وجهالاتهم ، بل لقد
اصبحوا كل الجمال والذكاء والحب والعبقرية والشهامة في كل العيون والعقول
والقلوب واللغات والمؤتمرات والهيئات والمنظمات حتى حينما يحولون الاله السي
اذنين فقط تستمعان الى المذائح والتضرعات والهتافات والصلوات الكاذبة المنافقة
الغبية البدوية فتصدقان وترضيان وتطربان كأنهما اذنا نبي او سلطان او قائد او
فيلسوف او شاعر عربي . وهل يوجد مثل اذني الانسان العربي في استماعهما
للمذائح السخيفة البليدة المهينة وفي طربهما وتقبلهما لها الا اذنا الاله المتخاطب
للمعامل مع فم الانسان العربي ؟

اذن لا خطر او امل او نفع في ان يعرف العالم هذه الحقيقة الان ..
نعم ، العرب قد افسدوا وشوهوا اخلاق الاله وضميره وقدراته ومواهبه
بمذائحهم وهتافاتهم وصلواتهم وحلوه الى عاشق نفاق ، وايضا اذلوا وقهروا
وارهبوا كل العالم بنفطهم ١٠٠

اذن اي مجد او قوة مثل مجد العرب وقوتهم ؟

ولكن ماذا لو عرف العالم ان العرب هم الذين فعلوا بالاله ذلك ، اي لو عرف
بعد ان تكون قدرة العرب على الاغواء والافساد قد ماتت اي مات نفطهم ؟ قد يقال انه
لا خوف حينئذ لان العرب لا بد ان يكونوا قد فرغوا من افساد وتشويه واضعاف
وقهر كل مواهب وقيم وفروسيات وقدرات واخلاق كل العالم باذلالهم اي باذلال
نفطهم الطويل الاليم له اي للعالم . لا بد ان يكونوا قد فرغوا من تعريب وتطويع
كل طاقات وطموح ورؤى ومعاني العالم ليكون مثيلا للعرب لا مسطيا او معلما او
مصححا لهم . وحينئذ لن يستطيع او يريد او يعرف ان يحمي الاله منهم او يطوره
عن الصيغة التي صاغوه بها . انه اي العالم لا بد ان يكون حينئذ مساعدا للعرب
على افساد الاله وخداعه لا منقذا او مطورا او مصححا له ..

قد يرى القارى هنا اني امزح واتالم ولست اجد . فاذا راي ذلك فاني عاذره

حكما ..

نعم ، ان للعرب غزوتين او مجمتين روغا وصدمتا وامانتا العالم وفجمتا
رؤاه وتفاسيره لنفسه وافكاره عنها واثلتا حضارته وتفوقه .

الغزوة او الهمة الاولى كانت بسلام الاله والاسلام وباسمهما .

اما الثانية فبالنفط .. هذا السلاح المجيب الذي يهدد ويقاقل وينتصر دون ان يكون اصحابه مقاتلين او قادرين على القتال او مريدين للقتال او عارفين شيئا من فنون القتال او قادرين على اي انتصار لو قاتلوا . انه لم يوحد سلاح يصنع النصر لاصحابه دون ان يقاتلوا او يستطيعوا او يعرفوا القتال غير النفط العربي .. ولكن اي الهجمتين او الغزوتين ستكون اقسى او اعظم النتائج تأثيرا في العالم وعلى **المال** ؟

ان اعجب واقسى ما في الهجمة الثانية انها هجمة هجمها العالم بقوته وارادته وتعبيره ، على نفسه باسم العرب او لمصلحة العرب ، تحت راية العرب ، دون ان يكون للعرب فيها سيف او رمح او خنجر او حتى مصحف ١٠٠

تعليم غير الموهوبين ختم عمليّة تزوير

« ٠٠ ان اسوأ فاقدى المواهب هم المتعلمون تعليما عاليا وان افضلهم أو اقلهم سوءا هم الذين لم يتعلموا هذا التعليم . ان أردأ الناس هم الفاقدون للمواهب الذاتية اذا علموا تعليما عاليا وان اقل من هؤلاء رداءة هم الفاقدون لهذه المواهب اذا لم يعلموا هذا للتعليم . انه لا عقاب ولا تشويه ولا افساد لاي انسان أو مجتمع مثل ان يعطى العاجز عجزا ذاتيا شهادة بانه قد اصبح نبيا أو عبقريا أو مبدعا أو خبيرا أو عالما أو مفكرا أو شيئا آخر عظيما . . أليس التعليم العالي لفاقد الموهبة يعني اعطاء هذه الشهادة ، اي يعني تزوير الانبياء والعباقره والعلماء والقادة والعظماء والخبراء في كل شيء ، أي يعني اعطاء النبوة بلا وحي أو مجيء النبي بلا نبوة ؟ ، .

هل تعرفون هذا ؟ كم هو واجب ان تعرفوه وقبيح واليم الا تعرفوه ؟ وهل يمكن
الا تعرفوه ؟ وكيف تطبقون ان تعرفوه دون ان تقاوموه او ترفضوه او تنكروه ؟
اسمعوا ، اسمعوا اذن . . .

ان تعليم المتخلفين ذاتيا يحولهم الى معوقين معطلين عالة . . الى ظاهرة عجز
وتعجز لهم ، والى موظفين بلا وظائف والى وظائف بلا موظفين ، دون ان يصنع منهم
اي تعليمهم نبوغا او اخلاقا او اية قيمة او حتى تفوقا على الاميين في اي معنى
انساني او اخلاقي او فكري او فني او حتى لغوي تعبيرى . ان تعليم فاقدى المواهب
في المجتمعات المتخلفة لن يكون الا عملية خصاء لكل عضلات ومعاني الانسان فيهم . بل ان
تعليمهم لا بد ان يشوههم ويفسدهم ويحولهم الى عاهات انسانية وتعبيرية شاملة
ضاحجة بالقبح والعجز والسخف والفضح . انه اسلوب مثير من اساليب قطع الايدي
والارجل والعضلات والرؤوس وكل الاعضاء وفقء العيون ليصبحوا عاجزين عن ان
يعملوا أو يخطوا أو يصعدوا أو يفكروا أو يفهموا أو يروا أو يفعلوا اي شيء ، أو أن
يكون لهم اي تفسير أو وظيفة في الحياة غير أن يكون مجتمعهم ملزما ملتزما بأن
يصنع منهم ويجد فيهم موظفين بلا وظائف ، وانبياء بلا نبوات ، ونبوات بلا
انبياء ، وعباقره وفلاسفة وقادة بلا اية قدرة أو فهم لاي شيء أو على اي شيء ، مع الجراة
على كل شيء والادعاء لكل شيء . . ليصبحوا عروشا وقيادات وجامعات ومعابد بكل
تكاليفها ومظاهرها وطقوسها وضجيجها وبغرور وادعاء اكثر واغبي ، ولكن بلا ملوك
او قادة او اساتذة او مؤمنين او مصلين . . ليصبحوا فرسانا وشعراء ومفكرين
ومعلمين ومتكلمين ، ولكن بلا اية فروسية او فكر او شعر او كلام او معرفة ، ولكن
بغرور وكبرياء لا تستطيع شيئا منهما او تجرؤ على شيء منهما كل الفروسيات
والاشعار والافكار والمعارف والكلمات ، ولا كل الفرسان والمفكرين والمتكلمين
والعلماء والشعراء . . .

ان المجتمعات المتخلفة لتذهب تعاقب وتشوه نفسها وحياتها بكل الاساليب
والقسوة البليدة حين تذهب بضجيج ودعاية وكبرياء تعلم غير المهوبين الذين هم

كل من يتعلمون فيها ، لانهم فيما يرى ويبدو كل من فيها ، او لان كل من فيها متواضعون ومهذبون حتى ليرفضون من تواضعهم وتهذيبهم وتواضعهم ان يكون فيهم موهوبون خشية ان يهينوا او يخرجوا غير الموهوبين - وحين تذهب اي هذه المجتمعات ترى وتعلن او تعلن دون ان ترى انها بتعليم هؤلاء تسرق من الشمس والالهة كل اضوائها وامجادها وكبرياتها وسلطانها .

انها اي هذه المجتمعات المتخلفة لتذهب تعاقب وتشوه نفسها وحياتها بكل الصيغ والتفاسير والضجيج دون ان يفعل العالم شيئا لمنعها من ذلك او لوعظها ونهيها او يأسى من اجلها . بل انه ليذهب يخرضها ويساعدها على ان تفعل ذلك بنفسها وحياتها بتعليم هؤلاء الفاقدين لكل المواهب القوية التي لا بد منها لكي يكون التعليم مشروعا ونافعاً وغير متحول الى تعجيز وتشويه .

ان غير الموهوبين في المجتمعات التي لا تلد الموهوبين يجب ان تعلم ايديهم وعضلاتهم وارجلهم لاعقولهم وافواههم او عيونهم . . ان يحشدوا في المصانع والمزارع والمناجم ، لا في المدارس او المعاهد او الجامعات . . ان تدرب ايديهم وعضلاتهم وارجلهم على الحفر والرفع والتحطيم والعمل والخطو والقفز واخلاقهم على الفداء والعطاء والصبر والحب ، لا ان تدرب ايديهم او عيونهم او افواههم وذاكرتهم على القراءة والكتابة والمذاكرة والاستذكار والحفظ ، لا ان تدرب على ما لن يصنع منهم حفظاً او مذاكرة او تذكراً او استذكراً او قراءة او كتابة فيها او فيه اي نفع او مجد او قوة او قيمة من اي نوع ، لا لهم ولا لمجتمعاتهم . . ان يدربوا على الكينونة القوية المتفوقة لا ان تشحن ذاكراتهم وافواههم واهتماماتهم وأوقاتهم بقراءة وكتابة وحفظ ما لن يفهموا أو يحترموا أو يحبوا أو يسمو بأي شيء فيهم أو في الحياة . .

..... وقد تختار هنا المبالغة في التسامح والاعتدال فيقال : نعم ، ان هذا الرأي جيد وصحيح اذا اريد التعليم الجامعي او العالي بكل مستوياته . اما التعليم الابتدائي والمتوسط فقد يكون غير نافع حرمان غير الموهوبين منه كما قد يكون غير ضار ان يتعلموه ، بل قد يكون نافعا ومجملا وجميلا ومطلوبا بل وزلما ان يتعلموه بل وذنباً وظلماً الا يتعلموه . .

قد يقال هذا وقد يصبح الرأي فيه مختلفا ويصبح اختلاف الرأي فيه وعليه محتملا . .

اما التعليم الجامعي او العالي فلا ينبغي ان يوجد رأي ، مهما كانت الرغبة في التسامح والاعتدال ، يقول انه قد يكون نافعا او مطلوبا او مغفورا تحت اي حساب

او منطلق ان يتعلمه غير الموهوبين او يقبل ان يتعلموه او يعلموه . ان الذين يدعون الى تعليم هؤلاء هذا التعليم او ينفذون هذه الدعوة لا يفعلون ذلك عن حساب او تفكير محسوب مدروس بل يفعلونه تائرا بشعارات مطلقة خاضعة لحوافز الدعاية .

انه لا يمكن تصور افساد او تشويه او خسران او عبث او بحث عن كل الاضرار والاطغاء والخطايا لابقاعها ومقاساتها مثل ان يعلم هؤلاء هذا التعليم اي الجامعي او العالي .

ولكن هل هذا هو فقط كل الخطر والضرر في تعليم غير الموهوبين في المجتمعات المتخلفة اي تعليمهم بالقلم والورق والكتاب وبالعقل او الفكر الذي لن يفهموه او يحترموه او يستطيعوا معاشته او محاورته او حمله او تمجيده او حتى الاستحياء او الرهبة منه وامامه او حتى الاحساس به او رؤيته او معرفته او الاعتراف بانسانيته اي بانتمائه الانساني ؟ ان الخطر والضرر حتما اكبر واكثر من كل هذا .

ذلك ان تعليم هؤلاء غير الموهوبين في المجتمعات المتخلفة لن يتحول الى تشويه وتمجيز ، لهم فقط ، بل لا بد ان يحولهم الى مشوهين ومعجزين لغيرهم اي الى ان يفعلوا بغيرهم ما فعله غيرهم بهم من تشويه وتمجيز ، اي بتعليم غيرهم ما علموا بنفس الاسلوب والتوظيف والنية والنتائج والتفاسير . اي انهم يتحولون الى اجهزة تشويه وتمجيز وتعويق وتعطيل في مجتمعهم ، اي الى اجهزة خصاء لطاقة العمل وارادته وظروفه ونياته في من يعلمون . اي كأنهم ينوون معاقبة مجتمعهم بما فعل بهم وجزاء ما فعله بهم . اليس اغلب التعليم في كل المجتمعات وكل التعليم في كل المجتمعات المتخلفة خصاء لمعاني الانسان في الانسان ؟ اليس خصاء الانسان سلوكا دوليا ؟

ان الذين لا يعملون لا بد ان يعملوا ضد العمل . فلن يوجد من يستطيعون ان يجمعوا بين العجز عن العمل والعجز عن العمل ضد العمل الا بقدر ما يستطيع اي كائن ان يجمع بين كونه غير حي وكونه غير ميت او بين كونه غير ذكي وكونه غير غبي .

ان جميع وسائل البشر وعقرياتهم لا تستطيع ان تجعل من لا يصنعون التقدم والابداع والرخاء والذكاء والحضارة والخير والحب والجمال يكفون عن صنع نقيض ذلك ، عجزا او تعففا او شهامة او كرامة او حياء او طاعة واحتراما للالهة او للاديان او للمذاهب او للحياة او للجمال ...

ان جميع هذه الوسائل والعقريات لا تستطيع ان تجعل من لا يستطيعون ولا يعرفون ولا يريدون ان يعلموا ما ينبغي ويحرك ويحيي ويبنّي ويقوي ويعز تعليمه

يكفون عن تعليم ما يفسد ويؤخر ويهدم ويميت ويضعف ويذل تعليمه . . لا تستطيع ان تجعل من لا يعلمون المعرفة والفهم والنشاط والحماس والافتحام يهابون او يتاثمون او يستحيون او يتكبرون عن ان يعلموا ما يناقض وينافي وينفي كل ذلك .

بل ليس المجتمع يفرض على هؤلاء الذين تعلموا او علموا ليتحولوا الى عجز وتشوه ، يفرض عليهم ان يصيبوا غيرهم بهذا العجز والتشوه ، يفرض عليهم ذلك باسم الفناء والشقاء فداء للوطن او الدين او المذهب او الحضارة او الحب او الانسانية او فداء لكل ذلك او باسم كل ذلك ، دون ان يكون أي شيء من ذلك مقصودا او مذكورا او محسوبا في الفكر او الضمير ؟

ان المجتمعات المتخلفة لا تصيب بالعجز والتشوه فقط حين تعلم غير الموهوبين بل تلزم هؤلاء الذين اصابتهم بالتشوه والعجز ان يصيبوا الاخرين بالعجز والتشوه . نعم ، ان عملية الخضاء لمعاني الانسان لا بد ان تصبح في المجتمعات المتخلفة وظيفية اجتماعية دعائية تؤدي باساليب متنوعة عديدة ضاحجة ، والتعليم هو اقوى واشمل هذه الاساليب .

ان كل ما عند البشر من حضارات ومواهب وتقوي وطهارة نفسية ودينية ومذهبية لا تستطيع ان تحميهم او تزجرهم عن ان يكونوا مستفرغين للالهة والنبوات والاديان والمذاهب وكل ألوان المعتقدات والاحقاد والعداوات والسفاهات ومستفرغة عليهم ، ليحسبوا ويزعموا هذا الاستفراغ المتبادل قمة الذكاء والاعتناء والطهارة والتقوي والايمان والتدين والحب والاحترام للجمال والصدق ، وقمة التمجيد للالهة والاديان والاطنان والانسان ولكل القيم الحضارية والانسانية . هل وجد او يمكن ان يوجد على مستوى شعبي او جماهيري أي اله او نبي او دين او مذهب او نظام او زعامة باية وسيلة غير وسيلة الاستفراغ في اذان ونفوس الجماهير والالقاء المتكرر فيها وعليها؟

وقد يكون صوابا كل الصواب القول بأن تعليم فاقد الميول الذاتية القوية هذا التعليم لن تكون له اية قيمة بأي تفسير الا بقدر ما يمكن ان يكون من ذلك للاستفراغ او القذف او الالقاء المسمى والمحسوب « ايماننا » اي الا بقدر ما يمكن ان يكون في استفراغ الالهة والاديان والمذاهب والتعاليم والعداوات والخصومات التاريخية في نفوس الجماهير ، من قيم دينية ومذهبية وفكرية واخلاقية وحضارية وانسانية . لانه اي هذا الاستفراغ قد حسب وزعم ايماننا ورؤية روحية ونفسية وعقلية ، كشفية استكشافية كونية .

ان كليهما اي هذا التعليم وهذا الايمان القاء او استفراغ في الحفرة او في المكان غير الملائم ، وبصق او كتابة او وطء على الورق ، وليس اي هذا التعليم وهذا الايمان استقبالا او حوارا او تفاهما او تعامللا او تحديا او مصارعة او تلاؤما وتوافقا وتعاوننا او حتى ترانينا بين ذات وذات او فكر وفكر او قلب وقلب او ضمير وضمير او خلق وخلق او حتى بين شهوة وشهوة او هوى وهوى او مصلحة ومصلحة ، او حتى بين نذالة ونذالة . انه ليس في هذا التعليم او هذا الايمان اي تعبير او نية تعبير من التخابط او نياته الا مثل ما بين الانسان والحجر او بين الحجر والحجر من ذلك .

ان المعارف او العلوم او الثقافات او الافكار او الحضارات او المجتمعات او الحياة لن تسعد او تمجد او تتقدم او تكبر او تقوي او تفرح بتعليم هؤلاء الفاقدين للمواهب الذاتية القوية الا بقدر ما تمجد وتسعد وتعظم وترضى وتفرح وتظهر وتنتصر وتجمل وترى الالهة والاديان والنبوات والمعتقدات والمذاهب ، ويتأكد وجودها وصدقها وخلودها وجمالها ، بايمان هؤلاء المؤمنين الذين آمنوا بالاستفراغ عليهم وفيهم بايمان هؤلاء المؤمنين الذين لم يروا او يسمعوا او يحسوا او يفكروا او يفهموا او حتى يخبروا او يلقنوا ويعلموا ، وانما قذف فيهم قذفا بايمان هؤلاء المؤمنين الذين لم يؤمنوا او يريدوا ان يؤمنوا او يعرفوا انهم قد آمنوا او يعرفوا او يسألوا : ما هو الايمان او من هو المؤمن ، وانما اسقط فيهم اسقاطا بايمان هؤلاء المؤمنين الذين تحولوا الى افسى تحقير وتعيير للايمان وللمؤمنين لانهم آمنوا اي لانهم حسبوا وزعموا مؤمنين ، كما تحولوا الى اسقاط لكل احتمالات الذكاء او الصق او النظام او الشرف عن اللغة لانها قد تقبلت ان يسمى الاستفراغ ايمانا والاستفراغ فيه وعليه مؤمنا بل لانها اي اللغة قد فعلت ذلك وتعاملت عليه راضية عن عبقريتها معجبة بها مغنية لها ، حتى ليتصاعد بها اي باللغة الغرور الى ان تدعى وترى انها هي كل ادوات ووسائل كل الالهة لتوصيل وتبليغ وتفسير نفسها الى كل من تتعامل بهم وعليهم وفيهم ومعهم .

انه لحق ان يحسب هذا الاستفراغ المزعوم ايمانا عذوانا يجب رفضه ومعاقبته . اذن اليس حقا ان يحسب ويحاسب تعليم غير الموهوبين كذلك ؟ بل لا بد ان يكون تعليم هؤلاء هو افسى عذوانا واثما لانه اشمل واقسى في اضراره وافساده وتشويهه وفي خصائصه لطافات واراديت ونيات وظروف العمل في الانسان ، من هذا الاستفراغ المحسوب المزعوم ايمانا .

اجل ، ان التعليم الجامعي او العالي لفاقدي المواهب الذاتية القوية يشبه ان يعد من فقدوا ايديهم وارجلهم وعيونهم وحاسة السمع وكل الحواس والاحاسيسي الاخري ، ان يعدوا لكي يضع مجتمعهم في ايديهم كل اجهزة القيادة و اجهزة الاطلاق والتوجيه والتسديد والتحرك والتشغيل والاشعال والتحرك والسير والتوقف، مقودة مأمورة اي هذه الاجهزة التي هي كل اجهزة حياة مجتمعهم بأيديهم وارجلهم وعيونهم وأذنانهم وحواسهم واحاسيسهم التي هي غير موجودة او التي لم توجد قط ولن توجد ابدا .

لهذا فانه لم يوجد ولن يوجد اردا أو أعجز أو أقبح أو أكثر ضللا وسفها وخطايا من المجتمعات المتخلفة التي يقودها ويحكمها رجال فاقدون للمواهب الذاتية القوية قد علموا تعليما جامعييا عاليا .

وانه لصواب القول بان المجتمعات التي يقودها ويحكمها رجال لم يتعلموا اي تعليم ولكنهم موهوبون لا بد ان تكون افضل واذكى واعقل من هذه المجتمعات التي يقودها المتعلمون التعليم العالي الفاقدون للمواهب الذاتية القوية . بل انه لافضل واذكى واعقل من هذه المجتمعات مجتمع يقوده ويحكمه رجال غير موهوبين ولكنهم لم يفسدوا ويشوهوا ويعقدوا بالتعليم الذي لن يكون الا ارهاقا وتشتيئا واحراجا واخجالا وتحديا مهينا معجزا لمواهبهم ومزاياهم الضئيلة او المفقودة ، لكي يكونوا محكما عليهم بالتحركات والخطوات والمبارزات والادعاءات والتظاهرات العشوائية البليدة السفيفة المغرورة القتالة الصانعة لاقسى السخرية ولكل السخرية ، لانهم متعلمون تعليما عاليا وهم قادة وحكام وهم ايضا فاقدون لجميع المواهب الذاتية القوية . اذن اليس محتوما ان يتحركوا على جميع جبهات وآفاق الحماقات والسفه والجنون والمخاطر ؟ هل يمكن ان يوجد من يساوي هؤلاء في قيادتهم المحتومة الى الخراب والاختاء والافتضاح ؟

انه ليجرؤ المنطق والتقوى الدينيان والمذهبيان والحضاريان والفكريان والانسانيان ، في كل مستوياتهما واخلاقهما ومواقفهما ، ان يريا ويعلنا انه خير لاي مجتمع ان يحكمه ويقوده حاكم او قائد ابي موهوب او غير موهوب من ان يقوده ويحكمه قائد أو حاكم متعلم أعلى تعليم ان كان بلا مواهب ذاتية قوية . قائد أو حاكم بلا اية موهبة ذاتية قد علم تعليما عاليا . هل تجد الاخطاء أو الغباء أو الالام والفضائح مجدا لها مثله؟ هل تجد مثله ضاجا زاحفا الى كل الوان الحماقات والجنون في مواكب من الضجيج والغرور ؟

ان العالم اليوم ولا سيما المتخلف منه ليوافقه آفة رهيبة ، تلك هي انه يريد ان يعلم كل العاجزين في كل مزاياهم وطاقاتهم الذاتية كل انواع ومراحل التعليم . . ان ذلك يعني اعداد هؤلاء العاجزين عجزا تكوينيا لكي يكونوا بالالزام والحث والمنطق والوطنية والانسانية هم كل عيون وآذان واخلاق وعقول وطموح ومنطق وعضلات وطاقات وعبقريات كل مجتمعاتهم ، او كل الحاكمين والموجهين والمعلمين لكل ذلك والمعبرين عنه والمتحكمين فيه بل وكل الصائغين المفسرين له . . .

ليست نتائج مثل هذا على مجتمعاتهم وفيها لا بد أن تكون اكثر خطرا وضررا وتعويقا وتشويها من كل غزو خارجي مدمر ، ومن كل حرب من كل تقدم علمي وحضاري وانساني وفكري واخلاقي ، بل اشد خطرا وضررا وتعويقا وتشويها من كل الاعمال التخريبية التدميرية التجهيلية المخيرة ؟

ليس ذلك أسوأ من وضع كل الايدي والارجل في يد ورجل مصابتين بالشلل المستعصي ، ووضع كل العيون في عيز ولدت بالكلمة المولود الذي لا يدأوى ؟
ان الظروف الحضارية والانسانية والدعائية الدولية الجديدة هي التي هيأت لهذه الآفة ومجدها ودعت اليها بل وفعلتها زاعمة لها اضخم واجمل المزايم الحضارية والانسانية بل والكونية . ولعله من المحتوم الدائم ان تلد وتعلم وتصنع كل حضارة ما يناقضها ويعاقبها ويشوهها . بل لعل كل شيء جيد لا بد ان يفعل ذلك دون ان يريد او يحدي . .

• واضرار هذه الآفة على المجتمعات متفاوتة كثيرا . فاضرارها على المجتمعات المتخلفة فاحشة وشاملة رهيبة . ان هذه المجتمعات لتهبها اي لتهب هذه الآفة كل الظروف والاسباب والقويات والحرصات لكي تكون شرورها وآلامها متألقة مهيمنة حاسمة . اذ لا يوجد في هذه المجتمعات زاجر او مقاوم او فاضح او فاهم او مستنكر لها ، كما لا يوجد فيها بديل عنها او منافس مزاحم . . .

ان كل ما في هذه المجتمعات لا بد أن يتحول الى عون وهتاف واغراء لها .
وجميع المجتمعات المتخلفة تعيش وتقاسي اليوم شرور وآلام وفضائح هذه الآفة اي آفة أن يصبح المتعلمون العاجزون عجزا تكوينيا ذاتيا هم كل عيونها وآذانها وعقولها وضمايرها واخلاقها ومنطقها وطموحها وعبقرياتها وطاقاتها واصواتها ولغاتها ، وكل الحاكمين والموجهين المعلمين الصائغين المفسرين لها المعبرين عنها المتحدثين باسمها المتحكمين فيها المساومين عليها التاجيرين المبارزين بها المشائمين المعادين نيابة عنها وعن اخلاقها ومصلحتها وكرامتها . .

لهذا فان التحديق والتفكير في هذه المجتمعات لن يعنيا الا كل الغيظ والغضب والاشمئزاز والانفجاع ، واحيانا لن يعنيا الا كل الشماتة والنشوة اللثيمة والفرح البذيء الآثم . اجل ، هل يصنع الغيظ والاسى او الشماتة والفرح البذيء مثل مجتمع متخلف يحكمه قادة بلا اية مواهب قد علموا تعليما عاليا اي جامعيا ليوажوها هذا العصر بكل تحدياته وتعقيداته ، قوته وضعفه ؟

نعم ، ان تعليم الموهوب يسلمح موهبته ويشحذها ويسددها ويطلقها ويفجرها منتشرة على كل الافاق والجهات والاعماق والاهداف واليها . ان الموهبة بلا تعليم تظل مثل النظرية العبقريّة بلا تطبيق والكتاب المبدع بلا قراءة جيدة منفذة والعين المبصرة تعيش في الظلمة الدائمة .

اما تعليم فاقد الموهبة الذاتية فلن يجد فيه شيئا يخاطبه او يعامله او يطلقه سوى ان يهبه الجراءة والقدرّة والشرعية على ان يعبر عن عجزه المولود الطبيعي بكل الاصوات والاساليب الاعلانية ، وعلى ان يفرضه على كل القيم الحضارية والثقافية والانسانية ، وان يجعله النموذج والتفسير الشامل الدائم لها ، وسوى ان يشحنه بالاشهوات المتولدة من العقد المتولدة من عجزه عن المواجهات المفروضة عليه ومن رهبته منها مع التزامه والزامه بها ومع اضطارره الى ان يخطو ويفعل ويقول دون ان يرى او يستطيع او يفهم او يستطيع ان يفهم . بل ان تعليم غير الموهوب لا بد ان يزيد ضعفه وبلاذته ضعفا وبلاذة لانه اي تعليمه لا بد ان يرهقه ويحرجه لانه يلزم بما لا يستطيع وبما لا يعرف .

اما المجتمعات المتقدمة فانها لن تقاسي كثيرا او لن تقاسي البتة من اضرار هذه الآفة او لن ترى او تدرك مقاساتها منها .

تفسير ذلك ان اصحاب المواهب الذاتية المتفوقة لا بد ان يتخلقوا بتتابع وديمومة وبروز ودوي وقوة في هذه المجتمعات . وهم فيها لا بد ان يتعلموا كل مراحل والوان التعليم موزعين على كل ذلك ، وحينئذ سيكون من المحتوم ان يستولوا على اغلب او على كل مراكز ومواقع القيادة والتوجيه والتحريك والتسيير والخلق والمواجهات الصعبة . ولن ينافس او يمانع او يعارض في ذلك اصحاب المواهب المفقودة او الضعيفة . بل انهم لا بد ان يتنحوا لهم برضا وسعادة وصدق واعجاب وتأييد . وسوف يكونون عوناً لهم وتثبيتاً لمانفسة او مزاحمة او مناقضة . ان فاقد المواهب وضعافها في المجتمعات المتقدمة اي في المجتمعات التي تلد وتخلق وتصور اصحاب المواهب

المتفوقة ، لا يستطيعون أو لا يريدون أو يعرفون أو يتقبلون ان يجيئوا في ندالة أو حقد أو غباء أو وقاحة أو انانية فاقدي المواهب في المجتمعات المتخلفة فأصحاب المواهب الضعيفة أو المفقودة في المجتمعات المتقدمة لا بد أن يكونوا متقدمين في صيغة واسلوب ومستوى فقدم للمواهب المتفوقة وضعفهم فيها ، ان يكونوا سلوكا ونيات وانفعالات متلائمين متكافئين مع مجتمعاتهم الحكومة المقودة المسيرة الموجهة بذوي المواهب الذاتية القوية . ان فقد الموهبة في المجتمع الموهوب لن يكون الا صيفا واساليب موهوبة ان هذا الفقد في مثل هذا المجتمع لن يكون الا تعبيرا موهوبا والا فقد موهوبا ان المجتمعات التي تلد اكبر الكبار لن تلد اصغر الصغار ان صغارها لا بد ان يكونوا كبارا لان كبارها كبار ، لكي يكون التفاهم وكذا التعامل بين الفريقين موصولا ومستظاعا ونافعا بل وخالقا . ان كينونة الموهوب الكبيرة المختصرة لدليل على انه يتعامل مع موهوبين في قدرتهم على التعامل مع الموهوبين وعلى فهمهم لهم .

.. ان ضعاف واغبياء الاذكياء الاقوياء لن يكونوا في غباء او ضعف اغبياء وضعفاء الاغبياء الضعفاء ، كما ان ضعاف الحيوانات او الطيور القوية لن تكون في ضعف ضعاف الحيوانات او الطيور الضعيفة ..

ان اكبر الرؤوس لن تنبت فوق اصغر الاجسام ، وان اضخم الاجسام لن تنمو فوق اضعف السيقان والاقدام ..

ان ضخامة الثمرة وجودتها لدليل على قوة وجودة الشجرة التي حملتها وصاغتها واعطتها .

ان اذكي الافكار لن تتفجر بها اغبي الرؤوس او اصغر الرؤوس ..

ان اعظم العباقرة لن يتكونوا في ارحام اردا او اجهل او افسد المجتمعات او السلالات . ان ارحام المجتمعات الضعيفة لن تحبل بالمواهب القوية .. والمجتمعات المتقدمة بممارساتها الحرة القوية الذكية لكل اساليب والوان حياتها واشواطها الحضارية والانسانية قد تمنع بلا قمع او حجر او اكراه او تشريع او اهانة او اشعار بالاهانة او نية اهانة ، قد تمنع فاقدي المواهب الذاتية القوية من ان يتعلموا تعليما عاليا اي تعليما لا يحتاجون اليه ولا يحتاج اليهم ولا يتلاءم معهم او يتلاءمون معه ولا ينفهمهم او يسعدهم ان يتعلموه او يضرهم الا يتعلموه ، ولا يشعرون بالنقص او الهوان الا يتعلموه بل ولا يحتاجون الى ان يتعلموه . لانها اي المجتمعات المتقدمة تضع امامهم كل مجالات الحياة والتقدم الاخرى الملازمة المريحة النافعة لهم وبهم ، كما تضعهم في هذه المجالات الواسعة المتعددة المتنوعة الكثيرة النافعة الكريمة المطروح اليها ..

اي ان هذه المجتمعات لا تعطي شهادات بالنبوة او بالمعبرية او بالشاعرية او بالاستاذية او بالفنية او بالانسانية او بالفكرية او بالقيادة والزعامة لكل احد او لكل من يريد او يطلب هذه الشهادات المعطاء ، موقعة من جامعاتها ومعادها ...

اليس التعليم العالي اي الجامعي لغير الموهوبين يعني اعطاء هذه الشهادات بهذه التفاسير لكل احد ولكل من يريد ما او يطلبها ؟

اليس ذلك يعني اعطاء النبوة بالشهادة لا بالوحي او الالهام او بالمعراج الى السماء ؟

نعم ، اليس تعليم فاقد الموهبة في اي مجتمع متخلف تعليميا جامعييا انما يعني جعله وزعمه نبيا او عبقريا او خبيرا او مخططا او مكتشفا او مبدعا او مفكرا او فيلسوفا او شاعرا او فنانا او قائدا باعطائه شهادة بذلك اي بالتوقيع له بانه كل ذلك او بعض ذلك ؟

اي اليس تعليمه هذا التعليم يعني حتما وضعه في مكان ومكانة هؤلاء او في مكان ومكانة بعض هؤلاء مع اقتناعه وتظايره بانه قد اصبح كذلك ومع محاولته ان يثبت بالسلوك والادعاء انه قد اصبح كذلك ؟ كانت المجتمعات البدوية تلد الانبياء بالرؤيا او بالادعاء واليوم تلدهم وتلد العباقرة بالشهادة ..

انت مواطن في مجتمع متخلف ، وانت بلا اية موهبة ذاتية قوية بل وانت بلا اية مزية من اي نوع ، باي مقدار ، ولكنك متعلم تعليميا عاليا اي تحمل شهادة من جامعة ما محلية او خارجية . اذن انت حتما نبي او عبقرى او خبير او مخطط مبتكر او فيلسوف او شاعر او فنان او ناقد او قائد او زعيم او انت كل هؤلاء ، اي انك مفترض ومزعوم وموضوع ومقروء ومفسر كذلك ومحكوم عليك ، مطالب بان تكون ذلك وبان تزعمه وتقتنع به لنفسك وبان تلبس كل ازيايه وصيغه ، وبان تتكلم وتقف وتواجه كل لغاته ومواقفه ومواجهاته بل وبان تفعل كل افعاله . ومجتمعك المتخلف هذا مجتمع مريح ومستريح . انه لن يفهم او يتصور الفرق حينئذ بينك وبين من هو كذلك حقيقة اي بالموهبة . انه لا يعرف ان الموهبة اكبر واصعب من التعليم او انها غيره . . انه لمحتوم الا يوجد اردا او اضعف او اغبي او اوقع كينونة من مجتمع كل انبيائه وعباقرته واساتذته ومبتكريه ومخططييه ومفكريه وفنانيه وشعرائه وزعمائه وقادته هم كذلك بالشهادات الجامعية الموهبة الموقعة لا بالموهبة الذاتية . ان مثل هذا المجتمع لا بد ان يكون أسوأ في كل شيء من المجتمع المائل الذي ليس فيه احد من

هؤلاء لا بالموهبة ولا بالشهادة الموهوبة • ان الاعمى لا ذكى رؤية من الاعمى الذي ركبت فيه عينان مزورتان وحسب نفسه وحسبه الآخرون مبصرا •

نعم ، ليس المجتمع الذي ليس فيه احد من الانبياء او العباقره او الفلاسفة او المبتكرين افضل او اقل سوءا وقبحا من المجتمع المشحون بالانبياء والعباقره والمبتكرين والفلاسفة والاساتذة الذين اصبحوا كذلك بالشهادة اي بالعتاء الموقع من مكان يسمى جامعة ، ولم يصبحوا كذلك بأية مزية ذاتية او استحقاق ذاتي ؟ كما ان الغبي لا بد ان يكون اكثر ذكاء من الغبي الذي اعطاء المجتمع شهادة بأنه اذكى الاذكياء ثم الزمه بأن يعمل فيه وله ومعه على انه كذلك فصدق هو ذلك والتزم به ••

ليس اي جيش بلا اي قائد اعظم حظا او ابعد عن احتمالات الدمار والهزائم عن اي جيش له عديد القادة المناقضين لكل اوصاف وشروط القيادة ؟ انه لشيء مخيف جدا • انت عالم ويجب ان تعمل وتعامل كعالم لان معك شهادة من جامعة ، ايه جامعة •• ! أليس ذلك شئنا مخيفا جدا ؟

وهؤلاء المتعلمون في المجتمعات المتقدمة المحرومون من المواهب الذاتية المتفوقة المولودة معهم لو انهم ارادوا وحاولوا أن يصبحوا منافسين مزاحمين أو حتى مشاركين لأصحاب المواهب المتفوقة في قيادة مجتمعاتهم ، وأعني بالقيادة هنا معناها الشامل المطلق اي قيادة الحياة بكل قضاياها وميادينها وتفاسيرها ، لما استطاعوا ذلك • ان مجتمعاتهم لن تجعلهم يستطيعونه ، وان المتفوقين فيها لن يجعلوهم يستطيعونه انهم اي المتفوقين لن يتركوا أي مركز من مراكز القيادة اي قيادة الحياة والتقدم ، فراغا لكي يستطيعوا اي فاقدوا المواهب القفز اليه ••

انهم لا يفعلون ذلك منافسة او انانية او غرورا بل استجابة لاملاء مواهبهم واحتياجات مجتمعهم ••

ان السباق في المجتمعات المتقدمة سباق مفتوح معروض تحت اقوى واقسى الاضواء والتحديق والمراقبة والمحاسبة والنقد والاشتراط والمساءلة • انه لن ينتصر او يلمع فيه الا المتفوقون جدا • بل ان المتفوقين جدا ليقاسون ويرهبون من خوض هذا السباق لانهم يعرفون ويحسبون صعوبة الفوز فيه بل صعوبة ان يظل عجزهم عجزا مستترا او محترما او حتى مغفورا او معذورا •••

انه سباق لا تستطيع او تجرؤ ان تتدخل فيه مشاعر الرثاء او الحب او الاشفاق او المحابة او الغباء او التسامح او العجز عن الرؤية او التحديد ••

انه سباق لن يفسده او يضلله الاختلاف في التقديرات او التفاسير او المواقف او العجز عن الذكاء او عن الصدق ..

ان احدا في هذه المجتمعات المتقدمة لن يضل في حساب او محاسبة نتائج هذا السباق اي السباق على قيادة الحياة وقيادة التقدم فيها .
ان الاميين ليقرونها اي نتائج وعطايا هذا السباق ، وان العميان ليبصرونها ، وان الاغبياء ليفهمونها ، وان الجهال ليعرفونها . انهم لن يختلفوا فيها مثل اختلاف المؤمنين في تفاسير كتبهم المقدسة أو ينتظروها مثل انتظار هؤلاء المؤمنين لصدق وعود انبيائهم الاسطورية الجميلة لهم ..

انها ليست تحدثا عما بعد الموت او عن احكام الزواج والطلاق وتعدد الزوجات في الجنة ، ولا عما في ضمير الآله وقلبه ونياته من حب وتمجيد وتدبير عظيم للعروبة والاسلام ومن تصميم على تحكيمهما في كل المستقبل على كل العالم والكون ، ولا عما في نفوس ومواهب الزعامات والقيادات العربية من عبقریات وصفاء وظهر وتقوى وقدرة على الانتصار والتفوق والصعود ، لولا دسائس ومكايد وتآمر كل خبث الشيطان والاعداء والاشرار ضدهم وعليهم . نعم ، انها ليست شيئا من هذا التحدث عن شيء من ذلك . انها ليست وعودا في جنة او تفاسير لنصوص او تحديقا في كرم ورحمة السماء وانتظارا لهذا الكرم والرحمة . ولكنها نزلوا فوق القمر او لم ينزلوا ، عاد رواد الفضاء او لم يعودوا ، انطلق الصاروخ او لم ينطلق ، بلغ الهدف او لم يبلغه ، سقط فوق المريخ او لم يسقط ، اخطأ مسيره او لم يخطئ . انها ليست تفسيرات للنبوات ولكنها رؤية وقراءة وحساب ومحاسبة واحصاءات بالعيون والعقول الكونية . انهم في هذه المجتمعات المتقدمة لا يقرؤون عن نتائج هذا السباق ولا عن تفاسيرها واحتمالاتها ومعوقاتنا وظروفها ومتى تكون وكيف تكون حين تكون ، ولكنهم يجدونها ويعيشونها او لا يجدونها ولا يعيشونها اي يجدون نقيضها ويعيشونه اي نقيض النتائج المزعومة المطلوبة المنتظرة ..

انهم ليسوا عربا يظلون ابدا بلا رؤية او محاسبة او غضب او حتى مساءلة او تعجبا ورثاء للذات ، يقرأون ويسمعون ويفسرون ويصدقون ويروون خطب ووعود ونبوات انبيائهم وسلطينهم وخلفائهم دون ان يصدقوا او يكتنبوا ، اي دون ان يصدق شيء مما قالوا او يكتشفوا هم كذبهم فيصبحوا في رؤيتهم كاذبين .

ان هذا السباق في هذه المجتمعات سباق لن ينتصر فيه من يستحق الهزيمة او ينهزم فيه من يستحق الانتصار . وحتما سيكون اعظم المجتمعات هو المجتمع الذي

لا ينتصر فيه احد يجب ويستحق ان يهزم ، ولا يهزم فيه احد يستحق ويجب ان ينتصر . . . وحتما سيكون اردأ واقبح المجتمعات هو المجتمع الذي يحدث فيه نقیض ذلك . وهل وجد مثل هذا وهذا من المجتمعات كينونة لا تمنيا وتصورا فقط ؟ قد يقال انهما قد جدا بكل قسوة وقبح هذا التباعد والتضاد . اليس من الصدق ان يقال ولكن بصیفة اخرى : انه لم يحدث ولن يحدث ان انتصر او ان ينتصر في مجتمعاتنا العربية كل من يجب وينبغي ان ينتصروا او حتى احد منهم ، او ان انهزم او ان يهزم كل من يستحقون الانهزام ؟ أليس جميع المنتصرين والمتفوقين والمتصدين بل وجميع العباقرة الكونيين الذين قد كانوا والذين هم كائنون اي في مجتمعاتنا العربية هم من الذين يستحقون ان يوضعوا في المكان الاخر المناقض ؟ وقد تكون البالغة في الورع مطلوبة هنا ، فيقال : اكثر هؤلاء لا كلهم . . .

قد يقال ان من صعدوا فوق راس التاريخ من عباقرة وابطال العرب قد يستحقون الصعود الى قدميه فقط . وهذا كثير . . .

اما المتقدمون في المجتمعات المتقدمة فلن تجهل او تخطئ ، او تكذب او تنافق عيونهم او عقولهم او اخلاقهم او حساباتهم او احساسهم او معارفهم او اجهزتهم ليروا او يزعموا القمر اكبر حجما او اعلى مكانا او اكثر اضاءة او حرارة من الشمس ، او ليسمعوا ويتعلموا تفاسير القمر من تفاسير مفسريه بآياتهم واناجيلهم لا من تفاسير الهابطين فوقه ، المحطمين لصخوره ومجده ، القارئین لاحشائه ، المسقطين الماحين من فوق جسمه اي جسم القمر ووجهه وثيابه وبرائه وطهارته كل صور وآثار وكتابات وإخلاق الالهة والمتحدثين عنها وباسمها وبحثا عن بصماتها ومجدها المتوحش . ان سطوع القمر في هذه المجتمعات لن يبهز اكثر من سطوع الشمس او ان يسرق سطوعه من سطوعها كل العيون او بعض العيون .

ان اصحاب اعلى القامات سموخا لطالبون في المجتمعات المتقدمة بان تكون قاماتهم اعظم سموخا . وقد يتهمون بقصر القامات ، وقد يرون كذلك . . . اذن كيف يمكن ان يبدو في هذه المجتمعات اقزام القامات ؟ كيف يخشى ان يسرقوا فيها السماء ، ان يسرقوا فيها النجوم من ذوي اعلى القامات والهامات سموخا ؟ كيف يخشى ان يصبح الاهيون المباهون بأميتهم الابدية انبياء ومفسرين لمجد الآلهة وذكائه ومحبته ورحمته وحكمته وعبقريته وشاعريته المخزونة في ضمائر وقلوب وإخلاق الحشرات والعاثات والامراض والموت - ان يصبحوا كذلك في المجتمعات التي حلقت شمسوها ونجومها واقمارها فوق شمس واقمار ونجوم هذا الآلهة الامي

الواضع الخازن حبه ومجده ورحمته وحكمته وكل عبقرياته وفنونه وشاعرياته في ضمائر وقلوب وإخلاق واجنحة الحشرات والتشوهات وكل ألوان العذاب والرعب والخراب ..

ان انهزام من يستحقون الانهزام هو افضل واغنى معاني الانتصار وانبل واتقى معاني الانهزام ، كما ان انتصارهم هو اقبح وافدح معاني الانهزام واوضح وانجر معاني الانتصار ...

وايهما افجع واغنى ايلا : ان ينتصر من يجب ان يهزموا ويستحقون الانهزام أم ان يهزم من يجب ان ينتصروا ويستحقون الانتصار ؟

نعم ، انها لكثيرة هي المجتمعات التي ينتصر فيها من يستحقون الانهزام ومن يجب وينبغي أن يهزموا أو ألا ينتصروا . ولعل هذه المجتمعات هي أكثر المجتمعات أو كل المجتمعات مع الاستثناءات القليلة المحتومة المعروف مكانها . ولكن كم هي المجتمعات التي يهزم فيها من يستحقون الانتصار ومن يجب وينبغي أن ينتصروا ؟ وهل وجدت أو يمكن أن توجد أمثال هذه المجتمعات ؟ وإذا وجدت فهل توجد إلا شذوذاً والأختراقاً للديمومة والثبات والشمول ، بل وللمنطق بكل تقاسيره ؟

ليس وجود ذوي المزايا الذاتية القوية في أي مجتمع انما يعني ان هذا المجتمع الذي وجدوا أو ولدوا وتخلقوا فيه مجتمع قوي متقدم موهوب ، لهذا يلد ويهب ذوي المزايا والمواهب القوية ؟ وهل يلد أو يهب ذوي المواهب المتفوقة إلا المجتمعات الموهوبة المتفوقة ؟ ليس المولود والولادة هما أبداً صفات وتقاسير الوالد ؟ أليست قوة الولادة والمولود وضعفهما تعبيراً محتوماً عن قوة الوالد وضعفه ؟ هل يحدث أن يجيء مولود قوي عن ولادة ضعيفة أو عن والد ضعيف ؟ إذن فوجود ذوي المزايا الذاتية القوية لا بد أن يعني ان المجتمع الذي وجدوا وجاءوا منه مجتمع ذو مزايا قوية . ومثل هذا المجتمع هل يمكن أن يهزم فيه من يجب ان ينتصروا ومن يستحقون الانتصار ؟ ولو وقع مثل هذا فهل يقع إلا شذوذاً لا بد أن يعاب ويرفض ويزال ؟

أليس التفوق في ولادة المواهب لا بد أن يعني تفوقاً مماثلاً في فهم هذه المواهب وفي استقبالها والتعامل معها وبها وفي الانتصار لها ؟

هل يمكن تصور مجتمع يلد العباقرة والأسود والصقور ثم يظل يحكمه ويقوده ويخضعه وينتصر ويتألق فيه التافهون والارانب والغربان ، ويظل يتلاءم ويتفاهم ويتعامل مع التافهين والارانب والغربان ، تاركاً رافضاً مهملًا ما في داخله من أسود وصقور وعباقرة ؟

اذن فحيث يوجد مجتمع كل المنتصرين فيه هم ممن يجب ان يهزموا وممن يستحقون ان يهزموا فلن يكون التفسير الا ان ذلك المجتمع لا يلد او يهب او يتخلق فيه من يستحقون ان ينتصروا او من يجب او ينبغي ان ينتصروا .

بل حيث يوجد مجتمع يتقبل او يأذن او يرضى او يستطيع ان ينتصر او يتألق فيه ولو احيانا هؤلاء الذين يستحقون النقيض ويجب ألا ينالوا الا النقيض اي نقيض التآلق والانتصار فلن يكون التفسير الا أن هذا المجتمع مجتمع غير موهوب اي لا يلد الموهوبين ولا يتخلقون او ينبتون فيه لهذا لا يفهمهم او يلتزم بالتعامل معهم او يبحث او يسأل عنهم اذا اختفوا او غابوا او ابعدوا بل ولا يشعر بفقدهم اذا فقدهم . وهل يمكن أن يشعر الفاقدون للموهوبين بانهم فاقدون لهم ؟ هل يمكن أن يعرف صفات الموهوبين من لا يلدونهم ؟

اذن فكل من يبكون على مجتمع من المجتمعات لان الضعفاء والاغبياء والتافهين والفاستدين قد انتصروا وسادوا وتآلقوا فيه بينما ظل الاقوياء والانتقياء والعباقرة فيه مهزومين مسحوقين عاجزين مغمرين تابعين - نعم ، ان كل من يبكون هذا البكاء لن تكون دموعهم مشكورة او مغفورة او مقبولة او معقولة او ذكية . اي لانها دموع ذرفت على غير شيء وفي غير مكانها . . ذرفت على مصاب غير مصابها . .

انه لا بد ان يكون السؤال عن مثل هذا المجتمع : لماذا لا يلد او يخلق الا العاجزين والتافهين والفاستدين . . ولا يصح او ينبغي ان يكون السؤال : لماذا ينتصر ويتآلق فيه العاجزون والتافهون والفاستدين وحدهم ويهزم ويخمد وينطفئ فيه كل من سواهم . لان مثل هذا السؤال هو حتما بلا موضوع او قضية . لانه لن يوجد مجتمع يحدث فيه مثل ذلك اي تخلق فيه النمل والصراصير وتزحف فيه النسور . . وهكذا ينبغي ان يكون تفسير كل أسى وبكاء على مثل هذا المجتمع . .

ان من آفات الشعوب العربية او من خصائصها او من مزاياها ان تفاهاتها وزواحفها وآثامها اقدر على الانتصار والتحليق والقيادة والتآلق من عبقرياتها وصقورها وقداستها . ان هذه تظل في قاع حضيضها وهوانها وظلامها بينما تصعد تلك لتحتل وتسرق كل سمواتها واضوائها وامجادها .

ان من اصالات الانسان العربي الخالدة ان يجيء اغبياءه وتافهوه وفاستدوه وأوغاده اجرا واقدر على النضال والافتحام والسيطرة من اذكائه وعبقريته وصالحيه وأهل الشهامة والفروسية فيه . . ان يجيء النبي الكاذب الفاجر الغبي اقدر على ان

يصبح نبيا فيه من النبي الصادق الذكي التقى .. اي هكذا يرى ويزعم دعائه ومعلموه .. وهكذا يفسون عجزه واخطائه وآثامه وضعفه وتخلفه وجميع نقلته . ان معلمي العرب ودعاتهم ليرون انهم قد صعدوا الى اعلى سموات الذكاء والرؤية والصدق حين يعلنون هذا الراي ..

اذن فالعالم العربي معجز و خارق في كل شيء حتى في كون زواجه اقدر على الطيران والتحليق من صقوره . بل في كون زواجه هي القادرة على الطيران والتحليق دون صقوره ..

وايضا هو خارق ومعجز في كون اغبيائه وضعفائه ومشوهيه اشجع واجرا وافكى واقوى وانشط واعظم حماسا ومغامرة ومخاطرة من عباقرة واتقيائه واسويائه . بل في كون اولئك هم وحدهم الجراء الاذكياء الاقوياء الشجعان الحماسيين النشطين المغامرين المخاطرين ، دون هؤلاء .. في كون دجاله اقدر من انبيائه على ان يصبحوا انبياء ، ويحسبوا ويروا انبياء ، ويعلنوا انفسهم انبياء ، ويؤدوا وظائف النبوة .. في كون دجاجة اقدر واجرا على اقتحام سمواته من نسوره وصقوره . نعم ، الزواحف اقدر واجرا على الطيران والتحليق من النسور والصقور في سموات العروبة .. هكذا يقول معلمو العرب ودعاتهم ! ..

ان في هذه القضية لمسؤولية او خطيئة او جريمة كبرى . انها مسؤولية او خطيئة او جريمة الدول المتقدمة ..

ليست هذه الدول المتقدمة تصنع للدول والشعوب المتخلفة انبياء وعباقرة وخبراء في كل شيء ، تصنعهم من فاقتدي المواهب الذاتية بكل انواعها ومستوياتها ... تصنعهم او تزورهم باعطائهم الشهادات ، باعطائهم النبوات والعبقريات وكل الخبرات بالشهادات ، لكي تصنع منهم شهادات زور كبرى عالمية حضارية ، لتعاقب وتشوه وتفسد بها الدول والشعوب المتخلفة باساليب شمولية ودعائية دولية ... لكي يذهب هؤلاء العباقرة والانبياء والخبراء المزورون يتعاملون مع شعوبهم وبها ومع العالم وبه ومع الحضارات والعبقريات والنبوات والخبرات وبها بلا اي قدر من ذكاء او قدرة او رؤية او خلق او وحي او الهام او حياء اية عبقرية او نبوة او خبرة ، بل بكل الخروج على كل ذلك ، بل بكل التشويه والتحجير والتعيير والغيظ لكل نبوة وعبقرية وخبرة ؟ اليس هذا يساوي ان تصنع اخطر الاجهزة الكاذبة الفاسدة لتكون هي كل الاجهزة الموجودة والمستعملة والموثوق بها في حياة وتقدم هذه الدول والشعوب المتخلفة؟ اليس هذا ما يعنيه تعليم غير الموهوبين ؟

هل وجد او يحتمل ان يوجد تزيف او تزوير مثل هذا ، اي مثل ان تعطي جامعات الدول المتقدمة شهادات لكل من يتقدم اليها بلا اية موهبة او احتمال موهبة من رعايا الشعوب المتخلفة ، تعلن وتشهد اي هذه الشهادات المعطاة بانه اي هذا المتخلف ذاتيا المتقدم اليها قد اصبح نبيا او عبقريا او خبيرا خلاقا او فيلسوفا او مفكرا او ناقدًا او فنانا او شاعرا او مؤرخا او قائدا عسكريا او اي شيء يريد ويطلبه ، او بانه قد اصبح كل ذلك ، لكي يعتقد ويعتقد فيه ويتصرف وكأنه قد اصبح كذلك ؟

الليست جميع الدول المتقدمة تفعل هذا بكل الدول المتخلفة وتفعله لها ؟ نعم .
الليست جميع الدول المتقدمة اصبحت مزورة ، تزور الانبياء والعباقر والخبراء
والمفكرين والفنانيين لتصدرهم الى المجتمعات المتخلفة ؟

الليست جميع الدول المتحضرة تهب التحضر لمن لا يستطيعون ان يتحضروا وتزعهم وتعلمهم متحضرين اي باعطائهم شهادات بذلك ؟ الليست هذه أبشع واخطر عملية تزوير في العالم بل في الكون ؟

وهل هذه الدول المتحضرة تصنع ذلك خبثا وتآمرا ، أم حبا ورفاء ومجاملة ، أم متاجرة وبيعا ، أم اضطارا أم حياء ، أم املا وتوقعا ، أم غفلة وانخداعا ، أم شهامة تحولت الى اعتداء على التفكير والرؤية والاخلاق والرصانة ، بل الى اعتداء على التحضر وعلى منطقته واخلاقه وشرفه وايمانه وكبريائه ؟

وايهما اقسى نتائج واكثر خروجا على الذكاء والامان والامانة ان يوضع قادة عسكريون لا يعرفون ولا يمكن ان يعرفوا اي عمل او فن من اعمال وفنون الحرب والعسكرية ليقودوا جيشا الى حرب رهيبة ام ان يوضع على القيادة الى الفكر والعلم والعقل والتقدم والاخلاق والى كل فنون التطور والتحضر والحياة الجميلة الفئانة الذكية القوية النظيفة قادة لا يعرفون ولا يستطيعون مهما تعلموا وعلموا ان يعرفوا او يحسنوا شيئا من ذلك ، ولكن باعطائهم شهادات تقول انهم قد اصبحوا اهلا لذلك ؟ ولا بد ان يتعاضم جدا قبح واثم هذا حين تكون جامعات الدول المتحضرة المتقدمة جدا هي التي تعطي هذه الشهادات ..

ما الذي اصاب ضماائر اساتذة الجامعات في العالم المتقدم حتى امكن ان تاذن لهم اي ضماائرهم بان يعطوا بكل الاناقة والسهولة اعلى الشهادات لفاقدي المواهب من ابناء المجتمعات المتخلفة ؟

نعم ، انه لا يمكن تصور شيء ينبغي او يستحق او يجب ان تضرب وتقرض عليه اقسى واذكى الشروط الذاتية مثل الذين يراد تعليمهم تعليما عاليا اي قبل ان يعلموا ويسمح بان يعلموا هذا التعليم .

انه لو كانت جميع الاشياء بلا اية شروط لظل شيء واحد محتاجا الى اقسى واكثر الشروط ، وكان هذا الشيء الواحد هو الانسان الذي يراد ان يعلم تعليما عاليا .
انها شروط ذاتية وليست شروطا اخري . انها ليست شروطا عقلية او نفسية او اخلاقية او انسانية او حضارية او عاطفية او تعبيرية فقط بل انها كل ذلك اي انها كل هذه الشروط الذاتية مجتمعة .

ان الانسان يولد ماشيا على قدمين ويولد اغويا اي متكلم قبل ان يستطيع المشي او الكلام . كذلك يولد اخلاقيا وانسانيا وحضاريا وعاطفيا وشجاعا ومهذبا شهما نبيل وفتيا وكذلك يولد عبقريا وشاعرا وفنانا ومفكرا ، او يولد نقيض ذلك اي قبل ان يستطيع هذا او نقيضه اي قبل ان يستطيع التعبير عن هذا او عن هذا ، تحت الظروف الملائمة والمسترطة . ان كل انسان يولد نبيا او عبقريا او يولد نقيض ذلك بالاسلوب الذي به يولد اي كائن ليكون انسانا او ذئبا او غرابا او ذبابا دون ان يستطيع اي شيء ان يسحب منه يوم ولادته .

ان كل ما يفعله اي انسان في كل حياته تحت جميع الظروف المتفاوتة والمتناقضة سواء افعل كل العبقرية والشهامة والنظافة والتقوى ام فعل نقيض ذلك . نعم ، ان كل ما يفعله لن يكون الا تفسيرا ليوم ولادته والا تعبيرا عما جاء مختزنا في ذاته يوم ولادته ، والا توزيعا واخراجا لذلك بأشقات الصيغ . فالانسان بكل طاقاته وتفاسيره ومنجزاته ليس الا موهبة تتخلق ايام تخلقه ومع تخلقه . وجميع التعاليم والتعليم والظروف لن تكون الا تحاورا وتخطبا مع هذه الموهبة واخراجا وتفسيرا لها . ولكنها لن تخلقها او تزيدها او تنقصها . بل ان الانسان يولد قارئا وكتابا لهذا فان الكائنات الاخرى لا تصبح قارئة او كاتبة لانها لا تولد كذلك . فالكائن يساوي ولادته .

اذن فالانسانية والاخلاقية والحضارية والعاطفية وجميع النوعيات البشرية ليست الا موهبة تولد مع الانسان يوم ولادته كما تولد معه موهبة المشي والكلام واللغة والقراءة والكتابة . وكما تولد مع اي حيوان او نبات موهبته اي قدرة واحتمالات كينوناته التي لن يستطيع غيرها او اكبر او اذكى او اصغر او اغبى منها . متى

تتخلق او تنبت اسنان الانسان وشعرات وجهه ؟ تنبت او تتخلق يوم ولادته بل وقبل ذلك • ومتى تولد او تتخلق مواهبه الانسانية المختلفة ؟ تتخلق او تولد يوم تتخلق او تولد اسنانه وشعر وجهه اي ساعة ودلته بل قبل ذلك ...

ان تعليم اي كائن - الانسان او غيره لن يستطيع ان يكون الا حوارا وتعاملا مع موهبته التي تخلقت وولدت معه وفيه والا تعبيراً عنها وتفسيراً واخراجاً وتحريكاً وايقاظاً لها اي ان كانت موجودة • أما اذا لم تكن اي الموهبة موجودة فلن يكون تعليمه اي تعليم الانسان او غيره الا فصحاً وافساداً وتشويهاً وتعذيباً له واعلانا عن قحطه الذاتي ..

ولن يستطيع اي كائن ان يتخطى يوم ولادته الا بان تضاف الى ذاته طاقات وفوات وولادات اخرى متفوقة ان كان ذلك ممكناً لا بأن يعلم اي تعليم او كل تعليم • فالتعليم اي تعليم لن يكون اضافة للذات المعلمة ، لن يكون الا تقاهما وتخابها معها والا توصيلاً وارشاداً لها الى نفسها وتعريفها لها بها وقراءة لها عليها اي على نفسها ، وسقياً وغرساً واستثماراً لبذورها وجذورها • ان اي تعليم لن يكون عطاء للذات ، لن يكون الا تفجيراً واطلاقاً وتفسيراً وصياغة لها او اندحاراً ووقوفاً على بابها وحروفها على ثيابها لانه لا يجد فيها شيئاً يفجره أو يطلقه أو يفسره أو يصوغه أو يخاطبه او يتعامل معه ..

اذن فكل من يراد له ان يعلم تعليماً عالياً يجب ان تفرض على موهبته الاخلاقية والانسانية والحضارية والنفسية والعاطفية كل الشروط واقصى واذكى الشروط التي يجب ان تفرض على موهبة الذكاء والعقل فيه لان كل هذه مواهب ذاتية تولد مع الذات اي تولد طاقاتها ومقاديرها ونشاطها وحراراتها وضميرها وبسالتها ورفضها وعنفها ومقاومتها ، لا صيغها او لغاتها او اقتناعاتها او مذهبها او شعاراتها او مذهبها او محاربيها ومنابرها واربابها ..

فهذه الاخيرة تكتسب او تحيى بالتعليم او الاستمرار او من التاريخ او الظروف او مكان الولادة دون الاولى اي دون الموهبة التي لا بد ان تولد ولادة مع الذات كما يولد اللون والنوع والجنس • ان الانسان يتعلم ويعلم اللغة ولكنه لا يعلم القدرة على تكلم اللغة • لهذا فان التعليم العالي لفاقد الموهبة الحضارية او الاخلاقية او النفسية او العاطفية او الاحتجاجية الباسلة المقاومة المعجبة والمشمزة قد يكون اكثر عبثاً أو عقماً او افساداً وضرراً وتشويهاً من ان يعلم هذا التعليم العالي فاقد الموهبة العقلية والفكرية والابداعية • قد يكون التعليم العالي لفاقد الموهبة اقل ذكاء من محاولة تعليم الحشرة ان تتحول الى انسان يتحول الى نبي يفسر ما في خلق الحشرات من نظافة الاله وحب

ورحمته وحكمته وعبقريته وشاعريته وجماله وعشقه للجمال كما يفعل انبياء
الانسان ! .. انها لاقسى واخطر نماذج الغفلة والتقصير . ان التعليم لا يساءل او
يحاكم ، لا يقال له : لماذا ، او ماذا ، او كيف ، او متى ، او لمن ، او من .. لا يوضع
تحت الحساب والمحاسبة والمراقبة والقراءة المفسرة، بحثا عن النتائج والاهداف المنتظرة
والمطلوبة منه ..

انه لا شروط له او عليه او فيه ، لهذا لا شروط فيمن يتعلمون ولا شروط عليهم
اي من حيث القدرة على الصعود او الهبوط به والقدرة على تحويله الى قوة وجمال
وزكاء وعلاج للمشكلات او الى عجز وقبح وبلادة وتعويق وغرور وقبح مخرب معطل .
لهذا فان كل الناس فيه سواء ، لا انتقاء ولا تمييز . مباح للجميع ان يعتدوا عليه
وان يهينوه ويشوهوه ويهبطوا به الى كل حضيض ، مباح لكل الانذال والاورعاد
والمشوهين والمعتوهين والساقطين والمقعدين والمرضى والادعياء والاغبياء ولكل
المصابين بكل تفاسير ونماذج ومستويات العجز الذاتي ان يتزوجوه ويخادنوه وينزلوه
الى حضيض مستوياتهم ، وبأن تعقد وتسجل لهم عليه عقود الزواج والمخادنة وشرعية
الهبوط به الى حضيض نماذجهم ومواهبهم ، ويوهبوا بذلك وعليه الشهادات المكتوبة
والموقعة بكل توقعات وشروط واساليب الاعتراف والشرعية الدولية والمحلية ،
ليحملوها في حقائبهم وجيوبهم وايديهم وعلى جلودهم وثيابهم والسنتهم
ومقاعدهم ، وليعلقوها مصلوبة مهانة مشتومة مبصوقا عليها فوق جدران مكاتبهم
المسروقة باسمها وفوق جدران غرف نومهم المسكونة بأردأ وأوقح وأقبح الحشرات
العقلية والنفسية والاخلاقية والتاريخية الاصلية الموروثة والمروية عن كل الابداء
والانبياء والعباقرة الذين هم كل الماضي وكل امجاد التاريخ الجيد ..

نعم وفوق جدران غرف نومهم المسكونة المشحونة بكل ألوان وتفاسير الجهل
الذاتي العريق الاصيل الذي لا يستطيع اي علم او تعليم ان يشفي منه ، بل الذي
يتعاضم وينتوقح ويزداد رسوخا وقبحا وغرورا وبذاءة واستعصاء على العلاج والتهديب
والفهم والتواضع كلما كبرت وعظمت الشهادة التي يحملها والتي تزعم انه قد تعلم اي
تزعم انه قد اصبح نبيا او عبقريا ، والتي لا بد أن يعاقب ويشوه ويفسد ويحقر بها
كل القيم الحضارية والانسانية والعلمية والفكرية والاخلاقية بل واللغوية ، بل التي
كانما اعطيها وحملها اي الشهادات لكي يصنع بها ذلك ، بل التي لا تفسير ولا وظيفة
لها غير ذلك اي غير ان يعاقب ويشوه ويفسد ويحقر بها كل القيم الانسانية
العظيمة ، لانها اي هذه الشهادات تبيح له ان يصنع ذلك وتساعد اي تعطيه الجراة

والقدرة على ان يصنعه .. اذن هل توجد شهادات هي تحقير وتشويه لكل القيم الحضارية والانسانية مثل الشهادات العلمية التي تعطى لفاقدي المواهب ؟

اجل ، لقد اصبح التعليم بلا اي قدر من الكرامة او المجد لانه بلا اي قدر من الحراسة او الحماية او الشروط ، من الشروط الذاتية التي يجب ان تكون هي كل شروطه وشروطه . وهل للتعليم ، لاي تعليم شروط غير الشروط الذاتية في ذات من يراد له ان يتعلم ؟ وهل يجوز التعليم ، اي تعليم بدون هذه الشروط الذاتية ؟ وهل يجب ان تشترط اية شروط مثل ما يجب ان تشترط هذه الشروط ؟

ولكن اليس قد اصبح اي التعليم مباحا لكل من لا يستطيعون او يتقنون او يريدون غير ان يفسقوا بكل قيمه واخلاقه وتفاسيره كل الوان الفسق ؟

اليس قد اصبح مباحا لكل هؤلاء ان يوهبوا ويحملوا عنه وفيه وباسمه كل انواع الشهادات لكي تصبح تسويغا بل وتشريعا ليفعلوا به كل ذلك وليفعلوا كل قبجهم وجبلهم وضعفهم وبلاذتهم ونذالتهم وكل فسادهم وشورهم باسمها ؟ بل اليس ذلك قد اصبح واجبا لهم وجوبا حضاريا وانسانيا وقوميا وطنيا ؟ حذقي ايتها الحضارة فيما تفعلين .. حذقوا ايها المتحضرون .. هل فقدتم كل معاني التحديق ؟

انهم بكل مشاعر ولغات المباشرة والرضا عن الذات يقولون ، « ان التعليم للجميع .. انه كالماء والهواء والغذاء .. » اي يجب ان يكون كذلك . اليس هذا يساوي ان يقولوا : ان النبوة والعبقرية والقيادة والزعامة حق للجميع مثل الماء والغذاء والهواء ؟ اذن هم بقولهم هذا لا يعرفون وظيفة التعليم ولا موضوعاته .

انهم يرونه تعامللا وعملا مع الذات وفي الذات داخل حدودها من اجلها ولحسابها فقط مثل الماء والغذاء وتنفس الهواء ووضع الزخارف والاصباغ والصور والورود وكل انواع الزينات على الثياب والوجوه وفي المكاتب وغرف النوم والصالونات وفوق ابواب وجدران البيوت ..

انهم اذن لا يرونه اي التعليم تعامللا وعملا فقط مع المجتمع والحضارة وفيهما ومن اجلهما ، اي انه لا ينبغي او يراد او يستطاع ان يكون الا كذلك .. واذا كان اي التعليم ليس الا تعامللا وعملا مع الحضارة والمجتمع وفيهما ومن اجلهما فهو اذن لن يكون في اي تفسير من تفاسيره مثل الماء او الهواء او الغذاء او وضع الزهور فوق الصدور والمكاتب تجملا او تشهيا او عرضا للذات او اتباعا وتقليدا لسابقين كانوا مقلدين ايضا لسابقين كانوا قبلهم . انه لا شيء يحقر التعليم ويهبط بوظيفته مثل

ان يقال ان لكل الناس ان يتعلموا كما ان لهم جميعا ان ياكلوا ويشربوا ويتنفسوا ويناموا ويعشقوا .

ان التعليم ليس كشرب الماء او التغذية بالطعام او لبس الثياب الجديدة او العشق او النوم او الضحك او الغناء ، وانما هو مخاطرة كبرى في المجتمع وبه وضده احيانا بل كثيرا من الاحيان - اعني التعليم العالي الذي يبيع ويشترى لتعليمه ولحاطلي شهادته ان يزعموا ويعلنوا وينصبوا فوق المجتمعات لانبياء وعباقره ومبدعين خالقين صاعدين بها اي بالمجتمعات الى الشمس والنجوم والى الافاق البعيدة المجهولة المطلقة مهما كانت اعضاؤهم ومواهبهم واشواقهم اعضاء ومواهب واشواق زواحف وحشرات سامية ... ان القول بان التعليم العالي حق للجميع او فرض على الجميع قد يكون اكبر اثما وبلادة وبحشا عن التخريب والافساد والضلال من القول بانه حق للجميع او فرض على الجميع ان يعلموا ويدربوا ويحرضوا ويوهبوا القدرة والجرأة والاقدام والشرعية على القتل والسرقة والغدر والخيانة والكذب والجبن والنذالة والوقاحة والجنون والضلال والتدمير والقيادة الى العجز الشامل الضاحك المفرور البليد .

الليس كل هذا هو بعض ما يفعله ويتعلمه غير الموهوبين حين يعلمون تعليما عاليا لينصبوا فوق مجتمعاتهم انبياء وعباقره وقادة وخبراء وعلماء ومخططين وفنانين ؟ نعم ، التعليم لا يراد به ولا يستطيع ان يكون تعامل مع الذات او فيها او بها او تجميلا او مجاملة او انصافا او تظليما وتضخيما لها او ارضاء لاشواقها وطموحها او مساواة لها بغيرها او استجابة لشعارات العصر وآماله وهتافاته او لحوافز التقليد والتشبه وضروراتهما ..

انه ليس وضعا للاصباغ والالوان على الثياب والخدود والاذافر . انه ليس تعلما للصلاة او للتضرع الى الاله .. انه اكبر واصعب واطغر كثيرا من كل ذلك . انه اي التعليم وضع لقيادة سفينة الكون او سفينة الحياة او سفينة الحضارة او سفينة يعيش في داخلها كل المجتمع بكل مشاكله واحتياجاته واشواقه ومخاطره وعقرياته وتفاهاته في قبضة انسان ما بلا اية شروط ذاتية فيه بل وضد كل الشروط الذاتية ولكن لانه فقط قد اصبح يملك شهادة تزعم انه قد اصبح متعلما . وهذه السفينة الموضوعة قيادتها في قبضة هذا الانسان المزعم متعلما تتحرك في كون لا حدود لحدوده ، كون مشحون بالظلام والضياء والاطار والكواكب والنيازك والشهب والسفن المتناقضة المتصادمة المتعادية بل المتحاربة المقودة بلا قيادة وقادة او المقودة بقيادة متناقضين

متعادين متخاصمين متلاعنين متحاسدين متفاوتين جدا في كل مواهبهم و اخلاقهم واهوائهم ورؤاهم واتجاهاتهم وقدراتهم ومذاهبهم وانتماءاتهم العرقية والوطنية والتاريخية .. اي ان تعليم غير الموهوبين تعليما عاليا يساوي وضع مثل هذه السفينة في قيادة ويد مثل هذا الانسان !!

اخذ اليس محتوما ان يكون تعليم غير الموهوبين عقليا واخلاقيا ونفسيا اي غير المالكين للمواهب الذاتية القوية اخلاقية وعقلية ونفسية هو اي تعليمهم اخطر واردا في جميع نتائجه من تعليم القتل والسرقة والخيانة والغدر والغش والكذب والغباء والنذالة وكل انواع الفساد والسقوط مع تعليم القدرة والجرأة على كل ذلك ، بل ومع تسويغ وتشريع كل ذلك بكل مذاهب ووسائل ومنطق التسويغ والتشريع ؟

اليس هذا التعليم تعليما للهزائم والافتضاح والعجز وتعليما للجرأة على ذلك ؟

اليس اخطر من وضع السلاح في يد القاتل المخرب ، ومن وضع الخزائن الثمينة المحتلثة في حماية يد وضمير اللص ، ومن وضع حراسة الحدود الوطنية والقومية تحت حماية قوات العدو المحارب الحاقد ، ومن وضع هاتك العرض والشرف حارسا للعرض والشرف ، ومن وضع برنامج التخطيط للصعود الى القمر في مسؤولية عقول وذكاء ومواهب واهتمامات من يفاخر انبياءهم كل العالمين بانهم اميون لا يقرأون ولا يكتبون ولا يحسبون اي ولا يدخلون حين يفتضحون اي ولا يفتضحون حين يفتضحون اي ولا يدرون انهم يفتضحون حين يفتضحون ، اي ولا يتألمون او يستحيون لانهم يفتضحون لو عرفوا انهم يفتضحون ، اي ولا يدركون انهم يفتضحون حين يظلمون يقرأون ويعلمون ويروون ويفسرون مباهاة انبيائهم للعالمين بكونهم اميين لا يقرأون ولا يكتبون ولا يحسبون ، اي ولا يتألمون او يحزنون او يخجلون حين يظلمون اتباعا ورعايا لانبياءهم يعلنون بكل النخوة البدوية بانهم هم واتباعهم واقوامهم خلقوا وصيغوا ليظلوا ابداء اميين لا يقرأون ولا يكتبون ولا يحسبون ليظلوا اميين في عقولهم وتفكيرهم ومواهبهم ورؤاهم واخلاقهم وفي كل تفاسيرهم وصيغهم مهما قرأوا وحسبوا وكتبوا ، ليظلوا معلمين لكل العالم وافضل من كل العالم اي لانهم بالطبيعة والديمومة والموهبة الخالدة اميون بكل هذه التفاسير للامية ؟ ولكن هل حدث او يمكن ان يحدث ان يعلن نبي بكل المباهاة بأنه امي لا يقرأ ولا يكتب ولا يحسب لا هو ولا قومه ، ثم يظل قومه يقرأون ويكتبون ويروون ويفسرون قوله هذا بل ثم يظلمون يؤمنون بنبيهم هذا ؟ هل حدث او يمكن ان يحدث هذا ؟

نعم ، ان هنالك اميين لا يقرأون ولا يكتبون ولا يحسبون مهما تعلموا القراءة والكتابة والحساب واعطوا كل الشهادات من كل الجامعات واعظم الجامعات بل ان اميتهم الحضارية والانسانية لتزداد قسوة ورسوخا وافتضاحا حين يخرجون من امية القراءة والكتابة . ان اغلب البشر لحكوم عليهم بهذه الامية ، بهذه الامية الانسانية والمأساة ان الحضارة بكل انجازاتها وعبقرياتها لا تستطيع الانقاذ من هذه الامية العالمية العريقة ..

ولن يحكم على اي انسان او مجتمع باقسي او اقبح من هذه الامية لانها امية لا يستطيع الخروج او التخفيف منها بأية وسيلة مهما كانت عبقرية هذه الوسيلة وقوتها الانقاذية . انت امي هذه الامية . اذن لا انقاذ لك مهما تعلمت ! . هل يوجد اقسي من هذا ؟ هل يوجد اقسي او اقبح من الا يستطيع كل العالم بكل علمه وتعليمه ان يشفيك من اميتك الانسانية ؟

وانه لمحتوم وكما تقدم ان من حكم عليهم بهذه الامية لا بد ان يزدادوا قبحا وتشوها وافسادا وايجاجا ونذالة حين يعالجون من امية القراءة والكتابة اي حين يصبحون متعلمين تعليما عاليا او جامعا كما ان القتل والسرقة والعش والفسوق وكل ألوان الفساد لا بد ان تزداد انتشارا وجرأة حين يعطى المريدون لذلك والمستعدون نه والمدربون عليه السلاح والقدرة ويسوغ ويشرع لهم ان يفعلوه .. فكيف حين يوظفون لفعله بالاسلوب الذي يوظف به فاقدو المواهب المتعلمون ليفعلوا بلاداتهم وتشوهاتهم وكل ضعفهم ضد المجتمعات والحياة ؟

اغلقي ايتها النجوم عيونك لئلا تري ما يفعله ويوقعه المتعلمون غير الموهوبين بالحياة والمجتمعات وبكل قيمها حين يصبحون فيها وفوقها انبياء وخبراء وعباقرة وقادة وفنانين بل حدقي فيهم وفيها لكي تفعلوا شيئا ملائما منقذا ، اي لملك تفعلين ذلك . كيف ، وهل يوجد ابلد من عيونك ايتها النجوم ، ابلد ممن صاغك وارادك بلا عيون ؟ ولماذا ينبغي او يطلب ان يكون للنجوم عيون ؟ هل للعيون في اي كائن وظيفة جمالية او اخلاقية او منطقية او حتى عاطفية ؟

ولكن هل هذا هو كل ذنوب وعيوب تعليم غير الموهوبين ؟ ليت ذلك كذلك . ان الخسران اذن ليس فادحا . ولكن كلا ..

ان المجتمعات الضعيفة المتخلفة لتذهب تقاسي اعنف المقاساة واطولها انفاقا واهتماما وهموما وتدبيرا وتدريبا لكي تجعل من هؤلاء متعلمين ، لكي تصبح ملزمة ملتزمة بان تدفع لهم الاجر بلا عمل بل لانهم ضد العمل ومفسدون لكل عمل ، وبان

تدفع لهم الثمن بلا أية سلعة يصنعونها أو يعرضونها ، بل لانهم معوقون ومفسدون مضللون لكل الاعمال والهمم التي تعرض وتبدع وتنتج السلع . . .

ان تعليم فاقدى المواهب الذاتية . . العقلية والنفسية والاخلاقية ليس اذن تعويقا وتعطيلا وتشويها وفسادا وتجهيلا فقط ولكنه كل ذلك واكثر من كل ذلك مدفوعا ثمنه غاليا فادحا مرهقا .

اذن فتعليم غير الموهوبين ليس فقط تخريبا وتشويها وتعويقا وتشريعا وتسويغا للتخريب والتشويه والتعويق ولكنه ايضا اي تعليم غير الموهوبين مقاساة باهظة شاملة من الانفاق عليه ، من انفاق الموارء والاموال والطاقات والاهتمام والهموم بلا اي ناتج يقبض او يندتظر غير هذا التخريب والتشويه والتعويق وغير هذا التسويغ والتشريع لذلك .

**

لماذا نتعلم ؟ ان لهذا السؤال جوابا دوليا لن يصاب باي اختلاف . هذا الجواب الدولي : نتعلم لكي نصنع ونطور ونهب الحياة ونحولها الى قوة وجمال وفرح وحب وسعادة وفنون . . لكي نفعل كل ذلك لحياتنا ولحياة كل الآخرين . ولكن هل هذا الجواب الذي لن يصاب باي اختلاف عليه موجود في حساب كل من يتعلمون وكل من يصنعون وسائل التعليم للجميع وكل من يطالبون بذلك ؟ ان هذا الجواب محذوف من حساب ونيات اكثر من يتعلمون وحساب ونيات اكثر من يصنعون التعليم او يدعون اليه . بل أن حسابات ونيات اكثر هؤلاء وهؤلاء مناقضة كل المناقضة لهذا الجواب العالمي . .

ان اكثر هؤلاء هؤلاء ليعرفون ان التعليم اي باساليبه الجاضرة لا يراد به او منه الا ان يكون تشريعا وتسويغا وتأهيلا لاكثر من يتعلمون بالا يصنعوا او يهبوا للحياة شيئا وبالا يكونوا مطالبين بذلك او ملومين او مقصرين اذا هم لم يصنعوا او يهبوا شيئا من ذلك . .

لا يراد به او منه الا ان يتحول الى تشريع وتسويغ وتأهيل يفعلها المجتمع باسم كل قيمه وشعاراته ليحمل من اكثر من يتعلمون هذا التعليم آخذين فقط ، آخذين من الحياة ومن المجتمع دون اي عطاء او انتظار اي عطاء او مطالبتهم باي عطاء . وهذا التشريع والتسويغ والتأهيل هو كل ما في حساب ونيات اكثر من يتعلمون . اي انهم يعرفونه ويتقبلونه ويطبقونه بفرح غير شهم . . او هم يعرفون انه لن يكون الا كذلك مهما كانت الشعارات والدعاوي . .

ولان هذا العطاء ليس في حساب هذه المجتمعات فانها تضع كل من يراد تعليمهم في حجم وبعد وارتفاع واحد كما تضعهم جميعا في هذا الحجم والبعد والارتفاع الواحد ، كما تفترضهم جميعا هذا الحجم والبعد والارتفاع الواحد بل كما تصوعهم هذا الحجم والبعد والارتفاع .

انها تضع لكل العيون والاذان والعضلات والقامات والبدانات مقاسات ذات درجات وحدود موحدة ، كما تضعها في هذه المقاسات حتى المصابة منها بالعمى والصمم والنحالة والقزامة . لانه ليس المطلوب او المفروض ان ترى او تسمع او تصعد او تقفز او تعمل او تبدع او تتلاءم او تبدو جميلة او مريحة او فنية بل ان يتحمل المجتمع والحياة كل التكاليف وان يتحول من يتحمل المجتمع والحياة الانفاق على وضعهم في هذه المقاسات ذات التكاليف الغالية الى معفين من ان يهبوا الحياة او المجتمعات اي شيء جميل او ذكي او نافع . انها تفعل مثل من يضعون لكل العيون الضعيفة والفاقة الرؤية نظارات طبية للقراءة والرؤية موحدة الدرجة .

ان كل المطلوب والرجو والمنتظر ان يعطوا شهادات ، شهادات اعفاء لهم من كل عمل ومسؤولية ، وشهادات الزام والتزام للحياة والمجتمع باعنائهم من كل عطاء للحياة أو للمجتمع ، وشهادات الزام والتزام بالانفاق عليهم وبتوظيفهم بلا وظيفة بل وضد كل وظيفة . ان كل الحساب ان يضعوا على عيونهم نظارات طبية وليس في الحساب ان تكون النظارات رائية او مريحة او جميلة او نافعة او الا تكون نقيض ذلك .

ولا ينبغي ان تحسب الامتحانات باساليبها المطبقة وضعا لمقاييس مختلفة لان الاحجام مختلفة . ان الامتحانات القائمة ولا سيما في المجتمعات المتخلفة او النامية لهي اردا اساليب الهزل والعبث والخداع والتزوير القانوني الرسمي الجماعي لاعظم القضايا التي لا يستطيع كل الصدق والجِد والاعتماد والالتقان والذكاء ان يكون كافيا لاحتياجاتها .

انه لن يكون الا كل الصدق والصواب ان يقال :

ان التعليم باساليبه المنفذة في المجتمعات المتخلفة او التي تسمى نامية ليس الا نقلا او تقليدا عقيما هازلا . . ليس الا ورطة او ماساة تحتاج الى الدواوين المنفذين الشجعان . نعم ، انه قد يكون الاحتياج الى الانقاذ من هذا التعليم اعظم واصدق من الاحتياج الى الانقاذ من الجهل الامي . .

ان هذا التعليم ليس الا هتكا للبيكاراة باسلوب غير شرعي او صحي ، باسلوب ليس فيه شيء من النشوة او الفرح او الجمال او الحب او الانجاب . انه ازالة للبيكاراة بلا أية قيمة شهوانية او اجتماعية او اخلاقية .

نعم ، ايها الامي البسيط الراعي المسمن الحالب لحيواناتك ، الزارع الساقى لحقولك ، العامل في مصانعك ، المؤدي بسداجه وأمية صادقة مخلصه متواضعة لحرفتك البسيطة ، في مجتمعك المتخلف المسمى احيانا ناميا . نعم ، كم انت جميل ورائع ومريح ونافع ومعقول وفني وذكي وعبقري خلاق ، مقارنا محاسبا بك او بمثلك حاملا واضعا في بيتك او مكتبك او جيبك او في بيته او مكتبه او جيبه اكبر الشهادات لتجعل منك او منه مغرورا مشوها عاطلا متعطلا وقحا معوقا فادح التكاليف كاذبا منافقا جبانا انتهازيا جاملا بكل شيء ، الا في ممارساته للجهالات ، مناقضا لكل ما تعنيه الشهادة التي يحملها ، هاجيا محقرا بكل الاساليب والتفاسير لها اي للشهادة المسكينة المحمولة الموضوعة في البيت او المكتب او الجيب لتكون اقبح وافدح شهادة زور وتزوير . نعم ، انها لبائسة ومسكينة ومهانة هي اكثر الشهادات الدراسية العليا الموضوعة المدسوسة في اكثر المكاتب والادراج والخزائن والحقائب ..

اجل ، ايها الامي البسيط العادي . كم انت حياة وعطاء وذكاء وفداء ووقار واحترام وتهذيب ، في مثل هذه المجتمعات ، محاسبا مقارنا بنفسك او بمثلك ، حاملا مثل هذه الشهادة لتصنع منك او منه مثل هذه الشخصية المزورة المشوهة المفسوحة باعطائها مثل هذه الشهادة ؟

انك في مثل هذه المجتمعات انت كل مجد وفرح وعزاء وشوق الانهار والسحاب والحقول وطلعة الشمس ايها الامي البسيط التواضع القارىء الكاتب بذراعيك وعضلاتك وعملك وعرقك وحبك وصحتك ...

انك انت كل بسمات وعطور الحقول والورود ، وتغريد كل الطيور ، ونبضات كل قلوب الحياة ..

انك اي في المجتمعات المتخلفة او النامية في التعبير الاخر انت كل كبرياء وقوة وطعام وملابس وبيوت وحياة مواطنيك من حاملي اعلى الشهادات المتحولة الى تزوير وتشويه وتعويق وتعجيز والى التزام بالانفاق ودفع الاجر والتمن بلا عمل او سلعة او خدمة والمتحولة كذلك الى تشريع وتبرير وتسويغ لكل هذا اي لكل هذا التشويه والتزوير والتعويق والتعجيز والالتزام بهذا الانفاق وبهذا الدفع للاجر والتمن بلا اي عمل او سلعة او خدمة . ايها الامي البسيط العامل في المجتمعات المتخلفة انت وحدك الاعتذار والتكفير عن ذنب وورطة أن يكون الانسان مواطنا في احد هذه المجتمعات . أنت وحدك التفسير لعنى الحياة لو كان لها معنى ، والقيمة لوجود الآله لو كان لوجوده اية قيمة .

اجل ، لمن تجيء الانهار والسحاب ، وعلى من تشرق الشمس ، ومن اجل من تخضر الحقول وتزهر الزهور اي في المجتمعات المتخلفة او النامية لولاك ايها الامي البسيط الطيب الذي لم تتعلم يده او عيناه قراءة او كتابة الحروف الملونة بكل اللون الكذب والنفاق والغباء والهوان والخداع والوثنية المتبدلة المتنوعة الالوان ، المصلية الهاتفة لكل الارباب والمذاهب والمعتقدات والمعسكرات المتعاقبة المتناقضة المتشائمة المتحاربة ؟ نعم ، هل نشر الوثنيات المتعددة الجنسيات والالوان ، او فسرناها وسوغها واقنع بها وصلى وهتف لها مثل الحروف الملونة بكل اللون الاحقاد والبلادات والاهواء والوجوه المختلفة المتبدلة الالوان الفاجرة الالوان ؟

حشود هائلة من البشر المخلوقين بلا عناية او مهارة او اناقة او دراية او حاجة او شهامة يذهبون يقاسون وتذهب المجتمعات تقاسي اقصى المقاساة وكل اللوان واساليب المقاساة لكي تعلمهم او تهبهم صكوكا تسميها شهادات تزعم انهم قد تعلموا ، ولكي يتعلموا او يزعم ويعتقد انهم قد تعلموا ، تعلموا وعلموا ما لا يشعرون باي شوق او احتياج اليه او بأية رغبة فيه ، او باي حب او احترام او فهم له او لاية قيمة من قيمه ، او بانه سوف او قد يهبهم اي معنى جمالي او اخلاقي او نفسي او انساني او حتى لغوي بل وهم لا يريدون او يتصورون او يفكرون ان يهبهم شيئا من ذلك ، او بانه سوف او قد يهب المجتمع او الحياة شيئا يحتاج اليه المجتمع او الحياة كما لا يريدون او يتصورون او يفكرون او يظنون او يحاولون ان يتمكنون ان يكونوا هبا هذا الشيء او انه مطلوب او مفروض او منظر ان يهبه .. اي ان يكون اي شيء جيد او جميل او ذكي او نافع في انفسهم او حياتهم او مجتمعهم . بل وهم يعرفون انه اي هذا الذي يتعلمون او تعليمهم بالاساليب القائمة سوف او لا بد ان يحولهم ، بالتشريع والقانون وبالسلوك والالتزام الاجتماعي ، الى عاطلين معطلين مغرورين بل والى مجزيين ماجورين على عطلم وتعطيلهم وتغريضهم ، بل وهم يريدون ان يكون ذلك كذلك اي ان يحولوا الى ذلك ..

نعم ، سوف او لا بد ان يحولهم الى انبياء وخبراء وعلماء وقادة ومعلمين بلا اية نبوة او خبرة او علم وبلا اي قدر من اوصاف او اخلاق او مواهب القادة والمعلمين ، مدفوعة لهم مسلمة اليهم كل اجور وتكاليف والقاب ومراكز ووظائف الانبياء والخبراء والعلماء والقادة والمعلمين ..

ان هذا هو كل التفسير للتعليم والتعلمين بالاساليب المطبقة في المجتمعات النامية او المتخلفة ، وفي غير هذه المجتمعات احيانا ..

حتى الشوق والحب والاحترام والاعجاب لا يجدون شيئا منه لما يتعلمون او لما يزعمون او يزعم انه يتعلمونه ، كما لا يشترطون شيئا من هذا الشوق او الحب او الاحترام او الاعجاب او يبحثون عن شيء منه او ينتظرون او يتمنون ان يجدوا في انفسهم شيئا منه ، او يخلطون او يستنكرون لانهم لا يقاسون او يحيون اي قدر منه . انهم كالذين يتزوجون بلا حب او صداقة او لقاء او توافق او فرح او تعارف والمجتمع يدفع تكاليف الزواج واستمراره .

ان كل تفاسير هذه القضية انهم حين جاءوا دون ان يعرفوا او يسألوا من اين او لماذا جاءوا ، وجدوا الناس او بعضهم او امثالهم يفعلون شيئا يسمونه او يسمى تعليما فيعطون صكوكا او اوراقا مكتوبة فيها اسمائهم تسمى شهادات ، ويعطون وظائف ، ويسمون متعلمين ، وتصبح لهم امتيازات وحقوق ملزمة على المجتمع . فذهبوا يفعلون هذا الذي وجدوا ، دون ان تكون لهم اية نيات او حوافز او تفاسير او حسابات اخرى .

دون ان يسألوا او يفكروا لماذا يفعل الآخرون ولماذا نفعل مثلهم ومن المبتكر المدبر للعملية او الرايح منها . كما لم يسألوا او يفكروا لماذا جاءوا ومن المدبر لمجيئهم ، المستفيد منه ، وهل يستفيد منه احد .

ان هذه هي كل التفاسير لقضية التعليم في حسابات وحياة المجتمعات المتخلفة او النامية التي المجتمعات العربية هي بعضها او هي قمتها في تفاسيرها البائسة . اجل ، ان المجتمعات العربية هي دائما القمة في جميع التفاسير البائسة . . ان الانسان العربي لا يقبل ولا يستطيع التنازل أو النزول عن القمة في كل موقف رديء او سخيف .

اذن هل توجد قضية حزينة فاضحة فادحة التفاسير والنتائج مثل قضية التعليم في المجتمعات العربية وفي كل المجتمعات الاخرى المشابهة ؟ نعم ، قبيح ان تكون عربيا لانه قبيح حينئذ لا تتعلم ولانه اقبح من هذا القبح حينئذ ان تتعلم . . واخسى بل وارذل واقبح ما في هذه القضية هذا التسابق المتزايد المشهود على استمطاء او شراء او نشل ارقى الشهادات اي اسماء التي لا تعني الا المزيد من هذه التفاسير والنتائج الحزينة البائسة الفاضحة . . نعم ، انهم اليوم في العالم العربي وفي غيره يشتررون ويستجدون وينشلون اكبر الشهادات باسلوب سياق . . انه سياق يتعاطف في العالم العربي وفي انداده من العوالم الاخرى المشابهة ، تحرض عليه وتيسره وتمكن منه الظروف المالية والدولية المجنونة المحابية الواهبة بلا صدق او

كرامة او حب او استحقاق . كما يحرض عليه وييسره ويمكن منه ان العالم العربي وانداده لا يحاسب او يفسر او يثمن الناس او الاشياء بما يعطون وتعطي من قيم عملية او انتاجية او فكرية او جمالية او اخلاقية او حضارية ..

بل انه اي العالم العربي ، وكذا انداده ، لا يستطيع ان يعي هذه القيم او يحددها او يميز بينها وبين نقيضها او يجعلها شرطا او التزاما في اي انسان او اي شيء .. بل ان النقيض ائوَّح لكل القيم هو اعلَى القيم في حسابات وتفسير العالم العربي وانداده من المجتمعات اي ان كان له انداد ..

ان الشهادة الدراسية لا تساوي في كل حساباته وشروطه الا نفس الشهادة ودرجتها . انها لا تساوي اي شيء اخر ..

فالشهادات لها قيم ذاتية ثابتة . وحامل الشهادة يساوي الشهادة التي يحملها انه لا يساوي ذاته او ما يفعل او يعطي او يعرف او يستطيع ..

اذن فلتكن الشهادة اكبر شهادة ليكون حاملها اكبر انسان لان الانسان العربي لا يستطيع ان يعرف ان الانسان كبير او صغير بحدوده او احجامه الذاتية .. نعم ، انت انسان عربي ، اذن فانك تستطيع وانه لحق لك ان تشتري او تستجدي او تنشل لو تستعير او تغتصب بالاكراه وبتهديد واغراء المال العربي الاسطوري الجبروت ، اكبر شهادة من اي بلد او مكان تريد ، عربي او غير عربي ، لتكون اكبر انسان ، اكبر عالم او خبير او مفكر او فيلسوف او نبي او ناقد او مطلق صواريخ واقمار كونية .. لانك في مجتمع لا يفرق بين من يفعل ومن لن يفعل اذا كان يحمل شهادة قد يحملها من يفعل كما لا يفرق بين الافعال .

ان الطبيعة قد وهبتك ووهبتك قدرة مالية قد اذلت وهزمت واهانت كل العالم وجعلتك قادرا بالاشارة او التمنى او التشهي ان تشتري او تستعطي او تنشل او تستعير او تأخذ بالضغط والاملاء والارهاب ما تشاء ممن تشاء حتى اكبر الشهادات ، دون ان تجد او تسمع من يقول : لا او انتظر او سوف افكر وارى .. ، ان كل الشروط والقيود الاخلاقية والعقلية والحضارية والانسانية لتهزم وتسقط وتنسى امام رغبتك ايها العربي الاسطوري الحظوظ والمواهب ..

ايها العربي الذي لم تقتضح الآلهة مثل افتضاحها حينما صادفته وصادقها ، حينما تعاملت به وتعامل بها ..

اخي وصديقي الانسان العربي . انك لتستطيع ان تكون وتظل اميا لا تقرا ولا تكتب ، ولو قرأت وكتبت لكنك اسوأ وأردأ ممن لا يقرأ ولا يكتب - نعم ، ان تكون وتظل اميا لا تقرا ولا تكتب وتفتخر بانك لا تقرا ولا تكتب مثل نبيك الذي لم يكن يقرأ او يكتب والذي كان يفخر بانه لا يقرأ ولا يكتب - نعم ، انك لتستطيع ان تكون كذلك ثم تستطيع ان تحمل اكبر شهادة علمية او فنية من اي مكان تريد . . . انك ايها العربي لتستطيع ان تعطى اكبر شهادة لك بالنبوة وانت لا تقرا ولا تكتب كما اعطت الملائكة نبيك . . .

لقد حدث هذا ، لقد حدث ، وان حدوثه ليزايد ، متحولا الى اذلال وتعيير وعار لكل العالم .

نعم ، ايها الانسان العربي لقد تحولت شهادتك العالية التي تحملها والتي سوف تحملها الى فضح وسباب واتهام وتهوين لكل جامعات العالم ولكل اساتذة الجامعات في كل العالم .

ايها العربي ١٠ لاتخشى ان يرفض العالم ، كل العالم يوما ما ان يحمل اية شهادة عليا او ان يدرس اية دراسات عليا اذا كانت تعني ان يحمل شهادات عليا لانه وجدك انت تحمل شهادات عليا ؟

الا تستطيع ان تكون شهما او تقيا اذا لم تستطع ان تكون موهوبا او عبقريا ؟
الا تستطيع ان تظل اميا طيبا مستورا ان كان البديل ان تصبح متعلما فاضحا مفضوحا ؟

اليست الامية سترا جيدا ونبيلا لاكثر من يتعلمون من مواطنيك ؟ اليست رفقا بالمشاهدين ؟

الا تستطيع ان تكون كريما او رحيما اذ لم تستطع ان تكون عظيما ؟
الا تستطيع الا تكون شيئا حيث لم تستطع ان تكون شيئا كبيرا او لو في ذنوبك وتفاهاك ؟

لماذا ايها العربي جئت كما جئت ولم تجيء شيئا اخر ؟

هل خططت الآلهة او الطبيعة بتدبير أم استفرغتك استقراغا ؟

نعم ، ايها الانسان العربي . . هل جئت تدبيرا أم جئت استقراغا ؟ لماذا تجيء ابدا كما تجيء ؟

لماذا لا تجيء سلاما او هدنة او مصالحة او تهديبا او وقارا او صمتا بلا ادعاء او غرور او وعيد او زئير حين لم تستطع ان تجيء خصومة او عدوة او حربا منتصرة

او حتى منهزمة ولكن بكرامة ؟ لماذا لا تجيء في حروبك وعداواتك ومخاصماتك هزيمة بلا افتضاح ان لم يكن بد من ان تجيء هزيمة في كل حروبك وعداواتك ومخاصماتك ؟

لماذا لاتجيء شيئا معذورا او مغفورا او مفسرا او محتملا حين لم تستطع ان تجيء شيئا معقولا او محترما ؟

لماذا لا تجيء لا هدما ولا بناء ، لا جمالا ولا دمامة ، لا حبا ولا بغضا حين لم تستطيع ان تجيء بناء أو جمالا أو حبا ؟

من النحات الذي نحتك ايها الانسان العربي ؟

لماذا جاء نحاتك بكل هذا الضعف او الجهل او القبح او الوقاحة او البداوة او بكل ذلك ؟ لماذا اختارك او اختير لك نحاتك ؟ لماذا لم تجيء موهبة نحات آخر ؟

لماذا ايها الانسان العربي لم ترفض ان يكون نحاتك هو نحاتك ؟

ايكما المعتدي على الآخر ، ايكما المتهم : انت ام نحاتك ؟

ايهما المتهم : الفنان ام التمثال ؟ ولكن هل انت من اعمال اي فنان ؟

هل يقبل اي فنان مهما كان تواضع موهبته وتواضعه ان تكون من اعماله ؟

انت ايها العربي ترى وتعلن ان التمثال الرديء هو المتهم وليس النحات ..

اذت ترى وتعلن ان قبح ورداءة المخلوق هما قبحه ورداءته وذنبه وليس قبح او رداءة او

ذنب من اراده وخلقه كذلك .

اذت ترى وتعلن ان المقتول هو القاتل وان القاتل هو المقتول . انت ترى كل من

لا يرى هذا الرأي زنديقا .. انك ترى ان كل امجاد ومسرات الهك لا يصنعها او يهبها

له سوى آرائك هذه فيه ..

لهذا انت ترى ايها الانسان العربي ان الانسان المخلوق هو المذنب والضعيف

والبليد والجاهل والدميم والمريض والميت والمسؤول والمعاقب ، وليس الآلة الذي

اراده وخططه وخلقه واخرجه كذلك او الذي لم يفهم أو يستطيع ان يريده او يجبره او

يخلقه او يخرج الا كذلك .. انك لم تستطع ان تعرف ان المخلوق الخاطيء الضعيف

القبيح الذميم ان كان قد جاء كما يريد خالقه فهو هجاء واتهام حاد لخالق ونماذج

خالقه ، وان كان قد جاء نقيضا وخروجاً على ما يريد خالقه فهو هجاء واتهام

حاد لموهبة وقدرة ومعرفة خالقه ...

ايها الانسان العربي .. انت اعظم معذب وفاجع لمعاني الانسان في الانسان ،

وانا اعظم من يتلقى ويقاسي منك هذا التعذيب والتفجيع .

ان كل معنى من معانيك ليعذب ويفجع كل معنى من معاني .. انك لتعذب

وتفجع بكل القسوة والديمومة وبكل الاساليب كل حواسي واحاسيسي ورؤاي

ونمانجي وشروطي وتطلعاتي الفكرية والاخلاقية والانسانية بل والتعبيرية ، لانك
 انت كل ما ارى واسمع واقرا واحاور واواجه واعيش واعمل واجد . آه . هل
 يطبق هذا احد ؟

اذن ارثوا لعذابي وانسوا عذابكم بل واغفروا لعذابكم ايها المعذبون . يا كل
 المذبذبين .

اذن اينها الكائنات الكونية الكبرى المطة علينا من فوق ، من بعيد ، ببلادة
 واسترخاء وكبرياء وضخامة جفاء ، احترقي ، انتحري ، اهربي لثلاث صابي بشي ،
 من عذابي وفجائعي ، لثلاث تقاسي الانسان العربي بكل صيغه وتقاسيره كما اقايسه .
 كما اقايسه انا وحدي

لماذا انا وحدي اقايسي كل الانفجاع بكل الانسان العربي ؟ لماذا لا اجد من يحملون
 عني بعض مقاساتي ؟

لماذا لا يوجد من يتقاسمون مقاساة الانفجاع بالانسان العربي ؟
 هل يوجد تفرد اليم فاجع مثل التفرد بمقاساة الانفجاع بالانسان العربي ،
 الانفجاع به مرثيا ومسموعا ومقروءا ومحاورا ومحاسبا ومطالبا باية قيمة من قيم
 الانسان الحضارية او الابداعية او الفكرية او الاخلاقية او النفسية او التاريخية او
 حتى الدينية او اللغوية ؟ ان من المسلمات الدائمة ان مزايا الانسان العربي الدينية
 هي اعظم واشهر مزاياه بل وانه يتفوق على جميع العالمين في مزية التدين وقوته .
 ولكن هل يوجد ضعف مثل ضعفه في هذه المزية المحسوبة له باسلوب كانه لا يقع
 عليه اي اختلاف ؟

نعم ، انت تواجه الانسان العربي مواجهة حادة شاملة دائمة بمنطق وضهير
 وقلب وعيون وآذان وشروط اخلاقية وانسانية ونفسية وحضارية غير عربية اي
 انا افترضك كذلك . . .

اذن هل يوجد عذاب مثل عذابك ، مثل عذاب مقاساتك اي لو انك كنت كذلك
 وواجهت الانسان العربي هذه المواجهة ؟

ولكن الست متوحشا وعدوانيا جدا حين افترضك كذلك او لو اني افترضتك
 كذلك اي لو اني افترضتك ذا مواهب غير عربية ثم افترضتك تواجه الانسان العربي
 هذه المواجهة وهو يؤدي بكل الاساليب مواهبه العربية ؟

اليس الافتراض المتوحش وحشية وعدوانا على من افترض كذلك ؟ اليس
 افتراض الشيء او تصويره جيدا او رديئا نوعا من الحكم عليه ؟ اليس
 افتراضك او تصورك لوجه لم تره وقاحة وقسوة وعدوانا اي لو تصورته دميما ؟
 لهذا ، اليس افتراض الآله مدبرا ومريدا وفاعلا للامراض والتشوهات والموت

والاخطاء والكوارث وجميع النقائص اسلوبا قبيحا وقحا بليدا بذينا من الوحشية والعدوان عليه ؟ لهذا لن توجد وحشية او عدوان على الاله مثل افتراضه المخرج لهذا الكون ..

انت انسان غير عربي النماذج والشروط والتفسير ، تواجه وتعايش الانسان العربي بكل الديمومة والشمول والاساليب ..

نعم ، لنفترضك كذلك ، فهل انت حينئذ اقصى مقاساة وعذاب ام الاله المفترض في مواجهة ازلية ابدية متفردة شاملة لكل ما في هذا الكون من شرور واطاء والام وقبائح وقبح ونزق وعبث؟ هل يمكن تصور جثة او كينونة خارجة على كل النماذج والاشترطات المنطقية والذنية والجمالية والاخلاقية مثل هذا الكون الخارج على كل القيم المعروفة والمتمناة ؟

لهذا نعتذر اليك ايها الاله البائس المسكين المعتدى عليه . نعتذر اليك عن وحشيتنا ونذالتنا حينما افترضناك مواجهها مواجهة ازلية ابدية متفردة شاملة لهذا الكون الذي لا مثيل لقبحه اي لو حوسب باية قيمة من القيم ..

اغفر لنا ايها الاله الطيب الذي لم يفعل او ير شيئا قط والذي لم يره ولن يراه احد او شيء . اغفر لنا نذالتنا ووحشيتنا ..

ان الاعلان والاعتقاد بانك ايها الاله الطيب لم تفعل او تر شيئا او احدا وبان شيئا او احدا لم يرك ولن يراك هما انبل واتقى دفاع واعتذار عنك ..

ان اعظم مزاياك وحظوظك بل كل مزاياك وحظوظك ايها الاله انك لم تر او تفعل شيئا وانك لن تفعل او ترى شيئا ، وان احدا او شيئا لم يرك ولن يراك . انك ايها الاله انت الكائن المتفرد في ان كل تقواك ومجدك وبرائك ونظامتك وسعادتك وراحتك في ان تكون عاجزا عجزا مطلقا عن ان ترى او تسمع او تفعل .

انك ايها الاله لست طفلا مصابا بكل حالات الشخوذ والنزق والبذاءة لكي تسعد وتفرح وترضى وتتلذذ بأن تكون مشاهدا لهذا الوجود ، متفرجا على الآمه . تفاهاته ونقائصه وعبثه الدائم المكرر بلا اناقة او نظافة او جمال او فن او تفسير مفهيم او معقول او محترم او مجيد او مريح ، او لكي تتجرا عينك على ان تظلا تريان كل هذه التشوهات والدمامات والآلام والاحوال والاطاء والذنوب والفحش . لهذا نتضرع اليك ان تغفر لنا جهلنا ووقاحتنا حينما افترضنا هذا الكون يفعل كل وجوده وكينوناته داخل عينيك واذنيك وقلبك وضميرك وتفكيرك وكل حواسك واحاسيسك وانت تغني لنفسك اعجابا ومرحا وتديلا .

انه لا تعذيب ولا تشويه ولا تقبيح ولا ترويع ولا تفجيع لاي كائن مثل ان يعيش كل هذا الوجود بكل صيغه وتفسيره داخل ذاته اي ان كانت تملك اي قدر من الموهبة التي تعني ان تكون ذاتا رائية او سامعة او محاسبة او محاكمة او ناقدة او مشترطة او حتى قارئة ..

ان معنى هذا ان تحشد كل العفونات والدمامات والتشوهات والآلام والاختلاء، والفسوق والفحش والظلم والعبث والسفه حشدا ابديا داخل نفس او ذات متوقدة بالحب والتقوى والجمال والرفض والاحتجاج والاشتراط وبالاشواق الجمالية المنطقية الاخلاقية .

ان الذين يرون كل هذا الوجود يعيش داخل كل رؤى الاله ثم يرون انهم بهذا يقصدونه اي الاله ويرضونه ويفرحونه هم قوم لن يستطيع تفسير بلادتهم بأي نموذج او حد من حدود ونماذج البلادة . انه لن يمكن تصور قبح او تعذيب مثل ان يعيش او يوضع كل القبح والبلادة والبغضاء والقسوة داخل ذات لا تتقبل الا الجمال والذكاء والحب والخير الصداقة .

انهم بهذا يحولونه اي الآله نفسيا واخلاقيا وفكريا وفنيا وجمالي الى كائن لا تستطيع كل نماذج وتفسير القبح ان تحتويه او تقترب منه او تنافس قبحه ان كل عقائد المؤمن وصلواته وتصوراتهِ وتفسيرهِ ومناشداته للآله وهتافاته به لا بد ان تحوله اي تحول الآله الى قبح شامل بلا منافس او مشابه . ان الايمان بالآله لن يكون الا فسقا به ، بكل تفسيرهِ ونماذجهِ وتصوراتهِ ، بكل انواع الفسق وتفسيرهِ ونماذجهِ .

وانه لشيء قبيح ورهيب الا يعرف المؤمنون ذلك . من يصوغ غباء المؤمنين ؟ كيف امكن ان يوجد من يستطيع ان يخطط ويصنع في المؤمنين ولهم غباءهم ؟

اذن فمهزلة هذا التعليم او مأساته او قصته تؤلف وتفسر هكذا :

انهم يتعلمون هذا التعليم لكي يشغلوا ويستغنوا به عن ان يعلموا او يعملوا او يفهموا وعن ان يتعلموا الحياة او اي شيء نافع في الحياة ولها وعن ان يتعلموا ما يعنيه التعليم او يلزم به او يدعو اليه او ما يزعم انه هو كل غاياته ونياته . انهم يتعلمون ليكونوا علميا وعقليا وفكريا ونفسيا وثقافيا نقيضا لما يزعمون ويزعم لهم انهم يتعلمونه .

انهم يتعلمون لكي يشغلوا بالتعليم ويستغنوا به عن ان يعرفوا او يعملوا اي شيء تطالب به الحياة ويصنع الحياة ويهبها القوة والجمال ، وعن ان يكونوا ملزمين او ملتزمين او مطالبين بشيء من ذلك . .

لكي يصبحوا نقيضا لما يتعلمون ، نقيضا لكل تفاسيره واهدافه وشعاراته . اي انهم يتعلمون لئلا يعلموا او يعرفوا او يعملوا او يحاولوا او يطالبوا او يشعروا بان عليهم ان يعلموا او يعرفوا او يعملوا ، او بان للتعليم اية وظيفة او تفسير غير ان يتعلموا هذا التعليم لتصبح كل علاقاتهم بالحياة ان يستهلكوها ويسرقوها ويعوقوها ويشوهوها ويضعفوا نبضها وحماسها واشواقها واندفاعها . .

اذن افرحوا وارقصوا وتبلخوا وارقدوا ايها المتعلمون في المجتمعات العربية وفي كل المجتمعات الماثلة لانكم تتعلمون لئلا تعلموا او تعرفوا او تفهموا او تعملوا او تلمزوا بشيء من ذلك او ينتظر منكم شيء منه . . .

بل لكي تصبحوا في كل قدراتكم واهوائكم وظروفكم ومواقمكم واشراقكم نقيضا لكل ذلك وخروجاً عليه . بل ان كل مزاياكم وكل اساليب الانقاذ منكم ان تتحولوا الى متعطلين تآخضون ولا تعطون او تفعلون شيئا مما اعدتكم له اي مما اعدتكم لتكونوا له وفيه انبياء وعلماء وخبراء وعباقر . .

نعم ، انهم لكثيرون اولئك الذين يتعلمون ويراد لهم ان يتعلموا لكي لا يعلموا او يفهموا او يعملوا او يحاولوا او يلزموا او يطالبوا بشيء من ذلك . اليس كثرية هي انواع التعليم وكثيرة هي المؤسسات والمعاهد التعليمية التي لا تعني والتي لا يراد بها او منها الا ان تكون كذلك اي الا ان تكون ضد العلم والفهم والعمل والمحاولة والمسؤولية ، وممانعة من ذلك ومغنية شاغلة عنه ، وبديلا مقبولا معترفا به عنه ؟

اليس كل انواع التعليم الديني والغنيبي والروحي والتاريخي وكل معاهد ومؤسسات هذا التعليم لا تعني ولا يراد بها او منها الا ان تكون كذلك والا ان تنتهي اليه اي الا ان تكون قتلا لوظيفة الانسان في الحياة وقتلا لوظيفة الحياة في الانسان ؟

ان اي انسان يدخل اية مؤسسة او معهد من هذه المؤسسات والمعاهد التي تعلم كل انواع هذا التعليم فليس الا انسانا قد حكم عليه بالاعدام اي في حسابات العطاء للحياة ولمجتمعه وحكم عليه بان يكون لصا وغرما وخسرانا اي في حسابات الاخذ من انحياء ومن مجتمعه . .

أن من يشيدون معهدا أو جامعا أو مؤسسة من هذه المعاهد والجامع والمؤسسات التعليمية إنما يشيدون قبورا ، يشيدون أماكن ويبنون لقتل كل من يدخلونها ولتعليمهم القتل لغيرهم أي قتل معاني الحياة فيهم وقتل معانيهم في الحياة ، ولكي يتعلموا فيها كيف يصبحون لصوصا ، يأخذون من الحياة والمجتمعات كل شيء ، وإن أعطوا أو يطالبوا بأن يعطوا الحياة أو المجتمعات أي شيء ، أو أن تأخذ منهم الحياة أو المجتمعات أي شيء لأنها لن تجد فيهم أي شيء يؤخذ أو يعطى ، بل ولكي يصبخوا عدوانا على الحياة والمجتمع وتشويهها وفضحها وتضليلها لهما ، وتزييفها والهاء واستهلاكها وتخديرها لاشواقهما وحماستها • كم هم المعلمون والتعلمون الذين كل عملهم أن يحاولوا سرقة وامتصاص طاقات ونبضات وأشواق الحياة من الحياة ومن مجتمعاتهم ؟ اليس كل معلمي العرب ومتعلميهم هم من هؤلاء السارقين الممتصين للطاقات والنبضات والاشواق ؟ أي من المحاولين لذلك ولكن الحياة لا تستجيب لهم الا بقدر ما تعجز عن عصيانهم ••

نعم ، اذا تعلم غير المهوبين في المجتمعات المتخلفة تعليما عاليا فما افضل اساليب التعامل بهم ومعهم أو ما اقل هذه الاساليب ضررا ؟

افضل اساليب التعامل بهم ومعهم وأقلها ضررا هي ان يمنحوا من أن يعملوا فيما تعلموه مع دفع الاجر لهم ان لم يكن من ذلك بد •• لان دفع الاجر لهم بلا عمل افضل أو أقل أذى من أن يدفع لهم الاجر مع الاذن لهم بأن يتحولوا الى معوقين ومشوهين ومخربين ومفتضحين فاضحين قائدين الى الهزائم والبلادات والعجز والعار لانهم قد أصبحوا انبياء وخبراء وعلماء وعباقرة وقادة أي وضعوا على عروش هؤلاء وفي وظائفهم مع أن كل معانيهم وتفاسيرهم نقیض حاد شامل لكل معاني هؤلاء وتفاسيرهم بل هجاء بذی لها •

كما ان الافضل والاقل ضررا بل والواجب ان يسحب من الميدان ويسحب السلاح من يده بكل عاماته العسكرية ، ولو مع دفع الاجر له ، كل جندي لا بد ان يصنع أو قد يصنع الهزيمة والضعف والعار ويهشبه وشعبه وسلاحه وتعليمه ورتبه العسكرية أي حينما يكون مطلوبا ومفتشرا منه وواجبا عليه ان يصنع النصر والقوة والمجد لشعبه وجيشه وتعليمه وسلاحه ورتبه •

ان مثل هذا الجندي لو ترك في الميدان قادا أو مقاتلا لن يكون أكثر أضرارا بمجتمعه وقومه من غير المهوب الذي علم تعليما عاليا في ترك يعمل فيما علم وتعلم •

أنت مبصوق في رأسك ولست مؤمناً

« ٠٠ اتمنى لكل انسان ان يصبح حبا وصدقا وجمالا ونبوة وشعرا وفنا بلا ايمان او مذاهب او تعاليم ، وارفض له ان يصبح ايمانا ومذاهب وتعاليم بلا جمال ولا حب ولا صدق ولا نبوة ولا فن ولا شعر ٠٠ اتمنى لكل انسان ان يكون انسانا لا ايمانا ولا عقيدة ٠٠ اليست العقائد تزويرا وتشويهها للانسان وعدوانا على طهارته وبرائه وبكارته وصفائه وحبه ؟ اليست عدوانا على جميع تفاسيره وصيغه الانسانية ؟ اليست تعلمه كيف يعادي ويبغض ويحقد ويغيب ويذنب ويضل ويسفه ويقاتل ويقتل بل وتشرع له ذلك ؟ اليست العقائد اسلحة يبتكرها ويعددها ويشمخها ويحملها ويرفعها القادة والزعماء والمعلمون الماكرون الخبياء والجهلاء ليضربوا ويخدعوا ويذلوا ويخيفوا ويحاربوا ويحكموا ويشوهوا بها الانسان ؟ هل ابتكر هؤلاء الخبياء اسلحا مثل سلاح الايمان والاعتقاد والمذاهب والتعاليم لتهرب الانسان واذلاله ولافساد ذكائه وصميره وحبه وبرائه واخلاقه ولسوقه الى كل حماقاتهم وعداوتهم واكاذيبهم تحت اعلى الاناشيد نزقا ودويا وقبحا ؟ هل في عبقریات الشيطان ما يساوي عبقريته التي الهمت القادة والزعماء والمعلمين الماكرين بابتكار المذاهب والعقائد والتعاليم ؟ وهل ساعد الشيطان اصديقه ومساعديه بشي، مثلما ساعدتم بابتكاره لهم سلاح الايمان والتكتلات الدينية والمذهبية وغيرها وغيرها ؟ ٠٠٠ »

.. الانسان كائن لغوي . وكيونته اللغوية هي أشمل كينوناته الانسانية .. انها أشمل من كونه كائنا مفكرا أو متدينا أو أخلاقيا أو مذهبيا أو عاطفيا أو غير ذلك من مزايا الانسان أو من حصائصه التي هي ليست مزايا وان كان قد تفرد بها دون سواء . والتفرد ليس دائما مزية بل قد يكون نقیصة أو عذبا .. والانسان يرى تفرده مزية ولكن الیس ذلك یساوي أن یرى الوحش قدرته على الافتراس مزية على من دونه ؟

.. ان كل البشر لغويون حتى الذين لا يتصورون أن لرؤوسهم أو انه قد يكون لها اي معنى أكثر من المعنى الذي لرؤوس الكائنات الاخرى التي هي دون الانسان ، أو أكثر من ان تكون أي رؤوسهم قد وضعت فوق اجسامهم ليحملوا فوقها بعض احمالهم ، ولكي تزرع فيها عيونهم وأذانهم التي لا وظيفة لها غير أن تكون مباحق يلتقي فيها لقتقبل وترضى وتشكر وتستسلم مبهورة مصدقة مصلية هاتفة لفاشيها وأمريها وقاهريها وخادعيها ومستعبدیها ، دون أن ترى أو تسمع .. وكم هم الذين يرون أو يريدون أن يكون لرؤوسهم اي معنى أكثر من أن تكون حدودا لاجسامهم فقط ؟

والذين قالوا ، يعرفون الانسان ، إنه « حيوان ناطق » هم مصيبيون لو كانوا يعنون بكلمة « ناطق » انه كائن أو حيوان لغوي أو متكلم أو مصوت لا « مفكر » . وقد قيل انهم يعنون انه مفكر لا لغوي أو مصوت فقط .

وقد يقال اعتذارا ودفاعا عن هؤلاء المرفين للانسان بالحيوان المفكر انهم يعنون بذلك انه الكائن الذي قد يستطيع ان يكون مفكرا أو الذي يطلب منه ويفترض فيه ان يفكر ، أو الذي قد يتخلق فيه ومنه من يفكرون كالمصاة والخوارج والشذوذ بل كالالم فيه والتعذيب له !!

نعم ، كل من يفكرون هم عصاة وخوارج وشذوذ وتمرد وآلام في مجتمهم وله ..

ولا يعنون أي هؤلاء المعروفون للانسان ان النطق أي التفكير فيه ظاهرة شاملة أو غالبية مثل ظاهرة التصديق والتدين والانخداع والخوف والحب والكره والحق والصدق والمقوق والنذالة والعجز عن الرؤية والفهم والشهامة والصدق ..

لا يعنون إلا ان الانسان هو الحيوان العاجز عن التفكير الخائف منه المعاقب عليه المطالب بان يكون مفكرا .. ان الانسان في تفسيره أو تعريفه العام أو العلمي ليس هو فقط العاجز عن التفكير بل والخائف منه المعاقب عليه .

ولأن كينونة الانسان اللغوية كينونة شاملة بل لانها وحدها الكينونة الشاملة المطلقة اصبح محتوما ان يكون أي الانسان مؤمنا ومتدينا ومقتنعا ومحبا ومبغضا ومعاديا ومصادقا ومعجبا ومحتقرا بل ورائيا واجدا فاعلا محاربا مقاوما مسالما باللغة .. أي أنه باللغة يتعلم ويعلم كل ذلك ويوصله ويقتنع ويقنع به بل ويراه ويجده ويفعله ويعتقده بها أي باللغة . أن الانسان ليرى باللغة أكثر وأعمق وأقوى مما يرى بعينه .. أي ان اذن الانسان وفمه هما حاسة الرؤية فيه لا عيناه . ان عينيه تتعلمان الرؤية من أذنيه وفمه .

انه باللغة رأى الله ونبيه وبطله وزعيمه وقديسه ودينه ومذهبه ونظامه وتاريخه ووطنه ، واحبه واعجب به وصدقته ووجده جميلا وعبقريا وحقا ومتفوقا على كل نقيض ومخالف ومنافس ومعاد ، وقاتل وعادى معه ودفاعا عنه وباسمه .. أي انه فعل كل ذلك وأعلن اقتناعه والتزامه به لانه قد تعلمه وعلمه وصب فيه باللغة ، أي لانه كائن لغوي . لقد كانت اللغة هي كل الانابيب والانهار التي تصب في الانسان كل الهته وانبيائه واديانه واقتناعاته وعقائده بل وكل رؤاه ومرئياته ..

لو لم يكن الانسان كائنا لغويا فهل كان محتتملا أو مستطاعا ان يرى الهته أو انبيائه أو مذهبيه أو اديانه أو زعاماته أو أية عقيدة أو قداسة من معتقداته وقداساته أو أن يقتنع بها أو حتى يجدها أو يتصورها أو يفهمها ويفسرهما بكل هذه الضخامة والجمال والذكاء والتفوق والخلود ؟ هل كان محتتملا ان يحدث ذلك مهما كان ذكاؤه وصدقته ورغبته وقوة وديمومة ونفاذ تحديقه في الاشياء واختراقه لها ولحصونها واغطيته ؟ ان اللغة هي التي تنبع بمزايا المعتقد وبنقااصه ، بل هي التي تري وتخلق وتصوغ هذه المزايا والبنقااص . انها اي اللغة لا تعلم أو توصل أو توحى أو تسمع فقط بل انها ايضا تخلق وتصوغ وتري مزايا الاشياء أو نقائصها ، كذبها وصدقها . نعم ، أن اللغة هي اعظم وأشهر وأشمل اجهزة الاستفراغ وانابيب الصب لاستفراغ وصب الآلهة والانبياء والاديان والمذاهب والاحقاد والعداوات وجميع الوان

الاحوال والبذات والبلادات والاكاذيب والاحزان والاطفاء في رؤوس وقلوب وضمائر
واخلاق وعلاقات الناس . لهذا كان محتوما أن تجيء هذه المستفرغات والمصبوبات
مختلفة او متضادة لاختلاف او تضاد من يستفرغونها ويصبونها لا لاختلاف او تضاد
فيمن يستفرغ ويصب فيهم .

انت كائن لغوي ، اذن انت حتما مستفرغ وقاذف ملق في غيرك ، وغيرك مستفرغ
قاذف ملق فيك . . انت حتما مستفرغة فيك الآلهة والانبياء والتاريخ والاديان والمذاهب
ومستفرغها على غيرك لانك كائن لغوي .

هل تعرف ذلك ؟ هل انت راض عن نفسك او معجب بها لانك كذلك اي لانك
تستفرغ الآلهة والانبياء والملائكة والابالسة والاديان والمذاهب والنظريات والعداوات
والاحقاد والبغضاء وتقذفها في نفوس الآخرين لتكون لهم عقائد وضمائر وشعارات
ومواقف واخلاقا ليقاتلوا ويعادوا ويخاصموا ويفاخروا ويتحدوا ويلعنوا كل من عداهم
بها وباسمها ومن أجلها ، ولان الآخرين يستفرغون ويقذفون كل ذلك في نفسك ،
لأنهم يفعلون بك مثلما تفعل بهم ، اي لانك انت وهم تفعلون ذلك باللغة اي لانكم
كائنون لغويون ، اي لأن جميع معتقداتكم توضع فيكم وتصوغونها وتصاغ لكم
باللغة ، قذفا واستفراغا والقاء دون ان تستشاروا أو تختاروا أو تروا أو تجدوا أو
تفهموا أو تفكروا أو تتاوموا ، لكي تحسبوا وتحسبوا انفسكم مؤمنين اذكياء اتقياء
صادقين مخلصين عاشقين للحق والحقائق ، راثنين مدركين للبراهين المائلة عليكم كل
آفاق مطلقكم ورؤاكم الروحية والعقلية والانسانية .

نعم ، لكي تحسبوا انفسكم ويحسبكم غيركم مؤمنين بالاسلوب او المنطق الذي
يؤمن به المكان او الوعاء بقيمة وجمال ونظافة كل ما يلقي فيه وعليه ؟

هل فكرت يوما في انك لست الا وعاء يلقي فيه ؟ كيف لم تفكر ؟ انت حتما وعاء
لان الوعاء لا يفكر ، لهذا لا تفكر .

اجل ، انت ملقى فيك ، ملقاء فيك جميع اعتقاداتك المختلفة القيمة والنسب
والانتمساب . اذن انت « مؤمن » تستحق كل الثناء والمجد ، ترفعهما الى نفسك ،
ويرفعهما اليك كل ما في التاريخ والحياة والكون من ذكاء ورؤية ومنطق واريحية
والتزام بالصدق والاعتراف بالواجب وبالحب . .

كذلك المكان والاناء يلقي فيهما فيقتبلان ما يلقي فيهما مثلما تتقبل انت
المعتقدات التي تلقى فيك بل والاحوال النفسية والاخلاقية التي تلقى فيك . اذن لماذا
لا يكون المكان والوعاء « مؤمنين » مثل ايمانك بل اقوى من ايمانك لان قدرتهما على
استقبال وتقبل ما يلقي فيهما اعظم واتقى من قدرتك ؟

هل يستطيع الزعم بأنك قد حاسبت أو فهمت ما القي ويلقى فيك من المعتقدات والعفونات النفسية والاخلاقية أكثر أو اذكى مما حاسب وفهم المكان والوعاء ما القي ويلقى فيهما - أو الزعم بأن ما القي ويلقى فيك اذكى أو أنظف أو اشرف أو انفع مما القي ويلقى فيهما - أو الزعم بأن الملقين فيك اعظم فهما أو صدقا أو اخلاصا أو شهامة من الملقين فيهما ؟ اذن هل يستطيع اي شاهد عدل ان يشهد لك بأنك مؤمن ابها « المؤمن » ما لم يشهد للوعاء والمكان الملقى فيهما بانهما مؤمنان ايماننا اذكى واتقى وأنظف من ايمانك ؟

لعل كل الفرق أو اعظم الفرق بينك وبينهما هو الاختلاف في وسيلة الالتقاء فأنت قد القي فيك بواسطة اللغة ، ثم ذهبت تتحدث عن مزايا ما القي فيك لانك كائن لغوي . بل ذهبت تفاخر وتلاعن وتخاصم من القي فيهم غير ما القي فيك اي لاندك كائن لغوي لا لانك اكثر وعيا او رؤية او محاسبة لما القي فيك من وعي ورؤية ومحاسبة المكان والوعاء لما يلقي فيهما . اما هما اي المكان والوعاء فان الالتقاء فيهما يكون بوسائل اخرى غير اللغة . وهما ايضا لا يذهبان يتحدثان عن مزايا وتفوق وعبقرية ما بلقي فيهما ، كما لا يذهبان يلاعنان أو يكرهان أو يحقران أو يباهيان الاماكن والاعوية الاخرى التي القي ويلقى فيها غير ما القي ويلقى فيهما ، لانهما اي المكان والوعاء كائنات غير لغويين . اذن فتفوقك باللغة على المكان والوعاء قد تحول اليه نقيصه وذنب قد برى منهما المكان والوعاء .

هل تجرؤ ايها المؤمن على أن تباهي أو تمجد نفسك بأنك مؤمن أو لانك مؤمن بالاستفراغ عليك وفيك ان كنت قد وعيت هذا ؟

هل تسر أو ترى من مجدك أو تفوقك ان اصبحت كائنا لغويا حين تعني ان افتك قد تحولت ومحتوم ان تتحول الى جهاز استفراغ يستفرغ به عليك وفيك كل لصوصك وغه اذك وجهاك وخادعك الذين تدعوهم بأنبيائك وخلفائك ومعلميك ووعاظك وزعمائك - يستفرغون فيك وعليك كل بداواتهم وبذاءاتهم وبلاداتهم واحقادهم وبغضائهم وجميع رذائلهم النفسية والعقلية والتاريخية والاخلاقية والتأمرية التسلطية ، لكي يصبح كل ما يستفرغونه عليك وفيك هو كل امجادك الاعتقادية الايمانية ؟

نعم ، هل تقبل ان تكون الها أو نبيا أو زعيما مقدسا أو دينيا أو مذهبا أو اي معتقد لو علمت انك لست الا استفراغا لغويا ؟

ولكن كيف يمكن الا تعرف وتعني ذلك ؟ كيف يستطيع أو استطاع أحد ان يجهله ؟ انت ترى الايمان شيئا عظيما ، تراه كل الذكاء والخير وكل الرؤية والاخلاص

للحقيقة ، وترى انك انت مؤمن ، لهذا انت راض عن نفسك معجب بها ، تراها النموذج الذي يجب ان تصاغ عليه جميع النماذج ، ان تخضع له جميع النماذج .

ترى انك انت مؤمن دون ان تعرف او تسال : كيف عرفت انك مؤمن او ما هو الايمان .

وايضا انت ترى ان كل من لم يؤمن ايماناك فهو ملحد جاحد زنديق ، اعمى شرير خبيث فاسد كذاب . كل جسم الشمس داخل عينيه ولا يراها او تصعد به الوقاحة الى ان يزعم انه لا يراها . لهذا فان كل طاقات وقوانين واخلاق ونيات جميع الاشياء يجب ان تتحول الى اساليب وعضلات واجهزة تعذيب لكي توظف كل الالهة كل وقتها وحماسها لتعذيبها .

وبعد الاعتذار عن جرح كبريائك وعن الاساءة الى رضاك عن نفسك وعن احتمالات شكك لي مجد ايمانك نتقدم اليك باستحياء وتواضع وحذر شديد لنسال بل لنسال بغضب وانفجاء وتحد :

من هو « المؤمن » ؟ هل المؤمن هو المؤمن ام الملحد او من تزعمه وتراه ملحدا هو المؤمن ؟ وقد ننتظر ان يتحول هذا التساؤل الى صدمة لك ولكثيرين ممن قد يقرأونه او يسمعون . انه تساؤل لم يكن يعيش في ضمير أي مريض بالتساؤل .

انه ليس من الممكن او القبول معرفة من هو المؤمن ، هل هو من يحسب ويدعى مؤمنا ام هو من يحسب ويدعى ملحدا ، قبل ان يعرف ما هو الايمان . ان اغلب الناس او كلهم قد عرفوا المؤمن واعترفوا به مؤمنا ودعوه مؤمنا قبل ان يعرفوا ما هو الايمان بل ودون ان يتساءلوا هذا التساؤل أو يفكروا فيه . حتى المفكرون والمتوقرون والمحاسبون جدا لأنفسهم قد فعلوا ذلك دون ان يتخاصموا مع افكارهم او صدقهم او تقواهم . هل معرفة من هو المؤمن دون معرفة ما هو الايمان تعني التهوين من شأن القضية ام تعني الغباء ؟

ومهما كان الرأي او الحقيقة في تفسير الايمان فليس محتملا ان يكون أو أن يعد « ايمانا ، ايمان هؤلاء الذين يحسبون انفسهم ويحسبهم الآخرون « مؤمنين » . ليس احتمالا ان يكون ايمان هؤلاء المؤمنين بالآلهة والانبياء والخلفاء وبالتاريخ والاديان والآراء والنظريات والمذاهب المحفوظة المعبأة المخزونة الروية المطروحة المستفرغة باللغة .

اجل ، ليس احتمالا ان يكون ايمان هؤلاء ايمانا ، اي ليس احتمالا ان يكونوا أو ان يحسبوا مؤمنين مهما كان الاختلاف على تفسير الايمان الا اذا كان محتملا أو

مقبولا ان تحسب كل ورقة يكتب عليها وكل حفرة يلقي فيها مؤمنة لانها قد بقي فيها أو كتب عليها أي شيء دون ان تعارض أو تقاوم أو ترفض أو تحاسب أو تحاور أو تفهم أو تطلب الفهم أو تستطره أو تستطر أي شيء • وهل يجاور أو يحاسب أو يرفض أو يقاوم أو يشترط أو يفهم أو يطلب الفهم هؤلاء المؤمنون لما يلقي فيهم أكثر مما تفعل الحفرة لما يلقي فيها أو الورقة لما يكتب عليها ؟

وحتى « التلقين » فان ايمان هؤلاء أو ما يسمى ايمانهم لا يرتفع الى أن يكون « تلقينا » • انه اقل من ذلك ، فالاستفراغ أو الالتقاء أو القذف أو الوضع أو الخزن للشيء في المكان أو الاناء أو الحفرة أو الصندوق لا يمكن أن يكون أو يسمى تلقينا • فالتلقين لا بد أن يكون فيه شيء من المخاطبة أو المحاورة أو المعاملة أو حتى شيء من التشاور أو التفاهم أو الاستئذان والاختيار ••

وهؤلاء « المؤمنون » اي المزعومون مؤمنين لم يصعدوا في ايمانهم الى اي شيء من ذلك ، لم يخاطبوا أو يحاوروا أو يعاملوا أو يشاوروا أو يستأذنوا أو يخبروا أو يفهموا أو يتفاهم معهم حينما القيت أو وضعت أو استفرغت فيهم الالهة والانبياء والاديان والمذاهب وكل معتقداتهم الشاملة الراسخة ، ليكونوا مؤمنين أو ليزعموا ويحسبوا كذلك ••• ان الاستفراغ في الشيء أو عليه أو الاسقاط فيه لن يعد تلقينا • انه اقل مجدا واحتراما من التلقين •

اذن انت ايها « المؤمن » جدا اقل كينونة وقيمة ومعنى من اي ملقن ، لانك موضوع ومسقط فيك ولست ملقنا •• ان التلقين تعامل مع الانسان أو مع كائن اخر يلقن • وانت في ايمانك لست انسانا أو كائنا يلقن بل وعاء •

ان من أول واشمل معاني الايمان انه لا بد ان يكون ممارسة ذاتية بل مقاساة فكرية ونفسية واخلاقية وحوارية مع الذات ومع القضية ومع أوعيتها وظروفها ومنطقها واخلاقها ومع من يوهب الايمان به أو من يعاقب ويورط وبشوه ويلزم بالايمان به • انه اي الايمان محاسبة ذاتية بكل اجهزة الذات بكل القسوة والشمول لكل الاشياء والواجهات ، لكل ذواتها واخلاقها وتفاصيلها •

انه اي الايمان بدء من الذات لا من الذوات الاخرى ولا من التاريخ أو الكتب المحفوظة التي لا يمكن أو لا يقبل تبديلها أو محاكمتها أو محاورتها أو التصحيح لها أو التحديق في ضمير أو عقل أو نيات أو اخلاق أو عيون قائلها أو راويها أو كاتبها أو حافظها أو دفسرها • نعم ، ايها المؤمن جدا ، انت محرم عليك التحديق في ثياب

آلهتك وانبيائك أوفي ثياب من يفسرونهم لك ويعلمونك اخلاقهم وشهواتهم ويحدثونك عن جمال ثيابهم . . انه اي الايمان ولادة وليس تنبيا . انه حبل ولادة تصنفهما علاقات الذات بنفسها وبموضوعات ايمانها لا علاقاتها بأشخاص آخرين ! انه حبل ذاتي لا حبل زواج أو معاشرة . انه ليس تلقيا بالقذف من الخارج . انه اي الايمان بدء رحلة ورؤية وكيونة وموقف ، بدء من الفراغ ، فراغ الذات من كل موقف ورحلة ورؤية وكيونة سابقة معلمة أو مفروضة أو منزلة أو مستقرعة . . انه خلق من البدء اي بدء خلق .

انه اي الايمان هو التفريغ للذات من كل الذوات الاخرى ، من كل رؤاها ورواياتها وقراءاتها وتفسيرها ومن كل اشواقها ورهبوتها وذكرياتھا واطلالها المسكونة بكل جنسيات الاشباح الخارقة الكيونة والاخلاق ، لكي تبدأ اي الذات من الفراغ ، من البدء ، لتصنع وتصوغ رؤاها ورواياتها وقراءاتها وتفسيرها واشواقها ورهبوتها وذكرياتھا واطلالها ، بادئة من البدء اي من الفراغ ، اي بادئة الذات من الذات . اجل ، ان الايمان في أي تفسير من تفاسيره لن يكون الا بدء الذات من الذات بقيادة الذات . .

ان الايمان هو أن ترى القمر بعينيك لا بأذنك ، لا بأفواه الآخرين . . لا ان تراه بأذنك من أفواه الآخرين . وهل يوجد من يرون بأذانهم بواسطة أفواه الآخرين ؟ نعم ، ان كل الناس لذلك الا من يحسبون خوارج متمردين مرتدين .

ان المؤمن الذي يرى نفسه والذي يراه الآخرون ويحسبونه بكل حساباتهم مؤمنا هو الذي يرى القمر بأذنيه ، متخلقا وبازغا من أفواه المعلمين . . عل رايت القمر طالعا من أفواه المعلمين الدراويش الدجالين ؟ نعم ، لقد رأيته ان كنت مؤمنا هذا المزعوم ايماننا . ان هذا الايمان اي المحسوب والمزعوم عالميا وتاريخيا ايماننا ليس رؤية حتى ولا بعيون الآخرين لان الآخرين الذين استقرغوا هذا الايمان في نفوس من بعدهم لم يروا بعيونهم . لقد راوا بحواس أو بأدوات أو بوسائل أخرى ليست العيون منها حتما . استيقظ أيها المؤمن انك لم تر جمال الهك أو ذاته بعينيك ولا بعيون معلميك اذ ليست لهم عيون ترى ، بل رأيته اي الهك وجماله بأذنك . .

واين هي الرؤية بالعيون ؟ هل وجدت أو يمكن ان توجد في أي مكان أو عصر هذه الرؤية ؟ هل وجد من يرون بعيونهم أو يرون بها فقط ؟

انه اذا وجد أو لو وجد من يرون بعيونهم لكانت رؤيتهم بعيونهم هي اقل واضعف واخفت واعمى رؤاهم . انه لا يوجد عمى مثل عمى رؤية العيون . . انه لا يوجد مصاب بكل تفاسير العمى مثل العيون البصرة اي البصرة حسيا .

ان العيون اذا رأت أو لو رأت فلن ترى الا مأمورة محكومة خاضعة لطفيان
 طفاة كثيرين شرسين هم ضد العيون الرائية وضد الرؤية وناقون مقاتلون فاقنون لها
 بل مفسدون مضللون لها ، يحولونها الى نقيض معناها ٠٠٠ هل وجدت او يمكن ان
 توجد عين واحدة مبصرة ليست معتدى عليها ومأمورة مهزومة مضللة ؟
 انك لن تستطيع ان تحب الا بقلبك او ترى الا بعينيك او تسمع الا باذنيك ، او
 تشتهي وتمارس شهواتك الا بأعضائك وجسدك ، أو تضرب وتحطم الا بعضلاتك ،
 كذلك لن تستطيع ان تؤمن الا بفكرك واخلالك ومحاسباتك ومحاوراتك وتحقيقاتك
 ٠٠ الا بتفجر وتزاحم الاشواق الفنية الشاعرية الانسانية في نفسك ومن نفسك الى
 نفسك ٠٠

اي انك لن تصبح مؤمنا الا بذلك مهما حسبت او حسبت نفسك مؤمنا ٠٠
 انك اذا آمنت آمنت باية وسيلة او حيلة اخرى فلمت مؤمنا ولكنك مستقرغ
 عليك وفيك ٠٠ انك حينئذ لست مؤمنا حتى ولو صبت فيك أو كتبت وصورت
 ونقشت على جلدك كل الكتب المقدسة المنزلة والتعليم المعلمة ، وكل اللوهيات
 والنبوات والقداسات وكل المنابر والمحاريب وكل أوصاف وفصاحات التهاويل عن
 أهوال الجحيم وكل الوعود الخرافية البلهاء المدة المنتظرة لك في جنات النعيم
 التي زخرفتها آياتنا واساطيرنا واقنعتنا بها مجاعاتنا وخيالاتنا البدوية المصابة
 بالقطط الابدي ٠٠ هل يستطيع اي شيء ان يتحول الى فضح وهجاء مثل موهبة
 الخيال والتصور والشعر والتاميل فينا ؟

انه اي الايمان هو أن تقيم اقوى واذكى الحراسات على حدود ذاتك وعلى
 اذنيك ، فلا تترك اي اله أو نبي أو قديس أو زعيم أو مذهب أو دين أو رأي أو
 صوت يمر ليستقر في عقلك أو ضميرك أو تقواك أو حبك أو تصديقك أو احترامك
 أو اخلاقك أو أية معاملة من معاملتك الا بعد أن تقفه طويلا عند حدود ذاتك وأذنيك
 لتحاسبه بكل اجهزتك الذاتية اطول واشمل واقسى وابرع المحاسبات ٠٠ اقصى
 واطول وابرع واشمل مما تحاسب كل اجهزة الكون اي متهم كوني بكل ذنوب
 وعاهات وبلادات كل الكائنات والاشياء ٠٠

ولكن هل يوجد مباح لكل اللصوص والاعداء والمتسللين ولكل اللوان وجنسيات
 المهاجمين دون اية حراسة أو نية حراسة أو مطالبة باية حراسة مثل حدود اذنيك
 وحدود ذاتك الانسانية اي الادبية المعنوية اي ذاتك الفكرية الاقتناعية الفنية
 الاخلاقية الانتمائية النفسية ؟ هل شكوت أو بكيت ذات مرة لان اذنيك وذاتك هذه
 بلا اية حراسة ؟ هل طالبت ولو مرة بهذه الحراسة ؟

ان ذات الانسان اي الادبية المعنوية هي في كل الاوقات والمجتمعات اشهر واشهر واكبر واغلى هدف لكل اللصوص والغزاة والمتسللين والاعداء المزعومين المحسوبين آلهة وانبياء ودعاة وقادة وزعماء ومعلمين ، دون ان يواجهوا بأية حراسة او حدود او مقاومة ..

واعني دائما بالحراسة والمقاومة هنا حراسة الذات لنفسها ومقاومتها هي دفاعا عن نفسها ..

انه اي الايمان لن يكون ايمانا ما لم يتعامل ويتفاهم مع اقوى وانكى الحراسات على كل حدود الذات ، وما لم يستأذن هذه الحراسات فتأذن له بالدخول الى الذات ليخطو اليها خائفا مترددا متواضعا مؤدبا مستحييا مقاسيا لكل مشاعر الغربة والحر ، بعد ان تحاكمه اي اجهزة الحراسات الذاتية بكل القسوة والجرأة والصدق والحزم . ان كل الحراسات المطلوبة هنا والتي الحديث عنها يجب ان تكون جميعا من الذات ضد كل من يريدون الاقتحام لها أو التعامل والتخاطب معها .. انه لا شيء اغلى من ذات الانسان الادبية ولكن هل وجد مثل هذه الذات متروكا مباحا لكل المهاجمين بلا اية حراسة منها عليها ؟

اجل . ان انبل الحراسات واتقاه وواجبها هي الحراسات التي تقيمها الذات على كل حدودها لتحقيق وتجاوز بكل القسوة والصدق مع كل الآلهة والانبياء والدعاة والقادة والمعلمين الذين يريدون الدخول اليها والسكن فيها ، لكي تقراهم وتقهمهم وتراهم بكل التحديق والتعرية والارهاب لهم قبل ان تقبل التعامل معهم أو التفكير في الاذن لهم بالدخول اليها ..

انه ليجب الا تكون هناك اية محاسبات امام اية حدود اقصى أو اذكى من المحاسبات التي يجب ان تحاسب بها الآلهة والانبياء والاديان والزعامات والقيادات وكل المعتقدات والمقننات امام حدود الذات ...

ان هؤلاء ليجب ان يحاسبوا ويفتشوا ويقرأوا ويوقفوا بكل نيات ومنطق ومشاعر الاتهام والتوجس والريب قبل ان تفتح لهم الذات أي باب أو نافذة من ابوابها ونه افذها اقصى واطول مما يجب ان يحاسب ويفتش ويقرأ ويوقف اي متهم بل اخطر متهم محكوم عليه عالميا بل وكونيا بالادمان على العدوان والتزوير والتضليل لكل العالم وعلى كل العالم ...

وهل عومل بكل التسامح والغفران بكل أساليب وتفسيرات ونيات الحب والايمان والتمجيد والاستسلام ، متهمون بابشع واضخم وأشمل التهم بل فاعلون

لها ، مثلاً عومل بكل ذلك الآلهة والانبياء والزعماء والقادة والاديان وكل ألوان
المعتقدات والمأثورات والمرويات المطروحة في كل الاسواق المفتوحة المباحة لكل
اللصوص والغزاة ولكل الفجار والكذبة والجهال الاغبياء ؟ هل وجد اعداء مغفور
لهم بل مشكورون معبودون مثل هؤلاء ؟
أجل ، أليس أخطر وأردأ وأوقع وأقبح اللصوص والمتسللين الى الذات الانسانية
يسرقوا منها ويفسدوا ويشوهوا فيها كل ذكائها وكبريائها وصفائها وشرفها وحبها
وصدقها وشجاعته بل وكل رؤيتها وحسها وحسها هم الآلهة والانبياء والقادة وكل
ألوان وأفواج المعلمين ؟

**

اذن هل ينبغي أن توجد قسوة في المحاسبة أو في الحراسة مثل القسوة
التي يجب أن تكون في محاسبة هؤلاء وفي الحراسة التي يجب أن توضع لاتقائهم ،
لاتقاء تسللهم الى الذات الانسانية مبصوتين وباصقين من الافواه التي لا تستطيع
ولا تعرف ولا تريد أن تكون صادقة أو ذكية أو نظيفة أو مهذبة أو محبة ؟
نعم ، هل الآلهة والانبياء وكل أنواع المعلمين والمذهبيين تحت كل ازيائهم
الا أفواه باصقة أو أفواه مبصوقة ؟

اذن لقد كانت غلطة أو أكذوبة أو بلادة أو خدعة عالمية ضخمة اعني بذلك حسابان
وزعم من تلقى فيهم الآلهة والانبياء والاديان والمذاهب وكل ألوان التعاليم الموروثة
المحفوظة ألقاء « مؤمنين » .. ولا يزال العالم يتعامل بهذه الغلطة أو الاكذوبة أو
البلادة أو الخدعة - يتعامل بها اقتناعاً أو تغافياً أو غيبوبة أو لغة فقط ، أو لا يزال
ساکتاً على من يتعاملون بها وعندهم ، غافراً لهم تعاملهم هذا أو مشغولاً عنها وعندهم .

**

والان .. اذا لم يكن من يحسبون « مؤمنين » مؤمنين بأي تفسير من تفاسير
الايمان ، وكان الايمان شيئاً محتوماً أو مفروضاً أو مطلوباً أو نافعا ، أي وكان مستحيلاً
أن يكون الانسان دون أن يكون الايمان بقدر ما هو مستحيل أن يكون الانسان ثم
لا يكون التفكير والنقد والقبول والرفض والغضب والاحتجاج والاعجاب والاشمئزاز
والحب والبغض والشعر والغناء والموسيقى والفرح والبكاء والغباء والنذالة والوقاحة
- نعم ، اذا كان ذلك كذلك فمن هم اذن المؤمنون الذين لا بد أن يكونهم الانسان
أو الذين لا بد أن يكونوا بعض الانسان أو ظاهرة أو شيئاً في الانسان أو مجداً
وقوة له أو اعتذار عن بلاداته وهوانه .. عن كونه في كل تاريخه أشهر وأرخص

واوسع وعاء في الكون لاستقبال بصاق واستفراغ كل الباصقين والمستفرغين عليه وفيه ، أي باصقي ومستفرغي الآلهة والانبياء والاديان وجميع ألوان المذاهب والتعاليم ، أي باصقي ومستفرغي الاكاذيب والادعائات والتهاويل الرهيبة الكثيبة المذلة المحقرة المشوهة لكل ما يزعم للانسان من ذكاء وكبرياء وحصانة منطقية وأخلاقية ونفسية ودينية ومذهبية ؟

إذا لم يكن المؤمنون مؤمنين أو هم المؤمنون فمن هم اذن المؤمنون ان كان محتوما أن يوجد مؤمنون ؟

بلا فتوق في الذكاء أو الشجاعة وبلا ادعاء شيء من ذلك لا بد أن يقال أن الملحدّين ، أي من يزعمون ويحسبون ملحدّين ، هم هؤلاء المؤمنون بكل تفاسير الايمان وشروطه وصيغه .

« الملحدون هم المؤمنون » انها قضية لا يستطيع أي منطق تخلق عن منطق أو تخلق بأساليب منطقية ، أن ينكرها أو حتى يشك فيها ...

اذن فان كل المجد والنجاة والحب للملحدّين أن كان الايمان هو الطريق الى المجد والنجاة والحب اعني الملحدّين الذين فعلوا الحادهم لا الذين لقتوه أو بصق فيهم . . . ان « الايمان » فعل والمؤمن فاعل أي فاعل للايمان وليس مفعولا به الايمان أو مستفرغا فيه وعليه ، أي هكذا يجب أن يفهم ويفسر .

ان فعل « آمن » مثل أفعال أحسن وأتقن ورأى وسمع وأحب ونطق ومشى وكذب وقتل وسرق ونافق . أي ان هذه الافعال أو الكلمات تعني أن من أسندت اليه قد فعل الشيء وأوجده ولا تعني أنه قد فعل أو صب أو ألقي فيه الشيء . اذن فالمؤمن هو فاعل ايمانه . أنه لن يكون مؤمنا الا اذا كان هو الفاعل لايمانه كما أن السارق أو القاتل أو المحب أو المعجب أو الكاره أو الرائي أو السامع أو المغني أو المصلي هو الذي يفعل فعله وتفسيره وأوصافه بذاته ، بأعضائه وأحاسيسه وممارساته ، وليس هو الذي يفعل به أو فيه ذلك . ليس الحزين أو العاشق هو الذي تصوغ ذاته ومشاعره وطاقاته وظروفه ومجاعاته ورؤاه أحزانه أو عشقه ، وليس هو الذي يسقط فيه الحزن أو العشق ، أو الذي يعلم الحزن أو العشق أو يؤمر به أو ينزل عليه في كتب مقدسة محفوظة ، أو الذي يحزن ويعشق له الآخرون ، كما أن القارئ والرائي والسامع والكاتب هو الذي يرى ويقرا ويسمع ويكتب بعينه وافيده ، وليس هو الذي يقرأ ويرى ويسمع ويكتب له الآخرون ، ولا هو الذي يفعل ذلك بعيون وآذان وأيدي الآخرين ؟ هل يمكن أن يرى أو يسمع انسان بالتعليم ؟ ولو رأى أو سمع بالتعليم فهل يمكن أن يكون أو يحسب رائيا أو سامعا ؟

اجل ، أنه لن يكون مؤمنا إلا من صنع هو إيمانه لا من صب أو استفرغ فيه إيمانه أو صنع له أو أوحى إليه أو علمه أو امر به أو روي له أو ورثه أو وصل إليه تقليدا واستمرارا .

واللحد اعني به غير المقلد قد فعل الحاده أي إيمانه ، فعله برؤيته وتفكيره ومحاكماته ومحاسناته وباشتراطاته الحادة على عقله وأخلاقه ونماذجيه المختلفة .

• باشتراطاتها عليه • ولا بد من الاعتراف بأنه ليس كل ملحد ملحدا .
ان كثير من الملحدين ليسوا ملحدين وإنما صب فيهم الاحاد صبا ، لهذا فهم ليسوا مؤمنين .

ان الملحد انسان قد خرج من كل أكواخ وخيام وعباءات آباءه وأنبيائه وتاريخه لانه لم يجد في هذه الاكواخ والخيام والعباءات الجمال أو الفن أو المنطق أو الراحة أو الابداع أو الشروط التي يفهمها ويشترطها ويطلب بها . • لقد وجدها خروجا على كل نماذجيه ورؤاه وأخلاقه ، على كل اشتراطاته الفنية والعقلية والجمالية .

انه انسان قد هاجر من عيون وعقول وقلوب وضمائر وأخلاق وسطور ومحاريب مجتمعه وتاريخه وصحرائه الى عينييه هو والى عقله وقلبه وضميره وأخلاقه ووجوده وحياته والى جميع اشتراطاته الخاصة المتعددة .

لقد ألقى بين يديه بكل ما استفرغ وبصق في رأسه وهجم عليه يراه ويقرؤه ويفسره ويحاسبه ويحاكمه ويحاوره ، بكل الشراسة والجرأة والحماس والصق ، بعينييه وفكره وشروطه وتجاربه وأخلاقه وبكل أمانيه وأشواقه ولهفاته .
لقد ألقى أمامه على الأرض بكل البصاق والاستفراغ الذي صب في رأسه دون أن يفهم أو يريد أو يرفض ودون أن يكون خصما أو عدوا لمن بصقوا أو استفروا عليه وفيه .

لقد اقتحم رأسه ، متخطيا متحديا هازما لكل أنواع الحراسات والحصون المقامة حوله والمضروبة عليه ليخضع كل ما ألقى وتجمع فيه لأقصى عمليات التفتيش والاختبار ، ليرى ويعرف ويقتنع ويختار فيؤمن ، يؤمن بما رأى وعرف واقتنع وأختار .
• ليس أنبل الاقتحامات هو اقتحام المرء لرأسه لمحاوره ومحاسبه ما ألقى وتجمع فيه ؟ وهل يكون انسانا من لم يقتحم رأسه لتطهيره من الجثث الملوثة له ؟
اذن فمن يزعم ويحسب ملحدا ليس الا انسانا قد رفض ان يكون أو ان يظل مبصوقا مستفراغا في رأسه ليكون رائيا عارفا مختارا مقتنعا مؤمنا .

لقد تخطى طور من يبصق ويستفرغ فيه الى طور من يؤمن ، الى طور من يفعل رافضا طور من يفعل به ، رافضا أن يظل رأسه مقبرة تاريخية للمفونات المبصوقة .

لقد رفض أن يظل شيئاً يستقبل الأشياء ملقاة فيه كما تلقى فيه ليصبح
انساناً يستقبل الأشياء بالرؤية والفهم والاختبار والاختيار والافتناع ثم بالايمان
المفهوم منطقته واسبابه ، ثم بالايمان الراض التقبل . وهل يكون الايمان الا
رفضاً وتقبلاً ؟ ان الايمان مؤلف دائماً من شيئين : الرفض والتقبل أي الذاتيين
المفعولين المفهومين المختارين ذاتياً لا المستفرغين المبصوقين .

ان من يؤمن دائماً ومقط لن يكون مؤمناً وكذلك من يرفض دائماً ومقط . ان الذين
يؤمنون بشيء ما دائماً في كل اطوار ومراحل حياتهم بدرجة واحدة وافتناع واحد
من قوة الايمان ، واصفين ورائين لما او لن آمنوا به رؤية وأوصافاً واحدة لا تتغير
ان هؤلاء لن يكونوا مؤمنين .

ان الايمان لا بد ان يكون متحركاً قوة وضعفاً ، صعوداً وهبوطاً ، ولا بد ان
يكون مرتجفاً رضا وغيظاً ، فرحاً وخوفاً ، تقبلاً ورفضاً ، إعجاباً واشمئزازاً ،
رؤية للجمال ورؤية للدمامة ، والا فلن يكون ايماًناً . ان الذي يرى آلهه أو معلمه أو
دينه أو مذهبه في صورة واحدة دائمة ثابتة من الجمال أو القوة أو الذكاء أو النظافة
لن يكون مؤمناً .

ان الآله أو النبي أو المعلم أو الدين أو المذهب الذي تراه دائماً رؤية واحدة في
افتناعها وجمالها وإعجابها وقوتها وثباتها ، لن يكون أي هذا الآله أو النبي أو المعلم
أو الدين أو المذهب الا حجراً وانك أنت أيها المؤمن الرائي لن تكون لك تفاسير
أو عيون أو ايمن أكثر أو افضل أو اذكى مما للحجر من ذلك . .

ان الايمان ليس الا تعاملات وتحاوراً مع ما نؤمن به ، تحاوراً وتعاملاً بالرؤية
والفكر والقلب والضمير والاخلاق والشروط القاسية الملتزمة . وأي آله أو نبي
أو قائد أو دين أو مذهب يحكم عليه بهذا الايمان به اليس محتوماً ألا تكون احتمالات
نجاته من الرعب والضياح والتمزق والتشوه واحتمالات بقاءه في مكانه وذاته وصورته
الدائمة افضل من احتمالات ان ينجو من كل ذلك من يوضع تحت اعصار هائل دائم
أو فوق مركز زلزال هائل دائم النشاط والعمل ؟

انه لا شيء يستحق أفسى المحاسبة والمساءلة الشاملة الدائمة الحازمة مثل الآله
أو الدين أو المذهب الذي نؤمن به أو نريد ان نؤمن به أو نجد أننا قد آمنّا به
مستقرغاً مبصوقاً في رؤوسنا . . اذن هل يمكن تصور ما يستحق كل الرثاء
والاشفاق مثل ما نؤمن به أو من نؤمن به حين يكون ايماًناً ايمان محاورة ومساءلة
ومحاسبة وتحديق شجاع صادق ؟ ولكن كم هي محظوظة اللوهيات والنسبوات
والزعامات والمعتقدات لان الناس لا يؤمنون بها هذا الايمان . .

أنه أي من يحسب ويدعى ملحدا ليس ألا أنسانا رفض منطقته وضميره وصدقته وشجاعته وكرامته وأخلاقه وشرفه الانساني أن تكون آلهته أو انبيأؤه أو عقائده أو مذاهبه أو انتماءاته جثثا تاريخية تلقى القاء ، أو أن يكون رأسه مقبرة للجثث المكفنة بكل العفونات والعاهات والجرائم التي حبل بها وحملها كل جسد التاريخ المصاب بكل الاوبئة والآفات والنشوهات المعروفة وغير المعروفة ..

وهل كان رجالنا التاريخيون الخالدون العظام الذين جاءوا ليعلمونا الايمان بهم وباربائهم وأشباههم واديانهم وكتبهم المقدسة وبمذاهبهم بكل تعاليمهم .

هل كانوا جميعا الا ناقلين الينا كل ما كان في جسد التاريخ من قبح وتلوث وعجز ووباء وأخطاء ؟ بل هل كانت لهم قضية أو رسالة أو نفع أو تفسير غير ذلك ؟ لقد كانوا أقوى الاجهزة وأغلاها ثمنا لتوصيل أردا الاشياء الينا ..

تذكر ايها المؤمن . أن نبيك أو معلمك أو دينك أو مذهبك ليس ألا ناقل عدوى تاريخية شاملة اليك . تنبه ايها المؤمن !!

**

اذن لقد فصل في قضية الايمان وجاء الحكم فيها أن من يحسب ويدعى ملحدا هو المؤمن ، أما من يحسب ويدعى «مؤمنا» فليس الا مبصوقا في رأسه . وهنا وبتكرار لا بد من القول بأنه ليس كل الملحدين ملحدين بهذه التفسير بل الكثيرون ممن يحسبون ملحدين ليسوا الا مبصوقا في رؤوسهم مثل من يحسبون مؤمنين ..

ولكن ما الرأي أو الحكم في قضية الاخلاق بعد قضية الايمان ؟ ايها ، أي من يحسب مؤمنا ومن يحسب ملحدا ، أقوى وأذكى حسا واشترطا أخلاقيا ورؤية واشواقا أخلاقية ؟

ايهما ينتظر منه ويفترض فيه أن يكون أتقى وأقوى أخلاقا وأقدر على أن يكون كذلك وأبعد عن المنطق وعن التوافق مع الذات اذا لم يكن كذلك ؟

أنه لمن الصعب أو المستحيل أن يوجد من يتقبل أو يتحمل حتى الاستماع الى هذا التساؤل ، اذ لم يوجد من يتعلم ويعلم ويقتنع بأن الايمان أي المزعوم ايمانا هو المتكرر والواهب والمعلم والمؤكد لكل الاخلاق ، وأن الالحاد أي الخروج على هذا الايمان المبصوق هو الخروج الشامل البذيء على جميع الاخلاق ، على جميع القيم الانسانية العظيمة ..

ولكن لو حوسبت هذه القضية ووضعت تحت التفكير من جديد فماذا يمكن أن تكون الرؤية والرأي لها وفيها ؟

أريد أن أحكم هنا قبل أن أذكر الأسباب والأدلة فأقول إن الاحاد أي ما يحسب ويزعّم الحادا ليس إلا رؤية وموقفا أخلاقيين أو لا بد من افتراضه وتفسيره كذلك . أما الايمان أي البصق في الرؤوس المزعوم أيما فلن يكون إلا عجزا عن كل الرؤى والمحاسبات والاشتراطات الاخلاقية ، لن يكون إلا نقدا لكل الحس الاخلاقي ، أو لن يفسر أو يفترض أو يفهم إلا بأنه كذلك .

إن من يدعى ملحدا قد قرأ وحاكم وحاسب وفسر هذا الكون الذي هو كل عبقرية الآله وفنه وحبه وضميره وأخلاقه وقدرته . فوجدته فضيحة أخلاقية لا تنافسها أو تشبهها أية فضيحة أخرى واقعة أو متصورة . وهو أي المزعوم ملحدا يفرض على كل الأشياء حتى على الآلهة ويفترض فيها أقسى الشروط والنماذج الاخلاقية لأن في داخله حسا واشتراطا أخلاقيين . . . والإنسان أي أنسان لا يمكن أن يرى الأشياء أو يحاسبها خارجا عن كل ذاته .

لهذا أصرخ قائلا : كلا ، أيها الكون السخيف الاليم الوقح ، أنت لست عطية آله ، وليس فوقك أو حولك أو معك أو فيك أي آله لأن الآله لا بد أن يكون أخلاقا . أني لن أتصوره أو أفهمه أو أقبله أو أفسره إلا كذلك .

أنك إذن أيها الكون القبيح لنفي حاسم شامل قاسي لكل احتمالات أي آله . إن أي آله بل إن أي كائن مهما كان هبوطه وضعفه لن يقبل أن يكون عقله أو موهبته أو خلقه أو فنه أو شاعريته أو حتى عبثه أو لعبه أو مسلاته . . .

أنني لا أملك الوقاحة الاخلاقية التي تجعلني أجد في هذا الكون أي تفسير أخلاقي أو أية صيغة أخلاقية أو تجعلني أتصور أو أتقبل الآله خارجا على كل التفاسير والصيغ والمستويات الاخلاقية . . .

أنني لا أستطيع الهبوط الى هذا للحضيض في اخلاقي أو تصوراتي أو تفكيري أو في تفسير من تفاسيري .

أما المؤمن أي المحسوب مؤمنا لأنه قد بصق في رأسه فلا بد من تفسيره فأحد هذه التفاسير الثلاثة : أما أنه قد وجد كل ما في الكون قمة أخلاقية أو أنه وحده خروجا على كل التفاسير والقيم الاخلاقية ولكنه لا يشترط أو يفترض في الآله أو له أية شروط أخلاقية من أي نوع ولا بأي قدر ، أو أنه لا يرى الأشياء أو يقرؤها أو يحاسبها قراءة أو رؤية أو محاسبة أخلاقية لأنه هو فاقد لكل الاحاسيس والتطلعات والاشتراطات والاشواق الاخلاقية . إذن كيف يكون

الشيء أو يندزم بالشيء أو يخاطر ويقاسي ليكون الشيء الذي لا يحسه أو يشترطه أو ينتطاع ويشتاق إليه ؟ كيف يمكن أن يحدث هذا أو ينتظر ؟

الذي لا يشترط أو يفترض في الكون أو في أي شيء بل أو في الآله بل أو ينتظر منه أو يطالبه أن يكون اخلاقيا ، وكذلك الذي لا يرى أو يقرأ أي شيء رؤية أو قراءة أخلاقية لأنه هو فاقده كل الاحاسيس والاشواق والتمنيات الاخلاقية - مثل هذا الانسان كيف ينتظر منه أن يكون اخلاقيا ؟

نعم ، انسان يرى الكون كله قمة أخلاقية في جميع صيغه وتفاسيره كيف يمكن أن يكون هبوط وفساد وعيه وتفاسيره وتصوراته للاخلاق ، أو يرى كمال الآله ومجده وحبه ومسرته وشهوته في أن يكون بلا أي قدر من الاخلاق كيف يمكن أن يتصور أو يعتقد أنه هو ملزم بأي قدر أو أسلوب من الاخلاق أي بأن يكون هو ملزما بكمال لا يلتزم به الآله بل ولا يفترض فيه أو يراد منه ؟

كيف ينتظر ممن يرى الآله خروجاً شاملاً على كل الاخلاق ، بل ممن يرى أن كل كمال الآله ومجده وعظمته وحبه وفنه وبراهين وجوده ومسوغات الايمان به والعبادة له في أن يكون خروجاً شاملاً على الاخلاق كلها .

نعم ، كيف ينتظر ممن يرى ذلك أن يكون هو أخلاقيا أو الا يكون عدواً للاخلاق أو أن يكون محكوماً بأي احساس اخلاقي أو رؤية اخلاقية ؟

كيف حدث أو يمكن أن يحدث هذا ؟ هل فقد كل الناس كل المنطق ، في هذه القضية بل وفي قضايا أخرى بل في جميع القضايا ؟

كيف أمكن أن يخطئ أي منطق في هذا أو في أي شيء منه ؟

كيف أمكن أن يخطئ في أن هذا الكون خروج شامل وقبح على كل الاخلاق ، أو في أن مرید هذا الكون وصانعه وحاكمه خارج بكل الوقاحة والوحشية على جميع التفاسير الاخلاقية ، أو في أن من يرى فيه أي في الكون أية صيغة اخلاقية لا بد أن يكون فاقداً لكل احساس اخلاقي ولكل رؤية اخلاقية ، وكذلك من يرى أنه من المقبول أو المغفور أو المحتمل أن يكون الآله بلا أية اخلاق ، أو في أن من يرى هذه الرؤية للكون والآله ويفقد كل الاحاسيس والرؤى الاخلاقية لن ينتظر منه أن يكون اخلاقيا بأية صيغة أو تفسير ؟

كيف أمكن أن يخطئ في أي شيء من هذا أي انسان مهما كان فاقداً للرؤية والمحاسبة؟ أن افترض الكون اخلاقيا مستحيل ، وكذا مستحيل افتراضه غير اخلاقي مع افتراض صانعه وحاكمه الآله اخلاقيا ، وكذا افتراضه أي الآله غير اخلاقي وغير

مطالب بأن يكون اخلاقيا ، وكذا مستحيل أن يكون ذا حس اخلاقي أو رؤية أخلاقية من يرى للكون اخلاقيا أو يراه غير اخلاقي مع رؤيته للآله اخلاقيا ، أو يراه أي يرى الآله معنى من أن يكون اخلاقيا ومغفورا له ألا يكون ذلك بل ويرى كل عبثيته ومجده في ألا يكون ذلك ..

كذا مستحيل أن يكون اخلاقيا من فقد كل الرؤية والحس الاخلاقيين ..
اذن مستحيل أن يكون المؤمن اخلاقيا أعني المؤمن باخلاقية الكون أو بخروجه على الاخلاقية مع اخلاقية الآله أو باعفاء الآله من أن يكون اخلاقيا . أي أعني المؤمن بقفاسير الانبياء والاديان للمؤمن والايمان . أن هذا المؤمن لن يستطيع أن يكون اخلاقيا الا اذا كان خارجا على أيمانه هذا . أن سلوكه الاخلاقي اتهام وتجهيل لإيمانه ..

نعم ، كل هذا مستحيل أن يكون فيه شيء من الصدق أو الذكاء أو المنطق أو الصواب أو الرؤية أو المحاسبة ..

انها لقمة البلادة والعمى ان ترى الكون اخلاقيا أو أن تراه غير اخلاقي ثم ترى الآله اخلاقيا ، أو أن ترى الآله غير اخلاقي ثم ترى أنك أنت تستطيع أن تكون اخلاقيا أو أن عليك أو أن من الافضل والاكرم والاجدر بك ولك أن تكون اخلاقيا . وانها لقمة الزندقة والهجاء للآله أن ترى اخلاقيته في أن يكون غير اخلاقي ، أو أن ترى أن عليك أن تكون أنبل اخلاقا من الآله ..

نعم ، أنه لا قسى سباب لمك أو لآلهك أو لكما معا أن يكون أي آلهك غير اخلاقي ثم تكون أنت اخلاقيا أو ترى أن عليك أن تكون كذلك . وأنه لا قسى سباب لذكائك ولاخلاقك أن ترى الكون أو الآله اخلاقيا . انها لورطة لن يستطيع المؤمن الخروج منها الا بأن يفقد كل الرؤية والذكاء والصدق والحس والمحاسبة لأي شيء ..

اليس المفروض عليك والانتقى لك أن تخرج على كل الاخلاق بل أن تعادي وتقاوم كل الاخلاق أن كان الهك بلا أية اخلاق أو أن كنت تراه كذلك لثلاث تكون أو ترى نفسك أفضل أو اتقى منه ؟ نعم ، اليس أيمانك يفرض عليك ألا تكون أتقى لو أنبل من آلهك ؟ ثم اليس هذا يعني الا يوجد مثلك احتياجا الى معاداة الاخلاق والى الخروج عليها ؟

نعم ، أنه يجب عليك أن تعتقد أن الآله لن يعادي أحدا أو شيئا مثلما يعاديك أو مثلما يجب أن يعاديك حين تحسب أن عليك أن تلتزم وتفعل من جيد الاخلاق ما

لا يلتزم أو يفعل هو أو أن تجتنب وترفض من شيء الاخلاق ما لا يرفض أو يجتنب هو . أنك لن تستطيع أن تنجو من هذا وهذا : من أن ترى الكون قمة المجد الاخلاقي أو أن ترى الآله قمة الفجور الاخلاقي .

ولكن هل تستطيع أن ترى شيئاً من هاتين الرؤيتين ؟

كيف ترى أنه خروج على كل الاخلاق والتقوى والرحمة والنبيل أن تؤذي أو تحقر أو تشوه أو تعرض أو تقتل أو تعذب أو تخيف أو تجيع أي كائن ، أي كائن بريء أو أن تكون مستطيعاً لانتفاذه ثم لا تنفذه ، وترى أنك فاجر ونذل ووحش لئيم لو أنك فعلت ذلك أو شيئاً منه ، أو لو أنك لم تفعل هذا الانتفاذ وأنت تستطيعه - ثم ترى ان الآله هو كل الاخلاق والحب والنبيل والرحمة مع أنه أو لانه يفعل كل هذه القباحات والجرائم ولا يفعل هذا الانتفاذ الذي يستطيع أن يفعله بلا أية مقاساة أو خطأ أو زمل أو تخطيط بل بالمشيئة والكلمة السريعة غير المختارة أو الانيقية ؟

نعم ، وأنتك لترى هذا وهذا .

كيف ترى أنك لا بد أن تكون وأن ترى نفسك ويرك الآخرون نذلاً ودميماً وعابثاً وسفياً وجائراً لو أنك أردت أو دبرت أو صنعت الدماجات والعبث والسفه أو لو أن متألماً أو مكروباً أو خائفاً أو مظلوماً أو جائعاً أو ضالاً دعاك وتضرع اليك وهتف واستغاث بك ثم لم تستمع إليه أو تستجب له أو حتى تترث أو ترق له وأنت قادر أن تفعل له كل ما يريد دون أن تقاسي أو يؤخذ منك ، أو لو أنك فرقت وميزت بين متساويين بأن أردت ودبرت وأستهيت وجملت أحدهما سوياً ذكياً قوياً جميلاً سعيداً جيداً كريماً ثم فعلت بالآخر وأردت ودبرت وأستهيت له نقيض ذلك ؟

نعم ، كيف ترى نفسك وترى كل الآخرين أمثالك هذه الرؤية بكل محاسباتها ومحاكماتها وأحكامها ولكنك لا ترى الآله شيئاً من هذه الرؤية ولا تحاكمه أو تحاسبه أو تحكم عليه بشيء من محاكماتها أو محاسباتها أو أحكامها ؟

نعم ، أنك لترى نفسك وكل أحد هذه الرؤية دون أن ترى الآله بها . .

لقد رأيت الآله وقراه دائماً يريد ويدبر ويشتهي ويفعل كل الدماجات والتشوهات والعبث والسفه ويفرق بين المثلين بكل القسوة والفظاظة والقبح بادناً مخطئاً ، ورأيت وترى دائماً جميع المتألمين والخائفين والمكروبين والمظلومين والضالين والضائعين يدعونه ويستغيثون ويهتفون به بكل مشاعر اللهفة والامل والايمان والحرارة والصدق والخنوع والهوان والسقوط والتمزق والذلة والتذلل والامتضاح

والتنازل عن كل مستويات الكرامة والكبرياء والذكاء والاستحياء والشجاعة والرؤية للذات ٠٠ دون أن يسمع أو يستجيب أو يرق أو يرثي أو يبقى أو يهرب أو يختفي أو ينتحر خجلا واشمئزازا من صممه أو عجزه أو قسوته أو نذالته ٠ كيف أمكن أن يقبل الآله نفسه أو أخلاقه أو أفعاله أو أن يغفرها أو يغفر لها أو يصبر عليها أو ألا يتخطاها ويخرج عليها ولو بالانتحار أو بالهرب من كل هذا الكون ؟

أنه لشيء مهين أن يكون قد بقي إنسان واحد يرى أو يعتقد أن للآله سمعا أو قلبا أو ضميرا أو رؤية أو قدرة أو وظيفة أو أي قدر من الاخلاق أو العواطف وهو يرى كل افواج وطواير كل المكروبين والخائفين والمتعذبين والمظلومين المسحوقين المتألمين يئنون ويصرخون ويهتفون ويدعون ويصلون وينتظرون ويؤمنون ويؤمنون دون أن يسمع أو يستجاب لواحد منهم تحت أي ظرف أو في أي وقت ٠ هل يوجد من يحقر الآله ويحقر نماذجه مثل من يراه أو يعتقد أنه يرى ويسمع ويستطيع ثم لا يستجيب ولا لواحد من الهاتفين الضارعين المستنجدين للفرق في كل بحر الذعر والعذاب ؟

ان على من يشك في ذلك أن يجرب ، أن يدعو ويتضرع ويهتف ويستغيث ويصرخ ويئن بكل قلوب وضماير وتقوى ولغات وصق كل الانبياء والقديسين متوجها الى ذلك الجالس بكل استرخاء وخمول فوق السماء ثم لينظر هل يمكن أن يسمع أو يستجيب . ثم لينظر هل يمكن أن يجد مستمعا أو مستجيبا ؟

اني أطلب من كل المؤمنين بل من كل العالمين أن يجربوا هذه التجربة المكررة ابدا ، أن يجربوها على هذا الانسان الذي أتصوره وأفترضه وأصف آلامه ٠٠

هذا الانسان مصاب بعاة أو تشوهات أو اخطاء بدنية خطيرة وأليمة وقبيحة بكل القبح ، عجز كل الطب والعلم عن علاجها ويئس من شفائها أو رفض علاجها وشفائها أو لم يحاول أن يعالجها ويشفي منها ، أو لانه لم يجدها أو تجده

ليذهب هذا الانسان ومعه كل المؤمنين بل كل العالمين يحملون كل الكتب

القدسة ، الى كل المابد ، ليدعوا ويهتفوا ويستجدوا ويئنوا ويصرخوا بكل الاصوات واللفات والقلوب والضماير ، طالبين ومنظرين ومؤملين الشفاء لهذا الانسان ، يصنعه له ذلك الكائن المتهى المتفرغ المنتظر لمن يطلبون منه لكي

يستجيب ويفعل لهم بكل السرعة والنخوة والشهوة والقوة والنشوة والفرح

ثم اطلب منهم أن يحاسبوا ويقرأوا ويحاكموا ويقرأوا ويفسروا

انفسهم وايمانهم وذلك الكائن المدعو المرجو - اطلب منهم ان يفعلوا كل ذلك بكل

الصنق والعدل والشجاعة ٠٠٠

ثم اطلب منهم أن يسألوا كل ما فيهم من احتمالات الذكاء وللصدق والرؤية ليقول لهم ماذا وجدوا ..

عجبا !! هل الانسان بليد أو متبلد أو متبالد أو عاشق مريد للبلادة لو اعمى او باحث عن الغواية والضلال والعيب الى كل هذا الحضيض ؟
اذن كيف صنع عبقرياته وانجازاته المذهلة ؟

انه لا يوجد شيء لم يكن يجوز أو يقبل أو يحتمل أن يخطئ فيه انسان واحد ومع هذا اخطأ فيه كل البشر في كل التاريخ ، ولا يزالون يخطئون فيه ، مثل الاعتقاد بأنه يوجد كائن أعلى مطلق فوق وخارج الاسباب والقوى المرئية ، يسمع ويستجيب ويستطيع ويفعل كل ما يراد ويؤمل منه ويشكى منه اليه ، بالصلاة والدعاء والبكاء والتخضع والتذلل والمسكنة وبالسقوط الى الارض ركوعا وسجودا وانهيارا بل وبكرامة وسبب الآخرين المخالفين ، لان المؤمنين بهذا الكائن الاعلى المزعوم يرون أنه يفعل ما يطلب منه بارضائه وهم يرون أن كرامة الآخرين المخالفين وسببهم يرضيانه .

انه لو جاز أن تغفر أو تعذر أو تسامح كل الاخطاء أو حتى تفسر لما كان ممكنا أو جائزا أن يغفر أو يعذر أو يسامح أو يفسر هذا الخطأ اي الاعتقاد بأن فوق هذا الكون كائنا أعلى مطلق يفعل ويهب وينفذ بالدعاء والبكاء والتذلل وبالطلب منه .
انت تدعو وترجو لكل مشاكلك وآلامك واحتياجاتك وشكاياتك من دعوت ورجوت كل حياتك دون أن يسمعك أو يرد عليك أو يستجيب أو يفعل لك أي شيء دعوته ورجوته لفعله . ومن رأيتة وعلمته يفعل مع كل من يدعونه ويرجونه مثل الذي فعل معك وبك ..

نعم ، أنت تفعل ذلك .. أصبح أنك تفعله ؟ حذق في نفسك بقسوة !! وهل تستطيع أن تحق في نفسك ؟ هل يوجد من يستطيعون التحديق في انفسهم ؟ اذن هل يوجد مثلك سخفا وغفلة وبلاهة وعبثا وضياعا بل وعمى وبلادة وهزلا وسخرية ؟ هل يوجد مثلك ساخرا بكل القسوة من نفسه ؟

اذن لماذا لا تدعو الحجارة لتفعل لك ما تريد وتدفع عنك ما تكره وتوفض وتخاف ؟ هل جربت فوجدت ان هذا الكائن الاعلى المزعوم يسمعك ويستجيب لك اكثر أو أقدر مما تفعل الحجارة ؟ حاول أن تجرب ذلك مرات أخرى واشهد على تجاربك كل من شئت من كل العالم ، ثم أحكم بصدق وشجاعة وليحكم معك كذلك كل شهودك .

احكموا هل هذا الكائن الاعلى المزعوم يسمع أو يستطيع أو يفعل أكثر من أي حجر ؟ أليس الفرق بينهما أن الحجر حجر مرثي أما ذلك الكائن الاعلى المزعوم فحجر غير مرثي ولا يستطيع أن يكون مرثيا ؟

ليست دعوة المرثي الذي لا يستجيب معذورة أو مغفورة أو فنية شاعرية أكثر من دعوة من لا يمكن أن يستجيب أو أن يكون مرثيا ؟ ألست تظل معقولا أو مقبولا حين تهتف بالنجوم أو الاطلال المرثية ولكن هل تظل كذلك لو خاطبت الاشباح الاسطورية غير المرثية ؟

وكم كان مفروضا بل ومحتوما أن تنشأ الجمعيات وتعد الندوات والمؤتمرات العالمية والمحلية الدائمة المؤلفة من كل ألوان العلماء والمفكرين والنفسانيين ، ليدرسوا ويعرفوا ويفسروا هذه البلاهة أو الآفة أو الظاهرة التاريخية العالمية . . ليدرسوا ويعرفوا ويفسروا كيف أمكن أن يحدث هذا ، أي أن يظل كل البشر في كل التاريخ يدعون ويرجون وينتظرون من يعرفون بكل تجاربهم الدائمة الاليمة أنه لم يسمع أو يستجب لواحد منهم في أي وقت ، في أي طلب ، تحت أي ظرف ، وأنه لن يسمع أو يستجيب في المستقبل لاي واحد منهم لأنه لم يسمع أو يستجب في كل الماضي والحاضر لهذا الواحد منهم ؟ نعم ، أنهم جميعا ليعرفون أنه لا يسمع ولا يستجيب ولا يستطيع بل ولا يرى . لهذا أمكن أن يحبوا ويتصرفوا كما يحبون ويتصرفون وأن يتعروا ويتلوثوا داخل عينيه وضميره دون خشية أن يفتأوا عينيه أو يحرقوا ضميره أو يفجروا غضبه أو يثيروا أحزانه .

اذن كيف لم يحدث ما كان مفروضا ومحتوما أن يحدث ؟

هل هي غفلة عالمية ؟ هل هو تأمر يتآمره الانسان ضد نكائه ومنطقه وجده وصقه ، ضد كرامته الانسانية وضد حضارته وعبقرياته ؟

هل هو جمال أو حاجة أو ضرورة أو فن أو شاعرية في الحياة ولها وفي الانسان وله أن يكون أي الانسان ممارسا بكل الافتضاح والديمومة والعالمية للبلادات والبلافات والآفات والسخافات والعبث والجنون ؟ هل الانسان لا يستطيع أن ينام أو يأكل أو يفرج أو يمارس الجنس ببذاءة أو يحب ابناه الا بأن يكون بليدا وعابثا وسخيفا ؟

نعم ، افواج هائلة متتابعة متكررة من البشر العقلاء أو المفروضين عقلاء وجادين ، تذهب بديمومة ومهابة الى المعابد لتقيم الاحتفالات والصلوات طالبة مؤملة منتظرة كل شيء ، كل المستحيلات ، بالدعاء والبكاء والمناشدة الذليلة البائسة ، من كائن

يعلمون جميعا بالتجارب القاسية المستمرة أنه لن يسمع أو يفعل شيئا مما يطلب ويؤمل وينتظر منه . . لتحول هذا الهزل السخيف العقيم الى طقوس مهيبه مقدسة، مفسرة بكل تفاسير التقوى والعقل والجد والوقار . هل في سلوك الحشرات من الافتتاح مثل ما في هذه الطقوس ؟

ان كل ما في الحياة والاشياء والانسان من احتمالات الذكاء والمنطق والجد والصدق ليتحدى كل من قد يزعم ان لذلك تفسيراً مقبولا او معقولا او مغفورا الا ان يكون بحثا عن العبث والضياغ والضللال والاستفراغ للذات باي اسلوب وبكل اسلوب بل وبلا أي اسلوب . . هل لاي شيء هدف او تفسير او وظيفة غير ان يتحول الى استفراغ ؟ اليس الاستفراغ للذات باي اسلوب وبكل اسلوب وبلا أي اسلوب هو المنطق الشامل للحياة ؟

نعم ، هل وقعت على الانسان اعجب وأخطر وأقوى عملية سحرية كونية في هذه القضية ؟ نعم ، هل يمكن تفسير هذه القضية بغير الاقتناع بان البشر لا بد ان يكونوا مسحورين في كل قضاياهم او في بعضها والا فلتن يقبلوا انفسهم ؟

ان مما يضخم قبح هذا العبث او البله او الجنون او من بشاعة هذه العملية السحرية المفترضة ان جميع من يدعون ويرجون هذا الكائن الاطلي المزعوم يتصرفون جميعا تصرف من لا يشكون في ان هذا الكائن لن يسمع او يستجيب ولا مرة واحدة لشيء مما يدعونه ويرجونه له . . انهم جميعا بكل اعماقهم وتوقعاتهم واحساساتهم المتنوعة وسلوكهم في كل اتجاهاتهم المؤلمة واليائسة ، الراجية والخائفة لا يختلفون عن من لم يتعاملوا او يتحاوروا او يتخاطبوا بمعولهم او صلواتهم او نياتهم او دعواتهم وتأميلاتهم مع هذا الكائن قط . . ان أي نبسي ليهرب بكل الذعر من الخطر المشهود المناشد لآله بالحماية منه أكثر مما يهرب من ذلك أي صرصار . .

ان أقوى الناس ايمانا لن يكون خوفه او فراره من الخطر أو الألم المرثي أو المتوقع أو توقعه لهذا الخطر أو الألم الذي يناشد آله لحمايته منه أقل أو أعقل من خوف أو فرار أو توقع من لا يؤمن ولا يدعو . كما ان أي مؤمن يدعو ويناشد آله طالبا منه ان يضرب هذا الكون بكل الزلازل والبراكين والاعاصير والابوثة وبكل صيغ ومعاني الدمار ، لن يكون خوفه وتوقعه الألم واستعداده للفرار اعظم أو اعظم من خوف وفرار وتوقع أي مؤمن يدعو ويناشد آله بكل اللهفة والتضرع والحب ، طالبا منه ان يحمي كل شيء وكل احد من كل ألم وخطر وخراب

وترويع وايداء • ان وجود الآله المدعو السامع المستجيب الفعال لسواء في كل النفوس أي لفقد منها كلها •• انه مدعوا وسامعا ومغيثا وفاعلا لا وجود له في سلبوك او حسابات او حياة اي انسان •

ان اي مؤمن يدعو ويقول : آلهي اغرقنا بالطوفان لن يكون انتظاره واستعداده لمجيء الطوفان وللإحتماء منه اكثر من استعداد وانتظار وإحتماء اي مؤمن آخر يدعو ويناشد آله طالبا منه ان يحمي من كل طوفان ، وان هذا المؤمن الضارع الداعي طالبا الحماية من الطوفان لن يتوقع الا يحدث اي الطوفان الامثل توقعه لو انه صمت عن كل دعا، ومناشدة وتضرع ••

ان اي مؤمن اسود الجلد او قصير القامة يظل كل حياته يناشد كل الآلهة بكل لهفاته وضراعاته طالبا ومؤملا منها ان تطيل قامته او تصبغ جلده باللون الابيض لن يكون توقعه او املة او انتظاره او استعداد له لابيضااض جلده وتطاول قامته اقوى من توقعه او املة او انتظاره او استعداد له لابيضااض والتطاول في القامة لو انه ظل كل حياته يناشد آلهته بكل لهفاته وتضرعاته طالبا منها ان تزيد لونه سوادا وقامته قصرا •• ان جميع المؤمنين ليعرفون ان دعا الآله بان يزيد عدد النجوم لا يساوي الا ما يساويه دعاؤه بان ينقص عدد النجوم اي في الاستجابة ••

ان دعا الآله للنجوم او ضدها لا يساوي الا ما يساويه دعاؤه لاي شيء او ضده •• ان اي مؤمن ، نبي او قديس ، لن يقيم حساباته على ان عدوه قد يموت او لا بد ان يموت موتا عاجلا لانه يطلب له من آلهه هذا الموت العاجل اكثر مما يقيم حساباته على هذا الموت العاجل لعدوه لانه يطالبه الهه بطول العمر او لانه لا يطلب له لا بهذا ولا بهذا ، ان دعا اي نبي او قديس لا يساوي في توقعاته غير نفس الدعاء ••

في البدء ، بدء الدين الاسلامي كانت المحاورات المتحولة الى اقصى التحديات تتصارع بكل العنف بينه وبين مخالفيه ورافضيه •

كان الاسلام يحاورهم بل يتحداهم بأقوى ما يعرف ويستطيع من المنطق ومن وسائل الاقتناع بل والقهر لهم اي لمنطقهم وعقائدهم اي فيما يحسب •
كان يناضل بكل طاقاته ولهفاته لابطال اوثانهم وللتدليل على انها اي اوثانهم زائفة مخجلة ••

كان لكي يقتل اقتناعهم بها بل لكي يقتلها هي ، يلجا الى اساليب التحدي المباشر المنازل الراضي كل الرضا عن نفسه وعن قدرته على ان يهزم وينتصر ويسكت ويقتنع •

كان يرى أنه قد وضع كل رقابهم في أقوى المشائق وتحت كل شفرات كل السيوف حينما كان يقول لهم بأسلوب ونيات التحدي القاهر - يقول لهم كما حكى القرآن : « ادعهم فليستجيبوا لكم أن كنتم صادقين » ، •• اي ادعوا اربابكم •• ويقول : « اسألهم أن كانوا ينطقون » ، •• ويقول : « أن تدعهم لا يسمعوا دعاءكم ، لو سمعوا ما استجابوا لكم » ، •• ويقول : « ومن أضل ممن يدعو من لا يستجيب له إلى القيامة » ، •• نعم ، أنه لا أضل ممن يفعلون ذلك •• ولا أضل ممن يرى هذا الضلال في الآخرين ولا يراه في نفسه •

اذن فالقرآن يرى بكل الحسم واليقين والانبهار برؤيته أن من لا يستجيب للدعاء أو يسمعه أو ينطق ردا على السؤال الموجه إليه فهو باطل وعاجز وخاسر الايمان والافتناع به وكذا دعاؤه أو مخاطبته • أنه لا اختبار معقول ومنصف أو يجب أن يكون كذلك • ولكن بأية وسيلة يعرف أنه لا يستجيب أو يسمع أو ينطق أو يرد على السؤال ؟ يعرف ذلك كما يرى القرآن بالاختبار والتجربة المتحدية •• اي بان توجه إليه عديد الطلبات والاسئلة المحددة ليستجيب للطلبات كما حددت وينرد نطقا على الاسئلة المحددة أيضا ، فان لم يستجب وينرد بالفعل والنطق فهو حتما لا يقدر ولا يسمع ، اي فالتوجه بالادعية أو الاسئلة أو الصلوات أو الآمال إليه باطل ولغو وعبث وجهالة جاهلية ووثنية بدوية •

والمؤمنون ، الحاضرون والسالفون والمقبلون يرون ولا بد أن هذا المنطق القرآني المصوغ بأسلوب ونيات التحدي والتعجيز منطق تركع له كل العقول حتى أكثرها شراسة وغرورا وعصيانا وغنادا •• يرون ولا بد أنه منطق لا بد أن يؤمن ويلتزم به كل مؤمن. وصادق ومخلص ••

اذن ليس محتوما عليهم ومطلوبا منهم أن يحاكموا ويحاسبوا به الآله الاعلى المزعوم الذي يعتقدون أنه يسمع من يدعونه ويستجيب لهم في كل لحظاته وحالاته دون أن يغفل أو ينسى أو ينام أو يهمل أو يعجز أو يصاب بالصمم أو يستهلك ويلهي اذنيه أو قدرته أو شهامته صوت عن صوت أو طلب أو استغاثة عن أي طلب آخر أو استغاثة أخرى مهما تزاخمت وتجمعت وتكاثرت على اذنيه وقدرته وشهامته ورحمته الاصوات والطلبات والاستغاثات ؟ أنه الكائن العجيب الذي لا تزدهم أو تمتلئ اذناه مهما تجمعت فيهما الاصوات والطلبات •• وهل يمكن أن يبقى شيء من هذه الآله الاعلى المزعوم لو أنهم أو لو أن آخرين حاكموه أو حاسبوه أو تحدوه بالمنطق الذي حاسب وحاكم وتحدى به القرآن والنبي ارباب واوشان المخالفين والرافضين ؟ بل هل يمكن أن يبقى أي شيء من هذا الآله لو أنه رئي

أو قرئ، أو فسر أو حوكم أو طوّل بأي عقل أو عين أو تفسير أو شرط أو مستوى ؟ وهل يمكن أن يرى هؤلاء المؤمنون أن أرباب ومعتقدات الجاهلية ملزمة بأن تحاكم وتحاسب بالمنطق والواقع والتجربة وبما تفعل أو ما لا تفعل ، دون أن يكون رب القرآن ورب النبي ملزماً بشيء من ذلك ، أو أن يكون أهل الجاهلية ملزمين بذلك دون أن يكون القرآن أو النبي ملزماً به أو بشيء منه ؟

كيف يكون عجز الوثن عن أن يسمع أو يستجيب أو يرد السؤال أو امتناعه عن أن يفعل ذلك دليلاً حاسماً على عجزه وبطلانه وعلى سخف وضلال من يدعونه أو يؤمنون فيه أو يؤمنون به ، ثم لا يكون عجز الآله الأعلى ، الله محمد والقرآن عن أن يسمع أو يستجيب أو يرد على أي سؤال ، أو امتناعه عن أن يفعل شيئاً من ذلك دليلاً أقوى واقتل على عجزه وبطلانه وفقدانه وعلى جهل وبلادة وسفه من يظنون يدعونه ويؤمنونه ويصلون له ويؤمنون به وينتظرون منه أن ينصر أو يشفي أو ينقذ أو يفعل أي شيء بل ويزحمون مدنهم وقواهم باضخم وأعلى المعابد لئيتوجهوا منها إليه داعين شاكين بكل الهوان والافتضاح ليعطي ويحيي ؟

كيف يشترط على العاجز وفي العاجز عن أن يسمع أو يفعل أو يرد على مخاطبته - كيف يشترط عليه وفيه أن يسمع ويفعل ويرد على مخاطبته ثم لا يشترط شيء من ذلك على من لا حدود لقدرته المطلقة الشاملة ولا يشترط فيه ؟ كيف يطالب الأصم الابكم بأن يسمع وينطق ويشترط لجواز مخاطبته أن يسمع وينطق ثم لا يطالب من له كل السمع والنطق بأن يسمع أو ينطق أو يشترط لمخاطبته أن يسمع أو ينطق ؟

كيف يكون عجز الوثن عجزاً ونفياً له ثم لا يكون عجز الآله عجزاً ولا نفياً له ؟ أو كيف يكون صمت الوثن عن الرد أو الجواب أو الفعل دليلاً على عجزه وصممه وبكمه ثم لا يكون صمت الآله عن ذلك دليلاً على عجزه أو على بكمه أو صممه ؟ وهل جرب البشر مصاباً بكل الصمم والبكم والعجز عن الاستجابة مثل الآله ؟ وهل هزمت أو عبثت تجربة مثلما هزمت وعبثت تجربة البشر للآله ؟

كيف أمكن أن يهبط منطق المؤمنين أو منطق القرآن أو النبي إلى كل هذا الحضيض من الضعف أو من التجاوز للعدل أو من المغالطة ؟

كيف أمكن أن يكون القرآن والنبي والمؤمنون مبصرين ومنطقيين في رؤيتهم لمخالفيتهم وفي محاكمتهم لهم ، وأن يكونوا عمياناً وبلا أي قدر من المنطق أو الذكاء في رؤيتهم لأنفسهم ومحاكمتهم لها ؟ كيف استطاع أن يهبط بالآله ويحقّره بكل هذه القسوة من صاغوا له وركبوا فيه عيونه وعقله وأخلاقه ؟

هل المعلمون الذين يجيئون إلينا من السماء ، من وراء السحاب وفوق النجوم ليعلمونا منطق الآله وليروعونا بشمول وحدة وقسوة رؤيته لا بد أن يكونوا عمياناً وخارجين على كل منطق بلا مثيل أو شبيه في عماهم وفي خروجهم هذا ؟
العرب مشهورون بتقبل المبارزة بل وبطلبها والبحث عنها واختلاق اسبابها .
انهم صانعوا ومعلنو كل ألوان المبارزات والتحديات مهما كان عجزهم عنها وجهلهم بكل فنونها .

مهما كان محتوما أن يهزموا ويفتضحوا فيها . أن الانتصار ليس هو المطلوب بل الصهيل . انهم صاهلون ، صاهلون وإن لم يكن الجواد موجودا أو حتى مخلوقا !
اذن حينما تحداهم القرآن هذا التحدي الداعي الى المبارزة ماذا فعلوا ؟ هل نزلوا الى الميدان وقالوا لمن وجه أليهم هذا التحدي : نعم ، نقبل التحدي المبارز ونوجه نفس السلاح الى آلهك ونقول لك : « ادعه فليستجب لك أن كنت صادقا » .
« اسأله ان كان ينطق أو يرد جوابا أو سؤالا » .

« اطلب منه أي شيء محدد معين . تحده أنت أو نحدده نحن ، وتضرع اليه ان يسمع ويستجيب لكي يهزمنا ويقتنعنا وينقلنا الى أن نكون عبيدا له واتباعا وانصارا لك . لكي يحسم المعركة الشرسة الاليمة الكريهة . »
« ان سلاح الانتصار علينا بسيط جدا ، وأنت وهو حريصان جدا على هذا الانتصار . »

هل قالوا له : « ما أنت تدعو من لا يسمع أو يستجيب أو يرد أو ينطق . ومن أضل ممن يدعو من لا يستجيب له . » ان تدعه لا يسمع دعائك ولو سمع ما استجاب لك . » اذن ادعه ليفعل ضدك ولا تخشى أن يفعل . »
هل تساوي دعوة الآله الى أن ينصر الا ما تساويه دعوته الى أن يهزم ؟ ليجرب ذلك المرتابون .

نعم ، هل أدرك العرب الرافضون لمحمد والمخالفون له ما في هذا التحدي الوجه أليهم من سلاح يوضع في أيديهم ويقتل من وجهه اليهم ؟
هل أدركوا ما في هذا التحدي من ضعف أو مغالطة أو بلادة أو عجز عن كل بؤية أو من مخادعة لن يخدع بها أحد الا أن يكون عربيا ، عربيا جدا في كل طاقاته ورؤاه ومستوياته وتقاسيره ؟ نعم ، العربي يخدع حيث يجب الا يخدع ، ولا يخدع أو لا يثق ويصدق حيث يجب وينبغي أن يخدع أو أن يثق ويصدق .
ان من يقرأ ويعرف ويفهم الانسان العربي الموجود اليوم في كل مستوياته

وصيغه ومكاناته فلا بد أن يكون من الصعب عليه جدا أن يقول أو يحسب أن أولئك العرب الآباء قد أدركوا ذلك أو أنه قد كان من الممكن أن يدركوه أي أن يدركوا ما في هذا التحدي من سلاح قاتل لموجهه اليهم ..

كم في عربي اليوم من الفضح والتهوين لعربي الامس ، لكل عربي قد كان ؟ فظيع والييم جدا أن نحدد في الانسان العربي الموجود اليوم محاورا أو قارئا أو رائيا لنفسه أو للاحداث أو للاخرين .. الاعداء أو الاصدقاء ، أو متحدثا عن نفسه أو عن الاحداث أو عن الاخرين أو متحدثا اليهم أو اليها ...

أنه ليستحق العزاء والثناء بل والبكاء من وهب القدرة أو الجراءة أو الصبر على التحديق في الانسان العربي المعاصر ...

ان عربي اليوم ليذهب بكل الجراءة والجهر والمباهاة يتحدى الاخرين ويتهمهم بالاذلام لانهم هم يملكون الشمس ولانه هو يملك القمر أو يدعي امتلاكه ... انه لا يستطيع أن يرى الشمس الساطعة في سماء الاخرين لان عيونه مبهورة مسحورة مشغولة بالتحديق في شمعة المزعومة أو المنطفئة ..

ان الشمعة العربية الغائبة لتخفي وتلعن الشمس غير العربية الساطعة .. ان الشمعة العربية المنطفئة ، الموجودة أو المزعومة أو التي يزعمون انها كانت موجودة لتذهب تبارز وتتحدى شمس الاخرين ، الاعداء والاصدقاء ، بكل الكبرياء والاستعلاء ، متهمة وشاتمة لها بأنها أو لانها بلا حرارة أو ضوء ، ولانها أو بأنها قد سرقت ضوءها وحرارتها منها أي من الشمعة العربية المنطفئة ، الموجودة أو المزعومة أو المزعوم انها كانت موجودة !! انهم ليصيبون الدنيا كلها بالغثيان في حديثهم عن أمجادهم في حرب أكتوبر لان فيلهم جرؤ على الخطو الى النملة لكسي تضمه تحت إحدى قدميها ..

انه أي عربي اليوم ليتحدى ويباهي ويبارز الاخرين الذين مشوا فوق القمر وتساقطت سهامهم فوق هامات النجوم ، زاعما تفوقه وكبرياءه عليهم وهزيمة مجده لكل أمجادهم لان له قبورا ومقارنات في الصحراء ، تعلمه كيف يظل اميا ، امية ابدية وامية انسانية وايمانية شاملة ..

وامية الايمان هي أصل وأشمل وأقوى أميات الانسان العربي .. ان امية الانسان العربي هي امية ذاتية تكوينية لهذا لا يمكن التداوي أو الشفاء منها ..

انه ليزعم جهرا أو هماسراحة أو أحياء أن الذين مشوا فوق القمر انما

مشوا فوقه على أقدام آبائه وفوق خيولهم وابلهم ، وانهم انما عرفوا الطريق اليه واستطاعوا صعوده والخطو فوقه وقرأوا اسراره وتقاسيره واخلاقه ...

انما فعلوا كل ذلك آخذه ومتعلميه من نبواته وتراثه وحضاراته ومن كتابه المقدس الموجود فيه كل شيء كان أو سوف يكون والمختزن في حروفه كل علوم الكون وغير الكون أي ما فوق الكون وخارجه !!

انه ليرى ويعلن أن كل ما يحدث فلن يكون الا تفسيراً وتطبيقاً لبعض ما في نبواته وتعاليمه ..

اذن هنا اكتشاف مثير . . هنا منطق يقول به القرآن والنبي ويفرضان التزامه ويتحديان به ، ويريان انه لا يوجد اصل ممن لا يؤمنون ويعملون به ، وهذا يعني حتماً أن على جميع المؤمنين والقرآن أن يؤمنوا ويلتزموا به ، أي بهذا المنطق . يقول هذا المنطق أن كل من يدعى فلا يستجيب فهو باطل ، باطلة دعوته والايمان به والانتظار منه والرجوع اليه في أي شيء ...

انه منطق سهل وواضح وبسيط . وأن تطبيقه وتجربته لكذلك . انه منطق لا يحتاج الى منطق أو الى عقل خارق أو حتى قوي بل لا يحتاج الى أي قدر من العقل لكي يفهمه ويقتنع ويتعامل به . أنه فقط تجربة بسيطة ..

أطلب من آلهك أو وثنك أو نبيك أو قديسك أن يفعل لك شيئاً تريده أو أن يدفع عنك شيئاً تخشاه فان لم يرد عليك ويستجب لك فاعلا الشيء المحدد الذي تريده وتطلبه منه ، وحامياً من الشيء المحدد الذي تخشاه وتطلب منه ان يحميك منه فانك ملزم حينئذ بأن تعرف أنه هباء وكذب وملزم بأن تفارقه .. ولننظر الى النماذج والامثال ..

أنت مواطن في صحراء مزروعة ومحروسة بالقحط والجبال ، لا تلد الانهار ولا يزورها السحاب ، ولا تتقاطر دموع الالهة فوقها استحياء أو اعتذاراً عن شحها وقسوتها .

وأنت أسود الجلد أو أبيضه .. وأنت لم يتخلق فيك أو يبق لك الا يد أو رجل أو عين أو اذن أو رئة واحدة ، أو قد تخلق فيك كثر من اثنتين من هذه الاعضاء والحواس .

وأنت قد فارقك الفراق الابدي احب الناس اليك أو اعظمهم لديك .. وأنت قد أبيض شعر رأسك أو عجز رأسك عن أنبات الشعر ، أو قد سقط أو تلف أحد أضراسك أو اسنانك . وأنت قد جئت أحد الجنسين وتريد أن

تكون الجنس الآخر ، وجئت انسانا وتريد أن تكون كائنا آخر أو انسانا آخر . وأنت عربي المواهب وتريد أن تكون حضاري المواهب ..

أنت كل هذا أو بعضه بالتصور والافتراض لا بالتمني بل وضد التمني لك .. وأنت محترق ذابل مريض من قسوة إيمانك بالآله الأعلى المزعوم المفترض .. الصديق الحبيب الرحيم الواهب كل نفسه لك حبا وطاعة واستجابة .

أذن مطلوب منك كما يفرض عليك قرآنك ونبيك وإيمانك أن تضع آلهك هذا تحت التجربة بالنطاق الذي دعا إليه وآمن به قرآنك ونبيك .. تحت التجربة التي وضع قرآنك ونبيك تحتها أرباب وأوثان المخالفين ..

أي مطلوب منك أن تتوجه بكل تضرعاتك ودعواتك الى آلهك الأعلى المزعوم ليفعل لك نقيض ما أنت مصاب به ، ولتنظر هل يمكن أن يسمعك أو أن يستجيب لك أو أن يزول شيء مما تعاني وتشكك منه ..

الست قد جربته طويلا وكثيرا هذه التجربة الخاسرة البلاء دون أن تقبض منه شيئا ؟ الست قد رأيت كل الآخرين قد جربوه هذه التجربة دون قبض أي شيء ودون أن يأتي هو ولو مرة واحدة ليعتذر أو ليتوب من عجزه أو تقصيره أو كسله أو قسوته أو بخله ودون أن يموت أو يمرض عقابا لنفسه ؟

ليس توجهك الى الهك الأعلى المزعوم ليفعل لك نقيض هذه الآفات والآلام التي أنت بها مصاب يساوي تماما أن تتوجه هذا التوجه لهذا الغرض والامل الى أي وثن أو حجر أو حشرة - يساويه في جميع النتائج والتوقعات مع الفروق الهائلة لمصلحة الوثن والحجر والحشرة ؟

أن كل مدعو قد يسمع وقد يستجيب حتى الحيوان والحشرة والطير قد يسمع ويستجيب ولكن المدعو الوحيد الذي لن يسمع أو يستجيب هو الكائن الأعلى المزعوم ، هو الآله ...

ولنضع تحت التجربة هذا الآله وأي كائن آخر ، حشرة أو طير أو حيوان لنجد الفرق بينهما ..

أذن ليست كل مقاساة البشر العقلية والكلامية والتعليمية ، كل ما كتبوا وقالوا وكل ما سوف يقولون ويكتبون ليدلوا على وجود وحضور هذا الكائن الأعلى المزعوم - ليس كل ذلك يذهب هباء سخيلا فيما أمام هذه التجربة البسيطة ، أمام هذا المنطق الذي جاء وتحدى وآمن به القرآن والنبي ؟

أن هذه التجربة السهلة التي يستطيع أبسط انسان وكل انسان أن يجربها

ويعيها لهمم وفضح واسكات وتكذيب لكل ما قيل وزعم ولكل ما قد يقال
ويزعم في هذه القضية .

انه لشيء مخيف ومذهل أن يوجد انسان واحد مهما كان عماء وغبازه رجرائه
على الكذب ، يجرؤ على التحدث عن هذا الكائن الاعلى المزعوم . . كيف أمكن ان يوجد
انسان واحد يستمع اليه أو يقتنع بحديثه مع وجود ومواجهة هذه التجربة الدائمة
البسيطة التي تستطيع أن تراها وتقرأها وتفسرها وتفهمها أكثر العيون والعقول
عمى وأمىة وبلادة ؟

أنه لشيء من الاعجاز الخارق أن وجد انسان واحد استطاع الا يرى هذه التجربة
والا يفتن اليها ويقتنع بها . .

لقد حكم وأعلن وعلم النبي والقرآن أن كل من يدعون من لا يستجيب لهم
فلا أجعل أو أضل منهم . اذن لا أجعل ولا أضل ممن يدعون الآله الاعلى المزعوم
بحكم وأعلان وتعليم القرآن والنبي ، أي لا أضل ولا أجعل ممن يؤمنون به لانهم أي
المؤمنين به يدعون من لا يمكن أن يستجيب لهم ابدا ومن يشك في ذلك فليحتكم
الى هذه التجربة السهلة الواضحة البسيطة الدائمة .

اذن ايها المؤمن بالآله الاعلى المزعوم الداعي له ، أن عليك أن تؤمن بأن قرآنك
ونبيك يريانك أضل الناس وأجهلهم . .

اذن ايها المؤمن لا تؤمن بهذا الآله ولا تدعه لئلا يراك قرآنك ونبيك أضل الناس
اجل ، ايها المؤمن بهذا الآله ، ان آلهك هذا هو الكائن العجيب الذي لا يساوي
دعاؤك له ليفعل لك الا ما يساويه دعاؤك له ليفعل بك أي ليفعل ضدك . ان
قولك له : يا آلهي اعطني أو انصرنني أو أشفني لا يساوي الا ما يساويه قولك
له : يا آلهي أحرمني أو أمرضني أو اهزمني .

فان كنت في ريب من ذلك فان عليك أن تزيل ريبك هذا بالتجربة . .
نعم ، لتقل له : أشفني فورا ، وأنت مريض مرضا مستعصيا ، أو لتقل له :
أمرضني فورا ، وأنت في أكمل صحة ثم لا تخشى البتة ان يستجيب لك في هذا
أو هذا . والان لتجرب دعاءه ليفعل لك أو ليفعل بك

انه لن يفعل بك أي ضدك مهما طلبت منه ذلك ومهما سكنت عن دعوته
بل ومهما كنت مستحقا أن يفعل ضدك . ليست هذه هي أعظم مزايا كل آله
أي الا ليفعل لك أو بك ؟

ولكن كيف ؟ أليس الآله يسمع ويستجيب بالمشاهدة الدائمة ، يسمع ويستجيب
لاضخم واصعب الدعوات والمطالب ؟

لندعه طالبين منه ان تأتي الاشياء في اوقاتها كما لا بد ان تأتي . . . ان تأتي الشمس والقمر والليل والنهار وفصول السنة وتأتي الانهار والامطار والرياح والإعاصير والموت والشيخوخة والامراض والآلام والاحزان والاحقاد واللطفة والدجالون والاعبياء والثوار والمتآمرون وللصوص .

لندعه طالبين منه ان يأتي كل هذا وكل هؤلاء كما لا بد ان يأتي ويأتوا في الزمان والمكان للذين لا بد ان يأتي ويأتوا فيهما .

لندعه ان تأتي الشمس من المشرق وان تذهب الى المغرب . . .

كذلك لنطلب منه أي من الآله الا تأتي الاشياء التي لن تأتي أو الا تأتي الا في الاوقات والصيغ التي لن تأتي الا فيها أو التي لا بد ان تأتي فيها .

الا تأتي الزلازل والبراكين والابوة والمجاعات والحروب والانقلابات والثورات والمشاكل والهجوم وفناء الانسان وعجزه أو توقفه عن التوالد وموت الشمس والاقمار والنجوم وكل الكون . . . الا يأتي شيء من هذا الذي لن يأتي أو الا يأتي الا في الاوقات والصيغ التي لن يأتي الا فيها أو التي لا بد ان يأتي فيها . . . لنطلب منه أي من الآله الا يصبح الانسان العربي حضاري أو انساني العقل أو القلب أو الضمير أو الاخلاق أو الحب أو البغض أو اللغة أو العداوة والخصومة .

نعم ، لنطلب منه اي من الكائن الاعلى المزعوم ان يفعل هذا وهذا وسنجد انه لا بد ان يسمع ويستجيب بكل الوفاء والشهامة والحسم . . .

ولكنه لن يتفرد حينئذ بهذا المجد والسخاء والقوة والاستجابة . . .

ان الحشرات والاحجار والاوئان وكل الاشياء العاجزة والريضة والخرساء والصماء بل وغير الموجودة لا بد ان تسمع وتستجيب لو طلب منها أن تفعل هذا وهذا ، بالاسلوب الذي به يسمع ويستجيب ويفعل الكائن الاعلى المزعوم . نعم ، ان الحشرات لا بد ان تستجيب لو طلبنا منها أن يظل العربي بدوي المواهب والاخلاق ، نعم ، لنجرب دعوة الحشرات بأن يظل الفكر العربي أميا في جميع تفاسيره الانسانية لنجد انها لا بد ان تستجيب .

اذن أي فضل لهذا الكائن أي للآله على هذه في سماع الدعاء والاستجابة المحتومة له أي للدعاء ؟

اجل . . . اهتف ايها المؤمن طالبا من آلهك ان تشرق الشمس غدا في الوقت والاسلوب للذين لا بد ان تشرق فيهما وطالبا منه الا يموت القمر هذا العام . انه لا بد ان يسمع ويستجيب مثلما يفعل الوثن ولا بدلو طلب منه عابده ذلك . . .

ولكن ان كنت مريضا أو مشوها أو دميما أو مقعدا أو اعمى أو ناقص التكوين فحذار أن تطلب منه الانتقاذ لئلا تقضحه وتفضح ذكاءك وإيمانك ..
نعم ، ان عليك اذا أردت أن تستر على آلهك الا تطلب منه الا ما لا بد أن يحدث والا تناشده أن يحميك الا مما أنت منه محمي . ولعلك ترى أن غفلتك كافية للستر عليه .

اذن ايها المؤمن ، ليحرب كلاكما نخوة آلهه ، اي انت وعابد الوثن . ولكن لا تحاولا أن تتفاخرا أو تتبارزا ، فان احكما لن يكون اعظم حقا أو مجدا أو اقوى أو انبل آلهما من الآخر ..

انه لا يوجد متساويان في كل مزاياهما الذاتية مثلما يتساوى الآله والوثن ..
ان كل ما يستطيعه ويفعله الآله لا بد أن يستطيعه ويفعله الوثن ، وكل ما لا يستطيعه ولا يفعله الوثن لن يفعله أو يستطيع فعله الآله ..

اذن ليفرح الآله بمجده الذي لن يكون اعظم من مجد الوثن ..
واذن ليفرح الوثن لان مجده لن يكون أقل من مجد الآله . اذن ليتواضع الآله والوثن لان كليهما بلا مجد . لان مجد كليهما لا يساوي الا جهل عابده . ان الجهل هو اعظم صانع للامجاد .

نعم ، ايها الآله المزعوم .. أرجوك ، أرجوك بكل التضرع والمسكنة والصدق والاخلاص وبكل الرغبة في معرفة الحق والصواب .

أرجوك أن تصيب يدي في هذه اللحظة بالعجز عن العمل والحركة والكتابة لعجز عن كتابة هذا الكلام الذي لا يرضيك ..

نعم ، أرجوك ، أرجوك أن تفعل ذلك لكي أقنع بك ولكي تحميني من الزلل والهلاك ومن الاساءة اليك والاغصاب لك . اليس تعجيز المخطيء عن أن يخطيء وتعجيز المذنب لنفسه عن تدميرها نبلا وتقوى وحبا ؟ اذن لا تبخل على نفسك بهذا النبل والحب والتقوى . ولا تبخل علي بهذا الاقتناع والايمان بك وبهذه الحماية من الزلل والهلاك ايها الآله الطيب .

نعم ، أرجوك أن تفعل ذلك فان لم تفعل استجابة لرجائي واشفاقا علي فاني اتحداك أن تفعله كما تحدثت أنت على لسان النبي محمد مخالفه ورافضيه .. هل ترفض أو تغضب ايها الاله الكبير الوقور أن اتعلم منك فن التحدي ؟ هل تكون معلما ؟

اما ان كان التحدي نزقا وسفها يجب ان يرفض فلماذا اذن فعلت انت وقرآنك ونبيك هذا النزق والسفه ؟ وهل يحتمل ايها الاله الشهم العادل ان تكون قد نسيت

انك قد تحدثت خصوم نبيك هذا التحدي الذكي الوقور الحاسم ؟ نعم ، أصب يدي بالمعز ايها الاله في هذه اللحظة لانك رحيم وحكيم تحمي من الخطأ والضلال والهلاك ، ولانك ايضا فارس شجاع تقبل التحدي وتواجه بكل اخلاق الفروسية وكبريائها وشهامتها .. ليست اصابة يدي بالمعز في هذه اللحظة كما اطلب منك وارجوك تنقذني من الضلال والهلاك وتنقذ شرفك وكبريائك من الهزيمة والتبلى ؟ اذن اصبها ، اصب يدي بالمعز في هذه اللحظة . ارجوك واتحدك ان تصبها ..

انه احد عبيدك وعبادك الباحثين عن الحقيقة وعنك يطلب منك طلبا سهلا جدا عليك هو ان تصيب يده بالمعز في هذه اللحظة . هل تبخل عليه بالاستجابة لطلبه هذا ؟

اما ان كانت رحمتك وحنانك يمنعانك ويزجرانك عن اصابة يدي بالمعز فانك تستطيع بكل السرعة والرحمة ان تشفيها بعد اصابتها بل وتستطيع ان تعوضها عن اصابتها بصيغ كثيرة وقوية من صيغ التعويض ..

الست كما يقول انبياؤك تصيب الابرياء بكل الالام واللوان العدوان لكي تعوضهم هناك بعيدا ، بعيدا ؟

وهل انت رحمة وحنان بكل هذا القدر من الرحمة والحنان ؟ كيف امكن ان يوجد من يجرو على اتهامك بالرحمة أو الحنان ، أو كيف تجرو انت على تقبل هذا الاتهام ؟ الست تصيب الاطفال والشيوخ وكل الناس والكائنات بكل انواع الاصابات والتعجيز والتشويه بكل القسوة والفظاعة بلا سبب أو تفسير مقبول أو مفهوم وبلا ضرورة أو حاجة بك لو بمن تصيب الى شيء من ذلك ؟ اليس اتهامك بالرحمة والحنان تزويرا بذينا وبليدا لاخلاقك وشخصيتك ولكل تاريخك ؟

وأما ان كانت الكبرياء هي التي تمنعك من الاستجابة لهذا التحدي أو الاهتمام به فهل الذي يخطط ويدبر ويريد ويصنع هذا الكون بكل حشرات وحيواناته وقناحاته وبذاته وعاهاته ونقائصه وصغائره يملك شيئا من الكبرياء يزجره عن ان يفعل اي شيء مهين لكل تفاسير الكبرياء ؟ ان فقد الكبرياء الذاتية هو الشرط الاول والدائم لكل آله لكي يقبل نفسه وجوده وعمله واخلاقه وشهوته .. كذلك فقدان الرحمة بل وفقدان الرؤية ...

تنبه ايها الاله الاعلى المسكين .. تنبه ، انك محاصر من كل جهاتك ... ان محاصرک ليسالك : هل الذي يصنع الزعامات والقيادات العربية يملك اي قدر أو نوع من الكبرياء ؟

ان محاصرك ليرثي ويحزن لك كل الحزن وكل الرثاء • ان رثاءه لك وحزنه من
اجلك ليعذبانه كل العذاب واقساه ••

انه لا احد يستحق ان تتفجر كل العواطف اسي عليه وله مثلك ايها الاله الاعلى
المزعوم ••

انه لا شبيه لضعفك امام كل محاور ومسائل ومحاسب محاكم محقق •
ان كل قوتك ومجدك لا يساويان الا حمايتك من كل محاورة ومساءلة ومحاسبة
ومحاكمة وتحديق •• لا يساويان الا الصمت والاغضاء عنك والتصويت الدائم لك •
ان الرؤية المحدقة هي العدو القاتل لك ايها الاله الذي لا يرى جماله أو حتى ذاته الا
العميان ••

ان كل مزاياك وخوارقك ايها الاله الاعلى المزعوم لا تساوي الا الصمت الدائم
الشامل عن ان تقر أو تفسر أو ترى أو يشترط عليك أو فيك أو تطالب بأي شيء أو
ينتظر منك ان تفعل أو تستجيب أو تسمع أو ترد أو تحاسب بأي نموذج عقلي أو
اخلاقي أو فني أو انساني أو الهني • انك الموجود الذي ترفض وجوده تفاسير كل
موجود • انك الموجود الذي ترفض اخلاق وتفاسير كل وجود وجوده •

انك ايها الاله الاعظم لن تستطيع ان تكون مرثيا أو معقولا أو مفهوما أو جميلا
أو سامعا أو مسموعا أو مجيبا أو مفسرا أو فعلا أو موجودا الا بالصمت عن محاولة
رؤيتك وفهمك ومخاطبتك وقراءتك ومطالبتك والانتظار منك والاستماع اليك والاعتماد
عليك والاشتراط لك أو فيك أو عليك • انك الموجود الخالق العادل الذكي الجميل
الخارج على كل نماذج وصيغ وشروط واخلاق وصفات الوجود والخلق والمعل والذكاء
والجمال وعلى كل تفاسير واحتمالات ان تكون موجودا •• انك الموجود الذي يرفض
وجود كل موجود ان تكون موجودا ••

أيها الاله الاعظم •• ان كل جمالك ونكائك وظهورك وحضورك ونشاطك
وعبقرياتك وخالفاتك لا تساوي الا بلادة ودمامة وتبلد وعجز وعمى من يرونك
ويقراونك ويجدونك ويخاطبونك وينتظرونك ••

انظر ، هل تستطيع ان تفهمهم : انهم جميعا يخاطبونك ولكن هل فيهم من
ينتظرونك ؟

انك حاضر جدا لان من أنت حاضر لديهم وفيهم غائبون جدا ومصابون بأشمل
وأقسى أنواع الغيبوبة المصابة بالديمومة •• ان كل حضورك وظهورك لا يساويان الا
عمى وغيبوبة من يرونك ويجدونك ويخاطبونك •

انك الكائن الذي لا يجدرك أو يتعامل معك الا الغائبون جدا عن ذواتهم وعنك
وعما يواجهون ويعاملون ويفعلون ويرون . . المصابون بالغيوبة الدائمة الشاملة .
انك الكائن الذي لا يراك الا العيون التي لا ترى ولا تريد أن ترى ولا تستطيع ان
ترى . انك الكائن الذي تراه في كل شيء عيون من لا يستطيعون ان يروا شيئا .
ان كل عظمة كتابك لا تساوي الا امية قارئيه ومفسريه . . انك الكتاب العجيب
الذي ليس فيه اي معنى من معاني اي كتاب . . انك الكتاب الذي لا يقرؤه الا الذين
لم يقرأوا ولا يستطيعون ان يقرأوا اي كتاب . انك الكتاب الذي لا يرى حروفه
الا العيون الفاتدة لكل الرؤية . انك الكتاب الذي ألف وكتب قبل عصر الكتابة
والقراءة والذي لا يقرؤه الا من يعيشون في ذلك العصر ويعيش فيهم ذلك العصر !!

**

وللعلامة بين الايمان والاخلاق حساب أو تفسير اخر . . .

ان المؤمن يرى الاخلاق مساومات ومزايدات واخذاء وعطاء بينه وبين الاله ،
يراهما بيعا للاله بأسلوب وثمن ما . ان الاله في حساب المؤمن ليس الا تاجرا
ومساوما بأسلوب فظ شحيح يأخذ اشياء ليعطي شيئا أو ليعده به . .

انها اي الاخلاق سلوك معين محدد مأمور به امرا غيبيا باهواء وشهوات غيبية،
مقصود بها أن تصنع الفرح والمجد والرضا والكبرياء للاله . . .

انها اذن ليست جمالا أو اشواقا أو تجارب أو ظروفا أو ضرورات أو مستويات
أو حسابات انسانية أو قيما أو تغيرات ذاتية ، بل هي نصوص واملاءات منزلة
محفوظة لكي تصنع السعادة والقوة لكائن مطلق لا يمكن تفسيره كما لا يمكن ان
تكون شهواته أو املاءاته أو مجاعاته اخلاقية أو منطقية .

اذن فالمؤمن لا بد ان يخرج على الاخلاق الانسانية ، ان يرفضها ويعاديهما لكي
يكون مؤمنا او لكي يكون اخلاقيا بالتفسير والتايسير الدينية . انه مستحيل ان
تكون مؤمنا ايمانا دينيا وملتزمنا بايمانك وبالاخلاق الدينية التي يطالبك بها ايمانك
ثم لا تكون خصما ونقيضا للاخلاق الانسانية وللحب والتسامح وللجمال الانساني
. . انك حينئذ لا بد أن ترى ان الهك ونبيك ودينك وايمانك وتفكيرك واخلاقك
وتعاليمك وكل نماذجك المعلمة المنزلة الابدية الازلية هي كل الحق والصديق والجمال
والاخلاق المطلقة في شمولها وخلودها ونكاثها ، وان كل ما عداها لن يكون الا فقا
لعيون الاشياء والا استفراغا على وجوهها واخلاقها .

انك حينئذ لا بد ان تكون متعصبا كالحا مغلقا حائدا مبغضا معاديا للاخلاق والانسان والجمال والصدق والحب باسم الاخلاق والانسان والجمال والصدق والحب .
انك بقدر ما تكون مؤمنا تكون مغلقا دون كل شيء غير ايمانك .

انك لن تكون غير ذلك الا بقدر ما تتخطى ايمانك أو تتراخى فيه أو تتناساه أو تخرج عليه وتغيره بالتفسير الاخرى التي ليست هي تفاسيره بل تفاسيرك انت وتفسير ظروفك واحتياجاتك وشهواتك وضروراتك . . انك لن تستطيع ان تؤمن أو أن تظل مؤمنا ما لم تفسر الهك باحتياجات حياتك لا بصفات الهك .

ان اجمل وافضل ما في المؤمن أنه لا بد ان يتخطى ايمانه ويخرج عليه بأحد الاساليب والتفسيرات أو بكل الاساليب والتفسيرات مهما كان مصمما عليه اي على ايمانه ومقتنعا به وبأنه هو كل ما كان وما سوف يكون ، منطقا وجمالا وخلودا وحقا وقوة .
انه لن يوجد أو يبقى اي وفاق بين المؤمن وايمانه لو لم يفسر ايمانه تفسير فيها كل الخروج على ايمانه . . لهذا امكنت معاشة المؤمنين وتعايشهم اي لكونهم لا بد ان يتخطوا الالتزام بايمانهم وباخلاقه وتعاليمه وايحاءاته ورؤاه واحقاده . ان الانسان لن يستطيع ان يكون انسانا الا بقدر ما يعصي ايمانه وتعاليمه ويخرج على ما يأمراه به .

ان المؤمن ليس الا كهفا رهيبا كئيبا يثوي ويعيش ويجوع ويعوي في داخله وحش لا يستطيع كل وحش الكون ان تساوي نابا أو ظفرا من انيابه أو اظفاره ، يتحول اي هذا الوحش الساكن المحتل لنفس المؤمن الى تعاليم واخلاق ومشاعر وعلاقات وكآبات ولعنات وقراءات وصلوات . ان كل ما يدعى ايماننا وتعبدا ليس الا لغات لعواء هذا الوحش الساكن في نفس المؤمن ولغات للعواء له .

اتمنى لكل نبي ومعلم وشاعر وفنان وانسان ان يكون حبا وصحفا وجمالا ونبوة وشعرا وفنا بلا مذهب أو انتماء أو ايمان أو تعاليم ، وارض له ان يكون مذهباً او ايماناً او انتماً او تعاليم بلا حب أو صدق أو جمال أو نبوة أو فن أو شعر . .

اتمنى له ان يكون انسانا لا ايماناً او عقيدة . . أليست العقائد تشويهها وتزويرها للانسان وعدوانا على طهارته وبكارتته وبرائه وحبه وصفائه ؟ أليست فسوقا بصفة الضمير واخلاقه ؟ أليست تعلمه كيف يعادي ويكره ويحقد ويقبح ويذنب ويضل ؟ أليست سلاحا يبتكره ويشحذه ويرفعه القادة والزعماء والمعلمون الدجالون لكسي يضربوا ويخدعوا ويحكموا ويقهروا ويحاربوا ويشوهوا به الانسان ؟ هل للعقائد في

مصاب ونيات الاقوياء والمتسلطين والطامحين اي تفسير غير أن تتحول الى سلاح لارهاب قهر وسوق الجماهير الضالة العمياء الجبانة؟

هل ابتكر الزعماء والقادة والعلمون الماكرون سلاحا لاذلال الانسان وخداعه وتثويبه ولافساد ذكائه وضميره واخلاقه وحبه وطهارته الانسانية وللسيطرة عليه ، مثل سلاح الايمان والتعاليم والمذاهب ؟ وهل ابتكروا هذه الا ليفعلوا بالانسان كل هذا ؟ وهل ابتكر سلاح لمحاربة الانسان ولقيادته الى كل الحماقات والعداوات والاكاذيب تحت اعلی الهتافات والاناشيد مثل هذا السلاح ؟ وهل في عبقریات الشيطان ما يساوي عبقريته حينما ألهم الزعماء والقادة والدعاة الماكرين ابتكار العقائد والتعاليم والمذاهب ؟ وهل ساعد الشيطان اصدقاءه ومساعديه بشيء مثلما ساعدهم بابتكاره لهم سلاح الايمان والشعارات والانتماءات ؟

ان الانسان لا يكون حياة أو ابداعا أو ذكاء أو قوة أو نظاما أو جمالا أو حبا أو اخلاقا أو سعادة أو فرحا أو صحة بالايمان أو التعاليم أو بأي انتماء مذهبي أو ديني أو قومي ، ولكنه يكون كل ذلك بالخبرة والمعرفة والقدرة والحاجة والضرورة وبالحوافز والاسباب الاخرى التي ليس منها الايمان أو التعاليم أو الانتماءات المختلفة . كما انه لا يكون بالايمان أو التعاليم أو بالانتماءات خبيرا وذكيا في ابتكار وصناعة الازياء الجيدة أو في ابتكار واصلاح وتشغيل الاجهزة العلمية الدقيقة أو في زراعة الصحاري المجدبة أو في اختراع وانتاج الصواريخ الكونية أو في أعداد وقيادة الحروب المنتصرة ، كما لا يكون وسيما أو قوي العضلات بشيء من ذلك . انه يكون لانه يريد ويستطيع ان يكون لا لانه يؤمن . . . لقد تكون انسانا لانه استطاع ان يتكون لا لانه قد آمن بشيء أو بمجده ، اذا تكون انسانا .

نعم ، انه محتاج الى ارادة الشيء والى الاقتناع بقيمته ونفعه وجماله ومجده لو الى الاقتناع بكون الشيء ضرورة أو مواجهة محتومة أو موقفا ينبغي الالتزام به . لانه محتاج الى التعامل نفسيا وعقليا مع الاشياء . ولا بد من هذا التعامل مع الاشياء . ولكن الفرق العظيم بين الاقتناع والارادة والموقف وبين الايمان والتعاليم والانتماء المذهبي وغير المذهبي . . . الفرق العظيم بين ان نفعل بالاقتناع والارادة والمواجهة وبالاختيار للموقف وبين ان نفعل تحت املاء وضغوط واوامر الايمان والتعاليم والانتماءات المختلفة . . .

ان الفرق لعظيم بين ان نفعل لاننا نعرف ونريد ونختار وبين ان نفعل لاننا نؤمن أو نلقن ونؤمر . . . بل ان الايمان والتعاليم والانتماءات لا بد ان تكون هزيمة أو اضغافا أو تضليلا أو افسادا للاقتناع والارادة والمواجهة وللاختيار للمواقف وللحماس

لها ٠٠ انها تفسد وتخدع وتشوه الذكاء والمنطق والرؤية والصدق ٠ انها تخيف وتسرق كل تفاسير الانسان ٠

ان جميع الاشياء والكائنات من حيوانات ونباتات ومواد طبيعية تكون جميلة وعظيمة ومفيدة وشامخة وذكية وذات قيمة أو تكون نقيض ذلك بالخصائص الذاتية وبالظروف الاخرى المشابهة بلا تعاليم أو ايمان أو انتماءات ، وكذلك يكون البشر مهما قيل وظن غير ذلك ٠

ان هذه الكائنات الحيوانية والنباتية والجمادية والمعدنية لو كانت تكون أو لا تكون بالايمان والتعاليم والانتماءات اي لو كانت تحكم وتتكون وتعمل بها لكان محتوما ان تتشوه وتضل وتفسد وتقبح وتفقد كل خصائصها النبيلة الجميلة المهيبة ان لم تعجز وتمت ، ولكان محتوما ان يخدعها ويفجر باخلاقتها ومزاياها الزعماء والقادة والوعاظ والمعلمون الجاهلون الماكرون كما خدعوا الانسان وفسقوا بعقله واخلاقه ولا يزالون وسوف يظلون يفعلون ذلك به دون امل في النجاة أو الانقاذ أو التمرد أو الرفض ٠٠

لنتصور ، لكي نسقط ذعرا وانفجاعا ، لنتصور الشمس أو الارض أو السحاب أو الانهار أو البحار أو الحقول محكومة بتعاليم ومذاهب واحقاد وعداوات الزعماء والقادة والانبياء وكل افواج المعلمين ٠٠ لنتصورها تتعاضد وتتباغض وتتشتات وتتقاتل بالزعامات والنبوات والنظريات والمذاهب والاديان كالبشر ٠٠

لنتصورها لا تتكون أو تعمل أو تعطي أو تجيء أو تذهب أو تصانق أو تعادي الا بالايمان والمذاهب والتعاليم والانتماءات لكي نكف عن كل تصور ، روعا وهربا من وحشية التصور لقبح ووحشية هذا التصور ٠

ولكن هل يمكن ان نكون حينئذ موجودين اي لو ان هذا التصور كان واقعا لنذهب ننتصور ، لنراعي ونهرب من كل تصور ؟ لقد وجدنا وظللنا موجودين لان الكون ليس مؤمنا ولا مذهبيا ، ليس تابعا لنبوة أو زعامة أو لاية تعاليم ولا يستطيع ان يكون كذلك ، لهذا امكن ان نوجد ونبقى والا لامره ايمانه بنبوته أو زعامته بتدميرنا وتدمير كل شيء ٠

انها لاعظم واسدج خدعة تلك هي القول والافتناع بان الانسان لا يستطيع ان يصنع حياته جيدة وجميلة وعظيمة ومتطورة الا بالايمان والمذاهب والتعاليم ، او بان حياته محتاجة الى ذلك لكي تكون كذلك ٠٠

ان هذا يساوي القول أو الافتناع بان البشر لن يستطيعوا أو يعرفوا ان يصنعوا ملابسهم ويلبسوها أو ان يبنيوا بيوتهم ويسكنوها أو ان يشقوا الطرق ويسيروا

فيها أو أن يشتهوا الطعام ويقيموا مواعده ويجلسوا اليها أو أن يحبوا الجنس ويمارسوه أو أن يتعاونوا ويتصافحوا ويتعانقوا ويتصادقوا ويتحابوا ويتلاقوا ويتحاوروا ويتعلموا القراءة والكتابة واللغات الا بالايمان والتعاليم والشعارات وبالتحول الى قبائل وعشائر مذهبية أو دينية أو قومية ٠٠٠ نعم ، ليست الانقسامات بالايمان والمذاهب مثل الانقسامات بالقبيلة والعشيرة ؟ اليس الانتماء الى هذا والتعصب والولاء له مثل الانتماء الى هذه والتعصب والولاء لها ؟ اليس الحب والبغض طاعة واحتراما للقبيلة مثل الحب والبغض طاعة واحتراما للاله أو للنبي أو للمذهب أو للايمان أو للزعيم أو للمعلم ؟ اليس الموقفان بداوة ؟

ليست الدولة التي تعادي لاختلاف العقيدة أو المذهب أو النبي أو الاله أو المعلم مثل الذين يعادون لاختلاف الانتماء الى القبيلة أو العشيرة ؟

ليست هذه الدولة قبيلة أو عشيرة مذهبية ولكن بوحشية وبداوة وخبث وجاهلية اقصى ؟ اذن اليس البشر جميعا قبائل ويظنون قبائل مهما اختلفت الاسباب والتفسير العلنية ؟ اليسوا جميعا بدوا في اعماقهم مهما كانت ازياؤهم وبيوتهم ومدنهم ؟ ليست البداوة هي التفسير الدائم لكل صيغ الانسان الحضارية ؟

نعم ، حينما نجد انسانا متفوقا في شيء أو اشياء ، في ابداعه أو نجاحه أو نشاطه أو في حدة ذكائه ونفاذ رؤيته وسرعة بديهته أو في قدرته على أن يعطي الحب ويأخذه وعلى أن يكون ساحرا قاهرا في علاقاته ولقاءاته ومعاملاته ومحاوراته فهل نفكر في قوة ونوع ايمانه أم في قوة ونوع مواهبه الذاتية ؟ هل نقول حينئذ : ما اقوى واعظم ايمانه أو مذهبه أو تعاليمه أو الهه أو نبيه أم نقول : ما اقوى واعظم الانسان الذي في داخل ذاته ؟ هل نسأله حينئذ عن ايمانه أو ننقل الى ايمانه أو نستعير حينئذ منه كتابه المقدس لنقرأه ونؤمن به لكي ينتقل الينا تفوقه من حروف كتابه المقدس ؟

ان التفاوت بين البشر في قدراتهم واعمالهم وتقواهم النفسية والاخلاقية لا يمكن أن يكون تفاوتاً بين ايمان وايمان أو بين ايمان وفقد ايمان ، ولكنه ولا بد تفاوت بين مواهب ذات ومواهب ذات متعاملة مع ظروفها لا مع ايمانها . انه لا يمكن أن يكون تفاوتاً بين اله واله أو بين نبي ونبي أو بين دين ودين أو بين مذهب ومذهب . ان اي انسان لن يساوي الا ضخامة أو تقامة ذاته ، لن يساوي الا حدود ذاته مهما كانت ضخامة أو حدود الاله أو النبي أو المعلم أو المذهب أو الدين الذي يؤمن به اي في تصويره له أو في حقيقته .

انه لو آمن بالله أو نبي أو زعيم أو دين أو مذهب له كل ضوء وحرارة وارتفاع الشمس لما ساوى في نفسه أي المؤمن به إلا ما كانت تستطيع ان تطلق وتعطي ذاته من ضوء وحرارة وارتفاع قبل ان يؤمن به وبعد ان يكفر به لو كفر به أو لو لم يؤمن به .

لهذا فان الفروق بين ضخامات وتفاهات وقامات وهامات البشر لا تساوي الفروق بين آلهتهم وانبيائهم وايمانهم وتعاليمهم في الضخامات والتفاهات والهامات والقامات . ان احدا لا يعظم بعضهم الله أو مذهبه . . ان ذات المؤمن هي التي تخرج وتحدد وتفسر ذات الله ومعلمه وليس العكس . . لهذا فان اصحاب الاله أو النبي أو الدين أو المذهب أو الزعيم الواحد يتفاوتون جدا في مواهبهم . ان أي اله أو دين أو مذهب أو عقيدة أو انتماء من أي نوع لا يحيا في ذاته بل في ذات المؤمن والمختمي . ان المؤمن هو القوي أو الضعيف لا الاله .

ما ارحس واسهل التقدم والعظمة والتقوى الاخلاقية والنفسية لو كان الانسان يستطيع ان يصبح متقدما وعظيما وتقيا هذه التقوى اذا آمن بالله أو نبي أو مذهب عظيم ومتقدم وتقيا أو يدعو الى ذلك أو يزعم كذلك . . لو كان يساوي ايمانه الذي تصوره أو أعلنه أو علمه أو اعتقده . .

اذن لتسعد وتفرح عيون وضماير النجوم وكل الاشياء . . لتسعد وتفرح جدا لان جميع هؤلاء التافهين والعاجزين والاغبياء والانذال المائلين لكل الاتجاهات يستطيعون ان يصبحوا نقيضا حادا شاملا لنقائصهم اذا هم آمنوا بالله أو مذهب يرفض ويلعن نقائصهم هذه أو ينهي عنها ويدعو الى نقيضها ويعلم نقيضها .

نعم ، لتفرح وتسعد عيون وضماير النجوم وكل الاشياء ، ولتسترح من عذاب الرؤية والمواجهة والتفكير والاستفظة والانفجاع . . لتسترح من الوان العذاب الذي تصبه فيها التفاهات والبلادات والندالات والذنوب المائلة لكل الافاق .

ايتهنا النجوم ، نتضرع اليك ان تصابي بالشهامة ، ان تصبجي الهة لكي يؤمن بك الساكنون في اعماق الحضيض ، لكي يرتفعوا الى سمواتك ، لان المؤمن يصعد الى مكان الهه ، الى المكان الذي يتصوره ويؤمن به لالهه . . لان المؤمن يصعد صعود ايمانه لا صعود انسانيه ، لا صعود هامته وقامته وطاقاته الذاتية . . لان المؤمن لا يخلق بأجنحته بل بأجنحة اربابه كما لا يجوع أو يتالم أو يرقص بأعضائه وشهواته بل بأعضاء وشهوات اربابه .

ايها المتخلفون جدا في كل مستوياتهم العلمية والعقلية . . المتقدمون جدا في كل مستويات الجهالة والجهل والفناء . .

لا تحزنوا ، بل أفرحوا وتكبروا لانكم ستصبحون الهة في العلم والعقل والذكاء ، ستصبحون كل الالهة للعلم والعقل والذكاء ، لانكم تؤمنون باله هو كل ذلك وتؤمنون بكتاب مقدس يمتدح العلم والعقل والذكاء والعلماء والاذكياء والعقلاء ويهجو النقيض ويوعده بالعذاب والهوان . والانسان يخلقه ويصوغه ايمانه ، كما تخلقه وتصوغه اخلاق وصفات ومواهب الاله او النبي او الزعيم او الدين او المذهب الذي يؤمن به . اذن ضخموا ، ضخموا جدا صور وتصوراتكم للاله او النبي او الدين او المذهب الذي به تؤمنون !!

اذن ليزدد ايمانكم بهذا الاله وبهذا الكتاب المقدس لكي يصنع منكم ايمانكم هذا الذي لا بد ان يصنعه . ولماذا لم يصنعكم حتى اليوم ؟ هل التفسير ضعف ايمانكم او فقده ؟ هل انتم كاذبون في ايمانكم بهذا الاله وبهذا الكتاب المقدس ؟ اذن اصحقوا في ايمانكم لكي تصبحوا كل آلهة العلم والعقل والذكاء اليس صدقكم يحولكم كما تقولون وتؤمنون الى كل ما تريدون من قوة وعظمة ومجد وتفوق وجمال ؟ لماذا انتم دائما كاذبون في ايمانكم ايها المؤمنون بأعظم الالهة والانبياء والاديان والمذاهب ؟ هل عظمة الدين او الاله او النبي او المذهب تعني حتما كذب المؤمن ؟

ولكن يا قومنا ، يا مالكي هذا الاله وهذا الكتاب المقدس ، يا محتكري الايمان بهما ، كونوا نبلاء وهايين ، علموا كل العالم الايمان بهما لكي لا تبقى فوق الارض ولا في احشائها اية جهالة او بلاءة او سفه او خطأ أو بله لان الايمان يصوغ المؤمن على مقاساته هو لا على مقاسات المؤمن . .

لان من يكون الايمان به يصوغ الايمان، يصوغ قوته وضعفه، جماله وقبحه، . . . ان اله العرب وكتابهم المقدس هما اعظم الالهة والكتب المقدسة . اذن اليس محتوما ان يصنع الايمان بهما اعظم الشعوب لان الناس يجيئون مساوين لايمانهم ، ولان ايمانهم يجيء مساويا لما ولن يؤمنون به ؟

اما اذا لم يصنع الايمان بهما ذلك فهل يوجد تفسير غير التفسير القائل بأن الانسان لا يساوي الا ذاته ، لا يساوي ايمانه او آلهه او نبيه او معلمه او دينه او مذهبه - غير التفسير القائل بأن الايمان لا يعني اي شيء جيد او يقود الى اي شيء جيد . . . بأن الايمان لن يكون الا لغة يطلقها المؤمن او تطلق عليه ولكنه لن يكون خالقا او واهبا او محرزا او منشطا لاي معنى من معاني المؤمن . . . اما التفسير الاخر البديل فهو القول بأن آله العرب وكتابهم المقدس ليسا شيئا عظيما ، لهذا فالايمان بهما لن يصنع عظمة او مجدا أو قوة أو تقوى أو جمالا

أنسانيا بل لا بد أن يصنع أي الايمان بهما نقيض هذه المزاي . لان الانسان يساوي ايمانه فقط ، وايمانه لا يساوي الا ما يساويه ما يؤمن به من آلهة وانبياء ، ومعلمين وقادة ومذاهب وتعاليم . . .

• فقيمة ما نؤمن به ، عظيمة أو رديئة ، تنتقل الى ايماننا وتطوغه بعظمتها أو رداءتها ، وايماننا ، باعنا أو معوقا ، ينتقل اليها ليصوغ قوتنا وضعفنا ، مزايانا وذرأثنا . . . لهذا انتقل آلهتنا ونبيينا وكتابنا المقدس الضعيف في كل شيء الى ايماننا ليصبح ضعيفا في كل شيء ، ثم انتقل ايماننا الضعيف في كل شيء الى ايماننا ليضعفنا في كل شيء ، ليجعلنا في ضعفنا بلا نموذج . . .

فهل يمكن القول بهذا التفسير البديل ؟ أما تفسيرنا الدائم لهذه القضية فهو الزعم أننا لم نؤمن الايمان الكافي دون أن نسال : لماذا نظل دائما عاجزين عن هذا الايمان ، أو لماذا يشترط علينا ايمان لا نستطيعه أو لا نريده . لماذا آلهتنا عاجزة ان تصنع لنا الايمان بها ؟

أيها المؤمن ، أنت خارق في جودة حظوظك . أنك تستطيع أن تكون في سلوكك ونياتك واهوائك كل النذالات والفجور والتلوث والعصيان والقبح الانساني ثم تظل التقى الرضي المحمي المرعي الاول في منطق الآله ورؤيته ومحاسبتها لك وفوق مائدة محبه . وذلك بأحد شرطين أو أسلوبين ، أو عملين سهلين تافهين بل نذلين فاضحين مخجلين في حوافرهما ونطقهما وتقاسيرهما . . .

أحدهما أن تقول بأسلوب الاعلان والشعار والتوكيد والاعتقاد : أنك تؤمن بأن لا اله الا الله وبأن لا معبود بحق سواه ، وبأنه هو وحده الخالق الواحد القادر الواهب الآخذ المانع المحيي القاتل المسوي المشوه المضل الهادي الكاسر الجابر المحب المبغض المعز المذل الممرض الشافي المغني الفقير المقوي المضعف الهادم الباني المضحك المبكي الخادع الماكر الفعال لما يريد لا لما يريد المحتاجون والمتألون المنتظرون المؤمنون الضارعون المخلوقون المحكومون . . . الفعال لما يريد لانه يريد لا لانه نبل أو حق أو جمال أو واجب أن يريد . . . المرید لانه يريد لا لانه يعرف أو يحترم أو يريد ما يريد . . . الفعال لانه فعال قادر لا يستطيع أن يكف عن الفعل لا لانه يفعل ما يعقل أو ينفع أو يطلب منه أو يجدر به أو يصنع له المجد أو الفرح أو الراحة أو يصنع ذلك لمن يفعلهم ويفعل لهم ويفعل بهم أو يفعل فيهم . . .

فاذا آمنت هذا الايمان تحولت كل خطاياك وذنوبك ونذالاتك وشرورك وأحوالك الى تقوى وقداسة وطهارة ونبل والى غفران ورضوان ومحبة . . .

نعم ، لقد آمنت بالسلطان الاعظم ووحدته ومجده وأرضيت انانيته الهمجية والقيت على عتباته بكل قصائد المديح والهوان والافتقاص ...

انه سلطان . انها اخلاق وشهوات وطموح اي سلطان بدوي همجي .
اذن فلتتمح سيئاتك من كل صفحات الكون . بل لتتحول جميع سيئاتك الى اعظم وأتقى الحسنات ، تكتبها لك دواوين الآلهة بكل اقلامها على كل صفحاتها .
انها اخلاق الهك العربي البدوي الذي نحت ذاته على صيغة ذات سلطانك البدوي .
نعم ، انه سلطان عربي بدوي المواهب والحسابات والشهوات والمتاعر .
اليس السلطان العربي يغفر لما حده وموحده ومجده ولو نفاقا وخداعا كل اخطائه وخطاياهم ونقائصه ؟ بل اليس يهبه كل الرضا والعطاء والعطف والتقريب منه والحب له ؟

اجل ، الست ايها المؤمن تحول الآله الذي تؤمن به الى سلطان عربي همجي ، لا يحاسبك او يراك او يقرؤك الا بمقدار ولائك له واعلانك لهذا الولاء ؟ الست تقول بكل الجهر والفخر ، راويا عن آلهك ونبيك وايمانك : « من شهد الا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرمه الله على النار » .

« ما من عبد قال : لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة ،

« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك ،

« من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وسرق وقتل ،

« من كان آخر كلامه : لا اله الا الله غفرت ذنوبه ولو كانت ملء السموات والارض ،

اي ان اي انسان يقول هذه الكلمة في آخر لحظات حياته تمحى كل الآثام والاحوال التي ملأ بها أعوامه المائة او الاكثر من المائة التي عاشها !

هل يستطيع سقاء جميع سلاطين العرب البدو ان يساوي شيئا من سقاء هذا الآله على مادحيه وموحيه ؟

هل يستطيع جميع سلاطين العرب الهمج ان يكونوا احد التفاسير الهمجية لهذا الآله الهمجي في محاباته لمادحيه وعابديه ومنافقيه ، في فقد لوقاره ونكائه ، في حبه وعطائه لهم ؟ هل يستطيعون ان يكونوا في سخائهم على الشعراء المداحين الكذابين الضالين منافسين لهذا الآله في سخائه السفيه على مؤلهيه ؟

كائن يفرق في حبه لك ورضاء عنك وإعجابه بك ، غافرا لك كل قباحتك ورذائلك وفحشك وفحشائك اذا أنت اعلنت انه وحده في كل شيء دون أي شريك ، ولكنه أي هذا الكائن يوقع بك كل عقابه وبغضائه وغيظه ، رافضا منكرا لاعنا محقرا كل مزاياك وطهاراتك وعبقرياتك لو انك قلت انه ليس وحده في كل

شيء أو لو أنك شككت في ذلك أو لو أنك آمنت بغيره أو احترمته أو صليت له أو هتفت به أو له أو حدثت في مزاياه ليتحول تحديقك في مزاياه إلى غيرة مجنونة في ذلك الكائن .. أو لو أنك ظننت أو تمنيت أن يكون له أمثال أو أبناء ليساعده إذا شاخ أو مرض أو تعب أو أخطأ أو سئم .

ولكن من هو هذا الكائن العجيب الكئيب ؟ وهل وجد أو يوجد حقا ؟
انه الهك ايها المؤمن ، وانه سلطانك ايها العربي !

اذن كم يفضحك ايمانك بآلهك ايها المؤمن ، وكم يفضحك سلطانك ورئيسك وزعيمك ونبيك وذكأوك و أبأوك ايها العربي !!؟

كم يفضحك آبأوك ايها العربي ؟ انهم هم الذين صاغوا لك الهك ..

لقد صاغوه من اخلاقهم ، من أخلاق انبيائهم وسلطينهم البدو ..

اما الامر أو الشرط أو العمل أو الاسلوب الاخر الذي يحول كل سيئاتك وذنوبك الى أبر الحسنات والصالحات فهو التوبة الى الهك ايها المؤمن .. والتوبة شيء خارق في مزاياها وقدرتها .

انها الطاقة العجيبة التي تستطيع أن تغسل وتطهر ما لا تستطيع جميع البحار والانهار أن تغسله أو تطهره .. انها تحول النذل والخسيس والفاجر والمثو جدا في كل تاريخه ونياته ومواهبه وقدراته الى أعظم شهم وقديس وظاهر يتحدث الآله في كتبه المقدسة وبالسنة انبيائه عن شهامته وقداسته وطهارته وعن احتراق قلبه أي قلب الآله حبا له وشوقا اليه وخوفا من العجز عن مجازاته وتكريمه . انها القدرة الخارقة التي تحول الانسان الى نقىض طبيعته وقدرته لانه غير أسلوبه أو مكانه أو لغته ، خوفا أو عجزا أو تعباً أو خديعة ..

انها أي التوبة هي أن تظل كل حياتك تقارف كل ذنوب ونذالات ودماصات وشرور الكون والاشياء ، ثم في آخر لحظات حياتك تعلن ، خوفا أو عجزا أو مكرأ أو متاجرة أو ساما ، أنك قد تبنت إلى الهك لكى يصرخ الهك بكل جنون الفرح قائلا لك : تعال إلى لكى أصافحك واعانقك وأقبلك واعايشك وأفرح وأفاخر بك يا أنبل وأقدس وأتقى وأطهر وأصدق كائن تمناء وتخيله واحتمل به فكري وضميري وحبى وفنى وخيالى وصنعتى وأخرجته يدا يوقدرتى وأطوار ومعجزات تاريخي أنا الآله ، أنا الآله !! تعال إلى يا أسعد وأنظف وأجمل من سوف أجمل منه نديمي وجليسي وأنيسي في أعلى أعالي جناتي ليكون دوائى وشفائى أنا الآله ، أنا الآله من عذاب وقبح وكآبة ووحشة وحنتي وغربتي أنا الآله ، أنا الآله .

أه • وهل يوجد ما يمكن أن يداوي أو يشفي وحشتي وغربتني ووجدني أنا
الآله ، أنا الآله ؟

ان من نماذج ذلك أن توقع بانسان ما كل ألوان القتل والتعذيب والسرقة
والتحقير والاهانات والوقاحات واللعنات والعدوان ، أي أن تفعل به وبأبنائه وأهله
وأمواله وقومه ووطنه وقيمه وبكل ما يحب ويحترم يريد كل ذلك ، بكل نيات
وأساليب وأخلاق النذالة والخبث والبذاءة والعدوانية ، ثم تحت عدد من الاسباب
والخوافز غير النقية أو النظيفة أو النبيلة أو الشجاعة تعلن توبتك الى ذلك الانسان
أي تعلن أنك لن تفعل به شيئاً مما فعلت به أي مستقبلاً ، ولكن دون أن ترد
اليه شيئاً مما أخذت منه أو تشفيه من شيء أوقعه أو لوثته أو أوجعته أو
أحزنه أو أغضبته به ، ودون أن تتحول من خصائص وأخلاق ونيات وطبع النذل
الوقع الخبيث الكريه الى نقيض ذلك ، لكي يجن أي ذلك الانسان الذي فعلت به
كل ذلك وأعلنت أنك سوف تتوقف عن ان تفعل به ما فعلت - نعم ، لكي يجن
فرحاً وأعجاباً بك ورضاً عنك وحباً لك ، لكي يراك ويعلمك اعظم وأنبل وانفع
واتقى أصحابائه وأحبائه وخلصائه !!

لكي يراك كل تفاسير النبوات والقداسات والصفاء والوفاء والحب والطهر ..
ان هذا لمن اصغر النماذج لتفاسير وقيم توبة المؤمن الى الله وتقبل الله
لتوبته وفرحه المجنون بها وبه !

ان هذا النموذج لمن اصغر التفاسير لمجد التوبة والتائب والتوب اليه ..
اذن هل يمكن أن يوجد أو يتصور أرخص أو أردأ قيمة وتفسيراً وجهداً ونتيجة
من التوبة والتائب والتوب اليه المتقبل الفرح بالتوبة اليه المطالب بها المتحدث
عنها بابتهاج وفرح معلن ؟

هل يوجد أصغر تفسيراً ممن يفرح بأن يتوب اليه الصغار الانذال الملوثون
لأنهم قد خافوا أو عجزوا أو شبعوا ؟

هل يوجد مخادع وقح هاج مهين مثل التائب ، أو مخدوع مهجو مهان متوقع
عليه متقبل لذلك فرح به مثل التوب اليه اذا تقبل التائب أو فرح به أو جازاه
وشكره على توبته ؟

اذن هل يوجد مثل الآلهة سذاجة وضالة حينما تطالب بالتوبة وتفرح بها
وتجزي عليها ؟

ان من يتوب لا يغير ذاته أو يصوغها صياغة جديدة وإنما يزيئها .. أنه ليس
إنساناً يكبر أو يتطهر أو يشفي من ضعفه أو غبائه أو دماياته أو وقاحاته أو نذالاته

أو من أي مقاس من مقاساته الانسانية ، ولكنه انسان يضعف ويهون ويتضرع ويصلي بلا ايمان أو جمال أو حب أو صدق أو بايمان ليس فيه شيء من الجدد أو العظمة أو البسالة أو القوة العقلية أو النفسية أو الاخلاقية .

ان الثائب ليس انسانا يتخطى ذاته ولكنه انسان يخفي أو يشوه ذاته بوضعها في مقاسات وأعضاء غير أعضائها ومقاساتها . . .

ان الصرصار حينما يتوب أو لو تاب فلن يكون أكبر من صرصار أو غير صرصار ، كذلك الانسان حينما يتوب أو الذي يتوب ، لن يكون أكبر مما كان أو غير ما كان قبل أن يتوب .

والذين يجدون في الثائب تفاسير أفضل مما كان فيه أو غير ما كان فيه قبل أن يتوب ، أو يتوقعون أن يجدوا فيه شيئاً من ذلك هم قوم يجدون في الصرصار غير الصرصار أو يتوقعون أن يجدوا فيه غيره . ولكن ليس كل الناس يجدون في الصرصار ويتوقعون أن يجدوا فيه بل ويريدون أن يجدوا فيه أكثر وأجمل من صرصار ، من كل صرصار ؟

ان أي اله أو نبي أو انسان يطلب التوبة من الملوئين المذنبين المتوحشين المفتضحين المهابطين الى كل أعماق كل الاوحال والتشوهات الانسانية ، لن يكون الها أو نبيا أو انسانا يبحث عن الكمال أو الجمال أو السمو أو النظافة أو التقوى أو الحب ، وانما يبحث عن القبح والضعف والفحش والهوان والنفاق الراكع المطيع له . انه آله أو نبي أو انسان يبحث عن الطاعة والاستسلام لا عن العظمة . وهل في الآلهة أو الانبياء أو القادة من يبحث في الآخرين عن العظمة لا عن الطاعة ؟

ان من يطالب بالتوبة ليس كائنا يغازل أو يعشق أو يخاطب النجوم أو يصعد اليها أو يلقي بالتائبين فوقها ، ولكنه كائن يحدق في الحضيض ويهوي اليه ويعظه أو يهدده أو يرشوه ويعدده ليكون حضيضا مطيعا خاضعا له متلائما معه ، ليكون حضيضا كما يريد هو ، بالصيغة والتفسير اللذين يريحانه ويتوافقان مع اهوائه وأوضاعه وطموحه . ليس كل ما تريده الآلهة والانبياء والاتقياء والاقوياء من الآخرين هو الحضيض مطيعا مستسلما مريحا متلائما لهم ؟

والتوبة لا تعني كل هذا فقط بل تعني اتبع وأفزع . ان التوبة كما يقول الايمان والاديان تسعد الآله وترضيه وتفرحه . اذن لا بد من فعل ما يجعل التوبة مطلوبة ومفهومة ، أي لا بد من العصيان والفساد لكي يتاب منهما الى الآله بكل التضرع والانكسار والاستغفار لكي يتقبل ويغفر وهو في أعلى نشوات الفرح والرضا والاعجاب بالنفس ! . . .

انه يريد أن يفرح لانه قد أصبح نبيلاً وشهما لانه يتقبل ويغفر ويسامح من يطلب منه ذلك !

وهل يتوب أو يستغفر من لم يذنب أو يفعل الفساد ؟ وهل لتوبته أو استغفاره معنى ؟ وهل يسعد الآله بتقبل أو باستقبال التوبة أو الاستغفار ممن لم يفعل شيئا يوجب التوبة والاستغفار ؟

أجل ، هل يمكن أن يسعد الآله بتوبة التائب وتقبل واستقبال توبته ما لم يكن أي التائب مثقلا بكل الاحوال والخطايا ؟ أليس مجد الاله وسروره في لعق الذنوب والاحوال ؟

اذن فالؤمن مطالب بان يفعل المعاصي والفساد ليتوب ويستغفر ، ليسعد الآله بتقبل توبته وبالغفران له . . . انه مطالب بأن يظل أبدا بالتكرار والديمومة يعصي ويتلوث ، لكي يظل أبدا بالتكرار والديمومة يستغفر وينوب ، لكي يظل الآله أبدا بالتكرار والديمومة يتقبل ويغفر ، لكي يظل أي الآله أبدا بالتكرار والديمومة فرحا سعيدا راضيا عن نفسه ، عن مجده وقوته وأخلاقه وكبريائه . . . ! وهل للمؤمن من ثمن أو معنى أو قيمة غير أن يصنع الفرح والسعادة والنشوة الراقصة للآله ، لقلب الاله وعينبه ؟

اذن فالإيمان بلا فساد وعصيان متكرر لا يساوي أو يعني شيئا في حساب الاله ، في حساب فرحه ونشوته وسعاده الجائئة الى الفزق أبدا .
اذن فالؤمن النظيف المستقيم أبدا هو أردأ وأقبح المؤمنين في حساب الاله ومعاملاته وأمانيه لانه لن يهبه أي يهب الاله الفرح المتجدد وهل لأي شيء قيمة في حساب الاله غير أن يصنع له الفرح المتجدد ؟

وأئمة رجال الدين والمحدثين يروون عديدا من الاحاديث النبوية في تفسير وتقرير هذه القضية . . .

انهم يروون أن النبي قال : « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر الله لهم . . . » كما يروون أنه قال : « ان الله لا يفرح بشيء مثلما يفرح بتوبة العاصي يجيء اليه تائبا مستغفرا . . . » والاحاديث والآراء في تأكيد هذا المعنى كثيرة معروفة . . . انهم يدركون ان الله لم يرد من الناس الا ان يراقصوا عواطفه بالاقبال عليه والادبار عنه . . .

وهم يرون بكل للقوة والحسم أن شيئا من صفات الله لا يجوز أن يتعطل أو يتوقف عن العمل أو يستغنى عنه أو يكون بلا تفسير أو بلا وظيفة . . . وهل يوجد تحقير للآله مثل أن يصبح شيء فيه بلا عمل ؟

ومن أشهر صفاته وأحبها إليه وأفرحه بها : أنه غفار وغفور وتواب وقابل للتوبة وفرح بالتائب والتوبة ، وبأسط كفيه ليستقبل بهما كل الخطايا والاعطاء والاحوال ليلقي بها في محيطات كرمه وعفوه وتسامحه وشهامته • أنه يريد أن يكون شهما • وهذا هو طريقه الى الشهامة • اذن فالؤمنون الذين يتطهرون ويستقيمون ويطيعون كل التعاليم الى أن تصبح صفات الاله هذه بلا وظيفة أو عمل لا بد أن يتحولوا الى أعداء وغيظ وأغصاب وتهوين وأضعاف للآله ولفرحه بنفسه ورضاه عنها • انهم يحرمونه من أن يكون غافرا متقبلا محسنا غاسلا للادران • انهم يحرمونه من أن يقول بكل الفرح والكبرياء : لقد غفرت وعفوت وسامحت وتقبلت ••

أن هؤلاء المؤمنين لو وجدوا لمن يكونوا الا أحمادا واسكاتا لعيني الاله ولاشواقه عن الابتهاج التحرك النابض المتجدد •• انهم يعطلون بعض صفاته ويجعلونها بلا وظيفة أو تفسير ••

وهل يسعد أو يفرح أو يحيا الاله الا بالانفعالات المتصادمة المتناقضة المتفائلة المتشائمة الراجية الخائفة المطاعة المعصية المواجهة لكل القبح والتلوث ولكل الجمال والنظافة ؟ وهل يصنع له هذه الانفعالات الا من يتلوثون ويذنبون ثم يتضرعون ويستغفرون ويتوبون ، ليستمروا يتلوثون ويذنبون ، ليستمروا يتضرعون ويستغفرون ويتوبون ، لكي تستمر عواطفه أي عواطف الاله متنقلة بحماس متوهج بين الشيء ونقيضه •• بين الفرح والاكتئاب ، بين الانتصار والإنهزام ، بين التساؤل والتناؤل ؟ ان الحماس المتوهج المتناقض هو أعظم عزاء وتعويض لمن حكم عليهم بأن يكونوا موجودين وأحياء ••

ان كل الاحياء محتاجون الى التداوي والى التخفيف من قسوة ودماة مواجهتهم ومعايشتهم لحياتهم ولذواتهم وأعضائهم •• والانفعالات المتضادة هي احد اساليب هذا التداوي والتخفيف من قسوة ودماة هذه المواجهة والمعايشة • وهل يمكن تصور محتاج الى أن يتداوى ويخفف من عذاب وتفاهة ودماة وسخافة وجوده وحياته ، ومن عذاب وتفاهة وسخافة وقبح مواجهته ومعايسته لوجوده وحياته ، مثل الاله ؟

اذن هل يمكن تصور محتاج الى الانفعالات المتناقضة مثل الاله ؟ اذن هل يمكن تصور كائن يحتاج الى أن يطاع ويعصى ، الى أن يعصى ثم يسترضى ويرشى بالاستغفار والدعاء وبالوعد بالتوبة له وبالرجوع اليه ، بلا توقف أو نهاية ، مثل الاله ؟

وهل يمكن ان يفعل الاله الا ما يحسب انه يهبه الفرح والمجد والراحة والقوة والاعجاب بالنفس والوضا عنها ؟ فلو كان يرى أن الهبوط الاخلاقي والنفسي والعقلي والانساني بكل اساليبه لا يهبه ذلك لكان محتوما بل وواجبا عليه جدا ان يخلق الناس ضخاما كبارا جدا ، لا يستطيعون او يريدون او يرضون او يحتاجون ان يهبطوا الى اي مستوى من مستويات الفسوق والعصيان او التلوث او الغباء او النذالة او القبح باية صورة من صوره . . هل يمكن ان يكون هبوط الانسان بكل تفاسيره الا تعبيرا عن صيغة تكوينه ؟ هل يهبط او يضعف الا من خلق ضعيفا هابطا ؟ هل يخلق الضعيف الهابط الا من يسعد بالضعف والهبوط ؟ هل يمكن ان يخلق الاله الانسان بصيغة من لا يراد له او منه ان يهبط او يضعف ثم يستطيع ان يهبط او يضعف ؟

هل يستطيع اي مؤمن أو عاقل أن يعتقد أو يظن أن الله قد يتعمد أن يفعل أو يخطئ، فيفعل ما يصنع له الاكتئاب أو الغيظ أو الغضب أو الهزيمة أو الانفجاع أو المرارة ؟ هل يستطيع أحد أن يشك في أي شيء من هذا ؟

اذن فالدعاة الذين يحاولون أن يصوغوا الانسان صيغة تقوى وطهارة اخلاقية ودينية ونفسية هم قوم يحاولون أن يحرموا الاله من فرحه وسعادته ولذته . . . اذن انت ايها المؤمن محمي ، بتوحيديك الاله وتبوتك اليه واستغفارك اياه ، من ان تكون مستقيما اخلاقيا او دينيا او انسانيا بل ومن ان تكون مطالبا بذلك . هل انت مطالب بان تكون نقى ذلك بل ومرفوض لو لم تكن هذا النقيض ، بل ومعاقب . ولكن هل تستطيع الا تكون هذا النقيض ؟ هل تستطيع الا تكونه مهما فرض عليك وطولبت بل وارتدت الا تكونه ؟

نعم ، تبوتك واستغفارك بالتكرار والديمومة يصنعان ايها المؤمن ، للاله الفرح والمجد . اذن انت مطالب بان تكون آثما وملوثا بالتكرار والديمومة لكي لا تعرم الاله من فرحه ومجده ، بل لكي تصنع له الفرح والمجد . . .

انك بفسادك وتلوثك لست مؤذيا أو محزنا للاله أو فاعلا ما لا يحب بل صانع له السرور والحب والمجد .

اذن فالايمان ليس طريقا الى الاستقامة او الطهارة الاخلاقية بل هو طريق الى الخروج على هذه الاستقامة والطهارة . .

ان المؤمن الذي لا يكون ملتزما بهذا الخروج على هذه الطهارة والاستقامة فلن يكون صانعا للاله ما يريده ويسمى له اي فلن يكون المؤمن المثالي المرجو المطلب به ، اي الذي جاءت النبوات والاديان لتصوغه وتعلمه وتبشر به .

هذه حقيقة حزينة ومثيرة يجب أن يعلمها ويتعلمها مفسرو الاخلاق ومعلموها ودعاتها .. وشيء آخر أعجب وأكثر جدياً من كل هذا . ذلك ان فاعل المعاصي والخطايا الكثيرة تتحول معاصيه وخطاياها الى حسنات اذا تاب ..

يقول القرآن : « أولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات » . اذن لتتعاظم وتتكاثر آثامك وذنوبك ايها المؤمن لكي تتعاظم وتتكاثر حسناتك عند الله ..

بايمانك بالاله وتوحيدك له تغفر وتغسل كل ذنوبك وعاماتك واولالك ، وبحاجتك الى ان تتوب اليه وتستغفره وتبكي بين يديه ، بل بالزامك بذلك ، وبحاجته اي الاله واشواقه الى ان تفعل له ذلك اي التوبة والاستغفار والصلاة ، تطالب وتلزم بأن تكون بال تكرار والديمومة عاصيا خسيسا وقحا ملوثا فاعلا كل الرذائل والنقائص . وايمانك هذا بكل هذا لا بد أن يحرضك على الا تكون قاسيا في الزامك لنفسك بأن تكون أخلاقيا في سلوكك أو نياتك أو تقواك .

اذن ايها المؤمن كيف يمكن او كيف تستطيع او تجرؤ او يقبل منك او يغفر لك ان تكون نظيفا أو تقيا أو اخلاقيا أو عظيما ؟

انك لو كنت ، أو لو استطعت ، أن تكون كذلك ، أي نظيفا أو تقيا ، أو عظيما ، لفقدت أنت والاله كل هذه المزايا .

نعم ، الاله لا يكون الها سعيدا فرحا مجيدا ألا بان يكون بالديمومة منظفا غافرا متقبلا .. اذن أنت ايها المؤمن مأمور بان تكون بالديمومة ملوثا آثما ندلا لكي يستطيع اي الاله أن يكون منظفا غافرا متقبلا ، لكي يستطيع أن يجد من يجعله كذلك !! ليس المحتوم أن يكون الاله أعظم منظم غافر متقبل ؟ اذن ليس المطلوب ان تكون أعظم ملوث مذنب ؟

هل يستطيع أي مفسر للإيمان ولاخلاق الاله وشهواته ورغباته وأشواقه وأوصافه ان يخالف في شيء من هذه التفسير لهذه القضية ؟ وهل يسعد الاله او يفرحه أو يريحه أو يمجده ان يفسر بغير هذه التفسير ؟

ان الاله متواضع جدا في تفسيره وفي اشتراطه لتفسيره . أنه يريد ان يفسر كما هو لا كما ينبغي .

ولكن ما أعظم حظوظ الاله في هذه القضية . لقد كان المؤمنون به في جميع العصور والمجتمعات اسخياء واتقياء جدا في فعلهم لكل ما يريده ويريحه ويفرحه ويطمح اليه من فجور وسقوط وضعف وهوان ونذالة وكذب وغباء ودمايات . ومن تلويت له وكذب عليه وبه ومن عبادة للظليان والوثان الفاجرة وتسويغ لكل للظلم

والمظالم والسرقات باسم الايمان به وتوحيده وطاعته وعبادته . لقد كان المؤمنون دائما نبلاء وشرفاء وكرماء في خروجهم على الاله . لقد كانوا دائما خارجين عليه بكل الاساليب التي تصنع له كل الفرح والرضا والاستمتاع .

حتى الوثنية . . ان دعاة الايمان بالاله ودعاة توحيده وكل المؤمنين به وحده هم وثنيون بلا منافس ، هم عابدون بكل الحماس والهوان لافجر واقبح الاوثان دون أن يستطيع أي وثني منافستهم في كثافة وشمول وتنوع وهوان وثنيتهم ان اوثانهم اوثان فاجرة ظالمة سارقة بالخبث والشر والفحش وليست اوثانا عاجزة صامتة بريئة مهذبة وهمية كالاوثان التاريخية .

ان شيوخ وائمة دعاة الايمان بالاله الواحد الاحد لا تستطاع منافستهم في عبادتهم لكل الاوثان المتعددة المتعاقبة ، لكل الحكام والسلطين ولكل ألوان الطغاة والاقوياء والتسلطين المتعاقبين الوثنيين ، وفي تعبدهم وهوانهم لكل ما يبتكره أو يعلنه هؤلاء الوثنيون من وثنيات متبدلة متعادية متلاعنة باسم المذهب أو العقيدة أو الثورة أو الوطنية أو حتى باسم الدين أو الاخلاق أو النظام . حتى للدين والايمان ، انهما يتحولان الى اقبح الوثنيات ويتحول دعاتهما الى اقبح ولوقح الدعاة الى الوثنية . .

ليست كل الوثنيات تصغر وتهون وتتواضع لو حوسبت بوثنية الايمان والدين؟ ان اكبر شيوخ وائمة الدعوة الى الايمان والتوحيد ليحولون شهوات وأهواء وحماقات وبلادات وبذاءات وأكاذيب ومظالم وأوامر وأخطاء طغاة مجتمعاتهم المتعدين للتناقضين المتعاقبين الى أقسى واقبح الوثنيات ، يفسرونها ويعلمونها ويمجدونها ويمسكون لها وبها . ويحولون كل الالهة والانبياء والاديان والكتب المقدسة والتاريخ وكل شيء حتى أخلاق النجوم والبحار والانهار والاعاصير والزلازل الى تسويغ وتفسير وتبشير لها وبها والى تناء عليها وتدليل على صحتها وتقواها وفزاعتها وشهامتها وعبريتها بل انهم ليحاولون أن يدللوا على أن التعاليم والشرائع والكتب المنزل لم تنزل الا لتكون دفاعا وثبوة عن المعاهات والهزائم والمهموم التي يصاب بها من يحكمون ويتسلطون .

نعم ، ان اكبر شيوخ وائمة الدين والتوحيد بل كلهم هم في كل العصور والمجتمعات اقبح واكثف من كل الوثنيين والمشركين وثنية واشراكا بالاله ، ايماننا وسلوكنا ودعوة وتعلينا وتوظيفنا . انهم عبدة اوثان وصانعو معلوم اوثان .

نعم ، ان شيوخ الدين وائمة هم دائما عبدة اوثان وصانعو معلوم اوثان . هل يجهل ذلك احد؟ بل هل يعرفه احد؟ كيف لا يعرفه كل احد؟

أليس يراه ويعيشه كل احد ؟ هل الناس لا يعرفون الشيء لانهم يرونه ويعيشونه ؟ انه ان كانت الوثنية أو الاشراك بالاله الواحد طريقا الى الجحيم فلا بد أن يكون شيوخ وأئمة الدين والتوحيد هم أول من يسيرون في هذا الطريق . . هم أسمن الحيوانات التي سوف تمتلئ بها الجحيم ويمتلئ بها الطريق الى الجحيم . . انه قد يندر حينئذ الاقبال على الجحيم لانه يندر من يقبل مساكنة هؤلاء الشيوخ والأئمة ولو في الجحيم لضعف معاني الانسان القوية الشامخة الشجاعة فيهم ولعنف كآبة ضماثرهم وقلوبهم واخلاقهم .

ان اردأ وأفسق وأقسى الاوثان في كل التاريخ هم الطغاة في المجتمعات المتخلفة المتدنية ، وأن أفسق واردأ وأبدأ وأذل المفسرين والسوغيين والمشرعين المجدين لهذه الاوثان اي لهؤلاء الطغاة الاوثان هم شيوخ وأئمة الدعوة الى الايمان والدين والتوحيد هم معلمو الاديان وحمائنها ومفسروها وموظفوها .

لنتذكر ، نعم ، لنتذكر هذا جيدا . .

لنتذكر أن الشيخ أو الداعية الديني الكبير لا بد أن يصب علينا كل اللعنات ويعد لنا أظنع مكان في الجحيم لو أننا اعتقدنا في حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو في حيوان نافع بريء نبيل بينما يتحول هوالى أفجر وأذل عابد وحارس ومفسر وممجد معلم لاغبي وأقسى واردأ الوثنيات التي يفرضها الطغاة اللصوص القتللة الجهلة الانذال المخربون على المجتمعات . . .

على عقول المجتمعات وأفكارها وعقائدها وتصوراتها وظموحها وتمنياتها واخلاقها وعلى فنونها وآدابها ولغاتها وعلى مذاهبها وأديانها بل وعلى صداقاتها وعداوتها وهمومها ومسراتها . . . أي يفرضون عليها أن يتحولوا فيها الى أقوى وأشرس الالهة المطلقة الرئية الحاضرة ، أي ان يكون كل شيء فيها كما يريدون ويأمرون حتى الالهة والنبوات والاديان والكتب المقدسة يجب أن تكون في كل نصوصها وتفاسيرها كما يريدون ويأمرون . أن الالهيات والنبوات والاديان والكتب المقدسة لا تهون أو تنتشوه في مكان مثل هوانها وتشوهها في المجتمعات المؤمنة المتدنية لانها في هذه المجتمعات لا بد أن تؤدب وتزور وتحتقر لمثلا يكون لها أي معنى غير أن تكون كما يهوى ويطلب الحكام المتخلفون الفاسدون المتسلطون .

نعم ، حتى الايمان بالله وحده وعبادته يتحولان الى اذل وأوقع وأزدا أنواع الوثنيات ، لان شيوخ الدين وأئمته يذهبون يعلمونها اي يعلمون الايمان بالله وعبادته ، ويفسرونها ويلقنونها ويؤدونها كما يريد ويأمر ويرى الطغاة المتسلطون .

انه لا شيء يهان ويشوه مثلما يهان ويشوه الاله والدين في المجتمعات المؤمنة المتدينة ،
مثلما يشوههما ويهينهما شيوخ الدين ليكونا على مقاسات حكام هذه المجتمعات .

انهما اذن اي عبادة الله والايمان به يتحولان الى ايمان بالطغاة الحاكمين والى
عبادة لهم مهما زعما عبادة للاله الواحد وايماننا به وحده . ان ائمة الدين وشيوخه
يحولونهما الى ذلك في كل العصور والمجتمعات . . . ولهذا فان صيغ الاله واخلاقه
ورغباته وتعاليمه وتفسير كتبه المنزلة تتبدل وتتغير بقدر ما يتبدل ويتغير الطغاة
الحاكمون ، وبقدر ما تتبدل وتتغير احوالهم وظروفهم ومصالحهم ومواقفهم .
انه اذا تحول طاغية المجتمع المؤمن المتدين من ملك الى رئيس فلا بد ان تتحول كل
تفسير الاله الى اخرى تلائم التحول الجديد . . .

ان مقاسات شخصية الاله في أي مجتمع متدين مصنوعة ومستلهمة دائما من
مقاسات شخصية الحاكم القوي المتسلط ، أي لا بد أن تصاغ وتفسر كذلك . أن قبح
وجه أو صحة أو نسب هذا الحاكم لابد ان يتحول الى قبح في تفسير شخصية الاله .
اذن هل توجد وثنية مثل وثنية المؤمنين المتدينين الموحدين ؟ او هل يوجد صناع
للوثنية مثل ائمة الدين وشيوخه المعلمين للايمان والتوحيد ؟ هل يوجد متروك لشيوخ
الدين الجاهل المنافقين الاغبياء مثل الاله ، ينحتون ذاته وجميع نماذجه من نفاقهم
وغباثهم وجهلهم ليكون تفسير الاثام ونقائص طغاتهم ؟

اذن هل وجدت او يمكن ان توجد ذات معبوث ملعوب مهزوء مفجور بها ، مباحة
معروضة لكل انواع التحريف والتسخير والتزوير ، مثل ذات الاله ؟

اذن لتحنزن وتبك وتتعذب كل القلوب والعيون والضامائر رثاء له اي للاله واشفاقا
عليه ومجاملة لهوانه وماساته وضعفه ولاستسلامه وصبره وصمته الذليل البليد
الطويل . . . وهل يوجد مثل صبر الاله وصمته على كل من يشوهونه ويلوثونه ويعبثون
به ويكذبون عليه وبه بلا اي رفض او مقاومة ؟

نعم ، ما هنا حقيقة يجب الا تكون مفاجئة مهما كانت فاجعة وصادقة . . . تلك هي
ان الاله والدين في المجتمعات المؤمنة المتدينة لا يحولان المؤمنين بهما الى تفسير
لهما ، ولكن المؤمنين بهما هم الذين يحولونهما الى تفسير مستسلمة طيبة لكل
تفاهاتهم ونفاقهم وهوانهم واهوائهم وبلاداتهم وآثامهم ، ولكل طغيان وحماقات
ونذالات واكاذيب وسرقات طغاتهم المتعاقبين المتبدلين عليهم . . .

أي ان الاله والدين لا يصوغان المؤمنين بهما ولكن المؤمنين بهما هم الذين يصوغونهما . انهما
يطيعان المؤمنين بهما دون أن يطيعهما المؤمنون بهما . انهما ابدا تفاسير لاجساد المؤمنين
بهما لا تخطيط او تعليم او صياغة لاجسادهم . . . ليس المؤمن انسانا يعبد او يطيع
او يحترم الها لو دينا بل انسان يعبد ويطيع اخلاق وتعاليم جسده .

ان الناس لا بد ان يفعلوا شهواتهم ونقائصهم وخطاياهم الملائمة
الشهية ، مؤمنين بالاله والدين وغير مؤمنين بهما ، ولكنهم حينما يكونون مؤمنين
بهما فلا بد ان يفسروا ويسوغوا ما يفعلون ويدافعوا عنه بهما اي بالاله والدين ، او
يفعلونه عصيانا وفسوقا متعمدا فوق سرير الاله والدين ، وداخل تحديقتهما الغاضبة
المقودة ، واختراقا لتحديداتهما واغراءاتهما وتضرعاتهما الحزينة الباكية ، دون ان
يموتوا او يمرضوا او يفقدوا الشهية من الحياء والرغبة او التائب . وهل وجد او يمكن
ان يوجد عصاة أجرا على العصيان واكثر شعورا بالامن من عصاة الاله والدين ؟

هل غير الاله والدين شيء يستطيع عصيانه ويجرؤ على عصيانه كل احد كل
الوقت بلا اية مقاساة ؟

ان لهذه القضية منطقا او تفسيرا آخر بائسا . . .

ذلك أن المؤمنين الايمان الديني الغيبي قد يحولون ما يوجد أو ما يفترض فيهم
او ما يطالبون به او ما يشعرون به او ما يشعرون انهم ملزمون به ومحتاجون اليه من
حماس وطاقات وتعبيرات اخلاقية وانسانية وفكرية وفنية وعاطفية وحضارية - نعم ،
قد يحولون ذلك الى اساليب استقراعية استنزافية ايمانية دينية تعبدية . قد
يستقروغون كل معاني الانسان فيهم استقراغا دينيا . ان لاستقراغ انسانية الانسان
استقراغا دينيا لتاريخا طويلا اليما بائسا .

نعم ، ان ممارساتهم للطقوس والشعارات والاهتمامات والعداوات الايمانية
والتعبدية والدينية قد تسحب منهم او تضعف فيهم كل الاقتحامات والكينونات
والاحتمالات والاشواق الانسانية الاخرى . . . ليست الاتجاهات المختلفة والمتعارضة
تتنافس على سرقة حماس واشواق وطاقات الذات ؟

ان هذه الممارسات قد تعوضهم وتلهيهم عن كل احتمالاتهم الاخرى اي الفكرية
والاخلاقية والانسانية . . انهم قد يشعرون ويقتنعون بهذا التعويض ويتلهون به
ويستقروغون كل حماسهم ونشاطهم الانساني فيه . ان الالهة والاديان مهما كان عجزها
عن صباغة الانسان اية صياغة قد تستطيع ان تسرق منه حماسه الانساني .

ان هتافهم وصلواتهم وامتداحهم ودعائهم لاشباح آلهتهم وانبيائهم واشباح
كل اصنامهم المقدسة الخارقة في كل تفاسيرها وتصوراتها وقدراتها ومزاياها ،
وان ايمانهم واعجابهم بهم وبها وتحديقهم فيهم وفيها ، ان ذلك قد يقتل او يضعف او
يخمد او يشغل فيهم كل شوق وحنين والتفات الى اي معنى انساني او اخلاقي او
فدائي أو جمالي آخر . . . ألا يتحول الايمان بالاله والصلاة له الى صلاة ضد الانسان
والى زندقة بقيمه ؟

ليس التحديق والتفكير الحادان الدائمان في الاشباح والارواح غير المريضة
الرهيبة القوية الحاضرة المحاصرة المتربصة المطلقة التصرف ، مع التحدث الدائم
الساخن التعبدي الارهابي عن هذه الاشباح والارواح ...

... نعم ، ليس ذلك يضعف الرؤية للوجود المنظور والرؤية للذات ويضعف
الشخصية والتفكير والمنطق والقدرة على ضبط السلوك والانفعالات وعلى اخراجها
اي اخراج السلوك والانفعالات اخراجا ذكيا قويا جيدا محترما وايضا يضعف كل
الاهتمامات والحسابات الاخرى المطلوبة ؟

ليس معاشية الاشباح بالايمان والاحساس والرهبنة عدوانا على معاشية الحياة ؟
اذن ليس محتوما او محتملا او مفترضا ان يجيء المؤمنون بالآلهة والاديان هم
أضعف الناس في قيمهم وتفاسيرهم الاخلاقية والانسانية والحضارية اي بقدر ما
يكون ايمانهم هذا قويا وحماسيا وحيا اي ولو باللفظ والوعظ والاسلوب اعني ولو كانت
قوة وحماس وحياة ايمانهم بالخطابة والتحدي والادعاء والشكل فقط ؟

وقد تكون المشاهدة الدائمة اقوى تدليلا على ذلك من كل تفكير ومحاولة
اثبات . وهل يهجو الايمان بالآلهة والاديان مثل التحديق في المؤمنين هذا الايمان ومثل
مشاهدتهم وقراءتهم بمساءلة ومحاسبة ومحاكمة في كل عصورهم واطنانهم ؟

نعم ، قوم يعيشون مع الشمس وتعيش الشمس معهم ، تعيش في بيوتهم
وعيونهم وافكارهم واحاسيسهم ولغاتهم وصلواتهم وفي اناسيدهم ، بكل الجهر
والقوة والاحراق والاشراق والديمومة والشمول ..

هؤلاء القوم هل ينتظر منهم ان يصنعوا او يوقدوا الشموع او اية اجهزة اضاءة
اخرى ؟

ليس محتوما ان يحطم ويطفئ هؤلاء القوم كل الشموع ان كانت لديهم شموع ،
او ان يتركوها تتحطم وتنطفئ ؟ انسان يعيش شبح الاله في كل معانيه
واحاسيسه الانسانية كيف يمكن او يستطيع ان يعي اي شيء سواه او يهتم به او
يسراه ؟

نعم ، انه لا مكان ولا سرير فعلت فوقه كل الخطايا وأوقع الخطايا مثلما فعلت
وتفعل فوق سرير الاله ، فعلها ويفعلها المؤمنون به التائبون المستغفرون الباحثون
عن رضا اي رضا الاله وعما يصنع له الفرح والابتسام والمجد والكبرياء ..

نعم ، وان كل التفاسير لاي داعية دين وتوحيد كبير هي انه داعية ومفسر
ومسوغ ومشروع وناشر وعابد لاقبح واثقل وأرسخ الوثنيات .

ان اي نبي كبير ليس الا داعية كبيرا ومشيدا كبيرا لوثنية كبيرة ، اكبر من
كل الوثنيات التي جاء ، في دعواه ، ليلعننها ويلغنها .

نعم ، ان البشر لا يتخلصون او يتداوون من الوثنيات • انهم لا يستطيعون ذلك ولا يزيحونه ، ولكنهم ينتقلون من وثنية الى اخرى ويعلنون كفرهم بوثنية ليؤمنوا بوثنية قد تكون اطغى واقبح ••

ولم تتعاضم كما لن تتعاضم حظوظ البشر من الوثنيات مثلما تعاضمت وتتعاضم في مجتمعات وعضور النبوات والديانات الكبرى المعلمة للتوحيد والداعية اليه واللاعنة الملقية للوثنيات •

في مجتمعات وعصور الايمان والديانات القوية التوحيدية تتحول ويراد ان تتحول كل الاشياء الى اوثان فادحة خالدة ••

تتحول الى اوثان تحرسها وتعلمها وتعيشها النبوات ••

ان ذات النبي الذي يجيء ليعلم التوحيد والايمان بالاله الواحد ، كذلك ولادته ومكان عصر ولادته وموته وقبره وكل اقواله وافعاله واوصافه وتشوّهاته وآلامه البدنية والنفسية والفكرية ، وحتى قيئه وبصاقه وهزائمه واناته وضحكاته وملابسه وشعر لحيته وبياض شعره ، وحتى اقاربه وقبيلته وزوجاته واصدقاؤه ، وحتى حروبه ولعناته وبغضاؤه واحقادته وخصوماته وحساسياته وحتى مخاصماته لزوجاته ••

•• حتى علاقاته الجسدية بزوجاته ••

نعم ، ان كل ذلك يتحول الى اوثان معبوده مقدسة لا تحاسب او تنافش • كذلك في مجتمعات الايمان والتوحيد والتدين القوي تتحول شهوات ومغامرات وحماقات وبذاءات واخطاء واهواء واكاذيب وسرقات الحاكم القائم ، ملكا أو أماما أو خليفة أو رئيسا ، الى اوثان ووثنيات مخربة قاتلة جاهلة مفسدة فاسدة وقحة ••• كذلك تتحول جهالات وخرافات ونفاق وضعف وتعاليم ومواعظ وفناوي ممن يزعمون ويسمون شيوخا وأئمة ودعاة واقطابا واولياء وعارفين وواصلين - تتحول الى اوثان غبية باسم الايمان والتوحيد الذي يعلمونه ••

بل ان الوبئة والامراض والمجاعات والقحط والحشرات وجميع الكوارث والاختفاء الطبيعية تتحول وتحول في مثل هذه المجتمعات المؤمنة المتدينة الموحدة الى اوثان مسحوبة ومصنوعة ومنحوتة من ذات الاله ، من حكمته ورحمته وعقله وحبه واخلاقه وفنونه وجماله •• لهذا يجب الشكر والصلاة لها ومن اجلها ، كما يجب التحدث عن حكمته ورحمتها وجمالها ، كما يجب تفسير كل ذلك واعلانه والاعتراف به لها وفيها • اليس يجب الايمان بانها اي الحشرات والوبئة وكل حماقات الطبيعة جزء من ذات الاله ، من تدبيره وارادته ونظافته وشهامته وعقريته ؟

اذن ايها الايمان ، ايها التوحيد ، ايها الديانة القوية الكبرى •• لا تجيئي ، لا تجيئي لئلا يتحول كل شيء في المجتمعات المؤمنة الموحدة الى اقصى الاوثان والوثنيات •

لثلا يتحول بصاق وقيء ودما مات وبذاءات وعداوات انبيائك ومعلميك الى اقسوى
وارسخ الاوثان والوثنيات . . .

اما ان كنتم قد جئتما ايها الايمان ، ايها التوحيد ، وجئت ايتها الديانة القوية
الكبرى فموتا وموتي لكي تموت اقصى الاوثان والوثنيات . . .
ان شعيرة واحدة من شعائر اية ديانة توحيدية جاء بها نبي من انبياء السماء
لهي اثقل واشمل وثنية من جميع الوثنيات . . .

هل عبدت الحجارة والاماكن او الازمنة او التاريخ او التعاليم او ذوات البشر
مثلما عبدت وتعبد في تعاليم الديانات السماوية الكبرى التي جاءت لتعلن التوحيد
وتفرضه على كل العالم ؟

هل عبد التراب والقبور والاكفان البدوية التاريخية مثلما عبدت في اديان
التوحيد ؟

ان في احشاء واستار كعبة واحدة من كعبات ديانات التوحيد من صيغ وتفسير
الوثنيات ما لا تستطيع جميع الوثنيات أن تماثله أو تنافسه في كل صيغها
وتفسيرها ، في كل تاريخها واطانها واوثانها . . . أن في ذات نبي واحد جاء معلما
للتوحيد من معاني الوثنية ما ليس في كل اوثان الجاهلية . . .

لهذا فان مجيء وانتصار دين توحيد قوي في اي مجتمع من المجتمعات لا يمكن ان
يعني الا الانتقال من وثنية صغرى الى وثنية كبرى . . . من وثنية متسامحة متواضعة
فنانة شاعرية انسانية جمالية غنائية باسمه الى وثنية قوية كئيبة متعصبة
كالحقة حاكمة عدوانية محروسة بكل اسباب واساليب وجيوش الارهاب والتهديد
والبطش والالغاء لكل معاني الانسان .

محروسة بالزبانية والملائكة الغلاظ الشداد وباهوال الجحيم وبكل افواج والوان
الطفاة ، من الحكام الانزال ومن الشيوخ والعلمين الجهلاء الاغبياء الاذلاء المنافقين
الجالين المحولين للاله والنبي والدين والكتاب المقدس ولكل الاشياء التي يزعمون
الايمان بها .

وللتاريخ والحياة وكل شيء الى عبادات وقمصان وجلابيب ، مفصلين لها على
كل المقاسات والاحجام ، لتكون على مقاسات احجام جميع الوثنيات والاوثان المتعاقبة
المختلفة في احجام ومقاسات اجسامها واهوائها وقبحاتها وتشوهات ونذالاتها وآثامها .
نعم ، هل حدث ان حكم وتسلط اي وثن دون ان يجد هؤلاء الشيوخ الله والنبي
والدين والسماء والتاريخ والكتب المنزلة وكل شيء طبق جميع احجامه ، في كل
تفسيره ، بكل تفسيرها اي دون ان يصبح الله والنبي والدين والسماء والتاريخ
والكتاب المنزل وكل شيء عبادات وقمصان وجلابيب وتفسير مفصلة على مقاسات
واحجام هذا الوثن الحاكم المتسلط مهما كانت مقاساته واحجامه ، اي في تعاليم

وتفاسيسر ومواعظ وآراء وفقه هؤلاء الشيوخ المتحدثين
باسم الازل والابد .. باسم السماء والارض .. باسم الابالسة والملائكة، باسم الجحيم
والفردوس ، باسم الانسان في كل اجياله واطواره واعراقه واجناسه وتاريخه
وحضاراته اي هؤلاء الشيوخ الذين يتحدثون كلما تحدثوا ومتى وحيث تحدثوا
بضمائر وقلوب وأخلاق ونيات ونظافة وشموخ وشجاعة وذكاء اردأ واصفر واذل
الحشرات ؟

ولا بد من الاعتذار هنا الى الحشرات ، من الاعتذار اليها عن المبالغة في تحقيرها
وفي العدوان عليها بهذا التشبيه والتمثيل بها .

**

اجل أعلموا وتذكروا ايها المؤمنون بأديان التوحيد السماوية الكبرى انكم
لستم الا عبيد وثنية ، وثنية هي اطفى وأقبح وأشمل وأكثر بداوة وجاهلية من
جميع الوثنيات ..

انكم لستم مؤمنين ولا موحدين ولكنكم عباد قبور واحجار ومزارات وكعبات
ومغارات ونصوص ورجال من البدو تحولت احقادهم وعداوتهم وبدواتهم وضعفهم
وتشوهاتهم واحزانهم ومجاعاتهم وآهاتهم وجميع عاهاتهم وتفاهاتهم ونقائصهم
الشخصية الى تعاليم وتعاويذ وتسابيح وصلوات واخلق وشعارات وكتب منزلة
تتعلمونها وتعلمونها وتحفظونها وتروونها وتفسرونها وتصلون لها وبها وترون
وتجدون وتشرحون بها جمال وذكاء وروعة ورحمة وحكمة الدمامة والعامة والوباء
والمرض والكارثة والظلم والموت والقحط والذباب متنقلا بكل الكبرياء والمرح ومشاعر
الامز والثقة بين العيون والانوف والموائد والاحوال ومتربعا مغنيا باصقا مستفرغا
فوق سطور الكتاب المنزل .. فوق الجباه الراكعة الساجدة المنصلي ..

اجل ، اعرفوا هذا وتذكروه يا أصحاب الاديان والنبوات والكتب المنزلة الموحدة
.. يا أصحاب الاله الواحد الغيور الاناني المطالب بالا يكون له اي شريك في
حكيم أو أشواقكم أو ايمانكم ، أو صلواتكم أو توجهاتكم أو مغازلاتكم حتى ولا
الحجر أو الشجر الطيب الجميل البريء ..

اذكروا أن جميع وثنيات التاريخ تتصاغر وتهون وتموت وتغفر امام وثنية نبي
واحد من انبيائكم الذين جاءوا اليكم ليعلموكم التوحيد وليهدموا كل الاوثان
والوثنيات الصغيرة البريئة المتواضعة المسالمة الصديقة الانسانية الغنائية الفنية
التي لا تصنع أو تعد أو تتقبل أو تبارك شيئا من النيران أو المخاوف أو العقاب أو
الحساب أو الاحقاد أو العداوات أو الحروب أو الخصومات أو التصورات الكثيبة

الرهيبية المتوحشة التي يعدها ويصنعها ويوعد بها ويتقبلها ويباركها بل ويصلي لها وبها جميع انبيائكم القادمين اليكم من وراء الكون ليعلموكم التوحيد والايمان والحب والجمال والحنان والرحمة ١٠٠!

**

ونعود الى قضية الدين والاخلاق و الايمان والاخلاق ٠٠ وهل الدين أو الايمان يحرض ويساعد على أن تكون الاخلاق قوية وملتزمة أو على أن تكون ضعيفة ومتحللة . يقول القرآن مبشرا وميسرا ومتسامحا وغافرا بسخاء لا حدود ولا مثل له . يقول: « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . ان لله يغفر الذنوب جميعا » ٠٠

هل يوجد تحريض على التحلل من الالتزام الاخلاقي والديني أو تهوين من قيمة هذا الالتزام بل أو إلغاء لكل القيم الاخلاقية والدينية والانسانية مثل هذا ؟ أنه أسلوب عجيب فريد من أساليب المباينة والمعاهدة والوعود القاطعة لكل الآثام والعفونات بالتسامح والغفران بل بالمصافحة والمعانقة والحب والتقبل والرضا الصادق الحار .

كن صريلاً بلا جواد .. لا جواداً بلا صليل

ايها الصديق .. تحدثت في رسالتك الاخيرة وفي الكثير من رسائلك السابقة عن موهبة العرب الكلامية أو عن علتهم القديمة الحديثة المستعصية الدائمة التي معناها : انهم يتكلمون بلا حساب أو محاسبة أو محاكمة أو ضبط لاية كلمة يقولونها ، في اي موقف وامام اية قضية ، وانهم يهبونه الى الكلام كل اهتمامهم واعجابهم وحماسهم وحبهم وايمانهم ، وانهم يجدون فيه كل معاني ومستويات النضال والمقاومة والشجاعة والموهبة والانتصار والمداواة والارتواء ..

وقد رايت في رسائلك ان في موهبة العرب ، هذه او في آفتهم هذه استنزافا او تفريغا بليدا وخطيرا لطاقتهم واحتمال النضال والابداع والعمل القوي المجدي فيهم .. انك ترى انهم جميعا : زعماءهم وحكامهم وقادتهم ومعلميهم وكتابهم وجماهيرهم يزحفون على جميع القضايا والمشاكل والمخاطر والاحتياجات التي تواجههم وتفرض عليهم اعمالا ومواجهات وافكارا وتحركات ومواقف قوية وصعبة وشجاعة - نعم ، يزحفون عليها بجيوش متتابعة من الكلام اللسان المهدد الصارخ البليغ المتدين المغرور القبيح البذيء .. وحينئذ ينفذون ويسترخون ويشعرون بكل مشاعر الراحة والانتصار والمجد والقوة .. بكل مشاعر المناضل المعطى المتفوق الظافر على جميع الخصوم والانداد والمواجهات . ان كل غضب الحياة وحماسها يموتان فيهم بلا ثمن . انك ترى انهم لو لم يتكلموا لفعلوا .. لقد جاء الكلام الكثير بديلا عن الفعل العظيم .. لقد سرق الكلام من انفسهم كل طاقاتها واحتمالاتها وغضبها وحماسها . بل كل ذكائها . لقد استنزفها من الاعماق ..

ان العرب قد عاقبوا تاريخهم ويعاقبون حياتهم بالكلام وسحبوا من تاريخهم ويسحبون من حياتهم بالكلام ايضا كل خصوصيتها وراثتها وعبقريتها وكل ما فيها من احتمالات الولادة الجيدة .. انهم يبالغون جدا في سب وتهديد وتحقير الاعداء والمشاكل والايثار وحينئذ يشعرون بالارتواء والشفاء .. انهم بذلك يستفرغون انفسهم ..

وهذا الرأي الذي رايت وقلت ايها الصديق يراه اليوم ويقول كثير من متحدثي العرب ومفسريهم بل ومفكريهم . انهم يعتقدون كما اعتقدت ان العرب لو لم يوهبوا هذه الموهبة او لو انهم شغوا منها لتفجرت فيهم المواهب الانسانية الاخرى التي تاخر

تفجرها كثيرا حتى ملئت عيون الاشياء من انتظارها ، بل حتى صارت تخجل من انتظارها . . لهذا فان هؤلاء المتحدثين والمفسرين بل والمفكرين قد هبوا في نوبات من الحماس الصادق المتصاعد ينصحون ويحرضون ويعلمون الاقلال من الكلام ومن كل فنون البلاغة والمبالغة والخطابة ، من كل فنون الصوت والتصويت . . لكي يجي في زعمهم ما طال انتظاره من الاعمال والقفزات العظيمة المفقودة حتى الافتضاح والياض . . انهم يرون ان كل عبقریات العرب تتحول الى اجهاض بلا اية ولادة بسبب كثرة الكلام والتصويت .

اجل ، ان العرب ظاهرة كلامية . وقد يقال انهم ظاهرة صوتية اي اقل من كلامية . . ان للكلام او للتصويت او الصوت في حياة العرب وفي تاريخهم شأنًا بل تاريخًا بل مجدا ضخما ، ضخما . . ان مجد الكلام في حساب العرب ليس في قوله او في الاستماع اليه فقط او في المقاتلة والتهديد والانتصار او في التداوي ومحاولة حل جميع المشكلات به فقط . بل ان مجد الكلام وقوته في كل ذلك ، بل وفي اكثر من ذلك جدا . ان الكلام في حساب العرب وتفكيرهم وايمانهم بل وفي تاريخهم هو كل المجد والقوة . حتى الاله الذي يؤمن به العرب ويصلون له هل له مجد او قوة غير الكلام المنزل البليغ ؟ ان منشورا او خطابا او قصيدة ضاجة بالشتايم والتهديد والادعاء والمفاخرة والمبارزة وبالتحدث عن الامجاد والانتصارات التي كانت يوما ما او التي زعمتها الكتب والحكايات او التي زعمت الكتب والحكايات انها سوف تكون ، انها من علامات الساعة واخر الزمان . . حتى التحدث عن علامات الساعة وعن عجائب اخر الزمان هو موعبة خطابية عربية . .

- نعم ، ان منشورا او خطابا او قصيدة من هذا الطراز يقولها او يقوله ، يلقيها او يلقيه زعيم او خطيب او شاعر مهتاج صارخ قافز من الذق والاعجاب فوق جمهور هاتف صائح من الايمان والغفلة والبلادة والهوان ، يوجهه او يوجهها اي المنشور او الخطاب او القصيدة الى عدو مثل قاهر ، او الى ضعف او فساد لا مثيل له في فضحه وافتضاحه ، او الى هزيمة هي في قسوتها اعتذار عن عار كل الهزائم ، تبدو كل الهزائم محاسبة ومحسوبة بها كأمجد الانتصارات لقسوتها .

- نعم ، ان مثل هذا المنشور او الخطاب او القصيدة ليتحول في مشاعر وحسابات القائل والسامع ، في حسابات ومشاعر القادة والحكام والجمامير بل وفي حسابات ومشاعر التاريخ والمناير والمحاريب الى اعظم واشمل شعبي عن كل ما فقد من انتصار وكرامة وقوة واستقامة ومجد وذكاء ، بل والى اشمل واعظم تكثير عن كل ما حدث وعن كل ما هو حادث ومستقر من هزائم وعار ونذالات وحقارات وضعف وتلوث وسقوط في جميع الحفر وفي اعماق كل الاحوال . . بل ان ذلك ليصنع من مشاعر الانتصار والابتهاج والتباهي والكبرياء والرضا ومن الحماس والذق اكثر واقوى مما يصنع الواقع المجيد جدا . بل ان ذلك ليوهمهم جميعا : يومهم القائل والسامع ،

القادة والحكام والجماهير والتاريخ والمغابر والمحاريب بان ذلك الواقع المجيد جدا قد جاء . اروع مجي لان ذلك المنشور او الخطاب او الشعر قد انشد باحتفال ضاح قافز هائج . ان العربي ليجد الشيء المستحيل الذي يتحدث عنه باحتياج اكثر مما يجد الشيء الواقع الذي يراه بصمت ووقار . . .

حقا . . ان العرب ظاهرة كلامية او لغوية . وقد يكون الصدق انهم ظاهرة صوتية او تصويتية ، اي انهم لم يبلغوا طور ان يكونوا ظاهرة كلامية او لغوية . . .

ان الفرق كبير بين الكلام او اللغة وبين الصوت او التصويت . . الكلام تخطيط او تعبير عن تخطيط او عن خطة او فكرة او تفكير . . ان فيه معنى الهدف والتحديد والتسديد الى شيء معين مراد معروف او مظنون . . .

اما الصوت او التصويت فانه لا يصعد الى هذا الطور . انه ليس الا تعبيراً عن الذات او عن الحالة ، تعبيراً ليس فيه معنى التحديد او التسديد او الهدف المراد او المعروف او المظنون . ليس فيه اي معنى من معاني الضبط او القصد . انه ليس الا افراسا او اطلاقاً مثل البكاء والانبين والتوتر وارتحاف العضلات . . مثل كل الانفعالات الذاتية التي تنطلق او تنطلق دون اية حسابات او انضباط او تحديد او بحث عن شيء معين معروف او مظنون . . .

وتحت هذه الفروق بين الكلام او اللغة وبين الصوت او التصويت هل العرب ظاهرة كلامية لغوية ام هم دون ذلك ؟ ام هم فقط ظاهرة صوتية او تصويتية ؟ ان الجواب على هذا التساؤل يحتاج الى تفكير فيه كل مخاوف وتكاليف الشجاعة والصدق والاخلاص والمغامرة . وهل يوجد اقل من هذه المخاوف والتكاليف ؟ ولعل نفس هذا التساؤل اقسى واخطر من الجواب عليه او من محاولة الجواب عليه . . .

ولعله تساؤل لم يسمع او يطرح بل او يتعامل مع الخيال او التصور او التفكير قبل اليوم . . اذن كم يمكن ان يكون في طرحة وفي الاستماع اليه وتقبل محاكمته والتفكير فيه من المعاناة والرهبة والمخاطرة ! . . وكم هي الكائنات المصوتة التي لا تستطيع ان تكون متكلمة ! ماذا يمكن ان يكون جواب من يتساءل او يسأل : هل العرب امام اية قضية يتكلمون ام يصوتون ؟ هل جربت هذا التساؤل ؟

ولان العرب ظاهرة كلامية او صوتية تصويتية فقط فانهم بالكلام او بالصوت والتصويت مرفوعا بلا اي ضبط او حساب يمالجون ويكفرون ويغفرون ويمجدون ويحطلون ويقاومون كل شيء ، وينتصرون على كل شيء ، على كل عدو وعلى كل خطر وتخلف وفساد وعجز وهزيمة . . انهم يجدون في الكلام شفاء من كل داء وعزاء عن كل هوان وانتصارا على كل عدو وغطاء لكل قبيح وتشوه . . .

انهم لو واجهوا ابشع هزيمة او اهانة قومية لا نموذج لها في قسوتها وفي ضعف تفاسيرها فقام صاهل وانشد قصيدة غراء من قصائد الجاهلية الاولى او مما بعد الجاهلية ، او قصيدة من ابتكاره هو يمجّد فيها آباء المروبة وبطولاتهم وفتوحاتهم

وقهرهم لكل العالمين ، او يمجّد فيها الابناء الذين انتقلت اليهم بطولات وعبقريات آبائهم ، ويمجّد ما سوف يصنع هؤلاء الابناء من معجزاته مثلما فعل آباؤهم ، او يمجّد نبوات العروبة او تعاليمها او اخلاقها او ما في قدرتها وقدرها ان تصنعه وتهبه ، ما لا بد ان تصنعه وتهبه ، بل او يمجّد خلفاءها وسلاطينها الغابريين المدفونين في مقابر جوارهم ..

- ليس تمجيد السلاطين والخلفاء الغابريين هو في حساب الانسان العربي تداويا من كل هوان وضعف وفساد وهزيمة ، وصعودا فوق كل قمة ومجد منافس او محارب ؟ بل وايقاعا بكل الغيظ والحسرة على كل عدو ؟
- اجل ، انه لو حدث ذلك وهو يحدث كثيرا بل دائما ، بل وهو وحده الذي يحدث ولا شيء سواه لنسيت تلك الهزيمة والاهانة ولتحول الموقف موقف انتصار ومجد وكبرياء وابتهاج صائح ، صائح من الاعجاب والايمان والحماس والرضا . ان كل المواقف والمواجهات والاشياء الرديئة والدميمة جدا لتتحول الى النقيض بالكلام او بالتصويت .. بالخطبة او بالمنشور او بالقصيدة او بتلاوة بعض النصوص من الكتاب المنزل الموحى به ..

انظر ، ان العرب لا يقيسون اي شعور بالعار او الافتضاح او الهجاء والتعيز للنفس او بالحاجة الى الاستتار او الاعتذار حينما يعلنون بتكرار واصرار وايمان ان اعظم ما وهبوا الحياة والحضارة ، واعظم ما تفوقوا به على العالمين ، واعظم ما تحدوا واعجزوا به الجن والانس وكل الكون المنظور وغير المنظور ، واعظم ما سوف يشفى كل شيء من آلامه وادوائه وما يختزن في ذاته او ضميره او عقله ونياته كل المعارف والعلوم والحقائق فيما كان وما سوف يكون ، ازلا وابدا ..

- ان اعظم كل ذلك هو كتاب اي كلام ، وان قيمة هذا الكتاب ليست الا في تركيبه الكلامي اي اللغوي اي الصوتي ، او ليست الا في اسلوب تصويته ..

انه كتاب ، اي كلام ، كلمات ، اصوات ، قد زعم آباء العرب ولا يزال ابناؤهم يزعمون وسوف يظلون يزعمون انه اي هذا الكتاب المعين الذي تقرؤه بتحقيق وابتذال اردأ واضعف واصفر الافواه ، وتحفظه وتفسره ارفع الضمائر واغبي واجهل العقول ، لتبجعه بأبخس الاثمان على اكذب واطلم واطفى المشتريين ، المتعاملين في اقبح الاسواق اخلاقا وسلما ووجوها .. وهل يوجد كتاب يباع كذبا ونفاقا ويشترى كذبا ونفاقا في اكثر الاسواق جهلا وغباء وفسادا ، مثل هذا الكتاب ؟

- نعم ، قد زعموا ولا يزالون يزعمون انه اي ذلك الكتاب الذي هو كلمات واصوات وقد يكون اصواتا فقط ، هو كل شيء واكبر من كل شيء !! انه حتى لو كان اي هذا الكتاب يختزن في حروفه كل العبقريات والادواة لكل الآلام لما كان مجده وقيمته عند العرب اكثر من استماعهم اليه مصوتا .. ويلي عليك وويلي لك ايها الانسان العربي . ويلي على آباءك وتاريخك ولاآباءك وتاريخك .. ابك ايها الانسان

العربي لآبائك وتاريخك ، وعلى آباءك وتاريخك .. ابك بكل وجودك ، بكل اعضائك ومعانيك رثاء لقومك ولتاريخ قومك ولعبقريّة قومك كلما تصورت هذه القصة ، قصة هذا الكتاب الذي هو كلمات واصوات او الذى هو أصوات فقط ، اصوات من أي نوع .. نعم ، من أي نوع !!

نعم ، انه اصوات ولكن ما نوع هذه الاصوات ومن اين جاءت ومتى جاءت وكيف جاءت ؟ هل فكرت في ذلك ؟ انظر بانفجاع .. ان قومك العرب بكل الجسارة النفسية والعقلية والاخلاقية والتاريخية بل والحضارية .. انهم بكل هذه الجسارات يقرؤون هذا الكتاب بكل مستوياتهم ، جماهير وقادة ، قمما وحضيضا ، يقرؤونه اصواتا وتقاسير على جميع هزائهم ومشاكلهم وهمومهم ومخاوفهم وضعفهم وعلى جميع اعدائهم واندادهم .. يقرؤونه ويقرؤونه لكي يحدث النقيض ، لكي يجيء كل ما يريدون ويذهب كل ما لا يريدون ..

انه كلام قديم ، قديم ، او اصوات قديمة ، قديمة لا يزال قومك العرب يقاتلون بها كل الاحداث ، يقرؤونها بالتصويت والتفسير لينتصروا بها على جميع مواجهاتهم الاليمة لان قومك ظاهرة كلامية او ظاهرة صوتية او تصويقية اي اقل من كلامية .. انه كلام ، كلام قديم يقرؤونه على جميع ذنوبهم وتلوثاتهم لكي تتحول الى طاعة ونظافة . ان قومك اعجب معجزة في جميع نماذجهم ونقاشاتهم وتفسيرهم البشرية . هل توجد معجزة تساوي قومك ايها العربي ؟ وماذا يعني القول بان العرب ظاهرة كلامية او صوتية ؟

انه لا يعني انهم هم وحدهم الذين يتكلمون ويصوتون ، او انهم هم اكثر الناس او اكثر من كل الناس كلاما او اصواتا وتصويقا او اعلى اصواتا وتصويقا . انه ليس محتوما ان يكونوا كذلك . انه لمحتمل ان يكون ذلك كذلك . ولكن ليست هذه هي القضية ..

ان المراد بذلك انه ليس في البشر جميعا او ليس في البشر المتحضرين او ليس في البشر الذين نعرفهم ، او ليس في البشر الذين هم نموذج البشر او النموذج الاعلى والمنطق الاعلى للبشر .

- نعم ، ليس في هؤلاء من يعملون على الكلام او على التصويت ، من يتداولون من كل شيء ويداولون او يحاولون ان يداؤوا كل شيء بالكلام والتصويت ، مثل العرب او غير العرب او باسلوب العرب او بايمانهم واقتناعهم ، ليس فيهم اصحاب مقلات مثلما كان للعرب حول كعبتهم . لقد كان تعليق العلاقات حول الكعبة يعني عند الانسان العربي اضخم عرض لكل القوة والمجد والانتصار والعبقريّة والحضارة والتفوق على كل شيء ..

اجل ، ليس في هؤلاء غير العرب او مثل العرب او باسلوب العرب وبايمانهم واقتناعهم من يحاولون ان يقاوموا كل شيء وينتصروا على كل شيء وان يحولوا كل

شيء الى النقيض بالكلام او بالاصوات السالبة الغاضبة الصالحة المهددة المتهمة المتطاوله المغرورة المباهية المبارزة المتحدية المتحولة الى نبوات والى كتب مقدسة منزلة . . هل وجد غير العرب من حولوا اصوات آبائهم السالبة المهينة المهددة الى نبوات والى كتب أوحى بها السماء ؟

لقد رأوا من مبالغتهم في قيمة الكلام ان الله قد اراد ذات مرة ، مرة واحدة ان يصنع اعظم شيء ، لاعظم شعب . فماذا فعل ؟

لقد استنجد بكل قدرته وعبقريته وبكل رحمته وكرمه لكي يصنع هذا الشيء الذي هو اعظم شيء لهذا الشعب الذي هو اعظم شعب ، كما شاور وفاوض وحاور طويلا ، طويلا جميع مستشاريه وملائكته واعوانه المخلصين الاذكياء جدا ، ضاغطا مقسما عليهم وبهم وبحبه لهم وبخوفهم منه ان يمنحوه كل نصيحهم وصديقهم واخلاصهم وفكائهم . وبعد احوال المعاناة العظمى استطاع ان يصنع هذا الشيء الاعظم للشعب الاعظم . لقد صنع للعرب كتابا اي صنع لهم كلاما او اصواتا ! لقد كان هذا الكتاب الذي هو اصوات كل عطايا هذا الاله لشعبه العربي الذي وهبه كل حبه . ولكن استغفرك ايها الاله . . اليس اللفظ هو اعظم شيء وهبته لقومك العرب الذين وهبتهم كل قدرتك على المحابة ؟

لقد آمنوا واعلنوا ان الله قد مجدهم تمجيذا لم يمجده اي شعب من الشعوب ، وانه حينما اراد ان يمجدهم هذا التمجيد الذي لم يجد أعظم منه ولم يرد ان يمجده شعبا آخر اعطاهم كتابا اي انزل عليهم كلاما . لقد آمنوا بذلك ولا يزالون يؤمنون به واعلنوا عن ايمانهم هذا اعلانا عاليا وانهم لا يزالون يعلنون عنه هذا الاعلان العالمي . لقد وجدوا في الاعلان العالمي الدائم عنه مجدا بقدر ما اعتقدوه هو مجدا .

انهم يرون ان الله قد اختار أن يجعل معجزات كل الامم معجزات علمية لانه لم يرد أن يصعد كثيرا بمكانة هذه الامم ، ولم يرد او يقدر أن تكون معجزاتها ونبواتها وقيادتها للعالم وللضمير الانساني وللمسيرة الانسانية خالدة او شاملة . . ان الله لا يستطيع ولا يريد ان يعدد في اختياره او في تفضيله . انه موحد في اختياره وفي تفضيله للعرب بقدر ما هو واحد في ذاته . .

أما هم اي العرب فقد اختار بعد تفكير طويل وحسابات حادة دقيقة متقانية في الاخلاص والحب والولاء والشهامه ان يجعل معجزاتهم معجزات كلامية اي صوتية ، اي ان يجعل هذه المعجزات كتابا يقرأ ويفنى ويفسر وتشغل جميع المنابر والمحاريب والاقلام والدجالين واللصوص بتلاوته وتغنيه وتفسيره ، كتابا يكذب ويسرق ويظلم ويقتل ويشتم ويعادي باسمه وباسم تفسيره والاستمسك به والدفاع عنه والغضب له ، الاقوياء والضعفاء ، الاذكياء والاغبياء ، القادة والجماهير . ألم تكن معجزات نبي العرب كلاما ومعجزات انبياء الامم الاخرى علوما تغير الطبيعة والاشياء وتنتصر عليها وتحكمها وتسخرها ؟ ألم يفاخر العرب بأن ذلك كذلك ؟

لقد اراد الله ان تكون امجاد العرب وحضارتهم وعبقريتهم كلاما لانه يريد ان يحبهم وان يكرمهم جدا وان يؤبد ويخلد قيادتهم للبشرية وسيادتهم عليها . أما الآخرون فلم يرد الله لهم هذا الحب او التكريم ولا هذه القيادة او السيادة . لهذا جعل امجادهم وحضاراتهم وعبقرياتهم علمية . . . لقد كانت كل امجاد الاله امجادا كلامية لهذا اختار ان تكون كل امجاد العرب المشابهين له في كل شيء امجادا كلامية اي صوتية . . .

هكذا رأى العرب وقالوا واعلنوا وتباهوا واصروا ، ولا يزالون يفعلون ذلك . لهذا فانهم لن يصدموه او يغاروا اذا غزا مجد الآخرين الشموس لان مجد العروبة لن يطاول او يمس . انه مجد الكلام ، مجد الكتاب المنزل المعجز . . . اذن ارث . . . ابك ايها الانسان العربي ان لم تستطع شيئا افضل واعظم من الرثاء والبكاء . . . اذن ابك وارث مهما استندعت وفعلت اشياء افضل واعظم من البكاء والرثاء . . . ارث وابك على امجاد آباءك وتاريخك ولامجاد آباءك وتاريخك . ارث وابك لقوم كل مجدهم في كل التاريخ كتاب منزل اي اصوات ، وكل مجدهم في عصر غزو السماء هو النفط .

اجل ايها الصديق . . .

ان العرب مصابون بموهبة الكلام . ولعلمهم لم يصابوا بشيء مثلما اصابوا بذلك مهما كانت اصابتهم في كل معانيهم وتقاسيرهم جيدة جدا ، جودة يعترف بها ولها كل العالم . ولو أن العالم اراد ان يختار ابلغ الناس او اقصى الناس اصابة بموهبة الكلام لكي ينصبهم شيئا ما او على شيء ما ، استطاع ان يجد من يتفوقون على العرب في ذلك . ولو ان الاله جمع البشر في مكان واحد ثم نادى : ليقيم ويتقدم الي ارثا الناس كلاما واكثرهم كلاما امام كل المشاكل وفي كل المواقف ولمعالجة كل الآلام والاختفاء والهزائم بل والذنوب لكان العرب هم في اول من يقومون ويتقدمون او هم كل من يقومون ويتقدمون . ان البشر لو لم يكونوا قد ابتكروا الكلام او لو انهم قبل ان يبتكروا الكلام قد سمعوا العرب يتكلمون او يؤدون ما يسمونه كلاما بالاساليب والتفاسير التي بها يؤدونه ويعيشونه ، لكان من الهجاء لهم اي للبشر ومن القسوة المتوحشة عليهم الافتراض بانهم قد يقبلون ان يصبحوا متكلمين او أن يطالبوا او ينتظر منهم بأن يصبحوا متكلمين ، اي لو فهموا كلام العرب واقتنعوا بأن كل من يتكلمون لن يتكلموا الا كما يتكلم العرب . ان العرب لا بد أن يتحولوا الى اقصى هجاء لكل من يسمعه يتكلمون ثم يحاول ان يكون متكلم . ليس احتمالا ان يتعلم الناس العجز عن الكلام خوفا من ان يتكلموا كما يتكلم العرب ؟

ولو ان الكائنات الاخرى التي لا تستطيع ان تكون متكلمة ، ان تكون شاعرة او خطيبة او واعظة او معلمة او مفكرة او مذيعة او كاتبة او صحفية او قائدا عسكريا يتحدث عن معاركه المقبلة والماضية والحاضرة ، او زعيما يتحدث مهددا الاعداء

والخصوم والانداد او واعداء مبشرا بالخيرات والانتصارات والعبقريات التي صنعها ووهبها في الماضي والتي سوف يصنعها ويهبها في الآتي ، كما يتكلم ابناء العروبة ، كما يتكلم اساتذة اللغة التي تعلمت عليها الالهة كيف تصعد الى منابرها ..

– نعم ، لو أن هذه الكائنات الاخرى التي لا تستطيع ان تصبح متكلمة سمعت شاعرا او خطيبا او واعظا او مفكرا او معلما او مديعا او كاتبا او صحفيا او قائدا عسكريا او زعيما عربيا يقول نفسه وفنه ويعبر بالكلام عن موهبته او عن ارادته وشهوته ، ثم عرض على هذه الكائنات ان تصبح مستطبعة ما لا تستطيع ، اي ان تصبح متكلمة كالانسان العربي ، كالشعراء والخطباء والوعاظ والفكرين والمعلمين والصحفيين والمذيعين والكتاب والعسكريين والزعماء العرب ، لكان من الاحترام لهذه الكائنات ومن التأدب معها والرفق في تفسيرها والحكم عليها الاقتناع بانها لا بد أن ترفض هذا العرض وان تحتج بكل الغضب والعنف على ما في العرض من معاني الاهانة والتحقير لها .. أليس مجرد التفكير في هذا العرض على هذه الكائنات البريئة لا بد ان يحسب اهانة قاسية لها ؟

بل اننا لو افترضنا الالهة تحترم نفسها ثم افترضنا انها اي الالهة تعرف منذ بدء الاشياء وقبل بحثها ان العرب سوف يتكلمون ، اذا تعلموا الكلام ، معها اي مع الالهة وعنها وفيها وباسمها ، ومع انفسهم ومع الآخرين ، والى انفسهم والى الآخرين وعن انفسهم وعن الآخرين، وعن الاشياء وفيها ومعها وباسمها وتفسيرها لها، بالاسلوب الذي به تكلموا ويتكلمون .

– نعم ، انهم سوف يتكلمون كذلك اذا تعلموا الكلام لكان من المحتوم ان نفترض بانها اي الالهة لن تأذن بأن يتعلموا اي العرب الكلام ، بل ولن تأذن بأن يتعلم الآخرون اي غير العرب التكلم او القدرة على الكلام لثلا يتكلموا اي اولئك الآخرون بالاسلوب الذي يتكلم به العرب او خيفة ان يتكلموا باللغة العربية بالاسلوب الذي يتكلمها به العرب – بل لكان من المحتوم ان نفترض بان الالهة نفسها لن تأذن لنفسها بأن تتعلم التكلم بأية لغة او بمعرفة اية لغة لثلا تتورط بأن تتكلم باللغة العربية او بأية لغة اخرى كما يتكلم العرب او لثلا تعرف كلام العرب حينما يتكلمون – بل لكان من المحتوم ان ترفض اي الالهة بأن تتخلق فيها ولها حاسة السمع خيفة ان تسمع العرب يتكلمون حتى ولو لم تفهم ما تسمع ، بل وأن ترفض اي الالهة أن تكون مبصرة خيفة أن تراهم يتكلمون ... ان رؤيتهم وسماعهم ، مجرد سماعهم ورؤيتهم وهم يتكلمون لشيء بائس مرهق حتى بلا فهم او سماع لما يقولون .

اننا هنا نفترض الالهة حيية وذكية ومهذبة ومالكة لموهبة النقد والاحتجاج والاستقباح والاشمئزاز .. اننا نفترض مستواها الحضاري والاخلاقي والشعوري أعلى من مستويات الانسان العربي .. ولكن كيف نفترض الالهة اعظم موهبة من الانسان العربي ؟ اذن من صاغ للانسان العربي موهبته ؟ ولماذا تصادفه وتعامله

وتختاره ان كانت افضل او اعظم منه ؟ أليس محتوما ان تفترض جميع المستويات الحضارية والاخلاقية والشعورية لجميع الكائنات حتى للالهة اعلى من مستويات الانسان العربي ؟ بلى ولكن قد تستننى الالهة من ذلك .

انه لو كانت توجد مخلوقات اخرى غير متكلمة تخوض معارك منافسة او مخاصمة ضد الانسان العربي لكان من الحري او من المنطقي جدا ان تجد سلاحا جيدا في تعبيره بأنه كائن متكلم او كائن مصوت اي انه لم يبلغ طور المتكلم . ولعل هذه المخلوقات غير المتكلمة موجودة ، ولعلها ظلت غير متكلمة لانها ترفض ان تتعلم الكلام لانها تخشى ان تتكلم كما يتكلم الانسان العربي .

ان القوة او القوانين التي تصوغ الكائنات والاشياء لم تكن حفية ولا رحيمة او كريمة في صياغتها للانسان العربي حينما صاغته متكلم او مصوتا ولم تصفه صامتا ، صامتا . هل صاغته كذلك عن بلادة وجهل ام عن عداوة ؟ هل قصدت هذه القوة او القوانين تشويبه وتعبيره حينما صاغته متكلم او مصوتا ام هي في موهبة النقد والرؤية للاشياء ليست افضل من الانسان العربي ، لهذا لم تدرك كما لم يدرك هو ان صياغته او مجيئه متكلم او مصوتا اقصى اساليب التشويه والتعبيير له ؟

انه لصعب جدا ان يكون هناك اي خلاف او شك في ان مجيء الانسان العربي متكلم فصح وهجاء له ، وانه كان من الرفق به والاحترام له والستر عليه ان يجيء مصابا بالخرس الطبيعي الشامل الذي لا يمكن الشفاء منه ولا العلاج له ، بل الذي لا يراد له هذا الشفاء او هذا العلاج .

افن كيف لم يفظن عربي واحد بل ولا غير عربي لهذه الحقيقة او كيف لم يبال او يتعذب بها ولها ؟ لهذا لم ترتفع اية دعوة باي اسلوب في اي وقت تنادي بأن يحرم على الانسان العربي ان يتعلم الكلام ليظل ضعفه خرس ، لتظل تشوهاتة ومواهبه المفقودة غير ناطقة او غير مذوق بها . أليس الخرس احيانا هو اجمل الازياء واقفى وسائل الاستتار ؟ أليست اضخم الذنوب ان تتحول التشوهات والمواهب المفقودة الى نبوات تخاطب ويخاطب بها ولها من فوق كل منابر الدنيا كل الاوقات بأعلى الاصوات ؟

كيف لم يفظن والد عربي واحد الى أن من القسوة المتوحشة أو من الاهمال البذيء ان يترك ابناءه يتعلمون الكلام دون ان يحاول اية محاولة لحمايتهم من ذلك . أليست حمايتهم من ذلك حماية لهم من السقوط في كل الاحوال ومن التعري والتشوه في كل المعيون والاذان بواسطة الفم .

هل الموقف هنا موقف قسوة ام تقصير واسترخاء ام بلادة وجهل ام رغبة في مشاركة الآخرين والانداد والامثال وللجيران من المواطنين في عارهم وافتضاحهم ، ام رفض للخروج على الجماعة والاجماع ، ام عجز عن هذا الخروج وخوف منه ، ام ان الانسان العربي هو دائما اكبر او اصغر من كل التفسيرات والتقايس والمحاصرات

المنطقية ، هو دائما فوقها جدا او تحتها جدا حتى انه لا يخضع لها ابدا ولا تحاول اخضاعه ابدا ؟ هل جنى الآباء العرب على ابنائهم مثلما جنائتهم عليهم حينما تركوهم يتعلمون التكلم ليتكلموا كما يتكلم الذين يتكلمون اللغة العربية ، اي كما يتكلمون هم اي الآباء ، اي ابائهم .

كيف لم توجد حتى اليوم في اية فترة من التاريخ مدارس ولا اساتذة في العالم العربي لتعليم المواطنين العرب الخرس او العجز عن تعلم الكلام او عن حمل ادوات الفصح واجهزة التعبير والتحقيق للنفس والموهبة ؟ الا يمكن في يوم من الايام ان توجد هذه المدارس وهؤلاء الاساتذة ؟

كيف يستطيع انسان ما ان يسمع او يقرأ للزعماء او القادة او المفكرين او المعلمين او الشعراء العرب ثم لا يرى واجبا ان يعلم كل العرب الخرس ؟

أليست دعوتك ايها الصديق انت واخريين الى ان يقلل العرب من الكلام او الى ان يكفوا عن الكلام ، لان الكلام فيما رأيتم وذكرتم قد امتنع من العرب او هزم غيهم كل المواهب الاخرى القوية الطيبة التي قد تفرد بها الآخرون - لان كل احتمالات العرب القوية قد حولها الكلام الى اجهاض .

نعم ليست دعوتكم هذه ايها الصديق وشكواكم من موهبة العرب الكلامية احساسا قويا بالحاجة الى مثل هذه المدارس وهؤلاء الاساتذة لتعليم الانسان العربي الخرس او لتعليمه العجز عن الكلام اي عن ان يكون فضاحا لنفسه ولكل شيء بما يسميه نبوات او تعاليم او فنيانا او ادابا او كتبنا او خطبا او مواعظ او صلوات او اديانا او افكارا او فلسفات وتخطابا مع النفس ومع الآخرين او عن النفس وعن الآخرين او تهديدا او انذارا او سبا او دحنا او ثناء او هجاء او غتخارا ، او بما يسميه اي شيء اخر ، زاعما انه كما يسميه ويدعيه ، او بما يسميه هتافا وايماننا بالالهة وتمجيذا او تكريما لها ، واستنصارا بها على الاعداء وتحريضنا لها عليهم ، ونحدثنا عنهما وتحدثنا ايها عن الآلهة والى الآلهة ؟

نعم ، أليس ذلك كذلك ايها الصديق ؟

وكم كان ذلك رائعا لو ان الانسان العربي قد علم بوسيلة ما العجز عن فنونه هذه كلها فلم يتكلمها ، لم يتكلم واحدا منها ، فلم يكن لواحد منها اي من فنونه هذه اي تاريخ في تاريخه ؟ كم كان ذلك رائعا لو انه حدث من البداية ، من قبل البداية ، فلم توجد اية بداية ! كم كان رائعا او استقارا جيدا لو ان الانسان العربي في كل تاريخه لم يقل كلمة واحدة مما يسميه ويحسبه افكارا او اشعارا او حكمة او فلسفة او تعاليم او صلوات او نبوات او كتبنا منزلة او فنونا او سياسة او دعاية ؟

اجل ، أليس محتوما ان التاريخ العربي سيكون اكرم وانظف واقل تشوها او عارا لو انه قد حذف من جميع ما يحسبه ويسميه نبوات وتعاليم واديانا وصلوات وافكارا وادابا وفلسفات وخطبا واشعارا ومخاضات وملاعات ومجادلات ومخاطبات

ومحاريب ومنابر ونصوصا وكتبا مقدسة وتضرعات وهتافات بالالهة وتهديدا وانذارا
 وشتما للاعداء ، اي جميع ما يسميه كلاما او جميع ما انتجه الكلام او اعلن عنه
 لانه قد تعلم الكلام ، او جميع ما تعلمه وعلمه بالكلام ؟
 هل اعتدى على التاريخ العربي شيء مثلما اعتدى عليه الكلام او ما عبر عنه
 بالكلام او ما اكتشفه عنه وفيه الآخرون بالكلام ؟ وهل اعتدى الكلام على قوم مثلما
 اعتدى على العرب او اكثر مما اعتدى على العرب ؟ او هل اعتدى قوم على الكلام او على
 ما يسمى كلاما مثلما اعتدى عليه العرب او اكثر مما اعتدوا عليه ؟

**

اي صديقي ..

نعم ، ولكن ليست هذه هي القضية هنا . ليست القضية هنا : ان ظاهرة العرب
 الكلامية فضيحة عقلية واخلاقية وحضارية وتاريخية اي فضيحة انسانية شاملة .
 هذه قضية ينبغي الا تحاور ..
 ولكن القضية ايها الصديق هنا هي ما رأيت انت ورأى آخرون من ان هذه الظاهرة
 العربية الكلامية هي التي جعلت العرب عاجزين عن ان يكونوا اقوى او افضل او اعظم
 مما كانوا او عاجزين عن ان يكونوا كما يجب ان يكونوا . اي ان موهبتهم الكلامية
 قد اعتدت على عبقريتهم الابداعية والحضارية والاخلاقية والهجومية فسلبتها كل
 طاقاتها وكل قدرتها على المحاورات والانتصارات اي انها قد عطلت فيها كل اجهزة
 التفجير والاطلاق ..

لقد رأيت ان كون الانسان العربي متكلما بالاسلوب الذي به يتكلم هو الذي جعله
 غير عظيم ولا كبير ولا قوي في اية كينونة من كينوناته ولا في اية صيغة او نموذج
 من صيغه ونماذجه الانسانية او الحضارية ، بل ولا في اية مبارزة او مواجهة او
 مخاصمة من مبارزاته ومواجهاته ومخاصماته ، وانه لو صمت او لو اقل الكلام او لو
 تكلم بالاسلوب آخر لاصبح عظيما وقويا وكبيرا في جميع ممارساته وانطلاقاته ، فـ
 جميع الاشياء التي تتحداه أو يتحداها . تبارزه او يبارزها ..

كلا ، ليس ذلك كذلك ، ولا ينبغي الاقتناع او الحوار على احتمال انه كذلك ..
 ان الكلام ليس هو الذي جعل الانسان العربي ضعيفا ومهزوما ومتخلفا .
 الانسان ، كل الانسان ليس تعبيرا عن الكلام ولا صياغة الكلام ، ولكن الكلام تعبير عن
 الانسان وصياغة الانسان .. الانسان يكون ضعيفا ومهزوما ومتخلفا لانه ضعيف
 ومهزوم ومتخلف لا لانه يتكلم كثيرا او رديئا او بلا نكاء او صدق او وقار او براعة او
 منطق او حساب او محاسبة من اي نوع . ولماذا يتكلم كذلك ؟ لماذا لا يتكلم باسلوب
 آخر ؟ من وهبه هذا الضعف الكلامي او جعله ضعيفا حين يتكلم ؟ هل الكلام الضعيف
 الرديء البليد السفيه هو الذي وهب نفسه ضعفه وردائه وبلادته وسفاهته ، ام الذي
 وهبه ذلك هو الانسان ، هو موهبة الانسان ، كما ان الموهبة الاخرى المناقضة

او موهبة الانسان الاخر المناقض في مزاياه هي التي تهب الكلام الذكي القوي الجيد الاحكام بالمنطق وبالحسابات الصادقة البارة ، هي التي تصوغه اي تصوغ الكلام ذكيا قويا منطقيا محسوبا باذكي الحسابات العقلية والاخلاقية او بآدق الحسابات التجارية والانسانية ؟ ان الانسان هو الذي يخلق كلامه ، يجعله عظيما او رديئا ، وليس الكلام هو الذي خلق او يخلق الانسان .. الانسان يلد غباء وضعفه دون العكس ...

ان الكلام الجيد او الرديء قد يجعلنا نعرف مستوى الانسان المتكلم . ولكنه لا يجعلنا ننتظر ان يبنيه او يهدمه ، ان يسلبه او يهبه . اننا لن ننتظر ذلك ولن نعتقد ..

الكلام كيفما كان لا يستطيع ان يسحب الموهبة او القوة من ذات المتكلم ولا ان يضعفها ، كما انه لا يستطيع ان يهبها او يزيدها او يعلمها . هل يمكن ان يكون تصويت الطفل او اي كائن اقل من الانسان قد سحب شيئا من موهبته او من قدرته ؟ وهل يمكن ان يكون شيئا اعظم او اقوى او اذكى لو ترك التصويت ؟
ان اجهزة الطبيب وتحليلاته قد تدل على حالة الجسم ولكنها لا تعطيه ولا تأخذ منه . وان المرأة قد تدل الناظر فيها على مستوى جمال وصحة وجهه ولكنها لا تصوغه اية صياغة . كذلك الكلام الجيد والرديء ، الغبي والذكي بالنسبة للموهبة او للذات التي تطلقه .. ان اصوات السحاب او الاعاصير او الانهار المتحدرة او اصوات الحيوانات قد تدل عليها ولكنها لا تصنعها او تهدمها ..

الفاقد للموهبة او للقدرة او للذكاء هل يمكن ان يصبح موهوبا او ذكيا او ذا قدرة او انه صمت نهائيا بل لو انه اصيب بالخرس التام ، او لو انه اقل من الكلام حدا او لو انه لقن الكلام الجيد فذهب يقرؤه قراءة اذا تكلم عن اي شيء وفي اي شيء ، فذهب يحفظه حقظا ليقرأه على الناس وعلى الاشياء قراءة ؟

والموهوب القوي الذكي لو انه ذهب يتكلم كلاما كثيرا او كلاما غبيا همجيا او بلا صدق او وقار او حسابات صحيحة ذكية ، او لو انه ذهب يقرأ كلاما او كتب غبية او رديئة او كاذبة او بذيئة وسفينة ، هل يمكن ان يفقد موهبته او قوته او ذكائه او ان تضعف موهبته او قوته او ذكاؤه ؟ لو ان هذا الموهوب الذكي قرأ او حفظ كل ما قاله وكتبه العرب في كل تاريخهم وفي كل حاضرهم وايتهم فهل يحتمل ان يسلبه ذلك شيئا من موهبته وذكائه او ان يضعف او يفسد اي معنى من معانيه المتفوقة .

ولكن هل يمكن ان يتكلم الموهوب والقوي والذكي غباء او بغوغائية او ببذاءة او بلا وقار او بلا ضبط او حسابات ومحاكمات اخلاقية وعقلية وانسانية لكل كلماته ؟ هل يمكن ان يعبر الشيء الجيد جدا عن نفسه تعبيراً رديئاً جدا ؟ وهل يمكن ان يعبر الشيء الرديء جدا عن نفسه تعبيراً جيداً جدا ؟

هل يمكن هذا او هذا مهما كان ممكنا بل مهما كان محتوما ان يعبر الشيء الجيد عن نفسه تعبيرا جيدا ، وان يعبر الشيء الرديء عن نفسه تعبيرا رديئا ؟
ليت الانسان يستطيع ان يكون اكبر او اعظم من نفسه او من احتمالاته بالتحكم فيه متكلما اي بجعله يتكلم اقل او بمنعه البتة من الكلام او بتلقيه كلاما اقل غباء وصياحا وبذاءة وافتصاحا وغرورا .

ليت ذلك كذلك . اذن لكان ممكنا او محتملا ان يكون ممكنا ان يصبح قادة العرب وحكامهم وزعماؤهم ومعلموهم ومفكروهم وادباؤهم وشعراؤهم وكتابهم بل وعامتهم اعظم واكبر واذكى يجعلهم كذلك ، اي بجعلهم اقل كلاما او بمنعهم من الكلام البتة او بتلقيهم وتحفيظهم الكلام المطلوب العاقل . .

ليت الالهة او الطبيعة كانت خيرة او سخية فجعلت هذا الامكان قانونا او خلقنا من قوانينها او من اخلاقها . .

ولكن هل يمكن ان توجد اية قوة او قانون او اي شيء يستطيع ان يمنع هؤلاء من الكلام او يلزمهم بان يقلوا منه ، او بان يعوا ما يلقنون ويدرسون من الكلام المطلوب منهم ان يقولوه فقط والا يقولوا سواء وان يلتزموا بذلك ، او يستطيع منعهم نهائيا من ان يتكلموا ؟

هل يمكن ان يوجد مثل هذا المانع ؟

لو انهم منعوا البتة من الكلام او قللوا منه فماذا يبقى لهم من المجد والقوة والكبرياء ومن اساليب الثناء على انفسهم واساليب الاستعراض لها ؟ اليس الكلام هو كل مجدهم وقوتهم وكبريائهم وثنائهم على انفسهم وكل اجهزة وادوات العرض والاستعراض لها ؟ ان منعهم من الكلام او اقلالهم منه هو كل الهزيمة والسقوط والموت لهم . انه نفى واجلاء وحذف لهم من السوق والتاريخ ومن كل مكان . انه لا تفسير حينئذ لجيئهم ولا لبتائهم . ان الشمس حينئذ لن تجد لهم عملا او تفسيراً . . بل انها اي الشمس حينئذ لن تجدهم او تعلم بوجودهم . .

اما تلقيهم وتحفيظهم الكلام المحسوب بالحكم بالذكاء والادب والصدق والوقار والنظافة لكي يقولوه فقط فهذا اشد اساليب التعذيب والقتل والحرمان لهم . ان قيمة الكلام عندهم باسلوبه اي بخروجه على جميع حسابات ومقاسات وشروط الذكاء والعقل والتعذيب والصدق والشرف والوقار والاستتار . . ان كل قيمة الكلام ومجده عندهم وكل النشوة والسعادة التي يصنعها لهم في ان يكون بذيئا وقحا مغرورا كذابا بليدا سخيفا متطاولا مههدا شاتما متهما مهتاجا صائحا بلا اي قيد من الذكاء او الصدق او الشرف او الاعتدال او الحياء او الاحترام او الرؤية او المحاكمة او المحاسبة لاي شيء . آه . . هل رأيتهم وهم يتكلمون كذلك اي بهذه الاساليب ؟ هل استطعت حينئذ ان تستبطن اعماق نشوتهم وكبريائهم ونزقهم البهيج ؟

ان اي قائد او حاكم عربي لو انه وضع امام خيار بين صفتين : بين ان ينال اعظم نصر وطني او قومي او مذهبي على اشرس واقوى واخبث عدو - ان ينال هذا النصر بتهذيب وهوء ووقار اي بلا ضجيج من الخطب والتحقير والشتائم والتباهي والادعاء والشماتة والمفاخرات المهينة لكبرياء وضياء ومجد الشمس ، وبين ان يحرم من هذا النصر على ان يتحول وتتحول كل اجهزته الى صراخ دائم شامل تهديدا ووعيدا ووعدا وسبابا وانذارا ومزاعم مملوءة بالصلف والادعاء والمفاخرات والبذاءات والاكاذيب وبكل اساليب التقية واللغوي والروحي والاخلاقي ..

- اجل ، ان اي قائد او حاكم عربي لو انه وضع في خيار امام هاتين الصفتين بالاسلوبيين المذكورين لكان محتوما ان يشعر انه قد وقع في ورطة وانه عاجز عن ان يختار احدى الصفتين ، ان لم يكن محتوما ان يختار الصفة الثانية . وقد يكون القول بانه سوف يصاب بالحيرة او بالتردد بين الصفتين اهانة كبرى له ، لاخلاقه وذكائه واصالته وعروبه . اذ هل يمكن ان يحترق في الاختيار بين موقفين : موقف ضاج مفتضح وموقف صامت مستتر ؟ هل يمكن ان يشتري الاستتار والوقار بأي ثمن يدفع له . ان يتقبل الشمس ثمنا لصمته او لوقاره واستتاره وتهذيبه اذا تكلم ؟ ان الصياح الشاتم المهدد المتوقع المتكبر الفاخر البارز المتناول بلا اي قيد من الصدق أو النزاهة أو التهذيب أو المحاسبة أو الاحترام أو التوقير لاي معنى انساني او اخلاقي ..

- نعم ، ان ذلك بلا اي شيء لافضل من كل شيء مع الصمت وتقيد النفس او اللسان باي قيد فكري او اخلاقي او انساني او ديني او مذهبي او من اي نوع .. ان هذا هو الشعار المنطوق او المفهوم لكل زعيم وقائد وحاكم عربي . بل ان هذا هو التفسير العالمي لكل التاريخ العربي ، لكل ما فيه من عبقریات ومعارك وانتصارات، ولكل من فيه من زعماء وقادة وحكام وشعراء ومفكرين وفنانين ، من كبار وصغار ، خاصة وعامة .. هل احب العرب الهتهم وانبياءهم وامنوا بهم الا لانهم يتحولون الى شتائم وبذاءات صارخة في افواههم وضمايرهم ؟

ان الكلام البذيء البليد الشاتم النزق الصاف الصارخ المتهور ، عن كل شيء وفي كل شيء ومع كل احد وعن كل احد هو اعظم واشهر موسيقى في تاريخ العروبة ، في روحانية العروبة .. ان كل موسيقى الطبيعة لعاجزة ان تصنع للانسان العربي النشوة التي يصنعها له الكلام الضاج البليد البذيء الفضاح المهدد ..

ان العرب لم يبتكروا او يحملوا سلاحا أو يضربوا بسلاح في كل تاريخهم اشهر او اقوى من هذا السلاح او مثل هذا السلاح . انهم لا يقبلون ان يشتروا كل مجد الدنيا وكل مجد الاخرين بمجدهم هذا . لن يقبلوا ان يتنازلوا عن اي شيء من مجدهم هذا حتى ولو كان الجزاء ان يعطوا كل مجد السماء ، كل مجد الشمس والنجوم ..

ان قصيدة خرقاء تسب وتحقّر الاعداء او الاخرين او المنافسين بلا صدق او شرف او حياء ، وتمتدح وتمجد النفس والاباء ايضا بلا صدق او شرف او حياء ، يلقيها شاعر يتعزى ويتساقط من الذوق والاعجاب والرضا عن النفس ، لهي في حساب الشاعر وفي حساب قومه العرب المستمعين اليه اعظم مجدا واقدرا على اعطاء النشوة الروحية والقومية والوطنية والدينية والمذهبية من كل مجد كل من حولوا كل صحارى السماء الى مروج ، وكل كهوفها الى مصانع للحضارات ، وكل صخورها الى رجوم للبدواة والجهالة والفقر ، وكل قحطها الى انهار تروى منها الالهة ظمأها وتبرد بها لهيبها وتنظف بفيضاتها ادرانها الازلية المستعصية على التنظيف والطهارة والاعتسال ...

بل ان قصيدة بدوية الثياب والذات ، بدوية اللغة والروح والاخلاق والتفكير ، تمجد عبقرية البراغيث ونظافتها ، وتلمن وتحقر عبقرية من زرعو الحضارات فوق بدواة القمر ، يلقيها شاعر بدوي الصوت والحركة والطلعة والسذاجة يلقيها فوق قوم ولد تاريخهم كل ما في التاريخ من بدواة ، وعجزت حياتهم عن ان تستقبل بل او ان ترى شيئا مما في الحياة من حضارة ..

— نعم ، ان مثل هذه القصيدة مقروءة ومسموعة ومحشودة لها المناير والمحاريب والافواه والاذان وكل الاكف والطبول ، لتتحول في اي مجتمع عربي يلقيها وتلقى عليه الى اقصى درجات الارتواء والامتلاء والشبع من مشاعر النشوة والبهجة والتفوق والانتصار والقوة والكبرياء والاسترخاء والرضا عن كل ما يقاسى من الالام والمظالم والاهانات والهزائم والتخلف والتضليل ، حتى ليعجز اي مجد او تفوق او انتصار او تقدم او اخذ حقيقي مهما كان حجمه ان يهيبهم مثل ذلك او اكثر من ذلك ، اي من المشاعر السعيدة الملائمة . ان اعظم وأشهر وأصدق أمجاد وانتصارات ومباهج الانسان العربي هي التي تحيى اليه من اذنيه . ان كل تاريخه او اجمل واروع ما في تاريخه انما صنعت له اذناه . انه لا توجد آذان لها من التاريخ والمجد والقوة والاقناع بل والابتكار مثل الذي لآذان الانسان العربي .. ان العرب ليرفضون ان يبيعوا آذانهم بكل ما في التاريخ والحياة والمستقبل من حضارات وأمجاد وانتصارات وعقول ومواهب وطاقت ..

ان كل الضجيج الكلامي الخطابى ، مهما اختلفت موضوعاته او بداواته ، ليحدث نفس التفجرات الانفعالية الاستفراغية في نفس الانسان العربي . فالقصيدة والخطبة والبيان الرسمي والتلاوة من الكتاب المقدس او من اي كتاب ديني — كل ذلك سواء في احداث الانفجارات النفسية الاستفراغية المصابة بكل تعبيرات ومعاني الهوس . والفرق فقط في قوة واسلوب الصوت وفي حجم ونوع البداة والافتضاح . وهذا الفرق هو الذي يصنع الفرق في اسلوب ومستوى الاستقبال .. ان اسلوب المؤذن وقارىء القرآن في اخراج صوته هو كل القيمة والجمال والتاثير والقوة ..

ولا شروط لتأثير ما يقال ويسمع غير ان يقال ويسمع بأسلوب ما ، بالاسلوب الملائم . لا شروط لذلك عند الانسان العربي . لا يشترط بان يكون مفهوما بل او بان يكون له اي يمكن فهمه . ان الاذن العربية لا تشترط للكلمات او للاصوات التي تطلق عليها بان تكون مفهومة ولا بان تكون لها اية معان كما ان الحنجرة العربية التي تطلقها اي تطلق الكلمات او الاصوات لا تشترط ذلك ، اي لا تشترط الفهم او المعنى لما تطلق ولا على ما تطلق . بل لعله لو وجد المعنى والفهم لما يقوله ويسمعه الانسان العربي لفقد كل سحره وكل قوة الاقتناع فيه . بل لعل الانسان العربي حينئذ يرفض ان يقول ويرفض ان يسمع ، او لعله حينئذ يفقد ، قائلاً وسامعاً كل حماسه وايمانه واعجابه وتفجراته حين يقول ويسمع وبان يقول ويسمع ولان يقول ويسمع . لعل كل القوة والجمال في ان يقول ويسمع حيث لا معنى ولا فهم . وحيث لا بحث عن ذلك .

انه لا مثيل للاذن العربية ولا للحنجرة العربية في تسامحهما وتنازلهما عن اي اشتراط في تعاملهما مع الاشياء ومع الآخرين ومع نفسيهما . وعن اي اشتراط لكرامتهما او لاختلافهما او للاعلان عنهما أو للعرض لهما . انهما اي الاذن والحنجرة العربيتين معروضتان دائماً بلا اية شروط من اي نوع .

وانه كذلك لا مثيل للانسان العربي في تسامحه مع اذنيه ومع حنجرته مهما كان عدوانهما عليه وعلى كرامته وكبريائه وذكائه وتهذيبه . ان علاقات الانسان العربي بأذنيه وحنجرته لا مثيل لها في تنازلها عن جميع الشروط المعروفة وغير المعروفة . وايهما المعتدى على الآخر : اذنا الانسان العربي وحنجرته هما المعتديتان عليه أم هو المعتدى عليهما؟ وهل يوجد هنا معتد ومعتدى عليه؟ هل المعتدى غير المعتدى عليه؟ هل يوجد عدوان ؟ هل الانسان جسماً ومعاني أو الكون أو اي شيء ينقسم الى معتد وإلى معتدى عليه أو كله معتد أو كله معتدى عليه أو كله معتد معتدى عليه لا معتمد ولا معتدى عليه ؟ هل الشمس معتدية على توابعها أو توابعها معتدية عليها بعملية التجاذب والدوران والاتباع ؟ هل الجسم الساقط على الارض معتد عليها بسقوطه فوقها أو هل هي معتدية عليه بجذبها له ؟

هل الموت هو الذي يبحث عن الكائن الحي ليقنتله شهوة وعدوانا ام الكائن الحي هو الذي يصطاد الموت ليقع عليه وليوقعه في ذاته مظلوماً مشتوماً مهاناً متهماً بالقسوة والوقاحة والغدر اللئيم ؟ أليس الموت دائماً مهجوماً عليه لا هاجماً ؟ أليس الموتى هم الذين يموتون اي هم الذين يصنعون الموت دائماً دون ان يكون الموت هو الذي يصنعهم موتى ؟ اذن فالموت مصنوع لا صانع اي مظلوم لا ظالم .

هل هذه اسئلة ام هي بكاء ورثاء ، عجز واحتجاج واستفطاع وغضب ؟ ولكن اي غضب هذا ؟ انه غضب بلا مغضوب عليه . وهل يوجد مغضوب عليه مهما وجد الغضب ؟ أليس كل مغضوب عليه هو كائن يستحق ان يغضب له لا عليه

في التفسير البعيد الممتد الرؤية والشامل الرؤية الذي يرى ان السلاح الذي يضرب هو اليد التي تقبض عليه ، وان اليد التي تقبض عليه هي الذات التي تحرك اليد ، وان الذات التي تحرك اليد هي الضرورات والارادات والاحتياجات التي تحكم الذات ، وان الضرورات والارادات والاحتياجات هي القوانين والاشياء الاخرى الكثيرة ، الكثيرة التي تصوغ وتخلق وتسير الارادات والضرورات والاحتياجات ، وان القوانين والاشياء الاخرى الكثيرة هي ايضا القوانين والاشياء الاخرى المتصاعدة المتعاقبة التي ليس واحد منها مسؤولا او محكوما او حاكما او تابعا او متبوعا اكثر من آحادها الاخرى ؟ اي هذه هو المسؤول او المذنب او ايها الحق بذلك حينما يحدث الفرق والدمار : البحر ام السحاب ام النهر ؟ او ايها هو الذي صنع الفرق والدمار هل احدهما فعل ذلك دون الآخر ؟ ايها صنع الفيضان ، او ايها صنعه اكثر ؟

ان هذا التفسير البعيد الرؤية والشامل الرؤية لا بد ان يرى بأن الاله - لو وجد - ليس هو المذنب المسؤول الذي يجب ان يوجه اليه الغضب والعقاب ، ولكن المسؤول الذي يجب ان يوجه اليه ذلك هو الذي جعله موجودا وموجودا كما هو موجود بكل اخلاقه ومواهبه وشهوته واحتياجاته وضروراته ومجاعاته المختلفة الرهيبة التي تصوغه وتقوده . وهل يوجد من جعله كذلك ؟ ومن هو هذا الذي جعله كما جعله ؟ ولماذا جعله وجعله كما جعله . هل ذلك هو الافضل له ؟

اذن من المسؤول ؟ من الذي يستحق الغضب والعقاب والحاكمة في هذه السلسلة الشريرة الطويلة الضالة الكثيبة ؟ من الضارب ، ومن المضروب ؟ من الذي يستحق الرثاء اكثر ؟ اي هذه الحق بالغضب والعقاب : عقل الانسان ام تدبيره ام عيناه ام افئذه ام يده ام رجلاه ام ضروراته وخطواته المشتركة كلها في التنفيذ ؟

ان الاله حينما يمرض ويقتل ويصيب بالشيخوخة والتشووهات والعاهاات لمحكوم عليه بان يفعل ذلك بقدر ما حكم على من امراض وقتل واصاب بالشيخوخة والعاهاة والتشووهات بان يكون مريضا وقتيلا ومصابا بالشيخوخة والعاهاات والتشووهات . . ان احدهما ليس احق من الاخر بالغضب والعقاب . .

ان الاله محكوم عليه بأن يكون وجوده وذاته واخلاقه وشهوته وضرباته ونزواته يقدر ما حكم على المريض الضعيف بأن يكون ضعفه ومرضه وآلامه . .

ان الحاقق والبليد احكوم عليهما بان يعيشا حقدهما وبلايتهما كما حكم على المحب والعبقري بأن يعيشا حبهما وعبقريتهما .

لماذا جاء الاله كما جاء بكل صيغته الذاتية والنفسية والمنطقية والاخلاقية ؟ ليس شيئا محيرا وعجيبا بل ومذهلا مؤلما شاذا جدا ان يجيء كذلك ؟ هل فرضت عليه هذه الصيغة فرضا ؟ ولماذا فرضت كما فرضت ؟ هل كان يستطيع او يمكن ان يجيء بصيغة اخرى ؟ ولماذا لم يجيء بتلك الصيغة الاخرى ان كان ذلك ممكنا او كان يستطيعه ؟ واذا لم يكن ممكنا واذا لم يكن يستطيعه فاي شيء او اي قدر هذا ؟

هل يوجد مشوه أو مظلوم أو محكوم عليه مثل الآله الذي لا يستطيع ان يجيء، او ان يكون غير ما جاء وكان ؟

اذن من فرض عليه اي على الآله صيغته ؟ هل فرضها هو على نفسه ؟ اذن من فرض عليه ان يفرض على نفسه ويفرض عليها كما فرض ؟ من فرض عليه او من اعطاه القدرة او الموهبة او الحاجة او الضرورة أو الرؤية او الإرادة التي فرضت عليه ان يفرض على نفسه كما فرض عليها والتي جعلته يستطيع ذلك ؟ لا بد من الافتراض بأنه يعمل بالقدرة والمشيئة والحاجة والضرورة والرؤية . ولكن كيف جاء بهذه القدرة والمشيئة والحاجة والضرورة والرؤية ومن وهبه اياها او وضعها فيه ؟ كيف لم يجيء بدونها او كيف لم تجيء فيه بأسلوب آخر ؟ هل يمكن ان يوجد مخطط اول ؟ ولو وجد هذا المخطط الاول فمن خططله هو وعلى اي قياس او نموذج يذهب يخطط وهو لا شيء امامه او معه ؟

ان اي شيء لا يمكن ان يكون بدء نفسه او سبب نفسه او مخطط او مدبر او حاكم او خالق نفسه . انك اذا كنت هبة موهبتك وقدرتك وارادتك وحاجتك فان موهبتك وقدرتك وارادتك وحاجتك لن تكون هبة نفسها ولا بدء نفسها .
ان اي شيء يبدأ لا بد ان يبدأ من او عن بداية سابقة او بدء سابق او عن حالة سابقة لا بد ان تكون مسبقة ..

اجل ، ان الكلام ليس هو البدء . انه في البدء لم تكن الكلمة . لقد كان الانسان هو البدء ، كانت موهبته وطاقاته هي البدء . كلا ، بل لقد كانت ذاته هي البدء ، هي البدء لمواهبه وطاقاته ولكل كينوناته .. كانت ذاته هي البدء النسبي لا البدء المطلق . ان كل بدء ليس الا بدء نسبيا لانه لا يوجد بدء مطلق . لقد كان الانسان بدءا نسبيا لا بدءا مطلقا ، كذلك كان البرغوث والصرصار . ولو كانت الكلمة هي البدء لجاء هذا السؤال الصارم : ومن اين جاءت الكلمة التي لا شيء قبلها او معها في البدء وكيف بدأت بدءها ؟ نعم ، ان اي بدء ليس الا ولادة . وهل تحدث ولادة بلا اي شيء تتولد منه ؟

اذن ليس صحيحا ولا يحتمل ان يكون صحيحا ان الانسان العربي ضعيف ومتخلف وعاجز في جميع مستوياته ومحاولاته لانه يتكلم كثيرا ويتكلم بلا ذكاء ولا منطق ولا وقار ولا تهذيب ولا انضباط ..

ان اسلوبه الضعيف في الكلام هو احد اساليب ضعفه واحد معاني ضعفه ولكنه ليس سبب ضعفه ولا احد اسباب ضعفه . ان عقله وقلبه وضميره وعضلاته ومواهبه لن تعالج بعلاج لسانه او بتغيير عمايته او بتغيير اخشاب منابره او بتغيير الجهاز الذي يصوت منه ويصوت فيه ..

انه ضعيف في ذكائه واخلاقه ومعانيه الاخرى . لماذا هو ضعيف في كل ذلك ؟ وانه لضعيف حينما يتكلم . ما اسباب ضعفه في هذا وهذا ؟ ان اسبابها ضعف ذاته

او ضعف مواهبه . ان ذاته او موهبته التي صنعت ضعفه المنطقي او الاخلاقي او الحربي او الابداعي او الفني او النفسي هي ايضا التي صتعت ضعفه الكلامي او الصوتي . ان ضعفه الكلامي قد يكون سببه ضعفه المنطقي والاخلاقي والابداعي والحربي والفني والنفسي ، ولكن العكس لا يكون صحيحا . ان قبح الصورة او جمالها قد يكون سببه قبح الذات او جمالها . ولكن قبح الذات او جمالها لن يكون سببه جمال الصورة او قبحها . . ان صوت الذباب او الوحش او الغراب يدل عليه اي على صاحب الصوت ولكنه لن يكون هو الذي يصوغ ذاته . .

ان الكلام الكثير الضعيف الرديء الصارخ البذيء المفرور الشاتم الحاقد المبارز المملوء بالمزاعم المملوءة بالكبرياء ، والتهديد والوعيد والاكاذيب وبالهوس والبلادات وبكل فنون السفاهات والتطاول والغفلة .

– نعم ، ان مثل هذا الكلام الذي نموجه الجيد جدا كلام الانسان العربي لا يستطيع ان يسرق من قائله او سامعه او منشداه او ناسخه او حتى من المؤمن به والحافظ الدارس له اية موهبة من مواهبه بل ولا ان يأخذ منها شيئا او ان يضعف او يخمد حماسها الا بمقدار ما استطاعت او تستطيع اصوات الحيوانات : زئيرها أو ثغاؤها او رغاؤها او صهيلها او نهيقها او عواؤها او أنينها ان تصنع بها ذلك ، ان تصنعه بأية موهبة من مواهبها او بأية قدرة او طاقة من قدراتها وطاقاتها ، بأظفارها او بأنيابها او بمعضلاتها او بظهورها او بأيديها او بأرجلها ، بسرعتها او بجراتها او باقتحامها او بصبرها او بوفائها او بحبها او بصدقها او بكرامتها او بشرفها . انه لن يكون احتمالا بان تصويت الانسان العربي او بان اصواته التي يسميها كلاما هي التي سحبت منه العبقرية الا بقدر ما يكون احتمالا بان تصويت الحيوانات او بان اصواتها هي التي جعلتها بلا عبقرية او اقل من الانسان عبقرية . .

نعم ، ان مثل هذا الكلام قد يكون جهاز تفجير واطلاق للآلام والضياغ والعجز والتفاهة والهزائم وللإحتقار للذات ولشتمها وتعييرها وللإحتجاج الهمجي عليها ، ولإطلاق وتفجير سائر الشحنات النفسية الضالة المتأكلة ، وجهاز تنفيس وتعبير وإعلان عن كل ذلك ، بأكثر الاساليب بداهة وقبحا وفضحا وغباء ، كما قد يكون عواء الذئب او رغاء الجمل تنفيسا عن جوعه او عن عذابه وعجزه وحيرته وبلادته . . قد يكون مثل هذا الكلام يمثل هذه الاساليب هو اعظم فنون وموسيقى من لا يعرفون او يستطيعون او يتقبلون او يستسيغون فنا او موسيقى افضل او اجمل من ذلك .

ان لكل الناس بل لكل الكائنات الحية المصوتة فنونا وموسيقى . . كل الناس وكل هذه الكائنات لا بد ان تكون منشدة وسامعة لنوع ما من الفنون والموسيقى . لماذا يجد الآخرون النشوة والجمال والحب في الموسيقى والفنون ولا يجد العرب ايضا هذه النشوة والجمال والحب في كلامهم مقولا ومسموعا اي فيما يحسبونه كلاما

وفيما يحسبه الآخرون عليهم أشمل أساليب الافتضاح ؟ ان طربنا لاي موسيقى او فن لا يستأذن طرب الآخرين ، ولا ينتظر اي طربنا من طرب الآخرين ان يتحول الى تشريع او الى تزكية له كما لم يطلب طرب الآخرين من طربنا شيئا من ذلك . .

ما هي الموسيقى وما الفنون ؟ لماذا لا يكون ما يسمى او يحسب كلاما عربيا هو ارقى واجمل الموسيقى والفنون ؟ هل توجد حدود دولية تمنع او ترفض ذلك ؟ أليست الموسيقى والفنون هي ما رآه وزعمه وأعلنه الانسان كذلك ؟ اذن لا اعتراض على الانسان العربي حينما يرى ويزعم ويعلن موسيقاه وفنونه بالاسلوب والمستوى اللذين يستطيعهما ويعرفهما ويسعد بهما . .

لماذا لا يعد العرب حينما يتكلمون ويسمعون انفسهم يتكلمون هم اعظم صانعي الموسيقى والفنون والمستمعين بالاستماع الى الموسيقى والفنون ؟

او لعل الانسان العربي ليس الا كائنا يتألم ويبكي ويشاتم نفسه ويخاصمها ويعيرها ويحقرها حينما يبدو او حينما يظن او يزعم انه يتكلم ، حينما يظن ويزعم ويعلن انه شاعر ينشد ، او نبي يبلغ نبوته ووحيه ، او مفكر يصوغ افكاره ، او معلم يفرض تعاليمه ، او واعظ يهدد بمواعظه ويلعن الخارجين عليها ، او حاكم او زعيم يطالب كل العالم بالاستسلام والمبايعة وينذره اذا لم يستسلم ويبايع بصغار . لعل الانسان العربي ليس الا كائنا يقذف بالامه واحزانه باكثر الاساليب بذاءة وبدواة حينما يظن انه يكلم الالهة ويدربها على حب الموسيقى والجمال .

اذن ليس الخطر والخسران في استعمال العرب للكلام بالاساليب التي يستعملونه بها انه يسحب منهم عبقريتهم او يؤخر مجيئها أو يصيبها بالاعياء أو الاسترخاء أو التشوه ، ولكن الخطر والخسران في استمرارهم يتكلمون ، يتكلمون بالاساليب التي بها يتكلمون . أنهم بذلك يتحولون الى فضائح وعار والى صانعي خصومات وعداوات واحقاد ، والى عدوان على مسامع الناس وعلى أخلاقهم وحياتهم وآدابهم ، والى هجاء للغات ولما ابتكروها وان يريدون ان يتعلموها ، والى اشمئزاز وغثيان في روحانيات وشاعريات جميع الاشياء ، والى غضب في كرامة واعصاب كل ما عرف البشر وابدعوا واحترموا من قيم فنية وانسانية وكونية بل ومن قيم صوتية . ان للتصويت لقيما ، وانه ليوحد دائما من يسلبون التصويت قيمه كما يوجد كذلك من شادوا ويشيدون قيمه حتى الكائنات التي هي دون الانسان منها كائنات تسلب التصويت قيمه واخرى تصنع وتؤكد هذه القيم . ولكن اليس في استمرار العرب يتكلمون كما يتكلمون مغانم ومزاي كثيرة منوعة ؟ أليسوا بذلك يصنعون السعادة والراحة والكبرياء والرضا عن النفس لاعدائهم وخصومهم ؟ اذن أليسوا بذلك مفيدين ووهابين ؟ ما انبل واتقى ان تكون نافعا وسارا حتى ولو لمن يعاديك او يكرهك او يحقد عليك ! .

الكائن الحي الذي يقاسي التألم والحزن والخوف والحب والبغض والاشمئزاز والحسد والغيرة ، مهما كانت مقادير هذه المقاساة ، هل يستطيع اي هذا الكائن الحي ان يكون بلا تصويت او بلا أصوات ؟ انه قد يستطيع ان يكون بلا كلام كما يستطيع ان يكون بلا عبقرية . ولكن هل يستطيع او يمكن ان يكون بلا تصويت واصوات اي بلا تعبيرات مسموعة . . . ان يكون بلا زئير او جئير او نهيق او نباح او صهيل او تغريد او نعيب ، او بلا طنين او نقيق ؟

ان الكائن الحي في تصاعده الذاتي او التطوري يبدأ بالصوت او يصل الى طور التصويت ليصبح كائنا مصوتا . وهذا الطور قد يكون الفاصل بينه وبين طور الكلام او طور الكائن المتكلم فاصلا خياليا في طوله ، وقد يكون فاصلا انديا لا يمكن افتتاحه ولا تخطيه . ثم يوجد الفاصل التالي بين طور الكلام اي بعد بلوغه ان حدث بلوغه و طور العبقرية او الخلق او الابداع او التأثير في الطبيعة والاشياء والتغيير لها وفيها . وهذا الفاصل بين الطورين لا بد ايضا ان يكون طويلا جدا . وهل محتوم تخطي هذا الطور اي طور الكلام الى الطور الذي بعده مهما طال الفاصل بينهما ؟ الا يمكن ان يظل الكائن متكاما دون ان يصل الى طور البدع ؟ ولكن اليس طور الكلام هو طور الابداع بلا عازل بينهما ؟

والانتقال من طور الى طور خاضع لقوانينه ولا يمكن تحقيقه او الاسراع به بالواعظ والتعاليم والتحريضات ، بل ولا حتى بالاحتياج اليه او بالشعور بالاحتياج . حتى الاحتياج الحاد جدا . انه لا يصنع القدرة ولا يزيد فيها ولكنه قد يحرضها ويطلقها او لا بد ان يفعل ذلك .

ولماذا وصل هذا الكائن الى طور التصويت فقط او الى طور الكلام فقط دون وصول الى الطور الذي بعده ؟ هذا سؤال لا جواب له او عنه غير ان يقال : هكذا حدث . كما يكون الجواب حينما يوجه او ينطلق في ضمير العقل هذا السؤال : لماذا حدث هذا الشيء ولم يحدث ذلك الشيء ، او لماذا تحدث الاشياء ، او لماذا تحدث بالصيغ والاعداد التي تحدث بها وفي الاوقات والاماكن التي تحدث فيها . . . وانا هنا افترض ان طور الكلام غير طور الابداع وان الكائن قد يكون متكاما دون ان يكون مبدعا . .

وكما لم يكن ممكنا منع حدوث الاشياء وحدثها كما حدثت كذلك لم يكن ممكنا ولن يكون ممكنا ان تمنع الكائنات التي بلغت طور التصويت او طور الكلام او طور الابداع من بلوغها ما بلغت . . او ان يصعد بها الى طور اعلى من طورها . . .

والانسان العربي قد بلغ طور التصويت اي قد اصبح كائنا مصوتا بلا تدبير او تخطيط صنعه هو او اي كائن اخر فوّه . . . أليس قد بلغ هذا الطور ؟ هل يمكن ان يوجد من قد يخالف في هذا ؟ هل يمكن ان يوجد من ينزل او يحاول ان يريد ان ينزل به عن هذا الطور ؟ انه ارجو ألا يوجد هذا . .

وانا لنرجو الا نصاب بالكبرياء والغرور والمبالغة الوقحة لنذهب نزع انـه قد ارتفع على هذا الطور وصعد الى الطور الذي بعده . . لاننا لا نريد ان يهزا بنا ولا ان نهزا بانفسنا . .

لهذا لعنا نستطيع ان نقول بكل الجراة او بشيء من الجراة :
ان الانسان العربي قد بلغ الطور الذي جعله كائنا مصوتا دون ان نملك اي قدر من الجراة لنقول : انه قد تخطى هذا الطور بل ولا انه نزل عنه او دونه .
ولسنا هنا نريد الامتداح او التمجيد له ، اذ لا يمكن ان نزع ان طور التصويت مزية على اي تفسير من التفاسير . لا يمكن ان نزع ان هذا الطور افضل او اعظم من الدور الذي قبله او من الطور الذي دونه . وقد نزع ان الطور الذي قبله اي الذي هو اقل منه اكثر سترًا للعار والضعف . انه ان لم يكن اعظم او افضل فانه حتما ستر . أليس المستر لما يجب ستره شيئا طيبا ؟ أليس الخرس ولو احيانا اسلوبا جيدا من اساليب المستر ؟

اليس هذا الدور طور قبح وفضح وعدوان وبذاءة واستفراغ فقط ما لم ينتقل الى الطور الذي بعده ؟ ان طور التصويت هو طور متطور في اخلاق وقوانين الطبيعه عن الطور الذي قبله اي عن طور الصمت الطبيعي . ولكنه طور لا مزية له في ذاته .
ان كل ميزته في ان يكون جسرا او معرجا الى الطور الذي فوقه والا ظل طور قبح وفضح وعدوان وبذاءة واستفراغ على الذات وعلى الاشياء وعلى الآخرين ، ولا شيء غير ذلك . قد يكون شيئا غير قبيح او قد يكون شيئا جميلا ان تصبح الكائنات التي هي دون الانسان مصوتة فقط . اما الانسان الذي يظل مصوتا فقط فلن يكون الا قبحا ضاحكا شاملا فضاحا . .

وهل توجد اية علامات على ان الانسان العربي قد يتخطى هذا الطور او انه لا بد ان يتخطاه ؟ وهل يوجد في اخلاق الطبيعه وقوانينها ما يحتم هذا التخطي او ما يجعله احتمالا او املا ؟

الكائنات الاخرى التي هي دون الانسان والتي هي كائنات قد بلغت طور التصويت او الطور الذي جعلها مصوتة هل مرجو او محتوم ان تتجاوز طورها هذا الى الطور الافضل ؟ واذا لم يكن ذلك مرجوا او محتوما فهل يوجد ما ياذن لنا او يفرض علينا او ما يقنعنا بان نقول ان هذا التجاوز مرجو او محتوم للانسان العربي ؟ كيف نستطيع ان نقنع ان يستطيع اي انسان ان يقنع ان العصفور او الذئب او الغراب او الجمل لن يتخطى طور الكائن المصوت الى طور الكائن المتكلم ثم نستطيع ان نقنع بأن اي زعيم او قائد او نبي او مفكر عربي قد يستطيع ان يصبح متكلمًا ؟ اليس تصور القائد او النبي او المفكر العربي متكلمًا ابعد من تصور البرغوث متكلمًا ؟ بأي منطق او تقوى او اخلاقية نجرؤ على ان نقنع ونقول ونعلن ان جميع الكائنات المصوتة لن تتحول الى كائنات متكلمة او محتمل ألا تتحول الى ذلك ثم نقنع ونعلن بان

الانسان العربي وهو كائن مصوت فقط ، لا بد أن يتحول الى كائن متكلم او محتمل تحوله الى ذلك ؟

ليست العدالة والذكاء والتقوى النفسية والعقلية والاخلاقية تفرض علينا التسوية في هذه القضية ؟ هل يجوز ان تحكم علينا رغبتنا وامانينا واهواؤنا المنحازة بلا وقار او رحمة او شهامة بأن نفرق بين متساويين لا فرق بينهما غير أن هوانا مع احدهما دون الآخر ؟ اليس الانسان العربي بنماجه وممارساته الصوتية هو ابعد من جميع الكائنات عن طور الكائن المتكلم ؟

ومع ان الفروق بين التصويت والكلام فروق كبيرة والمسافات الفاصلة بينهما مسافات بعيدة فانه قد يكون من الصعب جدا تحديد هذه الفروق والمسافات . وفي سطور سابقة جاء ذكر شيء من هذه الفروق . ولعل الكثيرين من الناس لم يتصوروا انه توجد فروق بين التصويت والكلام . انهم لم يتصوروا ان للكلام اخلاقا او شروطا او التزامات او تفاسير . لهذا لم يتصوروا ان بينه وبين التصويت اية فروق .

ان الفرق بين دقات الساعة الدقاقة وبين صوتها اي صوت الساعة الدقاقة ساقطة متحطمة على الارض قد يساوي او يشبه الفرق بين التصويت او الاصوات وبين الكلام .

وان الفرق بين اصوات الالات العاملة في المصانع وبين اصوات الرياح متصادمة بالاشجار وبالبيوت وبأي شيء ليسوى او يشبه الفرق بين التصويت والكلام . . .
وان الفرق بين اصدار الامر الى الاجهزة العلمية لتعمل وبين شتم هذه الاجهزة والدعاء ضدها يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام . . .
وان محاوراة المخالف او الخصم او العدو او التفاوض والتفاهم معه وبين لعنة يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام . . .

وان التفكير في الشيء او في القضية او في المشكلة او في الانسان وبين الحقد عليها او عليه يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام . . .
وان فهم الطبيعة والعمل فيها وضدما لتهب ودعاء الاله والصلاة له ليهب - نعم ، ان الفرق بين هذا وهذا يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام . . .
وان الفرق بين المصافحة والاستفراغ او بين المعانقة والاستفراغ او بين اللقاء التحية والاستفراغ يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام . . . وان الفرق بين خطاب يلقيه زعيم عربي وخطاب يلقيه زعيم لم يستطع او لم يرد أن يكون عربيا يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام . . .

ان الكلام تفكير واخلاق وتخطيط ومعالجة ووضع حلول او بحث عن حلول . اما التصويت فانه استفراغ وقذف . انه حالة وليس عملا . اما الكلام فانه عمل وليس حالة . . . الكلام سير او صعود او نزول . اما التصويت فانه تدرج او انزلاق او

سقوط . انه ليس سيرا ولا صعودا ولا نزولا ، اي ليس حركة مدبرة محسوبة بأية حسابات .

ان المتكلم كائن يتعامل ويتفاوض ويتفاهم ويتحاور مع الآخرين ومع الاشياء .
اما المصوت فانه كائن يتصادم ويتشتات ويتخاصم مع الآخرين ومع الاشياء ومع نفسه ...

المتكلم يسير الى الاحداث والاشياء ويسير معها وبينها وبها وفيها وفوقها .
اما المصوت فهو يقذفها وينبجها ويلوثها ويعيرها ويهددها ..
المتكلم يفكر بأسلوب مسموع ، والمصوت يرتجف بأسلوب مسموع أيضا .
المتكلم يخلق الاحداث والاشياء ، يصوغها . اما المصوت فينشدها وقاحات وسفاهاته ، همومه أو مسراته بأسلوب صغير ..

واذا كانت هذه بعض الفروق بين التصويت والكلام ، وكانت هذه التفاسير هي بعض التفاسير لكل منهما أي من التصويت والكلام فإلى أيهما يمكن ان يكون انتماء العرب ويتفاسير أي منهما يجب أو يمكن ان يفسروا ؟ وهل يمكن أن يخطئ احد في اي المكانين أو الطورين ينبغي أن يوضعوا ؟ بل هل يمكن أن يقبلوا هم حسابانهم متكلمين لا مصوتين فقط اذا عرفوا أو لو عرفوا خصائص وفساير المتكلم وخصائص وتفاسير المصوت ، أو هل يقبلون حينئذ أن يتحولوا من مصوتين الى متكلمين ؟ هل يتقبلون دفع ثمن التكلم أو الكلام ، أو هل يستطيعون حمل موهبته ومقاساتها أو الالتزام بشروطه ومعانيه أي شروط ومعاني التكلم والكلام ؟ اليس المتكلم يقاسي ويدفع ويحاكم نفسه اكثر واقسى من المصوت ؟ اليس الانسان يدفع ثمنا لكلامه اكثر واغلى مما يدفع الحيوان ثمنا لصوته أو لتصويته ؟

وهل ظل العرب في كل تاريخهم مصوتين لا متكلمين عجزا عن الانتقال وجهلا به وبمزاياء ام خوفا من الانتقال ورفضا لمقاساة ولشروط وتكاليف الطور الذي يكون الانتقال اليه ؟

هل رفضوا وخافوا ام عجزوا ؟ وايهما أردأ : ان تخاف من ان تكون وترفض ام ان تعجز ؟ ومهما كان ممكنا ان يتطور او ينتقل الكائن من مصوت الى متكلم فليس ممكنا ان يعود اي الكائن من متكلم الى مصوت . معنى هذا ان اي كائن مصوت فقط في هذه اللحظة لا يحتمل انه قد كان متكلما في اية لحظة من التاريخ الذي قد كان .
أليس ذلك كذلك ؟ نعم ، ليس محتملا ان شعبا من الشعوب في تاريخ ماض كان متكلما ثم انحدر ليصبح شعبا مصوتا فقط ..

لهذا فلقد كان العرب في كل تاريخهم مصوتين فقط ولم يحدث ان كانوا متكلمين ، لم يجربوا او يقاسوا الكلام في اي طور من اطوار التاريخ . انهم الان مصوتون فقط ، اذن لا يحتمل انهم كانوا يوما ما متكلمين .. لقد كانوا يجهلون الفرق بين الكلام والتصويت لهذا كانوا يحسبون انفسهم متكلمين ...

انه ليقنع جدا بهذا الحكم عليهم او بهذا الحكم لهم مراجعة كل ما يسمونه تراثهم المكتوب والمحفوظ . كل تراثهم حتى ما يرونه ويزعمونه منزلا مقدسا . لقد ظل كل تراثهم في كل التاريخ وحتى اليوم مستوى واحدا لا يتفاوت مع تعاقب الحضارات وتفاوت اطوار التاريخ الغازي لهم والمحيط بهم والمتنقل المتصادم الضاج المتفاعل فوقهم وحولهم . ان الزمن والتاريخ لم يستطيعا ان يتجددا او يتغيرا او يتحركا او ينتفعا بخصائصهما او بقوازيتهما داخل مواهب وطاقت الانسان العربي . .

لقد توقف التاريخ والزمن عن الحركة وعن التأثير حينما تعاملنا مع الانسان العربي . لقد تنازلا عن معانيهما وتفاصيلهما . . لقد هزما ، هزما . . لقد هزمت حتمية القوانين الطبيعية حينما تعاملت مع الانسان العربي . . لقد خرج الانسان العربي بالتاريخ وبالزمن عن قانونيتهما ثم لم يهبهما اية قانونية لا افضل ولا اردأ ، لا اذكى ولا اغبى . .

هل وجد من هزم التاريخ والزمن واذلها مثلما هزماه واذلها الانسان العربي ؟
هل وجد من افسد عليهما مجدهما وسلبهما موهبتهما وقدرتهما مثلما صنع بهما وضمدهما الانسان العربي ؟

ان الانسان العربي الذي صوت « المعلقات » وصوت العنتريات والفرزدقيات والجبريات والحمدانيات والحاتميات والحسانيات وكل تلك الجاهليات والاسلامييات . . والذي صوت تلك السور والايات والروايات والذبوات .

- نعم ، ان الانسان العربي الذي صوت وورث كل ذلك التراث في ذلك الزمن البعيد العقيم هو نفس الانسان العربي الذي يظل علينا اليوم بتصويته واصواته من جميع اجهزة ووسائل ما يسمونه الاعلام العربي او الكتاب العربي او الصحافة او الاذاعة او القصيدة العربية . ان الصوت والمصوت لم يتغيرا . . لم يتغير فيهما شيء . . لا المنطق ولا الذكاء ولا التصور ولا الاخلاق ولا التهذيب ولا الصدق ولا الرؤية بل ولا اسلوب او مستوى الوقاحة والقباحة والغرور ، بل ولا مستوى واسلوب الصوت او الحركة التي توقحه وتقبحه ، او اسلوب التهيج ، التهيج السوري بلا اي حماس نفسي او اخلاقي . .

نعم ، ان الانسان العربي اسلوب او صوت انفعال ولكنه ليس انفعالا . ليس عاطفيا كما يتهم دائما ولكنه صيغة عادية . .

عد الى الماضي وانثر جميع توابيت اربابك وانديانك وآباءك وآباءك ووعاظك وشعرائك لتقرأ فيها كل معلقاتهم وجاهلياتهم واسلامياتهم وكل حماسياتهم ومصاهلاتهم ، ولتقرأ ايضا فيها كل آياتهم وكل سورهم ونبواتهم ورواياتهم ، كل عيناياتهم وقحطانياتهم . ثم عد من ذلك الماضي ان استطعت . عد من ذلك الماضي لتستمع وتقرأ اليوم كل ما تقوله وتكتبه وتذيعه جميع صحفك واذاعاتك وكتبك وجميع

أجهزة اعلامك ودعاياتك وجميع منابرک ومحاريبك ثم لا تحاول ان تجد ان الزمن او التاريخ قد تحرك او فعل شيئاً بل او انه قد وجد ليصنع اي فرق بين ما كان وما هو كائن ..

لا تحاول ان تجد ان التاريخ او الزمن قد وجد في تاريخك . ان الزمن والتاريخ خطوات متعاقبة متغيرة . ولكن هذه الخطوات لم توجد في تاريخك ولا بين تاريخك الذي تقرأه وترويه وحياتك التي تراها وتحياها او التي تقاسيك وتقاسي منك دون ان تحياها او تراها . ان الزمن والتاريخ لم يتحركا بل لم يوجد في كل المسافة الممتدة بينك وبين ابائك . لقد حذف الزمن والتاريخ من حساباتك ..

انك لو وضعت اعظم ما ترويه عن الهتك وانبيائك على السنة اصغر كتابك ووعاظك وشعرائك ، ووضعت اتفه ما يقوله ويكتبه اصغر شعرائك ووعاظك وكتابك في اعظم ما ترويه عن آلهتك وانبيائك ، ناسبا الى كل فريق ما للفريق الاخر او ما ترويه او تعتقده للفريق الاخر ، او ناسبا الى فريق واحد كل ذلك ، او معلنا عجزك عن التمييز بين ما لكل فريق لشدة التماثل ..

– نعم ، انك لو فعلت ذلك لما شعر احد انه قد حدث خطأ او تزوير او اتهام لاحد بما لا يستحق او بما هو دونه ، دون اخلاقه او دون عبقيته او دون ما يريد ويرى لنفسه .. حتى آلهتك ، انها لن تكون مظلومة او مهانة ولن تشعر انها كذلك لو نسبت اليها أردأ ما يقوله ويكتبه اصغر كتابك وخطابك لانه لا فرق ولا تفاوت .

ان الكلام لا بد ان تختلف تفاسيره ولا بد ان تتفاوت مستوياته الاخلاقية والفكرية والنفسية . اما التصويت او الاصوات فلا يمكن ان تختلف او تتفاوت هذا الاختلاف والتفاوت . ان الطنين والنقيق والصهيل والنباح والزئير لا يختلف او يتفاوت في تفسيره او في مستوياته النفسية أو الفكرية أو الاخلاقية مهما اختلفت وتفاوتت مخارجه وضجاته . لهذا فان جميع الخطب والبيانات والنبوءات والروايات والآيات والتعاليم والقصائد والكتب والمواظ والافكار والشرائع التي قالها وكتبها واوحى بها وانشدها جميع حكام العرب وجميع انبيائهم وشعرائهم وحكمائهم وقادتهم ومعلميهم ومفكرهم ومشرعيهم بل وأربابهم في جميع عصورهم لا تختلف ولا تتفاوت هذا الاختلاف والتفاوت ..

اجل ، ان كل ذلك لا يمكن ان يختلف او يتفاوت بهذا التفسير للاختلاف والتفاوت لانه تصويت او أصوات وهي لا تختلف او تتفاوت بهذا التفسير .. ان الفرق بين كلام وكلام او بين متكلم ومتكلم قد يكون في تفسيره اكبر وابعد واعمق من كل ما في الطبيعة من تفسير وضخامة وعمق وبعد ، من كل ما في الطبيعة من فروق في ذلك .

ولكن الفرق بين صوت وصوت او بين مصوت ومصوت ماذا يساوي في جميع تفاسيره ؟ وهل توجد فروق في تفاسيره ؟ أليس كل صوت مثل اي صوت او مثل كل

صوت في معانيه مهما اختلفت او تفاوتت الالبواق او اجهزة التصويت ؟ هل يمكن أن يكون صوت العندليب او الجواد اعمق او اذكى تفسيراً او تفكيراً من صوت الغراب او الاثنان مهما اختلفت الموسيقى ؟

اذن هل ندري اننا نمارس عبثاً حزيناً حينما نطالب اي متكلم عربي اي مصوت عربي ان يكون اذكى او اتقى او اكثر وقاراً او تهذيباً او صدقاً حينما يتكلم اي حينما يصوت ، وحينما نطالبه او نرجوه وننتظر منه ان يتخطى نفسه او يتخطى تاريخه وآباءه ليكون اعظم واقوى اي حينما يتكلم أي يصوت ؟

نعم ، هل ندري اننا نعبث عبثاً اليماً حينما نذهب نطالب هذه المطالبة او نرجو هذا المرجاء ؟ ذلك لان الكائن الذي هو في طور التصويت فقط لا يستطيع كما ذكر ان يتفاوت ولا ان يتجاوز نفسه او تاريخه او آباءه ، ولا ان يكون اذكى او اتقى او اكثر وقاراً او تهذيباً او صدقاً ما لم ينتقل من طور المصوت الى طور المتكلم ، والانسان العربي وكما سبق هو كائن مصوت لا متكلم . اذن كيف يمكن او كيف يستطيع ان يكون افضل في تصويته ، افضل من نفسه او من تاريخه او من آباءه ، او ان يتخطى ما كان ؟ كيف يمكن ان يتفاوت في مستوياته ؟

انه مهما اراد واريد منه بل ومهما علم او تعلم ان يصنع ذلك فلن يصنعه او يستطيع ان يصنعه حتى يصعد من طور المصوت الى طور المتكلم . انه يمكن ويستطاع ان يجعل المصوت يغير صوته ولكن لا يمكن نقله بالتعليم من مصوت الى متكلم ولا رفع مستوى موهبته بذلك . .

وتراث العرب الثقيل المكتوب الضخم جدا في حجمه لن يكون ضاراً او معوقاً ان يبقى وان يقرأ ويحتفل به وان يوهب كل الايمان والاعتناء بقيمته وبتفوقه وعبقريته، كما ان زواله او فقدته او هجرانه او نسيانه او حتى الكفر به لن يكون منفذاً او خالفاً او صائفاً صياغات افضل او اذكى للانسان العربي . ان اجتناب قراءة الغباء لن يجعل الغبي ذكياً كما ان اجتناب رؤية الدمامة والضعف لن يجعل الدميم او الضعيف جميلاً او قوياً .

ذلك لان الانسان العربي ما دام في طور المصوت فلن يضيئه ان يقرأ اصوات تاريخه او اصوات اربابه وانبيائه وشعرائه ومعلميه وآبائه الذين كانوا في التاريخ ، او ان يؤمن ويحتفل ويجن اعجاباً بهذه الاصوات ودراسة لها وصلاة بها . لن يضيئه لو يعوقه او يؤخره ذلك كما لن يضير او يعوق او يؤخر اي كائن مصوت ان يسمع اصوات نفسه او اصوات آباءه او تاريخه او اصوات مصوتين آخرين . . اي كما لن يضير او يؤخر او يعوق الحصان او الجمل او الذئب او الذباب ان يسمع صوت نفسه او اصوات آباءه او تاريخه . . والعربي اذا قرأ تراثه او مهما قرأ تراثه فليس الا قارئاً ومسامعاً ومتعلماً اصواتاً ، انه مصوت يقرأ عن مصوت آخر ، عن مصوت يعيش في قبور آباءه وفي نفسه . .

أما اذا تخطى الانسان العربي طور المصوت الى طور المتكلم فان قراءته لتراثه هذا وحفظه له واستماعه اليه لن يؤثر فيه تأثيرا رديئا او معوقا الا بقدر ما يؤثر في الانسان مثل هذا التأثير ان يستمع الى أصوات الكائنات المصوتة التي هي دون طور الانسان ، او الا بقدر ما يمكن ان يؤثر هذا التأثير في الانسان المتحضر البالغ طور الكلام أن يقرأ هذا التراث العربي بل وان يتدارسه ويقيم له المتاحف والمعارض ويوظف له الدارسين المتخصصين ...

هل يمكن ان يفقد العبقري عبقريته اذا قرأ لمن لا عبقرية لهم او ان يتراجع المتكلم عن طور المتكلم اذا قرأ لمن هو في طور المصوت ؟

وإذا ظل الانسان العربي طويلا في طور المصوت دون ان يصعد الى طور المتكلم فليس السبب ولا بعض السبب ولا احد الاسباب قراءته لتراثه الصوتي او حفظه له او استماعه اليه او ايمانه واعجابه به ، بل كل اسباب بقائه في طور المصوت هو عجزه الذاتي عن تخطي هذا الطور الى طور المتكلم . كما ان اسباب بقاء الكائنات الاخرى المصوتة في طور التصويت هي عجزها الذاتي عن تجاوز هذا الطور . وليست الاسباب انها تقرأ او تسمع او تحفظ او تقتني تراثا صوتيا هو التراث الصوتي العربي او تراثا صوتيا يشبه التراث العربي ورثته هذه الكائنات عن آباءها وتاريخها كما ورث العرب تراثهم عن آباؤهم وتاريخهم ..

ان قراءة الاصوات او الاشياء الرديئة لا تمنع ولا تعوق الصعود الى طور الكلام ولا تهبط بالموهبة كما ان رؤية الكائنات المصوتة او الذميمة او الرديئة لن تجعل ذات الرائي لها ذاتا مصوتة فقط أو ذاتا رديئة او ذميمة ما لم تكن هي كذلك . ان الدميم ليس دميما لانه رأى كائنا دميما كما ان الغبي ليس غبيا لانه قرأ لغبي او لانه رأى او عايش غبيا . ان الهة هذا الكون لم تصبح فظة وعدوانية وعابثة لانها قرأت او رأت او سمعت من هم كذلك ...

كذلك فان قراءة المصوت للكلام وللأشياء الجيدة لن تنقله الى طور الكلام وطور المتكلم ولن تجعله شيئا جيدا ، كما ان الرؤية للكائنات المتكلمة او للكائنات الجيدة والجميلة لن تصوغ ذات الرائي لها ذاتا متكلمة او ذاتا جيدة او جميلة اي لم تكن هي كذلك . ليت الرؤية للأشياء الجميلة والجيدة تجعل الرائي لها جيلا جيدا . ولكن لا ، لان الرؤية حينئذ للأشياء الذميمة والرديئة ستجعل الرائي لها رديئا ودميما . ان الخسائر حينئذ ستكون اعظم من الارباح ..

ان الكائنات التي انتقلت الى طور المتكلم او طور المنتج للعبقرية ليس لانها قرأت كلام كائنات متكلمة وكائنات عبقرية ، ولا لانها رأت مثل هذه الكائنات . ان الاعضاء والنيات التي تعلمت القدرة على التعامل مع الشيطان والرغبة في هذا التعامل لم تتعلم هذه القدرة والرغبة لانها رأت او قرأت لاعضاء ونيات اخرى قد تعلمت ذلك قبلها ...

وان الكائنات التي لم تبلغ طور الكلام او طور المنتج للعبقرية ليس لانها لم تقرأ لكائنات متكلمة او لكائنات عبقرية ، وليس لانها لم ترمثل هذه الكائنات ، وليس كذلك لانها قد قرأت لكائنات لم تبلغ طور الكلام او طور انتاج العبقرية . . ان الاعضاء العاجزة عن الاشتهااء او عن الاقتحام ليست عاجزة لانها قرأت عن اعضاء عاجزة او لاعضاء عاجزة ولا لانها رأت مثل هذه الاعضاء . .

ان الانسان لم يصبح انسانا لانه قد قرأ لانسان قبله او لانه رأى انسانا اخر كان قبله . . وان الذئب او الجمل او البرغوث لم يظل ذئبا او جملا او برغوثا لانه قد قرأ للذئب او لجمل او لبرغوث كان قبله ، او لانه قد رأى ذئبا او جملا او برغوثا كان قد جاء قبله ، ولا لانه لم يقرأ للانسان او لير الانسان . . ان الانسان لم يصبح انسانا بالتعليم او التقليد او القراءة او السماع او الرؤية ، وان الفأرة لم تصبح فأرة او تبقى فأرة بشيء من ذلك . . ان نموذج الكائن وطاقته لا تصوغهما عيناها او اذناها ولكن نموذجه وطاقته هما للذان يصوغان عينيه واذنيه . ان شخصية الكائن او كينونته مختبئة فيه قبل ان يرى ويسمع ويعامل .

لن التراث العربي مهما كان تخلفه لن يكون مسؤولا عن تخلف الانسان العربي الا بقدر ما يمكن ان تكون آباء الجمل مسؤولة عن بقاء الجمل جملا ومصوتا كما يصوت الجمل لانه رأى آباءه الجمال وسمعها تصوت فقط ولم يسمعها تتكلم كالانسان ، ولم يرها كذلك في صورة الانسان .

ان المسؤول عن الانسان العربي وعن الجمل وعن كينونتتهما هي خصائص ومواهب آبائهما لا رؤية هؤلاء الاباء ولا سماع أصواتهم ولا القراءة لهم . لقد بقي الانسان العربي والجمل مصوتين فقط غير متكلمين ، لان خصائص ومواهب آبائهما انتقلت اليهما لا لانهما سمعا او رأيا آباءهما أو قرأ لهم او عنهم . .

والخصائص او المواهب لا تكون ولا تعمل بالرؤية ولا بالقراءة ولا بالسماع ولكن تفعل ذلك بالقدرة والقوانين الذاتية والطبيعية . وكذلك ايضا تورث وتنقل اي المواهب والخصائص . .

ان الكائنات تأخذ عن آبائها مواهبهم وقدراتهم وكل احتمالاتهم الذاتية حتى ولو لم ترمهم او تسمعهم ، ولكنها لا تأخذ عنهم شيئا من ذلك بالرؤية ولا بالسماع ولا بالقراءة او التعليم . . انها اي الكائنات تأخذ عنهم أي عن آبائهم التعبير عن القدرة والموهبة والاحتمال بالتعليم والسماع والرؤية ولكنها لا تأخذ عنهم بذلك نفس الموهبة او القدرة او الاحتمال . . ان الموهبة والاحتمال والقدرة تؤخذ بالاسلوب او بالقانون الذي يأخذ به الفصن او البذرة من الشجرة او الثمرة او النبتة اشكالها والوانها وطعمها وانتماؤها النسبية . .

ان الانسان يتعلم اللغة والكلام وانواع التعبير بالسماع والرؤية والتعليم ولكنه لا يمكن ان يتعلم نفس القدرة او الموهبة التي تجعله قادرا على ان يتكلم ويستعمل

اللغات - لا يمكن ان يتعلم ذلك بالرؤية ولا بالسمع ولا بالقراءة ولا باي شيء اخر .
لا يمكن ذلك الا بقدر ما يمكن ان تتعلم الشجرة لونها وشكلها وحجمها وجنسيتها
وكل خصائصها من اباؤها بالرؤية أو القراءة أو السماع ...
والا بقدر ما يمكن ان يملك البرغوث موهبة القدرة على ان يكون كائننا متكلماً
بالتعليم او بالتحريض او بمعايشته لمن يملكون هذه الموهبة ..
لو ان انسانا ما او اي انسان عزل عن جميع البشر ساعة مجيئه فماذا يمكن ان
يكون ؟

انه حتما سيكون حينئذ بلا لغة ولا تعاليم ولا عقائد ، لا دينية ولا مذهبية
ولا اخلاقية . اي سيكون بلا اي اسلوب من اساليب التلقين والتعبير . سيكون لغة
خرساء .. سيكون كتابا مكتوبا بلغة لم تقرأ ، مكتوبا بحروف صامتة . سيكون
لغة لم تتعلم التعبير . ستعيش فيه مختبئة جميع مواهبه واحتمالاته الذاتية التي كان
محتوما او ممكنا ان تنفجر تحت الظروف الملائمة او المزمة او المحرصة . حتما ستعيش
فيه جميع طاقاته صامتة . أليست اكثر الطاقات طاقات صامتة ؟ اليس كل شيء
مهما كان لا بد ان تعيش فيه طاقات صامتة ؟

ستعيش فيه بلا اي نقصان موهبة اللغة واية موهبة اخرى كانت في ذاته .. فنية
او فكرية او اخلاقية او انسانية او من اي نوع . انه سيكون لغويا وان لم ينطق
بأية لغة . وسيكون شاعرا او رساما او قصاصا او مفكرا او مخترعا وان لم يقل او
يكتب او يفعل او يعط اي شيء .. سيكون ايضا مؤمنا ومذهبيا ومصليا ومعتقدا
ومخدوعا وخادعا وكاذبا ومكذوبا عليه ومقتنعا بالخرافات والاشاعات وهاتفا للطفاة
والقتلة والغزاة والدجالين - اي سيكون كل ذلك بالاحتمال والامكان وبالقدرة
والانتظار . سيكون كالسلاح المغدود او كالمنجم التوقف عن العمل . سيكون كالحبل
الذي لم يولد او كالحبل الذي لم تجد مكان الولادة او اجهزة التوليد . اليس اكثر
انواع الحبل هو الحبل الذي لا يتحول الى ولادة ؟

ولكن هذه الاحتمالات والقدرات والمواهب قد تفقد او تعجز . لانها قد تصاب
بالاسترخاء او بالشلل او بالضمور او الشيخوخة او الهزيمة الحادة او بالتعود الطويل
على الصمت او بفساد مكانها او عضوها او جهازها او بفقدانها للحماس وللرغبة في
المقاومة والانطلاق والاقترام ..

نعم ، ان هذه الامكانيات والاستعدادات الذاتية قد تفقد نفسها او تصاب بالضعف
الشديد وبالعجز عن ان تتحول الى ولادة ، ليس لانها لم توجد او تورث او تتخلق ،
وليس كذلك لانها لم تر او تسمع او تقرأ او تعلم او تحرض ، بل لانها لم تعمل
ولم تتعامل حتى ماتت او وهنت او ضمرت جدا بالتقادم والشيخوخة وبفوات الأوان
وبضعف الجهاز ، كما تضعف او تعقم او تموت او تتوقف عن العطاء جميع الكائنات
الحية بالتقادم وبتخطي السن الملائمة او الموسم الملائم . هل يوجد شيء لا يؤثر فيه

تتقدم السن أو اختلاف السن ؟ أو هل يمكن ان يوجد شيء يعيش كل حياته في عمر واحد لا تتفاوت فصوله ولا مطول امطاره ؟

الا تكون هناك اعمار مختلفة أو فصول متفاوتة في قدرة موهبة الانسان وقواه واحتمالاته ، في قدرتها على التفجر والنشاط والتحدي والانتصار ، كالأعمار والفصول المختلفة والمتفاوتة في قدرة كل الكائنات على الكينونة وعلى الحياة وعلى الولادة ؟

اليس لانبعثت المواهب أعمار محسوبة ومحكومة بأعمار الموهوبين ؟
الا يكون هناك عمر أو فصل هو اكثر الاعمار أو الفصول ملاءمة لانطلاق موهبة التفكير أو الرسم أو الشعر أو الغناء أو الابتكار والاكتشاف والرؤية .. فاذا مر هذا العمر أو الفصل دون ان تجد هذه الموهبة الظروف التي تاذن لها بالانطلاق والعمل أو تلائم انطلاقها وعملها ضعفت قدرتها على ان تنطلق وتعمل ، بل وضعف ايضا حماسها وتطلعها وكل معاني الطموح فيها ؟

الا تكون السنة الثانية وما حولها من عمر الانسان اكثر ملاءمة له من السنة الثلاثين من عمره لكي يلتقط اللغة من اهله ومجتمعه بالسمع والمحاكاة ؟ اذن فلو عزل اي انسان ساعة ولادته عن كل الناس فبقي بلا لغة الى سنه الثلاثين لكان في هذه السن وما بعدها عاجز عن اخذه اللغة بالسمع والمحاكاة - عاجز منه لو انه استطاع اخذها في سنيه الاولى ؟ .

قد يكون ذلك كذلك . انه احتمال ، احتمال فقط ولا اقله عن تجربة . كذلك قد يكتشف انسان نظرية جديدة او يبتكر شيئاً جيداً في العشرينات او الثلاثينات من عمره ولكنه قد يعجز عن ذلك في الخمسينات او الستينات من عمره . ومعنى هذا ان الظروف والاحداث لو انها منعت هذا الانسان ان يحاول في الفترة الاولى من عمره ثم واتته اي الظروف والاحداث في الفترة الثانية لما اكتشف اكتشافه ولما انجز ابتكاره ولماذا وكأنه عاجز بموهبته عن ان يفعل ما فعل . انها افتراضات ، افتراضات فقط . اليس جميع الولادات تخضع لآوقات معينة وهذه ولادة ؟

اذن فموهبة الانسان وقدرته وكل امكاناته تكون أو لا تكون ، تكون هذا أو هذا ، هذا المستوى أو ذاك بالقوانين الذاتية والطبيعية لا بالسمع ولا بالرؤية ولا بالقراءة ولا بالتحريض ..

ان مواهبه وكل طاقاته وخصائصه تتخلق فيه وتنقل اليه وتظل مختبئة أو متبجزة مقتحمة بالاسلوب أو القانون الذي به تتخلق وتنقل وتبقى وتختبئ وتتفجر وتفتح طاقة حبة القمح أو غير القمح ..

فهل طاقة الحبة تكون أو لا تكون ، تنفجر أو تظل خاملة خامدة لانها قرأت أو رأت أو سمعت شيئاً جيداً أو شيئاً رديئاً مناقضاً لانها لم تقرأ أو تر أو تسمع شيئاً ؟ هل القراءة أو السمع أو الرؤية أو الحرمان من القراءة أو السمع أو الرؤية مهما كان نوعها يهب الحبة شيئاً أو يأخذ منها شيئاً ؟

ولو تحولت حبة القمح الى قارثة وسامعة ورائية بل ومؤمنة فرأت وقرأت
وسمعت اي شيء وكل شيء فهل يمكن ان تتغير طاقتها قوة او ضعفا ؟
اليس الانسان مثل الحبة حتما في ذلك ؟ انه يأخذ من ظروفه وعنها بقدر طاقتها،
وكذلك تفعل حبة القمح ويفعل كل شيء حي وغير حي ..

اذن فعزل الانسان عن ظروفه يعني شيئين : يعني وجود وبقاء طاقاته فيه ، ثم
يعني بقاءها حبلا لا ولادة وصمتا لا تعبيرا . أليست جميع اللغات مثلا موجودة في كل
انسان ولكن وجودها فيه قد يكون وجودا صامتا ؟ وليس كذلك من هو دون الانسان .

اما وضع الكائن في ظروف اكبر من موهبته فلن تصنع له هذه الظروف موهبة
متكافئة معها اي لن تهيبه او تعيره او تزور له موهبة اكبر من موهبته ليكون ندا لها
اي للظروف التي هي اكبر منه بالامكان والاستعداد . انها لن تستطيع ذلك ولعلها
ايضا لن تريده . ولعلها لن تقاسي او تحزن لانها لن تستطيعه .. اذا عاش الصرصار
او الذباب مثلا بين البشر ومعهم ، يراهم ويسمعهم ويمارسهم كل انواع واساليب
الممارسات ، ويمارسونه هم كل هذه الممارسات ويقروون ويصوتون ويصلون ويتكلمون
ويؤمنون وينافقون ويكذبون ويتخادعون امامه وفوقه وفي اخيه وعينيه فهل يمكن
ان يصبح مثلهم : يتكلم لغة ويؤمن بالآلهة وبانبياء وبطغاة وزعماء وجالين ، وبمذاهب
وعقائد ونظريات وقوميات ، يتعصب ويعادي ويبغض ويحقد ويشتم ويكذب ويزور
ويسرق ويخدع ويقتل ويقاثل باسمها وباسمهم وبحجة الدفاع عنها وعنهم والانتصار
لها ولهم ، ويشيد من اجلها المناير والمحاريب ويكتب وينزل على السننها الالواح
والاسفار والصور والايات ليزداد جنونا وعارا وافتضاحا وصراخا كما يصنعون هم ؟
لو ان اي ذباب او صرصار ظل يسمع ويقرأ ويحفظ في كل حياته جميع قصائد النفاق
التي قالها العرب في كل تاريخهم فهل يمكن ان يتحول ذلك الذباب او الصرصار الى
خائف وان ينشد قصيدة واحدة من امثال هذه القصائد العربية الخالدة ؟

اذن لا خوف على الانسان العربي من ان يظل يقرأ ويسمع ويحفظ تراثه الصوتي
الا بمقدار ما يمكن الخوف على الذباب او الصرصار ان يصبح متعصبا وحاقدا ومعاديا
وشائما ومهددا ومعيرا ومبارزا ومباهايا وقاتلا مقاتلا باسمي الالهة والانبياء
والاديان والمذاهب والنظريات والقوميات والاطنان وباسم الحق والصدق والغيرة
والإخلاص والحفاظة على الكرامة ، او ان يصبح اي الذباب او الصرصار يتكلم لغة من
اللغات ليحولها الى اسلحة من السباب والبذاءات والوقاحات ومن العدوان على الحياء
والتهذيب والحب والرصانة والذكاء ، أو أن يصبح شاعرا منافقا مفتضحا فضاحا كاحد
شعراء العروبة العظام ، أو يصبح اي الذباب او الصرصار زعيما عربيا يخطب واعداء
متوعدا محاربا منتصرا متفوقا على جميع السفهاء والاغبياء في سفاهاته وغباواته
ودعاواه .

نعم ، الا بمقدار ما يمكن الخوف على الذباب او الصرصار ان يصبح كذلك لو انه عايش البشر وساكنتهم وضاجعهم وتعذب طويلا برؤيتهم وبالاستماع اليهم وهم يقرؤون ويصلون ويهتفون ويخطبون ويصرخون وينافقون لاربابهم وانبيائهم ولظلماتهم ولقاداتهم القتلة الاغبياء ، ولاكاذبيهم وبلاداتهم واحقادهم ولحروبهم وخصوماتهم وعداوتهم التاريخية والدينية والمذهبية والوطنية والقومية ومن كل جنسية وبلاية جنسية . ولكن الا يستحق الرثاء ، الرثاء لعينيه ولاذنيه ولذكائه وكرامته ولوقاره اي كائن اخر يعايش البشر او يظل من بعيد عليهم فيراهم ويسمعهم ويمارسون كل ذلك بالاسلوب الذي يمارسونه به ؟ اليس في ذلك اشد التعذيب والترويع لذلك الكائن بل والعدوان عليه ؟

**

اجل ، انه لا خوف على الانسان العربي من ان يظل يقرأ ويحفظ بل ويقدر تراثه ، ولكن الخوف عليه من ان يظل عاجزا عن امتلاك الطاقة او الموهبة التي تجعله يتخطى هذا التراث كما انه لا خوف على الكائن النابج أو الناهق أو الراعي من ان يظل يسمع ويرى ويعايش النابحات او الناهقات او الراغيات لاقتراض ان ذلك سوف يجعله دائما في طور النابج او الناهق او الراعي ، عاجزا عن تجاوز هذا الطور . ولكن الخوف عليه من ان يظل بلا موهبة تجعله يتخطى هذا الطور ، طور النباح والنهيق والرفاء . . .

ولا بد ان يتخطى الانسان العربي تراثه حينما تتخلق فيه الموهبة والطاقة التي تجعله يستطيع تخطيه ، لا حينما يمتنع او يمتنع من قراءة هذا التراث ومن الاستماع اليه او الاحترام والتمجيد له . كما ان الكائن الناهق او النابج او الراعي سيتخطى حتما طوره هذا حينما تتكون فيه الطاقة التي تهبه القدرة على هذا التخطي ، لا حينما يحال بينه وبين الكائنات المصونات مثل تصويته .

وهذه الموهبة او الطاقة التي تصنع التخطي او القدرة عليه تتخلق في الانسان وفي الكائن الذي هو دون الانسان كما يتخلق فيه جسمه واعضائه ولونه وحدوده الذاتية ، ولا يتعلمها اي لا يتعلم هذه الطاقة او الموهبة كما يتعلم اللغة او الدين او المذهب او القومية او التعصب او السباب والبغضاء للمخالفين او للآخرين او الهتاف للطفاة وللقادة القتلة المجانين ، او الايمان بالمحتلمين المهديين بالالهة وبالابالسة والملائكة وباوقح الاشباح وحشية وتشوها وقبحا وطلعة وجوها ، وبالاجحيم عقابا او ثوبا او اصلاحا او تصحيحا لمن لم يستطع ان يجد في اعنى واقبح وانذل العاهات والنشوهات والالام والدمامات والتفاهات والحشرات انبل واتقى وارحم واجمل واذكى الالهة واعمقها شاعرية وموسيقية واخلاقية وفنية وانسانية وعبقرية .

هل وجد او هل يمكن ان يوجد ابشع احلاما واحتلاما ممن احتلموا ويحتلمون بمثل هذه الالهة المحتملة بكل هذه الدمامات والوحشيات ؟

ان الذين يحسبون ان الموهبة او القدرة تخلق او تتخلق بالرؤية او السماع او القراءة او التلقين او التعليم هم كالذين يرون ان الاعضاء وصفاتها وصفات ابدانها تكون او تصاغ بمثل ذلك اي بالرؤية والسمع والقراءة والتعليم والتلقين . . وان الذين يحسبون ان القراءة او السماع او الرؤية للاشياء الجيدة او للاشياء الرديئة تحول او تغير الى الافضل او الى الارء ، هم كالذين يحسبون ان الاعضاء والابدان والالوان انما تخلق أو تتخلق بذلك اي بالقراءة والرؤية والسمع والتلقين والتعليم .

والظروف المواتية ويراد بها كل اساليب التعليم والتلقين والتحريض والتوظيف والالزام والاعجاب وكذلك الرؤية والسمع والمعاشية والمواطنة وكذا الاثابة والتمكين والتسهيل والافتداء .

نعم ، الظروف المواتية وهي هذه البيئة النفسية والعقلية والحضارية والاجتماعية الواسعة ، قيمتها انها تأذن للموهبة او للطاقة الموجودة الساكنة الصامتة بان تنفجر وتتحرك وتتحول الى نشاط والى تعبيرات مختلفة ومتفاوتة ، وتساعدها على ان تكون كل احتمالاتها وصيغها التي تقدر وتريد ان تكونها ، ولكنها اي الظروف المواتية لا تخلق او تحدد الموهبة او الطاقة في الذات ، بل ولا تهبها شيئا من المقادير او الجودة . . انها تفجر الشيء الموجود وتستخرجه او تسمح له وتساعده على ان يفعل ذلك ، ولكنها لا توجد . ان هذا ، اي تفجير الشيء الموجود واخراجه وصياغته هو كل عمل الحضارة والتحضير . . ان الحضارة لا توجد ولكنها تخرج وتصوغ وتفجر وتحول . انها كالصائغ او الحداد أو النجار الذي يصوغ الموجود ولا يوجد .

ان مثيل ذلك الطاقات والمعادن المدفونة في الطبيعة . ان الانسان يستخرج النفط وغيره ثم يحول الطاقة المخزونة فيه الى حياة ورخاء وقوة . ولكنه اي الانسان لا يستطيع ان يوجد النفط او ان يزيد من مقاديره ، ولو اوجده لاوجده من طاقة اخرى ، من طاقة موجودة ايضا لا يستطيع ان يوجد لها هو اي من غير شيء او من غير طاقة اخرى . وهو في تحويله لطاقة النفط المخبوء فيه لا يستطيع ان يزيد في مقادير هذه الطاقة وانما يستطيع ان يستغلها استغلالا كاملا أو غير كامل بالمستوى الذي تستطيعه اساليبه ووسائله واجهزته . لقد فجر الانسان المتحضر طاقات النفط العربي وحوله الى مجد للحضارة ، فلماذا لم يفعل بالانسان العربي كذلك . هل عجز أو لم يرد ، أو لم يجد فيه شيئا يفجره ويحوله .

ان اية حبة او بذرة أو جذع شجرة او نبتة حينما تستنب في بيئتها وتحت ظروفها الملائمة لن تستطيع ان تكون او تعطي اكثر من طاقتها الذاتية والنوعية والسلالية او غير هذه الطاقة المحبوسة في ذاتها ونوعها وسلالتها . نعم ، لا غيرها ولا اكثر منها . .

نعم ، انها قد تعطي بل انها حتما تعطي غير ذلك واكثر من ذلك ولكن بان تضاف اليها وتتدخل فيها باسلوب علمي مادي طاقات اخرى مادية .. ان اي تغيير في الطبيعة او في الاشياء نوعا او مقدارا لا يمكن ان يكون الابتغير مادي باسلوب مادي .
باضافات مادية تؤدي بوسائل مادية .

وقد يشبه ذلك بالنسبة للانسان ان ينقل مخ او عضو او قلب عبقرى او ذات عبقرية الى ذات انسان اخر ، او ان يحدث فيها اي في ذات الانسان اية تغييرات ذاتية ومادية اخرى لتتحول فيها الى طاقات ومواهب ذاتية مادية .

وهل يمكن ان تحدث اية تغييرات مادية في ذات الانسان حتى في طاقته العقلية او العصبية او الروحية الا بوسائل مادية ؟

انه لو جمعت جميع المخصبات في الطبيعة ثم وضعت باقوى اساليب الاغراء امام شجرة او نبتة او امام أحد المروج ثم حدث بكل اللغات وبكل اساليب البلاغة عن قيمة هذه المخصبات وعن منافعها الاسطورية لهذه الشجرة ولهذه النبتة ولهذا المروج ثم وعظت وهددت هذه الشجرة وهذا المروج وهذه النبتة بكل مواعظ وتهديدات كل الانبياء والقديسين والواعظين في كل التاريخ بان عليها اي على هذه الشجرة والمروج والنبتة ان تكون قوية ومثمرة وجميلة وكبيرة بقدر ما في هذه المخصبات من قدرة على ان تصنع لها وفيها ذلك والا فلا بد ان تعاقب اي الشجرة والمروج والنبتة بكل العقوبات التي اعدوا واعد بها الالهة والانبياء كل من لم يروا جمال الاله ورحمته وعدله وحبه وشاعريته وذكاءه وعبقريته كلما راوا تشويها او عاهة او شيخوخة او مرضا او موتا او جوعا او ظلما او طغيانا او خرابا او حربا او وباء او حاكما عربيا يخطب ويهدد او مفكرا عربيا يفكر .

ليس المفكر العربي حينما يفكر والحاكم العربي حينما يخطب ويهدد يتحولان الى افطع اساليب التشويه والتقبيح لكل ما في الحياة من قيم واشياء ؟

نعم ، ان كل ذلك لو حدث ولكن بدون ان تدخل هذه المخصبات بوسيلة مادية في ذات الشجرة او المروج او النبتة لما كان ممكنا ان يتغير النماء او الجمال او اللون او الحجم الا بقدر ما هو محتوم او ممكن ان يصبح اغبى الناس واتفهم هو اذكى الناس واعظمهم عبقرية بدون اي تغيير مادي في ذاته ، في اجهزة الذكاء والغباء والتفاهة والعبقرية .. في اعضاء العقل والنفس والانفعال والقبول والرفض والتحدي والعصيان والاستسلام والقدرة والعجز فيه .

نعم ، بدون اي تغيير مادي بوسائل مادية في هذه الاجهزة الذاتية المادية ، بل يصبح اي اغبى الناس واتفهم هو اذكاهم واعظمهم عبقرية لانه فقط سمع او آمن ان الاديان او المذاهب او الاخلاق او الوطنية او الانسانية او الحضارة توجب بان يكون الانسان كذلك ، اي اذكى الناس واعظمهم عبقرية ، وتلمن وتحتقر وتعاقب من لم يكن كذلك ..

- او لانه قد جمع في بيته كل الكتب الذكية والعبقرية ..
- او لانه قد قرأ كل الكتب الذكية والعبقرية او سمعها تقرأ ..
- او لان جميع العباقره والاذكياء قد زاروه في بيته وسمعهم يتحدثون بكل اساليب الذكاء والعبقرية ، وكتبوا اهداءهم له على جميع كتبهم ..
- او لان جميع هؤلاء الاذكياء والعباقره قد صافحوه او صافحهم او لمسهم ولمسوه او لانه وضع يده على مكان الذكاء والعبقرية فيهم ، او لانهم قد وضعوا ايديهم على مكان الغباء والتفاهة فيه .

نعم ، أو الا بقدر ما هو ممكن أو محتوم أن يصبح أي حاكم أو زعيم عربي حكيما أو فيلسوفا أو عالما أو مهذبا أو متحضرا أو صادقا أو مخلصا أو شجاعا أو نظيف النية واللغة أو بريئا من الغيرة أو الحسد أو الانانية الهمجية ، أو أن يصبح منتصرا على الاعداء والتخلف والفساد أو قائدا الى هذا الانتصار - نعم ، الا بقدر ما هو ممكن أو محتوم أن يصبح أي زعيم أو حاكم أو قائد عربي كذلك لانه قد قرأ لكل زعماء وحكام وقادة العالم المخالفين المتجاوزين له بكل مزاياهم ، أو لانه سمعهم يخطبون أو يتكلمون وراهم يفعلون بمستويات واساليب أخرى ، أو لانهم جميعا زاروه أو زارهم ، أو لانهم استضافوه أو استضافهم ، أو لانه أراد أن يتفوق عليهم وإن يتفرد دونهم بكل مجد التاريخ ، أو لانه أي حاكم أو زعيم أو قائد عربي قد وجد كل أجهزة بلده ، لانه قد فرض عليها ، وكل مفكري ومعلمي وكتاب وشعراء ووعاظ ومغني بلده ، بل وكل الكتب المقدسة في بلده وكل تفاسيرها وكل مفسريها ومعلميها وحفاظها - لانه وجد كل ذلك ليس الا تحديثا عن مجده وعبقريته وانتصاراته وعن عصمة ملابسه الداخلية من أن تصاب بالدرن أو بالعرق ، أو أن تصاب أي ملابسه الداخلية بأية حساسية أو بأي شبق الى غير النبل والشهامة والتقوى أو الى غير الحب للصق والعدل والنظافة والحكمة والفلسفة والحقيقة والحضارة والتفكير الشجاع المقتحم .. نعم ، ان هذه النبتة أو المرج أو الشجرة لن تستطيع ان تستفيد من هذه المخصبات بالنصائح والزواجر حتى ولو عرفت جميع اللغات الا اذا كان ممكنا ان يحدث ما لا يمكن ان يحدث ..

لو ان جميع نصوص وتفسير العبقرية والحكمة والمنطق والحضارة قد كتبت على جلود وثياب حكام العرب وقادتهم وزعمائهم ومفكريهم وكتابهم ، أو لو انهم ولدوا أو عاشوا في كفالة وحضانة وبيوت جميع عباقره وحكماء ومفكري ومنطقي وكتاب كل العالم الحضاري فهل يمكن ان يصاغوا اية صياغة افضل أو اعظم ، اية صياغة جديدة غير صياغة التعبير ؟ أي هل يمكن ان تصبح طاقة عبقريتهم أو حكمتهم أو منطقهم أو تفكيرهم أو تحضرهم أو مواجعتهم اكبر أو انبل أو اقوى أو اتقى ؟

ان جميع حضارات البشر في كل التاريخ لو نقشست وطبعت على اكف وجباه وهامات حكام العرب وزعمائهم وقادتهم لما صنعت منهم متحضرين فكريا او اخلاقيا او عاطفيا او حتى لغويا او حتى في تحركات عضلاتهم .

حتى تحرك العضلات منها المتحضر ومنها الهمجي البدوي . ما اوقع واقبح همجية العضلات حينما تعبر عن نفسها بالحركة او بالصمت .

ان الموهبة مستوى مادي مستوى اعضاء واجهزة مادية . وانها لا يمكن تغييرها الا بعمليات مادية ، كالطبيعة وكالاجهزة العلمية . ان الانسان العبقري هو انسان ذاته عبقرية لا لانه اراد ان يكون عبقريا ، واذا اراد ان يكون عبقريا فلانه عبقري الارادة لا لانه عبقري العظام والتعاليم .

ان الصوت في الطبيعة وفي الاشياء ليس الا تعبيراً عن مستوى مادي ، وهكذا صوت الانسان وهكذا تفكيره وذكاؤه وعبقريته ، بل وهكذا جميع انفعالاته واحاسيسه واستجاباته . ان مستوى الرفض والتقبل والاحتجاج والاشمئزاز والحب والبغضاء والغضب والتوتر والاسترخاء والاعجاب - ان مستوى كل ذلك ليس الا تعبيراً عن مستويات مادية ذاتية عضوية وكيميائية .

حتى القدرة على النوم والمجز عنه ، انها حالات مادية او تعبير عن حالات مادية ، بقدر ما نمو الشجرة وعجزها عن النمو ، وبقدر ما حالة ألفيضان والزلازل والرعس والبرق والرياح حالات مادية وتعبير عن هذه الحالات المادية . . . لماذا صوت هذا الانسان وانفعاله وتفكيره هكذا . . . انه سؤال يساوي : لماذا صوت هذا الزلازل او الرعد او الفيضان وقوته هكذا . او لماذا جمال هذا الوجه او الجسم هكذا .

حتى ما يسمى بالامراض والانحرافات النفسية وكذا الصحة النفسية ، هل يمكن ان يكون ذلك الا مستوى ذات ، مستوى اعضاء واجهزة ذاتية ، تصنع حالات مادية ، تتحول الى تعبيرات نسميها مرضا او انحرافا نفسيا ، ونسميها في حالة اخرى صحة نفسية ؟

ليس الفرق بين حالة هذا الانسان النفسية والحالة النفسية لانسان اخر يساوي للفرق بين ذاتيهما ، بين ما في ذاتيهما من فروق عضوية وكيميائية وتكوينية ، اي من فروق مادية ؟ ليس اختلاف ذاتيهما في التعبير وفي الاستجابة ، او فيما يسمى حالة نفسية جيدة ومريحة وسوية او رديئة ومتعبة وشاذة - نعم ، ليس اختلاف ذاتيهما في هذا يساوي الاختلاف بين جهازين او بين اي وجودين ماديين من اي نوع ، من الكائنات الحية او الجمادية ، في كينوناتهما المختلفة والمتفاوتة ، تعبيراً ومستوى ، جودة ورداءة ؟ ليست الفروق بين حالتيهما النفسية تساوي في اسبابها الفروق بين حالتيهما البدنية ؟

ان تورد الزهرة وشحوبها ، وان جودة الثمرة ورداءتها ، استواءها وتشوهها ليساوي منطقاً وقانوناً وتفسيراً ما ندعوه بحالة نفسية صحية سوية له . دالة نفسية

مرضية • انه لا يمكن ان تكون حالة الانسان النفسية غير حالته البدنية او منفصلة عنها او محكومة بغيرها الا بقدر ما يمكن ان يكون توهج الزهرة او كآبتها ، واكتمال الثمرة أو نقصانها ، صحتها أو مرضها شيئا غير حالتها المادية ••

انه بقدر ما السرور والكآبة حالة عضويه وكيميائية اي حالة مادية فكذا ما يدعي بالامراض النفسية او بالصحة النفسية ••

ان الانسان يكون ذكيا او غبيا ، قويا او ضعيفا ، نشيطا ومتوقدا ورافضا ومحتجا او خامدا مسترخيا مستسلما بالقانون والتفسير الذي تكون به الزهرة او الثمرة او الشجرة او النجمة او اللؤلؤة كبيرة وجميلة ومشرقة وجيدة او نقيض ذلك • ليس الانسان الا صيفا مادية تجيء تعبيرات مختلفة ومتفاوتة تساوي في اختلافها وتفاوتها تفاوت واختلاف صيغه المادية ••

ان موهبة الانسان العقلية او الفنية او الاخلاقية او العاطفية او النفسية لن تكون شيئا غير صيغة وجوده المادي او غير موهبة وجوده المادي ، وكذلك موهبته اللغوية او الصوتية الا بقدر ما يمكن ان يكون طعم الثمرة وحجمها او لون الزهرة وشذاها شيئا غير صيغة وجودها المادي • وان محاولة علاج الانسان مما ندعوه امراضا نفسية بوسائل غير مادية ليساوي محاولة علاج الثمرة او الشجرة الضعيفة او المريضة بوسائل ليست مادية اي بوسائل نفسية وايحائية ان الذين يحاولون معالجة البشر مما يدعونه بالامراض النفسية بالايحاء والتحليل النفسي او بآي علاج غير مادي هم كالذين يحاولون ان يعالجوا الثمر او الشجر بنفس هذا العلاج ••

أليست معالجة ما يدعي امراضا نفسية بالايحاء والتطبيب النفسي تساوي معالجة مرض السرطان او القلب او السلس بذلك ؟

اعني ان الانسان كسائر الكون الذي تخلق منه ليس الا حالة مادية تتحول الى تعبيرات مختلفة ، تتحول بقدر احتمالاتها وطاقاتها فقط •• تتحول الى ذكاء وعبقرية ونشاط وحماس وتفكير وفنون جيدة او تتحول الى نقيض ذلك اي الى غباء وتفاهة وخمول وتبلد والى عجز نفسي شامل • كما تتحول الى لغات واصوات ••

نعم ، ان اللغة ليست الا حالة مادية اي حالة مادية لذات ما • ان هذه الحالة المادية لهذه الذات اللغوية او الصوتية هي التي جعلت الذات تريد ان تكون ذاتا لغوية او صوتية وتستطيع ذلك • ان ارادة اللغة واستطاعتها لن تكونا الا حالة مادية •

ان اللغة ليست الا مستوى ذات تحولت الى ارادة والى قدرة • ان احدا ما لم يعلم الانسان ان يكون لغويا كما ان احدا لم يعلمه ان يكون ذاته ونموذجه •

ان الكائن دون الانسان لا يستطيع بكيهونته الذاتية ان يكون لغويا ولم يسرد ان يكون ذلك • انه حتما لم تجتمع له القدرة على ذلك والارادة له كما اجتمعتا للانسان ••

ولا يمكن ان يجتمع له ذلك الا بكينونة ذاتية اخرى ملائمة . لماذا اصبح الانسان كائنا لغويا او عاطفيا او اخلاقيا او مفكرا دون الكائنات الاخرى حوله ؟ هل يمكن ان يكون لهذا تفسير غير الاختلاف في كينونة الذات ، ذات الانسان وفوات الكائنات الاخرى ؟ اي كينونة الذات المادية ؟

**

ولكن لو ان الانسان العربي فهم انه يوجد فرق بين التصويت والكلام او بين الصوت والتكلم وفهم هذا الفرق ، ثم فهم انه هو في طور الصوت لا التكلم وان ترائه كله ليس الا اصواتا حسبت كلاما بل حسبت اعظم كلام ، حسبت كلام الهة وانبياء وسموات وكائنات تسكن السماء - لو ان الانسان العربي فهم كل ذلك فهل ينفعه فهمه هذا شيئا ؟ هل يجعله ينتقل من طوره الادنى الى الطور الاعلى اي من طور الصوت الى طور التكلم ؟ هل يستطيع ذلك ويتقبل دفع تكاليف الانتقال ويعرف كيف يفعل ذلك ؟ هل الذين يعرفون يفعلون ما يعرفون ؟ هل كل من يعرف يفعل كل ما يعرف ؟ هل يستطيع ذلك ويريده وينفذه ويعرف كيف ينفذه ويتقبل تحمل كل الام المقاساة ، مقاساة التنفيذ ؟

الليست مشكلة التنفيذ ، ارادته والقدرة عليه وتقبل دفع الثمن هي دائما اعصى واصعب من مشكلة المعرفة ؟

هل الذي يعرف انه سخييف او بليد او مشوه او مذنب او لص او ظالم او جاهل او عاجز او قصير القامة او اسود اللون محتوم ان يتحول الى نقبيض ذلك ، اي محتوم ان يريد هذا التحول وان يستطيعه وان يعرف كيف ينفذه وان يقدم على دفع كل الثمن المطلوب لعملية التحول هذه ؟

هل يمكن ان يوجد اي انسان او اي مجتمع او أن يوجد كما وجد أو أن يوجد أو يبقى اي شيء لو كانت المعرفة تعني التنفيذ والالتزام .

الليس طور الكينونة الاعلى اكثر تعذيبا واقسى تكاليف ؟ اليس الطور الاقل او الادنى اقل اشتراطا والزاما وتكليفا واكثر اغفاء ومحابة وصفحا ؟

الليس طور الكلام اقسى من طور التصويت ؟ اليس التكلم يقاسي ويلتزم ويحاذر ويحاكم نفسه اكثر واعنف ؟ اليس طور الكلام توريطا وتكليفا وليس محابة وتحليلا ؟ التكلم يواجه ويحدق ويسائل ويحاسب ويخطط ويقاضي ويحكم اما الصوت فيستقرغ ويبصق . فايهما اشد مقاساة او ايهما الذي يقاسي ؟

اذن هل يقبل الكائن الصوت ان يصبح كائنا متكلما اي اذا كان الموقف خيارا ؟ هل يتقبل النابح او الراعي او الناعي او الفاهق ان يصبح متكلما لو وضع في موقف اللخير وعرف معنى ان يكون متكلما اي وعرف التزامات ذلك وشروطه ومقاساته ومخاطره ومهمومه ؟

اذن هل يقبل الانسان العربي وهو كائن مصوت ان يتحول الى كائن متكلم ، اي لو انه كان في موقف من يختار وعرف كل الالتزامات والشروط التي تفرض او التي تقع على من اصبح كائنا متكلمًا ؟

هل يمكن ان يكون الانسان العربي معاديا لنفسه او هاويا للعذاب وللالتزامات والشروط الباهظة ، او ان يكون فاديا او بطلا بلا نموذج او قياس لكي يتقبل ان ينتقل من طور التصويت ، من الطور الذي يهبه القدرة والجرأة بل والمباهاة والنشوة على ان يقف فوق اي منبر وكل منبر واعلى منبر ، وفي كل ناد واي ناد واكبر واصغر ناد ، وفوق كل جبل ودخل كل مغارة من جبال ومغارات الوحي وتلقي الألواح وانتظار الملوك الزائر القادم من فوق ومن تحت عروش الالهة ومجالس الالهة .

نعم ، من الطور الذي يهبه القدرة والجرأة على ان يقف فوق كل هذه المناير والنفود والجبال والمغارات وفيها وداخلها لكي يصوت ويصرخ ، فقط يصوت ويصرخ بكل موهبة وشهوة التصويت والصراخ فيه ، يصوت ويصرخ على كل الاتجاهات ، وعلى كل الاشياء والقضايا والمواقف ، وعلى كل الاعداء والاصحقاء ، بلا اي قيد او شرط من قيود او شروط الكلام او من محاذره او مخاطره او وقاره ، ثم ليتحول تصويته وصراخه الى اعظم واخلد واذكى واتقى النبوات والاديان والكتب المقدسة المنزلة المعجزة ، والى اعظم واخلد واغوى التعاليم والبلاغة والفنون والشعر والمواهب الانسانية التي يجب ان تركع لها وتتعلم منها كل مواهب الانسان في كل اطواره وتاريخه ومجتمعاته ؟ اجل ، ليس الانسان العربي ، لانه مصوت لا متكلم ، يفعل كل ذلك بكل البرود النفسي والاخلاقي والعقلي بل بكل حماس ونزق النشوة والغرور والمباهاة وبكل الرغبة الاعلانية ؟

هل يتقبل الانسان العربي ان يتخطى هذا الطور الذي يملك فيه كل النشوة والقدرة والجرأة على ان يذهب يستفرغ ويبصق تفاهاته وبدائاته وجهالاته واحقاده وهمومه وعجزه وجوعه ووقاحته على كل شيء وعلى كل احد بصراخ واعلان وتناول وكبرياء ومبارزة وغرور بذى ، بذى ليصبح اعظم اله او اعظم نبي او اعظم حكيم او اعظم فيلسوف او اعظم شاعر او اعظم كاتب ؟

نعم ، هل يقبل الانسان العربي ان يتخطى هذا الطور الذي يهبه كل هذه المكانة الضخمة وكل هذه الحظوظ الاسطورية بلا اي ثمن او نضال او موهبة غير ان يستفرغ ويبصق عفوناته بلا اي حسابات او قيود او شروط - ان يتخطاه الى طور الكلام الذي معناه كل القيود واقصى القيود العقلية والفكرية والعلمية والثقافية والاخلاقية والانسانية والنفسية والتاريخية .

الذي معناه كل الرؤية والمواجهة والحاسبة والمحاكمة والمحاذرة والمخاطرة ، وكل الفهم والعمق والصنق والتعذيب والاخلاص ونبل الاخلاق والالتزام بل وكل الموهبة والقدرة والاحساس بالمسؤولية - الذي معناه كل ذلك ولو افتراضا واما وتعليما

ومحاولة ، دون ان تكون الحظوظ او المكانية اسطورية كحظوظ ومكانة التصويت والمصوت ، بل ودون ان تكون الحظوظ او المكانية مضمونة ؟ نعم ، ان طور الكلام ضخامة تكاليف والتزامات وضالة حظوظ . اما طور التصويت فاعظم واكثر الحظوظ دون اي التزامات او تكاليف .

اذن هل كانت الطبيعة او الاقدار او الالهة محابية للانسان العربي ام معاقبة له متحاملة عليه حينما جعلته مصوتا لا متكلمًا ؟ هل الذي يختارنا للاقصى الاقوى الاكبر لا للاسهل لاضعف الاصغر يحاينا ويحبنا ام هو يعاديننا ويكرهنا ؟ هل الافضل والانفع او الاتقي لك ان تكون الها في ضخامة الاله وضخامة تكاليفه والتزاماته ام ان تكون ذبابا ، في ضالة الذباب وضالة تكاليفه والتزاماته بل ومع ضخامة حظوظه ؟ ليست حظوظ الذباب ضخمة ؟

اذن فالانسان العربي لن ينتقل من طور المصوت الى طور المتكلم لو انه فهم ان بين التصويت والكلام فروقا وفهم هذه الفروق ، ثم فهم انه هو مصوت لا متكلم . . . لن ينتقل لانه لن يستطيع ، ولانه غالبا او حتما لن يقبل دفع ثمن الانتقال ، ولانه غالبا او حتما لن يريد ان يتحقق هذا الانتقال من الراحة العظمى ومن الحظوظ والمكانة العظمى الى المقاساة العظمى دون حظوظ او مكانة عظمى . كيف يقبل ان ينتقل من مصوت يستفرغ نفسه على كل شيء ، بلا اي قيد الى متكلم مقيد بكل قيود العقل والذكاء والصدق والرؤية والحاسبة والقراءة لكل شيء ؟

لكن لو انه اي الانسان العربي فهم ذلك اي فهم أن بين التصويت والكلام فروقا وفهم هذه الفروق ، وفهم انه هو مصوت لا متكلم . الا يحتمل ان يكون ذلك نافعا باسلوب ما او بتفسير ما ؟

الا يكون فهمه هذا نافعا مع انه لن يجعله ينتقل من مصوت الى متكلم ؟ وكيف يمكن حينئذ ان يكون هذا النفع ؟ انه لن يستطيع ان يصمت وان يصبح اخرس حتى ولو اراد او تمنى وخاول ان يصبح كذلك لن يستطيع ان يكف عن استفراغ او عن افراز الفضلات والنفوسات . وهل يوجد من لا تزدهم ذاته بالفضلات والنفوسات المحتاجة الى ان تستفرغ ويلقي بها ؟

ان كل النفوس حتى ازكاها واسماها لمحتاجة الى اجهزة تفريغ واستفراغ والى عمليات استفرغية تفريغية مثل النفوس الاخرى .

ان الحياة بكل اساليبها ومستوياتها ليست الا عمليات استفرغية . ان الاختلاف ليس الا في اساليب هذه العمليات الاستفرغية لا في الحاجة اليها ولا في الالتزام بها . انه لا شيء في الانسان بلا استفراغ بل لا شيء فيه ليس استفراغا حتى النضال والعمل والعبقرية والتفكير والحرب والانتصار والموت والقتل والتفذي وممارسة المسرات واللذات ، حتى ذلك كله ليس الا عمليات استفرغية كالصلاة وسائر العبادات المختلفة والسباب والحدق والغضب والبكاء والكالتقاؤ وكالنفجار الخراج وكالذهاب

الى المعبد العالمي الموجود في كل بيت متحضر والموجود حول كل بيت غير متحضر وحول كل خيمة غير متحضرة أو متحضرة هل عرفت هذا المعبد ؟ انه لا يوجد معبد لتفريغ الذات من شحناتها الاليمة البذيئة انفع ولا اتقى من هذا المعبد الموجود في كل بيت متحضر بل وغير متحضر من هذا المعبد الذي لا بد ان يصلي ويستنرغ كل انسان فيه حتى من لا يؤمن بأي اله أو دين .

ان الانسان لا يستطيع ان يعيش على اسلوب واحد من اساليب الاستفراغ ولا على اساليب محددة معودة . انه مهما استغنى عن بعض الاساليب الاستفراغية او مهما استبدل اساليب باساليب فان هنالك اساليب لا يمكن الاستغناء عنها ولا الاستبدال بها ...

ان الاستفراغ أو الفذف أو الافراز أو التقيؤ بالتصويت هو اكثر الاساليب الاستفراغية عالمية وشمولا . انه اسلوب اكثر من عالمي . انه اكثر من بشري . ان الاستفراغ بالتصويت او بالاصوات ليس اسلوب البشر وحدهم . ان الحيوانات والحشرات تشترك البشر في هذه الموهبة الاستفراغية . وليست الحيوانات والحشرات والبشر هم وهي وحدها المستفرغين والمستفرغة بالاصوات والتصويت بل والطبيعة الجمادية تشترك في ذلك ، بل ولعلها احيانا تتفوق في هذه الموهبة او الضرورة ...

هل في الطبيعة الجامدة والميتة شيء لا يصوت ؟ وهل تصويت الطبيعة الا اسلوب من اساليب الاستفراغ والتفريغ ؟

حتى الذين يمارسون ويجيدون اعظم الاساليب الاستفراغية لا يستطيعون الكف عن الاستفراغ او عن التفريغ بالتصويت . فالذين يفكرون ويفهمون ويبعدون ويبنتكرون ويناضلون وينتصرون ويعملون الاعمال العظيمة القوية ويعيشون كل اللذات والمسرات ويخلقون في كل الافاق باقوى الاجنحة والمحركات - وهذه كلها اساليب استفراغية وتفريغية .

نعم ، فالذين يفعلون كل ذلك بتجويد وتفوق يظلون ايضا محتاجين الى عمليات التفريغ والاستفراغ بالتصويت مهما اختلفت اساليب وصيغ التصويت . لانه لا شيء يستطيع ان يصبح بديلا كاملا عن التصويت ، عن هذه الضرورة والموهبة او الخطة الكونية ..

لانه لا شيء ولا احد يستطيع ان يكون غير مصوت ، يستطيع ان يعيش حياته او وجوده بصمت شامل ابدى ..

ان الكثير من الفنون العالمية كالغناء والموسيقى وكل اساليب العزف ، وكذا الكثير من الممارسات والطقوس الدينية ، كالهتاف بالالهة والمناشدة لها ، وكذا الكثير من المظاهرات الوطنية او القومية او التاريخية كالاناشيد والهتاف للوطن او للامة او

للشعب أو للزعيم أو للذكريات أو للتاريخ ، وكذا الكثير من الاحاديث والمحاورات والملاعنات والتهديدات والمصاهلات •

نعم ، ان الكثير ، الكثير جدا من ذلك ليس سوى اساليب استقراعية وتفرغية بالتصويت • لان الكثير من ذلك لا يراد به معناه اللغوي البتة وانما يراد به الصوت فقط ، اي يراد به تفرغ النفس او استقراؤها بهذه الوسيلة الصوتية • والذي يسمع الصوت هو احيانا مثل الذي يصوته • ان السماع تصويت بضم آخر ، او هو تصويت بالاذن • والناس يصوتون بأذانهم كما يفكرون ويقتنعون ويسرون ويؤمنون بأذانهم • بل انهم يفعلون كل ذلك بأذانهم اكثر مما يفعلونه بعقولهم او بعيونهم ، بل وهل يفعلونه الا بأذانهم ؟ ان الاذان المحولة الى اجهزة تفكير واقتناع وايمان ورؤية هي اكثر العيون والعقول عالمية اي بعد افتراضها عيونا وعقولا • ان البشر لم يفكروا او يقتنعوا او يروا مثلما فكروا واقتنعوا وروا بأذانهم • لقد رأوا كل الهتهم وانبيائهم وتاريخهم ومذاهبهم واديانهم وامنوا بهم وبها وابصروا جمالهم وجمالها بأذانهم لا بأي شيء اخر ••

هل يوجد اي احتمال ان الذي يناشد الاله او يخاطبه او يطالبه او ان الذي يهتف للوطن او للشعب او للتاريخ او للزعيم او للمذهب او للقضية او للحرب او للسلام ، او ان الذي يغني او يعزف او يسمع ذلك ، او ان كل من يتحدث او يحاور او يلاعن او يهدد او كلما فعل ذلك •

نعم ، هل يوجد اي احتمال ان من يفعل ذلك يقصد اي معنى غير ان يصوت ، غير ان يؤدي عملية استقراعية تفرغية بالتصويت؟ هل يحتمل انه بذلك يتكلم او يريد ان يتكلم او يعتقد انه يتكلم او يستمع اليه احد وكأنه تكلم ؟ هل يمكن ان يحاسب وكأنه بتكلم ما لم يحسب مجنونا او ما لم يكن محاسبه مجنونا ؟ هل يحتمل ان من يتحدث الى الديار والاطلال او مع النفس أو أن من يهتف بالنجوم يعني شيئا غير الاستقراع والتفرغ او غير القذف بما في النفس خارجها بأسلوب التخاطب ؟

نعم ، ان الذين بلغوا طور الكلام ، بل الذين بلغوا طور عبقرية الكلام لن يستطيعوا الكف عن التصويت ، أي لن يستطيعوا الكف أو الاستغناء عن كل أساليب الاستقراغ والتفرغ بالاصوات التي هي ليست كلاما والتي لا يراد منها ولا بها ان تكون كلاما انهم لا بد ان يظلوا مصوتين مهما كانوا قمة المتكلمين • ولكن تصويتهم لن يكون في اخلاقه ولا في نكاته ولا في همجياته بل ولا في اي شيء من تفاسيره بل او في اي شيء من موسيقاه او في اي شيء من صيغ ادائه ، مثل تصويت المصوتين فقط •••

ان تصويت من هم في طور المتكلمين قد يكون فيه من الجمال والذكاء والمنطق والتخاطب المحسوب مثل ما في كلامهم ••

ماذا لو استطاع الانسان التعبير عن كل نفسه وعن كل ما في نفسه ، عن كل افكاره واماله والامه واحتياجاته ومشاكله وتعاليمه وعن كل خزائنه النفسية والجسدية • لو استطاع التعبير عنها باي اسلوب علمي شامل او باية وسيلة شاملة اخرى علمية •

نعم ، ماذا لو استطاع الانسان ذلك ؟

هل يستطيع حينئذ الاستغناء عن الصوت بكل اساليبه وصيغه واستعمالاته وفي كل موضوعاته ، او عن الكلام الذي يعني به التصويت لا الكلام ؟ هل يستطيع الانسان او يقبل ان يغلق فمه او عينيه او اذنيه لو انه استغنى عن هذه الاعضاء كاجهزة وظيفية متخصصة ؟

بل، هل يستطيع ان يصمت من اصبح كلامه او تصويته فضولا او عبثا او نزقا او ضياعا او خسرانا او ايلاما او افتضاحا واتهاما وهجاء له ؟ او هل يستطيع ان يكف عن الاستماع من اصبح استماعه اهانة او اizard او تصغيرا له او اخذا من كبريائه وذكائه ووقاره ؟

انه لاحتمال جيد جدا ان يستطيع البشر في المستقبل ابتكار اجهزة ووسائل علمية دقيقة جدا يستطيعون التعبير بها عن كل ما يريدون التعبير عنه باسلوب اشمل وافضل واذكى - اي يستطيعون بها الكلام بغير الكلام او بغير الاصوات وبغير استعمال اللغات المعروفة ، بغير الافواه ، بغير الاحتياج الى اي شيء من فنون البلاغة ، من البيان او البديع • بغير الاحتياج الى اي شيء من ذلك التراث الضخم المثل بكل تلك الفنون البلاغية اللفظية التي انفق الانسان وقاسى على وضعها وتعليمها والدعامة لها وعلى الاعجاب والايمان بها دون ان تهبه اي مجد او قيمة من اي نوع • انه الاحتمال ان يتوصل الى التخاطب والحوار بالاجهزة بدل الكلمات والافواه •

واذا تحقق هذا الاحتمال أو لو تحقق فهل تموت اللغات والاصوات وتصبح تاريخا يروى ، او هل يقل استعمال الناس للكلام والتصويت •
ان الجواب يجب ان يكون : كلا ، اي عن احتمال موت اللغات والاصوات •
أما عن احتمال تقليل الناس من استعمال اللغات والاصوات فالجواب ينبغي أن يكون : قد يحدث ذلك • انه احتمال قد يكون قويا وقد يكون ضعيفا • وقد يكون الصواب ان الناس كلما تقدموا احتاجوا الى التصويت اكثر لان شحناتهم الانفعالية لا بد ان تكون حينئذ اكثر • وهذا يعني احتياجا اكثر الى عمليات التفريغ والاستفراغ النفسي بالتصويت •

وايضا فان البشر وكما سبق لا يستعملون اللغات او الكلام او الاصوات للتخاطب او للتفاهم او للحوار او للتفسير او للابانة فقط بل وللاستفراغ والتفريغ النفسي بل والذاتي الجسدي ، اي لتفريغ الذات او الجسد والاعضاء من شحناتها

او من عفوانتها بل او من قداساتها ونظافاتا وصادقاتها وحبها وجمالها أي لتوزيع ذلك واحيانا لتحويله الى عطايا .

ان الاستفراغ أو التفريغ النفسي ليس الا استفراغا او تفريغا للجسد او للاعضاء من طاقاتها والامها ومن تناقضاتها وتصادماتها واحتجاجاتها .

ولايهما يستعمل البشر اللغات او الاصوات اكثر : للتخاطب والتفاهم والمحاورة والتفسير اكثر ام للتفريغ والاستفراغ النفسي والذاتي اكثر ؟ انه سؤال قد يختلف الجواب عليه . والاختلاف على الجواب لا يعني احيانا او دائما ان الاتجاهين او الجوابين المختلفين سواء في القوة أو في الصحة أو في الوضوح ، كما لا يعني احيانا او دائما ان في القضية غموضا . ان لاختلاف الاجوبة اسبابا اخرى اكثر واقوى جدا من الاسباب الموضوعية او المنطقية . ان الاسباب الموضوعية والمنطقية هي اقل واضعف الاسباب التي تصنع اختلاف الاجوبة ..

والانسان حينما اخترع اللغة او حينما حبل باللغة ولدها او حينما نبئت فيه اللغة هل حدث ذلك له او هل فعله بحوافز الرغبة في التفاهم والتخاطب والحوار والتفسير لما يراد ام بحوافز الرغبة في التفريغ والاستفراغ ؟ اي هل حدث ذلك من اجل التصويت ام من اجل الكلام ، اي لانه يريد ان يتكلم ام لانه يريد ان يصوت ؟ لقد كان الانسان في البدء مصوتا فقط . فهل كان في البدء يصوت لانه يريد ان يصوت ام لانه يريد ان يتكلم ؟ هل كان يظن انه يتكلم حينما كان يصوت ؟ او هل كان يصوت لانه يريد ان يصل الى متكلم ولانه يعرف انه بذلك لا بد ان يصل او قد يصل الى متكلم ؟ وهل كان يعرف الفرق بين الكلام والتصويت ؟ وهل كان يعرف ان طور الكلام اعلى من طور التصويت ، وان عليه ان يناضل لكي يبلغ طور الكلام ؟

هل الكائنات التي هي ادنى من الانسان والتي هي مصوتة فقط ، هل هي تظن انها تتكلم او هل هي تريد ان تتكلم او تعرف ان استمرارها في التصويت وسيلة لتحولها الى متكلمة ؟ وهل تعرف هذه الكائنات ان هناك شيئا اسمه الكلام او طور الكلام وانها هي لم تبلغ هذا الشيء الذي هو الكلام او طور الكلام وانه ارقى واعظم واصعب من التصويت ومن طور التصويت ؟ وهل هي تعرف ان الانسان الذي تعاشيه ويعايشها هو كائن متكلم ، وانه لهذا هو اسمى منها ، وانه من اجل هذا ينسخرها ويظن عليها ، وان له الحق ان يصنع بها ذلك ، وانها تطيعه لانها تعرف انه واجب عليها ان تطيعه مهما ظني وظلم واذى لانه متفوق ، فهو يفعل ذلك بها بحق التفوق عليها ، وهي تطيع وتتقبل وترضى بحق التخلف عنه ؟

اذن هل هذه الكائنات تتقبل معاشية الانسان الخلة المرهقة لها وتصبر عليها بل وتستمسك بها لانها تريد ان تكون قريبة منه لتعلم منه الكلام والانتقال الى طور التكلم بالاستماع اليه وبسماعه يتكلم ؟

لعلها فاضلة ولبية وفدائية الى كل هذا المدى . لعل هوانها ليس هوانا ولكنه تدبير وشجاعة ودهاء .

هل هي تريد ان تتعلم منه اللغة كما ترى ان الابناء منه يتعلمونها اي يتعلمون اللغة من الاباء ؟ ثم هل هي اذ تقاسي الغيرة منه والحسد له ؟ هل تعلمت الغيرة والحسد من البشر ؟ هل يمكن ان تصبح الغيرة والحسد والحق تلعنا او تعليمنا ؟ وهل يمكن ان اي كائن غير الانسان يستطيع ان يصبح مصابا بالحسد او الغيرة او الحقد أو البغضاء ؟ وهل يستطيع أو يقبل أي كائن غير الانسان أن يعيش مستويات الانسان النفسية أو الشعورية أو الاخلاقية ؟ بل هل يقبل أو يستطيع اي كائن غير الانسان ان يعيش مستويات الانسان اللغوية او الفكرية حينما يجده اي يجد الانسان ويستمتع اليه ويحقد فيه وهو يستعمل لغاته وافكاره كما يستعملها وفيما يستعملها ، وهو يحولها الى عداوات ومخاصمات وبذاءات وحماقات ومشاتمات ومبارزات ومفازات وتحديات ، والى اكاذيب وحروب ، والى تقسيمات متعادية للبشر ، والى حدود فاصلة بينهم محروسة باشرس الالهة والابالسة والاديان والمذاهب وباشرس واغبي الجيوش ؟ ولعل الانسان نفسه لو رأى نفسه من خارج نفسه ، يعيش لغاته وافكاره ، ويتعامل بها بالاساليب التي يعيشها بها ويتعامل عليها وبها لرفض بكل الغضب والخوف ان تكون له لغة او افكار ...

لعل الكائنات الاخرى لم تصل الى طور الكلام والتفكير لانها رأت وسمعت الانسان يتكلم ويفكر فرفضت واشمازت أن تكون كذلك .

ولكن كيف يمكن الافتراض بان الكائنات التي هي في طور التصويت والتي هي دون الانسان تعلم تفوقه عليها بالكلام وتحاول ان تتعلم هذا التفوق منه ، وبأنها ايضا تعرف ان هناك تصويتا او اصواتا وان هناك كلاما هو اسمى من التصويت ومن الاصوات التي ليست كلاما ، وبان بين الكلام والتصويت فروقا يمكن ان تعرف او لا بد ان تعرف .

نعم ، كيف يمكن افتراض كل هذا في هذه الكائنات الدنيا ؟ هل يمكن افتراض هذه الكائنات اسمى او اذكى او اكثر رؤية لما تواجه ومعرفه به وتطلعا الى الافضل وتمييزا بين الافضل والارداً او بين الكلام والتصويت ونقدا لعجزها من الانسان العربي ؟

هل يمكن تصور هذا الافتراض او حتى التحدث عن تصوره وعن احتمال تصوره ؟

ذلك ان الانسان العربي وهو كائن مصوت لا متكلم يعايش او يواجه او يرى بقسوة واذلال الانسان المتكلم . . . يواجه كل عبقرياته الكلامية ، تحيط به وتحاصره بكل اساليب التحدي والقهر والجبروت والديمومة والشمول ، ومع ذلك فهل ادرك اي الانسان العربي ان التصويت ليس حتما ان يكون كلاما وانه توجد فروق كبيرة بين التصويت والكلام ، بل توجد مسافات شاسعة بينهما ، او ادرك انه هو مصوت

وليس متكلما ، وإن عليه أن ينتقل الى طور المتكلم لان المتكلم اسمى كينونة من الصوت ، بل او هل ادرك ان عليه ان يعيش بفكره او بمشاعره او بتعبيره شيئا ولو قليلا جدا من التواضع او التهذيب حينما يذهب بفاخر بل يبارز بل يقاتل كل الاخرين المتكلمين باصواته المصابة بكل ما في البلاغة العربية من عنجية وعدوانية وهجائية وصحراوية ومن أمية عقلية واخلاقية ونفسية وانسانية وتاريخية وحضارية بل وأميه دينية ؟ نعم ، دينية . ان امية البلاغة العربية لامية لا شبيه لها في شمولها وديمومتها وكبرياتها . . انه لشبيه لالهة العرب وانبيائهم وقادتهم وحكمائهم وبلغائهم في امبتهم البلاغية .

ان الانسان العربي لم يدرك شيئا من ذلك ، ولا يبدو انه سوف يدرك . وهل يرى ان من الافضل او من الواجب ان يدرك ؟ وهل يمكن ان يدرك انه لم يدرك ؟ ولو ادرك انه لم يدرك فاراد ان يدرك فهل يمكن ان يعرف كيف يدرك وهل يريد حتما حينئذ ان يدرك ؟

انز الانسان العربي لا يستطيع ان يصمت عن التصويت لا يستطيع ذلك ولا يريده ولا يستطيع ان يريده حتى ولو اراد ان يريده . انه لا يختار ارادته . . ان الانسان لا يريد ارادته ولكن ارادته تهجم عليه باسلوب عدواني كما تهجم عليه الالهة واحزانه وامراضه وموته . .

ولكن لو كان ممكنا ان يفرض عليه الصمت باسلوب من اساليب القهر فهل يقبل اخلاقيا او انسانيا ان يفرض عليه ذلك ؟ ان تركه يصوت كما يصوت اليوم وكما كان يصوت في كل تاريخه وكما سوف يظل يصوت في المستقبل القريب او المستقبل القريب والبعيد ايضا - نعم ، ان تركه كذلك شيء رديء ومسيء اليه بل عدوان عليه وعلى قضاياه ومواقفه وتفاسيره ، بل وقد يكون فيه عدوان على كل من يواجهونه ويتعاملون معه بل وعلى تفاسير الانسان وتقويمه لنفسه . بل قد يكون في ذلك اهانة عالمية لكل البشر . نعم قد يكون ترك الانسان العربي يصوت كما يصوت اهانة لكل البشر وليس له وحده .

ان تركهم له اي ترك البشر للانسان العربي يصوت كما يصوت واستماعهم الى تصويته ، وتعاملهم مع تصويته ، ومخاطبتهم لتصويته وقراءتهم له كما يتخاطبون مع الكلام المبقرى وكما يقرؤون الكلام المبقرى ، واعلانهم عن تصويته مع اعلانهم الاعجاب نفاقا ومتاجرة وانتهازية بتصويته ، وتقبلهم ان يتلو عليهم تصويته من فوق اعلى المنابر الدولية ومن كل المنابر الدولية ، مع اعطائهم لتصويته كل ما فيهم من مواهب الاصفاء المتحضر المخادع المحابي اما بحوافز المتاجرة او بحوافز السخرية او بحوافز الاشفاق او الرثاء ، او بحوافز الكبرياء والشماعة ، او بمشاعر المتحضر المتفوق ازاء البجوي المتخلف ، او بمشاعر الكائن المتكلم ازاء الكائن الصوت .

نعم ، ان تركهم له كذلك بهذا الاسلوب وبهذه الحوافز والتفاسير لهو اهانة عالمية قاسية لكل البشر ، بل انه لهجاء لكل قيم البشر الحضارية والاخلاقية

والنفسية •• انظر كيف يأذن العالم للحكام والزعماء العرب باغتلاء كل منابره ليستمتع اليهم ويهتف ويصفق لهم مبهورا بما يسمع منهم • هل يوجد هوان او نذلة او خداع او كذب كهذا ؟ او لعله نيل ورحمة •• انه لشيء رهيب وظالم وبذي وقبيح جدا ان يترك الانسان العربي يصوت باصواته فوق كل العالم وفوق كل قضاياء وحضاراته وقيمه وفوق كل منابره ومجامعه ومؤسساته، لكي تستقبل اصواته هذمو تعامل وتخاطب وتداول وتسجل وتفسر كما يصنع باعظم العبقريات ولاعظم العبقريات •• انه لا قسى تعذيب لك وعدوان عليك واهانة لانسانيتك ان تكون واقعا كل اوقاتك تحت اصوات الانسان العربي ••

اجل ان ترك الانسان العربي كذلك شيء يجب الا يطاق • ولكن ما العمل ؟
ليكن مستطاعا فرض الصمت او الخرس عليه بوسيلة قهرية ، فهل يجوز حينئذ ان تنفذ فيه هذه الوسيلة القهرية ؟ هل تاذن الاخلاق او الانسانية بذلك ؟
ان الموقف موقف خيار او اضطراب بين الالتزام باحد أمرين او تقبل أحد أمرين كلاهما رديء بلا حدود في رداءته • فكيف يكون الاختيار او كيف يكون تنفيذ هذا الاضطراب ومواجهته ؟

كائن يحمل في داخله شحنات بذئية وورثية جدا ، هو محتاج الى استقراغها والقذف بها • انه لا يستطيع استبقاءها داخل ذاته • انه ليعذبه عذابا رهيبا استبقاؤها كذلك لو فرض عليه باسلوب ما ان يستبقئها • ولكن استقراغه او تقريره لها لا بد ان يكون قبيحا ومؤذيا وفضاحا جدا • فكيف ينبغي ان يكون التصرف دون انقطاع كامل عن الالتزامات الاخلاقية والانسانية • ان الموقف هنا موقف تصادم بين ما ينبغي وما يستطيع • وهل الحياة الا تصادم دائم بين ما ينبغي وما يستطيع ؟ او هل فيها ما ليس فيه تصادم بين ما ينبغي وما يستطيع ؟ ولكن التصادم هنا تصادم بذي ورديء وقبيح جدا • انه تصادم قليل المثال والشبيه ••

ان مجتمعا من المجتمعات قد وضع في مكان المضطر بين احد سلوكين لا ثالث لهما ولا مهرب من احدهما •• احد السلوكين ان يأذن لاطفاله بان يقتفوا بفضلاتهم الجوفية في الطرقات العامة وحول البيوت بل وفوق المنابر والرؤوس وفي الاماكن المحترمة وغير المخصصة لذلك ، بل وفوق منابر النوادي الدولية بكل الجهر والاعلان ، بل ودخل المعابد وفوق ثياب المصلين •• اي بالاسلوب الذي اذن به لحكام وزعماء العرب ان يقتفوا بعبقوراتهم العقلية والنفسية والاخلاقية واللغوية فوق منابر العالم ورؤوسه واخلاقه ومثله ••

لانه لا توجد في هذا المجتمع اماكن اخرى غير هذه الاماكن ليستفرغ فيها الاطفال وقاحات الطبيعة الوقحة التي قاءتها بكل عفونة وجمعتها داخل فواتهم ، ثم لم توجد اي الطبيعة اية وسيلة اخرى لامتناس هذه الوقاحات او الفضلات الرهيبة جدا في فونتها او لافرازها او لابتلاعها او لتحويلها الى شيء افضل او اقل سوءا او الى

بناء أو طاقة في أجسام حاملها . انه لا وسيلة اذن غير القذف بها اي بهذه الفضلات الشهيرة العالمية بالاسلوب الشهير العالمي الذي تقذف به . .

وهل توجد عالمية تتفوق في عالميتها على عالمية اسلوب القذف بهذه العفونات ؟
ان الطبيعة لم ترد او لم تستطع او لم ترد وتستطع ان تكون هنا ، في هذه القضية كريمة او نبيلة او رحيمة او نظيفة او عبقرية او عادلة او رفيقة في تلوينها واحراجها وتعذيبها لمن حكمت عليهم بان تصنع في داخلهم هذه العفونات للوبيلة الكريمة ، ثم حكمت عليهم بالا يجدوا اية وسيلة للتخلص منها غير هذه الوسيلة المؤذية المرحجة المذلة الفضاحة لكل العالم بلا تفريق او محاباة او رفق .
هذا الاسلوب العالمي للقذف بهذه الفضلات كيف يأذن للانسان بان يزعم انه فكرة اله لو شهوة اله او صيغة اله او كبرياء اله . كيف يجروا الانسان وهو محكوم عليه بهذا القذف ان يصعد فوق اي منبر ليتحدث باية لغة عن اي شموخ ؟

ان الطبيعة لو كانت تحول الى بناء في الاجسام ما تحولت الى عفونات فيها لكان في هذا خلاص منها اي من هذه العفونات ومن توريطاتها واذاها واحراجها وافتضاحها واضرارها ، ولكان فيه ايضا اغناء رائع عن الاماكن التي تخصص لها واستفادة كبيرة من تحويلها الى بناء وطاقة في الاجسام . وهذا اسلوب لا تخفى منافعه الاقتصادية والفنية والنفسية على احد الا ان يكون هذا الاحد هو الاله او من في مستواه كيف لم تعرف او تفعل الطبيعة . او من صاعها ان كان احد صاعها هذا للذي لا تخفى منافعه حتى ولا على اي اله بدائي الالهوية ؟ هل موقف الطبيعة هذا أو موقف من وراءها عن عجز أو عن جهل أو عن نذالة أو عن رغبة في العدوان أو الصخف أو التبذير أو القذارة ؟

ان هذه القضية وحدها ، قضية تحويل مقادير كبيرة من الطعام الذي يشقى الانسان ويكافح اعنف الكفاح لكي يوجد ، والذي يشعر دائما انه مهدد بنقصه ، والذي يخاف أو يخاف الكثيرون منه دائما الا يجدوه ، والذي يواجهون كل المهائن والخاوف والعذاب لكي يجدوه او يعطوه .

نعم ، ان قضية تحويل مقادير كبيرة من هذا الطعام الذي هذه بعض قيمته الى فضلات عفنة ضارة يقاسي ويهون ويصغر البشر لكي يتخلصوا منها ولكي يجدوا ويوجدوا اماكن للتخلص منها كذنب او كمار او كعامة يجب التخلص منها باستتار وباسلوب سري ، دون تحويلها الى حياة وقوة وعضلات في الابدان التي تشقى في البحث عنه اي عن الطعام وتشقى لانتاجه ولاعداده لكي يصبح له صالحا وسائغا ومفيدا .

نعم ، ان هذه القضية لاعظم هجاء للطبيعة ولواضع الطبيعة لو كان يوجد لها واضح ، وانها لاعظم نقد بل وتائيم وتجهيل لمن يفترضون في الطبيعة أو في أي كائن فوقها أي مستوى من الذكاء أو الشهامة أو الصداقة أو المعرفة أو من أي شيء طيب أو

ان ذات الانسان التي هي مخزن هذه العفونات هي ايضا مخزن الحب للاله
في هذا الكون . انهم هكذا يؤمنون ويقولون . .

ولكن هل فعلت الطبيعة اوقح او اقبح من انها قد وضعت العضو الذي يستفرغ
هذه العفونات في هذا المكان من جسم الانسان ، في هذا المكان الذي لم يعبد البشر
مثله ولم يصنع لهم الغواية والنشوة والارتجاف والجنون مثله ؟ كيف وضعت
الطبيعة العضو الذي يعبده كل العالم في المكان الذي يستقذره كل العالم ؟ كيف
وضعت اقوى لذات الانسان في المكان الذي يستفرغ اقوى وافظع قاذوراته ؟ مسكين
المحب . ان مجد وجمال وجبروت حبه هنا . . هنا ، هنا !!

ان اعظم فنان قد وهب اعظم خيال لو طلب منه او لو اراد ان يتخيل كائننا ضخما لا
مثيل له في بلادته ودمامته ووقاحته وسفاهه وفي عيوبه تحت جميع مقاييس الذكاء
والاخلاق والحكمة والصداقة والجمال والعدل والرحمة والمنطقية لما استطاع ان يجد
افضل من هذا الكون او من هذه الطبيعة نمونجا اعلى لهذا الكائن الضخم الذي طلب
منه او الذي اراد ان يتخيله ، حتى ولو لم يشهد أو يعلم أو يقاس من الكون او من
الطبيعة الا هذه القضية او هذا المشهد او هذه الوقاحة ، وقاحة الطعام الذي يتحول
الى عفونات لكي يكون محكوما على البشر بان يقذفوها بهذا الاسلوب العالمي البذيء
المهين الوقح الفضاح - بدل ان يتحول اي الطعام تحولا كاملا الى كينونة جيدة
ونافعة في ابدان وحياة منتجيه وآكلييه . ما اوقحك ايتها الطبيعة . كيف استطاعت
وقاحتك ان تصعد بك او ان تهبط بك الى ان تحكمي على كل انسان بان يكون محكوما
عليه بهذا القذف مهما كانت عبقريته ومكانته ونظافته وقسامته ؟

ولكن هل الطبيعة محتاجة الى التدليل على انها كل نماذج القبح والغباء والسفه
والقسوة والعداوة والنذالة والهوان ؟ وهل يوجد قبح او غباء او سفه او قسوة او
عداوة او نذالة غير قبحها وغباؤها وسفاهتها وقسوتها ونذالتها وهوانها ؟ لمليست
هي كل ذلك وصانعتة ومعلمته كله وحدها بلا شريك او معين ؟ كيف استطاعت
الوقاحة او البلادة ان تصعد او تهبط ولو بانسان واحد ليزعم ان هناك كائننا اخر
اعلى او غير اعلى هو الذي وهب الطبيعة كل وقاحاتها وتلوثاتها وتلويثاتها ؟

اجل ، لقد كان احد السلوكيين المفروض احدهما حتما على هذا المجتمع العجيب
ان يأذن لاطفاله بان يرموا بفضلاتهم الجوفية بهذا الاسلوب ، في هذه الاماكن
اذ لا اماكن اخرى . لقد كان سلوكا او اختيارا رهيبا لثيما في قسوته . .
اما السلوك الاخر او البديل الذي لا بديل سواه فهو ان يفرضوا على اطفالهم
بوسيلة قهرية ان يخترنوا في داخلهم وقاحات الطبيعة هذه دون اي تفريغ او
تصريف . . .

ان تصور هذا ، تصوره فقط شيء لا يطاق ، ويجب الا يطاق . . وايهما اكثر
واقسى فجيعة للحمال او الذكاء وخروجا عليهما : ما نتصوره ام ما نجد ؟

لقد كان الموقف من تصويت الانسان العربي الذي يحسبه كلاما يشبه موقف هذا المجتمع من قضية عفونات اطفاله الطبيعية وقضية تصريف هذه العفونات . .

الانسان العربي يصوت على نفسه وعلى كل العالم كما يصوت على كل القضايا والمواقف والمشاكل من فوق كل المنابر والنوادي بكل جرأة وبكل اساليب التباهي والاعلان والمبارزة . في كل الاوقات ، تحت جميع الظروف . وتصويته هذا الذي يظنه ويزعمه كلاما بل عبقرى الكلام يؤذي ويجرح ويفضح ويهين ويلوث ويصنع كل مشاعر الغضب والحق والحزن والراء والاشمئزاز والخجل . . . انه يصوت باسم الانسان المتحضر جدا وباسم الالهة والانبياء والاديان وباسم كل القيم الجمالية والانسانية . واهولاه اذن .

انه تصويت لا يمكن تحويله الى كلام او جمال او الى اي فن من الفنون . انه لا بد ان يظل اطلاقه او الاستماع اليه او التخاطب به مع الآخرين ، من فوق كل النوادي الدولية والمحلية يشبه ققف اولئك الاطفال في المجتمع الذي ذكرت قصته بفضلاتهم البديئة فوق عيون الناس ووجوههم وخطواتهم وثيابهم وفوق منابرهم ونواديهم ومعابدهم وفوق كل ما يحترمون ويحبون . .

ولكن اليس كل الاطفال في كل المجتمعات كل الاوقات يفعلون ذلك واقعا لا افتراضا ؟ اذن المراد بالاطفال هنا من كانوا اطفالا . .

ان على العالم ان يتحمل بتجلد وشهامة تصويت الانسان العربي والا يمنعه من التصويت بوسيلة قهرية حتى ولو استطاع ذلك . ان عليه تحمل ذلك بالالتزام الاخلاقي والانساني . كما ان على ذلك المجتمع الذي فرضه الخيال ان يتحمل ايضا بتجلد وشهامة ما يروي من ان كل وجوهه ورؤاه ومواقع اقدامه وكل مراكز الكبرياء والجمال والحياء والنظافة والتدين فيه قد تحولت الى اماكن لكي يستفرغ فيها اطفاله العفونات التي خلقتها الطبيعة الوقحة العفنة فيهم من الطعام الذي يكدح البشر اقسى واشرس الكدح لكي يجدوه ويوجدوه ويعدوه ويأكلوه ، ثم لكي تحوله الطبيعة المريضة بعشق الوقاحات والعفونات الى هجاء بل الى استهزاء بنظافته وكبريائه وبوضوئه وتطهره لمقابلة الاله وللصلاة له ، بل لتحوله ، اي الطعام الى هجاء بل الى استهزاء بموهبة التكوين والخلق في ذات الانسان ، او بموهبة من اراد وقبر وخطط وصاغ ذات الانسان لتكون اي ذات الانسان جمالا في عينيه اي في عيني مخطط ذات الانسان وفرحا في قلبه ونظافة في اخلاقه وثناء على فنونه وطموحا لطموحه وعبقرية في عبقريته ومحابة لكبريائه ولاعجابه بنفسه - بدل ان تحوله تحويلا كاملا اي الطعام الى كينونة عقلية واخلاقية وعضلية وجمالية ونفسية في ذات الانسان . كيف لم تعرف الطبيعة او يعرف الخالقون للطبيعة او المجددون لها ان تحويل اي شيء من الطعام الى هذه العفونات اسلوب لا مثيل له في هجاء منقن واخلاق وكرامة كل الاشياء ؟

ان الانسان العاجز المتخلف اشد احتياجا من القادر على استفراغ ذاته بالتصويت ..

نعم ، ان المتفوق القادر اكثر واقوى شحنات نفسية بل وغير نفسية . ولكن وسائل التفريغ الاخرى الافضل والاذكى والاكثر تقدما عنده كثيرة جدا . وبها يفرغ شحناته الذاتية المختلفة فيصبح احتياجه الى التفريغ بالصوت اقل اما العاجز المتخلف فان وسائل التفريغ الاخرى الذكية القوية الحضارية قليلة عنده او ليست موجودة اذن لا بد ان تشتد حاجته الى وسيلة التفريغ الاولى المتخلفة العاجزة البذيئة وهي التصويت لكي يقاوم ويعالج ويواجه بها كل المشاكل والمواقف والقضايا والاعداء .

انه لا بد من العلاج والمواجهة والمقاومة او من زعم ذلك اما بهذا او بهذا او بأي شيء اخر . انه لا صمت عن كل شيء .

قد يكون ممكنا قول هذا كما قد يكون صحيحا او محتملة صحته كما قد يكون ممكنا قول غيره ..

لهذا فقد يكون الانسان العربي محتاجا اكثر من الاقوياء المتفوقين الى التصويت لكي يستفرغ ويفرغ به اي بالتصويت كل ما في نفسه بل كل ما في ذاته واعضائه ومواهبه من عجز واحزان وتقاهات وآفات ومن هموم واحقاد وغيره ونقائص وعفونات اخرى

حتى الاعضاء انها تفرغ حملاتها الاليمة والبذيئة بالتصويت المختلف التعبيرات والجنسيات واللهجات .

ان شحناته النفسية والعقلية والانسانية والاخلاقية اقل جدا . ولعله لا توجد فيه شحنات عقلية او اخلاقية او انسانية واية شحنات اخرى سوى شحناته النفسية والجسدية والعضوية - اغني الانسان العربي .. حتى الحزن . هل يحزن الانسان العربي ؟ انه يحقد ويحسد ويبغض ويخاف . ولكن هل يحزن ؟ ان الحزن مستوى انساني .. فهل بلغ الانسان العربي مستوى من يحزن ؟ ليته بلغه ..

نعم ، ان شحناته اقل جدا ولكن وسائل التفريغ والتصريف عنده تكاد تكون وسيلة واحدة وهي الصوت . لهذا فقد يكون احتياجه الى الصوت احد واكثر من احتياج جميع الاقوياء المتفوقين المتحضرين الذين تتجمع وتتوحد وتتزاحم وتتصادم فيهم اغزر واضخم واقوى الشحنات المختلفة الجنسيات والمستويات والاتجاهات والافاق .

ان ضخامة الحياة وتجدها وتنوعها تعني حتما ضخامة الانفعالات وتجدها وتنوعها ..

ان الضربة او الخصومة او الحرب او البغضاء او الارادة او الشهوة او الخطة او الاحقاد بل او اليد او الرجل او الانامل العاجزة المهزومة لتتحول الى اصوات

اي لتتحول الى احتياج الى الاصوات ، اي لتستبدل الاصوات بها اي يعوض عنها بالاصوات والتصويت . .

اي تستبدل الاصوات والتصويت بانتصارها وقدرتها ، اي يعوض بالاصوات عن انتصارها وقدرتها أي عن انتصار وقدره الضربة والخصومة والحرب والخطبة والبغضاء والاحقاد والايدي والارجل والانامل التي لم تستطع ان تكون قادرة او منتصرة حيث كان يجب ان تكون كذلك وحيث كان ينتظر منه ذلك . . .

اي انك اذا كنت محتاجا الى ان تضرب او تخاصم او تحارب او تبغض ، او اردت ان تفعل ذلك فلم تستطع ، او فعلته فلم تنتصر ، او كنت في موقف من يجب عليه ان يفعله فلم يفعله .

نعم ، انك اذا كنت كذلك فلا بد ان تحتاج حينئذ الى التصويت لكي تعوض عن عجزك وهزيمتك ، ولكي تستفرغ وتفرغ مشاعرك الاليمة المحورة . انه اسلوب هزين وسخيف من اساليب الاستبدال والتحويل ولكنه اسلوب طبيعي . اي انك حينئذ تذهب تحارب وتتداولي بالتصويت ، وان عجزك عن ان تفعل وتنتصر حيث يجب ان تفعل وتنتصر لا بد ان يزيد من شحناتك الانفعالية والاليمة المحتاجة الى التفريغ والتوزيع .

ان معنى هذا ان الضربة او الخطبة او المحاولة العاجزة تتحول الى اصوات او الى احتياج الى الاصوات ، بل ان اليد او الرجل او الاصابع الضعيفة او العيون المريضة او العاجزة عن الرؤية او الضعيفة الرؤية لتتحول الى تصويت او الى احتياج الى التصويت ، اي الى تفريغ للذات وللنفس بهذه الوسيلة . لقد كانت الضربة او الخطبة او المحاولة او اليد او الرجل او العين خليقة بان تنفذ عملية التفريغ هذه لو كانت اي الضربة او الخطبة او المحاولة او اليد او الرجل او العين قوية ومنتصرة ، كما لم يكن مفروضا حينئذ ان تتحول الى شحنات نفسية اليمة تبحث عن التفريغ والتصريف . ان الاصوات ليست الا عملا قد هزم او عملا لم يؤد او عملا لم تخلق أدواته . انها عمل قد جاء بصيغة اخرى ، رديئة متخلفة عاجزة . .

نعم ، ان الضربة او المحاولة او الارادة او الحاجة العاجزة تتحول الى تصويت او مفروض ان تفعل ذلك . ولكن الاصوات القادرة او العاجزة هل يمكن ان تتحول الى اي شيء قوي او جيد أي الى أي بديل قوي أو جيد ؟ أي هل يمكن ان يتحول الامتناع عن التصويت او التقليل منه او الزجر عنه الى لية قوة او موهبة او الى أي مستوى أعلى أو أقوى أو أفضل ؟

ان الشيء قد يعبر تعبيرا أقل منه ويفعل ما هو دون قدرته واحتمالاته ، ولكنه لن يكون كينونة اكبر من كل قدرته . ان من يستطيع ان يضرب وينتصر ويفعل فعلا جيدا وقويا قد يشتم او يحقد او يحسد او يصرخ او يبكي او يصنع كل ذلك . ولكن من لا يستطيع الا ان يشتم ويحقد ويحسد ويصرخ ويبكي لن يستطيع ان

يضرب أو ينتصر أو يفعل ما هو جيد أو قوي أو عظيم . ان القوي القادر اذا عجز أو هزم أو ذل أو اهين فقد يتحول الى تعبيرات صوتية . ولكن المصوت اذا عجز عن التصويت أو منع منه فلن يصبح أكثر أو افضل من مصوت .

ان المتكلم يستطيع ان يصوت ولكن الكائن المصوت اي الذي في طور التصويت فقط لن يستطيع ان يتكلم أو ان يتحول الى متكلم . ان الانسان يصنع الصوت ولكن الصوت لن يصنع الانسان ، وان المصنع يحدث الصوت ولكن الصوت لن يبني المصنع ...

ان الشيء أو الانسان قد يكون اصغر أو اقل من ذاته أو موهبته ولكنه لن يكون اكبر أو أكثر منها .

اذن فالانسان المصوت اي الذي هو في طور التصويت لن يتحول الى موهبة أو عبقرية أو الى ذكاء أو انتصار أو قدرة أو تفوق حتى ولو منع من التصويت أو قلل منه . . ذلك لان الطور الاعلى قد يفعل فعل الطور الادنى ، دون ان يفعل الطور الادنى فعل الطور الاعلى ان في العظيم ضالة ولكن هل في الضئيل عظمة ؟

اذن فالنصائح الموجهة الى الانسان العربي لكي يمتنع عن التصويت أو عن الكلام أو لكي يقلل منه هي نصائح لن تهبه شيئاً أكثر أو افضل من ان يسمعهما ويعجز عن احترامها أو التزامها دون ان يدري ان احترامها والتزامها - لو كان ممكناً - لن يهبه اي شيء مما يقال له ويوعده به . انه يعجز عن الامتثال لما يقال له عجزاً لا معرفة بانه اي الامتثال لا جدوى منه .

انه يعصي معصية لا ذكاء . يعصي لانه يعصي أو لانه محكوم بارادة العصيان وبظروف العصيان ، ولا يعصي لانه يعرف انه لا نفع في ان يطيع . ان نضالنا الطويل الدائم الذي نحسبه اعلى مستويات الذكاء والتقدم لكسي نجعل الانسان العربي يكف عن الكلام أو يقلل منه لميت وبلادة سخياف ومثيران ، وان تأملنا بان يهبه الكف عن الكلام أو الاقلال منه - أي لو أمكن هذا - ذكاء أو عبقرية أو قدرة أو انتصاراً أو مستوى آخر افضل أو أنقى لبلادة وعيب اخران سخياف ومثيران . كذلك ان هذا التأميل يساوي التأميل بان امتناع العين أو الاذن عن الرؤية أو السماع قد يتحول الى ذكاء في العقل أو الى جمال في الوجه أو الى بياض في الجلد أو الى قوة في العضلات .

والكائن المصوت اي الذي هو في طور التصويت لا يستطيع ان يقرأ أو يسمع أو يفهم أو يفسر اي كلام الا بانه تصويت مثل تصويته . انه لن يتعامل مع اي متكلم الا بأسلوب من يتعامل مع مصوت .

انه - وكما سلف - لا يعرف انه يوجد مصوتون ومتكلمون كما يوجد عباقرة ومجانين ، ومتحضرون وبدو ، ومهذبون ووقحون ، بل وكما يوجد بشر وكائنات اخرى ، وكما يوجد صاعدون فوق القمر ومتحدثون عما في خسوف القمر من تعبير عن دموع الاله واحزانه وغضبه وغيرته لانتصار جميع اعدائه عليه في جميع

معارك الذكاء والعضلات ، وايضا من تعبير عن وحدته وضياعه وهجرانه وهزائمه التي لا نموذج لها ولا شبيهه في جميع الهزائم وجميع اساليب ومستويات الضياع والوحدة والهجران .

نعم ، ليس جميع المؤمنين لا يرون في خسوف القمر الا احزان الاله وهزائمه الغاضبة وعظاته الضائعة ؟

وانه ايضا اي الكائن المصوت لن يفهم الفرق بين التصويت والكلام وانه هو مصوت لا متكلم اي لو فهم ان بين هذا وهذا فرقا او فروقا . وهذا ايضا قد سلف الحديث عنه . هل يمكن ان يفهم الجمل او الصرصار ان بين الصوت والكلام فرق او ان يفهم هذا الفرق أو أن يفهم انه هو مصوت لا متكلم ، أو أن يسمع أو يفسر اي صوت بغير ما يفسر به أو يسمع به اي كلام ؟ هل يمكن ان يفهم ان الانسان متكلم اكثر مما هو متكلم ، او انه هو مصوت اردأ او ابلد مما الانسان مصوت ؟ او هل يمكن ان يتعذب اي الجمل او الصرصار غيرة وحسدا حينما يسمع الانسان يتكلم لانه حينئذ يدرك الفرق بين كلام الانسان وتصويته هو ، او هل ان يمكن ان يقاسي لكي يصبح متكلم مثل الانسان ؟

هل يمكن ان يفسر الكائن الادنى او اي كائن اعلى او اي كائن بتفاسير هي انكى او اعظم مما يفسر به نفسه ؟ هل يمكن ان يختار اي كائن لغيره الها او ديناً او مذهباً او منطقاً افضل مما يختار لنفسه ؟

هل يمكن ان تفسر الهك أو دينك أو مذهبك تفسيراً هو أردأ من تفسيرك لاله او لمذهب او لدين جارك او خصمك ؟

لقد آمن الانسان بالاله مبهورا مقهورا ، فهل استطاع او احب ان يفسر هذا الاله الذي آمن به بانقهار وانبهار ، بل آمن به فاقد كل الاتزان والذكاء والكرامة والشجاعة بل آمن به ليكون اصغر واهون من صرصار - نعم ، فهل استطاع او احب ان يفسر هذا الاله الذي آمن به تفاسير افضل او اعظم او اقل ضالة او حقارة من تفاسيره لنفسه ، بل من تفاسيره لاصغر وانذل واجهل صغاره وانذاله وجهاله ؟ بل ألم يهبط بآلهه في جميع تفاسيره له عن جميع مستوياته هو ؟ ألم يهبط بجميع مستويات الهه حينما فسر عن مستويات جميع طغاته واشارره وقتلته واضوصه وفساقه ومجانيته ؟ هل هبط الانسان في تفسيره لاي شيء مثل هبوطه لو قريبا من هبوطه في تفسيره للاله ؟

هل وصف احدا او جماعة او طائفة منه بالحق والخسة والنذالة والبخل والعدوانية والقسوة والبغض والانتقام والنزق والشره والانانية وحب النفس بل وبالغباء والجهل والجنون مثلما وصف الاله بذلك ؟ بل هل وصف اي كائن بمواصفات تقرب في قبضها وخستها من اوصافه للاله ؟

نعم ، ان الكائن لا يستطيع ولا يقبل ان يفسر اي كائن بافضل او اعظم مما يفسر به نفسه . لهذا لم يكن ممكنا ان يفسر الكائن المصوت اي كائن اخر بانه

كائن غير مصوت اي كائن افضل من مصوت . ولهذا ايضا فان الانسان العربي لانه كائن مصوت لن يستطيع التعامل مع اي كلام او مع اي متكلم مهما كانت عبقريته الكلامية الا على انه ليس متكلما وانما هو مصوت مثله . وكيف يمكن ان نتعامل مع شيء لا يتصور وجوده وهو الكلام والمتكلم ؟ والتعامل مع الكلام مختلف جد الاختلاف عن التعامل مع الصوت كاختلاف المتكلم عن المصوت .

انه اي الانسان العربي لن يحاول ان يقرأ او يسمع او يفهم ذلك الكلام الذي وجه اليه او قيل عنه او فيه او الذي يتصل بكل قضاياه او بكل القضايا التي تتصل بكل قضاياه ، او الذي يتصل بكل انسان . . . انه اي الانسان العربي لن يحاول ان يقرأ او يسمع او يفهم اي كلام على انه كلام لكي يتعامل معه اي مع الكلام بمنطق وبموقف وبذكاء وسريع متحرك ملائم متكافئ قاري مفسر محاسب متسائل . ما اصعب التعامل مع الكلام بالكلام ، وما اسهل التعامل مع الصوت بالصوت او مع الكلام بالصوت . ما اصعب ان تكون متكلماً وما اسهل ان تكون مصوتاً . .

انه اي الانسان العربي لن يخوض اية معركة حوار او ذكاء او فهم او منطق او تفسير او اخلاق . . . انه لن يدخل اية مبارزة عقلية او انسانية او حسابية مع اي كلام او مع اي متكلم لانه ليس متكلماً ، لانه مصوت .

انه لا بد ان يتعامل مع اي كلام على انه اصوات فقط مثل اصواته هو . اذن لا امل في المواجهة الفكرية او الحسابية او النفسية او الكلامية او السلوكية او الحركية المساوية او الملائمة المتغيرة .

اذن ما اقل وأضال همومه وتكاليفه ومقاساته الحضارية والانسانية بل والاخلاقية بل ما اقل احزانه الانسانية . وهل له احزان انسانية . انها اصوات تنفجر وتظل تنفجر بلا اي تغيير في الصيغة أو التفسير او في مستوى الذكاء . . . انها اصوات تواجه اصواتا . نعم ، لان كلام الآخرين والخصوم لن يكون الا اصواتا . اذن لا بد ان يظل الانسان العربي يواجهها باصوات ، باصوات اعلى واكثر صوتية منها . . .

انها حجارة تواجه حجارة او تلقى على حجارة . هكذا يفهم ويتصور الانسان العربي القضية حينما يواجه اي كلام باصواته ، او حينما يفعل ما يحسبه كلاما او تفكيراً او منطقاً او حواراً او ذكاء يواجه او يقا تل به كلاماً او تفكيراً او منطقاً او حواراً او ذكاء . . . حينما يواجه ويتعامل مع كل الحضارة والمتحضرين ومع كل الاشياء وكل المواقف ومع كل الاصدقاء والاعداء والانداد بالتصويت . ان التصويت هو كل عبقريته وقوته وحضارته بل وكل تاريخه . انه اي الانسان العربي لا يتغير او يتفاوت في اسلوبه او في مشاعر المقاومة او المواجهة فيه مهما اختلفت وتفاوتت القضايا والمشاكل والمواقف والافكار والتحديات والتبعات والايخطار المطروحة عليه.

او حوله او المطروح عليها او حولها . . ان كل تغيره او تفاوته في كل هذه المواجهات ان يشتد صوته ويزداد نزقه وارتجافه عنفا وافتضاحا وتجريحا لمسامع من يسمعون . . كم يجب الرقاء لمسامع الاله ان كان يسمع كل تصويت الانسان العربي الذي يحسبه كلاما اي ان كان الاله متكلم لا مصوتا فقط . .

انه ليواجه اعلى مستويات الذكاء والتفكير والتخطيط العقلي الذي يجبر ضده لسنحه ولهزيمته او لمخاطبته والتحاور معه بالأسلوب الذي يواجه به اعلى مستويات الابداء الفكرية والحضارية والنفسية والانسانية . انه يواجه كل الاشياء المختلفة والتفاوتة اشد الاختلاف والتفاوت بأسلوب واحد هو التصويت الذي قد يختلف ويتفاوت شدة ونزقا وارتجافا دون ان يختلف او يتفاوت تفسيره او منطقا او في فهمه وتفسيره لما امامه او حوله من منطق ومن تفاسير . . .

انه مصوت . . وهل يختلف او يتفاوت المصوت فاهما ومفسرا وقارئا او مفهوما مفسرا مقروءا ؟ ان هتافا او تصفيقا متعاليا في موقف خطابي متصايح لهو في حساب الانسان العربي كل الذكاء والتفكير والمقاومة والانتصار على كل الاخطار والاعداء ، بل انه لا أقوى من كل ذلك ، بل وانكى واتقى .

لهذا فان الانسان العربي لا يحتاج الى اية عبقرية فكرية او تفسيرية او علمية لوجاهته لكي يفهم ويفسر بها الاشياء كل الاشياء ، انه فقط يصوت عليها . وهذا هو اعلى مستويات قراءته وفهمه وتفسيره لكل الاشياء ، واعلى مستويات تصوره لانكى القراءات والفهم والتفسير ، بل واعلى مستويات مقاومته لكل الاشياء واستجابته لها وتعامله معها .

انه حينما يصوت على الاشياء او في مواجهة الاشياء يعتقد انه لا احد يناضل لوجاهه او يستجيب او يتعامل او ينتصر ويتفوق مثله . كما انه اي الانسان العربي لن يحوجك الى اية عبقرية فكرية او علمية او ثقافية او اخلاقية او حضارية او فنية لكي تقرأ او تفهمه او تفسره او تتعامل معه او تخاطبه . انه تصويت فقط . له تصوره ومحاسبته على انه تصويت فقط هو كل القراءة والفهم والتفسير له ، وكل التعامل والتخاطب معه ، بل وكل الاحترام والتمجيد والفهم له . . انه لا يريد ان يفهم او يقرأ او يفسر الا بانه تصويت ، بانه بلاغة صوتية او ظاهرة صوتية وكم في هذا من المجد في حسابات الانسان العربي . .

اذن هل يحتاج الى اية عبقرية من اي نوع او هل يحوج الى مثل هذه العبقرية ؟ انه اذن اي الانسان العربي ليربح جدا بقدر ما هو مستريح . انه ليربح لمن يريد ان يفهمه او يفسره او يقرأ . انه ليس معقدا او بعيدا او عميقا ، ليس تفكيرا او تفسيره او منطقا معقدا او محيرا او متعبا او بعيدا . انه فقط تصويت . اذن كم هو ربح ومحاب لمن طرح امامهم او عليهم ليفهموه ويفسروه ويخاطبوه ويتعاملوا معه لو به ، او لمن ارادوا ان يتسلوا بقراءته او بفهمه او بتفسيره او برويته معروضا بكل

فضائحه وتشوهات بل عارضا لكل فضائحه وتشوهات . . . انك قد تتحول الى مجد وسعادة للآخرين حينما يستعرضونك او تعرض نفسك امامهم مثقلا بالفضائح والتشوهات والضعف .

ان في الانسان العربي اذن لنفعا ومجاملة لمن يريدون او لمن يراود منهم او يفرض عليهم ان يفهموه او يفسروه او يخاطبوه او يقوموه ويحسبوه ويحققوا فيه او يتعاملوا معه او يخذعوه ويهزموه ويعروه ويفضحوه ويتسلوا بضعفه وباستعراض ضعفه . انه لمن يرهقهم او يحرجهم او يذل كبرياءهم او يهدد تفوقهم او يجعلهم يخطئون او يعجزون او يتضائلون . انه ليس لغات او تفاسير او اجهزة متعددة متغيرة تصنع الخطم والحيرة والرهبة والعجز عن الفهم . انه لغة واحدة وتفسير وجهاز واحد لا يتطور . . . ان فيه اذن لمزية ونفعا ولو لاعدائه ، اي ولو الشامتين الماكرين الصيادين الخبثاء . . . لان الانسان العربي لا يوجد له اعداء . لان الاعداء ليسوا الا تفسيرا كبيرا لمن يعادون . ان الاعداء مستوى قوة وذكاء وموهبة فيمن يطلقون عداوتهم عليه . وانهم ايضا اسلوب تمجيد له وخوف منه . اذن هل يمكن ان يكون للانسان العربي اعداء ؟ ليتك يملك هذا المجد او يوهب هذا التمجيد . . . انك اذا عانيت انسانا فليست الا واهبا له مجدا او معترفا له بمجد . انك لمن تعاقبه بلا شمن او بلا قيمة فيه ، اي اذا لفترضنا عداوتك عداوة انسان وعداوة حساب وتدبير وتفكير وليست عداوة حشرة . . .

ان الانسان العربي في كل تاريخه لم يتعامل مع اي كلام او يفسر او يحاسب او يتصور اي كلام على انه كلام ، فيه صدق الكلام وتفسيره ومعناه وعمقه وكل التزاماته الفكرية والنفسية والاخلاقية والحضارية والنفسية بل والدينية والمذهبية . اجل ، ان كل هذه الالتزامات هي بعض التزامات الكلام في مطامحه واخلاقه وتطلعاته الحضارية والانسانية . ان الكلام في مستوياته الحضارية والانسانية باهظ الشرح والالتزامات . . .

انه اي الانسان العربي ليس فظا او وحشا بلا نموذج لكي يذهب تصوره الى انها قد يوجد كلام بهذا التفسير أي يحاسب او يطالب بكل هذه الالتزامات العنيفة او حتى ببعضها او يلتزم بها .

ان هذه الالتزامات القاسية والصعبة جدا المطروحة على الكلام او المحاسب بها الكلام او التي لا يكون الكلام كلاما الا بها - نعم ، ان هذه الالتزامات التي لا تفسير ولا مجد للكلام الا بها هي مستوى حضاري وبشري لا تُذهب قسوة الانسان العربي او كبرياؤه او عناده او اشتراطاته او رؤاه لنفسه او للاشياء ، لا تذهب به الى تصوره اي الى تصور هذا المستوى الحضاري المرهق تصوره . ان الكلام هو اعلى ما في الكينونة والحياة من طموح واعلى ما في الطموح من احتمالات الحياة والكينونة متحولا الى التزام فكري واخلاقي وانساني معلن . . .

ان الكلام في حساب الانسان العربي مستوى متواضع جدا . ان نموذجه الاعلى والاصعب في تصوره هو صوت الرعد والزلازل والاعصار المدمم . ان هذا الصوت اي صوت الزلازل والاعصار والرعد لا يراه الانسان العربي كلاما فقط او كلاما جيدا جدا فقط . بل انه ليراه كلام الاله في اقوى واروع مواقفه الكلامية . أليس هذا الصوت هو كل كلام الاله ؟ هل يعرف الاله اية لغة غير لغة الرعد والزلازل والاعصار ؟ وهل يتكلم في كل تاريخه بغير هذه اللغة ؟ وهل سمع احد من البشر الاله يتكلم بغير هذه اللغة ، او هل عرف احد ان الاله يتكلم او يعرف اية لغة لولا اصوات الزلازل والرعد والاعاصير ؟

ان هذا الصوت المنطلق عن الطبيعة بكل خشوع ورهبة ووقار هو كلام الاله ، قد وضع فيه اي الاله كل تقواه وذكاءه واخلاقه وحماسه وكل التزامات الطبيعة والكون والحياة والبشر والحضارات والالهة ، وكل التزاماته هو ازاء الكون والطبيعة والحياة والحضارات والبشر وازاء نفسه ، اي كل التزامات الاله ازاء كل ذلك . وهل توجد التزامات اقسى واكبر من التزامات الاله ازاء الطبيعة والحياة وكل شيء ؟ ولكن هل يعرف الاله ذلك او يلتزم به ؟

ان هذا الصوت هو كلام الاله يوجهه وهو في اعلى مستويات الجد والحماس والحسم والتقوى والذكاء والمنطقية اي وهو في اعلى مستوياته الالهية ، في اعلى مستويات الاله فيه - يوجهه اي الاله الى الانسان والى كل شيء لكي يهبه كل المعرفة والايمان والتعین والفهم وكل الكينونات الكبيرة العظيمة . ان الاله بكلامه هذا اي بصوت الطبيعة هذا يعتقد انه لا احد يتكلم مثله او يفهم او يبذل او يناضل او يخاطب او يتفاهم مثله .

ان الانسان العربي هكذا يفهم ويفسر صوت الرعد والزلازل والاعاصير المحمقاء . انه هكذا يفهم ويتصور الكلام في اعلى واذكى نماذج . انه لا شيء يفسر قيمة الكلام عند الانسان العربي مثل اعتقاده بان صوت الرعد والزلازل والاعصار ليس الا كلام الاله في اعلى نماذج المنطقية والبلاغية والتعليمية والجدلية .

وهل يطمع او يستطيع او يريد الانسان العربي ان يكون كلامه او اي كلام أعلى او اذكى من كلام الاله اي اعلى او اذكى من اصوات الرعد او الزلازل او الاعصار ؟

ولانه اي الانسان العربي لا يطمع في ذلك ولا يريده او يستطيعه فقد ظل ابدا وكأنه لا يريد ان يتعلم او يعرف او يتكلم غير لغة الاله هذه ، كأنه يريد ان يظل ابدا يتعلمها ويتكلمها ولا يتخطاها ابدا ، اي يتعلم ويتكلم ابدا كلام الاله الذي يتكلمه الرعد والزلازل والاعصار . لقد ظلت هذه اللغة اي اصوات الرعد والزلازل والاعاصير هي النموذج الاعلى للكلام في حساب الانسان العربي ، لان هذه الاصوات في ايمان الانسان العربي وفي موهبته هي الاله متحدنا بأعلى مستوياته اللغوية

والبلاغة والفكرية والاخلاقية والتعليمية والخالقية ، بل بأعلى مستوياته النفسية والانسانية .

نعم ، ان الاله لا يتحدث الا بمستويات الانسان فيه . ولكن هل يتحدث بأعلى هذه المستويات ام بأدناها ؟

انه لم يحاول اي الانسان العربي ان يتكلم او يتعلم اية لغة اخرى لكي يتعلمها منه الاله او لكي يعلمها هو الاله . والاله دائما يتعلم جميع لغاته ومواهبه واخلاقه بل وذاته من الانسان العربي . وهل له معلم سواء ؟ وهل استطاع الاله ان يتعلم ذاته ، نفس ذاته الا من الانسان ؟ ...

وهل يتعلم الاله اي شيء الا من الانسان ؟ وهل يتعلم الانسان اي شيء الا من الانسان العربي ؟ اذن هل يتعلم الاله اي شيء الا من الانسان العربي ؟ اذن فالانسان هو معلم الاله ، والانسان العربي هو معلم الانسان ، كل الانسان . اذن فالانسان العربي هو المعلم للاله وللانسان ، لكل الانسان ولكل احد كل شيء .

انه اي الانسان العربي هو الذي علم الاله ان يتكلم او هو الذي جعله يتكلم بصوت الرعد والزلازل والاعصار ، كما انه اي الانسان العربي هو الذي علم الاله كل ذاته ، كل نماذجها وحدودها وصفاتها وشهواتها ومجاعاتها وهمومها وكل تشوهات وقسوتها وانانياتها . لقد علمها اي علم ذات الاله او صاغها بقسوة وهمجية لا نموذج لهما . لقد صاغ ذات الاله بأسلوب من يعاقبها ويسبها .

وهو ايضا اي الانسان العربي هو الذي علم الطبيعة ان تتكلم او جعلها او زعمها تتكلم بلغة الاله وباخلاقه وشهواته واحزانه وبجميع مستوياته العقلية والنفسية والشخصية .

اذن فالانسان العربي هو المسؤول عن جميع اخلاق الاله وعن جميع مستوياته ونماذجها النفسية والعقلية واللغوية بل والذاتية ، لانه اي الانسان العربي هو الذي علمه اياها او هو الذي صاغه بها او هو الذي وهب اياها او خلقها عليه او اتهمه بها . نعم ، انه هو الذي اتهمه بها .

ان احدا لم يتهم احدا او شيئا او يشوهه مثلما اتهم الانسان العربي الاله وشوهه حينما وضع او صاغ او رأى له كل نماذجها العقلية والنفسية والاخلاقية بل واللغوية والصوتية . لقد كان الاله صامتا باستتار وتواضع وظل كذلك لا يزعم لنفسه ولا عنها شيئا حتى جاء الانسان العربي والقى عليه بكل اوصافه وبكل ملامسه .

اذن هل يوجد مذنب او مسؤول مثل الانسان العربي ؟ هل توجد ذنوب مثل ذنوب من وهب او علم الاله جميع نماذجها الذاتية والعقلية والنفسية والاخلاقية والفنية واللغوية ، او مثل ذنوب من اتهمه بذلك او تصوره كذلك ، او مثل ذنوب من خاها

للإله ملابسه وصاغ له اوصافه ؟ ٠٠ ان من تصورك او فسرك تصورات وتفسيرات
رميئة ومشوهة فقد اعتدى عليك واساء اليك ٠٠

الاهل هل يوجد مذهب مثل من جعل او افترض اصوات الزلازل والاعاصير والبراكين
والصوتات كل التفجرات الطبيعية المخربة هي اعلى واتقى النماذج للإله ، متحدثا بكل
بلاغته وعبقريته وبكل تدينه ووقاره وتقواه ومحبته الى نفسه والى كل عباده واكوانه ؟
لانه لا توجد تصورات مذبنة ومشوهة وظالمة مثل التصورات التي تصورت او تقبلت
فهاذج الاله وصوره ٠٠ انه لم يوجد من ظلم وأذنب اليه مفسرا ومتصورا مثل الاله ٠
ان التصورات والتفسيرات المذبنة هي سلوك مذهب ٠

**

ان العرب ، وكذا جميع من هم في مستواهم يشوهون كل شيء يتعاملون به او
يفرض عليهم التعامل به ٠ وايضا يشوهون كل شيء يؤمنون به او يفسرونه او
يقصرونه او ينحازون اليه ويدافعون عنه ٠ اليس الشيء يشوه بالايمان به وبتفسيره
وتصوره وبالانحياز اليه والدفاع عنه ؟ ألست قد تشوه المذهب أو النظام أو الزعيم أو
النبي الجيد لانك قد آمنت به ووقفت معه وانتصرت له ودافعت عنه ؟

ان الاشياء ، جميع الاشياء لا يمكن ان تكون في جمالها او همامتها او قوتها او
ضعفها معزولة عن يتعاملون عليها او بها ولا عن يعرضونها او ينادون بها او
يؤمنون بها بل ولا عن يفسرونها او يقرؤونها او يتصورونها ٠ أليس لابس الثوب
قد يتحول الى عدوان عليه والى تشويه له ؟ بل ليست صداقتك لانسان قد تشوه
ذلك الانسان وتجوله الى متهم ونذل ؟

نعم ، ان جمال الثوب والجهاز وجودتهما ليسا مستقلين او منفصلين عن اللابس
وعن المشغل او المحرك او الوجه المسير ٠ حتى الاله والمذهب والدين والنظام ، ليست
اوصافه غير اوصاف من يؤمن به وينفذه ٠ ان عبقرية الشيء في عبقرية المتعاملين به
وعليه ومعه ٠

ان العرب وكل من لهم مثل موهبتهم ليهبطون بجميع الاشياء التي يضعون عليها
ايديهم او افواههم او عقولهم او اخلاقهم او تفاسيرهم او تصوراتهم او قلوبهم
وتقواهم ، او التي يضعونها في ذلك منهم ، حتى الاشياء التي يضعون عليها عيونهم
او يضعونها في عيونهم ، انها لا بد أن تصاب بالهبوط والتشوه ٠ حتى عيونهم
ورؤاهم ، انها تشوه الاشياء ٠ انها لا تراها فقط بل تفعلها ٠ اننا لا نرى الاشياء
فقط بل ونصوغها برؤيتنا لها ، كما نصوغها بايماننا بها وبصورنا وتفسيرنا
لها وبتكبيرنا فيها ٠٠

نعم ، اي شيء تعاملوا عليه بأي اسلوب من اساليب التعامل ولو حتى بالرؤية
واللغة ثم لم يهبطوا به ويشوهوه ؟ اي شيء تعامل عليه العرب او آمنوا به ثم لم
يهبطوا بكل مستوياته واخلاقه وتفسيره ؟

ألم يتحولوا الى تشوهات في وجوه الحضارة التي قدمت اليهم غير معشوقة ولا مفهومة ولا مرحب بها ؟ هل تركوا وجها من وجوه الحضارة بلا تشويه ؟ ٠٠
لقد رأينا كيف هبطوا بالكلام واللغات ٠٠ لقد جعلوا الكلام واللغات اصواتا ، وجعلوا
الاصوات هي اعلى ما في الكلام واللغات من عبقریات وفصاحات ٠٠ حتى الاصوات ،
لقد هبطوا بها ٠٠ ورأينا كيف هبطوا بالصحافة - هذا الفن الحضاري المخيف العظيم
٠٠ كيف حولوها الى استفراغ بذي بليد وقع على كل معاني الانسان والحياة ٠٠

الم يحولوا هذا الفن الحضاري الضخم الى عار يملأ كل الزمان والمكان والحياة ؟
الم يحولوها الى توبيخ وتأنيب وتأييم لن وهبوا المطبعة والورق والوسائل الاخرى
الميسرة لها الانتشار والسرعة ؟ ٠٠ ألم يحول العرب الصحافة ، هذه الظاهرة
الحضارية الرهيبة الى حشود هائلة من الاكاذيب والنفاق والبلادات والصلوات
والنبوات والعبادات لكل الاوثان والوثنيات ولكل الطفاة الجاهلين ولكل الطغيان
البدوي الشرير المدمر الجاهل في جميع المحاريب وتحت جميع الاعلام والشعارات ؟
ألم يحولوا الصحافة الى لعنات يشتمون بها كل طلبة نهار ، والى تشوهات
يغطون بها وجه الشمس كل إشراقة صباح ؟ ألم يجعلوا مجيء الصباح نذبا وعارا ،
لان مجيئه يعني مجيء الصحافة العربية ؟ قبيح مجيئك ايها الصباح لان الصحافة
العربية تجيء مع مجيئك ايها الصباح المبصوق عليه ٠٠

ألم توزع الصحافة العربية نفسها على جميع الاوثان والوثنيات وعلى جميع
المتسلطين وعلى جميع اللصوص القادرين باسلوب قد تخجل منه وتنف عنه صغار
الحشرات ؟ هل وجد متسلط واحد في العالم العربي لم تركع تحت قدميه اكبر واصغر
الصحف العربية مهما كان جهله وغباؤه وعاره وفساده ، لتصنع من مزاياه وعبقرياته
وتقواه ونظافته أئمة وخلفاء وانبياء بل وآلهة - لتصنع من عاره مجدا لمجد التاريخ
ومن هبوطه الانساني تيجانا لهامات الشمس ؟؟

هل وجدت معارض متجددة كل صباح ومساء - معارض للجهل والكذب والنفاق
والهوان والسخف والتفاهة وللتعبد الخاضع الذليل ، ولبيع الاخلاق والمذاهب
والشعارات ، بل ولبيع الاديان والانبياء والالهة بلا اية شروط بل وبائتمان قد ترفض
الحشرات ان تبيع بها شيئا من كبرياتها او نظافتها او ذكائها ، واحيانا بلا اية
اثمان ٠٠ ؟

نعم ، هل وجدت او توجد معارض لذلك مثل الصحافة العربية بكل أحجامها
ومستوياتها ، بكل ارتفاعاتها وانخفاضاتها ، بكل آفاقها وسمواتها ؟ الم تتوزع
الصحافة العربية على جميع الاكاذيب والبلادات والجهالات والوقاحات والمغامرات
والمظالم ، زاعمة لها كل انساب الانبياء والالهة ، زاعمة انتساب كل الانبياء والالهة
الى انسابها ؟

الم تصبح كلمة « هذا صحفي عربي » كلمة هجاء وتحقير ، يصغر عما فيها من هجاء وتحقير كل ما في الدنيا من كلمات الهجاء والتحقير ؟ أليس محتوما او مظنونا انه لو وجد من يحترم الاذان ويرفض تعذيبها وتحقيرها لا جرؤ ان ينطق بكلمة « صحفي عربي » او بكلمة « صحافة عربية » ؟ أليس محتوما ان تقتل كل الاذان كلمة صحافة عربية او صحفي عربي لو أن في قدرة اية كلمة ان تقتل او تجرح اية اذن ؟ كم يجب الرثاء للفم الذي ينطق بهاتين الكلمتين وللاذن التي تسمعهما ٠٠ كم يجب الاعتذار الى الافواه والاذان الناطقة بهما والسماعة لهما ٠٠

اليسست فاجرة جدا او جاهلة جدا تلك الافواه التي تجرؤ على النطق بكلمة « صحفي عربي » او بكلمة « صحافة عربية » ، وتلك الاذان التي تستطيع الاستماع الى هاتين الكلمتين ؟

ان التاريخ لو جمع كل عاره في كل شعوبه وآحاده ليفاخر ويكاثر به اي عار آخر لكان من المظنون جدا ألا يجرؤ على ان يفاخر او يكاثر به عار الصحافة العربية . كم يجب الهجاء او الرثاء لوقاحتك او بلادتك او لصبرك وتواضع كرامتك حين تقبل ان يقال عنك : « صحفي عربي » ؟

ايتها الصحافة العربية . ما اضخم عارك . ما اقسى هجاءك واهانتك للحاجة او للفكرة التي ابتكرت الصحافة او التي ابتكرت الصحافة استجابة لضغوطها . كيف تتجاسرين على ان تكتبي او تقرئي او تطرحي نفسك في الايدي او الاسواق في عصر سحب فيه الانسان الاخر من صدر الاله كل شموسه واقماره ومن قدميه كل أرضه ومن فوق رأسه كل سمواته ومن غرفه الداخلية كل كراسيه وسريره ومن فوق جسده كل ملابسه واغطيته الداخلية ؟ ٠٠ ان الفروق بين الصحافة في مستواها الحضاري وللصحافة في مستواها العربي لا قسى واضخم من كل الفروق بين احدث واجمل مدينة عصرية وبين اشرس الصحاري بدابة وجهالة وكآبة ودمامة وقحطا . ان المسافة الفاصلة بين الصحافتين لاوسع اتساعا من المسافة الفاصلة بين التاريخ قبل التاريخ وبين العصر الذي صلى فيه الانسان ضد الاله فوق القمر ٠٠٠

نعم ، ان صلاة الانسان فوق القمر لهي صلاة ضد جميع الالهة ، ضد جميع الصلوات في جميع تفاسيرها الدينية ، وتفاسيرها العربية .

انه لو كان امام المنطق وامام قوانين الاشياء اعلان : ان تصلح الصحافة العربية او ان تزال ، ان تتداوى او ان يتداوى من وجودها لكان الامل الثاني هو الذي لا بد ان يقع عليه الخيار ، لكان هو الامل وحده . ومع انه امل مستحيل فانه يصبح ويظل مع ذلك املا محتملا محاسبا بالامل الاول ٠٠

وهل وجد او يمكن ان يوجد من امل او من يؤمل ان تصبح الصحافة العربية شريفة او ذكية او تقية او صادقة او رسالة حضارية او انسانية او اخلاقية ، بل او شيئا لا يضر ولا ينفع ، لا يعطى ولا يأخذ او لا يلوث ولا يحقر كما لا يطهر ولا يمجّد ؟

ان التأميل بأن تصبح الصحافة العربية صادقة او ذكية او عارفة او شجاعة او نزيهة او في مستوى الفكرة او الحاجة التي ابتكرت الصحافة او التي ابتكرت الصحافة تحت حساباتها .

– نعم ، ان هذا التأميل لو وجد من يؤمله هباءً واهانة لكل استعمالات الامل ولكل تفاسيره ولكل المتحدثين عنه والمتعاملين معه وبه نفسياً وفكرياً وأخلاقياً .
ان الامل حينئذ ليس الا أقصى حالات اليأس ، وان اللغة حينئذ لم ترد ان يكون هناك فرق بين كلمة محال وكلمة امل او واقع ..

ولكن هل اللغة تقية او ذكية لكي لا تقول نقیض ما تريد ونقیض ما يحدث ونقیض تفاسيرها ؟ وقضايا وعطايا الحضارة الأخرى غير الصحافة والكلام واللغات والاصوات، ماذا صنع الانسان العربي بها حينما واجهها وعاملها وتحدث عنها وفسرها وآمن بها وادعاه ؟

هل عامل الانسان العربي شيئاً بأذكي او اتقى مما عامل به اي شيء ، اخر ؟ هل خص شيئاً بتشويهه له دون شيء اخر ؟

ماذا صنع بالديمقراطية والاشتراكية والراسمالية والحرية والعقوي الانسانية والوطنية والقومية والانسانية والعالمية وبالانحيازية والحيادية والانتماية والاستقلالية ؟

ماذا صنع بها ممارسة ومفسرة ومقروءة ومدعاة ومعاقبة ومعاقبها ومخطوباً بها ومشتومة شاتمة ؟

وماذا صنع بالتعليم والمدارس والجامعات والشهادات والدراسة والقراءة والثقافة والتفكير والاعلام والدعاية والفنون والاداب والنقد وبكلمة عالم وخبير ومتخصص وزعيم وقائد وحاكم وشعب وولاء واخلاص وطاعة ووحدة واتحاد ؟ بل ماذا صنع بالحرب الحديثة والاسلحة الحديثة ؟ حتى الحرب الحديثة والاسلحة الحديثة ، ماذا صنع بهما ؟ آه ماذا صنع بهما حينما فرض عليه ان يجربهما ؟ آه كيف اهانهما ؟ كيف بصق عليهما ضعفه وبدأوته ؟ وكيف رفضا ان يكونا صديقين ليديه او لفكره او لآخلاقه ؟ ...

اجل ، ماذا صنع الانسان العربي بكل ذلك حينما واجه واستعمله وفسره ونطقه وقراه وتصوره واقتنع به وتعلمه وعلمه والتزمه ، وحين امتدحه وادعاه وخطب به وله وبشره وعنه ، وحينما وجد في بلده وحينما شعر انه يستطيع ان يامرّه وينهاه ويقرره ويغيره ويصوغه ويخرجه ويصنع نماذج ويتحكم فيها ؟

كيف شوه كل ذلك ومبط به وسحب منه كل قيمه ومعانيه ومستوياته الحضارية والانسانية وحوله الى عار وبدأوة والى سباب ونجاء وغرور وكبرياء وعجز والى افتضاح شامل ؟

كيف سحب من كل عطايا الحضارة ومن كل انجازاتها كل منطقها وذكائها
ولخلاقها وجمالها وقوتها وعبقريتها ؟ كيف سحب من جسمها عضلاتها ، ومن عضلاتها
قوتها ، ومن رأسها عقلها ، ومن عقلها منطقها وفكرها ، ومن ضميرها براءتها ونظافتها ،
ومن اخلاقها نبيلها وشهامتها ، ومن قلبها حبها وصدقها ، ومن لسانها صدقها
لوتفخيبيها ، ومن وجهها حياءها وسماحتها وابتسامتها وترحيبها ، ومن منابرها
تواضعها ، ومن حركاتها توازنها ووقارها ؟

كيف سحب من الحضارة كل تحضرها ومن السماء كل معاني الارتفاع فيها ؟
كيف افسد وشوه كل شيء بالتعامل والمواجهة والتفكير والتفسير والتحدث
والقراءة وبالتصور والانتماء والاقتناع وبالايمان والحب والصداقة والادعاء له ؟
كيف سحب من كل شيء جيد اخلاقه وخصائصه وحوله الى هجاء لنفسه ؟

كيف نقل خصائصه الى كل شيء يعيشه او يواجهه او يدعيه فهو ي به اي بكل
شيء متحضر يعيشه او يواجهه او يدعيه او يؤمن به - فهو ي به من قمة التحضر
والتهذيب والقوة والذكاء والصدق والجمال الى حضيض البدالة والضعف والدمامة
والكذب والفحش والفساد ؟

كيف هبط بكل شيء ذكي وقوي الى ذاته ليكون في مستواها بدل ان يصعد
بذاته الى اي شيء عظيم وذكي يحكم عليه بمعايشته ومعاملته لكي تكون اي ذاته في
مستوى ذلك الشيء العظيم الذكي ؟

كيف حول كل قيمة العلم الذي قرأ او لقن او سمع عنه الى تسويغ وتفسير
لبدائوته الدينية والفكرية والتاريخية ؟

كيف حول كل مقاسات الحضارة الى مقاسات خصائصه ، ولم يحول اي شيء
من خصائصه الى مقاس اي شيء من مقاسات اي شيء من الحضارة ؟

كيف هبط بكل السماوات الى حضيض ارضه ولم يرتفع بشيء من حضيض
ارضه الى اي مستوى من مستويات اي سماء من السموات ؟

حتى السلاح الحديث وحتى الحرب الحديثة ، لقد تعامل بهما بمواهبه هو
وبمواهب تاريخه لا بمواهب من فكروهما وابتكروهما وتعاملوا بهما بمستوياتهما
الحضارية ؟

لقد نقل اي الانسان العربي مواهبه الى السلاح الحديث والى الحرب الحديثة
للذين تعامل بهما وحينما اراد او فرض عليه التعامل بهما ولم ينقل مواهب السلاح
الحديث او الحرب الحديثة الى مواهبه هو ، لم ينقل مواهبهما الى عضلاته او عقله
او ارادته او شجاعته او الى اي معنى من معانيه او تفسير من تفاسيره او الى اية
لغة من لغاته او ضربة من ضرباته ...

لقد عرب كل شيء تعامل به ولم يحضر اي شيء عربي فيه اضطر الى التعامل بالحضارة . لقد استعربت كل الحضارة في عقل واخلاق ومشاعر ولغة وعضلات الانسان العربي . . .

لقد تحول السلاح الحديث والحرب الحديثة في يديه وعقله وتدريبه وبسالته الى كائنات غريبين بعيدين جدا عن نفسيهما . لقد فقدوا ونسيا نسبهما ووطنهما وقوميتهما . لقد أنكروا ذلك وجهلاه ، لقد فقدوا ونسيا اخلاقهما ومواهبهما . . .

لقد اصبحا اي السلاح الحديث والحرب الحديثة عربيين ملتزمين بكل مواهب واخلاق العروبة وبكل عجزها اي عجز العروبة عن ان تكون متحضرة او قوية او ذكية او منتصرة . . .

فليعاقبك الله يا اسرائيل فلقد كشفت ان كل شيء جيد يصبح شيئا رديئا في يد الانسان العربي حتى الحرب الحديثة والسلاح الحديث . ايتها الحرب العلمية الحديثة . . ايها السلاح العلمي الحديث ، ماساتكما قاسية وعالية حينما فرضتما على الانسان العربي ان يتعامل بكما ، ان يجرب عليكما مواهبه وكل تاريخه العلوم المجهول . .

نعم ، ان التاريخ العربي معلوم جدا لانه مكتوب ومرى باسهاب ولكنه مجهول جدا لانه لم يكتب او يرو بصنق او بذكاء او معرفة او شجاعة . هل تستطيعان ان تنسيا ، او يستطيع العالم ان ينسى تجربتكما هذه او ماساتكما هذه حينما ذهب الانسان العربي يجرب عليكما عضلاته وفكره وارادته ، يجرب كل تاريخه ، او حينما ذهبتما تفسران وتقرآن للعالم كل تفاسير آباءه وكل عبقرياتهم الحضارية المتبورة معهم في مقابرهم المنقوشة عليها اجمل الآيات القرآنية وأروع الاشعار الجاهلية والاسلامية ؟

ايتها الحرب الحديثة والسلاح الحديث هل تستطيعان ان تنسيا او يستطيع العالم ان ينسى تجربتكما او ماساتكما هذه ؟ هل تقبلان ان تجيئا لو كنتما مخيرين اي لو علمتما ان الانسان العربي سوف يجرب عليكما نفسه كما جربها ؟ اذن ليس الكلام او اللغة او الصحافة هي وحدها التي هبط الانسان العربي بمستواها او التي فرغها من كل معانيها والتزاماتها الحضارية والانسانية ، بل لقد فعل ذلك بكل انجازات الحضارة وعطاياها ، بل وبكل قيم الانسان وتفايسيره . انني لو اردت ان اختار اقوى دعاية ضد الشيوعية او الديمقراطية الراسمالية او اية مذهبية لاخترت ان يأخذ بها العرب ليكونوا هذه الدعاية التي هي اقوى دعاية . .

ان للعرب اذن لمجدا . أليس مجدا ان يهبطوا بالاشياء العظيمة والقوية ويشوهوها؟ ايهم اقوى وأصل مجدا : الذين يصنعون الحضارة ام الذين يستطيعون تشويهها والهبوط بها ؟ أليست القدرة على تدمير الاشياء القوية عبقرية كعبقرية القدرة على ابداعها ؟ اليس العبقرى في الهبوط الى الحضيض عبقرى ؟

كان يوجد دائما من يخطئون في فهم الانسان العربي خطأ نبيلًا او خطأ حوافزه
النبل او الاشفاق . كان يوجد دائما من يخطئون هذا الخطأ الذي كانما كانوا يتعمدونه
ويريدونه بحوافز الشهامة . . . اليس الخطأ المتعمد بحوافز الشهامة افضل من الصواب
الذي تهدى اليه حوافز النذالة ؟

نعم ، انه ليجد من يخطئون ولو احيانا بتعمد شهامة ونبلًا واشفاقا ، لان
اجتناب مثل هذا الخطأ يصبح اجتنابا للشهامة والنبل والاشفاق ، ويصبح ايضا
قسوة وتعذيبا ، اي احيانا . . .

لقد كان يوجد دائما هؤلاء الذين يخطئون بهذا الاسلوب وبهذه النيات في فهمهم
للانسان العربي . . . ومهما كانت وحشية البشر فهل يمكن الا يوجد من يشفقون على
الانسان العربي ويرثون له ثم يستجيبون لاشفاقهم ورثانهم ؟

لقد وجد ولا يزال يوجد من حسبوا ومن يحسبون ان الانسان العربي كائن متكلم
وليس كائنا مصوتا فقط . وهنا ألا يحتمل ان هذا الحسبان ليس الا خطأ متعمدا
حوافزه الشهامة والنبل والاشفاق ، لان الذين حسبوا هذا الحسبان واطأوا هذا الخطأ
لم يستطيعوا او يريدوا ان يفهموا الانسان العربي بانه دون ذلك رفضا للقسوة
والتحقير ؟ اليس احتمالا جيدا ونبيلا انهم رفضوا فهمه دون ذلك لانهم يرفضون
ان يحقروه ويقسوا عليه بهذا الاسلوب ؟

وحين اخطأوا هذا الخطأ ذهبوا يفسرون اصوات الانسان العربي ويقرؤونها
ومتخاطبون ويتعاملون معها ويكتبونها ويروونها ويتحدثون عنها ويستنبطون منها
ويقومون المقارنات الجادة بينها وبين اي كلام اخر باسلوب غاية في القدرة والصبر
على اخفاء الحوافز . . .

- نعم ، ذهبوا يفعلون كل ذلك وكانهم امام اعظم الكلام عبقرية وأصله كلامية
. . . انهم يقرؤون التراث العربي القديم ويتعمقونه ويكتبون عنه الدراسات الكثيرة
ويقاسون في محاولة فهمه والفهم منه والحكم عليه والحكم به بل وفي محاولة تمجيده
وتفضيله على كل تراث اخر ولو احيانا . . ان الاشفاق قد يتحول احيانا الى مغالاة
في الحب والتمجيد والعطاء . . .

لقد توجهوا الى التراث العربي القديم وراحوا يبحثونه ويتعمقون فيه بروح
الرهبانية والايمان والتعبد والتصوف العميق . كانوا كأقوى المؤمنين ايمانًا حينما
يتوجهون الى كتب العرب المقدسة ليستلهموها ويسائلوها عن جميع الاسرار والتفاسير
والحلل . . هل يمكن ان تفسر مغالاة المتحضرين في تمجيد التراث العربي القديم
بغير هذه التفاسير تحت هذه الحوافز النبيلة الرحيمة المسرفة في نبلها ورحمتها
وسخائها ؟

لنهم لم يروا في هذا التراث كلاما فقط مثل اي كلام ، بل لقد رأوا فيه اذكى
الكلام واكثره اصالة كلامية او من اذكى الكلام ومن اكثره اصالة وعمقا في تفسير

الكلام . انهم لم يروه اي التراث العربي ولم يحاسبوه على انه ليس سوى اصوات كتبت بحروف كحروف الكلام ونطقت بأسلوب يشبه النطق بالكلام وخوطف بها كما يقع التخاطب بالكلام . انهم لم يستطيعوا افتراض هذا التراث كما هو اصواتنا فقط ليس فيها اي تفسير او قصد او خلق من تفاسير الكلام او مقاصده او اخلاقه . ان اخلاقهم لم تجرؤ على الهبوط الى هذا الواقع . . .

انك قد ترفض او تهاب تصديق الواقع لان فيك شهامة لا لان فيك غباء !
وهم اليوم اي هؤلاء الذين اخطأوا هذا الخطا الشهم النبيل في فهم الانسان العربي - نعم ، وهم اليوم ولا بد ان يظلوا زمنا طويلا ايضا لا يزالون يعيشون هذا الخطا ويتعاملون به ، كان كل شيء واي شيء لا يستطيع ان يجعلهم يرون خطاهم او يريدون اويستطيعون رؤيته ، او يجعلهم يريدون الكف عنه حتى ولو راوه واستطاعوا الاقتناع بكونه خطأ لا يستطيع ان يخطئه احد لاقتضاح كونه خطأ اي لا يستطيع ان يخطئه لشدة وقبح خطئه أشد الباحثين عن الخطا او ان يهتدى اليه اقدر الناس اهتداء الى الخطا لهبوطه تحت جميع درجات ومستويات الخطا .
اجل ، ان هنالك لاختاء تقبح وتهبط وتعجز عن التزبي بأي زي من أزياء الخطا وتصغر عن ان تحمل او تمك اي اغراء او جمال او قوة من اغراءات الاختاء ومن قوتها وجمالها حتى ليعجز عن ان يخطئها اصغر الناس اختاء واشدهم بحثا عن الاختاء واقدرهم على ان يخطئوا كل الاختاء ، أقدرهم على ارادة الاختاء وعلى الاهتداء اليها . نعم ، ان كثيرا من الناس يخطئون لانهم يريدون ان يخطئوا لا لانهم عاجزون عن ان يعرفوا . ولكن اليست ارادة الخطا تتحول الى عجز عن المعرفة ؟

انك مهما كنت موهوبا في قدرتك على الاختاء وفي ارادتك لها وجرائتك النفسية والعقلية والاخلاقية عليها ، على اعلانها وممارستها والاقتناع بها .
- نعم ، انك مهما كنت كذلك فانك لن تستطيع ان تخطئ كل الاختاء . ان اختاء لا بد ان تظل عذراء بلا ازواج او عشاق او اصحاء لبشاعتها او لاقتضاح عارها او لفقدائها اسباب واساليب الاغراء والخداع . انها لهذا لن تجد من يعشقها او يتزوجها او يتهم بها او من يتبناها او يديعها او يصادقها او يتداوى بها او يخاصم او يقاتل او ينافس او يتاجر او يخادع او يسرق ويكذب ويستغل باسمها ، كما يفعل كل الناس حينما يؤمنون او يعلنون ايمانهم بالاخطاء الدينية او المذهبية او القومية او الوطنية او التاريخية او الاخلاقية اي حينما يؤمنون هذا الإيمان بأحد هذه الاختاء او بها كلها ويعلنون ايمانهم هذا وحوافزهم المضمرة هي المخاصمة او المقاتلة او المتاجرة او المنافسة او الخداع او الاستغلال او شبه ذلك من الحوافز التي تضمر بل وتنكر بينما هي اقوى في جهرها من كل جهر وتشهير واعتراف . . ان اقوى وأصل الاختاء الاعتقادية بل اقوى وأصل كل الاعتقادات هي التي تؤمن بها او ندعيها لكي نحارب ونعادي ونخاصم ونشاتم بها .

اجل ، ان من الاخطاء اخطاء لا بد ان تظل عاجزة عن ان تجد من يقبل ان يتعامل بها او يعطف عليها او يدعيها ولو بحوافز الرثاء والاشفاق او باملاء الشهامة والنبيل . حتى هذه الحوافز والاملاءات تعجز عن ان تجعل كل الاخطاء مقبولة او متعاملا بها او عليها . مع ان الاخطاء هي اكثر الاشياء واقواما اصدقاء وعشاقا وانصارا واتباعا .

حتى الاخطاء والاكاذيب والاوهام المختلفة الجنسيات تحتاج ولو احيانا ، اي يحتاج بعضها الى المعاملة بحوافز الرثاء والاشفاق وباملاء النبيل والشهامة لئلا تكون مرفوضة رفضا ليس فيه اي قدر من العزاء . ولكن اخطاء واكاذيب واوهاما اخرى لن يوجد ما يجعلها غير مرفوضة ومهجورة كل الرفض والهجر . ان جميع حوافز الرثاء واملاءات الشهامة لن تنقذها من هذا الرفض والهجران .

اجل ، انه اذا كان بعض البشر لن يجدوا من يتعاملون معهم او من يتحدثون اليهم او يفكرون او يحقون فيهم الا بحوافز الاشفاق والرحمة او باملاء الشهامة او النبيل فان بعض الاخطاء والاوهام والاقتناعات المختلفة لكذلك ايضا ، اي تحتاج الى مثل هذه الحوافز والاملاءات الاخلاقية والنفسية لكي يستطيع الايمان بها والتعامل معها ويستطاع التحدث عنها والتحديث والتفكير فيها ، اي مع الاستثناء السابق الذي معناه ان اخطاء واوهاما واقتناعات اخرى لن تجد من يجروا على ان يخطئها او يريد ان يخطئها او يهتدى الى ان يخطئها او يستطيع ان يخطئها مهما كانت موهبة العطف والاشفاق فيه ومهما كانت املاءات الشهامة والنبيل عليه . ولعل من الصعب ان يفتن الانسان الى انه لا يؤمن او يلتزم بالكثير من معتقداته المذهبية او الدينية او الاخلاقية الا بحوافز الرثاء والشفقة او باملاءات النبيل والشهامة .

ولقد كان من المفروض الذي كان يجب ان يكون محتوما الا يوجد من يمكن ان يعتقدوا او يتصوروا ان التراث العربي القديم كلام يجوز او يمكن ان يناقش او يحاسب او توضع عنه وفيه الدراسات ، الا يوجد من يحسبه غير أصوات لا تفهم او تفسر او تحاسب باي مستوى من مستويات الكلام ، ولا تلتزم او تطالب بان تلتزم باي التزام من التزامات الكلام . اشعار المديح والهجاء والمفاخرة في تراثنا ، واوصاف الجحيم والجنة والثواب والعقاب في كتابنا الخزل هل يمكن ان تحاسب محاسبة الكلام او ان تفسر تفاسيره ؟ هل يمكن ان يخطئ احد في ذلك ؟ لقد كان الاقتناع بان التراث العربي القديم كلام وليس تصويتا فقط هو من الاخطاء التي كان من المفروض بل المحتوم الا يوجد من يجروا او يريدون او يستطيعون ان يخطئوها تحت اي حوافز او املاءات من اي نوع . لقد كان المفروض ان يكون هذا الخطا خارج جميع الحوافز والاملاءات النفسية والاخلاقية بل والمذهبية والدينية . ان كيف امكن ان يوجد من يخطئون هذا الخطا ؟

وهؤلاء الذين ذهبوا بايمان وبراءة وسخاء نفسي وحضاري يهبون التراث العربي القديم كل هذا التقدير والتمجيد بحسبانهم ومحاسبتهم له بأنه كلام ،

توجهوا بنفس الايمان والبراءة والصدق والحماس وبنفس السخاء النفسي والحضاري الى اصوات الانسان العربي المعاصر يقرؤونها ويحاورونها ويفسرونها ويخاطبونها ويحاكمونها مثلما يفعلون مع الكلام، بل مثلما يفعلون مع اجود الكلام .. انهم يهبون قدرا كبيرا وجيدا من طاقاتهم الذهنية والنفسية لتعاملهم مع اصوات العرب المعاصرين . لقد ارتفع هؤلاء الذين يعاملون اصوات العرب هذه المعاملة فوق جميع مقاييس الشهامة والنبيل والشفقة والمجاملة .

ما اصغر وأردأ هذا الذي يحدث دون ان يصنع اي تعجب او اشمئزاز او استنكار كأنه شيء يمكن ان يكون معقولا او مقبولا او مغفورا او معذورا . كأنه ليس شيئا خارجا على جميع المقاييس والتفاسير وعلى جميع مستويات السخاء الانساني والحضاري . كأنه ليس سخاء نفسيا لا بد ان يتحول الى هجاء لكل تفاسير السخاء .. ما اصغر وأردأ وأفظع ان يصوت زعيم او حاكم او مسؤول عربي او ان تصوت اذاعة أو صحيفة أو دعاية عربية أو أن يصدر مؤتمر اقطاب عربي تصويتا ما أو اصواتا ما يسميها ويحسبها بيانا عبقريا حربيا كونيا يوجهه الى كل العالم ، الى كل شعوب وقيادات ومذاهب ونظم واديان وجيوش ومواهب كل العالم ، يوجهه بأسلوب ونيات الانذار والتهديد والقتال بكل معانيه وتفسيره ورعده وكبريائه وشتائه .

– نعم ، ما أردأ وأصغر وأفظع ان يحدث هذا التصويت العربي أو هذه الاصوات العربية فينهض باهتمام وجد ناس من الناس ، فينهض اي ناس بأسلوب من يصنعون شيئا من الجد أو المنطق أو الذكاء أو الواجب أو الاهتمام أو الحماس المعقول أو المعنور أو المشكور .

– نعم ، فينهض قوم من المتحضرين جدا بل ينهض قوم لا حضارة لولا حضارتهم ولا مجد لاية حضارة لولا مجد حضارتهم ليصوغوا من كل مواهبهم العقلية والحضارية والخيالية طاقة فكرية واحدة ليجادلوا ويحاسبوا ويفسروا ويفهموا بها هذه الاصوات العربية التي يطلقها ويصوتها الحكام والزعماء والخطباء وجميع المتحدثين العرب اي جميع المصوتين العرب – التي يصوتونها ويطلقونها على كل القضايا ، على اصغر القضايا واكبرها .. يطلقونها ويصوتونها دون ان يقرأوا او يروا او يتصوروا او يخاطبوا او حتى يعنوا القضية التي يطلقون اصواتهم عليها ، بل ودون ان يعرفوا ان هناك قضية او ان لهم قضية او ان من الخير ان تكون لهم قضية ..

نعم ينهض قوم قد وهبوا الحياة والتاريخ كل ما فيهما من حضارات ووهبوا هذه الحضارات التي وهبوا كل مجدها واخلاقتها وذكائها وكل تقاسيرها الجميلة – ينهضون لكي يقياسوا ويقاسوا بعقولهم واخلاقهم وبكل مواهبهم الحضارية والانسانية والنفسية ، لكي يستطيعوا التعامل مع هذه الاصوات العربية تفسيرها وتثمينها وفهما واستنتاجا ومحاسبة ومحاورة، كأنها اي هذه الاصوات كلام حقا يعني شيئا او يمكن

ان يفسر بشيء ، وانه قد قاله قوم قد يقصدون به شيئا او يخططون به لشيء او يفسرون به شيئا او يلتمزون به اي معنى من معاني الالتزام ، او يفهمون معنى الكلام او الفرق بينه وبين التصويت او انه يوجد بينهما اي فرق . نعم ، ان قوما قد صنعوا كل الحضارة ليذهبون يقاسون كل المقاساة لكي يقرأوا ويفهموا ويفسروا اصواتنا من الاصوات ..

كيف يحدث هذا ؟ انه لذهل ومرهق للعقل ان يحدث هذا ويستمر يحدث دون ان يذعر او ينجع او يصدم احدا ..

كيف لم يدرك هؤلاء بالتجارب الطويلة ان العرب يصوتون ولا يتكلمون ؟ هل جربوا عليهم ولو مرة واحدة انهم يتكلمون ؟ ألم يجربوا عليهم دائما وفي جميع المواقف والقضايا انهم فقط يصوتون ؟

هل وجدوا او عرفوا ولو في موقف واحد ان الرئيس او الزعيم او القائد او المسؤول العربي حينما يصرخ ويعلن : ساحارب .. سأنتصر على كل الاعداء والانداد .. ساحول شعبي الى معجزة كونية .. سأجعله اول شعب يزرع القمر ويسكن الشمس ويبطل الزلازل والبراكين والاعاصير .. سأهبه كل ما في مواهب الطبيعة وعضلاتها من قوة ورخاء وذكاء وكرامة ومجد وحب وجمال ... سأكون ذكيا وقويا ومهذبا وصادقا ومتحضرا ومعافى من الحقد والخبث والخداع والكبرياء والطغيان والضلالة والغباء والوقاحة ومن قصر القامة وضيق الهامة .. سأجعل بلدي اول بلد ينزل اليه الاله ضيفا او زائرا او لاجئا او مواطنا لاني لا بد ان اجعله اي اجعل بلدي ساحرا لعيني الاله ولقلبه بتقدمه وجماله وتدينه ونظافته وبمستوياته الانسانية الضخمة .

- نعم ، هل وجدوا او عرفوا ولو في موقف واحد ان الرئيس او الزعيم او القائد او المسؤول العربي حينما يخطب ويعلن ويصرخ هكذا - انه يتكلم او يعني اي معنى من معاني الكلام بل او يفهم او يتصور اي معنى من المعاني التي يفهمها ويتصورها من يتكلمون ؟ بل ان هذا المسؤول العربي حينما يصرخ هكذا لا يتصور ان احدا يتوقع منه انه يعني شيئا او انه ملزم بشيء او يستمتع اليه ليفهم منه شيئا ..

نعم ، هل وجدوا او عرفوا بالتجارب الطويلة المكررة ان هذا الرئيس او الزعيم او القائد او المسؤول العربي حينما يصرخ ويعلن ويخطب هكذا يتكلم اكثر او اعظم مما عرفوا ووجدوا ان الذباب او البرغوث او الجمل او الذئب يتكلم حينما يصوت ، وانه يريد اي الذباب او البرغوث او الجمل او الذئب ان يعلن بكلامه : ان القيادات العربية هي التي علمت الطبيعة قوانينها وقياداتها لنفسها ولكل وحداتها الاخرى ، وانها هي التي وهبت الشمس قوتها وذكاءها في قيادتها لتتابعها ولرعاياها ، ويعلن ايضا اي الذباب او البرغوث او الجمل او الذئب انه لم يتعلم موهبة الكلام بكل عبقرياته والالتزاماته وتفاسيده الا من الانسان العربي ، وان الانسان العربي سيكون اول من

يررع الشمس بالنذوج وبالنخاخ الصانع لاعلى واجمل واضخم حقول الحياة
وانواعها ؟

هل الاصوات العربية أقدر على أن تخدع بنفسها وعلى أن تفسر بانها كلام،
هل هي أقدر على ذلك من أصوات الكائنات التي هي دون الانسان ؟ هل يمكن
أن يخدع أي كائن فيعتقد بأن في خطب أي زعيم أو مسؤول عربي من معاني الكلام
وتفاسيره أكثر مما في طنين أية ذبابة ؟

كيف يمكن الاعتقاد بأن أصوات الزعماء والحكام والدعاة والمعلمين والقادة
العرب بل وأصوات أي أنسان عربي - كيف أمكن أو يمكن الاعتقاد بأن أصوات
العرب كلام دون الاعتقاد بأن أصوات الكائنات الاخرى التي هي دون الانسان
كلام أيضا ، بل مع الاعتقاد بأن أصوات هذه الكائنات ليست كلاما ؟ كيف لا
تقتنع بأن أي صوت يطلقه أي كائن هو أعظم كلام اذا كنت قد اقتنعت بأن
نبوات وتعاليم وشرائع وخطب أنبياء ومعلمي وزعماء العرب نوع من الكلام ؟ ٠٠

أن أصوات هذه الكائنات أصوات فقط أي ليست كلاما وليست كذلك ضد الكلام
أو نفيا للكلام أو لمعاني الكلام ٠٠ أما أصوات العرب ولا سيما أصوات زعمائهم
ورؤسائهم ودعاتهم وقادتهم ومعلميهم فانها ليست أصواتا فقط ، انها أردا جدا من
ذلك ٠ أن أصواتهم ضد الكلام ونفي لجميع معاني الكلام وتفاسيره ٠ أن الكائنات
دون الانسان تصوت وكأنها تعلن بتواضع أنها لا تستطيع أن تتكلم ، أما الانسان
العربي فيصوت ليقتل أو ينفي أو يسكت كل من يستطيع أن يتكلم أو كأنه يريد
أن يفعل ذلك ٠٠

أن أي عربي يتكلم أي يصوت سواء أكان رئيسا أو زعيما أو قائدا أم كان معلما
أو مفكرا أو شاعرا أو دون ذلك انما يعني بقصد أو بغير قصد أن يطارد ويقاتل ويهزم
ويرهب ويسكت ويفسد ويشوه كل كلام قد وجد أو قد يوجد وكل من يستطيعون
أن يتكلموا ٠٠

أن الانسان العربي ليس فقط كائنا لم يبلغ طور الكائن المتكلم ، ولكنه أي
الانسان العربي كائن يرفض ويخاف وينافي أن يكون هناك متكلم أو كلام ٠٠ أن
الانسان أما متكلم وأما مناقض محارب للكلام ٠ أنه لا يكون صهتا بين الحالتين
أو عن الحالتين ٠ ولما لم يكن الانسان العربي متكلما كان محتوما أن يكون
الحالة الاخرى ٠٠

أن كل ما قاله وكتبه العرب في كل تاريخهم ، وكل ما يقولونه ويكتبونه،
ليس الا مقاومة للكلام بمعانيه الحضارية بل وبمعانيه الانسانية والاخلاقية ٠٠ أن

الزعيم أو النبي أو المعلم المفكر العربي لا يكون عظيما أو شهيرا جهيرا أو محققا لعناء بصيفة عالية الا بقدر ما يكون مقاوما للكلام بكل معانيه الحضارية والانسانية .

ان اي زعيم عربي بل ان اي عربي يتكلم او يريد ان يتكلم اي يصوت انما يقاوم الكلام ويريد مقاومته ، وانه ليقاومه ويريد مقاومته بقدر ما يتكلم او يريد ان يتكلم . انه بذلك يقاوم الكلام الذي تحول الى كينونة او قد يتحول الى كينونة او يطالب بالتحول الى كينونة . لان الكلام بمعناه الحضاري بل وبمعناه الانساني والاخلاقي ليس الا حالة او كينونة قد كانت او سوف تكون او يطالب لها بان تكون . لهذا كان يوجد دائما في جميع العصور والمجتمعات على مستويات متفاوتة من يقاومون الكلام ، اي يقاومون كينونات واقعة يرفضونها ويخافونها او يقاومون كينونات يخافون ان تنزع وقد تنزع . ان الطاغية او النبي اذا بطش بسلوك ما او بوضع اجتماعي معين او بمذهب ما فانما يبطش بشيء كان يوما ما كلاما ولا بد ان يتحول ايضا كلاما . واذا بطش بكلام فانما يبطش بشيء لا بد ان يتحول او قد يتحول الى وضع او سلوك او مذهب ما .

ان الكلام لا يقاوم لانه كلام ولكن لانه كينونة او حالة واقعة او محتملة الوقوع لئن فالذين يقاومون كينونة او حالة ما انما يقاومون كلاما ما لان هذه الحالة او الكينونة التي يقاومون انما هي كلام قد تحول الى كينونة او الى حالة ، كما ان الذين يقاومون كلاما ما انما يقاومون كينونة او حالة قد تكون او يناضل في سبيلها لكي تكون . . ان كل كلام هو كينونة قد وجدت او يراد لها ان توجد ، ويطالب لها بالوجود ، وان كل كينونة ليست الا كلاما قد تحول الى تفسير اي قد بلغ اقصى مداه .

لئن ليس الذين يقاومون حرية الكلام او حرية التفكير والتعبير بل او حرية البكاء والانين بل او حرية النظر في المرأة الى الوجه الحزين او المريض او الهزيل او الجائع او المتالم المتهور المذعور .

نعم ، ليس الذين يقاومون هذه الحرية - والمقاومون لها موجودون دائما في كل العصور والمجتمعات وتحت جميع المذاهب والنظم والعهود والسلطين - انما يقاومون كينونة قد وقعت او يخشون وقوعها ؟ ان جميع الطغاة والمعلمين ليقاومون ان ينظر الوجه الحزين او المريض او المهزول او المتالم المتهور الى نفسه في المرأة بقدر ما يقاومون ان ينظر اليهم هم بايعة امرأة عقلية او اخلاقية او انسانية بل او مذهبية او دينية او كلامية . .

وبهذا التفسير للكلام هل يمكن ان يكون في اصوات العرب التي كانت في التاريخ او في اصواتهم التي تشتم بها الحضارة اليوم نفسها لانها تطلقها وتذيعها باجهزتها ووسائلها الحضارية الشاملة - نعم ، بهذا التفسير والتقييم للكلام هل

يمكن أن يكون في أصوات العرب تلك أو في أصواتهم هذه ما ليس مقاومة شاملة للكلام ؟

وهل يقبل العرب ، انبياءهم أو خلفائهم أو قادتهم تفسيراً لأنفسهم غير تفسيرهم بأنهم المقاومون العناة للكلام ، أي بمعناه الحضاري ..

هل وجد صوت عربي واحد ليس مقاومة لكيونة أو لحالة جديدة أو لوجود جديد أو لمستوى من الحياة جديد ، أو ليس مقاومة لنظام أو لمذهب أو لفكر أو لشوق أو لتعبير جديد أو لرؤية جديدة ، أي ليس مقاومة للكلام في أحد معانيه أو في جميع معانيه ؟ إن اتهام أي عربي بأنه ليس مقاوماً للكلام لا يعني في حساباته إلا اتهامه بأنه ليس مقاوماً للفساد ولا للخيانة ولا للضلال ولا للزندقة ولا للتآمر ..

ماذا تعني أو تريد النبوات والتعاليم والعظات والشرائع والفنون والآداب العربية ؟ بل ماذا تعني وتريد الكتب العربية المنزلة أو المقدسة ؟

بماذا جاءت نبوات العرب ولماذا جاءت وماذا قالت ولماذا قالت وبماذا يمكن أن تفسر - ماذا أعطت وصنعت وأرادت ؟

ليست جميع نياتها ونتاجها وتفسيرها أن تقاوم الكلام بجميع معانيه الحضارية والانسانية ، أي أن تقاوم جميع الكيونات والحالات والمستويات والرؤى والافكار والمذاهب والاشواق والامال والارادات والتعبيرات والاسفار الكونية والانسانية وجميع التخطيطات والتحديات الجديدة التي ليست موجودة في معابد التاريخ ولا في مقابرهم ؟ أن موهبة كل نبوات العروبة موهبة كلها لمقاومة كل الكلام لان كل تقوى كل العروبة ليست غير الرفض الدائم لكل معاني التخطيط والتحدى لمقابر الابواب الشائخة جدا .

هل يمكن أن تكون مقاوماً للتخطي أو للتحدي أو للرفض أو للاشمئزاز أو للغضب العقلي والاخلاقي واللغوي ثم لا تكون مقاوماً للكلام ؟ أو هل يمكن أن تكون مقاوماً للكلام دون أن تكون قاصداً مقاومة ذلك كله بل دون أن تكون مقاومتك للكلام مقاومة لكل ذلك ؟

ألسنت بقدر ما تكون مقاوماً رافضاً لكل كيونة أو صيغة للحياة لم يعيشها الآباء أو للتاريخ أو لا تعيشها حياتك الحاضرة تكون مقاوماً رافضاً للكلام بتفسيره السابقة ، وأنتك بقدر ما تكون مقاوماً رافضاً للكلام أي بمعانيه التي شرحت تكون حتماً مقاوماً ورافضاً لتلك الكيونة وتلك الصيغة للحياة التي لم يعيشها آباؤك أو تاريخك ولا تعيشها حياتك الحاضرة ؟ أنه مستحيل أن يوجد من يخشى كل كيونة جديدة ثم يقبل أن يكون كلام ، أو من يقبل أن يكون كلام ثم يرفض أن تكون كيونة جديدة ..

أنه لهذا لا أمل في أن يسمح بالكلام أي مجتمع يرفض ويقاوم جميع الكيونات والامال الجديدة .

اذن فالعرب ليسوا تصويوتا أو اصواتا فقط مثل الكائنات المصوتة التي هي دون الانسان . أنهم لو كانوا كذلك لكانوا حينئذ كائنات خيرة . أنهم حينئذ عاجزون عن الكلام ، عن أن يكونوا بشرا متكلمين وليسوا أعداء أو نقيضا للكلام . ليتهم بكل هذا النبل والفضل .. نبي أو زعيم أو شاعر أو مفكر عربي يصوت فقط دون أن يعني شيئا .. كم في هذا من النفع والخير والتقوى !! وهل الانسان العربي صالح وطيب وشهم وبريء وعبقري وورع بكل هذه الضخامة والشمول ؟

شيء رائع جدا لو أن جميع أنبياء العرب وقادتهم وحكمائهم وشعرائهم ومفكرين ومعلمين كانوا في كل التاريخ مصوتين فقط مثلما يصوت البعوض والديك وليسوا مصوتين أو متكلمين ضد الكلام ومقاومين لكل كلام بأصواتهم . ليت ذلك كذلك .

نعم ، رائع جدا أن تكون كل أصوات علمي العرب وقادتهم المحسوبة كلاما مثل نقيق الضفادع لا شيئا أردا وأخطر ..

هل السذاجة العقلية والتفسيرية والنفسية بل والاخلاقية موهبة حضارية؟ هل أكثر الناس تحضرا هم أكثرهم غفلة وخطأ في تفسيرهم وفي قراءتهم ورؤيتهم وتصديقهم لأقل الناس تحضرا وصدقا وموهبة ولاكثرهم افتضاحا وتشوها وخبثا نفسيا ؟

هل الموهوب يفقد موهبته حين مواجهته لفاقد الموهبة ، حين تعامله نفسيا معه ؟ هل من مجد القوى والمتحضر أن يصاب بالانخداع للضعيف المتخلف وأن يبالغ في تمجيده وتضخيمه ؟ هل هي ضريبة على الحضارة وعلى القوة أن تريبا الضعف والبدواة أكبر من حجمهما وأذكي من تفاسيرهما وأجمل من ذاتيهما ؟

هل هي قوة في الموهبة والتفوق أن يضعف الموهوب المتفوق أمام فاقده الموهبة وفاقد التفوق وأن يخطئ ويبالغ في تفسيره له ؟

هل مفروض على المتفوق أن يكفر عن تفوقه بالاعجاب بالتخلف ؟ هل الاعجاب بالتخلف صدقة أو جزية يفرضها التفوق على المتفوق ، كما يفرض التخلف على المتخلف أن يكون ندلا ؟

هل التفوق ذنب لا يغفره الا تفسير التخلف بأجمل وأذكي التفاسير مهما كان محتوما الا يفسر التخلف المتفوق الا بأعبي وأردأ التفاسير ؟ ..

هل الانسان المتكلم لا يستطيع أن يقتنع بأنه متكلم الا اذا أقتنع بأن الانسان المصوت هو كائن متكلم ، بل الا اذا فسر تصويته وأصواته بأنها أكثر الكلام غبقرية وأصلها كلامية ؟

هل من قوانين الحياة المحتومة ان يهب المتفوق كل تواضعه وتهذيبه للمتخلف لكي يذهب التخلف يطلق كل وقاحاته وكبرياته على المتفوق بكل نيات وأساليب البذاءة والعدوان ؟

هل الأكثر حضارة وتقدما محتوم بأن يكون أكثر براءة نفسية وفكرية وأخلاقية؟ وهل هذه البراءة تعني الإعجاب والانخداع بمن لا يملكون هذه البراءة والانخداع لهم؟ هل التفوق يفرض على المتفوق أن يرى المتخلف متفوقا ويرى الكذاب والنذل والمالوث صادقا وشهما ونظيفا؟

هل الطبيعة تعاقب المتفوقين حضاريا وإنسانيا وعلميا بأن تجعلهم مصابين بموهبة الانخداع والغفلة في تعاملهم مع المتفوقين جدا في خبثهم وغفهم النفسي والفكري والأخلاقي؟

هل قضت الطبيعة بأن تكون هباتها وتوزيعها لعبقريتها هكذا : تهب قوما الغفلة والتصديق الساذج لأنها قد وهبتهم كل الوان العبقرية والقوة وهبتهم البراءة والطهارة والسماحة النفسية والإنسانية وشهامة الرؤية والتفسير للآخرين ، لكي تهب أي الطبيعة قوما آخرين كل الخبث والمكر والعفونة النفسية وهمجية بل وعدوانية الرؤية والتفسير للآخرين لأنها قد وهبتهم كل العجز عن كل قوة وعن كل عبقرية حضارية أو إنسانية أو أخلاقية ؟ هل قوانين وأخلاق الطبيعة قضت بأن تجعل الإنسان مخدوعا وساذجا ومكذوبا عليه بقدر ما يكون متفوقا وتجعله ندلا وخداعا وعدوانيا وخبثا متوقحا بقدر ما تجعله متخلفا عاجزا ؟

هل العبقرية والبراءة مما دائما خطأ وعجز في رؤيتهما وفي تفسيرهما للتفاهة والمكر والخبث ؟ هل العبقرية طفولة نفسية وتصنيقية بقدر ما التخلف أوحال وأكاذيب نفسية ولغوية ؟ هل كل ذلك كذلك ؟ لننظر الى معاملتنا للمتفوقين والى معاملة المتفوقين لنا لنعرف جواب هذه التساؤلات .

كيف رأنا ويرأنا الآخرون أي المتفوقون ؟ وكيف رأينا ونرى هؤلاء الآخرين ؟ قبيحة هي رؤيتنا للآخرين ، في نذالتها وكذبها ووقاحتها وعدوانيتها بقدر ما هي كريمة رؤية هؤلاء الآخرين لنا ، في سخائنها وتفضلها وحبها وانخداعها ومحاباتها . ما انذل همجية عيوننا في نظرها الى المتفوقين ، وما أعظم تهذيب عيونهم في نظرها إلينا ؟

كيف يفسروننا ويتصوروننا ويصوغوننا أي بأفكارهم وأمانيتهم ؟ كيف يضخمون أحجامنا جدا ؟ كيف يزورون لنا أحجاما لم توجد في فواتنا أو تاريخنا بل في سخائهم وشهامتهم فقط ؟

كيف يهبوننا ويريدون أن يهبونا بل ويقاسون لكي يهبونا ويثبثوا لنا إمجادا وتفوقا وتقوى وطهارة وسبقا وحضارات لا نعرف عنها شيئا ، بل لا نستطيع مقاساتنا ونماذجنا البشرية واحتمالاتنا الحضارية أن تعيشها أو تتكافأ أو تتفاهم معها لو قدمت إلينا صناعة جاهزة ، بل لو فرضت علينا فرضا ، أو لو جاء أنبياؤنا ليعاقبونا بنيرانهم الهمجية أن لم نعشها ونتكافأ معها ؟

كيف يتجدثون عن أمجاد لنا لا تستطيع كل قبور آبائنا ولا عبقریات آلهتنا أن تتسع لها أو تطمح الى تصورهما ؟

كيف نريد هؤلاء الآخرين المتفوقون ويحاولون أن يهبونا كل مجدهم الحضاري والانساني والاخلاقي ؟ كيف يريدون ويحاولون أن ينسبوا الينا مجدهم هذا بل وكل مجد وأن يجعلونا نحن السباقين الوهابين لكل شيء جيد ومبتكر وجميل ؟ ان يجعلونا السباقين الوهابين لهم ولكل أحد كل شيء جيد ومبتكر وجميل ؟ كيف يريدون أن يقتنوا بأنهم قد تعلموا منا ، من مقابرنا جميع ما وهبونا ؟ كيف يحاولون أن يقرؤوا ويكتبوا تاريخنا بلغة لم نتكلمها ولا نستطيع أن نتكلمها ؟ كيف ينحازون الينا ضد أنفسهم وضد من هم في مستواهم الحضاري اذا وقع بيننا وبينهم خلاف أو خصومة أو تصادم ؟ كيف يحاولون أن يجعلوا الصواب والعدل معنا دائما وأن يجعلوا الخطأ والظلم دائما فيهم وفي من هم في مستواهم الحضاري ؟

كيف يرون كل الأرباب جاهلية وهمجية ولكن أربابنا هي وحدها التي يرونها حضارية وعلمية ؟

كيف يجندون لنا دائما أصواتهم وآرائهم وشرائطهم مسحوبة من حساباتهم هم ومن حسابات اندادهم وامثالهم في الحضارة والقوة ؟ كيف يرونا بل يجندونا دائما على مقاسات أمانيتهم وطموحهم ويرون انفسهم بل ويعلنونها خارجة على هذه المقاسات بل نقضها ؟

كيف يحاولون دائما أن يخلعوا علينا جميع أثوابهم الجديدة والجميلة والنظيفة وأن يخلعوا عنا جميع أثوابنا القديمة والريثة والمتسخة ؟ كيف يريدون دائما أن يروا كعبتنا هي أقدم وأصل وأتقى وأنظف وأجمل وأعلى الكعبات وأقربها الى جبهة الاله والى ضميره واشواقه ، مصليا وساكننا ومتوجها ..

كيف يريدون أن يرونا ويجندونا كما يريدون أن يكونوا أي أكبر وأفضل وأجمل مما نريد أن نكون ؟ كيف يرونا كما يريدون أن يرونا لا كما يجندونا ويرونا ؟ كيف يصرون على أن يكرهوا عيونهم لترانا أجمل وأضخم وأنظف وأقوى مما ترانا ؟ كيف يريدون أن يؤلفوا عيونهم وأن يصوغوها لكي ترانا كما يريدون لنا لا كما نحن ؟ كيف يعاقبون عيونهم وعقولهم لكي تتحول الى تزوير والى زور في رؤيتها وفي تفسيرها لنا ؟

لكي ترانا أي عيونهم وعقولهم جمالا وضخامة مكذوبين مزورين ؟

كيف يفعلون كل ذلك أو يفعله فريق منهم بنا ولنا ومن أجلنا ؟

كيف لا يرهقنا الحرج والخجل من محاباتهم لضعفنا وتخلفنا ، ومن تدليلهم لنا وتحديقهم في مواهبنا ومزاينا التي لم توجد ؟

أجل ، انه ليجود دائما فريق منهم يصر على ان يفعل كل ذلك لنا وبنا ومن أجلنا بكل الصدق والبراءة والشهامة والحب ، وأيضا بكل الغفلة والسذاجة والانخداع ..

انهما سذاجة وانخداع المتفوق .. ما انبل واتقى واذكى سذاجة وانخداع المتفوقين ..

نعم ، انه لتوجد دائما طائفة في هؤلاء الآخرين المتفوقين ترانا وتجندا وتحسبنا وتعلن عنا وتعلننا اكبر واجمل واعظم واصدق مما كنا ومما نكون ومما نستطيع ونريد ان نكون ومما نعرف اننا قد كنا ، بل اكبر واجمل واعظم مما نتمناه لانفسنا ولحياتنا ولتاريخنا ..

كيف يتصوروننا ويريدون لنا اكثر واجمل مما تصورتنا وارادت لنا جميع آلهتنا ونبواتنا ؟

بل كيف تحدثوا عنا وقراونا وقرأوا لنا اذكى وأروع مما تحدث عنا وقرأنا وقرأ لنا جميع اربابنا وانبيائنا ؟

كيف هبطوا تحت جميع مقاييس الذكاء وتحت جميع مهابط الغفلة والاختفاء لكي يرتفعوا بنا ، لكي يفسروا أصواتنا بأنها كلام ولكي يفسرونا بأننا كائنات متكلمة بل عبقرية الكلام ؟

كيف ذهبوا بغفلة مذهلة يقرؤون أصواتنا ويحاورونها ويحاسبونها ويضعون عنها وفيها للدراسات ويتخاطبون معها وفيها وعنها ، ويستمعون اليها بل ويتحدثون عنها بعقولهم ونفوسهم ولخلاقهم وبكل مستوياتهم الحضارية والثقافية والانسانية ؟ كيف حولوا الاهتمام بأصواتنا وبنا نحن الكائنات المصوتة الى قضية حضارية وانسانية يفرضونها على جميع مواهبهم وقضاياهم ؟

كيف تحولت محاباتهم لنا وتصميمهم على أن يرونا ويجدونا وعلى أن نكون اكبر واعظم مما كنا ومما نكون ومما نستطيع ونريد أن نكون ، بل اكبر واعظم مما تريد لنا آلهتنا ونبواتنا ومما تستطيعه لنا وبنا ..

نعم ، كيف تحولت محاباتهم هذه وتصميمهم هذا الى فضح لذكائهم وكبريائهم وقدرتهم على رؤية الاشياء وقراءتها ولضعفهم النفسي والفكري في مواجهتهم لنا وفي تعاملهم معنا ؟

أجل ، أنهم ليتحولون الى ضعف شامل يستحق كل الرثاء كلما واجهونا أو قراونا أو فسرونا أو أحبونا أو خاصمونا ..

كيف تحولنا الى قهارين ومذلين لتفوقهم ؟ كيف حولنا الى قهارين وفضاحين مذلين لهم بضعفنا وتخلفنا ؟ كيف ذلل تفوقهم تخلفنا وذلت مواهبهم وحضارتهم لبدائتنا حتى لاصبح حقاً علينا أن نرثي لهم ، أن نحزن من أجلهم ؟ نعم ، كيف خلّفونا ورأونا وفسرونا أعظم وأكرم وأذكى مما خلقتنا ووهبتنا وفسرتنا جميع آلهتنا وانبيائنا ؟

ولكن نحن ماذا نريد أن نهب هؤلاء المتفوقين ، وماذا وهبناهم وماذا نستطيع أن نهبهم ؟ كيف رأيناهم ونراهم ، وفسرناهم ونفسرهم ، وماذا قلنا ونقول عنهم

وفيهم ؟ وماذا تمنينا ونتمنى لهم ؟ وبماذا اعترفنا لهم ، وروينا لهم وعنهم ؟
هل رأينا لهم سبقا أو مزية ؟ هل تقبلنا أن تنسب اليهم أية موهبة أو فضيلة
أو شيء ، لا نحسبه عارا أو فجورا أو غواية أو سقوطا ؟
هل وهبناهم غير الشوائم والبغضاء والتحقير ؟ وهل قلنا فيهم الاكاذيب
والاتهامات ؟

هل سعدنا بشيء مثل سعادتنا بسبهم واتهامهم وقذفهم وتحقيرهم بل وتجهيلهم ؟
هل تحدثنا عن أي ذنب من ذنوبنا أو عن أي تخلف أو هوان أو عجز أو بلاءة
أو مزية أو طغيان أو ظلم أو جهالة نعيشها من قبل أن يعيشها آباؤنا ، ويعيشها
آباؤنا من قبل أن تعيشها آلهتنا ونبواتنا ، وتعيشها آلهتنا ونبواتنا قبل أن تتعلمها
الاشياء والحشرات منها أي من آلهتنا ونبواتنا .

نعم ، هل تحدثنا عن اية عامة أو رذيلة من عاهاتنا ورذائلنا هذه دون أن
نعلن بكل الفرور والجرأة والوقاحة والفحش بأنهم أي هؤلاء المتفوقين هم الذين
علمونا أياما بل هم الذين زرعوها واستنبطوها في اخلاقنا وشهواتنا واعضاءنا
ولرضنا ، بل هم الذين أكرهونا عليها ، بل هم الذين دسوها بحيلهم وأساليبهم
الاستعمارية الامبريالية الصليبية الصهيونية - دسوها في نيات واخلق وتعاليم
أربابنا وانبيائنا وخلفائنا - بل دسوها في آيات قرآننا وفي بلاغة احاديث
نبواتنا ؟ ألم نجعلهم هم الجانين والعلمين حتى لبدوات وجهالات انبيائنا ؟ ألم
نجعلهم هم الذين قالوا وكتبوا ورووا وفسروا وحي انبيائنا ليجعلوه مزية وهجا
لنا ولانبيائنا ؟

الم نزعم ولا نزال نزعم أنه لولاهم لما وجد الشيطان ، ولو وجد لما
وجدت الشرور والآلام ، ولو وجدت لما وجدها أي الشيطان ولما عرفها ، ولو
وجدنا وعرفنا لما انتهى التحريض عليها ، ولو أتممت التحريض عليها لما عرف
كيف يحرض عليها ، ولو عرف ذلك لما جرؤ عليه ، ولو جرؤ عليه لما وجد من
يعلمه أو يثق به أو يفهم منه ؟ حتى الشيطان لقد كان محتاجا الي من يعلمه
فنونه . من علم الشيطان فنونه ومن جعله يريددها ويريد تنفيذها ويسعد بتنفيذها ؟
هل يوجد متعلمون بلا معلمين ؟ هل يولد الكائن متعلما ؟ كيف ولد الشيطان متعلما ؟
بل الم نزعم أنه لولاهم أي لولا هؤلاء المتفوقون لما استطاع الاله بل
ولما عرف أو انتهى تشويه الاطفال والشيوخ ولا ابتكار العاهات والآلام والاحزان
والامراض والموت والشيوخ ، بل لما تعلم أو عرف أو أحب أي الاله أي خلق من
اخلاقه أو شهوة من شهواته أو أي فن من فنونه التي لن يقبل أي فنان مهما كانت
مواهبه واخلقه وعاره وفحش ضميره وأفانيته ان يتهم بها ، بل التي لن يستطيع
أي فنان أن يهبط الى مستواها مهما كان هبوط مستوياته الفنية والنفسية والاخلاقية
والاجتماعية ؟ هل سأل المؤمن ايمانه : من جعل الاله يعرف ويشتهي ويمارس
اخلاقه وموهبته الفظة العدوانية الشاذة بلا نموذج أو قياس أو تفسير ؟ هل يمكن

ان يكون أي الاله قد علم نفسه أو أحب نفسه أو رضى عن نفسه بدون ان يكون له معلم أو ملزم لا شبيه له في وحشيته ونذالته وقبحه ؟ ..

بل ألسنا نزعم نصا أو تفسيرا ان هؤلاء هم الذين حرصوا الطبيعة بنية المؤامرة والكيد لنا - حرصوها على ان تجمع فينا ولنا وحدنا كل العبقريات المختلفة التي كان المفروض أو العدل ان تقسم على كل البشر أو ان يوهبوا جميعا بلا تمييز أو يوهبوا منها مقادير متساوية عادلة .

أجل ألسنا نزعم ان هؤلاء قد دبروا مع الطبيعة ان نخص وحدنا بجميع العبقريات البشرية ولادة وقدرنا وأن يحرم منها أي من هذه العبقريات جميع البشر لكي يغاروا وبخافوا منا ، ولكي يعادونا ويحسدونا ، ولكي يذهبوا حينئذ أي كل البشر الى آلهتهم المعادية لنا الحاقدة علينا لكي يطالبوها بأن تسحب كل اساليب الحركة والنشاط والذكاء من عبقرياتنا التي خصصنا بها دون كل البشر ، لكي تظل أي عبقرياتنا فينا خمودا ومواتا ، لكي نصبح حاملي عبقريات دون أي عمل أو عقل أو تدبير أو أي شيء عبقري ، لكي تتحول هذه العبقريات فينا الى جثث ونتحول نحن الى مقابر وتوابيت للجثث ، لجثث العبقريات ، لكي نصبح أعظم الناس وأنفسه الناس ، أعظمهم كمادفن وتوابيت ، وأنفهم كحياة وجود وتفكير وعمل ، لكي نصبح أعجب شيء في هذا الكون : خزائن فيها كل الاشياء وأعظم الاشياء دون أن تعطى أي شيء عظيم ، أو تخرج أي شيء عظيم ، أو يوجد فيها أي شيء عظيم ، أو ينتظر منها أي شيء عظيم ، بل ودون أن تتلملأ أو تقاسى من احتوائها لكل الاشياء العظيمة دون ولادة أو تفريغ أو عطاء أو تعبير ملائم مريح ؟

نعم ، ألسنا نحن كل المخازن لكل العبقريات دون ان نعطي اية عبقريّة أو تتفجر فينا لية عبقريّة ؟ ألسنا الحبالى الذين لا يلدون ولا ينتظر منهم ان يلدوا ؟ أجل ، ألسنا نزعم كل هذه المزاعم عن هؤلاء المتفوقين ، نزعمها بالنص أو بالتفسير أو بالنص والتفسير ؟ نعم ، أننا ان لم نزعم هذه المزاعم أو ان لم نزعم بعضها بالنطق والاعلان فأننا نزعمها كلها بل وأكثر منها بالنية والمعنى والتفسير . ولكن هل نخاف نحن من أي عار لكي نلجأ الى الاخفاء والنية ؟

كم هي هائلة وفضيعة شنائنا واتهاماتنا لهؤلاء المتفوقين . كم هي عظيمة وكثيرة وكريمة هدايانا اليهم . . هل وجد أو هل يمكن ان يوجد شاتمون متهمون مثلنا ، أو مشتمون متهمون مثلهم ؟ هل وجد غافرون واهبون متسامحون محابون منكرون لانفسهم ولتفوقهم ولعطاياهم مثل هؤلاء ، أو وجد جاحدون معتدون متوقحون مسيئون مغرورون مثلنا ؟ ولكن هل غررونا غرور ، أم هو فضح لعجزنا وتخلفنا وفحشنا وعلان عن عدوانيتنا قد جاء بأسلوب الغرور ؟ اليس الغرور شيئا أسمى وأتقى من الوقاحة والبغضاء والنفاهة والحقد والتناول على المتفوقين ؟ هل الصرصار مغرور مهما كانت بذاءاته ؟

هل وجدت علاقة بين سخاء وعطاء وصداقة وتواضع وضخامة واحسان وبين تكفوران ونذالة واساءة وسباب وادعاء وكبرياء وضلالة مثل العلاقة التي بيننا وبين هؤلاء المتفوقين الذين وهبونا واحبونا وحابونا بلا حدود أو مثال ، حتى لقد بالغوا وبالغوا في ذلك حتى زعمونا كائنات متكلمة لا مصوتة فقط كما نحن ، وحتى زعموا اصواتنا كلاما يقرأ ويكتب ويسمع ويحاور ويدرس ويحاسب كما يحاسب الكلام بل كما يحاسب الكلام الجيد بل العبقري ..

كيف تطبق عيون الاشياء وضماثرها أن تحقق في هذه العلاقة بيننا وبين هؤلاء ؟ كيف تطبق الاشياء رؤيتنا والصمت عنا ؟

هل ضماثر الاشياء وعيونها بليدة أو وقحة أو عمياء أو عدوانية الى هذا المدي ؟ كيف تطبق عيون الالهة أو ضماثرها أو شهوتها للعدل وللشهامه والوفاء ذلك ؟ هل يمكن أن تكون قد بقيت للالهة عيون أو ضماثر أن كانت قد وجدت لها عيون أو ضماثر - هل يمكن أن تكون قد بقيت لها عيون أو ضماثر وهي تواجه وتعالش كل هذا الذي يحدث ، هذا الذي يواجهه كل من لهم عيون وضماثر ؟ هل يمكن تصور سباب للالهة مثل الزعم بان لها اي للالهة عيون أو ضماثر أو مثل الزعم بان عيونها وضماثرها لم تتفجر ذعرا وهربا واستحياء ؟

وهل يمكن أن يوجد أو يبقى في مواجهة هذا الكون من خلقت فيهم أو بقيت لهم عيون أو ضماثر ؟ اليس كل ما يحسب عيون وضماثر انما هو جثث عيون وضماثر مفرغة من كل معانيها ؟

اليس محتوما أن تقتل مواجهة هذا الكون أقسى وأقوى وأفجر العيون والضماثر حتى ولو كانت في قسوتها وبذاتها وفجورها مثل عيون وضماثر الالهة والملائكة والانبياء الذين جاءوا ليتحدثوا عن رحمة ورقة وكرامة وشهامه وحب عيون وضماثر الالهة والملائكة ، الملائكة الذين كل عملهم وتقواهم أن يقرؤوا ويفسروا كل عيون وضماثر الالهة - أن يقرؤوها ويفسروها بأعداد الجحيم وصياغته وحراسته وبجمع التوقود والطعام له اي للجحيم ، وبانزال الموت والعذاب والدمار بالمدن النائمة ، وبإيقاع العاهات والتشوهات بالشيوخ والاطفال والضعفاء والابرياء ، وبالتجسس والكتابة والاحصاء على خفيات القلوب ومساتر الشهوات ، وعلى قراءة العيون للعيون ويفسرون ويقرؤون بذلك عيون الالهة وضماثرهم وحبهم وتقواهم ورحمتهم ؟

ولكن هل توجد قسوة أو عدوانية مثل قسوة وعدوانية من يفترضون للالهة في الملائكة أو للانبياء عيون أو ضماثر ؟ وهل يمكن أن يغفروا أي الالهة أو الملائكة في الانبياء لمن يفترضون لهم عيون أو ضماثر ؟

أن احتمال وجود عيون أو ضماثر مواجهة لهذا الكون ليس أفضل من احتمال وجود زهرة حية داخل جسم الشمس ..

كيف أمكن أن نصوصغ علاقتنا بهؤلاء كما صفناها ؟ أو كيف أمكن أن نعامل بكل هذا العدا والبغضاء والجحود هؤلاء الذين عاملونا بكل هذا الحب والصداقة والعطاء

والسقاء والمحابة ؟ هل يمكن أن يكون لهذا تفسير أو سبب يمكن أن يفهم أو يقبل ؟ نعم ، اننا نملك موهبة لعل أحدا غيرنا لا يملكها ولا يستطيع امتلاكها . . . نملك موهبة العدوانية ، عدوانية النفس والاخلاق واللغة . اننا نملك هذه العدوانية بعبقرية لن ينافسنا أو يبارزنا فيها أحد أو شيء . . .

اننا نعلادي ونبغض كل شيء وكل أحد . ولكن هل نصدق أو نهبط في عداوتنا وعدواننا وبغضنا مثلما نصدق أو نهبط حينما نهبط عداوتنا وعدواننا وبغضنا للتفوق والذكاء والمظلة والعبقرية والبطولة والصدق والحب والجمال وكل شيء ولكل أحد جيد أو نظيف أو كريم أو عظيم ؟

نعم ، ان لنا اذن لعبقرية دون اي منافس أو مبارز فيها أو عليها . . . هل وجد من يملكون اية عبقرية دون ان يكون لهم منافسون أو مبارزون ودون احتمال وجود منافسين أو مبارزين كثيرين ودائمين ومخيفين جدا ؟

نعم ، لقد وجد هؤلاء المالكون للعبقرية دون وجود أو احتمال وجود اي منافسين أو مبارزين . لقد وجدنا نحن مالكيين لهذه العدوانية ، لهذه العبقرية في العدوانية دون لن نخشى وجود اي مبارز أو منافس . . .

لقد تفردنا دون كل البشر في انه لا مبارز ولا منافس لنا على عبقريتنا هذه ، على اعظم واشهر عبقرياتنا . . .

ان عبقريتنا أو موهبتنا أو عدوانيتنا هذه بلا نموذج في قوتها وشمولها ووحشيتها واصالتها وفي عمايتها ونذالتها ايضا . وهل عار أو ذنب ان تكون عبقرية قوم بلا شبيه في نذالتها أو في عمايتها وخستها ؟ أليست العبقرية في الخسة والنذالة والعماية عبقرية ايضا ؟

ان اي قوم سوانا لا يستطيعون امتلاكها كما لا يستطيعون مقاساتها أو تنفيذها بالاسلوب الذي ننفذها به . . . اننا اذن مخصصون أو متفوقون مرتين : مرة لاننا نملك عبقرية لا يستطيع احد سوانا ان يملكها ، ومرة اخرى لان احدا سوانا لا يستطيع ان يقاسيها أو ينفذها مثلما نستطيع نحن .

ان هذه العبقرية تعني الكره والحقد والاتهام والسباب والتحقير بالنفس والنية والشهوة وبالاخلاق واللغة وبكل اساليب التعبير ، لكل أحد في كل المواقف . ان احدا ما لا يستطيع ان ينجو أو يعفى من معاملتنا له بكل ذلك . ولكننا حتما نوزع خباثتنا هذه على جميع البشر الذين نشعر بهم أو نواجههم أو نتعامل معهم أو حتى نعلم بوجودهم ، توزيعا مختلفا ومتفاوتا . . . اننا عالميون في عدواننا النفسي والاخلاقي واللغوي . انه لا مثيل لنا في عالميتنا هذه ، في عدوانيتنا العالمية . . .

ان افضل البشر وانظفهم واتقاهم وأعظمهم وأكثرهم عطاء للحضارة وللانسانية ولنا ايضا لا بد ان نخصهم بالاكثر والاقسى من عطايانا الشريرة هذه .

اننا لا بد ان نهب الزهرة الاكثر عطرا من عدواننا وبغضائنا اكثر مما نهب الزهرة الاقل عطرا او مما نهب اللبنة الشريرة .

ان التفاوت في توزيعنا لشؤوننا هذه ليس عن تدبير او تفكير او عن اي حسابات ، بل عن طبيعة وموهبة ذاتية كالبلادة وكقصر القامة وضعف العضلات . . . ان تخصيصنا للافضل او للانظف او للاعظم بالكره او العدوان عليه ليس عن تدبير او تفكير بل عن موهبة وغريزة .

ان احدا لا يستطيع ان يعالجنا من عدوانيتنا هذه عليه بان يكون عظيما او نظيفا او فاضلا او مهذبا او انسانيا او صديقا او معظيا او محبا او محابيا لنا ، بل انه بذلك يحرص ويؤجج عدوانيتنا عليه اكثر واقسى . اننا نكره الشيطان كراهة خطابية لا نفسية لاننا علمنا انه ليس عظيما ولا يفعل شيئا جيدا من اجلنا . ولو انه اصبح عظيما وصديقا لنا ويفعل من اجلنا وعرفنا ذلك لكرهناه كراهة واقعية لا خطابية . . . ساذج جدا هو ذلك المتفوق او اولئك المتفوقون في حضارتهم او قوتهم او رخائهم او في لجازاتهم العلمية والفنية او في تسامحهم وحریاتهم او في اي اسلوب من اساليب حياتهم . .

– نعم ، سانجون اولئك المتفوقون في اي شيء من ذلك حينما يحاولون ان يصحوا عدواننا النفسي والاخلاقي واللغوي عليهم – ان يصدوه عنهم او ان يشفونا منه بان يهبونا ويفعلوا من اجلنا ما لم يستطع جميع آلهتنا وانبيائنا وآبائنا ان يهبونا او ان يفعلوا من اجلنا شيئا منه . ويصبح هؤلاء سانجين ومصابين بالغفلة اكثر لو انهم ارادوا او فكروا ان يصحوا عدواننا هذا اكثر بان يكونوا شرفاء واتقياء واصحقاء ومحبين محابين لنا بلا حساب ، وانسانيين ومتواضعين ومفكرين لانفسهم ولزايهم ، اي مع اعطائهم لنا ما لم يستطع جميع آلهتنا وانبيائنا وآبائنا ان يعطونا شيئا منه . . احذر ايها الفكي او القوي او الابي او المختصر او النافع للحياة احذر فاننا لا بد ان نهلك ونشتمك وننتهك بقدر ما تكون ذكيا او قويا او ابيا او منتصرا او نافعا .

انه لا شيء يستطيع ان يشفينا من عدوانيتنا هذه . ان اكثر واقوى ما يمرضنا بموهبتنا هذه ، موهبة العدوان النفسي والاخلاقي واللغوي – ان اكثر واقوى ما يمرضنا بذلك هو ما يحسبه كل العالم شفاء لكل امراض هذا العدوان . ان محاولة هذا وقتنا بهذا الدواء الذي يحسبه جميع البشر علاجا لكل داء ليست الا احدثنا للداء وتضخيما وتاجيجا له . .

ان ما يداوى به الناس لا ينبغي ان نداوى به نحن . . ان امراضنا ليست كأمراض الناس لهذا فان لحيوتهم ليست لنا اموية .

اننا نعادي هذا للداء بقدر ما نجد من مزايا وعطاء وصداقة وحب ومحابة لنا فيمن نعادي . . اننا نكره بقدر ما نجد من حب ونفع لنا فيمن نكره . . نكره ونعادي

بموهبة لا تستطيع ان تهبط اليها الوحوش او الحشرات .. ان الحقد والبغضاء فيها موهبة ، موهبة معادية ومضادة لكل موهبة ..

اننا نبغض القمر ونشتمه وننتهمه بقدر ما يهبنا من نوره وهدايقه وحنائيه حينما نسير في صحارى الضلال والظلام والضياح والحيرة والبدواة .

اننا لنعادي القمر ونراه دميما وعوا ومتآمرا علينا وسارقا منا النور والجمال والحب بقدر ما يريد ان يضع كل النور والحب والجمال والتقوى في عيوننا وقلوبنا واخلاقنا وفي جميع آفاقنا . هل الشمس والقمر الا متآمران ليسرقا منا النور حينما يبدوان وكأنهما يريدان ان يحايانا بكل نورهما ؟

اننا لنتهم القمر بالظلام والدمامة بقدر ما نجد فيه وبقدر ما يكون فيه من اشراق ووسامة . اننا لنسبه ونذمه بقدر ما يفعل لنا ما يوجب ان نحبه ونمتدحه ..

اننا لنبغض ونذم وننتهم دائما حينما يجب ان نحبه ونمدح ونشكر ونثق ونعجب . اننا لنبغض السحاب ونلعنه وننتهمه بسرقتنا وبمعاداتنا وبالتآمر والكيد لنا بقدر ما يستقي ويحيي ارضنا ، وبقدر ما يجن في محاباته لنا حتى ليهبنا كل غيثه ومائه الذي فرض عليه وطلب منه ان يوزعه على كل المروج والصحاري الجائعة اليه المنتظرة له ..

اننا لننكر الطبيب ونشنع عليه ونصليه بأوقع تهمنا ولعناتنا بقدر ما يكون ماهرا شافيا مخلصا حفيا بنا .. ان اعظم واتقى طبيب لن يستطيع ان يشفي او يحمي نفسه او ان يلحقها ضد شتائنا واتهاماتنا واحقادنا وبغضائنا بل او ضد غرورنا وكبريائنا وتحقيرنا له ..

نعم ، السنن اليوم ودائما نعادي وتبغض ونلعن ونحقّر كل مجتمع وشعب بقدر ما يكون حرا ومتسامحا وصانعا للحضارة والتقدم والرخاء ، وبقدر ما يكون شافيا لنا وللشعب جميعا من التخلف ومن الجاهلية والبدواة ، بل وبقدر ما يكون منقادا لنا من الاستعباد ومن الاحتلال ومن الغزاة ومن تاريخنا الذليل الجاهلي المهين ، وبقدر ما يكون ميالفا بجنون في حبه وتمجيده لنا حتى ليذهب يملأ اصواتنا كلاما بل كلاما عبقريا يقرأ ويفسر ويدرس ويحفظ ويحاور ويخاطب وتقام المآثرات بينه وبين اي كلام بل بينه وبين اعظم كلام - بل حتى ليبالغ في حبه وتمجيده لنا الى ان يذهب يعلم ويتعلم اصواتنا ملنا انه انما يتعلم ويعلم كلاما لا اصواتا لا تحمل براءة الاصوات ولا جمالها ولا تواضعها ولا حباها او صداقتها او روحانيتها او استحياءها او موسيقاها او شاعريتها ؟ كم هي مظلومة ومساء اليها جميع اصوات الكائنات الاخرى التي هي دون الانسان حينما نتواضع او حينما نتكبر ونقول ان كلامنا ليس الا اصواتا مثل اصوات الكائنات الاخرى ..

اذن اليس هذا يعني اننا نعادي ونكره ونلعن وننتهم ونحقّر الشيء والانسان بقدر ما يكون مستحقا للنقيض ؟

ولكن اذا كنا نقسو كل هذه القسوة المفضة الشائمة المتهمة المحقرة على من يهبوننا كل الحب والصدقة والتمجيد والمحابة ، وعلى من اخرجونا ويخرجوننا من جميع صحارنا المتوحشة المجدية الكثيبة البليدة الجاهلية - صحارنا التاريخية والحصارية والعقلية والاخلاقية والنفسية والانسانية بل وصحارنا الدينية ، او يحاولون ان يفعلوا لنا وبنا ذلك ، اي يخرجونا من كل تلك الصحاري •

نعم ، اذا كنا نقسو كل هذه القسوة بعداوتنا وبغضائنا وشتائنا وتحقيرنا على كل من يفعلون شيئا جيدا لنا وللشعر جميعا فلماذا اذن جاء موقفنا من الاله خارجا على اخلاقنا هذه ؟

لجل ، اننا فيما نعلن نؤمن بان الاله كائن عظيم وجميل ومحب وصديق وانه نكبي ونظيف وخير ورحيم ووماب وخادم مخلص لنا ، وانه لا يفعل او يريد او يدبر الا الاشياء الجيدة والنافعة والعظيمة بل وانه هو وحده الفاعل لكل الاشياء الجيدة والعظيمة والنافعة ...

اننا في اعجابنا بالاله وثنائنا عليه لحارجون على جميع صيغ وشروط الوتر والذكاء والصق والرؤية •

السنا نعتقد فيما نقول ان الاله يساوي في مزاياه الذاتية الشخصية وفي مزاياه المتعدية الفاعلة للآخرين ولنا ولكل احد ولكل شيء يساوي اي الاله في مزاياه هذه وهذه هؤلاء المتفوقين الذين نههم كل عدوانيتنا النفسية والاخلاقية واللغوية ؟ نعم اننا نزعم لاله كل المزايا التي هي بعض مزايا هؤلاء المتفوقين الذين كل مجدا وتقوانا ان نبغضهم ونشتهمهم وننتهمهم ••

اذن فلماذا لم نعاده هذا العدا كما عادينا هؤلاء الآخرين المتفوقين ؟ لقد عادينا هؤلاء المتفوقين لمزاياهم التي تحولت الى مزايا وعطاء وانقاذ وتحرير وتكريم ورخاء لنا - فكان منطق عدائنا هذا يوجب ان نعادي اي الاله بكل هذه القسوة والشمول كما عاديناهم لانه هو ايضا له كل هذه المزايا التي لهم كما نؤمن ونعلن ، او له - اذا اردنا ان نكون حذرين وصادقين - بعض هذه المزايا • لان كل مزاياها هي ان نعادي اصحاب المزايا ، لانه محتوم علينا ان نسب ونبغض وننتهم جميع المتفوقين ولا سيما اذا تحول تفوقهم الى محابة والى عطاء لنا •

لا بد من البحث عن تفاسير لهذا •

قد يكون التفسير اننا لا نؤمن بوجود هذا الاله المزعوم للبتة ولهذا نحبه ونمجده وننسب اليه كل شيء بنية الامتداح والتعظيم والعبادة • وقد يرضي شهامتنا ان نفعل هذا ونهب كل هذه المزايا والامجاد والصلوات لكائن ليس موجودا • ان ما ليس موجودا وما لا يمكن ان يكون موجودا ان يصنع فينا حقا او حسدا او بغضا مهما كانت مزاياه المعروءة والمكتوبة والمطعة ••

اننا نبلاء وكرماء جدا لهذا لا نغار من ضخامة مزايا كائن ليس موجودا ولن يكون موجودا ، كما لا نعادي مثل هذا للكائن . بل اننا لاننا كرماء ونبلاء بلا قياس نذهب نبالغ جدا الى حد الافتضاح في تمجيد وحب هذا الكائن الذي لم يوجد ولن يوجد وفي تجميع كل الامجاد والمزايا والعظمة في ذاته وتحت سلطانه . اننا شجعان وشامخو النفوس والاخلاق جدا ، لهذا لا نخاف اي كائن ليس موجودا كما لا نغار منه او نحقد عليه او نهاب منافسته وتفوقه ..

اننا لن نقاسي كثيرا ولا قليلا لكي نقنع بهذا التفسير ، اي لكي نقنع باننا لا نؤمن بوجود بل ولا باحتمال وجود هذا الكائن المسمى الها . بل ان كل المقاساة في ان نحاول الاقتناع بوجوده او باحتمال وجوده او الاقتناع باننا نؤمن بوجوده او باحتمال وجوده ..

اننا حتما لسنا ملحدون لان الاحاد مستوى صعب ومعقد من التفكير والتفسير والبسالة والاشترط والغضب الانساني والاخلاقي ومن الرؤية الشاملة البعيدة المحاكمة المحصية . وهل نستطيع كل هذا ؟ ولكننا حتما لسنا مؤمنين بهذا الاله ، باوصافه التي نزعها كما نعلم وعلن وندعي ..

هل يوجد اي احتمال باننا نؤمن بوجوده او باحتمال وجوده ثم نحيا كما نحيا ، بل ثم نبقي دون ان نحترق ونذوب او نموت او نتحرق او نصاب بكل اساليب الجنون ومعانيه ؟ ان وجودنا كما نحن موجودون لا يترك اي احتمال لايامنا بوجود هذا الكائن المسمى الها او باحتمال وجوده . ان حياتنا وسلوكنا لا يدلان على نفي شيء مثلما يدلان على نفي هذا الاله الذي لا نتحدث عن شيء مثل تحدثنا عن الايمان به .

كذلك هل يوجد اي احتمال لان يكون هذا الكائن المسمى الها موجودا ثم يصمت على ما هو كائن وعلى جميع مواجهاته دون ان يغير او يصلح او يعاقب او يموت او ينتحر ياسا وغضبا وحزنا وخجلا وحقدا وكرامة ، ودون ان يخرج من احتجابه او يقدم من اغترابه او يهبط من فوق سحابه عاريا صارخا لاطما ناديا قائما مستغيثا مستغفرا ؟ ان صمت الاله وصبره على نفسه وعلى مواجهاته صمت وصبر لا يمكن ان يوجد من يستطيع فهمهما وتفسيرهما او غفرانهما بل او تصورهما او اقتراحهما ..

ان الاله لو كان موجودا وموجودا بالصفات التي ندعيها له ثم كنا حقا نؤمن به او ثم آمنا به ، ثم عشنا حياتنا ووجودنا وانفسنا كما نعيشها وكما عشناها دائما لكان غضبه علينا اقسى من غضبه علينا لو اننا لم نؤمن بوجوده بل لغضب علينا لاننا كنا مؤمنين به ومع ايماننا هذا بقينا كما بقينا وواجهنا انفسنا والاشياء كما واجهناها ، ولم يغضب علينا لاننا لم نؤمن به . ان ايماننا حينئذ به لن يكون الا لوقح اساليب التحقير والاهمال والاستهزاء والتطاول .. ان ايمانك بالاله موصوفا

بأوصافه التي تحفظها يجب ان يقتل فيك كل شهواتك وصفاتك والا كنت اوقسح
سباخر منه معير له كاذب عليه .

ولكن اذا كان هذا التفسير صحيحا ، اي اذا لم نكن نؤمن بوجود هذا الاله ولا
باحتمال وجوده فلماذا اذن نتحدث بكل هذا الشمول والديمومة والترويع وبكل هذه
الاهوال والتهاويل وبكل هذا النزق والافتضاح عنه ؟ بل لماذا حينئذ نتحدث عنه اي
حديث ؟ هل نبيع الحديث الى كائن لا وجود له ؟ هل يوجد من يبيعون نفاقهم وملقهم
وهوانهم لمثل هذا الكائن الذي لا وجود له ؟ هل ينافق غير الموجود السامع الحاضر
القبيل ؟

لعلنا نتحدث عنه كذلك لاننا لا بد ان نتحدث عن شيء موجود ومعقول وجيد
باسلوب معقول جيد ، او عن شيء غير موجود وغير معقول وغير جيد باسلوب ليس
معقولا ولا جيدا . لعلنا لا بد ان نتحدث بتضخيم وتهويل عن انفسنا او عن غيرنا
بصدق وذكاء او بلا صدق وبلا ذكاء . لعل الاله لم يكن معنيا بحديثنا ، ولعل اوصافه
لم تكن معنية او مرادة او مفهومة او مفهوما او مقصودا ان تكون امتداحا او ذما . لعل
المعنى بالحديث عن الاله هو نفس الحديث لا الاله ..

لعلنا لا بد ان نتحدث عن شيء مثير وكبير نجده او نتصوره ، نصنعه او يصنع
لنا ومن اجلنا ، نملكه او ندعي امتلاكه او احتمال امتلاكه . ونحن لم نجد او نصنع
او نملك هذا الشيء المثير الكبير فذهبنا نتصوره وندعي امتلاكه وصنعه من اجلنا
ولنا ، وذهبنا نتحدث عنه بهذا الجنون الذي لا جنون يساويه او ينافسه .. نعم ، ان
كل جنون لا يستطيع ان ينافس جنون البشر في حديثهم عن الاله وفي تعاليمهم عنه
وفي فرضهم له على انفسنا وعلى الآخرين ..

لعل التحدث عن المحالات والبشاعات وعن اقبح القبحات والحماقات بلا صدق
ولا ذكاء ولا وقار او محبة او معرفة او اقتناع وبلا منطق بل بالخروج على احتمالات
المنطق كلها .

نعم ، لعل التحدث كذلك هو كل موهبة المتخلفين والعاجزين والتافهين وكل
حضارتهم ونشيدهم وعزائمهم وامجادهم .. وهل يمكن ان يقبل اي قوم انفسهم
او ان يتصوروا انفسهم بلا اية موهبة او حضارة او عزاء او نشيد او امجاد اي في
حساباتهم وتفاسيرهم لذلك ولانفسهم ؟

وقد كان التحدث عن الكائن المسمى الها بالاساليب التي نتحدث بها عنه هو قمة
التحدث عن اقبح المحالات والبشاعات والسخافات والحماقات وعن اقبح اساليب
الخروج على الذكاء والمنطق والصدق والوقار والمعرفة والرؤية والاقتناع . لهذا كان
الاقتناع بالحديث عنه بهذا الاسلوب هو قمة الافتتان البشري لانه قمة الافتتان
بالحديث عن البشاعات والمحالات والقبح .

لعل شيئاً ما لا يساوي في همجيته اللغوية والحضارية والانسانية تحدثنا عن
الاله بالاساليب التي نتحدث بها عنه . لعل الانسان في كل تاريخه لم يهبط في اي
مهبط من مهابطه مثل هبوطه في رؤيته للاله وفي تصوره له اعني في لغته عنه اي في
تحدثه عن صوره ونماذجه وعن مطامحه واهوائه واحتياجاته وانانياته وعن ممارساته
لنطقه ولاخلاقه ولرضاء وغضبه وحبه وبغضه . .

هل يوجد نموذج لاي كائن تشبه بشاعته بشاعة نموذج الاله في حديث الانسان
عنه وفي تحدثه اليه ؟

ان البشر لم يفضحوا شيئاً ولم يفتضحوا بشيء مثلاً فضحوا الاله وافتضحوا به
اي في حديثهم عنه واليه وفي حديثهم عن تصورهم ورؤيتهم وتفاسيرهم له ولنماذجه
النفسية والمنطقية والاخلاقية والسلوكية والتاريخية . هل يوجد قبح كقبح نماذج
الاله الاخلاقية والنفسية والمنطقية والسلوكية والتاريخية في تصور للبشر له ؟ هل
يوجد صغير وشاذ جداً في حبه لنفسه وفي رؤيته لها وفي عرضه وتحليله لها مثل الاله
في تصور المؤمنين به له ؟

هل يمكن ان يصغر اي طفل في حبه لنفسه وفي تعبيره عن حبه هذا مثلاً يصغر
الاله في حبه لنفسه وفي تعبيره عن حبه هذا مثلاً يصغر الاله في حبه لنفسه وفي
تعبيره عن حبه لها ؟

ومن الممكن ايضاً ان يكون التفسير لذلك اي لكوننا لم نعاد او نبغض او نشتم
الاله الذي نصفه بكل المزايا وبكل معاني التفوق بالاساليب التي نعادي ونبغض
ونشتم بها اليوم ودائماً كل اصحاب المزايا والتفوق ولا سيما اذا حولوا مزاياهم
وتفوقهم الى انقاذ وتحرير لنا من صحرائنا الانسانية والمكانية بل والروحية .
نعم ، قد يكون التفسير لذلك اننا لا نؤمن بالمزايا التي ندعيها للاله ، بل نؤمن
له بنقيض كل المزايا ، بنقيض كل مزايا هؤلاء المتفوقين الذين وهبونا كل شيء جيد
عندهم ووهبناهم نحن كل شيء رديء وبذيء عندنا ، اي وهبناهم كل ما عندها اذ لا
شيء عندها غير ما وهبناهم اي غير الشوائم والبغضاء والحدق والاتهام والزور
والادعاء .

قد يكون هذا هو التفسير في اعماقنا العدوانية البذيئة ويكون التفسير لثنائنا
على الاله ولادعائنا حبه وتمجيده انه نقيض لهؤلاء المتفوقين . نقض لجمع مزاياهم . .
نعم قد يفسر ولاؤنا للاله او اعلاننا الولاء له بكونه لا يملك اية مزية من مزايا
هؤلاء المتفوقين ، بكونه نقيضاً حاداً لهم في مزاياهم . .

لقد وجدنا بدون ان نعرف ان ثنائنا عليه وتمجيدينا له هو سبب وتحقير واتهام
وعجاء لهؤلاء المالكين للمزايا التي لا يملك منها شيئاً بل التي يملك نقيضها . ولعل
منطقنا في هذا يعني ان الثناء على الشيء والحب له ان يكونا الا بغضاً وسباً لنقيضه . .
قد يكون من المنطق ان امتداح الكذب والخباء والجبن والبدواة لا بد ان يعني ذم
الصدق والذكاء والبسالة والحضارة . كما ان امتداح الاله الناقص في كل اخلاقه

وكيئونات وقدراته لكل مزايا هؤلاء المتحضرين المتفوقين قد يعني - في حسابنا ومنطقنا - هجاء هؤلاء المتحضرين المتفوقين وهجاء تفوقهم وحضاراتهم وجميع مزاياهم . لهذا نمدحه اي نمدح الاله لاننا لا بد ان نهجو ونسب ونبغض هؤلاء المتفوقين الذين حررونا وانقذونا من صحراواتنا الانسانية والمكانية والذين وهبونا كل الاشياء الجيدة - اعني ان كانت عندنا اشياء جيدة واعني ان كنا قد حررنا او تحررنا من صحارانا تلك . اعني ان كان شيء ما او احد ما او خارق او ساحر ما يستطيع ان يجعلنا نستطيع تقبل الاشياء الجيدة او ارادتها او الاستجابة لها او التكافؤ معها او الكثرة عليها وعلى معاشيتها ، او يستطيع ان يجعلنا نقبل التحرر من صحارائنا الارضية او التاريخية او نستطيع هذا التحرر او التحرير او نستجيب لمن يريدون ان يفعلوا بنا ولنا ذلك ..

ان وفاءنا لصحرائنا الانسانية والمكانية قد يعجز جميع المحاولات لخراجنا منها ..
ان قدرة بعض الناس او بعض الشعوب او بعض المجتمعات او بعض السلالات على ان تصنع بها ولها الحضارة والتقدم قد تكون اصعب واعجز من قدرة شعوب او مجتمعات او سلالات اخرى على ان تبتكر الحضارة والتقدم مبتدئة . ان صنع الحضارة لك او بك او توقيعها عليك اي ان جعلك متحضرا بالاكراه او بالحيلة والاغراء قد يكون اصعب من ان يبتكر غيرك الحضارة ابتكارا ..

نعم ، ان بعض الشعوب او السلالات أو المجتمعات لتستطيع أن تبتكر الحضارة التي لم تكن حتى ولا خيالا في تصورات وحسابات غيرها اكثر مما تستطيع شعوب او مجتمعات او سلالات أخرى ان تتقبل هذه الحضارة أو تفهمها أو تستطيع أو تعرف أو تريد معاشيتها ، مقدمة اليها بأسلوب الاهداء ، بل مرفوعة اليها بكل اساليب ونيات للتدليل والاغراء والمحابة والمغازلة بل بكل اساليب التضرع والتخضع والحب والصدقة ، بل وحيانا بكل اساليب الاحراج والاضطرار والالزام ، لكي تتفضل بالقبول مشكورة ممجدة ..

اجل ، لقد صنع هؤلاء المتفوقون الذين كل مجدنا وعبقريتنا وتديننا ان نكرمهم ونستهمهم ونعاديهم ونتهمهم - صنعوا لنا كل ذلك لكي نتقبل الحضارة التي ابتكروها ، لكي نتقبلها مرفوعة اليها بكل هذه الاساليب والنيات ، اساليب ونيات للتدليل والاغراء والمحابة والمغازلة بل والتضرع والتخضع والحب والصدقة ، بل وبكل اساليب ونيات الاحراج والاضطرار والالزام . فهل استطعنا او اردنا تقبلها او فهمنا كيف نتقبلها او كيف نعاشيها او نتكافأ معها ؟ أليس العجز عن ابتكار الحضارة معنى من معاني العجز عن تقبلها وعن معاشيتها اي احيانا لا دائما كما ان القدرة على ابتكارها تعني حتما القدرة على تقبلها وعلى معاشيتها ؟

وقد يكون هذا التفسير لدعائنا حب الاله وتمجيده والامتداح له تفسيراً محتملاً جداً بل قد يكون تفسيراً مختاراً وممتازاً ..

ذلك ان التفسير البديل لهذا التفسير - وهو اننا حقا وصدقا نؤمن للاله بالمزايا التي نزعها له - تفسير يصعب تقبله بل يصعب تصوره بل قد يكون محالا تقبله مهما كان ممكنا تصوره . ان تقبل التفسير الحزين او الاليم او الكريه او القاسي افضل من تقبل التفسير المستحيل او البليد - افضل لعقل المفسر والمفسر له ، وافضل لاخلاقيهما ولكرامتهما الانسانية ..

على جميع المستويات العقلية والمنطقية والاخلاقية والتصورية كيف استطاع الافتراض او الاقتناع او التقبل بان اله هذا الكون وهؤلاء البشر - ان كان يوجد او لو كان يوجد اله - يملك اية مزية من المزايا النفسية او الفكرية او المنطقية او الفنية او التصورية او العلمية او الاقتصادية او الاخلاقية او حتى العاطفية ؟ اليس كل شيء في هذا الكون وفي هؤلاء البشر يناهي بكل القسوة والشمول اي احتمال لوجود مثل هذه المزية ؟

كيف استطاع الافتراض او الاقتناع او التقبل ان كائنا ما يصنع ويواجه ويعايش ويدبر كل هذه الالام والاحزان والعاهات والصرخات والانين والتضرعون اي مجيب ، وكل هذه المظالم والطغيان والعدوان والفساد والعبث والنقائص والفوضى والتناقضات والاسراف والنشع والضخامة والضالة والايجاد والاعدام والحب والبغض والضحكات والمناحات ، وكل ما هنا وهناك وكل ما قد كان وما هو كائن وما قد يكون وما لا بد ان يكون وما لن يكون .

نعم ، كيف يمكن الافتراض او الاقتناع او التقبل ان كائنا يدبر ويريد ويصنع ويواجه ويعايش كل ذلك بالصمت والوقار والهدوء البليد ، بل المميت في بلادته - كيف يمكن الافتراض او الاقتناع او التقبل ان مثل هذا الكائن يملك او يعيش اي قدر من الرحمة او الحب او العدل او الشهامة او الكرامة او الكرم او الذكاء او المنطق او البراعة او الشجاعة او الحضارة او العلم او الرؤية او الحياء او أي معنى من المعاني التي عرفتها او مجدتها أو علمتها أو طمحت اليها الحضارة بل أو البدواة؟ حتى البدواة انها في جميع مستوياتها ونماذجها أعظم من هذا الكائن الاعلى الذي دبر وخطط وصاغ هذا الوجود . ان جميع مثل البدواة لاسمى من جميع مثل هذا الكائن ..

ان الاقتناع بان الصرصار او البرغوث او جرثومة السل او اي وحش يملك ويعيش كل الرحمة والحب والنظافة والكرامة والذكاء والعلم والعقل والحكمة والحياء والشجاعة وكل العبقريات الاقتصادية والفنية والشعرية ، وانه هو الذي علم الانسان كل مستوياته وفنونه الحضارية والانسانية والاخلاقية ، وعلمه جمال ممارسة الجنس وكيف يمارسه بعبقرية ، ولئه هو الذي علمه ابتكار الارباب والنسبوات والمذاهب والاخلاق التعليمية والايمان بها دون ان يعلمه القدرة على الالتزام بها أو الرغبة في هذا الالتزام ، وعلمه ان ينظر ومنعه من ان يرى او يبصر ، وضع فيه جهاز النظر وسحب منه جهاز الرؤية والابصار ، وعلمه الشهوة ولم يعلمه الحب ، ووضع

فيه الفهم ولم يضع فيه المنطق ، جعله يفهم ولم يجعله قادرا على ان يحول فهمه الى منطق اي الى سلوك منطقي اي جعله يفهم ولم يجعله يطيع فهمه ، وعلم قامته الانتصاب ولم يعلمها السموخ ، علمها الانخفاض اكثر مما علمها الارتفاع ، وعلم قلبه الخفقان خوفا او شهوة او حقدا او تعبدا ولم يعلمه الرجفان شمشازا او رفضا او احتقارا للحقارات والتفاهات وللصغائر والذنوب والقبايح التي يعيشها الصغار والكبار ، الالهة والحشرات •

التي يفعلها ويباركها ويعلمها ويباها بها الاحرار والعبيد ، الثوار والمحافظون ، الرجعيون والتقدميون ، المذهبون والمناقضون ، المؤمنون والزنادقة ، الانبياء واتباعهم ، الانبياء وخصومهم •• التي يحيها المتفوقون بعمق وضخامة وشمول وجهر اكثر مما يحيها المتخلفون كذلك •

نعم ، ان الاقتناع بان الصرصار او البرغوث او الذباب او جرثومة السل او اي وحش يعيش ويملك كل هذه المزايا ، وانه هو الذي علم الانسان كل ذلك وانه هو الذي صاغه جميع صياغاته الادبية المعنوية والمادية الذاتية - نعم ، ان الاقتناع بذلك لاكثر اقناعا ومنطقية من الاقتناع بان الاله الجالس فوق هذا الكون وفوق هؤلاء البشر والكائنات الاخرى يملك او يعيش اية مزية فكرية او منطقية او فنية او اقتصادية او اخلاقية او نفسية او شعورية او حتى عضلية • هل يوجد فقء للعيون والعقول مثل الاقتناع بان هذا الاله يملك او يعيش شيئا من اية مزية ؟

ان البشر لم يسخروا من انفسهم ومن مواهبهم مثلما سخروا منها حينما امنوا او حينما اعلنوا دون ان يؤمنوا ان اله هذا الوجود العبقري في سخره وبلادته وهمجيته التكوينية يملك اية مزية او موهبة من اي نوع ، باي قدر وعلى اي مستوى - بل حين لم يعلنوا ويؤمنوا بانه اي اله هذا الوجود الفاضح في حماقاته وذنوبه وجهالاته لا يحتمل انه يملك او يعيش اي مستوى او نوع من مستويات او انواع الذكاء او الحب او الرحمة او العدل او الفنون او النظام او الشهامة او الاستحياء او الرؤية بل او القدرة او المعرفة او احترام النفس او حتى مساءلة النفس او معاتبتها • ان الصمت عن نفي ذلك ، مجرد الصمت عن هذا النفي لهو صمت لا مثيل له في البلادة والخمول والهوان والعجز الفكري والنفسي والاخلاقي واللغوي •

ان جميع المستحيلات لو تحولت الى ممكنات بل الى واقع لبقى شيء واحد هو المستحيل وحده ، والمستحيل ان يكون غير مستحيل ، ولكان هذا الشيء الواحد المستحيل والمستحيل ان يكون غير مستحيل ، هو ان يفترض او ان يعد احتمالا ان اله هذا الكون وهؤلاء البشر قد يكون طيبا او ذكيا او رحيما او صديقا او فنانا وحتى قويا ، او ان يفترض او ان يعد احتمالا انه ليس خارجا على كل ذلك ومحروم منه ، بكل مقاديره وصيغه وتفسيره •• ان كل منطق ولغة نطقا بكلمة مستحيل يجب ان يفترض انهما قد تعلماهما بدءا من هذا المستحيل •

اذن كيف حدث ان اشمل المستحيلات استحالة وابعدها عن ان يخطا في الاقتناع بكونه مستحيلا - كيف حدث ان اصبح هذا المستحيل والمستحيل ان يصبح غير مستحيل هو اشمل وأقوى الواقعيات اليقينيّات التي لا بد ان يكون بعض العقاب لمن يشك في واقعيّتها ويقينيّتها الموت والنّبذ والمطاردة وغضب جميع الارباب ؟

اية حيلة شيطانية أو خدعة كونية جعلت البشر أو بعضهم يخطئون في رؤية هذا المستحيل أو يكذبون في رؤيتهم له وفي اعلانهم عن رؤيتهم له ، أو يخافون فيرون هذه الرؤية المخطئة أو يعلنون عنها ، أو يشتبهون ان بخطئوا فيها اي في رؤيتهم هذه ، أو يشتبهون الاعلان عنها وعن الخطأ فيها ؟

نعم ، ان الخطأ قد يكون شهوة وقد يكون خوفا وقد يكون عن رغبة في الاعلان او في التحدي والمخاصمة .

كيف أمكن ان يصغر البشر او بعضهم الى هذا الحجم ؟ كيف امكن ان يخرجوا على ذكائهم او ان يخرج عليهم ذكاؤهم ، او ان يعاقبوا ذكاؤهم او ان يعاقبهم ذكاؤهم بهذا الاسلوب والى هذا المستوى ؟ كيف ؟ أليس لغباء الانسان وضآلته حدود ؟ أليست توجد مستويات من الغباء والقماء لا يستطيع الانسان ان يبلغها او لا يجرؤ على بلوغها ؟

ان جميع مواهب الانسان وعبقرياته وحضاراته وجميع انجازاته الرائعة لن تستطيع ان تكون اعتذارا او كفارة عن اقتناعه او عن اعلانه الاقتناع بان اله هذا الوجود المذهل في قممه جيد او صديق او ذكي او أخلاقي او محترم محاسب لنفسه أو انه جواد أو صاحب موهبة أو مزية من أي نوع ، بأي حجم . هل استطاع الانسان ان يحقر مواهبه مثلما استطاع ان يحقرها حينما اعتقد او اعلن ان لباصق هذا الكون أية مزية من أي نوع ؟

ان جميع مواهبه لتصغر وتهون ويرهقها الاستحياء والتواضع امام اقتناعه هذا أو امام اعلانه هذا الاقتناع . . . هل غار الكون من مواهب الانسان المتفوقة فحبر له هذا الاقتناع بهذا الاله بالاسلوب الذي اقتنع به او الذي اعلن اقتناعه به لكي يذل مواهبه ؟ هل دبرت مؤامرة كونية ضد الانسان لكي يؤمن بان لاله هذا الكون مزية ما ؟

اذن فلعلها محاولة من محاولات الرفق بنا ومن محاولات الابقاء على شيء من كرامتنا الفكرية والاخلاقية والانسانية ان يزعم بل ان يقتنع باننا كاذبون لا معقدون باننا متعمدون للكذب لا مخطئون حينما جننا بالتحدث عن مزايا مدبر وصانع هذا الكون وهذه الكائنات ، وحينما جنت عقولنا وعقائدنا ومنابرنا ولغاتنا وكتبنا المنزلة نحدثا عن هذه المزايا واعلانا عن الايمان بها وعن مقاتلة واعدام كل من يشكون فيها . . . بل ويسألونها اية مسألة . . .

هل جنت جميع مواهبنا وتفاسيرنا مثلما جنت حينما نصبنا فوق هذا الكون ، فوق هذه الدمامة او المسخافة او البذاءة او البلادة العظمى كائنات انتحرت جميع عقولنا

وعقائدنا ومحاربينا ومنابرنا ولغاتنا واخلاقنا وكتبنا اعلانا عن مزاياء وتفسيرنا وتعديدا لها وارعابا وترويعا بها ودعوة اليها وقتلا وطرذا وبغضا وسبا لمن يجادلون فيها او يسائلون عن اي تفاسير لها او عن اي شبيه محمود يشبهها ؟ كيف لم تنتحر جميع عقولنا وقلوبنا وضمائرنا وفنوننا وعيوننا واخلاقنا استقباحا لمستقرغ هذا الكون ؟

وقد يكون من التفاسير المحتملة جدا او الجيدة المطلوبة جدا - قد يكون من هذه التفاسير لادعائنا واعلاننا الحب والتمجيد والولاء والحمد للاله اننا باسلوب لثيم صغير عفن انما نريد ان نذمه ونحقره ونشتمه ، وان نجعل ذمنا وشتمنا وتحقيرنا له قتيلا حادا في تجريحه وايدائه وفي اعلانه والتذكير به والتحريض على الاقتناع به . وقد تكون نيتنا هذه في الذم والشتم والتحقير ونحن نعلن الحمد والحب والولاء والتمجيد ، واضحة ومفهومة او يجب ان تكون واضحة ومفهومة من معاني وتفسير الصفات التي نلقي بها عليه ، ومن اساليبنا في تمجيده اي تمجيد الاله وفي اعلان حبنا وحمدنا وعبادتنا له ، ومن المسوعات والاسباب التي نسوغ ونفسر بها جنوننا في هذا الحب والحمد والعبادة لهذا الاله . ان في نماذج امتداحنا للاله وفي اساليب اعلاننا لهذا الامتداح ما قد يفسر بقسوة نياتنا غير الجيدة او البريئة او الصادقة . .

اننا نقاسي ونقاسي لكي نجد ونختار اكثر الاوصاف والاخلاق جهالة ونذالة وسخافة وهمجية وضعفا لكي نجعلها ونعلنها اسمى واتقى واشمل وانبل اوصافه واخلاقه اي اوصاف الاله واخلاقه . ان البشر لم يجيدوا في تحقيرهم لشيء مثلما اجادوا في تحقيرهم للاله حينما صاغوا اوصافه وتخيلوها واختاروها وعلنوها .

اننا في سباحة دائمة داخل مغارات انفسنا وضمائرنا المشحونة بالعفونات والصغائر ، نقب فيها عن اقبح واوقح النماذج والصيغ لنجعل منها اجمل ملابس الاله واجمل زيناته واوكمي عطوره .

اننا نتخيل او نصنع ملابس في قبح الملابس التي تخيلناها وصنعناها والبسناها للاله .

ان لنا لعبقرية لا تزاحمها عبقرية اخرى ، تلك هي عبقريتنا في اختيارنا لصور الاله التي لن يصعد اي خيال الى تصور مثلها في دمايتها وفظافتها وكآبتها . اننا لن نجد لنا عبقرية تساوي عبقريتنا هذه ، عبقريتنا في رؤيتنا لذات الاله بكل هذه البشاعة التي لن تستطيع جميع بشاعات الطبيعة والاشياء متجمعة ان تصوغ مثلها . .

السنا نصفه اي نصف الاله الذي نزع من اننا لا نحيا ولا نتعامل او نتعاقب او نتصافح او نحب ابناؤنا او نتعصب لهم ، ولا نكره او نخاف المتفوقين والصادقين والمفكرين والرافضين للنفاق وللصلاة في المحاريب التي يصلي لنا فيها وللاوثان التي نصلي لها ، الا لاننا نحبه ونمجده ونؤمن به ونطيعه ونستجيب لخفقات قلبه وضميره - وهل يخفق قلب او ضمير احد مثلما يخفق قلب الاله وضميره ؟

نعم ، ألسنا نصف الاله الذي نزع له ومن اجله كل هذه المزاعم ، نصفه بانـه يحقد ويحسد ويمكر ويخدع ويكيد ويبغض ويشتم ويفسد ويضل ويغوي بالتدبير والارادة والتصميم .. وبانه يغلـق ويعمي العقول والقلوب والعيون والاذان وكل الحواس والاحاسيس ويختم عليها ويضع فوقها الاقفال والحراسات لئلا ترى او تسمع او تحب او تفهم او تتقبل الحق او النور او الجمال او الطريق اليه هو ، اي لئلا تراه هو اي الاله ، ولئلا تسمعه او تحبه او تفهمه او تتقبله او ترى جماله وجاذبيته ولئلا تهتدي اليه .. بل وبأنه يتآمر مع الاعداء والاشرار والابالسة على عباده وابنائـه وانبيائه ، وانه يهب هؤلاء الاعداء والاشرار والابالسة كل الاسلحة والخبث والمكر والدهاء والقوة بل والتخليد في الحياة لكي يضلوا ويخلوا عباده وابنائـه وانبيائه الذين نزع انه يريدهم ويطالبهم بان يكونوا له وحده ، وانه لم يتعذب في خلقه لهم الا لكي يكونوا له وحده ، وانه قد اعد لهم كل العذاب اذا لم يكونوا له وحده ، وانه يجس غيرة وغضبا ويأسا اذا لم يكونوا له وحده ؟ نعم ، ألسنا نزع انه يريد ويدبر وينفذ بشهوة مجنونة هذه الشرور والمكايد والمؤامرات اي ضد نفسه بأسلوب لا ينافسه فيه اي منافس ؟

ثم ألسنا نصفه بانه لا شبيه له في انانيته وفي حبه لنفسه وغضبه لها حتى انه ليخرج على كل مستويات ونماذج وحدود الوقار والتهذيب والتعقل في انانيته وفي حبه لذاته وغضبه لها .. حتى ان جميع الحكام الطغاة المرضى بالانانية وبحب النفس والغضب لها ، وحتى ان جميع الاطفال المصابين بالتوتر والشذوذ والعقد النفسية المختلفة المتحولة الى صيغ بذيئة فضاحة من جنون الانانية وحـب السذات والغضب لها .

نعم ، حتى ان هؤلاء الطغاة والاطفال ليبدون في غاية الوقار والتعقل والتهذيب لو حوسبوا بانانية هذا الاله وبحبه لذاته وغضبه لها ؟ انه ليجب نفسه حبا لا مثيل له في افتضاحه وهبوط تفاسيره ، وانه ليدبر ضد نفسه بأساليب لا مثيل لها في جنونها وعدوانيتها ..

انه اي الاله كما نقول عنه ونصفه ، ثناء وتمجيـدا واقتناعا ليغفر باغضاء ونبل وتسامح مهيب ، كل التلوثات والسرقات والجرائم والخيانات والظلم والظفيان والعدوان والقتل والسقوط والفسوق واغتصاب الاعراض ، وكل ما عرف البشر والاديان والنبوات والمذاهب والقوانين والتعاليم وكل ما لم يعرفوا من ذنوب ونذالات وحقارات .

نعم ، انه كما نصفه ونقول عنه بنية الثناء والتمجيد والعبادة ليغفر كل ذلك بكل الاريحية والكرم ، بل انه كما نصفه ونقول عنه ليهاب ويتحرج من النظر الى اي ذنب من هذه الذنوب خوفا على اريحيته وكرمه بل وعلى تسامحه من ان تظن به الظنون .

ان عيني الاله لا تريان اي ذنب ولا اية وقاحة حتى ولو ماتت عيون الحشرات من كثرة ما ترى من الذنوب والوقاحة .

ولكن الشئ الواحد الذي لا يغفره ويموت حياء وتاثما من ان يتهم بانه قد يغفره هو الخلاف عليه او الاختلاف معه في العقل او التفكير او المذهب او الرأي او الرؤية ، هو الخطأ في الرأي ، اي في الرأي الذي يحسبه او يراه هو خطأ حتى ولو كان غير ذلك في رأي غيره ، في رأي رائيه . . انه ليغفر ان تبصق عليه كل العفونات والخبائث ، وانه ليموت رفضا لان يفكر في الغفران لاي فكر يريد ان يحاوره او يراه او يحدق فيه محاسبا او مسائل او معاتبا . .

انه لا يغفر ان يشرك به غيره ، ان يجعل معه غيره ، او يحب غيره او يعتقد في غيره ، او يعظم غيره ، او يهتف بغيره ، او يؤخذ بمنطق غيره ، او ان يكون اي شئ او اي احد غيظه واهبا المعرفة او الحق او النور او الجمال ، او ان يشك في انه هو كل الجمال والمعرفة والصواب والخير والحب وكل المنطق والذكاء والقوانين والاخلاق والشرائع والتعاليم والخلود ، او ان يشك في ان له كل التمجيد والعبادة والشكر والرهبة والخنوع والسؤال والتذلل والتملق . . . حتى التذلل والتملق خوفا وطمعا ، انه يرفض ان يشاركه فيهما احد . انه يريد هما له وحده .

انه لا يغفر لمن يجرو على النظر اليه بعقله او بمثله او بتعاليمه او بطموحه واحتياجاته واخلاقه ليحاكمه او ليحاسبه بها او ليطالبه بالالتزام بها ، او ليطمئنه وليطمئني له ان يكون ملتزما بها . . هل يوجد مثل ضمير الاله وعينيه اتساعا وتسامحا للذنابات والقبائح والعفونات والشرور ، ومثل عقله ضيقا وتقصبا ضد التفكير والرؤية والصدق العقلي والاخلاقي !

انه لا يغفر اي رأي فيه ولا اية رؤية له ولا اي تفكير غير تفكيره المكتوب الدائم ، ولكنه بعد ذلك مستعد ان يبتلع ضميره وكبرياؤه ونظافته كل الاوحال والعاهات والصغائر والذنابات دون ان تصاب كبرياؤه او نظافته او ضميره بالغصة او القىء او حتى بالغثيان ، او حتى بفقدان الشهية او حتى برداءة المذاق ، او حتى بالتشبع ، او التسبع ، او حتى بالتظاهر بالشبع او بالتشبع ، او حتى بالغيرة والحسد من قدرته الخارقة على هذا الابتلاع لكل الاوحال والعاهات والخطايا والصغائر . . انه لا مثيل للاله في عجزه عن ان يصاب بالقىء او بالغثيان او حتى بالاشمزاز الفكري او الاخلاقي او النفسي مما يرى او يواجه او يفعل او يريد . .

انه لا شبيه له في معاداته للفكر والعقل ولحرية الرأي كما لا شبيه له في صداقته للأوحال والفسوق والسقوط والتلوث الاخلاقي والنفسي والعقلي والجسدي - اي في وصفنا له ورأينا فيه . . ان الاله ليقاوم الرؤية له والتحديق فده حتى الموت ، انه ليختار ان يموت او ينتحر على ان تراه اية عين او تحديق فيه .

ثم أليس - كما نصفه ونروي عنه معجبين بنبل اخلاقه وعمق ذكائه - يخص عباده المؤمنين به المخلصين له بأشد العذاب والبلاء ، وأنه يتصاعد في تخصيصهم بأشد واشمل اساليب واللوان التعذيب والابتلاء بقدر ما يشتد حبه لهم ويقدر ما يتفانون في حبه وعبادتهم واخلاصهم وتوحيدهم له ؟

أليس أسلوبه في التكريم ان يؤذي ويؤلم اي ليختبر ويرى ويجرب ؟
أليس أقوى وأذكى واتقى اساليبه في تعبيره عن حبه ورضاه ان يؤذي ويضرب ويصيب ويبتلي بالاحزان والاهوال وبكل انواع المصائب ؟ أليس هذا الاسلوب كما نقول ونعلن ونؤمن - هو ابرع فنونه واشعر شاعرياته في اعلانه عن رضاه وحبه وعن شكره واعجابه ؟

أليس - كما نرى ونروي - يوقع باحبابه وابنائيه والاقربيين اليه جدا كل العاهات والالام والاهوال واشد العاهات والالام والاهوال - تدبيراً وتخطيطاً وقصداً وتعمداً لا يهاب الاعلان عنه ، ليجربهم : هل يصبرون ويشكرون ويحمدون بل ويفرحون ويغنون طرباً وترحيباً ام يغضبون ويتألمون ويشكون ويئنون ويتسألون : من فعل هذا ، ولماذا فعله ، وما قصده ونيته ومنطقه وحكمه ومصالحته ..

أليس يमित الطفل او يفتق عينه او يصيبه بأية عامة وبيلة او بأي تشويه رهيب لكي يجرب صبر ابويه وايمانها وماذا يمكن ان يفعلوا ويقولوا ويفكروا ويفهما - ليرى هو ويسمع ويشاهد ويتفرج ؟

ألسنا نقول ذلك عنه في مدحنا له وفي اعجابنا بدهائه وذكائه وحكمته ؟
ألسنا نرى افظح الالام المنزلة بالاطفال والشيوخ والحيوانات وبالابرياء فنشير اليها بأيماننا وتقوانا ونصرخ هاتفين : ما ارحمك ايها الاله ، ونرى افدح المظالم فنهتف : ما اعدك ايها الاله ، ونرى اقبح الدمامات والتشوهات فنهتف : ما اجملك ايها الاله ، ونرى اشمل اساليب العبت والفوضى والخراب واعلى مستويات الجنون فنهتف : ما اعظم شجاعتك وقيادتك وانتصاراتك في جميع المعارك والمايادين ايها هزائم المؤمنين الاتقياء الدائمة وهوانهم العالمي الدائم فنهتف : ما اقوى حمايتك ومحافتك لعبادك المؤمنين الاتقياء ايها الاله ، ما اعظم وادوم مجدهم وانتصاراتهم لانك حليفهم ايها الاله ، ونرى الشيطان قائداً منتصراً دائماً في جميع المايادين والمعارك فنهتف : ما اعظم شجاعتك وقيادتك وانتصاراتك في جميع المعارك والمايادين ايها الاله ..؟؟ ألسنا نهتف دائماً لمجد الاله ولانتصاراته ولذكائه كلما راينا كل المجد وكل الانتصارات والذكاء للشيطان وحده ؟ ألسنا نعلن تشييعنا للشيطان كلما شيعنا الاله ؟ ألسنا كلما راينا أو عرفنا أو تذكرنا شيئاً رديئاً أو أليماً أو لثيماً أو ظالماً أو عابثاً أو وقحاً أو قبيحاً أو بليداً في هذا الكون شكرنا ومجدنا له هذا الكون ، مدبره ومريده وصانعه ومخرجه وواضع كل تفاسيره وافكاره وخالقه وقيمه ونماذجه ، بل وذهبنا نصفه بنقيض ما نرى ونجد ونعرف ونتذكر ؟

السنا كلما راينا الاله عاريا تحدثنا عن جمال ملابسه وعن جودتها وجنتها وكثافتها ؟

اننا بهذه المذائح والافصاف والمسوغات والاسباب نمتدح الاله ونعلن حبنا وتمجيدنا وشكرنا له . السنا نحول كل ما نراه ونجده ونحبه ونكرهه ونعجب به ونشتمئز منه ونمجده ونحتقره الى ثناء على الاله والى حب له ؟
اذن هل يحتمل اننا صاقون في هذا الامتداح والحب والتمجيد والشكر ؟ السنا انما نريد ان نذم ونبغض ونسب ونحقر ونشهر ولكن باسلوب وبنيات اكثر تخلفا وقوقا وجبنا ؟

اذا اشرت الى ذباب يتنقل بين العفونات وبين وجه حسناء غيور غضبي متأنقة متكبرة ليخطف منه لمسة او قبلة ، او يتنقل بين العفونات وبين الاسترخاء على وجه طفل نظيف نائم او على طعام انسان اعمى ، او اشرت الى اي الى الذباب مشاركا ليطامننا وامان طبيب امراض معدية في طبق طعامه ومجالسا مصاحبا له في غرفة اعماله وعملياته دون ان ينظر اي الطبيب في المرأة ليرى اي كائن هو قد اصبح بعد ان تحول الى كائن غير الانسان ، او ثم استطاع هذا الطبيب ان ينظر في المرأة لكي يعجب بجمال وجهه او بجمال ملابسه او ليطمئن على صحته الغالية ..

نعم ، اذا اشرت الى هذا الذي ترى ، الى الذباب والى الطبيب المصاحب المجالس المستضيف للذباب بكل هذا التسامح والكرم والاعضاء وبكل هذا النعمى العقلي والعلمي والنفسي والاخلاقي والانساني وبكل هذه البلادة الحسية الاعضائية الذاتية التاريخية اي بكل هذا العمى العربي وبكل هذه البلادة الذاتية العربية ، اذ هل يمكن ان تطمئن الى انك واجد حتما مثل هذه العلاقة بين طبيب وذباب في غير العالم العربي ؟
نعم ، اذا رايت ذلك واشرت اليه وقلت :

ياالله .. يا للروعة والجمال والتهذيب والنظافة والكبرياء ، فهل يمكن ان يقع اي خلاف على ماذا تعني او على انك حتما لست مادحا ؟ هل يمكن ان تعني بذلك غير انفسى اساليب الهجاء والاشتمزاز ؟

ولو انك تحدثت عن المواجهة العربية الاسرائيلية منذ سنة ٤٨ حتى اليوم وقلت ان مجدكم العسكري والحضاري والانساني ايها العرب في هذه المدة القصيرة من التاريخ قد اربى وانسى بضخامته كل امجاد التاريخ الماضية ، وانه لا بد ان يربى ويخيف ايضا كل امجاد التاريخ الاتية اي لضخامته ، وانه قد يمنعا اي يمنح امجاد التاريخ الاتية من ان تجيء رهبة واستحياء وحرجا من مواجهة مجدكم العسكري والحضاري والانساني الذي صنعتكم لاسرائيل ايها العرب ، يا من لا مجد الا مجدكم ، يا من لا مجد في مجدكم يساوي مجدكم الذي صنعتكم لكم وواجهتكم لاسرائيل ، يا من لم تعجب الحشرات بمجدها ولم تجرؤ على التحدث عن مجدها الا بعد ان رأت مجدكم ..

نعم ، لو انك قلت هذا فهل يمكن ان يشك احد فيما تعني ؟

هل يمكن ان يوجد من يحسبك مادحا ؟

ولو انك قلت ان مواجهة العرب لاسرائيل قد صدقت كل ما حكاه ورواه العرب عن انفسهم ولانفسهم من شجاعات وبطولات وانتصارات كانت لهم وخدمهم ، فهل يمكن ان يفسرك اي مفسر بانك مادح او بانك لا تعني النقيض ؟
اذن كيف يمكن ان يعد مادحا وشاكرا وممجدا للاله من رأى الالام والاحزان والمعاهات والتشوهات والمظالم والبلادات والعبث والموت والامراض والجنون والخراب والدمار والفساد ، فقال : ما اعدك وارحمك واذكأك واعطك واسخاك وانيلك واعظم حبك وصادقتك للناس وللانبياء ايها الاله .

نعم ، كيف يمكن ان يعد مادحا للاله من رأى ذلك فقال مثل هذا القول ، ولم يعد حاجيا حادا في هجائه ؟ حتى الاله هل يمكن ان يعتقد انه يمدح او يشكر حقا حينما يسمع انسانا قد انزل به كل المعاهات والالام والمحن يقول له : شكرا ومجدا لك ايها الاله الرحيم الحبيب الشهم ؟

ليس هذا اسلوبا بذئيًا متوقحا من اساليب الهجاء والتحقير يعجب به المتخلفون المتوقحون امثالنا ويتعاملون به ويجدونه قمة البلاغة والجمال والعبقرية والذكاء والتطرف ؟ نعم ، حتى الاله هل يمكن ان يهبط به ذكاؤه وانخداعه الى الاعتقاد بانه يمدح حينما يسمع من اوقع بهم كل المآسي يمتدحونه ويتحدثون عن نعمائه ؟

قديكون الكثير مما نعهده عبقرية في البلاغة والجمال الفني ليس الا عبقرية في العجز والتخلف والوقاحة وبذاء النفس والضمير والنية .

ان احكامنا على البلاغة واراؤنا فيها لم تكن سوى احكام وآراء بدوية ، قد ابتكرها وحددها واعلنها وراآها كذلك ثم اغلقها واغلق عليها قوم من البدو ، واننا لا نزال خاضعين وتابعين لاولئك القوم من البدو في ابتكارهم واعلانهم وتحديدهم واراتهم بل وفي اغلاقهم . بل اننا لنناضل لكي نستطيع ان نتعلم منهم كل ممارساتهم للبلاغة ولكل فنون القول وكل ارائهم في ذلك ، ولكي لا ننحرف اي انحراف عما رأوا او عما فعلوا في ذلك . .

اننا لنهاب الخروج على بلاغة ابائنا البدو بقدر مانهاب الخروج على تعاليمنبواتنا البدوية . بل اننا لنرى ان كل العبقرية والانتصار والاستقامة القومية والوطنية والتاريخية بل والدينية في ان نستطيع الالتزام ببلاغتهم استعمالا ورايا ، كما نرى ان كل الغدر والزندقة والضلال والانهازام في ان نعجز عن هذا الالتزام . .
حتى البلاغة انها نوع من النبوة في اقتناعنا لهذا فالخارج على تعاليمها لا بد ان يكون زنديقا . .

ان تخلفنا البلاغي ليس اقل من تخلفنا الفكري او العلمي او الصناعي او الفني بكل معانيه . وان التزامنا ببلاغة ابائنا او محاولتنا لهذا الالتزام ليس اقل خطأ من

التزامنا أو من محاولتنا الالتزام بحضارة اباثنا العلمية أو الصناعية أو الفكرية أو المذهبية أو التطبيقية أو حتى العسكرية والحربية . وإن اعجابنا بهذه ليس أبعد عن الذكاء من اعجابنا بتلك . وأنه كما ماتت أو كما يجب أن تموت اساليب المواصلات التي ورثناها عن اباثنا كذلك يجب أن تموت الاساليب البلاغية التي تعلمناها من اولئك الابهاء .

إن الاسلوب البلاغي أو الرأي في البلاغة ليس الا تعبيرا أو محاولة للتعبير عن حالتنا النفسية والاخلاقية والفكرية والحضارية ، أو عن مستوانا في ذلك . إن الصيغة البلاغية أو اللغوية أو التعبيرية أو الصوتية ليست الا مستوى نفسيا أو فكريا أو اخلاقيا أو حضاريا .

إننا باسلوبنا الكلامي أو بما نسميه بلاغة أو فنونا بلاغية قد نقصد أن نسب ونهين ونهجو ونقذف بذاة وقبحا بل نقذف قبحا ، وقد نقصد بذلك فقط أن نفسر لو نخطب أو نعلن أو نقنع . وإن قصدنا هذا أو هذا لا بد أن يكون محكوما بمستوياتنا الحضارية والانسانية المختلفة .

والمتحضرون يكونون أو يحاولون أن يكونوا مهذبين ، أو يفترض فيهم أن يكونوا كذلك في بلاغتهم أي في فنونهم الكلامية والتعبيرية ، حتى حينما يعارضون وينكرون ويرفضون ، بل حتى حينما يقاومون ويقاثلون ، بل وحتى حينما يريدون أن يشنعوا ويهجوا ويسبوا . حتى السباب والهجاء والتشنيع منه المذهب المتحضر ومنه المتوقع البذي ، وهل يمكن أن يخفي أي الاسلوبين اقوى وأقدر على الانتصار وأكثر توصيلا إلى الأغراض أو النتائج المطلوبة أو إلى احتمالات الشفاء مما يشكي منه أو مما يراد الشفاء منه ؟ إن بلاغة المتحضر ليست مضاربة أو مشاتمة مهما كان الموقف موقف مضاربة ومشاتمة ، ولكن بلاغته مصافحة ومصالحة أو محاولة لذلك .

أما المتخلفون فإن مستوى بلاغتهم لا يساوي في حسابهم ومشاعرهم الا مستوى بذاتها ووقاحتها . إن البذاة والوقاحة مطلب وحاجة عند المتخلفين .

إنهما أي البذاة والوقاحة بلا ثمن بل وضد كل ثمن لافضل عندهم من كل ثمن بيونهما .

إن المطلوب أو الحافز عند المتخلفين ليس هو أن يفسروا أو يقتعوا أو يعلنوا أو أن يعالجوا أو يصنعوا نتائج مفهومة ومقصودة ، بل الحافز أو المطلوب عندهم بل وكل القيمة والقوة لبلاغتهم أن تكون أي بلاغتهم قمة البذاة والتوقع والقدرة على الاساءة والتحقير . أنهم لا ينعون ببلاغتهم أن يعالجوا موقفا أو أن يخلقوا وضعاً جيداً ، أو مريحا أو ملائما أو محمدا ولكن أن يستفرغوا انفسهم استقراغا بذيثا .

إن كل حوافز واثمان البلاغة عند جميع المتخلفين أن تكون مثيرة ، مثيرة إشارة مؤذية ومؤلة أو إثارة منافقة متملقة . أن كل قيمة البلاغة عند هؤلاء أن تكون هجاء

مثيرا في بذاته وإيلامه أو مديحا مثيرا في تملقه ونفاقه . ان قمة البلاغة عندهم هي قمة التهويل في الوقاحة والإيذاء أو في التملق والكذب المخافق . .

ان المطلوب هو الاثارة في السب والهجاء أو الاثارة في الامتداح والتقرب ، وليس المطلوب البتة المخالفة أو المعارضة أو الرفض بأسلوب ملائم ، ولا المداوب كذلك الولاء أو التأييد أو الموافقة أو حتى الحب بأسلوب ايضا ملائم . ان هذا وهذا ليسا في حساب بلاغة المتخلفين وليسا في اهتماماتها . وحتى كونها مؤذية أو مؤلة ومقنعة بمدحها اي البلاغة ليس شرطا فيها عندهم ولكن شرطها الدائمة ان تكون مثيرة في بذاتها وقبحها وفي خروجها على كل ادب ووقار .

حينما يوجد انسان سرف وجهه في الذمامة أو قامته في القصر أو لونه في السواد فيقول له قائل : وجهك اقل جمالا مما ينبغي أو قامتك اقصر مما يلزم أو لونك اشد سوادا من المألوف ، ويقول له قائل آخر : يا من تعلم كل وجه جميل من وجهه الجمال ، أو يا من استعارت المسافات بين المجرات من طول قامته ابعادها ، أو يا من وهب اشراق وجهه الشموس كل اشراقها - وكان المرقف مرقفا خرابيا استعراضيا جادا فاي القائلين اكثر بذاءة أو ايذاء أو هجاء وسبابا ، أو ايهما البذيء المؤلم أو الساب الهاجي ؟ واي الاسلوبين سيكون اسلوب المذهب المتحضر ان لم يكن بد من ممارسة احد الاسلوبين ؟ ان المتخلفين ليتحولون الى اردأ وواقع هجائين ومعيرين حينما يذهبون يمتدحون أو يتعبدون أو يؤمنون أو يصلون بكل طاقاتهم وفنونهم البلاغية . ان الشعر العربي والصلاة العربية للاله لنموذجان لهذا الهجاء والتعبير . . .

اذن حينما يشاهد المؤمن الالام والاحزان والامراض والتشوهات والمظالم وكل الوان العبت والبلادات والحقاقت والجنون والخراب والفساد والنهايات الاليمية العقيمة - حينما يشاهد كل ذلك يسد كل طريقه واتجاهاته ، ويغطي كل افاقه وتصوراته وتجاربته وتوقعاته بلا منفذ أو منقذ ، فأراد ان يتحدث عن ذلك مفرغا مشاعره واحتجاجاته واستنكاره بأسلوب قد يكون مبهما أو مزجورا ، وحينئذ اما ان يختار الاسلوب المذهب المتحضر أو الاسلوب الوقح البذيء في بلاغته البدوية . . اذ اختار الاسلوب الاول فسيقول : عجب ايها الاله . . امن الرحمة أو العدل أو الذكاء أو المنطق أو الوقار أو الوفاء أو الحياء أن تفعل هذا أو ترضاه أو تتقبل ان يحدث ؟ وكيف تطيق عيناك أو ضميرك ان يحدث ؟ كيف تطيق ايها الاله العجيب ان ترى او تواجه او تفهم او تسمع الصرخات والانات والتضرعات دون ان تموت خجلا ؟ اني لا استطيع ان افهمك أو اعقلك أو افسرك أو اصمت عنك أو اصبر عليك ايها الاله . فهل تستطيع انت ان تفهم أو تعقل أو تفسر أو تتقبل نفسك أو ان تصمت عنها أو تصبر عليها ؟ كيف لا تعاقب نفسك أو تعاقبك نفسك ؟ كيف لا يقتل احكما الآخر أو يفارقه ؟ من علمكما هذا التقبل الذي لا يمكن تقبله ؟

اما اذا اختار اي المؤمن الاسلوب البذيء المتوقح البليغ جدا في وقاحته وبذاءته
فسيقول هاتفا مصليا كلما رأى شيئا من هذه الخطايا والقباحات أو كلما رآها كلها في
منظر واحد - اي لو كان المؤمن يستطيع ان يرى شيئا ما دام مؤمنا - لان المؤمن لن يظل
مؤمنا ما لم يظل اعمى عمى شاملا ودائما - نعم سيقول حينئذ اي المؤمن : ما ارحمك
واعذك واعقلك وانبلك .. وما اعظم واصدق واعمق حبك وذكاءك ومنطقك واخلاصك
وتعبيرك وتخطيطك ايها الاله .. انت ايها الاله معجز ، معجز في كل تفاسيرك
الرحيمة والذكية والمنطقية والانسانية .. اقرأ ايها الاله نفسك ..

انك تصيب عيوننا بالعمى لانك تريد لنا ان نرى ، وتصيب اذاننا بالصمم
لانك تريد لنا ان نسمع ، وتصيب عقولنا بالبلادة وبالجنون لانك تريد لنا ان نفهم
وتعقل ، وتصيب ابداننا بالامراض والعمائم والشيخوخة والضعف لانك تريد ان
نساعد ونستمتع بالحياة ، وترسل علينا الابالسة والشياطين وتبهيم كل العبقريّة
والقدرة على افسادنا واضلالنا لانك تريد لنا الهداية والاستقامة ... انك تفعل لنا
وبنا كل ذلك لانك تحبنا جدا ولانك صديق لنا جدا وطيب جدا .. آ، ايها الاله ،
لماذا كانت هذه هي عطايك لنا لانك تحبنا ولانك صديق لنا ، اذن ماذا يمكن ان تكون
عطايك لنا لو كنت لنا عدوا مبغضا ؟

او لعل الاله عاجزة ان تعبر عن حبها وبغضها ، بل لعلها عاجزة ان تعرف الفرق
بين حبها وبغضها ..

آه ايها الاله العجيب .. من صاغك هذه الصياغة العنيفة الفاضحة في جمالها
ونبلها واعجازها الشاذ المتفرد ؟ هل صاغتك نفسك ام صاغك كائن اخر ؟

وصانئك من صاغه هذه الصياغة ؟ من علمه اياها او جعله قادرا عليها ؟ من علم
صانئك القدرة والنطق لكرم يصوغك كما صاغك ؟ وهل صاغك صانئك كما اردت ام
صانئك ظالما مشوما لك ؟ وهل تقبلت صياغتك مقهورا ومضطرا ام راضيا ؟

من وهبك هذه العبقريّة الاخلاقية والنفسيّة والعقلية والفنية والتخطيطية ؟

وواهبك من واهبه ؟ الواهب ان كان يوجد واهب على اي قياس او نموذج وبأي
حسابات او منطق يهب ؟ من علمه او حدد له كيف يهب ؟

كيف استطاع اي خيال ان يتصور نموذجك ايها الاله العجيب او استطاعت اية
قوة او عضلات ان تصوغ قدرتك وعضلاتك ، او استطاع اي منطق ان يصنع
منطقك ، او استطاعت اية شهامة او رحمة ان تضع فيك شهامتك ورحمتك ، او
استطاعت اية موهبة اقتصادية او صناعية او فنية او تطبيقية ان تريد لك وتبتكر فيك
موهبتك الاقتصادية والصناعية والفنية والتطبيقية ؟ من وهبك ضميرك ايها
الاله ؟ كيف استطاع واهبك ضميرك ان يتصور نموذجه وان يبتكر هذا النموذج الذي
استطاع ان يتصوره ضميرا لك ؟

كيف اهتديت ايها الاله الى هذا الدماء والذكاء والى هذه العبقريّة الوعظيّة التعليميّة الاصلاحية ؟ ان كل العيون والعقول والاخلاق لتتفقا وتتفجر وتخصا لو همت بفهمك او برويتك او برؤية مثال لك او لو همت بالاعجاب بك او بالتعلم منك ؟ ان اي عقل او عين او ضمير لم ينج من الاصابة بالجنون او بالزندقة او بالعمى الا لانه لم يجرؤ على التحقيق او التفكير فيك او على محاسبتك او مساءلتك ..

الست ايها الاله تهجم بكل تقواك وبكل اظفارك وانيابك وحيك واختفائك وبكل جنودك وكبريائك على غلام جميل بري يؤمن بك ويهتف لك ويحفظ كتابك ووصاياك ويتحدث بطهارة وعمق وتصديق عن رحمتك وحبك وصداقتك وحكمتك وعن وضعك له في عينك وضميرك حماية له من الوحوش ومن الاحداث النزقة الطائشة المهاجمة ابدا باعلان وجهه او بتسلل ، حماية له من هجماتك الفادرة المتخفية في جسد ذبابة او بغوضة او زلزال او فيضان .

اجل ، الست ايها الاله العجيب تهجم على مثل هذا الغلام لكي تصيبه على غفلة منه ومن النجوم النافذة اليك بكل الذهول والترويع ، باحدى العاهات او بعديد من العاهات الرهيبة ، لكي تحيّمه من الشيطان ومن الخروج عليك ، ولكي تجعله يرى جمالك وعبقريتك ورحمتك ويؤمن بك ويشرك اكثر واكثر ، وايضا لكي تجعل الغلمان الاخرين يعجبون بانفسهم وبك ويشكرونك ويؤمنون بك وبعدك وبشهامتك اكثر لانك لم تصبهم بما اصبحت به الغلام المصاب الذي قد تعدّه محظوظا جدا لانك قد خصصته بهبتك الجيدة جدا دون من سواه من الغلمان امثاله ، وايضا لكي تجعل ابويه اي ابوي الغلام المصاب واهله يتعظون ويؤمنون بك وبقدرتك اكثر ، ولكي تجربهم وترى هل يصبرون ويسلمون لك ويحمدونك ويرضون عنك وعن ذكائك وحكمتك وعن اهتمامك بهم باختيارك ابنهم لاصابته بالعاهة الباهظة ، ام يجزعون ويفجعون ويرتاعون ويصرخون من فظاعة ووقاحة ما يواجهون ويرون ويفاسون ، وايضا لكي تزداد رضا عن نفسك وعن قدرتك واقتناعا بانك فعال لما تريد ، وبانك كما استطعت اصابة هذا الغلام بعاهته اللويبة دون ان يستطيع احد مقاومتك تستطيع ايضا ان تصيب كل شيء وكل احد بما تشاء دون ان يوجد من يستطيع ان يحول بينك وبين ذلك ؟ نعم ، لتثبت لنفسك وللآخرين انك فعال لما تريد . كم انت فخور بمجدك لانك اصبحت هذا الغلام ، لانك فعال لما تريد ..

نعم ، ايها الاله العجيب ، ألسنت تهجم دائما على مثل هذا الغلام بهذا الاسلوب من الهجوم لكي تصيبه بمثل هذه الامة مدفوعا بمثل هذه التفاسير والحوافز .. الست تهجم دائما على مثل هذا الغلام بمثل هذه الجراءة والقسوة التي تستحق ان تهنتك عليها كل الوحوش .

ألسنا بهذا الاسلوب نراك ونمجدك ونصلي لك ، وبهذه المزاي والمدايح والتفاسير نمتدحك ونفسرك وفحشد لك كل ما في احتمالات الاشياء وخيالها وكل ما في احتمالات البشر وخيالهم وامانيهم وطموحهم من مزاي وامجاد ؟ او لسنا نعلن ذلك ونزعمه

وننظأهر به ؟ عجباً ! كيف لم يقتلك الاستحياء من كثرة ونوره الخاضع الذي يوجبها اليك ؟ هل الاستحياء لا يصيب الالهة لهذا لم تقتلك مدانحنا ؟
 اذن هل يحتمل اننا نمتدحك ايها الاله العجيب او ننوي مديحك ام اننا باسلوب لثيم صغير نذل متخلف نهجوك ونحقرك ونسبك باوقح واقبح الاساليب والنيات واللغات ... باكثر اساليب البلاغة بدواة ونذالة وخدثا ؟ هل يهجي شيء مثلاً يهجي الاله بمدائح البشر له ؟ كيف لم يعرف الاله ذلك ؟ هل الاله لا يعرف اللغات لهذا لم يعرف الهجاء الذي يرفع اليه باسم الامتداح ؟

ام هو اي الاله لا يعرف المديح من الهجاء لهذا يتقبل اقبح الهجاء ظاناً انه اعظم الخبيث ؟

ان تفسيرنا باننا نؤمن بالاله ، وتفسيرنا باننا نحبه ونصلي له ونمجده حينما نوجه اليه هذه المدائح وننتهمه بهذه المزايأ ، وان في نيتنا هذا التمجيد والحب والصلاة - نعم ، ان تفسيرنا بهذا وهذا تفسير قد رواه وكتبه التاريخ وروته وكتبته جميع الكتب المقدسة وخطبت به جميع المنابر والمحاريب ونقش فوق جميع همامات القصور . ان افجع ما في هذا ان من فسرونا ويفسروننا هذه التفسيرات لم يفجعوا بنا ، لم يفجعوا بان فهمونا وبان يفهمونا كما فسرونا ويفسروننا ... !

ولكن الا يمكن ان نفسر تفسيراً آخر او ان يفسر تفسيرنا هذا بتفسير آخر ؟ نعم ، الا يحتمل ان يكون ايماننا بهذا الاله ، بهذا الاسلوب ، تحت هذه التفسيرات ايماناً حقاً وقوياً ، او ليكن كذلك او انه حتماً كذلك . ولكن الا يحتمل او الا يجب الاقتناع ان اسباب وحوافز ايماننا هذا هي ضد الايمان وضد الحب والتمجيد وضد من وقع عليه الايمان ومن وجه اليه الحب والتمجيد ؟

قد يكون التفسير لذلك اننا مشحونون بشحنات هائلة من الالم والضياغ والحقد والغيرة ومن الهزائم والتجارب الاليمة ومن العجز والخيب والتفاهة .

بل اننا حتماً مشحونون بكل ذلك . انه لا يوجد كائن في هذا الكون تعيش فيه شحنات اليمة وبذئثة مثلنا .

ونحن لا نستطيع الا ان نطلق ونفرغ هذه الشحنات بكل القسوة والشمول على اي كائن ملائم او في اي فراغ يتسع لذلك . اننا بقدر ما نكون مشحونين بالالام والبذاءات لمحتاجون الى تفرغها بنفس الاسلوب ، اي باسلوب اليم بذيء .

ولكن كيف واين ومن هذا الكائن الملائم لتفريغ هذه الشحنات للبذئة الحزينة عليه ؟ لا بد ان يكون هذا الكائن هو اردأ الكائنات حظاً واعجزها دفاعاً عن نفسه واكثرها اتساعاً وتقبلاً لاطلاق بل لالقاء اخطار واقبح المفونات فوقه . لقد كانت رحلة عجيبة ولكنها حتماً لم تكن رحلة شائقة ، اعني بها رحلتنا بحثاً عن هذا الكائن الرديء الحظوظ الذي نريده لنستفرغ عليه شحناتنا هذه ...

اين انت ايها الكائن العجيب البائس ؟ اين انت لكي نختارك لهذه الوظيفة التي لن تكون فيها سعيداً ولا كريماً مهما كنت فيها عالماً شهيراً ...

مسكين انت ايها الكائن البائس • انك لن تستطيع او تعرف الهرب منها •
مسكين انت اذن حتما •

نعم ، لقد وجدنا هذا الكائن المبحوث عنه ، اي لقد اوجدناه • انه لم يرفض ان يوجد اي انه لم يستطع ان يرفض ايجادنا له • وهل يستطيع اي كائن ان يرفض او يمنع ايجاده اي ان يوجد موجد مهم كره ذلك ومهما خسر أو تعذب أو افتضح به اي بايجاد موجد له ؟ هل خسر اي كائن بان يوجد موجدوه مثلما خسر الاله بايجادنا له ؟ لقد اوجدناه لنبصق عليه اوحالنا ولم نوجده لنكرمه ••

نعم ، لقد كان هذا الكائن المأساوي الحظوظ بلا شئيه عز الاله •

آه لو علم اي الاله الاسباب التي اوجدناه من اجلها • ان من الفرق به الا يعلم ذلك • اه • لعله لم يعلم • لعله •

اجل ، لقد اوجدنا هذا الاله بكل نماذجه وصيغه واخلاقه وتفسيره البليدة المستسلمة لكي نفرغ فيه ونطلق عليه ونغرقه تلويثا ، لكي نفجر فيه دون ان نخشى رفضه او غضبه او احتجاجه او مقاومته ، نفجر فيه كل شحناتنا هذه محولة الى سباب وبغضاء واتهام وتحقير وتعمير واستهزاء وصراخ وتحد وتقريع وتجهيل ، ولكن باساليب ولغات كأنها التمجيد والحب والتكريم والتعظيم ، وكأنها الايمان والدفاع والاقتناع والصلاة والتضرع ، بل مع اعلان ذلك كذلك وزعمه كذلك ، اي مع ان القصد والنية هو النقيض ، اي مع ان التفسير المنوية هي نقيض اللغة المنطوقة ، والموقف لا يمكن ان يعني غير التفسير المنوية ، اي لا يمكن ان يعني الا نقيض اللغة المنطوقة •

اي لكي نقول حينما نرى كل القبائح والالام والمظالم والبلادات والتفاهات والعبث والقسوة والجنون : ما اوحمك واعذك واذكاك واعقلك وابرك واعرق صداقتك وحبك وحنائك ونظامك ايها الاله ، ونحن لا نعني الا اقصى واقصى النقيض ، اي ونحن لا ننوي او نعني الا افتك اساليب الهجاء والسخرية والرفض •• وهل يمكن ان يأذن الموقف لنا بان نعني غير ذلك اي غير افتك اساليب الرفض والهجاء والسخرية ؟

وايضا لكي نوجه اليه اي الى الاله المذائح ونطلق عليه المزايا التي لا يمكن ان تعني في اي تفسير من تفاسيرها الا كل معنى من معاني الذم • ان من حظوظ الاله المأساوية ان اي مدح يوجه اليه لن يكون في كل تفاسيره الا كل الذم في اقصى تفاسيره وكل تفاسيره • هل يمكن ان يكون في اي اسلوب من اساليب امتداحنا لاله او في اي موقف نمتدحه فيه او امام اية مواجهة او تجربة نمتدحه امامها وتحت املائها وايحائها ونعلن امامها او تحت املاءاتها وايحاءاتها حينا له واعجابنا به •

نعم ، هل يمكن ان يكون في اي شيء من ذلك الا كل احتمالات بل كل حتميات ارادة الذم والهجاء والتبغضاء والتعمير والتحقير والسخرية والرفض قد جاءت اي

ارادة ذلك بالاسلوب المناقض اي جاءت ارادة اقسى واتصى الذم والهزاء والوجود والتحدي والزندقة بارداً واخبت وانذل اساليب الايمان والحب والافتناع والصلاة والطاعة . ما اوقع ان تمتدح بالسقاء او بالرحمة غمامة مستلقية في السماء وتحتها مروج تموت ظلماً . ما اوقع ان تمتدح الاله بالحب او بالحياء وانت ترى او تسمع دمة او انة او صرخة يطلقها مريض او مفلوج او مهان او جائع او حزين أو مطارذ بالعار
اجل ، لقد آمننا بالاله بالصيغة التي تصورناها وزعمناها له لكي نفرغ فيه ونطلق عليه كل موهبتنا في العدوان والخبث والبغضاء واللؤم والحقد بكل الشمول والقسوة للذين يتكافأان مع موهبتنا هذه ، لكي نصب عليه وفيه كل افرازاتنا اللثيمة القبيحة .
اذن نعتذر الى موهبة الذكاء فينا . فان ذكاءنا لم يهبط ولن يقبل ان يهبط الى ان نؤمن بالاله اعجاباً به وحبا له لا لكي نعاقيه ونعتدي عليه ، لا لكي نجعله يمتص من انفسنا واخلقنا وحياتنا كل ادواها وعرقها وعدوانيتها

نعم ، لقد آمننا بالاله لكي نصب عليه ونفرغ فيه كل عداوتنا وحقدنا وخبثنا وبغضائنا والامنا وهجائنا بحجة الايمان والاحترام والحب والتمجيد والتعظيم والشكر والصلاة له ، اي باسلوب من يفعل له ذلك اذن نعتذر اليك يا اخلاقنا او اعتذري انت الينا فقد هبطت بنا او هبطنا بك بلا قرار وان كان ذلك تحت اقسى اضطراب
هل يوجد ساخر من الاله وهاجمهمين معير محقر له مثل مريض مشوه ضال مصاب بقصر القامة وصغر الهامة حينما يذهب بتضرع وبكاء يطلب منه ان يهبه الشفاء والجمال والهداية وان يهب قامته الطول وهامته الضخامة وهو يعلم انه هو الذي فعل به كل ذلك ، فعله به بتدبير وتخطيط واصرار وبحكمة ومنطق ايضا ؟

هل سمعت ايها الاله من فعلت به ذلك يطلب منك انقاذه ؟ هل رثيت لنفسك او له وانت تسمعه ؟ هل حمدت اذنك ؟

اليس الذي يفعل ذلك هو اكثر استهزاء وقبحا وسفها وبلادة وسخفا وغواية من انسان تنقل اليه ذبابة او بعوضة او اية حشرة اخرى جرثومة وباء فيصايب بالوباء فيذهب يتضرع الى تلك الذبابة او البعوضة او الحشرة طالبا اليها ان تهبه الشفاء من نفس الداء الذي نقلت اليه بل ومن كل داء اخر ؟ هل سمعت من يتضرع الى مثل هذه الذبابة او البعوضة ؟ لقد سمعته كثيرا لانك قد سمعت من يتضرع الى الاله لينقذه مما اصابه هو به

ان الذي يطلب من الحشرة ان تشفيه مما اصابته به لافضل من الذي يطلب من الاله ان يشفيه مما اصابه به لان الحشرة تصيب بلا تدبير او تخطيط او منطق او اصرار . اذن فلا مانع ان تفعل نقیض ما فعلت متراجعة عن الالء الى الافضل .
اما الاله فقد اصاب بما اصاب به بتدبير واردة وحكمة ومنطق وتفكير ومحاسبة ومحاكمة للموقف كله فكيف يرجع عنه ، كيف يشفي مما اصاب به ؟ كيف يهضم ما شیده يعلم ومن ووعي وبحسابات مدروسة ومعلومة لا يمكن ان تخطى ، او ان يوجد

ما هو اذكي او اذق او اصدق منها في حساباتها - نعم ، كيف يهدم بناء شيده بهذا الاسلوب وتحت هذه الحسابات لانه قد طلب منه ان يهدمه ؟ اليس الذي يطلب منه ان يهدم مثل هذا البناء هو اقبح حاج متهم له ؟

اليسست مطالبتك بان تهدم ما صنعت هي مطالبة لك بان تهدم نفسك ؟ اليس ذلك اذلالا وهجاء لك ؟

اذن اليس المريض او المشوه او المصاب او الضال الذي يطلب من الاله ان ينقذه من ذلك هو اقبح حاج متهم له اي اذا كان يؤمن بان الاله هو الذي اصابه بذلك وهو الذي يحكم هذا الكون ويدبره ويريده ويصوغه ؟ اليس الذي يقول يا الهي اشفني مما اصبتني به هو كالذي يقول : يا الهي اقطع يدك اللتين صاغتا عذابي وآفتي ؟

ان كلمة « رحيم » موصوفا بها الاله لن تكون الا استهزاء فظيما . ان كلمة رحيم موصوفا بها الاله لا وقع من كلمة « نظيف » موصوفا بها الذباب والصرصار . .

كيف يمكن ان تكون المواجهة بين عيني الاله واذنيه حينما يسمع باذنيه او حينما تسمع اذناه من يصفونه بالرحمة ، بكل الرحمة ، ثم يرى بعينه او ثم ترى عيناه الالام الوحشية الشاملة التي يوقعها بتدبير وتعمد واصرار بمن يصفونه بهذه الرحمة ، بل التي يوقعها بكل احد وبكل شيء ؟

كيف امكن ان يوجد اي تعايش او تجاور بين عيني الاله واذنيه ؟

كيف امكن ان يخدع او يتقبل او يرضى او يفرح اي الاله حينما يسمع من يصفونه بنقيض ما يفعل ونقيض ما يرى ونقيض ما يحدث بل ونقيض ما يريد ويدبر - بنقيض ما يصيبهم به وبنقيض ما يدبر ويريد لهم ؟

كيف يصدق انهم حتما يمدحونه ويشكرونه ويحبونه ؟ كيف لم يفكر او يظن او يوقن ان في الامر خدعة ، وانه امتداح لا يمكن ان يعني به الامتداح ؟

واذا كان يفترض ان امتداحه امتداح وليس استهزاء فظيما فكيف ينتقبل المقاتل امتداح المقتول له ؟ كيف ؟

اذن هو احتمال جيد اننا لم نؤمن بالاله الا بنيات شريرة عدوانية اي لكي نبصق عليه كل شحاتنا الخبيثة محولة الى شتائم واتهامات واستهزاء وهجاء ولكن باساليب ولغات الامتداح والثناء والحب والشكر والصلوات .

انه الذم باسلوب المدح او بحجة المدح وبادعاء المدح وهو اوقع اخلاق الذم . انه لا يوجد كائن يواجه كل اساليب ولغات وتفسير ونيات الذم باساليب ولغات ودعاوي كل المدح مثل الاله . انه اذن لا اجد يقسى عليه مثلما يقسى على الاله في صياغة الذم له وفيه وفي اساليب ذمه واساليب توجيه الذم اليه وفي الظروف التي يوجه فيها هذا الذم اليه وفي التفسير التي يفسر بها هذا الذم . .

انه لا يوجد ولم يوجد مدح او شكر او اعجاب او حب يعنى به او يجب ان يعنى به اقصى الذم والجحود والاشمئزاز والبغضاء مثل امتداح الاله وشكره وحيه ومثل الاصحاب به . انه اذن لا يوجد ولم يوجد مستهزا به مكنوب عليه مثل الاله . .

ولكن هل عرفنا او هل يمكن ان نعرف اننا لم نؤمن بالاله الا تحت املاء هذه البنية الشريرة العدوانية - نية البصق عليه ، نية ان نبصق عليه كل شحناتنا غير النظيفة او الكريمة او الثمينة ؟

هل عرفنا اننا لم نؤمن بهذا الاله الا لكي يكون مبصوقا عليه ولكي نكون نحن الباصقين ، او هل عرف ذلك انبياءه ودعائه الذين يجيئون لكي يقاتلونا ويلعنونا ويهددونا ويوعدوننا اذا لم نؤمن به ، اي اذا لم نبصق عليه كل شحناتنا البذيئة الوبيلة ؟ هل عرف اكبر الدعاة الى الاله ان دعوتهم لا تعني الا الدعوة الى ان يستفرغ الناس كل شحناتهم الوبيلة البذيئة هذه على الاله وباسمه ؟

هل عرفنا او عرف هؤلاء الانبياء والدعاة الذين يجيئون لكي يمتصوا من انفسنا وحياتنا وتاريخنا كل العفن ليلقوا به على الاله الذي يزعمون او يحسبون انهم لم يجيئوا الا لكي يصنعوا له المجد والنظافة والكبرياء والمسرات . .

- نعم هل عرفنا او عرف هؤلاء ذلك ؟

ولكن هل شيء جيد او مفيد او محتوم او مشروط ان نعرف ذلك ؟

او هل هو قاتل او مضعف او زاجر لحماقاتنا او لنزقنا او لافتناحنا او لرغبتنا في ذلك ان نعرف او الا نعرف ؟ هل المعرفة بخطا الاقتناع تمنع من الاقتناع او تمنع من ارادة او من ممارسة ما المعرفة ضده ؟ هل المعرفة شرط في ان نفعل او نكون او في ان نحيا ؟ هل اشتربت قلوبنا الا تخفق او اعضاؤنا الا تجوع وتشتهي وتتوقع وتتفصح الا بان تعرف ؟ بل هل اشتربت عقولنا بالا تعرف الا بعد ان تعرف بان عليها ان تعرف او بانها مطالبة بان تعرف او بان من الخير لها او من التقوى والكشفامة ان تعرف وبان ما تعرف هو الذي يجب عليها ان تعرف وكل ما يمكن ان يعرفه كل من يستطيع ان يعرف ؟

هل الذي يعرف يقتنع او يقدم اكثر او اقوى واذكى من الذي لا يعرف ؟ هل المعرفة شرط في اي شيء ؟ هل نحن لا نقنع ولا نتحمس ولا نرى ولا نعجب بل ولا نكره لو نحقد او نصفر الا لاننا نعرف او بقدر ما نعرف ؟

وهل نحن لا نعرف الا لاننا نعرف ؟ وهل نعرف اكثر لاننا نعرف ام لاننا نجعل ؟ هل يموت حماسنا لاوهامنا وشهواتنا ورغباتنا ومصالحنا لو لم نعرف لماذا نجح حماسنا لها ؟ هل يموت حقدنا على الآخرين وغيرتنا منهم وحبنا لانفسنا اكثر من حبنا لهم ، او تموت امواؤنا المتوجهة الى قوم آخرين ؟ . .

نعم ، هل يموت شيء من هذا او حتى يضعف او يصاب بالاستحياء لو عرفنا اننا لا نعرف لماذا نحقد ونغار ونهوى ونحب انفسنا بكل هذا الفزق والعدوانية ، او

لو عرفنا اننا يجب أن نكف عن ذلك ، وأن من الغباء واللؤم والندالة والفجور والهجاء لانفسنا ولاربابنا ومذاهبننا وادياننا الا نكف عنه ؟

هل الذباب يهاجمنا بقدر ما يعرف بأن عليه ان يهاجمنا او بأن من الانسانية او الاخلاقية ان يفعل بنا ذلك او من النافع له ، او الا بقدر ما يعرف كيف يهاجمنا وينتصر علينا ؟ وهل يكف عن مهاجمتنا لو عرف ان من الندالة ان يستمر في مهاجمتنا وان من الشهامة ان يتوقف عن ذلك ؟ او لو لم يعرف اذكي وافضل الاساليب لمهاجمتنا او لو لم يقتنع بشرعية مهاجمتنا ؟

هل عرفنا او عرفنا ان علينا ان نعرف الاسباب او المسوغات او الحوافز او الافكار التي جعلتنا نفتنح بما نحن به مقتنعون ، وجعلتنا نجرؤ على الجهر باقتناعنا هذا بل وعلى مباهاة ومبارزة ومقاتلة كل الاخرين باسمه ودفاعا عنه ؟

ولو عرفنا اننا لم نعرف هذه الاسباب والمسوغات والحوافز والافكار ولم نحاول معرفتها او محاسبتها فهل يمكن ان يصاب اقتناعنا هذا بالموت او بالوهن ؟ هل نحن نفتنح بقدر ما نفتنح ام بقدر ما نريد الاقتناع ونحتاج اليه ونلقنه ؟

اذن لو عرفنا اننا لم نؤمن بالاله الا تحت املاء ومشورة هذه النية العدوانية فهل يمكن ان يضعف ايماننا هذا او ان تضعف رغبتنا العدوانية هذه او تضعف ممارستنا لها بكل هذه القسوة والشمول والاعلانية ؟

هل يمكن ان نصاب حينئذ بالحياء والتعذيب ونكف عن الايمان بهذا الاله المظلوم المهان ؟

هل الذي يصنع الايمان هو المنطق ام الاحتياج الى الايمان والممارسة ؟ وهل الذي يصنع الاقتناع بالمنطق هو المنطق وقوته ام الذي يصنع ذلك هو الاحتياج الى الشيء الذي اقنع ويقنع به المنطق ؟ هل الاقتناع عملية عقلية منطقية ام هو عملية اخلاقية ونفسية وعضوية واجتماعية وسلوكية ؟ هل اعضاؤنا اقدر على اقناعنا ام عقولنا ؟ هل اي منطق يساوي قوته وصحته ام يساوي الاحتياج اليه واساليب تلقينه واملائه وظروف الاقتناع به وظروف مجيئه وتلقيه واملائه ؟

هل المنطق رؤية وتجربة ووجود ام شهوة وحاجة وتعليم وفرض ومجتمع وتاريخ وقبور ؟

هل المرئي يساوي نفس المرئي ام يساوي العيون التي تراه ؟ وهل العيون التي تراه تساوي نفس العيون ام تساوي الشهوات والاهواء والاحتياجات التي ترى بها ؟ وهل الشهوات والاهواء والاحتياجات تساوي نفسها ام تساوي ما يعقل او ما ينبغي او ما يتحول الى وقار واتزان لا الى افتضاح وعار ؟

هل الشهوات والاحتياجات والاهواء تكون كما يراد لها وكما يجب ان تكون ام تكون لانها هكذا تكون ؟

و هل الافتضاح والعار يساويان نفس الافتضاح والعار ام يساويان حكمنا عليهما ،
ولكن حكمنا عليهما ماذا يساوي ؟ ان حكمنا يساويانا • اذن نحن ماذا نسائي ؟
اننا نسائي مجيئنا • ومجيئنا ماذا يساوي ؟ انه يساوي الكون الذي جئنا منه
وفيه • والكون ماذا يساوي ؟ انه السؤال الذي يجب الانتظار الى ان يجيء اي اله من
آلهة القدماء لكي يجيب عليه ..

**

ولكن هل تستطيع ان تتقبل هذا ؟ هل تتقبل اننا قد نؤمن بكائن لا وجود له
ولا يمكن ان يوجد لكي نعتدي عليه ، اي لكي نفرز عليه آلامنا وخبثنا ؟
و هل يمكن ان يوجد ما يجعلك تعجز عن تقبل هذا او عن تقبل اي شيء ؟ هل وجدت
او هل يمكن ان توجد حدود او حواجز او علامات تفصل بين ما يمكن تقبله وما لا يمكن
تقبله ؟ هل تستطيع كل حضارات البشر وعبقرياتهم ان تصنع هذه الحدود
والحواجز والعلامات او ان تعرفها ؟ ولو وجد من يريد ويستطيع ان يصنعها فعلى
اي قياس او نموذج يصنعها ؟ وحينئذ لو صنعها من يصدقها او يقبل منه او يلتزم به ؟
ان جميع البشر لو تحولوا الى عباقرة في مواهبهم العقلية والى انبياء في
تقواهم واخلاصهم وفي حدسهم الغيبي ثم تحولوا الى ندوة عالمية علمية لكي يعرفوا
ويحددوا ما يستطيع الانسان بعقله وبارادته وقدرته وضميره واخلاقه وباقتناعه ان
يقبله او يفعله او يرضاه وما لا يستطيع ان يقبله او يفعله او يرضاه اي بعقله وضميره
وباخلاقه واقتناعه وبارادته وقدرته ، لما استطاعوا ان يتوصلوا الى هذه المعرفة
ولا الى هذا التحديد •• ان احتمالات الانسان العقلية والنفسية والاخلاقية والاعتقادية
والعاطفية لا يمكن ان تضبط بأي حسابات مهما ضبطت جميع الاشياء بهذه الحسابات •
ولو انهم اي جميع البشر استطاعوا بوسائلهم العلمية والفنية ان يعرفوا ما
يستطيع ان يفعله ويتحملة ويقدر عليه قلب انسان ما او رثائه او كبده او اي عضو
من اعضائه او غدة من غده لما استطاعوا ان يعرفوا ما يمكن ان يتقبله او يتحملة او
يؤمن به او يعرفه او يستسيغه عقل ذلك الانسان او اخلاقه او ضميره او عقائده ،
وكذلك اي انسان اخر • انه قد يمكن ان تعرف الاحتمالات الصحية لاي طفل يوم ولادته
ولكن هل يمكن ان يعرف ان هذا الطفل لن يكون نبيا ولا قديسا ولا مؤمنا او انه
لا يكون ذلك ؟

انها لا توجد اية حراسة من اي نوع على افكار الانسان او على ضميره او على
اخلاقه او على عقائده واقتناعاته ، متقبلة او رافضة ، مستطبعة او عاجزة ، مستحسنة
او مقبحة • ان جميع العلماء والانبياء والمصلحين والمعلمين لا يستطيعون ان يصنعوا
هذه الحراسة ولا ان يكونوها • انها لا توجد داخل هؤلاء الانبياء والمعلمين والعلماء
ولا حولهم حراسة مهما حاولوا ان يصنعوا اشمل الحراسات ••

وان البشر مهما تعلموا وعرفوا كل شيء فانهم لن يستطيعوا ان يعرفوا او يتعلموا ما يجوز او ما يجب ان تقبله وتستطيعه وتستسيغه عقولهم او ضمائرهم او اخلاقهم او عقائدهم واقتناعاتهم ، وانه لن يوجد من يعلمونهم ذلك مهما وجد من يعلمونهم كل شيء ، وكذلك ما يجب او ما لا بد ان ترفضه وتنكره وتعجز عنه عقولهم او ضمائرهم او اخلاقهم او عقائدهم او اقتناعاتهم او كراماتهم وشهامتهم وكبرياؤهم . ان موهبة التقبل والرفض ، الاستساعة والاستنكار ، الاحجام والاقدام ، الاعجاب والاشمئزاز بالفكر او الضمير او الاخلاق او العقائد او الاقتناعات ، ان هذه الموهبة ليست طاقة تحسب وتحدد كما تحسب وتحدد الطاقات . انها ليست كطاقة العين او الاذن او القلب او العضلة او اليد ، تستطيع ان ترى او تسمع او تحمل وترفع وتتحمل او لا تستطيع . ولكنها اي هذه الموهبة فوضى وضياح واطلاق بلا حسابات او مسوغات او قوانين مضبوطة او معروفة او مظنونة او محتملة ان اي معلم لاي شيء من ذلك لا يوجد من يعلمه ما يريد ان يتحول الى معلم له . . انه بلا معلم انهم ليسوا اقوى او اكبر الناس عقولا او اخلاقا او ضمائرهم هم اقدرهم على التقبل والاقتناع والاستساعة بالفكر او الضمير او الاخلاق او بالاقتناع للاشياء وللمواقف وللتفاسير وللدعاوي وللاستعراضات والدعايات المختلفة الموضوعات والجنسيات ، وللتنقل بينها وللاستعداد الدائم لهذا التنقل السريع الدائم الذي لا توجد له او حوله اية حراسة .

ان ذلك ليس كالعضلات والاعضاء والاجسام التي تجيء اقواها اقدرها على حمل ورفع الاثقال وعلى تحمل الضربات والمصادمات والتحديات والمبارزات اجل ، انها لا حدود ولا قوانين ولا ضوابط ولا علامات ولا نبوات لما يمكن ان تقبله او ترفضه عقولنا وعقائدا واخلاقنا وضمائرنا وشهامتنا وشرفنا وكبرياؤنا وذكائنا وتقوانا .

ثم كيف يمكن ان يكون شيئا شاذا او مستغربا او شيئا يصنع التساؤل والحوار ان تؤمن بكائن لا وجود له ولم نجد او نر او نعلم شيئا يجعل وجوده شيئا محتملا لكي نبصق عليه اي على ذلك الكائن الذي لا وجود له ، لكي نبصق عليه شحاتنا الاليمة اللثيمة ، لكي نبصقها ، لثلا تحرقنا وتخفقنا وتغرقنا ، سبابا وبغضا واتهاما وتحقيرا وصراخا وبذاءات ونذالات ، تؤذيها وكأننا نؤمن ونصلي ونحب ونقطر من كل تفاسير ونيات الخبث واللؤم والخسة وننشد السماء كل اناشيد التمجيد والصداقة .

- اجل ، كيف يكون ذلك شيئا شاذا او صانعا للتساؤل والحوار والحيرة او الاستغراب ونحن نفعل ذلك باشمل الاساليب واكثرها عالمية واعلانية ، بل ونحن نحول ذلك ، وهكذا كنا في كل تاريخنا نفعل ، نحوله الى طقوس وشعارات وعقائد دينية

ومذهبية ووطنية وقومية ، يكون الخارج عليها بل او الناقد او المحاور لها زنديقا وتزيرا وعدوا يجب الالقاء به الى الموت والجحيم ؟

لقد آمننا بان الشيطان والابالسة والقوى الغيبية الاخرى الرهيبة موجودة بل ومألثة لكل الكون ولكل اماكننا وطرقنا وبيوتنا بل وانها داخل ذواتنا وملابسنا وعيوننا وقلوبنا وسررنا تملؤها وتملؤها حتى ان غيرها ، الالهة والانبياء والملائكة والقدسين وسائر المعلمين لا يجدون لهم فيها اي مكان . . . لقد آمننا بوجود هؤلاء الذين لا توجد لهم ونحن نعرف مهما كان غباؤنا انهم لا وجود لهم . لقد آمننا بهم اي بوجودهم لكي نفرغ عليهم وفيهم كل ما في ذواتنا وحياتنا وتاريخنا من احتشادات بذينة قبيحة نتجث عن التفريغ والتصرف - لكي نفرغها عليهم وفيهم بأساليب سباب وبغضاء وهتوات وتضرعات ومواعظ وخطب وتعليم ضدهم وتطاول ظالم عدواني عليهم ، لنحولهم الى مظلومين ومعتدى عليهم بلا نموذج مع انهم في براءتهم وكرم اخلاقهم وصبرهم بلا نموذج . ان الشيطان واخوانه من الابالسة لم يدبروا او ينفذوا اية شنيعة او دعاية لكي نؤمن بهم ونتصورهم بكل هذه الشرور لكي نصب عليهم كل اعدائنا ونذلاتنا وشتمائنا بكل هذه الاساليب التي نمارسها ضدهم . لقد كان ايماننا هؤلاء الابرياء ظلما لا نموذج له للكائنات لا نموذج لها في براءتها وشهامتها .

واننا ايضا لنؤمن دائما باننا محاصرون ومحاطون باعداء لا عداد لهم ولا مثل لرجبتهم في العدوان علينا كما لا مثل لمشاعرهم العدوانية التآمرية المبغضة الحاكمة نفوسنا ، بل وان كل من حولنا او كل الاخرين اعداء ومبغضون ومحاربون لنا ومخططون مدبرون متآمرون ضدنا . حتى الطبيعة انها لا تعمل الا لانها تكيد لنا وتحاربنا .

لقد آمننا هذا الايمان لكي نستطيع ان نستفرغ كل شحناتنا الرديئة القبيحة على اعداء وخصوم لا وجود لهم . .

اننا لن نتصور لانفسنا اي مجد ولا اي تفسير حضاري او انساني بل او اخلاقي او ديني . . كما لن نعيش اية سعادة او شاعرية نفسية وقومية الا بقدر ما نجد او نتصور لنا من اعداء متآمرين . .

اننا لا بد ان نجد هؤلاء الاعداء والخصوم هابطين علينا من السماء مقصدقة علينا بهم النجوم والكائنات السماوية الطيبة ، والا وجب علينا ان نفترضهم افتراضا او لخلقهم خلقا . انهم انقاذ لنا . انهم قد يكونون نافعين ومنقذين ومريحين لنا اكثر من الاصديق والانصار والمحبين . بل انهم قد يكونون اعظم نفعا لنا وامجد وجودا وظيفيا وفي حياتنا من جميع الانبياء والقدسين وسائر المعلمين المذهبيين والانسانيين . ان قيمة الانبياء والقدسين وسائر المعلمين ، ان كل قيمتهم ونفعهم لنا انهم يحرضوننا وعلى الايمان بوجود هؤلاء الاعداء والخصوم وعلى ان نستفرغ فوقهم كل شحناتنا والبذينة . .

وايضا السنا نصنع المناير والمحاريب والتعاليم واللغات والكتب المقدسة والانبياء والزعماء وكل المعلمين والواعظين لكي نستقرغ عليها وعليهم كل عفوناتنا وآلامنا وبشتى الاساليب والتعبيرات ؟ ان جميع علاقاتنا بهؤلاء الانبياء والزعماء والمعلمين وبالمحاريب والمناير واللغات والكتب المقدسة ليست سوى اساليب استقرافية عليهم وعليها ..

وايضا السنا نصنع الابناء ونتخذ الاصدقاء وامثالهم لكي نعتدي عليهم ككل اساليب الاعتداء وبكل تفاسير العدوان ونياته ولغاته وارتجافاته - لكي نقذف عليهم ونفجر فيهم كل خزانة النفسية والاخلاقية والتاريخية والبدوية الاليمة - لكي نقذفها عليهم ونقذفهم بها ببشتى الاساليب وبكل الاساليب ، باسلوب الشكوى والحجج والالقاء بالاسرار ، وايضا باسلوب الحوار ومحاسبة الاحداث والقضايا والاقدار والايام ، وايضا باسلوب نقد المذاهب المخالفة والآخرين المخالفين وباسلوب لعنها ولعنهم . وايضا باسلوب الغضب للحق والحقائق وللأخلاق المهجورة المهانة المكذوب عليها والمكذوب بها ، وباسلوب الغيرة عليها والموت فداء لها ، وايضا باساليب اخرى كثيرة مختلفة . ان الاصدقاء وكل من هم في معناهم لهم من اجود الاساليب الاستقرافية التي هدتنا اليها موهبتنا العدوانية وضروراتنا الحمقاء البائسة .

هل يمكن ان نصادق انسانا او ان نبحت عن صديق لو لم نكن محتاجين ومريدين ان نلقي بآلامنا وهمومنا ومتاعبنا ومخاوفنا وضياعا وهزائنا عليه وبين يديه بأية لغة وأي تعبير او بكل لغة وكل تعبير ؟ فالصداقة لا تكون الا عدوانا ولكنها في الاكثر عدوان متبادل ، عدوان منك وعدوان عليك . كذلك ايضا صناعة للابناء .. هل يمكن ان تفسر الصداقة بغير فعل الاعتداء او بغير تقبل الاعتداء ؟

ولكن هل كل عدوان تحاسبه او تحاكمه او ترفضه الاخلاق او المذاهب او الشهامة او الحب او الايمان ؟ بل ليست هذه كلها اساليب وصيغا مختلفة من اساليب العدوان وصيغه ؟ هل يمكن ان يكون الدين او الاخلاق او الحب او الشهامة او المذهب او اي سلوك او موقف جيد الا عدوانا ما باسلوب او تعبير ما ؟ لو افنا عرفنا نفاسير الصداقة وحوافرها فهل يمكن ان ننزل في الثناء عليها الكتب المقدسة كما فعلنا ؟

ولننظر الى هذا للتفسير او التقسيم او الى هذه الوظائف الجيدة المريحة لنا .. لننظر الى هذه الاتهامات او الدعاوى او الحقائق الفاجعة ..

الالهة والانبياء والمعلمون والزعماء وكل من هم في معناهم ، باسمهم وبتعاليمهم وتحريضاتهم وبجحة الدفاع عنهم والغضب لهم والايمان بهم نستقرغ آلامنا وعفوناتنا النفسية والاخلاقية واللغوية ، وايضا نستقرغها عليهم بشمية اكثر حماسة واصالة وشمولا وضجيجا . ولكن أليس هؤلاء يفعلون لنا وبنا وبجحة الدفاع عنا والعمل من اجلنا والحب لنا نفس الشيء وان كان باساليب اظفى واغوى ؟

اما الشيطان واخوانه واقاربه وكل مجتمع الغائبين الغيبين الرهيب فاننا نستفرغ عليهم هذه الالام والعفونات . ولكن هؤلاء هم فوق كل حدود الشهامة والكرم والصنع . انهم لا يفعلون ولا ينون ان يفعلوا بنا شيئا مما نفعله بهم .

اما المنابر والمحاريب والكتب المقدسة واللغات والصدقات والاخوات وجميع ما في معناها من علاقات ولقاءات ، وكذلك المذاهب والقوميات والوطنيات وكل ما يعني معناها من تجمعات وانتماءات ، فاننا نستفرغ هذه الالام والعفونات من فوقها وبلغتها وبواسطتها ومن طريقها وبين يديها ، وايضا قد نستفرغها عليها بل حتما نفعل بها ذلك . آه لو استطعنا ان نبصر ما فوق هذه المنابر والمحاريب والصدقات واللغات والقوميات والمذاهب وكل هذه العلاقات والانتماءات من عفونات تتراكم وتتهاوى . اذن ما اعظم حظوظنا او ما اعظم عبقرياتنا وابتكاراتنا . لقد وجدنا او ابتكرنا الكائنات التي نستفرغ عليها آلامنا ووقاحتنا واولحنا ، ووجدنا او ابتكرنا الاماكن التي نستفرغ فيها ومن فوقها ذلك ، ووجدنا او ابتكرنا لغات واساليب استفرغنا لذلك ، ووجدنا او ابتكرنا المسوغات والاسباب والتشريعات التي نفسر ونحلل بها ذلك بل التي نجعل بها ذلك واجبا حضاريا او انسانيا او اخلاقيا او وطنيا او ثوريا او دينيا او منطقييا او كل هذه المسوغات والمحللات والمفسرات والموجبات والواجبات . هل في حظوظنا او فنوننا او ابتكاراتنا في كل تاريخنا ما يساوي موهبتنا الاستفرغانية ؟ كيف كان يمكن ان نتعامل مع انفسنا وعفوناتنا وخبائثنا هذه لو لم نجد او نبتكر هذه الكائنات والاماكن واللغات والاسباب والمسوغات والاسباب والتشريعات التي بها استطعنا ان نؤدي بها عملياتنا الاستفرغانية هذه بكل هذه الروعة والبسالة والشمول والاعلانية بل وبكل هذا الافتضاح والتعري والوقاحة والجنون والعدوانية ؟ لماذا جننا محكوما علينا بالاستفراغ الجسدي والاستفراغ النفسي والاخلاقي واللغوي والديني والمذهبي ؟ لماذا جننا محكوما علينا بكل هذا التلوث والتلوين ؟

ايها الالهة والانبياء والزعماء والمعلمون ، ايها الشيطان وجميع الابالسة . . ايتها الصدقات والاخوات وجميع العلاقات والتجمعات والانتماءات والقوميات والوطنيات والمذمبيات والاديان وجميع الاعتقادات . . ايتها المنابر والمحاريب واللغات والكتب القصية المنزلة . .

ايتها الصحافة والاقلام والفنون والبلاغات والثورات . .

يا كل هذه وكل هؤلاء ، كم انتم نبلاء واسخياء وفدائيون ، او كم انتم جبناء وانذال ومهينون ومجقرون وفاقدون لكل هموم وهمم واهتمامات الكرامة والرفض والتطهر اذ تقبلتم بكل هذا الصبر والاستسلام والصمت والطاعة ان تكونوا اهدافا وتفسير ومناير ومحاريب وعروش واسواقا وتعبيرات واساليب وتسويغا وتشريعا وتحليلا ومنطقا ونبوات لكل المشحونين بكل القبائح والوقاحات والنذالات والبذاءات وبكل العفونات النفسية والاخلاقية واللغوية والتاريخية لكي يستفرغوا ويصبوا كل

شحناتهم الوبيلة البذيئة هذه باوقح واشمل الاساليب عليكم ومن فوقكم وبكم وبافواهكم واخلاقتكم وتعاليمكم ولغاتكم واصواتكم وباسم الدفاع عنكم والغضب من اجلكم والحب لكم والشكوى اليكم والحوار معكم والتعلم منكم والصلاة بين ايديكم والتهاتف لكم - لكي يصوبها ويستقرغوها سبابا وطعنا وزما وتحقيرا وتشنيها وبغضا واتهاما وبذاءة وتوقحا وفحشا !!

ماذا لو أن اي نبي او زعيم او معلم او اله علم انه انما يجيء او يبتكر او يدعى الى المجيء او يفرض عليه المجيء لكي يكون هذا فقط اي لكي يكون عملا من اعمال هذا الاستفراغ ، اي ليكون ذاته او مكانه او منبره او لغته او منطقته او اسلوبه او ثوبه او اسمه او معلمه او مشرعه ، وعلم ان المؤمنين به والهاوتين المستقبليين المتبعين المجددين المخلصين له والمقاتلين دونه او معه لا يريدون منه الا ان يكون ذلك ولا يفهمون له اي تفسير او اية وظيفة سوى هذا التفسير وهذه الوظيفة - لو علم اي اله او نبي او زعيم او معلم ان اي مؤمن به حينما يهتف له او يتضرع اليه انما يريد بذلك ان يستقرغ عليه آلامه واولحاله وجميع شحناته البذيئة ..

- نعم ، لو ان اي اله او نبي او معلم او زعيم علم ذلك هل يقبل حينئذ المجيء تحت اي ظرف او حافز او نية من الظروف او الحوافز او النيات المختلفة والمتفاوتة القيم والتفاسير ؟ بل هل يمكن ان يقبل حينئذ الاعلان عن نفسه او الدعاية لها او التعريف بها او ان يعترف على نفسه بانه قد اصبح الها او نبيا او زعيما او معلما ؟ ما أوقع وقاحة من جرؤ على أن يزعم لأول مرة انه قد اصبح الها او نبيا او زعيما او معلما ؟ كيف وهب هذه الوقاحة ؟

ولكن هل يستطيع الالهة او الانبياء او الزعماء او المعلمون ان يعلموا ما لا يستطيع جهله او ان يرفضوا ما لا يستطيع تقبله او ان يقاسوا اية مقاساة من اي عار تقتل قسوة مقاساته كل احد حتى ابلد الحشرات وأصلها هوانا وتقبلا ؟ هل يوجد مثل هؤلاء تبلدا او توقحا ، عجزا عن الفهم او عجزا عن الشهامة والحياء ؟

ايها الزعماء والانبياء والالهة والمعلمون .. ارثي لذكائكم ان كنتم لا تستطيعون ان تعرفوا هذا ، وارثي لاخلاقتكم ولكبريائكم ان كنتم لا تجدون في هذا عارا بل كل العار ، او ان كنتم تجدون في وجودكم اي مجد او متعة او سعادة او عزاء ..

ارثي لكائنات كل مجدها واستمتاعها ونفعها ووظيفتها ان تتحول الى اجهزة وامكنة لكل انواع الاستفراغ .. اي ارثي للالهة والانبياء والزعماء والمعلمين ..

يا هؤلاء الالهة والانبياء والزعماء وسائر المعلمين ، ان كل مجدكم وجاهكم عنفنا وكل نفعكم لنا وكل تعاملنا معكم وكل ما نريده منكم ونجده فيكم - ان كل ذلكم في ان تتحولوا الى اجهزة والى اساليب ولغات وامكنة وتسويغ وتفسير ومنطق لكل عملياتنا الاستفراغية . وحقا لقد تحولتم الى كل هذا الذي اردناه واملناه بكل السخاء

والشهادة والاستجابة والنبيل بل وبكل ضروب الكفاءة . فهل تستطيعون ان تغضبوا او تفهموا او تفكروا ..

ان كل مزاياكم وعبقرياتكم في رؤيتنا وتفسيرنا لكم ، وكل ما نطلبه ونؤمله من ايماننا بكم ان نذهب بكل اصلتنا في الوقاحة والفحش نسب ونبغض ونعادي ونتهم ونحقر وننفث كل حقنا وخبثنا وعدوانيتنا على كل سماء وارض واتجاه ، وعلى كل احد وكل شيء حتى عليكم انتم .

- ان نفعل كل ذلك بكل الجهر والاعلان والشمول والديمومة ، باسمكم وبتعاليمكم وتحريضاتكم ولغاتكم وفوق منابركم ومحاريبكم وبحجة الايمان بكم والحب والولاء والاخلاص لكم والدفاع عنكم ومقاتلة اعدائكم واندادكم ومنافسيكم على المجد وعلى قيادة التاريخ وخديعته وتلويثه وعلى سوق البشر المخدوعين المطيعين الاغبياء ابدا الي الموت والخراب والعداوات والخاصات والحروب وايضا بحجة مقاتلة ونبغض منافسيكم على الالهية والنبوة والزعامة وعلى كل اللوان ومعاني القيادة والسلطان .
اواه ما اطيب مذاق هذا واعظم سعادتنا به ..

ان كل ما رجوانه من هياتكم لنا ان تتحولوا الى مشرعين ومحللين لكل قبحنا لكي نعبر عنه بكل بذائتنا ، بكل مواهب الهمجية والعنوانية فينا . ان اعظم ما حللتم وسرعتم لنا هي العداوات والبسافات والبذاءات والشتائم باسم الايمان بكم والحب لكم ، باسم الاخلاق والتقوى ..

انا هنا لنعترف لكم بذلك لأول مرة - بل ان هذا هو اول اعتراف نعترف به لانفسنا في هذه القضية . هل كنا في كل تاريخنا نجهل هذه الحقيقة ، نمارسها انفسا واشمل واجهر ممارسة ومع هذا ظللنا نجهلها ؟ ام كنا نهاب الاعتراف بها لكم او لانفسنا خوفا عليكم وعلى انفسنا من العلم بها واستمساكا بسلوك او بكتمان حسينا الاستمساك به هو اول مراحل التهذيب ؟

والان هل نخشى عليكم ان تصدقوا هذا الاعتراف وان تصعقكم تفاسيره وان تسحب منكم كل اسراركم اني انجي . هل نحسى بعد هذا الاعتراف على من جاءوا منكم ان يسافروا الى حيث لا يوجدون ، وعلى من لم يجيئوا منكم ان يغرقوا كل السفن الكونية ويعرقوا كل الجياد التاريخية المعدة لنقلهم اليها ؟ هل نخشى حينئذ اغلاق كل الطرق التي تجيء بكم اليها ؟

آه . هل يستطيع البشر في اي تاريخ آت ان يغرقوا جميع السفن ويعرقوا جميع الجياد التي تنقل اليهم انبياءهم وقادتهم وزعماءهم من اقصى غابات الكون وحشية وعنوانية وسفها ؟

اني لافزع ان اتصور كيف يمكن ان يجيء الالهة او الانبياء او الزعماء او المعلمون او كيف يمكن ان يقبلوا انفسهم او يواجهوها او ان يقرأوا عنها او يعرفوا او يظهروا للليعون او ان يهتف لهم او ان يصعدوا فوق أي منبر أو أن ينسب اليهم أي كتاب أو

مذهب أو تعاليم أو أن يكون لهم اتباع أو رعايا أو مؤمنون أو أن يعرضوا في أي سوق أو يعلن عنهم تحت أي شعار أو قضية أو في أية معركة أو موقف .

- نعم ، اني لافزع واعجب بل واعجز أن اتصور ذلك أو شيئا منه لو استطاعوا أي الالهة والانبياء والزعماء والمعلمون أن يعلموا أنه لا يوجد في هذا العالم • بل ولا في هذا الكون مكان أو كائنات يلقي عليه أو عليها ، فيه أو فيها ، باسمه أو باسمها من الاحوال والبداءات والعامات مثلما يلقي عليهم أي على الالهة والانبياء والزعماء والمعلمين ومثلما يلقي فيهم وباسمهم • أنه لشيء رهيب أن يحدثوا فيما يلقي ويتجمع فوق ذواتهم وضماثرهم واخلقهم وتعاليمهم واسمائهم من ذلك أي من الاحوال والبداءات والعامات والعداوات المستفرغة .

أنه ليجدو أحيانا كان هذا الكون إنما تحكمه وتضع فيه قوانينه وتفسيره وأخلاقه ومنطقه قوة شريرة تتغذى وتسعد بالعار والقبائح والحقارات ، لهذا فانها أي هذه القوة الشريرة المفترضة تبذع وتهمي جميع الظروف الجيدة المواتية التي تحرض العار والقبائح والحقارات على اللجئ والتكاثر والانتصار بل وعلى أن يكون لها كل الجد والتفوق والرسوخ ، كما أنها أي هذه القوة الشريرة المفترضة تطارد بل تخنق جميع الظروف الأخرى الرافضة لاستنابات العار والقبائح والحقارات أو التي لا تنمو فيها بكل القوة والافتضاح والديمومة • أن كل شيء ليجدو وكان في داخله قوة رهيبة في قدرتها وشرورها تخطط لجعل كل شيء يعيش العار والقبح والندالة والبلادة والفضائح ..

لو لم تكن هذه القوة الشريرة المفترضة هي التي تحبر وتصوغ الكون وجميع الأشياء فمأ الذي أذن دبر هذا التدبير الهائل للقوي جدا لكي يظل الالهة والانبياء والزعماء والمعلمون عاجزين أبدا عن معرفة هذه الحقيقة أي عن معرفة العلاقة بينهم وبين الجماهير المؤمنين بهم الصارخين لهم ، وعن معرفة الأسباب التي جعلتهم يطعمونهم ويسيروا وراءهم ويتعصبون لهم وعن معرفة التفاسير لهتافهم لهم وتضرعهم اليهم واستماعهم لما يقولون ويعلمون ، وحفظهم وقراءتهم وتفسيرهم لما ينزلون ويخلفون من آيات واناجيل واسفار والواح وكتب تعليمية ومذهبية وكتب أخرى .. وأيضا لكي يظل الاتباع والمؤمنون عاجزين هذا العجز عن معرفة أي شيء من ذلك ، أي لكي يظل الجد والسلطان والانتصار الدائم للعار ولكل ألوان القبائح والحقارات • لقد منعت معرفة ذلك ليظل كل شيء ، كما تريد وتخطط هذه القوة الشريرة ..

اليس مظلونا أو محتوما جدا أن الالهة والانبياء والزعماء والمعلمين لا بد أن يرفضوا التقدم اليينا لو عرفوا ذلك فرارا من هذا العار وهذا الاستفراغ فوقهم مهما كان مستوى كبريائهم وتنظفهم ، وأن يرفض أيضا الاتباع والمؤمنون أن يؤمنوا ويتبعوا أي أن يرفضوا ممارسة هذه العمليات الاستفراغية أو أن يفكروا في الرفض وأن يهابوا ممارسة هذا الاستفراغ ، ولو حياء أو استقذارا أو تحت زجر الضمير أو عقابه أو

استمثاره او خوفه او توقعا واحتسابا لاحتمال ان تكون هناك اية قوة غيبية تحكم وتعاقب ، اي لو انهم اي الاتباع والمؤمنين عرفوا تفاسير ايمانهم وتفسير ما يفعلون اي تفاسير علاقاتهم بالالهة والانبياء والزعماء والمعلمين . وايضا قد يرفضون ذلك لو يهابونه استقباحا للاستفراغ الدائم . ليس الاستفراغ حتى على الهة والانبياء والزعماء شيئا مؤذيا ومحقرا لفاعله ؟

لكن لقد دبرت هذه القوة الشريرة التي تحكم الكون وتصوغه وتضع له اخلاقه وتفسيره ونكاهه وكبرياهه ، لقد دبرت بدهاء شرير ان يظل الجميع ، الارباب والعبيد يجهلون هذه الحقيقة لكي يظل الجميع يمارسون العار والفتنات والحقارات بكل الشهوة والاعجاب والشمول والاعلانية بلا توقف او تردد .

انه لن يوجد اي تفسير لما حدث ويحدث في هذه القضية بل وفي كل قضية لولا افتراض هذه القوة الشريرة . ولكن اي عزاء او مجد او سعادة او لذة او اية مصلحة لهذه القوة الشريرة المفترضة في ان يحدث هذا الذي يحدث ؟ ليس لفعل الشر ثمن ما؟ انه لو لم يكن بد من ان يكون فوق هذا الكون كائن ما لكان اقرب التصورات لنموذجه ان يكون شريرا جدا وذكيا جدا . انه لصعب جدا ان يكون شريرا فقط او ذكيا فقط . كما انه صعب ايضا ان يفترض طيبا غيبيا او طيبا فقط او غيبيا فقط . اما افتراضه طيبا ذكيا فذاك هو اقصى نماذج الاستحالة . ولكن هذا الذي هو اقصى نماذج المستحيلات قد اصبح في احد اطوار التاريخ هو منطق كل العقول والمحاريب ، كل المباشرة والزنادقة وكل التافهين والمؤمنين .

ان هذا الكون اذا افترض وحده بلا كائن اخر يدبره ويصوغه ويحكمه فلا بد من المفترضه اي الكون وجودا مطلقا دون ان يكون خيرا او شريرا ودون ان يكون ذكيا او غيبيا . ولقد كان مذهلا ان يكون هناك اي افتراض غير هذا الافتراض في قضية الكون . لقد كان مذهلا ان يتقبل اي عقل في اي طور من التاريخ افتراض هذا الكون ليس وحده

اما الكائن الذي فوقه - اي اذا افترض هذا الكائن او اذا كان موجودا حقا - فصعب جدا او مستحيل جدا ان يفترض نموذجه او ان يكون نموذجه كذلك اي لا خيرا ولا شريرا ، لا ذكيا ولا غيبيا . هل يمكن ان يكون اي مستحيل يساوي في استحالاته ان يفترض فوق هذا الوجود اي كائن مهما كان افتراض صيغه ونماذجه ؟

اما الذين آمنوا بان فوق هذا الوجود كائنا شاملا في كل تفاسيره وقواه وانه كائن خير وذكي بلا حدود فهو لا ، الذين آمنوا هذا الايمان كما انهم لن يكونوا او يفترضوا عقلاء فانهم كذلك لن يكونوا مجانين ولن يفترضوا كذلك . انهم بكل التفاسير للجنون وللمجانين هم اقل جدا من مجانين . ان اي مجنون لن يستطيع ان يتصور او ان يؤلف او يركب مثل هذا الجنون . ان كل الجنون ليس بكل هذا

المستوى من الجنون .. ان جنون من ليسوا مجانين هو احيانا اعلى مراحل الجنون
او اعلى من كل جنون ..

« هذا الكون قد اراده وديره وخططه واخرجه ويحكمه وينفذه ابر وانبل ولذكى
واقوى كائن . وقد وجد اي هذا الكائن ان هذا الكون بكل صيغه وتفاصيله هو كل
الذكاء والرحمة والبر والنظام الذي يستطيعه ويعرفه ويتخيله ويتمناه مجدا لمجد
وفنا لفنه .. ان هذا الكائن لم يستطع ان يتصور او يتمنى او يعرف او يقدر ان
يصنع كوناً اكثر جمالا او عدلا او رحمة او حبا او ذكاء او فنا من هذا الكون .. »
هذا المنطق لا يستطيع تأليفه او تصوره اي مجنون ..

انه ليجدر بالخيال ان يذهب ليفترض ولو احيانا ان هناك شيئا ما ، شيئا غامضا
غموضا لا يساويه او يشبهه اي غموض ، ليفترض مرة اخرى ان هذا الشيء الغامض
هذا الغموض هو الذي استطاع ان يمتص من الانسان كل طاقته المنطقية والعقلية
بل والاخلاقية والانسانية بل وكل طاقاته الدينية والاعتقادية لكي يستطيع ان يجم
ويرى فوق هذا الكون مريدا مدبرا مخططا مخرجا حاكما منقادا له هو اعلى نماذج
الذكاء والحب والرحمة والخير .. هل يمكن ان احدا قد قال مثل هذا القول او تقبل ان
يسمعه يقال من فوق اي منبر او في آيات اي كتاب منزل او في همسات اي خيال ؟
كيف لم يفكر العالم بكل هيئاته ومؤسساته ومؤتمراته في هذا الشيء الغامض
الذي امتص طاقة الانسان المنطقية في هذه القضية ، او كيف لم يفكر في احتمال
وجود او في افتراض وجود مثل هذا الشيء ؟ كيف يصاب كل العالم احيانا او دائما
امام بعض القضايا بغفلة لا يستطيع اي منطق ان يتصور كيف امكن ان يصاب بها ؟
هل هذا للشيء الغامض الذي امتص او الذي يجتفل انه قد امتص طاقة
الانسان هذه قد امتص منه اي من الانسان ايضا قدرته على ان يفكر في هذه القضية ،
في قضية الامتصاص هذه ؟ هل في هذا الكون كائنات خفية او متخفية طيبة او
شريرة تمارس احيانا او دائما لمصلحتها او لمصلحة الانسان عملية الامتصاص هذه
لطاقة الانسان المنطقية ؟

ان الانسان يتحرك بين حدين لا يوجد بعد يساوي البعد الذي بينهما .. ان
هذين الحدين هما قمة ذكائه وحضيض غيائه . وهل يوجد في هذا الكون بعد كالبعد
الفصل بين اعلى مستويات ذكاء الانسان وادنى مستويات غيائه ؟
او هل يوجد تناقض او تفاوت كالذي بين الانسان في كل ذكائه والانسان في
كل غيائه ؟

ان لذات الانسان طرفين : طرفا هو كل ما فيه من ذكاء ، وطرفا هو كل ما فيه
من غباء . اذن هل يوجد كون ينافس طوله ذات الانسان ؟ ان جميع ذوات والجناسات
كل هذا الكون . لو حولت لتكون طولا واحدا لما استطاع طولها الواحد ان يكون في طول
ذات الانسان التي طرفاها قمة ذكائه وحضيض غيائه ..

ولكن لماذا خصصنا بهذه الموهبة بكل هذا الكرم ، موهبة البغضاء والحدق والسباب والاتهام والبذاءة وموهبة العدوان النفسي والاخلاقي واللغوي بل والعدوان القومي والوطني والمذهبي والديني ؟ لماذا خصصنا بكل هذا الخبث في علاقاتنا ومعاملاتنا مع كل شيء ، وكل احد حتى مع الاله نفسه ، وفي مشاعرنا واحاسيسنا نحو كل احد وكل شيء حتى نحو الاله نفسه ؟

هل خصصنا بهذه الموهبة العدوانية المشحونة بكل الخبث والشرور الحادة لاننا خرمنا من المواهب الانسانية الجيدة الاخرى • مواهب الحضارة والابداع والقوة والتفوق والعلم والذكاء •

هل جاءت هذه المواهب الرديئة تعويضاً عن هذه المواهب الجيدة ، او منافسة ومزاحمة لها او اغتصاباً لمكانها ، أو رثاء لمن فقدوا المواهب العظيمة ، رثاء لهم من أن يعيشوا بلا مواهب لا جيدة ولا رديئة ، ام جاءت هذه المواهب الرديئة احتجاجاً على فقد المواهب الجيدة وتأميلاً في اثاره غضبها وغيبتها لعلها حينئذ تجيء أو لكي تجيء تحت ضغوط الغيرة والغضب والمنافسة ؟

هل ارادت الطبيعة أن تجعل انفسنا مصنعاً للدماة لانها لم تستطع أن تجعلها مصنعاً للجمال والعبقرية ؟

هل شيء من هذا يمكن أن يكون هو التفسير لتخصيصنا بقبح وبذاءة كينونتنا النفسية والاخلاقية واللغوية والعاطفية ؟

هل هذا يعني اننا لو كنا قد وهبنا المواهب الجيدة لما وهبنا هذه المواهب الخسيسة أو لما ولدت وتخلقت فينا ، ويعني ايضا ان كل من فقدوا المواهب الجيدة فلا بد أن يعيشوا المواهب الرديئة الخسيسة بالاسلوب الذي نعيشها به ، وأن كل من ملكوا المواهب الجيدة فلن يملكوا المواهب الرديئة ؟ هل الانسان لا بد أن يكون عبقرية ونبلًا وتخلفا وخبثًا ولن يكون عبقرية وخبثًا أو تخلفا ونبلًا كما لن يكون شيئًا واحداً فقط من ذلك ؟

هل هذا هو التفسير ؟ أم التفسير أن أنواع المواهب منفصل بعضها عن بعض في مجيئها وتخلقها وفي اجتماعها وافتراقها وتفرقتها ؟

اليس ممكناً أن يجيء هذا النوع من المواهب مع مجيء النوع الآخر ومع فقدده وأن يفقداً معاً دون أن يكون أحدهما جاذباً ومحضراً للآخر أو طارداً له أو أن يكونا متواعدين على ألا يجيء منهما أحد ؟

اليسست الدماة تجيء في صحبة الذكاء وأيضا في صحبة الغباء ، وكذا الجمال دون أن يكون أحد الشبثين تعويضاً عن الآخر أو احتجاجاً على فقدده أو على مجيئه أو منافسة ومزاحمة له أو شوقاً اليه أو هرباً منه أو احتراماً له أو انقازاً له من الوحدة والتفرد الموحش ؟ هل توجد بين وحدات المزايا أو بين وحدات الرذائل أو بين وحدات المزايا ووحدات الرذائل صداقة أو صحبة أو تحالف على المعاشية في ذات واحدة ؟

ليس بعض الناس أو بعض المجتمعات أو الشعوب أو الاجناس يوهب الخبث والنذالة الروحية أو يصاب بذلك كما يصاب بعض الناس أو بعض الشعوب أو المجتمعات أو الاجناس بسواد الجلد أو باصفرار اللون أو بقصر القامة وضالة التكوين أو بأي عيوب ذاتية وجسدية مثيرة وأليمة ؟ أليست الدمامة النفسية ، والاخلاقية واللغوية تجيء وتتوزع كما تجيء وتتوزع الدمامة الجسمية ؟

اذن ليس احتمالا جيدا جدا اننا قد خصصنا بهذا اللؤم الروحاني أو وهبنا ذلك كما وهبنا صفات اجسامنا والوانها وتخطيطاتها ، وكما وهبنا صفاتنا وظروفنا الاخرى وكما وهبت أرضنا عيوبها ومزاياها وفصائح نطقها أي دون أن يكون ذلك تعويضا أو تعبيراً عن شيء أو احتجاجاً عليه أو مجاملة أو تحية أو استقبالا له أو فرحا وأعجابا به ؟

لعلنا فاقدون للجمال الروحي وللطهارة النفسية والاخلاقية واللغوية كما انفسا فاقدون للموهبة الحضارية والابداعية ، أي فاقدون هذه وهذه ، ولسنا فاقدين هذه لاننا فاقدون لهذه .

... ولعل الآخرين مالكون لهذه وهذه أو مالكون لهذه كما انهم مالكون لهذه ، وليسوا مالكين لهذه لانهم مالكون لهذه .

ولعله يوجد اخرون أيضا مالكون لهذه دون هذه ، مالكون للبراءة أو التقوى الروحية دون الموهبة الحضارية أو مالكون للموهبة الحضارية دون الجمال أو الصفاء أو النبل الروحي أو التقوى الروحية . لعل ذلك كذلك بالمنطق والاسلوب الذي به يكون الانسان ذكي العقل دون أن يكون جميل الوجه ، أو جميل الوجه دون أن يكون ذكي العقل ، ولكن ، أليس من الصعب جدا بل ومن المخاطرة العقلية الاقتناع بأن العلاقات بين أنواع مواهب الانسان أو أنواع مواهب المجتمع أو بين مواهب المدعة القوية وبين استجاباته أو صيغه أو مستوياته النفسية والاخلاقية واللغوية بل والدينية والمذهبية والقومية والوطنية .

— نعم ، أليس من الصعب جدا بل من المجازفة الفكرية الاقتناع أو الزعم بأن العلاقات بين هذه وهذه ليست متأثرة مؤثرة ؟ أليس من اخلاق المواهب الانسانية أن تهاجم وتناصر ، أن تهاجم نقيضا محاولة اضعافه أو طرده أو هزيمته ، وأن تناصر مثيلها محاولة تقويته وأجتنابه ؟ هل تكون موهبة بلا مقاومة ومناقضة وبلا مناصرة ؟

وسواء أكان التفسير هذا أو هذا أو أي شيء آخر ، أم كان التفسير لهذه القضية أنه لا تفسير لها فان هنا حقيقة لا يجوز الاختلاف فيها ولا عليها مهما وجد هذا الاختلاف بل مهما كانت هذه الحقيقة غير معروفة بل وغير مطروحة بل وغير معروف انها يمكن أن تكون معروفة أو مطروحة أو أنه ينبغي أو يجوز أن تكون معروفة أو حتى مطروحة أو معروضة أو مسؤولا عنها . .

هذه الحقيقة هي أننا موهوبون بسخاء وإصرار عدوانية نفسية وأخلاقية وتعبيرية قد تكون في بشاعتها وشمولها وحدتها أسلوباً قاسياً من التخصيص لنا حتى ليصعب أن يوجد منافسون أو مشابهون لنا في ذلك ، بل حتى ل يبدو وكأنه من القسوة والتعجيز والإحراج للطبيعة أن تطالب أو تؤمل أن تكرر نموذجنا في هذه العدوانية . نعم ، أنه قد يكون من التكليف للطبيعة بما لا تستطيع أو بما لا يسعها أن تطالب بأن تصوغ نفوس أي قوم كما صاغت نفوسنا شائفة ومشوهة .

إن نفوسنا وضمايرنا وأخلاقنا ولغتنا بل وتعاليمنا ومذاهبنا وأدياننا وكل نصوصنا وتفاسيرنا وكل آياتنا وتراثنا ومنابرنا بل ومقابرنا ونقوش مقابرنا مشحونة بالعنف ، بكل العنف وبالعنف وحده . . . أن كل شيء تعايشه ويعايشها وتتعامل به ويتعامل بها لحكم عليه بأن يتحول إلى كل ألوان وجنسيات وتعبيرات العنف . أن كل شيء نؤمن به وندعيه ونحاز إليه ونتحول إلى شعار له ويتحول إلى شعار لنا ، أن كل شيء تعامله نفوسنا أو أخلاقنا أو لغتنا أو يعاملها ، من الآلهة والمعتقدات والأنبياء والمذاهب ، لا بد أن يصاب بكل ما في نفوسنا وأخلاقنا ولغتنا من عفونة وعدوانية ، لا بد أن يتحول أي يتحول الأنبياء والآلهة والأديان والمذاهب التي نؤمن بها وندعيها إلى بغضاء وحقد وسباب واتهامات وتشنيع وبذاءة وإلى قبح شامل ضاج معبر . . .

إن علاقاتنا بأي شيء لن تتحول إلا إلى تشويه وتشويه . . . أننا قد نشوه الشيء الذي نحبه أكثر مما نشوه الشيء الذي نكره . . . أن أي نوع أو مستوى من الجمال أو الصفاء أو الحب أو البراءة أو من الصداقة والاحترام لا يستطيع أن ينبت في نفوسنا أو يواي إليها أو يتعامل معها أو يجرؤ على الاقتراب منها أو على مخاطبتها ومحاورتها . أنه لعدوان على أنفسنا وتعذيب لها أن يحاول أي معنى من معاني الجمال أو النظافة أو الصفاء الدنو منها أو التحدث إليها . .

إني لاشفق على الآلهة التي تعيش في نفوسنا أو التي نضعها أو نلقي بها في نفوسنا . وهل يوجد أردأ منها حظاً ؟ هل يوجد أردأ مكاناً من الآلهة أو الأنبياء أو المذاهب أو التعاليم التي توجد في نفوسنا ؟ كم يمكن أن تقاسي وتواجه وتعايش من العنف والقبح هذه الآلهة والأنبياء والمذاهب والتعاليم التي توجد في نفوسنا أو التي نزلها أو فزعها في نفوسنا ؟ هل يمكن أن يوجد شر منها مكاناً وحظاً ومواجهة ومعايشة ومقاساة ؟ أو هل يوجد أفظع منا عدواناً وإساءة حينما نحاول أن نضع في أنفسنا الها أو نبيا أو مذهباً أو معتقداً أو ديناً ؟ هل يمكن تصور من يواجه ويقاسي من العنف والقبح مثل الإله أو النبي أو المذهب أو المعتقد أو الدين الذي نضعه في أنفسنا ثم نتعامل به وعليه فوق منابرنا وفي أخلاقنا ولغتنا ومشاعرنا وفي علاقاتنا مع الناس ومع الأشياء ومع أنفسنا أيضاً ؟ هل يوجد أردأ من الآلهة سكننا أو من يساويها في رداءة سكنها ؟ أنها لا تسكن إلا في النفوس الملوثة أو الجاهلة أو البدوية أو الغبية أو الضئيلة . .

هل يوجد محقر معتدى عليه مثل القيم التي نضعها في ضمائرنا وفي إيماننا ولغاتنا ومحاريبنا وفوق منابرنا وفي تعاملنا مع خصوماتنا وصادقاتنا ومع اعدائنا وحلفائنا ؟ هل يوجد من يستطيع ان يعتذر عنا اليك ايتها القيم التي يقع عليها تعاملنا .. التي تعاقب يتعاملنا بها ؟ أليست جميع القيم التي نتعامل بها تصبح نقيضا للقيم ؟

كيف لم يوجد قوم يملكون أي قدر من الشهامة أو من رفض العدوان والظلم لكي يمنعوننا أو يحاولوا منعنا من الايمان بأية قيمة من القيم الانسانية أي من الايمان بأي اله أو نبي أو مذهب أو معتقد أو نظام أو بأي انتماء ، أي لئلا نتعامل به ونعامله بنفوسنا أو باخلاقنا أو بلغاتنا أو بصادقاتنا وعدواتنا وتعاليمنا أو من فوق منابرنا ودخل محاريبنا ، أي لئلا يلطخ بكل ما فينا من عفونة وقبح ؟ هل يعتدى على شيء مثلما يعتدى على أية قيمة نتعامل بها أو عليها باخلاقنا أو عقولنا أو ضمائرنا أو لغاتنا أو حتى بكتبنا المقدسة ؟

هل يمكن أن يلطخ أي شيء بكل ألوان وجنسيات العفونة والقبح مثلما تلطخ أية قيمة انسانية تؤمن بها أو ندعيها أو ننحاز اليها أو نصادقها أو حتى نزعّم مصادقتها ؟ أليست الاشياء يساء اليها وتشوه أو تحترم وتجعل بنوع الاعوية والاماكن التي توضع فيها ؟ تم أليست المذاهب والاديان والتعاليم والانبياء والالهة تمجد أو تحقر بالعقول والاخلاق والنفوس والالسنه التي تتعامل بها ؟

ان الشيء القبيح والذي يبدو شاذا جدا انما نجمع بين النقيضين الحاديين جدا .. نجمع بين موهبة الخبث وسوء الظن والشك والتوجس والتخوف والاتهام ونيات الذم والهجاء والغدر والافتقار بأننا لا نواجه الا الغدر حينما نواجه أو نعامل أي إنسان أو أي قوم أو مجتمع - نعم ، نجمع بين كل هذا وبين موهبة الانخداع والغفلة والتصديق والتساقط في جميع الحفر والمصايد المفتوحة المكشوفة المرئية المتكررة الاسلوب والصورة والتفسير والنتيجة .

نجمع بين التكذيب بلا أية نية للتصديق بلا أية نية للتكذيب .. نجمع بين الرؤية الحادة الضاجة لما لا تستطاع رؤيته بل لما ليس موجودا وبين العجز الشامل الخير عن رؤية ما تراه كل العيون الاخرى .

اننا نرى حين لا يمكن أن يرى ولا نرى حين لا يمكن الا أن يرى .. اننا نرى تحت أغطية كل الظلمات وما تحت كل أغطيتها ونعجز عن الرؤية تحت كل أشعة الشمس وما تحت كل أشعتها . اننا نرى تحت كل اجنحة الظلام ما لا تستطاع رؤيته تحت كل عيون الشمس ، ونعجز عن أن نرى تحت كل عيون الشمس ما تستطيع العيون الاخرى رؤيته تحت كل اجنحة الظلمة .. اننا نرى الشمس غائبة ولكننا لا نستطيع رؤيتها طالمة ..

اننا لا نرى أي شيء ، أكبر أو أجهر أي شيء بعيوننا أو عقولنا أو تفكيرنا أو بذكائنا أو بتجاربنا مهما رأينا كل شيء واصغر واخفى شيء وما ليس شيئا

بحقنا وبغضنا وبسوء ظننا وبموهبتنا في الاتهام والعدوان والذم والخبث النفسي والاخلاقي .. اننا نصدق بعقولنا وكان كل العبقرية في أن نكون مصدقين ، ونكذب بسلوكنا ونياتنا وكان كل التقوى والمجد والانتصار والشرف والنجاة في أن نكون كاذبيين ..

اننا لا نرى أو نفهم أو نحاكم أو نفسر بعقولنا أو بعيوننا أو بتجاربنا بل بجرهنا وحقدنا وبضعفنا وخوفنا ونقائصنا وبعوانيتنا الشاملة . اننا نصدق اكذب الاكاذيب وكل الاكاذيب بكل النشوة والسذاجة ونكذب اصق الصدق وكل الصق بكل الانفلاق والخبث والشراسة .

اننا مهما عايشنا الاخرين أو رأيناهم أو جربناهم أو صادقناهم أو حالفناهم فاننا لن نراهم أو نفهمهم أو نحبههم أو نصادقهم أو نصوغ أية تجربة واعية أو عادلة أو تقيية بريئة انسانية عنهم ..

اننا مهما حذرنا أو خفنا من الاعداء أو من الاخرين أو من كل أحد حذرا أو خوفا نفسيا أو عدوانيا فاننا لن نحذرهم أو نخافهم حذرا أو خوفا عقليا أو منطقيا ... ان عقولنا وافكارنا لم تتعلم الخوف ، حتى انبيأونا لم يكن في نبواتهم أن يعلموها هذا الخوف ..

انه لاشد العقاب لاي انسان والعدوان عليه أن نضعه في تصوراتنا أو نياتنا أو معاملاتنا أو حساباتنا النفسية .. أننا حينئذ لا بد أن نحوله الى نموذج بشع للدمامة والنذالة والفجور والعدوانية . لا بد أن نحوله الى أفظع عاهة بفهمنا ورؤيتنا وقراءتنا وتفسيرنا واتهامنا له وبتحدثنا عنه وباحساسنا به وضده . انه لشيء جيد جدا أن نخرج جميع اصحقائنا وجميع من نريد تكريمهم واحترامهم من جميع تصوراتنا ونياتنا ولغاتنا وتذكرنا لهم وحديثنا عنهم لئلا نحولهم الى عار وتشوهات ، لئلا نغطي وجوههم بالعار والتشوهات .

اننا لن نستطيع أن نصوغ أو نتصور أي أحد أو شيء في انفسنا صياغة جميلة أو نظيفة أو عظيمة ..

نحن عقليا ومنطقيا مستسلمون دائما ، لا نريد ولا نستطيع أو ننوي أن نحمل اي سلاح ضد أي عدو ، ولا في أية معركة ، ولا تحت أي سبب أو تفسير .. نحن لا نهاجم بل ولا ندافع ، بل ولا نخاف أو نتوجس أو نشك أو نحذر أو نشيد الحصون أو الخنادق أو الخطوط الدفاعية . اننا لا نعرف العداوات أو الخصومات أو المؤامرات أو المكاييد العقلية أو المنطقية .. ان عقولنا وافكارنا ليس لها عضلات أو أعضاء تضرب أو تخيف أو تصارع ، تهدم أو تبني . ان أي عدو لم يعان من عضلاتنا العقلية .

اننا دائما مفتوحون ومباحون لكل الغزاة واللصوص والغادرين .. ان كل غزاة عقولنا وافكارنا لن يرهبوا ، أو يقاسوا من احتمال هزيمتهم أو احتمال مقاومتنا .

أما نفسيا وانسانيا فاننا لا نستطيع كما لا نريد أن نسالم أو نهادن أو نصادق أو نحالف .

اننا دائما محاربون أي مهاجمون ، محاربون من جانب واحد . أي اننا دائما محاربون عدوانا ، أي محاربون لمن لا يمكن أن يصبحوا محاربين أو معادين لنا . . .
اننا أبدا معادون وكارهون ومتهمون ولاعنون ومتربصون ومهددون ورافضون لكل الوجوه والايدي والقلوب والنيات المصادقة المصادقة المستقبلية المرحبة البريئة النظيفة المتسامحة الجميلة الذكية الواهبة . .

اننا نفسيا لا نسالم ولا نصادق أحدا . أن كل الناس اعداء ، لا موهبة ولا نضال لهم الا معاداتنا والكيد لنا .

اننا نحمل السلاح أي نفسيا وانسانيا دائما . أننا لا نلقي بالسلاح ولا نغمده في أية لحظة ولا في أي موقف ولا أمام أي صديق أو حليف أو نصير . . .
وهل يمكن أن يكون الحليف أو النصير أو الصديق لنا ألا عدوا رهيبا شريرا متفكرا؟
اننا عقليا وفكريا مؤمنون بكل الدجالين والاعداء ، واثقون بهم بلا ريبة أو حذر أو شروط ، بلا أية معجزة أو كرامة يعرضونها أو يبصقونها وبلا أية عبقرية أو قوة يرهبون بها وبلا أي ذكاء يخدعون أو يتزينون به . اننا نهبهم أيمننا وثقتنا بلا ثمن . .

أما نفسيا وانسانيا فاننا كافرون بكل القديسين والصديقين والاصدقاء والشهداء بلا أية عاطفة أو مراجعة أو محاسبة أو شهامة أو استحياء . .

اننا لم نؤمن بانبيائنا ورجالنا المقدسين ونهبهم احترامنا الا لانهم جاءوا شاتميين وكارهين ومحققين لكل العالم . .

ان افكارنا لم تجرب حمل السلاح أو استعماله ، وأن ضمائرنا واخلاقنا لم تجرب الالقاء بالسلاح أو الاغمار له أو الشك في تقواه أو ذكائه أو مجده . .
ان افكارنا لا تشك ولا تعادي بل ولا تخاف . أما أخلاقنا وضمائرنا فانها لا تصادق ولا تحب ولا تثق أو تطمئن أو تأمن . أنه لا نموذج لخبثنا النفسي والاخلاقي واللغوي . أما تفكيرنا فانه لا يصاب بهذا الخبث أية أصابة . .

أن كثيرا من مواقفنا لكأنها مواقف فكرية أو عقلية أو جدلية ، واننا كذلك لنحدث كثيرا أو دائما عن مواقفنا الفكرية والعقلية ، وعن خصوماتنا وعداوتنا وحروبنا الفكرية والعقلية والمذهبية وكذلك عن صداقاتنا ومحالفاتنا وانحيازاتنا التي ليست هي والتي لا يمكن أن تكون الا فكرية وعقلية ومنطقية . . هل يمكن أن نفترض أن أي موقف من مواقفنا قد يكون غير فكري أو غير منطقي حتى شتمنا من مشوا فوق القمر وحقدنا عليهم بحجة أنهم قد سرقوا منا ، من مقابر آبائنا القدرة على غزو القمر؟

ولكن كلا . أن جميع ذلك ليس الا مواقف نفسية . .

ان عقولنا لا تفكر لتصنع مواقفنا النفسية أو لتقود تحركاتنا النفسية أو لتنفذ بها ، ولكن تحركاتنا النفسية هي التي تقود وتصنع مواقفنا وتحركاتنا النفسية . .
ان اعضاءنا ومجاعاتها هي التي تصوغ وتحرك حالاتنا النفسية محولة الى تعبيرات انسانية . .

ان افكارنا ليست موجودة لا فائدة ولا مقودة . حتى تحركاتنا النفسية واهولنا النفسية لا نستطيع ان تصنع لنا تفكيراً أو مواقف فكرية لان شيئاً ما أي لان أي شيء لا يستطيع ان يجعلنا نفكر أو يهبنا القدرة على ان نفكر ، أو الرغبة في ان نفكر .
ان الاهواء النفسية تجعل من يحمل تفكيراً يفكر ، ولكن من لا يحمل أي تفكير كيف يستطيع أي شيء ان يجعله يفكر ؟

ان نبواتنا وكتبنا المنزلة هي أشمل وأصدق واقسى النماذج لدمامتنا وعدوانيتنا النفسية والاخلاقية واللغوية . ان كتبنا الموحاة ونبواتنا لا مثيل لها أو لا شيء يتفوق عليها في حقدها وبغضها وسبها وقسوتها واتهامها وعدوانها في رؤيتها لكل الناس ولكل الآخرين والمخالفين ، وفي تفسيرها لهم ، وفي حديثها عنهم ، وفي نياتها نحوهم ، وفي امانيتها وتوعدها وتحقيرها لهم وتشنيعها عليهم ، وفي اوصافها وتصنيفها للعذاب والاهوال التي لا بد أن تنزل بهم وأن تكون هي كل مستقبلهم ومصيرهم وجزائهم . . شيء رهيب أن نتصور الدمامة والوحشية النفسية والاخلاقية التي كانت وراء نبواتنا ووراء كتبنا المنزلة ، التي صاغت وتصورت كل هذه العداوات والاحقاد والاهوال . .

انه لن يكون زعماً ظالماً أو بعيداً لوزعم ان نبواتنا وكتبنا المقدسة لم تجيء أو تنزل الا لكي تشتم وتكره وتحقر وتتهم وتعادي وتهدد وتقسو وتتحدث عن الاهوال والويلات المخدرة المعدة بكل الاناقة والحماس والنشوة لكل الخصوم والمخالفين والاعداء بل لكل الناس . اليس كل الناس في زعمها اعداء وخصوما ومخالفين ؟ أي شيء في النبوات العربية أو في الكتب المنزلة على العرب غير العداوة والسباب والبغض والاتهام والذم والتهديد واعداد العذاب وتصوره والتحدث عنه لكل احد ؟ لقد تصورت كتبنا ونبواتنا هذه الها لا يستطيع أي خيال سوى ان يتصور وحشيته وغيبرته وطموحه وانانيته ومطالبه واحتياجاته وغضبه وشروطه لنفسه وكبرياه . ما اوقع الخيال الذي استطاعت ان تتخلق وتعيش فيه كل هذه الصور والنماذج لمثل هذا الاله الذي لو وجد بكل هذه الصور والنماذج لما جرؤ ان ينظر الى نفسه في المرأة ولا ان تراه اية عين !!

لقد تصورته هذه الكتب والنبوات كذلك لكي يكون محالاً ارضاءه أو الاستجابة لكل مطالبه وامانيه ، ولكي يكون كذلك محالاً حبه أو الاعجاب به أو الفهم له أو الفهم عنه أو الاطمئنان اليه أو مصادقته أو الاشتفاء لصحبته أو القدرة على صحبته . . كن يقظاً وفاهماً لنفسك . انك لم تحب أو تفهم أو تصادق الهك أو تطمئن اليه أو تشته صحبته أو صداقته مهما حسبت أنك فعلت كل ذلك

ولسن تستطيع وان تفعل .. لقد تصورته بكل هذه الشروط والحدود والصفات لكي تجعل عصيانه محتوما وغصبه محتوما لكي يكون عقابه للجميع محتوما - عقابه الذي يعجز كل خيال سوي أو ذكي أو تقى أو شهم أو رحيم أو متحضر عن تصويره .. لانها أي هذه النبوات والكتب المنزلة هي التعبير الاقصى والاصدق عن موهبة القسوة والبغضاء والعذوانية الشاملة ...

هل توجد انهيار أو اعاصير كونية تستطيع ان تصنع شيئا من التطهير لنفوسنا واخلاقنا ولغاتنا وعلاقاتنا او شيئا من الفيضان او الحركة او القوة او من القدرة على التخطي في عقولنا ؟ هل يوجد شيء يستطيع ان يصيب نفوسنا والسننتنا بشيء من التقوى والتدين ، ويصيب افكارنا ومعتقداتنا واقتناعاتنا بشيء من الفجور والتمرد والعصيان ؟؟ ان فجور الافكار والعقائد هو انتقى فجور .

**

نعم الانسان العربي كائن مصوت لا متكلم . انه لم يتكلم قط . انه في كل تاريخه ، بكل انبيائه وشعرائه وحكمائه وخطبائه وبكل شرائعه وتعاليمه وكتبه المنزلة ، وبكل صهيله وضجيجيه وبكل بلاغته وفنون بديعه . نعم ، ان الانسان العربي في كل تاريخه بكل ذلك لم يتكلم قط ، لقد كان في كل ذلك مصوتا لا متكلم . انه لم يقل كلمة واحدة منذ وجد .. كيف ؟ انها لدعوى رهيبة ، الانسان العربي لم يقل في كل تاريخه كلمة واحدة . هل توجد دعوى اكبر واعجب من هذه الدعوى ؟

نعم ، ولكن لا يزال هذا السؤال يطاردنا او نطأرده :

ما هو التصويت الذي هو طور الانسان العربي ، وكيف يمكن ان يعرف ان هذا الكائن مصوت وليس متكلم .. وقد تكرر هذا السؤال في الصفحات الماضية وتكررت محاولات الاجابة عليه . ومن المفروض ان الاجابة لم تكن حاسمة ، بل انها مهما كانت حاسمة وكافية لان تكون مقنعة فلا بد ان تظل وكأنها غير حاسمة وغير مقنعة لما في القضية او النظرية من كل معاني المفاجأة المذهلة بل الصادمة ..

نعم ، ان مجرد عرض التساؤل : هل الانسان العربي مصوت فقط وليس متكلم ، نعم ، ان مجرد هذا التساؤل ليتحول الى اقصى الصدمات والمفاجآت . كيف ؟ كل هذا التراث والتاريخ والمجد من النابير والتعاليم والشرائع والكتب والنبوات والكتيب المنزلة والتخاطب مع الالهة ومع سكان النجوم ، في كل الماضي وكل الحاضر - كل هذا ليس شيء منه كلاما ؟

كيف لا يكون هذا القول او هذا الرأي هو اقصى المفاجآت والصدمات ، او كيف يمكن ان يكون الاقتناع به ، بل كيف يمكن ان يكون التحدث به او الاستماع اليه او طرحه كراي ، شيئا سهلا او شيئا مغفورا ؟

هل كان احد يتصور ان هذا الموضوع قد يصبح رأيا بل قد يصبح تساؤلا يوجد من يطرحه ؟

ان محاولة الاقتناع بهذا الرأي بل محاولة عرضه قد تكون غفلة تستحق كل الرثاء ، بل قد تكون مخاطرة لا وقار ولا ذكاء فيها . .

ولكن هل يمكن ان يكون هناك كائن واحد لا يعيش اي نوع من المخاطرة حتى ولو لم يعيش اي مستوى من مستويات الشجاعة ، او من لا يعيش كل انواع الغفلة مهما كان وقاره وحذره ومحاسباته لمواقفه ولنطقه ؟

ليس كل الناس يعيشون كل انواع المخاطر والغفلات حتى اكثرهم جبنا ودعاه؟
ليست كل الكائنات كذلك ؟

ولاني عاجز عن تجنب هذه المخاطرة وهذه الغفلة ، ولاني مقتنع بهذه القضية او بهذه الدعوى فأني مدفوع الى طرحها كما اقتنعت بها والى محاولة الاقتناع بها . لماذا افعل ذلك ؟ لعلها حوافز التحدي او الرغبة في القتال والبارزة والاثارة . . اننا جميعا محكوم علينا بان نبارز ونتحدى ونقاتل بأسلوب ما وسلاح ما . . لا بد ان نفعل ذلك مهما كنا بلا اية قضية وبلا اي امل في الانتصار . . !

او لعله الغضب والاشمئزاز او لعله العجز عن الابتلاع والصمت ، او لعله الاحتياج الى التنفيس ، او لعلها قوة الاقتناع وشهوة الاقتناع ، او لعله البحث عن اهتمام الآخرين وعن جذب مشاعرهم الى الذات . او لعلها الرغبة في التحول الى صوت . . الى طلقات مزعجة . . او لعله الرفض للوقار والاستقرار والعيش في سلام . هل السلام الدائم الشامل مع كل شيء شيء مريح او مطلوب ؟ اليس ذلك خمولا وكآبة وقبحا ؟ اليس الخوف والتصادم ولو احيانا جما لاونشوة وتداوليا من الجمود والملل ؟

**

ليواجه العالم العربي احدى المواجهات الصعبة . . هزيمة او فضيحة او ازمة او ورطة ما كبرى ، او احدى المشاكل التي لا يمكن الهرب منها ولا الصمت عنها . . ثم لنستمع اليه في جميع اجهزته ، كيف يتحدث عنها اي عن هذه المواجهة الصعبة . . كيف يفسرها ويفهمها ويفكر لها ويفكر بها ، وكيف يعالجها ويتوقعها ويشتمها ويهددها ويوقف منها وفيها ، وكيف يخطب عنها ويخاطبها . . كيف يصهل ويزار وينبج عليها . كيف يشتم ويدعي ويتوعد ويتعالي .

كيف يتحول الى اعاصير من السباب والصراخ والدعاوى المفرغة من كل منطق ورؤية وذكاء ووقار . .

ليصعد اي حاكم او زعيم عربي فوق اي منبر ليتحدث عن اي شيء ، عن الحب والصداقة والسلام او عن البغض والعداوة والحرب . . عن الاديان او المذاهب والنظريات والنظم . . عن الالهة والتاريخ او عن الانسان والحياة . . عن النفس والاباء او عن

الاخرين .. ليتحدث عن كل شيء واعدوا او متوعدا .. مفسرا او مقرا ، قابلا مؤيدا او رافضا مناقضا ..

لنستمع الى اي شاعر او مفكر او فنان او معلم او كاتب او اديب او واعظ عربي ، او لنقرأ له ، يصوغ الكون صياغته النهائية الابدية الكاملة او يفسره او يراه او يقرؤه كذلك . اليس كل عربي يصوغ الكون ويصوغ كل شيء باسم الهه او نبيه او باسم ابائه وتاريخه صياغة نهائية ابدية كاملة ؟

لنستمع الى اي كتاب عربي منزل والى اية نبوة عربية - لنستمع اليهما من فوق جميع المنابر ومن داخل جميع المحاريب ومن جميع الافواه يفسران ويعالجان ويفهمان ويشتمان ويهددان ويتوعدان كل شيء وكل أحد ، ويخبران عن كل شيء، قد كان او لم يكن وكأنه قد كان ، وعن كل شيء قد يكون او لا بد ان يكون او لن يكون وكأنه لا بد ان يكون ، بل وكأنه قد كان . كم هي عظيمة بطولة او بلاهة اذنك ان استطاعتا الاستماع الى النبوة العربية او الى الكتاب المنزل على الموهبة العربية ..

لنستمع الى كل العرب قديما ومحدثين، الهة وانبياء وحكماء وشعراء وخطباء، قادة وجماهير ، جهالا ومتعلمين - لنستمع اليهم يخطبون وينشدون ويتحدثون ويعلمون ويأمرون ويفسرون ويفكرون ويوحون ويكتبون الايات والسور ويرتلونها ويتلونونها ، ولنستمع اليهم ولنرهم ايضا يسمعون ويهتقون ويصلون ويؤمنون ويؤمرون ويطيعون ...

لنستمع الى كل العرب في كل نماذجهم ومراكزهم ومستوياتهم ومواقفهم ، في كل ماضيهم وحاضرهم بل ومستقبلهم في جميع مواجهاتهم ، امام جميع الاشياء والاحداث - لنستمع اليهم متحدثين ومستمعين هاتفين معجبين مصفقين .. وهل تطبق الاستماع الى الانسان العربي او تطبق رؤيته هاتفا معجبا مصليا لاله او لنبيه او لحاكمه ؟

لنستمع اليهم في كل مآلوه وانشوده وكتبوه وعلموه لنعلم انهم منذ وجدوا لم يقولوا كلمة واحدة ، وان كل من استمعوا اليهم او قرأوا لهم او تعلموا منهم لم يسمعوا او يقرأوا او يتعلموا كلمة واحدة في كل تاريخهم ، وان كل من هتفوا او صفقوا لم يهتفوا او يصفقوا لكلمة لانهم لم يسمعوا او يقرأوا او يفهموا اية كلمة . مسكينة هي الاذان العربية . ماذا تسمع وماذا سمعت منذ ركبت في الانسان العربي اذانه ؟

ولكن ليست الاذان العربية عبقرية في صبرها وتحملها ؟ هل قاسى شيء في هذا الكون مثلما قاست الاذان العربية ؟ هل تنازل شيء عن كرامته وشهامته وحياته وعن شرفه مثلما تنازلت عن ذلك اذان الانسان العربي ؟

كيف اطلقت وتطبق كل هذا الذي يصب فيها ؟ كيف تحملت في كل هذا التاريخ الطويل ان ترمى بكل هذه الاصوات المنطلقة والمسددة اليها من الكتب المنزلة العربية ، من الايات والسور المنزلة على الموهبة العربية . . المنطلقة المسددة اليها من النبوات العربية . . والموجهة المسددة اليها من المعلقات ، من كل الاشعار والروايات والاناشيد والتواريخ والمناير والحناجر العربية في كل تاريخها الطويل الكثيب ؟

كيف امكن ان يتفجر فيها كل هذا كل هذا الزمن ؟ كيف لم ترفض او تمتلىء او تمت او تتمزق او تعجز عن الاستقبال والاحتواء والتعامل ؟

هل تطبق اذن كل الكون ولو تحول كله الى اذان ان تنفجر فيها فقط اصوات النبوات العربية او اصوات الايات والسور العربية . . الايات والسور المنزلة على العبقريّة العربية ؟ هل يطبق الكون كله متحولا الى اذان تحمل الاهانات والبذاءات التي تتحملها الاذان العربية مستقبلة لافواه النبوات والعبقریات العربية ؟

العلاقة بين فم النبي وآذان السوء

ولكن كيف ؟ هل الآذان العربية تقاسي وتتعذب في استماعها الى الاصوات العربية ؟ اليس محتوما أو محتملا انها تستمتع وتنتشي بذلك ؟ اليس العلاقة بين الآذان والافواه العربية علاقة مودة وتوافق وتناغم وليست علاقة تنافر أو تنابذ أو مخاصمة ؟ اليس الجوار بينهما جوار متحالفين متشابهين لا متعادين أو متباعدين ؟

هل الافواه او الاصوات او الآيات والصور العربية تهاجم الآذان العربية وتشامتها لم هي تنافقها وتتودد اليها وتبحث عن رضاها واعجابها بأساليب ونيات كلها تملق وحوان ؟ اليس الآذان العربية هي التي تصوغ وتعلم الافواه العربية وتضع لها اخلاقها ونكاهها ، أو هي تحاول ذلك ، أو هي في مكان من يفعل ذلك أو من يظن انه يفعل ذلك ؟ اليس الآذان تقول للافواه : اريد هذا وارفض هذا وحينئذ تصبح هي المعلمة للافواه العملية عليها الواضعة لها اخلاقها ومستواها ؟

هل الافواه العربية ، وكذا النبوات والآيات والصور العربية اي المنزلة على الموهبة العربية ، تعرض على الآذان العربية ما تريده وتشتهيه أو ما تظن انها تريده وتشتهيه لم تعرض عليها ما يفضيها أو ما ترفضه وتكرهه ؟

هل الافواه والنبوات العربية تعلم وتؤدب الآذان العربية أم تخادعها وتتملقها ؟ اليس موقف الافواه العربية من الآذان العربية هو دائما موقف المتاجر البائع المغالز الملقى بنفسه تحت الاقدام دون اية كرامة أو وقار أو استحياء ؟

ليس العلاقة بين الآذان والافواه العربية هي دائما علاقة بين فاسق ومفسوق به ، وان الفاسق هي الآذان العربية والمفسوق به هي الافواه العربية ؟

ان الآذان العربية موهوبة في قدرتها على الفسوق بمن يتعاملون معها .. اليس موهبة الفسوق في الآذان العربية هي التي فسقت بالآيات والصور والنبوات العربية حتى موت بأخلاقها وكرامتها وشرورها الى كل هذا الحضيض ؟ اليس الافواه والنبوات والآيات والصور العربية هي دائما المهانة المعتدى عليها ، والآذان العربية هي المعتدية المهينة ؟

اليس الذي يهتف لك حينما تكذب وتسقط محرضا لك على أن تكذب وتسقط ، لئن ليس معتديا عليك ؟

ليست الأذان العربية تشترط على الأفواه العربية ان تكون بلا ذكاء ولا صدق ولا اخلاق ولا موهبة ، بل تشترط عليها ان تكون خروجا على الذكاء والصدق والاخلاق والموهبة بل ورفضاً ومعاداة لها ؟ ليس تعامل الأفواه العربية مع الأذان العربية كعامل الشاعر العربي الداح مع السلطان العربي المدوح ؟ ليس الفم العربي شاعراً والاذن العربية سلطاناً عربياً ؟

هل يوجد خارج على كل القيم بكل حدودها ومستوياتها بل محرض على هذا الخروج بل وأمر ملزم به مثل الاذان العربية ؟ نعم ، ليست الاذان العربية قد افسدت ذكاء و اخلاق الالهة والنبوات العربية لانها قد فرضت عليها ان تجيء على مقاساتها فقط ؟

ماذا لو ان الاذان العربية قد جاءت او صيغت بنماذج اخلاقية وعقلية افضل ؟ هل كان محتملاً حينئذ ان تجيء الأفواه العربية كما جاءت ، ان تجيء الايات والسور والنبوات العربية كما جاءت ، أو أن يجيء أي شيء من التراث العربي كما جاء ؟ ألم يكن من المحتوم حينئذ ان يصاغ جميع التراث العربي ؟ تراث الهة العرب وتراث انبيائهم وتراث جميع جماعاتهم وآحادهم بكل انتماءاتهم صياغة ملائمة لصياغة اذانهم أي صياغة افضل ، اتقى واذكى واصدق واعظم في كل شيء ؟ ليست موهبة الاذان العربية هي التي صاغت موهبة افواه الالهة والنبوات العربية ؟ ليست الالهة والنبوات والايات والسور العربية أي المنزلة على العرب انما جاءت في هذه المستويات الحزينة أو صيغت هذه الصياغات الاليمية في ذكائها ، وكبرياتها وفي جميع مواهبها و اخلاقها لانها كانت تخاطب وتساوم بتملق الاذان العربية ؟ ألم تكن تناضل وتناضل لكي تكون صغيرة ، صغيرة ، أي لكي تجيء على مقاسات الاذان العربية ؟

اذن هل يوجد مذهب او مفسد مثل الاذان العربية التي افسدت كل شيء حتى الهة وانبياء العرب ؟

ثم ماذا لو ان اذان العرب اليوم سحبت منهم ووضعت لهم مكانها اذان اخرى لها شروط و اخلاق ومواهب اخرى اكبر واصعب - او لو ان اذانهم الحاضرة فرغت من نفسها وألفت تأليفاً جديداً فيه رفض واشتراط وذكاء وكبرياء ؟ ليست افواههم حينئذ لا بد ان تقع في ورطة يصعب الخروج او التداوي منها ؟ مع من حينئذ تتعامل افواههم ؟ هل تجد اذاناً اخرى لها موهبة الاذان العربية لكي تتعامل معها وتصب نفسها فيها ؟ هل يحتمل ان توجد الاذان العربية أو أن يوجد نموذجه مرة اخرى ؟ ليست صيغة الاذان العربية معجزة لا تتكرر ؟

ليس الاله الذي صاغ الاذان العربية الهال لن يجيء الا مرة واحدة ؟ وكيف استطاع المجيء هذه المرة الواحدة ؟

اذن ماذا يمكن ان تصنع الأفواه العربية حينئذ ؟

هل تتوقف عن العمل لانها لا تجد اذانها الملائمة ؟ هل تستطيع التوقف ؟
او هل تصر على ان تعمل مع اذان رافضة مناقضة لا امل في ان ترضى او تتقبل
او تسكت او تهادن ، هل تجرؤ على أن تلقي بنفسها فوق وبين اعداء وازداد لن
يغفروا لها شيئا من قبها او من هبوط مستوياتها ، فوق وبين اعداء وازداد لا بد ان
يرفعوا بكل قسوة الاشمزاز والاستقباح والغضب ؟ ما اعجب هذه الصورة أو هذا
التصور : الافواه العربية لا تجد اذانا تأذن لها بأن تصب فيها أحوالها .

هل يوجد من يستطيع ان يعمل ويستمر يعمل مع من يرفضونه ويناقضونه رفضا
ومناقضة شاملين ؟ هل توجد ورطة اقصى من ورطة من لم يجد اذانا ملائمة ليستفرغ
فيها فمه ؟ هل يوجد من لا يحتاجون الى استفراغ افواههم ؟ هل النبوة الا استفراغ
فم ؟

هل تستطيع الافواه العربية التعامل مع اذان ليست عربية ، او ان تستطيع الاذان
التي هي ليست عربية التعامل مع الافواه العربية ؟
هل تجرؤ هذه او تقبل تلك ان يكون هذا التعامل بينهما مهما كان وقاحة تلك
وتواضع الاخرى ؟

نعم ، كيف يمكن ان تتصرف حينئذ الافواه العربية اي لو انها واجهت الورطة
التي ذكرت في السطور السابقة ؟ هل تحاول حينئذ اي الافواه العربية ان تصوغ
نفسها صياغة جديدة افضل لتكون في مستوى الاذان الجديدة التي لا بد ان تتعامل
م معها لانها لن تجد سواها ، لن تجد اقل منها في ذكائها واخلاقها وشروطها ؟ وهل
تستطيع ان تفعل ذلك لو حاولته ؟ هل تستطيع الافواه العربية ان تكون شيئا افضل
واقوى لو حاولت ذلك او مهما حاولت ذلك ؟ هل يستطيع الشيء ، اي شيء او اي
أحد ان يكون اكبر أو أعظم أو أغلى من نفسه أو من قدرته أو من موهبته أو من
احتمالاته لو حاول ان يكون ذلك او مهما حاول ان يكونه ؟ هل عيب الشيء الرديء
لو الضعيف في قدرته وموهبته ام في ارادته ومحاولته ؟

هل الغبي غبي لانه لم يستطع ان يكون ذكيا ام لانه لم يرد او يعرف او يحاول
ان يكون ذلك ؟

والارادة والمحاولة الرديئتان او الضعيفتان من صانع ذنبهما او رداءتهما او
ضيقهما ؟ ومن الذي يستطيع ان يصنع جودتهما وقوتهما ؟ من اين تجيء الارادة
والمحاولة الضعيفتان او الرديئتان ؟ ولماذا يختاران هذا الكائن دون الكائن الاخر ؟

لماذا لا يحاول الشيء الضعيف او الرديء الذي تعيش فيه ساكنة صامته القوة
والجودة ان يكون قويا وجيدا كما حاول القوي الجيد ان يكون قويا وجيدا حتى كان
ذلك ؟ اليس المحاولة والارادة القويتان الجيدتان هما للتعبيرين او التفسيرين للقدرة
والموهبة ، او اليس جزءا منهما ؟

هل يمكن ان يكون كائن ما مخزنا للقدرة والموهبة ، او ان يكون قادرا وموهوبا ثم لا يريد ولا يحاول بقدرة وموهبة ؟ أليس فقد الإرادة والمحاولة أو ضعفهما فقدتا للقدرة والموهبة أو ضعفا فيهما أي في القدرة والموهبة ؟

أليست الارادات والمحاولات منها الموهوبة وغير الموهوبة كالعضلات والعقول منها القوي والضعيف ؟

ولكن أليس هذا التفسير للعلاقة بين الافواه والاذان فيه الكثير من الظلم للاذان والمحابة للافواه ؟ أليس العدل ان يحكم على الافواه بما حكم به على الاذان ، وان يحكم للاذان بما حكم به للافواه ، وان توصف هذه بما وصفت به هذه ؟ أليست الافواه هي المعتدية بكل معاني واساليب الاعتداء على الاذان وليس العكس ، أو أليست هذه أكثر اعتداء على تلك ، أي نقيض ما ذكر وزعم في التفاسير السابقة للعلاقات بينهما ؟

أليست الافواه هي التي تبدأ العلاقات بينها وبين الاذان ؟ أي أليست هي التي تبدأ الهجوم ؟ أليس العدوان بدءا ؟ هل الذي لا يبدأ أو الذي يقع عليه البدء يكون معتديا ؟ هل حدث أو هل يمكن ان يحدث هذا أي ان تكون الاذان هي التي تبدأ الاتصال بالافواه أو حتى ان تعرض عليها هذا الاتصال أو ان تعرضها عليه أو ان تفسر لها مزاياه ؟

أليست الاذان تظل صامته وبريئة وعفيفة قديسة ، لا تفعل شيئا ولا تطالب بشيء ، ولا تقترح أو تشتترط أو تعرف شيئا حتى تهاجم وتغزى دون ان تفعل أو تقول بل أو تعتقد شيئا يثير أو يغضب أو يخيف أو حتى يؤدي مهاجميها وغزاتها ؟ أليست أي الاذان مكانا فقط ، مكانا مهذبا متواضعا كريما نبيلًا يظل من كرمه ونبله مفتوح الابواب امام كل المهاجمين ؟ ولأنه كذلك يأتي جميع اللصوص والمحتالين والغزاة والسفهاء والوثنيين وجميع الضالين والمهرجين والمتوقحين ليقنحموه ويحتلوه ويسقطوا فيه وعليه كل فنوبهم واوحالهم واكاذيبهم وحقاقتهم وعاماتهم والامهم وخصوماتهم واحقادهم وغبواتهم ، متعاقبين متجمعين متراحمين متنافسين مقاتلين ، دون ان يرد احدا منهم أو يضع اية حراسة على حدوده أو على ابوابه أو على اية نافذة من نوافذه . انهم يهجمون عليه جميعا جماعات واحادا دون ان يستأنفوه أو يسألوه أو حتى يخبروه أو يفهموا شيئا من رغبته أو مصلحته .

هل يوجد شيء أو مكان أو هدف مفتوح ومباح لجميع الغزاة والمهاجمين بكل نياتهم ومستوياتهم وجنسياتهم دون أي دفاع ودون ان يفعل أو يقول أو يعتقد ما يثير أو يحرض الغزاة والمهاجمين عليه ، مثل الاذان ؟ هل يوجد غزو بكل هذه القسوة والظلم والشمول والوقاحة مثل غزو الافواه للاذان ؟

اجل ، هل وجد أو يمكن ان يوجد من يفعل به كل احد كل شيء دون ان يفعل هو باحد أي شيء مثل الاذان ! أو غير الاذان ؟ هل يوجد صامت مستقبل مرحب مهذب ،

متواضع مجامل مظلوم مثلها ؟ هل يوجد صمت وتهذيب وتواضع واستسلام ملوم ومنكر ومهان مثل صمت وتهذيب وتواضع واستسلام الاذان لكل من يهاجمونها ويبيضون عليها ؟

ان الاذان لا تصوغ غزاتها اية صياغة . انها لا تصوغ شيئا من اخلاقهم او فكائهم او نظافتهم او مذاهبهم وافكارهم او من احوالهم وتشوהاتهم . . . وانها لا تعلمهم او تختار لهم شيئا من ذلك او تعرضهم عليه . انها فقط تستقبلهم وتستقبل ما يلقون فيها بكل الصمت والوقار والاستحياء وبكل واجبات ومستحبات الضيافة للنبيلة الكريمة جدا ، والمهينة الخمومة الجبانة المحقرة جدا . . .

لقد جمعت الاذان ولا سيما العربية بين اضخم كرم في الضيافة واشمل هوان في الكرامة .

نعم ، ان الاذان مكان فقط ، مكان لا نموذج لانفتاحه واستقباله . . . فهل المكان يعتدي ام يعتدى عليه ؟

بل ليست الافواه هي التي تصوغ الاذان أو تعودها أو تعلمها ؟ أليست بالقائها فيها . . . وبأنواع ما تلقى فيها وبأسلوب القائها فيها تصوغها أو تعودها أو تعلمها أو تقرض أو تشترط عليها أو تفعل بها كل ذلك ؟ أليست الاذان تعلم ، ثم أليس الذي يعلم يصاغ صياغة جيدة أو رديئة ؟ ليس الفرق بين الاذان يساوي الفرق بين معلمها ولو أحيانا أو نظريا ؟

أليس جميع الالهة والانبياء والجبارين والطغاة المتوحشين بقوتهم وارهابهم وتواعداتهم وجيوشهم يهاجمونها ويتفجرون فيها منطلقين من الافواه ليصوغوا ويعودوها ويعلموها ويفرضوا عليها لتكون النموذج الذي يريدون ويطلبون ؟ ليس جميع وحوش الانسان يهاجمون اذنيه مندفعين من فمه ؟

اجل ، من فمك ايها الانسان ينطلق جميع وحوشك ليفترسوا اذنيك ! هل عرفت ذلك ، هل رثيت لاذنيك ؟ هل طلبت منهما الغفران ؟

كل الهتك وانبيائك وطغائك وجهالك ومهرجيك وكذابينك واغبيائك ، كل هؤلاء يغزون اذنيك متفجرين من فمك ! هل فكرت في هذا ؟ هل حدثك عنه أحد من محدثيك ؟ هل جاء اليك نبي من انبيائك ليقول لك ذلك ؟

والان لقد جاءك من يقول لك هذا الذي لم يقله لك احد من قبل . فماذا انت صانع ؟ ماذا انت صانع بعد أن عرفت ان جميع غزاتك ينطلقون من فمك مهاجمين لك من أوسع واسهل وأمن الطرق الى احتلاك اي من اذنيك ؟

هل تعاقب فمك ، أو هل تغلقه ؟ هل تسد اذنيك أم تقتلها أم تستسلم لما هو حادث ؟ لعلك راض عما هو حادث ؟ لعلك متأمر مع فمك على اذنيك . . . لعلك متأمر مع آلهتك وانبيائك ومع كل غزاتك على اذنيك ؟ لعل كل الناس في كل التاريخ متأمرين مع انبيائهم وطغاتهم وآلهتهم ومع كل غزاتهم على انفسهم !!

ولكن هل هذا هو كل العدل في تفسير العلاقات بين الآذان والافواه ؟ بل هل في هذا التفسير اي قدر من العدل او الصدق او الصواب ؟
 هل يحتمل ان الافواه العربية قد وهبت الآذان العربية اخلاقها او ذكاءها او كبرياءها او اية صياغة من صياغاتها ؟ بل هل يحتمل انها علمتها شيئا او عودتها او روضتها او حرصتها او خلقت فيها الجرأة على شيء ؟ وحتى مهما حاولت ان تفعل بها او لها ذلك فهل هي التي فعلته او هل تستطيع فعله ؟
 من الذي علم الافواه العربية مستوياتها وصاغها صياغاتها ؟ ان الذي علمها وصاغها هو الذي علم الآذان العربية مستوياتها وصاغها صياغاتها . اذا اتهمت الافواه العربية بانها هي التي علمت الآذان العربية اخلاقها ومستوياتها فمن المتهمم بانه المعلم للافواه العربية موهبتها التعليمية ؟

ان الفريقين او الجارين اي الآذان والافواه العربية لم يعلم او يصنع احدهما الآخر ، بل لم يختر او يدبر احدهما للآخر . لقد وجدا نفسيهما متجاورين ومتواجهين ومتشابهين متوافقين في مواهبهما واحتياجاتهما ، فذهبا يتعاملان باحثين عن الراحة والاستمتاع ومستجيبين لذاتيهما ولكل ما في ذاتيهما من احتمالات وخصائص وشهوات . لقد عامل كل منهما الآخر بما يريعه او بما يريد به او بما يستطيعه ويعرفه او بما يتوافق مع مواهبه . . . ان احدهما لم يعامل الآخر بنية او بموهبة او بوظيفة النبي ولا بنية او بموهبة او بوظيفة الشيطان . . .

ان الافواه لم تأت الآذان بما لا تريد او بما تنكر وترفض حتى خلقت فيها الارادة والتقبل والاستحسان لهذا الذي جاءتها به واسقطته فيها وهي لا تريده بل وهي ترفضه وتنكره . وكذلك فان الآذان لم تذهب تتضرع وتتوسل الى الافواه طالبة اليها ان تسقط فيها وان تعلمها ما لا تريده اي ما لا تريده الافواه وما لا تعرفه او تقبله او ما لا تستطيعه ، حتى رقت اي الافواه لتضرع الآذان ولتوسلاتها وحتى غلبتها الرحمة والنخوة والشهامة امام هذه التضرعات والتوسلات ، فتعلمت اي الافواه وتقبلت وعرفت وازادت هذا الذي لم تكن تريده او تتقبله او تعرفه او تستطيعه ، ثم ذهبت بكل الرحمة والحنان والكرم والفداء تصبه في الآذان المتضرعة السائلة المتوسلة . ان الآذان لم تكن مستجيبة وان الافواه لم تكن متصدقة .

اجل ، ان القضية لم تكن كذلك واحتمال تفسيرها بانها كذلك اي احتمال تفسير العلاقات بين الآذان والافواه بانها علاقات بين معتد غاز مفسد وبين مغزو مفسد معتدي عليه ، هو اي هذا الاحتمال خطأ قد يكون الاقتناع بكونه صوابا اقتناعا سهلا ببل ومغريا ومثيرا للحماس الفكري . . ولكن اليبس الاقتناع بالخطأ هو دائما اقتناعا سهلا ومغريا وصانعا للحماس الفكري بل والانساني ؟

ان العلاقة بين الآذان والافواه تشبه العلاقة بين فاسقين او بين كائنين يمارسون احدهما مع الآخر او بالآخر ما يعد شهوة محرمة او سلوكا رديئا او مؤذيا او صانعا

للفضب او للاشمئزاز او للانكار ، او خروجا على المقرر او على المؤلف او على الاذكي والاقوى . وفي هذه الممارسة او في هذا الفسوق ليس كلا الكائنين قد استجاب لنفسه او لرغبته او لقدرته او لموهبته ومعرفته وكيونته ؟

ليس كلاهما قد استجاب او خضع لما حكم عليه به دون ان يكون الحكم على أحدهما اخف من الحكم على الآخر ؟

فمن الفاسق في هذين الكائنين ومن المفسوق به ، او من المعتدي ومن المعتدى عليه ، او من الصائغ للآخر المعلم الواهب له اخلاقه وشهوته ورغباته ؟ هل فيهما فاعل ومفعول به ، وخالق ومخلوق ، مذنّب وبريء ؟

ليس كلاهما اما أن يكون هذا وهذا او هذا فقط او لا هذا ولا هذا ؟ اذا ما عيان واجهتا وعاملتا عيين. اخرين بالاسلوب الذي يعد خطيئة او بذاءة او وقاحة او طريقا الى ذلك ، فاي هذه العيون الاربع هما العيان الآثمتان المعتديتان ؟ وهل فيها اي في العيون الاربع معتد ومعتدى عليه وآثم وبريء ؟ أليست كلها اما هذا وهذا او هذا فقط او لا هذا ولا هذا ؟

وهل فيها اي في العيون الاربع صائغ ومصوغ معلم ومتعلم واهب وموهوب ؟ هل يمكن ان تكون العيون المشتهاة قد علمت القلب ان يشتهي او صاغته كذلك ؟ هل يدا الانسان علمتا رجله المشي او هل رجلاه علمتا يديه الامساك بالقلم ؟ وهل عيناه علمتا قلبه الحب والشهوة والخوف أو هل قلبه علم عينيّه الرؤية والبلادة ؟ واذا كان هذا قد علم هذا فمن الذي علم المعلم ؟

اذا كانت الاذان العربية مستوى افضل مما يلقي فيها او اذا كانت ترفض ما يلقي فيها او تستنكره وتعجز عن تقبله وعن الاستمتاع والتغذي به فلماذا ظلت ابدا تستقبل ما تصبه فيها الافواه العربية وترحب به وتهتف وتغني له ؟ لماذا لم تصب اي الاذان العربية ولا مرة واحدة ولا في موقف واحد بالغضب او بالاستحياء او بالصمم عما تلقيه فيها الافواه العربية ؟

لماذا لم تعارض او ترفض او تضرب او تهرب او حتى تصرخ او تغلق الحدود بينها وبين الافواه العربية في اية فترة من تاريخها ؟ ان المناقض باخلاقه او بمواهبه لو باراقته ومستوياته لا يمكن ان يظل كل التاريخ بلا اي تمرد او عصيان وبلا اي شيء يشبه التمرد او العصيان .

كيف لم تمرض الاذان العربية او تفقد شهيتها من كثرة الالتقاء المناقض فيها ان كان مناقضا ؟ ان الاذان العربية لن تكون بريئة الا بقدر ما يجب ان تكون الافواه العربية بريئة . ان احدى الطائفتين أي الاذان والافواه العربية لن تكون بريئة أو مذنبة الا بقدر ما يجب ان تكون الاخرى كذلك .

هل يمكن ان تصبح الاذان العربية شيئا افضل ، اذكى او اتقى لو انها تعاملت مع افواه غير عربية اي مع افواه افضل واعظم موهبة من الافواه العربية ؟ او هل كان ممكنا او محتوما ان تنجي اي الاذان العربية افضل مما جاءت لو انها تعاملت منذ وجدت مع هذه الافواه التي هي غير عربية والتي هي افضل من الافواه العربية ؟ والافواه العربية لو انها ركبت على آذان غير عربية اي على آذان تشترط للتعامل معها شروطا اقصى واذكى من الشروط التي تشترطها الاذان العربية - على آذان ترفض كل ما تهتف وتغني له الاذان العربية لانها تملك وتعيش مواهب ومثلا لا تملك ولا تعيش منها شيئا الاذان العربية .

- نعم ، لو ان الافواه العربية ركبت على مثل هذه الاذان الصعبة في اخلاقها ومواهبها واشتراطاتها فماذا يمكن ان يحدث حينئذ ؟ هل يمكن ان تصبح اي الافواه العربية خلقا جديدا عظيما لتكون متكافئة مع الاذان التي ركبت عليها والتي اصبح محتوما عليها ان تتعامل معها وحدها ؟ ان مثل هذا او قريبا منه ان تتركب الاذان العربية تحت افواه غير عربية لتتلقى عنها . . كم هي تجربة محزنة او فاضحة لو معلمة او مسلمة لو ان هذا جرب اي لو ان الذات او الشخصية او الموهبة العربية ركبت تحت موهبة غير عربية لتتعامل عليها وبها ومعها وفيها !

ماذا لو ركب قلب ضعيف او يد او رجل ضعيفة في جسد قوي ، او لو ركب قلب قوي او يد او رجل قوية في جسد ضعيف ؟

او ماذا لو ركب عقل ضعيف في رجل كبير اي كبير المنصب والموقع في المجتمع او لو ركب او وضع رجل ضعيف في عمل او في موقع كبير من المواقع الاجتماعية ؟ لقد جرب هذا الافتراض او هذا الذي وضع في صينة تساؤل ، بل لقد كان هو الواقع الدائم المشاهد دائما في كل مكان او في الكثير جدا من الاماكن . وقد جاءت النتيجة كما لا بد أن تنجي ، اي جاءت معقولة جدا ومؤلة جدا .

اي لقد كان الواقع المشاهد دائما ان يركب العقل الضعيف او الموهبة الانسانية الضعيفة في الرجال الواقفين فوق المناصب ذات المسؤوليات الكبيرة جدا ، وأن يركب او يوضع الرجال الضعاف جدا في جميع مستوياتهم ومواهبهم فوق اكبر المواقع الاجتماعية واطورها . فما الذي حدث او ما الذي كان يحدث نتيجة لهذا التركيب اي لتكوين الضعف في موقع او في انسان يطالب بأن يكون قويا وبأن يعمل شيئا قويا ويفرض عليه ان يواجهه مواقف ومواجهات قوية ؟ نعم ، ما الذي يحدث او ما الذي يمكن ان يحدث حينما تكون المسؤولية كبيرة جدا والمسؤول صغيرا جدا ؟

ان الذي كان يحدث دائما ان الرجل الضعيف في تفاسيره ومواهب البشرية حينما يوضع في موقع كبير من مواقع الحياة لا يوهب قوة او موهبة قوية او كبيرة لكي يجيء ندا او كفا لمواجهته ، بل ولا يظل في مستوى ضعفه ، بل انه يذهب يزداد ضعفا وعجزا . وهذا شيء معقول ومحتوم . انه لا بد أن يقاسي من الاحراج

والحيرة والارتباك والشعور بالعجز والافتضاح . وهذه المقاساة لا بد ان تمتص قواه ومواهبه الضئيلة وان تصيبه بالمزيد من الهزائم والخيبة والانهك ومن ضياع الصواب . ان نكاهه وعزمه المحدودين لا بد ان يستنزفا وان يضلا ويتبددا ويهابا ويرعبا ويمرضا امام الواجهات والمواقف الصعبة الكبيرة التحدية المحتاجة الى ذكاء وعزم شامخين بل الى مواهب عديدة متفوقة . انه لشيء مهين ومضيع للصواب ان تكون النبوة كبيرة ويكون النبي صغيرا . . . أليس هذا هو الذي يحدث دائما أي تكون النبوة كبيرة والنبي صغيرا ؟ انه لم يأت نبي مساويا لنبوته . .

اذا وضع زعيم او حاكم او قائد يملك مواهب بشرية معينة هي اقل مما يجب . . . اذا وضع او وضع نفسه في موقع كبير اي اكبر من مواهبه - وهذا يقع كثيرا بل دائما - فان مواهب هذا الزعيم او الحاكم او القائد مع استمرار مواجهاته الصعبة لن تظل في مستواها ومقاديرها السابقة المحددة المحسوبة ، بل لا بد أن تاكلها هذه الواجهات وأن تهبط بها الى حدود ومقادير اكثر ضيقا وضآلة وافتضاحا . ان الواجهات لن تكون مسألة لمواجهة ولا محاييدة منهم . انها لا بد أن تكون معهم او ضدهم .

ان النموذج الجيد والقوي لتصديق هذه القضية هم زعماء وقادة وحكام العالم الذي يسمى العالم الثالث . ان هؤلاء الزعماء والقادة والحكام قد واجهوا ويواجهون ظروفا وقضايا ومشاكل واحتياجات والتزامات هي اكبر واصعب جدا من جميع مواهبهم وقدراتهم العقلية والاخلاقية والنفسية لان هذه الظروف والقضايا والمشاكل والاحتياجات والالتزامات التي واجهوها قد صنعتها حضارة كبيرة جدا . وهذه الحضارة الكبيرة جدا قد ابدعتها ووهبتها مواهب كبيرة وعديدة جدا . ولقد كان محكوما على هؤلاء القادة والزعماء والحكام ان يواجهوا مواجهاتهم هذه الصعبة لانه كان محكوما عليهم ان يكونوا في هذا العصر ، ومحكوم على هذا العصر ان يعيش هذه الحضارة المحكوم عليها اي على هذه الحضارة بأن تتوزع وتفرض نفسها بلا رحمة او كرامة او خيار او تدبير ذكي أو أبني على كل احد وكل مجتمع ، على الاكفاء وغير الاكفاء بل وعلى الاضداد والمناقضين والعاجزين الذين لا بد ان يحولوها الى تشوهات وعاهات وعار بل والى هموم وتحقير لها وعدوان عليها لا مثيل لنذالاته ووقاحاته . ان هذه الحضارة بقدر ما هي عظيمة وقوية فهي بلا كرامة او كبرياء . انها لا تختار او تستترط لنفسها . انها تعاشر وتهب نفسها باسلوب اباحي رخيص جدا .

نعم ، وما الذي حدث حينما فرض على هؤلاء القادة والزعماء والحكام ان يواجهوا هذه الحضارة التي ليست حضارتهم والتي ابدعتها مواهب ليست مواهبهم وليست في مستوى او حجم مواهبهم ؟ والمأساة ان هؤلاء القادة والحكام والزعماء لم يعرفوا ذلك اي لم يعرفوا انهم قد فرضت عليهم مواجهات هي اكبر واككى جدا من جميع مواهبهم . .

اجل ، هل تعاضلت او تعلمت مواهبهم العقلية او الاخلاقية او حتى اللغوية والتعبيرية او النفسية لكي يستطيعوا التعامل مع ما فرض عليهم التعامل معه دون ان يتحولوا الى افتضاح لانفسهم ولتاريخهم ولابائهم الزعومة المروية امجادهم ، والى عقاب الحضارة التي اقتحمت بوقاحة ومهانة وتضرع عليهم حدودهم المحروسة بكل معاني ومستويات التخلف والبداءة ، دون ان يعشقوها او يخطبوها او يطلبوها او يرأسلوها او حتى يعرفوها ، بل ودون ان يعرفوا لغة من لغاتها او يستطيعوا تعلم اية لغة من لغاتها . انهم لا يعرفون ولا يستطيعون ان يعرفوا لغات هذه الحضارة مهما تكلموها ..

نعم ، لقد اقتحمت عليهم هذه الحضارة مخادعهم الملوءة بالحشرات والعامات والنفونات وبالروائح الكريهة دون ان تشترط لنفسها اي قدر من الاحترام او التقبل او التلاؤم . وحينئذ ألم يتحولوا في ضعفهم وعجزهم الى مأساة ؟ لقد فرض عليهم نقيض متفوق بلا حدود ان يواجهوه ويعاملوه ويعيشوه ويباروه ، وان يتعلموه ويفهموه ويتحدثوه ويتحدثوا باسمه وبلغاته وشعاراته وبمذاهبه واخلاقه فأنهك كل قواهم المتخلفة ، قواهم الإذنية والنفسية والاخلاقية والتعبيرية ، حتى تحول اي هذا النقيض المتفوق الى عقاب وفضح رهيب حزين لهم . انه لم يعطهم شيئا من مواهبه وتفوقه ، أنه لم يزرع فيهم أو ينقل اليهم شيئا من مزاياه ، بل أنه لم يترك لهم موهبتهم الضئيلة بل لقد فتنك بها . لقد ذهب يخيفها ويحرجها ويخجلها ويورطها ويتحداها ويطالبها ويعجزها ويذلها حتى سلبها كل ما كان يحتمل انه قد قسم لها من مقادير ضئيلة من الذكاء او القدرة او الاخلاق او الوقار او الاتزان او الاستحياء او من اي معنى اخر جيد لا بد أن يقسم منه شيء ولو قليلا جدا لاي انسان حكم عليه بالمجيء هنا ..

وانه محتوم ان يزداد هؤلاء القادة والزعماء والحكام ضعفا وافتضاحا باستمرار مواجهاتهم لهذا النقيض او الخصم الرهيب المتفوق ، اي باستمرار مواجهاتهم لهذه الحضارة ، لهذه الحضارة الوقحة في ركوعها تحت كل الاقدام البدوية وامام كل الابواب بكل تعابير وتفسيرات التضرع والهيام والاستسلام الذليل .

وقد يكون من الوفاء والحماية والاحترام للحضارة وللمواهب التي ابتكرتها ان يمنع هؤلاء الزعماء والقادة والحكام من معاشتها والتعامل بها بل ومن مواجهتها والحياة داخلها . كما ان منعهم من ذلك قد يعد اسلوبا نبيلًا من اساليب الرفق بهم والستر لهم والحماية لمواهبهم من التعذيب والتعجيز والاذلال لها ولهم ، اي لو كان هذا المنع مستطاعا .. انهم لا يحقرون ويشوهون الحضارة فقط بتعاملهم بها وبمواجهتهم لها بل انهم ليعتذبون ويقاسون بذلك ..

فهل يحدث ان تتحرك النخوة او الكرامة او الشفقة في العالم فيفعل شيئا اي شيء لكي يقيم حواجز وحدودا منيعة من أي نوع وبأي اسلوب لتعزل هؤلاء القادة

والزعماء والحكام ، اي حكام وزعماء وقادة العالم الثالث ، لتعزلهم عن مواجهة هذه الحضارة المناقضة لهم وعن التعامل بها ومعها وفيها ، حماية لكرامتها ورفقها بمواهبهم ؟ كم هو رائع ونبيل وشهامة ان يفصل العالم ذلك ؟ كم فيه من الرحمة بهؤلاء القادة والزعماء ومن الستر لهم •

هل يحدث ان يفصل العالم ذلك وفاء وحماية لهذه الحضارة من المدون عليها والتشويه لها والهبوط بها ، وايضا رحمة ورفقا بهؤلاء القادة والزعماء والحكام الذين لا بد ان يفاسوا كل العذاب والهوان والافتضاح والعار والارهاق في مواجهتهم لها وتعاملهم بها ومعها ؟ آه لو ندرك عذاب وافتضاح وعجز هؤلاء القادة والزعماء والحكام في مواجهتهم لمعطيا وقضايا هذه الحضارة • آه لو يدركون هم ذلك ••

ماذا يمكن ان نتصور من التحقير والعنوان والفضح والتعذيب والارهاق حينما نتصور او لو تصورنا ان الافواه العربية قد ركبت على آذان غير عربية اي على آذان حضارية وفرض عليها اي على الافواه العربية ان تتعامل مع هذه الآذان الحضارية فقط دون اية آذان عربية ودون اية آذان في مستوى الآذان العربية دون ان تكون عربية ؟ نعم ، بجب ألا ننكر جدا او ألا ننكر بأسلوب حاسم انه قد توجد آذان غير عربية ولكنها ليست افضل كثيرا أو حتما من الآذان العربية • عجب ! أوأثقون نحن انه قد توجد آذان غير عربية ولكنها في مستوى الآذان العربية ؟ أوأثقون نحن من ذلك ؟ أنجرؤ على اعلان ثقتنا هذه ؟

نعم ، ماذا يمكن ان نتصور من العنوان على الآذان التي هي ليست عربية ومن للتحقير لها ، وكذلك ماذا يمكن ان نتصور من الفضح والارهاق والتعذيب للافواه العربية ، اعني لو تصورنا ان الافواه العربية قد ركبت على آذان غير عربية اي على آذان حضارية ؟

كيف يمكن ان تجرؤ حينئذ الافواه العربية على التعامل والتخاطب مع الآذان التي هي ليست عربية والتي لا تملك مواهب واخلاق الآذان العربية ؟ أي نحن هنا نفترض ان الافواه العربية قد تدرك او لا بد ان تدرك حينئذ معنى كونها تتخاطب مع آذان غير عربية ••

بل كيف تجرؤ اي الافواه العربية ان تكون مجاورة ومواجهة لهذه الآذان التي هي ليست عربية وليست في مستوى الآذان العربية غفلة وسذاجة وبداءة وتصديقا واستقبالا للأكاذيب والقباحات والبلادات والوقاحات واستمئاعا وترحيبا بها ؟ اكرر اننا هنا نفترض ان الافواه العربية ستدرك الفرق بين الآذان العربية والآذان غير العربية ••

كيف يمكن حينئذ ان يكون الاستقبال لها اي للافواه العربية ؟ هل يستطيع اي شيء غير الآذان العربية ان يستقبل الافواه العربية ؟ ••

أنه لتخيل مثير : أن نتخيل استقبال اذان غير عربية لافواه عربية قد فرض على هذه ان تكون مستقبله لهذه . انه لتخيل مثير حتما ولكن هل يمكن ان يكون سعيدا ؟ وهل يستطيع اي خيال ان يجرؤ على تخيل مثل هذه البشاعة ؟ اليس تخيل مثل هذا الخيال يحتاج الى وحشية قد يكون من الصعب وجود نموذج لها ...

ولكن العكس ماذا يصنع ؟ أي ماذا يحدث لو ان الاذان العربية ركبت عليها افواه غير عربية ؟ هل تشعر حينئذ الاذان العربية بورطتها وماساتها ؟ هل تقاسي حينئذ من العجز والحرج والاستحياء ؟ هل تتعذب وتترك عجزها ، وهل تحاول ان تفهم او تفهم بأن عليها ان تفهم او ان تدرك الفرق بين ان تفهم وان تعجز عن الفهم ، بل هل يمكن ان تدرك حينئذ انه يوجد اي فرق بين الافواه او بين ما تصبه الافواه في الاذان ؟ هل تشعر حينئذ انها محرجة وملزمة بما لا تستطيع ، اي بالتعامل مع متفوق لا تستطيع التعامل معه ويفضحها ان تتعامل معه لضخامة الفرق بين المتعاملين ؟ أو لعلها حينئذ لن تعاني شيئا من ذلك لانها لا بد أن تقتنع بأن القضية ليست الا أصواتا ، اي ان جميع الافواه ليست الا اصواتا فقط وأنه لا فرق بين صوت وصوت وبين فم وفم الا بأسلوب الاداء . وحينئذ لن تدرك بأن هذه الافواه التي ركبت عليها والتي هي ليست افواها عربية ليست في تفاسيرها او في قيمها الاخلاقية او الفكرية او الانسانية او الحضارية مخالفة للافواه العربية او متفوقة عليها .

أليست جميع الاذان الصوتية او جميع آذان الكائنات المصوتة اي غير المتكلمة لا بد ان تواجه وتعامل وتفسر جميع الافواه بأنها اصوات فقط وانها حينئذ لا فروق بينها في تفاسيرها او مواهبها او مستوياتها ؟ هل تستطيع اذنا الحصان او الجمل ان تفهما الفرق بين صوت الواعظ شاتما كاذبا وكلمات العالم خالقا واهبا ؟

ولكن ما شأن تلك الافواه غير العربية التي ركبت افتراضا على الاذان العربية ؟ ماذا يمكن ان تفترض فاعلة حينئذ ؟ هل تتقبل حينئذ التعامل مع الاذان العربية ؟ هل تستطيع التنازل عن كرامتها وكبرياتها وذكائها والتزامها ووظيفتها الحضارية الابداعية ؟ هل تستطيع التعود على الهوان وعلى معاشرته ومعايشته وعلى التخلي عن التقوى بحثا عن التخلق بالتواضع وعن مسايرة ومجاملة العجز والتخلف والرداءة ، وهربا من احراج او اذلال هذا العجز والتخلف وهذه الرداءة ؟

هل يوجد من يريد ان يكون عاجزا ومتخلفا ورديئا لكي لا يشعر العاجز والمتخلف والردئي بالاحراج او الاذلال او التمجيز ؟ هل يوجد من يريد ذلك ويستطيعه ويفعله ؟ هل توجد تقوى او شهامة بهذا المستوى ؟

هل يوجد عبقرى او نبي يتخلى عن عبقريته او عن نبوته لئلا يعضب فاقدي العبقرية والنبوة بالغيرة والحسد ؟

هل توجد غربة مثل غربة افواه غير عربية ركبت على آذان عربية ؟

هل يوجد من يستحق الرثاء مثل هذه الافواه التي جرؤ الخيال على ان يضعها في هذا المكان ؟

تعذيب لا تطيق مشاهدته النجوم ان توضع افواه غير عربية فوق آذان عربية .. سخرية لا مثيل لفحشها وهزئها ان تقرأ اعظم الكتب العبقريّة على اذني جمل او ذئب او على اذني قراد . أليس تركيب الافواه غير العربية على الاذان العربية هو كل التفاسير لقراءة الكتب العبقريّة على اذني الجمل او الذئب او القراد ؟ ..

ولكن لماذا لم يحدث هذا ؟ لماذا لم يحدث ان ركبت الافواه والاذان العربية على آذان وافواه غير عربية ، او ركبت غير العربية على العربية ؟ لماذا لم يحدث هذا الشيء الفظيع الرديء ؟ هل توجد قوة خيرة من الالهة او الطبيعة قاومت ومنعت أن يقع هذا الرديء المنكر ؟ أليست الاشياء الرديئة والدميمة والمنكرة تغطي كل وجوه واحداث هذا الكون ؟ انه لا يوجد في قوانين هذا الكون ولا في احداثه اي تدبير او نية من نيات المشاهمة او التقوى او من تدبيرها ..

اذن لا يمكن الافتراض بان قوة ذكية او ابيهة او خيرة او غيورة هي التي قاومت ورفضت ان يحدث هذا الشيء الرديء القبيح المهين ، اي ان تتركب المواهب غير العربية على الانسان العربي او أن يركب الانسان العربي على مواهب غير عربية . ولكن هذا لم يحدث لان آذان البشر وافواههم ليست هي مواهبهم .. ان مواهبهم هي دائما وراء آذانهم وافواههم وآذانهم وافواههم ليست الا ممرا او مكانا . ان الانسان العبقري لا بد ان يكون فمه واذناه عبقريّة ، وغير العبقري لا بد ان تكون اذناه وفمه كذلك .. ولو انتزعت اذنا وفم اتفه واجهل انسان وركبت على انسان عبقري لكان محتوما ان تصاب اذناه وفمه بالعبقريّة ، وان العكس ايضا صحيح بنفس النسبة ، اي لو انتزعت اذنا وفم اعظم عبقري لتتركب على انسان غير عبقري او على انسان تافه لاصيبت اذنا هذا العبقري وفمه بالتفاهة ..

ولكن ليس هذا التركيب واقعا ومشاهدا دائما ؟

اي ليس الانسان العربي مركبا دائما على كل الناس بل على كل العباقرة ، وكل الناس ، بل كل العباقرة مركبين على الانسان العربي بل على اتفه انسان عربي ؟

ليس هذا يحدث دائما ولكن باسلوب اخر ؟ أليست الافواه غير العربية تتحدث دائما الى الاذان العربية ؟ وأيضا أليست الافواه العربية تتحدث الى الاذان التي هي ليست عربية ؟ أليست الاذان غير العربية تستمع الى الافواه العربية ، والاذان العربية ليست تستمع الى الافواه غير العربية ؟ أليست الافواه العربية تتحدث بكل كبرياء لالوهية والنبوة الى كل الاذان الحضارية ؟ أليست تقاسي من التواضع حينما تتحدث اليها ؟

ليس هذا يحدث دائما او يبدو وكأنه يحدث دائما ؟

هل وجدت اية حماية دولية أو محلية لتحمي من هذا التداخل أو التركيب العدواني الاليم ؟

ليس هذا اسلوبا من اساليب التركيب اي تركيب الاذان والافواه العربية على اذان وافواه غير عربية ، وتركيب الافواه والاذان غير العربية على الاذان والافواه العربية ؟ ليس هذا مثل هذا أو قريبا منه أو مذكرا به أو حاملا لمعانيه وتفسيره ؟ أليست الاذان غير العربية لا تخشع أو تنتصت مثلما تفعل حينما تخاطبها الافواه العربية ، كذلك الافواه غير العربية لا تذل مثلما تذل حينما تتخاطب بكل التصرع مع الاذان العربية ؟

ولكن هل يحتمل ان يكون في هذا شيء من الجد أو الصدق ؟

هل يحتمل ان هذه الافواه غير العربية الموجهة الى الاذان العربية تعني حقا المخاطبة لها والتعامل معها حوارا وفهما ، أو ان هذه الاذان غير العربية حينما تتسمع بأسلوب اللهفة والايمان والتعلم والتوقع الجيد لاشياء جيدة ، حينما تفعل ذلك بأسلوب الراكع المريد المبايع المتلقى للنبوة والوحي .

– نعم ، هل يحتمل ان هذه الاذان غير العربية حينما تفعل ذلك مستقبلة للافواه العربية متلقية عنها ، تقصد حقا ما يبدو وكأنه تقصده ؟ هل البراءة الى حد الغباء معنى من معاني التفوق ؟ هل التفوق لا ينافي ان يكون المتفوق مصدقا ومحبا ومتواضعا ومجاملا الى حد الافتضاح العقلي ؟

أو هل يحتمل ان الاذان العربية حينما تبدو وكأنها تستقبل الافواه غير العربية وتستمتع اليها بأسلوب المحاور الباحث عن الفهم وعن المحاكمة لما عنده والاختبار لما عند الآخرين – نعم ، هل يحتمل ان الاذان العربية حينما تفعل ذلك تعني ما تفعله وتنوي ما يبدو انها تنويه ؟

وهل تستطيع ان تفعل ذلك وتعرف ان تفعله مهما نوت ان تفعله أو ظنت انها تفعله ؟

وايضا ، الافواه العربية حينما تتوجه الى الاذان غير العربية هل يحتمل انها تعني ان تخاطبها وتكلمها وتهبها أو تعلمها شيئا أو ان تفاوضها وتحاورها على شيء أو في شيء أم تعني فقط اي الافواه العربية ان تتحول الى اصوات ؟ أليس التحول الى اصوات هو عبقرية افواه كثيرة ، عبقرية نبوات كبيرة شهيرة ؟

* أليست الافواه العربية هي دائما اصواتا فقط حتى حينما تتوجه الى اذان المتكلمين الذين يصوغون الكون ويحكمونه بكلامهم اي يصوغونه ويحكمونه لانهم متكلمون اي لانهم خالقون لان الخلق طور من اطوار الكلام . لان الكائن الذي يبلغ طور التكلم لا بد أن يبلغ طور الخالق . ان كل متكلم لا بد ان يكون خالقا ، وان كل خالق لا بد ان يكون متكلمًا . ان التكلم الذي لا يكون خالقا ليس الا مصوتا فقط حسب

متكلما • ان الكلام ليس هو الذي يخلق ولكن طور الكلام هو الطور الذي لا بد ان يكون خالقا • والمصوتون لا يخلقون ليس لانهم يصوتون ولكن لان طور الكائن المصوت ليس طور الكائن الخالق • ان الكلام والصوت علامتان مختلفتان على كائنين متفاوتين جدا في مستوياتهما التكوينية والحضارية ••

اذن لماذا نتعامل الاذان والافواه العربية مع الافواه والاذان غير العربية بهذه الاساليب التي تجعلها تبدو وكأنه لا مثيل لها في صدقتها وجدها وإخلاصها وبراءتها وقيمة تعاملها ؟ لماذا تصر على ان تكون وقحة وبذيئة ومصابة بالسماجة والسخف مع انه يبدو انه لا ثمن لذلك ولا مجد فيه لا مقبوض ولا منتظر ••؟

هل ممارسة الوقاحة والكذب والسخف والسماجة والتزوير معنى او شرط او موهبة او صلاة او نشيد من معاني التخلف والعجز ومن شروطها ومواهبها وصلواتها وانشيدها ؟ هل التخلف والعجز ليسا فقط تخلفا وعجزا ولكنهما علامتان على كون هائل من النقائص والاثام والقبايح والدماصات النفسية والاخلاقية ••

هل مستحيل ان يكون العاجز او المتخلف مهذبا او صادقا او كريما او شهما او بريئا او صديقا او محبا او محترما لنفسه او لمواقفه او لاخلاقه او لاي تعبير من تعبيراته ؟ هل النذالة في المتخلفين كينونة ذاتية مثل كينونة الاعضاء ؟ هل هي التزام طبيعي ؟

هل يوجد قبح او تحقير او هزل او ضياع او عبث مثل ان يتعامل الصادق البري، المذهب الكريم الجاد مع الكاذب الملوث المتوقّع اللثيم الهازل ، أو أن يتعامل المتفوق المتحضر مع المتخلف الذي لا يستطيع ولا يريد ان يكون متحضرا ، او مثل ان يكون الكائن المتكلم محكما عليه بأن يتخاطب ويتحاور مع الكائن المصوت ، بأن يتوجه اليه بكل منطق وافكاره وقضاياه ، وبكل عبقريته وجده وصدقه ، وبكل همومه ومشاكله ومطامحه الحضارية والانسانية ، بكل التهذيب والتواضع والتعبد مثلما يتوجه الى مثيله او نده ، بل مثلما يتوجه عبد الى الله او تابع مؤمن الى نبيه؟ اذن هل يوجد هوان او قبح مثل ان يتحاور الزعماء والمفكرون المتحضرون مع الزعماء والمفكرين العرب بنيات واسلوب الجد والحسم ؟

او هل توجد وقاحة او بذاءة او سماجة او عدوان او اثاره للغثيان والاشمئزاز مثل ان يستطيع ويجرؤ الكائن المصوت ان يتوجه بأصواته الى الكائن المتكلم كأنه يكلمه ويعلمه ويجادله ويفاوضه ، بل كأنه اله او نبي صحراوي ولد وعاش وتخلق وتعلم في الصحراء ، يتوجه الى عبيده او اتباعه البدو الصحراويين ، يتوجه اليهم بأوامره ونواهي وزواجره ويتعاليهم وشرائعه وبكتابه المنزل المقدس وبتفاسيره النهائية لكل الاحداث والاشياء ولكل المشاكل والقضايا ؟

هل تطبيق ان ترى او تعلم ؟ الكائن المصوت يتوجه الى الكائن المتكلم ليعلمه ويكلمه • هل تطبيق أن ترى او تعلم ؟

اذن هل توجد بشاعات ، اكوان وحشود من البشاعات مثل ان يوجد متكلمون خالقون بكل هذا التهذيب والتواضع والصدق والبراءة والحب يواجهون ويعاملون ويعاملون ويهبون ويخاطبون كائنات مصوتة بكل هذه الوقاحة والبذاءة والعدوانية والسماجة والتلوث. والخداع والكذب والضعف والعجز ، كائنات تسمى بشرا وتظن بشرا وتزعم لنفسها انها ارقى من كل البشر - كائنات تزعم ان الالهة والانبياء لم يخلقوا أو يتعلموا الكلام أو يهبطوا الى الارض ويعيشوا في حضيض الارض واوحال الارض الا لكي يتكلموا معها ، بل الا لكي يصنعوا اي الالهة والانبياء لانفسهم مجدا وتاريخا بالتكلم معها اي مع هذه الكائنات المصوتة ؟ نعم ، الست زنديقا ونذلا حقودا حسودا بليدا لو لم تعتقد ان الالهة والانبياء لم يتعلموا الكلام الا لكي يصنعوا لانفسهم كل المجد وكل التاريخ بالتكلم مع الانسان العربي وبالتكلم باللغة العربية ؟ نعم ، هل لاي شيء اي مجد الا ان يتحاور مع الانسان العربي ؟

يوم يحاكم العرب البشر أمام الآلهة

اي قومنا ، ابناء العروبة .. يا مجد الالهة والنبوات .. يا ضمير الانسانية والاديان .. يا عبقرية التاريخ .. يا منطق وموكب الحضارات .. يا عيون الشمس والنجوم التي ترى بها مجد الانسان .. يا انهارا تتفجر من السماء لتفتسل بها انهار الارض متطهرة من ادرانها وذنوبها مروية بها ظمأها .. يا مرايا ترى الطبيعة بها وجوهها لتحميمها وتعالجها من العاهات والدمامات وتصوغ لها جمالها ، وتضع لجمالها نماذج ومقاساته . يا كل الموازين والمقاييس والنماذج للجمال والعدل والحق والذكاء والاخلاق والعبقریات .

ايها الموازين والمقاييس والقوانين التي تزن وتقيس وتضبط بها وحدات الكون احجامها واوزانها وحدودها وقوانينها وحركاتها ومساراتها لئلا تتصادم او تتناقض او تتنافر او تتقاتل او تتعادي او تنتهى وتضل ..

يا نشاطا ودأبا يهبان كل شيء نشاطه ودأبه واستمراره ..
يا ايماننا متفجرا متوقدا متوهجا يشفى ويحمي كل شيء من الخمول والاسترخاء ومن التجمد والظلمة والبلادة .

يا بسالة وانتصارات تتداوى بها كل الشعوب في كل التاريخ من كل هوانها وجبنها وهزائمها . يا تاريخا يتداوى به كل التاريخ من كل هوانه وأثامه وهزائمها . يا قيمة اخلاقية ودينية وانسانية تتعالج بها كل القيم من ضعفها وانحرافها واخطائها ، وتتعلم منها كل مستوياتها ونماذجها العظيمة الشامخة ..
يا ضميرا كونيا تتعلم منه وتفسر به الالهة كل شرائعها وأخلاقها ونياتها وتقواها ..

يا نبوة تسجد لمعجزاتها كل النبوات والعبقریات ..
يا كقبا مقدسا منزلا تتعلم منه الالهة كيف تؤلف الكتب المنزلة المقدسة ..
يا دموعا وآهات مؤمنة تقيت تدأوى الالهة من غضبها واحزانها وهزائمها وضياعها ووحدها ..

يا كل هذه ، يا قومي ، يا ابناء العروبة ، يا اباء كل مجد وعبقرية .. اعتذر اليكم يا قومي ، يا مجدي . اعتذر اليكم لانني قد فسرتكم بأنكم كائنات مصوطة لا متكلمة . لا نراعوا من تفسيري هذا . لا تراعوا . يا قومي ، يا مجدي .. أليست

القضية هنا هي ان انسانا عربيا قد حكم على قومه العرب بانهم مصوتون فقط وانهم لم يبلغوا الطور الذي يجعلهم يريدون ان يتكلموا ويستطيعون ذلك ؟ اجل هذي هي القضية . انها قضية لا يمكن ان تصنع خوفا او خطرا ..

ذلك ان العرب ان كانوا كائنات متكلمة فتفسيرهم بغير ذلك لا يغير ولا يعني شيئا ، ولن يخيف ايضا لانهم حينئذ لن يهبطوا او يتأخروا عن طورهم ومستواهم ليكونوا مصدقين او مجاملين او مرضين للتفسير الخاطئ الذي فسروا به ، او لانهم لا يجروون على ان يجعلوا من فسروهم التفسير المخطئة يدركون انهم مخطئون وظالمون ، لان جعلهم هؤلاء المخطئين يدركون انهم مخطئون يعذب ضمائرهم ويعاتب او يعاقب تقواهم . نعم . ان العربي لتقي وشهم ولو احيانا الى الا يجروا على ان يكون قويا او ذكيا او شجاعا في مواجهته لعدوه لئلا يخيفه او يهزمه او يجرجه او يصده عن العدوان عليه .

انه لم يحدث ولن يحدث ان تفسير اي شيء تفسير اقل او اردأ من معانيه قد اخذ لو انقص من معانيه اي قدر او اي شيء . ان كل شيء يكون كما يستطيع وكما يلائمه ويريه ان يكون ، لا كما يفسر او كما يقال عنه وفيه وله ، وكما يطلب ويراد منه ..

بل انه لاحتمال جيد ان تفسير الكائن المفكر الشاعر الغاضب الخائف الراض اي الكائن الذي هو في مستوى من يعيش ذلك ويقاسيه ولو احيانا .

- نعم ، ان تفسير الكائن الذي هذا طوره بتفسير هي اقل او اردأ من معانيه قد يطلق قواه ويحرضها على ان تكون قوية ورائعة ومكذبة للتفسير المخطئة او الظالة الكاذبة التي فسر بها .. ان من فسرك تفسير ظالما فلن يستطيع ان يسرق او يرهب أو يعتقل قدرتك أو ذكائك ، انه ان لم ينفعك فلن يقتلك أو يضرك ..

ان التحدي ، تحدي التحقير والتصغير والاستهانة والاهانة والخوف والعدوان والهزيمة والضعف والعجز - ان تحدي كل ذلك هو احدى مواهب الانسان العظيمة الباعثة المبدعة .. ان تحدي التفسير المصغرة المهينة المحقرة الكاذبة الظالة المخطئة - ان تحدي هذه التفسير بالتفوق عليها والتخطي لها لهو من اقوى الحركات المحرضات لطاقت الانسان . لقد كان العرب دائما يفسرون انفسهم ويفسرهم الآخرون تفسير تبالغ في تدليلهم . فماذا صنعت لهم هذه التفسير الدللة ؟ ليتهم يجربون التفسير الأخرى .

لعل جميع ابداعات الانسان وتخطياته لم تكن الا حاصل تحدياته للطبيعة وللآخرين وللنفس والذات ولصراعاتها وللتفسير والتعاليم التي قيلت له وقيلت عنه وفيه . ان اعداءنا والقساة علينا بمواقفهم منا وبتفسيرهم لنا تفسير صغيرة ومهينة وظالة كاذبة قد يهبوننا ويصنعوننا . وانهم حتما لن ياكلوا قوتنا .

انه ليس الانسان هو وحده الذي يملك موهبة التحدي ويتحرك بها . ان غيره ايضا ، الحيوان والنبات وكل كائن حي بل وغير حي يتحدى مواجهاته واعاءه وقيوده وآلامه ويخرج عليها ويتجاوزها ، اي انه يحاول ذلك . ولكن الاساليب والتعبيرات والقدرات مختلفة ومتفاوتة اي بين الانسان وبين ما سواه اي في امتلاك موهبة التحدي وفي ممارستها وارادتها ووعيتها وتعمدها وصياغتها واخراجها .

لهذا فان الذين يفسروننا تفاسير مغضبة وجارحة قد ينفعوننا اكثر من الذين يفسروننا تفاسير محابية مرضية لغورونا ولعشقنا لانفسنا . . .
أما ان كان العرب كائنات مصوتة فقط كما فسروا واتهموا وليسوا بشرا يتكلمون فلا شيء ايضا هنا يخيف او يعني شيئا . لا شيء يؤدي او يهين او يصنع شيئا في هذا التفسير او الاتهام . . .

ذلك ان المتهم المفسر هو انسان عربي . وقد افترض ان العرب مصوتون فقط . اذن هذا التفسير او الاتهام للعرب هو تصويت فقط وليس كلاما لان المفسر المتهم هو مصوت وليس متكلما لانه واحد من العرب المصوتين لا المتكلمين .
اذن فانها لم تقل كلمة واحدة في اتهام العرب او في تفسيرهم ، وانما صوت مصوت منهم عليهم كما يصوتون هم على انفسهم وعلى الآخرين وعلى كل شيء دون ان يكون في تصويتهم اي تفسير او اي اتهام لاي شيء او لاي احد . ان المصوت اذا قال ان العرب ليسوا الا أصواتا لا يعني الا ما يعنيه لو أنه قال ان العرب ليسوا الا عبقرية وليست العبقرية الا عربا .

اذا سهل او رغا او عوى او طن عليك حصان او جمل او ذئب او ذباب فهل يمكن ان يكون مفسرا او متهما لك ؟ هل يمكن ان يكون مادحا او ذاما الا بقدر ما يكون للعربي مادحا اذا قال مديحا وداما اذا قال ذما ؟ هل العربي يقول مهما قال ام يصوت فقط ؟

وايضا اذا كان العرب مصوتين فان اي كلام يفسرهم تفسيرا رديئا ومهيئا لن يفهموا منه شيئا رديئا او مهيئا بل لن يفهموا منه اي شيء ، مهما اتهمهم وتوجه اليهم ، لانهم اي العرب لا يعتقدون انه يوجد تصويت وكلام وانه يوجد اي فرق بين التصويت والكلام . ان اي كلام في اقتناعهم ليس الا أصواتا مثل اصواتهم ليست له اية دلالة او تفاسير . وان جميع المتكلمين في حسابهم ليسوا الا مصوتين مثلهم . . . انهم لن يفهموا الآخرين او يفسروهم افضل مما يفهمون ويفسرون انفسهم . لنهم لن يفهموا انفسهم مصوتين ثم يفهمون الآخرين اعظم من مصوتين . . .

اذن فان العرب لن يفهموا ان احدا قد فسرهم او اتهمهم مهما فسروا واتهموا . لنهم لن يفهموا الا انه قد صوت عليهم دون ان يعني التصويت عليهم اية فكرة او كلام او تفسير او اي شيء . انه استقراغ فقط . انهم هكذا يفهمون انفسهم ويفهمون اصواتهم المسماة كلاما ، وانهم هكذا لا بد ان يفهموا كل الآخرين . ان من فسرهم

اضخم واكبر التفاسير هو في حسابهم مثل من فسرهم اردا واصغر التفاسير ، كما ان من امتدح الحاكم اقوى امتداح هو في رأيهم مثل من هجاه اقسى هجاء ، اي كلاهما المادح والهاجي لا يعني شيئاً لا مدحا ولا هجاء . انهما ليسا الا مصوتين اي مستفربين لاولحالهما وضآلتهم النفسية والاخلاقية واللغوية . وهم اذا رضوا عن المادح وجزوه وغضبوا من الذام او الهاجي وكرهوه او عاقبوه فليس لانهم يعتقدون ان المادح او الذام يعني شيئاً او ان بين الامتداح والهجاء اية فروق او اية نيات او تفاسير مختلفة . انهم لا يعتقدون ان المادح اكثر صداقة لهم او اعرف بمزاياهم من الذام . ان قول الامتداح عند العرب معزول عن الواقع وعن نيات المادح وعن تصديق السامعين بل وعن تصديق المدوح . .

ان اي سلطان او خليفة او نبي عربي يجزى مادحا له اسخى الجزاء لا يعتقد ان هذا المادح له يرى او يجد فيه او يريد له او يفهمه او ينوي ان يقول او يثبت او يعلن من امجاده ومزاياه اكثر او افضل مما يريد ان يفعل اقسى هاج له . انه لا يعتقد ان عيون المادح اقوى رؤية وانها لهذا رأت وأحبت فيه ما لم تر وتحب عيون الذام الهاجي فيه .

اذن لماذا او كيف يجزيه ، بل كيف لا يعاقبه اقسى عقاب ، اقسى مما يعاقب هاجيه ؟ أليس هذا المادح بهذا الاسلوب وبهذه النية والتفسير هو اعنف واقبح هجاء من الهاجي تصرّحاً ونطقاً ؟

أليس الذي يقول لاقبح الناس وجها : انت اجمل الناس وجها هو اكثر هجاء وبذاءة ووقاحة وعدوانا وايداء من الذي يقول لصاحب الوجه الدميم ما يراه ، وكذلك من الذي يسكت عما يرى فلا يقول شيئاً ؟

أليس المادح لك بنقيض ما فيك ، بنقيض ما تراه كل العيون فيك هو اوقح واقسى هاج لك ؟

ان السلطان او الخليفة او النبي او الحاكم العربي اي حاكم عربي يجزى مثل هذا المادح ويرضى عنه ويستشده ويستمتع اليه باسلوب جماهيري استعراضي فضاح لان العربي لا يمكن ان يفهم او يفسر بالمنطق الذي يفهم ويفسر به الناس والاشياء ، كما لا يمكن ان يفكر او يفهم او يفعل او يتحرك بمثل هذا المنطق .

ان الانسان العربي خروج على كل التفاسير والقوانين والمقاييس البشرية . انه خروج تاريخي . . خروج ليس فيه شيء من التمرد او التجاوز ، خروج عجز وتخلف عن المستوى والنموذج والقانون ، لا اختراق له . ان الانسان العربي في كل نماذجه ومستوياته تعجيز لكل التفاسير التي لا بد أن يفسر بها كلها او ببعضها كل انسان وكل كائن .

بل ان في تفسير الانسان العربي بانه كائن مصوت لا متكلم شيئاً جيداً ونبيلاً ورحيماً بل وذكياً . ان تفسيره هذا التفسير اسلوب قوي وشهم وخير من اساليب الدفاع عنه .

نعم ، ان القول بان الانسان العربي مصوت لا متكلم دفاع جيد جداً عنه . .
كيف كان ذلك ؟

نعم ، لقد سبق ان المصوت هو كائن يستفرغ نفسه ولا يقول شيئاً ، لا يقول رأياً ولا ينطق حكماً ولا يحدد تفسيراً او تفكيراً . انه لا يلتزم بشيء لا عقلي ولا اخلاقي . لا يرى ولا يفكر ولا يقول . ليس الا باصفا شحناته الذاتية القبيحة الكريهة بصوت عال بلا تدبير او قصد او فهم او رؤية لشيء ، او لحد ، مثل من يحزن او يحقد او يكره او يبكي او يشتم او يصلي او يهتف بالالهة وبالسماء طالبا مناشداً ، ومثل من يصنع ثقبه او ينتف او يشد شعره او يقضم اظافره . ان كل من يفعل ذلك لا يعني الا ان يبصق انفعالاته او ان يعبر عنها او ان تحركه بلا تدبير او غرض محدد او معروف او مقصود كما يصنع المصوت بلا فرق . انظر . هل الذي يقضم اظافره يكلمها او يعلمها ام يبصق مشاعره ؟ ان مثله من يصوت . .

حتى الصلاة ومناشدة الاله انها ليست الا تصويطاً اي ليست الا بصفاً للانفعالات وللشحنات النفسية والذاتية . انها اي الصلاة والمناشدة للاله ليست تكليماً للاله ولا حواراً او تفاهماً وتخطباً معه ، بل ليست اسماعاً له ولا تأملاً فيه بل ولا ملقاً او خداعاً او تدليلاً لكبريائه او لضميره وعقله او لانانيته وطموحه العنيف الاليم . انهما اي الصلاة والمناشدة للاله ليستا الا استفراغاً للذات مثل البكاء والانين والحقد وشتم الاعداء والظن فيهم من بعيد . نعم ، ان المصلي المنادي للاله بكل التضرع والصدق لا يساوي في جميع التفاسير الدينية والنفسية والاخلاقية اكثر من الباكي او الشاتم او الباصق .

اما الكلام فانه تفكير وخلق ومقاومة وعطاء ومجادلة ومفاوضة وتقبل ورفض . انه التزام شامل بكل معاني وتفسيرات وطاقت الالتزام ، وبكل ما يعني الالتزام من تخطيط وتدبير وتعهد وصدق ومخاطرة وحذر ومعاناة ومن هدم وبناء . انه قراءة وتفسير شاملان للطبيعة وللأحداث وللناس . انه يعني كل الكينونة السابقة والحاضرة والمقبلة . . ان الكلام هو كل الكينونات الحضارية والانسانية والاخلاقية والفكرية بل والكونية قد جاءت بصيغة اخرى . .

انه اذن لرفق كريم بالانسان العربي الا يفسر متكلاً بهذه التفاسير للمتكلم والكلام . ان تفسيره بانه كائن متكلم فضح له لا رحمة ولا مجاملة فيه . ان تفسير الانسان العربي بانه متكلم لا قس في قسوته من تفسير من يضع اصبعه في انفه بانه يعلم جمال التفكير والشعر والفنون .

انه لو كان الانسان العربي متكلماً لما وجد حضيض يكفي لكي تهبط اليه مستوياته العقلية والاخلاقية والنفسية والانسانية . انه لن يوجد حينئذ من يستطيع ان يقرأه اي يقرأ الانسان العربي او من يستطيع ان يفسره او يحدد فيه اشفاقاً واشمئزازاً . . .

لو كان الانسان العربي متكلماً اي لو كان يحكم او يفكر او يرى او يلتزم او يحدد او يفسر او يعني اي شيء حين يستعمل فمه ويمارس الالفاظ اللغوية لما كان ممكناً حينئذ ان تفهم مستوياته البشرية ؟ كيف يمكن ان يكون مستواه العقلي او النفسي او الاخلاقي او الانساني حينئذ ؟ اي حضيض حينئذ يستطيع ان يكون مستقراً لهبوطه ولاحتياجه الى الهبوط ؟

كيف يمكن حينئذ ان يفسر حين يقول اي لو كان يقول ، وليس يستفرغ ذاته فقط استقراً لا يعني به شيئاً غير نفس الاستقراغ ؟

- اجل ، كيف يمكن حينئذ ان يفسر حين يقول او حين يصوت وكأنه يقول :

ونبطش حين نبطش قادرينا	لنا الدنيا ومن امسى عليها
ونظلم حين نظلم بادئينا	طفاة ظالمون وما ظلمنا
وماء البحر نملؤه سفينا	ملأنا البر حتى ضاق عنا
تخر له الجبابر ساجدينا	اذا بلغ الفطام لنا رضيع

**

لنا الصدر دون العالمين او القبر	وانا اناس لا توسط بيننا
---------------------------------	-------------------------

**

وان نحن اوماننا اليهم توقفوا	ترى الناس ان سرنا يسيرون خلفنا
------------------------------	--------------------------------

**

بها انف ان تسكن اللحم والعظام	وانى لمن قوم كان نفوسهم
-------------------------------	-------------------------

**

وهبناهمو كل الحضارات والربا	ونحن وهبنا الناس كل مزية
-----------------------------	--------------------------

**

هتكنا عفاف الشمس بل سقطت ذعرا	اذا ما غضبنا غصبة مضرية
-------------------------------	-------------------------

وحين يقول : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » . في أي عصر كنا خير أمة أخرجت للناس ؟ في عصر البداوة والجاهلية حينما كنا نمجد أنفسنا ونفخر على العالم بكوننا أميين ونمجد الإله لأنه خصنا بذلك ؟ أم في عصر ملوك بني أمية ؟ أم في عصر ملوك بني العباس أم في عصر الأيوبيين أو الفاطميين أو المماليك أو المغول والتتر أو الصليبيين أو الغزاة الأوروبية الشاملة ، أم في عصر المواجهة الكثيبة الرهيبة بين إسرائيل وبين عشرين دولة عربية ، أم في عصر الثورات العربية المتساقطة علينا حينما أصبح للعروبة كل شهر وأحيانا كل أسبوع ثورة ، وقد يصبح لها كل يوم ثورة ، أم في عصر النفط .. النفط العربي ؟ نعم ، أم في عصر النفط العربي ، هذا الإله النذل الشرير المتآمر الذي جاء إلى العرب هذا المجيء الضخم الجهير المثير العالمي لكي يعلن إعلانا عالميا كونيا عن مواهبهم ، لكي يرفع كل أقدعة وحجب وسدود وروايات وجثث ومحاريب ومنابر وقبور والتاريخ عن مزاياهم الأخلاقية والعقلية والإنسانية والحضارية .. لكي يفرغ قبور آبائهم من كل أمجادهم المدفونة معهم .. لكي يقرأهم على كل العالم قراءة دولية بكل لغات العالم ؟ نعم ، لقد قرأ النفط العربي ، العرب قراءة عالية وترجمهم إلى كل لغات العالم وفسرهم إلى كل مذاهب كل العالم وفي محاريب كل العالم ..

نعم ، في أي هذه العصور والعهود كنا خير أمة أخرجت للناس ؟ وفي أي مواهبنا وصفاتنا وتفاسيرنا نحن خير أمة أخرجت للناس ؟ في ذكائنا أم في أخلاقنا أم في جمالنا وأجسادنا أم في قوتنا أم في حضارتنا ومعارفنا وإبتكاراتنا .. في زعمائنا وحكامنا وقادتنا وعسكريينا أم في علمائنا وشعرائنا وفنانينا ومفكرينا ، أم في جماهيرنا .. في تهذيبنا وحبنا و صداقاتنا وعبقرية علاقاتنا بالاصدقاء والاعداء .. أم في مزايا آلهتنا وأنبيائنا وأدياننا ، أم في تفوق الشموس والأقمار التي تعيش فوقنا على كل الشموس والنجوم التي تعيش فوق الآخرين .. ؟

في أي هذه نحن خير الأمم ؟ كيف جرؤنا على أن ننزل على أنفسنا وفي أنفسنا مثل هذا التمجيد ؟ هل حققنا في أنفسنا قبل أن ننزل هذا النص في تفضيلها على كل العالم والكون ؟ كيف جرؤوا على قراءة أو كتابة هذا النص ، أو على الاستمرار في قراءته وكتابته ؟ هل فكرنا في تفاسيره ؟ ألم نخف أن يسمعننا أو يراونا العالم ونحن نكتبه ونقرؤه ؟ ألا نخشى أن يراونا أو يعرفنا ويفهمنا ويفسرنا أي العالم بعد أن يسمعننا ويرانا نقرأ ونكتب ونتلو هذا النص في تمجيدنا لأنفسنا ، بعد أن يعلم أننا نقلو هذا النص في صلواتنا وأنا نؤمن به بل وأنا نعلن إيماننا به على كل العالمين بزهو أعنف من زهو من صعدوا فوق القمر حين يعلنون خطوهم فوق جبينه ، فوق أعضائه المحجبة المحرمة المحروسة بأقوى الآلهة وأشرسها ؟ كيف نسمح لطابعنا بأن تطبع هذا الكتاب الذي فيه هذه الآية ؟ كيف لا نخاف أن يقرأه أحفادنا القادمون أو يقرأه العالم الآخر ؟

اذن حينما انزلنا هذه الآية في تمجيدنا وتفسيرنا ورؤيتنا لانفسنا وحينما ذهبنا باستمرار وديمومة وايمان نقرؤها ونكتبها ونعلنها .

- نعم ، حينما فعلنا ذلك هل الافضل والاستر والاذكى لنا ان نكون متكلمين يعنون ما يقولون ام ان نكون مصوتين فقط اي باصقين لانفسنا ولاصواتنا ولوقاحتنا وبذاءاتنا وبلاداتنا وقبحنا بلا اي قصد او معنى أو التزام بشيء مما يعنيه ويلتزم به من يتكلمون ؟

اجل ، أليس الاذكى والافضل والاستر لنا ان نكون مستفرغين لانفسنا لامتكلمين؟ أليس الذي يفسرنا مصوتين فقط اي مستفرغين حينما نزعهم متكلمين يدافع عنا ويحمينا ويرفق بنا دون الذي يفسرنا متكلمين ؟ اذن فلنعلنهم اعداء ومحقرين لنا كل من يزعموننا متكلمين وكل من يحاسبوننا كما يحاسب المتكلمون . .

اننا نقول في انفسنا وعن انفسنا : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » . شيء رائع جدا بقدر ما هو فاجع وفاضح جدا . اننا لم نزل نتلو هذا على انفسنا في جميع محاربينا . وقد نضل طويلا نفعل ذلك . . جرأة لا مثيل لها على الافتضاح . بل موهبة في البلادة والسماجة والوقاحة لا تطاول . .

اذا افترضنا مصوتين فقط فلا عيب في هذا القول والادعاء . انه لا يعني شيئا ولا يفسر بشيء ولا يعرض قائله او مدعيه اي عرض . انه تصويت فقط اي استقراغ وبصق فقط بلا دلالة على شيء او قصد لشيء . . ولكن لا بد من الاسلوب المؤدب في البصق والاستقراغ . فهل تأدبنا هذا التأدب ؟

اذن لقد نجا قائله من أن يفسر او يفهم او يؤخذ او يقاس بما زعم او ادعى . لقد نجا من اقصى اتهام ، من ان يتهم بأنه متكلم يعني شيئا بما يزعم ويدعي وليس مصوتا فقط ، اي ليس مستفرغا فقط . .

ان في افتراضنا مصوتين لا متكلمين لجملة كريمة لعارنا وافتضاحنا . ان في هذا الافتراض لعزاء لنا .

انه لا نجا لقائل هذا من اقصى اتهام الا بأن يكون مستفرغا لا متكلم . . أليس محتوما او مفروضا ان يحاسب المتكلم ؟ ولكن هل يمكن محاسبة المستفرغ ؟ ان المستفرغ لا يحاسب مهما كان مستقذرا . المستفرغ قد يحاسب على اسلوب استقراغه . ولكن هل يحاسب على تفاسير او معاني استقراغه ؟

أليس المستقذر لانه مارس شيئا اضطراريا كالأستقراغ اقل قبحا او ذنبا او افتضاحا او عارا او هوانا او استحقاقا للاحتقار من الهابط في جميع مستوياته العقلية والاخلاقية والنفسية والانسانية والحضارية والتعبيرية تحت جميع مهابط الحضيض . اذن أليس افضل لك او اقل هجاء ولو احيانا ان تكون مستقذرا

من ان تكون مفتضحا او محتقرا او فاقد لكل مستويات العقل والاتزان والاحترام للنفس ؟ اليس الافضل لك ان تكون مستقرا وباصقا لا متكلما اذا كان هذا قولك ؟
 لنفترض انفسنا متكلمين هنا لحظات • اذن لنحاسب انفسنا في هذه اللحظات التي نحن فيها متكلمون اي افتراضا •• لنحاسبها على هذه الدعوى التي لا يتسع لها كل ما في الكون والاشياء من وقاحة وبذاءة وسماجة ومن غرور وغباء ••
 لنحاسبها على قولها لنا او على قولنا لها ، على هذا الاعلام او الاعلان الكوني :
 وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا •
 صحيح ان هذا قول قد قاله احد ، قد قلناه نحن ؟ صحيح اننا قد قلنا هذا باللسنة آلهتنا وانبيائنا ؟ ايمكن اذن ان يكون هناك آلهة وانبياء مثل آلهتنا وانبيائنا ؟

من هم نحن الذين سيكونون شهداء ؟ هل هم مشيخات الخليج النائر ، أقبل النفط ام وقت النفط ام يعد النفط ؟ وهل هم كذلك من اجل النفط وتمجيدها للنفط ام مع الاغضاء عن فضائح النفط ومع تناسيه وغفران ذنوبه وتشويهاته واساءاته ؟ هل اعطى مشايخ الخليج هذا المجد من اجل نفطهم ام من اجل عبقرياتهم الحضارية والانسانية والدينية ؟

ام هؤلاء الذين سيكونون شهدائهم المجتمعات الثورية المواجهة لاسرائيل أي الفاضحة الذلة القاهرة لاسرائيل بانطراحها الدليل الباكي الدائم ، اي بانطراح هذه المجتمعات الثورية العربية امام كل الابواب الدولية وغير الدولية ، المرجوة والميؤوس منها ، امام كل الابواب المرجوة والراجية ، المبكى امامها والباكية امام الابواب الأخرى •
 - بانطراحها الدليل المهيمن الدائم المتحول الى صلاة وتعبد، بل المتحول الى وطنية ومذهبية وعبرية كونية والى حضارة ونضال وبسالة تدق وتنشد لمجدها الأجراس والاناشيد ، وتقام لتحيتها وللإعلان عنها المهرجانات والمؤتمرات ، وتنزل لتكريمها وللتحدث عنها خاتمة النبوات •

- بانطراحها امام كل الابواب تدق وتشكو وترجو وتلقي بكل ملابسها عن عارها وهوانها وتشوهاتا ، وتزرع الشماتة والمسررات في قلوب جميع الاعداء وتضع الدموع والاحزان في قلوب وعيون جميع الاصدقاء ، وتضع التعجب والحيرة في عقول وتساؤلات جميع الناس ؟؟

هل الذين سيكونون شهداء منا هم الذين جاءوا وذهبوا ام هم الذين جاءوا ولم يذهبوا ام هم الذين لا بد أن يجيئوا بالاسلوب الذي به جئنا ليكونوا مثلما كنا كما كنا مثلما كان آباؤنا ، ام هم كل هؤلاء ؟

هل الذين سيكونون منا شهداء هم حكامنا وزعمائنا ام هم علماءنا ومفكرونا وادباؤنا وشعراؤنا وفنانونا ومبتكرونا ، ام هم مشايخنا ومعلمونا ووعاظنا واتقيائنا وجماهيرنا الذكية العبقريّة التقية المؤمنة ، ام هم كل هؤلاء ؟ او لعل هؤلاء الذين سيكونون منا شهداء هم قادتنا العسكريين وجنودنا المحاربين اي عدد مواجهاتهم

الطويلة لاسرائيل ! نعم ، لعل الالهة لن تجد مجدا يعوضها عن فقدتها لكل مجد ويهبها أضخم وأشهر مجد سوى مجدنا الذي صنعتها لنا مواجهاتنا لاسرائيل ٠٠

ولعل آلهتنا وأنبياءنا وملهمينا شاهدوا من فوق اسوار الازل مواجهة قادتنا العسكريين وجنودنا الحاربيين لاسرائيل فاستخف وقارهم الاعجاب بجيوشنا فحولوا اعجابهم هذا الى وحي منزل يتلى ويصلى به الى نهاية الابد ! لعل آلهتنا وانبياءنا لم يجدوا سرورهم وعزاءهم في شيء مثلما وجدوها في مواجهة جيوشنا لاسرائيل ٠٠ ولكن أية محكمة أو هيئة قضائية سوف نتقدم اليها شهداء ؟ وكيف قبلتنا أو اختارتنا هذه المحكمة أو الهيئة القضائية لنكون هؤلاء الشهداء أو الشهود ؟ وهل محتوم ان تقبلنا ؟ هل عرفنا ذلك ؟ ولماذا اختارتنا لذلك أو لماذا وقع الاختيار علينا ؟ هل هو تكريم لنا أم تحقير وتعذيب وفضح ؟

واين مكان هذه المحكمة ؟ اهي في عالمنا هذا أم في عوالم أخرى ؟

ومتى عقدت أو متى تعتقد ؟ هل عقدت وانفضت وادينا الشهادة أمامها أم انها سوف تعتقد وسوف تؤدى الشهادة بين يديها ؟ وهل محتوم ان تعتقد هذه المحكمة ؟ ألا يحدث ما يجعلها لن تعتقد ؟

ولماذا قبلنا دورنا هذا وهل قبلناه ، وهل قبلنا برضا أم بغضب ؟

وهل استمعت أو سوف تستمع اليها المحكمة ومن شهدنا أو من سوف نشهد عليهم باعجاب وتوافق أم باشمئزاز واستقبح ؟

هل ارضينا المحكمة ومن شهدنا عليهم أو لهم بشهادتنا أم رفض كل من كان هناك شهادتنا ؟

وما هي اللغة التي سوف تؤدى بها الشهادة ؟ لعل المكان أو العالم الذي سوف تعتقد فيه هذه المحكمة ويؤلف من سكانه اعضاؤها لا يوجد فيه من يتكلمون اللغة العربية ، ولعلنا نحن لن نعرف أية لغة من لغات أهل ذلك المكان أو العالم . لعل أهل ذلك العالم الذي سوف تؤلف منه وفيه المحكمة قد عرفوا اننا مصوتون لا متكلمون ، وعرفوا قيمة الكلمة عندنا مسموعة ومنطوقة ومفسرة . وهل يمكن حينئذ ان يستمعوا اليها ؟

ولا بد ان يكون هنا سؤال كبير وحاد التفسير والجواب ٠٠ هو : هل اقتنعنا باننا أهل لهذه الشهادة ، وان مواهبنا العقلية والاخلاقية والنفسية والانسانية والحضارية تجعلنا أهلا لها ؟ وهل وثقنا باننا احق بها من كل العالم ؟ وهل اطمأننا الى اننا لم نختر لذلك محابة لنا تحايينا بها الالهة أو احدى القوى الغيبية المبتوثة المتسترة داخل هذا العالم ؟ اليسر المحابة هي اشهر اخلاق الالهة ؟

اليسر اشهر واعظم مواهبنا افسادنا لضمائر الالهة ولاخلاقها بتعليمها المحابة لنا ؟ هل افسد قلوب الالهة شيء مثلما افسدها حبها لنا ؟

ولكن هل علم ان شهادتنا هذه سوف تكون امام اية محكمة او اية هيئة قضائية؟
لعلها لن تكون كذلك ، اي لعلنا سوف نؤدبها امام اشمول واقسى الطغاة الجبارين ،
نؤدبها امامها كما يريد ويأمر لا كما نعرف ونجد ونصدق ..

السنا دائما مأمورين مطيعين لا محاورين ولا محاكمين ولا مهتنتين او صادقين
او مبصرين ؟

لعلها ليست شهادة ولكنها وشاية وتآمر وتحريض وخيانة وتكتل في اجهزة
ومخابرات اوقح الطغاة .. اليس اغلب الشهود والشهداء ليسوا شهودا ولا شهداء
ولكنهم قتلة وجواسيس في جيوش وحرس ومخابرات الطغاة ؟

لعل هذه الشهادة ليست الا اسلوبا رهيبا نذلا من اساليب التزوير والاتهام
استجابة لشهوة وجبروت طاغية ما كما يشهد الاذلاء والعلاء ضد الناس لمصلحة
ولا هواء طغاتهم القتلة .. هل الحب او الصدق او الشهامة او الغيرة هي التي اخترعت
الشهادة والشهود ام هو البغض والنذالة والعداوة واللؤم والتسخير ؟

وهل الشهادة مهما كان صدقها من جميل او كريم ؟ وهل يمكن ان تكون
الشهادة امام الطغاة او بامر الطغاة واجهزتهم وفي اجهزتهم حتى امام الالهة محمودة
او مغفورة ؟ وقد قيل ان هذه الشهادة سوف تكون امام الاله لمصلحة الاله استجابة
لرغبته . هل الشهادة امام الطاغية او بامر الطاغية ومع اجهزته عمل طيب حتى ولو
كان هذا الطاغية هو الاله ؟

هل يمكن ان يكون تكريما لك ان تكون شاهدا على الناس او ضد الناس حتى
ولو كانت شهادتك امام الاله ، لمصلحته ، استجابة لاهوائه ؟

هل توجد نذالة او معصية كنذالة ومعصية من يشهد امام الاله لمصلحة الاله
بامر الاله ؟

وهنا مشكلة صعبة جدا لم يفتن اليها اولئك الذين فرضوا علينا او اختارونا ان
نكون شهداء او شهودا ، او لم نفتن لها نحن حينما اخترنا او القرمنا ان نكون هؤلاء
الشهداء او الشهود .

ليس محتوما ان نختلف في شهادتنا هذه اختلافا لا يستطاع ضبطه ولا التوفيق
او التقريب بين تفاسيره واتجاهاته ، كما اختلفنا في كل شيء ؟ لكن اختلفنا لن
يكون اختلافا في الرأي مهما زعم او بدا انه لا شيء غير الرأي . ان الرأي بريء من
جميع اختلافاتنا في كل تاريخنا .

واذا وقع هذا الاختلاف المحتوم في شهادتنا فكيف يكون التصرف ؟ كيف تصنع
حينئذ هذه المحكمة ؟ وروثك ايتها المحكمة العجيبة المجهولة الشخصية والمكان
والتاريخ والقضاة ورطة صعبة يستحيل الخروج منها . لقد ضاع عليك شهودك
وشهادوك وضاعت عليك مقاساتك ، بل لقد ضاعت او مست هيبتك وقارك وثقتك
بنفسك وبكل اعمالك . لقد ضاعت الامل على اولئك الذين كانت لهم مصلحة او حكمة
في ان تنشئي وتعقدي ويعلن عنك وفي ان نكون نحن شهداءك او شهودك ، او ضاعت

على ذلك الواحد العجيب الذي اراد ودبر ان تكون تلك المحاكمة او المحاكمة، وان نكون نحن شهوده وشهداءه ثم استراحت اماله الى النتائج الجيدة التي كان يريدوها ويخطط لها ويتوقعها آتية كالمضمونة بكل الضمانات الكونية والغيبية . كيف امكن ان يقتنع احد ان شهادة العرب متفقين ومختلفين قد تعنى اي معنى من معاني الشهادة ؟

كيف امكن ان يقع الجهل بهذا ، اي باننا لا بد ان نختلف في شهادتنا ، واننا اذا اختلفنا سقطت شهادتنا واصبحت القضية محتاجة الى ادلة وشهادات اخرى بل واصيبت هيئة المحكمة بورطتها المحتموة التي تستحقها ؟ بل كيف امكن الجهل بان شهادتنا لا تستطيع ان ترقى الى معنى الشهادة حتى ولو اتفقنا عليها ؟

هل الذين هم وراء هذه القضية والذين لهم مصلحة وحكمة ومجد ومسرات في انشاء هذه المحكمة وفي تدبيرنا شهودا فيها وفي الاستماع الى شهادتنا وفي الاعلان عنها والثقة بها - هل هؤلاء مصابون بكل هذه الغفلة وضيق الخيال ؟

حزني لكم ايها المنتظرون لشهادتنا لكي تشفيكم من احقادكم وغضبكم وضلالكم ومن جميع آلامكم وعقدكم النفسية والاخلاقية والتاريخية . . . اجل ، وحتى بلا اختلاف في شهادتنا لو كان ذلك ممكنا كيف كان محتملا ان يكون هناك من يحترم شهادتنا او من يحولها الى التزام قضائي او اخلاقي او منطقي او الى التزام من اي نوع ؟ بل كيف كان ممكنا ان يوجد من يتقبل ان يستمع الى شهادتنا او حتى ان يتحدث عنها او حتى ان تتعامل اي شهادتنا مع تصوره او مع اهوائه وتحليقاته في الفراغ والهباء ؟ ان هذا نوع من المبالغة في محابة ذكائنا وتقوانا لم يكن غرورنا ولا اعجابنا باربابنا وتاريخنا يستطيع الطموح اليه . . .

هل نستطيع ان نصدق ان كائنا ما يتقبل او يمتنى او يدبر او يأمر ان نكون شهداء او شهودا له او معه في قضية لها اي شأن أو احترام او خطورة او اي تأثير في حساباته او معاملاته او منطقته او حتى في احاديثه وانتماءاته ؟

أنحن كائنات يحتمل ان نكون او ان نقبل شهودا على اي شيء ، او في اي شيء ؟ كيف امكن ان يخدع بنا احد ؟ كيف امكن ان تكون الخديعة بنا بهذه الضخامة ؟ كيف حدث هذا ؟ اننا نعرف انفسنا ، نعرف مستوياتنا الاخلاقية والنفسية والعقلية بل والدينية . نعرف جيدا وبالتكرار ماذا تساوي شهادتنا في تفاسيرها الاخلاقية والفكرية والعاطفية والدينية والتاريخية والانسانية .

لا نعرف لاننا اذكياء او صادقون او مبصرون بل لاننا لا نستطيع بل ولا نريد ان نجهل ذلك .

هل نحن نعرف انفسنا معرفة ظالمة لها ؟ هل هناك من عرفونا ومن سوف يعرفوننا معرفة فيها تصحيح لمعرفتنا الظالمة لانفسنا وفيها اعتذار وتكفير عن هذه المعرفة الظالمة ؟ لعل ذلك كذلك . ليته كذلك . . . هل مستويانا العقلية والنفسية والاخلاقية اعظم وانظف واتقى مما عرفنا ورأينا وقاسينا ؟

اذن لنفرض معرفتنا ورؤيتنا لانفسنا ، ولنؤمن برؤية ومعرفة اولئك الاخرين لنا . اولئك الاخرين الذين يرون انهم يعلنون عن مجدهم وعن تقواهم وذكائهم حينما يعلنون انهم سوف يرجوننا ان نكون شهودا لهم ومعهم ، تدليلا على عدلهم وشهامتهم ..

هؤلاء الذين يعلنون عن مجدهم باسلوب من يعلنون عن مجدنا حينما اعلنونا شهداء او شهودا ..

اذن ايها الغرور لتتغير حدودك اتساعا وصعودا فان جميع حدودك القديمة لا تستطيع ان تكون حدودا لتحقيقاتنا وتحدياتنا والتفانياتنا ، ولتتكاثر تفاسيرك ومفسروك ، ولتتعدد ويتعددوا ، فان جميع تفاسيرك القديمة لا تستطيع ان تكون تفسيرا واحدا من تفاسيرنا لانفسنا ولا بائنا وتاريخنا واربابنا ..

انك يا غرورنا لصغير ، صغير اذا حوكت بما يجب لنا وبما نستحق من غرور .. ولكن هل نقبل هذه الرؤية والتفسير الجيدين لنا ؟ ألا نخشى ان تتحول الرؤية والتفسير الجيدان لنا الى نوع من الالزام لنا بأن نكون كذلك ؟ أليست الرؤية والتفسير الجيدان لك عدوانا عليك اذا كانا يلزمانك بأن تكون في سلوكك كذلك ؟ أليست لهذا ترفض ولو أحيانا ان ترى وتفسر هذه الرؤية وهذا التفسير الجيدين ، اي خيفة ان تصبح انسانا جيدا وانت لا تريد ان تصبح كذلك لانه لا يريحك ولا يسعدك ان تكونه ، او لا تستطيع ؟

انه ليس ربنا لك دائما ان تكون انسانا جيدا . بل قد يكون خسرانا لك دائما ان تكون ذلك بالاسلوب الذي تقوله لك وتطالبك به اديانك ومذاهبك وتعاليمك وخطبك بالاسلوب الذي يطالبك به اربابك وانبيائك وزعماءك .

نعم ، انهم يطالبونك ان تكون شيئا هم لا يريدون ولا يستطيعون ان يكونوه .. ثم ما هو الموضوع الذي سوف نكون شهداء عليه او فيه او ضده او له او معه ؟ هل هو موضوع الحضارة والتقدم والتغييرات العلمية والفنية والانتاجية الكبرى ؟ ام هو موضوع الفنون والاداب والتفكير والشعر ؟ ام موضوع الاخلاق والتهديب والحب والصدقات و...إقامة العلاقات بالناس وبكل شيء ؟ ام موضوع التقوى والتدين وبمسالة الضمير وبراءة النيات ؟ ام موضوع القوة والشجاعة والانتصارات وعبقريّة الممارسة للحروب والاطار والتحديات ؟ ام موضوع الكرامة والاباء والرفض والتوهج الروحي والعاطفي والذهني والانساني ؟ ام موضوع القدرة على التغير والتخطي والتصحيح وعلى القراءة والرؤية والتحديق ؟ ام موضوع الجمال والنظافة، كينونتھما وعشقھما وممارستھما ومعرفتھما وابتكارھما وحمايتھما واجتذابھما ورؤيتھما والاحساس بھما ؟ ام هو موضوع قيادة العالم وتعليمه واعطائه المجد والرخاء والمآذب والتفاسير والمستويات والصيغ الجديدة الدائمة ؟

ام هو موضوع حريات الانسان وحقوقه وحمانيته ، حماية كرامته وذكائه وتمرده ورفضه وعصيانه ورؤيته من طغيان وجهالة وبدولة آلهته وانبيائه وطفاته وزعمائه وتاريخه وقبور آباءه ؟ وهل وجد من حمى الانسان من جبروت واغلال اربابه وانبيائه وطفاته وتاريخه وقبور آباءه مثلما حميناه نحن ؟ نعم ، هل وجد ؟ .. في اية قضية من هذه القضايا سوف نكون شهداء وشهودا ؟ او لعلنا سنكون كذلك في جميع هذه القضايا ..

هل يحتمل ان تساؤلا واحدا من هذه التساؤلات قد بزغ في خيال هؤلاء الذين اختارونا او امرونا او الزمونا ان نكون هؤلاء الشهداء والشهود او في خيال واحد منا يجرؤ على ان يقرأ او يسمع اعلاننا لانفسنا شهداء وشهودا ؟ هل تستطيع اذن ان تسمع تساؤلا واحدا من هذه التساؤلات ثم تقبل ان تظل اذنا لها وظيفة الاذن ؟ ايها الآخرون ، كيف تقبلون ان نكون مواطنين لكم في هذا العالم ان كنتم تسمعون او تعلمون اننا نعلن لانفسنا شهداء وشهودا اي ان كان تساؤل واحد من هذه التساؤلات قد جرؤ على ان يقتحم اي موقع من تصوراتكم ؟ كيف لا ترجموننا بكل ما في الكون من حجارة وتراب واشمئزاز ؟ كيف تقبلون ان نصبح ارقاما مقروءة او محسوبة حينما تحصون تعداد سكان هذا العالم ؟

أليس غفرانكم لنا وصمتكم عنا وتقبلكم لمعيشتنا هو اقصى اساليب التحقير والتصغير لنا ولكم اي ان كنتم قد علمتم او سمعتم اننا قد اعلنا على السنة انبيائنا وكتبنا المنزلة المقدسة باننا سوف نكون شهودا على كل العالم في كل شيء ؟ أليس الذي يغفر لك ويستمتع منك ويتقبل فيك ما لا يمكن غفرانه ولا سماعه ولا تقبله انما هو انسان يبالغ كثيرا في تهوين شأنك وتصغير قيمتك ؟ أليس الذي يبالغ في الاشتراط فيك ولك يحترمك دون من لا يشترط فيك او لك اي شرط ؟

**

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .. من هم الناس الذين سنكون شهداء اي شهودا عليهم ؟ هل هم ناس امريكا واروبا وسائر القارات بل وناس الاكوان الاخرى التي قد نجد نحن فيها ناسا ؟ هل هم الذين حولوا القمر الذي كانت آلهتنا تتققا عيونها خوفا من ان تجرؤ على النظر اليه ، والذي كانت اي آلهتنا تمرض بالكبرياء وبالاعجاب بنفسها حينما تجرؤ على التحدث عن جماله وعلو مكانه وعن عبقرية تكوينه وجهارة وسطوع نوره . - نعم ، هل هم الذين حولوا هذا القمر الى حذاء لاذيتهم ؟

هل هم الذين فرغوا هذا الكون من كل مجد الالهة ومن كل منطقها اي منطق الالهة ومن كل تقاسيرها وعيونها وارهابها ولغاتنا وسلطانها ؟ هل هم الذين سرقوا منا كل مجدنا وانتصاراتنا وعبقرياتنا وكبرياتنا التي حابانا بها تاريخنا وروايات واشعار وقبور آباءنا ، بل التي حابتنا بها نبواتنا

وكتبنا المقدسة ؟ نعم ، ان كل امجاننا وانتصاراتنا وعبقرياتنا ليست الا روايات روتها لنا اشعارنا ونبواتنا وكتبنا المنزلة .

هل هم الذين علمونا انه توجد لغات غير لغاتنا ، غير لغات محاربينا ومنابرنا ومعلقاتنا داخل الكعبة وخارجها وغير لغات سلاطيننا وخلفائنا ، وعلمونا ان لغاتنا هذه ليست احدى لغات الانسان ولا احدى لغات الطبيعة ، بل وانها اي لغات محاربينا ومنابرنا ومعلقاتنا وخلفائنا وسلاطيننا ليست لغات لشيء ولا تعبيراً عن اي شيء ، وانما هي اصوات وشتائم وهجاء لكل لغات الانسان ولغات الطبيعة ولغات الحياة والحضارة والتقدم والانسان ؟ نعم ؟ ان لغات محاربينا وانبيائنا وخلفائنا ومعلقاتنا ليست هجاء فقط للغات الانسان بل وللغات والحياة والطبيعة وكل الاشياء .

ام هم الذين قرأوا علينا ولنا آلهتنا وانبياءنا وآباءنا وتاريخنا وانفسنا وفسروهم وفسروها لنا بمنطق ولغات ولهجات وتفاسير وصدق وذكاء ورؤية جعلتنا نخجل ونهاب ان نقرأهم ونقرأها ونفسرهم ونفسرها ونراها كما كنا نفعل ؟ نعم ، لقد أصبحنا نخجل ونهاب ان نقرأ او نفسر آلهتنا او انبياءنا او آباءنا كما كنا نقرأهم ونفسرهم . لقد أصبح عارا ان نראה كما كنا نراهم . . .

نعم ، من هم الناس الذين سوف نكون شهداء وشهودا عليهم ؟ هل يحتمل ان يكونوا هؤلاء ، بل هل يحتمل ان يكونوا ناسا اي ناس ؟ هل عرفنا نحن هؤلاء الناس الذين سوف نحاكمهم امام الاله اي نشهد لهم او عليهم ؟

الا يحتمل ان هؤلاء الناس الذين سوف نكون شهداء عليهم ليسوا ناسا ولكنهم كائنات اخرى تسمى ناسا ؟ أليس هذا معقولا اكثر من الاحتمال باننا نحن سوف نكون شهداء اي شهداء على الناس ، على اي ناس ؟ أليس هذا الخلط او الخطأ في اللغة افضل او اقل تعبيراً وقبحاً من الجنون في العقل او الاخلاق او التمني او التصور ؟ ان الموقف هنا لن يكون الا خطأ في اللغة او جنونا لا شبيه له في وقاحته وسخفه . . .

واذا كان هؤلاء الناس الذين سوف نكون شهداء عليهم هم الناس حقا اي هم اناس اوربا وامريكا واناس القارات الاخرى فبأي اسلوب او صيغة سوف نكون كذلك ؟ هل نشهد كلنا عليهم كلهم ام نقسم نحن شاهدين ويقسمون هم مشهودا عليهم ؟ مثلاً . . . عرب الخليج وعرب الجزيرة ومن هم في مثل مستواهم وظروفهم ونظلمهم يشهدون على شعوب امريكا اوربا الغربية وعلى كل من هم في مستوياتهم الحضارية والانسانية والتاريخية والاخلاقية . اما عرب افريقيا وهم في الاكثر مزعمون ثوريين اشتراكيين فيتحولون الى شهداء على شعوب الكتلة الشرقية وعلى شعوب ما يسمى بالعالم الثالث . ولا بد ان تكون الصين واليابان داخلتين تحت هذا التقسيم اما في هؤلاء او في هؤلاء او في هؤلاء . ومحتموم ان تكون هنا تبادلات لا مفر منها بين تقسيمات الشاهدين وكذلك بين تقسيمات المشهود عليهم

واي الاحتمالين نتوقع ونتمنى ان يكون هو الذي يكون ؟ ان الذي يعطي العرب المجد والقوة والسيادة اكثر هو الاحتمال الذي يجب ان يكون هو الذي لا بد ان يكون . ليس كل التفسير لجعل العرب شهودا على كل العالم هو اعطاءهم اي اعطاء العرب كل صيغ المجد والسيادة والقوة لا اعطاء العدل او الحقيقة كل نماذجهما وتفسيرهما ؟ نعم ، سكان الخليج العربي النفطي وسكان الجزيرة العربية سوف يشهدون على شعوب امريكا وشعوب اوربا الغربية . هل يمكن ان توجد صيغ للمجد او للقوة او للسيادة والقيادة والتفوق مثل هذا؟ وسكان البلدان العربية الافريقية الثورية سوف يكونون شهداء وشهودا على بقية العالم . وفي بقية العالم هذا روسيا واليابان والصين واسرائيل ايضا ! . هل يوجد تمجيد وتزكية واسعاد لضمائر الالهة والطبيعة وكل الاشياء ولذكائها واخلاقتها وقوانينها وعدلها مثل هذا ؟

هل رأت او يمكن ان ترى عيون النجوم منظرا أجمل من ان ترى سكان الخليج العربي يشهدون على شعوب امريكا واروبا او من ان ترى الشعوب العربية المواجهة لاسرائيل تشهد على بقية شعوب العالم ؟ انه لمجد نرفض ان نساوم او نفاوض عليه كل ما في الكون من ضخامة واغراء او ان نستبدل به كل ما في السماء من صعود وشموس وكل ما في الشمس من جهاة وضياء .

انهم يشهدون عليهم او لهم بانهم موجودون او بانهم احياء او بانهم بشر او بانهم يستحقون ان يبعثوا ليقابلوا الاله وليحاسبهم وليخاطبوه ويسائلوه ويخاطبهم ويسائلهم ، او بانهم متحضرون واذكياء واقوياء ومبدعون ومهذبون وطيبون وصادقون ومخلصون وانسانيون ، وانهم يستطيعون ان يتعلموا ويفهموا ويتطوروا ويكبروا وان يغتسلوا ويغسلوا ثيابهم بالمياه المظهرة من الادران والجراثيم . . وانهم ايضا يستطيعون ان يتعاملوا ويتحدثوا مع العرب وان يتعلموا عنهم ويتحدثوا بلغتهم اي باللغة العربية ، وانهم يستحقون ان يسمح لهم بذلك . . او بانهم يستحقون ان يستدفئوا او يستضيئوا او يتعاملوا اي تعامل بالنفط العربي ، بل او ان يعاقبوا بحرمانهم منه . أليست المعاقبة بالنفط العربي تمجيذا وتكريما لمن ينزل به العقاب ؟ نعم ، انهم يشهدون عليهم او لهم بانهم كذلك او بانهم ليسوا كذلك بل ولا يستطيعون او يريدون ان يكونوا كذلك . اي انهم يحاكمونهم بالشهادة عليهم . فيحكمون لهم او ضدهم ، اي انهم هم واثق وادلة المحكمة التي ستحكم عليهم او لهم . انهم اي اننا نحن الشهود الذين هم القضاة او الذين يحكمون على القضاة بالحكم الذي يصدرونه . اي اننا يومذاك سوف نكون قضاة امام الاله لمصلحة الاله او قضاة على الاله . ان شهادتنا الزام له . .

اي ان عرب الخليج وعرب الجزيرة وعرب الدول العربية المواجهة لاسرائيل والمهددة المحاربة لها من بعيد هم الشهود الذين معناهم كل معنى القضاة الذين سوف يحكمون على كل العالم . اي انهم هم الشهود الذين يصدرون الحكم أو يأمرون ويلزمون به . اي انهم الشهود الذين يحكمون على القضاة .

ان الشهادة هنا ليست شهادة ولكنها حكم ، على الحكمة وعلى المتهمين بل وعلى
الهيئة . ان شهادة العرب على الناس ليست شهادة ولكنها اصدار للحكم مع التنفيذ .
ايها الناس وغير الناس في هذا الكون وفي كل كون اخر اسمعوا وصدقوا
وتادبوا وجاملوا - اسمعوا ولا تموتوا غيرة وحسدا أو موتوا غضبا واشمئزازا ورثاء
- اسمعوا :

« وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا » . هل سمعتم ، وهل بقيت لكم اذان ان كنتم قد سمعتم ؟ وهل صدقتم
اذانكم ان كنتم قد سمعتم أو رضيتم ان تكون لكم اذان ان اقمعتكم بانكم قد سمعتم؟
هل سمعتم هذا أو هل تستطيعون أو تتقبلون ان تسمعوه ؟ وان كنتم قد
سمعتموه ووعينتموه وفسرتموه فماذا اصابكم وماذا ظننتم بنا وهل قبلتم ان تبقى
لكم اذان ؟

اسمعوه ونحن لن نرفض ان نعتذر بكل الصدق والتعذب والتضرع الى كرامة
وكبرياء وذكاء اذانكم . وهل توجد اذان قد بقي لها شيء من الكرامة أو الكبرياء ؟
هل يتلقى شيء من العوان على كرامته وكبريائه مثلما تتلقى الاذان ؟

نعم ، اسمعوه ونحن لن نخشى اذا سمعتموه ان تحاولوا اصابة مسامعكم
بالصمم أو ان تنموا انكم قد خلقت صما لانكم قد عودتم وروضتم اخلاقكم وعقولكم
واذانكم وكل معانيكم ومواهبكم طويلا طويلا على أن تتقبلوا وتسمعوا وتروا وتعرفوا
منا وعنا ما يستطيع ان يجعل موهبة الغفران والتقبل فيكم موهبة لا يستطيع اي
شيء ان يزعجها أو يصددها أو يثير اشمئزازها بل أو ان يتحول الى مفاجأة لها .
لانه لا يوجد ترويض وتعويد على تقبل وغفران كل شيء مثل الترويض والتعويد على
معاشتنا ورؤيتنا والاستماع اليها .

ان لنا اذن لمزية كبرى ، هي اننا نروض ونعود من يتعاملون معنا أو فينا أو
علينا أو يواجهوننا ويعرفوننا ويقراءونا بالا يصدموا أو يفجعوا أو يفاجأوا أو يثاروا
بأي شيء مهما كان قبحه وبلادته ودمامته ونذالته وخروجه على جميع المقاييس
والنماذج والشروط والمستويات والقيم . . اننا نسحب من العقول ومن العيون
والضماير والمواهب نموذجيتها وايمانها بالنموذجية في الذات وفي الاشياء .

اجل ، ان لنا وفيها لنفعا ، ولكن هذا النفع قد تكون له اضرار مخيفة . . اليس
محتملا ان من يشاهدوننا ويعرفوننا قد يتحولون الى متقبلين لكل شيء ردي وبليد
والى متلاشمين ومتعاملين معه وسعداء به . . وحينئذ قد يتخلون عن موهبة الابداع
والتغيير والرفض والغضب والاشمئزاز فيهم ، أو قد تصاب موهبتهم هذه بالضعف
والتهاون والخمول والتسامح مع القباحات والقبايح . . وحينئذ قد تتباطأ فيهم عبقرية
وشهوة الخلق والابداع . . وقد تكون آلهة هذا الكون هي اكبر واشهر ضحايا
مشاهرتنا ورؤيتنا ومعرفتنا بالعين وبالضمير . . لعلنا بهبوطنا تحت جميع النماذج
والشروط الجمالية والاخلاقية والعقلية والفنية قد روضنا وعودنا عيون وضمائر

واخلاق وعقول الالهة على الا تستقبح أو تستنكر أو ترفض أي شيء تصنعه وتدبره وتريده هي، أو تراه وتعلمه يدبره ويريده ويصنعه غيرها . نعم، أليست الالهة تروض وتعود ؟ وهل يحتاج الى الترويض والتعويد على الصغائر والقبائح والبلادات مواجهة ومفعولة مثل الالهة ؟ كيف تطبق وجودها لولا ذلك ؟

كيف يمكن تفسير تنازل الاله عن كل الشروط الجمالية والاخلاقية والفنية والمنطقية على أي شيء يصنعه ويخطه ويدبره ويشاؤه هو بل ويعجب به ، وعلى أي شيء يشاهده ويقروؤه ويعلمه ويعامله ويتعامل به صانعا ومدبرا ومريدا له سواء .

نعم ، كيف يمكن ان يفسر تنازل الاله عن كل الشروط على كل الاشياء التي يخلقها أو التي يواجهها بغير تآثر مواهبه واخلاقه ونماذجه الفنية والجمالية بآدمانه المواجهة والرؤية لنا ؟ ان الاله لا يشترط اية شروط من أي نوع على أي شيء يخلقه أو يواجهه ويعامله أو يراه . فكيف حدث هذا ؟ ما التفسير . . .

أليس محتملا جدا ان مشاهدته ومواجهته الطويلة لنا بكل حواسه واحاسيسه قد افسدت قلبه وضميره ومنطقه وجميع حواسه بل وجميع صوره ومطامحه الذهنية والنفسية والخالقية ؟

ألسنا قادرين على ان نسحب من قلب الاله وعقله وضميره ومن كل مواهبه كل معاني الاله ؟

أليس احتمالا جيدا اننا نحن الذين صغنا عيني الاله وضميره وجميع مستوياته المختلفة بتعوده الطويل على مواجهتنا وقراءتنا وعلى مساكنتنا في هذا الكون ؟ اليس محتوما ان من يعايشنا طويلا لا بد ان نقلته تعذيبا أو ان نروضه على الهبوط الى مستوياتنا ؟

أليست الرؤية القبيحة الاليمة الدائمة ، أو أليست المراثيات القبيحة الاليمة الرديئة الدائمة تصوغ عيني وضمير واخلاق ومنطق الراي الدائم لها ؟ اليس الاله محكوما بموهبة التلاؤم بضميره وعينه واخلاقه مع ما يرى ويسمع ويعايش ؟

هل يجرؤ أي زاعم ان يزعم انه من الممكن ان يظل كائن ما يشاهدنا طويلا ، طويلا بكل حواسه وتحقيقاته المختلفة - وليكن هذا المشاهد هو الاله - ثم تظل موهبة الاستقبح والاشمئزاز والاشتراط والرفض فيه سوية أو قوية ، او يظل عاشقا للجمال أو للذكاء أو للنظافة والتعذيب والقوة والجودة والحب ، أو كارها للدمامة أو للغياة أو للتلوث والبذاءة والضعف والرداءة والبغضاء أو مميزا بين هذا ونقيضه، بين الشيء ونقيضه ؟

أليست معايشتنا ومشاهدتنا بل ومعرفتنا بكل مستوياتنا وتصرفاتنا عوانا على العيون والضمائر والاخلاق والمواهب وافسادا لها واخمادا لحماسها ولتوقدها وذكائها ولغضبها على القبح والرداءة والتشوه والعجز ؟

ألسنا نسحب من عيون وضمائر وعقول وآذان واخلاق كل من يروننا ويسمعوننا أو يقرأوننا أو يفسروننا أو يعاشرؤنا وظائفها ؟ ألسنا نقتل ونفسد في كل العيون

والقول والاذان والضمائر والاخلاق وظائفها ونماذجها برؤيتنا والاستماع اليها ؟
 ان كل العالم في كل العصور قد شاهد وقاسى ضعف وقبح مستويات الاله •
 ولكن هل فطن او فطن احد منا الى هذا الاحتمال الذي قد يكون قويا ، اي الى
 احتمال ان يكون استمرار معاشته اي معاشة الاله لنا وادمانه التحديق في
 مستوياتنا وتعوده الطويل عليها هو الذي هبط بمستوياته ؟
 اليس التحديق الطويل في مستوياتنا قادرا على ان يهبط بكل المستويات
 حتى بمستويات الاله ؟

هل فطن العالم او احد منه او فطنا نحن او احد منا ولو على مستوى
 الاحتمال الى ان تسمع الاله الدائم والحاد اليها ونحن ننشد معلقاتها ونحكي رواياتنا
 ونقلو صلواتنا ونصوت كل اصواتنا بنيات واساليب من يعلمون ويفكرون ويتكلمون •
 - نعم ، هل فطن احد من العالم او منا الى ان استماع الاله الدائم اليها ونحن
 نفعل ذلك هو الذي جعل كتبه المنزلة المقدسة تجيء كما جاءت أي بالمستويات التي
 جاءت بها ، أي بمستوياتنا نحن الصوتية ؟ ألم تجيء هذه الكتب المقدسة التي ألفها
 الاله اصواتا مثل اصواتنا ؟ اليس ممكنا بل محتوما وحادثا ان يحسب كلام الاله
 كلامنا وان يحسب كلامنا كلام الاله دون ان يستطيع احد الفصل بين الكلامين ؟

ليس احتمالا جيدا ان الاله لو كان معزولا عن الاستماع اليها لجاءت كتبه
 المقدسة اذكي واصدق واكثر وقارا وتهنيبا وحبا وصدقة وتعقلا ؟ بل اليس محتوما
 اننا لو لم نكن قد جننا او لو كنا خرسا او لو جننا متكلمين افضل مما جننا
 لجاءت كتب الاله المقدسة المنزلة باللغة العربية شيئا أعظم واذكى مما جاءت ؟
 كيف لم يفتن احد منا او من العالم الى ذلك ؟

اما نحن فلا عجب في الانفطن الى ذلك • ولكن الآخرون كيف لم يفتنوا ؟
 هل سحبنا منهم الفطنة ؟

لعل الاله حينما سمعنا نتكلم أي نصوت اقتنع أن البشر لا يستطيعون أولا
 يربعون أو لا يفيدهم أو يصلحهم أفضل من ذلك أي من تصويتنا المحسوب كلاما
 وعبرية أي اقتنع بأن ما يسمعه منا هو أعلى مستويات البشر وأقصى احتياجاتهم •
 نعم وهو يرانا نحن قمة البشر ونبواتهم وانبياءهم ••

أليست أقل مستوياتنا في رؤية الاله الدائمة لنا اننا نحن ضمير الانسانية وكل
 فنونها ونبواتها وعبرياتها ؟

اذن لعل استماعه اليها تحول الى حدة كبرى ، أي الى ان يقتنع أي الاله بان
 عليه ان يتعلم منا كيف يعلمنا ويعلم العالم كله لاننا نحن النموذج الاسمي للعالم
 بل لقيادة العالم ولتعليمه كما رأنا واقتنع بنا وتحدث عنا دائما باننا كذلك •
 لعله حينما اراد ان يخاطب البشر وان يتوجه اليهم بتعاليمه ومطالبه وهو
 يفترضنا حتما قمة البشر ، فكر كيف يخاطبهم ويتوجه اليهم • لقد أحاطت به
 الحيرة • وبعد معاناة فكرية ونفسية واخلاقية طويلة وفادحة عذبت كثيرا أي عذبت

الاله رأى أن يخاطبهم ويتوجه اليهم بالاسلوب الذي به نخاطب ونتخاطب لانه هو الاسلوب الذي يستطيع البشر أن يفهموه ويعقلوه ويتوافقوا معه وأن يصنع حماسهم واعجابهم وهتافهم ، لاننا في اقتناع الاله نحن دائما النموذج الانفع والاعلى والاقوى والاذكى ، كما اننا دائما أي في اقتناع الاله نحن التعبير الشامل عن الانسان في أفضل وأقوى صيغه . فالفهم لنا والتعامل معنا هما فهم وتعامل للانسان ومع الانسان في أعلى وأصدق أطواره .

ان الاله لم يستطع أن يتصور صيغة مثل صيغتنا في ذكائها ومنطقها وجوتها وقوتها ، كما لم يستطع أن يتصور للبشر مستوى مثل مستوانا في تحضره وتهذيبه وفي معرفته بالانفع والاصلح وفي الالتزام بهما .

اذن فعليه أي على الاله ألا يتعامل مع البشر أو يفهمهم أو يخاطبهم إلا بالاسلوب الذي به نتعامل ونعامل ونفهم ونتفاهم ونخاطب ونتخاطب ، كما أن عليه أي على الاله أن يقتنع أن هذا الاسلوب أي أسلوبنا الذي تحول الى أسلوب له هو كل الذكاء والمنطق والمستطاع . وأن هنا لاحتمالا قويا وممتازا وعجيبا ، هو أن الاله لا يعرف من اللغات سوى اللغة العربية . اذفانه لن يفهم البشر إلا من العرب الذين يعرف لغتهم .

اذن فان على الاله أن يتعلم منا كل اخلاقه ونماذجه ومنطقه ومستوياته . أن يتعلم منا أن يكون مصوتا حينما يريد أن يتكلم أو حينما يفترض متكلما ، وأن ينزل كتبه المقدسة أصواتا لا كلام فيها وأن يصوغ انبياءه جميعا مصوتين وأن يختارهم من المصوتين وأن يأمرهم ألا يكونوا إلا مصوتين وألا يكون وحيه اليهم وتشريعه لهم وعليهم ألا تصويتا . أن يتعلم منا كيف يفهم الناس وكيف يفرضهم ويفسرهم ويخاطبهم ويراهم ويعاملهم ويتعامل معهم وبهم . اذن غفرانك يا اخلاق الاله ويا عينيه ويا ضميره ونماذجه ومشاعره ويا ذكاءه وصوته . غفرانك فلقد نكون نحن الذين صغناك وعلمناك . قد نكون نحن الذين وضعنا فيك كل تشوهاتك .

غفرانك وصفحك ايها الاله فلقد نكون قد جنينا عليك جناية لا نموذج لها في بشاعتها وتشويهاها . وهل يمكن تصور جناية في حجم وقبح جناية من علم الاله أو من صاغ له نماذجه التي يعامل بها مخلوقاته والتي يتعامل بها مع مخلوقاته ؟ هل يوجد صائغ أو معلم للدمامات والالام وللعدوان والعبث والغباء مثل من صاغ للاله وعلمه نماذجه التي يتعامل بها مع مخلوقاته ومع نفسه ؟

اذن أليس شيئا جيدا لو أن العالم استطاع أن يدبر وينفذ أية خطة لعزل الاله عزلا شاملا بكل رؤاه ومعاملاته وعواطفه ولغاته ومسامحه عن الانسان العربي ، أو لاختفاء الانسان العربي عن الاله حتى عن علمه بوجوده ؟ أليس احتمالا جيدا جدا أن هذا أو هذا لو حدث لكان محتوما أن تتغير اخلاق الاله ومستوياته الى الافضل والاقوى ؟ اذن الا يحتمل أن يحدث هذا أو هذا في وقت من الاوقات ؟ ولكن لقد كانت توجد أمنية أفضل وانفع كثيرا من هذه الامنية .

هذه الامنية التي هي أنكى وأفضل هي افتراض الاله وتمنيه معزولا منذ البداية عن الانسان العربي ، معزولا ليس فقط عن التعامل معه وبه وعليه ، ولا فقط عن الاستماع اليه وعن رؤيته وعن الاحساس به وعن مخاطبته ومقاساته ، بل وعن العلم بوجوده وعن السماع به وعنه لقد كان حظ الاله عظيما لو أنه عزل منذ البداية هذا العزل الشامل عن الانسان العربي ..

اليس معنى هذا العزل أن يكون الاله في كل تاريخه معصوما أو محروما من أن يتعلم من الانسان العربي أي شيء أو تتأثر أخلاقه أو مستوياته أي تأثر بأخلاقه أو بمستوياته ، أو أن تتعلم منها أية صيغة أو تفسير من صيغها وتفسيرها ؟ انه لشيء رهيب أن يكون الاله أو أي كائن آخر معرضا لأن تتعلم أخلاقه أو رؤاه أو عقله أو ضميره أو لغته من الانسان العربي ..

اليس معنى هذا أي معنى عصمة الاله أو حرمانه من أن يتعلم من الانسان العربي أي شيء أو أن يتعود على نماذجه ويألفها فتروض مواهبه وطاقاته واشواقه وكل حواسه وانفعالاته على التقبل والغفران والتنازل عن كل طموح واشتراط وتحليق وعن كل غضب على الدمامات والقبائح .

- نعم ، اليس معنى هذا أن يكون الاله شيئا أكبر وأحكم وأعقل وأعظم مجدا وفنا وأبداعا واحتجاجا بل وغضبا على العاهات والبلادات والنقائص والالام ، ورفضاً بل ومقاومة لها ؟ وإذا كان الاله شيئا أفضل اليس محتوما حينئذ أن تكون حظوظ كل شيء وحظوظ كل البشر شيئا أفضل ؟ هل يوجد شيء أفضل من أن تكون نماذج الاله جيدة ، أو شيء أردأ من أن تكون نماذج الاله رديئة ؟

اذن اليس احتمالا قويا اننا نحن الذين أفسدنا ضمير الاله وعينيه واذنيه وكل مواهبه وأخلاقه واشواقه ، بل ولغاته ونبواته وشرائعه وكتبه المنزلة لاننا جعلناه يصوغ ذلك على مقاساتنا ونماذجنا ، ولأن مواجهته الطويلة لنا سحبت منه كل الاشتراطات الصعبة والجيدة التي كان يجب أو يفترض أن يشترطها على ذاته وعلى إراداته وممارساته وعلى جميع مواجهاته والتزاماته وتخطيطاته ، فاعلا ومفكرا ومريدا ومهيبرا ومصمما ؟ هل يوجد مذنبون واعداء لكل شيء ولكل احد مثل من صاغوا ذات الاله صياغاتها التي ترى وتريد وتصوغ بها الاشياء ؟

كيف كان ممكنا أن يهتدي الاله الى نماذجه الرديئة والضعيفة أو أن يجروا أو يقتبل أن تكون هذه النماذج هي نماذجه وهي مجده وعبقريته والاعلان عنه لولا اننا قد أفسدنا كل شيء فيه ؟ أنه لصعب أن يهتدي الاله الى نماذجه التي يعاملنا بها ويعامل بها نفسه والتي يحياها لو لم نهده اليها ..

من كان يستطيع أن يفسد نماذج الاله بنماذجه وان يهبط بنماذجه أي بنماذج الاله بهبوط نماذجه هو ، أو من كان يستطيع أن تكون نماذج الاله تقليدا لنماذجه .. نعم ، من كان يستطيع أن يكون هذا أو هذا لولانا أو غيرنا ؟

نعم ، من كان يستطيع ان يهبط بنماذج الاله مثلما استطعنا نحن الهبوط بها ؟ هل يوجد مجد يساوي مجد من هبطوا بنماذج الاله ؟ اذن هل يوجد مجد مثل مجده ؟ والمأساة في القضية أن علاقات الاله بنا رؤية وسماعا واهتماما وتفكيراً واعجاباً هي أدوم وأشمل العلاقات .

بماذا يمكن أن نعاقب انفسنا أو نعتذر به الى الاله والى جميع الآخرين ، أو ماذا يمكن أن نفعل لكي نحرر الاله من صياغة وتعليم نماذجنا لنماذجه .

- نعم ، ماذا يمكن أن نفعل لهذا أو هذا لو أننا استطعنا الاقتناع ولو احتمالاً بأننا نحن الذين جعلنا الاله يكون كما كانوعلمناه صيغ كينوناته ؟

وماذا يمكن أن يفعل لنا أو بنا العالم لو عرف هذه الحقيقة ، لو عرف أننا نحن الذين وضعنا لاله صفاته ، أو بأنه أي الاله هو الذي وضع واراد صفاته تقليداً لصفاتنا ؟ أليس هبوط صفات الاله ونماذجه هبوطاً في صفات ونماذج كل العالم وتعذيباً وتشويهاً لها وعدواناً عليها وعلى كل شيء ؟

وهل يمكن أن يعرف العالم ذلك ؟ وهل من الأفضل أو الانفع أن يعرفه ؟ أليس احتمالاً أن العالم قد عرف ذلك كما عرف أننا قد هبطنا باخلاقه أذ جعلناه يركع نفاقاً لنفطنا ؟

وإذا كانت نماذجنا قد صاغت أو علمت نماذج الاله أو سحبت منها كل الاشتراطات القوية والجيدة أو المفترضة على الذات وعلى الأشياء ، قد صاغت أو علمتها أو سحبت منها كل هذه الاشتراطات بالمواجهة والمعاشية والتقليد والالف الطويل فإن هاهنا احتمالاً كبيراً مخيفاً .

هذا الاحتمال الكبير المخيف هو أن تفعل نماذجنا بنماذج الآخرين الذين قد يعايشوننا ويواجهوننا مثلما فعلت أي نماذجنا بنماذج الاله الذي عايشنا وواجهنا ، أو لانه عايشنا وواجهنا .

اذن يوجد حتماً احتمال رهيب وقبيح النتائج جداً . أليس الذين استطاعوا أن يصوغوا ويعلموا بالمواجهة والمعاشية والتقليد والالف نماذج الاله وصفاته ومستوياته وأخلاقه يستطيعون حتماً أن يفعلوا ذلك بنفس الأسلوب والتفسير والمنطق في نماذج وصفات ومستويات وأخلاق الآخرين المواجهين المعاشيين الساكنين المعاملين ؟ أليس محكوماً على كل العالم أن يستمع إلينا وأن يتعلم منا بكل الهوان والمسكنة الحضارية والوطنية والا فلا بد أن يعاقبه نفطنا بالموت ؟

اذن أليس احتمالاً مزعجاً جداً أن تهبط مواهبنا ومستوياتنا بمستويات وبمواهب الآخرين المتفوقين في مستوياتهم ومواهبهم والذين وهبوا العالم كله هذه الحضارة والمعرفة والانتصارات الانسانية الضخمة بالأسلوب والتفسير اللذين بهما هبطنا بمستويات الاله وبمواهبه ؟ لقد أصبح مفروضاً على هؤلاء الآخرين المتفوقين أن يواجهونا ويعايشونا بالأسلوب الذي فرض به ذلك على الاله .

في التاريخ الماضي كان هؤلاء الآخرون المتفوقون معزولين عنا فابتكروا هذه الحضارة الضخمة . كانت الحواجز بيننا وبينهم عاتية وعالية ، فلم يكن ممكنا أن تفسد أو تضعف أو تروض نماذجنا نماذجهم بالمعايشة والمواجهة أو بالتقليد أو الالف الطويل أو بمحاولة التوافق والتلاؤم مع الأضعف والأردأ أو بارادة المجاملة له أيلاضعف الأردأ والرفق به واجتناب اذلاله أو أرهاقه أو أحراجة . أليس الكائن القوي أو الذكي لو الجيد قد يحاول أن يكون نقيض نفسه ولو تظاهرا رحمة أو رقما أو مجاملة الضعفاء والأغبياء والتافهين ؟

أما اليوم فقد زالت بل ذابت هذه الحواجز ، فلم يكن ممكنا أن نظل معزولين عنهم أو أن يظلوا معزولين عنا . لقد أصبحنا مفروضين عليهم ، وعلى عيونهم وأذانهم وأفكارهم ولغاتهم وانفعالاتهم ومعاملاتهم وعلى جميع مواجهاتهم واهتماماتهم وحساباتهم وتفاسيرهم ..

لقد أصبح مفروضا عليهم أن يروضوا مواهبهم وطاقتهم وطموحهم لكي يتوافقوا معنا ويفهمونا ويجاملونا ويرضونا ، بل ولكي لا يزعجوننا أو يذلونا أو يرهقونا بتفوقهم أو بقوتهم أو بذكائهم .. أي لقد أصبح مفروضا عليهم أن يتعاطوا البلبه والغباء والغفلة بل والندالة والضالة بل والنفاق والكذب والسقوط وللخبث والسخف ، أو أن يتظاهروا بذلك ويتعودوه ولو أحيانا لكي يكون التعامل بيننا وبينهم مريحا أو حتى ممكنا ، بل ولكي يكون مفيدا ومتاجرة رابحة . أليس مفروضا على المتعاملين المتعاشيين أن يوجدوا تقاربا وتشابها بين نماذجهم ومستوياتهم ولغاتهم وتفكيرهم ؟

لقد أصبح مفروضا على كل تفوقهم أن يواجهه ويعايش ويتعامل تخلفنا وأن يتعامل به وعليه، ويتخاطب معه وباسمه ويعرض نفسه عليه عرضا دائما شاملا كل الاوقات في كل الاماكن . كل المجد والحمد لك يا نفطنا ، ايها النفط العربي . كل الحمد والمجد لك لانك قد فرضت على جميع الحضارات والمواهب ان تهون وتصفّر لترضى عنها .

فهل يفعل أي تفوقهم ذلك بموهبته وقوته أم بموهبة تخلفنا وضعفه أي ضعف تخلفنا ؟ انه اي تفوقهم لو اتخذ الاسلوب الاول لما كان ممكنا أن يتعاملوا أو يتفاهموا معنا أو أن يرضونا ويجاملونا ويتاجروا بنا ، أو أن يكونوا إنسانيين أو رحماء أو أهل شهامة ونخوة وتواضع وتهذيب وتقاليد حضارية كريمة . ان المتفوق لن يكون رحيما أو شهما أو مهذبا بل أو ذكيا أو ناجحا لو انه عامل التخلف بكل تفوقه . ان الطويل لن يستطيع معانقة القصير بدون انحناء .

اذن لا بد ان يتخذوا الاسلوب الثاني في مواجهتهم ومعاملتهم لنا . وهذا اسلوب قوي وشامل ومستمر من أساليب الترويض والتعويد لتفوقهم لكي يتعلم ويأخذ عن تخلفنا ولكي يذهب يقلد مستوياته وصيغه شيئا فشيئا .

انه اسلوب جيد لتحويل القامة المنتصبة الى قامة منحنية . ان الترويض والتعويد الطويل يتحول الى ذاتي ..

وهذه المعاشية التي قد تحولت الى محتومة لا بد أن تفرض على كل حواس وأحاسيس هؤلاء الآخرين المتفوقين أن تحقق دائما في ضعفنا وتخلفنا وخمولنا الانساني والحضاري . وهنا لا بد أن يوجد احتمال قوي بأن يالف تفوقهم مستوياتنا ونماذجنا الضعيفة والرديئة ويفقد أي تفوقهم طموحه وتوقده ونشاطه ويتنازل عن نماذجهم ومستوياته واشتراطاته على نفسه وعلى الاشياء . . . اليس التحديق الدائم في الاشياء الرديئة والضعيفة والبليدة يضعف موهبة الاشمئزاز منها وينمي موهبة التوافق معها ، الالف لها والعطف عليها ؟

ليس هذا يعني أن يتحول تخلفنا الى معلم ومروض لتفوقهم . السئ مفسد ومضعف ومضلل له ؟ . أليس هذا احتمالا قويا أو احتمالا ضعيفا ؟ اليس احتمالا حتما احتمالا كريها رهيبا كئيبا ؟

أنه لحساب محتمل أن يهبط تخلفنا بتفوق هؤلاء المتفوقين وان يتحول الى معلم له . ولكن ليس احتمالا البتة أن يصعد تفوقهم بتخلفنا وأن يتحول أي تفوقهم الى معلم لتخلفنا . ان المرضى والضعفاء والموثين قد ينقلون أمراضهم وضعفهم وتلوثاتهم الى الاصحاء والاقوياء والمتطهرين ، ولكن هل يحدث العكس ؟

ليس ممكنا أن يخمد أو يهزم أو يضعف أو يسكت أو يشوه أو يخاف أو يفسد أو يضل أو يروض أو يحكم ذكاء الذكي وقوة القوي وجمال الجميل واستواء السوي ؟ بل هل أمكن أو هل يمكن أن يحيا أي ذكاء أو جمال أو قوة أو أن يظل دون تشويه أو تضليل أو تحطيم أو انخداع أو اذلال أو أي معنى من معاني الانفساد ؟ ولكن هل يمكن ان يتحول او يحول الدميم او المشوه او الضعيف او البلبد الى جميل أو سوي أو قوي أو ذكي بالمواجهة أو المعاشية أو الارادة أو بالتقليد أو حتي بالاحتياج والاضطرار ؟ أليس ممكنا ان تخفى أو تنيم أو ترهب موهبتك القوية ولكن هل يمكن ان تحول موهبتك الضعيفة الى موهبة قوية ؟

اذن أليس احتمالا أن نهبط بهؤلاء المتفوقين دون أن يوجد أي احتمال بأن يصعدوا بنا . . . ان نهبط بذكائهم أو بقوتهم أو بشجاعتهم أو بصدقهم أو بنظافتهم ولو تظاهرا نفاقا أو رثاء أو اشفاقا أو تهديبا أو تواضعا ؟

ولكن ما الذي يمكن أن يفعل العالم لو وعى هذا الاحتمال أو هذه الحقيقة ؟ وما الذي يمكن أن نفعل نحن لكي لا نجني على العالم هذه الجناية لو وعينا هذا الاحتمال أو هذه الحقيقة ؟ وهل في موهبتنا الاخلاقية أو الدينية أو الانسانية أن نرفض ونهاب الجناية على الآخرين أو على العالم كله لو استطعنا أن نفعل ذلك ؟

وقد يكون هذا الاحتمال أو هذه الحقيقة لا تزال محتاجة الى الكثير من التفسير ومحاولة الاقناع بها . أن المفروض بل والمعتقد المصدق دائما هو العكس ، أي أن المتفوق لا بد أن يصعد بالتخلف وأن يعلمه دون أن يهبط بالتخلف بالمتفوق أو أن يعلمه ، أي حينما يتولجهاان ويتعايشان . . .

ولكن الحقيقة الاخرى أو الحقيقة المناقضة أو الحقيقة الدائمة الواحدة هي : أن
الاقوى والاذكى والاكثر تقدما وتحضرا ومواهب قد ينتصر أو لا بد أن ينتصر على
الاضعف والاغبي والاكثر تخلفا وبدواة وجهالة ، وقد يحكمه ويقوده وبذله ويعلمه
ايضا ، أو لا بد أن يفعل به وله ذلك ..

لقد حدث هذا في كل التاريخ ومحتمل أن يظل يحدث دائما . وأنه لجيد
أن يحدث وأن يظل يحدث دائما .

غير أن هذا الاضعف الاعظم بلادة وجهلا وبدواة وتخلفا قد يثار لنفسه بلا
تعبير أو حساب أو وعي ، وقد يتحول من متأثر الى مؤثر أو لا بد أن يفعل ذلك ،
أي قد يفسد هذا الاقوى الاذكى الاعظم خلقا وعبقرية ، وقد يعلمه ويحكمه وبذله
ويفرض عليه ويشوه مواهبه ونماذجه وأخلاقه ويتدخل في صياغة ضميره ومثله
ورضاه وغضبه واعجابه واشمئزازه وتقبله ورفضه ، أو لا بد أن يفعل به وله
ذلك ، يفعل بالتعويد والترويض والمواجهة الطويلة ، وبالاحتياج الى التوافق والمعاشية
والرضا عن النفس والى التظاهر بالشهامة والتهذيب والتحضر وبالقدرة على التكيف
وعلى الاقتناع والتأثير . ان المتفوق قد يتناسى تفوقه أو يخفيه أو يضعفه أو يبذله أو
يشوهه استجابة أو احتراما أو تهذيبا لتفوقه أو حياء منه أو توددا الى نبط المتخلف ..
ان ذكاء أي انسان بل أو أي كائن ومنطقه ومواهبه وأخلاقه لن تكون معزولة
عن أحاسيسه وحواسه ، عن عينييه أو أذنيه أو حبه وبغضه ورضاه وغضبه وعن
لقاءاته وعلاقاته . ان هذه لن تكون معزولة عن هذه في أي انسان ولا في أي كائن
آخر .. لن تكون معزولة عن التأثير بها وعن احيائها وضغوطها وعن أوامرها
واتجاهاتها ..

وان هذه أي أحاسيسه وحواسه لن تكون معزولة عن مواجهاتها ومعاشياتها
ومصادماتها وقراءاتها وتحدياتها وممارساتها ، أي لن تكون معزولة عن الوجود
المواجه المعامل المخاطب المناقض أو الموافق لها .

اذن فان ذكاء أي انسان أو أي كائن ومنطقه ومواهبه وأخلاقه لن تكون معزولة
عن هذا الوجود المواجه المعامل المخاطب المحاور المناقض أو الموافق أي لن تكون معزولة
عن الكون والاشياء وعن الناس المواجهين والمعاشيين والمعاملين المناقضين المعادين
أو الملائمين المصادقين ..

ان معنى هذا أن ذكاء ومنطق وأخلاق ومواهب المتفوق لن تكون معزولة أو
معصومة من تأثير واملاء وضغوط وتعليم ذكاء ومنطق وأخلاق ومواهب المتخلف
المواجه المعاش المعامل المخاطب التعامل عليه وبه . وأيضا فان طموح المتفوق الى
المزيد من التفوق قد يترأخى حينما يكون المواجهون له متخلفين لا متفوقين يخيفونه
ويتحدون تفوقه .

اذن ليس معنى هذا اننا نحن لا بد أن نصوغ ونفسد ونعلم ونفقد ونحكم
ونشوه بأسلوب ما مواهب وأخلاق وأفكار ولغات وعيون وآذان وضمائر ونماذج

وطموح هؤلاء المتفوقين بمعايشتهم ومواجهتهم ومعاملتهم لنا ، وبكينونتهم معنا أو حتى فوقنا ، وبالتحدثهم واستماعهم إلينا ، وبالتحديثهم الدائم فينا ، وبرغبتهم في أن يوجد بيننا وبينهم تلاؤم وتوافق ، وبرغبتهم أيضا في أن يكونوا إنسانيين ومهذبين ورحماً وأهل شهامة ونخوة ونبل وتواضع وبساطة وأريحية في لقاءاتهم وعلاقاتهم بنا وفي تحدي واذلال تفوقهم لتخلفنا ؟

وأيضا برغبتهم في أن تكون علاقاتهم بنفطنا علاقات يرضى عنها تخلفنا بل تهبه الكبرياء والغرور .

أي أليس هذا يعني أننا لابد أن نتحول الى عدوان على جميع مستوياتهم الحضارية والانسانية والنفسية لاننا لا بد أن نتحول الى عدوان على جميع احساسهم وحواسهم ، بل الى تشويه وتضليل لها ؟ كيف وقد دخل نفطنا الرهيب المعركة ليفرض كل نماذجنا الحضارية والانسانية بل واللغوية على كل نماذج المتفوقين ؟

ماذا لو أن أشد الناس ايمانا والتزاما بالنظافة المادية والمعنوية واعنفهم اشمئزازا وغثيانا من الذباب والصرصار أو أية حشرة تتحدى وتهين وتكذب ما تزعمه الالهة لنفسها أو ما يزعمه الزاعمون للطبيعة وللالهة من كبرياء وذكاء وطهارة ومنطق ورحمة ورعاية لصحة الناس وحماية لها وأهتمام بها ومن رفض للعبث وللسخف والضالة ولتحقير الذات .

– نعم ، ماذا لو أن مثل هذا الانسان قد عاش طويلا في مجتمع من الذباب والصراصير وسائر الحشرات ، وكان محكوما عليه بأن يواجه ويساكن ويعامل ويخاطب ويحاور ويجمال ويحابي ويرضى هذا المجتمع الذبابي الصرصاري الحشري بل ويتلاءم ويتوافق معه ويتواضع له ويكون مهذبا كل التهذيب معه وفيه وانسانيا بكل معاني وصيغ الانسانية ، وبأن يكون ممتنعا ومحرمنا عليه أن يشعره أي أن يشعر هذا المجتمع من الذباب والصراصير والحشرات بأي معنى أو ايماءة من معاني أو ايماءات الاحراج أو الاذلال أو التصفير أو التفوق عليه أو تشكيكه أي تشكيك هذا المجتمع في أنه هو أكثر وأعظم المجتمعات حضارة ونظافة وتدينا وذكاء وقوة ، وكان ايضا محكوما عليه أي على مثل هذا الانسان أن يحدق دائما في مزايا وعقربيات هذا المجتمع وأن يقرأها ويفسرهما ويعلمنها ويكتب عنها ويضع الاناشيد في تمجيدها ، وأن يستمتع دائما اليه ويتحدث دائما معه بل وأن يعاشره معاشرة موائكة ومعانقة ومصافحة بل ومزاوجة فيها كل العشق والهيام وتلاوة المغازلات الفضاحة ، بل وأن يزعمه أي يزعم مجتمع الذباب والصراصير والحشرات بأنه هو الواهب للشموس نظافتها وصعودها .

– نعم ، ماذا يمكن أن يكون أو يجيء أو يظل مثل هذا الانسان تحت مثل كل هذه الظروف والاضغوط والالتزامات لو أمكن أن يقع مثل هذا ؟ ثم كيف لو كان هذا

المجتمع من الحشرات يملك نفطا مثلما نملك ليهدد به هذا الانسان مثلما نهدد بنفطنا كل العالم المتفوق ؟

هل يوجد أي احتمال أن يظل على مستوى نظافته سلوكا أو ايمانا أو أن تظل فيه موهبة الغثيان والاشمئزاز والاستقباح والرفض لاخلاق ومستويات الذباب والصراصير والحشرات كما هي ، دون أن تصاب أي موهبة الغثيان والاشمئزاز والاستقباح والرفض فيه ، بالموت أو الهزيمة أو الضعف أو بالاستحياء والتخفي والتراجع الشامل ، دون أن تصاب بالفساد الشامل ؟

بل ليس محتملا أو محتوما جدا أن يتحول مثل هذا الانسان الى معلم أو الى نبي يبشر ويعلم ويخطب عن مزايا وكرامات ونظافة الذباب والصراصير والحشرات ؟ اللبس محتوما أو محتملا أن تتركب في مثل هذا الانسان عينا واذنا وضمير ومنطق وكبرياء ذباب أو صرصار أو أية حشرة أخرى مماثلة ؟ وهل يستطيع أي انسان أن يعيش حياته أو نفسه أو عالمه ما لم تتركب فيه عين حشرة واذن وضمير ومنطق واخلاق حشرة ؟

هل يستطيع أي عبقرى أو متفوق أو عادي أو أي كائن اخر تفرض عليه معايشتنا الشاملة بكل لغاتها وتقاسيرها وصيغها وضغوطها وضروراتها ان يكون افضل حظا أو أقدر على الاحتفاظ بتفوقه وبخصائصه وعلى التعبير عن كل قدراته بكل احتمالاتها من مثل هذا الانسان الذي فرض عليه احتمالا معايشة مثل هذا المجتمع الذبابي للصرصاري الحشري بالاسلوب الذي افترض هنا مفروضا عليه ؟

نعم ، كيف وهذا المجتمع الذبابي الحشري يملك ان يهدد هذا الانسان بسلاح نفطنا ان لم يتخلق باخلاقه ؟

لو ان عددا كبيرا من العباقرة الحكماء المهذبين المتفوقين في جميع نماذجهم النفسية واللغوية والاخلاقية والانسانية خاضوا منافسة عنيفة على معايشة أو امتلاك امرأة واحدة لا يوجد سواها ، جاهلة بليدة بذيئة حمقاء مستبدة مغرورة شريرة جدا ، فظفر بها واحد منهم ، وكان حريصا جدا على ان يرضيها ويعجبها ويتلأم معها ، مع كل ضعفها ونقائصها واهوائها ، وحريصا على الا يثير أو يؤذي أية حساسية من حساسياتها أو بلادة من بلاداتها أو سفاهة من سفاهاتها وعلى ألا يرفض مطلبها أو رغبة من مطالبها ورغباتها ، اي لئلا تتركه الى سواء الكثيرين المرحبين العاشقين المذهبين بعشقهم لها ، فهل يحتمل ألا تتحول هذه المرأة الى عنوان فادح على مزايا هذا الرجل الذي ظفر بها والى تشويه اجميع مزاياه والى افساد باهظ لها والى انزال له عن جميع قممه وقيمه ؟ كيف اذا كان مع ذلك مضطرا الى ان يقنعها بأنه يراها كل الجمال والتهذيب والعبقرية والاصالة والقوة في كل اهوائها وتصرفاتها ونماذجها وتعبيراتها ؟

وهؤلاء المتفوقون المتنافسون بل المتقاتلون بوحشية ونذالة ومهانة على معاشتنا وعلى الافتضاح في عشقنا وفي استجداء اعجابنا وتقبلنا لهم ، لصلواتهم المتضرعة الباكية ولاكتفهم المحدودة الينا بكل لغات الاسترحام والتوبة ، هل يمكن ان يكونوا اقدر على حماية مواهبهم واخلاقهم ونماذجهم الحضارية من افسادنا وتشويهنا لها ومن فتكنا بها وبشرفها .

- نعم ، هل يمكن ان يكونوا اقدر على ذلك من ذلك العبقري المتعامل مع تلك المرأة المحكوم عليه بمعاشرتها وبالالتزام بارضائها واسعادها ، حينما يريد ان يحمي عبقريته ومستوياته الجيدة من الازلال والافساد والتصغير والتحقير ومن تعليمها وترويضها على المستويات والتعبيرات المضادة ؟

كيف وتلك المرأة لا تملك السلاح المذل لكل ذوي المزايا الذي نملكه ؟ اي لا تملك سلاح النفط الذي فلقنا به كل الهامات . هل يمكن ان تكون قدرة هذه المرأة على الاساءة الى شخصية هذا الرجل المتفوق العبقري وعلى تشويهها وعلى انزال جميع العاهات فيها اعظم من قدرتنا نحن على الهبوط بجميع مستويات هؤلاء المتفوقين الذين فرضنا عليهم أو الذين فرضونا على أنفسهم - على الهبوط بجميع مستوياتهم الحضارية والاخلاقية والنفسية والانسانية بل واللغوية ؟ كنا نزعم اننا نحن الذين ابتكرنا كل الحضارات . ليتنا نتواضع لثلاث تكون الحقيقة اننا نحن الذين علمنا التحضرين الاساءة الى حضاراتهم . قد يكون كل مجدنا ان نكره المتفوقين على الهبوط بتفوقهم تملقا ومحابة ومعاشة لتخلفنا .

آه يا مبدعي الحضارات . استعدوا لسحب كل معاني الكرامة منكم . لقد دخل نفطنا المعركة . اذن ويلي لكم يا مبدعي الحضارات .

اسمعوا .. كل الناس رعايا لنا

ايها الاصدقاء ، بل ايها الاعداء ايضا .. هبونا شيئا من اشفاعتكم ومن كرمكم ، ان اعظم وانبل اساليب اشفاعتكم وتفضلكم الكريم علينا ان تعتقدونا وتفسرونا مصوتين لا يعنون شيئا أو يفكرون في شيء أو يلتزمون بشيء حينما يصوتون .. لا ان تعتقدونا أو تفسرونا متكلمين . رحمتكم ايها الاعداء والاصدقاء ، لا تعتقدونا متكلمين ولا تفسرونا كما يفسر المتكلمون لتعاملونا بشيء من رحمتكم وفسرونا اي تفسير اخر ..

هل يمكن ان تقسوا علينا مثل قسوتكم لو أنكم فسرتمونا أو اعتقدتمونا نتكلم حينما تسمعونا وتجودونا وتقرؤونا نقول لانفسنا وعن أنفسنا وتقول لنا وعنا نبواتنا الخالدة الخاتمة - نبواتنا التي هي كل عبقريتنا ومجدنا وذكائنا وكبريائنا ، والتي هي كل عطائنا للحضارة والحياة والانسانية وكل مكاننا وجمالنا في التاريخ . نعم حينما تسمعون أو تقرؤون أو تجدون نبواتنا هذه تقول عنا ولنا بل تقول للعالم كله وللتاريخ كله من فوق كل منابر السماء ، بذكاء كل الالهة واذكي الالهة : « الناس تبع لقريش في هذا الامر .. كافر الناس تبع لكافر قريش ، ومسلم الناس تبع لمسلم قريش .. » و « الناس تبع لقريش في الخير وفي الشر .. » و « هذا الامر في قريش الى يوم القيامة » لا ينازعهم فيه منازع الا كبه الله في النار على وجهه .. « آواه .. نعتذر اليك ايته الكائنات ، ايته الديدان الصغيرة ان كنت قد سمعتنا نتلو مجدنا هذا .. نعتذر الى كبريائك وذكائك والى حيائك ..

اشفاقا ورحمة بنا وسترا لنا ايها السامعون والقارئون .. نستنجد بكرمكم ونخوتكم وتهذيبكم ، اعتقدونا مصوتين أو مجانيين محتلا شفاؤهم أو أي شيء اخر ، ولكن - عطا ونبلا منكم - لا تعتقدونا متكلمين يفسرون ويحاسبون بما يقولون . لا تكونوا وحوشا وتحاولوا ان تتهمونا أو تفسرونا حينما تسمعونا نعلم أو نشرع أو نفكر أو نحاور أو نصلي أو نتحدث الى النجوم .

كيف يمكن ان ترونا أو تجدونا أو تقدرونا لو أنكم اعتقدتمونا متكلمين يفسرون ويحاسبون وينمون بما يقولون حينما تسمعون أو تقرؤون عنا ومنا هذا الذي سمعتموه أو قرأتموه الان ؟ ولكن مهما قرأتم أو سمعتم هذا الذي سمعتموه الان هل تستطيعون الاقتناع بانكم قد قرأتموه أو سمعتموه ؟ هل تجرؤون على ذلك ؟

واهولاه .. واعاراه ! هل يوجد مكان بعيد جدا لا يوجد ابعد منه أو مثل بعده لكي نهرب اليه فرارا من تحقيقاتكم في جهالاتنا ووقاحتنا ؟ أو هل يستطيع كل ما

في الطبيعة من تراب وأشياء - لو تحول الى أعطية وحجب مكثفة - ان يخفيها عن عيونكم ومشاعركم وعقولكم لئلا تقرأنا أو تفسرنا أو حتى ترانا ، أو حتى تعلم بوجودنا ؟

كيف نستطيع حينئذ مواجهة هجوم العيون والعقول والاخلاق والمشاعر والضماير علينا اي لو حسبنا متكلمين لامصوتين فقط ؟ كيف تستطيع حينئذ جلودنا أو وجوهنا أو عيوننا أو اعراضنا أو ضمايرنا ان تتحمل كل هجمات الاسمئزاز والتقييع والتعيير والتحقير والرثاء والانفجاع التي لا بد ان تنهال علينا بكل القسوة والشمول والديمومة ؟

لو كان ممكنا ان نفسر متكلمين ، اي لو عوملنا بكل الوحشية وبكل ارادة التشويه والتحقير فزعمنا متكلمين فبماذا يمكن ان يفسر زعمنا واقتناعنا بأن الناس جميعا وفي جميع العصور وتحت جميع الظروف الحضارية والتاريخية لا بد أن يظلوا اتباعا ورعايا لقبيلة قريش ، لسلطانها وخلافتها ولايمانها وكفرها ولتقواها وفجورها ولذكائها وغباؤها ولحضارتها وبدادوتها ، ولعلمها وجهلها - ان يظلوا رعايا واتباعا لها بالرضا أو بالاكراه ، في كل ذلك ، ما ظلت الشمس مصلوبة في مكانها ، مستجيبة ببلاهة وهوان لاوامر ورغبات قبيلة قريش ، الآمرة لها بأن تظل أبدا في مكانها ضيفا محتقرا مهانا في صحارها وبين خيامها ؟ أليست الشمس وكل شيء ملكا للبشر ومن أجلهم وتبعاً لهم ، ثم أليس كل الناس تبعاً لقريش ومن أجلهم وملكا لهم ؟ اذن ليست الشمس وكل شيء ملكا لقريش وتبعاً لهم ومن أجلهم ؟

هل يمكن ان يفسر زعمنا هذا بأنه اسلوب لا نموذج له من اساليب العنصرية أو العرقية ؟ هل هذا تمجيد فيه كل الجنون والبذاءة لقبيلة قريش ام هجاء لها ولكل الناس ؟ هل التفسير ان قبيلة قريش لا بد ان تسود وتحكم العالم في كل التاريخ ام التفسير أنها لا بد أن تعلم وتحضر العالم ؟ هل المعنى انها سوف تظل قائدة كل الشعوب ، ابد الدهر ام انها سوف تظل معلمة لكل الشعوب كل حضاراتها ومعارفها واخلاقها في كل عصورها ؟

هل هو تشريع وأمر يعني المطالبة بالالتزام به ام هو رواية تعني الانباء الذي يعني النبوة أو النبوة ؟ اي هل نحن بقولنا هذا نطالب العالم ونفرض عليه ان يكون تابعا ورعية لقبيلة قريش يتعلم منها الخير والشر والتقوى والفسوق والايمان والكفر ، ويطيعها حاكمة حامية له الى يوم الدين ، ويتعلم منها أيضا الحضارات وكل العلوم والفنون ، والا أي وان لم يطع هذه المطالبة والفرض عليه فلا بد ان تصدر الاوامر الى الاله اي الى اله قبيلة قريش ليصنع ويوقع كل غضبه وعذابه وعقابه به اي بالعالم الذي لم يطع الامر المطالب له والفارض عليه ان يتعلم كل شيء من قبيلة قريش والا يكون له حاكم أو سيد مطاع سواها ، أم نحن هنا لا نواجه أوامر وانما نحن نبوات وانبياء نخبر عن واقع مقبل قد تكذب وتتخلف وتتأخر قوانين الطبيعة واخلاقها ومجيئها في مواعيدها وفي اماكنها وبأساليبها المتقررة المحتومة ولا يكذب أو يتخلف أو يتأخر هو أي الواقع القبل الذي نخبر والذي أخبرنا عنه ؟

نعم ، هل نحن بقولنا هذا نشرع ونلزم ام نخبر ونروي ام نحن هذا وهذا ؟ واي هذه الاحتمالات الثلاثة اكثر احتواءً للتمجيد ولارادة التمجيد ، اي ان نكون مشرعين ام مخبرين ام ان نكون الاثنين معا ؟

وهل من المجد أو الثناء على اي قوم أو لاي قوم ان يكونوا معلمي كل البشر الخير والشر ، الكفر والايمان ، الذكاء والغباء ، الحضارة والبداءة ، التقوى والفجور ، وان يكونوا قادة كل البشر الى كل ذلك ، وأن يكون كل البشر اتباعا لهم في هذا كله ؟ هل يمكن ان يستحق اي ثناء او اي مجد معلم أو واهب أو خالق كل شيء لو وجد مثل هذا الكائن الخرافي ؟ بل ألا يستحق كل الذم والغضب والاحتقار ؟

اليس الذين يعلموننا كل ذلك - لو وجد مثل هؤلاء - ويقودوننا اليه هم جناة وظلمة ومعتدون ومسيئون وأشرار ، وليسوا محسنين أو واهبين أو عادلين أو خيرين أو محمودين أو بناءة لان النقيض الرديء في هذه العطايا والاشياء المتناقضة هو اكثر واقوى وأشمل من النقيض الجيد ؟ اليس كل شيء جيد لا بد أن ينتهي نهاية غير جيدة ؟

اليس الذي يهبنا أو الذي يفعل اشياء جيدة اقل واشياء رديئة اكثر هو مسيئاً ومعتدياً وشريراً وليس محسناً او معطياً أو طيباً ؟

ماذا لو أن كائننا ما وهبك كل الامك واحزانك ومشاكلك وعارك وبلاداتك وهزائمك وفصائحك وكل عجزك وجهلك واخطائك وكل عاهاتك وأناتك ، ثم وهبك كل ما عندك وكل تعاني وما لا بد أن تعاني نقيضا لذلك ؟ هل يمكن ان يكون لهذا الكائن الا تفسير واحد ، هو أنه شرير ورديء ونذل وعدواني بلا شبيه ؟ هل يمكن ان يعد كريماً أو حكيماً أو صديقاً من وهب الحياة كل شرورها وكل صالحاتها أو وهب الوجه كل جمالها وابتساماتها وكل قبحها وعبوسها ونهايتها وشيخوختها ؟ أو ماذا لو أن كل ما لدى البشر من حضارات وصناعات وفنون وتقدم ومعارف ورخاء كان هبة واهب واحد ، وكان كل ما لديهم وكل ما يقاسون وما لا بد ان يقاسوا وما قاسوا من نقائص ذلك كان ايضا هبة هذا الواهب الواحد ؟ هل يمكن حينئذ ان توجد موازين تستطيع ان تزن ذنوب وشرور ونذالات وعدوانيات هذا الواهب الواحد العجيب ؟

هل يمكن تصور متبوع او معلم أو قائد أوقع واقبح واكثر شرورا من كائن قد تبعه كل الاشرار والكفار والضالين وكل الاخيار والمؤمنين والمهتدين في مسيرتهم الى طريقهم ، وعلمهم كل ما فعلوا واعتقدوا واعلنوا ونووا وامتدحوا وباركوا ، وقادهم الى كل ذلك ؟ هل يمكن تصور اردأ وأضل من نبي قد قاد بنبوته كل الاشرار والزنادقة والفسقة ، وأيضا كل الاخيار وكل اهل التقوى والايمان ، وأيضا علمهم بنبوته كل مسيراتهم المختلفة المتناقضة ، وأيضا قادهم بنبوته الى كل مسيراتهم هذه ، وأيضا أصبح متبوعا لهم في كل هذه المسيرات ؟

هل يمكن تصور ذنوب او جرائم مثل ذنوب وجرائم مثل هذه النبوة ؟ هل يمكن ان تكون مشكورا أو شهما أو محسنا لو أنك وهبت انسانا عيين جملتين ثم خلقته بلا اذنين او بلا اذف ، او لو أنك قبلته مئة قبله صداقة ثم بصقت عليه بصقة وقاحة واحدة ؟ او هل يمكن ان تكون طبيبا جيدا لو أنك عالجت احدى عيني مريض ما ولكنك امرضت عينه الاخرى التي كانت سليمة وزدت على ذلك بأن شوهت انفه وقطعت احدى اذنيه ؟ وهل استطاع حاكم أو قائد أو نبي واحد في التاريخ ان يعالج احدى العيين دون ان يعمي الاخرى ويقطع الاذنين ايضا ؟

اما الحكم على قوم او اختيارهم ليكونوا حكام وخلفاء وسلاطين وقادة كل الناس في كل التاريخ الذي كان والذي سوف يكون فلن يكون هناك تصور للعقاب والتوريط والاثام والتشويه مثل هذا الاختيار او هذا الحكم على مثل هؤلاء القوم . . ان هذا الحكم أو الاختيار يساوي في قبحه وقسوته الحكم على كائن ما او اختياره ليكون هو الخالق والمريد والمدير لكل هذا الكون ولكل ما فيه ومن فيه المسؤول عنه . .

لو أن حكام وقادة كل البشر في كل العصور الماضية والحاضرة والآتية قد حوسبوا جميعا على جميع ما فعلوا ودبروا وخططوا ونووا ووقعوا ، وايضا على جميع ما قاسوا وواجهوا ، اي لو حوسبوا وحسبوا كائنا واحدا مسؤولا عن كل ذنوبهم وشروهم واخطائهم ومقاسيا لكل الامهم واحزانهم ومواجهاتهم الرهيبة فهل يمكن تصور جناة اشرار وخاسرين معذبين مثلهم او مثل هذا الكائن الواحد بالافتراض ؟

ان جميع ذوي المزايا والحظوظ الجيدة منهم لا بد حينئذ ان يذوبوا ويغيبوا عن كل الرؤية والتفكير والحساب في زحام ومواكب الآخرين المناقضين الذين لا بد أن يصبحوا هم كل الرؤية والشهد والتاريخ والتفسير . . . انه لو خلط القادة والحكام والعلمون الطيبون والنافعون والمعلون والسعداء بنقيضهم من القادة والحكام والعلمين لما امكنت رؤيتهم . .

لنفترض للبشر جميعا منذ وجدوا الى نهايتهم ان كانت لهم نهاية لنفترض لهم حاكما قائدا واحدا ، ثم لنفترض ان هذا الحاكم القائد الواحد قد حكم وقاد جميع البشر مثلما حكمهم وقادهم جميع حكامهم وقادتهم في كل عصورهم ، وانه اي الحاكم القائد الواحد قد قاسى وواجه من الآلام والهزائم والهجوم والخواف والموت كل ما قاسى وواجه جميع هؤلاء الحكام والقادة في كل العصور ايضا .

لو اننا قد جرؤنا على ان نفترض هذا الافتراض فهل يمكن ان نتصور كائنا قبيحا وسفيا وشريرا وجانيا وبليدا جاهلا ، وايضا خاسرا ومظلوما معاقبا معذبا مثل هذا الحاكم القائد ؟ لقد كانت الام الحكام والقادة والانبياء وهزائمهم وهمومهم وعارهم وجنونهم وكذا كانت شروهم وأخطاؤهم وبلاداتهم وحمقاتهم ومنامراتهم موزعة عليهم جميعا لهذا لم تر أو تحاسب بكل بشاعاتها . آه لو انها تجمعت في ذات واحدة ، لو أن الحكام والقادة والانبياء تجمعوا في واحد منهم ! . .

اذن فالقوم الذين يفرض عليهم ان يكونوا قادة وحكاما وخلفاء بل وانبياء لكل الناس في كل العصور ، أو يختارون لذلك ليكونوا مسؤولين عن كل تفاسير ومنطق اختيارهم ، وليقاسوا ويواجهوا كل ما قاسى وواجه وما سوف يقاسى ويواجه كل الحكام والقادة والخلفاء والانبياء في كل العصور .

نعم ، مثل هؤلاء القوم المفترضين لو امكن افتراضهم هل يحتمل انه قد اريد تمجيدهم أو تكريمهم أو الثناء عليهم أو اسعادهم أو تخصيصهم بكل اسباب وشروط الراحة والمسررات والرضا عن النفس وعن الناس وعن الحياة وعن الالهة وعن الاقدار ؟ بل هل يمكن انه قد اريد بهم أو لهم غير اقصى اساليب التحقير والذم واقسى اساليب التعذيب والترويع والتشويه ؟ انه لا يمكن ان يحسب الحكام والقادة بل والانبياء حالة من حالات المجد لانفسهم ولا حالة من حالات السعادة أو المسرة لانفسهم أيضا ، انهم خروج على مجد انفسهم بقدر ما هم خروج على سعادة ومسررات انفسهم .

لماذا يختار الناس لانفسهم ان يكونوا قادة وحكاما بل وانبياء ؟ لماذا يقاسون كل الافتضاح والعار والندالات والمخاطر بل والهوان والمذلات والهزائم والعذاب والشنائم والالتهامات لكي يكونوا قادة وحكاما بل وانبياء حتى ولو على اضعف واردا المقاسات والشروط وتحت اقبح واسوأ الظروف وفوق اصغر واجهل وافقر المجتمعات ؟ هل هو اسلوب من اساليب العطاء والرحمة والشهامة والموت من اجل اعطاء الآخرين الحياة والرخاء والحضارة والتقدم والمعرفة والذكاء والامن والسلام ؟ هل هو نموذج من الحب والفداء يموت كل خيال عجزا عن التحليق الى سمائهما وعن التصور لهما ؟

ان هذا التفسير لنيات وحوافز الحكام والقادة بل والانبياء لهو تفسير يجب الا يجرؤ احد على وضعه حتى ولا بين اضعف واكذب التفاسير للناس وللانبياء . واذ جرؤ اي حاكم أو زعيم بل أو نبي على أن يفسر نياته وحوافزه - ولو بأسلوب الاحتمال والظن - هذا التفسير فلن يكون له ند في وقاحته وبذاته أو في بلادته وغفلته أو في كل ذلك . ولكن ليس محتوما ان كل من يقاسى المقاساة البذيئة الكئيبة التي يقاسيها كل من أراد أن يكون حاكما أو قائدا أو نبيا فلن يكون له ند في بذاته ووقاحته وأحيانا في بلادته وغفلته ؟

هل التفسير اذن هو البحث عن المجد للذات وللانفس ؟ هل تستطيع اية محاسبة أو محاكمة لجميع الحكام والقادة بل والانبياء مجتمعين أو لكل حاكم وقائد منفردا ان تكون اي هذه المحاكمة والمحاسبة لمصلحة المجد ولارباحه لا لمصلحة وارباح العار والهوان والخزي والسقوط والمسبات ؟

اذا كان هذا هو حساب من يقاسون الى حد الجنون والموت والافتضاح ليكونوا قادة وحكاما بل وانبياء فهل يوجد حساب اغبى واجهل واخسر من هذا الحساب اي من حساب من يريدون ان يكونوا حكاما وقادة وانبياء ؟ ان اعظم الانبياء والقادة لو حوسبوا وفسروا بكل كينوناتهم وتفسيرهم ونياتهم ونتائج مجيئهم لما وجد أو بقي لهم أو في حسابهم اي مجد أو ربح أو سعادة .

نعم ، ان كان الحكام والقادة بل والانبياء ايضا يجيئون بحثا عن المجد والشرف لخوائهم ولإسمائهم فلن يوجد من يساويهم في جهلهم وغباثهم وخسرانهم وعجزهم في الحساب والتوقع وفي فنون التنجؤات وقراءة النجوم . . ان اعظم مواهب الحكام والقادة والانبياء هي قراءة النجوم مع انهم هم اجهل الطوائف بقراءتها . .

اذن هل التفسير انهم يجيئون بحثا عن النشوة واللذة والراحة وعن كل احساس البهجة والسرور لانفسهم ، بحثا عن كل ذلك في حشود المخاطر والمخاوف والاحزان والمتاعب والالتزامات المؤرقة المعقدة ، وتحت تهوي المشتائم والاتهامات والاشاعات ، وايضا تحت كل احتمالات الشنق والصلب والطرود وكل الاحتمالات الاخرى التي تحاين أو تظلم وتستضعف حينما تسمى وتحسب احتمالات فقط لا واقعا محتوما ؟

ان كان ذلك كذلك فليس هنالك عبقرية تساوي عبقريتهم في قدرتهم على تحويل الجحيم الى فردوس ، وتحويل الموت والخوف والخطر والسباب والاتهام والعجز والضباع والهزائم والهموم والعار والوقاحة والافتضاح وكل اصناف العذاب والورطات والمشاكل والمتاعب التي لا علاج لها الى لذة وبهجة وراحة ، أو رؤية أو تصور أو اعتقاد ذلك كذلك . نعم ، هل يوجد مثل الحكام والقادة والانبياء في رؤية الشيء في نقبضه وفي حسيان الاشياء وزعمها نقبضا لنفسها ؟

انه لا مثيل لاعضاءهم ومشاعرهم وخيالاتهم ورؤاهم في ضلالها وبلادتها وهوانها وفي عجزها عن التمييز بين اللذة والالم وبين الراحة والتعب وبين الابتسام والعبوس . ان اعضاءهم ومشاعرهم وخيالاتهم ورؤاهم لاشد ضلالا وبلادة وغواية من عقولهم وأفكارهم ومذاهبهم ونظرياتهم ومن تعاليمهم . .

ان ضمائرهم واحاسيسهم واجسامهم معطلة الوظيفة . انها لا تستطيع ان تذوق الاشياء أو تذوق مواجهاتها ومعاملاتها مع مواجهاتها . انها لا بد أن تكون فاقدة الذوق ، بل ضالة الذوق ، معكوسا تذوقها .

ان ضلال الاجساد والاعضاء والضمائر والاحاسيس والتصورات وبلادتها وفقدانها لوظيفة الذوق ولذكاء الذوق وضلال تذوقها هو اقبح ضلال وبلادة وفقد . انه اقبح من ضلال العقول والافكار والمذاهب والحواس والتعاليم ومن بلادتها وفقدانها . نعم ، هل يوجد ضلال يساوي ضلال اجساد وضمائر ومشاعر وتصورات ونشوات الانبياء والقادة والزعماء والحكام ؟

ان اكثر اخطاء البشر في التفكير والايمان والرؤية والحكم ليست الا تعبيرا عن الخطأ في الاحساس والتذوق والتصور والاشتهاء . .

انه يبقى تفسير واحد لمجيء الحكام والقادة والانبياء ولقاساتهم لكي يصبحوا حكاما وقادة وانبياء . انه تفسير لا يخشى عليه من أية مواجهة أو مهاجمة أو منافسة أو مناقضة . نعم ، ان التفسير لمجيء النبي هو نفس التفسير لمجيء القائد والحاكم . وان التفسير لرغبة هذا وسعادته في ان يصبح نبيا هو نفس التفسير لرغبة وسعادة ذلك في ان يصبح قائدا أو حاكما . . ان مجيئهم وكفاحهم البذيء المهين لكي يصبحوا حكاما وقادة وانبياء ليس الا بحثا عن أسلوب شامل حاد جهير من

اساليب الرغبة في توقيع اقصى الوان التعذيب والارهاب والاقلاق بالذات وبالآخرين بل وبالطبيعة وبكل الاشياء ايضا . ان شهوة توقيع كل ذلك بالنفس وبالطبيعة وبكل شيء وبالآخرين شهوة كشهوة الجنس والمجد والقوة والانتصار والتفوق .

انه ليس محتوما ان يعي هذه الرغبة من يقاسونها ويدينون لها وينفذونها بل قد يكون محتوما الا يعوها . ولو أنهم وعوها لما تحول وعيهم لها الى خروج عليها او الى تعجيز لهم عن تنفيذها او الى تزهيد لهم فيها . ان هذه الرغبة لن تموت او تضعف او تتوارى أو تهرب لو عرفت كل الاسواق والمحاريب والمخابر . ان الرغبات لا يهزمها أو يضعفها بل أو يخجلها وعي تفاسيرها . .

ان الحب لا يموت ولا يكره نفسه بمعرفة اسبابه أو أخلاقه . .

ان الرغبة في تعذيب وترويع واغلاق وفي اثاره وفجيرة الذات والآخرين بل والطبيعة وكل الكائنات والاشياء لا تحتاج الى تحديق طويل أو حاد أو ذكي جدا لكي تصبح مرئية مقروءة مفسرة بكل اللغات والمذاهب والاخلاق والشعارات ، بل مسوغة مزكاة مدعوا اليها بكل ذلك .

تعالوا لنقرأ ونفسر ونحاسب اي سلوك يأتيه وينويه اي كائن لنعرف صدق هذا التفسير وشموله . .

مثلا . . الاله لماذا جاء وعاش وجوده كما عاشه ويعيشه ؟ ولماذا خلق الكون والناس كما خلقه وخلقهم ، ولماذا طالبهم كما طالبهم وبما طالبهم وبالاسلوب الذي به طالبهم ؟

هل يحتمل ان يكون لهذا اي تفسير سوى ارادة الترويع والازعاج والاثارة والاقلاق والتعذيب لذاته وللناس ولكل كائن اخر ولكل شيء ؟ حتى الملائكة ، هل يمكن ان يكون الاله قد اراد بما فعل ودبر شيئا لهم سوى ان يزعجهم ويخيفهم ويثيرهم ويقلقهم ويعذبهم حتى ولو باحصائهم على البشر وبمواجهتهم لهم وبتعاملهم معهم وفيهم وبهم ؟ هل يمكن ان يكون في وظائف الملائكة هذه غير اقصى اساليب التعذيب والارهاق والاغصاب لهم ؟

والشيطان . . لماذا خلقه الله وخلده وكلفه بما كلفه ؟ هل يحتمل ان يكون لهذا النبأ او لهذه القصة المروعة او الرائعة تفسير غير رغبة الاله في أن يوقع كل الاحوال والشرور بنفسه وبالشيطان والبشر ؟ ابحثوا ايها المرضى بالتفاسير المروية عن القبور . ابحثوا كثيرا ولكن لا تنتظروا ان تجدوا اي تفسير لهذه المأساة الالهية الشيطانية الانسانية غير هذا التفسير . . ان كل عبقرية البشر لو تحولت الى عبقرية تفسيرية لما استطاعت ان تجد اي تفسير لخلق الشيطان غير هذا التفسير .

ثم الشيطان نفسه لماذا طالب الاله بأن يكلفه بافساد البشر واشقائهم وبأن يهبه الانتصار والتفوق عليه اي على الاله ، وايضا بأن يهبه الخلود لكي يظل ابدًا مفسدا مشقيا للبشر منتصرا متفوقا عليه اي على الاله ؟ هل يمكن ان يوجد في جميع خزائن التفاسير او في جميع التفاسير المدفونة داخل احشاء المقابر ، في توابيت

المعلمين والمفسرين والقديسين - هل يمكن أن يوجد في جميع ذلك أي تفسير لهذا غير رغبة الشيطان في أن يوقع كل اساليب وصيغ التنكيل بنفسه وبآلاله وبالملائكة وبالبشر؟ لعله لا يوجد من ينافس الشيطان في هذه الرغبة أي في رغبة التعذيب للنفس وللآخرين ولكل شيء إلا الآله - لعل الآله هو بطل الابطال في هذه الرغبة .

نعم ، هذه القضية أو القصة ان كانت واقعا فلماذا جاءت هكذا ، وان كانت تصورا فلماذا جاء تصورها هكذا او لماذا تصورناها هكذا ؟ وايهما اقوى هجاء وتعذيبا وتحقيرا للانسان : ان تكون واقعا ام ان تكون تصورا ؟ أليس التصور البليد انذل واقبح من الواقع الاليم البليد ؟

أليس تصورنا لها هكذا يعني حتما انه مفروس في منطقنا وضماثرنا وفي كل معاني حياتنا وضروراتنا واحتياجاتنا ان كل سلوك وتدبير حتى سلوك وتدبير الآلهة والكائنات الغيبية السماوية وكل الكائنات الموجودة والمتصورة الطبية والردئية محكومان اي كل سلوك وتدبير بارادة التعذيب والتخويف والازعاج والاثارة والاقلاق للنفس وللآخرين ولكل شيء وكل احد ؟

لهذا لم نستطع ان نتصور اي كائن ليس محكوما بهذه الرغبة وهذا السلوك والتدبير حتى ولا الآله ، حتى ولا الشيطان ، اشهر واعظم نموذج للماساة وللاضطهاد وللمتهم الصابر الكريم البريء . أليس محتوما ان نتصور هذه القصة تصورا اخر لو كنا نتصور ان اي كائن قد يستطيع ان يكون بسلوكه ونياته خارجا على رغبة التعذيب والعدوان هذه ؟

ولكن البشر .. ماذا ؟ ماذا يمكن ان تكون تفاسيرهم ؟

هل يمكن ان يفسر اي شيء فيهم أو منهم بغير هذه الرغبة العدوانية على النفس وعلى الآخرين وعلى كل شيء ، حتى على الآلهة والابالسة والملائكة وعلى الحيوانات والحشرات ؟ وهل للبشر رغبة عدوانية مثل رغبتهم في العدوان على الآلهة ؟

لماذا يجيئون ويريدون المجيء والبقاء ويصنعون المجيء للآخرين المسمين أبناء واحفاد وقطع اكباد ؟ لماذا يصير الشيوخ والمرضى والمعذبون والمشوهون جدا والذين هم كل التعذيب والترويع والاقلاق والخسران لانفسهم ولاقاربهم ولكل من حولهم بل ولضماثر الآلهة وعيونها ولاعجابها بموهبتها وبرضاها عن نفسها وعن رحمتها وشهامتها وعن موهبة الحب والصدقة والكبرياء والكرامة والشرف فيها - نعم ، لماذا يصير هؤلاء على البقاء ؟ هل يوجد شيء لا يستطيع تقبله أو غفرانه مثل رغبة كل

الناس في البقاء واصرارهم عليه مهما كانت آلامهم واحزانهم وتشوهاتهم وخسرانهم واليأس منهم ، ومهما كان تعذيبهم وترويعهم لكل من حولهم ، لكل من يحبون ؟

لماذا آمنوا بالآلهة وبكل الكائنات الغيبية وتصوروها بكل هذا الجبروت والقسوة والقوة والشمول والكتابة والانانية والغضب، وبكل هذا الحب للذات والانتقام لها ، وبكل هذه الرغبة في العقاب وفي الاحصاء عليهم وفي محاسبتهم حتى على وظيفة الخفقان والرؤية والجوع والتحديق والتساؤل في قلوبهم وعيونهم واعضاءهم

وضمائهم وعقولهم ؟ انهم لم يتصوروا شيئاً واحداً يعاقب اعضاءهم وحواسهم واحاسيسهم على وظائف الحياة فيها مثلما تصوروا الالهة والكائنات الغيبية الاخرى . ولماذا تصوروا هذه الكائنات والالهة تملك وتعد لهم كل هذه الاحوال - البعث والحشر والحساب والجحيم والزبانية الحراس لكل هذه الاحوال - هذه الاحوال التي تصورها ، التي مجرد تصورها والحديث عنها لن يبقى للالهة ولا لهذه الكائنات ولا للالسان ولا لاي شيء اية كرامة او كبرياء او وقار او ذكاء او ابتسامة او محبة او شهامة او منطق او أمل أو عزاء — التي مجرد تصورها والحديث عنها والاستماع اليها والصلاة بها لن يترك لاي خيال ولا لاية أذن أو كلمة أو صلاة اي تفسير ذكي او كريم أو محترم ؟

هل بقي للخيال اي شرف أو مجد أو كرامة أو كبرياء بعد أن تخيل احوال البعث والحساب والجحيم بكل زبانيته ؟

نعم ، أي فم يتحدث عن الجحيم الذي خلقته واعدته آلهة الانبياء لتعاقب به ، او أي خيال يتصور هذا الجحيم ، او أية اذن تستمع الى الحديث عنه او أي قلب يصلى به هل يمكن ان يكون لها اي لهذه الاذن او الفم او القلب أو الخيال اي تفسير لا تصاب بالغثيان والاشمئزاز من قبحه وبلادته كل ضمائره واخلاقه وانبياءه وأظافره كل الوحوش ؟ .. كيف أطاقوا الانواء أو الاذان أو القلوب أو العقول أو التقوى أو التصورات أو الكرامة ان تتحدث عن هذا الجحيم أو تستمع الى الحديث عنه أو أن تتصوره أو تصلي به أو تفكر فيه ؟

وايضاً لماذا تصوروا اي البشر هذه الكائنات الغيبية والالهة فارضة عليهم كل هذه التعاليم والعبادات والالزامات التي يستحيل الالتزامات بها والقدرة عليها ، واضعة عليهم اقصى واقصى اجهزة وزبانية الاحصاء والمراقبة والاستخبارات ، ملقية بهم تحت اقصى وادوم واشمل تحدياتها البذيئة الرهيبة الوقحة بلا حدود أو نموذج أو خلاص من احاطتها ومحاصرتها ، مهددة لهم بتلك الاحوال التي لا بد أن تموت خوفاً واستنظاعاً وتديننا ضمائره وعيون وقلوب وأظفار وانبياء الوحوش لو تصورتها - مهددة لهم بكل تلك الاحوال لو أنهم عجزوا عن اقوى الالتزام سلوكاً ونية ومنطقاً وحديثاً بكل تلك العبادات والتعاليم والتشريعات والامور والنواهي التي تعجز كل القدرة وكل النيات الصادقة المصدقة المؤمنة المقهورة بالخوف وبالايمان عن الالتزام باية واحدة منها ؟ ان اجبر الناس لن يتفوق على الانبياء وعلى اتقى الناس بالعجز عن الالتزام بتلك التعاليم والعبادات والالزامات ..

ولماذا آمنوا بالزعماء والقادة والمعلمين والانبياء الحاقدين المتوترين المتعصبين الكارهين الشتامين المرضى بالطموح وبشبهوات الاستعلاء والاستعراض للذات وللجنون ، الصانعين للحروب والعداوات والخصومات والثارات ، وللمذاهب والاديان والقوميات والوطنيات المتعادية المتقاتلة المتشائمة ؟ بل ولماذا تصورهم وتمنوهم كذلك بل والهموهم ان يكونوا كذلك ؟

ولماذا هتفوا وصلوا لهم وحرضوهم بهتافهم وايمانهم وطاعتهم على المضي الى جميع حماقاتهم ومغامراتهم القتالة تحت دقات وهتافات وصلوات جميع الطبول والاجراس والمآذن ، وتحت أعلام وانشاد وتقاسير ومباينة جميع الايات والاحاديث والاناجيل والاسفار والشعارات والمذاهب ؟ لماذا حولوا في جميع العصور جميع الايات والاحاديث والاناجيل والاسفار والمذاهب الى اناشيد وتقاسير وهتاف لجنونهم المقاتل المخرب ؟

ولماذا يطيعونهم كلما جنوا أو توتروا أو حقنوا أو غضبوا أو مرضوا بالطموح أو بشهوات العرض والاعلان والدوي والاثارة والصعود فوق الاعاصير والامواج والاهوال والآلام أو مرضت اعصابهم ونفوسهم وحساباتهم ورؤاهم ، فراحوا يتداوون من ذلك بكل ما في مقابر التاريخ من جثث وجنازات ودماء وهموم وخراب وضياع وتعاسات دفنوها فيها اي في مقابر التاريخ .

نعم ، فراحوا يتداوون من كل ذلك ويفعلون كل ذلك بسوقهم الى كل ما في مقابر التاريخ والى كل ما في ضمير واعصاب التاريخ وكل ما في نياته وخطئه المقبلة من حروب وعداوات وخصومات وشتائم وويلات دينية أو مذهبية أو وطنية أو قومية أو أنسانية أو بلا انتماء ؟ لماذا تقبلوا دائما ان يكونوا هم الدواء القاتل الذي يتداوى به القادة والزعماء والمعلمون المرضى من الداء الذي زرعه هم فيهم بهتافهم وطاعتهم لهم وبايمانهم بهم ؟

لماذا يلد الانسان الانبياء والقادة

لماذا يلدون هؤلاء القادة والزعماء والعلمين والانبياء الفادحين المخربين ؟ لماذا يستفرغونهم ويفرزونهم ويحتلمون بهم ، ويتضرعون الى ما في الطبيعة من اظفار وانبياب ومن قدرة على التخريب والتفتيل والترويع والتفجيع ومن مواهب متوحشة عدوانية لكي تتألق اي الطبيعة وتقاسي في صياغة هؤلاء القادة والزعماء والانبياء والعلمين وصياغة عبقريتهم في ابتكار الجنون وفي الاقدام عليه وفي تنفيذه بكل الليسالة والوقاحة والضجيج ، ثم في اهدائهم اليهم ؟ انهم يلدون ويستفرغون ويفرزون للقادة والزعماء والعلمين بأسلوب فيه كل معاني العدوان عليهم هم وعلى كل شي ، وعلى نفس القادة والزعماء والعلمين . .

هل عرفت للبشر عبقرية تساوي عبقريتهم في قدرتهم على ولادة واستفراغ وافراز هؤلاء الانبياء والعلمين والقادة والزعماء الفادحين المخربين ، وفي اشواقهم الى تحييتهم وفي هتافهم بهم ليجيئوا وفي تحريضهم لهم على المجيء وفي قدرة هتافهم على المجيء بهم ؟ وهل للجماهير عبقرية غير عبقرية ولادتها واستفراغها وافرازها وبصفتها لهؤلاء القادة والزعماء والعلمين ، اي لهؤلاء المعادين لها وللحياة ولكل شي ؟ ان قدرة هتاف الناس على المجيء بالقادة والزعماء والعلمين وعلى صياغتهم وصياغة حماقاتهم وذنوبهم ووحشيتهم وعاهاتهم لاعظم من قدرة الزعماء والقادة والعلمين على المجيء ومن اشواقهم الى المجيء ومن قدرتهم على ان يصوغوا انفسهم لايصوغوا مواهبهم العدوانية الباهظة .

ايهما الزارع في القائد او في الزعيم المتوحش انيابه : هتاف الناس له ام هتاف شروره به ؟ وهل يمكن ان يسمع هتاف شروره به أو أن يستجيب لها لولا هتاف الناس به : بل هل يمكن ان يعرف ان في داخله شرورا جيدة قادرة على التدمير لولا عتاف اليائسين به .

ب/ وايضا لماذا يحقدون وبحدسون ويغارون ويتشائمون ويتعادون ويتخاصمون ويقتافسون وينقاطعون ويتراسقون بالاتهامات والبداءات ؟ ولماذا يتبارزون ويتفخرون ويتبادلون النحيدات والتهديدات والتذكير بالذكريات الاليمة المهينة وبالمعاملات والملاقات الماضية الفاجعة المسيئة الرديئة ؟ ولماذا يقرؤون التاريخ بالامه واحزانه وعاداته وحروبهم وكروبهم وخصوماتهم ومشائمتهم ، بل لماذا يقرؤون كتبهم المقدسة

ونبواتهم وانتصاراتهم وامجادهم ؟ هل يمكن ان يقرأ التاريخ والكتب المقدسة وتاريخ النبوات من لا يعشقون العذاب والعار ؟

بل لماذا يصادقون ويحبون ويمتدحون ويألفون ويعجبون ويحنون ويشتناقون ؟ حتى الحب والالف والاعجاب والحنين والامتداح والاشواق والصدقات ، ليست تعذيبا وتوريطا واثاقا وارهقا وتخويفا بل وعدوانا واعتصاما وهجوما فيه كل معاني ونتائج الغزو والقتال ؟ اجل ، لماذا يقرأ الناس تاريخهم او كتبهم المقدسة او نبواتهم وانتصاراتهم ؟ هل يمكن ان يكون في ذلك محبة او راحة او سعادة ؟

نعم ، ولماذا ايضا يذنبون وينادون ويتضرعون الى الالهة ويتعبدون لها بالصلوات والصوم والحج والبكاء والهناف وبالامل فيها وبالخوف منها وبكل انواع العبادات الاخرى ، وبتفسيرها اي تفسير الالهة وتصورها بالتفسير والتصورات الرهيبة الكئيبة المروعة ؟

وايضا لماذا يئنون ويحزنون ويغضبون ويكرهون ويخافون ويتشاءمون ويفسرون ويتوقعون ويقرؤون ويرون انفسهم والآخرين والاحداث والمستقبل تقاسيفا وتوقعات وقراءات ورؤى اصعب واقسى واكثر ترويعا واثاقا من الواقع ومما يمكن ان يحدث بل ومما يستطيع ان يقول الخلق والتاريخ والمستقبل ؟ هل وجد او يمكن ان يوجد من يستطيعون الا يفسروا الاحتمالات الاليمية والرديئة او الا يتوقعوها ويقاسوها الا بقدر ما تستطيع ان تكون ؟ هل وجد او يوجد من لا يعذبون ويخيفون انفسهم بلا خوف وبلا عذاب ؟ لماذا التهويل دائما في الحدس والتوقع والرؤية والتفسير والخوف والتشاؤم ؟ لماذا يخيفون ويقلقون ويزعجون دائما انهم اكثر مما يمكن ان يخافوا وينزعجوا ويقلقوا ، اي اكثر مما يمكن ان يواجهوا من باب الخوف والانزعاج والاثاق ، او اكثر من كل الخوف والانزعاج والقلق ، اي اكثر مما في طبيعة الالهة والحياة من قدرة على صنع الخوف والقلق والانزعاج ؟ ان الناس جميعا يموتون ويتعذبون ويخافون بالتوقع والتعاليم والتفسير اكثر واعنف جدا مما يموتون ويتعذبون ويخافون في الواقع او حتى الاحتمال ..

لماذا يخافون ويقلقون وينزعجون حيث لا ينفع الخوف او القلق او الانزعاج اي نفع ، وحيث لا يرد اي خطر ، او حيث يكون الخوف والانزعاج والقلق موقعا في الخوف والقلق والانزعاج وصانعا لاسباب ذلك ؟

ليس كل الناس يفعلون ذلك أي يخافون ويقلقون حيث لا توجد اسباب لذلك وحيث لا ينفع الخوف أو القلق بل وحيث يوقع خوفهم وقلقهم في مزيد من الخوف والقلق ومن اسبابهما ؟

نعم ، لماذا يفعل الناس كل ذلك بالاساليب والنيات التي بها يفعلونها ؟ ان جميع مفسري الوثنيات والدمامات والمعاهات والبلادات والالام اجمل واتقى التفاسير

لن يستطيعوا ان يجدوا للناس ، لجميع الناس في جميع تصرفاتهم ونياتهم اي تفسير غير خضوعهم لهذه الرغبة اي لرغبة التعذيب والارهاق والاطلاق والترويع والاثارة للنفس وللآخرين ولكل شيء . .

انهم لن يستطيعوا ان يجدوا لذلك اي تفسير سوى هذا التفسير الا بقدر ما يستطيع الانبياء والمعلمون بالاله ان يجدوا لوجوده اي لوجود الاله ولنطقه وتدبيره ولنياته وتصرفاته ولجميع كينوناته واموائه ومطالباته اي تفسير غير وقوعه اي وقوع الاله في قبضة هذه الشهوة شهوة التنكيل بالنفس وبكل احد وبكل شيء .
انهم لن يستطيعوا ان يجدوا لذلك تفسيراً جميلاً او نبيلاً الا بقدر ما يستطيعون ان يجدوا للاله تفسيراً جميلاً نبيلاً حينما يصيب الجمال بالتشويه .

اذن فالذين يختارون ويدبرون لانفسهم ان يكونوا قادة وزعماء وحكاما وانبياء ايضا لن يكون محتملا تفسيرهم بغير هذا التفسير . لن يكون ممكناً ان يفسروا في اختيارهم وتدبيرهم وفي جميع ممارساتهم ومواجهاتهم لانفسهم وللآخرين ولجميع الاشياء والاحداث بغير التفسير الذي لا بد ان يفسر به الاله والذي لا بد ايضا ان يفسر به الشيطان في جميع تدابيرهما واختيارتهما وفي جميع ممارساتهما ومواجهتهما لذاتيهما وللآخرين ولجميع الاحداث والاشياء . هل يمكن ان يوجد للاله او للشيطان اي تفسير جيد مهما وجد لكل شيء تفسير جيد ؟

اما اذا كانت المجتمعات او الجماهير هي التي تختار وتدبر وتقرض على القادة والزعماء والانبياء ايضا ان يجيئوا وان يكونوا قادة وحكاما وزعماء وانبياء فان التفسير ايضا لن يكون غير ذلك ، لن يكون التفسير غير ارادة الجماهير او المجتمعات ان توقع كل ألوان التعذيب والترويع والتفجيع والتشويه والعقاب بهم اي بالقادة والزعماء والحكام والانبياء وبنفسها وبكل احد وكل شيء . وبأي هؤلاء ارادت الجماهير توقيع العقاب اكثر : بنفسها ام بكل احد وكل شيء ام بالزعماء والانبياء والقادة الذين هتفت واصلت لهم ليجيئوا ؟

ان الجماهير والمجتمعات لم تدع القادة والزعماء والانبياء والحكام الى المجيء ولم تفرض عليهم المجيء او ترد لهم المجيء لانها تحبهم او لانها تريد لهم السعادة او المجد او الغرور والكبرياء ، ولا لانها قد رأت او عرفت او جربت او عشت جمالهم او ذكاءهم او علمهم او عبقريتهم او نبوتهم او تقواهم . انها تهتف بهم ليجيئوا بالاسلوب الذي تهتف به الاجسام المحكوم عليها بان تمرض بالامراض لتصيبها !

ان المجتمعات لم تر او تعرف او تجرب او تحب من زعمائها وقادتها وحكامها وانبيائها الا مثلما رأت وعرفت وجربت واحبت الاغنام والحيوانات المسالمة من الذئب وسائر الحيوانات المفترسة - او الا مثلما ذاقت الاجسام من ضربات الامراض - والعاهات - او الا مثلما شاهدت العيون من جمال ونظافة الحشرات - او الا مثلما قاست الضمائر والعيون والافكار العذراء من منطق الاله وعدله وحب للناس وللجمال وللنظام !

وهل يمكن ان يقاسي اي شيء من العذاب والانفجاع مثلما يمكن ان تقاسي العيون
والافكار والضمائر العذراء من مواجهة الاله ومن التحديق في تفكيره او في ضميره
او في يديه ضاربتين او مصافحتين ، بانيتين او هادمتين ؟ حتى الاله لن يستطيع او
يجرؤ على مواجهة نفسه او التحديق فيها لو كانت له عيون او افكار او اخلاق عذراء .
ولكن هل يمكن ان توجد افكار او ضمائر عذراء ، او هل يمكن ان تظل عذراء مهملة
وجدت او جاءت عذراء ؟ اليس محتوما ان تسحب الحياة والاحداث والمواجهات ، وان
يسحب المعلمون والانبياء والزعماء والقادة والمحاريب والخابر من جميع العقول
والضمائر بكارتها ؟ والعيون ؟ هل يمكن ان تظل عين واحدة عذراء ؟ ان العيون
غير المصرة هي التي قد تستطيع ان تظل عذراء . . .

ماذا يمكن ان تجد او ترى او تفهم او تقاسي لو انك واجهت الاله او الطبيعة
او الحياة او الناس او اي شيء او حتى نفسك واعضاءك ومشاعرك بعقل وضمير
لم يفتك ببيكارتهما ؟ اذن ماذا يمكن ان تكون فجيعتك والترويع لك لو انك واجهت
كل ذلك وقرأته بعين عذراء ؟

اذن لعل الذين اعتدوا على بكاره عقلك وضميرك كانوا بك رحما او لعلمهم كانوا
لك نافعين ان لم يكونوا رحما ! . . . ولعل الذي ينفكك دون ان يرحمك افضل لك من
الذي يرحمك ولا ينفكك !

ولكن هل يوجد ارحم بك او انفع لك مثل من سلبوا عينيك عذرتهم ؟ وهل كائن
ما او شيء ما يسلب عينيك عذرتهم دون كل الكائنات وكل الاشياء ؟

اليس كل الاشياء وكل الكائنات تحول كل العيون الى غير عذاري ؟ ان كل
المرئيات حتى اتقاهم وانبلها واجملها وانظفها لا بد ان تفسق ببيكاره العيون الرائية .
ان توقيع العذاب بالنفس وبالاخرين وبالاشرار يخلص من عذاب اخر ويخلص
ايضا من الكآبة والجمود والخمول ويهب الوانا من النشوات الحادة النزقة الراقصة . . .
ما اقسى مواجهة النفس والحياة والاشياء لولا الانهماك في توقيع العذاب بالذات
وبالاخرين وبكل شيء ؟

اذن فالتدبير والاختيار لقبيلة قريش لتكون ، او الزامها بان تكون ، او الانباء
بانها لا بد ان تكون هي وحدها القائدة والزعيمة والحاكمة والنبوة والنبية لكل البشر
في كل العصور وتحت كل الاطوار الحضارية ، لن يكون تمجيذا او اسعادا لها ايلقبيلة
قريش ، ولا تخصيصا لها بأي شيء جيد او مريح او واهب للبهجة . بل لا بد ان يكون
ذلك اسلوبا شاملا حاشدا من اساليب القسوة والتعذيب والتشويه والعدوان
والفضح . . .

نعم ، كيف لم تظن الى ذلك النبوة العربية التي اخبرت بذلك او شرعته
وارادته لقبيلة قريش ؟

اذن حينما قلنا ونستمر نقول :

« ان كل الناس سيظلون ابدا اتباعا ورعايا لقبيلة قريش في كل شيء ، في الخير وفي الشر . الكفار اتباع لكفار قريش ، والمؤمنون والمسلمون اتباع لمؤمني قريش ومسلميها . »

نعم حينما نقول ذلك ونحوه الى نصوص خالدة مقدسة نقرأها على الهتنا وانبيائنا ونقرأها علينا ولنا الهتنا وانبيائنا ، ونرتفع في تمجيدنا الى ان نضعها في افواه الهتنا وانبيائنا ، والى ان نجعلها نزيف ضامائر وعبقريات الهتنا وانبيائنا ونشيد منابرهم ومحاربهم وصلواتهم المفروضة المضروبة على كرامة التاريخ وعلى مجده وذكائه - المؤداة فوق شرف التاريخ وكبريائه وفوق خطواته وتحديقاته .

نعم حينما نفعل ونقول ذلك ، اي حينما نقوله وتفعله الهتنا وانبيائنا بلغتنا وفكائنا وبوقارنا واستحيائنا ، فهل نحن نعبر عن عرقية عنصرية لا شبيه لاغتصاحها ونزقها ؟ هل يمكن ان يكون هذا هو التفسير ؟

نعم ، حينما نفسر ونحاسب كمتكلمين لا كمصوتين فقط لا يحاسبون على شيء ولا يفسرون بشيء فكيف يمكن ان يفهم او يفسر قولنا هذا في قبيلة قريش ، وكيف يمكن ان تفهم او تفسر مستوياتنا الحضارية والاخلاقية والنفسية والعقلية بل والدينية والتاريخية ؟ هل يمكن حينئذ ان تحسب مستوياتنا مستويات بشرية فهما افترضت المستويات البشرية بلا حد ادنى تقف عنده ؟

ان هذا الوحي عن قريش منفذا او مطبقا قد مات وطال موته واصبح سطورا وحروفا ميتة في كتب لا يقرأها الا قراء شواهد القبور ، ولا يقنننها الا من يعيشون في ضماائر الموتى . وهل يوجد من لا يعيشون في ضماائر الموتى باسلوب ما ؟

ولكن كلا . ان هذا التمجيد او التشويه والتعذيب والتوريث لقبيلة قريش ، او هذا التصويت عنها موجود في كتب تنادي جميع اجهزتنا الدعائية والتبشيرية بالدعوة وبالرجوع اليها وبالاقتدار بها وبزعمها هي اللغة والبشرى والحروف والقراءة والصلاة والتعاليم التاريخية الاولى للحضارة الانسانية الشاملة . بل ان هذا موجود في كتب تمجدها وتؤمن بها وتقاتل دفاعا عنها وتصلي بها ولها وتتعلمها وتعلمها جميع محاربينا ومنابرنا ومدارسنا وجامعاتنا ، بل جميع عقولنا وعبقرياتنا وقياداتنا وزعاماتنا ، بل كل مطامحنا وأمانينا القومية والوطنية والدينية والحضارية والتحريرية والانسانية . انه موجود في كتب لن يعد الا زنديقا من لم يجد ويقرأ فيها كل البداية والنهاية وكل التاريخ والمستقبل وكل الانسان والالهة .

ان هذه النبوة المخبرة الراوية او المشرعة الملزمة عن قبيلة قريش موجودة في كتب نعدّها كل مجدنا في التاريخ ونعدّها كل رؤيتنا وطريقنا الى المجد في المستقبل . انها موجودة في كتب نعدّها كل نبوتنا ، واننا نعد نبوتنا هي كل مجدنا الذي قد كان وكل مجدنا الذي سوف يكون . ونعدّها ايضا اي نبوتنا هي كل طريقنا الى كل مجد وقوة وحضارة ، وكل رؤيتنا لكل ذلك وكل اساليبنا التحريضية عليه .

اننا لا بد ان نحاسب ونفسر بنبواتنا القديمة جدا لان كل مجدنا وعبقريتنا ليسا الا مجد وعبقرية نبوات ، ولاننا لا نستطيع كما لا نريد ان نتخطى نبواتنا القديمة جدا أو نتخطى شيئا منها ، ان تخطينا لنبواتنا ، لاي شيء مما جاءت به ولادتها او يوم ولادتها ، ان تخطينا لذلك ليس محسوبا في اي شيء من حساباتنا .. واننا ايضا لا بد ان نفسر ونحاسب بمستوياتنا القديمة جدا وبارائنا ورواياتنا القديمة جدا لاننا لا نستطيع كما لا نريد ان نتخطى انفسنا .. اننا لا ننقسم في مستوياتنا الحضارية او الفكرية او الانسانية الى تاريخ والى حاضر ومستقبل .. اننا كينونة او صيغة واحدة او طور واحد .. اننا اذن لا بد ان نحاسب ونفسر ونقرأ بكل تاريخنا القديم ، القديم جدا . اننا لا نستطيع كما لا نريد ان نتخطى تاريخنا ، ان نتخطى شيئا من ارائه او رواياته او مستوياته . ان اي مقطع من مقاطع تاريخنا لن يكون الا كل تاريخنا ، وان كل حياتنا ومستقبلنا لن يكونا الا ذلك المقطع من تاريخنا ..

اننا لو اردنا ان نعرف انفسنا الى التاريخ والى الحياة والى العالم او الى الابد اصدق واتقى تعريف لقلنا اننا نحن النبوة العجيبة التي لا تصاب بالتطور او التغير ، ولا بالقوة او الضعف ، ولا بالانتصار او الانهزام ، ولا بالشباب او الشيخوخة ، ولا بالموت او الحياة ، ولا بالتواضع او الكبرياء ، ولا باختلاف المناخ او الطقس ، بل ولا بالوجود والبقاء او بالفقد والذهاب ، بل ولا بالتحقير او التكريم ، ولا بالنقبيل او الرفض ..

نعم ، السننا نحن هذه النبوة العجيبة في كل ما كناه وما نحن كائنوه وفي ما سوف نكونه ؟

اذن هل يوجد اكثر غرابة وشذوذا من هذه النبوة التي هي نحن ؟ واذن هل يوجد اكثر غرابة وشذوذا منا ؟ هل يوجد اشد غرابة وشذوذا من كائنات لا تخضع لقوانين الكينونة ومن كينونة لا تتفاوت صيغها ، ومن وجود لا يتحرك في الزمان ولا يتحرك الزمان فيه ؟

كيف ؟ اننا لا نزال نبوة كالنبوة التي روت او امرت بان يكون كل الناس اتباعا ورعايا لقبيلة قريش الى يوم الدين ، او لا نزال نحن هذه النبوة .

واننا ايضا لا نزال كتابا مقدسا كالكتاب المقدس الذي حكم ورأى وروى اننا نحن العرب ولا سيما عرب الخليج والجزيرة خير وافضل من كل البشر ، خير وافضل منهم في كل شيء ، في الايمان والتقوى والاخلاق بقدر ما نحن كذلك في الذكاء والعبقرية وفي ابتكار الحضارات - والذي ايضا حكم ورأى وروى اننا نحن العرب ولا سيما النائمين المصلين منا فوق ذلك الكائن الرهيب العجيب المهان الحزين المقاسي لاشد ظروف ومعاني ومشاعر الاغتراب في وطنه وبين اهله ، المسمى نفطا ، المسمى بلا صدق ولا حق نفطا عربيا مع ان كل عروبته هي ان العرب ظلوا منذ وجدوا يتتاءبون فوقه ، مجدين لمجاعاتهم وقحطهم وبدواتهم .

نعم ، الذي حكم ورأى وروى اننا نحن العرب سوف نكون شهودا وشهداء وقضاة على كل العالم في كل العصور امام كل محاكم التاريخ وكل محاكم الارض ومحاكم السماء . بل اننا لا نزال نحن هذا الكتاب المقدس ، ولسنا مثله فقط . . اننا لا نزال منطقته ونصوصه ، آياته وتقاسيره . اننا لا نزال الاله الذي قاله ، والملوك فقله ، والنبي الذي استقبله وسمعه ، وكاتب الوحي الذي كتبه ، والمفسرين الذين فسروه ، والحفاظ الذين حفظوه . .

اجل ، اننا نحن هؤلاء ولسنا فقط امثالهم . .
واننا ايضا لا نزال شعراء كالشعراء الذين علموا وجربوا ووجدوا اننا نحن العرب (لا توسط بيننا . . لنا الصدر دون العالمين او القبر) . وانه (اذا بلغ الطفل منا الفطام خر له جميع الجبارين ساجدين) وان (لنا الدنيا ومن امسى عليها . ونبطش حين نبطش قادرينا) . واننا من كبريائنا وعزتنا (لتأنف نفوسنا ان تسكن اللحم والعظام) اي تأنف ان تسكن اجسامنا . (ونحن وهبنا الناس كل مزية . . وهبناهمو كل الحضارات والربا) اي وهبناهم كل الدنيا وكل الآخرة أو كل الانسان وكل الالهة ، اي كل القيم الحضارية والانسانية وكل القيم الدينية والاخلاقية والالهية . .

حتى الرب او الارباب جميعا نحن واهبوا لجميع الناس (وان الناس لا يسيرون الا اذا سرنا لكي يسيروا وراءنا ، واننا اذا أومأنا اليهم بالتوقف عن السير والحركة توقفوا) . اي انهم لا يجرؤون على السير ولا يعرفون كما لا يستطيعون ان يسيروا او يتحركوا الا وراءنا . واذا نحن طلبنا منهم ان يقفوا ويتجمدوا سمعوا واطاعوا اقتناعا واحتراما واتباعا ورهبة . حتى الاقدام . لقد علمناها ان وظيفتها السير عليها . هل كان يمكن ان تعرف اي الاقدام لماذا هي لو لم نعلمها نحن ذلك ؟

ان الناس جميعا في جميع العصور لا يقدرون او يجرؤون او يعرفون او يريدون ان يشتهون ان يسيروا او يتحركوا باقدامهم او ببنياتهم او بعقولهم او باهوائهم او بأي معنى او مستوى من معانيهم ومستوياتهم الا بارشادنا وتعاليمنا ورغبتنا وأشارتنا وبمنطقنا وواوامرنا . .

والا ايضا بعقريات ونبوات وابداعات عباقرتنا وانبيائنا وخلفائنا الراشدين . .
اننا كل انبياء الناس وسلاطينهم ومؤدبيهم وواهبهم . . اننا كل قرآئهم وتوراتهم واناجيلهم وتعاليمهم ومذاهبهم وسيوفهم . ان سيوفنا لانبياء لسيوف كل الناس بالمنطق الذي به عقولنا انبياء لعقول كل الناس وانبيائنا انبياء لكل انبيائهم .
نعم ، اننا لا نزال شعراء مثل هؤلاء الشعراء الذين هذه النبوات بعض نبواتهم .
اننا دائما وجميعا شعراء ، اي شعراء عرب . وهل يستطيع اي عربي الا يكون شاعرا عربيا ؟ أو هل يستطيع اعظم شاعر عربي أو أي شاعر عربي الا يكون اي انسان عربي ؟

بل اننا نحن هؤلاء الشعراء ولسنا مثلهم فقط . . اننا هم قد جننا في عصر غير عصرنا وغير عصرهم . اننا غرباء عن هذا العصر الذي نوجد فيه وغرباء بين

اهله او حول اهله . اننا غرباء عمن هذا العصر وحول اهله مثل غرباء ابائنا ومثل غرباء هؤلاء الشعراء عن هذا العصر وعن اهله وحولهم . بل ان غربتنا هي نفس غربتهم اي هي نفس غرباء ابائنا وغرباء هؤلاء الشعراء ، وليست فقط مثل غربتهم ، لاننا نحن هم ولسنا فقط مثلهم . ان كل شاعر يتهم وكل ما فيها من عواء وصهيل وزئير وطنين وثغاء ورغاء ومن خروج على كل ذكاء ومنطق وحياء واتزان وصدق وتهذيب ، ومن خروج على كل رؤية وتجربة حسية او فكرية وعلى كل مواجهة للاشياء وللأحداث بقراءة او بتحديد او بتفاعل او تعامل نفسي او عقلي او اخلاقي .

نعم ، ان كل شاعر يتهم هذه بكل ما فيها من ذلك هي كل شاعر يتهم بكل ما فيها من فنون النزق والافتضاح الفكري والنفسي والاخلاقي والاعلاني الاستعراضي ..

نعم ، هل استطاع واحد فقط من زعمائنا او قادتنا وحكامنا او مفكرينا ومعلمينا او شعرائنا وخطبائنا او من علمائنا العباقرة جدا الذين جعلنا اسماءهم عناوين لكل طبقات التاريخ وذكرهم نشيدا لكل امجاد التاريخ وصورهم لوحات على كل ابواب التاريخ ، وجنتهم نباشين على كل هامات التاريخ وفهمهم تفسير لآكل منطق التاريخ ، وقراءتهم قراءة لكل تراث التاريخ ، لكل ما في التاريخ من قرآن وتوراة وانجيل ومن مذاهب وتعاليم وفنون ، وبدواتهم تحضيرا لكل حضارات التاريخ ، واخطاءهم واحقادهم وبغضائهم ومخاصماتهم وجهالاتهم نبوات ومعارف وتقوى وصوابا لكل التاريخ .

نعم ، هل استطاع واحد من هؤلاء ان ينتقل اليها او يكوننا او ان ننقل اليه او نكونه بصيغة اخرى ، اقوى وافضل او اضعف وارداً ؟ حتى الرداء والضعف ، ان هؤلاء لا يستطيعون ان يكونوا ارداء او اضعف منا ، كما لا يستطيعون ان يكونوا اقوى او افضل منا . واننا كذلك لا نستطيع ان نكون افضل او اقوى منهم ، كما لا نستطيع ان نكون ارداء او اضعف منهم . انه التكرار التماثل الذي لا نموذج له في اي شيء من اخلاق الطبيعة واخلاق الاشياء . انه التكرار التماثل المتحول الى معجزة في قوانين ومنطق الاشياء . اننا مهما حاولنا بكل التصميم والايمان ان نتخطاهم او نهبط عنهم ، ان نستبقهم او نتخلف عنهم ، اعني لو حاولنا واردا ان نفعل ذلك لم استطعنا . لاننا لا نستطيع ان نكون غيرهم او ان يكونوا غيرنا . اننا لا نستطيع ان نولد منهم او فيهم او ان يولدوا فينا ولادة اخرى او صيغة اخرى . انه التوالد الذي لا يحتمل فيه ان يكون المولود غير الوالد او ان يكون مختلفا في اية علامة من علاماته . ان الابناء ليسوا اصغر من الاباء ولا يستطيعون ان يكونوا اصغر ، وان الاباء ليسوا اكبر من الابناء ولا يستطيعون ان يكونوا اكبر . هل توجد اعجوبة او معجزة مثل هذه الاعجوبة او المعجزة ، اي كون الاباء والابناء ابدا في عمر واحد وطور واحد ؟

اذن هل توجد اعجوبة او معجزة مثلنا نحن ابناء العروبة ؟
نحن ابناء العروبة نعيش كل تاريخنا ووجودنا صيغة تاريخية واحدة هل يوجد اذن مثلنا ؟

ان جميع زعمائنا وقادتنا ومفكرينا وشعرائنا وكتابنا ومعلمينا وجميع مسن يتحدثون منا اليوم من فوق جميع المناير واعلى المناير ، من فوق كل السحاب ليسوا شيئا غير ذلك الكتاب المقدس او تلك النبوة او اولئك الشعراء ..

لنسمع او لنقرأ كل ما تطلقه او تكتبه اليوم جميع افواهنا واقلامنا الكبيرة المسؤولة المتصدرة مخاطبة متحدة الى جميع سكان الكون ، بل مهددة متحدة مفاخرة لهم .. اننا حينئذ لن نسمع او نقرأ او نجد الا عقل وذكاء ووقار واخلاق هذا الكتاب المقدس ، وهذه النبوة التي هي كل النبوات ونبية كل النبوات وخاتمة كل النبوات وهؤلاء الشعراء .. بل اننا حينئذ لن نسمع الا اصواتهم اي اصوات هذا الكتاب المقدس وهذه النبوة وهؤلاء الشعراء ، منطلقة بكل جهرها وبدواتها الحضارية والعقلية والنفسية واللغوية، عارية صالحة من تحت الخيام ومن فوق الاشجار والاطلال . نعم، لنقرأ ولنسمع اليوم كل ما تكتبه وتذيعه اقلامنا وافواهنا المسؤولة وغير المسؤولة فاننا لن نجد الا ما كانت تطلقه تلك المواهب التي كانت تصهل تحت الخيام وفوق الربوع الخالية ...

**

ان هذا الذي روي عن نبواتنا وعن كتابنا المقدس وعن شعرائنا العظام ليس لاختيارا لدمامة من جمال او لبلادة من ذكاء او لنزق من وقار او لسفاهة من حكمة او لبذاءة من تهذيب او لكبرياء من تواضع او لعمى من رؤية او لافتنصاح من استنثار او لبداوة من حضارة او لتفاهة من عبقرية او لتصويت من كلام وتفكير ..

ان هذا الذي رويناه ونقلناه ليس الا اخذا لشيء او اختيارا لشيء من امثاله ونماذجه . ان هذا الذي اخترنا نقله عن نبوتنا وعن كتابنا المقدس وعن شعرائنا للخالدين ليس شئنا او غريبا فيما كان ولا فيما هو كائن ولا فيما سوف يكون .. لقد رويناه ونقلناه ما لن يستطيع اعقل عقلاننا واكثرهم تواضعا واتزاننا ان يهاب روايته ونقله او يخجل من الخطابة والمفاخرة به ..

انه اذا كان محكوما عليك الا تصدق هذا او اذا كنت تهاب تصديقه فان عليك ان تغلق اذنك وعينيك بكل ما في الدنيا من اجهزة الاغلاق، بل فان عليك حينئذ ان تفعل اي شيء لازالة عينيك واذنك لكي لا تقرأ او تسمع اليوم ما يقوله ويكتبه جميع زعمائك وقادتك ومعلميك وكتابك وشعرائك وخطبانك . لانك ان قرأت لهم او استمعت اليهم اليوم وغدا وبعد غد فلن تجد فيهم الا كتابك المقدس ونبواتك القديمة وشعراءك العظام الذين سمعت ورايت وقرأت كيف يتحدثون عن انفسهم وعنك وعن الآخرين . ولا بد انك قد صدمت او انه مفروض عليك ومنظرك منك وجيد لك ان تصدم حينما سمعت وقرأت ووعيت كيف يفهمون انفسهم ويفهمونك ويفهمون الآخرين ، وكيف يهزؤون التاريخ ويفسرونه ويعونه ، وكيف لا يرهبون ان يقرأوا انفسهم على التاريخ وعلى الناس ، او ان يقرأهم التاريخ ويقراهم الناس ..

الم تسمع وتقرأ لهم ؟ انك حتما قرأت لهم واستمعت اليهم . ولكن هل ساءلت عينيكَ واخنيكَ عما قرأت وسمعت ؟ وهل حاورت او حاسبت او حاكمت عيناكَ او اخناكَ ما قرأت او ما سمعت ؟

ضع لك عينين فيهما وظيفه العيون واخلاقتها ، واثنين فيهما وظيفه الاذان واخلاقتها بعد ان تضع لك موهبة تعرف وظائف العيون والاذان وتحاسب الاشياء على الالتزام بوظائفها وتفرض عليها هذا الالتزام .

نعم ، افعل ذلك ان كنت قادرا ان تفعله ثم اقرأ واسمع جميع ما يقوله ويكتبه جميع زعمائك وقادتك وشعراؤك وخطباءك وايضا جميع مثقفيك ومفكريك ثم انظر هل تجد اي فرق من اي نوع بين ما يقولونه ويكتبونه ويفهمونه وبين ما قاله وأوحاه وخلده كتابك المقدس ونبوتك الخالدة وشعراؤك العظام الذين رويانا لك واسمعناك من نماذجهم النفسية والعقلية والاخلاقية واللغوية في النصوص التي مررنا بها في الصفحات السالفة محزونين ومروعين ومجللين بكل الوان العار ومشاعر الضالة ، بل ثم انظر هل تستطيع ان تعتقد او حتى تظن انك تسمع او تقرأ لغير اسلافك الذين كتبوا لك كتابك المقدس ، وأوحوا لك واليك بنبوتك الخالدة الخاتمة المغلقة لكل النبوات ، وانشعروا وعلقوا لك معلقاتهم وجميع مصاهلاتهم ومزاعماتهم البهوية المسماة شعرا فوق كعبتك وتاريخك بل فوق كرامتك وكبرياؤك وقارك . . بل فوق موهبتك البهوية التي يبدو انها لا تستطيع كما لا تريد ان تفارق صحراءها التاريخية والانسانية . .

نعم ، افعل ذلك ثم انظر هل تستطيع ان تجد اي دفاع عن نفسك وعن تاريخك وعن قومك الذين كانوا كتابا مقدسا ونبوة موحاة خالدة مغلقة لكل ابواب السماء لئلا تحيى نبوة اخرى قد تأخذ من مجدها المتفرد بالعلاقات والمصاهرات والمصادقات والمعانقات الاخيرة النهائية مع السماء ، والذين كانوا ايضا معلقات فوق الكعبة أو كانوا شعراء معلقة جثثهم فوق اركان الكعبة - وكذلك عن قومك الذين كل نضالهم ومجدهم اليوم ان يعرضوا بأصرخ واشمل الاساليب كل عارهم في اذان وعيون وعقول وضمانر واشمئزاز كل العالم ومن فوق جميع منابرهم ومحاريبهم ومؤسساتهم واجهزته الفضاحة للباحثين عن الافتضاح . .

نعم ، ثم انظر هل تستطيع ان تجد اي دفاع عن نفسك او تاريخك او قومك الذين قد وجدوا ، والذين لا يزالون موجودين يصلون ويكذبون ، والذين قد يوجون لكي يذهبوا يصلون ويكذبون غير ان تقول : اننا وانهم كائنات مصونة ، اي كائنات باكية وآنة ومتأومة ومغنية وشاتمة ومصلية متضرعة وكارمة متهمة اي ثاغية راغية صاهلة عاوية ، لا كائنات متكلمة اي مفكرة ومدبرة ومخططة وحاسبة وقاضية ورائية وقارئة وملزمة ومحكمة لنفسها حتى لعيونها ولاذانها وللغاتنا ولقراءاتها ولصلواتها وهتافها ومنابرها . نعم ، ان التكلم كائن محاكم حتى لحواسه ، لانه كائن مفكر مجبر مخطط . .

انك حينئذ لن تجد اكثر رفقا وبراً بنفسك وبتاريخك وقومك من ان تعلن هذا مقتنعا به داعيا اليه مدلا عليه اي على انك وقومك مصوتون فقط لا متكلمون اي لكي تصبحوا غير محاسبين او مسؤولين او ملومين او مفسرين الا بقدر ما يكون الصائل او العاوي او الشاغي محاسباً او مسؤولاً او ملوماً او مفسراً ، او الا بقدر ما يكون الباكي او الحزين او الاني أو الضارع المتضرع أو الكاره أو الشاتم الحاقد التهم ، أو اللصارخ من الخوف أو الهوان والعجز والبلادة والنزق محاسباً او مسؤولاً او ملوماً او مفهوماً او مفسراً او مقبولا التعامل والتحاور والتفاهم معه . . ان كل املك حينئذ في الا يكون قومك مسؤولين او مفسرين او مقروئين او مستمعا اليهم حينما يصوتون . .

بل قد ترى حينئذ ان من الوفاء والاخلاص لنفسك ولقومك وللصديق والعدالة والحقيقة المسكينة الحزينة الذليلة ابدا ان تدبر لحملة اعلامية دولية لكي تثبتت على مستوى عالمي شامل ان قومك العرب قد ظلموا ظلماً طويلاً رهيباً عالمياً حينما حُسبوا وزعموا متكلمين لا مصوتين فقط وحينما حوسبوا وقرئوا وفسروا وفهموا وجردلوا وسمعوا واستمع اليهم على انهم كذلك اي متكلمون او كانهم كذلك . وليعاقب الله حينئذ كل العالم بكل اللوان عقابه اذا صدق وظل يصدق ان قومك قد يكونون متكلمين ولو احياناً وليسوا ابدا مصوتين فقط . قد تدبر حينئذ لاضخم حملة ارشادية تصحيحية تغطي بها كل منطق العالم وكل الفكره ورؤاه ومعلوماته واذاً لتدلل على ان اي قوم لم يشوهوا ويحقروا ويعتد عليهم مثلما شوه وحقر قومك ابناء العروبة ومثلما اعتدي عليهم حينما زعموا عن انفسهم وزعموا لانفسهم وللعالم انهم متكلمون ، فصحقهم العالم وراح اي العالم يهرام ويقروم ويحاسبهم ويحاكمهم على انهم كذلك . . لقد كان العالم محتاجاً الى ان يكون جلفاً وقها نزقاً لكي يستطيع تصديقهم في زعمهم هذا . . !

لقد وجد العالم في زعم العرب لانفسهم وعن انفسهم انهم متكلمون يفسرون ويعاقبون ويحصى عليهم وينتظر منهم ويشترط فيهم وعليهم كما يفعل بمن يتكلمون . نعم ، لقد وجد العالم في هذا الزعم وفي الاسراع الى تصديقه اشباعاً وارواء لجوعه الذي لجوع العالم ولظمئه الى الشماتة والتحقير والاستهزاء والى الرضا عن النفس والى اعطائها مكانة التقوق والاستعلاء .

لقد كان العالم فاجراً وخسيساً وعدوانياً ندلاً حينما استمع الى هذا للزعم وصححه بكل النشوة والغبطة والرضا وبكل اساليب ومظاهر الاقتناع والحب والبراءة ، بل بكل اعراض الاصابة بالسذاجة والغفلة والضالة والتواضع الكريم البليد . كم في حوافز التواضع ونتائجه احياناً من اللوان العدوان والقسوة والكبرياء .

لقد كانت حسابات العالم انه لو فسر العرب مصوتين فقط كما تصوت نياتهم وخيولهم وذئابهم وضباعهم لا وجد شهوته في ان يشمت بزكائهم او بتقافتهم او بعلمهم او باخلاصهم او بآي مستوى من مستوياتهم ، وفي ان يحتقر كل ذلك فيهم

ومنهم ٠٠٠ ليست الشماتة والاحتقار صلاة انسانية تصلحها وقاحة الانسان النفسية راشية بها اخلاقه ، او تصلحها اخلاقه راشية بها وقاحته النفسية والام كينونته ؟

انه اي العالم لا يستطيع ان يشمت او يحتقر او يشنع حينما يسمع الابل والخيول والذئاب والضباع ترغو وتسهل وتعوي . ولكنه اي العالم يريد ولو احيانا ان يشمت ويحتقر ويشنع ، لهذا فانه لا يريد ان يفسر العرب كما يفسر الابل والخيول والذئاب . . . لقد اختار ان يفسر العرب متكلمين لانه يجد سعادته ومسرته في ان يشمت ويحتقر ويشنع وفي ان يصاب بالكبرياء وبالرضا عن النفس وبالافتناع بمكانته المتفوقة على آخرين موجودين في صيغ ونماذج بشرية اي في صور بشرية .

لقد كان افتناع العالم بان العرب متكلمون لا مصوتون فقط تعبيراً عن الاحتياج لا عن الافتناع . لقد اراد الافتناع واحتاج اليه ، فافتنع .

ان الاحتياج الى الافتناع او الى ما هو موضوع الافتناع ليصنع الافتناع اكثر مما يصنع الافتناع الافتناع او اكثر مما يصنع الواقع او الرؤية او التجربة او الحقيقة او المنطق الافتناع ، او اكثر مما يصنع الافتناع الافتناع . . . وهل يستطيع الافتناع مهما كانت قوته ان يصنع الافتناع ؟ هل حدث هذا في أية قضية او موقف ؟

ان الاحتياج الى رؤية الشمس او القمر او الكون او اي شيء جميل او الى ان يكون جميلاً او الى الافتناع بانه جميل هو الذي صنع الافتناع بانه جميل اكثر مما صنع الافتناع بجماله جماله او رؤيته او تجربته او فهمه . . . ان جمال الاله ليس هو الذي افتنع بانه جميل . ان احدا لم يره . اذن كيف رآه جميلاً او افتنع بانه جميل ؟

وهل يمكن ان نفتنع باية حقيقة او واقع ما لم نكن محتاجين الى الافتناع بذلك باي اسلوب من اساليب الاحتياج ، او ان نرى اي شيء جميلاً ما لم نكن محتاجين الى رؤيته كذلك والى الافتناع بانه كذلك ؟ هل يمكن ان يفتنع بالاله من لا يحتاج الى الافتناع به او ان يرى جمال المرأة او جمال الجنس من لا يجوع الى الجنسي ؟

اليس الافتناع هو دائماً تابعا ولا يستطيع ان يكون متبوعاً ؟ اليس تابعا حتى حينما يكون متبوعاً او يبدو متبوعاً ؟ اننا قد نفعل او نلتزم ، نتقبل او نرفض لاننا مقتنعون . ولكن لماذا نحن مقتنعون ، او كيف اقتنعنا باقتناعنا ؟ ما الذي جعلنا نقنع باقتناعنا ؟

انك حينئذ قد ترى ان العالم يجب ان يشكى وان يحاكم ويحاسب لتتخذ ضده قرارات بل ولتوقع عليه عقوبات لانه باقتناعه ان العرب متكلمون ، يحاسبون ويفسرون ويفهمون بكل القسوة والدقة التي يجب ان يحاسب ويفسر ويفهم بها المتكلمون ، قد جنى عليهم وأزدرأهم وورطهم وعرضهم بكل الوحشية ، كما اشترط عليهم وفيهم وطالبهم وألزمهم بما ليس حقاً او عدلاً او منطقاً ان يطالبوا او يلزموا به او يشترط عليهم او يفهم . انه بذلك قد القى عليهم تكاليف واعباء ليسوا اهلها ،

كما القى بهم تحت اقسى واشمل وادوم الاتهامات والتفاسير الفضاحة المهينة . ان وضع الكائن تحت المسؤولية والحاسبة وهو دون ذلك لعدوان ونذالة يستحقان العقاب والناتيم . .

ولكن كيف ؟ الى من حينئذ يشكى او يحاسب ويحاكم العالم ؟ ومن هم حينئذ الذين يطلب منهم ويلجأ اليهم لكي يتخذوا القرارات الملائمة ضده ولكي يوقعوا عليه العقوبات المتكافئة مع جنايته هذه على العرب ؟

ان الجاني حينئذ ليس سوى من يرجى ان يكون قاضيا او منفذا . .

ولكن هل يمكن الافتراض ، مجرد الافتراض ، ان العالم قد اقتنع او حتى افترض ان العرب قد بلغوا او قاربوا ان يبلغوا او انهم قد يبلغون اي طور من التكلم ؟ اليس هذا الافتراض عدوانا وحشيا على ذكاء العالم وعلى اخلاقه وعلى تصور تعامله مع نفسه ومع حضارته ، بل وعلى تصوره متعاملا مع شماتاته وعداواته واحقصاده وبذاته ، ومع انانياته ونشواته ومع جميع لذاته غير المهذبة او التقية او الذكية ؟

انه مهما كان قوة الاتهام وصحة لتقوى العالم او لتهديبه او لوقاره او لرحمته او لحبه وذكائه وعدله فانه لشيء ليس اقل من الاستحالة ان يصدق اتهامه اي اتهام للعالم بانه قد هوت به جميع مستوياته الاخلاقية والنفسية ، والحضارية حتى نجرو على هذا الاقتناع اي على الاقتناع بان العرب كائنات متكلمة او انهم بالتعلم او بالتدريب او بالتقليد والتلقين او بالتطور ، قد يصبحون متكلمين . .

لا . اننا لن نجرو على اتهام العالم بذلك ، اي على اتهامه بانه قد اقتنع او افترض بان العرب متكلمون . وهل يمكن ان يوجد قساة انذال يستطيعون ان يتهموا العالم بهذه التهمة ، اي يستطيعون ان يتهموه بانه قد اقتنع بان العرب قد بلغوا طور المتكلمين ؟ ان كل القساة الانذال لا تستطيع قسوتهم او نذالتهم ان تصعد بهم الى ان يتهموا العالم بانه يرى العرب متكلمين اي اكثر من مصوتين .

ان اتهام العالم بهذا الاقتناع لاكثر قسوة وعدوانا على العالم وظلما له من قسوة العالم على العرب وعدوانه عليهم وظلمه لهم لو انه اقتنع بانهم متكلمون لا مصوتون القاط . ان اتهام العالم بهذا الاقتناع قسوة على العالم ، وان اقتناع العالم بهذا الاقتناع قسوة على العرب . ولكن اي القسوتين اكثر وحشية وظلما وتجريحا ؟

لقد سمع العالم العرب ولا يزال يسمعهم وسوف يظل يسمعهم ، وقراءهم لا يقرأ لهم ولا يزال يقرؤهم او يقرأ لهم وسوف يظل يقرؤهم او يقرأ لهم . .

لقد قراهم وسمعهم تاريخا وحاضرا ، وسوف يظل يفعل ذلك بهم ومعهم ولهم ومستقبلا وابدأ . سمعهم وقراهم بشرا كما قراهم وسمعهم الهة وانبياء وخلفاء ، وكما قراهم وسمعهم نبوات وكتبا مقدسة . . .

فلو كان يراهم متكلمين - والمتكلم كائن يخطط ويدبر ويرى ويفكر ويحكم ويحكم ويحاسب ويحاسب ويفسر بل ويهاجم ويغزو - فماذا يمكن ان يصيبه اي يصيب العالم ، او ماذا يمكن ان يفعل او يكون حينما يسمعهم يتكلمون او حينما يقرؤهم او يقرأ لهم وهم يتكلمون ؟ هل يمكن ان يواجهه هولا مثل الهول الذي يواجهه حينما يستمع اليهم او يقرأ لهم لو كانوا متكلمين لا كائنات مصوتة فقط ؟

ماذا يمكن ان يصيبه او كيف يمكن ان يكون او يتصرف او يعيش - لو كلف يراهم متكلمين - حينما يسمعهم او يقرؤهم ويقرأ لهم وهم يهددون كل العالم بل كل الكون بانهم لا بد ان يحكموه ويملكوه ويهزموه ويذلوه ويغصوه ويصوغوه ، وان يفرضوا عليه كل مستوياتهم ونماذجهم النفسية والعقلية والاخلاقية والدينية والحضارية ، وان يلبسوه ويضعوه في كل ثيابهم وعباءاتهم وخيامهم واكفانهم ومقابرهم التاريخية - وانهم ايضا لا بد ان يكونوا كل انبيائه وقديسيه ومفكريه وقادته وعباقرته بل وكل الهته وكل كعبته وصلواته وكتبه المقدسة ؟ حتى كعبتهم انها لا بد ان تكون كل كعباته وكل قبلات صلواته ، وان حجارتها لا بد ان تكون كل مواقع قبلات شفاهه .

انه اي العالم دائما يسمعهم ويقرؤهم يقولون كل ذلك ويهددون كل شيء وكل احد بكل ذلك . فلو كان يراهم متكلمين ، يعنون ما يقولون ، اي يقولون ويفكرون ويحسبون ويحكمون ويدبرون كما هو محتوم ان يفعل المتكلم وكما هو التفسير العالمي والعلمي للمتكلم .

نعم ، لو كان يراهم متكلمين ثم سمعهم وقرأهم يقولون كل ذلك ويهددون به وهو دائما يسمعهم ويقرؤهم وهم يقولونه ويهددون به ، اليس محتوما حينئذ ان يصعبه ويذله ويهزمه ويرهقه ويعذبه الخوف والتوقع والاستعداد للمواجهة وللحذر والاتقاء لاقسى المخاطر والاحتمالات الرهيبة ؟ هل يستطيع حينئذ ان يضع في حساباته انه قد ينجو مهما كان حذره واتقاؤه ؟

كيف يستطيع ان يضع في حساباته انه قد ينجو من قوة لا مثيل لشمولها ولذكائها ولعبقرياتها ولعداوتها ؟

اليس محتوما حينئذ ان يقاسي العالم كل ألوان الخوف من كل ألوان المخاطر امام هذا المهدد الذي لا نموذج لقوته وقسوته ولطموحه وانانيته ولتخطيطاته الغازية والذي لا نموذج لشمول تهديداته ولصراحة هذه التهديدات ولقوة الايمان بها وللأصرار على تنفيذها وللإقتناع بالقدرة على تنفيذها ، والذي لا نموذج لاقتناعه بانه هو كل انبياء وعباقره كل البشر وكل مفكرهم وقديسيهم وقادتهم ، بل وانه هو وحده كل الهة البشر وكل كعبتهم وكل صلواتهم وكتبهم المقدسة بل وكل ثيابهم واكفانهم ومقابرهم وتاريخهم ، حاضرا ومستقبلا وماضيا ؟

ان كل العالم يجب ان يعيش في مقابر واكفان العرب والا فلا علاج له الا ان يموت
كما تموت الحشرات المريضة .

ان العرب لو كانوا في اقتناع العالم متكلمين لكان محتوما ان يظل اي العالم
مغشيا عليه ابدا تحت نوبات لا تنتهي من الذعر المجنون الدم

ان العالم حينئذ لا بد ان يسمع ويجد في كل الاوقات وامام كل القضايا والمواقف
والاختلافات زعيما او قائدا او نبيا او حاكما عربيا او الها عربيا او كتابا مقدسا عربيا
يعلم بكل الاقتناع والثقة والكبرياء ان العبريات العربية الشاملة المتنوعة لا بد ان تحكم
وتقود وتهزم وتذل وتسترق وتغزو وتصوغ وتؤدب وتعلم وتعاقب كل البشر ، كل
حضاراتهم وثقافتهم وعقولهم واخلاقهم واديانهم ومذاهبهم والهتهم وانبيائهم
وكل تعاليمهم وكتبهم المقدسة بل وكل جيوشهم في كل حاضرهم ومستقبلهم مثلما
حدث في كل تاريخهم . اليسوا قد فعلوا كل ذلك فيما كان ، ثم ليست نبواتهم
وكتبهم المقدسة تخبر انهم سوف يفعلونه فيما سوف يكون ويفعلونه ابدا .

فكيف يستطيع اي العالم ان يواجه ذلك او يطمئن الى اية كينونة من كينوناته لو
كان يرى ذلك كلاما اي لو كان يرى العرب متكلمين ، اي لو كان العرب يتكلمون
ويفهمون ماذا يعني الكلام ويعنون ما يعني ويلتزمون به ويخططون للالتزام بما يعني ؟

لقد استطاع العالم ان يحيا حياته ، وان يبذل ويجدد حضاراته ، وان يشيد
مدنه ومصانع و دور معارفه وصلواته ، وان ينشي ويدرب جيوشه ، وان يحدد
ويعلم حدود بلاده ، وان يكتب اديانه ومذاهبه ونظرياته ، وان يقرأ اسماء الهته
وانبيائه ، وان يستمر يصوغ ويطور جميع كينوناته .

لقد استطاع العالم ان يفعل كل هذه ، كل الوان حياته مطمئنا الى بقائهم
وبقائنا ، والى انه سيجدها في صباحه مثلما تركها حينما نام عنها وعليها في ليله
لانه كان مقتنعا بان جميع ما تطلقه الافواه العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ليس
كلاما يقرأ ويفسر ويحسب ويفعل ولكنه اصوات تعوي وتستفرغ وتستنكر . ان
الاصوات لا تقرأ ولا تفسر ولا تحاسب ولا تخيف مهما استنكرت او ازجت او
اغت او عبدت بها الالهة والزعامات .

لو ان العالم كان يعتقد ان العرب يتكلمون حينما يخطبون وينطقون ويعلنون
ويكتبون ، مهديين او مبارزين او معلمين او مباهين او مشاتمين او مفكرين لكان محالا
ان يطمئن الى انه سوف يجد في صباحه شيئا مما كان له في ليله ، مما امسى ونام
وهو في يديه ، اي ان يجد في صباحه شيئا او احدا من مدنه او مصانعه او مدارس
او معابده او جيوشه واربابه وانبيائه ومذاهبه واديانه ، او من حضارته واثاره
وامجاده او اية كينونة من كينوناته . .

نعم ، لانه لا بد ان يقتنع حينئذ ان العرب قد شربوا كل تاريخه وحياته ووجوده بانتصاراتهم وعبقرياتهم وتهديداتهم ..

لكان محالا ان يطمئن الى انه قد يجد شيئا او احدا من ذلك في مكانه او في ذاته أو في نموذجه أو في اية صيغة أو مستوى من صيغه ومسئوليته اي حينما يصبح • كيف يطمئن الى ان اي شيء من ذلك لم يفتك به في ليله ؟

اذن لقد عاش العالم بكل كينوناته واشيائه وبكل ايمانه واطمئنانه ، وعاش ووجد في صباحه كل ما عاشه ووجده في ليله لان العرب لم يكونوا متكلمين ، ولانه كان اي العالم يعلم انهم ليسوا متكلمين بل مصوتون يستقروغون انفسهم استقراغا حينما يبدون كأنهم يتكلمون ..

ان العالم لو كان يرى العرب متكلمين لامت بالاستحياء وبالاحاساس بالضالة وبالخوف من معاشيتهم او مواجعتهم او الاستماع لهم او من التحدث اليهم او من محاورتهم • انه لو كان يراهم متكلمين لصعقه الشعور بالفروق بينه وبينهم حينما يسمعهم ويقرأهم يتكلمون - حينما يسمع ويقرأ الهتهم وانبياءهم وخلفاءهم وشعراءهم يتكلمون .. حينما يسمع ويقرأ نبواتهم وملقاتهم وكتبهم المقدسة ترى وتروى وتحكم وتحسب وتتوعد وتتكبر وتحقر وتشتتم • ان العالم لو كان يرى العرب متكلمين يفهمون ويعنون ما يقولون لكان محتوما ان يصاب بنوبات متعاقبة من الذعر الدمري المهين القتال كلما خطب او تحدث زعيم أو قائد أو نبي عربي •

نعم ، ان العالم ليس غبيا أو همجيا أو ندلا أو متوحشا أو بذيثا أو فاجرا الشماتة الى المستوى الذي يجعله يهبط في عدوانه وعداوته وفي تحقيره اي في شهوته المحترقة للآخرين الى ان يقتنع بان العرب يمكن ان يقرأوا او يسمعوا او يحاسبوا او يفهموا ويفسروا ويحاوروا ويسألوا كما يفعل مع المتكلمين وبالتكلمين • انهم اي العرب يسمعون فقط ثم يغفر لهم كل شيء بل ثم لا شيء غير ان يسمعوا ، لا شيء يفهم او ينتظر او يراى • انهم يسمعون دون ان يستمع اليهم ..

ان علينا ان نعرف هذا .. ان نعرف ان العالم قد يقرأ لنا ويسمعنا ويحدثنا ويتحدث معنا ويحاورنا ويسألنا ويقابلنا ويعاملنا ويخطب فينا • وقد يذرف دموعه وأهاته ويصلي لنا بكثير من احزانه تفجعا وتأثرا بسماعه وقراءته لنا بأسلوب المستمع الفاهم المتلف • وقد تسيل دموعه على خدودنا ودموعنا على خدوده ، كما قد يذيب اكباده باحزاننا ، واكبادنا باحزانه علينا ولنا •

ان العالم قد يفعل كل ذلك لنا وبنا ولكن دون ان يفهمنا او يفسرنا او ينتظرنا او ينتظر منا او لنا او يتوقعنا او يحاسبنا او يعاملنا كما يفعل مع من يتكلمون • انه يهبط الصيغة دون ان يهبط المعنى او التفسير ..

بل انه قد يهبنا الاسلوب دون معناه ودون نيته اكثر مما يهبه اي اكثر مما يهب الاسلوب ان يراهم متكلمين . انه تعويض او رثاء أو خوف من معرفة الحقيقة ومعرفة ما في النفس . انه قد يهبنا كل صيغ ونصوص عينيه واذنيه ومحاوراته بل انه حتماً ليهبنا كل ذلك دون أن يهبنا شيئاً من تفاسيره اي من تفاسير عينيه او اذنيه او محاوراته ..

**

العرب ظاهرة صوتية .. نعم ، انه حكم لا يفرضه المنطق او التفسير للأشياء والتحديق فيها فقط ، كما لا تفرضه الاخلاق او الشهامة او ارادة العدل او الصدق فقط . بل وتفرضه ايضا الشفقة ورفض الوقاحة والهجاء والتحقير والعدوان . انه حكم يفرضه كل ما في الانسان من معاني قوية وناقدة ومفسرة ، وايضا من معان جيدة وصادقة ورحيمة ونبيلة مهذبة . انه حكم يفرضه الحب والاحترام للعرب . ولكن هذه القضية لا تزال تحتاج الى مزيد من التفسير والايضاح ..

الانسان العربي بالتصويت يفكر ويحاور ويقاوم ويقاقل وينتصر ويتحضر ويتطور ويحل المشاكل ويجد ويرضي ويغضب ويحب ويبغض بل ويؤمن ويصلي ويفتنع بالالهة والاديان والازاهب والانبياء والزعماء بل وقد يمارس الحب والجنس بالتصويت كما يبتكر ويكتشف ويسبق كل العالم في افاق الابتكار والاكتشاف وفي غزو الاكوان البعيدة بل وغير الموجودة بالتصويت ايضا . انه يبدع وينتصر ويملك ويتفوق بالتصويت اكثر واقوى واذكى مما يفعل ذلك غيره بالفعل ..

انه في جميع مواقفه ومواجهاته وفي كل تاريخه يفعل كل ذلك بأسلوب ومهيات وحماس واقتناع وجد وجهر من يفعله بكل قوة السلاح والبطش والتنظيم والتفكير والذكاء والانتصار . انه لا يشعر انه يوجد اسلوب اخر اقوى او اذكى او افضل من اسلوبه اي من تصويته في مواجهة جميع الاشياء ليخلقها او ليهزمها .. انه يصوت على كل الاشياء والمشاكل وعلى كل الاصدقاء والاعداء وامامها وامامهم وكأنه يضرب ويعالج ويفعل ويبعد وينقذ وينفذ ويفكر بكل الايدي والعضلات والاسلحة والاساليب والادوات والعقاقير والعقول .. بكل ايدي وعقول وعضلات وشهوات جميع الالهة والملائكة والابالسة .. لكي ينتصر ويدوي ويحل ويفهم ، ولكي يقتل ويدمر ويزيل ويبني ايضا ..

ان تصويته ليعلو ويصاب اي تصويته بالحدة والجد والاقتناع والاهتمام والحماس والاصرار والديمومة والاعلانية بقدر ما تكون المشكلة او القضية او المواجهة كبيرة او عظيمة او حادة او مخيفة ، كما ان الضرب والسلاح والتخطيط يجب ان يكون قويا وذكيا وحادا بقدر ما يكون العدو قويا ومخيفا وضاربا ، وكما ان التفكير

يجب ان يكون علميا وواعيا وشاملا وحذرا بقدر ما تكون المشكلة او العقدة او القضية صعبة او خطيرة او ذات حسابات ونتائج كبيرة وبعيدة ، وكما ان الطبيب يجب ان يكون طبيبا بقدر ما يكون المرض مرضا اي وببلا وعنيدا ومجهولا ومنقصرا اوقع بالعالم العربي اقصى هزيمة او مأساة او ورطة ثم لا تشك فيما سوف يحدث ؟ انه التصويت ، التصويت ، بكل لغاته وافانيته وجنونه . ان اذان العالم لا بد ان تعاقب كلما واجه العرب موقفا صعبا ..

ان الانسان العربي ليكون قويا في صوته ويرى ان عليه ان يكون قويا في ذلك في المواقف والمواجهات والمشاكل التي يكون الآخرون او المتكلمون اقوياء فيها بضرباتهم وافعالهم وذكايتهم وافكارهم ، والتي يرون ان عليهم ان يكونوا فيها اقوياء . اجل ، ان الانسان العربي ليرفع صوته ويحترم صوته ويؤمن بقيمته وبفزع صوته بقدر ما تكون المشكلة او القضية حادة او خطيرة او مستعصية ..

لهذا فان من الممكن ولو احيانا ان نفهم حدة او قسوة او خطورة القضية او المشكلة او التهديدات التي يواجهها الانسان العربي بأسلوبه في التصويت ، كما ان من الممكن ايضا ولو احيانا ان نعرف قيمة القضية او المشكلة او الاخطار التي يواجهها الانسان الآخر اي الانسان المتكلم من أسلوبه في الصمت والوقار والتدبير والتفكير والاعداد . ان الانسان العربي ليصوت جدا حيث يجب او ينبغي ان يضرب ويفعل ويدبر ويفكر ويصمت جدا اي حيث يصنع الآخرون النقيض ..

ان الانسان العربي لا يشعر انه محتاج الى الاستتار او الاستحياء ، كما لا يشعر انه يفعل شيئا غير ذكي او قوي او منطقي او بطولي او مفيد او غير فعال - نعم ، انه لا يشعر بشيء من ذلك حينما يذهب بجراً وبصيفة المناضل الجاد العبقري يحدد في التصويت على كل شيء وكل احد كل القوة والسلاح والعلاج والمقاومة والانتصار ، وكل الذكاء والتفكير والتدبير ، بل وكل الايمان والمذهبية والتدين والتقوى ، وكل العطاء والفداء للوطنية والقومية ، بل وكل الثورية بكل معانيها وصيغها واطوارها . انه حينما يفعل ذلك وهو ما يفعله دائما لا يشعر ان كل العيون والعقول والاذن والاحداث والاشياء تهزأ به او تتعجب منه او تتعذب وتتعزى بسذاجته ومن سذاجته ، او تقاسي من الرثاء له ، او تتعزى بالشماتة به ..

ان اردنا واقبح ما في هذا انه اي الانسان العربي يذهب ويظل حينئذ يتوقع بتفاؤل كبير ان تجيء النتائج كما يتحدث عنها وكما يريدها ويتمناها . وكيف لا تجيء الاشياء والاحداث كذلك وقد صوت عليها بكل عبقريته الصوتية ؟ وحين تجيء خارجة على جميع امانيه وتوقعاته وتقاسيره وكما لا بد ان تجيء ، يصاب باقصى صدمات الذهول والتعجب من مجيئها كذلك ، من مجيئها كما يظن ويعلن خارجة دائما على

المنطق والواجب والحق وعلى النضال والتدبير القويين العبقريين الصادقين اللذين يجب ان يكونا منتصرين دائما في كل المواقف .. نعم ، لا بد ان تكون كل ابالسة الكون قد تأمرت لكي لا تأتي النتائج كما هو محتوم ان تجيء وكما يجب ان تجيء ..

لقد صوت دائما على كل قضاياء ومشاكله ومع هذا لم ينتصر ولم تتحرك الاحداث كما يريدونها ويطلبونها . كيف حدث هذا ؟ لا بد ان يكون في الامر خدعة او عقدة او مؤامرة بشرية او كونية طبيعية ..

ان الصهيونية حتما ليست بريئة . حتى تأمر الطبيعة . انه بتدبير وتخطيط الصهيونية الكونية حتى الطبيعة انها قد تدبر وتصنع المؤامرات ضد الانسان العربي ، ضد الهته وانبيائه واديانه واوطانه وحضاراته وتفوقه بل وضد لغته . ليست الطبيعة هي التي خلقت اعداء العرب ومبتهم الذكاء والمكر والقوة لكي يستطيعوا ان ينتصروا في تدبير وصياغة المؤامرات ضد العرب ؟ أليست الطبيعة هي التي تهب الاقوياء الاذكياء قوتهم وذكاءهم ، وتهب الضعفاء الاغبياء ضعفهم وغباءهم؟ ولماذا وهبت اعداء العرب او الذين سوف يصبحون اعداء لهم ، القسوة والذكاء ، ثم وهبت العرب نقيض ذلك ولو احيانا ؟ هل لهذا تفسير الا ان الطبيعة تدبر وتصوغ المؤامرات ضد العرب ؟ لماذا جاءت الصهيونية ذكية وقوية وماكرة بكل هذا الشمول ؟ اليس التفسير ان الطبيعة جعلتها كذلك لكي يكون فنكها بالعرب شديدا ؟

اذن حتى الطبيعة تتآمر ضد العرب . بل وهل يوجد متآمر ضد العرب مثل الطبيعة ؟ اليس اقصى المتآمرين عليك هو من يصنعك ضعيفا بليدا ويصنع عسوك قويا ذكيا ؟

ولكن هل يمكن ان يقتنع الانسان العربي بان الاحداث قد جاءت على غير ما يتوقع ويشتهي ، او انه قد هزم او اذل او أهين ، او انه قد صغر او تضائل او تحول الى عار وافتضاح ، في اي موقف من المواقف ؟ اجل ، ان الاحداث قد تتظاهر بانها قد جاءت على غير ما يريد الانسان العربي تظاهرا فقط خبثا وكيدا وتآمرا منها عليه .

لو ان جميع هزائم الدنيا وعارها وفضائحتها ومهاناتها وتحقيراتها قد تجمعت كلها بكل صيغها ولغاتها وتفسيرها في ضربة واحدة على كل بلد وعلى كل احد وكل شيء في العالم العربي ، فقام خطيب عربي ، حاكم او زعيم او غير ذلك في حشد قد تجمع فيه كل ابناء العروبة الذين يعيشون كل هزائم الدنيا وكل عارها وفضائحتها واماناتها ومذلاتها وتحقيراتها ، فتلا ذلك الخطيب العربي على حشده العربي الجامع اية قديمة جدا من الكتاب المقدس ، او رواية من الروايات القديمة جدا عن النبي العربي ، او قصيدة عن شاعر عربي ، او قصة عن غزوة عربية في احد كهوف او جيوب التاريخ ، تعلن هذه الاية او الرواية او القصيدة او قصة الغزوة العربية بكل فصاحة

عربية ، بكل موهبة العرب الصوتية ، ان العرب هم دائما كل القوة والانتصارات والمجد والذكاء والعزة والكرامة والقيادة والعبقرية ، وكل التدين والايمان والتقوى والتهذيب ، بل وكل عقل الاله وضميره وحبه وهواه ومجده وسعادته وجماله وتاجه فوق هذه الارض وفي كل الاكوان ، في كل الزمان والمكان . . وتعلن ايضا ان جميع الالهة المختبئين في كل كهوف السماء المتوزعين على كل أطوار وبداعات التاريخ قد تعهدوا مقسمين بكل جبروتهم وتقواهم بان يجعلوا العرب دائما كل ذلك . . قد تعهدوا به والتزموه واقسموا عليه بوثائق وعهود مكتوبة قد جاء بها جميع انبيائهم منزلة في جميع كتبهم المحفورة حروفها على ظهور وجباه واكف جميع الاشياء بل على جميع اعضاء الاشياء المحرمة المخافة . . المحفورة على ايدي واقدام واسلحة وطرق وافاق جميع الاعداء . .

نعم ، لو ان ذلك حدث لكان محتوما ان يتحول جميع الحفل الجامع لجميع ابناء العروبة الى هتاف صارخ جدا وصلوات مجنونة من الاعجاب بامتلاكهم لجميع الانتصارات والامجاد والقوة والكرامة والشرف والكبرياء والذكاء والتفوق والحضارات ولكل الماضي والحاضر والمستقبل ، بكل ما في ذلك من الهة ونبوات واديان وايامن وتقوى وكتب منزلة ، ولما بقي انسان واحد في الحشد الجامع الرهيب يشعر بان عليه ان يتواضع او يخجل او يتوارى او يهاب تحديق العيون الاخرى فيه ، او ان ينظر في المرأة بحثا عن اي غضب او حيرة او تساؤل في وجهه ، او ان يهرب من كل مرآة خوفا من مواجهة وجهه لعينيه ، او ان يخفض شيئا من رأسه رحمة بالشموس والنجوم لئلا يحطمها باصطدامها بها ، او ان يضع رأسه مع اي رأس اخر في مباراة صعود كوني لا حدود له ولا توقف فيه . نعم ان اي عربي لن يقبل حينئذ ان يضع رأسه مع اي رأس اخر في مباراة مناطق للشموس بالرؤوس . .

اجل . ان آية مقدسة او رواية عن نبي او قافية من الشعر او قصة عن حدث تاريخي وقع او زعم وقوعه ، او خطبة مطلقة كل الرعود - اجل ، ان آية واحدة من هذه يسمعها او يقرأها الانسان العربي بتصويت عربي جيد لتستطيع ان ترتفع به عن واقع يعيشه اليوم وكان يعيشه بالامس وسوف يعيشه غدا ويعيشه ابدا ، عن واقع لا مثيل لما فيه من الهوان والعجز والبلادة والعذاب والظلم والهزائم والظنيان . بل ان سماعه او انشاده لذلك ليجعله لا يرى هذا الواقع او يذكره أو يخافه بل او يتصوره ان الانسان العربي سامعا ومنشدا لنفسه ليصعد فوق كل الاكوان ويتخطى كل الهزائم والمهانات والتفاهات . .

ان تصويت الانسان العربي على نفسه ولنفسه وتصويت بعضه على بعض وبعضه لبعض لا يترك له او امامه او فيه اي واقع اليم او حزين او ردي . ان هذا التصويت لا يترك لعينيه ان ترى ، ولا لعقله ان يعرف او يفكر او يحسب او يتوقع ، ولا لاخلاقه

او كرامته او كبريائه ان تشمئز او ترتجف او تعاف ، ولا لضميره ان يتعذب كما لا يترك لطموحه ان يطالب او يتلفت او ينتظر او يسافر ...

بل ان تصويته هذا لا يترك له شيئا من عينيه او عقله او ضميره او اخلاقه او كرامته وكبريائه . ان كل شيء فيه يتحول الى تصويت . انه لا يشعر ان هناك ما يفعل او ينتظر او يطلب غير التصويت ..

ان تصويت الانسان العربي لنفسه وعلى نفسه ليهبه دائما واقعا جميلا عظيما مجيدا . انه ليهبه ما لا وجود له ويقنعه بوجوده . بل ان تصويته باسم واقع جيد واعلانا عن واقع جيد لا وجود له لافضل واعظم في حساباته واحاسيسه وفي رضاه عن كينونته من وجود هذا الواقع . انه لا يعرف انه يوجد فرق ولا يحس بوجود فرق ولا يسائل نفسه عن وجود فرق بين التصويت للشيء الجيد الذي لا يوجد وبين وجود هذا الشيء الجيد ..

بل ان تصويته لنفسه ليهبه كل الواقع الجيد العظيم الجميل المفقود .. ان نشوة التصويت مطلقا ومسموعا تسلبه القدرة على التمييز بين كون الشيء موجودا وكونه مستحيلا بل تسلبه القدرة على التمييز بين معنى وجود الشيء ومعنى فقدته ..

انه لا يتصور ان الواقع الجيد والريح مطلوب وجوده ، بل ان كل تصوره ان المطلوب هو فقط التصويت باسم ذلك الواقع الجيد والملائم الذي لا وجود له والذي لا يعني وجوده شيئا . ان كل المطلوب هو التصويت على الشيء وللشيء المحسوب والمتصور جيدا ومجيدا . ان الساب والمعير لا يعني الا ان يسب ويعير وهكذا المصوت . انه ليس في القضية وسيلة وغاية . ان الوسيلة هي الغاية ..

ان التصويت بمجد القبيلة وبشجاعتها وانتصاراتها وقوتها وبكرمها - ان التحدث عن ذلك واعلانه باصوات عالية لاعظم واكثر تمجيда للقبيلة وثناء عليها من امتلاكها المجد والشجاعة والقوة والانتصارات والكرم .. ان اية قبيلة عربية لو خيرت بين ان تكون كل المجد بلا تصويت وبين الا تكون شيئا من المجد مع التصويت بانها كل المجد لما وجد شك في الذي سوف تختاره .

ان كل عربي ليفضل التصويت له بالمجد بلا اي مجد على امتلاكه لكل المجد بلا تصويت !!

اجل ، ان الاستماع الى امتداح القبيلة وامتداح مجدها لاعظم دائما من نفس مجدها في احاسيس القبيلة نفسها وفي احاسيس المادح المنشد الصارخ المهتاج امام وفوق جماهيره الضاجة المهتاجة ..

ان المناير العالية الضاجة بالاصوات والاناشيد هي كل سموات الانسان العربي ..

ان اعظم احتياجات العرب هي احتياجات اذان ، وان اعظم امجادهم وانتصاراتهم ووقائعهم وتاريخهم ومعاركهم ونشواتهم هي امجاد وانتصارات ووقائع وتاريخ ومعارك ونشوات تهديها الافواه الى الاذان ، وان ميادينها هي المسافات الممتدة ما بين الاذان والافواه . ليس هذا طاقتهم فقط بل وطموحهم ومعرفتهم وتمنيهم وشهوتهم وثقافتهم واشواقهم ..

ان كل هذا الكون لو تحول الى هدية لجاءت اقل مما تهديه الافواه العربية للاذان العربية .

اجل ، ان جميع الامجاد العربية العظيمة لم تجد في كل تاريخها مكانا تولد وتحيا وتتحرك وتعمل وتخلد فيه غير المنطقة الواسعة جدا الواقعة بين الافواه العربية والاذان العربية . انها لا توجد منطقة يتخلق فيها او يمر منها مثل الذي يتخلق ويمر في المنطقة الواقعة بين اذان العرب وافواههم ..

ان جميع عبقریات العرب وطموحهم وتقواهم ولذاتهم هي عبقریات وطموح وتقوى ولذات اذان وافواه . انهم لا يتعاملون مع شيء او يؤملون في شيء او ينتظرون من شيء ، مثلما يتعاملون مع افواههم واذانهم ومثلما يؤملون فيها وينتظرون منها وانهم لا يحترمون شيئا مثل احترامهم لأفواههم واذانهم .. أو لملهم لا يحترقون أو يحرقون شيئا مثلما يحترقون ويحرقون اذانهم وأفواههم .

انه لا توجد علاقات تعامل ومحبة وثقة وتلاؤم بين شيئين او اكثر مثل العلاقات التي بين افواه العرب واذانهم .. ليت كل العالم يتعلم نبل العلاقات بينه من نبل العلاقات بين الافواه العربية بل ليت العرب انفسهم يتعلمون ذلك من اذانهم وافواههم .

ان الافواه العربية مصوبة في الاذان العربية هي كل مجد العرب التاريخي . انها كل الهتهم وانبيائهم وحروبهم وانتصاراتهم وكل حبههم وتقواهم وايمانهم ومذاهبهم ، بل وكل عزائهم ومسراتهم .. نعم ، هل كانت كل الهة العرب وانبيائهم وجميع امجادهم الا عمليات قذف او الا قذائف تقذفها افواههم الى اذانهم وعلى اذانهم .

ان جميع طاقتهم ومواهبهم البشرية تتجمع في افواههم لتزحف على اذانهم ..

انهم لا يرون او يشعرون ان البشر قد وهبوا او انهم قد يوهبون شيئا غير الافواه مستفرغة في الاذان . انهم يعنقدون ان مجد كل شيء وكل احد هو فمه واذنه . حتى الالهة والانبياء ، ان كل مجدها في اعتقاد العرب هو افواها واذانها . ان مجد

الالهة ان تصرخ طالبة امرة ناهية شاتمة مهددة متوعدة ، وان تستمع بابتهاج ونزق طفولي الى الصراخ الموجه اليها بأسلوب صلاة أو ابتهاج أو تضرع أو شكاة أو مطالبة أو بكاء أو بأسلوب شتم للاخزين ودعاء واستعداد وتحريض عليهم وشايات ضدهم .. اجل ان الالهة تجد في الشتم والوشاية والتحريض والاستعداد والبغضاء باسمها ولديها مجدا لها وسرورا بل وكبرياء !

اما مجد الانبياء في اقتناع العرب فهو نقل صراخ الالهة وتعليمه ونشره والالزام به وتحويله الى اخلاق انسانية والى سلوك مجتمعات . انه لا احد له من المجد مثلما للالهة والانبياء من مجد الصراخ ومجد الاستماع الى الصراخ ومجد نقل الصراخ وتعليمه ..

ان كل شيء واي شيء ليس سوى فمه واذنه ، حتى الالهة والانبياء . هكذا قد اقتنع العرب وعاشوا وتصرفوا . ان اعظم امجاد العرب وتاريخهم هي امجاد اذان وافواه وتاريخ اذان وافواه . انهم لم يجدوا من يحاييهم او يهيبهم بلا حدود او شروط غير اذانهم وافواههم ..

ان العرب لا يعظمون شيئا مثل تعظيمهم للاذن لان الاذن هي وحدها المستقبل للفم المصوت ، المرحب به ، المتعامل معه ، انه لا يوجد صديق او مستقبل مرحب هاتف للفم غير الاذن او مثل الاذن ..

لهذا يرى العرب ان الاذن هي انبل واعظم هبة تقدم لاي كائن حتى ولو كان هذا الكائن هو الاله . هل يسعد احد بشيء مثلما يسعد الاله باذنيه مستمعا الى الصلوات والتضرعات والامات رافضا الاستجابة لها او عاجزا عن الاستجابة ؟

ان في تعامل العرب اللغوي وفي رواياتهم عن نبيهم بل وفي كتابهم المقدس ظاهرة مثيرة قد تكون تعبيرا عن مجد الاذن في اقتناعهم وفي تعاملهم ..

لماذا الأذن قبل العقل في بلاغة القرآن

العرب دائما او غالبا يذكرون الاذن او حاسة السمع اول الاوصاف الحميدة المطلوبة حينما يصفون احدا من البشر او من الكائنات الاخرى . وكذلك ايضا يذكرونها اول الاوصاف المسلوقة او المفقودة التي يجب او ينبغي ان توجد حينما يتحدثون بأسى او بشماتة او بتهديد او بغضب واستنكار عن فقدها . . . انهم مثلا يقولون : هذا يسمع ويرى ، او يسمع ويفهم ، او يسمع ويطيع ويعرف - حينما يريدون ان يمدحوا او يطمئنوا او يثقوا . أما حين يريدون الذم او التعبير عن الخيبة والتخوف وفقدان الامل او الثقة فانهم يقولون : هذا لا يسمع ولا يرى ولا يفهم ولا يعرف ولا يطيع ولا يستطيع .

انهم دائما او غالبا لا يذكرون اية حاسة او صفة قبل الاذن او قبل الوصف بالسمع لا حينما ينفون ولا حينما يثبتون حتى ولا الوصف بالعقل او العلم او بالحكمة او الخبرة . اي ان الاذن هي البدء حتى حينما يكون العقل والعلم والحكمة والخبرة موجودة وحاضرة . . . واذا حدث غير ذلك فكانه الخطأ والخروج على القانون . .

وهذا الاستعمال او الالتزام يكون ظاهرا في القرآن حينما يصف الاله او البشر او اي كائن ، مادحا او ذاما ، معجبا او مستنكرا . اننا نجده يقول أمثال هذه الصيغ : (ان الله سميع عليم) (وكان الله سميعا بصيرا) (وكان الله سميعا خبيرا) (وكان الله سميعا حكيم) (انني معكما أسمع وأرى) (صم بكم عمى فهم لا يرجعون) (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير) . لست اذكر انه جاء في القرآن : (ان الله عليم سميع) او (حكيم سميع) أو (خبير سميع) او (بصير سميع) . .

وهذا يتكرر كثيرا في آيات القرآن الذي هو فن العرب ومنطقتهم وبلاغتهم وموهبتهم ، او الذي هو فن ومنطق وبلاغة وموهبة بعضهم او واحد منهم وافقه وصدقه وآمن به كثيرون منهم ، او الذي هو أشهر مالهم من فن ومنطق وبلاغة وموهبة ،

او الذي زعموه او زعمه فريق منهم كذلك . او الذي هو اسى فنون ومنطق وبلاغة ومواهب الاله الذي صاغ نفسه او الذي صاغته نفسه على نموذج الانسان العربي وعلى مقاساته الذاتية والنفسية والفكرية والاخلاقية والبلاغية بل واللغوية . بل الذي كانت كل اشواقه وطموحه ومحاولاته ونضاله ان يكون تقليدا للانسان العربي في كل ظروفه ومستوياته وبدائياته وجاهليته الاولى - ان يكون تقليدا شاملا ومتقنا للانسان العربي ، بل ان يكون نفس الانسان العربي حتى في حقه وكرمه وعداوته وخصومته وغروره وتفآخره وفي اعجابه بنفسه وبآبائه وبصحاريه وفي اقتناعه بتفوقه على كل كائن اخر ، بل وفي اعجابه وتباهيه بأميته الحضارية والفكرية والتاريخية بل وبأميته امام القلم والحرف والكتاب ، اي حتى بأميته المتكبرة على معرفة القراءة والكتابة . ألم يمدح اي الاله قومه او نمودجه الاعلى العرب بانهم لا يقرؤون ولا يكتبون لانه هو لا يقرأ ولا يكتب ؟ لو كان الاله يقرأ ويكتب فهل يمكن ان يمدح نمودجه اي الانسان العربي والنبي العربي بانه لا يقرأ ولا يكتب ؟

ولكن ماذا يعني هذا اي جعل الاذن هي اول الاعضاء او الاخلاق او المواهب حتى في الاله وللاله ، جعلها قبل العلم والحكمة والخبرة والرؤية وقبل كل شيء ؟ اليس هذا يعني القيمة والتفوق والتمجيد وضخامة الوظيفة ؟ وهل يمكن ان يكون للاذن اية قيمة او تفسير او وظيفة انسانية او تعليمية لولا الفم الذي يستفرغ فيها ، اي لولا الالهة والانبياء والطغاة وجميع اصناف المعلمين والمصوتين الذين يستفرون بأفواههم ومن افواههم كل قبحهم وقيحهم وطغيانهم واكاذيبهم وخداعهم فيها اي في الاذن ؟

نعم ، ليس كل عمل الالهة والانبياء والطغاة والمعلمين الاستفراغ في الاذان ؟

ان الاذن ليست لها قيمة ذاتية . ان كل قيمتها انها تستقبل المستفرغين فيها الباصقين عليها الشاتميين لها . انه لا شيء يهتم بالاذن ويعرف قيمتها مثل الفم . ولا يراد بالفم هنا كل فم او اي فم ، بل الفم المراد هنا هو فم الالهة والانبياء والطغاة وجميع الوان المعلمين والغزاة لعقل الانسان ولذكائه وكرامته وشرفه ولاخلاقه من نوافذ اذنيه . انه لا يوجد اي ممر للالهة والانبياء والطغاة في هذا الكون غير اذني الانسان ليمروا منهما لا الى عقله او قلبه او ضميره بل الى كرامته وذكائه وكبريائه هازمين مذلين ساحقين ..

ولهذا فانه لا احد يرحب ويسعد بتخلق الاذان وبوجودها دائما واسعة وبلا حماية ، بل لا احد يسعد ويرحب ويطالب بتحول الانسان كله الى آذان اي الى آذان فقط مثل الالهة والانبياء وجميع اصناف الطغاة والغزاة للانسان ، مع احتمال وجود المنافسين والمزاحمين لهم .. وهل وجد او يمكن ان يوجد اي مكان في هذا الكون للالهة او للانبياء او للطغاة والمعلمين غير آذان الانسان ؟

لو ان الفم اعني اللسان حينما جاء وجد الانسان بلا اذنين فيهما كل هذه الطاقة المستقبلية ، فيهما فقط وظيفة الاستقبال ، فهل يقبل اي الفم اعني اللسان ان يركب نفسه في الانسان ؟ بل لو انه اي الفم حينما جاء وجد الاذن محروسة بالكرامة او بالكبرياء او بالذكاء او بالمسألة او بشيء من ذلك فهل يقبل المجيء او التخاطب معها ؟ او لو ان الالهة والانبياء وسائر الطغاة والمعلمين حينما جاءوا لم يجدوا المجتمعات او لم يجدوا الانسان فهل يقبلون ان يجيئوا او ان يصبخوا آلهة او انبياء أو طغاة أو معلمين ؟ اذن فالتمجيد للاذن او للسمع ليس الا تمجيذا للسان اي تمجيذا للتصويت وليس الا تعبيراً عن الحاجة اليه اي الى التصويت .

لعل الفم اعني اللسان قد تقبل ان يركب في الانسان بدءاً لان الصدفة العجيبة قد جعلت الانسان العربي هو اول انسان تعامل معه الفم اعني اللسان ، اي تعامل مع اذنيه حينما جاء مبتدئاً مجيئه وعمله . لقد كانت تجربته الاولى مع اذني الانسان العربي ، لهذا تقبل المجيء وسعد به واصر على البقاء . وقد كان محتملاً الا يقبل اي الفم الصوت ان يجيء او ان يبقى لو ان تجربته الاولى كانت مع آذان غير عربية .

انه لاحتمال قوي بان يصدم اي الفم لو كانت تجربته الاولى مع آذان غير عربية . وقد يرفض المجيء حينئذ . . أليست الاذان اي غير العربية حراسة وشروطاً صعبة مشددة على الانواء ؟

انهم يهبون الاذن كل هذا التمجيد والتثمين لانها في حساباتهم او في تجاربهم او في امالهم تستقبل الفم المستفرغ فيها استقبالا مباشرا وبلا شروط او استئذان لاي جهاز او عضو او كائن اخر . . تستقبله لتؤمن وتهتف وتطيع ، لا لتحاور او تحاسب او ترفض او تخجل او تستنكر او تعاقب . انه لا كائن يحق له او يجب عليه ان يحاور ويحاسب ويغضب ويرفض وينكر بل ويعاقب ويعصى مثل الاذان . . ان الاذان لو كانت تفعل ذلك لما وهبوا شيئاً من هذا التقدير والتعويل عليها بل لخافوها وقاوموها كما يقاومون ويخافون الفكر المحقق في نياتهم وافكارهم واخطائهم ، والعيون المحقة في عيونهم وعاماتهم وخطاياهم ، والاضواء التي تعري ظلام ليلهم والتي تسلبهم مغامم ظلامهم . ان جميع الطغاة والدجالين والالهة والانبياء يعشقون الاذان ويريدون ان يتحول كل شيء الى اذان ولكن كم يرهبون ويلعنون ويعاقبون التفكير ؟

انها اذان صوتية لا فكرية اي يصوت لها وعليها ولا يفكر لها او فيها ولا تفكر هي فيما يلقي فيها او لما يلقي فيها . آه لو ان الاذان تحولت الى تفكير وتحديق ومحاوره ومحاسبة . . كم تصبح مرهبة مكروهة مرفوضة مشقومة ؟

انها اي هذه الاذان لا تساوي الا السماع اي الا ان تسمع ، وان السماع لا يساوي او لا يعني عندها وعند المستفرغين فيها الا الطاعة . ولكن الطاعة لمن ؟ لاصحاب اجهل

واوقح وأعلى الافواه والاصوات - ايللاله والانبيا والطفاة وسائر المعلمين واللصوص باسم الاديان والمذاهب والاخلاق والانسانية .. انه لا يوجد شيء فيه من البذاءة والدماغة والسوء مثلما في افواه الالهة والانبيا والطفاة وسائر المعلمين ..

انهم دائما يقولون « السمع والطاعة » انه لا قاض ولا تصادم ولا اختلاف بينهما من اي نوع . وان اي واحد منهما لا يكون بدون الآخر . لا سمح بلا طاعة ولا طاعة بلا سمح ، حتى الطاعة بلا سمح مرفوضة ومستنكرة ، لانها اي الطاعة يجب ان تكون خضوعا للامر والنهي اي خضوعا لاصحاب الافواه الكبيرة العاتية الوقحة المستتبدة الغاوية المخادعة . انه ليس المطلوب هو السلوك المعين فقط بل السلوك المطيع اي الذي هو تنفيذ للامر الموجه من الاقوياء .

انهم يفرضون على كل البشر ان يقولوا : (سمعنا وأطعنا) . ويرفضون بكل الاصرار والقسوة ان يقولوا : (سمعنا وفكرنا) او (سمعنا فلم نقنع) او (سمعنا فجادلنا او فلم نفهم او فرفضنا او فرفضنا شيئا واطعنا شيئا او اشياء او (سمعنا وسوف نرى) . ان جميع الالهة والانبيا والطفاة والمعلمين في كل العصور ليرفضون ان يقال لهم : (سمعنا وسوف نفكر او ننظر او نعرف ..)

ان كلمة (سمعنا) لا تعني في جميع افتراضاتهم وتعبيراتهم حتى حينما توضع على لسان الاله او حينما يضعها الاله على السنة انبيائه - نعم ، ان كلمة : (سمعنا) لا تعني في كل الاستعمالات والافتراضات الا : (اطعنا ، اطعنا) (غفرانك ربنا واليك المصير) . ان احدا منهم لن يقف حينما يسمع كلمة سمعنا ليسألها : هل يمكن ان تعني غير : اطعنا ، اطعنا ..

ان الاذن التي تسمع لتطيع فقط هي حتما اذن صوتية لا فكرية بل انها ليست اذنا ولكنها طغيان مهاجم . انها طريق طغيان واستعباد مفتوح مباح .. انها طريق جميع اللصوص والغزاة الى عقولنا وضمايرنا وضعفنا النفسي والفكري والاخلاقي .. ان الاذن السامعة الطيعة هي اوقح هدية اهدتها الطبيعة الى الالهة والانبيا والطفاة واللصوص ..

ان مثل هذه الاذن ليست الا حشودا متلاحقة من الغزاة البغاة المتوقحين القادمين من كل الاماكن والجنسيات وتحت كل الرايات والشعارات والمزاعم . اما الفم الذي يأمر ليقال له سمعنا وطاعة لا ليقال له : اعرض وفسر نفسك ، قف خاشعا متواضعا مؤدبا لكي نفهمك ونحاسبك ونقرأ معانيك ونياتك ، ونعرف من اين قدمت ولماذا قدمت ، والى اين انت ذاهب ومن مرسلك ولماذا ارسلك ، وهل جئت البنا من الباطن بعد ان استأذنت واذا لك بالدخول ، ام انك قد هجمت علينا من الشقوق ، من شقوق التاريخ والاوهام والمذاهب والشعارات ، ومن شقوق ضعفنا وبلادتنا ومجاعاتنا النفسية والانسانية والتاريخية ، ومن شقوق تركيبتنا الاجتماعية المختلفة .

- نعم ، اما مثل هذا الفم فانه ليس فما فكريا او كلاميا ولكنه فم صوتي بل انسه ليس فما ولكنه غزو وعدوان وقح • وهل وجد في التاريخ او هل يمكن ان يوجد غزاة للانسان مثل الافواه في كثرتها ونذالتها وعدوانها وديمومتها وشمولها وفي اعداد قتلها وجرحها واسراها ومشوئها ؟

« قد يكون من التفاسير لجعل اول وافضل صفات الاله وحواسه هي الاذن او هي قدرته على السماع والاستماع والتسمع ورغبته في ذلك •

- نعم ، قد يكون من تفاسير ذلك شهوة الاله الحادة وغير المتوقرة او المعقولة لان يسمع هتاف وتضرعات وصلوات الهاتفين المتضرعين المصلين له واليه وبه ، وكذلك لان يسمع انات وآهات وصرخات المذبذبين المسحوقين المتهورين المظلومين ، يئنون ويتأوهون ويستغيثون ، حيث لا مغيث بل حيث لا راحم ولا راث ولا قتالم لهم او معهم او من اجلهم ••

قف ايها الخيال • هل تجد قبحا كقبح العلاقات بين عبد يئن ويستغيث واليه يسمع ولا يستجيب او لا يسمع ولا يستطيع ؟

ضاحكة راقصة مغنية هي نشوات الاله حينما يتحول الكون كله الى انات وآهات وصرخات واستغاثات يمزقها الالم والهول دون ان تجد مغبثا او مداويا او حتى مشفقا ، وكذلك حينما يتحول الكون كله الى معابد تتعالى وتنزاحم فيها الهتافات والصلوات والتضرعات التي لا مستقبل لها ولا جازي او شاكر عليها ولا معترف بها • لعل الاله لا يستجيب ولا يعالج الالام المرفوعة المشكوة اليه لانه في ظنه لو عاجلها لسكنت او ضعفت الشكوى والضراعات اليه •

آه يا مسامع الاله •• كم انت موهوبة من معاني القسوة والجفاء والجدود والخمود •• من صاغ لك ايها الاله اذنك ؟ كيف استطاع ان يصوغ اذنك من صاغها ايها الاله ؟ كيف لا تتفجران او كيف لا تهربان من كل هذا الكون •• من كل المعابد والمستشفيات وعيادات الاطباء وميادين القتال ومن كل البيوت والاماكن ومن حول جميع السرر •• لئلا تسمعا ، لئلا تسمعا اية صلاة او مناجاة او انة أو صرخة أو آهة فيها كل لغات وتفسيرات الاحتقار والغضب والاحتجاج والسخط على الفاعل الاعظم •• على صاحب الاذنين اللتين لا مثيل لهما في عجزهما عن ان تسمعا او تفهما لو ترثيا او ترحما او تخجلا او تنهزيا •• !

آه يا اخلاق الاله كيف تتقبلين او تطيقين ان تكوني وتعيشي مع اذني الاله في ذات واحدة ؟ كيف تستطيعين التعامل او التخابط مع اذنيه او مجاورتهما ؟ ما اعظم الوقاحة والنذالة والوحشية والبلادة ان تسمع اذنا الاله !!

ما اعظم العار والجرم ان تكون للاله اذنان تسمعان !!

اذنا الاله تسمعان كل هذا ثم تبقى له اذنان . كيف يقبل اي كائن ان تكون له اذنان ؟

اغلق او افسد ايها الكون اذني الاله رحمة به واشفاقا عليه واحتراما له وحماية لكرامته . هل يوجد مثل الاله عجزا عن حماية كرامته وشرفه ، وعجزا عن الغضب لكرامته وشرفه وعن معرفة الكرامة والشرف ؟

يا اذني الاله موتا اشفاقا علي وثأما من تعذبي فانه لعذاب لي تعجز عن تصويره جميع تصورات الالهة ان تكون للاله اذنان تسمعان ! . . . ويلتاه . . . ويلتاه . . . الاله له اذنان تسمعان كل هذا ، كل هذه الانات والاهات والصرخات والاستغاثات ! . . . هل يمكن هذا ، هل يمكن ؟

اسمعوا ايها المؤمنون . ان جميع الانات والاهات والصرخات والتضرعات تسقط في اذني الاله دون ان تتفجرا او تموتا . . . اسمعوا !! . . . الاله يسمع كل هذا دون ان يستجيب او يموت او يمرض او يصاب بالصمم ، استحياء او انفجاءا او اشفاقا !! . . .

هل تصدقون ايها المؤمنون ذلك ؟ هل تقبلون حينئذ التعامل مع اذني الاله ؟ هل تقبلون او تتصورون ان للاله اذنين او ان تخلق له اذنان ؟ الا تقاتلون لكي لا تكون للاله اذنان او لكي لا تنبت فيه اذنان ان كنتم تحترمونه او تخافون عليه ؟

هل يمكن ان يوجد تفسير لاخلق اذني الاله او لاهوائهما وشهواتهما ، او لذكائهما ومنطقتهما او لاستجاباتهما الفنية ؟ هل هجيت او حقرت الاذان ، كل الاذان بشيء ، مثلما هجيت وحقرت بأذان الاله . . . بأن تكون للاله اذنان ؟

وقد يكون من التفاسير لجعل الاذن هي اول واعظم صفات الاله رغبة المؤمنين في ان يكون اي الاله سامعا لدعواتهم وطلباتهم وشكاياتهم واحتياجاتهم المرفوعة اليه بالدموع والخضوع واللهفات ليتأثر ويخرج ويرضى ويفرح فيستجيب ويقضي الحاجات والطلبات ويتحرك ليفعل تحت ضغوط المناشدات والالاح . . . انه لعذاب اكبر من كل العذاب ، التصور بانه لا يوجد في هذا الكون اله يسمع ويستجيب . . . رهيب تصور الاله اصم . . .

لقد كان خوف المؤمنين حادا واصيلا من الا تكون للاله اذان يسمع بها ، يسمع بها كل شيء ، باحاطة وسرعة وحماس . ان كل صيحاتهم ولهفاتهم لا بد ان تذهب حينئذ في الفراغ الاصم الرهيب . يا له من ضلال وضياح حينئذ في النية الحزين الكئيب الموات . لقد كان تصورا لا مثيل لقسوته ان يتصور المؤمنون بأن الاله كبير وقوي وضخم جدا ولكنه لا يسمع . . .

لقد كانت مخاوف المؤمنين من الا تكون للاله اذان تسمع اي شيء مخاوف مفهومة وسهلة التفاسير . ان جميع تجاربهم الدائمة الطويلة لتفسر وتسوغ مخاوفهم هذه بل لتؤكدوا وتؤججها بل لتوشك ان تحولها الى يقين . كيف ؟ الاله يسمع ! . كيف ، متى حدث هذا ؟ من هو واين هو هذا الصارخ الذي سمع له الاله . . . ؟
 الم يتعذبوا ويتمزقوا ويفتضحوا طويلا ، طويلا من الدعاء والتهافت والتضرع للذليل الحزين الصالح المؤمن المنتظر دون ان يجدوا مجيبا او راثيا او معتذرا ؟ هل يمكن ان يكون لهذا تفسير سوى انه لا يوجد لا هنا ولا هناك من يسمع ؟ جربوا ، جربوا ايها المخدوعون ، ايها المؤمنون جربوا وتحذوا طويلا ، طويلا ثم لا تخافوا ان تجدوا الاله يسمع . . . راهنوا على كل ذكائكم وكرامتكم وتقواكم بان الاله لا يسمع ثم لا تخشوا ان تغلبوا في الرهان او تخطئوا او تقدموا او تتراجعوا او تشكوا في ايجابية رايتكم . . .

حتما انه لا يوجد من يسمع او لا يوجد من يستطيع او لا يوجد من يريد او من فيه شيء من الشهامة او النخوة او الرحمة او الحب او الاستحياء ، او انه لا يوجد واحد من هؤلاء . . . انه لو كان كل شيء في هذا الكون ممكنا لظل فيه شيء واحد مستحيلا ، هو ان يكون الاله سامعا سماع فهم وقدرة ونخوة ومحبة ورحمة واستحياء . . . نعم ، ان تركيز المؤمنين على التوكيد بأن للاله اذنين يسمع بهما لدليل على شكوكهم الحادة المقلقة في ان يكون الاله اصم صمما لا نموذج ولا شفاء له ولا دليل بل ولا شبهة على انه ليس كذلك . بل لعله من الصعب جدا ان يكون المؤمنون قد اقتنعوا بشيء اقوى من اقتناعهم بان الاله الذي يدعون ويسألون ويثنون ويبكون اليه وله باساليب كلها افتضاح وهوان وسقوط شامل لا يسمع شيئا ولن يسمع يوما ما شيئا كما لم يسمع في اي يوم شيئا . ان البشر لم يقفوا موقفا فيه كل الخسران والهوان والهزيمة والرفض والصد والبلادة مثل موقفهم من دعاء الاله والتضرع اليه ورجائهم ان يسمعهم او يستجيب لهم . . .

ان جميع المؤمنين في جميع العصور لمقتنعون بان جميع آلهتهم صماء صمما خالدا . انهم لم يؤمنوا بالهتهم ولم يعايشوها ويصادقوها ويحترمواها الا لانهم مقتنعون بانها صماء . . . بل انهم لم يناجوها ويسألوها ويتضرعوا اليها ويصلوا لها ويمشتموا الآخرين ويحقرهم باسمها الا لاقتناعهم بصممتها الابدي ! . . . ان احدا ما لن يستطيع ولن يريد التعامل مع الالهة ما لم تكن صماء بل ما لم تكن فاقدة لجميع الحواس فقدا لا مخرج منه . . . !

ان كل مزايا الالهة عند المؤمنين بها الداعين المصلين لها هي انها صماء بل فاقدة لكل الحواس والقدرة . . .

لقد ظل المؤمنون يتحدثون الى الهتهم بكل الاساليب وهي لا تستطيع ان تسمع ويعلمون انها لا تستطيع ان تسمع وهي ايضا لا تفعل اي شيء يدل على انها تسمع

او قد تسمع - نعم ، لقد ظلوا يتحدثون اليها كذلك لكي يدللوا تدليلا مستمرا ومقنعا جدا على انها لا تسمع ولا تستطيع ان تسمع . . انهم يعرفون بالتجارب الدائمة انها لا تسمع . اذن لماذا يظلون يدعونها ؟ لعلمهم يريدون التوكيد بانها لا يمكن ان تسمع . .

لقد كانوا سعداء باقتناعهم الدائم بانها لا تسمع وبانها سوف تظل ابدًا لا تسمع ، لهذا ظلوا دائما يتحدثون اليها لكي يظل اقتناعهم بانها لا تسمع قويا وراسخا ومتجددا ودائما . أليست افضل الاساليب للاقتناع الدائم بأن الالهة لا تسمع هو التحدث الدائم اليها ومعها ؟ هل يمكن ان نتحدث الى الالهة ثم لا تقتنع بانها صماء بلا شفاء ؟

ليس اجمل وافضل نماذج وصيغ الالهة هي الالهة الفاقدة لجميع الحواس ، وهي كذلك الالهة التي تفقد جميع الحواس أي التي لا تستطيع جميع حواس المؤمنين بها ان تجدها ؟ أليس افضل واعظم الالهة في حسابات ونيات المؤمنين بها هي الالهة التي يقع التعامل عليها ومعها دون ان تكون موجودة او قادرة او فاهمة ؟ هل يوجد اقصى او اقبح او اوضح من أن يكون فوقك اله جيد الحواس حاد الاحاسيس ؟ نعم ، كل هذا بعض التفسير للحكم على الانسان العربي بانه مصوت وليس متكلام

ان الانسان العربي لا يقاتل او يعالج او يفعل او يخاطب او يفكر بالتصويت بأسلوب او بنية المناورة او الخداع او الدعاية او الضغط او الكذب الذكي ، اي انه لا يفعل ذلك تدبيرا وتخطيطا ، اي انه في ذلك ليس كمن يرفع سلاحا كاذبا وهو يعلم انه كاذب ، محاولا ان يقنع الآخرين او الاعداء بانه سلاح لا مثيل له في صدقه وقوته وفتكه وبسالته . انه لجيد ان يكون المرء مغفلا او كاذبا او غبيا بالتدبير والتخطيط لا بالاصالة او الموهبة ان لم يكن بد من هذا او هذا .

ولكن لا . ان الانسان العربي لا يعرف ان التصويت سلاح كاذب . وهو اي الانسان العربي لا يدري انه يناور او يخادع او يكذب كذبا ذكيا دعائيا او اعلاميا حينما يذهب يدوي وبحل ويفعل ويفسر كل شيء وينتصر على كل شيء بالتصويت . انه لا يدري ذلك ولا ينويه ولا يتظاهر به ويتعمده . بل انه جاد كل الجد ، وانه ليعتقد انه بذلك يواجه مواقفه باقوى واذكى العقريات والبطولات . انه لا يدرك انه يفعل ضعفا ليقنع او بنية ان يقنع بانه يفعل قوة . لا يدرك انه يعالج بالسحر مؤملا ان يصل الى ان يعالج بالطب . . .

وانه ايضا لا يعرف انه يوجد تصويت وكلام او تصويت وتفكير او تصويت وفعل . لا يتصور انه يوجد فرق بين هذا وهذه . لا يعرف ان التصويت تصويت ، لهذا لا يمكن ان يعرف انه هو مصوت ، ولا يعرف انه يصوت حين يصوت ومهما صوت !!

انه لا يعرف ذلك ولا يعرف شيئاً منه الا بقدر ما يعرف الصاهل او الزائر او الفابج او الراغي انه صاهل او زائر او نابج او راغ وليس متكلم او مفكر او شاعرا او فنانا عبقريا ..

ان اعظم قائد او زعيم او نبي او معلم او مفكر عربي لا يعرف انه مصوت فقط الا بقدر ما يعرف الحصان او الجمل او الصرصار انه مصوت فقط وليس اعظم للفنانين او الشعراء او المفكرين او اعظم الانبياء والعلمين ! وهل نستطيع ان نعلم حتما ان هذه الكائنات لا ترى نفسها كذلك كما رأى الانسان العربي نفسه ؟ ان المصوت لا يستطيع أن يفسر نفسه مهما استطاع المتكلم والمفكر ان يفسر نفسه ويفسر غيره بل ويفسر كل شيء ..

نعم ، الا يحتمل ان الصرصار او البرغوث او الجمل يعتقد ، حين يصوت ، انه يقول اعظم الشعر او اعظم الفنون او اعظم الافكار مثلما اعتقد الانسان العربي انه لا يقول الا ذلك حين لا يكون الا مصوتا اصواتا يرفض البرغوث والصرصار والجمل ان تكون اصواته ؟ ولماذا نفترض البراغيث والصراصير والابل وامثالها اكثر وقارا وتواضعا من الانسان العربي ؟ أليس هذا انحيازاً يرفضه الدين والضمير والمنطق ؟

وهل من العدل ان يعد الصرصار او البرغوث او الجمل مذنباً او مغفلاً او كذاباً او حيواناً لو اعتقد ان اصواته ليست الا نبوات تخاطب بها السماء الارض ثم لا يعد الانسان العربي مذنباً او مغفلاً او كذاباً او شيئاً أردأ وأقل من ذلك حينما يزعم ان اصوات من يحسبهم انبياءه ليست الا نبوات اعظم الانبياء ، الا نبوات انبياءهم زعماء جميع الانبياء ، هم الانبياء الذين اغلقوا جميع ابواب السماء واخفوا مفاتيحها لئلا يأتي بعدهم انبياء .. عجباً ! كيف يكون محيي الانبياء دائماً شيئاً جيداً ثم يصبح مجيئهم شيئاً رديئاً بعد ان اصبح للعرب انبياء ؟ كيف اصبح المجد عاراً ؟ لماذا العرب هم الذين اغلقوا ابواب السماء لئلا يجيء منها الانبياء ؟

هل من المحتمل ان ترضى السماء او ان يعجبها بان تعد او بأن تكون اصوات انبياء العرب هي اصواتها وتعاليمها ونبواتها الى الارض ثم لا يرضيها ولا يعجبها ان تكون او تعد اصوات البراغيث والصراصير والنياق والحياد الصاهلة هي اصواتها اي اصوات السماء وتعاليمها ونبواتها الى البشر جميعاً اي والى العرب والى انبياء العرب ايضاً ؟

ليت السماء تعلن عن رأيها في هذه القضية مترفعة عن كل مشاعر المحاباة ولغاتها ! هل يوجد شذوذ مثل ان يتحدث دائماً كل الناس المتناقضين بل المتضاربين عن السماء ههنا ان يتحدث السماء عن نفسها ولو مرة واحدة ؟ هل يوجد صمت مستنكر مثل هذا الصمت ؟ ...

اخذ فلانسان العربي لا يتداوى ويداوى بالسحر الذي يعرف انه سحر ، مؤملا ومحاولا ان يجد وان يصنع الطب ثم يتداوى ويداوى به ، بل انه يتداوى ويداوى بالسحر الذي يعتقد بل الذي يعرف انه كل الطب . نعم ، يعرف ! لان الانسان العربي حين يعتقد لا يعتقد فقط بل ويعرف . ان عقائده ليست عقائد فقط . بل ومعارف اي علوم . .

كذلك فانه اي الانسان العربي لا يهدد او يضرب ويقاثل بالسيف الكذاب الذي يعرف انه كذاب ، مؤملا ومحاولا ان يجد وان يصنع السيف الصادق ، ثم لا يحتاج الى ان يهدد او أن يضرب ويقاثل به لان امتلاكه له يغني في منطق الاشياء عن استعماله . بل انه اي الانسان العربي يهدد ويضرب ويقاثل بالسيف الكذاب في جميع حروبه وخصوماته وميادينه مقتنعا بأن هذا السيف الكذاب هو اصدق السيوف بل هو كل السيوف الصادقة . . نعم ، ان كل الذين ضربوا بالسيف لم اكثرهم انما ضربوا به لانهم لم يمتلكوه امتلاكا كاملا وقويا او لان الآخرين لم يعرفوا امتلاكهم له بهذه القوة . . نعم ، انك لن تضرب بالسيف ولم تضرب به الا حينها تكون عاجزا عن امتلاكه امتلاكا قويا كافيا او عن ان تضرب به بقوة وبراعة كافيتين مقتنعين ، او الا حينما يكون الآخرون الذين تضربهم بالسيف عاجزين عن الاقتناع بانك تملك مثل هذا السيف وتملك القدرة على الضرب به وعلى ارادة هذا الضرب ، باسلوب قوي كاف مقتنع . اجل ، ان اية حرب لم تقع ولن تقع الا عن عجز واقع او عن عجز محسوب او مقدر . . عجز في احد الفريقين المتحاربين . .

في هذه الاوقات التي اكتب فيها هذه الصفحات يقول العرب بكل اجهزتهم المصوتة انهم يواجهون ظروفًا واطارا لم يواجهوا او يواجه احد من البشر قط مثلها في قسوتها وتعقيدها وتآمرها وفي خبث تدبيرها . انها في زعم جميع اجهزتهم ظروف واطار لا تستطيع كل طاقات وعقول وبسالات جميع البشر ان تكون ندا لها او قادرة على تحمل آلامها وتحدياتها لو حشدت لها جميع هذه الطاقات والعقول والبسالات . . لان هذه الاخطار والظروف في اقتناعهم الذكي جدا قد تأمرت جميع قوى الشر والخبث والبغضاء في الطبيعة وفي البشر بل وفي الكائنات الغيبية الخفية لكي تصوغها اضخم واذكى الصياغات لكي تذلل وتقهر بها الانسان العربي حسدا له على مزاياه وخوفا منه لقوته وتفوقه وبسالته . ولقد كانوا اي العرب يعرفون دائما ان جميع انبياء واطفار الشر في هذا الكون لم تنبتهم ضماير وحوشه الا لكي تقهر وتذل بها الانسان العربي حسدا وخوفا وبغيا .

لهذا راوا اي العرب لكي يستطيعوا مواجهة هذه الظروف والاطار بقوة وانتصار انه لا بد لهم ان يستعبروا من جميع الالهة ومن جميع قوى الكون كل عضلاتها وضرباتنا وعقولها وكل دهائنا وتدبيرها وحماسها وغضبها وكبريائها ، ثم ان

يصوغوها صياغة اذكى واقتوى واشجع ، ثم ان يزرعوها في عضلاتهم وضرباتهم وعقولهم وفي دهانهم وتديبيرهم وحماهم وكبرياتهم هم ، لكي يخلقوا ويركبوا منها قوة تساوي كل قوة الالهة وكل قوة كل الكون وكل من فيه وما فيه ، بعد ان يصوغوها الصياغة الجديدة التي هي اقوى واذكى ، كما تساوي ايضا كل قوتهم هم .
اجل ، لقد فعلوا ذلك . لقد خلقوا وركبوا هذه القوة المؤلفة من عضلات وضربات وعقول ودهاء وحماس وغضب كل الالهة والطبيعة والبشر ، من كل عنف ومواهب كل الاشياء ..

والان . لنصق انبهارا واعجابا بما يحدث . ماذا يحدث الان ؟ هل نطيق التحديق في ما يحدث ، او هل نجرؤ على التفكير فيه دون الرهبة من ان تقتلنا صدمة الاعجاب والانبهار او صدمة الفرع والذهول والاسى ؟
ولكن هل نحن ممن يصابون بالصدمة ؟ هل صعدنا الى هذا المستوى الحضاري والانساني .. هل صعدنا اليه بالفكر او بالاخلاق او بالعاطفة .

اجل ، ما هو احد الزعماء والقادة الكبار ، او لعله احد الشعراء او المفكرين الكبار او لعله احد الوعاظ او الخطباء او المعلقين او المذيعين الكبار او الصغار في احد المعابد او النوادي او الصحف او الاذاعات ، او لعله احد الاساتذة في احدى الجامعات ..
اجل ما هو احد هؤلاء المقاتلين العرب بكل عضلات وضربات وعقول وكبرياء ودهاء وحماس وغضب وقوة جميع الالهة وجميع الكائنات الغائبة وجميع الكون وجميع البشر ، وبكل بطولات كل ذلك ..

ما هو احد هؤلاء يقاتل . انه يصرخ ويصرخ بانفعال او بصيغة انفعال لو تحول الى سلاح ذكي مقاتل لاستطاع ان يقتل كل الاعداء بل كل الاحياء ، بل لاستطاع ان يقتل او يهزم كل ما في النفوس والاخلاق من خور وخسة وكذب وتفاهة .
انه يقول كاتبا او مديعا او منشدا او خطيبا او متحدثا أو مجيبا أو محاورا :

« لا بد لنقاتل . انه لا شيء غير القتال . لا شيء . ليعلم كل العالم ، الاصدقاء والاعداء اننا لا بد ان نقاتل ، وانه لا شيء غير القتال . ليعلم كل العالم ذلك ..
ليناك كل العالم كل الهة ان العرب لا بد ان يقاتلوا . ان العالم ان لم يناج الهته في كل صلواته ان العرب لا بد ان يقاتلوا فلا بد ان يندم ويخسر ويحزن اي كل العالم .. »

اذن لقد قاتلنا ، لقد قاتلنا .. انه لا بد ان يكون شعوره واقتناعه كذلك ، وكذلك شعوره واقتناع من حوله او من سمعوه . ان اي مقاتل في العالم لن يكون اقتناعه او شعوره بانه قد قاتل مثل شعور او اقتناع هذا الانسان العربي بانه قد قاتل لانه قد خطب او كتب او اذاع او تحدث صائحا ، صائحا : « لا بد ان نقاتل » .. هل يوجد قتال اقوى او انبل أو أحسم في مشاعر الانسان العربي من ان يقول : « لا بد ان نقاتل .. لا بد ؟ » .

وما هو ايضا اقدمهم يصيح ويصيح بحماس او بصيغة حماس يستطيع بضربة من ضرباته ان يقتل الشمس من مكانها . انه يقول بضجيج يخيف الاعاصير ويحولها الى صمت وقور : « لا بد ان ننصر » لا بد . انه لا خيار لنا في ان ننصر ولا ننصر . اننا لا نستطيع الا ان ننصر حتى ولو رفضنا ان ننصر ، حتى ولو هربنا من الانتصار تواضعا او اشفاقا على الاعداء او خيفة ان يحولنا الانتصار الى مغرورين او الى ظالمين ، لا بد ان ننصر لان الانتصار قدر محكوم به على العرب في جميع معاركهم . . .

نعم ، لقد انتصرنا ، لقد انتصرنا لاننا قلنا : لا بد ان ننصر وقلنا : لقد انتصرنا ! .

وايضا لا بد ان نكون قد قاتلنا لاننا قلنا لا بد ان نقاتل ولاننا قلنا اننا قد قاتلنا . !! اليس التحدث عن الانتصار هو اعظم اساليب الانتصار في موهبة الانسان العربي ؟

بل اليس التحدث عن الانتصار هو كل الانتصار ، كل سلاحه وتفاسيره وقوته ولخته وكبريائه بل كل وجوده ؟

ان اي منتصرين لن يكونوا مقتنعين بانتصارهم او ولجدين مشاهدين له أو عائشين فيه او معجبين او مباهين به مثل لقتناع هذا الانسان العربي بانتصاره ومثل امساكه به ومشاهدته له ومثل عيشه فيه ، مثل معاشته له ومثل اعجابه ومباهاته به لانه قد خطب او كتب او اذاع او اعلن او سمع : « لا بد ان ننصر » لا بد من ذلك . . . انه لا احد غير الانسان العربي يتحول قوله الى كل الحقيقة والفعل والقوة والانتصار في احساسه ورؤيته واقتناعه وفي سلوكه وادعائه ايضا . . .

وهذا ايضا اقدمهم يعلن بزمو يتحول الى اقصى تعذيب لعيون ووقار وضائير كل الاشياء ، يقول ناقلة عنه كل الاجهزة العربية والعالمية قوله : « لقد حشدنا لكل معاركنا ومواجهتنا واعدائنا حشدا لا تستطيع جميع احتمالات الاشياء ان تحشد مثله . . . لقد حشدنا من الطاقات وللعقول والاخلاق والذكاء والدهاء والتخطيط والبسالة والصدق والحماس والاخلاص ومن كل اصناف الاسلحة والابتكارات والمواهب المختلفة حشودا لو رأت او علمت شيئا منها جميع مشاكلنا وهمونا وظروفنا الصعبة والالية واعدائنا لجاءوا ولجأت جميعا اليها تائبين وتائبة ، معتدريين ومعتذرة ، مبايعين ومبايعة . لقد اعدنا لكل شيء اعدادا لو راته لو علمته الالهة لخنفا عليها ان يمرضها الحسد او يقتلها الخوف . . .

حتمنا لقد حدث وتم هذا الحشد والاعداد في ايمان ورؤية واحساس القائل والسامع العربيين ، انه لا يوجد اي حوار او حراسة او محاسبة بين فم الانسان العربي واذنيه ولا بين اذنيه واقتناعه . . .

اجل ، ما هم جميع الزعماء والقادة والعلماء والمفكرين والشعراء والخطباء والوعاظ والاسانذة والادباء والمذيعين والمعلقين الصغار والكبار العرب يقاتلون هذه الظرف والمخاطر التي تواجههم والتي يقولون ان اي قوم في الماضي لم يواجهوا مثلها وان اي قوم في الحاضر او المستقبل لا يواجهون ولن يواجهوا مثلها ..

ما هم جميعا يقاتلون هذه الظروف والمخاطر بعصلات وعقول ودهاء وذكاء وحماس وتخطيط وشجاعة وغضب جميع الالهة والطبيعة والاشياء والبشر ..

اي لانهم قالوا ويقولون انهم يقاتلونها • لقد قالوا فاعتقدوا او اعتقدوا فقالوا • • ما اردا واقسى ما يرى وما يحدث الان !! • • ما اردا واقبح واقسى ان نرى ونجد الانسان العربي يقاتل الظروف والمخاطر التي تواجهه اليوم والتي يقول مصدقا قوله : انها ظروف ومخاطر لم يعش او يمر مثلها تحت الشمس قط في قسوتها وتعقيدها وتآمرها وفي ذكاء وخبت التدبير الذي ارادها وخطتها وصاغها واعد لها لقهر واذلال الانسان العربي حسدا لزياء وعبقرياته وخوفا من قوته وتفوقه وبسالاته • •

ان الماساة هنا ان العرب في هذا القتال ليسوا ممثلين بل حقيقيون • ليت العرب كلما تحدثوا او خططوا أو فعلوا يمثلون ويرون انهم يمثلون ويفسرون بانهم يمثلون • افن لكانوا حينئذ اقل بشاعة وبلادة وافتضاحا • ليت كل سخيف وذميم وبليد مزور لا حقيقي •

انهم في ايمانهم ومنطقتهم يقاتلون وليسوا فقط يحرضون او يستعدون او يستثيرون او يتوعدون او يبكون ويئنون أو يطمنون ويؤمنون • •

ان افواههم هي كل الاسلحة والقوة والضرب والتخطيط اي في اقتناعهم وسلوكهم وحياتهم • •

لننظر بجزع او بلا جزع الى ما يحدث في هذه الاوقات • •

لقد اعطت هذه الحضارة كل هذه الاجهزة الناقلة للاصوات المحابية للمصوتين والمعلنة عنهم بسفه ونفاق خسيس ، المحولة لهم الى وقاحات وبذاءات ودمامات عالية، وتتساقط في كل الاوقات من كل الاجهزة على جميع الاذان حتى على الاذان البريئة والعفيفة والمصابة بالاستحياء وبموهبة الاشمئزاز والغثيان رفضا للقبح والسفه والوقاحة والغباء والخسة • • ما اقسى وأوقع عدوان هذه الاجهزة على جميع الاذان • • الاذان الجيدة والرديئة ، الذكية والغبية • •

لقد فعلت هذه الحضارة كل ذلك دون ان تصاب بالندم أو باحاسيس المذنب بالخسيس المحتاج الى الاعتذار والاستغفار والتراجع والى اقامة الحراسات على شرفها وكرامتها والى تشديد هذه الحراسات • •

نعم ، لقد فعلت الحضارة كل هذا وكأنها انما تريد ان تدلل على ان الحضارات والعبقريات التي تبدها ليست مستوى كرامة او شرف او نظافة او كبرياء او اختيار او اشتراط او استحياء او حتى مستوى ذكاء او ضمير او حب ، حتما هي مستوى قدرة وضرورة ..

لقد فعلت الحضارة كل هذا وكأنها انما تنوي التدليل والاقناع بل والاعلان على ان اية حضارة ليست مستوى قلب او كرامة او تقوى او اخلاق ولكنها مستوى عضلات واطراف وانياب .. على أن اية حضارة ليست مستوى حضارة بل مستوى قدرة او ليست مستوى انسان متحضر يحب ويختار ويشترط ويقبل ويرفض ويمجب ويشتمز ولكنها مستوى كائن همجي قادر ذكي مبدع خلاق فاجر نذل يبيع ويعرض موهبته الخلاقة ويلقي بها دون اسف او تائب او شعور بالحرج او النذالة والسقوط ، يلقي بها تحت كل الاقدام والاهواء وفي كل الحفر والزبالات والاووال .. يلقي بها تحت اقدام الانذال والاحساء لتكون طعاما ومجدا وشهرة لاذلتهم وخستهم وشهواتهم الهمجية اكثر مما يضعها في ضماير الاتقياء والشرفاء والاذكيا لتكون وقودا وتكريما وتحية وقوة لضمائرهم ولتقواهم وشرفهم وذكائهم . كأنها اي الحضارة انما تريد ان تدلل على انها مهما صعدت فوق تحقيقات كل النجوم فانها لن تكون بلا اقدام تمشي بها الى الهوان والنفاق والحضيض والنذالة وفوق ذلك .

نعم ، وماذا مما صنعت واعطت هذه الاجهزة الناقلة للاصوات المحابية للمصوتين الملعنة عنهم بلا وقار او حياء او ذكاء او كبرياء او تقوى ؟

لقد كان مما اعطت وصنعت هذه الاجهزة ان اصبح العرب يحلون جميع مشاكلهم ، وينتصرون ويتفوقون على جميع الاعداء والمنافسين ، ويلدون ويهبون اكثر واضخم العبقريات ، ويرهبون بمزايهم وقوتهم وخططهم كل العالم ، ويعرضون امجادهم وقبور ابائهم الواهبة للحياة كل امجادها ، اعني يثبتون هذه الامجاد . نعم ، ان اصبح العرب يفعلون ويثبتون كل ذلك مجددا ومكررا ، كل الاوقات ، على طول امتداد الليل والنهار .

اذن في اليوم الواحد كم يثبتون ذلك ويهبونه ويجدونه ويتقنعون ويتنعمون به ؟ انهم في اليوم الواحد يفعلون ذلك اثباتا واقتناعا واقناعا وعطاء بقدر ما يصوتون متحدثين عنه وعن انه كذلك ، اي كما تحدثوا وصوتوا عنه . وفي اليوم الواحد كم يصوتون ويتحدثون ؟ عجا ! .. العرب يلدون وجودهم وتاريخهم اللذين هما كل التاريخ والوجود كلما تحدثوا عنهما . اذن كم يلدونهما في اليوم والليلة ؟

نعم ، في الليلة الواحدة واليوم الواحد بهذه الاجهزة النبيلة الخسيسة كم يبذل ويهب العرب من الحضارات والعبقريات والانتصار والامجاد والبطولات والنبوات ومن القبور الواهبة للحياة وللأشياء كل شرفها وتقواها وتفاسيرها وذكائها ؟ كم يلدون من

هذه القبور في اليوم الواحد واللييلة الواحدة ؟ انهم يلدون ويشيدون ويبعدون ويهبون من ذلك في اليوم واللييلة بواسطة هذه الاجهزة العزيزة الذليلة بقدر ما يتحدثون فيهما اي في اليوم واللييلة ..

وكم يتحدثون في اليوم الواحد واللييلة الواحدة لنعرف كم يعطون ويلدون ويشيدون ويبعدون من ذلك في مثل هذه المدة ؟

وكم يجب ان نشفق على خيالنا لو اننا تصورناها قد التزمت بان تحصى ما يعطيه ويلده ويبدعه العرب في اليوم الواحدة واللييلة الواحدة مما لا يستطيع ان يبده او يعطيه او يفهمه او يحترمه او يلده سوى الانسان العربي ؟

اذن ما اعظم ما تهب هذه الاجهزة للانسان العربي من نشوات ومسرات وتذليل واستمتاع روحي ومنبري وقومي ومذهبي واخلاقي ومن محابة لجوعه الدائم الى النزق والمعرض للذات والاعلان عنها والى خوض المعارك والمخاصمات والمفاخرات والمبارزات بالشتائم والبذاءات والصهيل والمباهاة بالقبور وبالامجاد التي لم تخلق الا في القبور ولم ترو الا عن القبور والتي كل روايتها يعيشون في القبور . هل توجد قبور يعيش فيها من الامجاد مثل ما يعيش في القبور العربية ؟ اليس كل امجاد العرب أمجاد قبور اي امجادا تعيش في القبور اي تروي عنها .

نعم ، ما اعظم ما تهب هذه الاجهزة من ذلك القادة العرب ولزعمائهم وحكامهم وانبيائهم ولكل مصوتيههم وفصاحيهم ومفتضحهم الكبار ولقبور ابائهم كذلك . انه لا يوجد مكان تعيش فيه كل الامجاد والعبقريات التي كانت والتي سوف تكون والتي لن تكون سوى القبور العربية .

لقد جعلت اي هذه الاجهزة حاجتهم الدائمة الى الافتضاح المحلي والدولي تعيش في مهرجانات دائمة ضاجة من الرقص والغناء والعرض والبصق على الذات وعلى الآخرين وعلى كل شيء ، بكل اساليب جنون ونزق وكبرياء السعادة والفرح والانتصار . هل يوجد من يسعدون ويستمتعون بفعل الافتضاح ملنا وضاجاوعاليا مثل الزعماء والقادة العرب ؟ اذن هل كانت الحضارة حينما ابتكرت هذه الاجهزة تدبر لفصح الانسان العربي ؟

ان ها هنا لتفسير اليلما وحزينا للبشر ، لهم جميعا او لاقلمهم او لاكثرهم . انه لتفسير فادح وكالح في دلالاته ..

ان في البشر من يشعرون او يحسون او يعتقدون ان ادعاء الشيء او التحدث عنه او تهديده او مشاتمته ومخاصمته باصوات عالية وباساليب اعلانية مثيرة اعظم اعطاء للمجد والسعادة والقوة والشهرة والراحة والرضا من امتلاك الشيء او من تحقيقه او من كينونته كما يراد ويطلب به او من هزيمته والانتصار عليه ، اي اذا كان ذلك

اي امتلاكه او تحقيقه او تحققه او هزيمته والانتصار عليه بصمت ووقار ، او اذا كان ذلك يعني حتما الكف عن الادعاء والتهديد والمشاتمة والمخاصمة والمبارزة بصهيل ينزف نزقا وغرورا وتوترا وتوقعا • ليست الشتائم والوقاحات والبذاءات والمخاصمات والملاعنت الضاجة النزقة هي اكثر صلوات وفنون البشر عالمية واصالة وتقوى وصدقا وحماسا وروحانية واسعادا ؟

اجل ، ولعل كثيرا من الناس يفضلون ان يكون لهم اعداء لكي يشاتمومهم ويهددومهم ويكرهومهم وينذروهم وينفروا بهم باساليب اعلانية متهيجة ، على ان يكونوا بلا اعداء واحيانا على ان يتحول الاعداء الى اصدقاء • اليس شيئا قاسيا بل مميتا ان يكون المرء بلا شيطان او عدو رجيم يصرخ بلعنه وذمه واتهامه وتوعده وكرهاته ؟ اليس حتما ان اخرين يختارون - بحثا عن المجد والنشوة والسعادة النفسية - ان تكون لهم قضايا ومواقف يجدون من يخالفونهم فيها ليتهمومهم بالضعف والضلال والغباء ومجانبة الحق والصواب وليزعموا لانفسهم التفوق في الفهم والذكاء والاهتداه الى الصواب باصوات عالية وعدوانية ومتكبرة وبذئثة •

نعم ، يختارون ذلك على ان يكون كل الناس رعايا عقليين ومذهبيين لهم وموفقين في كل ارائهم ورؤاهم ، اذا كان ذلك يعني صمتهم ووقارهم وحرمانهم من الادعاء والضجيج والمخاصمة والالتهام والتشنيع ؟ اليس في الناس من يتقبلون ان يحرّموا من الحرية والكرامة والذكاء والسعادة ، ولكن هل فيهم من يقبلون حرمانهم من المخاصمة والمشاتمة والتشنيع ؟

نعم ، وقد يسعد بعض الناس ان يكون لهم حق او شيء يطالبون به ويدعون بصياح وتهيج وتكرار وباساليب دعائية صارخة وبتوعد وباعجاب بالنفس وبما سوف يخططون ويفعلون للاستيلاء على ذلك الحق أو الشيء بضربة سوف تصيب كل العالم بالذمول وهول المفاجأة اكثر مما يسعدهم الا يكون لهم حق او شيء تشقيهم المطالبة به والخوف عليه ، او اكثر مما يسعدهم ان يجيء اليهم ذلك الحق أو الشيء مطيعا تائبا ليسقط في احضانهم وجيوبهم باستسلام ومحبة وشوق ، اي اذا كان ذلك يعني ان يصبحوا كراما في صمتهم وتهذيبهم وفي كنههم عن الضجيج والادعاء والبذاءات وعن مشاتمة ومخاصمة النجوم ••

نعم ، اليس الوقار والتهذيب اللغوي والاخلاقي والعاطفي هو اقصى اساليب التعذيب ؟ ••

وايضا قد يرضى قوما ان تكون لهم مشاكل وهموم والام واخطار ومواجهات صعبة ليشكوا منها وليتحدثوا بكل الجهر والاعلان والفصاحة عن صبرهم وتحملهم وعن قدرتهم على المقاومة والتحدي والانتصار ، وعن ان الاخطار والاحداث القاسية

الاليمة تخصهم بحقدما وعداوانها وبغضائها بقدر ما تعرف من ضخامتهم وقوتهم وتفوقهم واصالتهم في المقاومة والتحدي . . .

نعم ، قد يرضى هوما ان تكون لهم كل هذه المشاكل والهموم والالام والاختار ليواجهوها وليخطبوا بهذا الاسلوب اكثر مما يرضيهم الا يكون لهم شيء من ذلك وحينئذ يتخاطبون مع انفسهم ومع الآخرين بصمت او بهمس او بجهر ولكن بلا ادعاء او غرور او اعجاب بالذات . هل يمكن ان يعاقب انسان باقسي من ان يفرض عليه ان يكون صامتا او هامسا في كل موقف يكون الصمت فيه هو المطلوب او المفروض او الوقار والذكاء ؟

ايهما يختار رجال الدين ومحاربو الشيطان ومعلمو الاستقامة والتقوى : ان يكون هناك فساد حاد شامل لكي يضجوا بمقاومته وذمه ولعنه ، ولكي يعلنوا انهم هم جيش الانقاذ والحماية منه ام الا يكون هناك اي فساد ، وحينئذ يحكم عليهم بان يغمدوا السنتهم وسيوفهم الخشبية وينزلوا من فوق منابرهم ويحرقوا صحائف توراتهم واناجيلهم وقرآنهم الضاجة بالمواعظ والتعاليم المهددة ؟ بايها يسعدون ويجدون مجدهم ورضاهم عن انفسهم : بهذا ام بهذا ؟ ايها الشيطان ، انه لرجو منك بل انه لظنون بك الا يصيبك الغرور والكبرياء والا تتراجع عن وجودك وبقائك او عن عملك حينما تسمع هذا الحديث عن مزايك ونفعك .

اجل ، ايهما يختار محاربو الشيطان ولاعنوه والواعظون ضده : ان يكون موجودا ام الا يكون ، ان يكون مطاعا ام معصيا ؟ ايها يهبهم السعادة والمسرة : وجود الشيطان مع لعنه والوعظ والتعليم والصياح خوفا وتحذيرا منه ، ام فقدته مع الصمت عنه ؟ . ومرة اخرى ، حذار ايها الشيطان ان تتحذر او تتوقف عن رسالتك لكي تحرم السعداء بك من سعادتهم . ابق ايها الشيطان نبيلاً كما كنت دائما .

لماذا رأى الله واختار ان يجيء الشيطان ويبقى ، ان يجيء بكل هذا السلطان والقوة والانتصار والمجد ؟ اليس التفسير لذلك او بعض التفسير ان الله قد رأى واختار ذلك لانه يريد ان يحقق السرور والرضا والمجد لنفسه بالاستغلال بسببه اي بسبب الشيطان وذمه وبالتحذير منه والحديث عنه والتخويف به والتعليم ضده ، وبانه سوف ينتقم منه ومن اتباعه وسوف يعد له ولهم كل اساليب والوان العذاب ، وبانه في النهاية لا بد ان يكون هو المنتصر القهار ؟ هل يمكن تصور تعذيب وحرمان للاله مثل تصور حرمانه من متعته الوحيدة التي هي السب والذم والتحذير والتخويف بانتقامه وعذابه والاعلان عن قوته وانتصاره المحتوم ؟

ليس كل التفسير او بعض التفسير لتدبير الاله مجيء الشيطان بالجبروت الذي به جاء ان الاله يريد ان يكون شاتما مخاصما مهددا معاديا غاضبا مبغضا مخاطبا بكل اصوات البشر بل بكل اصوات الكون لان ذلك يسعده ويفرحه ويمجده

ويشهره ويستعرضه ، ولا شيء يخفيه ويخمده ويحزنه ويذله بل ويقتله مثل الصمت والوقار والاعتزان والتعذيب ومصالحة الاشياء والنفس ؟ هل يشقى احد بالصمت والوقار والتعذيب والاعتزان والحب والصلح مع النفس ومع الكائنات ومع الاشياء مثل الاله لو امكن ان يفرض عليه او يفرض على نفسه ذلك ؟

الاله يصلح الاشياء ويصالح نفسه ويلتزم الوقار والتعذيب ويترفع عن البغضاء والبذاءة والسباب ؟ الاله يفعل ذلك ؟ هل يحدث هذا ؟ هل يوجد اقبح او اقسى من حدوث هذا ؟ هل يوجد خيال اردأ من الخيال الذي يتصور هذا ؟ في اي شيء حينئذ يجد الاله سروره او مجده او رضاه عن نفسه او اعجابه بها لو انه صالح الاشياء وصاغها كما يطلب وكما يقول انه يريد ما فكف عن البغضاء والوعيد والسباب والاتهام والتعيير اي فحكم عليه بالصمت والوقار ؟

هل يمكن ان يوجد او يتصور اعظم قسوة وعدوانية من هذا التصور ؟ اليس يستطيع اي الاله ان يصلح الاشياء ؟ لماذا لم يفعل ذلك ؟ هل لهذا تفسير غير انه يسعد بالمخاصمة السابعة الصالحة ؟

ماذا لو ان البشر ومعهم جميع الابالسة احبوا الاله او خافوه او احترموه او رثوا وتعذبوا لعذابه بعصيانهم له وخروجهم على اوامره وشهواته فتشاوروا وتفاوضوا فقرروا ان يطيعوه وان يكونوا جميعا كما يريد ويطلب ويعلم لكي يصبح غير محتاج الى ان يبغض ويلعن ويهدد وينذر ويذكر بقوته وجبروته وعقابه وانتقامه وبعبقريته في المكر والخداع والتدبير ، مؤكدا انه في النهاية ودائما هو المنتصر الاقوى الاسمى - لكي يصبح غير محتاج الى ان يفعل كل ذلك بكل اساليب الصراخ وافانيته ولغاته ، فوق كل منابره وفي كل محاريبه ، بل لكي يصبح محروما من كل ذلك ومحرمنا عليه كل ذلك - لكي يريحوه من عذاب ووقاحة الغضب والبغض والكيد والخداع والتدبير للعقاب والانتقام والصياح ٠٠ ؟

نعم ، ماذا لو ان جمع البشر وجميع الابالسة فعلوا ذلك ؟ اليس المحتوم حينئذ ان يكون الاله قد وقع في ورطة لا مثيل لها في القسوة والتعذيب والحرمان ، وان يكون غضبه وسخطه وهياجه ولحتياجه الى الانتقام والتعذيب اشد واحد ؟

بل اليس محتوما حينئذ ان يدبر اي تدبير او يخلق اية قوى شريرة اخرى او اي ابالسة اخرين لكي يكون معصيا مخروجا عليه ، ولكي يجعل البشر والابالسة القدماء الذين استقاموا وتابوا عصاة من جديد كما كانوا ؟ هل يوجد في التصور متأملون على الاله في قسوة من تأملوا عليه ليكون كل شيء كما يأمر ويريد ويطلب ويعلم ؟

اجل ، اليس محتوما حينئذ ان يذهب أي الاله يدبر هذا للتدبير لكي يصبح معصيا منبوذا ، لكي يصرخ غاضبا لاعنا مهددا متهما مبغضا ملعنا عن تصميمه وعن قدرته على الانتقام والانتصار ، اي لكي لا يصبح محروما من سعادته الشاملة

العظمى ، اي من الصراخ بكل الاساليب واللغات والمفسر بكل الاسباب وللتفاسير وبكل المذاهب والاديان ؟

الا يحتمل ان يفتن البشر الى ذلك فيحاولوا حينئذ باسلوب ماكر لثيم ان يعاقبوا الاله وان يوقعوا به ، ثارا وغضباً وانتقاماً لانفسهم منه ، اي استرداداً لشيء من الحسابات والديون الثأرية الاليمية المتراكمة عليه لهم مما اوقع وفعل بهم ، اي بان يتحولوا جميعاً ومعهم جميع الالباسة الى مستقيمين مطيعين له ، بالاسلوب والمستوى اللذين يطالب بهما بكل الصياح والاعلان والديمومة والشمول .

نعم ، الا يحتمل ان يفعل البشر والالباسة ذلك باسلوب ونية المكر والتوريط والانتقام الثأري لكي يحرموه اي يحرموا الاله من لذاته الكبرى في السباب والتهديد واللغات وفي الغضب والبغضاء والادعاء والمباوزة الصوتية ، بكل اساليب الصياح من فوق جميع المنابر وفي داخل جميع المحاريب ، وفي طقوس كل الصلوات والعبادات وفي آيات كل تورا وانجيل وقرآن ؟

عجبا ! كيف لم يفتن البشر والالباسة الى ذلك ؟ او كيف لم يقدموا على هذا المكر العظيم ؟

اليس حرمان الاله من هذا يتفوق في قسوته على حرمان كائن خارق في حدة احساسه وحده الامه واشواقه وحبه واحتجاجة وغضبه واحزانه واحلامه - حرمانه من جميع حواسه ، من جميع ادوات ولغات التعبير ومن جميع اساليبه وصيغه ؟ اذن كيف حدث هذا ؟ كيف لم يفكر البشر في الاخذ بالثار ؟ هل عجزوا ام جهلوا ام اشفقوا ورحموا ام تأدبوا ؟ الا يمكن يوما ما ان يفتنوا اليها ويفعلوها ؟ كيف لم يعاقب البشر الاله بان يكونوا كما يريد منهم وكما يطالبهم لكي يحرموه من الغضب والتوعد وانزال اللغات عليهم وبهم ؟

ولكن السؤال الحاد هو : هل الانبياء الذين يجيئون الى الارض رسلا للسماء ليطلبوا سكان الارض بان يكونوا كما تريد وتأمّر السماء اي لكي يذهب غضبها اي غضب السماء وحقدما ووعيدها وبغضاؤها ومطالباتها ونواهيها وأوامرها المزمجرة المرعدة - نعم ، هل هؤلاء الانبياء يعرفون تفاسير هذه القضية ، اي يعرفون ان الناس لو استقاموا كما يطلبونهم ويعلمونهم لوقع الاله في الورطة التي فسرت جيدا ؟ هل الانبياء يعرفون او يستطيعون التحديق في داخل ذات الاله لكي يعرفوا تفاسير شهواته ورغباته ونياته واخلاقه وأوامره ؟ هل احد من الانبياء جرؤ على قراءة ضمير الاله ؟

ان كانوا يعرفون ذلك فكيف يدعون الى ما فيه كل الهدم لسرات الاله ولسعادته ؟ وان كانوا لا يعرفون فكيف يجهلون مثل هذا الذي يصعب جدا جهله ؟ هل الغباء شرط

في النبوة ؟ هل من شروط اختيارك نبيا الا يكون فيك اي قدر من الذكاء ؟ هل درست او فهمت هذه القضية بل هل طرحت او نوقشت ؟

لكن لعل الانبياء لم يجهلوا هذا ولم يخشوا بدعوتهم ان يفعلوا او يحققوا شيئا يضر بمسرات الاله او ينقصها او يهددها لانهم اي الانبياء يعرفون انهم مهما دعوا وعلموا وجاءوا فلن يطاعوا ولن يقل الفساد او العصيان او الزندقات او ما يسمى ويحسب كذلك . هل يحتمل ان اي نبي قد يهبط في مستوى ذكائه او مستوى غفلته الى ان يظن ان تعاليمه قد تطاع او ان تصوغ من توجه اليهم اية صياغة ؟

انه لا احد يهجو ذكاء الانبياء مثل من يظن انهم كانوا يتوقعون التأثير في اخلاق الناس او في نياتهم بمجيئهم .

اما الاحتمال بان يتآمر البشر والابالسة على الاله وعلى مسراته فيذهبوا باسلوب المكر والخداع وبنياتهما يطيعونه ويلتزمون بكل الصدق والصرامة والشمول بكل ما يأمرهم ويطلبهم به وبكل ما يتظاهر بانه يريده منهم ، فهو احتمال يجب ان يبعد عن جميع مناطق التفكير والتفسير .

لقد دبر واحتاط الاله لنفسه في هذه القضية . لقد صاغ البشر والابالسة وجميع من يطلبهم بطاعته صياغة تجعل طاعتهم له مستحيلة ، مستحيلة بالامكان والقدرة والطبيعة والمنطق والاخلاق . . . وطالبهم كذلك مطالبات غير مستطاعة تحت جميع الظروف والنيات والحوافز والوعيد والتهديد وتحت جميع اساليب الاغراء والرشوة . انه لمستحيل ان يستطيع اي نبي او قديس طاعة الاله او التأثير بتعاليمه واوامره مثل استحالة ان يهبط القمر ليصافح او يقبل او يشكر من يتغزلون به ويرنون اليه . . . اذن فلا خوف على الاله من احتمال هذا التآمر . . .

انه مهما كان الشك في موهبة الاله الفنية او الابداعية او العلمية او الاخلاقية فلا ينبغي ان يكون هناك اي شك في موهبته الكيدية او القتالية او العدوانية . . . انه لو انكرت جميع مواهب الاله لما امكن انكار مواهبه في التدمير والتفتيل والتعذيب والعدوان وكل انواع التخريب والاذلال ان كان هو مخطط وصائغ وحاكم هذا الكون . . .

**

نعم ، ان الانسان كائن مصوت اي كائن شاتم ومبغض ومتهم ومخاصم ومعاد ومطالب ومدع ومهدد اكثر واعمق واصدق من كونه كائنا مفكرا او متدينا او مؤمنا او محبا او صديقا او قارئا او منتما او اخلاقيا او اجتماعيا ، بل اكثر واشمل واعمق واصدق من كونه كائنا جائعا او نائما او متناسلا . . .

ولكن الاساليب والمستويات محتوم ان تختلف وتتفاوت في ذلك . .
 انه لو كان محكوما على البشر ان يختاروا - ان يكون كل شيء كما يريدون
 ويطلبون ، اي ان تصاغ الاشياء والاحداث والكون والآخرين كما تريد احتياجاتهم
 ولكن بشرط ان يحرم عليهم التصويت بكل لغاته ، اي السباب والاتهام والمخاصمة
 والمبارزة بالكلمات ، وايضا الادعاء والتهديد والبغضاء الجاهرة العلنة المفسرة بالاديان
 أو بالمذاهب أو بالاخلاق أو بالتاريخ ، وكذلك تحويل الحاربي والمنابر الى مصاعلات
 متحدية متكبرة متفجرة غضبا وغيظا وحقدا وفزقا - او لا يكون ذلك كذلك لتبقى لهم
 كل اصواتهم بكل لغاتها وتفسيرها واسبابها واساليبها واعلانيتها الاستعراضية
 المتواقة المتباهية .

نعم ، انه لو حكم على البشر ان يختاروا بهذا الاشتراط او بهذا التقييد لكان
 محتوما ان يحملوا السلاح بل ان يقاتلوا باسنانهم واطرافهم لئلا تكون الاشياء
 والاحداث والكون والآخرين كما يريدون ويطلبون ويتمنون ويحتاجون .
 ولكن مرة أخرى : لا بد من الاختلاف والتفاوت بين البشر في ذلك . وقد
 يكون الاختلاف والتفاوت خاديين في الاساليب والمستويات وفنون التعبير . .

اني لانتظر الصفح والغفران او التسامح ان كان محتوما اني سوف ابدو مكررا
 هنا . . وهل يعتذر عن التكرار ؟ هل الذي يكرر غضبه او احتجاجه او اشمئزازه
 او حزنه او رفضه او حبه او كرهه او هتافه لتكرر اسباب ذلك - هل الذي يفعل ذلك
 يحتاج الى اي اعتذار ؟

ان التصويت ليس وظيفة يراد بها ان تحقق شيئا . انه اي التصويت ليس
 تخطيطا او تدبيرا او تفسيرا او تفكيرا او توظيفا ، ليس عملية حسابية من اي
 نوع . ان الانسان يشتم ويحقد ويبغض ويدعي ويفاخر ويحقر ويخاصم ويعادي بصوت
 مسموع ، وكذلك يئن ويبكي ويتأوه ويعط ، انه يفعل ذلك بالنية والمنطق اللذين
 يصوت بهما اي حيوان جيد او ردي . . ان صوته اي واعظ او معلم من فوق اي منبر
 لا يحمل من التأثير او الوعظ والهداية اكثر مما يحمل صوت اي حيوان يئن من الالم . .

لماذا يهتف الناس بالهتف وانبيائهم وقديسيهم طالبين منهم ان يهبوهم او يهدوهم
 او يعلموهم او يشفوهم ، أو ان يقهروا الاعداء والابالسة ويذلوهم وينصروهم عليهم؟
 لماذا يتضرعون اليهم ببكاء وتوهم وارتجاف ونحيب طالبين اليهم ان يتحكموا
 في آلية الطبيعة او في حماقاتها وضرباتها الالية العمياء - ان ينزلوا المطر او يمنوا
 او يزيلوا الاوبئة او يعافوا المرضى والمشوهين او ينصفوا المظلومين والمقهورين
 والمهانين - طالبين الى الالهة ان تكون افضل مما ارادت ان تكون او اقدر مما استطاعت
 ان تستطيع ، طالبين الى زارعي القحط والبغضاء ان يزرعوا النجوم باللحوم
 والمحبة ؟ . .

لماذا يفعلون ذلك وامثاله بكل هذا الاصرار والديمومة وبكل هذه الاساليب العالمية ؟ انهم بالتجارب الطويلة التي لا تختل ولا تختلف بل وبالاحاسيس المختلفة يعلمون ان هؤلاء الالهة والانبياء والقديسين لن يستجيبوا لاحد ولن يصنعوا او يستطيعوا ان يصنعوا شيئا مما يطلب منهم . ان تاريخهم الطويل بريء من كل معاني الاستجابة واحتمالاتها . انه لا احد يملك من البراءة مثلما تملك الالهة من براءة الاستجابة ..

ان المريض الذي يهتف بالالهة او الانبياء والقديسين او بالارواح الغيبية الخفية، طالبا منها الشفاء ليعرف بالتجربة الطويلة الممارسة او المشاهدة اي بالتجربة في الذات او في الآخرين ، انها لن تستجيب ولن تستطيع ان تستجيب الا بقدر ما يستطيع السرير او الكرسي الذي ينام او يجلس عليه ، او الا بقدر ما يستطيع المريض المجاور له ، ان يشفيه لو انه طلب منه ذلك . بل كلا . ان السرير او المريض المجاور ليستجيب للمريض المستغيث اكثر واقوى من الالهة وارواح الانبياء والقديسين استجابة لن يستغيثون بها .

ان المريض الذي ينادي بانين ورهبانية : ايها الاله اشفني ليعرف بالتجربة والاحساس انه لن يجد من يسمعه او يستجيب له اكثر من ان يجد العاشق المهوف من يسمعه او يستجيب له حينما ينادي باحترق وجنون حبيبته الذي قد مات : تعال الي ، تعال ، اني في انتظارك ، او حينما ينادي القمر المتأثب من البلادة والكسل والضياح في الفراغ الكثيب : اهبط الي ، اهبط الي لابحث في وجهك وجيوبك وضميرك عن حبيبي الذي ضاع ! ..

نعم، انهم لكثيرون اولئك الذين يظنون ان وجوه احبابهم مخزونة في وجه القمر .. لهذا يرونها حينما يرونه ..

والالهة والانبياء وسائر المعلمين لماذا يصرخون دائما من فوق جميع المنابر وداخل جميع المحاريب بكل اساليب التهديد والغضب والغيظ والسباب ، يطالبون البشر بان يكونوا كما يعلمونهم ؟ انهم يعلمون ان البشر لن يكونوا كذلك وان تعاليمهم لن تصيب الشيطان او المسمى شيطانا الساكن في اعضائهم وشهواتهم ومجاعاتهم وضعفهم وفي قوانين الحياة فيهم ، لن تصيبه باي قدر من الضعف او الحياء او الهزيمة او الادب او من الاشفاق على ضحاياه او من الرغبة في الستر عليهم واخفاء نقائصهم وضعفهم .. انه لا احد يهجو ذكاء الالهة والانبياء والمعلمين مثل من يعتقدون انهم اي الالهة والانبياء والمعلمين يظنون انهم قد يصيبون الشيطان بأية مزيلة بتعاليمهم ..

والاباء الذين ينهرون ابناءهم الاغبياء او المعتوهين او المصابين باي عجز عقلي او نفسي او بدني ويوجهون اليهم النصائح والوامر ليكونوا اذكيا وعقلاء واصحاء واقياء . ماذا يريدون من هذا التوبيخ وهذه النصائح والوامر ؟
هل هي سذاجة او وقاحة او قسوة او شماتة او اعلان ودعاية او استمتاع بالسلطة ؟

ان هؤلاء الاباء ليعلمون ان ابناءهم لن يكونوا كما يريدون لهم بصياحهم بهم نهرا وتوبيخا ونصحا . ان صنيعهم هذا يساوي صنيع الاب الذي ينهر ابنه او يسبه لانه قصير القامة او اسود اللون ، ويذهب يطالبه بان يكون بالنصائح والامر والوعظ طويل القامة وابيض الجلد . .

نعم ، ليس جميع الاباء يعلمون ويأمرون ابناءهم القصار السود البله بان يكونوا عمالقة وعباقره وبيضا ؟

ان هؤلاء ليسوا موظفين أو مخططين أو مدبرين يريدون أن يحققوا شيئا مما ينادون به أو أي شيء آخر . انهم ليسوا الا مصوتين ، لا يعنون او ينوون الا ان يصوتوا . ان ما صوتوا عليه أو له أو به أو باسمه ليس هو سبب تصويتهم أو سبب حاجتهم الى التصويت ، ولكنه هو المصوب اليه والمسقط عليه تصويتهم والمفسر به والمعلن باسمه . انه هو الذي وضع عليه الشيء وليس هو الذي له الشيء أو من أجله الشيء أو خالق الشيء . . .

انه هو المكذوب به وليس المكذوب له والمبصوق عليه لا المبصوق من أجله . . ان ما يصوتون عليه أو له أو به أو باسمه هو الذي فعل به وليس الذي فعل من أجله . ان الشيء الذي يصوت عليه أو له أو به أو باسمه هو من أجل المصوتين وموظف عندهم ولهم وليسوا هم من أجله ولا موظفين عنده أو له أو فيه . . ان الذي يصلي أو يهتف أو يحقد ويشتم باسم اله أو مذهب ليس في نيته التكريم بل الالتقاء بالاحوال الذاتية . .

انهم لو لم يجدوا هذا الذي صوتوا له وعليه وبه وباسمه لصوتوا باسم شيء آخر أو لوجدوا شيئا آخر لكي يصوتوا باسمه وعليه وله وبه ، أو لصوتوا بدون أي شيء . . اليس الذي يشتم ويحقد ويكره باسم اله أو مذهب أو باسم اية قضية أخرى يشتم ويحقد ويكره أيضا بلا اله أو مذهب أو قضية ؟

اجل ، ألم يوجدوا الالهة والانبياء والمذاهب والاديان والتعاليم والتاريخ والخصومات والخلافات والحدود المقسمة لكي يصوتوا باسمها وعليها ولها وبها مع انهم يصوتون ايضا ودائما بدون هذه التي تتحول الى تشريع لتصويتهم ؟

ان المصوتين لا بد أن يصوتوا حتى ولو جاء تصويتهم ضد ما يصوتون له وعليه وبه وباسمه ، حتى ولو جاء تصويتهم اساءة وهزيمة وفسادا وتحقيرا وفضحا له أي لما يصوتون باسمه أو من أجله فيما يزعمون . .

ان الذين يصوتون باسم شيء أو من أجله في زعمهم لا يستأذنون ذلك الشيء ولا يحاورونه بحثا عن مصلحته وإرادته .

اليس أكثر تصويت البشر على الأشياء التي يزعمون انهم يصوتون من أجلها ودفاعا عنها واحتراما وتأييدا وتقوية لها هو تصويت يتحول الى اعتداء عليها والى اهانة واضعاف وفضح وتشويه لها ؟ هل وجد أي مذهب أو نظام أو دين أو الله أو زعيم لم يتحول التصويت له وباسمه الى تشويه وفضح له ؟

هل الذين يشتمون أو يبغضون أو يحقدون أو يعادون أو يتهمون أو يخاصمون أو يبارزون أو يتحدون أو يتوقحون ويتكبرون أي يصوتون باسم الهتهم أو أنبيائهم أو زعمائهم أو أوطانهم أو مذاهبهم وأديانهم ، ويصوتون لها ومن أجلها فيما يعلنون . - نعم ، هل هؤلاء يحاسبون أو يحاورون تصويتهم ليعرفوا انه نافع وناصر

لما يصوتون باسمه وله وعليه ومن أجله ؟ هل يفعلون ذلك أو هل فعلوه بحساب وصدق وإخلاص واهتمام ، ثم صوتوا أو كفوا عن التصويت خضوعا لما دلتهم عليه محاسباتهم ومحاوراتهم ؟ هل وجد من يحاكمون أو يحاورون أصواتهم لمصلحة ما يزعمون انهم لا يصوتون الا من أجله دفاعا عنه ، وحبا وانتصارا وتمجيда له ؟

لو أن التصويت الذي يدعى ويحسب كلاما ، أو لو أن الكلام الذي هو تصويت كان تدبيراً أو تخطيطاً أو وظيفة أو عملاً محسوباً ومحاسباً بالنتائج فماذا يمكن أن يصيب هذه الأجهزة الصوتية العالمية ، الإذاعة والصحافة والتلفزيون في كل بلدان العالم وتحت كل نظم ومذاهبه وانتماءاته ؟

ماذا يمكن حينئذ أن يكون مقبولا بقاءه أو مسموحا ببقائه من هذه الأجهزة ؟ نعم ، لو أن هذه الأجهزة لم تكن تصويتا فقط من أجل التصويت فقط ، أي لو انها كانت عملاً يخطط ويوظف ويحسب ويحاسب بما يعطي من منافع وقيم دولية أو محلية ، مادية أو أخلاقية أو نفسية أو انسانية أو تعليمية أو سلامية .

- نعم ، لو أن هذه الأجهزة كانت كذلك فماذا يمكن حينئذ أن يبقى منها ، وكيف يمكن حينئذ أن تستقبل أو تعامل أو تصاغ ؟ كيف يمكن حينئذ أن تكون حاجتها الى التاديب والتهذيب والتشذيب ، بل الى العقاب الشديد ؟

هل توجد اية خطيئة عالمية تستحق من المحاكمة والمعاقبة مثلما تستحق هذه الأجهزة العالمية ؟

ان هذه الأجهزة الصوتية ليست الا مأساة عالمية متجددة مفخورا بها مصرا عليها موهوبة كل الاهتمام والعناية والتمجيد بأسلوب ومنطق عالميين .

انها ليست الا مأساة عالمية اذا كان المفروض والمطلوب أيضا أن تكون عملاً يخطط ويحسب ويحاسب بما يعطي ويصنع من المنافع والقيم الحضارية والانسانية المختلفة . ولكن أليس مما يغفر لها ويخفف من ايذائها وعدوانها ان العالم كله يعرف انها ليست ألا تصويتا عالميا ؟

لقد أصبحت هذه الأجهزة ورطة عالمية .. أصبحت شقاقا وبغضاء ومخاصمات وتحريضا على الحقد والخوف والانقسام والعداوات والتربص بأسلوب عالمي لا مثيل له في الشمول والمجاهرة والديمومة ..

إنها تحريض على جميع الشرور يوجهه كل العالم ضد كل العالم بأكثر الاساليب ديمومة وشمولا والحاحا .

لو أن منظمة أو هيئة أو جماعة دولية ألقت من رجال موهوبين كل الاخلاص والصدق والنزاهة والشجاعة والحياد والذكاء والمعرفة والعمق والعدالة ، ليكون عملها محاسبة ومحاكمة هذه الأجهزة الصوتية العالمية ، أي الاذاعة والصحافة والتلفزيون وكل ما هو كذلك ، لتغير أي هذه الجماعة الدولية من هذه الأجهزة ولتزيد وتنقص بل وتمنع وتعاقب كما تقول لها محاكمتها. ومحاسبتها ورؤيتها - نعم ، لو أن ذلك حدث فماذا يمكن أن تكون النتيجة حينئذ ؟ حتما ستكون النتيجة حزينة وفضاحة بل مروعة ..

إن هذه الجماعة الدولية لا بد أن تصاب حينئذ بالهلع مما تصنعه هذه الأجهزة الصوتية من تخريب وفساد وعدوان .

هل يمكن حينئذ أن يترك جهاز واحد من هذه الأجهزة في أي بلد من بلدان العالم المختلفة الانتماءات والمستويات كما هو ؟ أليس محتوما أن تعاقب وتشنب وتهذب جميعا ، وإن يحاكم ويعاقب ويحرم ويمنع أكثرها ؟ ثم أليس محتوما أن تختصر وتصغر كلها ؟ حتى أفضلها واذكاها واعظمها نبلا وحبا ووقارا وصنفا لا بد أن تختصر جدا بل لا يبقى منها الا الشيء القليل جدا .. إن اخضاعها حينئذ للمنطق والحساب والمحاكمة لابد أن يخرسها ويحولها الى فترات عاقلة قليلة كفترات الحب العاقل العميق .

هذه الديمومة والضخامة والشمول والعالمية في التصويت ، كل لحظات الزمان بكل الاساليب والوسائل كيف تكون مقبولة أو مغفورة أو نافعة ، حتى ولو كان هذا التصويت هو اعقل واتقى واعدل الاصوات ؟ كيف ، وهذا الاعقل الاعدل الاتقى هو الاقل بل هو النادر الذي يتحول وجوده الى شذوذ وسماعه الى مفاجأة مثيرة ؟ انك لساذج سذاجة تستحق كل الرثاء لو توقعت أن تسمع اية دعاية أو أية اجهزة صوتية محكومة بكل حسابات العدل والصدق والعقل والذكاء والوقار والنقوى .

ليكن .. هذا البلد أو النظام أو الحزب أو المذهب أو هذا الانسان مثلا له قضية مع آخرين أو مع نفسه ، وهي قضية عادلة وهو يتحدث عنها بتهذيب وذكاء وعدل، ولكنه يتحدث عنها كل الاوقات بكل كل اللحظات ، بكل الأجهزة ، بكل الافواه والاقلام والاصوات ، في الصحافة والاذاعة والتلفزيون وفي الكتب والنشرات ، بل وفي الصلوات .. فهل يقبل أو يغفر هذا ؟ بل هل يمكن أن يكون هذا مفيدا أو ناصرا للقضية ، لاية قضية ؟

هل يمكن ان يكون التحدث عن أية قضية بكل هذه الشمول والديمومة مفيدا او غير ضار ؟ ..

اليس احتمالا جيدا أن مثل هذا الاسلوب قد يحول مثل هذه القضية الى نوع من العادة والاستساعة بل والهزل المتحول الى سخرية بل الى احتقار واشمئزاز ومضايقة تصنع النفور والغتيان ؟

اليس كل شيء محتاجا الى أن يحول الى اسلوب معين محكوم ومقيد بالشروط وبالالتزام الفني ؟

ليكن لك عدو محتل وطنك ومواقع منه وأنت مصمم على طرده بالحرب وبكل الوسائل الأخرى ..

حينئذ قد يكون معقولا أو مستساغا أو مفيدا أن تعلن مرات انك لا بد أن تفعل ذلك ، ان تعلن ذلك في الاوقات والظروف الملائمة ، باسلوب ذكي متوقر فيه تواضع وحزم واصرار وكرامة ..

لكن هل يمكن أن يكون من العقل أو الوفاق أو الذكاء أو المفيد لقضيتك أن تحول كل الاجهزة ، كل خفقات الزمن الى اصوات مجنونة محمومة منطلقة من جميع الافواه والاقلام ، تحت درجات متصاعدة من التوقد والتوهج والاحتراق والاحراق والبذاءة والنزق ، وأن تستمر تفعل ذلك أعواما أو عشرات الاعوام أو مئات الاعوام ؟ هل يمكن أن تظل قضيتك حينئذ قضية في احساسك أو احساس العالم ؟ الا يصبح حديثك عنها كالبكاء على الاموات والاطلال وعلى حبيب أو حب قد مات ؟

اليس محتوما أن تتحول حينئذ أنت وقضيتك الى مسلاة أو الى شماتة أو الى سخافة مألوفة قد تثير الاسف أو الاستهزاء دون أن تثير أي قدر من الاهتمام أو الاحترام أو التفكير أو التصديق أو حتى من الانزعاج أو الغضب أو الخوف منك أو من قضيتك ؟ اليس التصويت الدائم الطويل للشيء أو باسمه أو به أو عليه يسلبه نخوته وعفته وحماسه وبهجته وكرامته بل وبرأته كما حدث للصلاة والتضرع والهتاف للاله وباسمه ؟

ثم أليست جميع المجتمعات أو أكثرها أو كثير منها يصنع اليوم ودائما من وراء جميع اجهزته مثل هذا الذي تصورناك أو اتهمناك أو وجدناك تفعله أنت باسم قضيتك ؟ نعم اليس كل العالم أو كثير من العالم يعالج كل قضاياها أو يصوت عليها أو يصوت باسمها ، ولكن مع الافتراض المحتوم بأن تختلف وتتفاوت الصيغ والاساليب والمستويات في الذكاء والثقافة والتعذيب وفي الأشياء الأخرى ؟ لننظر ماذا حدث لجميع الطقوس الدينية مثل الصلاة والدعاء والتضرع الى الاله ؟ ألم تتحول كل هذه الطقوس لديمومتها الى هزل وسخف وإلى موات ؟

ليس التصويت أو التحدث عن أية قضية عادلة - هنا نفترض القضية عادلة - يمثل هذا الأسلوب في شموله وديمومته، يشبه في أخف أساليب الحكم عليه أن تكون مريضاً أو مشوهاً أو جائعاً أو مظلوماً أو مهاناً أو عاشقاً أو غريباً أو حزيناً أو محروماً، فتذهب توظف نفسك وإبناءك وأقاربك وأصدقاءك وكل من تستطيع توظيفهم ، لتصرخوا في جميع الأذان ، كل الأوقات ، بكل الأساليب ، في كل الأماكن ، بكل الأصوات واللغات ، متحدثين عن آفتك أو مشكلتك التي تقاسي ، لتستمروا تتحدثون وتصرخون كذلك أعواماً عديدة وأحياناً عشرات الأعوام ؟

لعلك ترى أن هذا شيء قبيح جداً بل شيء لا شبیه له في قبحه ، وأن مثله ليم يحدث قط ولن يحدث أبداً . لعل كل الناس قد يفعلون أو لا بد أن يفعلوا ما لا يصدقون أنهم قد فعلوا أو قد يفعلون شيئاً منه لقبحه أو لبلادته . . . ولكن ، كم يجب عليك أن تتجرع هذا . نعم ، أنه لو اوجب عليك أن تقتنع بصبر وتحمل أن هذا أو مثيله هو الذي يحدث دائماً ، هو الذي تفعله جميع أقطار العالم المتقدمة المهذبة والمتخلفة البذيئة ، مصوتة أو متحدثة أو معلنة أو داعية أو ماحدة أو مفاخرة ومبارزة أو مخاصمة ، أمام جميع قضاياها ومواقفها وهمومها وانتماءاتها . أن كل العالم مفتضح بل مجنون بل أقيح وأردأ من مجنون في دعايته لقضاياها أو في تصويته لها وعليها .

نحن هنا نفترض القضية التي يصوت باسمها ولها بهذا الشمول والديمومة قضية عادلة ، ونفترض أن التصويت عليها ولها يجي بأسلوب مهذب ومتواضع وذكي وإنساني ، ومع هذين الافتراضين أو الشرطين لا بد أن يثيرنا قبح هذا التصويت لشموله وديمومته ولسخف نتائجه أو لحي ، نتائجه مناقضة للنتائج المطلوبة والمزعومة والمنظرة أن كان يوجد حقاً من ينتظرون أو من يطلبون أن تكون لمثل هذا التصويت نتائج جيدة تطلب وتنتظر أو نتائج من أي نوع . نعم ، أن كثيراً من الناس أو أكثرهم يفعلون ذلك غير مفكرين أو محدقين في النتائج أو محاسبين أو حاسبين أو قارئين لها . . .

ولكن كم هي القضايا التي يصوت أصحابها أو يتحدثون عنها بهذا الشمول والديمومة ملتزمين بالشرطين أي بأن تكون القضية عادلة وبأن يكون التصويت لها أو التحدث عنها مهذباً ومتواضعاً وذكياً وإنسانياً ؟ بل كم هم الذين يعرفون أو يتصورون أو يريدون أن يكون لتصويتهم على قضاياهم أي شرط من أي نوع ؟ بل كم هم الذين يصوتون لقضاياهم بأسلوب من يعتقدون بأنهم يجب أن يكونوا خارجين على كل الشروط ؟

اذن كم من القبح والسخف والبذاء والغباء والافتضاح والاثارة الاليمة ومن ألوان التحريض المنكر بل ومن الخسران في هذه القضية ، أي في موهبة الإنسان الصوتية أو في كونه كائناً مصوتاً ، وأيضا في هذه الأجهزة الصوتية التي أعطت هذه الموهبة الصوتية في الإنسان كل القدرة والظروف والتحريض لتعبر عن نفسها بكل هذا القبح؟

انه لا يوجد بلد واحد اليوم بل واثما ليست له قضية أو قضايا عديدة يصوت باسمها أو يتحدث عنها زاعما أنه يهاجم بها ويحاول فرضها على الآخرين أو اقناعهم بها لكي يتحضروا ويتقدموا ويسعدوا بل ويعقلوا بل ولكي ترضى عنهم لسماء أو لترضى عنهم المذاهب والنظم الجديدة ، أو زاعما أنه انما يدافع عنها أي عن قضيته أو قضاياها ، ويحرسها من اللصوص والمتأمرين والغدارين المتسللين، يحرسها من الرجعيين والمغفلين والاستغلاليين أو من الزنادقة والمرتدين والهدامين .

— نعم ، انه لا يوجد بلد واحد اليوم واثما ليست له قضية أو قضايا يصوت باسمها أو يزعم أنه يتحدث عنها أو يبدو وكأنه يتحدث عنها بهذا الشمول و الديمومة ، تحت بعض هذه المزام أو تحتها كلها . هل حدث أن أحدا أطاع أو اعتقد أو أحترم أو أحب الله أو نبيه أو مذهبه أو انتماء أو زعيمه أو قضيته بلا ملاعنات ومبارزات وعداوات وغرور ؟

أليس كل الناس في كل التاريخ الا النادر الذي لا بد أن يعد شخوذا كانوا ولا يزالون يتقاتلون بالاصوات المتعادية المتلاعنة ، باسم قضاياهم المختلفة المتناقضة ، بلا أي مستوى أو قدر من الذكاء أو الوقار أو الادب أو الحياء أو العدل أو الرؤية لأي شيء أو من المحاسبة للنتائج المطلوبة أو المنتظرة أو المزعومة ، بل أو من التفكير في هذه النتائج أو من الاهتمام بها ، بل دون أي حساب للنتائج المحتومة المضادة أو النقات إليها أو رؤية لها مهما تفجرت في جميع العيون والعقول المتوقفة عن العمل ؟ أليس توقف العقول والعيون عن العمل هو الشرط الدائم لكي نحيا ونتقبل ولكي نجد ذكاء وعقلا ونرى جمالا في أي شيء ؟

هذا البلد ، وكل بلد هو مثل هذا البلد ، نعم ، هذا البلد قضيته أو قضاياها اله أو دين أو كتاب مقدس قديم جدا ، أو مذهب أو نظام أو رأي أو نبي أو زعيم أو معلم أو تاريخ أو موقف أو خلاف أو صراع أو عدا ، أو العديد من ذلك ، يحول كل الاجهزة المصوتة ، كل ثواني الزمن الى اصوات منطلقة من كل الانواء والاقلام ، بكل الاساليب الصوتية واللغوية والبلاغية والانفعالية اللفظية وبكل الغفلة والسماجة والوقاحة والكبرياء والادعاء ، وبكل الجذب والفراغ النفسي والعقلي والاخلاقي بل والاعتقادي من كل اقتناع أو تفكير أو رؤية أو صدق أو حب أو اخلاص أو محاسبة لأي شيء . . .

— نعم ، يحول كل هذه الاجهزة المصوتة تحت كل هذه الظروف وبكل هذه الاساليب الى اصوات لتعلن أن قضيتها أو قضاياها ، أي الهها أو نبيها أو زعيمها أو دينها أو مذهبها أو نظامها أو رأيها أو موقفها أو كتابها المقدس أو خلافتها أو صراعها أو تاريخها أو عداوتها أو بغضها أو مخلصتها أو حزبها هي كل الحق والمنطق والعدل والاخلاق والتطور والثورية والحضارة بل وكل التاريخ والمستقبل وكل

الممكن والحتم المستحيل ما سواه . ليس كل البشر حتى العقلاء منهم جدا يرون أن كبل الوجود والجمال والحق والصدق هو فقط ما تراه عيونهم أو الهمهم أو نبينهم أو معلمهم أو زعيمهم ؟

الم تحاول أن تستمع الى هذه الاجهزة الصوتية الضاجة في كل بلدان العالم كبل ثواني الزمان ، أو لم تضطر اضطرابا الى سماعها ، أو لم يحدث أن هجمت عليك ، على اذنك وعقلك ووقارك بلا محاولة أو تدبير ؟ هل تستطيع ان تهرب باذنك أو بعقلك أو بوقارك أو باستحيائك من كل ذلك كل الوقت مهما حاولت؟ انه لا بد أن يكون قد حدث لك شيء كثير أو قليل من هذا . انه لامر أكثر من مستحيل ان تكون قد احتفظت امام هذه الاجهزة بكل عفتك ، بكل كرامة اذنك وحياتك واخلاقك . هل استحال الاحتفاظ بكرامة شيء مثل استحالة الاحتفاظ بكرامة الاذنين ؟ اذن كيف تصورت بشاعة أن يكون الانسان كائنا مصوتا أو بشاعة أن تبدع الحضارة هذه الاجهزة الصوتية ؟ هل تصورت حينئذ ما في كون الانسان كائنا مصوتا وما في احداث الحضارة لهذه الاجهزة الصوتية من عنوان على الحب والسلام والصدقات ، والذكاء والحياء والوقار ، وعلى التفاهم والعلاقات بين الناس والدول ، وعلى براءة وصفاء النفوس وابائها على الاحقاد والبغضاء والمرارة والتربص والانفعالات المتوحشة المتفجرة غضبا وغيظا واستنفارا ؟

كيف لم يفعل العالم الباحث عن السلام والحب شيئا لاسكات أو تدمير هذه الاجهزة ، بل كيف لم يفكر ولو تفكيراً في ذلك ؟

كيف قرأت نفسك أو قرأت الانسان أو الاشياء حينما استمعت الى أحد بلدان العالم يصوت كل لحظات الزمان بكل هذه الاجهزة والافواه والاقلام ، بكل مستويات العقول والثقافات والاخلاق الرديئة والضعيفة ، ليزعم دون أن يستمع الى نفسه أو يصدق نفسه بل دون ان يريد الاستماع الى نفسه أو تصديقها ، بل دون أن يخشى من أن يستمع الى نفسه أو أن يصدقها لانه الحال والخطر للذان لا يستطيع التفكير فيهما أو في احتمال أن يعاقب نفسه بهما ، وكذلك دون أن يستمع اليه أو يصدق أحد ، أو أن يؤمل في أن يستمع اليه أو يصدق أحد ، بل ودون ان يريد أو يتقبل أن يستمع اليه أو يصدق أو يقرأ أو يفهمه أو يفسره أحد .

— نعم ، ليزعم تحت هذه الشروط والاحتياطات وبهذا التفسير لنياته ، ان دينه أو كتابه أو نبيه أو تاريخه أو عقله أو تقواه أو حضارته هي كل ما استطاعت كل عبقرية الالهة ان تراه وتريده وتختاره وتقدمه الى كل البشر في كل العصور ليؤمنوا به ويتبعوه ويبايعوه ويكونوه ، لكي يصبحوا كل اهتمام الاله وكل حبه ورؤيته وضميره وسروره وكل عضلاته وقوته وذكائه واخلاقه والا فلن يكونوا متقدمين ولا متحضرين أو اتقياء أو سعداء أو عادلين أو صالحين أو صادقين ، بل ولا شجعانا أو عابرة أو اذكياء أو محاربين أو منتصرين اذا حاربوا أو أن حاربوا ، — والا ايضا

فلن يجعوا الا جحيم الالهة وغضبها وعقابها المتوحش الذي لن يستطيع أي خيال كريم أو رحيم أو مهذب أن يصعد اليه أو يهبط اليه لابتعاده أي ابتعاد عقاب الالهة المتوعد به عن كل نماذج الخيالات الذكية والسوية والانسانية بل حتى عن كل نماذج الخيالات الشيطانية ؟ حتى الشيطان لا يستطيع تخيل هذا العقاب .

نعم ، كيف قرأت نفسك أو قرأت الانسان أو قرأت الاشياء حينما استمعت الى هذا البلد من بلدان العالم يفعل ذلك ؟ هل قبلت حينئذ ان تكون منتميا الى بلد من هذه البلدان او ان يكون لك اله او دين أو نبي أو كتاب مقدس أو تاريخ أو مذهب يرى نفسه هذه الرؤية ويدافع عنها بهذا الاسلوب ؟

حينما يندفع أي انسان الى هذه الاجهزة ليصوت مزورائها على قضيته أو لقضيته أو للقضية التي ظنها قضيته أو قيل له انها قضيته أو حكم عليه بانها قضيته ، بل أو للقضية التي يعلم انها ليست قضيته بل يعلم انها ضد قضيته ، ولا يريد أو يتصور أن تصبح قضيته - نعم ، انه لشيء شاذ أو مستحيل أن تكون القضية التي تدافع عنها وتزعم قضيتك هي قضيتك بل الا تكون خروجاً على قضيتك وهزيمة لها ..

- أجل ، حينما يندفع أي انسان الى هذه الاجهزة هل تسأل أو فكر هو أو أحد من مجتمعه أو السلطان الذي وظفه أو سخره في أن ما يفعله بالاسلوب الذي به يفعله نافع للقضية التي يصوت لها أو لاية قضية أخرى جيدة وليس ضاراً مفسداً مشوهاً لها ؟

هل تسأل أو فكر هؤلاء في ذلك مصمماً على أن يرفض ويقاوم هذا التصويت ان قاله له تساؤله أو تفكيره أن تصويته مخرباً أو ضاراً وسفه وبلادة وبذاءة وعدوان على الذات وعلى جميع القيم ؟

انه لا الصوت ولا من كلفه بأن يصوت فكر في ذلك أو حاسبه بنتائجه الا بقدر ما فكر وعرف الحاقد والحاسد والمبغض والشاتم والمخاصم والمغتاب أو البذيء المتوقع أن وقاحاته هذه لا بد أن تقيده وتفيد كل قضايا ومشاكله وهمومه بل لا بد أن تتحول الى انتصارات وامجاد ومسررات لاربابه وانبيائه وتاريخه واديانه ولقبوره ابائه ، بل والى تفاسير جيدة ومعجزة وعبرية وحضارية لكتبه المقدسة البهوية الا بقدر ما فكر النذل واقتنع بأن نذالته لا بد أن تصبح اقوى البراهين على وجود الهه أو صديق نبيه أو زعيمه .

أو الا بقدر ما فكر وعرف المتوجه بصلواته وتضرعاته وآهاته وهمومه وامراضه وتلوثاته الى الهته الصماء الخرساء المصابة بالغيوبة وبكل تعبيرات ومستويات الخمود والاسترخاء والعجز . والاهمال ، ان توجهه هذا لا بد ان يحولها اي يحول الهته الى سامعة مبصرة مستجيبة متوهجة القلب والضمير والتفكير والحركة ..

« هل يوجد عبث وبلادة يشبهان عبث وبلادة من يهتفون بالالهة راجين ان تسمع او تستجيب ؟

انه لا شيء يسخر من شيء اقصى او أطول مما تسخر اذا الاله من هتاف الإنسان بهما لتسمعا وتفعلنا ٠٠

هذا الانسان الذي يصوت كل يوم في صحافة أو اذاعة أو تلفزيون المجتمع الذي وجد نفسه فيه أو في أي جهاز من أجهزته الأخرى - هذا الانسان الذي يصوت من وراء أحد هذه الأجهزة أو منها كلها كل يوم مرة أو أكثر من مرة ، على قضية واحدة أو على عديد من القضايا الممينة بمنطق أو بتفسير واحد معين مكرر محفوظ ، أعواما عديدة قد تكون عشرات الأعوام أو مئات الأعوام ، قد تكون أكثر من ألف عام ، هل يمكن أن يكون هو أو المجتمع أو السلطان الذي ألزمه بذلك أو قبل منه ذلك وشكره وأجره عليه ، صادقا أو جادا أو محترما لنفسه بل أو وراثيا أو قارنا أو مسفرا أو فاعما لنفسه أو مريدا أو ناويا أن يحقق أي شيء جيد أو ذكي أو نافع لاية قضية من قضاياها أو من قضايا العالم أو قضايا الكون أو قضايا الالهة ، أو أن يقاوم ويمنع ويهزم أي شر أو خبت أو ندالة أو فجور أو زندقة وتخلف أو ظلم ، أو أية كتابة أو هزيمة أو تشوهات قد تصيب ضمير الاله ونفكيره أو رؤيته أو ذاته أو مرآته التي يرى بها جماله وعضلاته وانحناء قامته واحزان عينيه أمام انحناء قامات مخلوقاته ومخلوقيه وأمام احزانها واحزانهم وخطاياها وخطاياهم وآلامها وآلامهم وأمام عارها وتعريها وعارهم وتعريهم ؟

نعم ، هل يمكن تصور كائن مثل الاله يستحق أن تكون له أعجب وأضخم ولقسي مرآة ليرى بها احزان عينيه وانحناء قامته وارتجاف عضلاته أمام العضلات والقامات والعيون التي شوها وحطما وحناها واذلها وصب فيها كل هذه الاحزان والآلام والمخاوف والتوقعات الرهيبة ؟ ولكن هل يوجد كائن لم يتعامل مع أية مرآة ولا مع أي معنى من معاني المرآة مثل الاله الذي يجب أن تعلق كل المرايا في وجهه؟ لو أن أي انسان التزم لنفسه بأي مقدار من الاحترام أو الوقار أو الصدق أو القرب عن العبث ، أو التزم بأن يحاسب ويحكم كل ما يفعله بالنتائج المعطاة أو المحسوبة المنتظرة وبالنطق المسائل المفسر فهل يمكن أن يجرؤ على أن يكتب أو يذيع أو يخطب كل يوم وقد يفعل ذلك أكثر من مرة كل يوم ، أو كل اسبوع أو كل شهر بل أو كل سنة ، عن قضية لا يحسها ولا يعطف عليها ولا يريد لها ولا يفكر فيها بل ولا يريد أن يكون شيئا من ذلك ، وايضا لا يدري ولا يريد أن يدري أن حديثه عنها قد يقتلها أو يحييها ، ينصرها أو يذلها ، يهبها المجد والقوة أم العار والضعف وبس ولا يريد أن يقرأ أو يفسر عينيه أو ذباته أو أخلاقه أو أهواءه أو تاريخه أو احلامه أو مصالحه أو اشواق ضميره ليعرف ما نوع وقوة وقيمة العلاقات التي بينه وبين القضية التي يكتب أو يخطب أو يذيع عنها كل يوم وقد يفعل ذلك في اليوم الواحد أكثر من مرة واحدة ؟

انها قضية يصوت لها أو يتحدث عنها كل مجتمعه من وراء جميع أجهزت بالاسلوب والتكرار والنيات والاحاسيس والامواء والظروف والاخلاق التي يصوت ويتحدث هو بها وعنها ، دون أن يتساءل أو يفكر أو يبالي أو يحاسب هو أو مجتمعه أو أحد من مجتمعه أو شيء من أجهزته : هل وهب كل هذا التحديث والتصويت هذه القضية شيئا من المجد أو القوة في الارض أو من الجمال في العيون أو من المحبة في القلوب أو من الاقتناع في العقول أو من القدرة على الإقامة في الضمائر أو على أرباب وتهذيب وتأديب وتنظيف الاعضاء والشهوات أو من الانتصار أو التفوق في مبارزة ومنافسة الخصوم والمنافسين والمخالفين ، بل ودون أن يريد لها أي للقضية أحد منهم شيئا من ذلك أي من المجد أو القوة أو الجمال أو المحبة أو من القدرة على الاقتناع لو على الانتصار والتفوق في أية معركة أو خصومة مع أي عدو أو خصم أو منافس ؟

ان القضية التي يقع كل هذا التعامل عليها قضية قديمة ، قديمة جدا . انها مطروحة فوق كل المناظر والمحاريب ، تتفجر بها كل الافواه والاقلام ، وتتساقط فيها كل الآذان ، منذ مئات السنين ، وحيانا منذ الاف السنين ، دون أن تجد قبرها بين القبور أو بيتها بين البيوت . . . دون أن تموت فتريح أو تحيا فيوجد أمل بأن تموت فتريح ويصمت المصوتون باسمها . . . نعم ، ليس كل الناس أو اكثرهم يتعاملون بالحديث والحوار والتفكير والمخاصمات على قضايا لا تستطيع ان تموت أو تحيا فهي اخلاقهم وحياتهم ولا يريدون لها ان تحيا ولا ان تموت ؟

كم انت مهزوء بل هازيء بنفسك ايها الصديق . اذن كم انت مسكين ؟ انه محكوم عليك بالانقضاء والنزق والعبث والكذب والعار . محكوم عليك ان تكتب أو تذيع أو تتحدث أو تخطب كل يوم في هذه الصحيفة أو الاذاعة أو التلفزيون أو النادي عن هذه القضية أو عن أية قضية أخرى بالاسلوب ومنطق قد تكون انت لم تصنعها أو ترددها أو تعرفها أو تقتنع بها أو ترصدها بل أو تفكر فيها ، بل قد تكون ملزما أو مشروطا عليك دون نطق بالاشتراط بالا تكون كذلك أي بالا تكون صانعا للاسلوب والمنطق اللذين تتحدث بهما أو مريدا لهما أو عارفا أو مقتنعا بهما أو راضيا عنهما أو مفكرا فيهما . انه لا يشترط عليك الا تفعل الا ما تعرف وتعتقد وتريد الا بقدر ما لشرط عليك الا توجد الا بالشروط والنماذج التي تعرف وتطلب وتريد . . .

كما لا بد ان تكون كذلك أيضا مع القضية التي تتحدث وتخطب وتكتب وتذيع عنها كل يوم ، أي ان تكون غير صانع ولا مريد لها ولا عارف أو مقتنع بها ، ولا راض عنها أو مفكر فيها بل وليست لك أية احاسيس أو عواطف نحوها ، بل قد تكون احاسيسك وعواطفك واهواؤك وكل ظروفك وتاريخك وحياتك وثقافتك ضدها ، بل قد يشترط أو يفضل ان تكون كذلك ، أي ان تكون بكل معانيك وظروفك ضد القضية التي تهرب للتصويت لها . . .

انه لحكوم عليك ان تصوت لهذه القضية بعينها دون غيرها ، بهذا المنطق والتفسير دون غيرهما لانك في هذا المجتمع او في هذا العصر .. لانك محكوم بهذا للحاكم او المذهب او الانتماء او الاله ..

ولو تغير مكانك أو زمانك أو انتماؤك لكان محتوما أن تتغير قضيتك ويتغير أسلوبك ومنطقتك ولكن دون أن تتغير أخلاقك أو أيمانك أو اقتناعك أو حماسك أو صدقك أو كونك كائننا مصوتا فقط بلا قضية وبلا منطق أو وقار أو استحياء من أن تكون مصوتا فقط . ان تغير قضايانا واساليبنا ومنطقنا لا يعني كما لا يصنع اي تغير في اخلاقنا أو حماسنا أو اقتناعنا أو صدقنا أو في كوننا كائنات مصوتة ..

انت مخيف بوقاحتك وبموهبة الهزل والافتضاح فيك ايها الانسان .. انك تستطيع ان تتحدث كل يوم مرات من وراء هذه الأجهزة الصوتية ، وقد تكون ملتزما بذلك بعقد وظيفي أو باسئوب وظيفي ، داعيا الى الالتزام بالصدق ، وبالكرم والحب والايثار والوفاء والشجاعة والامانة والكرامة ، والى الاتعيش النفوس أو الاعضاء أو تهوى اي قدر من الحقد أو الحسد أو البغض أو الخسة أو النذالة أو الهوان أو الخداع أو الانانية أو الشهوات والاثام البهيجة المحرمة أو العبودية أو مخافة الطغيان أو القوة وتملقهما ، مفسرا بهوس هائل مزايا الالتزام بذلك ومدلا على ضخامة هذه المزايا وعلى وجوب الالتزام به ، بنصوص الكتب المقدسة وبتعاليم الانبياء والاديان ، أو بما تقوله الاخلاق والنصائح والحكم المروية ، أو بما يقوله الزعماء والقادة ، أو بما تقوله المذاهب والنظم أو بما تقوله القومية أو الوطنية ، مكررا بفلك هذا كل منابر التاريخ ومحاربيه واصواته ، بل كل اساليب انبيائه ووعاظه وكل صراخ توراته وانجيله وقرآنه ، بل فاعلا ما يفعله كل مجتمعك في كل لحظات زمانه من وراء جميع أجهزة الصوتية ، بكل افواهه واقلامه . نعم ، وهل حدث ولو مرة واحدة ان توقفت لقرى نفسك أو لتسائلها أو تحاسبها أو تعاتبها على هذا الذي تفعل ؟

اجل ، انك لتستطيع ، بلا اية رجة في حياتك أو ذكائك أو كبريائك ، ان تفعل ذلك ، بل انك لتفعله دائما ولست مستطيعا له فقط ، ظانا أو زاعما ، مظنونا أو مزعوما لك انك بفلك هذا انما تصوغ الكون والحياة والانسان الصياغات التي كان كل آلهتك وانبيائك وحكمائك وزعمائك ، في كل التاريخ يطالبون وينادون بها من فوق جميع المنابر والمحاريب ، وفي جميع نصوص اياتهم واسفارهم وانجيلهم وهراسلاتهم ومفاوضاتهم مع السماء ، دون ان يحياها اي الصياغات التي يطالبون وينادون بها ، واحد منهم ، بل دون ان يشعر واحد منهم بالعطف عليها أو بالحب والاحترام لها أو بأنها تستحق أن يحياها أو انه من المحتمل أن يحياها ، أو يحياها أحد من يطالبونهم بأن يحيوها ومن يوجهون اليهم كل اللعنات والتهديدات واقساها اذا لم يحيوها ، بل اذا لم تكن كل حياتهم ، بل دون ان يريدوا لهم ان يحيوها أو يحياها واحد منهم اي من اولئك المهددين الملعونين اذا لم تكن كل حياتهم وأشواقهم

وتمنياتهم • فالالهة والانبياء والزعماء والقادة يرفضون ان يحيا اتباعهم ما يدعونهم اليه • انهم يدعونهم الى الصديق والاخلاص والذكاء والفهم فهل يقبلون منهم ان يكونوا ذلك ؟

بل دون ان يخشى واحد منهم اي من الهتك وانبيائك وحكمائك وزعمائك ان تتحول اي هذه التعاليم المنطلقة من هذه الاجهزة ، وهذه الصياغات التي تتمناها كل هذه الاجهزة للكون والحياة ولجميع البشر ، ان تتحول الى تخويف او تهديد لهم ، بان تعشقها او تؤمن بها ضماثرهم او اخلاقتهم او اعضاؤهم ، او بان تصدق اذانهم او عقولهم او اعتقاداتهم او اخلاقتهم او افواههم او نبواتهم او نصوص كتبهم المقدسة ، فيلتزموا اي هذه التعاليم والصياغات الممننة ، او يحبوا او يتمنوها او حتى يفكروا في احتمال ان تكون اسلوبا من اساليب الحياة او من اساليب حياتهم رهيب جدا ان تصدق اخلاق الانسان او اذانه او عقله فمه او نبواته او كتبه المقدسة او زعاماته ••

بل ودون ان تشعر انت بانك قد تكون مخاطبا او محاسبا بما تقول وبما تدعي اليك ، او انك قد تكون مخاطبا او محاسبا بذلك ، او ان تخشى بان تخوض حوارا فكريا او اخلاقيا مع أي عضو أو خفقة أو قفزة أو صرخة أو همسة من اعضائك أو من خفقات أو قفزات أو صرخات أو همسات أو مهمات شهواتك وانجذاراتك ، لتقول لك بذعر أو باستحياء أو بسذاجة : انك قد تخطيت بها ما تقوله في مقالاتك أو اذاعاتك أو محاضراتك ومحاوراتك اليومية من وراء هذه الاجهزة الصوتية ، لنقول لك انها لتكاد تهلك وتجن وتصاب بكل الامراض ومشاعر الانهيار خوفا من ان تخضعها او تلزمها بالتعاليم والفضائل التي احاديثك عنها هي كل منطق وتفسير وجودك وبقائك وتقبلك لنفسك ولطموحك المثير ولطالباتك للمجتمع بان يهبط ولزعمك انه مهمما وهيك فهو لم يهيك كل ما تستحق - والتي احاديثك عنها هي كل مجد ومسررات واحتياجات وتمنيات وابتسامات الالهة والانبياء والزعماء والحضارة والتاريخ والتقوى •

بل انك لتستطيع بلا اية رجة من رجفات التوبيخ على ضخامة الكذب والهزل والافتضاح والتفاهة ان تتحدث من فوق كل هذه الاجهزة كل اوقاتك لتعلن بكل موهبتك الصوتية وبكل ما لك من تاريخ في التصويت ان البشر لو تقبلوا منك ان تقرأ لهم او عليهم بعض الايات من كتابك المقدس القديم او بعض الروايات عن نبيك او بعض الاراء او النظريات او النصوص من تعاليم معلميك او من كتابك الذهبي أو الحزبي أو الوطني أو الاخلاقي ، لتفسرها لهم كما فسرهم آباؤهم كل التاريخ في كل تاريخه ، لكي يؤمنوا بها كما تفسرها لهم دون ان تشترط او يشترطوا ان توافق طاقة الشمس او اخلاقها او تاريخها الطويل العنيف الوحشية والاستبداد على تفاسيرك ، لكي يعلنوا التزامهم بها ويلتزموا كما تطالبهم وتفسر لهم ، لزال من

هذه الارض بل من الكون كله كل شيء قد يتحول الى دمة او آمة او انة او صرخة او حسرة او غصبة او لعنة في عين الاله او قلبه او عقله او في فمه او في ضميره او في كرامته ونظافته وكبريائه ، من قبح ونذالة وبلادة ما يرى ويعلم ويعايش ويسمع ويقاسي ويناضل ، بل ولكان محتوما ان يتخلصوا من هوان الارض وحضيضها وجافيتها ليصعدوا فوق هامات النجوم صعودا علميا وحضاريا وعقليا ونفسيا واخلاقيا وانسانيا ودينيا ..

بل انك لتفعل ذلك دائما كما يفعله كل من حولك وكما كان يفعله كل ابائك ، هون ان تعذبك او تشريك احزان النجوم او استبشاعها او خجلها منك ولك وهي تراك وتسمك تفعل ذلك .. آه لو كانت النجوم او الاشياء الاخرى حولك تمارس الخجل او الاستبشاع او الاحزان .. كيف يمكن ان تكون حينئذ احزانها وخجلها واستبشاعها لمراك ؟

وانك ايضا لتستطيع ، بل ولتفعل دائما هذا الذي تستطيع ، نعم ، انك لتستطيع ان تصوت من فوق جميع هذه الاجهزة الصوتية كل اوقاتك ، لتزعم لجميع المهزومين والمظلومين والمهانين والمرضى والمحزونين والشوهين ولجميع الاغبياء والبله والضعفاء والتخلفين ذاتيا ونفسيا وبشريا ، بل ولجميع من خلقوا بلا هامات او قامات او رجل او ايد او عضلات او رؤوس او عيون او بلا غد وأعضاء تفرز الغضب او الشهامة او النخوة او الشرف او الالباء او الكبرياء او العفة الفكرية او النفسية او السلوكية او تفرز الاستئزاز والاحتجاج والغثيان الانساني - لتزعم لجميع هؤلاء انك تستطيع ان تصوغهم او ان تتعهد لهم بأن يصاغوا صياغة جديدة مبراة ومعافة من جميع هذه النقائص والعجز والالام والعاهات والذنوب ، اذا هم تقبلوا منك شيئا صغيرا و سهلا جدا ، اي اذا هم تقبلوا منك ان يؤمنوا بالاله او النبي او الكتاب او الدين او المذهب او النظام او الزعيم الذي تؤمن انت به او الذي تدعوهم الى الايمان به دون ان تؤمن به او تفترض انك قد تؤمن به او تفكر في قضية الايمان به .. وتقبلوا ايضا ان يهبوه كل ثقتهم واخلاصهم واعجابهم وحبهم ، وان يلقوا في محرابه او في قبضة جنونه ومغامراته وكبريائه بكل كبريائهم وكراماتهم وحياتهم وحياتهم وبكل هاماتهم وقاماتهم ، وبكل ما فيهم من احتمالات الشموخ او الالباء او الذكاء ، ومن مواهب الصراخ والهتاف والبكاء .. وايضا اذا هم عادوا وابغضوا وسبوا واتهموا وحرقوا كل الالهة والانبياء والكتب والزعماء والاديان والمذاهب والنظم الاخرى المخالفة او المناقضة التي يملكها الآخرون او الجيران او التي تملك الآخرين والجيران . ان معادة الانسان للرب او للنبي او للمذهب او للدين او للنظام الآخر شرط في ايمانه بربه او بنبيه او بدينه او بمذهبه او بنظامه وشرط في احترامه له .

وانك ايضا لتستطيع ان تزعم بكل هذا الشمول والديمومة لجميع هؤلاء البشر المصابين بكل هذه الافات والهزائم والتخلف والعجز والعذاب ، انهم لم يصابوا بأي شيء من ذلك الا لانهم لم يؤمنوا بهذا الاله أو النبي أو الزعيم أو الكتاب أو الدين أو المذهب أو النظام الذي تدعوهم الى الايمان به ، ولم يهبوه كل ما يجب ان يهبوه من تصديقهم واستسلامهم وطاعتهم وتضرعهم وركوعهم وجنونهم ، ومن الحب والفناء فيه وفي اهوائه وتمجيده . نعم ، انك لمستعد دائما ان تهب فكرك وايمانك وصلواتك ودعايتك وصوتك بلا اي شرط من اي نوع اكثر من استعداد اية امرأة عامة لان تلقي باعضائها في انياب كل الوحوش الغابية . انك لن تكون اقوى احتشاما أو حياء لم كرامة أو كبرياء أو تدينا أو تهذيبا من هذه المرأة المسحوقة بكل الانياب الهمجية . ولكن لا تفرح أو لا تحزن كثيرا . فكل الآخرين يفعلون هذا المجد أو هذا العار الذي تفعله ، أو هم مستعدون ان يفعلوه حينما يستطيعون ان يفعلوه وحينما يكونون في مثل ظروفك الذاتية والخارجية .

انك لست مخصوصا بالضخامة أو بالضلالة ، بمحبة البشر أو بالرغبة في فضحهم وتحقيرهم . ان كل الآخرين مثلك ، فلا تقتلك ضخامة العار أو ضخامة الغرور . انك لست الا برغوثا بين براغيث ، ولست برغوثا بين نسور ، أو نسرا بين براغيث . وهل من العزاء أو التعويض أو السعادة أو المحابة للبرغوث ان يكون من حوله براغيث ؟

ان البشر حينما ابتكروا هذه الاجهزة الصوتية كان ذلك يعني حتما ان يلتزموا بممارسة هذا الافتضاح المصوت الدائم الشامل وبممارسة هذا العذاب والارهاق . ان يحكموا على انفسهم وعلى حياتهم بتنفيذ هذا الالتزام بالممارسة ، دون ان يجدوا منفذا أو مشفقا ، بل ودون ان يشعروا بالحاجة الى الانقاذ أو الى الاشفاق .

هذه الاجهزة ، من صحافة واذاعة وتلفزيون واشياء اخرى كثيرة ، هذه الاجهزة الليلية النهارية الكونية المشاغلة لكل لحظات ودقات الزمان ، الجائعة ابدًا الى كل الاصوات والمصوتين ، على كل المستويات وبكل اللغات واللهجات والحقائق . هذه الاجهزة الجائعة جوعا لا علاج له الى كل البذاءات والوقاحات والشتائم والاكاذيب الصائحة .

هذه الاجهزة المتوحشة في شرها وجوعها واتساعها ، كيف يمكن ملؤها أو اشباعها أو تشغيلها الدائم ؟ هل يمكن ان يشغلها أو يشبعها أو يملؤها أو يسكت جسمها كل ما عند البشر من ذكاء وعقل وحكمة ووقار وصدق وصداقة ؟ انه المستحيل . ان هل يمكن ان يفعل لها ذلك كل ما عندهم من نزق وسفه وحقائق وعداوات واكاذيب وشتائم واحقاد وعفونات متعددة الجنسيات والاصناف ؟ انه ايضا المستحيل .

ان كل ما عند البشر وكل ما في احتمالاتهم من ذلك لن يستطيع ان يشبع او يقنع
أو يملأ هذه الاجهزة • وهم ملتزمون بأشباعها وملئها وتشغيلها تشغيلاً كاملاً لانهم قد
خلقوها وصاغوها هذه الصياغة المحتاجة الى التشغيل الدائم الكامل • انن ماذا
يصنعون ، او ماذا يجب ان يصنعوا ؟

ان عليهم ان يكونوا اوفياء بالتزاماتهم ، لن التزموا له • ولكن كيف ؟

ان يكونوا فضلاء واذكياء ومتوقرين وصادقين عاجز جدا عن ان يكفي أو يقارب
الكفاية لتشغيل هذه الاجهزة الصوتية المدة لان تشغل كل لحظات الزمان • وايضا
لن يكفي ولن يقارب الكفاية لتشغيلها بهذه الديمومة والشمول ان يكونوا خبثاء وانذالا
ومتوتحين نزقين كذبة بكل احتمالات وطاقات الخبث والندالة والتوقع والنزق والكذب
بيهم • ان جميع الطاقات محدودة حتى طاقات الرداء والخبث ••• انها افن لمصيدة
رهيبية صنعها البشر لانفسهم ثم فرضوا على انفسهم ان يقعوا فيها بل والا يريدوا او
يحاولوا الخروج منها او تحطيمها ••

وهل يستطيعون الخروج أو الخلاص منها حتى ولو ارادوا وحاولوا ذلك ؟

اية ورطة تساوي هذه الورطة ، تساوي ان يواجه البشر موقفا يفرض عليهم
التعامل مع اجهزة قد التزموا بتشغيلها وملئها واشباعها كل الاوقات ولكن جميع ما
فيهم من مواهب جيدة وقوية ومن مواهب رديئة وضعيفة ، محشودة ومستنفرة
كلها ، لا تستطيع ان تسد هذا الالتزام بل ولا ان تقارب ؟

انها هوة تزداد اتساعا وفراغا ونهما ومجاعة كلما ازداد الالتقاء فيها •

حينما يكون العقل والذكاء والوقار والصدق والحقائق غير كافية لما نحن
مصريون على ان نريده ونكونه وننزيى به فما الذي لا بد ان نفعله ونعوض به حينئذ؟
حتما لا بد ان نلجأ الى النقيض ، اي الى الحماسة والسفه والضلال والنزق والكذب
والخروج على كل التزام تطالبنا به التعاليم والاداب التي نزعم الايمان بها بل التي
نزعم اننا لم نقبل ان نجى ، أو أن نبقى الا من اجل الايمان والالتزام بها •
ولكن اذا لم تستطع جميع هذه الاشياء الرديئة الفاضحة ان تكفي لما التزمنا بان
نريده ونكونه وبأن نعامل به حياتنا ونصوغها عليه وبه فما الذي لا بد ان نفعله
حينئذ ؟

واذا كان محتوما ان نتكلم ونحن لن نجد صدقا أو حقا أو نكاء أو علما لننكلمه ،
او لن نستطيع ان نتكلمه أو نتكلم به أو عنه أليس محتوما حينئذ ان نتكلم النقيض
وبالنقيض وعن النقيض ، أي الكذب والباطل والغباء والجهل ؟

ولكن اذا لم يكن هذا النقيض اي الكذب والباطل والغباء والجهل كافيا لكي
نتكلمه ونتكلم به وعنه بالاسلوب المفروض المحتوم المطلوب ، في كل الاوقات

المفروضة المحتومة الملتزم بها فما الذي لا بد ان نعالج به حينئذ موقفنا ؟ نعم ، انما قد نكون محتاجين الى الكذب والغباء والجهل والباطل والافتضاح اكثر مما نستطيع ان نفعل أو نعرف من ذلك ...

واذا كان محتوما ان نقف فوق منبر تحقق فيه كل عيون ومشاعر الالهة والتاريخ والناس والاشياء ونحن لا نستطيع ان نقف فوق هذا المنبر بشيء من ملابسنا أو من حياتنا واستقارنا افليس من المحتوم حينئذ ان نقف فوق المنبر وداخل عيون ومشاعر الالهة والتاريخ والناس والاشياء بلا اية قطعة من الملابس أو الحياء أو الاستقار ؟ وكذلك حينما تكون بنا اشواق حادة واصيلة الى الافتضاح والى تحدي وتعذيب كل العيون والمشاعر والاخلاق والمنابر بعارنا وعريتنا ..

ولكن اذا لم يكن هذا المنبر أو كل منبر كافيا لكي نؤدي فوقه كل ما هو محتوم علينا ان نؤديه من عري وافتضاح ومن تفجر وقح وبذيء في عيون وضماير ومشاعر جميع الالهة والناس والتاريخ والاشياء فما الذي لا بد ان نلجا اليه حينئذ لكي نفعل كل عارنا وعريتنا اللذين حولناهما الى التزام لا تفكير في التراجع عنه ؟ نعم ، هل وجد مجتمع لم يحول ممارسة العار والعري الى التزام ديني أو مذهبي أو اخلاقي أو قومي أو وطني ، وليس الى ممارسة فقط ؟

حينما تلد كل يوم نبياً

ولكن ما هي القضية التي يلهث الحديث حولها هنا ويقاسي القلم رهبة وانفجاعاً من الخوض فيها بل ومن الاقتراب منها ، وعجزاً عن الهرب منها ؟
القضية هي ان البشر قد ابتكروا هذه الاجهزة الصوتية التي لا يكفي لاشباعها وملئها وتشغيلها كل ما فيهم من مواهب وطاقات وشهوات الضعف والرداءة والغباء والافتضاح والوقاحات . وهم قد النزموا تحت كل الظروف وملئها وتشغيلها واشباعها .
اذن كيف يتصرفون في تعاملهم مع مجاعات هذه الاجهزة التي مهما قدموا لها واعطوها اخذاً من ذكائهم وصحتهم ووقارهم واستتارهم وتقواهم وكرامتهم فلن تزداد الامجاعة ولهفة الى المزيد من ذلك ؟ انهم هم الذين ابتكروا وصاغوا هذه الاجهزة بكل هذا الشره والابتلاع . لقد ابتكروا اجهزة لا يشبعها كل ما فيهم من مواهب جيدة ولا ما فيهم من مواهب رديئة .

ان المفروض بل المحتوم ان يلجأوا حينئذ الى اسلوبين لمواجهة هذا الموقف أو لحل هذه العقدة ، أو تخبطاً وضياعا تحت هذه الحيرة . .

أحد الاسلوبين ان يحاولوا ويقاسوا لكي يجدوا ويبتكروا المزيد من الطعام لهذه الاجهزة اي من الكذب والبذاءات واللوقاحات والشتائم والنزق ومن كل الوان الافتضاح والعار والتعري لكي يخففوا من مجاعاتها واحتياجاتها الى كل انواع الاطعمة الوبيلة .
ان هذه الاجهزة اذن ادوات تحريض على الابتكار الرديء السخيف الفضاح . .

والاسلوب الثاني ان يلجأوا الى التكرار . . يكررون عليها وفيها كل الاوقات بكل الاساليب والتوترات الكذبة والسخافة والبلادة والبذاءة الواحدة والادعاء والتشنيع والاتهام والسياب الواحد ، بالمنطق والتفسير والحماص والغرور والاعجاب الواحد الذي لا يزداد قوة ولا يزداد ضعفاً ، والذي لا يزداد قدرة على الاقتناع ولا عجزاً عنه ، والذي لا يزداد قرباً من الانهزام ولا قرباً من الانتصار . .

يكررون عليها وفيها كل ذنوب والام وعاهات الماضي والحاضر والمستقبل ، أو يكررون عليها وفيها كل احقاد وعداوات وبذاءات كل الالهة والانبياء والزعماء والقادة والاياء ، ليحولوها الى اناشيد وصلوات تؤدي وتنشد كل الاوقات بكل الاصوات واللغات ، لكي تتحول جميع المجتمعات الى منابر وساحات ، تتبارى وتتقاتل فيها وفوقها كل الشتائم والعداوات والندالات والاكاذيب ، ولكي تمتص منها اي من جميع

المجتمعات كل حقوقها وحظوظها من احتمالات الوقار والحياء والحب والحكمة والرصانة والتهذيب والتسامح ، ولكي تلقى عنها بكل ملابسها وبكل لزياء الحياء والاستتار ، لكي يصبح عريها وعارها عدونا وتوقحا على كل عيون وضماير وحياء جميع الاشياء . دون ان تتوقف اي المجتمعات لتتجاوز او تتعاسب او تتسائل او تعلن هدنة ، لتعرف ما هذا الذي تفعله ، ولماذا تفعله ، ومن دبر لها او الزمها ان تفعله ، وهل هو نافع او هل هو الانفع ، وهل فيه اي جمال او عزاء او مجد او انتصار او مصلحة او مسرة لاي اله ودين او مذهب و نظام او حضارة او لاي مجتمع او انسان ، او هل يريد او يمني او يفكر فيه و يعطف عليه او يفهمه احد ممن يفعلونه او ممن يفعل لهم او فيهم او باسمهم ، او ممن يجزون عليه ويأمرون به ويوظفون له . وهل يحدث ان تتوقف المجتمعات عن احقادها وعداوتها وشتائمها وتباغضها ودعاواها واقتناعاتها لتتحاكم وتتحاسب وتتسائل وتتعلتب ولتري وتعرف لماذا تفعل ذلك وهل هو نافع لها او لاي شيء ؟

انه لشيء مخيف في قبحه وفظاعته ان تستطيع جميع المجتمعات ان تكرر بكل هذا الاستمرار والاعلانية من فوق جميع اجهزتها الصوتية كل احقادها او حماقاتها وشتائمها وعداوتها وسخافاتا واتهاماتها وبغضائها ودعاواها وخلافاتها وشكوكها ومخاوفها وهمومها ومبارزاتها ومفاخراتها وتفاهاتها ، وكل عقائدها وتعاليمها ونبواتها واديانها ومذاهبها وزعاماتها ونصوصها المقدسة ، الموروثة الملقنة او المبتدعة ، التي لا تتجاوز او تتشاور او تتعاطف او تتفاهم بل او حتى تتلامس مع حماسها او اقتناعها او منطقها او حبها او مع اشواقها واحلامها او مع مشاكلها وهمومها بل او مع تقواها او فجورها او مع قوتها وضعفها او مع اي شيء من حياتها بل او من موتها . دون ان تشعر بان عليها ان تحاسب او تحاكم او حتى تعاتب وتساءل ذكائها او وقارها او حياءها او اخلاقها : لماذا تفعل هذا ، لماذا تفعله ، هل تفعله لانها عرفت انه شيء جيد ام لانها عرفت انه شيء ردي ، ام لانها لم تعرف انه هذا او هذا ولا تريد ان تعرف ولا تفكر ان عليها ان تعرف ، ولو انها عرفت فهل تفعل كما عرفت ام كما تفعل . . . هل المجتمعات تفعل لانها عرفت وعرفت انها عرفت ام تفعل لانها وجدت ووجدت انها تفعل ؟

هل تفعل بمنطق وموهبة الكائن المتكلم المفكر المخطط ام تفعل بعشوائية الكائن الصوت الذي اخترع لنفسه بوقا والترم بأن يشغله ويملاه ولكنه بوق لا يستطيع ان يملأه ويشغله الى حد الاشباع الذي التزم به حتى ولو تحولت جميع مواهبه وطاقاته الى اصوات ليهبها كلها لبوقه هذا ، اعني لابيوقه العديدة ، فهي ابواق لا بوق واحد . ولكن يجب الحذر من خداع اللغة ، فهي ابواق اكبر من كل ما عنته اللغة بكلمة ابواق ان جميع اللغات لم تستطع ان تتصورها حينما تصورت ابواقها ونطقت بأبواقها . .

انها ابواق لم تستطع جميع الهة التاريخ ان تملك منها بوقا واحدا ، بل لم تستطع ان تحلم ببوق واحد منها أو أن يصعد الى تصويره كل خيالها ، مع ان كل

امجادها اي امجاد تلك الالهة التاريخية ليست سوى امجاد ابواق ، وليست اشواقها سوى اشواق الى الابواق . بل مع ان شيئاً لم يصنع مجد لتاريخ مثلما صنعه الابواق ولم تحترق اشواقه الى شيء مثل تحرقها الى الابواق . . .

نعم ، انت تستحق الرثاء والاشفاق بصدق وعمق . ان مأساتك لفادحة ولقليلة النموذج والشبيه . وكيف تكون قليل النموذج والشبيه ؟ بل انها لكثيرة النموذج والشبيه مهما وجب ان تكون قليلة النموذج والشبيه ووجب الاقتناع بانها كذلك . . . انك ، مثلاً ، لتمامك بوقاً عجيباً رهيباً . انه قد يسمى صحيفة يومية او اسبوعية او شهرية مثلاً . هكذا تدعو انت هذا البوق وهكذا يدعو الآخرون . وتعيش انت وبوقك هذا في بلد او مجتمع ما . وهذا البلد او المجتمع له زعامة او قيادة او سلطة او حكومة ، لها مذهب او نظام او دين او انتماء او ادعاء او مظهر او شعار ، قد يكون قديماً جداً وقد يكون حديثاً كما قد يكون بينهما ، او خليطاً او تركيباً منهما بلا منطلق او ذكاء او فن . . .

وانت بالاكراه او الشهوة او الاقتناع او الانخداع او التجارة او بأحد معاني او اساليب الاغراء او البحث عن الميخ او الاعجاب بالنفس او عن وضعها في مكان التوافق والتلاؤم ، محتاج او مضطر الى ان تضع بوقك اي صحيفتك مثلاً في موقف المتزعم المؤمن المتعبد لخوض جميع المعارك بكل فنونها وصورها ووقاحتها ونذالاتها وخطاياها ، وبكل بذاءاتها وعدوانها ومخاطرها ، وبكل سفاهاتها المنطقية والنفسية والاخلاقية بل واللغوية ، واضعاً في ذاتك كل ارواح وتقوى وتعصب ووقاحة وغضب جميع الانبياء والقديسين والشهداء ، لكي تؤيد دين او مذهب او نظام او انتماء او شعار او مظهر تلك النبوة او الزعامة او القيادة او الحكومة او السلطة التي تعيش انت وبوقك في قبضتها . ولكي تبارز وتقاتل وتشتاق وتتحدى كل المعادين والمخالفين والمنافسين ، بل وكل الآخرين ، بل وكل من لم يجيئوا طائعين مؤمنين مبايعين . . . آه . هل يوجد لك مثيل في عارك وهوانك وافتضاحك واكاذيبك ونذالاتك ؟ هل لك مثيل في قبحك ووقاحتك ؟

ان معنى هذا انه محكوم عليك بأن تملأ وتشغل كل يوم او كل اسبوع بوقك هذا بالابمان والاقتناع والتأييد والتمجيد والتهديد والمباهاة بذلك المذهب او الدين او النظام او الشعار او الانتماء او التظاهر ، وبزعمه هو كل الماضي والحاضر والمستقبل وكل العقل والذكاء والصدق والعدل والكرامة والنظافة والقوة . وايضاً بأن تملأه وتشغله اي بوقك ، اي صحيفتك مثلاً ، كل اسبوع او كل يوم او كل وقت بكل الاسلحة والمقذائف الهجومية والدفاعية المتجددة المتطورة المفاجئة ببحثها وشدة تمكها لكي تقتل وتدمر وتهزم حياة وحصون ومدن وارادة جميع من لم يصنعوا بوقك او يوظفوه او توظفه لتمجيد طغيانهم وسلطانهم او يحملوه او يستمعوا اليه او يصوتوا به او يصلوا لاناشيده . نعم ، فيبوقك يجب ان يكون اله ونبي وسلطان وقائد وشاعر ومفكر وعبقري ومسكت جميع الابواق . . .

ان معنى هذا انه قد اصبح محكوما عليك ان تصعد كل يوم أو كل وقت فوق منبر معروض في السوق أو في الميدان العام وفوق العيون والاذان والضمائر ، ان تصعد فوقها وفوقه عاريا مشوها صائحا كاذبا مزورا مبغضا لاعنا معاديا معتديا متهما محقرا ، مغرورا مباهيا متكبرا مدعيا مبارزا فاضحا مفتضحا هازئا مهزوءا بك ، زاعما الايمان والافتناع والاعجاب والالترام بما لا تعرف ولا تفهم ولا تريد ولا تعاش ، بل بما ترفض وتخاف وتنكر ، بل بما لم تتخاطب معه قط بعقلك أو بضميرك أو بحماسك أو باخلاقك أو حتى بأذنيك أو عينيك أو أشفاقك ، بل بما لن تقبل التخاطب معه بأي تفسير أو تعبير أو أسلوب من تفاسيرك أو تعابيرك أو أساليبك أو نياتك . نعم ، ان الناس يتحدثون ويعلمون إيمانهم بما لا يقبلون أو يستطيعون التخاطب معه بنياتهم أو بتفاسيرهم أو بتعابيراتهم . .

انك لا تستطيع ان تستتر أو تتوقر ولا يوما واحدا . ان بوقك اليومي يحتم الا تصمت ، يحتم عليك ان تكون دائما معروضا في السوق بكل عاهاتك وتشوهاتك وفنؤبك بصياح وعلان ودوي . . انه يحتم عليك ان تتعري بكل سوءاتك وان تضيح عليها بكل صوتك طالبا من كل من في السوق ان يروها ويقرأوها اي سوءاتك يحبوها ويعجبوا بها ويتحدثوا عنها وان يحولوها الى اديان ومذاهب وتعاليم .

انه لمحتوم عليك ان تعرض ذاتك في السوق وفي داخل العيون . فهل تعرضها كذلك ودائما في صورة أو صيغة أو لغة واحدة أو في زي أو موقف أو مستوى أو تفسير واحد أو فوق منبر واحد ؟ ألست محتاجا الى التغيير والتجديد الدائم اليومي ؟ ولكن هل تستطيع ان تتبكر كل يوم أو كل اسبوع بل أو كل شهر بذاة أو وقاحة أو سخافة أو بلاهة أو حقارة أو كذبة جديدة ، أو سبابا أو عدوانا أو اتهاما أو بغضا أو ذما أو تحقيرا أو ادعاء أو غرورا أو منطقا أو تفسيرا جديدا ، لتمجد وتؤيد وتجل وتناصر الهك أو مذهبك أو دينك أو نبيك أو زعيمك أو تاريخك أو وطنك أو قوميتك أو دعاواك أو موقفك أو اي زعم زعمته لنفسك وزعمت ايمانك واقتناعك واعجابك والتزامك به ، زاعما له كل المزاي والتفوق والخلود ، وزاعما أيضا انك قد جربته وقارنته وحاسبته وحاكمته بكل ما سواه مما يخالفه أو يناقضه أو ينافسه أو يعاديه ففهمته ووجدت فيه كل التفوق على ذلك المخالف أو المناقض أو المنافس أو المعادي - وأيضا لكي تحقر وتشوه وتذل وتهزم وتقبح ذلك المناقض أو المخالف أو المنافس أو المعادي ؟ انها اكوان من الاحوال لا بد ان تفوص وتغرق فيها بكل ازياتك وتفاسيرك ونماذجك ، بكل صراخك وتعميرك . . انها احوال من الاحوال لا بد ان تسبح فيها بكل عباائك وعماماتك وخيامك كل اوقاتك بكل افتضاحك .

كيف تستسيغ ان يستساغ منك ان تستمر تكرر شتيمة أو بذاة أو وقاحة أو اكنوبة أو بلاهة واحدة أو اتهاما أو امتداحا أو تمجيذا أو تفسيرا أو تحقيرا أو أسلوبا واحدا في هجومك ودفاعك ، وفي ايمانك وتقبلك ، وفي كفرك ورفضك ، وفي جميع

معاملاتك مع بوقك ؟ كيف تتقبل لنفسك أو يقبل منك ان تستمر كل حياتك واوقاتك تصلي لالهك صلاة واحدة أو تمتدحه بمجد واحد أو تظهر بين يديه بزي واحد .

كيف تستسيغ أو يستساغ منك ان تستمر تكرر تلاوة قصيدة واحدة في امتداح الهك أو نبيك أو زعيمك أو دينك أو مذهبك أو نظامك أو نفسك أو ذكائك أو اقتناعك أو بيتك أو جمالك أو جمال زوجتك واطفالك أو عبقرية تاريخك أو آبائك أو وطنك - أو ان تستمر تكرر عرض وكشف عاهة من عاهاتك في المعابد أو فوق المنابر أو في الميادين والمؤتمرات العامة ، تكرر عرضها وكشفها والحديث عنها بأسلوب ونية الملئ والمعلم والخطيب ، بل بأسلوب ونية المؤمن والمباهي والتحدي البارز ، بل المجد لدنية أو لالهة أو لمذهبه أو لنظامه أو لآبائه أو لتاريخه ؟ الست تفعل ذلك أو مثل ذلك أو اقبح من ذلك حينما تكون لك مثلاً صحيفة أو اذاعة ، تلتزم كل يوم أو كل وقت أن تكتب أو تذيع فيها أو منها ؟

لو أن كائننا أو انساننا ما التزم بأن يسير كل يوم أو كل الاوقات في الطرقات العامة ، أو يصعد فوق المنابر ، ليعلم ويتحدث عن عاهة تعيش في اعضائه الداخلية المحرمة ، مشيراً إليها بيده وفمه ، مفسراً ومحدداً كيف أصابته ومتى أصابته وكيف يقاسي منها ويحس بها ، وشارحاً للفروق بينها وبين العاهات الاخرى وبينها وبين عاهات الاخرين ، مثبتاً مزايها وتفوقها على عاهات الاخرين وعلى كل العاهات الاخرى ، ومثبتاً ايضاً ذكاء ونبل عاهته دون كل عاهات الاخرين ودون كل العاهات الاخرى ، وأن عاهته هذه هي وحدها ذات القيمة المنطقية أو الاخلاقية أو الانسانية أو الحضارية أو الوطنية أو الدينية أو المذهبية أو التاريخية ، دون جميع العاهات الاخرى التي اصيب أو يمكن ان يصاب بها جميع الاخرين ، المخالفين أو المعادين أو المنافسين ، ومثبتاً ايضاً انه هو وحده الذي يتعامل مع عاهته بذكاء ومنطق وشرف وقيمة وتقوى وتدين والتزام مذهبى وانسانى .

نعم ، لو أن اي كائن أو انسان التزم كل هذا الالتزام بكل شروطه ونفذ التزامه ، فهل يقبل ان يكون عاره وقبحه مثل قبح وعار انسان قد أصبح له بوق ، وليكن هذا البوق مثلاً صحيفة يومية ، لكي يصيح ويعلن كل يوم من بوقه ، مقسماً على صدقه وعلى ايمانه واقتناعه وعلى ذكائه ، بل على تفرد بالصدق والاقتناع والايمان والذكاء ، بأن ما يؤمن به أو ما يزعم الايمان به أو ما يفرض عليه ان يؤمن وينادي ويلتزم به ويقاقل دونه ويدعي له كل المزايا والتفوق والعبقرية ، هو كل طموح ومنطق وارادة الالهة والطبيعة والتاريخ والمستقبل وكل شيء ، وبأن ما لا يؤمن ولا ينادي ولا يلتزم به ، أو بأن ما لا يجد نفسه مؤمناً ملتزماً به ومنادياً داعياً الى الايمان والالتزام به دون ان يعرف أو يريد اي بأسلوب الفرض والاكراه أو بأسلوب التقليد والتقليد أو بأسلوب الاستمرار والتكرار ، هو كل الباطل والاثم والبلادة والوقاحة ؟

اجل ، هل يقبل اي كائن او انسان ان يكون قبحه او سخفه او عاره او عريه مثل قبح او سخف او عار او عري من حكم عليه بأن يكون له بوق يومي وحكم عليه ايضا بأن يملأه ويشغله ويشبعه كل الاوقات بالاصوات ، هاتفة منادية مؤمنة بشيء او بانسان او بكائن ما أو يقوم أو بتاريخ ، ولاعة محقرة رافضة مبغضة متهمه لشيء أو لانسان أو لكائن أو لتاريخ اخر أو لقوم اخرين ؟

اجل ، هل يمكن تصور سخف أو قبح أو هوان أو بلادة أو ندالة أو عار أو عري كهذا ؟

نعم ، اذن كم تستحق الرثاء والاشفاق بكل العمق والصدق حينما تكون محكوما عليك بأن يكون لك بوق يومي قد التزمت أو الزمت بأن تحمله فوق فمك وعقلك ووقارك وحياتك ، لتسير به أو يسير بك في الطرقات العامة وفوق المنابر وفوق بيوت الناس ، لتصوت منه كل اوقاتك ، مؤيدا ومعارضاً ، مؤمناً وكافراً ، مادحاً وذاماً ، محقراً وممجداً ، مؤكداً ونافياً ، محباً وكارهاً ، واهباً ونفسك وكل ما عندك كل المزايا المتفوقة ، وساحباً من جميع الخصوم والاعداء والمخالفين والآخرين كل شيء طيب أو جيد أو ذكي أو نظيف أو نافع ، دون ان تدري شيئاً عما تفعله غير أنك موضوع امام بوق أو غير أن بوقاً موضوع امامك فلا بد من أن تملأه وتشغله بصوتك ، بل دون ان تشعر بأي احترام أو حماس أو اشفاق أو أية عاطفة من اي نوع نحو ما تفعله وتتحدث عنه مؤيداً أو معارضاً ، أو نحو ما تصوت له أو تصوت ضده . ولكن هل يحدث أو حدث ان فعلت هذا أو ان عرفت أو رأيت احداً فعله أو يفعله ؟ هل تستطيع الطبيعة ان تلد مثل هذا الانسان أو ان تحبل به - هل تستطيع الحشرات ؟

اذن هل قرأت أو فسرته أو رأيت أو ساءلت نفسك ولو مرة واحدة وانت تتقدم الى احد هذه الابواق الصوتية ، لتعرف لماذا تفعل ذلك ، وهل يستساغ ان تفعله ، وهل تفعله لانك فهمته أو اقتنعت به ، أو لان من الذكاء أو الكرامة أو الشهامة أو العدل أو المصلحة ان تفعله ، أو بأن الحشرات لن تصاب بالغثيان حينما تفعله ، حينما تراك تفعله ؟ الا تشفق على الحشرات ان تراك فاعلا ذلك ؟ الا تخاف ان يقتلك الاستحياء لو رأتك الحشرات تفعل ذلك بالاسلوب الذي به تفعله ؟

هل حقيقت في ضميرك أو عينيك أو في ركوع قامتك وانخفاض هامتك ، أو هل قرأت لغة قدميك وانت تهبط الى احد هذه الاجهزة الصوتية لتكتب أو تضيع اكاذيبك وبلاداتك وبذاءاتك وبغضائك وشنائمك ، دون ان تعرف أو تقتنع أو تحترم أو تحب أو تؤمن أو تلتزم أو تبالى أو تتساءل : لماذا تفعل بنفسك ذلك ولماذا جاء قدرك كذلك ، ومن جعلك قادراً وجريئاً كل هذه القدرة والجرأة على ان تعيش كل هذا العار بكل هذه الاعلانية ؟ هل يحتمل ان يكون فوق هذا الكون من يجب أو يحترم الانسان أو يراه ويريد مجداً من امجاده ثم يتركه يغوص في هذه الالواح ؟

اجل ، ماذا لو أن اي مجتمع أو انسان قد التزم تفكيراً وتنفيذاً بالآ تكون له اية صحيفة أو اذاعة أو تلفزيون أو صوت أو قلم أو بوق أو منبر ، وايضا بالآ يتعامل

مع أي واحد من هذه الأجهزة الصوتية ولا يعمل فيها بل أو يستمع إليها و ينفق عليها أو يقبل أن تكون في مجتمعه أو في وطنه إلا بعد أن يعرف لماذا يفعل ذلك ولماذا يكون ، وأيضا بعد أن يعرف ويقتنع أن من الذكاء والكرامة والوقار والاخلاق والمصلحة أن يكون ذلك وأن يفعله ، وأنه لن يكون أو يفعله إلا بقدر ما يأذن ويأمر الذكاء والكرامة والوقار والاخلاق والمصلحة ، وأن شيئا من ذلك لن يحول أو يستعمل نقيصا للذكاء أو للكرامة أو للوقار أو للاخلاق أو للمصلحة ، أو يحول أو يستعمل جهازا للاكاذيب والبلادات والعداوات والخصومات وللإعلان عن الفضائح والعار والنزق والاحقاد والبغضاء الحمقاء ، أو لن يستعمل إلا إذا ثبت أن فوائده وأرباحه وذكاءه واعطائه للحب والسلام أكثر من أضراره وخسائره ومن إعطائه للحرب والعداوة والبغضاء ؟

بل ماذا لو أن أي مجتمع أو إنسان فكر في هذه الاشتراطات والقيود ، أو فكر أنه قد يكون مطالبا بالتزامها أو منتظرا منه التزامها أو أنه قد يحاول التزامها ، أو أن التزامها قد يكون في حساب أي مجتمع أو أي إنسان ، أو أن الآله أو الدين أو المذهب أو النظام أو الزعيم أو الوطن أو الفكر الذي يتحدث باسمه ويصوت من فوق أجهزته ومنابرهم يفرض عليه ويتوقع منه أن يحاسب نياته وسلوكه بهذه الاشتراطات والقيود ؟ ماذا لو أن كل اله ونبي ومذهب ونظام وزعيم ومعلم قد اشترط بأن يكون دعاته والمؤمنون به صادقين أو عارفين أو عقلاء ونفذ شرطه ؟

أليس شيئا رهيبا في قبحة وفحشه أننا لا نستطيع أن نتصور أن مجتمعا واحدا أو إنسانا واحدا قد تصور أو تخوف أو شرطا أو قييدا من هذه الشروط والقيود قد يكون مفروضا على استعمال هذه الأجهزة الصوتية ، أو قد يكون مقبولا أو مستحبا أو محتملا فرضه على استعمالها بل أو مسموحا بفرضه بل أو جائزا فرضه ؟ أن احدا لم يعتقد أن على استعماله لهذه الأجهزة شروطا إلا بقدر ما اعتقد أن على مجيئه ندلا أو سخيها شروطا . .

أن هذه الأجهزة الصوتية الدعائية ، أو أن معاملات هذه الأجهزة والعمل والتوظيف فيها ، أو أن علاقات الإنسان بأصواته أو بمعاركه ومخاصماته ومبارزاته وملاعناته ومفازاته الصوتية هي الاعراض المباحة والفاسقة المفسوق بها بلا مثال وبلا أي قدر من العفة أو الاستتار أو من الاشتراط لذلك . . أنه لا فسق يساوي فسق الإنسان بهذه الأجهزة أو يساوي فسقا به أو يساوي فضحا لذكائه وأخلاقه .

أنه لا مثيل للغات أو للأصوات أو للمنابر أو لكل أجهزة التصويت خروجا عالميا وتاريخيا على كل قيود العفاف والاستتار والوقار والحياء والشرف والصدق والذكاء والمنطق والحساب والمحاسبة . أن أي شيء في الإنسان أو يعمل الإنسان لم يترك دون أية حماية لشرفه أو لذكائه أو لتقواه أو لعرضه مثلما تركت لغاته وأصواته ومنابرهم ، ومثلما تركت نبواته والوحياته وكتبه المقدسة مستعملة لنفسها ومستعملة في الإفواه الأخرى .

اجل ، ان جميع البشر كائنات مصوتة وليس العرب هم وحدهم الكائنات المصوتة . ولكن القضية هي قضية الفروق والمستويات في ذلك . . .

العرب مصوتون فقط ، ومستويات ونماذج تصويتهم هي مستويات ونماذج يتفردون بها هم ومن يساؤونهم في مواهبهم وطاقتهم واطوارهم البشرية التكوينية . . ان التفاوت بين مستويات ونماذج تصويت وتصويت في تفاسيرها يساوي كل الفروق بين من يبتكرون الحضارات ومن يلعنونها أو يهينونها باستهلاكهم لها . .

أما الآخرون فانهم ليسوا مصوتين فقط . انهم أيضا متكلمون اي مفكرون ومخططون وخالقون . ان التصويت ليس ظاهرتهم ، ولكنه احد اساليبهم وتفسيرهم . ان ظاهرتهم هي ابداع الحضارات والقوة والفكر وتجاوز الطبيعة وفهمها وتفسيرها وحكمها وقراءة اصواتها بالفكر والمنطق والسيطرة . . ان ظاهرتهم هي قراءة الاشياء قراءة فهم وتفسير ومحاكمة وتغيير وبحث عن التخطي والتفوق . .

أما اصواتهم فانها مختلفة جدا في كل تفاسيرها واساليبها ونماذجها ومقاديرها وحواجزها واهدافها بل وفي لغاتها واخلاقها عن اصوات العرب . .

نعم ، ان للاصوات لاخلاقا ولكن لا يفهم اخلاقها الا الذين تخطوا طور المصوتين . الآخرون لا يجدون في اصواتهم أو تصويتهم الا اساليب أو لغات مختلفة من الغناء أو الانين أو الحنين أو الصلاة أو المصافحة أو التحية أو الاحتجاج أو التعبير عن الغضب أو الاستئزاز أو الحزن ، أي لا يجدون في ذلك ولا يريدون أو يتوقعون منه الا تعبيرا عن حالة نفسية بأسلوب صوتي أو بالفاظ . ولهذا فانهم يحاولون أن يكونوا في ذلك مهذبين ومتوقرين ومتواضعين ومتفاهمين مع الآخرين ومفهومين . انهم لا يريدون ان يفهموا أنهم بأصواتهم أو تصويتهم يحاربون أو يشاتمون أو ييغضون أو يتحدون أو يفاخرون أو يخلقون الكون والناس والاشياء ، أو يعلمون النجوم كيف تكون اكثر تقوى أو حبا أو ذكاء أو حياء أو تواضعا أو اشفاقا على المتألمين والمهزومين والمسحوقين والهالطين الى اعماق الحضيض ، أو يعلمون الكائنات المصوتة كيف تتحول الى بشر متكلمين ، يرفضون أن يصوتوا بالاساليب والوقاحات والبلادات والبذات والكبرياء والتفاسير والنيات التي تصوت بها الزعامات والقيادات والنبوات والالوهيات العربية ، بل التي تصوت بها الثورات والمذاهب والنظم العربية . انهم لا يريدون ولا يفكرون ان يجعلوا لاصواتهم أو أن يكون لاصواتهم هذه المكانة أو التفاسير كما يريد العرب لاصواتهم وكما يعتقدون فيها . . أما العرب فانهم يجدون في اصواتهم ويريدون منها ويضعون فيها ويفهمونها ويعتقدونها كل عضلات وقوة وقوانين كل الطبيعة وكل الاشياء ، وايضا كل التفكير والتدبير والسلاح والحرب والابداع والنضال والمواهب والعبقريات والتفوق على جميع الانداد والخصوم ، وعلى كل ما كان وكل ما يمكن أن يكون . ولهذا فانهم يحاولون أن يكون كل تعويلهم عليها وكل ثقتهم واهتمامهم بها وكل حماسهم لها . نعم ، هل يوجد عربي واحد لا يجد في

صوت أي اله أو نبي أو كتاب مقدس أو في صوت أي خليفة أو زعيم أو شاعر أو خطيب غوغائي سوقي يدوي من فوق منبر أو في محراب أو ميدان حاشد مهتاج من الفرح المنزق أو من الخوف الليليد الضائع تحت ظروف واحداث رهيبه أو بدون هذه الظروف والاحداث الرهيبة .

نعم ، هل يوجد عربي واحد لا يجد في ذلك شيئاً أو عملاً أو بطولة هي اذكى واقتوى واجمع لكل معاني واسباب الانتصار والتفوق والمجد من كل ما يصنع الانتصارات والامجاد والقوة والتقدم في منطق وحساب الآخرين ؟ هل اقتنع الانسان العربي بقيمة شيء مثل اقتناعه بقيمة الاصوات العالية الشائمة المتوقفة المغرورة المهتاجة ؟

هل وجد أو يوجد عربي واحد لا يجد في آية من كتابه المقدس أو في رواية عن نبيه أو في قصيده أو خطبة يلقيها زعيم أو حاكم ، تروى وتتلّى وتصور وتنشد بضجيج واحتياج على حشود ضاحجة مهتاجة جائعة مفرغة من كل الذكاء والوقار والاتزان والمعرفة والحب والمقدرة - تشتم اي تلك الآية أو الرواية أو القصيدة أو الخطبة ، تشتم الاعداء والمنافسين والتفوقين ، وتحقرهم وتهدهم وتزعم التفوق عليهم وتتوعدهم بالسحق والمحق وبالانتصارات المبيدة والمستعبد لهم ، وتتحدث عن انتصارات وامجاد الالباء وقبور الالباء التي اذلت وحكمت كل القبور التي كانت والتي سوف تكون ، والتي اصبحت اي قبور الالباء هي كل النماذج والمنطق والطموح والبدابة والنهاية لكل الحضارات والتاريخ والانسانية .

اجل ، هل وجد أو يمكن أن يوجد عربي واحد لا يجد في ذلك اذكى واقتوى واعظم وامجد من امتلاك كل المجد والقوة والتفوق والتقدم والحضارات والانتصارات ، اي اذا كان امتلاك ذلك بصمت ووقار وتهذيب وتواضع وبلا ادعاء حاشد صاحب شاتم ؟ اجل ، هل يمكن ان تعني الانتصارات أو التفوق أو الامجاد معناها في حساب الانسان العربي حينما تكون محكومة بالتهذيب والوقار والتواضع والصمت ؟

بل هل يوجد عربي واحد يعتقد ان مثل هذا التحدث بمثل هذا الاسلوب لا يعني امتلاك وتحقيق ما وقع التحدث عنه ؟ أليس التحدث عن الشيء ببذاءة وغرور ونزق وضجيج وصياح هو اقوى اساليب تحقيق ذلك الشيء والانتصار عليه ؟

ليس كل عربي يعتقد باسلوب غريزي ان التحدث عن الانتصار على الاعداء وعن التفوق عليهم وعن اذلالهم وابادتهم ، بهذه الاساليب الجامعة المهتاجة الضاحجة بالتلاوة والرواية والانشاد والاستماع المتهيج لا بد أن يعني تحقيق ذلك الانتصار والتفوق والاذلال والابادة ؟ آه . ما اقوى الرواية والتلاوة والانشاد باسلوب مهتاج صائح - ما اقوى ذلك في احساس الانسان العربي . .

هل يعتقد العربي أو يتصور انه توجد مسافات فاصلة بين الاصوات القوية المتهيجة التي يصوتها اربابه وانبياءه وخلفاءه وزعماءه وشعراؤه وخطبائه أو التي

يصوتها هو نفلا عن هؤلاء وبين ما يقع عليه ومن اجله وباسمه التصويت ؟
هل وجد العرب في اربابهم وانبيائهم وخلفائهم وزعمائهم أو ارادوا منهم غير
اصواتهم المصابة بكل معاني الجنون ؟

ولان العرب يجدون في اصواتهم ويريدون منها ويفهمونها ويعتقدونها كل
العضلات والقوة والقوانين ، وكل التفكير والتدبير والسلاح والحرب والابداع ،
والنضال ، وكل المواهب والعبقريات والتفوق والانتصار على الخصوم والاعداء والانداد
وعلى كل شيء ، فانهم اي العرب يحاولون ويريدون ان تكون اي اصواتهم تعبيراً
عن كل اساليب الوقاحة والنذالة والبغضاء والغباء والعحوان والنزق والافتضاح
والعار .. لانها اي اصواتهم سلاح وقتال وعداوة وبغضاء . وهل يمكن ان يكون
السلاح أو القتال أو البغضاء أو العداوة شيئاً مهذباً أو عاقلاً أو ذكياً أو متوقفاً أو
محبا أو صديقاً أو عادلاً أو كريماً الاخلاق ؟ ان اقوى وأشهر الحروب العربية هي التي
يحاربونها ببغضائهم وسبابهم وبذاءاتهم لا باسلحتهم أو عضلاتهم أو عقولهم .

نعم ، كل الناس مصوتون . انه لا يوجد انسان واحد ليس مصوتا بالنية والقصد
والارادة والضرورة وبالتفكير أيضا . حتى المصاب بالخرس لا بد أن يصوت باساليب
كثيرة مختلفة . بل ان المصاب بالخرس قد يكون اكثر تصويتا واعلى صوتا . انه لا
بد أن يصوت ببديه وبعينيه وبكل اعضائه وحواسه واحاسيسه وحركاته . انه لو
فقد كل فمه وكل اجهزة ومصادر التصويت فيه لظل ايضا مصوتا . ان الانسان مهما
استغنى أو تخلى أو عوق عن أي شيء فانه لن يستغني أو يتخلى أو يعوق عن
التصويت ..

ان اعظم الناس عبقرية وجدا ووقارا وهذوا وصمتا واستغراقا في التفكير
والابداع ورفضاً للعبث والنزق والكذب والغوغائية لن يستطيع ان يكون غير مصوت .
انه لن يستطيع ان يكون دائماً كلاماً وتفكيراً وجداً وخلقاً وعبقرية . لن يريد أو
يستطيع ان يكون دائماً منطقاً وقانوناً وحساباً ومحاسبة . ان الانسان لو وجد كل
وقته مجداً صامتاً ومفكراً ومتكلماً لتخلى عن بعض مجده هذا لكي يحوله الى تصويت
أو ليستبدل التصويت به اي ببعض مجده الصامت . انه لا بد ان يكون ولو احياناً
رعداً بلا مطر ، وزئيراً بلا هجوم بل بلا اسد ، وخطابة بلا موضوع أو قضية ، وصلاة
بلا ايمان أو عبادة ، واستغاثة هاتفة متضرعة بلا مغيث وبلا حاجة وبلا أمل ، وصهيل
بلا جواد . ان كل انسان لا بد أن يصبح ولو احياناً فارساً مبارزاً مهما فقد كل
تفاسير ومعاني الفروسية ..

انه ولو احياناً لا بد أن يقرأ بتصويت وانين قرأه أو انجيله أو توراته بلا اله
وبلا أمل في استماع اله أو تقبل أو استقبال اله ، وبلا تقوى .. ان الانسان لا
بد ان يكون أي احياناً صوتاً بلا تفاسير وغناء بلا مستمعين وخفقاناً بلا حب ولا قلب .
اجل ، ولكن القضية هي قضية الفروق والمستويات ..

ان من الفروق ان المتحضرين المفكرين المبدعين اي الذين هم في طور المتكلمين ، حينما يصوتون ، انما يغازلون الاذان والمشاعر ويناجونها ويصافحونها ويلاصقونها ويتقربون اليها ويبحثون عن حبها ورضائها واعجابها وصادقتها ومسالمتها ، وقد ينوون تملقها أو خداعها أو مراقبتها أو ممارسة الغواية معها أو فيها - نعم ، انما يفعلون ويقصدون ذلك بأدب وتواضع وذكاء • ان التصويت عندهم فن • شعر أو غناء أو موسيقى أو رقص أو رسم وليس سبابا أو بذاءة أو عدلوة أو بغضا أو تحديا • اما المصوتون فقط ، اي العرب ومن في طورهم التكويني والحضاري فانهم بتصويتهم انما ، بقصد أو بلا قصد ، يشتمون ويعيرون ويهينون الاذان والمشاعر ويستقطن فيها كل الوقاحات والبيذاعات والوان الغباء والسفه ، بكل اساليب ونيات الغرور والتطاول والادعاء والعدوان والتحدي والمخاصمة والبغضاء وعلان الحرب • ان البشر المصوتين الذين هم في طور الكائنات المصوتة فقط لهم بتصويتهم اقصى هجاء لجميع الكائنات المصوتة واقوى ثناء على الكائنات المصابة بالخرس الصامت • ان اصواتهم ليست الا استقراغا على كل احتمالات ومعاني وصور السلام والحب والصداقة والنظافة والجمال والكرامة والذكاء والعبقرية انها ليست الا تعييرا وتشويها وهجاء وسبابا لكل شيء جميل او ذكي او جيد او مهذب ••

ان الفرق بين هذا التصويت وهذا التصويت يساوي في بعض معانيه وتفسيره الفرق بين تغريد طائر فوق غصن يحيى السحاب والصبح وبين طنين ذباب هجم على عين مريضة معلنا نقله الداء الوبيل اليها ولاعنا كل الطب الذي يحاول شفاءها أو الاقتراب منها ، وباصقا على كرامة الانسان وعلى مجده ونظافته وعلى ذكاء وحكمة وجمال وصداقة الالهة والطبيعة ، باصقا كل وقاحاته واناشيده البذيئة على الانسان وعلى الطبيعة والالهة وعلى كل ما للانسان وللطبيعة وللالهة من تفاسير ومزاعم ذكية جميلة مغرورة ، ومنصبا اي الذباب ، في احتفالات حاشدة مهيبة ، عرشه ومجده فوق كل العروش والامجاد والنابر المصنوعة من تفاسير وكبرياء المجرات والشموس •• هل وجد في التاريخ عرش أو مجد أو منبر ينافس عرش الذباب أو مجده أو منابره متنفلا من الانف الى العين الى الفم ؟

لا بد ان تكون الفروق بعيدة ، بعيدة بين تصويت من يرون اصواتهم سلاحا وقتالا وعضلات وقوة ومجدا وحضارة بل وايمانا وتدينا وآلهة وانبياء وتمجيذا وصلاة وحبا وارضاء للالهة وللانبياء وللتاريخ وللآباء ، واذلالا وقهرا للاعداء والمنافسين والمشاكل والآلام ، وعلاجا من كل الادواء والاحزان والضعف والضلال والفسوق ومحبة الشيطان ومن الاستعداد لاتباعه وللانخداع به ، كما يرى العرب وامثالهم في اصواتهم كل ذلك ، ويريدون لها ويجدون فيها كل ذلك ، ويعاملونها وكأنها كل ذلك •• هل يجد اي قوم مجدا أو قوة أو انتصارا أو جمالا لاي شيء مثملا يجد العرب كل ذلك في اصواتهم ولاصواتهم ؟

نعم ، لا بد ان تكون الفروق كبيرة جدا بين تصويت هؤلاء وتصويت اولئك الذين لا يجدون أو يرون أو يسمعون في اصواتهم الاغناء وموسيقى وانشادا ومصافحة ودعوة الى التعارف والحب والسلام والغفران والصفح ، والا حوارا روحيا عاطفيا اخلاقيا بل ولغويا ، والا تحليقا فوق احقاد وغباوات وتعصب المذاهب والاديان والقوميات والاطوان والتاريخ ، والا صلوات بلا آلهة ولا انبياء أو معابد أو كهان أو كتب مقدسة أو جنة أو جحيم ، كما لا يريدون منها اي من اصواتهم ان تكون الا ذلك .

نعم ، ان الفرق بين تصويت وتصويت لا بد أن يساوي الفرق بين وجه ووجه ومنظر ومنظر وعقل وعقل وثقافة وثقافة واخلاق واخلاق وكيونة وكيونة وحياة وحياة وانسان وانسان ..

اذن كم هي قاسية الفروق بين تصويت وتصويت .. بين تصويت الانسان العربي وتصويت الانسان المتحضر المفكر المبدع حينما يصوت للسحاب والنجوم محاورا ومغنيا ومصافحا ؟

لا تقرأوا هذا لئلا تشنقوا قبور أنبيائكم

لا تقرأوا ولا تسمعوا هذا ، أو اقرأوه واسمعوه . ألسنتم قد قرأتموه وسمعتموه بهذه اللغة والحروف أو بلغة وحروف أخرى ؟ اعني لا تقرأوا ما سوف أرويه في سطور آتية من تراثكم المسمى شعرا . انى اخاف لو قرأتموه ان تعافوا آباءكم وتعافوا كل تاريخكم ..

ولكن لماذا ارفض أو اخاف ان تقرأوا أو تسمعوا هذا أو أي شيء اخر ؟ هل اخاف على اذانكم أو اخلاقكم أو وقاركم أو افكاركم ان تغضب أو تحزن أو تمرض استقباحا أو حياء أو ذكاء أو اتزاناً ؟ كيف ؟ هل اذان أو عقول أو اخلاق أو وقار الانسان العربي تصاب بالاستقباح أو الكحياء أو الذكاء أو الاتزان ؟ أليس محتوما ان تكون اي اذان و اخلاق ووقار وعقول الانسان العربي قد انتحرت أو هربت أو توقفت عن العمل أو اعلنت البراءة أو المقاومة لو كانت قابلة للاصابة بشيء من ذلك أي من الحياء أو الذكاء أو الاستقباح أو الاتزان أو الغضب أو الحزن أو ارادة الرفض والقدرة عليه ؟ كلا . ان اعظم وأصل مواهب الانسان العربي عجزها الاصيل الدائم عن أن تصاب بموهبة الاستقباح أو الرفض أو الغضب أو الوقار ..

الم تبتلع الاخلاق والاذان والضمائر والافكار والكرامة العربية دون ان تصاب بآية علامة من علامات عسر الهضم أو الغثيان أو فقد الشهية أو الشبع والامتلاء . نعم ، الم تبتلع بكل هذه الموهبة الهاضمة المتقبلة ، كل هذا التاريخ العربي من الالهة والانبياء والخلفاء والزعماء والحكماء والشعراء بكل ذبائحهم وكتبهم المقدسة وتعاليمهم وصلواتهم واشعارهم ، بكل أصواتهم المكتوبة والمحفوظة والمروية والمقروءة والمنشدة والمصلاة المصلى بها ولها ، المتلوة والمسهول المهدهد المفخور بها فوق كل منبر ، وفي كل موقف ، وفي وجه كل عدو أو ند أو منافس ، وإمام كل مشكلة أو خطر أو هزيمة ولتحدي وارهاب كل متفوق أو متحضر أو صاحب جبروت أو عبقرية ؟

اذن هل يخشى على الانسان العربي ان يغضب أو يحاكم أو يعاقب على اي شيء ردي ؟ هل الذين ابتلعوا وبيبتلعون كل هذا يمكن ان يعجزوا أو يعافوا أو يهابوا

أو برفضوا أو يتألموا أن يبتلعوا أي شيء ، بأذانهم أو أفواههم أو أخلاقهم أو بعقولهم أو ذكائهم أو كرامتهم أو بحيائهم أو بأصواتهم أو بأي مقطع أو تفسير من مقاطعهم أو تفاسيرهم الانسانية أو حتى البشرية ، أو يمكن أن يحاسبوا أو يحاكموا و يعاقبوا على شيء يتعاملون به أو يعاملون به أو يحيونه أو يواجهونه ؟

ان الذين ابتلعوا كل التاريخ العربي مقروءا و مسموعا و محفوظا و متعبدا مصلى به ، و مفخورا بمجده و ذكائه و وقاره على كل مجد و ذكاء و وقار ، و مزعوما نبوات و عبقریات و هدايا آلهة بل و عبقرية آلهة ، و مكتوبا ، فيما يزعم له ، باقلام الملائكة و املاء الالهة داخل مضاجعها امام شهودها ، أي شهود الالهة .

نعم ، ان الذين ابتلعوا كل هذا التاريخ العربي ولا يزالون يبتلعونه بشبهة لم يحدث ان اشتكت من الضعف أو الامتلاء ، لن يخاف عليهم أو يرثى لهم من ان يبتلعوا أي شيء ، بل انهم لن ينزفوا أو يكرموا عن ابتلاع أي شيء . كيف لم يفتن العالم الى ان القوم الذين ابتلعت اخلاقهم و عقولهم ولا تزال تبتلع كل ما في التاريخ العربي هم قوم يجب ان يدرسوا على انهم ظاهرة قد يستحيل ان تتكرر ؟

ولكن هل الانسان العربي يقرأ أو يسمع ما يقرؤه و يسمعه ؟ هل القراءة بالسم و السماع بالاذن ؟ و هل كل من له فم و لسان و اذان يقرأ و يسمع ؟ و هل كل فم و لسان و اذن يساوي الفم و اللسان و الاذن ؟ و هل يمكن أو يجوز ان تفسر اذن الانسان العربي أو فمه أو قراءته بالتفسير التي تفسر بها الاذن و الافواه و القراءات ؟

هل الانسان العربي يقرأ أو يسمع ما يقرؤه و يسمعه الا بقدر ما يرى ما يراه أو ما يسقط في عينيه ؟ و هل يرى ما يراه أو ما يستفرغ في عينيه الا بقدر ما يقرأ و يسمع ما يقرؤه و ما يسمعه ؟ و هل الانسان العربي يسمع بأذنيه الا بقدر ما يسمع بعينه ، أو يرى بعينه الا بقدر ما يرى بأذنه ؟ و هل يمكن ان يرى أو يسمع بعينه أو اذنيه ما لم يسمع ويرى بعقله ؟ و هل يمكن ان يرى أو يسمع بعقله ما لم يرو و يسمع بأذنيه و عينيه ؟

و هل يمكن ان يسمع أو يرى بعينه أو اذنيه أو بعقله ما لم يفهم بعقله ؟ و هل يمكن ان يفهم بعقله ما لم يفهم بعينه و أذنيه ؟ و هل يمكن ان يفهم بعينه أو بأذنيه ما لم يغضب و يصدم و يقاس و يتجاوز باخلاقه و نماذجه و شروطه و طموحه و تفكيره ؟ و هل يمكن أن يغضب أو يصدم أو يقاسي أو يتجاوز بذلك أو بشيء منه ما لم يكن اكبر و اقوى و اجراً من كل الاشياء ، ما كان وما سوف يكون ، و من كل تعاليمه و تاريخه و من كل اربابه و انبيائه و آباءه و من كل وجوده و كينوناته ، بذكائه و قدرته و تقواه و طموحه و بكل مستوياته و مواهبه ؟

أليست كل قيمة الانسان الحضارية انه بتفاسيره اكبر و اقوى و اذكى من كل

لهذا فان الانسان العربي في كل تاريخه لم يقرأ أو يسمع شيئاً مما قرأ وسمع ومهما قرأ وسمع • ان اذنه وغمه يقرآن ويسمعان كما تقرأ وتسمع رجله ويده الاشياء التي يتصادمان بها ••

لقد كان آلهته وانبياءؤه ومعلموه وزعماؤه يطالبونه ولا يزالون يطالبونه بأن يقرأ ويسمع كتبهم المقدسة ونبواتهم وتعاليمهم وخطبهم ، ويهددونه بكل انواع العذاب اذا لم يقرأ ويسمع لهم ومنهم دائماً • لقد كانوا يطالبونه بأن يقرأ ويسمع لانهم كانوا يعلمون انه لا يقرأ ولا يسمع حينما يقرأ ويسمع ، ولكنه يصلي ويتعبد • ولو كان يقرأ ويسمع ما يقرؤه ويسمعه لكان محتوما ان يحرموا عليه القراءة والسماع مثلما يحرمون عليه ان يكفر بهم أو ينقدهم أو يفهمهم أو ان يحاورهم أو يحاسبهم أو يفسرهم • ان القراءة والسماع لم يكونا يعينان في كل التاريخ العربي الا صدقنا واطعنا ، صلينا وركعنا • لم يكونا الا تلقيا للامور الباتة • ولم يكن انبياء العرب وقادتهم في كل تاريخهم يعنون غير هذا حين يأمرون بالقراءة والسماع • ان الدعوة الى القراءة والسماع ليست في التاريخ العربي الا دعوة الى أمية العقل والرؤية والضمير والاخلاق ••

ان العرب لو كانوا يقرؤون أو يسمعون ما يقرؤون ويسمعون لكان مستحيلا جدا ان يطلب منهم بل ان يقبل منهم أي اله أو نبي أو زعيم أو معلم من آلهتهم أو لنبيائهم أو معلمهم أو زعمائهم ان يقرؤوا أو يسمعوا له أو منه أي شيء ، بل لكان مستحيلا ان يقول اي اله أو نبي أو زعيم أو معلم عربي أي شيء لكي يقرأ ويسمع أو لئلا يقرأ أو يسمع • ان أي اله أو نبي أو معلم أو زعيم عربي لو خاف أو شك اي قدر من الخوف أو الشك • ان الانسان العربي قد يستطيع ان يقرأ أو يسمع ما يقرؤه ويسمعه لانما جوشا لمقاومة القراءة والسماع •• لقد كان آلهة العرب وانبياءؤهم ومعلموهم وزعماؤهم يطالبون قومهم بالقراءة والاستماع مثلما كانوا يطالبونهم بالنظر • لقد كانوا يطالبونهم بأن ينظروا اليهم والى الكون والى كل شيء ، وبأن ينظروا فيهم وفي الكون وفي كل شيء • لانهم كانوا يعرفون انهم مهما نظروا فانهم لا يرون • انهم لا يرون ما ينظرون أو مهما نظروا ، بل انهم لا يرون ما يرون • لقد كانوا يطالبونهم بما يعلمون انهم لن يصنعوه ولن يستطيعوا ان يصنعوه ، وبما لو صنعوه أو استطاعوا أن يصنعوه لقاتلوهم لئلا يصنعوه ••

كذلك كانوا يطالبونهم بأن يتفكروا في انفسهم وفي الكون وفي كل شيء لانهم كذلك كانوا يدركون انهم مهما تفكروا فانهم لا يفكرون ولن يفكروا • لقد كانوا يقولون لهم تفكروا ولا يقولون لهم فكروا لانهم لم يكونوا يعنون التفكير بمعناه الحضاري والانساني ••

وكذلك ايضا كانوا يلحون عليهم ويحرضونهم اشد التحريض بأن يعقلوا وبأن تكون لهم عقول ويكونوا عقلاء ، لان العقل عندهم وفي سلوك الانسان العربي هو

الطاعة والتسليم واخذ المكان في الطابور الخاضع المبايع . والعامل عندهم وفي وعي الانسان العربي هو الذي لا يحاسب او يحاكم او يفسر او يعامل الاشياء او التعاليم او الاوامر او الاحداث او الطغاة الاغبياء والمتسلطين والاقوياء والمدعين للنبوات او للتفوق والتفويض ، بالعقل او التفكير او الحوار او المسألة . انه هو الذي يتنازل عن كل محاسبة ومساءلة ومحاكمة ومحاورة حينما يريد منه قتلته ومجانينه ان يفعل كل الجنون ويؤمن بكل الجنون . . .

لقد كان العاقل في كل حساباتهم وتفسيرهم وتصورهم هو الذي يتخلى عن كل تعامل بل عن كل تحاور أو تشاور أو تفاوض مع عقله بل عن التصور بأن له عقلاً حين يأمرونه أو يسوقونه أو ينتظرون منه ان يفعل كل ما يرفضه العقل ، ان يفعل كل الجنون والحماقات والبلادات . . ان يجن في طاعتهم والايمان بهم والهتاف لهم وفي اقتتراف كل الذنوب والجرائم والاختفاء والسفاهات والسفالات باسمهم وحباً وولاء لهم وتشجيدها لامجادهم الفاجرة . ان الاله أو النبي أو الزعيم العربي لا يمكن ان يفهم العاقل أو يفسره الا بانه هو الذي يجن عقلاً واعتقاداً وسلوكاً حينما يريد هو هذا الجنون . . .

ما الذي يحتمل ان آلهة العرب وانبياءهم ومعلميهم وزعماءهم يتصورونه أو يفهمونه أو يعنونه أو يريدونه أو يطالبون به حينما يقولون لرعاياهم واتباعهم وعبيدهم : اقرأوا واستمعوا وانظروا وتفكروا وكونوا عقلاء أو « افلا تعقلون » أو « افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو اذان يسمعون بها » ؟ ان المطلوب من الانسان العربي ان يعقل بقلبه لا بعقله ولا برأسه . لعله قد افترض بلا عقل . ولعله لم يعرف ان للرأس وظيفة عقلية أو ان لرأسه هذه الوظيفة .

أليس المعنى هنا حتماً : « آمنوا بنا وأطيعونا واعتقدونا كل الذكاء والجمال والحقيقة والنظافة والتقوى والخلود والعقل دون ان تراجعوا أو تشاوروا عقولكم أو عيونكم أو اذانكم أو اخلاقكم أو كرامتكم ووقاركم ، بل مع احتقاركم ورفضكم لكل ذلك فيكم ، بل مع اعتقادكم بان عقولكم واذانكم وعيونكم ليست لها اية وظيفة أو تفسير غير أن تطيعونا وتجنوا حبا لنا وخوفا منا وتمجيدا لجد جنوننا ؟ » .

ان كلمات : عقل ونظر وقراءة واستماع وتفكر هي كلمات لغوية فما تفاسيرها عند الانسان العربي ، وماذا يعني بها حين استعمالها لها ؟ هل تعني اية كلمة يقولها أو يسمعها الانسان العربي غير دلالاتها وتفسيرها اللغوية ؟ من علم الانسان للعربي تفاسير الكلمات ؟

هل آلهته وانبيأؤه ومعلموه وزعمأؤه هم الذين علموه ووضعوا له تفاسيرها ، أم هم تعلموا تفاسيرها منه أو مثلاً تعلمها هو ، اي انهم فمهموها بهذا التفسير كما فهمها هو دون ان يكون هنا معلم ومتعلم ، اي انهم هم ضالون ومخدوعون كما انه

هو ضال ومخدوع ؟ نعم ، ان كل شيء يحوله الانسان العربي الى نقيض معناه عند المتحضرين حتى التعليم ، انه لا بد ان يحوله الى النقيض ، الى الامية الشاملة في كل ممارساته وتفسيره بل ونياته ولغاته .

اجل ، انهم لم يدبروا ان يضعوا لهذه الكلمات اللغوية هذه التفسير لكي يخدعوه بها ولكنهم وجدوه هكذا يفهمها ويفسرها فراحوا يعاملونه كما وجدوه ، كما راحوا يفهمونها ويفسرونها مثله لانهم لم يكونوا في معانيهم وقيمهم الحضارية والانسانية وللشرية اكبر منه . انهم لم يعرفوا كما انه هو لم يعرف . لقد تعلموا هم وهو تفسير الكلمات من مستوياتهم بلا معلم كما تعلموا نفس الكلمات وكما تعلموا ضعفهم وغباءهم وطاقة عضلاتهم ..

انهم لم ينفذوها او يترفعوا عن ان يكونوا خادعين ، ولكنهم عجزوا عن ان يكونوا في هذه القضية كذلك . قد يكون مجدا لك في بعض المواقف ان تكون خادعا، ولكن قد يصبح هذا الجد شيئا لا تستطيعه موهبتك . قد تصبح الخديعة موهبة لا تملك ادعاءها ..

ولكن ماذا لو ان آلهة العرب وانبياءهم ومعلميهم وزعماءهم فهموا هنا انهم خادعون ، وانهم هم الذين وضعوا للانسان العربي تفسيره لكلمات : عقل ونظر وقراءة واستماع وتفكر ، وهم الذين جعلوه أي جعلوا الانسان العربي لا يقرأ ولا يسمع ولا يرى ولا يعقل ما يقرؤه ويسمعه ويعقله وينظر اليه ولا يفكر في ما يتفكر فيه ؟ اليس محتموا حينئذ ان يرهقهم الخوف والتوقع لانهم لن يثقوا بأن خدعتهم هذه سوف تستمر دون ان تكتشف وتقتضح ، وان الانسان العربي سوف يستمر في مستوياته العاجزة لا يتخطاها ولا يريد تخطيها ؟

واذا اكتشفت أو بطلت أو عجزت عن الاستمرار أو تخطى الانسان العربي طوره هذا وعجزه الاليم وأصبح يقرأ ويسمع ويرى ويعقل ما يقرؤه ويسمعه وينظره ويعقله ويفكر فيما يتفكر فيه ، أفلا يتعوز اي آلهة العرب وانبياءهم ومعلموهم وزعماءهم ، حينئذ حتما في اقصى ورطة ؟ انه اي الانسان العربي سوف يقرؤه ويسمعه ويراهم ويعقلهم ويفكر فيهم حينئذ بكل معانيه الانسانية .. وحينئذ كيف يمكن ان يراهم ويسمعهم ويقرؤه ويعقلهم ويفكر فيهم ؟ كيف يستطيع حينئذ ان يتقبل نماذجهم أو يتصور انها نماذج لكائنات حقيقية ؟ كيف يستطيع حينئذ ان يتصور ان كائنات قد تملك وتعيش كل هذا العار والافتضاح والضعف بكل معانيه ولغاته ؟ ان عينا واحدة مبصرة أو اذنا واحدة ساعمة أو عقلا أو ضميرا واحدا فاهما أو مسائلنا أو قارنا أو محاكما لن يستطيع ان يرى أو يسمع أو يقرأ أو يواجه واحدا من هؤلاء ..

ان كل ما لالهة العرب ولانبيائهم ومعلميهم وزعمائهم من استتار ومجد وتاريخ جيد ، مشروط ومحموس بأن يظل الانسان العربي عاجزا عن ان يتخطى طوره التاريخي الذي أحد تفسيره الا يستطيع ان يقرأ أو يسمع أو يعقل أو يرى ما يقرؤه ويسمعه

ويراه ويعقله كما لا يستطيع ان يفكر فيما يتفكر فيه . ان عربيا واحدا لم يقرأ أو يسمع أو ير أو يفسر الها أو نيبا أو قائدا واحدا من آلهته وقادته وانبيائه في كل تاريخه وتاريخهم .

اذن هل يمكن ان يدوم هذا المد والاستتار والتاريخ المجيد لهؤلاء الالهة والانبياء والعلمين والزعماء الذين كل جمالهم في ألا توجد عيون تراهم ، وكل ذكائهم في ألا توجد عقول تفهمهم وتحاسبهم وتفسرهم وتجاوزهم ، وكل قوتهم في ألا توجد عضلات أو قوة أخرى تصارع وتبازر وتتحدى عضلاتهم وقوتهم ، وكل مجدهم وتقواهم وعظمتهم وصدقهم في ألا تكون التقوى والعظمة والمجد والصدق غير النذالة والبغضاء والسفاهة والسباب والكذب والصراخ والادعاء والبحث عن الماخصات وفي ألا تفسر هذه الا بهذه ؟ راضع جدا أو مخز ومهين جدا أن يكون مجد الالهة والانبياء والزعماء والعلمين والاحترام لهم مشروطين بدوام هوان العبيد والاتباع والراعياء وبدوام بلادتهم . . . ولكن أليس هذا الرائع جدا أو المخزي المهين جدا هو الذي يحدث دائما وحده في كل التاريخ العربي ؟

اذن لماذا نطلب الى الانسان العربي الا يقرأ أو يسمع هذا الذي سوف نكتبه في سطور آتية ؟ بل لماذا نطلب اليه الا يقرأ أو يسمع أي شيء نخاف عليه أو نرفض له أن يقرأه أو يسمعه ؟ لقد فسرناه ووجدناه اي الانسان العربي لا يقرأ ولا يسمع شيئا مما يقرؤه ويسمعه . اذن فهو لن يقرأ ولن يسمع مهما قرأ وسمع . . . اذن فالخوف عليه من القراءة والسماع ونهيه عنهما عبث وبله . ان هذا الخوف والنهي يساويان نهى الاعمى عن ان يرى دمامة وجهه والخوف عليه من ان يرى هذه الدمامة أو أن ينظر اليها ، أو يساويان الخوف على الاصم من ان يستمع الى صوته القبيح ، ونهيه عن هذا الاستماع ، اشفاقا عليهما اي على الاعمى والاصم من ان يتعذبا ويحزنا اذا رأى احدهما وجهه ، وسمع الاخر صوته . ان الخوف على الانسان العربي ان يرى أو يسمع أو يقرأ ما يراه أو يسمعه أو يقرؤه يساوي الخوف على الهه من أن يرى وجهه في تشوهات وعاهات ما خلق .

ولكن اذا كان ذلك كذلك فلماذا نكتب باللغة العربية اي شيء اي ما دام الانسان العربي لن يصبح قارئاً أو سامعاً او لن يصبح قارئاً أو سامعاً ما يقرؤه ويسمعه ؟ ولماذا نطلب اليه ان يقرأ ويسمع ونحن نعرف انه لن يفعل ذلك مهما فعله اي مهما بدا انه قد فعله أو انه يفعله أو مهما بدا في صيغة من يفعله . . . ونحن نعرف انه لم يوجد عربي واحد في كل التاريخ العربي قد قرأ أو سمع شيئا مما قرأه وسمعه ؟

أليس بلها أو سخفا أو نزقا مثيرا ان نكتب بلغة لن يوجد من يقرؤها ولا من يسمعها ، أو ان نكتب لقوم أو بلغة قوم نحن نعرف انهم لا يقرؤون ولا يسمعون ، وانهم لن يصبحوا قارئين أو سامعين أو مستمعين ؟ أليس عبثاً أو سخفا اليما ان يكون قد وجد هذا العناء الضخم جدا المسمى تراثا عربيا مع ان احدا لم يقرأه ولن يقرأه مهما قرى، وفسر وزعم بداية ونهاية كل عبقرية ومعرفة وتاريخ وحضارة . .

اننا لا بد ان نتكلم ونغني ونصرخ ونئن ونشكو ونبكي ونرى حتى ولو لم يكن هناك من نكلمه أو من نغني ونصرخ ونئن ونشكو ونبكي له أو ما نراه أو من نراه .
 اننا لا بد ان نفعل ذلك ولو توجهنا الى الاطلال والنجوم والسحاب والرياح والقبور .
 ان سماع الاذن أو وجودها ليس شرطاً في الصراخ ..

اننا لا نتكلم أو نقرأ أو نعلم أو نفكر أو نريد بقدر ما نجد من نكلمه أو نقرأ له أو عليه أو من نعلمه أو نفكر له أو معه أو فيه ، ولا بقدر ما يوجد من يريدون منا ذلك أو يستفيدون منه . ولكننا نفعل ذلك بقدر ما نحتاج نفسياً وذاتياً الى ان نفعله .
 اننا لا نصلي بقدر استحقاق الاله الذي نصلي له ولا بقدر جماله أو ذكائه أو حبه أو قوته أو عطائه بل بقدر مجاعتنا الى الصلاة وقدرتنا عليها ..

اننا احياناً نفترض وجود من لا وجود له لان هذا الافتراض يجعلنا نستطيع ان نهتف ونصلي ونشكو ونتكلم ونغني ونبكي دون ان نحتقر انفسنا وعقولنا أو نتهم انفسنا أو يتهمنا الآخرون بالجنون لاننا نفعل ذلك مع من لا وجود له . واننا احياناً لنفترض ما لا يسمع أو يرى أو يفهم سامعاً ورائياً وفاهماً لكي نخاطبه بكل اساليب المخاطبة .. اننا بالافتراض لنصنع للكائنات والاشياء العيون والاذان والعقول والاخلاق والمواهب المختلفة ، واننا لنصنع ذلك اي بالافتراض كما نحتاج لا كما نجد أو نعلم .

اجل ، اننا لنفترض هذا وهذا أو هؤلاء وهؤلاء لاننا لا بد ان نتكلم ونعلم ونقرأ ونهتف ونصلي ونخاطب ونحاور ، اي ونفترضهم على مقاسات احتياجاتنا هذه .
 لقد افترضنا وجود الالهة والانبياء والقديسين وجميع الكائنات السماوية والغيبية وجميع الارواح الخارقة المطلقة الوجود والقوة والحواس ، وافترضناهم يرون ويسمعون ويفهمون ويطلبون ويحتاجون يشتهون وبستحيبون ويرضون ويغضبون ويطلبون ، بل ويخافون وبطمئنون ويتكبرون ، ويجوعون الى الامتداح والصراخ والهتاف والنفاق والانشاد والبكاء . لقد افترضناهم في الصيغة التي نحتاج اليها لا في الصيغة التي تتحول الى تمجيد وتكريم لهم ولا في الصيغة التي وجدناهم بها وجربناهم عليها ..
 نعم ، لقد افترضناهم كذلك لكي نفعل كل ما يوجب أو يطلبه أو يعنيه أو يسوغه هذا الافتراض من قراءة وصلاة ومناجاة وتعليم وحوار ومن ارشاد وانشاد ومطالبة وتخويف . ان حاجتنا الى التحدث قد جعلتنا نهتف بالالهة ونصلي لها اكثر مما جعلنا نفعل ذلك علمنا بأنها سوف تسمعنا وتستجيب لنا . ومن اقتنع بأنها تسمع فقد اقتنع لانه محتاج الى التحدث لا لانه قد اقتنع حقاً .

ان هؤلاء اي الالهة والانبياء وكل سكان السماء والغيب لا يساؤون ما سوف يحون لنا من جزاء ولذات في الدار الآخرة ، أو ما سوف يهبوننا من ضمانات واطمئنان ومحبة وصداقة وذكاء وتعاليم ، أو ما سوف يقدمون لنا من تفاسير معقولة ومقنعة ومنطقية عن انفسهم أو عنا أو عن هذا الكون . ان نخوتهم وجمالهم لا

بساويان ما راينا وجربنا من نخوتهم وجمالهم وانما يساويان احتياجنا الى ان نجدهم ونفترضهم كذلك .

انهم لا يساوون شيئا من ذلك واننا لم نؤمل او نرد ان يهبونا شيئا من ذلك مهما بدونا وكاننا نؤمل ونريد ذلك منهم ، بل وكاننا لا نريد ولا نؤمل شيئا غير ذلك . انهم لا يساوون انفسهم بل انفسنا . ان اي اله او نبي او قديس او ملك لن يكون صيغة لنفسه بل صيغة لانفس المؤمنين الهاتفين به المناجين له المتحدثين اليه وعنه . .

اذن نحن محكوم علينا بان نفترض ان حولنا من يقرؤون ويسمعون ، وبان نفترض انه يوجد من يقرؤون اللغة التي نتكلمها ونكتب ونعلم بها ومن يسمعونها ويسمعون بها ولها . ان اللغات لم توجد لانه يوجد او قد يوجد مستمعون ولكنها وجدت لانه يوجد او قد وجد متكلمون او من يستطيعون ويريدون ان يتكلموا . ان المعيون لم توجد مجاملة او حبا للمرئي بل احتياجا وقدرة واشواقا في الرائي .

واذن لا بد ان نفترض ان الانسان العربي يقرأ ويسمع وما يقرؤه ويسمعه . لا بد ان نفترض هذا الافتراض بقدر احتياجنا الى التعامل به ومعه وفيه وعليه لا بقدر اقتناعنا به او معرفتنا له ، بل ولا بقدر عجزنا عن معرفة كونه خطأ . . اي اننا لا بد ان نتعامل معه وبه وكاننا نفترضه او نعتقد ذلك . .

اذن لقد اصبح الانسان العربي يقرأ ويسمع ويرى ويعقل ما يقرؤه ويسمعه ويعقله ويبصره ويفكر في ما يتفكر فيه او في ما تأمره آلهته واديانه وانبيأؤه ووعاظه ان يتفكر فيه لا ان يفكر فيه . نعم ، ان المطلوب من الانسان العربي ان يتفكر لا ان يفكر . . يتفكر بمعنى وفي صيغة يتعبد ويتخضع ويتقرب . هكذا علمه وامره كتابه المنزل . . يتفكر ، .

نعم ، لقد أصبح الانسان العربي كذلك لاننا هكذا احتجنا الى افتراضه وهكذا افترضناه اي بقدر احتياجنا الى افتراضه . اليس الافتراض الذي يحرض عليه الاحتياج يصبح واقعا ومنطقا يتعامل به الناس ويتعادون ويتشائمون ويتقاتلون باسمه ودفاعا عنه وايماننا به ؟

واذ قد افترضنا الانسان العربي كذلك اي يقرأ ويسمع ما يقرؤه ويسمعه ، وافترضناه يستطيع ان يخاطب وان يتعامل مع الخاطبة له ويستجيب لها ، فلا بد حينئذ من ان نتحدث اليه وان نجد وننتظر في التحدث اليه معنى وتفسيرا ، اي لا بد ان نكون معه تعاملنا وتوقعا كما افترضناه . أليست أقوى واكبر واكثر حقائقنا لم تكن الا افتراضا ؟

ماذا يبقى لنا من حقائقنا ، من اربابنا وعقائدنا ومذاهبنا وامجادنا وايماننا لو اننا لم نكن مصابين بموهبة الافتراض ؟

افن لا بد ان نخاف عليه من بعض قراءاته واستماعه ، اي من ان يقرأ او يسمع بعض ما يقرأ ويسمع لا بد ان نخاف عليه من ان يتعذب ويسحقه الشعور بالاحتقار لنفسه ولآبائه وامجاده الموجودة في مقابر آبائه ، وفي روايات كتبه لو انه قرأ وسمع بعض تراثه ، اي بعض ما كانت تقوله وتقرؤه وتسمعه حضارات واخلاق وعقول وعبقريات آبائه ، اي لو انه قرأ ذلك بفكر قارئ وسمعه بأذن سامعة ، وحاسبه رحاكمه وطالبه وفسره واحسه وحدق فيه بخلق أو بحاسة أو بكرامة أو بعين أو بموهبة محاسبة محاكمة قارئة مفسرة حساسة محدقة ..

نعم ، لا بد ان نخاف عليه من ذلك وان ننهاء عنه ..

لا بد ان نطلب اليه الا يقرأ أو يسمع هذا الذي سوف نخلوه عليه هنا من قراث ومواهب آبائه لئلا ينجع ، اي لو قرأه ، وسمعه ، فجيفة قد تقتل أو تذل وتهزم وتسكت فيه كل احتمالات الطموح والكبرياء والذكاء والحضارة والوقار والتطلع والاشواق الى التفوق والمجد والابداع واعجاب الآخرين أو رضاهم أو كفهم عن الاحتقار والاشمئزاز والاستهزاء منه وله ماضيا وحاضرا ومقبلا مستقبلا .. السنا أحيانا مطالبين بالا ننظر في المرأة لئلا تشتد فجيعتنا بانفسنا ؟ أليس اختراع المرأة ذنبا اليما عظيما في حساب اكثر العيون والوجوه ؟ السنا احيانا نظلم من نضع في بيته امرأة ؟

انه لشيء رهيب ان تقرأ أو تسمع هذا الذي سوف نخلوه عليك من اصوات ابائك التي هي اشهر واكبر امجادهم ، أو التي هي كل امجادهم في رأي اخر قد يكون هو الاصدق .. وانها لوحشية نقترفها بفضاظة حين نتعمد اسماعك هذه الاصوات بل حين نستطيع ان نمنعك من قراءتها وسماعها ثم لا نمنعك ..

ولكن لقد جربناك ودرسناك يا ابن العروبة الاصيلة فوجدنا دماءك مشحونة بالحلم والوقار والاسترخاء والبرودة المستريحة . انها اي دماءك لا تصاب بالغليان او الغضب او الاشمئزاز او الخوف من ان تكون متهما بالعار أو الهوان أو البلادة والتخلف والحقارة ، أو بانك كائن مصوت لم تصعد الى طور الكائن المتكلم ، أو من ان تكون كذلك ، ولست متهما به فقط .. انه لا يوجد مثلك في استرخاء وبرودة دمك وفي عجزه عن الفوران استفظاعا للعار أو للحقارة أو للهوان أو للاتهام بذلك .

انه لا يوجد من يتفوق عليك غفرانا لنفسك في أن تكون دون ما يجب ان تكون ، وفي ان تكون دائما اقل كثيرا من كل ظروفك . انك لا تشترط لكي نونتك ولا لرضاك عنها ولا لاعجابك بها ولا لغفرانك لها اية شروط كبيرة ولا يعذبك الا تشترط لها أو عليها .

انه لا يوجد من يتفوق على ابن العروبة الاصيلة الكريمة في تسامحه وغفرانه لمرآته ، اي لما يراه في مرآته من قبح وتشوه وضعف وبذاءة واتساخ ، اي حينما ينظر

فيها الى وجهه . بل انه لا يوجد ولم يوجد من يتفوق عليه بل أو من يباريه في عجزه عن ان يرى مرآته أو يرى فيها ما تراه هي وما يراه الآخرون فيها . . .

انه لا يوجد غافر لوجهه ومتسامح معه مهما رآه أو مهما عكسته المرأة ، أو غافر لمرآته ومتسامح معها مهما كانت وحشيتها حينما تريه وجهه وحينما تعرضه عرضا عالميا مثل الانسان العربي . بل انه لا يوجد مثله رائيا في مرآته كل الجمال والنظافة والقوة والتعذيب والاستواء حينما يرى فيها أو حينما يرى الآخرون فيها أو حينما تعكس هي كل الدمامة والقذارة والضعف والوقاحة والتشوه .

انه لا يوجد من يحب مرآته القبيحة الوحشة المتوحشة في قسوتها ، أو من يغفر لها أو يرى فيها غير ما ترى هي في نفسها ، مثل الانسان العربي .

انه لا يوجد مرآة جيدة الحظوظ في الغفران لها وفي الشعور بها ولها ، وردية الحظوظ في رؤاها ومواجهاتها ، مثل مرآة الانسان العربي . . .

انه لا يوجد شيء يرى ويعرض ويكشف ويعلن كل الضعف والدمامة والتشوه والبذاءة ثم يعامل بكل الحب والتمجيد والاعجاب والثناء ، مثل المرأة الموجودة في بيت الانسان العربي . انه لم يحدث ان غضب الانسان العربي على مرآته أو كره لها أو استنكرها أو فكر في الاستبدال بها مهما كان قبحها ووقاحتها وقسوتها وفضحها له .

نحن نعرف كل ذلك من اخلاق الانسان العربي ومن شمول تسامحه وغفرانه لنفسه ولآبائه وتاريخه ، بل من اعجابه بكل ذنوبه ونقائصه وجهالاته الفضاحة التي علمتها وروتها وورثتها له عبريات آباءه وتاريخه . ان الانسان العربي لطقس رائع من الاسترخاء والخمول وغفران النذالات والجهالات وجميع القبايح والنقائص لنفسه بل ومن العجز عن رؤية ذلك أو الشعور به . .

لهذا فان ضماثرنا لن تعاقبنا أو تحتج علينا حين نسمعه اي نسمع الانسان العربي هذا الذي سنسمعه اياه في السطور التالية من اصوات آباءه التي يحسبونها ويسمونها اشعارا عبقرية ، يباهون ويتحدون بها كل ما لدى الكائنات الاخرى من عبقریات العواء والصهيل والزئير والثغاء والرغاء والطنين ، بل يقاتلون ويبارزون ويشتمون بها كل حضارات وانتصارات وتفوق وقوة جميع المتحضرين والمتنصرين والاقوياء والمتفوقين . . بل انهم يرون أن مجرد حفظها اي هذه الاشعار العبقريّة التي سنقولها عليك ، ومجرد كتابتها وروايتها وانشادها اعظم تمجيد وصلاة لعبقرية التاريخ والطبيعة والالهة والبشر . . انهم يعتقدون انهم يصنعون مجد كل شيء بانشاده هذه الاشعار وباسماعها اياه وبكتابتها على جبينه وثيابه .

نعم ، يا ضماثرنا ، لقد اعتذرنا اليك وفسرنا لك قوة وصدق اعتذارنا . اذن لن تجرئي يا ضماثرنا على ان تحاسبينا أو تحتج علينا اشفاقا على كرامة الانسان العربي ، وعلى موهبة الاستحياء والوقار فيه ، وعلى موهبته في اعجابه بنفسه وبتاريخه وبآبائه وعلى موهبة الرضا فيه عن نفسه وعن تاريخه وعن آباءه . .

نعم ، يا ضمائنا المرحمة المقتولة بكل انواع المقاساة والمواجهة ، لن تجرئي على محاسبتنا أو على الاحتجاج علينا لتفسيرك ايانا بأننا اقصى القساة حين نسمع الانسان العربي أصوات آبائه التي سيسمعا بعد قليل . لا ، لن يقتلك الاستفطاع والجزع والاشفاق حين تعلمين ان الانسان العربي سوف يسمع ويقرأ هذه الاشعار لابائه ..

اننا لو لم نقدم اليك يا ضمائنا المصلوبة دائما هذا الاعتذار أو التفسير لكان من المحتمل جدا أو من المحتوم ان تعجزى عن التصور باز الانسان العربي قد يقبل نفسه أو يقبل آباءه أو يغفر لنفسه ان يكون موجودا أو يكون هؤلاء آباءه حين يسمع أو يقرأ اصواتهم هذه ، ولكان من المحتمل جدا أو من المحتوم ان يعذبك أو يقتلك الاستفطاع والفرع والاشفاق حين تعرفين اننا سوف نتلو على الانسان العربي هذه الاشعار من عبقریات ابائه ، أو حين تسمعيننا نتلوها عليه . وانت حتما سوف تسمعيننا عن قريب نتلوها عليه . اذن كم نحن محتاجون يا ضمائنا الحزينة الى ان يتسع غفرانك لنا ووعيك لاعتذارنا اليك حين تسمعيننا نتلو على الانسان العربي أصوات ابائه ..

ومع هذا يا ضمائنا المعذبة لنا المعذبة بنا .. المتعذبة بكل شيء نراه أو نعلمه أو نحياه ، والمحولة لكل شيء نراه أو نعلمه أو نحياه الى تعذيب واشمئزاز وتحقير وهجاء لنا - نعم ، ومع هذا يا ضمائنا فاننا سوف نفعل شيئا قد يعد اقصى اساليب المبالغة في الاعتذار اليك والاسترضاء لك ..

ذلك اننا هنا سوف نفترض الانسان العربي مالكا لموهبة الاستفطاع والاستنكار والاستقباح والاحتجاج والرؤية والغضب الفكري والاخلاقي والانساني ، كما افترضناه يقرأ ويسمع ما يقرؤه ويسمعه .. سوف نفترضه رائيا محاسبا محاكما قارنا مفسرا لمرآته .. سوف نفترضه حينما ينظر الى مرآته رائيا وجهه الذي في مرآته لا الوجه الذي قرأ عنه في تاريخه وتعاليمه واشعاره ورواياته واديانه وفي غروره ، والذي صنع له عجز خياله وطموحه وذكائه وكبريائه وعجزه عن الاشتراط على نفسه وعلى الاشياء وعلى رؤاه ، وعجزه عن الصدق في رؤيته له وفي حديثه عنه وفي تعامله به .

سوف نفترض الانسان العربي افتراضا افضل ، افتراضا يجعله يستطيع ويجرؤ ان يرى الدمامة دمامة ، والبلادة بلادة ، والنذالة نذالة ، والعار عارا ، والافتضاح افتضاحا ، والعجز عجزا ، والهزيمة هزيمة ، والبدواة بدواة ، ويرى العربي عربيا فقط لا عربيا وحضاريا ، أو لا عربيا ومبتكرا لجميع الحضارات والمزايا الانسانية ، أو لا عربيا والوهية ونبوة وقيادة لكل الحضارات والقيم والمعارف والبشر ، أو لا عربيا ومجدا للاله لايمان به ولكونه من خلقه ، ومجدا للطبيعة لمعيشته لها ولوجوده فيها ولتعامله بها ، ومجدا للبشر لكونه من البشر ، اي اذا تواضع واريده له أن يتواضع . اي لكونه من البشر في اصغر مزاياه . اليس كون الانسان العربي من

البشر هو أصفر مزياه ؟ أليس تقبله الانتماء الى البشر هو اعظم اساليبه في التواضع ؟

سوف نفترض ان الانسان العربي حتما يرفض ان يوجد أو يبقى ان كان محتملا أو لو كان محتملا ان يعيش أو يعايش أو يهوى أو يرى أو يقرأ أو يسمع أو يعامل أو ينمي اليه أو الى ابائه أو الى تاريخه غير المجد والذكاء والشرف والكرامة والوقار والحكمة والصدق والحب والتواضع ، وغير ابتكار الحضارات والعبقريات والمثل الدينية والاخلاقية والانسانية ، وغير ولادة الالهة والانبياء والقديسين وكل ألوان العباقرة الكونيين . نعم ، أليست ولادة الالهة والانبياء والعباقرة والقديسين هي بعض عطايا واهتمامات الانسان العربي ؟ أليست هذه الولادة هي اصغر مواهبه ؟

سنفترض انه لا بد أن يوقع اقصى العقوبات بمرآته لو أنه حينما نظر اليها لم ير كل القسامة والاشراق والابتسام والنظافة والتعذيب والشموخ في كل الاتجاهات والافاق . . لو انه حينما نظر اليها اي الى مرآته لم ير كل الجمال والبهاء في الوجه الواحد الذي يراه ، وكل الذكاء والبريق في العينين اللتين يراها ، وكل الحب والصدق والرزانة في الملامح والايقاعات الحركية التي يراها ، وكل المقامات والمهامت كل شموخهما وانتصابهما في القامة الواحدة والمهمة الواحدة اللتين ترتفعان وتمتدان امامه بكل اتساع الكون وبكل شموخه ، ولم ير كل الالهة والتقوى والنبوات والحضارات والعبقريات مظلة من العقل والضمير المزروعين في كل أرجاء ذاته . .

اجل ، سوف نفترض الانسان العربي يملك حساسية رافضة غاضبة محرقة محتركة في مواجهة النذالة والنقص والسخف والهوان والضالة ، لو ان شيئا منها اي من هذه الحساسيات التي يملكها عولمت بها الشمس أو عاشتها الشمس لتحولت اي الشمس الى رماد وتراب ، اي لقتلت وامتصت واستهلكت كل حرارتها بعنف احتراقها وتوقدها . . سوف نفترضه جحيما محرقا في محاسبته ومحاكمته لنفسه وللأشياء التي يتعامل معها بعقله أو باخلاقه أو بشهوته أو بمواجهاته . .

لا بد ان نفترض الانسان العربي كذلك وان نتحدث اليه بما يعنيه هذا الافتراض لاننا لا بد ان نتحول الى واعظين ومعلمين وصانعين للنصائح والوصايا . . اي لا بد ان نقول له : افعل هذا ، وننهاك ان تفعل ذاك ولنمنك ونطالب بغضب الاله عليك ان فعلت ذاك . لا بد أن نقول له : اننا ننهاك بكل القسوة والغضب ان يخلق قلبك أو تجزع اعضاؤك أو يفهم أو يرفض أو يحتج عقلك . .

ان كل انسان محتاج أو محكوم عليه بان يصبح واعظا ومعلما ومقدما للوصايا والنصائح ولو احيانا ، اي لا بد ان يمارس وظيفة الوعظ والتعليم والنصح والتوصية مهما كان ذلك عاجزا عن ان يصنع اية نتيجة بل مهما كان ذلك ضد كل نتيجة كان الوعظ والتعليم والنصح والتوصية من اجلها وبهجة البحث عن تحقيقها ، بل مهما كان ذلك ضد قوانين واحتمالات الأشياء المجربة دائما . . .

اننا جميعا لا بد ان نستمر نقول للاخرين كونوا اذكياء واقوياء وشجعانا واثقياء وصادقين ومتطهرين وشامخي الرؤوس والنفوس ومحبين لاعدائكم ولاخوانكم مثل حبكم لانفسكم ، وعاطفين على ابناء الاعداء وملاعبين مدللين لهم مثل عطفكم على ابنائكم وملاعبكم وتدليلكم لهم اي لابنائكم ، بل وحزاني من اجل الشيطان الموهوب لافسادكم ..

اننا لا بد ان نستمر نقول ذلك وامثاله حتى ولو كان قولنا هذا يساوي في دلالاته ونتائجه وتفاسيره ان نقول للبرغوث : كن انسانا او كن آلهة او نبيا او زعيما عربيا او كن بلا اخلاق وجسد وطموح برغوث ، او ان نقول للنملة : كوني بحجم الفيل او للشمعة كوني بحجم وحرارة الشمس ، او للارنب كن بحجم وشجاعة الاسد ، او ان نقول للزعيم او للحاكم العربي : كن في الذكاء والفطنة والاخلاق والضخامة والرزانة وفي الصدق والشجاعة والايمان بالحرية وفي جميع المزايا مساويا للزعيم او للحاكم غير العربي .. او ان نقول للاذن العربية : كوني في احتجاجك وذكاكك واخلاتك واستماعك واشتراطك وفي تقبلك ورفضك - كوني في كل ذلك اذنا غير عربية .

نعم ، ليست اكثر نصائحنا ووصاينا ومواعظنا لا تعني الا ما يعنيه ان يقال للبرغوث : كن لها او نبيا او زعيما عربيا ؟ اذن السنا دائما نتوجه من فوق جميع منابرنا وصحافتنا واقلامنا الى البراغيث قائلين لها : كوني آلهة او انبياء او زعماء او حكاما عربا ؟

السنا في اكثر مواعظنا ونصائحنا وتعاليمنا نساوي من يقولون للزعماء ولل قادة وللحكام العرب : كونوا اذكياء او حكماء او صادقين او مهذبين او شجعانا او متواضعين او مخلصين او مؤمنين بالحرية او بالحضارة او بالفكر ، او كونوا مفكرين او عادلين او انسانيين . أليس الذي يقول للزعيم او لحاكم او لقائد او لنبي عربي : كن ذكيا او قويا او تقيا او صادقا او مهذبا او مفكرا مثل من يقول للبرغوث : كن لها او نبيا او زعيما او حاكما عربيا ؟

ايهما اكثر معنى وعظما : ان يقال للنملة كوني فيلا ، وللبرغوث كن انسانا ، وللارنب كن اسدا ، ام ان يقال للزعيم او للحاكم او للقائد العربي : كن في جميع مزاياك مثل الزعيم او الحاكم او القائد الذي هو ليس عربيا في جميع مزاياه ؟ هل يوجد احتقار للكلام وللنصائح يساوي ان يقال للزعيم او الحاكم او المفكر العربي : كن في مواهبك غير عربي ؟

ايهما اكثر ذكاء او توقعا للنتائج الجيدة : اله يرسل اعظم انبيائه وينزل اعظم كتبه الى صرصار لكي يتحول الى واعظ للبشر لكي يحميمهم اي الصرصار بمواعظه من مجاعات اعضائهم ، ومن ضلال عقولهم ، ومن اهواء انفسهم ، ومن هوان كبريائهم ، ومن تلوث جلودهم ، ومن تساقط كراماتهم وشرفهم في الحفر ، ام واعظ او معلم او مفكر يتوجه بنصائحهم ووصاياه وعظائمه الى الزعماء والقادة والحكام العرب ليكونوا

اذكى أو اقوى أو اتقى أو اكثر رصانة أو حكمة أو تهذيبا أو تواضعا ؟ اذن ماذا لو علم الاله انه حينما يرسل انبياءه انما يرسل صراصير ليكونوا معلمي صراصير كيف ترفض مجاعات واخلاق اعضائها ؟

نعم ، هل الذين ينصحون الانسان العربي ليكون شيئا افضل يفعلون شيئا نافعا اكثر من الاله الذي يرسل اعظم رسله الى مثل هذا الصرصار وينزل اعظم كتبه المنزل عليه اي على الصرصار لكي يرجوه ان يحمي البشر بمواعظه من كل النقائص والذنوب والعاهات العقلية والاخلاقية والنفسية والجسدية ؟ اجل ؟ اريد ان اكرو القول : هل الاله الذي يبعث الانبياء وينزل الكتب المقدسة لكي يصوغ اخلاق الناس وقلوبهم ونياتهم اكثر ذكاء من الاله الذي يبعث الصرصار ليفعل للناس ذلك اي ليصوغ اخلاقهم وقلوبهم ونياتهم اي لو وجد اله يبعث مثل هذا الصرصار ؟

ان الوعظ ليس وسيلة لغاية • انه غاية • ان الانسان محتاج الى ان يعظ ويعلم وينصح مثل احتياجه الى ان يبكي ويحزن ويصرخ ويشتم ويغني ويتحدث الى الآخرين ويتصادم بهم •• ان منطق وحساب وحوافز من يصنع هذا هي حوافز ومنطق وحساب من يصنع ذاك • ان النتائج في الحالتين واحدة اي انها اي النتائج نفسية لا موضوعية •

الوعظ والتعليم لا يساويان نتائجهما أو التوقع لنتائجهما ، ولكنهما يساويان ممارستهما النفسية واللغوية والذنبية • ان النبي والواعظ يستمران يمارسان عملهما بالاساليب والحوافز التي يستمر الطائر يمارس بها انينه ونعيبه وغناه مع الفروق الهائلة بين الخبث والبراءة • ولهذا فان اي معلم أو واعظ لا يمكن ان يحاسب نفسه على نتائج وعظه وتعليمه بل ولا يتصور هذه المحاسبة ، بل ولا يتصور ان الوعظ والتعليم يجب او يحتمل ان تكون لهما نتائج مرتقبة أو مطلوبة أو محسوبة أو محاسبة محاسبها عليها ••• ان اي نبي لم يحاسب أو يعاقب لان نبوته لم تطع أو لانها لم تصغ الناس الصياغة التي تطالبهم بها •

ولهذا ايضا فانه اي الواعظ أو المعلم أو الناصح يستمر يؤدي نصائحه وعظاته وتعاليمه بلا اي تساؤل أو توقف أو مراجعة كما يستمر يأكل ويجوع ليجوع ويأكل ، وينام ويستيقظ لينام ويستيقظ ، ويجب ليكره ، ويحقد ليحقد عليه ، ويحسد ليحسد ، ويسب ليسب ، ويمرض ليمرض ، ويتشوه ليتشوه ، ويشيخ ليشيخ ليموت ، دون أية مطالبة بأية نتيجة أو انتظار لها أو محاسبة عليها أو تساؤل عنها • ان النبوة ليست رسالة يوجهها النبي الى الناس ولكنها اداء يؤديه النبي الى ذاته ولذاته ويخاطبها به بأسلوب من يخاطب كل الدنيا اي كل الكون ••

هل يمكن ان يجرؤ على المجيء الينا أو الى هذه الارض أو يجرؤ على البقاء لو انه اخطأ فجاء أو لو انه اكره على المجيء فجاء ، اي نبي أو واعظ أو معلم ، لو انه علم انه لا بد ان يحاسب على نبوته أو على تعاليمه أو على مواعظه بالنتائج التي تنتظر

منها والتي تهبها ، أو لو أنه أي النبي أو المعلم أو الواعظ كان يحاسب نفسه على ما يعطى من ذلك أو لو أن مجيئه كان يعني أن يخاطب الآخرين لا ذاته وكان محتوما أن يلتزم بذلك أي بمخاطبة الدنيا لا بمخاطبة ذاته بأسلوب ودعاوى مخاطبة الكون كله ؟ نعم ، لو كانت هذه المطالبة بالنتائج والمحاسبة عليها محتومة أو حتى محتملة احتمالا قويا فهل كان يمكن حينئذ أن يرفع أي منبر في هذا العالم ، أو أن يحتشد ويعاني ويتعاون جميع سكان السماء لكي يكتبوا كتابا مقدسا ليقرأوا عظاته وتعاليمه ونصائحه المتجبرة المغرورة على أعضاء واهواء وشهوات سكان هذه الأرض من بشر وحشرات وكائنات أخرى ؟ أو هل كان ممكنا حينئذ أن يوجد واحد من هذه الحشود الهائلة القادمة إلينا بتتابع بذي لتبصق ضعفها وجهلها وبلاداتها وسخفها واحقادها وهمومها وجميع تلوثاتها وحشراتها النفسية والاخلاقية واللغوية على جميع الاذان والكرامات والاخلاق والعقول بحجة التصحيح والتبديل وخلق كينونة جديدة مبرأة من مجاعات الاعضاء والشهوات ، ومن ضرورات الطبيعة وقاحاتها ، ومن كل معاني البشر وتفاسيرهم وتعاملهم مع قوانين اعضائهم ؟ نعم ، أليس جميع الانبياء والعلمين الخالدين إنما يجيئون ليشفوا بمواعظهم البشر من معانيهم ، ويشفوا اعضاءهم من قوانين الطبيعة فيها ؟

قد يكون من اسباب ممارسة جميع البشر لوظيفة الوعظ والتعليم وشعورهم بالحاجة الى هذه الممارسة بلا تفكير في نتائج هذه الممارسة بل وبلا تصور ان هذه الممارسة تحتاج الى اية نتيجة ، بل حتى ولو تحولت هذه الممارسة الى تعويق أو تحطيم أو ابعاد للنتيجة التي يقع التحدث عنها وعليها ومن اجلها وباسمها .

نعم ، قد يكون من اسباب ذلك رغبة البشر جميعا في التسلط والتسلطن اي في امتلاك السلطة وفي التحول الى سلطان اي بقدر ما أو صيغة ما أو أسلوب ما أو على أي مستوى من المستويات المتفاوتة جدا . أليس الواعظ المحلل المحرم التحدث عن سلطان السماء أو عن اوامر الأرض وقوانينها ، سلطانا وصاحب سلطة بأسلوب وقدر ما ؟

هل يوجد واحد من البشر مهما كان ضعفه وهوانه وضآلة شأنه لا يرغب في أن يملك أي قدر من السلطة ، من الامر والنهي والتوجيه والتأثير ، وفي ان يضع فوق رأسه أي تاج أو زي سلطاني أو أية علامة سلطانية ، أو في لسانه اية لغة سلطانية؟ هل يوجد من ليس سلطانا بأحد ازياء السلطان أو بأحد لغاته أو بأحد تفاسيره أو بأحد نياته ورغباته ومحاولاته ؟

ليس جميع البشر يقاسون من موهبة أو غريزة أو وظيفة « السلطانية » فيهم ، مطلقة مسددة منهم على الآخرين ومن الآخرين عليهم ، ومنوية مجوئا عنها ، ومفقودة ومملوكة ، وقوية وضعيفة ، ومتكبرة ومتواضعة ، ومهذبة ومتوقحة ؟ هل يوجد من ليس سلطانا بأحد التفاسير ولو في النية أو التمني أو المحاولة أو التشبه ؟ ما معنى

السلطة أو « السلطانية » أو أن تكون سلطانا ؟ أليس معنى ذلك أو احد معانيه أن تتدخل في ارادة الناس أو في سلوكهم أو في تفكيرهم أو في تحريك وصياغة رغباتهم ورغباتهم وحياتهم وأن تكون أمرا ناهيا لهم محلا محرما عليهم ؟ هل لأي سلطان أي تفسير غير أن يحلل ويحرم ويأمر وينهي ويحاول صياغة حياة الناس ورغباتهم ومسيرتهم ؟ أليس المعلم أو الواعظ أو الناصح يفعل ذلك أو يريد وينوي أن يفعله ، أو يبدو كأنه يفعله ، أو يظن أنه يفعله ؟ إذن أليس الواعظ والمعلم والناصح معنى من معاني السلطان أو صيغة من صيغه ، أو بحثا عن ذلك أو تشبيها به ؟ بل أليس الواعظ أو المعلم أو الناصح إذن هو اشمل معاني السلطان وأن كان ذلك بأسلوب أقل فتكا وسلطة وقدره وانتصارا واملاء وترويعا ، أي وأن كان ذلك بلا سيف ولا جيش ولا شرطة ولا أجهزة قمع وارهاب ظاهرة مرئية ؟

ولكن أليس المعلم أحيانا هو أقوى وأقسى وأفتك السلاطين في قدرته على الاملاء والتنفيد وفي انتصاره على حياة الناس وعلى رغباتهم وأرادتهم وأفكارهم وفي صوغ مخاوفهم واتجاهاتهم ، وذلك حينما يجيء في صيغة أو في زي نبي ؟ أليس هو حينئذ أكثر وأقوى وأفتك السلاطين سيوفا وجيوشا وشرطة وأجهزة قمع وارهاب واذلال ظاهرة مرئية ؟ أليس الانبياء هم اشرس واشمل السلاطين في كينوناتهم ونياتهم ؟ هل جاء أي واعظ أو معلم كبير أو أي نبي الا لانه يريد أن يكون سلطانا ، أو الا لانه يعيش في داخله أفتك وأقسى واشمل سلطان ؟ هل يمكن أن يكون فني أي سلطان من معاني السلطان مثل ما في أي نبي من هذه المعاني السلطانية ؟ بل أليس أي سلطان هو سلطانا واحدا فقط ، أما النبي فقد يتنقل أو يخلد في عديد السلاطين المتفاوتين في قبحهم ؟ أو هل جاء أي سلطان الا وهو يريد أن يكون نبيا ومعلما ؟ هل امكن أن يعيش أي سلطان سلطانا فقط أي لا سلطانا ونبيا ؟ هل يمكن أن يقبل أي سلطان أن يكون سلطانا لو كان ذلك يعني أن يكون سلطانا فقط أي دون أن يكون نبيا ؟ نعم ، هل يقبل أي نبي أن يكون نبيا فقط دون أن يكون سلطانا ، أو يقبل أي سلطان أن يكون سلطانا فقط أي دون أن يكون نبيا ؟ أليس كل سلطان نبيا وكل نبي سلطانا ؟ أليست النبوة والسلطانية أسلوبين وتعبيرين عن تفسير واحد ؟

ان أي نبي يجيء إلينا يحمل كتابه المنزل ، معلما واعظا لنا ، متملقا ضمائرنا وضعفنا وغفلتنا ، باكية حزيننا من اجلنا ورحمة بنا ، متحضعا متضرعا راکما تهنيبا وادبا وحياء وضعفا وتواضعا بين أيدينا .

نعم ، ان أي نبي يجيء إلينا كذلك ، بهذا الاسلوب من اساليب المجيء لن يكون الا سلطانا ضخما جبارا يحمل في ضميره وأخلاقه وشهوته ، ويدس في طيات كتابه المنزل وبين سطوره وحروفه وعظاته الباكية الحزينة المسترحمة أفتك وأقوى وأكبر واحد السيوف والجيوش وقوى البطاش الأخرى . أليس الجحيم وأحواله شيئا قليلا مما يدسه لنا النبي في كتابه المنزل ؟ هل يستطيع أفتك سلطان أن يملك جحيم الانبياء وأن يهدد به أو يتخيله ؟

وان اي سلطان يجلس على عرش مصنوع من ضمائر واخلاق ووحشية الابالسة، ومرفوع فوق عضلاتهم واكتافهم وامجادهم، ومحروس بتدبيرهم وتخطيطهم وذكائهم، ومحمى بجيوش لا يدربها ولا يعلمها ولا يمودها ولا يسلحها سواهم اي سوى الابالسة، ومحاط مزين بمستشارين ونصحاء ووعاظ وامناء كلهم منهم اي من الابالسة .

نعم ، ان اي سلطان يستوى على عرش مثل هذا العرش لن يكون ولن يريد ان يفني او يستطيع ان يكون ، الا نبيا ، لئلا وحي النبي وتعاليمه وكتبه المقدسة وسمواته واربابه وملائكة وحيه ، وله كل معابده وصلواته ومقدساته ومحلاته ومحرماته ، وله ايضا كل اسراره وقواه الغيبية الخارقة الرهيبة المتفوقة على جميع التفاسير والافهام . ان اقوى وابطش ما في اقوى وابطش سلطان هو ما فيه من معاني النبوة واخلاقها وتفاسيرها وتعاليمها واذلالها وبطشها وغواياتها !!

ولكن الا توجد تفاسير اخرى لتحول الوعظ والتعليم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى موهبة او وظيفة او غريزة او مجاعة روحية واخلاقية وفكرية في جميع البشر ؟ اليس شيئا كثيرا وسخيفا ان جميع البشر يريدون ان يكونوا امرين بالمعروف ناهين عن المنكر ؟

حتى الشيطان ، انه لا يستطيع ان يكون الا واعظا معلما محذرا ناهيا عما يفعله ويريده ويحبه ويخطئه ويحرض عليه هو . انه لا يستطيع الا ان يكون امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، والا ان يكون نبيا في احد ازبائه وصيغه ولغاته . . هل وجد نبي او واعظ يساوي الشيطان او يشبهه واعظا نبيا ؟ هل في اي نبي من تفاسير النبوة مثلما في الشيطان ؟

ان افسق الناس لا بد ان يكون واعظا معلما ولو احيانا . وان اظنى الطغاة واقسامهم بطشا بالحريات والتسامح والافكار الحرة ليتحول الى نبي حرية وتسامح في بياناته وخطبه واحاديثه وتعاليمه وعظاته وبكائه ، حتى ليكاد يذهب يلعن الطبيعة ويلعن معاداتها للحرية حينما تصيب انسانا بالخرس اللساني او بالخرس العقلي ، فتعجزه حينئذ عن ان يتكلم ويقاوم بعقله ويفكر ويعبر بكل الحرية وباقسي واشمل اساليبها ، او حينما تصيب اي الطبيعة انسانا بضعف البصر او بفقدته فتجمله حينئذ عاجزا عن رؤية الاخطاء والعيوب والقباحات ، وحينئذ عاجزا عن استقبحها وعن التفكير ضدها ومقاومتها ، او حينما تعتدي اي الطبيعة على احد القلوب فتجمله عاجزا عن الخفقان او ضعيف الخفقان ، احتاجا على كل طغيان ، ورفضاً له ، وتحريضا عليه ، وهتافا وصلاة للحرية بكل نماذجها وبكل مواجهاتها لكل اعدائها ، او حينما تصاب اي الطبيعة بالزرق والوحشية والفوضى وبمنطق واخلاق الامبريالية والراسمالية فتخلق كائنات وبشرا متفوقين في ذكائهم وجمالهم وقوتهم وفي جميع كينوناتهم ومواهب وصفات ذواتهم ، وحتى في عواطفهم وفي

استجابتهم لها اي لمواطنهم وفي استجابة عواطفهم لهم ولواجباتها وظروفها وفي جميع تحركاتها اي تحركات عواطفهم . - نعم ، تخلقها وتخلقهم متفوقين على كائنات وعلى بشر آخرين ، وحينئذ يتحول التفوق الاقوى في هذه المواهب والصفات الى عدوان على حرية تفكير المتخلف الاضعف ، وعلى حرية كينونته ، وعلى حريته في اعجابه بذكائه وجماله وقوته وبجميع كينوناته ، بل وعلى حرية مشاعره ولغته وعلى حرية جميع اساليبه في التعبير عن نفسه وعما يريد التعبير عنه ، وعلى حريته في ان يكون هو الاقوى والاذكى والاجمل والاكبر والاشهر ، وفي ان يرى ويجد نفسه كذلك ..

أجل ، أليس الاقوى في مزاياه وكينوناته الجسدية والذاتية والعقلية والنفسية بل واللغوية والتعبيرية عدوانا دائما على حريات الاضعف في هذه المزايا والكينونات؟ ليست الالهة عدوانا على الملائكة والملائكة عدوانا على البشر والانبياء عدوانا على اتباعهم والناس عدوانا على من دونهم بقدر ما الحيوان المفترس والاقوى عدوانا على الحيوانات الضعيفة المفترسة ؟

بل ، أليس الذكاء والجمال والحماس والحب والنظافة والصدق والوقار والتهذيب بل وجودة المنطق والبلاغة والتعبير عدوانا محتوما ووحشيا على حريات نقيض ذلك ؟ اذن ما اكثر واشمل العدوان على الحريات ؟ أليس عدوان التفوق الذاتي اقصى وواقع من العدوان الطبقي أو التاريخي أو الرأسمالي ؟ ليس الجمال يعتدي على الدمامة اقصى من عدوان الغنى على الفقر ؟

ليست جميع الاشياء والكائنات والبشر هي وهم اما معتدى عليها وعليهم ، واما معتدية ومعتدون على غيرهم ، واما هي وهم هذا وهذا ، اي اما واقع عليها وعليهم الاعتداء واما واقع منها ومنهم هذا الاعتداء ؟

اذن ما اقصى ان تكون موجودا لانك لا بد ان تكون معتديا او معتدى عليك او هذا وهذا ..

نعم ، ان أطغى الطغاة وأشدهم فتكا بالحریات ومعاداة لها وخوفا منها وعدوانا عليها ، ليكاد في مواعظه وخطبه وبياناته عن مزايا الحريات وعن ايمانه بها وممارساته لها ، يذهب يلعن الطبيعة ويحاكمها وينزل بها اشد العقاب حينما تفعل اي شيء قد يتحول الى عدوان على حرية اي شيء ، او اي احد ، او الى اضعاف او ارهاب لاي معنى او صيغة من معاني وصيغ الحرية حتى الحرية الحيوانية والجمادية . اي لان كل احد لا بد ان يعظ ويعلم حتى ولو ضد نفسه وضد معانيه ومواقفه واحتياجاته .. حتى الطغاة جدا لا بد ان يعظوا ويعلموا ويخطبوا عن مزايا الحريات ومزايا ممارساتها والايمان بها ، لا بد ان يعلموا ويخطبوا ويضعوا ضد ان يكون الطاغية طاغية ..

ان كل طاغية ودجال وكاذب على الاله لا بد ان يعظ ويعلم ضد الطغيان والدجل والكذب على الاله باسم النبوة .

حتى الابالسة جدا لا بد ان يعظوا ويعلموا ويخطبوا عن مزايا الملائكة والملائكية وعن قباحة ووقاحة ان يكون الشيطان شيطانا ، او ان يعيش الشيطان نفسه • حتى الاله لا بد ان يعظ ويعلم ضد نفسه واخلاقه وضد كل تاريخه • • وهل يوجد واعظ معلم ضد معانيه دون الالتزام بشيء من مواعظه وتعاليمه مثل الاله ؟ اليس يعلم ضد كل الشرور التي يصنعها ؟

ان احدا ما او كائنا ما لن يشعر ان مواعظه وتعليمه ونصائحه ضد نفسه وضد ممارساته قد تتحول الى عدوان عليه او الى احراج له او الى اعلان مضاد عنه او الى اضعاف لممارساته او لاجابه بنفسه او لاجابه بقوة ودقة التزاماته الفكرية والاخلاقية واللغوية والتعليمية والشعورية والانسانية والاجتماعية • انه لن يشعر انها قد تتحول الى خطر عليه او الى مضايقة او فضح له ، او الى التزام من اي نوع او على اي مستوى او في اي موقف • •

نعم ، الا توجد تفاسير اخرى لرغبة البشر جميعا في ان يصبحوا وعاظا ومعلمين ، بل لتحولهم جميعا الى معلمين ووعاظ ؟ بل ليس البشر وحدهم • اليس سكان السماء من الاله وملائكة وابالسة هم اكثر واعظ الكائنات وعظا وتعلما ؟

اجل ، انها قد توجد تفاسير اخرى لذلك • وقد يكون الحقد والحسد والعجز والحرمان وارادة الانتقام والتمذيب والمساواة في الحرمان والعجز من هذه التفاسير الاخرى • اننا قد نذهب ونعظ ونعلم ضد الشيء الذي نريده ونتمناه ونرى القدرة عليه والامتلاك والممارسة له مجدا او قوة او جمالا او انتصارا ثم لا نستطيع فعله ولا امتلاكه • اننا قد نعلم ونعظ ضد الاشياء بالاسلوب والحوافز التي يلين بها الظمان جدا السحابة المطرة حينما تتخطى ارضه وفمه الى ارض الاخرين والى افواههم • •

اننا قد نحسد الاخرين او نحقد عليهم او نعجز عما يستطيعون او نحرم مما يجنون وينالون ، او نريد ايقاع العذاب او الانتقام بهم او التحقير والتصغير لما يستطيعون هم ونعجز نحن عنه ، وحينئذ نذهب ونعظ ونعلم محكومين بهذه الاسباب والحوافز والنيات • • اننا قد نتحول الى انبياء تنزل علينا الكتب المقدسة المحقرة واللاعنة للذكاء والجمال الموجودين في وجوه وعقول اطفال جيراننا دون عقول ووجوه اطفالنا !!

ان الدميم والمشوه والجاهل والمعاجز والبليد والمتخلف والمهين والساقط والموت والكذاب المنافق والمهزوم قد يذهب يعظ ويعلم ضد نقبض صفاته واخلاقه وعاداته ، كما قد يذهب يعظ ويعلم ويخطب ولو باساليب متسترة عن مزايا نقائصه وفنوبه وعاداته وحقاراته • ان الاله او النبي البدوي الجاهل الوقح لا بد ان يعلم ويعظم ضد التحضر والعلم والذكاء والتهذيب وينزل الكتب والتعاليم ضد كل ذلك • •

لقد وجد في التاريخ معلمون كبار جدا وعالميون وخالدون قد ذهبوا في تعاليمهم وعظاتهم يمجدون ويمتدحون بتعبد ومغالة مثيرة الهوان والحقارات والعجز والعاهات والهزائم والخطايا بل والجهل والعي والبلادة لانهم هم كانوا مصابين بذلك ويعيشونه عاجزين عن تخطيه ، او لان آخرين ينتمون اليهم ويحسبون عليهم ويعيرون او يؤخذون ويؤخذون بهم كانوا هم المصابين به ، وهم الذين يعيشونه ، وهم العاجزين عن تخطيه ..

ان الام هؤلاء المعلمين الخالدين العالميين وهمومهم وهوانهم وعجزهم وهزائمهم وجميع ظروفهم ومواجهاتهم وتجاربهم وذكرياتهم الخاصة الكئيبة القاسية هي التي صاغت تعاليمهم وعظاتهم ومحرماتهم ومحللاتهم وكتبهم المنزلة المقدسة ، وليس الذي صاغ ذلك هو علمهم بقبح او بغباء ما يعلمون ويعطون ضده ، ولا لان اخلاقهم وضماثرهم وقلوبهم مخلوقة من كبرياء الشمس او من طهارة السحاب او من عطر الازهار ، او من رقة وتهذيب وتقوى النظرات العاشقة المتغزلة المتسوددة او من حنان ومحبة اذرع وعيون الامهات لاطفالهن المتألمين . ان الانسان يعظ ويعلم وينهي ويحرم لانه يريد ويخاف ويعجز ويواجه ويفقد ويتمنى ويتألم ويخاصم وينافس ويكره ، وليس لانه يعرف او يحب او يفهم او لا يعشق الا الكمال والجمال والنجوم ، ولا لانه يتعذب حبا ورثاء للالهة والكائنات الساكنة في السماء ، لهذا يذعب يعظ ويعلم وينهي ويحرم لمصلحة الالهة ولمصلحة الكائنات الساكنة في السماء ، استجابة لحبه ورثائه لها ، وبحثا عما يرضيها او يهبها السعادة والمسرة والاعجاب بالنفس ، وعما يشفيها من الكآبة والغضب والحدق والارق وانهيار الاعصاب .. اننا مهما آمنا بالالهة وسكان السماء وصلينا لهم فاننا لن نبكي او نرثي لما يقاسون من ارق وحقد وغضب وانهيار اعصاب .. ان اي معلم لو جاء وفي وجهه او في اي مكان من جسمه علامة كئيبة ، او في حياته ذكرى اليمية ، او في ذكرياته شبح حادثة قبيحة لكان محتوما ان تجسي تعاليمه ومحرماته ونواهيته ، وان تجي صفات واخلاق ونماذج وشهوات اربابه وكائناته العلوية مخالفة لتعاليم ومحرمات ونواهي معلم اخر جاء سويا بلا علامات او ذكريات او اشباح احداث دميمة او ذميمة او شنيعة او أليمة ، ولكان محتوما ان تجي صفات واخلاق ونماذج وشهوات ارباب هذا المعلم السوي وكائناته السماوية مخالفة في تصوره وفي تعاليمه عنها لما جاء في تصور المعلم المصاب المشوه المتألم وفي تعاليمه ورؤاه عن اربابه وعن كائناته العلوية . ان اية عاهة في جسد او في حياة اي معلم لا بد ان تظهر بصيغة ما في جسد او اخلاق او اهواء الهه ، كما لا بد ان تتدخل في صياغة تعاليمه ووصاياه ..

ان قيمة تعاليم وشرائع اي معلم لا تساوي ما في ضمير هذه التعاليم والشرائع من جمال او دمامة ، من ذكاء او غباء ، من قوة او ضعف ، من نتائج جيدة او رديئة ،

متوقعة او مجربة ، مظلونة او مستيقنة ، وانما تساوي ما في جسد ونفس وحياة وفكرى وتاريخ ومولد ذلك المعلم من علامات وانطباعات وكينونات واحداث متفاوتة القيمة والتاثير والتفسير ، تصنع التمجيد او التعيير ، القسوة والبغضاء والترويع او الرقة والحب والامان ..

ان جسد اي نبي وتاريخ الامه ولذاته ومكان وظروف ولادته - نعم ان كل ذلك لا بد ان يتدخل في صياغة اخلاق واهواء الهه وعوالمه السماوية .
ان صفات ومنطق ونماذج واخلاق اي اله او دين او مذهب او نظام او تعليم او كتاب مقدس لا تتخلق ولا تعيش في ذاته ، ولكنها تتخلق وتعيش في ذات نبيه او معلمه او سلطانة الحاكم القاتل الضارب السارق المظارد المذل القاهر باسمه ، او تتخلق وتعيش في ذات المؤمن به . ان اي اله او نبي او مذهب او نظام او دين او كتاب منزل لن يفسر بنفسه ولن يساوي نفسه وانما يفسر بدعائه ومنفذه وبالمؤمنين به ، وكذلك انما يساويهم هم ..

**

افن كل الناس لا بد ان يعظوا ويعلموا وينصحوا ويوصوا بلا اية محاسبة للنتائج بل او تفكير فيها ، بل لا بد ان يفعلوا ذلك ولو ضد انفسهم ومعانيهم وتفسيرهم وجميع اهوائهم ومواقفهم ، دون ان يصابوا بالحرج او بالشعور بالتناقض او بالتعري او بانهم محاسبون او مدالبون بان يكونوا شيئا مما يعلمون ويعظون .

بل ان جميع الكائنات الحية الناطقة، المتكلمة والمصوتة ، لا بد ان تفعل ذلك ، وليس البشر وحدهم . اليمست الحشرات والحيوانات والطيور والالهة وجميع الكائنات الغيبية السماوية تفعل ذلك بكل الاساليب واللغات ؟

هل يوجد مثل الاله وعظا وتعلما ونصحا ونهيا وزجرا ضد نفسه اي ضد جميع معانيه وتفسيره وقيمه واخلاقه ؟ او هل يرجد مثله امرا وتوصية ومطالبة بما يفعل ويريد ويختار دائما نفقيضه ؟ أليس الاله باسلوب ليس له شبيهه يعظ ويعلم وينصح ناهيا زاجرا عن كل قسوة وظلم وتشويه وارهاب وايداء وتجويع وبخل وايلام وتهديد وتشريد وقتل وعن كل تفريق او تمييز بين المتماثلين ، ثم لا احد مثله يفعل كل ذلك ؟ بل اليس جميع من يفعلون ذلك انما يفعلونه لانه قد صاغهم صياغة تجعلهم لا بد ان يفعلوه ، تجعل مطالبتهم بالا يفعلوه ليس عبثا وغباء ، ونزقا فقط بل وسماجة وصفاقة لا حدود لها ؟ اليمست مطالبة الاله لمن خلق بالا يكون كما كان اقبح واطلم وابلد من مطالبة الضارب بالسوط للسوط بالا يكون ضاربا لو مضروبا به ؟

ثم أليس الاله ، وباسلوب لا يشبهه ايضا فيه احد ، يأمر بكل المعروف اي بكل الاخلاق والاعمال والصفات والذيات والمعاملات الجيدة التي اصبح كل العقلاء

والمعاملين يعرفونها ويعرفون انها جيدة وان فعلها والالتزام بها شهامة وتقوى وخير وسعادة ، ويعترفون بها كذلك وبانهم مأمورون بالالتزامها ، ثم لا احد يشبهه اي يشبه الاله في خروجه على كل هذا المعروف بل وعلى كل معروف ؟ هل وجد او يمكن ان يوجد مثل الاله خروجا على المعروف الذي حول كل طاقاته للامر به وللنهي عن الخروج عليه ؟

ان جميع الفاعلين للمنكر المنهي عنه ، الموعوظ المعلم ضده في جميع الاديان والتعاليم والفلسفات والاخلاق والعقول والتقاليد والشهادات ، وان جميع التاركيين المعادين بسلوكهم واهوائهم للمعروف المأمور به الموصى عليه الموعوظ بالالتزام به ايضا في جميع الاديان والتعاليم والفلسفات والاخلاق والعقول والتقاليد والشهادات - بل ان جميع الفاعلين لكل المنكر الذي ينهون عنه بكل القسوة والغلظة والفظافة والغضب ، وجميع التاركيين لكل المعروف الذي يأمرهم به بكل الحماس والرغبة والالاحاح وبكل اساليب الاغراء والتملق الضارع المهين المجنون .

نعم ، ان جميع هؤلاء وهؤلاء لو تجمعوا في خروجهم على كل المعروف وفي فعلهم لكل المنكر في ذات كائن واحد لا استطاع هذا الكائن الواحد ان يكون اسلوبا واحدا صغيرا متواضعا خافقا من اساليب الاله في خروجه على كل معروف وفي اقترافه لكل منكر . لعل الاله لا يملك خلقا او صفة او موهبة يمكن ان يعرفها ويعترف بها ويجدها ويقاسي منها ويعجز عن مباراتها كل احد مثل خروجه على كل معروف واقترافه لكل منكر ..

اذن نحن ايضا محكوم علينا بان نعظ ونعلم بلا اية محاسبة للنتائج او للواقع او لاية قيمة او تفسير لما نفعله ، بل بلا اي تفكير في ذلك بل وضد كل تفكير .. لقد حكم على كل احد بذلك بنفس هذا الاسلوب الخارج على كل محاسبة وحساب وتفكير وتوقع للنتائج او للالتزام او حتى اهتمام بها .

انه محكوم بكل ذلك على كل احد حتى على الاله ، ونحن لا بد ان نكون احدا . اذن لا بد ان نعظ ونعلم باسلوب قد يعني ويفسر بل قد يقنع باننا نعتقد ان وعظنا وتعليمنا لا بد ان بصوغا الكون وكل شيء وكل احد الصياغة المتضمنة والمرجوة ، وان تركنا للوعظ والتعليم لا بد ان يحول كل شيء وكل احد الى خراب وجنون وموت وفجور والى غزو مدمر لببوت وعروش الالهة ، بل لجميع مراكز الالهة ولجميع امجادها الهازمة الساترة لكل شيء ولكل احد ولكل مجد .. نعم ، اننا لنعظ ونعلم حتى لبدو ان الاله لا بد ان يموت لولا وعظنا وتعليمنا ..

اننا لا بد ان نستمر نعظ ونعلم ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر حتى يبدو كأننا نحن وكل الآخرين مقتنعون انه لولا وعظنا وتعليمنا وامرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر لما ولد الليل الصباح ، وولد للسحاب الانهار ، وولدت البحار للسحاب ، وولدت النساء للطاعة والانبياء ، وولد الطاعة والانبياء الاحقاد والعداوات والاديان

والمذاهب المتعادية المقسمة للبشر ٠٠ ولما استطاع الاله ان يصنع فوق هذه الارض مجده المصنوع من جراح جبهات الساجدين ، ومن هوان قامات الراكعين ، ومن طوابير المصلين المتملقين ، ومن ذنوب المذنبين المستغفرين المعتذرين ، ومن خطايا المخطئين القائمين ، ومن عاهات المرضى والمشوهين المتضرعين المستغيثين ، ومن اخايد وجوه الشيوخ المتهدمين ، ومن انات وصرخات واحزان المتألمين والمحزونين والمقهورين . نعم ، لما استطاع الاله ان يصنع مجده المصنوع من العاهات والاهات والهوان ، والدموع والاحزان والضياح والعجز والضعف والحيرة والبلادة والامراض والموت والشيخة ٠٠

انه لا بد ان نستمر نعظ ونعلم حتى ليبدو انه لولا وعظنا وتعليمنا لما استطاع الاله ان يجد نفسه بيننا ، ولما قبل ان يحيي الينا او يبقي فينا او ان يصنع لنفسه او نصنع نحن له مجدا تغنيه وتنشده وتكتبه وتخدع وتكذب وتستغل وتستعبد وتتسلط وتسكت وتتاجر به منايرنا ومعابدنا وسلاطينا وانبيائنا وكتابنا ووعاظنا وجميع المتنافسين والمتعاقبين على تسخيرنا وارهابنا وسرقتنا وسرقة كل ذكائنا وكرامتنا وكبريائنا من كل عقولنا وطموحنا واخلاقنا ٠٠

نعم ، اليس محتوما ان يتحول مجد الاله الى تحليل وتشريع وتحريض لكل اللصوص لكي يسرقوا كل معانينا الانسانية ؟ وهل لله مجد غير اباحة الانسان للصوص ؟

بل حتى يبدو اننا مقتنعون واننا قد اقمنا كل الاخرين انه لولا وعظنا وتعليمنا لما استطعنا ان نعرف وظيفة اعضائنا الجنسية ، ولا كيف نستجيب لها بالاساليب التي تحولها الى فرحة في قلب الاله ، والى جمال في عينيه ، والى وقار في اخلاقه ، والى نظافة في اعضائه ، والى تمجيد وتكريم لتاريخه ولكرامته وكبريائه ، والى ثناء على ذكائه ، والى منطق في تدبيره وتفكيره ، بل والى منطق لمنطقه ، والى فكاهة لذكائه ، والى مجد لمجده ، والى قوة ابصار لعينيه ، والى مزيد من الحياء لحيائه وفي حيائه . نعم ، هل يوجد ما يمكن ان يصنع للاله الوقار والحياء والنشوة والرغبة في الرؤية لولا ممارساتنا لاعضاءنا التناسلية بكل الوقاحة والافتضاح امامه ؟

بل ولا كيف نستجيب لها اي لاعضاءنا الجنسية بالاساليب والممارسات التي تحولها اي تحول استجابتنا لهذه الاعضاء الجنسية وممارساتنا لها الى تعويض له اي للاله عن حرمانه البائس الاليم من هذه الممارسات ٠٠

ولكن هل المفروض ان تتحول ممارساتنا الجنسية الى تعويض للاله عن حرمانه ام الى اصابته بالغيرة ؟

نعم ، انه لمحكوم علينا بان نعظ ونعلم ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر . ولاننا
محكوم علينا بذلك سنقول للانسان العربي باسلوب الخوف على كرامته وكبريائه
وباسلوب من يريد ان يبقى على شيء من احترامه لنفسه ولا يائه وتاريخه : لا تقرا
هذا ...

اقرأوا هذا كي يتواضع عجايبكم بتاريخ تبوركم

سأروي هنا شيئاً قليلاً جداً مما قال أجدادك أيها الإنسان العربي . ولو أنك عصيت نصيحتي لك بالآ تقراء هذا فقراته لوجدت اني كنت صادق الاشفاق والوعظ والنصح حينما وعظتك ونصحتك بالآ تقراء ، ولو وجدت انك كنت ملزماً أو حرياً بأن تطيع فلا تقراء حينما تجد ان هذا العار بل حينما تجد ان الافتخار بهذا العار وتحويله الى تاريخ هو كل امجاد اجدادك او اعظم امجادهم . حينما تجد كيف كان ذكاء اجدادك وكيف كانت رؤيتهم لانفسهم وللآخرين وللأشياء ، وكيف كانت مستوياتهم الحضارية والعقلية والانسانية والشعرية ، وكيف كان اعلانهم عن هذه المستويات وتباهيهم بها . . . حينما ترى كيف كانوا شيئاً مهيناً مذللاً مخجلاً . . . ولكن كيفما كانت عيناك وكانت قدرتك على الرؤية فهل تستطيع أو تجرؤ ان ترى كيف كان اجدادك ، كيف كانت نماذجهم ؟

اليس محتوماً حينئذ اي لو قرأت هذا الذي سوف ارويهِ هنا عن اجدادك والذي وعظتك ونصحتك بالآ تقراء - اليس محتوماً حينئذ ان تتعذب عذاباً لم يتعذبه انسان قبلك ولن يتعذبه انسان بعدك . .

وانا هنا افترضك ترى العار بكل نصوصه وصيغته وتفسيره ، وتقرؤه وتفهمه وتخافه وتقاسي منه ، بعينيك وعقلك واخلاقك ومذهبك وتدينك وايمانك وتاريخك وبجميع نماذجك ومقاساتك وشروطك في جميع كياناتك ومعاملاتك ومواجهاتك . نموذج رهيب في تعذيبه هذا النموذج للانسان الذي افترضناه لك . وهل يوجد انسان واحد يساوي نموذج الانسان هذا النموذج ؟

اجل ، ان افترضك كذلك لمبالغة في القسوة عليك ، كما انه مبالغة جداً في الافتراض وتفسير نموذجك وفي تمجيد مستوياتك . وهل تقبل ان افترضك كذلك ؟ لهما تختار : العار المريح السعيد ام المجد المعبأ المقاسي ؟

نعم ، لقد افترضتك بهذه الصيغة وهذه الشروط الصعبة القاسية . . لهذا لا بد ان ارتجف خوفاً عليك ورثاء لك لو تصورت انك قد تقراء هذه النماذج القليلة التي

قالها اجدادك وضرعوا الى التاريخ لكي يحفظها ويرويه عندهم ولهم ، لكي يجد فيها كل مجده وكبريائه وذكائه ورسالته . بل لقد تضرعوا الى التاريخ ، اعني انهم امروا التاريخ ان يحفظ ويروي هذه النماذج التي قالوها والتي عبروا بها عن مستوياتهم العقلية والنفسية والاخلاقية والفنية والشعرية والحضارية - امروا التاريخ ان يحفظها ويرويها وينشدها من فوق جميع منابرهم ويصلي بها في جميع محاريبه ، لكي يقتنع الاله حينما يقرأها ويسمعها ويحفظها ويفسرهما بان له مجدا ضخما فوق هذه الارض صنع له واهداه اليه اجدادك . وهل صنع مجدا الاله غير اجدادك ؟

هل استطاع الاله ان يتحدث عن مجده الا بعد ان رأى وقرا مجد اجدادك وقرا عنه فادعاه مجده ؟

اذن اسمع واقرا ما قاله اجدادك القديما . .
نعم ، اقرا هذا واسمعه جيدا لكي يتواضع اعجابك بتاريخك . .
قال احد اجدادك هؤلاء الكبار العقلاء جدا :

فهل الناس غير ابناء قحطان
اذا ما ذكرت غير عبيدي
وقال الاخر من قديما اجدادك الذين اتواضع والوقار والصدق :
كل من يحتذي النعال ومن لا . .

يحتذيها من البرية عبيدي
وقال الاخر من نفس هؤلاء الاجداد والقديما العقلاء المتوقرين جدا :
ملكننا قبل داود زماننا . .

وعبدنا ملوك العالمينا
وقالوا ايضا وهم يذوبون تواضعا وحياء وذكاء :
لا ينكر الناس منا يوم نملكهم . .

كانوا عبيدا وكنا نحن اربابا
ولعل كون اباؤك اربابا هو الذي صاغ كل الناس والكون والاشياء والحياة بلا
اي ذنوب او عاهات او تشوهات او اخطاء او الام او مظالم او بلادات . . !!

وقالوا وهم يخلون من شدة تواضعهم ، بل وهم يعتقدون انهم يهينون مجدهم وتاريخهم واباءهم لشدة تواضعهم ، بل وهم يعتقدون ان كل شيء وكل احد لا بد ان يتعذب لشدة حيائهم وتواضعهم ، بل وهم يعتقدون ان الله حزين ومريض بكل معاني الخجل والانزاع ومشاعر الخيبة والغيرة لهم من شدة تواضعهم ، بل وهم يخشون ان يتخلى الله عن جميع التزاماته ووظائفه في هذا الكون انزعاجا وانقهارا وغضبا حينما يسمعهم ويقرأهم وهم يتواضعون كل هذا التواضع ، بل وهم يخشون

ان يتعلم الله منهم التواضع فيتواضع ، وحينئذ لن يجد اسلوبا يعبر به عن تواضعه سوى تنازله عن الوهيته وعن امتلاكه لهذا الكون وسيادته عليه .

نعم ، قالوا وهم يقاسون كل هذا التواضع بكل احتمالاته وتفسيره وبكل اخطاره ونتائجه هذه التي احداها سقوط الاله من فوق هذا الكون وفراره منه :

لولا صوارم يعسرب ورماحها ..

لم تسمع الاذان صوت مكبر

فأفخر بقحطان على كل الوري ...

فالناس من مدر وهم من جوهر

ان ما تلوته عليك هنا من جنون ابائك ليس الا قطرات من محيطات . انه ليس اختيارا من أسفه ما قالوا او احصاء له ولكنه اعتراف منه .

**

هذا عن الاءاء . ولكن ماذا عن الابناء ؟ هل نسوا مواهب ابائهم او سحبت منهم ؟ هل هبطوا عن سموات ابائهم او ارتفعوا فوق حضيضهم ؟

هل خرجوا او هموا ان يخرجوا من خيام وعباءات ابائهم وانبيائهم الفكرية او الاخلاقية او النفسية او اللغوية ؟

هل توجد وسيلة او عبقرية او أية حيلة من اي نوع تستطيع ان تسحب من الابناء مواهب او خصائص او نماذج او اعماق او تفاسير الاءاء مهما سحبت منهم لغاتهم او انبياءهم او خيامهم ؟ هل يمكن ان تسحب خيامهم من مواهبهم او من نفوسهم او تفكيرهم او اخلاقهم مهما سحبت من بيوتهم واطنانهم ؟ هل يوجد قانون يسمح بهذا السحب ؟ اليس الصعب هو سحب الخيام من الموهبة والعقل والنفس والاخلاق وليس من المكان او البيت ؟

نعم ، ماذا عن الابناء ؟ هل استطاعت حضارات الاءاء او اساليب حياتهم المتفوقة القوية الغازية ، او استطاعت مؤامراتهم الضخمة الذكية الماكرة الشريرة ان تسحب من ابناء العروبة او تضعف او تسكت او تخفي فيهم جاهلية ابائهم بكل ما فيها من سهيل ونخوات ومبارزات صوتية هي اخلد واشهر واعظم ما فيهم وما حشده في خزانات وصحراوات التاريخ من امجاد وعبقریات ؟

هل تستطيع اقوى الحضارات الغازية والمجلوبة متجمعة متأمرة متعاونة ان تقتل او تطرد او تخضر جاهلية المستوى ، اي جاهلية النفس والعقل والخلق ؟ هل تستطيع الحضارات الغازية مجتمعة ومتعاقبة ان تزيل او تخرق اية عباءة او عمامة او خيمة عربية نصبتها أو نسجتها أو زرعها الموهبة الذاتية التاريخية داخل العقل والضمير والعقيدة والارادة والقدرة والاصالة العربية ؟

اعني هل استطاعت او يمكن ان تستطيع جميع حضارات العالم ، حضارات
الاصدقاء والاعداء وحضارات من ليسوا اصدقاء ولا اعداء ، مهما غزت وانتصرت
واذلت ، ومهما دعيت او جلبت او اشترت او تعول بها ان تقتل او تهزم او تضعف
او تحضر في ابناء العروبة جاهلية اباء العروبة ؟
اليست جاهلية العروبة منتصرة دائما في رفضها الابي ان تاخذ اية مزية من
مزايا اية حضارة ؟

نعم ، هل استطاعت او يمكن ان تستطيع جميع حضارات ومؤامرات وغزوات
الامبريالية والراسمالية والصهيونية ان تسحب من ابناء العروبة او تغير او تؤدب
او تهذب او ترهب فيهم شاعرية او صوتية ابائهم التي رويها نماذج منها ؟ كيف
استطاعت جاهلية العرب او شاعريتهم او صوتيتهم الجاهلية ان تقاوم وتهزم جميع
الحضارات والمؤامرات التي ارادت تغييرها او تهذيبها او تحضيرها ؟ وهل استطاعت
ذلك حقما ؟

لعل افضل واصدق الاجوبة عن هذه الاسئلة ان نروي مقاطع من قصيدة يعربية
قالها احد اليعربيين الابناء المحدثين ، قالها متجمعة فيه جميع جاهليات ابائهم
الصوتية وجميع عبقریات الصهيل والزئير والرغاء والثغاء والعواء المقسمة عليهم اي
على جميع ابائهم في كل تاريخهم ..

قالها وكأنه يريد ان يثبت ويقنع ان مواهب اليعربيين الاباء لن يستطيع شيء
ان يسحبها من اليعربيين الابناء ، بل ولا ان يؤدبها او يهذبها او يرهبها او يعلمها
شيئا من الاستحياء او الاستتار . ليس تأديبها وتهذيبها عدوانا عليها وافسادا
واضعافا لها ؟ أليست كل قوتها وقيمتها واصالتها في ان تكون بلا تهذيب ولا تأديب
اي عذراء البداوة ؟

قالها وكأنه كان يريد ان يهدي الاطمئنان الى جميع اصدقاء العرب الذين كانوا
ولا يزالون يتخوفون ان يستطيع هذه الحضارات والظروف والاساليب والتحويلات
السريعة الرهيبة في قوتها وسرعتها وشمولها واغراءاتها القاهرة ان تسلب من العربي
الابن شيئا من جاهلية العربي الاب ..

كانه قد يوجد من يشكون في ان الابن العربي لن يستطيع ان يتخطى في مواهبه
الاصيلة الخالدة الاب العربي ..

قالها وكأنه كان يريد ان يرد على جميع المتشائمين بل وعلى جميع المفكرين
والمنطقيين الذين كانوا يشكون - لانهم كانوا يفسرون كل شيء بالمنطق والقانون
الثابت في ان تستطيع الجاهلية العربية ان تثبت او تعيش او تستمر تتنقل من
الاجداد الى الاباء الى الابناء الى الاحفاد في مواجهة ومعاودة كل هذه التحديات دون
ان تصاب بشيء من خفوت الصوت او من الرهبة او الاستحياء او من التغيير في اي
شيء من اخلاقها او منطقتها او تعبيراتها او حتى من ثيابها !!

قالها وكأنه كان ينوي ان يدلل على ان الانسان العربي غير محكوم بالقوانين الطبيعية التي تحكم جميع الاشياء والكائنات والكينونات ، قوانين التطور او التغير او التخطي للذات وللطور التاريخي والطبيعي . كأنه كان ينوي ان يدلل على ان جاهلية العرب قد صاغها الله او صيغت او صاغت نفسها بالاسلوب الذي صاغ به الاله نفسه او صيغ به او صاغه العرب به ، وصاغ او صيغت او صاغوا به صفاته واخلقه وافتكاره وعواطفه واطواره وجميع اساليب حياته ، اي بلا اي تبدل او تغير او زيارة او نقصان او تصحيح او تعديل ، وبلا اية رؤية جديدة او تفسير جديد لاي شيء فيها او فيه . اليسست اعظم معجزات الاله ان شيئاً فيه لن يستطيع ان يغيره شيء حتى ولا هو يستطيع ان يغير شيئاً في ذاته او من ذاته ؟

نعم ، كيف يكون الله لا يتبدل او يتغير شيء فيه ثم يكون شيء في الجاهلية العربية يصاب بالتغير او التبدل ؟ نعم ، الله والانسان العربي هل يستطيع او يتقبل احدهما ان يتجاوز الآخر او يتفوق عليه او يهبط تحته ؟ اليس احدهما هو الآخر ولكن باسم اخر ؟

اجل ، كيف يكون المعجز عن التغير وعن تخطي الذات والكينونة او رفض ذلك كما لا او مجدا او كرامة او جمالا في الاله ثم لا يكون كذلك في جاهلية العروبة ؟ اليسست صفات الاله هي التفسير الشامل المؤمن لجاهلية العرب الابدية ؟ اليس الله هو الاسم الآخر لجاهلية العرب ؟

كيف يكون مقبولا او معقولا او ممكنا ان يثني على الاله بشيء لا يثني بمثله على العرب ؟ كيف يغفر الله مثل ذلك او كيف يغفره العرب ؟ اليس كل ما هو مدح او ذم لاحدهما هو مدحا او ذما للآخر باتفاقهما ورضاهما ؟ اليسست القضية يجب ان تصاغ هكذا :

ان كان التغير او التبدل في الذات او في الكينونة عظمة او قوة او مزية من اي جنوع فلماذا ان لا يكون ذلك للاله ، وان لم يكن هذا التغير او التبدل عظمة ولا قوة ولا مزية فلماذا ان لا يكون للعرب ؟

هل يمكن ان يكون هناك عظمة او قوة او مزية لا يحياها العرب بالمشاركة او بالتقرد ؟ هل يستطيع الله ان يعيش مجدا لا يعيشه العرب ، او ان يتنزه عن نقص او عيب او ذنب لا يتنزه عنه العرب ؟ اليس كلاهما اي الله والانسان العربي انما جاء تقليدا لنموذج الآخر ؟

ولكن كم هي مقادير الوقاحة والنزق والمقاساة التي لا بد ان اعيشها وامارسها يفكري وضميري ويدي ومشاعري لكي استطيع ان اروي مقاطع من هذه القصيدة اليعربية التي سوف ارويها هنا ؟

اليسست الوقاحة والنزق يمارسان بالرواية والرؤية وبالاهتمام والنية كما يمارسان بالفعل ؟

اليس الذي يكتب او يروي او يرى او يواجه او يسمع او يفسر او حتى يتخيل او يقرأ قبحا او دمامة او وقاحة او فضيحة او عارا او بلاءة او عاهة او ألما او نزقا لو سخفا لا بد ان يعيش ذلك ويمارسه بأسلوب ما او بأساليب عديدة عنيفة او مخففة ؟ اليس الذي يوقع الحكم بالاعدام لا بد ان يعيش ويقاسي أحاسيس الموت وتقاسيره الا ان يكون جهازا اليا لا انسانا ؟

أليست العين او الاذن التي ترى العذاب او تسمعه لا بد ان تعيش العذاب وتقاسيه الا ان تكون عينا او اذنا ميتة ؟ ولكن هل يستطيع اي انسان ان يعيش ما لم تمت عيناه واذاؤه ولو بعض الموت اي ولو اكثر الموت ؟

لعله لا يوجد كائن غير الانسان يعيش ويمارس ما يكتبه ويقرؤه ويرويه ويسراه ويسمعه ويواجهه ويفسره ويفهمه ويتخيله . ان نوع ذلك وصفاته ، جودته وردائه ، اي ما يراه ويرويه ويسمعه ويفهمه ويفسره ويتصوره ويواجهه - ان نوع ذلك وصفاته الجيدة والرديئة ، العظيمة والحقيرة ، لتهبه اي لتهب الانسان الاستمتاع او العذاب ، المجد والكرامة او العار والنذالة ..

والانسان الذي لا يعيش ولا يمارس ، لا يكتب او يتعذب ، لا يسر او يستمتع بهذا الأسلوب ، اي لا يعيش ولا يمارس بعينه واذنيه ومواجهته وخياله وبرايته وقرآته وكتابته ، ماذا يمكن ان يكون فيه من معاني الانسان او تقاسيره ، او ماذا يساوي من قيمة الانسان الانسانية ؟ وهل يوجد تفاوت كتفاوت البشر فيما يساوي كل انسان من قيمة الانسان ومن معانيه وتقاسيره ؟

ان ذات الانسان ، اي في مستواه الاعلى ، ليست الا شبكة مؤلفة من اجهزة توصيل لا مثيل لها في شمولها وابعادها واعماقها وافاقها وفي حساسيتها ، لتوصل كل الاشياء والكائنات الموجودة بل وغير الموجودة اي المتخيلة او المروية في التعاليم والاساطير ، لتوصلها الى نفس الذات اي الى نفسها لكي تعيشها اي تعيش كل الاشياء والكائنات الموجودة وغير الموجودة ، لكي تعيشها بالمجد والكرامة والاستمتاع او بالنذالة والعار والعذاب ، اي لتعيش هذا او هذا او هذا وهذا ، بالشعور والنية والمنطق وبالتقبل والرفض وبالعجاب والاشمئزاز . هل يوجد كائن يعيش ويمارس كل شيء بكل الاساليب ، ويعيش فيه ويمارسه كل شيء بكل الاساليب ايضا ، غير الانسان اي الانسان في مستواه الاعلى ؟

ها انت ترى او تسمع او تقرأ او تفسر او تواجه او تتخيل او تروي ألما او ظلما او قبحا او غباء او كذبا او سخفا او هوانا أو سقوطا أو عارا أو نقيضا لكل ذلك ، دون أن تعيش وتمارس ذلك بغضبك او برضاك ، بجبك او ببغضك ، باعجابك أو باشمئزازك ، بمناصرتك أو مقاومتك ، بمشاعر الكبرياء والكرامة والمجد فينك

أو يمشاعر الانفجاء والمهانة والعار . ألسن كذلآ حتما ولو أأانا ؟ بل ألسن ذلك هو الواجب والحتم عليك لكي تسطيع أن تحيا وأن تحب وتفرح وتغني وتعجب بنفسك ؟

هل أنت أذن انسان ؟ أو ماذا تساوي من قيمة الانسان أو من تفاسيره ؟ هل يستطيع أي انسان أن يعيش كل معاني الانسان وقيمه وتفاسيره ؟ هل يستطيع أي انسان أن يكون كل الانسان ؟

هل يستطيع بدون أن تعيش فيك مقادير جيدة من الوقاحة والنزق وبلادة الضمير ودمامة الروح والفكر وخمودهما ، أن تواجه أو ترى أو تسمع أو تروي أو تقرا أو تكتب أو تفسر أو تتخيل بتعمد وتحديق ، هذا الموقف أو هذا المنظر أو هذا الحدث أو هذه الدمامة أو لعامة أو هذا الكلام أو هذا المستوى الفكري أو الفني أو الأخلاقي أو الانساني بل الكوني ثم لا تتفجر غيظا وغضبا واشمئززا وحزنا ؟

أذن هل يستطيع بدون أن تعيش وتمارس أي لون من ألوان الوقاحة والنزق وبدون أن تقاسي من العذاب النفسي والفكري والأخلاقي والانساني بل والقومي والوطني ، أن تروي هذه المقاطع التي سوف أرويها من قصيدة يعربية قالها يعربي من الأبناء بعد أن تجمعت فيه باصالة جميع مواهب الأباء ، بل أو أن تروي أي شيء مما كنت قد رويت في الصفحات السالفة من تراث أولئك الأباء ؟

أذن ما أقسى وأقبح ما حكم به علي حينما أصبحت محكوما علي بأن أروي واكتب ما رويت وكتبت وما سوف أروي واكتب من مقاطع القصيدة اليعربية التي أقاسي في هذه اللحظات من أشد حالات الارتجاج استحياء ورهبة واشمئززا من ضخامة العار ، خوفا من البدء بمروايتها ، والتي أأول أن أأحدث عن أي شيء وأن أشغل بأي شيء لكي أهرب ولو بعض الوقت من البدء بمروايتها وكتابتها ، لكي أأأخر عن هذا البدء متعللا بأي شيء . أن رواية أو كتابة مثل هذا العار ليست شيئا مسليا أو مريحا بل ليست شيئا سهلا . أليست رواية أو كتابة الشيء نوعا من مقاساته الفكرية والنفسية ؟

ولكن يا نفسي ويا أخلاقي وعقلي وكرامتي واستحيائي ، لا بد من التجلد ، لا بد من اقتحام الأوحال لانه لا حياة بلا اقتحام وخطو وممارسة ، ولانه لا اقتحام ولا خطو ولا ممارسة بلا أوحال انه لا رؤية ولا سماع ولا قراءة ولا تصور ولا تمن بلا أوحال ..

انه مهما كانت ملابسنا وجلودنا نظيفة فان مواجهاتنا وممارساتنا ومعانينا وتفاسيرنا لن تكون كذلآ . هل يوجد من يستطيع أن تكون كل رؤاه وخيالاته وقراءاته وأفكاره وتحليلاته وتحقيقاته وأسفاره الانسانية بلا أوحال أو دمامات أو ذنوب أو وقاحات أو مقاساة فكرية أو أخلاقية أو نفسية أو انسانية أو حضارية أو مقاساة من أي نوع وبأي أسلوب وتعبير ؟

السنا نعيش في الظلام والوحل ونمارسهما بقدر ما نعيش تحت ضوء الشمس وفي اصفى واعمق الانهار ماء واطولها امتدادا ، او مهما عشنا تحت الشمس او فوق الشمس وفوق جميع الانهار وجميع السحاب ؟
هل يوجد ما يتفوق على الشموس عجزا عن الرؤية او على الانهار والبحار عجزا عن النظافة والتطهر ؟

ان الذين يعيشون داخل اجساد الشموس او داخل اجساد الانهار والبحار والسحاب لن يكونوا اكثر اشراقا او نظافة او جمالا او مجدا في رؤاهم او مواجهاتهم ، و قراءاتهم ، او في ما تتلقاه اذانهم ، او في ممارساتهم ، او نياتهم ، او في امالهم وتصوراتهم والتزاماتهم ، او في اي تفسير من تفاسيرهم ..

انهم لن يكونوا اكثر اشراقا وجمالا او نظافة او مجدا في ذلك ممن لا يعيشون الا في احشاء الظلام والاوhal والدمامات . وان الشموس والبحار والانهار والغمام لن تكون في مواجهاتها او رؤاها او ممارساتها او معاشراتها او قراءاتها وعلاقاتها او في أسواقها او في تفاسيرها أكثر اشراقا او نظافة او تقوى او مجدا او تعففا من أية حشرة تعيش وتتسلل في العفونات والظلام ، هاربة من النور والنظافة والجمال .. بل ان مثل هذه الحشرة لاكثر تقوى وتعففا وتطهرا في مواجهاتها وممارساتها المختلفة من الشموس والبحار والانهار والسحاب ..

اذن لا بد من اقتحام الاوhal والعفونات ولو بالكتابة او القراءة او الرؤية او السماع او المواجهة او التفكير او بالتفسير او بالخيال او بكل ذلك ، او برواية هذه المقاطع من هذه القصيدة اليعربية وبنقلها الى الورق وعلى الورق . وهل يوجد مثل الاقلام والاوراق خوضا في الاوhal والعفونات ؟

اذن كل الاعتذار الى الورق الذي سوف تكتب وتنشر عليه هذه الاوhal والعفونات . كل الرثاء للحضارة التي اعطت المطبعة لتكون الاداة لنشر هذا القبح وتوصيله الى العيون والاذان ..

وما الناس الا منشدون لمجرب

ايتها الكائنات الغيبية المطة متلصصة من عيون ونوافذ وشقوق هذا الكون ...
اغلقي عيونك واذانك لئلا تقرئي او تسمعي ما سارويه .. لئلا تعرفي انه توجد في
هذا الكون كائنات بهذا الحجم العقلي والنفسي والاخلاقي واللغوي التعبيري ..

نعم ، اغلقي عيونك واذانك حماية لعيونك واذانك واحتراما لها ، وثائما بل
وتكرما من ان تعرفي ان قوما قد يصغرون ويصغرون ليكونوا بمثل هذا الحجم في
نكائهم ، او وقارهم ، او اخلاقهم ، او في تعبيرهم عن حجمهم هذا .

اغلقي ايتها الكائنات الخفية المتطلعة اليانا من وراء وفوق هذا الكون اذانك
وعيونك لئلا تقرئي او تسمعي او تعرفي . اننا عقاب فادح او مسلاة لثيمة لكل من
يسمعوننا او يقرأوننا او يفسروننا او يعرفوننا او يحاوروننا ..

ارفقي بنا فلا تقرئينا او تسمعينا او تعرفينا . وارفقي بحياتك ووقارك وكرامتك
وبتهذيبك وادبك ، فلا تقرئينا او تسمعينا او ترينا او تعرفي حجمنا الانساني
والحضاري ..

نعم ، الان .. لتغلق بل لتمت ولو منتحرة كل العيون والاذان لئلا تقرا او ترى
او تسمع .. ليمت كل من يقرأون ويسمعون ويرون ..

الان .. لقد ماتوا ، ماتوا . لا بد من الافتراض انهم قد ماتوا ..

اذن فلينشد العربي انشاده الرهيب بعد ان مات كل من يقرأون ويسمعون
ويرون ويفسرون . نعم ، لقد ماتوا ، ماتوا . اذن فليسمعوا :

بلى ... قد وهبنا الناس كل مزية

وهبناهمو كل الحضارات والرياس

بلى .. قد خلقنا الله مجدا لمجدنا

خلقناه كي يقرأ العربيه والعربا

خلقناه لا يخشى سوانا ولم يطع

سوانا • ولو قلنا له : لتمت لبى
وما همه الا قراءة مجدنا
وتنزيله في مدحنا الرسل والكتبا
وما هو والاكون الا قصائد
تغني لنا مجدا •• تفسرنا حبا
بلى •• قد خلقنا الشمس من ومض مجدنا
•• ونابى القمر المسكين مجدا لنا •• نابى
وما الارض الا ملعب لجيادنا
ولا للكون الا عائدات لنا تجبى
وما الناس الا منشدون لجندا
ألم يجدونا الدين والعلم والحربا
وما مجدهم الا تلاوة مجدنا
سلوا كل ذي مجد • فما ننطق الكذبا
ولم يستقوا من غير ابار فكرنا
لقد ولدت ابارنا للبحر والسحبا
ولم يزرعوا في غير صحراء جودنا
لقد انبتت صحراؤنا المجد والخصبا
وما اقتحموا الاقمار الا تشبهها
بسبق براق للنبي •• به خبا
وما ابصروا اذ خلقوا غير خيائنا
هنالك تجتاز المجرات والشهبى
فتعلو فلا شيء يروم مكانها
وتعدو فلا شيء يسد لها دربا
لقد وجدونا فوق كل مجرة
هناك رأونا نمنع السهل والصعبا
بلى •• قد وهبنا الضوء سرعة ومضه
اذن فليحني الكون صواغه العربى
بلى نحن من قالوا لذا الكون فلتجىء
فجاء كما شئناه مستسلما صبا
لذا قد رأينا الجمال جميعه
فلا قبح فيه قد نراه ولا ذنبا
وحتى الذباب فوق انف نبينا
نراه جمالا يبهز العقل والقلبا

لانا رأينا ما اعتقدنا كماله
وصفناه مكتوبا باخلاقتنا الغضبي
لذا عزم من شئنا له العز وحده
لذا نل من شئنا له الخل والكربا
لذا نال ما يبغى المطيع لامرنا
لذا نال من يعصوننا السلب والصلبا

بعد هذه المسيرة الطويلة الصعبة الحزينة في احوال هذه القضية ، قضية ان العرب ليسوا الا ظاهرة صوتية ، اريد ان اثبت الامور الاتية ، مع الاعتراف بان هذا الذي سوف اثبته واتحدث عنه ليس الا تكرارا لما سبق ٠٠ والتكرار قانون طبيعي وكوني وانساني ٠ انه لولا التكرار لتوقف بل ولما وتنفذ وتلاشى كل شيء ٠ ان هذا لاعتذار الى من قد يتهمون بالتكرار ويجدون في هذا الاتهام لذة ومجدا ٠
اولا :

صعب جدا ان يقرأ قارىء ما كتب هنا ، ان يقرأه بفكره وصدقته واهتمامه خارج جميع قيوده وتقنياته السابقة المتعددة الجنسيات والاملاءات ، ثم يستطيع ان يشك في صدق الاستنتاجات التي قررتها هذه الدراسة ، اي ثم يشك في ان العرب ليسوا سوى ظاهرة صوتية ٠٠ اعتقد ان اي مصاب بكل امراض الشك لن يصاب باي شك في هذه القضية ان هو قرأ هذه الدراسة بالشروط التي ذكرت ٠٠

ان هذا القارىء لا بد ان يقتنع بذلك حتى ولو كان في هذا الاقتناع كل التعذيب والتحطيم لكرامته وكبريائه وضميره وكل الخروج على كل امواله وادعاءاته وقراءاته ٠ بل حتى ولو كان عجزه عن هذا الاقتناع او رفضه له هو وحده الذي يهبه الجراة او التسويغ او التشريع او القدرة على ان ينظر في عيون الآخرين ، او على ان تصافح يده ايديهم ، او على ان يبتسم للمرأة او تبتسم له المرأة او على ان يصافح وجهه في المرأة ، او على ان تكون المرأة ويكون التحديق فيها شيئا مباحا ٠ اني افترض هنا ان لوجود المرأة وللتعامل بها وللابتسام لها شروطا ٠ فهل اشترط احد اية شروط لذلك؟

ان اي انسان يتعامل من داخله مع جميع طاقاته وتفجراته وقراءاته وتساولاته الانسانية الذاتية ، لو انه قرأ الانسان العربي واستمع اليه وحقق فيه وفسره في ذات وبذات ومن ذات الانسان العربي ، ثم حكم عليه اي على هذا الذي قرأ وفسر الانسان العربي وحقق فيه واستمع اليه ، باقسي حكم يحكم به على اي انسان ، لو انه اقتنع من داخله بان العرب ليسوا الا ظاهرة صوتية ، لما كان ممكنا او مستطيعا ان يقتنع بغير ذلك حتى ولو نفذ فيه الحكم الذي حكم به عليه والذي هو اقصى حكم ٠٠ وان الله لو بعث رسولا من السماء وحمله رسالة كلفه بتبليغها وتعليمها ، وكانت كل هذه الرسالة المرسلة مع هذا الرسول المهبط من السماء هي التحليل على ان

العرب اكثر من ظاهرة صوتية ، وكان هذا الرسول ذكيا وصادقا ، لما استطاع ان يقتنع بان العرب أكثر من هذه الظاهرة الصوتية ، اي بعد ان يعايشهم ويسمعهم ويقرأهم ويفسرهم . انه حينئذ لا بد ان يشك في صدق الاله الذي ارسله او في ذكائه او في جده ، اي ان لم يقتنع انه قد اخطأ وهبط على اقوام اخرين غير العرب . ان هذا الرسول لن يستطيع الاقتناع بان العرب اكثر من هذه الظاهرة الصوتية حتى ولو مدده الاله الذي ارسله بكل العقاب الذي يملكه ان لم يقتنع بذلك

ان هذا الرسول سيكون حينئذ هو اول رسول في التاريخ بل في الكون يشك في صدق أو ذكاء أو جد أو وقار الاله الذي ارسله ، او يشك في أن القوم الذين كانوا في ذهن الاله وفي نيته ليسوا هم القوم الذين بعثه اليهم او وضعه فيهم او ظنهم اياهم ، او ليسوا هم القوم الذين وصل اليهم بخطئه هو او بخطأ الاله او بخطئهما معا . الا يحتمل ان يشك الانبياء في تعيين الاقوام الذين يبعثون اليهم ؟ هل موهبة الشك في الانبياء لا حدود لضعفها وخمودها ؟

ولكن هل يمكن الاقتناع بان احدا من اولئك الانبياء الذين ارسلتهم السماء لم يشك أو يتساءل أو يفكر : هل السماء التي ارسلتني صادقة أو عارفة أو ذكية أو جادة أو جيدة النية والاخلاق ، بل لم يقتنع انها ليست كذلك ، بل انها نقيض ذلك ؟ اليس محتوما ان كثيرا من الانبياء قد اقتنعوا بان الالهة التي ارسلتهم هي نقيض المزاي المزعومة لها ؟

هل توجد غفلة مثل غفلة اي نبي لا يقتنع بان الاله الذي ارسله هو نقيض حاد وشامل لكل معاني الاله المفترضة والمطلوبة والمصلى لها وبها ؟

اليس اعوان الطغاة واعوان جميع الاقوياء والمتسلطين لا بد ان يعرفوا دائما أو أحيانا حقيقة من يعملون معهم ولهم وباوامرهم ؟ بل اليس هؤلاء الاعوان لا بد ان يكونوا اكثر الناس معرفة بنقائص وذنوب طغاتهم وسلطانهم ، واعجز الناس عن الاقتناع او الانخداع بمزاياهم المقررة والمعلنة والمخطوب المصلى بها ولها بل المنزلة في التعاليم وفي الكتب المقدسة ؟ اليست اعضاء الكائن وملابسه الداخلية هي اعرف العارفين بمستويات نظافته ونظافتها ؟ هل يمكن ان تدخ ملابسه واطرافه الانسان الداخلية عما فيه من احوال ؟

هل يمكن الافتراض بان نقائص وذنوب هؤلاء الطغاة والحكام ، وبان اخطاءهم وجهالاتهم اعظم او اشنع او اظهر أو اشهر أو اكثر افتضاحا من نقائص وذنوب وجهالات واطفاء السماء ؟ هل يمكن التستر على عاهات الالهة وذنوبها او الدفاع عنها مهما امكن التستر على ذنوب وعاهات كل الاشرار والدفاع عنها ؟

او هل يمكن الافتراض بان الانبياء الذين ترسلهم السماء وتختارهم لها رسلا وانبياء هم اقل ذكاء او اكثر عجزا عن رؤية الاخطاء والذنوب والجهالات

والفناقص ، او اقل رفضا واستقباحا وفهما لها من اعوان الطغاة والسلاطين ؟ نعم ،
اليس هذا الافتراض الاخير محتملا بل مقبولا بل معقولا ؟ هل يمكن تصور عاجزين
عن الرؤبة والذكاء والنقد مثل المتحدثين مع الالهة ؟

وبدون هذين الافتراضين اليس محتوما ان يكون رفض الانبياء لذكاء السماء
ولاخلاقتها ومعرفتهم بعيوبها وذنوبها اقوى من رفض اعوان الطغاة والسلاطين
لذكاء واخلاق طغاتهم وسلطينهم ومن معرفتهم بذنوب وعيوب هؤلاء الطغاة
والسلاطين ؟ ان اعظم تحقير وهجاء لذكاء الانبياء ولاخلاقتهم الزعم انهم لم يكونوا
اكثر رفضا لاخلاق ولنطق السماء من اعوان الطغاة رفضا لاخلاق ولنطق طغاتهم ..
ان جميع عاهات وذنوب البغاة المتسلطين بل وعاهات وذنوب جميع البشر
لو انها تحولت الى عاهة واحدة والى ذنب واحد لتتفجرا في جميع العيون والضمائر
والعقول ، في جميع الاوقات ، بكل الاساليب والتعبيرات لما استطاعا ان ينافسا
في منطقتها وتفاسيرهما اصغر العاهات والذنوب التي تمارسها السماء وتجرها
وتقاتل وتعاقب وتتحدى بها كل الاوقات كل العيون والضمائر والافكار والاخلاق
وللتعاليم والاديان والمذاهب والكتب المنزلة بل والامال والتضرعات والصلوات والاهات
وللهفات المرفوعة اليها ..

هل يوجد مهين مخيب لكل الامال والتوقعات واللهفات والاشتراطات والحسابات
والظنون مثل الاله .

هل يمكن ان يجهل اي نبي ترسله السماء ان اية خطيئة او وقاحة يقتربها
لو يعشقها اي انسان او اي كائن انما هو ، اي الكائن او الانسان ، هو ووقاحته او
خطيئته ليسا سوى وقاحة او خطيئة يقتربها ويديرها ويعشقها ويسعد بها الاله
الذي ارسله ؟ اليس الاله هو الخالق والحبر والمريد للوقح ووقاحته اكثر من خلق الوقح
لوقاحته ومن تدبيره وارادته لها ؟

او هل يمكن ان يجهل اي نبي ترسله السماء انه لا يوجد ولن يوجد بل او
يتصور كائن يخرج على جميع تعاليمه ويخرقها بكل القسوة والشمول والديمومة
والامتضاح مثل السماء ؟ هل توجد جراءة وجه مثل جراءة وجه السماء التي تجن غضبا
وانتقاما ممن عجزوا عن الالتزام بتعاليم لا تلتزم هي اي السماء منها شيئا دون ان
تكون عاجزة ؟ كيف تجرؤ على الكشف عن وجهها ؟

او هل يمكن ان يجهل اي نبي ترسله السماء ، ان السماء التي ترسله يجب ان
تكون ذكية ومنطقية واخلاقية ، وان تكون ملتزمة بما تحبه وتريده وتأم به وتعلمه
وتراه جمالا وحقا وخيرا ؟ هل يمكن الافتراض انه قد يوجد نبي او يقبل او يغفر
ان يوجد نبي يجهل ذلك او لا يفترض او يشترط في الهه الذي ارسله انه يجب
ان يكون اي الهه ذكيا ومنطقيا واخلاقيا وملتزما بما يريده ويحترمه ويحبه ويراه

عدلا ونظافة وجمالا وحقا وخيرا ؟ ليس محتوما ان كل نبي كان يصرخ في وجع
 الله بلا صوت : اجعل ايها الاله من ان تعلم ولا تلتزم • مت خجلا ايها الاله ؟
 اذن هل يمكن الافتراض بان نبيا واحدا لم يكن يعرف ان الاله الذي ارسله
 بالتعاليم والاخلاق والتقوى وبالدعوة الى العدل والحب والرحمة والكرم هو
 الكائن الذي لا نموذج له في خروجه على جميع هذه القيم التي تجي وتبتدع التعاليم
 للدعوة الى الالتزام بها ؟ اذن هل يمكن الافتراض ان اي نبي من الانبياء كان من
 داخله يحترم الاله الذي ارسله ، او انه كان يثق به او يصدق او يراه جديرا بما
 يطالب به لنفسه ، او انه كان جادا فيما يقول ويعلم ؟

اه ايها الانبياء البؤساء •• كم كنتم تقاسون من الرفض لاخلاق ومنطق الهتكم •
 اه ايها الانبياء البؤساء •• اي ان لم يكن غباؤكم متفوقا على غباء الانسان العربي
 امام جهالات وسخافات وذنوب الهته وانبيائه وسلاطينه وخلفائه ورؤسائه وتاريخه •
ثانيا :

ان الاقتناع بان العرب ظاهرة صوتية ليس الا اسلوبا من اساليب الدفءاع
 عنهم والفرق بهم بل والاحترام لهم • ان هذا الاقتناع يعني الخروج بهم من منطقة
 المحاكمة والمحاسبة والمساءلة القاسية الى منطقة الصنع والغفران او الى منطقة
 المسلاة والسخرية الصامتة الحزينة او السعيدة ••

انهم اذا كانوا اصواتا فقط فلن يؤاخذوا او يفسروا بما يقولون او بما يبصرون
 او يظن انهم يقولون • ان تفسير العرب بما يقولون لهو اقصى اتهام وهجاء وتعيير
 وتحقير لهم • اما تفسيرهم بانهم اصوات لا تفسير لها فهو انبل غفران لهم ••
 انهم حينئذ يظنون او يزارون او يجارون او يسهلون او ينهقون او يثفون
 او يرغون بأسلوب ونية وحوافز البكاء أو الغناء أو الخوف أو السباب أو الاستفراغ
 أو الاعلان عن العجز والضعف والهوان والهزيمة والتفاهة والفراغ • واي شيء في
 هذا يؤاخذ او يعاقب او يصنع الغضب أو الاحتقار ؟ ان ذلك مثل صوت الريح
 أو الانفجار الطبيعي ، لا يعني اي خروج على النموذج ، كما لا يعني اي ادعاء سخيف

ان الكائن الذي يطلق صوتا فيفسر بانه يطن او يجار او يسهل او ينهق او
 يعوي او يبكي او يغني او يستفرغ لافضل حظا واقل عارا ممن يطلق صوتا
 فيفسر بانه احمق او ابله او مجنون او حقير او مفتضح او فذل او كذاب او دعوي
 او وقح النفس والاخلاق والعقل والتعبير والوجه والرؤية للنفس والتحدث عنها ، او
 يفسر بانه كل ذلك • ان هذا يواجه بالاحتقار والاشمزاز والغثيان • اما ذلك فيواجه
 بالبراء والاشفاق والاعتذار عنه او بالاستحسان والاستظراف والانصات اليه
 والاستزادة منه ، او يواجه بالصمت، اي بصمت المشاعر والتفكير والرؤية عنه ، لا
 له ولا ضده ••

الست صاحب حظ عظيم حين تستقبلك المشاعر ثم تصمت عنك لا تمجدك ولا تستفرغ استقباحا لك ؟

حين يقول العرب : نحن وحدنا كل الحضارة والعظمة والقوة والشجاعة والذكاء والسخاء والاخلاق والتقوى والصدق والتعذيب والعلم ، وكل الالهيات والنبوات والاديان والحقائق الخالدة المطلقة ، وكل الزعامات والقيادات لكل العالم .

نعم ، حين يقولون : نحن وحدنا كنا كل ذلك في كل التاريخ ، ولا بد ان نضل كل ذلك بل وكل شيء جيد ومجيد في كل المستقبل ، فكيف نفسرهم اذا اردنا الدفاع عنهم والرفق بهم ، وكيف نفسرهم اذا اردنا ان نقسو جدا في تحقيرهم وتفسيرهم ؟ اما الصمت عنهم وحذفهم من كل تفسير فهذا ، لو كان ممكنا ، اقصى اساليب التحقير في التفسير . .

لو قلنا ان العرب باقوالهم هذه يتكلمون ويعنون بها ما يعنيه الناس بكلامهم اي لو قلنا ان اقوالهم هذه ولسانهم اية تفاسير اكثر من كونها اصواتا تسمع وتقرأ ويخطب ويصلى بها وتنزل وحيا في الكتب المقدسة على انبيائهم الخالدين الخاتمين لكل النبوات ، دون ان يراد بها او منها شيء اخر .

نعم ، لو قلنا ذلك فهل يوجد مثلنا عداوة وتحقيرا للعرب واستهزاء بهم ؟ ولكن اذا قلنا ان العرب في اقوالهم هذه وفي جميع اقوالهم لا يتكلمون كلاما يفسر كما يفسر الكلام ولكنهم يصوتون ، انهم يعبرون باساليب جديدة عن التصويت ، فجميع اقوالهم التي تبجو كأنها اقوال او كلام ليست الا اساليب جديدة للاصوات - نعم ، اذا قلنا ذلك افلسنا حينئذ نحاول الدفاع عنهم والرفق بهم ؟ بل قد يعد قولنا هذا نوعا من المحاولة للزعم بان اصواتهم هذه ليست سوى الوان بهيجة من الفنون ، من الغناء والتمثيل والتصوير والرسم والنحت وغير ذلك . . هل يوجد ما يصنع البهجة والمسللة والرقص والتصفيق الروحي مثل هذه الاقوال اذا فسرت بانها اصوات وليست كلاما ولا تفكيراً ؟

لو ان ببغاء او اي طائر او حيوان قال : ان « العرب هم خير امة اخرجت للناس » ، او : « خلق الله العرب ليكونوا شهودا وقضاة على جميع الناس » ، او : « ان العرب يملكون كل الدنيا وكل من فيها وما فيها » ، او : « ان اي طفل عربي يبلغ الفطام يسجد له كل الجبارين في العالم خوفا منه و حانا بمزاياء وعبقرياته » ، او : « ان العرب لا يقبلون ولا يكونون ابدا الا متصدين دائما لكل العالم دون كل العالم ، او موتى اباء ومجدا وشجاعة وكبرياء ورفضا للمساواة بالآخرين » ، او : « ان كل ملوك العالم وكل العالم ليسوا الا عبيدا « للعرب » او : « ان كل البشر في كل العصور ليسوا الا منسحين لمجد العرب وما لهم من مجد سوى هذا الانشاد » .

نعم ، لو ان اي ببغاء او طائر او كائن اخر قال ذلك عن العرب ولهم او قاله عن نفسه ولنفسه ، فهل يمكن ان يوجه اليه اي احتقار او اشمئزاز او اي اتهام

من اي نوع ، او ان يصدم منطق او ذكاء او اخلاق او كرامة او وقار اي سامع ؟ بل اليس محتوما حينئذ ان يتحول الى بهجة روحية وفنية لا تساويها اية بهجة يصنعها اي فن من الفنون ؟ ان لي كل ما قاله الهة العرب وانبياءهم وشعراؤهم وفرسانهم امتدادا لانفسهم انما قاله ببغاء او اي طائر او كائن ولم يقولوا هم منه شيئا . انه حينئذ لشيء رائع . . .

لان هذا الببغاء او الطائر او الكائن لن يفسر الا بانه مصوت فقط ، انه لا يعني ولا يقول شيئا ، وانما يغني باسلوب جديد لا نموذج له في جميع ألوان الغناء والفنون . نعم ، ليت كل ما قاله العرب فخرا وادعاء انما قالته البراغيث والعصافير ولم يقولوه هم .

ولكن لو ان اي قوم من البشر قالوا ذلك او قالوا مثله عن انفسهم ، وحاولوه الى كتب مقدسة والى نبوات خاتمة مختومة ، والى معلقات والى اداب وفنون خالدة تقطعها الاجيال والمحاريب والمنابر عن الاجيال والمحاريب والمنابر ، وتدرس وتعلن وتجد ويباهي بها وتحول الى معارض والى قيم ضخمة قومية ووطنية وانسانية كما يفعل بالحقائق العلمية ولها - بالاساليب الفضاحة التي طرح ويطرح بها العرب انفسهم في الاسواق والتاريخ .

نعم ، لو اي قوم من البشر قالوا وفعلوا ذلك ثم فسروا بانهم متكلمون لا مصوتون فقط بالاساليب جديدة من التصويت فباي الاساليب حينئذ يضطرون كل العالم الى احتقارهم ، والى الانفجاع بهم ولهم ، والى الذهول ، والعجز عن فهمهم وتفسيرهم باي مقاس او نموذج ؟ كم يمكن حينئذ ان يعذبوا عقول واخلاق ووقار وحياء وكبرياء واشفاق كل العالم ؟

هل يمكن ان يجد حينئذ الآخرون السامعون القارئون الراؤون لهم مقادير من الاحتقار والانفجاع والغضب والذهول والاشمئزاز والغثيان تكفي او تقارب الكفاية لكي يصبوها على هؤلاء الذين لا توجد لهم نماذج في العقلاء ولا في المجانين ، في البشر ولا في الكائنات التي هي اقل من البشر ؟ اليس افتراض العرب متكلمي - مفسرين بما يقولون هبوطا بهم عن مستوى البشر العقلاء والمجانين وعن مستوى الكائنات الاقل من البشر ؟

اليس اردا الاشياء او اصعبها ان نكون في موقف يستحق من الاحتقار والاشمئزاز والانفجاع والذهول ما لا نستطيع ان نفعل من ذلك ، اي من الاحتقار والاشمئزاز والانفجاع والذهول ؟ اليس شيء لا مثيل له في الفظاعة ان يجب علينا من الاحتقار والاستفحاح ما لا نستطيع ان نملكه او ان نفعله او حتى ان نعرفه ؟

اليس اقبح وافظع المواقف موقفا نوجه منه الى شيء ما او احد ما كل ما فينا من مواهب وطاقات الاستقباح والاحتقار والانفجاع والاستنكار والرفض ثم نظل مقتنعين ان كل ما وجهناه من ذلك الى ذلك الشيء او ذلك الاحد لا يكفي ، نظل

مقتنعين باننا عاجزون عن ان نفعل ما يكفي او ما يجب ان نفعله من ذلك اي من الاستقبح والاحتقار والانفجاع والاستنكار والرفض ؟ أليست طاقات الاحتقار والاستقبح والانفجاع في البشر محدودة وانها لا تساوي دائما الحدث المستحق للاحتقار والاستقبح والانفجاع ؟

اذن فعلى العرب الا يئزعجوا او يفضبوا او يرفضوا حين يفسرون بانهم مصوتون لا متكلمون ولا مفكرون . بل ان عليهم ان يبتهجوا بذلك ويشكروا ويصلوا لمن يفسرونهم كذلك . انهم بهذا التفسير يرتفعون عن هذا الحضيض وينجون من هذا العار ..

انه لا نجاة للعرب من ان يحسبوا بلا نموذج في عارهم وغبائهم وهبوط مستوياتهم الا بان يفسروا مصوتين كالغريان والعصافير والضفادع . ان عليهم ان يعلموا ان من يفسرونهم بانهم يتكلمون ويفكرون حين يقولون ما يقولون ، وانهم يعنون هذا الذي يقولون .

نعم ، ان على العرب ان يعلموا ان من يفسرونهم كذلك هم اشد المعادين المحقرين لهم الهازئين بهم المريدين الدبرين لايقاع كل الوان العار بهم .. اني هنا افترض ان العرب يفهمون انها توجد فروق بين من يصوتون ومن يتكلمون ، وان التصويت هو شيء غير الكلام والتفكير وكل الكينونات العبقرية ..

ثالثا :

انه لواجب على جميع اصحاء العرب وعلى جميع العاطفين عليهم المشفقين من ان يفسروا اي العرب تفاسير تهيبهم من الاستقبح والاشمئزاز ما لا يستحقون - نعم ، انه لواجب على جميع هؤلاء ان ينظفوا وينفذوا هجوما اعلاميا تفسيريا ، ليقتنعوا به كل العالم ان العرب يظلمون ويشوهون جدا حين يفسرون بانهم متكلمون ويتكلمون ، وبانه يجب او يجوز ان يحاكموا ويحاسبوا بما ينطقونه وبما يسمع منهم مما يشبه الكلام او يحيى بصيغة الكلام ، مثلما يحاكم ويحاسب المتكلمون . ان تفسيرهم هذا التفسير يعني حتما العدوان عليهم ومؤاخذتهم بما لا يستحقون . انه يعني حتما معاقبتهم باحتقار لا يستحقونه ، اي باحتقار هو اكبر منهم ومن مستوياتهم ، ولا يوجه اي هذا الاحتقار الا لمن هم الا الى من هم اكبر وأضخم منهم تفسيرا وكينونة . ان الاحتقار ، حتى الاحتقار قد يتحول الى نوع من المغالة في التقدير والتفسير وفي الرؤية للشيء او للكائن .. اننا لا بد ان نفترض للشيء او للكائن نمودجا او مستوى لكي نستطيع ان نحقره او نحترمه ، محاكما بذلك النموذج او المستوى المفترض ..

حتى الاحتقار انه يجب ان يكون استحقاقا . انه احيانا عطاء بلا استحقاق .. ان الكائن الذي لا يفترض له مستوى ما من الجودة لا يصح احتقاره مهما هبط تحت جميع المستويات ..

اننا لو احتقرنا الذباب او اي حيوان لان طنينه او عواءه او صوته لم يكن ذكيا ولا منطقيًا ولا متوقفا او متواضعا او مهذبا او صادقا او بليغا ، او لان سلوكه ليس نظيفا ولا شامخا مترفعا لكننا معتدين على هذا الذباب او الطائر او الحيوان وظالمين له . ولكن احتقارنا هذا الذي تحول الى ظلم واعتداء لا بد ان يتحول الى عطاء لهذا الكائن ، الذباب او امثاله ، بلا استحقاق ، أي الى تضخيم وتفسير له هو اكبر منه . انه لا يجوز او لا يمكن تحقير الشيء او الكائن ولا مؤاخذته لو معاقبته او محاكمته الا اذا هبط عن مستواه او عما يستطيعه وينتظر منه في حساب المحقر المؤاخذ ..

وهؤلاء الاصدقاء للعرب والعاطفون المشفقون عليهم يجب ان يحاولوا حمايتهم اي حماية العرب من الظلم والعدوان والتحقير حتى ولو تحول ذلك الى عطاء لهم لا يستحقونه ، اي حتى ولو تحول الى مغالة في تقديرهم وتفسيرهم ورؤيتهم . فالتحقير يجب ان يرفض ويرد حتى ولو كان يعني في كل تفاسيره كل التقدير .. ان احتقارك لمن هم اصغر من التحقير نوع فظيع من الظلم والخذلة والغشاء والوحشية حتى ولو تحول اي التحقير الى تمجيد او تكبير او الى ثناء غير مقصود . اذن ان على هؤلاء الاصدقاء والعاطفين والمشفقين ان يحاولوا بكل الصدق والقوة والحماس والشهامة اقناع كل العالم بان العرب ليسوا الا مصوتين فقط ، وانه لا يجوز ان يفسروا أو يفهموا أو يقرأوا أو يدانوا أو يمسكوا أو يطالبوا بما يسمع منهم ، أو ان ينتظر مما يسمع منهم أن يعني أي شيء ، ولا أن يسألوا عنه أي عما يسمع منهم ، أو ان يطالبوا بأي تفسير او تنفيذ له .. انه لا يجوز ان يعاقبوا او ينقدوا او يلاموا او يصنعوا لاحد اي استغراب او اندهاش او صدمة او حيرة اذا لم يعنوا بما يقولون وبما يسمع منهم اي شيء اكثر من التصويت حتى الاندهاش لا يجوز ان يصنعه العرب لاحد اذا لم يعنوا بما يقولون شيئا لان الاندهاش نوع من النقد والمحاسبة !!

انهم يستحقون ان يسمع لهم بان يصوتوا وكانهم يتكلمون ، وان يستمع اليهم ولو احيانا مثلما يستمع الى من يتكلمون ، ثم لا شيء غير ذلك .. لا شيء يطلب او ينتظر منهم لانهم صوتوا باسلوب من يتكلمون ومن يعنون او ينوون شيئا بل كل شيء ، ولا شيء من النقد او اللوم او حتى العتاب يوجه اليهم ..

ليست جميع الكائنات المصوتة تعامل هذه المعاملة الكريمة ؟ فلماذا لا يعامل العرب بمثل هذه المعاملة وهم ليسوا الا بشرا مصوتين مثل الكائنات المصوتة ؟

انه ليجب ان يقنع كل العالم بان يأخذهم اي يأخذ العرب ويفهمهم ويعاملهم ويتعامل بهم ومعهم بكل هذه البساطة والسهولة والتسامح والعدل . وبهذا الاسلوب المهذب الجمال الطيب عليه ايضا اي على العالم ان يقرأهم اي يقرأ العرب ويستمع اليهم ويتحدث معهم ويطلب اليهم ان يتحدثوا معه . بل ان عليه ان يشعر بالنشوة

للروحية او ان يتظاهر بهذه النشوة حينما يستمع اليهم وحين يقرؤهم ، مثلما يفعل كل الناس او بعض الناس حينما يستمعون الى الكثير من الكائنات المصوتة ، فيضطربون ويبتهجون ويصفقون ، غير مطالبين لهذه الكائنات او منتظرين منها اي تفسير او التزام او معنى او اي شيء اخر لما يسمعون منها اكثر او افضل من ان يسمعوا منها ، دون اشمزاز او استقباح بل او استغراب ، بل باتهاج ومرح . ان الناس يستمعون الى الكائن المصوت دون ان ينتظروا منه ان يقول لهم شيئا عن اي شيء . وهكذا يجب الاستماع الى الانسان العربي .

ان افهام كل العالم هذه الحقيقة اي ان العرب مصوتون لا متكلمون لتفضل على العالم واحسان اليه وراحة له من الوان المقاساة التي لا بد ان يقاسيها كل من لا يعرفون هذه الحقيقة ان كانوا قد حكم عليهم بان يقرأوا او يسمعوا او يعايشوا العرب .

ان من لا يعرفون هذه الحقيقة لا بد ان يقاسوا من الصدمات والذهول والاستغراب والعجز عن الفهم ومن مشاعر الخيبة حينما يتعاملون مع العرب ، ومع الاستماع اليهم والقراءة لهم والتحدث والتفاوض والحوار معهم ، ومع الانتظار لما يقولون ويسمعون منهم ، مع الانتظار لصدقه ولذكائه ولتقاسيره وللالتزام والاهتمام به ولتطبيقه ، اي لالتزام واهتمام العرب به ولتطبيقهم له ، اي لما يقولون ولما يسمع او يقرأ لهم .

شديدة هي صدمتك ان انتظرت صدقا او ذكاء او التزاما او تطبيقا او تفسيراً لما يقوله العرب .

ان الذين لا يعرفون هذه الحقيقة عن العرب لا بد ان يقاسوا كل هذه المقاساة ايضا او لا بد ان يقاسوها باشد اساليبها قسوة حينما يقرأون لالهة العرب ولانبيائهم وخلفائهم وحكمائهم وشعرائهم الاقدمين الخالدين .

تعذيب لك رهيب ان تقرأ لالهة العرب او لانبيائهم وخلفائهم وحكمائهم وشعرائهم ان كنت تريد تفسيرهم بما يقولون . ان من لا يعرفون هذه الحقيقة ستكون مقاساتهم من الصدمات والذهول والاستغراب والحيرة والعجز عن الفهم والتقبل ومن مشاعر الخيبة - ستكون مقاساتهم هذه بلا نموذج حينما يقرأون او يسمعون ما قاله الهة العرب وانبيائهم وخلفائهم وحكماؤهم وشعراؤهم الاقدمون الخالدون . ارثي لك جدا ان كنت محاكما محاسبا لما تقرأ وتسمع ان كنت قد قرأت او سمعت لالهة وانبياء وخلفاء وحكماء وشعراء العرب .

اذن فافهام كل العالم هذه الحقيقة اي افهامه ان العرب مصوتون لا متكلمون شفاء وحماية له اي للعالم من هذه المقاساة الفادحة التعذيب . اذن ما اعظم تفضل واحسان من يستطيعون افهام العالم هذه الحقيقة عن العرب . ان كل من يملكون اي قدر من الذكاء والصدق والنزاهة ، ممن قرأوا او سمعوا او عاملوا العرب القدماء او المحدثين ، لا بد ان يكونوا قد عرفوا هذه الحقيقة اي ان

العرب مصوتون لا متكلمون • وهؤلاء لا يحتاجون الى اي هجوم اعلامي تفسيري لكي يعرفوا هذا الذي يعرفون ، ولكي يتقوا الصدمات والعذاب حينما يضطرون الى ان يقرأوا او يسمعوا للعرب او الى ان يتعاملوا ويتحاوروا ويتحدثوا معهم واليههم • ان كل هؤلاء لا بد ان يكونوا قد عرفوا هذه الحقيقة واطمانوا اليها وعلنوها بقدر ما هم بريئون من الحقد والخبث والشماتة والمعاداة للعرب ••

ولكن الاغبياء والخبثاء والاشرار الماكرين الذين يجدون متعة او راحة او مصلحة في ان يحقروا العرب قد يعجزون او يدعون العجز او يدبرون العجز عن فهم هذه الحقيقة اي كون العرب ظاهرة صوتية جاءت باسلوب او بصيغة الظاهرة الكلامية والفكرية والبشرية ، لكي يستطيعوا ان يستمعوا يستمتعوا ويضطربون ويربحون ويتعالمجون بالاحتقار والتصغير لهم اي للعرب ، حينما يصرون على ان يفسروهم بانهم متكلمون وليسوا مصوتين فقط ، اي حينما يحاكمون ويحاسبون العرب باصواتهم مفسرين لها اي لاصواتهم بانها كلام وتفكير ، اي بانهم يعنون بها ما يفهم منها ، اي بانها اي اصواتهم هي مستواهم الفكري والاخلاقي والنفسي والثقافي والديني والمذهبي واللغوي ، مفسرة بانها كلام وتفكير ونيات ، اي بانها اشياء مقصودة مدبرة مخططة معنية مسموعة مقروءة مفسرة كما يسمع ويقرأ ويفسر الكلام والتفكير والنيات ، وكما يقصد ويدبر ويخطط ويعني اي الكلام والتفكير والنيات • ان هؤلاء يريدون ان يتهموا العرب بانهم يعنون باصواتهم شيئا اكبر وابعد واعسر واعق من التصويت • انهم يتهمونهم بنيات ويفسروهم بتفسير هي اكبر واصعب منهم ، لكي يجدوا المسوغات لاستماعتهم بتحقيقهم اي بتحقيق العرب وبلااستهزاء بهم ، اي لانهم حينئذ لا بد ان يبذوا اي العرب هابطين تحت جميع الحدود الدنيا لجميع الكائنات التي تنتمي نماذجهم الى نماذجها • ان الذين يفسرون العرب بما يقول العرب هم انفسى واخبث اعداء العرب ••

انه لا احد يعادي العرب ويفضحهم مثل من يزعمون تراثهم نبوات وتفكيراً وشعراً وكتباً منزلة تفسر وتحاسب ، لا اصواتاً فقط تسمع وتغفر وتهمل •• وهؤلاء الاغبياء او الماكرون الاشرار هم الذين يحتاجون الى حملة اعلام وتفسير يقوم بها اصحاء العرب والعاطفون المشفقون عليهم لكي يفهمهم هذه الحقيقة اي كون العرب ظاهرة صوتية ، ولكي يشفوهم اي يشفوا الاغبياء والماكرين الاشرار من مكرهم وخبثهم اللذين يجدان متعة ونشوة ومنفعة في احتقار وتحقير العرب • الا يستطيع ولو احيانا ان يشفي الاعلام والتفسير والتفكير والفهم من الحقد والخبث والمكر والشماتة والبغضاء كما قد يشفي من الخطا والجهل ؟ اليس الحقد والبغض والشماتة والعداوة والندالة عجزا عن الفهم احيانا ؟

كان العرب في التاريخ حتى في التاريخ القريب جدا محميين من العالم ، لا يقرؤهم ولا يسمعونهم او يراهم او يفسرهم او يفكر في قيمهم ومستوياتهم الا نادرا • كانوا معزولين عن اهتماماته وحساباته وطريقه • وكانت الاسباب لهذا للزل

والحماية عديدة . من هذه الاسباب بدآوتهم أي بدآوة العرب وعجزهم وفقـرهم وتخلـفهم الحضاري والانساني وانفـلاتهم الديني والنفسي والعـرقي والاخلاقي . كانوا خارج كل العيون والاذان والافكار بل واللغات . لانهم كانوا خارج كل الوجود القوي المؤثر المحبوب والمرغوب فيه .

لهذا لم تكن هناك حاجة الى ان يعرف العالم او الى ان يقنع ان العرب ليسوا الا ظاهرة صوتية . انه لا يقرأ ولا يسمع لهم او منهم ، ولا يتحدث اليهم او يتحدثون اليه ، ولا يفكر في ان يفسرهم اية تفاسير ، ولا ان يحاسبهم اية محاسبة بل لعل العالم لم يكن يعرف انهم أي العرب موجودون . ولماذا يعرف وكيف يستطيع ان يعرف ؟ ان اسباب المعرفة بوجودهم واسباب الارادة لمعرفة وجودهم اسباب غير موجودة وغير جذابة . .

افن لا خطر ولا عار ولا اهانة في الا يعلم أي العالم ان العرب ليسوا الا مصوتين . انهم لم يكونوا يملكون ان يعيروا او يهانوا او يستهزا بهم لانهم لم يكونوا يملكون ان يروا او يسمعوا او يقرأوا او يعلم بوجودهم او يهتم به او يفكر في قيمتهم . .

اما اليوم فقد سقط العرب بكل القسوة في كل الاذان والعيون والافكار والاهتمامات واللغات . لقد اصبـح كل العالم محتاجا الى ان يقرأهم ويستـمع اليهم بكل الانصات والحماس والذكاء والتفكير ، والى ان يضع لهم التفاسير وان يبحث لهم عن التفاسير ، والى ان يصـبح ويمسي عاكفا على كل ما ينطقون به يفسره ويحلله مرتجفا من الرغبة والرغبة ومن الولاء والانتماء ، اليهم ولهم كل العالم يريد ان يكون من موالي العرب .

لقد اصبحوا في قفزة واحدة هموم العالم ومسراته وصلواته المتضرعة . اصبحوا خوفا وامنا ، قحطه وخصبه ، مجاعاته وشبعه ، دفاء وبرده ، كل تغيرات وتناقضات طقسه . لقد اصبح العرب عارا وهوانا وسببا لكل العالم لعنف افتضاحه في حبه لهم وخوفه منهم وانتمائهم اليهم وفي تملقه لغباواتهم وتحدياتهم ووقاحتهم . لقد جعلهم كل ذلك نفطهم الكريم . ان اية ثروة طبيعية لم يحدث ان صنعت لقوم من الاقوام فجأة وفي قبضة واحدة كل المجد والقوة والشهرة والتخلل والمحبة في كل القلوب او في كل اللسان واللغات ، مثلما فعل النفط للعرب . نعم ، ان نفط العرب قد خلق لهم كل مجدهم وشهرتهم وقوتهم وجمالهم وذكائهم وكل جاههم ودلالهم على العالم . فهل وجد خالق مثل النفط العربي ؟

افن لقد اصبح العرب محتاجين الى اصدقائهم والى العاطفيين المشفقين عليهم لكي يقنعوا كل العالم بانهم أي العرب ليسوا الا ظاهرة صوتية فلا يجوز ان يؤاخذوا لو يحاسبوا بما يقولون او بما يبدو انهم يقولون ، كما لا يجوز ان يكون لما يقولونه او لما يبدو انهم يقولون اية تفاسير او تطبيقات او مطالبة بذلك او انتظار لذلك . . فذوبك يا نفط العرب ضخمة ، ضخمة لانها قد جعلت قومك العرب مرثيين ومسموعين

ومدركا وجودهم ، ولانها اي جنوبك قد جعلت صناع الحضارة وصناعتك انذالا جبنا
منافقين ٠٠

اذن اين هم هؤلاء الاصحقاء والعاطفون المشفقون ؟ نعم ، اذن اين هم ؟ اين هم
بعد ان نبت العرب بكل الوحشية في كل اذان وعيون وهموم ومخاوف ومشاكل
وتقاء سير وقراءات وحسابات كل العالم ؟

اين انتم ؟ يجب ان تجيئوا ٠ اذن جيئوا ، جيئوا ، بحوافز الكرم والشهامة
والنخوة ، او بحوافز الرثاء والاشفاق ، او بحوافز الحضارة والانسانية والتفوق ،
او بحوافز الكره والرفض للظلم والمعنون والالاتهام للابرياء ٠٠

او جيئوا لحماية من سوف يقرؤون ويسمعون العرب ويتحدثون اليهم ومهمهم
ويحاولون تفسيرهم قبل ان يعلموا انهم اي العرب مصوتون فقط ٠٠
نعم ، لحماية هؤلاء من احوال الصدمات والذهول والاستغراب والاشمئزاز
والاستنكار والاستقبح ، اي حينما يذهبون يطالبون لما يسمعون ويقارون للعرب
بتفسير او بصدق او بذكاء او بتطبيق او بوقار او بتهذيب ٠٠

جيئوا لحماية الناعب والناعق من ان يفسر نعيه ونعيه بانه كلام وتفكير
يطالب بان يكون صدقا وذكاء وتهذبا وتخطيطا وتطبيقا ووقارا وقصدا ، وبان تكون
له تفاسير ومعان وحسابات ونتائج مفهومة ومنوية ، والا عوقب اي الناعب والناعق
بالتحقير والاستهزاء والاستقبح ٠٠

رابعا :

ماذا يعني بتفسير العرب بانهم ظاهرة صوتية ؟
لا يعني بذلك انهم أكثر أو أعلى أو أقوى أو أشهر أو أجمل أو أشجع أو أنفذ من
كل المصوتين أو من كل المتكلمين اصواتا ٠٠ ان اصواتهم لا تخترق أو تقتحم
الاذان أو الضمائر أو العقول أو النفوس أو الصمت والسكون والهدوء أو الآفاق
والابعاد أو قلوب الاعداء والمنافسين والخامدين أكثر من أصوات الكائنات الناعبة أو
الناعقة أو الثاغية أو الراغية أو النابجة ٠٠

ان اذان الآلهة وضمائرها وتقواها واحاسيسها ومواهبها الفنية ومجاعاتها الى
الصراخ والهتاف والمناداة لها وبها وتواتراتها الحادة المتلفة الى أي صوت - ان ذلك
كله لن يجعلها اي لن يجعل الآلهة تسمع أصوات العرب أو تستمع اليها أو تطرب
لها أو تتأثر بها فرحا أو ترحيبا أو تبحث لها عن تفاسير أو عن اساليب مجاملة ،
أكثر مما تفعل ذلك لانين خافت يطلقه أي حيوان مسكين ، شاكيا جوعه ومرضه
وضياعه وتفاهته الى جوعه ومرضه وضياعه وتفاهته ٠ نعم ، ليس أي حيوان
يصرخ أو يئن أو يعوي لا يعني أو ينوي الا أن ان يشكو آلامه وهمومه وهزائمه
 واحتجاجة الى آلامه وهزائمه وهمومه واحتجاجة ؟

ان كل اصوات العرب في كل اجيالهم وعصورهم لو تجمعت في صوت واحد ليصوتها انسان عربي واحد ، بعد ان حولها الى اتقى واقرى صلاة ، وبعد ان تجمعت في ضميره وتدينه وايمانه كل ما في كل الضمائر المؤمنة المتدينة من ايمان وتدين ؟ لما استطاع هذا الانسان العربي الواحد ان يوقظ او يسمع او يحرك بصوته هذا ضمير الآله او حماسه او اعجابه او استماعه وانصاته أكثر مما يفعل له أي للآله او يفعل به ذلك أي صوت ضائع يطلقه أي كائن ضائع من حيوان أو جماد ، في هذا الكون الضائع . ان الآله في كل تاريخه وفي كل اطواره النفسية لم يصفق لصوت أي نبي أو معلم أو زعيم عربي يصلي أو يعلم أو يامر أو يهتف به أو يتضرع اليه أو يفسر دينه أو تعاليمه أو كتابه المنزل أكثر مما يصفق لصوت أية حشرة تنادي حشرة أخرى في الظلمة ، لتمارسا صناعة الحشرات المولودة من أصلاب الآلهة .

ان احدا لن يجسر على الزعم بان اذني الآله لم تتخلقا فيه او لم يخطط هو ويقاسي لكسي يخلقهما في ذاته ، لكسي يسعد ويستمتع بالاستماع الى الانسان العربي مصوتا . ان كل اصوات الانسان العربي منطلقة من افواه جميع انبيائه وخلفائه وفقهائه واتقيائه وشعرائه في كل اجياله لا يستطيع أحد ان يزعم انها صنعت لاذني الآلهة أية مسرة أو أغنية .

ولكن قد يوجد من يجسر على الزعم بل وعلى الاقتناع بأن الآله لم يفقد حاسة السمع ، لم يصبح عاجزا عن أن يسمع أو رافضا لان يسمع أو خائفا من ان يسمع الا احتماء وفرارا من أن يسمع العرب مصوتين حتى ولو هتافا له وباسمه وبالصلاة المتضرعة اليه . هل يسعدك ان يصوت لك العرت هاتفين ومنشدين ومصلين لا مجادك ان كنت قد وعيت وجربت تفاسير العرب مصوتين وهاتفين ومصلين ؟

اجل ، ان جميع الداعين المتضرعين المناشدين للآله بكل التقوى والصق والاستسلام والمخلة ، طالبين اليه ان يهبهم شيئا يريدونه ويحتاجون اليه ولا يعجزه او يتعبه ان يهبه ، او ان ينقذهم من شيء يعذبهم ويرهبهم ويحطمهم بلا منطق أو حكمة أو عدل أو استحقاق ، وهو قادر على انقاذهم ، دون ان يفقد حياته او عضلاته او سعادته او قدرته على ان يهزم جميع اعدائه ومنافسيه وعلى ان يتفوق عليهم - نعم ، دون ان يفقد ذلك او تفوقه فيه من أرهاقه في محاولته انقاذهم من ذلك الشيء الذي يطالبونه بانقاذهم منه . . . - نعم ، دون ان يفقد قدرته او رغبته او جراته على ان يهدم ويقعد ويشوه الاطفال والشيوخ . . - اجل ، ان جميع هؤلاء ليعرفون بالتجربة الطويلة بل الدائمة التي لا تختلف او يختل انتظامها ، ان صمم الآله صمم لا نموذج له في قسوته وديمومته وشموله وفي انه لا شفاء له . .

ان جميع المنادين للآله والمتضرعين اليه بالامهم وشكاياتهم ، او باحتياجاتهم ومطالبهم ليعرفون معرفة نهائية ان الآله لا يسمع ولا يستطيع ان يسمع اي شيء ، وانه مصاب بصمم لا يوجد ولن يوجد من يشفيه منه . . انهم جميعا يعرفون ذلك بالرؤية والتجربة والمقاساة والصدومات الدائمة المستمرة، مهما انكروا انهم يعرفونه؛ ان الانكار اللغوي ليس انكارا فكريا او اخلاقيا او نفسيا .

اما استمرارهم على مطالبته وعلى الشكوى اليه باسلوب من يخاطبون كائنا يسمع ويستجيب ويستطيع فقد يكون التفسير لذلك انهم يحاولون ان يستروا عليه او ان يجاملوا سمعته . او ان هذا الاستمرار نوع من التقريع والتعنيف له ولاسمه، او هو نوع من التذكير بخطا من يستمررون يفعلون ذلك ، اي هو نوع من السخرية بانفسهم وبالاخرين ومن النقد لانفسهم وبالاخرين وهل يوجد من يستحقون كل السخرية مثل من يظنون ابدا وبكل الاساليب الذليلة يهتفون بالآله باسلوب من ينتظرون ان يسمع او يستجيب ؟ او هو اسلوب من اساليب الاستمسك بالمبدأ مهما تبين خطؤه ، اي اسلوب من اساليب المحافظة على التقاليد الباطلة ، او من اساليب الاستمرار على الخطا المشهور او الموروث او التاريخي . اليس كل الناس يفعلون ذلك ولو احيانا بل وقد يجدون فيه شيئا من النشوة أو المجد أو الاصاله ؟ اليس الاستمرار على الاخطاء المشهورة والموروثة والتاريخية سلوكا عالميا يفعله البعو والمتحضررون ؟

وقد يكون هذا الاستمرار اي الاستمرار على الشكوى الى الآله وعلى مطالبته وهو مصاب بكل هذا الصمم ، قد يكون ذلك نوعا من التمني ومن الاعلان عن الضياع والعجز . قد يكون ذلك اسلوبا من اساليب البكاء واعلان الهزيمة واستقبال الكون والسخرية منه اي من الكون الذي يجيء بكل هذه الضخامة والانتعاش والتعدد والتفوق والبذخ والاسراف، وتكون فيه كل هذه المشاكل والهموم والآلام والمخاوف والاحتياجات والضرورات ، وكل هذه الدموع وصانعي الدموع ، ثم لا يوجد فيه اي في الكون كائن كبير قوى يتكافأ مع هذه الضخامة والانتعاش والحاجات والشكايات ، يدعي ويناشد ويطلب منه ، فيسمع ويستطيع ويستجيب . هل تستطيع ان ترى صيغة هذه الكينونة بعقلك أو باخلاقك أو بطموحك وامانيك ونماذجك المختارة دون ان تنفجر استغظا واستقباحا وارتياحا ؟

كم هي حقيقة رهيبة الفضاءة والشفوذ ان يكون ذلك كذلك ، اي ان يكون هذا الكون كما كان ، وان تكون مواجعتنا له وآلامنا وورطتنا فيه وفي انفسنا كما كانت ، ثم لا يكون مثل هذا للكائن الكبير القوي الطيب الذي يدعي فيسمع

ويستطيع ويستجيب ، موجودا ؟ فظيع ، فظيع ان نكون في هذا الكون بكل هذه اللهفات والاشواق والتطلعات والصلوات دون أن يكون فيه كائن كبير طيب جدا يسمع ويخجل ويستجيب .

اليس شيئا يصق الفكر والاخلاق والامل والاعجاب والتقبل والفهم مجرد التصور لهذه الحقيقة أو لهذه الفضاءة ؟

هل تستطيع ان تتصورها دون ان يسحقك الانفجاع والاستفطار ؟

ان وجودنا نحن والكون متواجهين متعايشين بالحنم والضرورة ، نحن في صيغتنا والكون في صيغته لهو اقبح واقبح واردا صيغة يمكن تخيلها او افتراضها . . كل هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه بلا مسؤول كبير، كبير جدا - هل يوجد افزع من هذا؟ وايضا قد يكون التفسير لاستمرار البشر على التوجه الى الآله بالشكايات والمطالب مع اقتناعهم انه اصم لن يسمع ولن يستجيب - قد يكون التفسير لذلك انهم لا يتوجهون الى الاله ولكنهم يستفرغون انفسهم ويصقونها باسلوب التوجه الى الآله . قد يكون اسم الآله جهاز أو مكان أو لغة استفراغ وبصق . . هل حدث ان استقبل اي كائن من الاستفراغ والبصق عليه مثلما استقبل الآله واستقبلت تماثيله ؟

ان الناس بل والمؤمنين جدا لا يتضرعون الى الآله ولا يطالبونه أو يهتفون به أو يشكون اليه بقدر ما يحبونه أو يعرفونه أو يثقون بقدرته أو باستماعه اليهم أو باستجابته لهم ، ، بل بقدر حالتهم النفسية ، بقدر حاجتهم الى استفراغ وبصق همومهم ومشاكلهم ومخاوفهم وعجزهم وضياعهم ، وبقدر حاجتهم الى الصراخ والبكاء والالين والشكوى واعلان الاحتجاج على الذات وعلى الظروف وعلى الاحداث وعلى الآخرين . ان أشد الناس حاجة الى الاستفراغ والبصق النفسي والاخلاقي هو أكثرهم دعاء للآله وصلوات لمجده .

اجسل ، لقد أصبح معروفا ان الآله مصاب بالصمم الابدي . . وهل توجد حقيقة تساوي في قوتها الاقتناع بأن الآله مصاب بصمم لن يوجد مثله ولن يوجد من يداوي منه ؟

واي انسان أو كائن يسمع العرب مصوتين ليس محتوما أن يقتنع أو يشك مع القوهر في الحكم ان الآله لم يصب بالصمم الا لانه قد سمع أصوات العرب أو الا لانه اراد الهرب من أن يسمع اصواتهم فأصاب نفسه بالصمم او تظاهر بذلك ؟ ان اي كائن لن يجد من الاعتذار عن نفسه لو أصابها بالصمم مثل ما يجد اي

كائن أصاب نفسه بالصمم لئلا يسمع شيئاً مما يقوله العرب لانه قد سمع شيئاً مما قاله انبياءهم وشعراؤهم .

ليس الصمم احيانا نوعا من الحماية لعفة ولشرف ولوقار الآذان والضمير والذكاء والحياء من الهتك والتلويت والتحقير والتعذيب والاذلال والغيظ . . .

ان المؤمن بالآله لا بد ان يفترض او يقتنع أنه أي الآله قد سمع العرب قبل ان يصاب بالصمم يصوتون باسلوب من يتكلمون ، من يفكرون ويعلمون ويفسرون آلهتهم وانبياءهم واديانهم وكتابهم المقدس، وينشئون وينشدون اشعارهم في تمجيد انفسهم وفي هجاء وتحقير اعدائهم ، بل في هجاء وتحقير جميع الآخرين .

وباسلوب من يسبون ويهددون اعداءهم وخصومهم ويحاورونهم ويتحدثون اليهم ليخيفوهم او ليقنعوهم بما يريدون ، او ليخرجوا من نفوسهم ومن شهواتهم كل الشرور والابالسة ، وكل الاخلاق والعقول والمواهب غير العربية . . هل للعرب أية رسالة غير ان يعلموا كل العالم ان يكون عربي العقل والقدرة والموهبة والاخلاق والبدانة ؟

وايضا باسلوب من يؤمنون ويصلون ويهبون اربابهم كل تقواهم وصدتهم وحبهم وضمائرهم وهمومهم ومسراتهم ، وباسلوب من يصنعون لاربابهم كل مجدها ومسراتها وانتسللماتها وجمالها وأغانيتها وكل انتصاراتها في كل تاريخها ومعاركها . .

ان المؤمن لا بد ان يكون قد افترض او اقتنع ان الآله قبل ان يصاب بالصمم قد سمع العرب يصوتون اصواتهم هذه ، يصوتونها بهذه النيات والتفاسير . آه ايها الآله المسكين . . كم انت ايها الآله البائس محتاج الى الرثاء والاشفاق عليك قبل ان تصاب بالصمم أي حينما كنت تسمع العرب يصوتون كل اصواتهم هذه وكل اصواتهم تلك ؟ آه ايها الاله كم قاسيت وقاسيت ؟ نعم ، ما الذي فعل الآله حينما سمعهم يصوتون ؟ انه لا يحتمل أنه تقبل ان يستمر في الاستماع اليهم يصوتون بالاسلوب الذي به يصوتون . هل يمكن ان تطيق اخلاقه واخناه او حياؤه وقاره او ذكاؤه او خالقيته لهم واتهامه بأنه خالقهم او ادعاؤه ذلك او حتى سمعته وارادته الكرامة لسمعته .

- نعم ، هل يطيق كل ذلك فيه أي في الآله او بعض ذلك - هل يطيق تكرار الاستماع اليهم ؟ ومهما افترض الآله بلا أية شروط لكرامته وكبريائه ووقاره واستحيائه فهل يمكن ان يطيق الاستمرار في الاستماع الى أي شيء مما يقوله انبياء أو شعراء أو زعماء العرب ؟

وإذا كان مفروضاً أو محتوماً أنه لن يطبق ذلك فلن يكون أمامه للفرار من هذه الورطة وهذا العذاب غير أمرين ، أحد الأمرين أن يعيد خلق العرب وخلق موهبتهم الصوتية من جديد . . ولكنه لم يفعل ذلك لأسباب غير معروفة . . لعلها أسباب سياسية أو فكرية أو أخلاقية أو نفسية أو أسباب أخرى بعيدة جداً عن التصور وعن أن تكون مفهومة أو معقولة أو مغفورة . . أن الآله لو كان مفهوماً أو مهماً كان مفهوماً فإنه لن يكون مفهوماً أو معقولاً أو مغفوراً في أية علاقة من علاقاته بالعرب . .

اذن لم يبق أمامه أي أمام الآله للهرب من الاستماع إلى العرب مصوتين إلا أن يحتمي من حاسة السمع ، بأن يصيب نفسه بالصمم أو بأن يصاب بالصمم ، أو بأن يصنع لنفسه جهازاً يجعله لا يسمع أي صوت ينطلق من الأرض مهما سمع جميع الأصوات المنطلقة من كل الأكوان والكائنات الأخرى . وهذا يعني أن العرب هم المسؤولون عن هذه المأساة التي حلت بالآله وعن هذه القضية العجيبة الأليمة التي لا مثيل لها في بشاعتها وقبحها وشفوذها وهي أن يكون هناك آله يخلق كائنات، يخلقها تصلي له وتتضرع إليه وتهتف به وتطلب منه وتشكو إليه وتصرخ ألماً واستفظاعاً وهولاً واستنكاراً وغيظاً وضياعاً وحيرة وضلالاً وعجزاً ، ويطلبها بكل ذلك ، ثم لا يكون سامعاً منها شيئاً . . مشهد لا تستطيع أية دامة أو بلادة أو مأساة أن تحقق أو تفكر فيه أو أن تغفره أو تعيشه لعنف قبحه وردائه وإهانته وفضاعته . .

اغفروا أيها البشر للعرب . اغفروا لهم فهم في حاجة إلى غفرانكم . . هبوا العرب أيها البشر من الغفران بقدر ما وهبتمهم من الحضارة والرخاء والقدرة على الادعاء والكبرياء . . بقدر ما وهبتم نفطهم قيمته وقوته وعالميته وكيونته الحضارية والعلمية ، وبقدر ما وهبتم نفطهم هذه القدرة على الخروج من مقابره الكونية التاريخية ليكون كل العالم في استقباله وفي طاعته وفي محاربيته البدوية يصلي ويخاف ويتملق وينشد أناشيد الغزل والحب المجنون الجائع المتخلل المهان . آه . . هل هان الخالق أمام مخلوقه مثلما هان المتحضرون الخالقون أمام مخلوقهم : أمام نفط العرب ؟

نعم ، هل كان ممكناً أن يخرج نفط العرب من مقابره التاريخية الكونية التي حفرها ووضعها فيها آلههم ليبقى خالداً منسياً مجهولاً فيها بقدر ما هو أي آلههم خالد ومجهول ومنسى المكان والذات والموهبة بل والكينونة والفعل . .

- نعم ، هل كان ممكنا أن يخرج نبط العرب من مدافنه الازلية لولا انتم ايها الآخرون الخالقون ؟

اذن اغفروا للعرب فنبهم هذا تفضلا وعطاء بقدر تفضلكم على نفطهم ببعته من موته الى الحياة واعطائه كل المجد والقوة والشهرة والكينونة الحضارية العلمية الانسانية .. هل وجد اي عطاء مثل عطائكم للنبط العربي كينونته الحضارية والعلمية بل والانسانية ؟ ان شيئا لم يعط شيئا مثلما أعطيتهم نبط العروبة كل أمجاده وحياته وعالميته ..

نعم ، يبدو انكم سوف تفضلون وتغفرون لمن تفضلتم على نفطهم كل هذا التفضل . لعلكم من تواضعكم الحضاري والانساني لا تعرفون مقدار تفضلكم على نبط العرب .. لعلكم لا تعرفون لكم لم تستخرجوه فقط من مدافنه بل وخلقتموه .. أجل ، لقد خلقتم للنبط العربي قبل ان تستخرجوه ، اي خلقتم طاقته ، اي حولتموه بحضارتكم المبدعة الى طاقة والى قيمة حضارية . لقد خلقتموه خالقا ، خلقتم خالقيته . انكم لم تستثمروا وتبعثوا النبط العربي فقط ، بل لقد خلقتموه خلقا لا يساويه اي خلق ..

لعلكم لاتعرفون هذه الحقيقة أو تهربون من معرفتها تواضعا وتكرما ونبلا وحياء . نعم ، انكم لم تخلقوا النبط العربي فقط ، بل لقد خلقتموه خالقا ، خالقا لحضارتكم ولجد العرب .. ولكن اليس مجدا فريدا وعظيما يخص به العرب ويتفوقون به على العالمين ان يرهقوا الاله ويعذبوه ويزعجوه حتى يضطروه الى ان يفقد سمعه فقد شاملا او فقدوا مكانيا وجزئيا فقط اي لا يسمع سكان الارض .. الى ان يفقد سمعه بتدبيره وارادته مكرها وهاربا ، او بلا تدبير او ارادة منه ، بل يفقده مرضا وانفعالا واشمئزازا مما يسمع ، اي يموت سمعه موتا ولا يقتل قتلا او ينتحر انتحارا ؟ ان الاعضاء والحواس تقتل وتموت ، ولكن هل يحدث ان تنتحر ؟ اليس انتحارها تحت بعض الظروف والمواجهات سلوكا فيه كرامة وابهاء ؟ اليس انتحار حواس الآله هو أكرم وأمج ما يفعله اي كائن يواجه ما يواجهه الآله بل أو بعض ما يواجهه ؟

اذن أي قوم لهم مجد مثل مجد العرب هذا ؟ أي مجد يساوي مجد قوم يصيب الآله بالصمم ، يصيبه بالصمم موتا أو قتلا أو انتحارا ؟ اذن فليتحدث العرب عن امجد امجادهم ، عن انهم هم الذين اصابوا الآله بالصمم .. ليجرب اذنيه كل من شكوا في صممه ..

وايضا لا يعني بتفسير العرب بالظاهرة الصوتية انهم يصوتون باختيارهم وتدبيرهم وذكائهم ، أي يصوتون بالتخطيط دعاية أو خداعا أو تضليلا أو تغطية

أو تخويفا أو مجاملة أو غناء أو فنا أو مرحا أو تجملا أو مشاركة أو تنفيسا ، اي متى شاءوا وفكروا ودبروا وراوا ذلك اي احيانا ، كما يتكلمون ويفكرون ايضا احيانا اخرى . ان تصويتهم حينئذ نوع من الكلام والتفكير ، اي ان التفكير حينئذ هو الذي يخطط للتصويت ويراه ويأمر به ويجده هو المنطق اي هو التفكير ، لان الشيء الذي يجبر له التفكير ويوافق عليه ويأمر به هو تفكير حتى ولو لم يكن تفكيراً ، حتى ولو كان تصويتاً . اليس الغباء الذي يدبره ويخرجه ويوافق عليه الذكاء هو ذكاء حتما مهما كان مستوى غبائه أو صيغة غبائه أو ظاهرة غبائه ، أو مهما كان اقناعه بانه غباء ؟ اليس اقوى المفكرين واشملهم تفكيراً لا بد ان يحتاج الى الخروج على التفكير أو الى ان يبدو كأنه يفعل ذلك ؟ اليس الخروج على التفكير بالتفكير اسلوباً من اساليب التفكير ؟ ولكن كلا . انه لا يراد هذا التفسير للحكم على العرب بانهم ظاهرة صوتية . ان هذا التفسير للتصويت العربي نوع من المديح الكاذب أو المخطيء جدا . ولان هذا التفسير كاذب ومخطيء فانهم اي العرب يصوتون بلا اي مستوى من مستويات الذكاء أو الدهاء أو من مستويات القدرة على التأثير ، أو على الاقتناع ، أو على الاستتار والوقار ، أو على خديعة من يصوتون عليهم واليههم .

اليس التصويت احيانا فنا دعائيا أو أخلاقيا أو جماليا أو غنائيا ؟ اليس احيانا مغازلة أو مصافحة أو تقبيل ؟ ولكن العرب حينما يصوتون بنية أو باسلوب من يتكلمون أو يفكرون أو يحاورون ويشاتمون أو يخاصمون ويذمون أو يحقرون أو يكذبون أو يفتنون ويبشرون أو يخدعون أو يفخرون ويدعون أو يتكبرون أو يعيرون ويسخرون . نعم ، انهم حينما يصنعون ذلك لا يبلغون ولا يفعلون أو يغيرون شيئا ، أو يكسبون احدا أو يثيرون أو يصنعون اهتمام أو التفات احد أو خوفه أو أمنه أو حبه أو اعجابه . لأنهم لا يفعلون شيئا من ذلك بتدبير أو تخطيط . انهم ليسوا متكلمين ومفكرين يصوتون احيانا كما يصوت المتكلم المفكر بتدبير وتخطيط يصوغهما ويهدي اليهما ويأمر بهما الكلام والفكر . ان الفرق بين تصويت من يصوت ويفكر وتصويت من يصوت فقط لأعظم من الفرق في الفكر والتفسير والجمال والذكاء بين عزف اعظم موسيقى واقبح صوت تطلقه الطبيعة من أوقح نباحاتها نعم ، ان الموسيقى صوت ولكن كم هو الفرق بين صوت الموسيقى وصوت قرع النحاس بالنحاس ؟ ان الذين هم في طور المتكلمين المفكرين لا بد ان يحولوا أكاذيبهم ودعائياتهم وخداعهم وخصوماتهم ومشاتماتهم وعداوتهم وكبرياءهم وهجاءهم ومظالمهم وتعبييرهم وسخرياتهم وجميع وقاحاتهم وذنوبهم وبذاءاتهم وعاهاتهم

المختلفة الى اساليب من الذكاء والدهاء ومن القدرة على التأثير والافتناع لأنهم يعلمون ان الاكاذيب والوقاحات والعداوات تحتاج الى الذكاء والتدبير والتفكير أكثر مما يحتاج الصدق والتهذيب والحب الى ذلك . . . انهم لا بد ان يحولوا كل قبائحهم الى غزو والى محاولات غزو للعقول وللأخلاق والنفوس ، لأنهم يدبرونه ويخططون له بمستوى المتكلم المفكر وبموهبة . . . انهم لا بد ان يحاولوا ذلك حتى ولو لم يستطيعوه . . .

... أما الذين هم في طور المصوتين فقط فانهم يؤدون ذلك ويؤدون كل ممارساتهم وحياتهم ليتحولوا الى مزيد من الافتضاح والسخرية والراءاء والاستهزاء والدماغات في عقول وعيون وأذان ومشاعر كل الناس وكل الاشياء . لأن الذين هم في طور التصويت فقط لا يخططون ولا يدبرون ولا يحاسبون أو يحسبون . . . لأنهم لا يستطيعون أو يعرفون ذلك . انه فن لا يعرفونه كما لا يستطيعونه . . . انهم لا يتحركون أو يبتنعون أو يتشكلون أمام المواجهات والمشاكل والعقد المتحركة المتنوعة المتشكلة المعقدة . ان للتحرك والتنوع والتشكل والتغير هو طور المتكلم المفكر وليس طور المصوت . ان الذي لا يتشكل أو يتنوع أو يتغير لا يمكن أن يفكر ، وان الذي يفكر لا بد ان يتنوع ويتشكل ويتغير . . .

.. ان أي كائن حشري أو حيواني أو جمادي لا ينوع أو يشكل أو يغير أو يخرج تصويته ليكون ، أي تصويته ، متكافئاً مع المواقف أو الظروف والمواجهات والاحتياجات أو مع الذكاء والأخلاق والتهذيب والجمال . انه في تصويته يكاد يكون صيغة واحدة . واذا تنوع أو تفاوت فلن يكون محسوباً منطقياً أو فنياً أو أخلاقياً أو عن تفكير أو وعي . . . ان الذي يفعل هذا التكافؤ ويحاوله ويعرفه ويريده ويجبر له هو الكلام أي هو التفكير أي هو المتكلم المفكر . . .

.. ان الانسان الذي هو في طور المصوت فقط لن يستطيع أن يتحرك أو يتغير أو يتنوع أو يتشكل في أية مواجهة من مواجهاته ، بذكاء أو بتهذيب أو بقدرة أو بروعة أو بتأثير أو باقناع أو بانقصار بل أو باستتار ، بل أو بلا مزيد من الافتضاح والمار - أي بتصويته أو حينما يحتاج الى أن يصوت وأن يواجه مواجهاته ومشاكله بأصواته . . .

.. نعم ، ان مثل هذا الانسان لن يستطيع أن يفعل ذلك أكثر أو افضل مما يستطيع أي كائن دون الانسان من الحيوانات أو الحشرات أن يفعل ، مواجهها لمواجهاته ومشاكله واحتياجاته ومخاوفه بأصواته أي مصوتا لها وعليها . . . ولكن كم يظلم مثل هذا الكائن الذي هو دون الانسان ويعتدي عليه ويشوه

حينما يذكر تصويته محاكما ومحاسبا ومفسرا بتصويت مثل هذا الانسان الذي هو في طور الانسان المصوت فقط ٠٠

كم يظلم هذا الكائن المصوت هو دون الانسان حينما يشبه أو يقارن تصويته بتصويت أي حاكم أو زعيم أو قائد أو شاعر أو مفكر أو مذيع أو كاتب عربي حينما يصوت شاتما أو مهددا أو مخاصما أو مبارزا مفاخرا بأسلوب ونية من يقاتل أو يعلم أو يعالج أو يفكر أو يصنع الحضارات والامجاد والتفوق ويفسر النبوات والآلهة والكون ؟

أجل ، ان كل ذلك لا يراد تفسيره للحكم على العرب بأنهم ظاهرة صوتية . ولكن التفسير لهذا الحكم أنهم في كينونتهم التاريخية والطبيعية قد بلغوا طور التصويت ، وأنهم في طور كينونتهم الطبيعية والتاريخية هذه لا يستطيعون أن يرتفعوا فوق الكائنات المصوتة ولا أن يهبطوا تحتها أي ما لم يتخطوا طورهم هذا في كينونتهم الطبيعية والتاريخية أي لا يستطيعون أن يهبطوا تحتها في كونهم مصوتين ولكن محتوم أن يهبطوا في وقاحاتهم ونذالاتهم وحماقاتهم تحتها جدا ٠٠٠ أنهم لا بد أن يؤدوا وظيفة طورهم ، أو لغته أو مستواه أو قدرته بلا تدبير ولا مقاساة ولا على مستويات أو درجات متفاوتة من الجودة والرداءة . حتى التفاوت في الرداءة ، أنهم لا يستطيعون أن يتفاوتوا فيها . ان التفاوت نوع من الحركة والتغير ٠٠ أنهم في ممارساتهم لمعنى طورهم هذا لا يستطيعون أن يكونوا افضل أو اردا ، حينما اذكي روحنا اغبى أي بالارادة والمحاولة والتصميم والرغبة في التفوق أو في التخطي . ان كل اساليب التعليم والتحريض والتدريب بل والزجر والتخويف لا تستطيع أن تصنع منهم شيئا افضل واذكي ، بل لا تستطيع أن تصنع منهم شيئا اردا واغبى ٠٠ ان التفاوت في الرداءة والغباء قد يصبح مستوى جيدا واما بعيدا لا يستطيع بلوغه من هم في مستوى واحد من الغباء والرداءة ٠٠ أنهم بقدر ما يعجزون عن أن يكونوا افضل ، يعجزون بنفسى النسبة ولنفس السبب عن ان يكونوا اردا لأنهم ليسوا حالات أو مستويات متعددة ومتفاوتة ، ولأنهم لا يمارسون مواجهاتهم ومستوياتهم بالتدبير أو التفكير أو الخطة ، أي لا يصوغون قدرتهم أو موهبتهم أو مستوياتهم بشيء من ذلك . ان الكائن الذي لا يدبر ولا يفكر لن يستطيع أن يكون في مواجهاته ومحاولاته وتخطيطاته مستويات متعددة متفاوتة ٠٠

ان أي كائن مصوت دون الانسان لا يستطيع أن يكون في تصويته حينما جيدا ونكيا وحينما ردينا وغبيا ، أي حينما مصوتا وحينما متكلما مفكرا مدبرا ٠٠ أي انه لا يستطيع بالمحاولة أو بالتدبير والتفكير أن يكون اكثر من مصوت أو ان يصوت

أحيانا بذكاء ، وأحيانا بغباء . كما انه لم يصبح كائننا مصوتا بالمحاولة أو بالتعليم أو بالتفكير والتدبير . انه مهما تغير أو تفاوت تصويته فانه لن يكون تفاوتاً أو تعبيراً في تفسيره أو ذكائه بل في اخراجه . .

ان الانسان الذي هو في طور المصوت فقط هو مثل هذا الكائن المصوت الذي هو دون الانسان في هذه التفاسير . . نعم ، ليت الانسان العربي يستطيع بالتدبير بلا تدبير ان يكون أحيانا اغبى وارداً مما كان . ليتنه يكون كذلك لأنه حينئذ يستطيع ان يكون اذكى واعظم . .

ان الانسان العربي ، وكذلك كل من هو في طور التصويت يصوت بالاسلوب والمنطق والتفكير والذكاء والتدبير الذي به ينتاب ويسهل ويرتجف من الضعف أو الخوف أو الخجل ، والذي به يحزن ويكره ويفار ويجوع ويحب ذاته ، ويمجد آلهته وأنبياءه وخلفاءه وآباءه وعقائده وتاريخه ، ويفضلهم على كل من سواهم ، والذي به تعمل غدده وأعضاءه ، والذي به أيضا تموت وتمرض غدده وأعضاءه وتستعيد غدده وأعضاءه . .

ان التصويت الانساني لغة وكذا الكلام ، وان الانسان المصوت أي الذي هو في طور المصوت فقط هو كائن لغوي وكذا الانسان المتكلم أي هو كائن لغوي . . ولكن للفرق ان الكلام أو الانسان المتكلم فيه أو من ورائه أو فوقه أو أمامه قوة أو جهاز أو سلطان أو قائد يخططه ويخطط له ، ويدبره ويدبر له ، ويضبطه ، ويأمره وينهاه ، ويرى له ويوجهه ويطلقه . ان الكلام أو المتكلم أي في مستواه الأعلى أو المنخفض محكوم ومحاسب ومضبوط بأقوى واتقى واذكى واقسى جهاز وسلطان وقائد موجود أو متصور . . هذا الجهاز أو السلطان أو القائد هو الفكر والمنطق والضمير والاخلاق والموهبة أو الصيغة الانسانية التي ترى وتحاسب وتحاكم وتحسج وتقبل وترفض وتعجب وتشمئز وتحب وتكره وتجاوز نفسها كما تجاوز كل شيء ، وتقاسي من محاولاتها الدائمة والشاقة لكي تكون ذكية ومحترمة ومتوقرة ومفهومة ومعقولة . ان الانسان أي في صيغته العليا المتكلمة المفكرة لا يقاسي مثلما يقاسي لكي يكون مفهوماً معقولاً ذكياً وقوراً محترماً مهذباً محاكماً محاسباً محاوراً لنفسه ولكل شيء ولعلاقاته بالآخرين وبكل الأشياء . .

اما التصويت الانساني أو الانسان الذي هو في طور المصوت فقط فليست لديه قيادة تقوده وتوجهه وتحكمه ، ولا سلطان يأمره وينهاه ، ولا جهاز يضبطه . . انه خارج على جميع قوانين الضبط والتسيير دون ان يكون شجاعاً أو ثائراً أو قوياً أو متحدياً . انه بلا فكر ولا منطق ولا ضمير ولا موهبة أو صيغة انسانية تحكمها كل

هذه الشروط والمزايا والتبعات التي لا بد ان تحكم كل صيغة انسانية اذا كانت قد جاءت في مستواها أو في نموذجها الجيد . انه لغة بلا تفاسير ، أو لغة انسان بلا معاني انسان . انه صيغة انسان بلا نموذج انسان ولا مقاساة انسان . .

اذن فالانسان المصوت والانسان المتكلم كلاهما كائن لغوي ولكن الفرق ان احدهما بلا قيادة وبلا اجهزة ضبط أو توجيه أو اطلاق أو تخطيط ، وبلا اية قيمة أو موهبة أو شروط من أي نوع . ان الفرق أو التفاوت بين كائن لغوي وكائن آخر لغوي يساوي الفرق أو التفاوت بين احدى مراحل البداوة واعلى مراحل الحضارة .

لهذا فانه من حيث الصيغة يمكن ان يقال : ان كليهما مصوت أو كليهما متكلم ، ولكن الفرق ان احدهما يصوت أو يتكلم بنموذج أو بقيمة أو بموهبة أو بشروط أو تخطيط وتفكير ، والآخر يصوت أو يتكلم كما يسعل أو يتثائب أو يحقد ويحسد ويغار وبجوع ويمرض أي بلا أي قيد أو منطق أو تفسير اكثر أو أصعب أو اعمق من ان يفعل ذلك أو يفعله ذلك . . ان الانسان المصوت فقط لا يصنع اصواته ولا يسددها إلى اهداف معينة ولكنها تتفجر فيه وعليه وعلى الناس والاشياء وتنطلق كما ينطلق السلاح غير الوجه .

اذن فالانسان العربي هو كائن مصوت ، بل كائن متكلم أي من حيث الصيغة واللغة ولكن بلا أي قيد أو قدر من القيم أو المواهب أو الشروط أو من الذكاء والتفكير . انه ليس وراء تصويته أو لغته أي مستوى آخر افضل أو أقوى أو أصعب . انه كائن متكلم ولغوى دون أن يفسر بأي تفسير من تفاسير الكلام واللغات . انه يتعامل باللغات والكلام تعاملًا لفظيًا . ان تعامله هذا خداع للكلام واللغات وعدوان عليهما . . انه لا توجد أي مراكز للمرور أو للتفتيش ولا اية مسافات أو عوائق أو اجهزة اختبار أو مراجعة أو محاسبة بين انفعاله واحتياجه وبين جهاز التصويت أو اللغة فيه .

انه لا شيء موجود أو محسوب أو محتمل أو مفترض فيه بين ارادته التصويت وبين جهازه المصوت . مع انه لا مكان يجب أن توضع عليه أقوى وأذكى واتقى الحراسات مثل المكان الفاصل بين الانسان وبين تصويته أو كلامه أو بينه وبين ارادته لذلك .

ان هذا هو التفسير للحكم على العرب بأنهم ظاهرة صوتية . وبهذا التفسير هل يمكن الاختلاف على ان العرب ليسوا شيئًا اكثر من ذلك أي اكثر من ظاهرة صوتية ؟

اما الانسان أي في مستواه أو في طوره الجيد أو العظيم فان بين ارادته

التصويت أو الكلام وبين جهازه الصوت أو المتكلم أطول واقسى المسافات ، واقدم وأصدق وأشمل مراكز المرور والتفتيش واجهزة الفحص والاختبار والمراجعة ، واضخم واذكى المواهب والعقول ، واكبر العوئق ، واتقى واصعب الشروط . . .

ان بين ارادته التصويت أو الكلام وبين جهاز التصويت أو الكلام فيه كل الحضارات والابداع والاخلاق وجميع الكينونات القوية العظيمة الجميلة المهذبة . . . ان كل وجود الانسان الجيد الذكي الخلاق يقع في المسافة الممتدة أو في الطريق الممتد ما بين ارادته التصويت أو الكلام وما بين اداة التصويت أو الكلام فيه . لهذا فانه لا يوجد فراغ مثل فراغ انسان لا يوجد شيء في هذه المسافة الواقعة بين انفعالاته واحتياجاته الى التصويت وبين اداة التصويت فيه ، بين ارادته أن يصوت وأن يفعل التصويت ، بل لا توجد فيه هذه المسافة . . .

وهذه المسافة لا توجد في الانسان العربي . لهذا هو كائن مصوت فقط . . . لهذا سحبت من كينونة الانسان العربي المنطقة الضخمة الطويلة الشاقة الفاصلة بين ارادة الكلام والقدرة على الكلام وبين ممارسة الكلام عند الانسان المتكلم . . . ان الانسان العربي ينطلق بلا فاصل أو بلا مسافة بين كونه مريدا للتصويت وبين كونه مصوتا . ان ارادته لهذا تعني وجود هذا بلا اي قيد أو حاجز . . .

ان المنطقة الانسانية أي التي تتخلق وتعيش فيها كل مواهب الانسان وحضاراته لم تتكون في الانسان العربي . ويعني بهذه المنطقة الكون الواسع الذي لا بد أن تمر منه وان تعيش فيه كل ارادات الانسان وكل احتياجاته قبل أن تصبح كلاما ولكي تستطيع أن تصبح كلاما . انه لا تعرف اية منطقة في العالم بل في الكون تساوي في قيمتها الحضارية أو الانسانية ما تساويه هذه المنطقة أي الواقعة ما بين ارادة الكلام وفعل الكلام . . .

اذن حينما نقول : ان الانسان العربي ظاهرة صوتية نعني بقولنا هذا ان هذه المنطقة الواسعة العظيمة جدا التي يتخلق فيها الكائن الصوت لكي يصبح كائنا متكلمًا ، لم تتخلق في الانسان العربي . . . ان معنى هذا أن الانسان العربي لم يتخلق فيه المكان الذي يتخلق فيه مواهب الانسان المتحضر . . .

لهذا فقد جاء أي الانسان العربي صيغة انسان ولم يجيء معاني انسان ، وجاء لغة انسان ولم يجيء كلام انسان ، وجاء احتياجات انسان ولم يجيء مواهب انسان . لقد جاء الانسان العربي نصا انسانيا وقراءة انسانية ولكنه لم يجيء تفسيرًا انسانيا .

ولكن لماذا لم تتخلق هذه المنطقة الانسانية في الانسان العربي ؟ ان الاسباب والحكمة في ذلك لا تزال مجهولة . لماذا جاء الانسان العربي كما جاء لا كما ينبغي ؟ لماذا جاء عربيا ولم يجرى حضاريا ، او لماذا لم يجرى عربيا حضاريا لا عربيا فقط؟ هل يمكن ان يكون لهذا تفسير مقبول مريح ؟ ألا يمكن أن يقال ان هذا نوع من المحاباة الضخمة للعرب ، لأن في حرمانهم من تخلق هذه المنطقة فيهم حماية لهم من مقاساة اشد الاحوال التي لا بد ان يقاسيها كل من تخلقت فيهم هذه المنطقة ، أي كل من أصبحوا متكلمين ملتزمين بكل شروط وتبعات الكائن المتكلم ؟ كم هي احوال وقيود والتزامات ومخاوف ومحاسبات الكائن المتكلم اي الفكر التي لا يقاسي شيئا منها بل ولا يعرف شيئا منها الكائن المصوت ؟

او ألا يحتمل ان تكون هناك قوى كونية غيبية آلهية هائلة ، كل اهتماماتها ونضالها وتفكيرها ان تحقد على العرب وتغار وتخاف منهم ، وأن تعاديهم وتوقع بهم ، لهذا دبرت اي هذه القوى حرمانهم من أن تتخلق فيهم هذه المنطقة لكي يظلوا محرومين من المجد والتفوق والكينونة القوية الذكية العظيمة ، ولكي تصبح مواجهاتهم لأعدائهم ومنافسيهم ، لاسرائيل مثلا ، كالمواجهة التي واجهوها بها - اي لكي يواجهوا اسرائيل تلك المواجهة بل هذه المواجهة المستمرة التي قيل ان الطبيعة لم تحتقر موهبتها ولم تحتقر مخلوقاتها وفنونها مثلما احتقرتها حينما رأتها اي رأت مواجهة العرب لاسرائيل ، وان الشمس لم تكره الصعود فوق الارض ولم تفكر في الإضراب عن العمل وعن المجيء الا حينما رأت هذه المواجهة ، وان الحشرات في كل تاريخها لم تقم لنفسها أية مهرجانات أو أعياد لتمدح فيها ضخامتها وشجاعتها وقوتها وانتصاراتها وكبرياءها الا حينما شاهدت هذه المواجهة أي مواجهة العرب لاسرائيل ؟ ومما قيل ايضا ان الارض لم تحتقر أو تكره سكانها ، ولم تحتقر أو تكره نفسها لأنها مسكونة الا بعد أن فجعت بمشاهدتها للعرب يواجهون اسرائيل كما واجهوها ١٠٠ !

بل ان اخبارا كثيرة قوية قد تواردت من أرجاء الكون البعيد تقول : انه منذ وقعت المواجهة بين العرب واسرائيل والآله ، بعد ان رأى كيف مارس العرب هذه المواجهة ، يعاني أزمة رهيبة مع نفسه ومع كرامته ومجده ومع اعوانه ومستشاريه . تقول هذه الاخبار : ان الاله في كل تاريخه الرهيب الحزين المشحون بالازمات والالام والورطات لم يعان من شيء مثلما عانى من ازمته هذه ، اذن كيف يتصرف ؟ .. هو - اي الاله - يريد ان ينكر انه هو الخالق للكون وللبشر ، لانه لا يطيق ان يكون هو المسؤول عن هذا العار ، عار مواجهة العرب لاسرائيل ١٠٠ لا

يطبق ان يكون خالقا للكائنات ضعيفة وبليدة كل هذا الضعف وهذه البلادة ، بل لا يطبق ان يكون خالقا لكون بعضه هذه الكائنات أو تعيش فيه هذه الكائنات التي واجهت اسرائيل بعد ان زعمت انها هي العرب ، بل بعد ان لبست جلود ووجوه وازياء العرب وتكلمت لغتهم ، بل بعد ان قرأها وفسرما ورآها وفهمها كل العالم بانها هي العرب ، كل العرب ..

ولكن هل صحيح ان الذين واجهوا اسرائيل ولا يزالون يواجهونها هم العرب الذين ذكرهم للتاريخ ؟ هل يمكن تصور هذا ؟ .. وهو أي الاله يريد أيضا ان يتدخل عن وظيفة الخلق ويتوب منها نادما معذرا مقهورا بكل مشاعر الاستحياء ، لأنه أصبح يحتقر جدا وظيفه الخلق والخالقية ، بعد ان رأى كيف واجه العرب اسرائيل وهم اي العرب انما وجدوا وجاءوا كما يقال بأسلوب الخلق لهم . نعم ، هل يقبل أي اله ان يكون خالقا بعد ان رأى العرب المزعومين مخلوقين يواجهون اسرائيل انها لأقسى ورطة ..

اجل ، أي عار يمكن أن يصيب من قد يكون خالقا ؟ ليس ممكنا أن يقع أي خالق في العار الذي وقع فيه خالق القوم الذين واجهوا اسرائيل .. الذين واجهوا اسرائيل بعضلاتهم وعقولهم واخلاقهم ومزاعمهم ومفادراتهم ودعائياتهم المهيئة لكل الغباء بغباثتها ؟

وهو أيضا أي الاله يريد لهذه الاسباب ولقاساته من هذه الازمة ان يهرب الى مكان مجهول ليعيش مع الوحدة والصلمت ومع العتاب والعقاب للذات .. وهل يوجه عقاب أوفى للضمير وللعدل مثل عقاب الاله لذاته ؟ وهل وجد من يستحق كل عقاب واقسى عقاب غير الاله ؟ بل هل وجد من قاسى من العقاب مثل الاله ؟

ولكن جميع اعوان ومستشاري الاله ، على ما تقول الاخبار القوية المتواردة من اطراف الكون البعيد ، يعارضون ويقاومون نيات وافكار الاله هذه ... انهم يريدون منه اي من الاله ان يغالط ويكابر ضميره وواقعه وان يحول اقتبح ذنوبه الى انبل الصالحات ..

وتقول اخبار اخرى قد تواردت ايضا من اعماق ذلك الكون البعيد : ان اعوان ومستشاري الاله هؤلاء قد تعلموا من اعوان ومستشاري حكام العرب وزعمائهم اخلاقهم وضمائرهم ومنطقهم ومشوراتهم . شيء رهيب ان يوجد أي كائن يستطيع ان يتعلم من مستشاري واعوان حكام العرب وزعمائهم شيئا من اخلاقهم أو ذكائهم أو حياتهم ..

لقد ذهبوا - أي مستشارو الاله واعوانه - تقليدا واقتداء باعوان ومستشاري حكام وزعماء العرب - يهونون عليه أي على الاله كل شيء يفعلُه أو يقع فيه ، وكل شيء يفعلونه هم أو يقعون فيه ، أو يشيرون به ويعينون عليه . . . لقد ذهبوا كما تقول هذه الاخبار المتواردة يهونون كل العار والاختاء والحقاقات والبلادات والتفاهات التي تقع ويفسرونها اجمل وانقى التفاسير ، بل ويحولونها الى أضخم وأشهر وأصل الامجاد والحضارات والانسانيات ، مثلما يفعل مستشارو وحكام العرب وزعمائهم وبفعل جميع اعوانهم ومن حولهم ، حينما يذهبون يهونون عليهم أي على حكامهم وزعمائهم العرب بل ويزينون لهم ان يكونوا كل البلادة والفساد والتخلف والظلم والبدواة والنذالة ، زاعمين لهم انهم كل الذكاء والاستقامة والعدل والتقدم وكل الحضارة والشهامة . نعم ، هل توجد قصة أو علاقة كذب وغباء وهوان وخداع وفساد مثل القصة أو العلاقة التي بين حكام ورؤساء العرب واعوانهم ؟

ولهذا يقال هنا : انه لولا المستشارون والاعوان العرب العاملون في خدمة طغيان وجهالات الحكام والزعماء العرب ، لما استطاع اعوان الاله ومستشاروه وجميع العاملين في اجهزته ان يعرفوا اخلاقهم أو أن يجروا عليها . . . وحينئذ لن يذهبوا يشيرون على الاله أو يتعاونون معه أو يطيعونه أو يزينون له الاختاء والحقاقات والمظالم بالاسلوب الذي به يفعلون اليوم ومنذ الازل والى الابد فيما يقال أو يظن . ولكن اية قوة كونية عبقرية في قدرتها على صياغة الخبث والنذالة وعلى ارادتهما علمت وصاغت اعوان ومستشاري حكام وزعماء العرب كما علمتهم وصاغتهم ؟

ما الذي كان يمكن أو يتوقع أن يحدث لو ان هؤلاء المستشارين والاعوان للاله لم يعرفوا اخلاقهم وضمايرهم هذه التي تعلموها من اعوان ومن مستشاري الحكام والزعماء العرب ، أو لو أنهم لم يجروا على التعامل مع الاله بها ، فلم يتعود أي الاله حينئذ على تقبل واستساعة ما يفعل وما يجد ؟ لقد كان بعيدا عن كل قفزات الظنون والتصورات ان يتقبل الاله ما اصبح لا يتقبل شيئا سواه . . .

انه ليوجد حينئذ احتمالان . . . احدهما ان يجيء الاله في ممارساته لأعماله ولندياته ولنفسه ومع نفسه اذكى واتقى وارحم واعظم شهامة وعدالة وكرامة . وهل جاء كائن مثل الاله في خروجه على كل ضروب الشهامة والرحمة والعدل والكرامة والذكاء والتقوى ؟

انه حينئذ لن يجروا أو يقبل ان يجيء ، أو يكون كما كان وكما جاء . . . انه لن يقبل أو يجروا ان يجيء ، بلا شبعة في قبح ووحشية ونذالة الصيغة أو الذات التي جاء بها . . . انه لا بد حينئذ أن يرى نفسه ويرى افعاله رؤية أخرى ،

رؤية لن تجعله يغفر أو يطيق شيئاً مما يرى أو يقع أو مما يفعل ويريد ويدبر ، أي لولا ان هؤلاء الاعوان والمستشارين كانوا حوله يزينون له كل ما يرى ويقع ويصنع ، بل ويحرضونه عليه ، بل ويرونه له اجمل رؤية ، مفسرين له انبل التفسير ، مقتدين بما يفعله الاعوان والمستشارون العرب المجذون لخدمة السلاطين العرب ، ومتعلمين منهم ذلك . انه لا بد ان يجيء كل شيء نقیض ما جاء اذا كان هذا الاحتمال هو الذي سيكون قدر الاله وورطته المحتومة .

الاحتمال الثاني ان يرفض الاله نفسه ويرفض كينونته وكل كينونة اخرى يراها أو يعلمها أو يفعلها . وسيكون هذا الرفض بأحد اسلوبين : أما أن ينتحر وأما أن يهرب الى مكان بعيد مجهول بحيث لا يستطيع أن يرى أو يسمع أو يعلم شيئاً أو يشعر بأي شيء أو يكون مسؤولاً عن شيء أو متهما بشيء . كيف لم يرفض الاله نفسه وكل كينونة من كينوناته ؟ كيف اعجب بنفسه أو بما صنع أو بما شاهد ويشاهد ؟ هل يوجد شيء يصدم المنطق والأخلاق مثل تقبل الاله لنفسه ؟

اذن فالعرب هم المسؤولون عن مجيء الكون وجميع الاشياء والاحداث بالصيغ التي جاءت والتي تجيء بها لأنهم هم المسؤولون عن أخلاق وعن ضمائر اعوان الاله ومستشاريه ، ولان اخلاق وضمائر هؤلاء الاعوان والمستشارين للاله هي المسؤولة عن اخلاق الاله وعن ضميره وعن كل صيغه في نفسه وصيغه في اعماله ، ولان اخلاق الاله وضميره وصيغه النفسية والفكرية هي المسؤولة عن مجيء الكون وللأشياء والاحداث ان تجيء كما جاءت . . .

رهية هي الصيغ النفسية والفكرية والاخلاقية التي ارادت ودبرت للكون وللأشياء والاحداث ان تجيء كما جاءت . . .

ولكن هل هذا أعظم مجد للعرب أم اعظم عار واعظم اثم لهم ؟ اعني كونهم بأسلوب غير مباشر هم الذين علموا الاله ان يصوغ اخلاقه وضميره وافكاره كما صاغها . . .

ان العرب لا يفعلون ولا يملكون أو يقبلون الا الاعظم ، أي الا ما جاء في صيغة « افعل » . لهذا فالمفروض ان يكون تعليمهم للاله نفسه وصيغه هو اعظم مجد لهم أو اعظم اثم واعظم عار . انهم لا بد ان يكونوا اعظم اما في هذا أو في نقیضه . انهم دائماً صيغة « افعل » .

ان لهم اما اعظم الامجاد والحضارات والحروب والانتصارات والعقول والاخلاق ، والكرم والحب ، بل واعظم الآلهة والانبياء والنبوات والاديان والخلفاء والسلاطين ، بل واعظم البلاد والمناخات والشموس والانهار والبحار . . . واما اعظم نقائص ذلك .

حتى الاله والنبي والكتاب المنزل العربي ، هل يقبل العرب الا يكون هو اعظم في كل شيء من كل آلهة وانبياء وكل كتب كل الآخرين ؟
لقد فرضت الاقدار عليهم وفرضوا على أنفسهم وتقبلوا لها ألا يجيئوا الا صيغة
« أفعل » . .

انه لا احد ولا شعب في العالم يملك ويعيش ويحتكر وحده صيغة « أفعل » غير العرب او مثل العرب .

وقد حول العرب قدرهم هذا ، أي ان يكونوا دائما « أفعل » الى وحي انزلوه على احد شعرائهم الكبار ليصوغه نصا شهيرا مثيرا يحفظ ويروى ويفنى ، دون أن يوجد من يرفضه أو يستنكره أو من يراه غرورا أو جنونا ، أو من يحسبه يعني قوما آخرين موجودين في عالم آخر بعيد جدا ، أو يعني قوما آخرين لم يوجدوا ولن يوجدوا ، بل دون ان يوجد من يحسبه يسخر ويهجو ويبالغ في الذم والتحقير والاستهزاء ، بل دون أن يوجد من يفتش في ذاته أو ينظر في مرآته أو يقرأ تاريخه وتاريخ آبائه حينما يسمع هذا الوحي الذي صيغ شعرا شهيرا مثيرا ، ليعرف هل هو حقا كما تيل عنه وله وفيه ، بل دون أن يوجد من يبكي أو يهرب من هذا العالم حينما يسمع هذا الذي قاله الشاعر العربي الكبير ، خجلا وفرارا من العار ومن العيون المفجوعة المتطلعة اليه لترى مقاساته وحدوده وحجمه ، محاكما محاسبا موزونا بما قاله هذا الشاعر الذي تحول قوله هذا الى نص موحى منزل يتلى ويحفظ ويفسر كما يصنع بآيات الكتاب المقدس . كيف امكن أن يوجد من يقول مثل هذا أو من يقرأه أو يسمعه أو يرويه ؟

كيف لم تغلق أو تمت كل العيون والاذان والافواه خوفا من أن تقرأه أو تسمعه أو ترويه ؟

نعم ، لقد قال ذلك الشاعر العربي مقررا ومخلدا لقومه العرب هذه « الافعلية » :

« وانا اناس لا توسط بيننا . . »

لنا الصدر دون العالمين أو القبر ،

هل يستطيع تصور ذكاء أو حياء أو رؤية هذا الشاعر لنفسه أو لاشياء أو ضبطه بأي مقاييس أو حسابات حينما قال ذلك ؟ هل يحتمل انه كان يعتقد انه كان يقول شيئا يجوز ان يقال أو يسمع أو يروى أو يصدق ؟ اين كان حينما قال ذلك ؟ ومن كان يخاطب ؟ وفي أية حالة نفسية وعقلية كان حينما قاله ؟

وليس هذا فقط ، اي ليست القضية هي فقط ان العرب يملكون ويعيشون ويحتكرون وحدهم صيغة « أفعل » . . ويجب الا يصدم القارئ حينما يجدني عربيا

وفيا لعروبتى في استعمالى لصيغة « افعل » هذه . الست استعمالها للتدليل على عروبتى ؟

بل ان اللغة العربية مصابة بمرض « افعل » . اذن فللعربي مزيثان : لا يحيا الاشياء أو يقبلها أو يملكها الا بصيغة افعل ، ولغته لا تتحدث أو تتعامل الا بصيغة افعل .

انها تعشق دائما ان تكون تعبيراتها واحكامها مصوغة بصيغة « افعل » . . . ان اصدق واقع تعريف وتحديد للغة العربية : ان يقال انها هي لغة « افعل » . . . هي دائما تريد أن تقول : اذكى واعلم واقوى واتقى واعدل واكرم واشجع واكبر واغز وامجد واضخم ، وهكذا ، حيث تحدثت وعن أي شيء، تتحدث . . . وكذلك أيضا تعشق صيغة « افعل » كل هذا العشق مستعملة لها في المعنى المناقض .

ان الرغبة في استعمال كلمة افعل والتسرع الى استعمالها يعنيان ضيق الرؤية والخيال وضيق التجربة والمجال والكينونة والطموح . . . ويعنيان ايضا الانفلات من الالتزام بأوامر العدل والصدق والنزاهة والتقوى وعمق التفكير ، كما يعنيان اشمئسا ليليب النزق والطيش . .

انهما يعنيان الانفلات من كل رقابة عقلية أو اخلاقية أو نفسية أو لغوية ، من كل رقابة على العقل أو على الاخلاق أو على العواطف أو على الخيال أو اللغة ، كيف يجرو من له مستوى من الذكاء والصدق والرؤية والاحترام للنفس والتعبير ان يستعمل كلمة افعل ؟ كيف أمكن ان تشيع صيغة افعل في أية لغة من اللغات ؟ ان شيوع هذه الصيغة في أية لغة اعلان عن تخلف اهلها .

بماذا يمكن ان يفسر من يقول عن انسان أو شعب أو مجتمع أو تاريخ أو بلد أو عن دين أو نبي أو آله أو كتاب ، أو عن وجه أو خلق أو عقل أو عن اي شيء : انه هو الاعظم أو الاذكى أو الاقوى أو الانفع أو الاصدق أو الاتقى أو الابقى أو الاسخى أو الاشجع ، وهكذا ؟

بماذا يمكن ان يفسر او يفهم من يصر على ان يستعمل دائما هذا « الافعل » ، حينما يتحدث عن كل هذا بل وعن اي شيء آخر ، بل من يجد نفسه مندفعاً الى استعمال هذا « الافعل » ، بلا تدبير أو تفكير أو اختيار أو مقاساة ، بل وبلا تخوف من ان يكون نزقا أو مبالغاً أو مخطئاً او متهما بأي شيء غير جيد ؟

كيف يمكن ان يكون تفسير مثل هذا الانسان : تفسيره العقلي أو النفسي أو الاخلاقي أو الثقافي ؟

اليس محتوما أن يكون من التفاسير لهذا الانسان أنه سخييف أو كذاب أو جاهل أو بليد أو أعمى الخيال والرؤية والتجربة جدا ، أو أنه بلا أي قدر من التقوى أو الوقار أو الشرف أو المحاسبة للنفس ، أو انه مقتنع بأنه لن يحسب قائلا أو مريدا شيئا مهما قال ، وبأنه لن يستمع اليه بأي تفسير من تفاسير الاستماع - أو أنه أي هذا الانسان هو كل ذلك ، أي كل هذه التفاسير ؟

ولعل من التفاسير لذلك ان من يفعله لا بد أن يكون عربيا والعربي لا يرى ان الاشياء تساوي ذاتها أو حجمها أو حقيقتها أو قيمتها أو رؤيتها أو تفسيرها بل تساوي اللغة التي تنطقها . واللغة عنده ليست صدقا أو رؤية أو تفسيراً بل فصاحة واسلوب . . . اللغة عنده تعبير لا تفسير ، نطق وقراءة لا محاسبة ولا واقع .

ان الانسان الحذر الصادق العادل الواسع الخيال والرؤية والتجربة والمجال والتفكير والمحاسب الحاكم المحترم لنفسه ولاحكامه ، والمقتنع بأنه لا بد أن يكون مسموعا ومقروءا ومسؤولا ومساءلا ومحكوما عليه بذاته ، بما يقول ويستطيع ويعرف ويعلم ويبدو - بأنه لا بد ان يكون مرثيا ومفسرا بقسوة وبصدق واهتمام - ليس أكثر الناس بتكلمون وكأنهم مقتنعون انهم لن يكونوا مرثيين أو مقروئين أو مفسرين أو محاسبين - .

- نعم ، ان مثل هذا الانسان لا بد ان يقاسي ويهرب قبل ان يطلق كلمة «أفعل» . . كيف يتصور أو يجروء على ان ينطق بأن رجلا هو أشجع أو أكرم أو أذكى الرجال ، أو بأن وجها هو أجمل الوجوه ، أو بأن كتابا هو اعظم الكتب ، أو بأن آلهة أو ديناً هو افضل الآلهة والاديان ؟ كيف يجروء على مثل هذا ؟

انه لا بد ان يحذر حذر من يريد أن يلقي بكل جسمه وبكل ما في نفسه ونياته في كل العيون والخيالات والتصورات والنفوس والعقول والظنون ، أو حذر من يريد اطلاق سلاح فتاك على هدف أو عدو يتغطى جسده بأجساد يراد لاصحابها الا يصابوا بأي جرح أو خدش أو باي ازعاج ، بل تعني أصابتهم بأي شيء من ذلك ككل الخطر والعار والعقاب والعذاب . . ان مثل هذا الانسان لن يجد أو يتصور شيئا أو احدا يستحق كلمة « أفعل » حتى ولا الآلهة مهما طفا إيمانه به على كل وقاره وذكائه انه لمحتوم ان تجيء لفة مثل هذا الانسان حذرة من كلمة « أفعل » هذه محاذرة لها محاذرتها للفضائح وللتخلف والجهل والسخف والنذالات . ان من يحاذر على استعماله لكلمة أفعل انما يحاذر على ذكائه ووقاره وصدقه وعقله ورؤيته انه

لافتراض محتوم ان يكون استعمال اي انسان لكلمة « أفعل » مقياسا لذكائه ووقاره وصدقته ولكل تفاسيره الانسانية .

أما الذين لا يملكون هذه المزايا التي يملكها مثل هذا الانسان فلا بد أن تجيء لغتهم كما ينتظر أن تجيء أي بلا أي قدر من الوقار أو الذكاء أو الصدق أو الانضباط . انها لا بد أن تجيء كاللغة العربية .

ان اية لغة بلا شروط انما تعني قوما بلا شروط . واي قوم بلا شروط ماذا يساوون ؟

ان اصابة اية لغة بآفة « أفعل » قد تكون مقياسا صحيحا وشاملا لجميع مستويات هذه اللغة العقلية والنفسية والبشرية والاخلاقية والحضارية .

واللغة العربية مصابة بهذه الآفة أي بصيغة « أفعل » اصابة خطيرة جدا ان اصابتها بهذه الآفة قد تكون تقويما شاملا لكل أخلاقها ومعانيها الاخرى .

ولغة أي قوم لا بد أن تكون بأسلوب ما تعبيراً عن مستوى القيم الانسانية المختلفة عندهم وعن تصورهم وفهمهم لهذه القيم والتزامهم بها وعن قوتها وقوة سلطانها فيهم وعليهم .

ان أي قوم يمكن أن يفهموا من لغتهم وأن يفسروا بها ، كما ان اية لغة يمكن أن تفهم بفهم اهلها وأن تفسر بتفسيرهم وأن تعرف اخلاقها وذكائها ووقارها وصدقها بمعرفة اخلاقهم وذكائهم وصدقهم ووقارهم . ان اية لغة هي اصحابها قد جاءوا بصيغة لغة .

ان أي قوم قد كانوا ثم ماتوا في التاريخ ليتمكن جدا معرفة القيم الانسانية التي كانوا يعيشونها ويفهمونها ويحترمونها ويستطيعونها ، من فكرية ونفسية واخلاقية وحضارية بل وانسانية ، بقراءة ودراسة لغتهم التي قد خلفوها ان كانت لهم لغة قد بقيت من بعدهم ، دون معرفة أي شيء أو الرجوع الى أي شيء عنهم غير لغتهم . حتى حينما يكذب ويبالغ أصحاب اللغة لا بد أن تفسرهم لغتهم ؛ تفسر اخلاقهم وذكاءهم وجميع مستوياتهم المختلفة .

ولو أن أي انسان يعرف تفاسير اللغات ودلالاتها قرا اللغة العربية بمحاكمة ومحاسبة لاستطاع ان يعرف نماذج العرب العقلية والنفسية والاخلاقية ، بل لاستطاع أن يعرف مقدار تدينهم والتزامهم بتدينهم ، ومقدار احترامهم لدينهم وآلهتهم وانبيائهم وأوطانهم ولكل قيمهم التي يتحدثون عنها ، ومقدار استمسكهم بها وفهمهم لها ، بل ومقدار احترامهم لانفسهم وآبائهم وتاريخهم وقبورهم ، ومقدار احترامهم لوجوههم ولعيونهم التي يواجهون ويقاثلون ويشاتمون ويفاخرون

ويبارزون ويهددون بها الآخرين ، والتي يتطلعون اليها في المرايا ، ومقدار خوفهم على مجدها أي على مجد عيونهم ووجوههم وعلى وقارها واستحيائها ونظافتها ، حينما يواجهون بها الآخرين والأشياء ، وحينما يتطلعون اليها أمام مراياهم بارتجاف وتملق ولهفة .

- نعم ، لاستطلاع مثل هذا الانسان ان يعرف كل ذلك عن العرب بقراءته للغتهم ، دون ان يعيش بينهم أو يعاملهم أو يلقاهاهم أو يقرأ أي شيء عنهم . أجل ، ان لغتهم لتفسرهم وتدل عليهم حينما يكذبون ويبالغون ويوزرون أقسى مما تفعل بهم ذلك حينما يصدقون ويتوقرون ويتهذبون . ان كذب الانسان ليس تزويرا له بل هو تفسير له وتعريف به .

ولو ان أي انسان عايش العرب وغاص في اعماقهم وداخل جلودهم وقرأ كل لغات وتعبيرات وخفقات اعضائهم وغددهم وعضلاتهم وقلوبهم واخلاقهم واهوائهم ومشاعرهم ووجوههم وعيونهم ، دون ان يقرأ أو يسمع حرفا واحدا من لغتهم ، ثم عرضت عليه لغات عديدة يفهمها كلها ويفهم تفاسيرها ودلالاتها ، وكانت اللغة العربية احدى هذه اللغات ، لكان محتوما أن يقف عند اللغة العربية وان يشير الى العرب صارخا قائلا : أيها العرب ، هذه هي لغتكم ، هي كل مستوياتكم . . . خذوها ، خذوها . انها هي انتم ، وانكم انتم لهي . خذوها ، خذوها ايها العرب فانها لن تجيء على مقاس غيركم وانكم لن تجبئوا على مقاس غيرها .

ولو أن هذا الانسان الذي عايش العرب وعرفهم بهذا الاسلوب والعمق كان قاضيا فتقدمت اليه شعوب كثيرة كلها تدعى لاسباب عديدة مختلفة ، امتلاكها للغة العربية وكان العرب بين هذه الشعوب المدعية امتلاكها اللغة العربية لكان محتوما أن يحكم بها للعرب دون ان يعاني من عقله أو أخلاقه أو ضميره ، خيفة ان يكون قد اخطأ . نعم ، ان جميع اكاذيب العرب ومنبرياتهم ومصاهلاتهم لم تستطع ان تتحول الى تزوير اهم خادع بهم بل لقد تحولت الى تفسير فاضح معر لهم فاجع بهم . .

ولو كان ايضا هذا الانسان عبقريا في ابتكار اللغات ووضعها مفسرة وملائمة لمن يضعها لهم ، فأراد ان يضع للعرب لغة تفسرهم وتلائمهم ، وكان قد عرفهم وقرأهم وفسرهم بالاسلوب والعمق المذكورين السابق وصفهما ، لكان محتوما أن يبتكر ويضع لهم اللغة العربية ، ولما كان محتما ان يضع لهم غيرها . . . أي بالاسلوب الذي تختار وتوضع به صيغة الثوب على البدن . .

ولو أنه أي هذا الانسان قرأ اللغة العربية وعرفها جيدا ، وكان خالقا ، فقيل له أخلق شعبا على مستوى هذه اللغة أي اللغة العربية لكان محتوما ان يخلق الشعوب العربية . ان الشعوب العربية نموذج للغتها بقدر ما لغتها نموذج لها . ان التشابه أو التماثل بينهما مثل التشابه والتماثل بين الشيء وصورته . أنه بقدر ما تعرف الصورة بصاحبها ويعرف صاحبها بها يعرف العرب بلغتهم وتعرف لغتهم بهم .

ولو ان حدثا كونيا خارقا عزل جميع الشعوب عن لغاتها أو انسأها إياها ، فانشئت هيئة كونية من الخبراء العدول الاتقياء ليردوا الى كل شعب لغته بدراستهم لخصائص الشعوب وخصائص اللغات لكان محتوما ان يردوا الى الشعب العربي لغته العربية دون أي خطأ أو خوف من الخطأ أو توقع للخطأ مهما كانت احتمالات اخطائهم في توزيع اللغات الاخرى على اصحابها الآخرين . أليس احتمال الخطأ في توزيع الرؤوس المقطوعة على ابدانها أكثر من احتمال الخطأ في معرفة اللغة العربية بمعرفة العرب أو في معرفة العرب بمعرفة اللغة العربية ؟

ولو ان العرب كانوا بلا لغة أو لو أنهم بأسلوب خارق غير معروف نسوا لغتهم ، ثم عرضت عليهم جميع اللغات ليختاروا منها ما يلائم نماذجهم البشرية والانسانية المختلفة ومواهبهم الذهنية والنفسية لما كان محتوما ان يختاروا لغة غير اللغة للعربية ، أي بعد أن يجربوا ويدرسوا أخلاق ومواهب كل لغة ، أي بافتراض ذلك شيئا ممكنا ومستطاعا . أليس احتمالات الخطأ في ان يعرف اصحاب الوجوه وجوهم أي مخلوطة بالوجوه الاخرى أكثر من احتمالات الخطأ في ان يعرف العرب لغتهم أي لو نسوها أو قبل ان يتكلموها ، مدسوسة بين جميع اللغات العالمية ؟ ان اللغة كائن حي متحرك متنوع متشكل . انها كائن انساني اخلاقي فكري نفسي . ان كل معاني الانسان وقيمه وقدراته وحساباته تشترك في صياغتها . ان مواهب الانسان ومعارفه وقدراته تصوغ كل اساليب حياته ، بقدر ذلك تصوغ كل معانيه كل لغاته .

ان ذكاءه يصوغها كما يصوغها صدقه ووقاره وحيأؤه وتهذيبه وعدله وكرامته وشهامته واحترامه لنفسه ولكل مواجهاته ومعاملاته وممارساته ونياته . ان الانسان لا يضع لغته بصوته أو بفمه واذنيه ولا يستعملها بذلك فقط بل وبمقله واخلاقه وبكل مستوياته النفسية والانسانية .

واللغة التي تطلق صيغة « أفعل » بكل هذا الشمول والديمومة والسخاء والفوضى على كل شيء وكل أحد ، وعلى كل ما ليس شيئا وما ليس أحدا ، معلنة أنه

هو اعظم أو أعلم أو أكرم أو أكبر أو اشرف أو اذكى أو اقوى أو اجمل أو أصل أو انفع أو انظف من كل شيء ، ومن كل احد ، من كل ما كان وكل ما هو كائن وكل ما سوف يكون أو قد يكون ، بل ومن كل ما لن يكون .

نعم ، اللغة التي تبيح وتؤدي نفسها بهذا الاسلوب الفاضح المفصوح الاعمى ، كيف يمكن ان يكون ذكاؤها أو اخلاقها او كرامتها أو طموحها أو تجاربها أو مجالاتها أو مناخها ، أو كيف يمكن ان يكون اصحابها ، واضعوا ومتكلموها ومعلموها ومحترموها والمعجبون بها؟ .. ولكن الست بهذا أنسى الفكرة العامة التي أريد تقريرها وهي ان العرب مصوتون فقط فهم اذا كانوا اصواتا فقط لا كلاما ولا تفكيراً فان استعملهم لصيغة أفعل لن يعني شيئاً ؟

خامساً :

تصويت العرب ليس هو سبب عجزهم بل هو معنى عجزهم أو التعبير عن عجزهم . كما ان تصويت الكائنات الاخرى التي هي دون الانسان ليس هو الذي جعلها عاجزة عن ان تكون أكثر من مصوطة ، أي عن ان تكون متكلمة ومفكرة وشاعرة وكاتبة وفنانة ومعلمة للاديان والاكاذيب ومعادية محاربة باسم الآلهة والزعماء والعقائد والمذاهب ومنحصرة على اعدائها ومستغليها ومسخريها وعلى الانسان ، وعن سبق الانسان في الصعود الى القمر ، وعن ان تختارها الآلهة لتجعل منها الانبياء ولتنزل عليها الكتب المقدسة بدل الانسان .. نعم ، ليس هذا سبب هذا .

ان قطع نصف الطريق والصعود الى منتصف السلالم ليسا هما السبب في العجز عن قطع كل الطريق وعن الصعود الى أعلى السلالم ..

ان سيرنا على الاقدام ليس هو الذي جعلنا عاجزين عن الطيران باجنحة ذاتية . ان حمل اليد لبعض الحمل المطلوب حمله وقدرتها على حمله ليسا هما اللذين جعلهما لا تحمل ولا تستطيع ان تحمل كل الحمل المراد حمله .. ان بلوغنا طور الانسان ليس هو الذي منعنا من بلوغ طور الآله الذي نتحدث عنه ولا نجده ..

ان قدرتنا على ان نرى ونسمع من مسافة معينة ليست هي التي جعلتنا لا نستطيع ان نرى او نسمع من مسافة أطول . ان بلوغ الكائن طور صيغة الانسان أو طور نصف الانسان ليس هو الذي منعه من بلوغ معنى الانسان أو من بلغ طور كل الانسان .

ان التصويت أو بلوغ طور التصويت أو القدرة على التصويت سير في نصف أو

في بعض طريق التطور . والسير في نصف طريق التطور أو في مراحل منه ليس سببا ولن يكون سببا في العجز عن السير في كل طريق التطور أو في قطع جميع مراحل التطور ، كما لن يتحول هذا السير في بعض مراحل التطور الى رغبة في السائر عن السير في كل طريق التطور وعن قطع كل مراحل هذا التطور المفترض أو الخشود . ان السير حافيا أو عاريا ليس هو السبب ولن يكون سببا في العجز عن امتلاك الملابس والنعال . وان ممارسة الوقاحة والغباء لن تكون سببا في العجز عن التهذيب وعن الذكاء . .

ولكن دعائنا ومعلمينا ومفكرينا الاذكياء المخلصين جدا مقتنعون برأي آخر مناقض . انهم يرون ويعلنون ان اصوات العرب أو ممارستهم لاصواتهم أو كثرة تصويتهم قد استهلكت أو استنفدت منهم كل معاني ومصادر الطاقة فيهم ، بكل انواعها الفكرية والنفسية والاخلاقية والحضارية بل والعضلية . نعم ، لقد استهلكت اصواتهم أو ممارستهم لاصواتهم أو كثرة تصويتهم كل معاني ومصادر الطاقة الانسانية فيهم التي كان يجب أو يفترض ان تتحول الى افكار واخلاق والى قوة وانتصار والى كل اساليب الابداع والخلق والتفوق والجمال والوقار ، او انها ايه الاصوات وممارستها وكثرتها قد تحولت الى بديل عن ذلك والى تعبير زائف وصغير وهمجي عنه . أي لقد كان من الممكن أو من المحتوم ان يعبروا عن الطاقة الانسانية الكامنة فيهم تعبيراً قويا وذكيا لو لم يعبروا عنها تعبيراً ضعيفاً غيبياً .

ان هؤلاء الدعاة والمفكرين والمعلمين وامثالهم من الوعاظ الغيري يرون ان العرب لو صمتوا ولم يقولوا بكل هذا الضجيج المستمر المحيط لكل احتمالات الذكاء والوقار : سنحارب وسننتصر وسنذل جميع الاعداء والخصوم والانداد والمنافسين - سنؤدبهم حتى يتعلم التاريخ من تأديبنا لهم كيف يكون التأديب العبقري . . سنسبق كل العالم ونفوق عليه ونكون فيه كل الاعزة الاقوياء . سنهبه ونعلمه كل الحضارات والمعارف والاخلاق والتقوى والضمير والحب والوضوء الروحي والنفسي والبدني . . وأيضا سنهبه اي نهب كل العالم ونعلمه كل الارباب والنبوات والاديان وكل الآيات والاناجيل والاسفار ، وأيضا كل البلاغة والشعر والفلسفة والفنون . وأيضا كل الزعامات والقيادات التي تقود الى مجد العبور او الى مجد الغرور والثبور والشرور والقبور .

سنعلم ونهب كل العالم كل ذلك في الحاضر والمستقبل كما علمناه ووهبناه كل ذلك في الماضي . سنكون وحدنا كل القمة وفوق كل القمة في الحاضر

والمستقبل ، كما كنا كل ذلك في كل الماضي ، في كل القبور ، كما تقول جميع روايات القبور عن القبور ..

تسكنون ونكون حتى نجعل كل الناس بل وكل غير الناس يسلمون ويستعربون سنجعل العروبة والاسلام هما كل القوميات والاديان لكل الناس ولكل غير الناس ايضا ..

حتى الابالسة سنجعلهم يسلمون ويستعربون ويحفظون أسماء خلفائنا الراشدين ويعرفون عدد أزواجهم وجواريتهم واسماءهن وكم عدد المطلقات منهن واسباب طلاقهن ، وكم عدد العربيات منهن والاجنبيات ، والى كم جنسية ينتمين . ختماً سنجعل كل الناس وكل من ليسوا ناسا يسلمون ويستعربون ويحفظون أسماء جميع سلاطيننا وأسماء جميع جواريتهم وعبيدهم الملونين ..

سنجعل كل الناس بل وكل الابالسة يحفظون القرآن ويتدارسون تفاسيره ويعرفون ويعترفون انهم قد أخذوا منه أي من القرآن كل ما لديهم من حضارات وعلوم ورخاء وذكاء وكبرياء بل وكل ما عندهم من تسامح وحرية تبيح بل وتشجع وتحمي كل تفكير وكل تطاول فكري ، حتى الاحاد والزندقات والجرأة على الابواب والاديان وعلى كل المقدسات الموروثة . نعم ، حتى صناعة الابناء والعلاقات الجنسية هل عرفوها الا منا ، من كتابنا المقدس ؟

سنجعل كل هؤلاء يعرفون ويعترفون ان كل ما عندهم من تسامح وحرية تبيح بل وتحمي وتشجع كل الزندقات وكل الرفض لكل المقدسات ، انما تعلموه من القرآن . نعم ، لقد تعلموا من القرآن كل شيء ، حتى رفضه أي رفض القرآن لقد تعلموه من نفس القرآن . لانهم قد تعلموا منه كل الحرية ، والحرية لا بد ان تتحول الى رفض وانكار حتى لمن علمها ولو أحياناً . ان الحرية لا يمكن ان تكون موالية دائماً لمن علمها . ان من علم الحرية ثم فرض عليها الولاء الدائم له فلن يكون محترماً للحرية أو مؤمناً بها .

سنجعلهم يقتنعون ان كل ما عندهم ، حتى الزندقات ، انما استوهموه من القرآن العربي . حتى الرفض للاديان وللقرآن انما وهبهم وعلمهم اياه القرآن لانه هو الذي وهبهم وعلمهم التسامح والحرية اللذين يبيحان بل ويحميان ويشجعان كل مغامرات وغزوات وتحديات الفكر .. والفكر الغازي المغامر المتحدي لن يظل صديقاً او تابعاً مأموناً أو دائماً لاي شيء . ان من وضع السلاح في يد الفكر فلن يامن من ان يكون قتيله ..

ليس الكتاب المقدس بل وغير المقدس الذي يبيع ويحمي الحرية الفكرية ، بلا أي قيد من خارج الفكر ، ويبيع ويحمي التعبير عن هذه الحرية ، انما يبيع ويحمي الرفض لهذا الكتاب المقدس أو الكتاب الذي ليس مقدسا ، كما يبيع ويحمي اعلان هذا الرفض أو الكفر به ؟ أليس من يرفض الخروج على القرآن أو يرفض الكفر به دفاعا عنه واحتراما له انما يعلن بذلك ان القرآن يقاوم ويعادي الحرية ويعاقب عليها ؟

اليس الدين أو النظام الذي يعلن الحرية العقلية ويبارك ويمجد التعبير عن هذه الحرية وممارستها ، انما يعلن ويبارك ويمجد رفضه بل واعلان رفضه ؟ ان معنى هذا ان اي دين أو نظام يعاقب الخروج عليه أو يرفضه أو ينكره انما هو دين أو مذهب يرفض وينكر الحرية ويعاقب عليها ، على ممارستها والايمان بها .

وايضا سنكون اول من يغزو ويسكن ويزرع ويمدّن الشموس ، كما كنا اول من غزا وسكن واكتشف وخطب السماء ، واول من صافح وجالس وساكن آلهتها وسكانها ، وتعلم لغتهم وعلمهم لغته ..

هل وجد من تكلم لغة الآلهة وعاش في ضميرها ، أو من تكلمت الآلهة لغته وعاشت في ضميره مثلنا أو غيرنا ؟ هل تعلمت الآلهة الكلام الا لكي تخاطب العرب أو تعلم العرب الكلام الا لكي يخاطبوا الآلهة ؟

اجل ، ان دعائنا ومفكرينا ومعلمينا وسائر وعاظنا المحسوبين اذكياء وحكماء جدا ليقولون ويعتقدون ان العرب لو صمتوا أو أصيبوا بالخرس أو بالاستحياء والوقار فلم ينطقوا ويصوتوا بمزاعمهم هذه لكان ممكنا أو محتوما ان يقفزوا الى هذا الذي يزعمون انهم سوف يصنعونه ويحققونه ، والذي زعموا انهم كانوا قد صنعوه وحققوه في تاريخهم المقروء - أو لكان ممكنا أو محتوما ان يصبحوا اكبر واعظم واذكى في كل صيغهم وكياناتهم مما نجدهم ويجدون انفسهم ومما يجدهم اعداؤهم ومنافسهم والشامتون بهم الحاقدون عليهم ، الخائفون من احتمالاتهم ومواهبهم الضخمة التي لا تساويها أو تباريها أية احتمالات أو مواهب أخرى .

وهذا التكبر أو الاقتناع أو الاعتقاد ، كم هو سهل وبسيط ومحزن ..

قوم تخلفهم وعجزهم يصنعان الرثاء والدموع والحسرة والذهول والعجز عن الفهم في كل القلوب والعيون والضمائر والعقول يستطيعون ان يقفزوا فوق ووراء جميع أسوار وحدود عجزهم وتخلفهم وان يصرعوا جميع حراس عجزهم وتخلفهم ، أو يموت هؤلاء الحراس ، لكي يصبحوا اي هؤلاء القوم بقفزة مذهلة مالكين بأسلوب الاحتكار والتفرد لكل العبقريات والمزاجا ...

نعم ، يستطيعون ان يصنعوا كل ذلك أو يصنع لهم كل ذلك دون ان يصنعوه هم أو يصنعوا أي شيء غيره . بماذا يستطيعون ان يصنعوا أو يصنع لهم كل هذا ؟ بلا أي شيء عسير أو كبير أو عظيم . . .

فقط عليهم ان يخدموا أو يموتوا ، ان يتحولوا الى صمت ، أو ان يقلوا من الكلام أو من التصويت أو من الاعلان والتحدث عن امجادهم وعبقرياتهم . . .

فقط على هذا الذئب أو الحيوان ان يترك النباح أو الزئير لكي يتحول الى انسان متكلم مفكر مبدع ! . . .

غفلة أو بساطة يهنا عليها أو يصعق بها أو يحزن لها كل من عرفوا أو جربوا أو قاسوا منطق الأشياء وتقاسيرها وأخلاقها ونذالة علاقاتها مع نفسها ومع البشر ومع الكائنات الأخرى . نعم ، هل توجد أية نذالة في هذا الكون أو في أي خيال غير نذالة العلاقات بين الأشياء ونفسها وبين الأشياء وبين الناس والأشياء ؟ قد يكون واقعا معقولا أو واقعا معروفا ومفهوما دون ان يكون معقولا : ان الذين لا يستطيعون ان يفعلوا ما هو اعظم واكبر واذكى واغوى من التصويت لا بد ان يذهبوا يصوتون أو يكتثرون من التصويت ، أو يصوتون بلا أي قدر أو اشتراط من الوتار أو الاتزان أو التهذيب أو الذكاء . ولكن الصوتين لو صمتوا أو لو اقلوا من التصويت لن يصبخوا شيئا اذكى أو اقوى أو اعظم لانهم اقلوا من التصويت لانهم صمتوا . ان ترك التصويت لن يصبح أو يتخلق قوة أو عبقرية أو تفوقا من أي نوع في ذات الصوت التارك للتصويت أو في مواهبه أو في أي عمل يمارسه أو يخطئه ويديره . . .

ان الذي يعجز عن الشيء الأصعب أو الأفضل أو الأعلى قد يفعل الأسهل أو الأردأ والأدنى . ولكن الذي لا يستطيع الا الأدنى والأردأ والأصغر لن يستطيع ان يفعل الأكبر أو الأفضل أو الأعلى مهما ترك فعل الذي يستطيعه وهو الأصغر والأردأ والأدنى ، أي ان هذا الترك لن يكون صانعا لهذه الاستطاعة .

ان ترك الأسهل المستطاع لن يصنع القدرة على الأصعب غير المستطاع . . .

ان غير الذكي أو المفكر أو الشاعر أو الفنان أو المهذب أو غير القوي العضلات أو القوي البصر أو السمع لن يصبح مفكرا أو ذكيا أو شاعرا أو فنانا أو مهذبا أو قوي العضلات أو الابصار أو السماع لو انه صمت عن الكلام والتصويت أو عن الرؤية والسمع أو عن حمل أي شيء ، أو عن التفكير أو عن كل ممارسة أخرى ، أو لانه صمت عن ذلك . ان الصمت وكذا الترك لشيء ما لن يتحول الى عبقرية أو الى طاقة حضارية أو ابداعية مهما تحول في ظاهره الى جمال اخلاقي أو نفسي . . .

انه لا يمكن ان يتحول الكائن المصوت الى كائن اكبر من مصوت بصمته عن التصويت أو باقلاله من التصويت الا بقدر ما يمكن ان يتحول الوجه الدميم الى وجه جميل لو انه امتنع عن رؤية نفسه في المرآة أو لو انه امتنع عن السفور أمام الوجوه الاخرى أو عن منافسة وتحدي الوجوه الاخرى ، أو لو أن حامله صمت فلم يتحدث عن جماله - أو الا بقدر ما يمكن ان يتحول القصير أو الاسود إلى الجاهل أو العبي الى طويل أو الى ابيض أو الى عالم أو الى عبقرى في النطق والنصاحة لانه قد أصيب بالخرس أو الصمم أو العمى أو الشلل أو بآفة آفة اخرى . . ان للقدرة أو الموهبة أو العبقرية ليست ان تتترك شيئاً أو تعجز عنه ولكنها هي ان تستطيع وان تفعل شيئاً . أنها ليست تركاً بل استطاعة .

ان العاجز عن المشي قد يحبو أو يزحف ولكن تركه الزحف والحبو لن يجعله يمشي .

اجل . . ان الصمت قد يتحول الى راحة أو اراحة أو الى استتار وتهذيب واجب وحياء ووقار ، ولكنه اي الصمت لا يتحول الى عبقرية أو قوة أو ذكاء أو معرفة أو انتصار أو الى طور أعلى من أطوار الكينونة . .

ان الصمت قد يرى أو يقرأ أو يفسر رؤى وقراءات وتقاسير جميلة ، ولكنه لن يصنع أو يهب مستويات كبيرة أو عظيمة أو ذكية . انه قد يكون سلامة ولكنه لن يكون ضخامة .

ان جميع المتحدثين العرب لو صمتوا صمتاً أبدياً وشاملاً لكان ممكناً ان يكون في ذلك شيء من السתר عليهم ومن التهذيب والحياء فيهم أو من حسابان ذلك ، ومن الرق بمشاعر الاستهزاء بهم والاشمئزاز منهم ، ولكان ممكناً أيضاً ان يكون في ذلك أي في صمت جميع المتحدثين العرب شيء من المحابة للأذان التي تسمعهم ، وللعيون التي تحقق فيهم وتقرؤهم ، وللعقول والمواهب التي تفكر فيهم ، وللمنطق الذي بحاسبهم . . انه قد يكون في صمتهم تخفيف وتلطيف من تعذيب وترويع وتفجيع جميع المواجهين لهم المحققين فيهم . اذن قد يكون صمتهم نبلاً . .

ولكن ذلك أي صمتهم لن يخلق فيهم عظمة أو عبقرية أو قوة أو أي شيء اخر جيد . ان في العرب لصامتين جداً ، صامتين استرخاء وكسلاً وخمولا وبلادة ، لا وقارا أو تهذيباً أو تقوى أو حذراً عقلياً أو اخلاقياً . ان فيهم من لا يفتحون افواههم من الخمول والتبلد والغيبوبة . فهل استطاع صمتهم هذا ان يصنع فيهم شيئاً جيداً أو قوياً ؟

نعم ، وكما ان ترك الاسهل الاصفر لن يهب القدرة على فعل الاصعب الاكبر أو الرغبة في فعله ، كذلك فان فعل الاصفر والاسهل ليس هو الذي منع تخلق

القدرة على الاصعب الاكبر ، او منع او افسد او اضعف الرغبة في فعل هذا الاصعب الاكبر . ان ممارسة الغباء والبداوة والنذالة والشقاء ليست هي التي منعت تخلق القدرة او الرغبة على ممارسة الذكاء او الحضارة او الشهامة أو الرخاء .

اذن يا انبياء العروبة وزعماءها ، ويا كتابها وخطباءها ومعلميها : اصمتوا ، اصمتوا تستقروا وتبجوا اقل دمامة وجهلا وعارا وضالة وايذاء للعيون والعقول والاذان والضمائير . اصمتوا رحمة أو تأثما أو شهامة ..

اصمتوا رفضا للدعوان على من لم يسيئوا اليكم ، وعلى من لا يستحقون اعتمادكم عليهم ..

اصمتوا فان في صمتكم احتراما وراحة ورفقا بكل من يرون ويسمعون ويعقلون ويشمنزون ويحزنون ويحاسنون ويشترطون .

اصمتوا فان أنبل واتقى ما تفعلونه وما تستطيعون فعله وما تكرمون به الآخرين ، ان تصمتوا ..

ولكن لا تصمتوا ان كانوا في حسابكم ان يصنع صمتكم منكم شيئا اكبر او اذكى او اتقى ، بل اصمتوا حتى ولو كان هذا هو حسابكم وتفسيركم لقيمة الصمت . اصمتوا تريحوا وتبجوا شيئا افضل حتى ولو لم يكن لصمتكم اي حساب أو ثمن آخر مما تريحون .

ويا وعاظ العرب بالصمت ودعاتهم الى الصمت .. أجل ، عظوم وادعومهم بكل الحماس والفيرة والصدق وني كل الاوقات الى ان يموتوا صمنا ان كنتم تريدون ان تستروا عليهم وان تهبهم في الظاهر شيئا من الجمال والتهذيب والوقار والذكاء ، او ان كنتم تخشون ان يروا بكل صورهم ، ويفسروا بكل معانيهم ، ويقراوا بكل نصوصهم ، بكل قرآنهم وانجيلهم وتوراتهم . نعم ، افرضوا عليهم كل الصمت كل الاوقات ان كنتم تريدون لهم شيئا من الاستقرار والوقار ، ان كنتم تخافون عليهم من العيون والعقول أو على العيون والعقول منهم .. ولكن حذار ان تحدثوهم عن أي معنى من معاني الصمت ان كنتم تؤملون ان يصنع منهم صمتهم انسانا يساعد على التعجيل بغزو المريخ وبسكناء وبعمارتها ، او انسانا يكون اول من يفزوه او يسكنه ان يعمره بالحضارات والاديان والاخلاق والمواهب العربية ، او انسانا لا يحتقر او يشتم او يبغض اول من يفزونه اي يغزون المريخ ويسكنونه ويحولونه الى مصنع للحضارات وللقيم الانسانية ..

حذار ان تحدثوهم عن الصمت ان كنتم تؤملون ان يصنع منهم صمتهم انسانا

أكثر أو أكبر من عربي ٠٠ بل افرضوا عليهم الصمت ان استطعتم مهما كانت توقعاتكم لنتائج صمتهم ضالة وغبية وعربية التفكير ٠٠

سادسا :

وحشية همجية لم يجرؤ على فعلها اي انسان ولا اي كائن : ان يمنع اي انسان من ان يستفرغ أو يقذف أو يبصق أو يطرح وينظف بدنه أو ذاته من فضلاتها وشحناتها البدنية الوبيلة الكريهة . ان اي دين أو مذهب لم يجرؤ على ان يمنع أو يحرم استفرغ الابدان لفضلاتها ولشحناتها البدنية المهينة لكبرياء الانسان . انه لم يحدث ان كائنا ما منع من ان يفعل ذلك تحت أي تفسير من التفسيرات ان اي آله من آلهة التاريخ البدوية لم يحدث ان وضع في قائمة عباداته وطلباته وشهوته هذا المنع من هذا القذف . لقد كان هذا المنع بعيدا عن خيال جميع آلهة التاريخ التي كانت تحتشد في خيالها كل المطالب والشهوات والتشريعات والامور البعيدة عن كل مستويات النظافة أو الشهامة أو الكرامة أو الذكاء أو العدل أو الجمال أو المحاسبة للنفس . شيء لم تجرؤ جميع وقاحات آلهة التاريخ على ان تطالب به أو تتمناه ٠٠ هل يمكن تصور ما فيه من تفوق على جميع الوقاحات والقباحات والذنوب ؟

ولكن ليس تحريم أو منع التصويت اسلوبا اخر من اساليب تحريم أو منع هذا القذف ، قذف الذات لفضلاتها وشحناتها الكريهة الوبيلة ؟
اليسا قذفين ذاتيين جاءا باسلوبين مختلفين ولكن بمنطق واحد وحافز واحد ليصنعا نتيجة واحدة ؟

اليس منع أو تحريم التصويت اسلوبا من اساليب تحريم ومنع الانفعالات ؟
اليس المصوت كائنا يستفرغ أو يقذف انفعالاته ؟ اليس يقذف بفضلاته النفسية ، مثلما يقذف بدنه بفضلاته الاخرى ؟ اليس النبي أو الزعيم حينما يصرخ شاتما أو مهددا انما يقذف بفضلات وشحنات ذاته الاليمة - يقذف بها من فمه من فوق المنبر وفوق سجد التاريخ وفوق الرؤوس ؟ اليست الفضلات النفسية أو الانفعالية تتكون وتتجمع ثم تحتاج الى القذف مثلما تتكون وتتجمع الفضلات البدنية ومثلما تحتاج الى القذف ؟ اليست ذات الانسان حشدا هائلا أو تركيبة هائلة من المنافذ لتقذف وتبدد منها كل ألوان الفضلات التي تتكون وتتجمع وتتراحم فيها تسمى احيانا تعاليم ونبوات واهينا اشياء اخرى ؟

كيف ، أو لماذا صنع الانسان لغاته ؟ لقد كان يشحن بالانفعالات من مواجهاته واصطداماته واحتياجاته وعجزه وتجاربه الباهظة المضادة والملائمة المختلفة . فكان

يحتاج الى التعبير عنها أي الى اطلاقها والتخلص منها . . كانت وسائله أو أساليبه لهذا الاطلاق والتخلص والتعبير مختلفة . كان من هذه الأساليب والوسائل السباب والغيبة والنميمة وكل ألوان الوقاحات والسفه والحركة والرقص والبكاء والاشارة والمبوس والابتسام والضحك . . ثم كان منها التصويت . كان التصويت بكل انواعه اسلوبا من اساليب الاستفراغ والبصق والقذف للشحنات النفسية الانفعالية .

ثم ذهب التصويت يتطور ويتطور حتى أصبح كلاما ولغات . .
لقد كان طور التصويت طريقا الى طور الكلام لا سببا أو خالقا له أو ملزما به . .
ان الكلام واللغات ليست الا تطورا أو تحولا عن التصويت أو الاصوات ، أي ليست الا انتقالا من هذا الى هذا أي ليست الا عملية تجاوز وتفوق . .
وان الاصوات ليست الا تطورا أو تحولا عن الانفعالات ، وان الانفعالات ليست الا تطورا أو تحولا عن التصادم والتعامل مع النفس ومع الأشياء والظروف ، وعن المواجهة لها بالرغبة أو الرهبة ، بالعطاء أو المنع ، بالتوافق أو التنافر . ولكن ذلك كله ليس الا تعبيراً عن طور الذات التكويني . ان هذه السلسلة المتلاحقة لم يكن ممكنا حدوثها لو لم يكن طور الذات يفرض عليها ذلك ويجعلها قادرة عليه بالتكوين المحتصوم .

لقد جاء الانسان متكلماً أو أصبح متكلماً دون ان يقصد هذا أو يدبر أو يخطط له ، بل دون ان يعلم انه سوف يصبح كذلك . . لقد جاء كذلك أو أصبح كذلك كما جاء أو كما أصبح مصوتا ، وكما جاء أو أصبح منفعلا ومشحونا بالانفعالات وكما جاء أو أصبح متعاملا ومتصادما ومتناقضا ومتوافقا ومتواجها مع نفسه ومع ظروفه ومع ما حوله بل ومع كل شيء . . لقد جاء متكلماً دون الكائنات الأخرى بالتحول الذاتي الذي لم يكن مقصودا أو مدبرا أو معروفا قبل حدوثه . لقد تفوق على غيره بلا عبقرية . انه لم يجيء أو يصبح كذلك بالارادة أو بالفكرة . كما ان الكون الذي يواجهه وبعايشه ، وكما ان نموذج وجوده أو ذاته لم يجيئا أو يصبحا كما جاءا وكما أصبحا بارادته أو بفكرته . . نعم ، لقد جاء الانسان أو أصبح متكلماً ومفكراً ومتحضراً بالنطق أو بالقانون الذي أصبح أو جاء به النهر نهراً والبحر بحراً والصخر صخراً والصحراء صحراء . .

اذن فالذين يحرمون على الانسان ان يتكلم انما يحرمون عليه ان يصوت ، والذين يحرمون عليه ان يصوت انما يحرمون عليه ان ينفعل ويشعر وأن تتجمع الانفعالات وتتصادم في نفسه وأن يستقرغ ويقذف هذه الفضلات من نفسه ، والذين يحرمون عليه ذلك انما يحرمون عليه ان يواجه ويتعامل ويرى ويتصادم وأن يتوافق ويتنافر،

بل يحرمون عليه ان يكون ٠٠ والذين يحرمون عليه ذلك هم كالذين يحرمون على بدنه ان تتكون فيه الفضلات وان يقذف بهذه الفضلات ٠٠

اذن هل توجد وقاحة أو همجية أو بلادة أو وحشية مثل تحريم التصويت مهما كان سخفه وسذاجته وبذاءاته وتفاهته ؟ بل هل يوجد قبح أو غباء لا يجوز تحريمه بل توجب ممارسته في كل الاديان والاخلاق والمذاهب ، مثل التصويت ؟

ان التصويت لا يقبل تحريمه لهذه الاسباب الا اذا قبل ان يحرم على البدن استقراؤه أو تذفه لفضلاته الكريهة للاسباب الماثلة ٠ أجل ، ان المصوتين من انبياء وزعماء وشعراء ومعلمين ووعاظ ليسوا الا كائنات تقذف بفضلاتها البدنية من أفواهها على العقول والاخلاق والآذان ٠

حتى الكلام الذكي المفكر بل العبقري ، حتى مثل هذا الكلام انه في احيان وحالات كثيرة أو في أكثر الاحيان والحالات ، ليست حوافزه شيئاً أرقى أو أعظم أو أبقى من حوافز التصويت ، وهي الحاجة الى الاستقراغ والقذف ٠٠٠ ان كل المتكلمين المفكرين الاذكياء المحترمين جداً لا يقصدون في احيان وحالات كثيرة حينما يتكلمون ويفكرون ان يتكلموا أو يفكروا أو يصنعوا شيئاً ، وانما يقصدون ان يستقروا ويقذفوا انفسهم مثلما يفعل المصوتون حينما يصوتون، ومثلما تفعل الابدان المشحونة بالفضلات الاليمة حينما تلقى بها ٠٠

ان هؤلاء حينما يتكلمون ويفكرون بكل الذكاء والحماس والزوعة والاهتمام لا يطمحون أو يقصدون ان يصوغوا الكون أو الآله صياغة جديدة ، أو أن يركبوا للآله آذاناً أو عيوناً أقوى واتقى لتتروى وتسمع وتقرأ الصرخات والاناث والضراعات والدموع والدمامات والعاهات والاختاء والآلام بضمير وتفكير يستفطعان ويشفقان ويستحييان ويفهمان ويستجيبان ويحيان بأسلوب أكثر شهامة وعظمة وذكاء واحتراماً للذات ٠ انهم لا يطعمون بل ولا يفكرون أو ينوون ان يضعوا في عيني الاله او في عيني الطبيعة مرآة نظيفة وصادقة ليريا بها ما في وجهيهما من وقاحة ونذالة وبلادة ووحشية ٠

كما انهم أي هؤلاء المتكلمين المفكرين ، حينما يتكلمون ويفكرون لا يقصدون ان يعلموا اعضاءهم اخلاقاً أو وظائف جديدة أو منطقاً جديداً ، أو ان يقنعوها اي يقنعوا اعضاءهم بأن نياتها واحتياجاتها ومجاعاتها واهتماماتها ومطامحها واشواقها هي اعظم واتقى نموذج ، لتدبير وتخطيط واردة أعظم واتقى عبقرية ، يعرض ويمتدح بها نفسه اعظم واتقى آله ، يؤمن به ويصلي له ويتصوره اعظم واتقى واذكى من يؤمنون ويصلون ويتصورون ٠٠ أجل ، انهم لا يقصدون بذلك ان يحركوا

غيرة الآله لكي يتعلم منهم كيف يتكلم ويفكر ويصوغ منطقته وأخلاقه وفنونه ، وهو اي الآله لا يوجد مثله احتياجا الى أن يتعلم التفكير والمنطق والاخلاق والفنون والكلام .
ان الكلام الذكي والجاد جدا وكذا التفكير في أحيان وحالات كثيرة أو في أكثر الاحيان والحالات ، لا يكون تدبيرا أو تخطيطا أو بحثا عن تحقيق شيء آخر الا بقدر ما يكون الانين أو الصراخ أو البكاء أو السباب أو الحقد والبغضاء والاعتياب أو الغناء أو مخاطبة النجوم والاطلال والذكريات والحب الذي قد مات ، أو يكون الاستفراغ والقذف باية فضلة من فضلات الجسم .

- نعم ، الا بقدر ما يكون كل ذلك أو شيء منه تدبيرا أو تخطيطا أو بحثا عن تحقيق شيء آخر . . ان قيمة أي شيء لا تساوي قيمة حوافزه أو أسبابه أو نياته أو تفاسيره . ان الكلام أو التفكير بل أو الابداع والخلق الجيد لا يعني انه في تفاسيره أكثر أو أنبل من عملية استفراغ . .

انه لا يوجد ولن يوجد من يستطيعون الامتناع عن الاستفراغ باللغة أو بالكلمة أو بالصوت ، كما لا يوجد ولن يوجد من يستطيعون الامتناع عن الاستفراغ بالأعضاء أو بالجسم اي بقذف فضلاته المختلفة والمتفاوتة البذاة والقبح والقيمة .

ان كل الناس مهما كانت مستوياتهم الثقافية والعقلية والانسانية لا بد أن يستفرغوا بالتصويت استفراغا شعوريا وعاطفيا . أما الاستفراغ العقلي أو الفكري وكذا الاستفراغ الاخلاقي والمذهبي والانساني فليس الا أقل الناس هم الذين لا بد أن يستفرغوا هذا النوع من الاستفراغ ، لانه ليس الا أقل الناس هم الذين يقاسون من معاشية الفكر أو العقل أو الاخلاق أو من الالتزام بالمذهب أو بالقيم والمعاني الانسانية أو من التفكير فيها والفهم لها . .

ان الاستفراغ الفكري والاخلاقي والمذهبي والانساني هو مستوى الانسان الاعلى وحده . أما الاستفراغ الشعوري أو النفسي فيستفرغه سائر البشر وسائر الكائنات المصونة التي هي دون البشر . .

وعلى امتداد التاريخ وتحت جميع خطواته كانت توجد مذاهب واديان وتعاليم وآلهة وانبياء وزعماء ومعلمون وطفاء يخافون ويحرمون ويعاقبون بكل العنف كل أساليب أو أكثر أساليب الاستفراغ بالكلمة والتفكير أي اذا لم يكن هذا الاستفراغ مثل أساليبهم في الاستفراغ أو بلغة أساليبهم ، أو اذا لم يكونوا هم الذين وضعوا صيغته الاستفراغية ، أو اذا لم يكن باسمهم ، أو اذا لم يكن أي الاستفراغ في أفكهم أو في محاريبهم وفوق منابرهم وفوق طريقتهم وثيابهم ووجوههم ، وعلى صفحات وحروف كتبهم المقدسة . . لقد كانوا يريدون ان يكون كل شيء حتى

الاستفراغ بأسلوبهم هم وبلغتهم وبأمرهم وفوقهم وفوق ثيابهم ومنابرهم وبأسهم وهتافا لهم وتفسيرا لمجدهم ..

حتى الاستفراغ بالتصويت أي حين يستفرغه الكائن المصوت الذي لم يبلغ طور الكائن المتكلم - نعم ، حتى هذا الاستفراغ الصوتي كان يمنع ويحرم ويعاقب مع انه تصويت فقط يطلقه او يستفرغه او يستفرغ به كائن مصوت لا يستطيع ان يكون متكلماً أو مفكراً . ولكن صيغة هذا الاستفراغ بالصوت تجيء في صيغة الاستفراغ بالكلمة وبالفكر والفكرة . لهذا يحرم ويمنع ويعاقب بسبب الصيغة فقط . كان الاستفراغ بالتصويت يمنع ويعاقب ما لم يكن بأمر ولغة الانبياء والسلاطين والمتسلطين . حتى الاستفراغ الصوتي يوجد دائما من يشترطون عليه شروطا تقيده وتحكمه وتصوغه وتنفذه .

ليست الزعامات والقيادات والحكومات والنبوات والمذاهب والاديان والمواظ العربية تحرم على الانسان العربي ان يفعل بحرية ما يسميه ويظنه كلاما وتفكيراً ؟ مع ان الانسان العربي في كل تاريخه وفي كل مستوياته لم يتحول الى متكلم او الى مفكر . انه قط لم يتكلم او يفكر . انه لم يتكلم او يفكر الا بقدر ما كان أول من غزا القمر وبقدر ما سوف يكون أول غاز للمريخ .

ليست بذلك تحرم عليه ان يصوت اي ان يستفرغ انفعالاته بالتصويت ؟ اليس كل تحريم لاي كلام أو لاي تفكير يطلقه أي انسان عربي إنما هو تحريم للتصويت أو للاستفراغ بالصوت بحسبانه استفراغا بالكلمة أو بالتفكير لانه قد جاء بنفس الصيغة ؟ نعم ، صدقوا . ان الزعامات والنبوات والديانات العربية تحرم على الانسان العربي ان يستفرغ تفاهاته وآلامه بالتصويت لان تصويته يجيء بصيغة الكلام ..

كيف يمكن ان تفهم أو تفسر القيادات والزعامات والحكومات والثورات والنبوات العربية نفسها لو عرفت أنها حينما تحرم على أي انسان عربي أن يتكلم أو يعلم أو يفكر أو حتى ينقد أو يستنكر إنما تحرم عليه أن يصوت أي أن يقذف بفضلاته النفسية بالتصويت ؟ نعم ، كيف يمكن حينئذ أن تفهم أو تفسر أو تحترم نفسها هذه الزعامات والقيادات والثورات والحكومات والنبوات العربية لو أنها عرفت ذلك ؟ ان أية حكومة أو زعامة أو نبوة عربية لم تحرم في أي وقت على أي عربي أن يتكلم أو يفكر لانه لم يوجد قط عربي يفكر أو يتكلم وانما كانت تحرم التصويت بحجة تحريم الكلام والتفكير ..

انها حينما تحرم على الانسان العربي ان يتكلم أو يفكر أو حتى ينقد ويستنكر، أي حينما تحرم عليه ما يظن أو يزعم كلاماً أو تفكيراً أو نقداً أو استنكاراً أو رفضاً،

إنما تفعل مثل من يحرم على الأعضاء أن تستفرغ فضلاتها الوبيلة ، ومثل من يحرم على الكائن الذي هو دون الانسان أن يصفق بجناحيه أو أن يلعن الأرض ويعاقبها ضاربا لها بقدميه أو يلحق جراحه ، أو يحرك ذيله ، أو يراقص ابناؤه وآلامه ومسراته ، أو أن يعوي أو ينعق أو ينبع أو ينهق أو يطن سرورا أو كآبة ، خوفا أو مرحا ، مصافحة ومسالمة أو مشاتمة ومدابرة . ان الكائنات التي هي دون الانسان حينما تفعل ذلك انما تستفرغ انفعالاتها . أن هذه هي لغتها حينما تتكلم أو تفكر أو تخاطب مشاتمة أو مخاصمة أو مصافحة .

ولكن كيف لم تعرف ، أي الزعامات والقيادات والحكومات والثورات والنبوات العربية ذلك ، أي أنها حينما تحرم على الانسان العربي أن يفكر كأنما تحرم على الكائن دون الانسان أن يفكر بأسلوبه هو ؟ هل يستطيع أي مجذ للرب أن يزعم أنهم يتكلمون أو يفكرون حين يتكلمون ويفكرون أكثر أو أعمق أو أصدق أو أذكى من أي طائر أو صرصار حين يئن أو يغني أو يغازل ويحاور أمثاله ومسرته واحزانه بلغاته المختلفة البلاغة والشاعرية والأسلوب ؟

هل يمكن أن تضل كل هذا الضلال فتذهب تحسب الانسان العربي حينما يتكلم أو يفكر أو ينقد أو يحاور ، أي حينما يبدو في صيغة من يفعل ذلك ، يعني أكثر أو أعمق أو أقوى أو أخطر مما يعنيه أي كائن دون الانسان ، حينما يعلن شكواه أو ألمه أو جوعه أو ضياعه أو تعب أو فرحه وحزنه أو حبه أو بغضه أو خوفه أو أمنه ، وراحته ، بالصوت أو بالحركة أو بالاهتزاز أو بأية صيغة من صيغ التعبير ؟ هل يمكن أن تعتقد أن تفكير الانسان العربي أعمق أو أكثر تفكيراً من غواء أو جوار أي كائن دون الإنسان ؟

هل ارادت أن تبالغ في تمجيد وتقويم الانسان العربي وفي تفسيرها وفهمها له حينما ذهبت تحاسبه وتعاقبه على ذلك أي على استفراغه الذي حسب وزعم كلاما وتفكيراً ونقدا ورفضاً ورؤية ؟ هل هابت أن تفهمه أو تتصوره كما هو فذهبت تعاقبه ظالمة له ليكون أكبر واعظم من نفسه ؟

هل رأت أن معاقبته تهبه مجدا أو تعلن له عن مجد وهي تريد أن تهبه هذا الجدد أو تعلن له عنه ؟

هل رأت أي الزعامات والقيادات والحكومات والثورات والنبوات العربية أن مما يهب الانسان العربي هذا المجد أو مما يعلن له عن هذا المجد أن يحسب استفراغه لتفاهاته أو لضياعه أو لمجزه وخوفه أو لهزائمه وتخلفه أو لآلامه واحزانه ومهاناته وبلاداته - أن يحسب استفراغه لذلك بالتصويت كلاما وتفكيراً ونقدا ورفضاً وثورة

وتخطيطا رهيبا ، ثم أن يعاقب على هذا الحسبان ، لهذا نفذت هذا الحسبان ونفذت العقاب عليه لتصنع وتهب له هذا المجد أو لتعلن له عنه ؟

هل رأيت أن فهم الانسان العربي وتفسيره كما هو يتحولان الى تحقير وتهوين لا مثيل لهما فكذبت له شهامة وحبا ؟

هل هذه المعاقبة التي لا مثيل لوقاحتها ووحشيتها والتي ظل الاقوياء والطغاة العرب في كل التاريخ العربي ولا يزالون حتى اليوم يوقعونها على الانسان العربي عقابا وزجرا له على استغراغه لفضلاته النفسية البذيئة على استغراغه لها بالاصوات المزعومة كلاما وتفكيرنا ونقدا وثورة مخيفة .

نعم هل هذه المعاقبة التي يمارسها بهذا الاسلوب الوحشي الاقوياء والطفاة العرب هي مستوى نبيل وشهامة وحب بلا مثيل او شبيهه ؟

ليست القسوة في العقاب أو في المحاسبة والرؤية والتفسير أفضل من القسوة في التحقير ؟ الا يكون من التمجيد للصغير أو من محاولة التمجيد له أو من العطف عليه أن يعاقب بعقاب لا يعاقب به الا الكبير ، لحسانه أي لحسبان الصغير كبيرا أو للاقناع بأنه كبير ؟ الا يمكن أن يكون هذا رأيا وسلوكا معقولا وجيدا ؟ ليس أقسى اساليب التحقير لأي انسان الا يكون مستحقا لأي عقاب أو مؤاخذه والا يكون مخيفا أو تهديدا ؟

الا يحتمل أن يصبح العقاب غير المستحق تحت ظروف ونيات معينة نوعا جيدا من المحابة لمن عوقب هذا العقاب الذي لا يستحقه ؟

ليس عدوك الذي يعاقبك لانه يخافك أكثر تمجيда لك من عدوك الذي يضطك داخل جلده تهوينا واستهانة بك ؟

لقد ظلت جميع الزعامات والنبوات والحكومات والاديان والتعاليم العربية تعاقب الانسان العربي بكل الوحشية والهمجية لتمنعه من أن يستفرغ بالصراخ شحناته النفسية الرديئة التي من التقوى والنظافة والرحمة والضرورة ان يستفرغها زاعمة انه بهذا الاستفراغ الصوتي الفارغ المفرغ ، أنما يتكلم ويفكر ويحبر ويخطط ليكون خطرا وهولا ودمارا ونكرا . ليس محتوما الا تحاسبه أو تعاقبه على أي قول يقول لو أنها فهمته ولم ترد تمجيده وتكبيره ؟

نعم ، لقد ظلت في كل التاريخ ولا تزال تفعل ذلك بكل الوحشية والهمجية .. فهل كانت تمجده وتحابيه وتعطف عليه وتضع له صيغة أكبر من صيغته أم كانت تظلمه وتحقره وتوقع به ؟

او لعلها ظلت تفعل ذلك لأنها لم تكن تعرف أن التصويت شيء أقل من الكلام

والتفكير ، لهذا لم تكن تعرف أن الانسان العربي مصوت وليس متكلم ولا مفكر . ولكن الزعم أو الافتراض أو التظاهر بأن الانسان العربي قد يتكلم ويفكر ويخطط ويرفض ويستنكر ويصبح شيئا خطيرا مخيفا يتداوى منه بالعقاب القاسي ليس محتوما أن يتحول أي هذا الزعم أو الافتراض أو التظاهر إلى هباء لمن يفعله ولمن يفعل له ومن أجله وبه ؟

أي ليس محتوما أن يتحول إلى هباء لكل العرب قادة وحماهير ، دون أن يتحول إلى مجد أو إلى اقناع أو خداع بمجد أريد الاقناع أو الخداع به ؟

كيف يمكن التصور بأنه يمكن اقناع أحد أو خداعه بأن الانسان العربي قد يكون متكلماً أو مفكراً مخيفاً بتفكيره ؟ أن الامل بأن يخدع الآخرون بالانسان العربي لمجد يصعب ادعاؤه فكيف الامل في امتلاكه ؟ أن الماساة أن أحدا هنا لن يخدع ، بل لن يستطيع أن يخدع حتى ولو تحول الانخداع في حسابه واقتناعه إلى شهامة أو بطولة أو إلى تقوى اخلاقية وفكرية وانسانية . حتى ولو كانت جميع نبواته ومذاهبه واديانه وجميع شعاراته وتعاليمه الوطنية والقومية تفرض عليه أن يكون مخدوعاً هنا ..

الا يصبح الانخداع أحيانا مطلباً صعباً وحاجة لا يستطيع امتلاكها كالانخداع بأن الانسان العربي قد يتكلم أو يفكر ؟

الانسان العربي ، مهما كانت قيمته أو مكانته أو ثقافته أو عبقريته ، حينما يفعل ما يسميه ويزعمه كلاماً وتفكيراً بل ثورة فكرية بل ابداعاً حضارياً وانسانياً وعالمياً ، لن يمكن أن يفهم أو يفسر بعمق أو أدنى أو أقوى مما يمكن أن يفسر أو أن يفهم به الكائن الذي هو دون الانسان حينما يصفق بجناحيه أو يقدميه أو بخيله ، وحينما يعرض شفتيه واسنانه ويلتصق جلده وشعره ، أو حينما يشاتم وينابح جيرانه واخوانه واعداً واصدقاءه وكل من حوله ، أو حينما يخاطب ويمانتب الآلهة واحزانه وموانه وعجزه واستعباده وبلاذته وتفاهته ، بالأنين والصهيل والزئير والجثير والثغاء والرغاء . أن أي انسان متحضر لن يتصور في تصويت أي عربي ، أي نبي أو زعيم أو حاكم أو مفكر أو شاعر عربي من المنطق أو التفكير أو التدبير أو الرؤية للواقع والالتزام به أكثر أو أدنى مما في نقيق أو نعيب أي طائر أو حشرة .

نعم ، أن في تصويت الانسان العربي لافتضاحاً وهجاءً شاملين ، وإن في صمته لاستتاراً ووقاراً وراحة وتمجيذاً ومحابةً لكذاء ووقار وضمائر وأخلاق وأذان من قد يسمعون . أن الاعتداء على الآخرين يكون على آذانهم وعيونهم وعقولهم

ووقارهم بالبلادة والدمامة والسفه والسخف كما يكون على اجسامهم بالسلاح وبالأيدي وبكل الادوات الاخرى ..

ولكن ، أخلاقيا وانسانيا وموضوعيا وطبيعيا ، لا يجوز ولا يستطاع منعه من التصويت أو معاقبته عليه ، أي لا يجوز ولا يستطاع منعه من هذا الافتتاح الشامل ، ومن هذا الهجاء لنفسه بهذا الاسلوب العالمي ، ومن هذا العدوان على الآخرين باسماهم كل هذه النماذج ، بالالقاء بكل هذه النماذج من البلادات والبذاءات والسخافات في أذانهم وضماثرهم وعقولهم .

اليس قذف الاعضاء لفضلاتها البغيثة شيئا مؤذيا وريثا ومهينا ؟ ولكن هل يجوز أو يستطاع منعها من ان تلقي بهذه الفضلات باساليبها الوحشية الفاضحة ؟ إن الحكم على البشر بأعضائهم ووظائفها وفضلاتها وبكل اساليب الاستفراغ والقذف فيها الحكم عليهم بالا يكونوا طهارة أو نظافة أو عطورا أو مجدا جسميا أو نفسيا أو فكريا أو تكوينيا .

ان مجيء الانسان العربي اي مجيئه في الطور الذي جاء فيه يفرض حتما تقبله مصوتا ، وتقبله مصوتا يفرض حتما تقبله مستقرا لتفاهاته وبلاداته وشتائمته واحقاده وبدائياته ولكل ضعفه وفضائحه ، فوق كل الآذان والضمائر والاخلاق ، وفوق كل المذاهب والنظم والكتب المقدسة وغير المقدسة ، وفوق كل المنابر واللغات والمؤتمرات ، وفوق كل الصداقات والعداوات والعلاقات .. كل العزاء والاسى لكل منبر أو اذن أو خلق أو ضمير أو مذهب أو لغة أو قلم أو مؤتمر أو احتفال يستفرغ عليه الانسان العربي كل ما في جوفه ..

كما ان تقبل الحياة يفرض حتما تقبل الأجسام والاعضاء ، وتقبل الأجسام والاعضاء يفرض حتما تقبل اخلاقها ووظائفها ، وتقبل اخلاقها ووظائفها يفرض حتما تقبل اختزانها للفضلات الرديئة الكريهة واصابتها بالآلام والمجاعات والآفات ، وتقبل ذلك يفرض حتما تقبل استفراغها لفضلاتها ولعاهاتها وآفات باساليبها الوحشية الفاضحة . لقد فرض على البشر ان يكونوا كائنات مستفرغة بعقولها واخلاقها وعواطفها ولغاتها وبأعضائها واجسامها ، مستفرغة لاردا واكثر واقبح واوقع ما في هذا الكون مما يذل ويهين ويشوه ويحقّر ..

اذن تجلد ايها العالم ، وكن شهما في تقبلك للانسان العربي مصوتا ، في تقبلك له مستقرا عليك كل مستوياته الضعيفة والرديئة ، مطلقا لها عليك بأصواته ، حينما يذهب يحسبها اي يحسب اصواته ويزعمها كلاما وتفكيراً بل وعبقرية فكرية لا بد ان تصوغ العالم كل صياغاته العبقرية المرجوة المنتظرة التمتنا . انك تتقبل كل

ذلك بل وتغفره وتسعد به احيانا من الكائنات التي ليست لها صيغة الانسان فكيف
اذن لا تتقبله بل وتستقبله ممن لهم صيغة الانسان ؟

نعم ، تقبل ايها العالم من الانسان العربي ان يستفرغ كل فضلاته وبذائه
النفسية مصوتا بها عليك وعلى نفسه وعلى كل شيء ، بالمنطق وبالتسامح للذين
تقبلت بهما من اعضائه واعضائك ومن كل الاعضاء كل شحناتها التي تقبلت ان
تستفرغها على وجوه وكرامات وكبرياء كل الاشياء ، على كل كتبك المقدسة وكل
اديانك ونظلك ومذاهبك ، وكل طهارتك وتقواك ومعابدك .. التي تقبلت ان
تستفرغها على كل عيونك ووجوهك وحبك وجمالك .

اجل ، انه لا يجوز ولا يستطاع ، اخلاقيا وانسانيا وموضوعيا وطبيعيا ، ان
يمنع الانسان العربي من ان يصوت ممها كانت آثام ووقاحات وتقاهات تصويته .
ولكن يحوز بل يجب اخضاع تصويته للأساليب التهذيبية التي لا بد ان يخضع لها
كل شيء يستطاع اخضاعه لهذه الاساليب . انه لا شيء يحتاج الى الاخضاع
للأساليب التهذيبية دون اي اخضاع مثل التصويت العربي المزوم كلاما وتفكيراً
وابداعاً .

ان استفراغ اعضائه وكل الاعضاء مخضع لأساليب وصيغ اريد لها وبها ان تكون
مؤدبة ، او ان تكون اقل سوءا وقبحا وايداء واهانة لعيني الشمس ولكبرياء الاله
ولاعجاب الانسان بنفسه وباربائه وانبيائه وزعمائه وابائه وبعبقريته تكوينه الذاتي ..
هل يوجد ما يهين ويهجو عبقرية التكوين وكبرياءه ومجده مثل استفراغ الاعضاء ، مثل
كل اساليبها الاستفراغية ، بكل انواع ما تستفرغ ؟

اذن فاستفراغ فضلاته النفسية الوبيلة بالتصويت يجب ان يخضع مثل هذا
الاخضاع الذي فرض على استفراغ اعضائه . ليست كل عبقریات الانسان وتعاليمه
وآماله موجبة ومراد بها اخضاع ما كان وما سوف يكون وما لا بد ان يكون وما يراد
له ان يكون - اخضاعه لأساليب معينة ، مختارة ومرادة ، مهذبة أو مظنونة كذلك ؟

بل انه لمن أساليب مناصرة الاخلاق وایجاد الاسباب والظروف التي قد جعلها
أقل قبحا ان يؤذن للانسان العربي بأن يصوت بل ان يحرض على التصويت ويدعى
اليه والى الاكثار منه . ان ذلك يعني تحريضه على ان يطرح احقاده وعداواته
وبغضائه وتقاهاته ومزائمه ومجاعاته وأشوائه الى ايقاع الاهوال والالام والهجوم
والهزائم بالآخرين ، خارج نفسه . اليس الذي يشتم أو يسهف أو يذم بأساليب
هتوكة عدوانية هو انسانا يتخلص ويتداوى ويتنظف من شروره وعداواته ؟

أليس هذا يشبه تفريق الأسلحة وجميع أجهزة التدمير والقتل من ذخيرتها المعبأة الرهيبة؟ أليس أسلوبا من أساليب تطهر النفس والأخلاق والذات من الخبث والبغضاء والاحقاد والعداوات المحتبسة المحتشدة المتوثبة داخل الذات ؟

أليس يشبه تطهير البيوت وجميع الأماكن المسكونة والمطروقة من الجراثيم والحشرات ومن جميع الكائنات القتالة والمرضة والمؤذية ، واللقاء بها بعيدا لتموت أو قتلها أو تفريقها من قدرتها على القتل أو على الإيذاء والتخريب ؟

اجل ، أليست النفوس بيوتا تتخلق وتحتشد فيها أوقح وأخطر الجراثيم والحشرات ، وتحتاج الى التفريغ والتنظيف ؟ أليس ذلك يشبه تطهير الأعضاء من احتشاد الأمراض والآفات والعماء والادرن والانتساخ وكل أنواع التقيح فيها واللقاء بها في الفضاء البعيد ؟ أليس يشبه غسل الثياب والجلد والقلب والضمير ؟ أليس التصويت الوقح البليد هو أحد العقاقير الهمجية التي يتداوى بها الهمج والأطفال والنساء وجميع أنواع المتخلفين والعاجزين وغيرهم أحيانا من ذنوبهم وعجزهم وحيرتهم وآلامهم وعداوتهم واحزانهم النفسية والأخلاقية والتاريخية بل والدينية والمذهبية ؟ ان هذا التصويت هو أجود العقاقير للنبوات والقيادات العربية ..

كيف لو فرض ونفذ على نفس الإنسان العربي ان تحتزن كل أنواع القبح الأخلاقي والتاريخي والتعليمي والديني والنفسي ، بكل بغضه وحقه وعدوانيته وتعصبه ، وبكل ما فيه من موهبة العبادة للذات ، ومن شهوة التعذيب والتحقير للآخرين ، لكل الآخرين ، دون ان تستطيع أي نفس الإنسان العربي ان تستفرغ أي قدر من قبحها هذا بأي أسلوب من أساليب الاستفراغ ، بالتصويت أو بأي أسلوب آخر ؟ أليست نفس الإنسان العربي هي أوسع وأعظم مكان في هذا الكون تحتشد فيه أنواع القبح الأخلاقي والتعليمي والديني والتاريخي والنفسي والقومي ؟ أليس قبحها حينئذ لا بد أن يكون أشد إيذاء وعدوانا وقبحا وتوقحا وجنونا واحتشادا وتوثبا ، أي لو منع من الاستفراغ بكل أساليبه حتى الصوتية ؟

اذن أليس تصويت الإنسان المصوت أو الكائن المصوت تبديدا لدمامات ونذالات ووقاحات وهموم يجب تبديدها ، والقاء بها بعيدا خارج النفس ؟ أليس ذلك افن تقوى نفسية ودينية ومذهبية بل وتقوى وطنية وقومية ؟ ثم أليس السماح بذلك تقوى وأخلاقا حضارية وإنسانية ؟

انه أي تصويت الكائن المصوت ليس تبديدا لجمال أو لمحبة أو لعبقرية أو لشهامة أو لقوة أو لمسرات أو لأي شيء نفيس . ان الأشياء الجيدة والنفيسة والجميلة والقوية والنظيفة لا تستفرغ من النفس ولكن النفس تتعامل بها مع الأشياء

ومع ما حولها .. ان التصويت ليس اخذا من النفس ولكنه تخلص لها ..
انه اسلوب من اساليب الاغتسال من الداخل لكي يتحول الى تلويث للأفواه
والآذان والعيون والوجوه والثياب والجلود بل وللمنابر والحاريب والمعابد والآلهة
والانبياء والاديان والكتب المقدسة لانه باسمها ..
لعل اي وحش أو اي حيوان آخر لا بد أن يكون أكثر نذالة وحقدًا وبغضا وعداوة
ووحشية وعذابا لو انه منع من أن يزار أو يعوي أو يتأوه أو يتوعد أو يبارز ويقاثل
بالزئير والجئير ، اي بالاسلوب الذي به يزار ويعوي ويتأوه ويتوعد ويقاثل ويبارز
الانسان العربي ..

ان عواء الوحش أو اي حيوان آخر لا يضعف قوته ولكنه يفرغ أو يبدد من
وحشيته وحيوانيته . ان عواء الحيوان أو طنين أية حشرة يساري في تفاسيره
النفسية والاستفراغية ان يصرخ الانسان مصليا لآلهته أو شاتما أو مهددا أو متوقحا
أو مفاخرا ..

اجل ، ان الاعضاء ، اعضاء اي كائن حي لا تستفرغ الاشياء الجيدة والنافعة
والصحيحة والقوية والطبيعية ، وانما تستفرغ الاشياء الرديئة والضارة والمريضة
والشاذة والضعيفة والمستقذرة والمصابة بالتعفن والتقيح . انها لا تستفرغ دماءها
الحية القوية ولكنها تستفرغ فضلاتها المؤذية الكريهة ، بالاساليب والحوافز التي
يستفرغ بها الانسان العربي نبواته وتعاليمه وفنونه وافكاره وكتبه المقدسة . انها
فضلات يستفرغها زاعما انها قداسات وعبقریات .

وايضا فان العقول والضمائر والاخلاق لا تستفرغ ذكاءها أو صفاءها أو جمالها
أو حبها أو جودتها بل تتعامل وتحيا وتبدع وتستقبل بكل ذلك ، وانما تستفرغ
غباءها وغفها وخبثها ودماستها ورداءتها واحتقادها وبغضاءها ..

نعم ، ان اي انسان أو اي كائن آخر لن يستفرغ ذكاءه أو حبه أو طهارته أو
جماله باسلوب أو بنية التخلص منه كما يفعل بغبائه واحتقاده وبغضائه وخبثه
ودماسته وانما يحوله اي حبه وذكائه وطهارته وجماله الى حياة وتعامل مسعد مريح
نافع محسوب .. اذن فالانسان العربي حين يصوت لا يستفرغ عبقریات وقيما
انسانية لتتحول الى ضياع بل ويستفرغ فضلات قبيحة ..

سابعاً :

ولكن ما الصحيح أو الحق في هذه القضية ؟ هل الناس ينقسمون الى مصوتين
والى متكلمين ، والمتكلمون هم اولئك الموجودون هناك ، والمصوتون هم هؤلاء

الموجودون هنا ، واولئك المتكلمون لا يكونون الا متكلمين كما ان المصوتين لا يكونون الا مصوتين ، بل كما ان الالباء والامهات البيض لا يلدون الا لونهم وكما ان السود لا يلدون الا نفس اللون ، بل كما ان من يمشون على اربع لن يلدوا من يمشون على اثنتين الا بقدر ما يلد من يمشون على اثنتين من يمشون على اربع ؟

هل هذا هو الصحيح أو الحق أو المراد ؟ هل الانسان هو انسان دائم أو في كل شيء ؟ نعم ، الحيوان هو حيوان دائم أو في كل شيء ما دام في طور الحيوان . ولكن هل الانسان انسان في جميع ممارساته ونياته ؟

لعل الصحيح ان جميع الناس مصوتون ولا يستطيعون ان يكونوا الا مصوتين بالارادة أو بالطاقة أو بهما معا بالقدر الذي لا يستطيعون به ان يكونوا دائما مستويات وتعبيرات ونيات واخلاقا انسانية . ان اعظم انسان لا يستطيع ان يظل دائما مستوى انسان .

ثم بعد تقرير ومعرفة هذه الحقيقة البشرية العالمية الشاملة لا بد أن يستثنى منها افراد قليلون ، قليلون جدا . وهؤلاء الافراد القليلون الذين يعدون شذوذا وخرقا للقانون المطلق ، بل يعدون اتهاما لقانونية التناسل بل اتهاما لالتزام الطبيعة بقوانينها أو بأليتها ، بل اتهاما لكون الطبيعة محكومة بقوانين أو بألية يمكن فهمها وضبطها واستمرارها والثقة بها ، - نعم ، هؤلاء لا يوجدون في كل المجتمعات أو في كل الشعوب ، بل في القليل منها . وهل يوجدون في كل التاريخ ؟ وهم ايضا ليسوا في كل حالاتهم متكلمين بل انهم في كثير من حالاتهم أو في اكثرها ليسوا الا مصوتين . ان التكلم ليس دائما متكلمًا بل لا بد أن يكون في كثير من حالاته أو في اكثرها مصوتا . أما الصوت فانه لا يكون الا مصوتا ، لا يكون متكلمًا . ان القادر على الصعود لا يكون دائما صاعدا . اما العاجز عن الصعود فانه لا يكون الا هابطًا . ان القوي القادر قد يضرب بضعف وقد يمتنع عن الضرب . ولكن الضعيف العاجز لن يضرب بقوة في اي وقت او موقف لأنه لا يستطيع .

ان المجتمعات والشعوب التي تلد هؤلاء القليلين المتكلمين لهي بين الشعوب والمجتمعات الاخرى لقليلة كقلة الشعوب والمجتمعات التي تهب الحياة والحضارة قفزاتها واشواطها الجديدة المتخطية لما كان والدائمة في تخطيها وفي تفجراتها المبدعة المغيرة . .

وهي ايضا اي هذه المجتمعات والشعوب الواهبة لا تهبهم اي لا تهب هؤلاء المتكلمين القليلين الا بتقتير ، كأنها تخاف على حياتها من حبلا بهم وولادتها لهم باكثر مما تفعل ، أو كأنها تخاف من حبلا بهم ان تعجز عن ولادتهم أو عن ارضاعهم ،

أو عن حضانتهم وتربيتهم ، أو عن تحملهم واستقبالهم ، أو عن التفاهم معهم والتكلم بلغتهم - أو كأنها تخشى من حبلا بهم ومن ولادتها لهم أن يمتصوا منها كل طاقات الحياة فيها لقوة حياتهم - أو كأنها تخشى عليهم إذا جاءوا. ألا يجدوا بين ملايين قطعانها سكنا أو مأوى أو مكانا أو ترحيبا ، أو تخشى عليهم أن يصدموها حينما يواجهون ويعاملون جماهير الشعوب والمجتمعات التي يجيئون فيها واليها ، وحينما يفرض عليهم التعامل والتخاطب والتفاهم مع مستويات هذه الجماهير ...

ليس تعذيبا رهيبا للكائن المتكلم المفكر ان يفرض عليه التعامل والتخاطب والكينونة الدائمة مع البشر المصوتين ؟

أو كأنها تخشى على حياتهم حينما يجيئون اليها ليطلبوها بأن تخلق معهم الى سمواتهم ، وان تطير معهم فوق أجنحتهم بالسرعة والقوة والمسافات التي تستطيعها اجنحتهم ، وبان تعيش وتغامر وتقتحم معهم كل مغامراتهم واطارهم واقتحاماتهم ، وكل تحدياتهم وزنقاتهم ، وكل آلامهم ونشواتهم . . ليس المتفوق بين المتخلفين يواجه أحيانا من الخطر أكثر مما يواجه أي كائن بين اعدائه وأي ظالم بين مظلوميه ؟

أو كأنها كانت تحابى وتناقض نفسها وضعفها ، لانها كانت تعلم ان هؤلاء المتفوقين ، اذا جاءوا ، لا بد ان يتحولوا الى هباء وتحقير بل والى تعذيب وهزيمة لجميع مستوياتهم ومقدساتها ، ولجميع آباءها وأربابها وانبيائها وأديانها ومحاربيها ومنابرها ، ولكل مفاخراتها وطموحها وآمالها واستقرارها واسترخائها . . ليس مجيء المتفوقين الاقلين المتمردين المحاسبين الحاكمين للاشياء اسقاطا لمجد الارباب والآباء والانبياء وكل المقدسات في حساب الجماهير وكهانهم ؟ أليست معجزة أي آله أو نبي أو دين في أي مجتمع تساوي فقط فقدان المتفوقين في ذلك المجتمع ؟

أو كأنها أي هذه المجتمعات والشعوب ، في تقديرها حين تحبل بهؤلاء المتفوقين وحين تلدهم ، كانت تخشى ان تهين أو تحقر أغلب الشعوب والمجتمعات التي لا تستطيع ان تحبل بهم أو تلدهم أو تخلقهم أو حتى تستولدهم أو تستوردتهم أو تتمناهم أو حتى تتصورهم أو تنظر مجيئهم ، أو كانت تخشى أن تصنع وتعرض وتطلق غيرة وحسد هذه المجتمعات والشعوب ، أي لو أنها جاءت سخية في ولادتها لهم أي لهؤلاء القليلين المتكلمين المتفوقين ، ولم تجيء مقترنة كل هذا التقدير الذي تقتره . . لعل هذه المجتمعات قد فترت في خلقها للمتفوق مجاملة ورثاء للمجتمعات التي لا تخلق الا التخلف . لعلها فعلت ذلك رحمة وأدبا . .

لو قُسمت العبقريّة بعدلٍ لما قامت أيتها حضارة

نعم ، لعل أحد هذه التفاسير هو التفسير الذي جعل الشعوب أو المجتمعات التي تلد هؤلاء المتفوقين وكل أنواع المتفوقين ، لا تلد لهم الا بتقدير مثير . أو لعل كل هذه التفاسير هي التفسير لذلك ..

والمجتمعات التي تهب المتفوقين تقاسي دائما من التزامات نفسية وانسانية لا تقاسيها المجتمعات الاخرى .

ويوجد تفسير آخر مثير لظاهرة هذا التقدير في ولادة المتفوقين .. لعل المجتمعات التي تلد هؤلاء رات بذكاء مقصود ومدبر أو غير مقصود أو مدبر ، أنها في كل فترة من فترات كينونتها تملك مقادير معينة أو محتملة أو مستطاعة من العبقريّة ، ثم رات بذكاء آخر أنها لو قسمت هذه المقادير من العبقريّة على جميع آحادها أو على عدد اكبر من الذين اختارتهم لكانت النتيجة فاجعة . اذ ان هذه المقادير من العبقريّة الموزعة على اعداد اكبر لابد أن تتبدد وتضيع وتفقد قدرتها وطاقة عضلاتها في صحارى وفراغ فوات الاعداد الكبيرة ، في خمولهم وتبلدهم وتفاهاتهم وضياعهم ... اليس العبقريّة والتفوق عملية تجميع أو تركيز أو تكثيف أو احتشاد في ذات واحدة ؟

ليس كل شيء يتبدد ويضيع بتقسيمه أو توزيعه بأسلوب أوسع من الملائم والمحتمل ؟ حتى العبقريّة والذكاء ، اليسا يتبددان ويتلاشان لو وزعا بلا حساب ، أي لو وزعت عبقريّة أو ذكاء انسان واحد على اعداد كبيرة من الاغبياء والتافهين أو من العاديين ؟ اليس العبقري انسانا كأنما تجمعت فيه أو انتقلت اليه أو وهب معاني أو مواهب اعداد كثيرة من امثاله لكي يكون شيئا ضخما ؟

ليس محتملا أن يفقد حينئذ هذا الانسان عبقريته وذكاءه دون أن يصبح الآخرين الذين توزع عليهم انكفاء أو عباقة أي لو أن عبقريته وذكاءه وزعا على اعداد كبيرة من الاغبياء والتافهين أو حتى من الناس العاديين ؟

هذا الوجه الجميل الذي يصيد بجماله قلوب النجوم ، ويفسق بضماثر الازهار ويفسد العلاقات بين أي نبي ونبوته ، وبينه وبين كتابه المنزل ، ويعلم عيون الملائكة النظر الى الارض أكثر من النظر الى السماء ، ورؤية جمالها أي جمال الارض أبهى واقوى واطفى من جمال السماء ، من جال آلهة السماء ، ويهبها أي يهب الملائكة الرغبة في السكن تحت الارض أكثر واقوى من رغبتها في السكن فوق السماء مجاورة للآله .

— نعم ، هذا الوجه لو قسم جماله على وجوه كثيرة ليس محتوما ان تاكله هذه الوجوه الكثيرة وان يضيع جماله في آفاق دمامات وتشوهات واخطاء هذه الوجوه الكثيرة ان دمامات وتشوهات واخطاء هذه الوجوه الكثيرة لقادرة ان تسحب كل جمال وشهامة من كل وجوه كل الاشياء ومن وجه الآله وضميره فكيف بهذا الوجه الواحد ؟

ليس محتوما ان يضيع جمال هذا الوجه دون ان ينبت أي جمال في الوجوه التي قسم عليها ومات فيها ؟ ليس احتمالا أن جمال هذا الوجه قد تعتمد التجمع ليكون مرثيا وصاعقا لانه علم انه لو تفرق في وجوه كثيره لما رآه احد بل لما وجد لضياعه وتبدده في صحارى تلك الوجوه العديدة الأخرى ؟

وهذه الشمعة التي نقرا على ضوئها أكاذيب وتقاهات وبلادات واحزان وآلام واحقاد وخصومات آلهتنا وانبيائنا وآبائنا وسلاطينا وخلفائنا وابائنا ، والتي نكتب تحت ضوئها المهان ما لا نعرف أو نريد أو نحترم أو نجد ، خوفا أو بلاءة — نعم ، هذه الشمعة لو قسم ضوؤها على شموع كثيرة ، ليس محتوما حينئذ

الا نستطيع لا نحن ولا غيرنا قراءة أي شيء عليها ولا على غيرها من الشموع التي تقسمت عليها ، ولا كتابة أي شيء تحت ضوئها المعنى عليه ؟ مسكينة هي الشموع القديمة والاضواء الحديثة . كم اعتدى عليها وحقرت بالقراءة والكتابة تحت انينها المهان المفجوع ؟

اجل ، لعل هذه المجتمعات أو الشعوب قد رأت وعرفت هذه الحقيقة بذكاء قد يكون غير مدبر وغير مقصود ، فاضطرت مكرهة الى ان تخرج على العلل والضمير بتجميعها كل ما لديها من مقادير العبقرية في آحاد قليلين جدا ، لكي تكون عبقريتهم قوية خالقة واهبة حتى لمن حرموا منها أو لمن أخذ منهم نصيبهم من هذه العبقرية المجمعة بأسلوب ومنطق الحباية ..

ليس هذا التجميع أفضل وانفع حتى لمن سلبوا حقهم في العبقرية من التوزيع والتقسيم الذي لا بد ان يتحول الى تبديد أو تبدد لا بد ان يتحول الى ضياع ؟

نعم ، ليس تجميع العبقريّة أفضل من توزيعها وأنفع حتى إن حرموا منها بل حتى لمن سلبوا حقهم فيها ليحاسب به أي بحقهم في العبقريّة لتتجمع أي العبقريّة في أفراد قليلين ؟

ماذا لو كان البشر يختارون كينونتهم أو صيغة كينونتهم أي مع افتراضهم عقلاء وحكماء ومريدين الخير والتقدم والحضارة والرخاء للجميع بلا حقد أعمى قتال ؟ ليس محتوما حينئذ أن يختاروا تجمع المقادير المقسومة لهم من العبقريّة والتفوق في أفراد قليلين ليكونوا خلاقين وهايين ومغيّرين إلى الأفضل والأقوى والأنفع ، لتكون عضلاتهم العقلية والنفسية والأخلاقية ، أي عضلات هؤلاء الأفراد الاقلين ، قادرة على تحطيم حجارة وحدود وسدود وحواجز الطبيعة لصياغتها صياغة حضارية إنسانية - لتكون أي عضلات هؤلاء الاقلين ، عضلاتهم العقلية والنفسية والأخلاقية قادرة على إخراج الحياة والطبيعة وجميع الأشياء كما يريدونها ويخطط لها ويحتاج إليها ويفهمها الإنسان المتحضر ، لا كما تريدها وتخططها وتخرجها وتفرح بها وتفهمها وتنتصر عليها الآلهة البدوية الهمجية الصحراوية - بدل أن تتفرق أي مقادير العبقريّة المقسومة والمقدرة ، فتضيع وتتبدد وتصبح عاجزة عن أن تظهر أو أن تفعل أو تخلق وتبدع وتهب وتغير ؟ كم يمكن أن تكون المأساة والخسران الحضاري لو أن عبقريّة الأفراد الاقلين وزعت توزيعا عادلا متساويا على جميع أفراد مجتمعاتهم ؟ وكم كان محتوما أن تجيء حظوظ الحضارة جيدة جدا لو أن ما فرق على أفراد المجتمعات من ذكاء ومواهب مبددة ضائعة جمع في أفراد قليلين ؟

ماذا لو أن آلهة هذه الطبيعة قد صاغت بغضها وعداوتها وحربتها وتحطيمها للإنسان بأساليب أكثر ذكاء وإيلاما ؟ ليس محتوما حينئذ أن يكون من هذه الأساليب التي هي أكثر ذكاء وإيلاما أن توزع العبقريّة التي تجمعت في أحاد قليلين على أعداد أكثر لكي تتبدد وتضيع فلا تستطيع أن تتحول إلى قوة مؤثرة أو معطية أو مقتحمة أو منتصرة ؟ لقد كان شيئا جيدا أن آلهة الطبيعة لم تكن جيدة الذكاء أو التخطيط والتدبير في عداوتها للإنسان ولارادتها الإيقاع به .

لعل أفضل وأنفع عمليات التجميع والتكثيف وتكثيف المواهب والعبقریات لتكون أقدر وأجرا على القفز والتأثير والتجاوز . ولعل أردأ وأقبح عمليات التبديد أو التوزيع تبديد وتوزيع العبقريّات والمواهب أو تبديد وتوزيع طاقات الإبداع في عقل الإنسان وفي نفسه وأشواقه وطموحه ، أي تبديد أو توزيع المقادير المحسوبة والمعنية من ذلك على مجالات أوسع من احتمالاتها ، لتتلاشى وتضيع بل وتستهلك موتا فلا ترى أو تحس أو تستطيع أن تفعل . لعل أقبح وأظلم أساليب العدل والمساواة

هو تقسيم العبقريات المحددة على كل احاد المجتمع بالعدل والمساواة . ولعل اعدل وافضل اساليب المحابة والتفرقة هو تجميع ذلك في افراد قليلين ليكونوا خلاقين ، نعم ، ليس تجميع ذكاء آلاف العقول التي يملك كل عقل منها مقدارا ضئيلا من الذكاء ، في عقل واحد ليكون عبقريا خارقا خالقا هو اعدل واعظم واتقى تجميع ، كما ان توزيع عبقرية عقل واحد خارق خالق على آلاف العقول ليملك كل عقل منها قدرا ضئيلا لا يستطيع ان يتحول الى ابداع او الى عظمة هو اقبح واردا واضلم توزيع ؟ ليس ذلك كذلك لو كان من المستطاع فعله ، او لو ان احدا قد فعله ؟ ليس احتمالا جيدا جدا ان كثيرا من العبقريات والمواهب المختلفة قد ضاعت في الانسان وضاعت عليه لانها قد جاءت موزعة ولم تجيء مجمعة ؟ ليس احتمالا شريرا ان قدرا شريرا او خالقا شريرا قد وزع هذه العبقريات والمواهب بتدبير شرير ؟

ليست في ذوات اعداد كبيرة من البشر اجزاء او مقادير ضئيلة من المواهب والطاقات الانسانية لو انها تجمعت في ذات واحدة او في ذوات قليلة لتحولت الى عبقرية مكثفة تستطيع ان تصوغ الحياة والطبيعة صياغات عظمى ؟ ليست العبقريات الخلاقة هي فقط العبقريات المكثفة ؟ ليس اعظم وانفع تكثيف في هذا الكون او في هذا العالم هو تكثيف العبقريات الانسانية ؟ اذن ليست جميع الذوات البشرية التي تعيش فيها اجزاء او مقادير صغيرة من الذكاء والمواهب الانسانية المختلفة هي ذوات سارقة وقاتلة ، لانها قد سرقت وقتلت في داخلها طاقات موزعة لو انها تجمعت لتحولت الى شيء آخر ، الى شيء عظيم وكبير وفعال ؟ انها ذوات سارقة دون ان تنفقع بسرقتها او ينتفع بها سواها ، بل دون ان ترمد هذه السرقة او تعلم بها ، بل انها سارقة لما تضرها سرقتها ..

اذن لننظر ونحزن ، فقد تكون ذواتنا من هذه الذوات السارقة القاتلة .. من هذه الذوات التي تحولت الى مقابر لطاقات انسانية بعثرت ، فخدمت وعجزت وماتت او صممت ، لطاقات انسانية مبددة بلا منطق او تخطيط او حساب ، لو انها احتشدت في ذات واحدة او في ذوات قليلة لتحولت الى طاقة ابداعية هائلة . نعم ، لننظر ونحزن فقد تكون ذواتنا هي اقبح واوقع واغبي سارق في هذا العالم . قد نكون سارقي شظايا واشلاء عبقريات وعضلات عقلية .

اذن لتفتش في ذاتك ولتحاسبها وتقرأها حزينا مذعورا فقد تكون اي ذاتك ، اي ذاتي هي احدى هذه الذوات السارقة القاتلة « القبر » .

اخذ لاقتش أنا في ذاتي ، فلعلها سارقة لقدر من العبقرية ، لقدر من العبقرية ليكون تشويها فيها ..

ماذا لو أن البشر عرفوا ذلك ثم أستطاعوا بوسيلة جديدة خارقة أن يسحبوا أجزاء الطاقة الانسانية المفرقة والمبعثرة في ملايين الذوات البشرية ليحشدوها في ذوات قليلة لكي تصبح فعالة خلقة ؟

اليس محتوما أو محتملا جدا أن يقوموا حينئذ بعملية السحب هذه وبعملية الحشد هذه ؟ ليتهم يستطيعون ذلك ويفعلونه . الا يحتمل أن يستطيعوه في يوم آت ؟ هل يتاثمون حينئذ اخلاقيا أو حضاريا أو انسانيا من فعله ؟

اليس من الواجب الاخلاقي والانساني بل والمذهبي والوطني والقومي ان يفعلوه ؟ بل اليس من الرحمة والتكريم والعطاء لمن يسحبون منهم أن يفعلوا هذا السحب بهم ؟ اليس سحب عضلاتك التي لا تحميك لتضم الى عضلات تحميك وسحب بصرك الذي لا يهديك ليضم الى بصر يهديك ، شيئا جيدا لك ولغيرك ؟

هل وجود القدر الضئيل من الذكاء أو من الموهبة في الذات الانسانية يمكن ان يكون شيئا نافعا أو ممجدا لها أو للحياة أو الحضارة والتقدم ؟

اليس محتملا أن يكون وجود هذا القدر الضئيل ضارا ومفسدا ومحقرا ومورطا وموقعا في المخاطر والمشاكل والازمات والتفاهات والسخف ؟

الا يمكن أن يكون ذلك معوقا ومضللا ومشوها ومغريا بالورطات والاطعاء موقعا فيها ؟

اليس النافع والمطلوب والقوة أن تكون مقادير الذكاء والموهبة في الذات مقادير جيدة وقادرة على المواجهة وعلى الفهم والتعامل والتحدى بقوة وانتصار وتفوق والا فمن الخير الا يوجد منهما أي من الذكاء ولا من الموهبة أي شيء أو أي قدر في الذات، لتكون أي الذات أقل تشوها وتعقيدا وتوريطا وغرورا وأدعاء وعصيانا وجراة بلا قدرة وبلا تكافؤ مع الموقف ؟

اليس العطاء الذي هو أقيح وأكثر ابيذا وتوريطا من المنع ومن الحرمان الشامل هو فقط اعطاء الذكاء والموهبة بمقادير ضئيلة ؟ اليس النموذج المطلوب أن يكون الانسان عبقرجا جدا ليرى ويكتشف ويبدع ويقود ويخطط أو بسيطا جدا ليطيع ويتقبل وينفذ ويسير في الطريق بلا عجز أو منافسة حاقدة .

اخذ فسحب مقادير الذكاء أو الموهبة الضئيلة من الذوات الكثيرة لتجميعها في ذات واحدة أو في ذوات قليلة ليس شيئا جيدا ونافعاً فقط ، بل شيء واق من الشرور والآلام ومن العاهات العقلية والنفسية والاخلاقية ..

ان القدر الضئيل من الذكاء والموهبة شيء رهيب في قبحه وتدميره وتوريطه وتشويبه وبذاته . أنه قد يعلم العصيان والحقد والغرور والمنافسة والبغضاء ويقود الى ذلك ، دون أن يعلم شيئا أو يقود الى شيء ، أو يستطيع شيئا أو يعيش شيئا عظيما أو جيدا ..

ان ذلك يشبه قائدا في أضخم وأعتى معركة ، لا يملك الا قدرا ضئيلا جدا من معاني القائد ومن شروطه وتفسيره وقدرته . ان الشرط الدائم لكل قائد أن يكون كل معاني القائد أو ألا يكون قائدا ، أو ألا يكون فيه معنى من معاني القائد لئلا يصبح قائدا ..

ان النموذج المطلوب للقائد وللزعيم وللحاكم ولكل رجل مسؤول ان يكون شامل الذكاء حاده ، والا فالواجب أن يكون فاقدا لكل مستويات وفنون الذكاء الى المدى الذي يجعله يهاب أو يعجز أو يمنع أن يتخذ أو ينفذ أي قرار خطير أو كبير .

الى المدى الذي يمنعه من أن يصبح قائدا أو زعيما أو حاكما أو مسؤولا ..

كما أن النموذج المطلوب للانسان العادي في المجتمع أن يكون متكامل الذكاء والا فالأفضل أو الأقل سوءا وضررا أن يكون فاقدا لكل درجات الذكاء وعارفا معترفا بفقده هذا ، جاعلا من فقده هذا ومعرفته واعترافه به انسانا متواضعا مطيعا مؤدبا ، ليكون تابعا منفذا لاوامر الذكاء الشامل الحاد الموجهة اليه ، بالطاعة والتواضع والاخلاص والالتزام والدقة التي تتلقى وتنفذ بها الآلة الاوامر الموجهة اليها ، وايضا لكي يهاب أن يتعامل بعقله أو بذكائه أو بتدبيره أو بغروره تعامل يحوله الى تشوهات وورطات واخطاء وفضائح من كل نوع وبكل حجم .. ان النموذج الاعلى لاي مجتمع أن يكون الانسان فيه انسانا كاملا في طاقاته النفسية والفكرية والاخلاقية والتخطيطية أو آلة كاملة في طاعتها وحبها واخلاصها وايمانها ودقة تنفيذها .

ليس النموذج الاعلى والاعظم والمطلوب لاي مجتمع أن يكون جميع آحاده أذكاء ذكاء شاملا وحادا ومتكاملا متكافئا ، أو أن يكون قائده وزعماءه وحكامه ومعلموه وجميع مسؤوليه في أعلى معارج الذكاء والعبقرية والتكامل الانساني ، ان يتجمع فيهم كل مقادير الذكاء والعبقرية الموزعة بأسلوب البعثة والتبديد والتضييع على جماهيره أو التي يمكن ان توزع عليها كذلك ، محروسة ومحكومة اي مقادير الذكاء والعبقرية المتجمعة فيهم بعبقرية اخلاقية ، وتكون جماهيره افضل نماذج الطاعة والحب والتواضع والاخلاص والاحترام والتنفيذ والالتزام والدقة بل والآلية ولكن بلا هوان أو قهر أو اذلال أو استعباد ؟ أليس أسوأ وأخطر النماذج للبشر هو

الانسان الجزء ؟ اليس الانسان الآلة افضل من الانسان الجزء ؟ أليست الآلة أذكى وانفع من الانسان البليد ؟

اذن اليس اردا النماذج لاي مجتمع أن يكون معدولا عدلا شاملا وكاملا بين جميع أحاده في توزيع جميع ما فيه من طاقات الذكاء والعبقرية المقررة أو المحسوبة الموهوبة له أو المختبئة في احتمالاته لكي يجيء بعدا وارتفاعا وحجما واحدا ، بلا قمم ومنخفضات ، وبلا عمالقة وأقزام ، وبلا شمسوس وتوابع ، حتى ليشابه أو يتماثل جميع افراده فيما يخترنون ويحملون ويستطيعون ويساؤون من القيم الانسانية والبشرية مهما تفاوتوا جدا في درجاتهم الاجتماعية والمكانية ، وحتى ليزهوبون جميعا يحسبون ويزعمون انهم جميعا عمالقة وقمم وشمسوس كل ما حولها وكل ما هنا وهناك ليست سوى توابع لها تدور حولها ، لانهم لم يجدوا أو يروا أو يجربوا قمما شاهقة ترى وتبهر وترع ، لكي يحاسبوا ويقىسوا أنفسهم بها فيتواضعوا ويتأدبوا ويؤمنوا ويحبوا ويتبعوا باخلاص وفداء وانبهار واستمتاع ؟ ان مجتمعا ما يملك داخل حدوده قدرا من العبقرية التي جمعت في آحاد منه جميعا كثيفا لا بد أن يصبح أعظم وأفضل وأقوى من مجتمع آخر مساو له في العدد وفي جميع الظروف ، يملك قدرا أكبر من العبقرية ولكنها وزعت على جميع أحاده توزيعا عادلا أي توزيعا مبددا لها . أن أسرة أو جماعة فيها عبقرى واحد لأعظم من أسرة أو جماعة فيها مائة من ذوي المواهب المتوسطة أو دون المتوسطة ..

أجل ، أن اردا نماذج المجتمعات هو المجتمع الذي يعجز عن أن يلد العباقرة والمتفوقين ، عن أن يجمع طاقاته العقلية والابداعية والامتحامية في آحاد منه ، أو عن أن تتخلق فيه مثل هذه الطاقات التي تذهب وكأنها تتعمد وتدبر ذلك تدبيرا الى افراد قليلين لتتجمع فيهم كالمحاباة المدبرة النبيلة ، ثم يعجز أي المجتمع عن أن يتواضع أو يتهذب في فهمه وفي رؤيته وتفسيره لنفسه ، وفي تعبيره وحديثه عنها ؟ نعم ، أن اردا المجتمعات والاكوان هو المجتمع أو الكون الذي يلد الكثير من الاقمار والنجوم الخادمة الهامسة دون أن يلد أية شمس أو أي قمر تصلي له العيون البهورة ولعله محكوم على جميع المجتمعات التي لا يتخلق فيها العباقرة ولا المتفوقون ألا تكون متواضعة أو مهذبة أو متوقرة في فهمها ورؤيتها وتفسيرها لنفسها وفي تعبيرها وحديثها عنها ..

ان الوقاحة والغرور والبغضاء بحيل وتعويض دائم عن العبقرية والوهبة والقوة . أما المجتمعات التي تصنع العباقرة والموهوبين فلا بد أن تكون أكثر واصدق تواضعا وتهذيبا وتوقرا في فهمها لنفسها ، وفي رؤيتها وتفسيرها وعرضها لها ،

وفي احاديثها وتعبيراتها واعلانها عنها ، بل وفي تعاملها مع الآخرين ومعاملتها لهم وفي رؤيتها وتفسيرها وفهمها وتصورها لهم ، وفي تحدثها معهم وعنهم واليههم ومن اجلهم ، وفي احساسها بهم وباحتياجاتهم وحقوقهم وبظروفهم بل وبآلامهم ومشاكلهم ، بل وباعذارهم واسبابهم وبمنطقهم حين يخطئون او يجهلون او يمتدنون او يهبطون الى اعماق الحضيض بذكائهم او اخلاقهم او بعلاقاتهم ومعاملاتهم ولغاتهم وضمائرهم ونياتهم . ان المجتمعات العبقريّة تجد تفاسير لأخطاء الآخرين ولعيوبهم أكثر مما تجد التفاسير لأخطائها ولعيوبها هي ، وترى مزايا هؤلاء الآخرين وتمجدها وتعلن عنها أكثر مما تفعل لمزاياها هي .

ان العبقريّة والتفوق ليسا تعبيراً واحداً او صيغة واحدة ، ولكنهما كل الصيغ والتعابير . فالمجتمعات او الشعوب العبقريّة والمتفوقة اي التي يظهر فيها الأفراد للعباقرة والمتفوقين ليحولوها الى صياغات اقوى واذكى واعظم واكثر تحضراً وابداعاً لا بد ان تكون مجتمعات او شعوباً افضل وانبل ولتقى في جميع معاملاتها ومواقفها وعواطفها ورؤاها وتعبيراتها ، وفي حبها وبغضها وفي صداقتها وعداوتها وفي حربها وسلمها ، متعاملة مع نفسها ومع لصقاتها واعداؤها ومع كل احد . . انها في محاكماتها العقلية والاخلاقية والنفسية للاشياء لتقف مع الآخرين ضد نفسها اكثر مما تقف مع نفسها ضد الآخرين بل او ضد اعدائها .

اما المجتمعات والشعوب التي لا تهذب هؤلاء العباقرة والمتفوقين فلا بد ان تكون حضيضاً ونذالة في كل شيء . لا بد ان تكون عدواناً بذيئاً ووقاحات متفجرة في كل تفاسيرها وممانيتها ولغاتهم ونياتهم ، وفي كل علاقاتهم ومعاملاتهم مع كل احد وكل شيء . ان النذالة والوقاحة والبغض والحقد والبذاءة النفسية والاخلاقية واللغوية هي كل موهبتها ونضالها وحضارتها وتدينها . . ان هؤلاء بقدر ما يمجزون عن ولادة الافكار والفنون والحضارات والابداع يمجزون كذلك عن ان يحبوا او يصادقوا او يصدقوا او يحترموا او يعزلوا او يتواضعوا او يتأدبوا ويتهذبوا او يتوقروا او ان تصاب ضمائرهم او نياتهم او اخلاقهم بالنظافة او التقوى او التدين ، مهما غطاوا وثقلوا وزخرفوا منابرهم ومحاريبهم بالآلهة والانبياء والكتب المقدسة وبالصلوات والتعاليم المتوحشة في وعيدها وتهديدها وقسوتها ومطالباتها . . انهم بقدر ما يمجزون عن ولادة الذكاء والتفوق والقوة يذهبون يفرزون الخبث والسوء وكل انواع القبح النفسي والاخلاقي واللغوي .

والاخلاق والضمائر ، كما ينبغي ان يكون معلوماً جيداً ، ليست تعليماً او تهديداً اذ ايماننا بآله او بدين او بمذهب ، بل انها اي الاخلاق والضمائر المهذبة القوية

المتطهرة ليست حتى تربية أو ارادة أو نية أو تقوى ، وانما هي موهبة وطاقة ومستوى كينونة وذات ، مثل الذكاء والجمال وقوة العضلات . انها اي الاخلاق والضمائر لا تعلم ، وانما تعلم لغتها أو التعبير عنها والتوزيع لها وتحديد وتغيير اتجاهاتها واهدافها ..

ولكن ما التفسير للمجتمع الذي لا يتخلق فيه العباقرة والموهوبون ؟ هل تفسيره انه قد وزع عبقرياته ومواهبه توزيعا حولها الى تبديد وضياح ، ام تفسيره انه مجتمع مجذب لا يستطيع أن ينبت في صحرائه المحلة اي نبات قوي او جيد او جميل ؟ اليس البشر كالارض ، منها الخصب القوي ومنها المتحول الى خزانات هائلة لكل انواع المعادن الثمينة ، ومنها المحروم من هذا وهذا ومن كل شيء ، جيد ونافع ؟

اليس محترما لهذا أن جماهير المجتمعات التي لا تلد المتفوقين لا بد أن تكون في جميع مستوياتها اردا جدا من جماهير المجتمعات التي تلد هؤلاء المتفوقين ؟ اليس خروج النبتة أو الثمرة الجيدة والقوية والجميلة دليلا على جودة النوع والارض والبيئة ؟ ثم اليس العكس أيضا صحيحا ؟

البس نموذج المولود تعبيرا عن نماذج الاءاء وتفسيرها لها واعلانا عنها؟ اليس وجود العبقریات الآحادية في مجتمع ما دليلا على عبقرية النوع ، على عبقرية البيئة الذاتية ؟؟

اذن حينما نجد أو نتصور مجتمعا لا يلد الموهوبين يجب أن نعرف جميع مستويات جماهيره ، مستوياتهم العقلية والنفسية والاخلاقية بل والدينية والمذهبية . كذلك يجب أن نعرف جميع هذه المستويات لجماهير المجتمعات التي تلد هؤلاء الموهوبين . يجب أن نعرف نوع البيئة الذاتية للمجتمعات التي تلد المتفوقين وللمجتمعات التي لا تلدهم من مجرد ولادتهم ومن مجرد العجز عن ولادتهم ..

وحينئذ لن نستطيع جميع التعاليم والمواظ بل والاديان والمذاهب أن تفعل شيئا للصعود بالمستويات الاخلاقية أو النفسية أو الفكرية أو التهذيبية أو الدينية أو المذهبية لجماهير المجتمعات التي لا تصنع المتفوقين والموهوبين .. أما جماهير المجتمعات التي تهب هؤلاء الموهوبين والمتفوقين فان حرمانها من جميع التعاليم والمواظ والنبوات والتهديدات والمناظر ومن اغراءات وارجافات الكتب المقدسة ، لن يستطيع أن يهزم أو يضعف شيئا من طاقاتها الذاتية التي تتحول الى تعبيرات انسانية وحضارية متنوعة . ان طاقاتها الذاتية لن تضعف بحرمانها من جميع التعاليم الا اذا كانت اي هذه الطاقات انما صنعتها التعاليم .

بل ان جميع البشر لو تحولوا الى انبياء ومعلمين ليأمرؤا ويعلموا جماهير هذه المجتمعات ان تتنازل عن شيء من مستوياتها الاخلاقية أو النفسية أو الانسانية أو التهذيبية أو الدينية لما امكن أن تتنازل بل ولما استطاعت ان تتنازل حتى ولو هددوها بكل احوال جحيم الآلهة التي روى أوصافها وحدث عنها جميع انبياء البداوة ان لم تتنازل هذا التنازل المطلوب .. ان الوعظ لا يستطيع ان يسحب من المجتمعات اخلاقها الا بقدر ما يستطيع ان يسحب من الوجوه جمالها ..

وانه لمشهد دائم من مشاهد التاريخ الدائمة ان المجتمعات التي يتزاحم عليها الارباب والانبياء وجميع طواير الدعاة والمعلمين ، والتي تتزاحم مدنها وقراها وصحارها وجميع ميادينها وطرقها وبيوتها بالنابر والمحارِب وبزئير الآيات والاحاديث هي أضعف وأردأ المجتمعات اخلاقا وضماثِر ، بل وتديننا وابعدها عن الطهارة والصدق والحب وعن المجد وعن صفاء النفس وشموخها ..

انها لا بد ان تكون وان تظل ابعد المجتمعات عما توعظ به وعما تدعي اليه .. ان ابعد المجتمعات عن اخلاق السماء وعن طاعتها هي اكثر المجتمعات تحدثا عن السماء وولادة للمتحدثين عنها وعن آلهتها ..

ليس لأن هؤلاء يضعفون أو يفسدون اخلاقها وصفاءها الروحي والفكري والانساني . ليس لأن هؤلاء بتعاليمهم وأساطيرهم المتوحشة يهزمون فروسيتها النفسية أو الاخلاقية أو الفكرية أو الدينية أو الوطنية أو الحضارية مع ان المفروض والمتنظر ان يفعلوا ذلك ..

ليس لانهم يجيئون بعد ان قاسوا من فسادها فارادوا مداواتها من ادواتها . اي ليس لأنهم يجيئون احتجاجا وغضبا على ما جربوا ورأوا من هوان ووقاحة اخلاقها ..

ولكن لأنهم هم اي هؤلاء المتزاحمين عليها من الارباب والانبياء وأصناف الدعاة والمعلمين ليسوا سوى معنى من معاني ضعفها ووقاحة اخلاقها ونياتها . بل انهم هم أكبر وأقوى هذا الضعف وهذه الوقاحة الاخلاقية والنفسية في هذه المجتمعات والشعوب . ان هؤلاء الارباب والانبياء والدعاة ليسوا تعبيرا عن ضخامة التقوى أو النظافة أو الحب أو الجمال أو المعرفة بل عن ضخامة الضعف والعجز والحقذ والبداوة والقسوة . انهم يجيئون كما يجيئون وبما به يجيئون لأنهم وقحون وفضوليون ومعادون وحاقدون وصانعون للآلام والمتاعب والاحزان والمشاكل والاحتقادات والعداوات ، ولا يجيئون لانهم طيبون أو محبوبون أو أصدقاء أو عارفون لماذا يجيئون . انهم

يجيئون كالانتقام والفضب والبغضاء والعقاب ، ولا يجيئون كالحب أو الرحمة أو الصداقة أو الغفران أو التسامح .

ان مجيء هؤلاء الارباب والانبياء والدعاة والمعلمين بكل هذا التزامم والكثافة الى هذه المجتمعات لهو التعبير الشامل العنيف عن وقاحة ونذالة اخلاقها ومستوياتها . انه قد يكون احد التفاسير لمجيء هؤلاء بهذا التزامم والكثافة الى مجتمع من المجتمعات هو التفسير لكثرة تخلق الحشرات والقحط والمجاعات والابوثة في زمان او مكان ما . انه تعبير عن التخلف والعجز والفساد وعن فقدان النظافة والظروف الجيدة القوية . ان السماء لن تبث برسلا وتعاليمها الى المجتمع المتقدم القوي المتحضر السوي كذلك فان الطبيعة لن تخلق الحشرات والابوثة في البيئة النظيفة . ان اي نبي او معلم او زعيم او حتى كاتب او مفكر او شاعر او فنان يجيء الى هذه المجتمعات التي لا تصنع المتفوقين ، او يجيء منها ، لن يكون في جميع تفاسيره واحتمالاته ونياته الا حقدا أو بغضا أو ضياعا أو ألما أو سخفا أو عداوة أو بذاة أو وقاحة أو بلاذة تنتفجر منها عليها . .

انه يجيء كمرىض وكمرض ، ولا يجيء كطبيب أو كطب . انه انفجار لا تدبير ولا خطة ولا ارادة .

انه اي هذا للنبي أو المعلم أو الزعيم أو المفكر أو الشاعر أو الفنان الذي يخرج في مثل هذه المجتمعات ، ليعلم ويشرع ويهدي ويقود ويهدد ويغني ويصرخ - انه ليس الا عقابا تفرزه اخلاقها وموهبتها لتعاقب به حياتها ولتعاقب ايضا به اخلاق وعقول وضمانر جميع المتحضرين والانسانيين . . انه هو والد الخطيئة ومولودها وتفسيرها ، وليس هو المحتج عليها ولا مرسل المحتج عليها ولا مفسر الاحتجاج عليها . .

ان هذه المجتمعات تلد وتعطي انبياءها وزعماءها وشعراءها وفنانيتها ومفكرتها ومعلميتها بالحوافز والنيات والاخلاق والتقوى التي تلد وتعطي بها اجسادها امراضها وتشوهاتنا وآلامها واحزانها ، والتي بها تعطي وتلد نفوسها وعقولها واخلاقها ومضلاتها وكل وراثاتها وخصائصها التاريخية والعرقية احقادها وبغضاءها وعداوتها وببلاداتها وبدلواتها وذنوبها وعجزها وتخلفها وجميع صفائرها وبذاةاتها . نعم ، لها تلدهم وتعطيهم بالتفاسير والنيات والاخلاق التي يلد ويعطي بها الزمان والمكان الحشرات والمجاعات والابوثة والآفات الاخرى . .

انها لا تعطي ولكنها تفرز . انها تعاقب ، تعاقب بصيغتها لا بذكائها ولا بعظمتها . انها حالة وليست فكرة . لهذا فانها لا تستطيع ان تكون غير ما تكون . .

انه لمن المحتوم ان تكون اكثر المجتمعات خطايا وقبحا وتلوثا ونذالات ووقاحات واحقادا وعدوانا نفسيا واخلاقيا هي اكثرها آلهة ونبوات واديانا وتعاليم متوحشة محقرة معيرة متكبرة شاتمة - اي ومن المحتوم ايضا ان تكون اكثر المجتمعات آلهة وانبياء ومعلمين واديانا من هذا النوع المتوحش المحقر المعير المتكبر الشاتم هي اكثر المجتمعات خطايا وقبحا وتلوثا ونذالات ووقاحات واحقادا وعدوانا نفسيا واخلاقيا ، بل واكثرها كتابا ومفكرين وشعراء وفنانين وعازما من هذا الطراز الاليم البذيء الصغير العنواني الذي لا يعيش فيه اي مستوى او نوع من الحب او الصدقة او الصفاء او التهذيب او الكرامة او الشجاعة او التقوى الدينية او المذهبية او القومية او الوطنية او الاخلاقية او النفسية او الفكرية .. ليس صحيحا ان اعنف الناس اديانا ومذاهب واربابا هم اقل الناس تقوى دينية ومذهبية وانسانية ؟

ان الانبياء والمعلمين والمفكرين والفنانين والزعماء والشعراء الذين يتخلقون في هذه المجتمعات كما تتخلق العاهات في الاجساد التي تخلق العاهات ، ليسوا الا باصقي احقاد وعداوات وبغضاء وبذاءات وتفاهات وقبح وحسد وعجز وتخلف وآلام وهموم وشماتة وتعبير وشتائم وقبح بكل معانيه وانواعه . ايهما اعتدى على الآخر او صنع او دعا او اصاب الآخر : العاهات والامراض التي اصابت الاجسام ام الاجسام التي اصابت بالعاهات والامراض ؟ ايهما الداعي وايهما المستجيب ؟

انهم ليسوا الا باصقين لكل ذلك ، وليسوا الا مبصوقين لكل ذلك ومن كل ذلك . لقد بصقهم كل ذلك ثم ذهبوا يبصقون كل ذلك .. ايهما البادى بالبصق على الآخر : المجتمعات في بصقتها على انبيائها وزعمائها ام الانبياء والزعماء في بصقهم على مجتمعاتهم ؟

انهم ليسوا واهبي نبوات او تعاليم او فنون او افكار او شعر او اديان او محبة او صداقة او غيرة او تقوى او جمال وتهذيب ، مهما جاءوا في صيغة او لغة من يفعلون ذلك ..

انهم ليسوا نشيدا او غناء او سلاما او مصافحة ولكنهم نعيب وعواء وشماتة . ان هؤلاء الانبياء والمنقذين والغيرى والفدائيين الذين يجيئون الى مجتمعاتهم ويجيئون منها ليموتوا حبا وعطاء وفداء واحياء كما تموت الحقول والشموس والانهار والازهار ، كما تموت هذه لتكون حياة وضياء وجمالا ومجدا ومسرة ورخاء لمن تموت لهم .

نعم ، ان هؤلاء الانبياء المنقذين الفدائيين المحبين الغيرى ليسوا اكثر محبة او صداقة او عطاء او فداء لمن جاءوا من اجلهم ، ولا اكثر براءة او تهذيبا او صدقا او

رحمة أو جمالا نفسيا أو عقليا أو اخلاقيا من اللصوص والمقتلة والاعداء وجميع انواع الخربين . ان هؤلاء المنقذين يجيئون الى المجتمعات كما تجيء الامراض الى الاجسام التي تصاب بها . ان الامراض تعبير عن حالة الاجسام وعن استعدادها وموهبتها بقدر ما الاجسام تعبير عن حالة الامراض وعن قبحها وشراستها وقوتها . ان المجتمعات تنبت هؤلاء المنقذين بالاساليب والاخلاق التي بها تنبت الابدان الامراض والعاهات .

اجل ، فالمجتمعات التي تهب أو تلد العباقرة والمتفوقين هي اقل المجتمعات . . وهي في ولادتها لهم شحيحة ، شحيحة جدا محاسبة بمن تلد من الجماهير الاخرى . انه تقتير حزين في الوالدين والمولودين . انه لا نموذج لهذا التقتير في اخلاق الطبيعة .

وهؤلاء العباقرة والمتفوقون هل هم متكلمون دائما ، ام هم مصوتون في اكثر حالاتهم ولا يتحولون الى متكلمين الا قليلا جدا ؟ هل يستطيعون ان يكونوا متكلمين دائما ؟ هل يستطيعون ان يكونوا كذلك الا قليلا جدا ؟

هل العبقري أو المتفوق عبقري أو متفوق دائما ، هل هو الذي يفعل العبقرية أو التفوق دائما ولا يفعل ما ليس عبقرية أو تفوقا ابدا ، ام هو الذي يفعل ذلك احيانا قليلة جدا ؟ ليست ولادة العبقري للعبقرية نادرة مثل معايشته لها ومثل ولادة المجتمع العبقري للعباقرة ومثل ولادة المجتمعات للمجتمع العبقري ؟

ليس العبقري جدا هو الذي حينما يعيش العبقرية أو يصنعها أو يحبها ويتلاءم معها يبدو كأنه خارج على نفسه وشذوذ فيها وعدوان عليها وتعذيب لها ؟ ليس العبقري هو الذي يعيش كل وجوده مثل الناس العاديين سواء ، بكل ضعفهم وتفاهاتهم وصغائرهم وموهمهم الذاتية ، ولكنه احيانا قليلة جدا يفاجئ مجتمعه بل ونفسه بشيء لم يكن معروفا أو موجودا ليبدو مثل ساحر أو نبي يضع يده في فمه أو جيبه ليخرج منه شيئا لم يكن احد يتوقعه أو يعرفه ؟

ليست العبقرية شيئا لا يطيقه العبقري ولا يهواه ولا يسعد به أو يشعر بمجده وقيمه . الا اذا كانت هي اقل ممارساته لحياته وفي حياته ؟ ان العبقري لا يفعل عبقريته الا مرتحلا عن ذاته اي الا بأسلوب الارتحال عن الذات أو بأسلوب التحدي والتخطي لها . .

هل يستطيع اشجع الشجعان أو اعظم العظماء أو اذكى الانكباء أو اعظم المفكرين تفكيرا أو اكثر الجادين جدا - هل يستطيع احد من هؤلاء ان يكون كذلك ، اي ان يعيش ويمارس ويلتزم ويهوى موهبته أو مزيته أو تفوقه الا في اقل مواقفه ؟ ليس

المتفوق شخوذا في حياة المتفوق بقدر ما المتفوق شخوذ في المجتمع المتفوق بقدر ما المجتمع المتفوق شخوذ في المجتمعات غير المتفوقة ؟

هل يستطيع الاله أو النبي أو القديس أن يكون في كل اوقاته ومواقفه أو في أكثر اوقاته ومواقفه الها أو نبيا أو قديسا ، أو أن يكون سلوكه أو نياته أو أهواؤه أو أشواقه سلوك أو نبات أو أهواء أو أشواق اله أو نبي أو قديس في كل المواقف والاوقات أو في أكثرها ؟ اليس الاله جدا هو الذي يكون آلهة في اقل اوقاته ومواقفه ؟ بل هل استطاع أو يستطيع الاله أو النبي أن يكون الها أو نبيا في أي وقت أو موقف من اوقاته ومواقفه ؟

والتكلم أي الذي هو في طور التكلم بل في طور التكلم العبقري هل يستطيع أن يكون متكلمًا إلا في اقل حالاته ومواقفه ؟ اليس محتوما أن يتحول في أكثر حالاته ومواقفه ، بل وفي أكثر أشواقه ونياته ، إلى مستفرغ لذاته ، أي إلى مصوت كما تفعل جميع الكائنات المصوتة وكما يفعل البشر المصوتون الذين لم يبلغوا طور المتكلمين ، أي كما يفعل الآلهة والأنبياء والزعماء والشعراء والمفكرون العرب أي الذين يحسبون مفكرين من العرب ؟ اليس المتكلم لمفكر جدا يستطيع أن يعيش بلا كلام أو تفكير بمعناها الحضاري كل حياته أو بعض حياته أو دون تعبير عنهما تحت الظروف القاسية أو الملزمة أكثر مما يستطيع أن يعيش شيئا من حياته بلا استقرار لنفسه بالتصويت وغيره ؟

لنفسر الكلام بأنه تفكير وتخطيط • ولا بد أن يكون التفكير والتخطيط هما بعض تفاسير الكلام • فهل يستطيع إذن أي متكلم أن يكون متكلمًا إلا في حالات كأنه الشخوذ الحاد بل المرهق المخيف في حياته ؟ أين هو الذي يستطيع أو يريد أن يجعل التفكير والتخطيط مساحة واسعة في حياته ؟ أين هو الذي لا يضيع تفكيره وتخطيطه في عالم تصويته ؟

لنفترض أن الكلام هو أن نقول حين يجب أن نقول ، بالقدر وبالاسلوب اللذين بهما يجب أو ينبغي أن نقول ، بالنيات والحوافز التي يجب أن يقول بها من يقول ، للقوم الذين يجب أو ينبغي أن نقول لهم ، بالمنطق الذي لا بد أن يفهموه وأن يقنعهم به. ليست هذه شروطا وقيودا صعبة جدا أو مستحيلة التنفيذ ؟ ولكن ليست شروطا وقيودا لا بد منها أو لا بد من القول والتعليم بالتزامها ؟

أو لنفترض أنه أي الكلام هو أن نقول شيئا لا بد أن يهبط أو يهب من نقول لهم أو يهب الآلهة أو التاريخ أو الشمس أو البحار أو الانهار أو الحقول أو أي شيء في الطبيعة أو من الطبيعة مجدا أو قوة أو ذكاء أو جمالا أو رخاء أو كرامة أو شهامة

أو نظافة أو رفضا وكرها للنذالات أو للالوحال أو الهوان أو العيب والاكاذيب • ان الكلام لا يمكن أن يكون بدون افتراض شروط وقيود عليه ••

حينئذ هل يستطيع المتكلم ان يكون متكلماً أو متى يكون متكلماً أو يعد متكلماً اي اذا كانت هذه الشروط هي كل الشروط أو بعض الشروط التي يكون بها المتكلم متكلماً أو اذا كان بعضها شرطاً في ذلك ؟

الانسان الذي بلغ طور التكلم بل طور المتكلم العبقري محكوم عليه بكل الاحتياجات والضرورات والمجاعات والممارسات والانفعالات والعلاقات والآلام والآفات والانات ، وبكل المخاطر والمشاكل والمضايقات التي حكم بها على كل البشر المصوتين غير المتكلمين ، بل محكوم عليه بكل ذلك بأسلوب أعنف وأشمل وأقسى محاصرة والحاخا وتهديدا ••

فهل يستطيع الا يتعامل مع كل هذه الاشياء التي حكم عليه بها - الا يتعامل معها بكل ادوات التعامل الموضوعة في تكوينه ، بكل رغبته ورهبته ، وبكل حماسه وتطلعه واشواقه ولهفاته ، وبكل قوته وضعفه وظروفه ومواجهاته النفسية والاجتماعية والتاريخية والصحية ، وبكل لغاته وتعبيراته ونياته ، وبكل تجاربه وحساباته واملاءاته الذاتية والشخصية والدينية والمذهبية والقومية والوطنية والانسانية والاخلاقية • ان جميع الالهة والنبوات والعبقریات والقداصات لو تجمعت جميعا في ذاته لما استطاعت ان تجميه من التعامل مع كل ذلك بكل معاني الانهزام والالتزام والعجز عن المخالفة •

واذا تعامل مع كل ذلك بكل ذلك فهل يستطيع ان يكون متكلماً أو متى يكون متكلماً أو يعد متكلماً ، اذا كان التفكير والتخطيط هما بعض تفاسير الكلام ، واذا كانت الاشتراطات التي ذكرت وعددت في السطور التي سبقت هي بعض الاشتراطات على الكلام والمتكلم وبعض الاشتراطات لهما ؟

هل يستطيع أن يكون متكلماً بهذا التفسير للكلام الا انفلاتا وتلصصا ومخادعة للالتزام باحكام حياته عليه في تعامله مع نفسه ومجتمعه ومع اي شيء ، وفي ارادته لنفسه وخضوعه ورؤيته لها وفي احساسه بها ، وفي ارادته لمجتمعه او لاي شيء وارادته التلاؤم معه ومعايشته ، وفي مخاطبته ورؤيته له وكيونته فيه وفي احساسه به ••• ؟

نعم ، في كل ذلك أو في أي شيء منه هل يستطيع أن يكون متكلماً الا نادراً أو الا شفوذاً اي اذا فسر الكلام بالتفسير المذكور واشترطت فيه وله وعليه الاشتراطات السابقة ؟ لهذا فان أي مجتمع لا يطالب اعظم متكلميهِ ولا ينتظر منهم أن يكونوا

متكلمين الا نادرا وشغودا بل وخروجا • ولا يعجب او يذهل او ينكر اذا خرجوا على جميع تفاسير الكلام •

هل يستطيع اي متكلم بل اي مريض بالخوف من ألا يكون متكلماً وبالالتزام بان يكون متكلماً فقط - نعم ، هل يستطيع اي متكلم بهذه الشروط والالتزامات ان يكون متكلماً في آهاته أو أناته أو شكائاته ، أو في غضباته ولعناته ومخاصماته ، صيحاته وتهديداته ، بل أو في صلواته وتضرعاته ومناشداته وهتافاته ، أو في معاناته ومصافحاته وتحياته أو في صداقاته وحبه ؟ هل يستطيع ان يكون متكلماً في اي شيء من ذلك الا بقدر ما يستطيع الا يجوع او يمرض او يموت أو يخاف أو يحزن أو يغضب أو يكره الا بتخطيط فكري أو ديني أو مذهبي أو اخلاقي ؟

هل يستطيع أن يكون هذا المتكلم متكلماً في ممارسته لذلك الا بقدر ما يستطيع الا ان يكون متكلماً حينما يوجه صرخاته منذراً ومحرضاً وواعظاً الى أعضاء وشهوات ونيات ومجاعات وضرورات واهتمام ومخاوف وعقول البشر ، طالبا اليها ومنها بالوعد والوعيد أن تطيع شهواته وأنانيتك وكبرياءه واستعلاءه هو لا شهواتها ولا أنانيته وضعفها وعجزها هي - أو الا بقدر ما يستطيع ان يكون اي الاله متكلماً حينما يذهب يهتف في آذان وافواه جميع انبيائه وعلى صفحات جميع كتبه المنزلة ، مادحا نفسه بكل هذا اللزق المثير ، مادحا رحمته وعدله ونكاهه وسخاه واثاره وحبه وقربه ، مادحا كل ذلك فيه ومنه بكونه قاتلاً ممرضاً مشوها مذلاً مجيماً مفقراً مبكياً مخيفاً صانعاً للآلئام والارامل ، بكونه صانعاً نعشاً كلما وجد مهد ، وحافراً قبراً كلما صنعت حياة ورامياً بسهم كلما نبض قلب - مادحا نفسه بكونه يفضل بعضنا على بعض في الرزق والجمال والقوة والذكاء والانتصارات والهداية والاضلال وفي سائر الحظوظ والمواجهات والاقدار والكيفونات ••

رائع جدا ان يمدح الاله نفسه لانه يفعل بنا ولنا كل ذلك • وهل يمدح نفسه الا بذلك ؟ •• او الا بقدر ما استطاع اي الاله ان يصبح اذكى وانبع المتكلمين لانه الف أو تكلم أو انزل كتبه المقدسة ، مفسراً بها ذكاه ومنطقه واخلاقه وقوته ومجده وكل مزاياء واحتياجاته ومطالبه ، وكل اسراره النفسية والذاتية ، وكل همومه وخططه التي كانت والتي سوف تكون ، طالبا منا ان نفهمه ونعقله من هذا الذي قاله في كتبه المقدسة هذه ، وان نراه ونفتنح به - مما يقول في كتبه هذه - اعظم نموذج لاعظم اله ، لا يستطيع اي عقل أو خلق أو طموح أو تجربة أو احتياج أو موقف أو خيال أو أمل ان يقترح له أو فيه اي تصحيح أو تغيير أو تبديل أو تعديل ، في أية صيغة أو تفسير من صيغه وتفسيره النفسية أو الفكرية أو الخلقية أو الفنية أو

الشعرية ؟ هل تتصور العقول أو الاخلاق المتوقرة كائنات يستحق الرثاء والشفقة كالاله حينما يذهب بقباسي ويقاسي في امتداحه لنفسه ويطلق اضخم واسخى الوعود لمن يصدقونه في هذا المديح لنفسه ، وأشرس التهديدات لمن يشكون في ان يكون الاله مصابا بكل نزق الامتداح هذا للنفس ؟ كيف امكن ان يوجد خيال أو عقل بشري يتصور مثل هذا الاله ويتقبل نموجه هذا بل ويراه كل الجمال والذكاء .

ان كل البشر لا بد ان يكونوا مصوتين لا متكلمين ، حتى المتكلمون منهم القليلون جدا ، الذين يعدون شذوذا في مجتمعاتهم وتعد مجتمعاتهم شذوذا في المجتمعات - حتى هؤلاء لا بد ان يكونوا مصوتين ، وهم لا يستطيعون ان يكونوا متكلمين الاشذوذا اي كالشذوذ . نعم ، ان هذا هو الذي لا يستطيع ولا يحدث غيره . انه لو وجد من يستطيع الالتزام بأن يكون متكلما كلما تكلم لما وجد من يستطيع تقبله أو معاشيته أو التفاهم معه أو الغفران له .

هل أحد من البشر يحيا حياته ووجوده أو يتقبلهما أو تقبلهما بالتفكير أو بالتخطيط والتدبير والنطق أو بالاخلاق ؟

هل احد يمرض أو يجوع أو يحزن أو يشيخ أو يحب أو يحقد بالتفكير أو التخطيط أو النطق .

ان الناس لا يستطيعون ان يكونوا متكلمين حين يتحدثون أو يخطبون أو يكتبون أو يعلمون ، أو حينما يمارسون الكلمة بأي اسلوب ، الا بقدر ما يستطيعون ان يكونوا ملتزمين بالنطق أو الضمير أو التدبير أو بالاخلاق والنيات والحوافز النظيفة النقية الانسانية حين يحبون ويكرهون ، او يرضون ويغضبون ، او يعشقون ويتوالدون ، أو يختارون آباءهم وابناءهم ليكونوا آباءهم وابناءهم ، أو يتقبلون وجودهم وحياتهم بقدر ما فيهما من جمال وسعادة وذكاء وضخامة وعبقرية ومجد أو نفع للوجود ، أو يشيخون أو يموتون ، أو حين يحبون ابناءهم وآباءهم وانفسهم اكثر من حبهم لابناء أو لآباء الجيران أو من حبهم للآخرين ، الاعداء والاصدقاء ، الموافقين والمخالفين ، أو حين يهتفون ويصلون لآلهتهم وانبيائهم وزعمائهم ، ويطيعونهم ويؤمنون بهم ويصدقونهم ويرون جمالهم ومزاياهم ومعجزاتهم ونبواتهم وتقواهم وتفوقهم ، دون ان يروا شيئا من ذلك في آلهة وانبياء وزعماء الآخرين ، أو ان يفعلوا شيئا من ذلك لاولئك الآلهة والانبياء والزعماء الذين يملكهم الآخرون أو الذين يملكون الآخرين ، أو الذين يوجدون ويعيشون في عقول وافواه ومحاريب ومعابد واساطير الآخرين . ان الناس لا يستطيعون ان يكونوا متكلمين الا بقدر ما

يستطيعون الا يتقبلوا حياتهم ووجودهم والا يمارسوها الا بمقاييس دينية او منطقية او اخلاقية او مذهبية .

ان الكلام حساب ومنطق وقدرة ومعرفة والتزام وشروط صعبة قاسية . فكم هم الذين يستطيعون ذلك ؟ والذين يستطيعون ذلك كم يستطيعونه ومتى يستطيعونه ، ومتى يجدونه محسوبا ومنطقا ، ويرون الالتزام به ؟ بل متى يجدون انهم ليسوا ملزمين بالخروج عليه ؟ هل يوجد من لا يجد انه ملزم بالخروج على الكلام والمنطق والاخلاق في كل موقف يطالب فيه بان يكون ملتزما بما يخرج عليه ؟

متى يوجد من يستطيع الا يرى أو يسمع أو يريد أو يفكر أو يعامل أو يواجه أو يخاطب أو يشعر الا حين يجب أو ينبغي ان يفعل ذلك ، بالاساليب وفي الاوقات التي يجب أو ينبغي ان يفعل بها وفيها ذلك ؟ أليس اقصى تعذيب وابعد محال ان يطالب أي كائن بالالتزام بهذا أو أن يحاول هو الالتزام به ؟ ولكن ليس جميع المعلمين يطالبون بهذا المحال ويزعمون التزامه ؟

اذن متى يوجد من يستطيع أن يكون متكلمًا ؟ والذي يستطيع ان يكون متكلمًا متى يكون متكلمًا ؟ أي متى يستطيع الا يقول شيئا الا حين يكون كلاما ؟ وإذا وجد أو لو وجد هذا المتكلم بكل شروطه ووصافه فمتى ياذن له أو يتقبل منه من حوله بان يكون متكلمًا ؟

ان معنى أن تكون متكلمًا أو أن يكون ما تقوله كلاما أي لا تصويتا أي لا استفراغا ذاتيا هو معنى الا ترى أو تسمع أو تريد أو تفكر أو تعامل وتواجه أو تخاطب أو تشعر أو تعمل أو تعلم أو تصلي أو تؤمن أو تقبل أو تهتف أو تحدد في المرأة أو في وجوه اطفالك أو في وجوه اعدائك الا حين يجب أو ينبغي ذلك ، بالاساليب والنيات والاقوات التي يجب أو ينبغي أن تفعل بها وفيها ذلك . انك تتعامل مع لسانك أو مع لغتك بالاسلوب الذي تتعامل به مع عينيك واذنيك وعلاقاتك وشهواتك . اذن متى تكون متكلمًا لا مستفراغا لذاتك ؟

ماذا لو ان الناس التزموا او الزموا الزاما منفذا بكل الدقة والصرامة بالا يروا او يسمعوا او يتعاملوا او يتواجهوا او يريدوا او يشعروا او يصفروا او يتخاطبوا او يتناصحوا او يتصافحوا او يتعادوا او يتشامتوا او يتلاقوا او يتجمعوا أو لا يذهبوا الى المعبد أو الى المهرجان ، أو الا يتضرعوا الى آلهتهم ويصلوا لها والا يهتفوا لزعمائهم وقادتهم ولتفاهاتهم واكاذيبهم ، والا يؤمنوا بهم أي بآلهتهم وانبيائهم وزعمائهم الا اذا عرفوا صدقهم والا يروا جمالهم ونظافتهم الا اذا حققوا في وجوههم وضمائرهم .

نعم ، ماذا لو أن للناس التزاموا أو الزموا الا يفعلوا كل ذلك أو شيئا منه الا حين يجب أو ينبغي أن يفعلوه ، بالاساليب والنيات والاقوات والتفاسير المنطقية التي يجب أو ينبغي أن يفعلوه بها وفيها ؟

اخذ ماذا لو ان الناس التزاموا أو الزموا الزاما منفذا صارما بالأا يقولوا شيئا الا حين يكونون متكلمين أي الا حين يكون ما يقولونه كلاما لا تصويتا أي لا استفراغا ؟ ماذا لو أن انسانا الزم والتزم بأن يكون انسانا دائما في كل تفاسيره وصيغه وتعبيراته ؟ ان اعظم متكلم لا يستطيع أن يكون متكلما كلما تكلم الا بقدر ما يستطيع أي انسان ان يكون انسانا دائما • أليس اعظم انسان هو الذي يستطيع أن يكون انسانا احيانا ؟

ان الانسان لا يستطيع أن يكون متكلما الا بقدر ما يستطيع أن يكون عبقريا ومنطقيا واخلاقيا وانسانيا ومحبرا ومخططا • وان من يستطيع أن يكون متكلما أو من يستطيع أن يتكلم لن يستطيع أن يلتزم بأن يكون قوله كلاما الا بقدر ما يستطيع العبقرى المنطقى الاخلاقى الانسانى المحبر المخطط ان يلتزم بأن يكون في كل سلوكه وعواطفه عبقريا اخلاقيا انسانيا محكوما بالتدبير والتخطيط أو الا بقدر ما يستطيع اعظم انسان أن يكون انسانا دائما •

اذن كم هم البشر الذين يستطيعون أن يكونوا متكلمين ؟ والذين يستطيعون ان يكونوا متكلمين كم يستطيعون أن يجعلوا كلامهم كلاما لا استفراغا ذاتيا أي لا تصويتا ؟

هنا يوجد افتراض يلح على ان يعرض نفسه ••

يقول هذا الافتراض : هل كان محتوما بل أو ممكنا أن يصمت جميع البشر والا يتكلموا أو يتعلموا أية لغة ، أي الا يقولوا أية كلمة أو الا يصوتوا اي صوت من اصواتهم هذه التي يسمونها أو يزعمونها كلاما ، لو انهم استطاعوا من بداية وجودهم أو بعد ذلك ان يبتكروا أو ان يجدوا وسيلة أو طريقة خارقة غير كلامية أو غير صوتية ، يستطيعون بها ان يتفاهموا ، وأن يأمرؤا وينهؤا ويعلموا بها كل ما يريدون تعليمه ، وكلما يريدون النهي عنه والامر به ، وأن يعبروا بها عن كل ما ينون ويريدون التعبير عنه - أي ان يفعلوا بها اي بهذه الوسيلة أو الطريقة الخارقة كل ما يفعلونه وكل ما اعتادوا ان يفعلوه وأن يبينوا عنه ويعلموه بالكلام ، أي بالكلام الذي هو كلام وليس تصويتا يؤدي ويعامل بالاسلوب والنية اللتين يؤدي ويعامل بهما الكلام •

نعم ، لو أن البشر من بدايتهم أو بعد بدايتهم خلقوا أو وجدوا مثل هذه الوسيلة أو الطريقة الخارقة المغنية عن الكلام وعن التصويت بكل اساليبيهما وصيغهما

وحوافزهما ، فهل كان ممكنا أو محتملا حينئذ أن يصمتوا عن كل كلام وعن كل
تصويت ؟ هل كان ممكنا أو محتملا ألا يخرعوا أية لغة ولا أي منبر ولا أية بلاغة أو
تعاليم ، أو ألا ينزلوا على انفسهم من السماء أي كتاب مقدس ، أو أن يلغوا وينسوا
ويرفضوا كل ذلك أي كل لغاتهم ومنابرهم وبلاغاتهم وتعاليمهم وكل كتبهم المقدسة
المنزلة ؟

بل هل كان ممكنا أو محتملا حينئذ أن تكون لغاتهم أو منابرهم أو كتبهم
المقدسة أو تعاليمهم أو استعمالهم لكل ذلك أو لأي شيء منه اقل أو أخفت صوتا أو
توترا أو بذاءة أو أكثر وقارا وتهذبا ؟ بل هل يمكن أن يكونوا اقل فرحا بذلك أو
تعويلا عليه أو حماسا له أو اقتناعا بمزاياه أو اقل مباهاة ومقاتلة به وتحذرا عنه ؟
لو أن أي انسان اعطى أو نال جميع ما يعطى وجميع ما ينال بالكلام ، أي جميع
ما يمكن وينتظر ويفترض أن يعطى وينال بالكلام ، أي اذا تكلم مطالبا أو مفسرا أو
مقنعا أو ناقدًا أو مهاجما أو حتى مهددا لاعنا مبارزا .

نعم ، لو أن انسانا ما أو أي انسان اعطى أو أخذ كل ذلك دون أن يتكلم بأي
اسلوب من اساليب الكلام أو التصويت ، فهل يحتمل أن يصمت أو أن يقل كلامه أو
تصويته ؟ بل هل يمكن حينئذ أن يسعد أو يسر بأي شيء ، أو يأخذه أو أن
يجد له أو فيه مجدا أو لذة أو قيمة ؟

هل يستطيع أو يتقبل أن يصمت أي انسان وضع امام خيارين : أن يأخذ كل
ما يطالب به وكل ما يحتاج اليه اذا هو صمت صمتا شاملا ، أي حيث لا يعني أن
يتكلم أو يصوت شيئا ولا يحتمل أن يحقق أي كلامه أو تصويته شيئا ، أو أن يأخذ
أو يكون بعض هذا الذي يطالب به ويحتاج اليه ، لا كل ذلك ، اذا هو تكلم وصوت ،
دون أن يعني كلامه وتصويته أي شيء غير أن يستفرغ به ذاته ؟ بل أن أي انسان
ليرى انه قد وقع في ورطة لا يعرف كيف الخلاص منها لو قيل له مع التنفيذ المحتوم
خذ كل شيء ، وليكن كل شيء كما تريد وتنادي ولكن مع الحكم عليك بالصمت ، أو
تكلم واصرخ وصوت كيف شئت ولكن لن تأخذ شيئا ولن يكون أي شيء كما تريد
وتنادي .

نعم أن الانسان ليرفض أن يأخذ أو أن يكون كل شيء ، أو كل ما يريد اذا كان ذلك
بأن يصمت صمتا شاملا ودائما ، لكي يأخذ أو يكون بعض الشيء أو بعض ما يريد ،
اذا كان ذلك يعني أن يصوت ويتكلم كلما اراد أن يفعل . بل لعله يرفض أن يأخذ
أي شيء أو يكون أي شيء كما يريد ويطلب اذا كان ذلك يعني الحكم بالصمت
والوقار عليه .

لعله يرفض أن تكون له الشمس محكوما عليه بالصمت الشامل الدائم ، ويتقبل أن يكون له القمر ، مأذونا له بأن يستفرغ ذاته بالكلام والتصويت استقراغا دائما وشاملا بكل الاساليب والتعبيرات . بل لعله يرفض أن تكون له الشمس والقمر صامتا ، ليختار أن يكون استقراغا دائما لذاته بالتصويت وغيره بلا شمس ولا قمر بل ولا نجيم خافت .

بل انه أي الانسان ليختار أن يكون نبيا كذابا مكفورا به ومحقرا ولكن مصوتا على أن يكون نبيا صادقا ومحترما ومتبوعا ، ولكن صامتا صمتا شاملا دائما مهذبا مؤدبا .

انه اذا أصبح نبيا أو لو أصبح نبيا ليختار أن يعصيه الناس وأن يعصوا الاله الذي جاء من اجله ومن أجل طاعته اذا كان ذلك يعني أن يصوت بكل الاساليب على أن يطيعوه ويطيعوا الهه دون أي عصيان أو معارضة اذا كان ذلك يعني أن يصمت دون أي تصويت . . ان أي نبي ليفضل أن يعصى صائحا مصوتا مهددا متوعدا لاعنا محقرا متهما على أن يطاع صامتا متوقرا مهذبا . وهل يستطيع أي نبي أن يكون متوقرا أو مهذبا ؟ أليس الصمت والوقار والتهذيب قتل وهزيمة لكل نبوة ؟

لهذا فان طاعة أي نبي والاستجابة لما يطالب به ولما يعلمه لن تقللا من تصويته واعداء وموعدا بالمحالات ، ومعلما لما لا يستطيع ولما لا يراد أو يفهم ، وشائما بما لا يستحق الشتم ، ومتهما بما ليس اتهاما ، أي بما ليس تهمة في أية محاسبة دينية أو اخلاقية أو عقلية أو انسانية بل أو طبيعية . وهل يستطيع أي نبي أن يكون غير شاتم ومتهم بما لا يستحق الشتم والاتهام أو غير واعد وموعدا بالمحالات أو غير معلم لما لا يراد ولا يفهم ولا يستطيع ؟

ان النبي أو الزعيم المعصى ليس محتوما أن يكون أكثر أو أعلى الانبياء أو الزعماء تسويता ، كما ان النبي أو الزعيم المطاع ليس محتوما أن يكون أقل أو أخفت تصويता من الانبياء أو الزعماء الذين ليسوا كذلك . ان اصوات الانبياء والزعماء الضاجة بالشكائهم والاتهامات والغضب والوعيد ليست محكومة أو مضبوطة قوة وضعفا بطاعتهم أو عصيانهم أو بأي واقع خارجي .

ماذا لو ان البشر اخترعوا جهازا يستطيع أن يقول كل ما يريدون قوله ، بأساليب أكثر اتقانا وتعبيرا وشمولا وتهذبا وتقوى وصحفا واقناعا وتأثيرا ، أي دون أن يحتاجوا هم الى استعمال أو تحريك افواههم ليعبروا عن شيء أو ليعلموا أو يقولوا شيئا ؟

هل يعني ذلك أن يصمتوا حينئذ أو أن يقللوا من الكلام والتصويت ، ويدعوا هذا الجهاز يقول عنهم جميع ما يريدون قوله ؟

لقد تصور البشر الاله متكلماً مصوتاً ، بل تصوروا جميع الآلهة متكلمة أي مصوتة ، أمرة ناهية موعدة واعدة معلمة صارخة أبداً . ان الآلهة في اقتناع المؤمنين بها تستطيع ان تعلم وتبلغ وتصنع وتقرض ما تريد تعليمه وتبليغه وصنعه وفرضه دون ان تقاسي من الكلام والتصويت . .

ولكنهم افترضوها وزعموها متكلمة أي مصوتة لانهم لا يستطيعون ان يفترضوا وجود أي كائن حي شاعر دون ان يفترضوه مصوتاً أي مستقرغاً لذاته بالاصوات . انهم يفترضون أو يتصرفون وكأن التصويت ليس من اجل شيء ولكنه من اجل نفسه . انه ليس رسالة لتعلم أو تبليغ أو تفسر شيئاً . .

انه لو لم يكن التصويت بكل بذائه ونزقه حاجة أو حالة وليس رسالة لما أمكن افتراض الاله متكلماً أو مصوتاً . .

انه أي التصويت هو النبي والنبوة والرسالة والتعاليم والآله والمرسل اليهم . انه هو النص والتفسير . انه النص الذي لا يطالب له بمعنى ولا يحتاج الى ان يكون له معنى ومع هذا يؤدي معناه بكل اللغات بدون ان تخالف في معناه لغة من اللغات .

ولكن كل هذا ماذا يعني ؟

انه يعني ان البشر جميعاً محكوم عليهم بأن يكونوا مصوتين ، حتى المتكلمون منهم لا بد ان يكونوا مصوتين ، وأنهم حينما يتكلمون انما يتكلمون بحوافز ونيات التصويت لا بنيات الكلام ولا بحوافزه . ان الصوت لا يصوت بنية التكلم ، ولكن التكلم قد يتكلم أو لا بد ان يتكلم بنية الصوت . .

ولهذا فانهم لا بد ان يتكلموا اي يصوتوا تحت كل الظروف المختلفة المتناقضة ، الموجبة والرافضة ، بل حتى حينما يكون الكلام اي التصويت لا يمكن ان يحقق أي مطلب أو احتياج من المطالب والاحتياجات التي يقع الكلام أو التصويت باسمها ومن اجل تحقيقها أي بحجة تحقيقها . بل لا بد ان يتكلموا أو يصوتوا حتى حينما يكون الكلام أو التصويت ضد ما يتكلمون أو يصوتون من اجله اي من اجل تحقيقه أو الحصول عليه ، وحينما يقول المنطق أن الصمت اذكى وأقدر على تحقيق ما يراد ويطلب . ولهذا فما أقل الذين يستشعرون المنطق أو يسائلونه أو يفكرون فيه بل أو يرون ذلك مطلوباً في أي موقف من مواقفهم حينما يذهبون يستقرغون انفسهم بالتصويت أو يسائلونه أو يفكرون فيه . .

واقوى وأدوم وأصل وأصدق وأعظم ممارسات الانسان واحتياجاته ومسرته بسل ومجاملاته ومداراته لنفسه وتفاسيره لها واعلانه عنها . ان كل حياة الانسان بكل تفاسيرها وصيغها ونياتها وقيمتها ليست سوى اساليب استقراعية مختلفة التعابير لتفقه التفاسير . . حتى العبقرية والحب والمسررات والافعال القوية ليست سوى اساليب استقراعية ولكن النتائج تختلف . .

ولعل منعه من ذلك اي من التصويت او من الكلام الذي يعنى به التصويت وتحريمه عليه ، اي لو حدث ذلك ، هو اقصى واشمل وانذل عقاب يعاقب به الانسان انه العقاب الذي لم يجرؤ اقصى معاقب على التفكير في جعله عقاباً منفذاً . . نعم ، لعل هذا العقاب لو وقع ليس اقل وحشية من ان يعاقب اي الانسان بمنعه من ان يستفرغ فضلات طعامه وشرابه وفضلات حبه !! اي الفضلات المتخلقة داخل جسمه من طعامه الذي اكله ومن شرابه الذي شربه ومن حبه الذي قاسى منه !!

ومع ان قسوة طغيان الطغاة وطغيان الاديان والتعاليم على الانسان لم يكن لها حدود او قيود او منطق او اخلاق توقف او تضبط او تحكم او تفسر بها فانها لم تستطع ان تتصاعد الى ان تحرم عليه التصويت اي الاستقراغ للفضلات والعفونات النفسية باسلوب التصويت تحت اية دعوى دينية او مذهبية او وطنية او غير ذلك . بل لقد كانت جميع الاديان وجميع حيل واجهزة الطغيان تتلصق الجماهير بتجريضها على التصويت ، وبابتكار الوسائل والاساليب التي تجعلها دائماً مصوتة ، معجبة بتصويتها ، بل متدنية ومباهية بتصويتها ، مستمعة لمن يصوتون لها باسمها محرضة لهم على ان يستمروا يصوتون بكل اساليب ولغات التحريض . .

وهل توجد أو وجدت طقوس أو عبادات ينتقرب بها الى الاديان والى الطغيان ، وتطالب بها الاديان والطغيان مثل تحول وتحويل جميع المعابد والاسواق الى أصوات؟ هل تفنن صانعو الاديان أو صانعو الطغيان في شيء مثل تفننهم في جعل التصويت عبادات وفنوناً تؤدي في كل الاوقات في كل مكان بكل اساليب الافتضاح والجنون ؟ هل وجد دين واحد أو طاغية واحد لم يجعل التصويت له أو باسمه أو بلغته أو باسلوبه أو معه أو ورائه ، ايماناً أو تقوى أو وطنية أو قومية أو مذهبية أو اخلاصاً أو وفاء أو مجداً أو فناً أو فداءً أو بطولة أو انتصاراً ، أو مقاومة للاعداء والابالسة ، ورفضاً لهم وانتصاراً عليهم وابطالاً لمكايدهم ومؤامراتهم ؟

هل وجد اله أو نبي أو طاغية لم يجعل التصويت سلاحاً عبقرياً خارقاً شعبياً يقاوم به كل الاعداء والمؤامرات والفساد ؟

انه لا يوجد في حياة الانسان جهاز استقراغ يساوي في قيمته وشموله وضخامته جهاز التصويت فيه . انه اي جهاز التصويت هو الجهاز الذي يستفرغ كل ذات ان الكلام أو التصويت الذي يجيء بنيات وبحوافز الاستقراغ للذات هو أشمل

الانسان « كل حواسه واحاسيسه وكل تصوراته ومعانيه ، بل يستفرغ كل الكون وكل مواجهاة الكون .. بل انه الجهاز الذي يستفرغ به كل الهته وانبيائه وزعمائه وقادته . وهل يستطيع تقبل هؤلاء لولا استقراغهم ؟

ان الانسان بجهاز التصويت فيه يستفرغ رؤاه واستماعاته وافكاره ، وجميع انفعالاته الجيدة والردية ، السارة والحزينة ، وكل تجاربه ومواجهاته ومقاساته . وبهذا الجهاز الصوتي يستفرغ الانسان ايضا جميع ادبيانه وعقائده ومذاهبه وتاريخه وحياته . ان كل قيمة لالهة الانسان ولانبيائه وادبيانه وعقائده وامجاد تاريخه انه يحولها الى اساليب استقراغية ، وانها ايضا تهبه مزيدا من هذه الاساليب الاستقراغية ..

ان عينيه اذا رأتنا ، واذنيه اذا سمعتنا ، وقلبه اذا خفق ، وضميره اذا ارتجف او ابتهج ، وفكره اذا تقبل او حاور او رفض او صدم او دحر ، وعقائده واقتناعاته اذا اهتزت او شأهت او افتضحت او هزمت ، ومشاعره اذا غنت او رقصت او حزنت او بكت ، وكرامته وكبرياءه اذا اهينتا او جرحتا ، وشجاعته واخلاقه اذا هزمت .

— نعم ، ان كل ذلك فيه في كل حالاته واطواره وتقلباته يحتاج الى ان يستفرغ اي الى جهاز يستفرغه . انه لا يستطيع ان يستفرغ نفسه ، ولا يستطيع كذلك ان يظل بدون استقراغ . حتى قدماه وزجلاه ووجهه وعلامات وجهه وشعرات راسه وجلده ، جيدة وردية ، مستريحة ومتعبة ، جميلة ودميمة ، محكوم عليها بالاستقراغ . ان العيون والاذان وغيرها من الحواس والاحاسيس لا تستطيع ان تستفرغ رؤاها او سماعها او شحنتها ومواجهاتها وتصادماتها الاخرى المتنوعة والدائمة . ولا تستطيع ان تظل بدون استقراغ . انها محتاج الى انقاذ .

اذن اين المنقذ ؟ اين جهاز الاستقراغ الشامل الجيد ؟

ان هذا الجهاز الاستقراغي هو المنقذ . فهل هو موجود ، وما هو ؟ انه موجود ، وانه لجهاز كاف كفى . انه يؤدي وظيفته الاستقراغية دائما وخير أداء . انه لا يصاب بالعجز او التوقف او الخلل او الكسل او بالعناد او التباطؤ في اي وقت ولا تحت اي ظرف او سبب .. انه جهاز لا مثيل له في نبلة ووفائه وشموله وصبره وسلوكه الفدائي وحضوره الدائم ..

انه ، لكي يؤدي وظيفته بكل النبيل والشهامة والقدرة والذكاء والفداء لا يحتاج الى تحريض أو تعليم ، الى ترغيب أو ترهيب . لا يحتاج ، لكي يفعل ذلك ، الى نبوات او زعامات او ادبيان او مذاهب او الى تواعد بالجهيم او وعد بالفردوس .

بل ان كل شيء ، كل وعد ووعد ، كل التعاليم والاديان والمذاهب والزعامات والنبوات ان كل ذلك لو جاء لينهاه ويجزه ويمنعه من ان يؤدي وظيفته بكل هذه القوة والبراعة والمثابرة والحماس والديمومة لما استطاع ان يفعل شيئا او ان يؤثر فيه أي تأثير نعم انه قد يؤدي وظيفته باسم التعاليم والمذاهب والزعامات والنبوات

وغيرها . ولكنه ايضا لا بد أن يؤديها بكل القوة والحماس والشمول بدون هذه التي قد يعمل تحت شعاراتها .

ان كل الكون وكل ذات الانسان لا بد أن يمر من جهاز التصويت فيه أي من جهاز الاستفراغ فيه بالتصويت تحت أي اسم أو شعار وبلا أي اسم أو شعار . . ان اخلاق واوصاف وممارسات عقولنا وضماثرنا وعيوننا واذاننا تتحول الى اخلاق واوصاف وممارسات لاصواتنا . .

انه لا يوجد شيء يستفرغ كل شيء ويمر منه كل شيء بأسلوب الاستفراغ ونيته غير صوت الانسان . . نعم ، كل الكون وكل شيء يستفرغه الانسان بصوته ويمرره منه أن اكبر واجمل شيء وكذا اصغر واقبح شيء لا بد أن يمر من ذات الانسان بصيغة صوت بنية استفراغية . .

ان جهاز التصويت في الانسان أو جهاز الاستفراغ فيه بالتصويت هو انفعـ وانبل جهاز عرفه الانسان وتعامل عليه وبه ، ولكنه مع ذلك هو اكثر الاجهزة الاستفراغية عفونة وبذاءة وفضحا . نعم ، هل توجد اية وقاحة أو نذالة أو حقارة أو بلادة أو تقاهة أو بذاءة لا يصوغها ويطلقها لسان الانسان على كل شيء ، وفوق كل شيء ، ومحقرا مهينا مشوها بها كل شيء ؟

ولكن لا . يجب ألا يظلم أو يتهم هذا الجهاز بما ليس ذنبه أو قبحه أو عاره . ان لسان الانسان أو تصويته ليس هو الذي يصنع العفونة أو البذاءة أو القبح أو النذالة أو الفضائح ، وليس هو الذي يصاب بذلك أو يتهم أو يحاسب به أو يسأل عنه أو عن أي شيء منه . حتى العشق والاستمتاع ليسا من حظوظه . انه أي لسان الانسان لا يعيش شيئا من ذلك ولا يستمتع بشيء منه . انه لا يهوى أو يريد شيئا مما يفعله . .

بل انه أي لسان الانسان أو تصويته ليس الا جهاز تمرير وتفرغ لذلك ومن ذلك . انه اذن جهاز تنظيف . يسحب العفونات والفضائح والنذالات والبذاءات من نفس الانسان ومن حضيضه ليلقي بها في الخلاء ، في الفراغ الرحب . .

ان لسان الانسان أو تصويته مظهر لذاته ولنفسه من وحوالهما وآلامهما المتجمعة المتسعة . انه فدائي عجيب في موهبته الفدائية . انه لا يأذن فقط بأن يكون ممرا لهذه الاحوال لكي تمر منه بعيدا عن اعماق الانسان ، بل انه يقاسي ويقاسي لكي يسحبها من نفس الانسان لينظفها منها ويخفف آلامها ومقاساتها . .

هل وجد أو يوجد شيء تقبل ان يكون اعظم منظف لاقبح واكثر العفونات دون ان تكون له اية متعة في عمله غير لسان الانسان ؟

ايهما اقرب الى القيم الدينية والاخلاقية والذهبية والانسانية : ان يكون هذا الامر أي جهاز التصويت في الانسان موجودا لكي يستفرغ ويسحب من نفس الانسان تقاهاته وبلاداته واحزانه ومخاوفه وآلامه وتوقعاته وتجاربه الاليمة ، وايضا

يستفرغ ويسحب من حضيض نفسه احقاده وبذاءاته ونذالاته وجميع فضائحه وصغائرته وتمنياته ونياته الرديئة الصغيرة - أم الا يكون هذا الجهاز الصوتي أو المر موجود لتبقى كل هذه الافات والذنوب مخزونة محصورة متراكمة في اماكنها المختلفة من ذات الانسان ، بكل قبحها ووحشيتها وتأججها ، لا تجد تفريجا أو تصريفا أو تخفيفا ؟

نعم ، ليست اصوات الانسان هي اعظم منقذ لنفسه من آلامها واوجالها ؟ ليست اعظم مفرغ لها من ذلك ؟

حينما تكون نفسك ونفوس من حولك مشحونة بالالام والاوحوال والتفاهات والبلادات والتشوهات وبكل الذنوب والصغائر ، ليس اللقاء بعضكم امام بعض بكل هذا الذي في نفوسكم حتى ولو تطايرت اشياء منه على وجوهكم او على ثيابكم او على اخلاقتكم وكراماتكم جميعا افضل او اقل سوءا او ذنبا او تعذيبا من ان تظلوا جميعا مختزنين لكل ما في انفسكم بلا اي تفريغ أو تصريف أو تخفيف ؟ ليس القذف بالاوحوال على الوجه والجلد والثياب انبل او اقل قبحا وتعذيبا وأهانة من اختزانها داخل الذات ؟

ليس اللقاء البشر بالفضلات المتكونة من الطعام الذي ياكلونه ومن الماء الذي يشربونه ، بعضهم امام بعض حتى ولو اصابهم جميعا اشياء من هذه الفضلات افضل او اقل سوءا وتعذيبا لهم من اختزان هذه الفضلات داخل ابدانهم اي اذا لم يكن هناك خيار ثالث او اذا لم يكن هناك بد من هذا او هذا ؟

ليس البشر في كل التاريخ يفعلون هذا اللقاء بهذه الفضلات ولا يزالون يفعلونه ، بعضهم امام بعض بل وفوق بعض ؟

انه لو كان ممكنا الا يخترع او يصنع الانسان شيئا مما اخترع وصنع وابدع لكان هناك شيء لا بد أن يخترعه ويصنعه ، ذلك هو التصويت . انه الاختراع الذي يستطيعه غير العاقرة والموهوبين ، بل الذي يستطيعه الاغبياء والعاجزون اكثر مما يستطيعه المتفوقون .

انه لو كان ممكنا او محتوما الا يبتكر الانسان حضاراته الضخمة والا يصنع شيئا من صناعاته والا يكون زارعا للارض ومستنبتا للبقول وأكلا لها ، والا يكون مؤمنا بالالهة والانبياء والاديان والمذاهب ، ومتعاديا متقاتلا متشائما متباغضا محتالا كذابا مستغلا غازيا سارقا ناهبا متوقحا باسمها وبحجة الدفاع عنها والايمان بها والحب لها وادخال السرور في قلوبها ، وملقيا بكل الذنوب والبذاءات والسفاهات والاوحوال والاكاذيب في عيونها اي عيون الالهة والانبياء والاديان وفي اذانها .

- نعم ، انه لو كان ممكنا او محتوما الا يعرف او يفعل الانسان شيئا من ذلك لما كان محتولا ألا يكون مصوتا . انه لمحتوم ان يكون الانسان مستفرغا لتفاهاته وبلاداته وهمومه ومسرته ولجميع انفعالاته الجيدة والرديئة بقدر ما هو محتوم انه

يكون مستفرغا للفضلات المتخلقة داخل جسمه من الطعام الذي اكل ومن الماء الذي شرب ، بالاسلوب الذي يستفرغ به هذه الفضلات ..

اذن فالعرب ليسوا هم وحدهم المصوتين ، بل كل البشر لا بد ان يكونوا مصوتين ، بل جميع الكائنات الحية الشاعرة المتألمة والمتلذذة ، الفرحة والمكتئبة ، المريدة والرافضة ، لا بد ان تكون مصوتة . بل كل شيء موجود لا بد ان يكون مصوتا ..
- نعم ، حتى الالهة والحشرات لا بد ان تكون مصوتة بالاساليب والنيات التي يصوت بها الزعيم العربي ..

ولكن الفروق في النوع والمقدار والاسلوب والنيات والمستوى .. كم هي عظيمة الفروق بين من يصوت مغنيا او راقصا او مصليا او محببا او مصافحا او معانقا بالالفاظ والكلمات ، او باكيا او ملعنا عن اساءه وعذابه وتمنياته وحبه وعن رؤاه او عن مشاكله وورطاته ، بأدب وتهذيب وصدق وصداقة ، وبين من يصوت شاتما محقرا مبغضا متوعدا مقاتلا مخاصما مفاخرنا هازئا متكبرا ، بكل الوقاحة والبذاءة والكذب والغرور والبغضاء - معتقدا وملعنا انه بذلك يصوغ الكون والحياة والحضارات ، ويعبد الالهة والانبياء والاباء ، ويصلي لهم ويصنع لهم المسرات والامجاد ، وانه ايضا بذلك يهزم ويقتل ويذل كل الاعداء والخصوم والابالسة !! اي مثلما يعتقد ويزعم الانبياء والزعماء والقادة والشعراء العرب حين يصوتون ويصوغون كل شيء باصواتهم ..
نعم ، كم هي عظيمة الفروق بين من يصوت هاتفا للحب والجمال والسلام والتسامح وهاتفا بذلك ، متمنيا له ، وبين من يصوت هاتفا للحقد والبغضاء والتعصب والعداوات ، وهاتفا بها ، متمنيا لها !!

عظيمة هي الفروق بين من يصوت مصليا لجمال وعطور زهرة جميلة معطرة ، وبين من يصوت مصليا لوحشية وكبرياء وانانية اله بدوي متوحش متكبر اناني ، يطالب بأن تركع له كل الهامات والقامات والعقول والضمائر والاخلاق ، متوعدا بالاجحيم وبكل الاهوال ، راشيا بالوعود ، باللذات البدوية القافهة المستحيلة ، في جنات يهين تصورهما كل معاني الجمال والذكاء والوقار والرصانة والاستحياء ..
في جنات يخجل كل فكر وكل جمال وكل مستوى فني واخلاقي ان تكون اي الجنات من تفكيره او تمنياته او حظوظه !!

عظيمة هي الفروق بين نبي او كاهن او شيخ يصوت هاتفا وداعيا ومادحا ومفسرا لاله الكنيب الرهيب الذي يتصوره ويتعلمه ويعلمه ويقرؤه ويقرأ عنه ومنه ، وبين شاعر انساني الفكر والاماني والتجارب والرؤى والالام ، يصوت مغنيا لحبه وطموحه وامانيه ولشروطه على التاريخ والحياة وعلى الانسان وايضا لشروطه للتاريخ وللحياة وللانسان ، انه يشترط على كل شيء ولكل شيء ..

اجل ، عظيمة هي الفروق بين الانبياء والكهان والشيخوخ وجميع الرعايا ، مصوتين بالالهة وبالاديان وبالجنة والنار ، ومصوتين لها ، وبين جميع الشعراء

والانسانيين ، مصوتين للانسان ، لحريته ولجده ولحبته و صداقته ولحياته ومستقبله ، بلا آلهة ولا ابالسة ولا زبانية من الملائكة وبلا جحيم وبلا أهوال أو تهديدات غيبية غير معقولة ولا مغفورة ولا محترمة ولا مهذبة ، بل وغير عاقلة . ان الفرق بين شاعر انساني وبين اي نبي أو شيخ أو كاهن أو واعظ بالجنة والنار ليس اقل من الفرق بين من يصافحك ويرثي لك ومن يشتك ويشتك بك .

انها لا تحتاج الى تدريس أو تعليم أو دعاية أو اعلان ، الفرق بين طائر يصوت بانشاد وتغريد ومحبة ، محييا الصباح أو السحاب أو المروج ، وهاتفا لها ، وبين ذبابة أو اية حشرة تصوت بأسلوب النعي ونياته ، مهددة الصحة والحياة والنظافة والجمال والكبرياء بكل ما تحمل من موت وعذاب ووقاحة وبذاءة وقذارة ، ومهددة كرامة الالهة أو كرامة الطبيعة بالاذلال والتشويه والتحقير - مهددة لكل ما يزعم عن ذكاء ورحمة وشرف ونظافة الالهة ، أو ما يزعم عن عظمة الكون وعن مجده وعن اي تفسير جميل أو ذكي له . . مهددة اما مجد الالهة واما مجد الطبيعة ، ومستقرعة على كبرياء الانسان وعلى شرف عينيه !

انها ايضا لا تحتاج الى تدريس أو تعليم أو دعاية أو اعلان ، اي الفرق بين قلب يصوت برهبانية انسانية ، خافقا احتجاجا على ألم أو ظلم أو قبح أو على تشويه أو بلادة أو حقارة أو على اي اسلوب من اساليب اليأس والعذاب والكينونات الدميمة أو الرديئة أو المشوهة ، أو خافقا راقصا هاتفا لاية صيغة جمال أو ذكاء أو نظام أو تهذيب أو محبة أو سعادة أو مسرة - وبين قلب مشحون بالسوء واللسوم والندالة ، يصوت قاذفا صارخا متفجرا بالاحقاد والبغضاء والشتاثم والبذاءات والتفاهات والبلادات ، ملقيا صارخا بها على كل شيء جميل أو ذكي أو نظيف أو كريم أو مهذب أو شريف ، بل واحيانا ملقيا وصارخا بها على كل شيء دميم وبليد وذليل وملوث ومهين ومتوقع . . ان القلوب والضماير اللثيمة لا تختار لطلقات لؤمها الاهداف الجيدة . . ان وقاحة الذباب لا تختار اجمل الوجوه أو اشمخ الانوف لتعاقبها بأدرانها وبكبريائه وعدوانه . . ان الفرق بين تصويت وتصويت ليست اقل من أضخم الفرق بين ذكاء وذكاء ، أو بين اخلاق واخلاق ، أو بين أضخم جمال وأضخم دمامة ، أو بين أعظم عبقرية وأعظم بلادة ، أو بين أشهر وأوسع حضارة وأشهر وأوسع بدواة ، أو بين أكبر انسان وأصغر انسان ، أو بين نبي عربي يقرأ كتابه المقدس وانسان اخر من نوع اخر يقرأ اناته واحزانه رثاء للاله الاتهم بهذا الكون وهذا الانسان ورثاء للانسان المتهم بهذا الاله وبمحاسبة هذا الاله . .

ان الفرق بين هذا وهذا هو التفسير للفرق بين تصويت وتصويت ، وهو التعبير عنه . هل كان يمكن ان توجد الفرق بين هذا وهذا لو لم توجد الفرق بين هذا وهذا ؟ هل يمكن ان تختلف الاصوات أو ان تختلف تفاسيرها ونياتها لو لم تختلف مزايا المصوتين ؟

غراباً ناعباً.. لاصقراً صامتاً

ان الانسان العربي لا يصوت بأي تفسير أو معنى من هذه التفسيرات والمعاني الإنسانية الجميلة الغنائية اللغة والضمير والفكرة والاخلاق والحوافز ..

حتى الصلاة والتضرع الى الاله ، انهما عند الانسان العربي ليسا انشادا أو حبا أو تعبدا بل سباب وحقد وعداوة .

انه اي الانسان العربي لا يصوت مصافحا أو معانقا أو مصادقا أو محبا أو محببا أو متمنيا أو ميتهما أو مواسيا أو مشفقا أو معالجا ، أو مغنيا هاتفا لجمال أو لذكاء أو لعدل أو لنظافة أو لكرامة أو لتفوق أو لعبقرية أو لاية مزية يراها أو يعلمها أو يحدث عنها أو يتصورها أو يتمناها أو يشتهاق اليها ، في نفسه أو في اصدقائه أو في اعدائه ، في الانسان أو في الطبيعة حتى موهبة التمني عند الانسان العربي ، انها لا تستطيع الاقتحام أو الاختراق أو الرؤية الجميلة أو الذكية أو النظيفة ..

كذلك لا يصوت ، رفضا أو احتجاجا أو غضبا أو اشمئزا أو بكاء أو ابناء أو استحياء ، لانه يواجه ويرى ويسمع ويعيش ويعايش ويتمنى ويصادق ويعشق كل الدمامات والعاهات والتشوهات والبلادات ، وكل العار والذنوب والصفائر والفضائح والهزائم ، هو وأهله وبنوه واباؤه وشعبه ووطنه وتاريخه وتعاليمه ومثله بل واربابه وانبيائه وكتبه المقدسة ...

انه اي الانسان العربي لا يصوت تحية أو مصافحة أو صلاة أو مغازلة لشيء جميل أو ذكي أو كريم أو نظيف ، أو متمنيا محبا له ، أو مشتاقا متطلعا اليه ، أو محرضا له على المجيء وعلى الانتصار والانتشار ..

كذلك لا يصوت مقاومة أو معاقبة أو ارهابا أو رفضا لشيء دميم أو بليد أو ظالم أو وقح أو حقير أو ملوث ، أو اشمئزا وخوفا منه ، أو بكاء وانفجaca توقعا لمجيئه ولانتصاره وانتشاره .. ولكن هل يعرف الانسان العربي الفرق بين الشيء الجميل أو الذكي أو الكريم أو النظيف وبين نقيضه ؟

انه لا يصوت لانه يحب أو يحترم أو يفهم أو يتقبل أو يعقل شيئاً ما ، ولانه يكره أو يرفض أو يحتقر نقيض ذلك الشيء ، ويعجز عن أن يفهمه أو يعقله ، فيغني لهذا محبياً وممجداً ومبائعاً ، ويغني ضد ذلك هاجراً وزاجراً ومقبحاً ..

وهل يستطيع أو يريد الانسان العربي أن يفهم أن الحياة أو الاخلاق أو الانسانية هي الشيء ، ونقيضه وان الشيء ، لا يساوي نقيضه ؟

انه لا يصوت انفجاءاً واستنقظاً وعذاباً وانيناً حين يسمع ويرى ويجد الانين والمعذبين والمستذلين والمقهورين والمستصرخين والشوهين وهو لا يستطيع انقاذهم ، وحين يواجه ويرى القاهرين والمعتدين والسفهاء والسخفاء والانذال والمتجبرين المغرورين وهو عاجز عن قهرهم أو اصلاحهم ..

انه لا يصوت رثاءً أو اشفاقاً أو استنكاراً أو اعجاباً أو اشمئزاً أو استقباحاً أو استحساناً أو شوقاً روحياً أو فكرياً .

انه لا يصوت مبتهلاً خافق الضمير والاخلاق ليهب السرور للقلوب الحزينة ، أو العزاء للقلوب المنجوعة الكليلة ، أو الابتسام والجمال للوجوه العابسة الدمية ، أو المحبة للقلوب الباحثة عن الحب التي لا تجد الحب ، أو الامل للاماني اليائسة ، أو الانتصاب للقامات المنحنية ، أو الارتفاع للهامات المطاطة ، أو القدرة على التحديق وعلى الرؤية للعيون الخائفة من التحديق والفاقة للرؤية العاجزة عنها ، أو النظافة والتقوى للاخلاق الفاقدة للنظافة والتقوى ، أو القوة للعضلات الضعيفة الواهنة ، أو الحركة للاعضاء المصابة بالسكون ، أو الفهم للعقول العاجزة عن الفهم الخائفة من الفهم ، أو التعويض والتفريج عن الالهة المهجورة . حتى الالهة ، ان الانسان العربي لا يصوت لكي يهبها العزاء أو السرور أو الامل أو ليخفف عنها من عذاب وحدتها وصمتها وهجرها ومن عذاب العصيان لها ..

انه اي الانسان العربي لا يصوت كطير بريء الضمير والاخلاق ملحق الاجنحة والنيات فوق كل حضيض ونذالة وبغضاء ، أو كشاعر يعيش بكل معانيه ولغاته وتحديقاته فوق النجوم ، حينما يصوت اي هذا الطير أو هذا الشاعر ، مغنيا مسماً منشداً اذنيه وكل اذان كل الاشياء ، مغنيا لطموحه أو لحبه أو لاماله أو لتحليقه أو لسروره أو لتطلعاته وتحديقاته الجميلة البريئة ، أو لامله وسلامه ، أو لحب ورخاء وسلام وصداقة واماني ومسرات كل الناس وكل الكون ، أو مصلياً هاتفاً لالهه الجميل المهذب المتواضع المسالم الرحيم العاجز عن ان يملك جنة أو ناراً يجن هو ويصيب بالجنون وعدا ووعيداً بهما ، والعاجز كذلك عن امتلاك زبانية أو ملائكة غلاظ شداد قساة لا يعصون أو يكرهون أو يرفضون أو يحتقرون طاغيتهم الرهيب الكئيب ، مهما طالبهم بالتدمير والتخريب وبالتمويت والقتل والتشويه والتعذيب والترويج وبكل ألوان الجنون والسفه والعدوان والوقاحات . كم هو قبيح وبذي تصور مثل هذا

الاله أو هذا الكائن الذي يملك مثل هذه الجنة أو مثل هذه النار ويملك مثل هذا الوعد والوعيد بهما ويملك مثل هؤلاء الملائكة الغلاظ الشداد ؟

ان الانسان العربي لا يصلي ولا يغني ولا ينشد ولا يهتف أو يصوت أو يناشد أو يخاطب أو يخطب أو يقرأ مهما فعل ذلك . انه في كل ذلك وفي كل حالاته ليس الا شاتما أو مخاصما أو متوقحا أو مهددا أو محقرا أو هازئا أو كاذبا أو معلنا عن حقده وبغضه وسفاهته وبذاته . انه لا يستطيع ان يكون مغردا أو مصليا أو معزيا مهما قال وحفظ وتلا القصائد ، ومهما شيد وملا المعابد ، ومهما اقام المآتم وتزاحم عليها وارسل برقيات التعزية .

حتى الصلاة وحتى قراءته لكتابه المقدس . انه لا يعني أو ينوي بذلك ان يصلي أو يقرأ كتابه المنزل ، وانما يعني وينوي بصلاته وقراءته ان يشاتم ويكره ويحقد ويعادي ويخاصم ويتحدى ويغيط . ان كل قيمة الصلوات والاديان والالهة والمذاهب عند الانسان العربي ان تتحول الى اصوات سابة متوقحة بذينة حاقدة مباهية عدوانية . .

وهو حينما يصوت هذا التصويت اي الذي لا يعني به الا هذه الشرور والنذالات لا يفهم من ذلك هذا الذي لا يعني أو ينوي سواء . وانما يعلن ويفهم انه بهذا انما يصوغ الكون والحياة ويهبهما كل المجد والجمال والذكاء ، ويبدع اضخم واشمل وأدوم الحضارات ، ويؤدب ويهزم ويرهب كل الاعداء والخصوم ، ويعلم ويهدي ويهذب كل الضالين والفسادين والمتوقحين والاشرار ، وانه ايضا بذلك انما يداوي ويشفي جميع الحشرات من حقاراتها وقذاراتها وصغائرها وهبوطها ، كما يداوي ويشفي جميع الالهة من همومها وهزائمها وبلاداتها وعبثها !! نعم ، انه لا يوجد من يحتاج الى ان يداوي من احزانه وهزائمه وتفاهاته واحقاده كالاله . وهل يوجد الداوي له ؟

ان الانسان العربي لا يصوت كطفل أو كطائر أو كمعذب يئن ويشكو ويحتج بل ولا كاعصار أو زلزال أو كوحش غاضب يتهيا للاقتراس والهجوم ، وانما يصوت كذبابة أو بعوضة أو كآية حشرة حاملة وناقلة وناقة للآذى والموت والسوم والجرائم والقذارات والغثيان والاشمئزاز والقبح والرعب البذيء . . ايها الانسان العربي ، ايها النبي والزعيم والفكر والشاعر العربي ، متى تنتقل بتصويتك من كينونة ذبابة وبعوضة الى كينونة عصفورة أو حتى الى كينونة دجاجة ؟

ليتك ايها الانسان العربي ، ايها النبي أو الزعيم أو الشاعر أو الفكر العربي . نعم ، ليتك حينما تصوت طفل أو طائر صادق بري يصوت مغنيا أو باكيا ، أو ليتك زلزال أو اعصار يصوت مدمرا وفاتكا بقوة وشجاعة وشهامة ونبل وصدق . . ليتك ايها النبي ، ايها العبقري العربي حين تصوت تكون اي صوت غير صوتك . ليتك تتعلم جمال التصويت وبرائه وتهذيبه وصدقه وحبه وشاعريته من الطيور والحشرات والزلزال والاعاصير .

ليتك حين تصوت وحش قوي رهيب يصوت مهاجما ضاربا قاهرا منتصرا بلا
نذالة أو بذاة أو وقاحة أو اكاذيب أو غرور أو ادعاء أو تهديد أو وعيد لا ينفذ أو يصحق
أو يخيف بل ولا يحترم كتهديد ووعد اربابك وانبيائك وزعمائك وشعرائك وخطبائك
وكل ابائك وابنائك في كل تاريخك وكل حاضرک . وهل اجرؤ على أن أقول : وفي كل
مستقبلک ؟ هل وجد من حقر التهديد والوعيد وسلبهما معناهما مثلك ايها الانسان
العربي ، ايها النبي أو الزعيم العربي ؟

حزني لك وعليك ، بل حزن كل الناس وكل الاشياء لك وعليك ومن أجلك ايها
الانسان العربي ، اذا كانت اضخم التمنيات لك أن تكون حين تصوت طفلا أو طائرا
أو زلزالا أو اعصارا أو وحشا . . اذا كانت اجمل واتقى التمنيات لك ان يكون انبيائك
وزعمائك وشعراؤك ومفكرؤك حين يصوتون اطفالا وطيورا وزلازل واعاصير ووحشا
حين تصوت !!

متى ايها الانسان العربي . . ايها النبي والزعيم والشاعر والواعظ والمفكر العربي
- نعم ، متى تصبح حين تصوت في صدق وبراءة الطائر أو الطفل حين يصوت
مفردا ، مغنيا أو باكيا أو راثيا أو مشتاقا أو محلقا متطلعا الى الافاق والنجوم ، أو
في قوة وفتك وشهامة وصدق الزلزال أو الاعصار حين يصوت مدمرا مغيرا فعلا ،
أو في شجاعة وكبرياء ووثبة وروعة وجمال الوحش ، حين يزار واثبا ضاربا منتصرا
قاهرا منفذا بلا وقاحة ولا نذالة ولا غرور ولا ادعاء وبلا تهديدات وبيانات وانذارات
كاذبة بذينة سخيفة محتقرة مسخور منها ؟ كيف تستطيع أو تقبل أية اذن أن تظل
حية أو سامعة ان كانت قد سمعت شيئا من انذاراتك وتهديداتك ايها النبي ،
ايها القائد ، ايها الشاعر العربي ؟

متى ايها النبي والزعيم والشاعر والمفكر والعالم العربي تفسر وتسمع اصواتك
كما تفسر وتسمع اصوات العصافير والدجاج ، لا كما تفسر وتسمع اصوات الذباب
والبعوض ؟ هل يستطيع مجد اصواتك أن يقفز من مجد اصوات ذباب وبعوض
وجراثيم الى مجد اصوات دجاج وعصافير وصفادع ؟

ان كل الناس محتاجون بل ومضطرون الى التخلص من شحناتهم وعفوناتهم
النفسية بالاصوات المختلفة ، وايضا بالحركات وبكل الوان التعبير الكثيرة .
ولكن كم يختلفون ذكاء وتهذيبا ووقارا وتحضرا وجمالا في النيات والاساليب
وفي أداء الاساليب التي يتخلصون بها من ذلك ؟ كم يتفاوت الناس في ادائهم
للوظيفه الواحدة أو العمل الواحد وفي تعبيرهم عن القضية أو النية الواحدة ؟ كم
يتفاوتون في التفاسير والاساليب ؟

ان اساليبهم في التخلص من الفضلات المتكونة داخل اجسامهم مما أكلوا
وشربوا ليست اكثر تفاوتا واختلافا في ذكائها ونظافتها واستقرارها وعلمايتها
واخلاقيتها وفي جمالها وقبحها من اساليبهم التي يتخلصون بها من هذه الشحنات أو
العفونات النفسية ، اي من اساليبهم الكلامية والصوتية والحركية وسائر اساليبهم

التعبيرية • ان اساليب التخلص من عفونات النفس والعقل والاخلاق بالتصويت وبغيره قد تكون اكثر وقاحة من كل اساليب التخلص من فضلات الطعام والشراب المختزنة في غرف الجسم الداخلية •

وكما ان تصويت العرب ليس تصويقا اي اقل من التصويت ، وانما تصويقتهم شتائم وبذاءات ونذالات واحقاد وبغضاء وتهديد وادعاء واكاذيب فكذلك ايضا فان شتائمهم وبذاءاتهم ونذالاتهم واحقادهم وبغضائهم وادعاءاتهم واكاذيبهم ليست في مستوى مثيلاتها عند الآخرين ، انها عند العرب اردا واصغر واكثر هبوطا في اساليبها وتفسيرها ونياتها •• كم يختلف الناس ويتفاوتون في اساليب ادائهم وممارستهم لوقاحتهم ودماثتهم وذنوبهم ؟ كم تتفاوت القباحات والوقاحات لتفاوت من يفعلونها ؟ ان الآخرين اذا مارسوا هذه الرذائل والشرور مارسوها بذكاء وعقلانية ، بل وعلمانية واخلاقية ، بل وشاعرية وغنية وحضارية • نعم ، حتى الرذائل والشرور لا يمارسها المتحضرون الا باساليب حضارية وعلمية وعقلية • نعم ، ان اقواما ليتحولون الى شعراء وفنانين في ممارستهم للرذائل والشرور وفي تعبيرهم عنها ••

حتى الخروج على الاخلاق واختراق الاخلاق انما يكونان عند المتحضرين باساليب اخلاقية بل وبنيات اخلاقية ، حتى الوقاحة لا بد ان تؤدي بهتذيب ! ما اعظم الفرق بين الوقاحة الوقحة والوقاحة المهذبة !! اما العرب فكم يجب الرثاء للكلمات واللغات ، وكم يجب الاعتذار اليها اذا كان محكوما عليها اي على الكلمات واللغات ان تفسرهم اي تفسر العرب في كل الاوقات والمواقف ، وتحت كل الظروف كما يجب تفسيرهم • ما اعظم عذاب وهوان اللغات والكلمات التي قد حكم عليها بان تفسر العرب كل تفسيرهم بكل الصديق والاعلانية كلما وجب تفسيرهم !

حتى اصواتهم اي اصوات العرب لا تستطيع ان تكون اصواتا ، انها اقل من الاصوات في كل معانيها وصيغها • وحتى شتائمهم وبذاءتهم ونذالاتهم وخصوماتهم وعداوتهم واحقادهم وادعاءاتهم وبغضائهم ودعاياتهم واكاذيبهم ، بل وحتى ايمانهم بالهتهم وصلواتهم وعباداتهم وتضرعاتهم لها ، وحتى قراءاتهم وتفسيرهم لنبواتهم ولكتبهم المقدسة •

نعم ، حتى هذه كلها عند العرب لا يوجد ما يساويها او يشبهها عند غيرهم في هبوطها الفكري والفني والنفسي والاخلاقي والانساني • ان ممارسات العرب لجميع الاشياء لا تتفاوت في هبوطها الفكري او الفني او النفسي او الاخلاقي او الانساني ••

هل يوجد غير العرب من يشتمون او يخاصمون او يدعون او يخاطبون او يخطبون او يجادلون او يدعون او يعلنون او ينزلون النبوات والاديان والكتب المقدسة ويقرؤونها ويفسرونها ويزعمون لها ويدعون لها واليها ويلزمون بها ، او من يصنعون الشعراء

والاشعار والمدائح وينشدونها ويحفظونها ويباهون كل العالمين بها ويمتلكون كل الامجاد بامتلاكها ، ويهزمون ويحلون كل المشاكل والمستحيات وكل الاعداء والخصوم والمنافسين بحفظها وانشادها والباهاة بها ، او من يعلنون ويعتقدون امتلاكهم وحدهم لكل مجد التاريخ ولكل ذكائه وتقواه وجماله وكرامته ولكل انتصاراته - ليس التحدث عن الشيء وادعاؤه بغرور مفضوح يساويان في حسابهم كينونة ذلك الشيء ، وامتلاكه وفعله - .

نعم ، هل وجد او هل يوجد غير العرب من يفعلون ويقولون ويعتقدون كل ذلك بلا اي قدر من الذكاء او الرؤية او الحكمة او الوقار او الصدق او التهذيب او التواضع ؟ هل يوجد من يفعلون كل الافتضاح بكل اساليب ودوي الافتضاح غير العرب ؟ هل يوجد عاشق للافتضاح وفاعل معان له وعنه مثل الانسان العربي ؟ هل يوجد كالعرب من يفعلون كل الضعف باساليب كانما ينوون بها الاعلان عن ضعفهم ؟ هل يوجد من يفعلون كل الضعف والغباء معتقدين وزاعمين انهم يفعلون كل القوة والذكاء والعبقرية كالعرب ؟

كل الناس يشتمون ويخاصمون ويباهون ويكذبون ويحاورون ويعلنون ويخاطبون ويخطبون ، اي ولو لحيانا ولكن بذكاء وذهاء وشاعرية وفنية وموهبة وبمحاسبة وحسابات صارمة - الا العرب . العرب لا يقبلون كما لا يستطيعون ان يكونوا فنانيين ولا شعراء ولا موهبين ولا متحضرين حتى ولا في فضائهم !! كل الناس يفتضحون ويتعرون باستتار ووقار وحياء الا العرب ، فان افتضاحهم وعريهم لم يبتكرا او يعرفا اي زي او لغة يستتران او يتحدثان بهما غير الافتضاح والعري . ان العرب لم يوهبوا الصدق والصراحة والشجاعة في شيء مثلما وهبوا في الافتضاح والتعري من الوقار والاستتار والصدق ..

كل الناس اي الذين هم في مستويات اعظم من مستويات العرب يعرفون انهم يصوتون حين يصوتون الا العرب ، لانهم لا يعرفون ان التصويت هو شيء غير الكلام وغير التفكير والعبقرية والابداع والخلق . كما لا يعرفون ان الانسان او الكائن يكون احيانا مصوتا فقط وحيانا متكلما ومفكرا ومبدعا وخالقا . وانه اي الانسان احيانا يصوت وحيانا يتكلم ويفكر ويبعد ويخلق لانه يريد ويستطيع ان يكون احيانا هذا وحيانا اخرى يريد ويستطيع ان يكون ذاك ..

انه يريد ويستطيع ويعرف اما العربي فلا يستطيع ولا يريد ولا يعرف .. وكذلك ايضا كل من هم في مستوى الانسان العربي ..

اجل ، يجب الصدق . انه قد يوجد للانسان العربي اشباه وامثال . اذن فليتعز الانسان العربي بهؤلاء الاشباه والامثال . انه اي الانسان العربي او مثيله في هذه القضية لا يريد ولا يستطيع ولا يعرف . اما في القضايا الاخرى فقد يريد ، ولكنه اي الانسان العربي في جميع القضايا لا يعرف ولا يستطيع اي مهما اراد .. انه لا يعرف انه حين يصوت لا يحول بتصويته البحار الى انهار عذبة ، ولا

يحول جسم الشمس الى مروج لتسمن بها وعليها خيوله الاصيلة التي غزا اباؤه وانبياءه على صهوات اباثها كل مجد وتاريخ وكبرياء الكفر والفسق والضلال والظلم والعصيان للعروبة . كما لا يعرف ايضا انه بتصويته لا يزرع الرحمة او الحب او الشهامة او الذكاء او العدل او المنطق او الحياء فوق جباه الالهة او في ضمائرهما ولا يهب الحياة والتاريخ كل خطوتها وقفزاتهما وحضاراتهما واديانها المقبلة ، ولا يصنع الحب بالتقوى وبالجمال والحب في كل ضمير وفكر وشهوة . ولكن هل يستطيع غيره ان يزرع بأية وسيلة شيئا من ذلك اي من الرحمة او الحب او الشهامة او الذكاء او الحياء او المنطق فوق جباه الالهة ؟

انه لا يعرف ان تصويته ليس هو الذي تحوله الملائكة الى اناشيد لتنشدها امام مجد الاله وامام جمال الطبيعة وامام تاريخ الانسان ، محببة ممجدة مبايعة مصلية مهنئة هاتفة . انه لا يعرف ان الملائكة لم تصغ او تتعلم من تصويته اي نشيد او تسبيح من اناشيدها وتسابيحها ..

وانه اي تصويته ليس هو النشيد الذي يصب جميع المسرات في اذني الاله ليتحول الى اضخم واوفى تعويض له اي الاله عن قسوة وشمول حرمانه وهجرانه وضياعه واحزانه ومجاعاته ووحدانيته الرهيبة الكثيبة .. وهل يستطيع احد سواه ان يصنع شيئا يمكن ان يصبح تعويضا للاله عن الام وخسائر كينونته ومواجهاته ؟

انه يعتقد انه بتصويته بل ببعض تصويته يهب ويفعل كل ذلك . بل ان كل ذلك هو بعض ما يهب ويفعل بعض تصويته . أليس اله الانسان العربي يقول للنبيء كن فيكون اي يصوت على الشيء فيكون ؟ وهل اله الانسان العربي الا نموذج الانسان العربي ؟

انه لا يعتقد ان اي شيء يستطيع ان يفعل او يهب ما يستطيع ان يفعله او يهبه تصويته ، بل بعض تصويته . انه بتصويته يصنع ما لا يمكن صنعه . ليس بتصويته يصنع فيما يعتقد الاله ، يصنع ويصوغ اخلاق الاله وارادته وكل افعاله ، لهذا يصوت له ؟

ان الآخرين حينما يصوتون لا يعتقدون او يشعرون بشيء من هذا المجد او القيمة او من هذه القدرة على العطاء ، لتصويتهم او في تصويتهم ..

انهم متواضعون جدا في تقديرهم لاصواتهم وفي رؤيتهم وتفسيرهم لها .. انهم يعرفون ذلك ويصوتون ويتعاملون باصواتهم محاكمين لها وحاكمين عليها بهذه المعرفة .

انهم اذن بلا امجاد صوتية . ان الامجاد الصوتية للعرب وحدهم بلا مشارك او منافس او مبارز . ولقد كان العالم سخيا وشهما واريحيا وعادلا حين سلم للعرب وحدهم كل مجد الاصوات . ان احدا من العالم المتحضر لم يجرو على الزعم ان له شيئا من هذا المجد العربي الخاص بهم .

اذن فالآخرون حينما يصوتون لا بد ان يصوتوا بتهذيب ووقار وتواضع وحياء وبشاعرية وفنية وانسانية وباقلال وبلا صراخ همجي ، لانهم يعرفون انهم يصوتون فقط ، ولانهم يعرفون تفاسير التصويت وقيمته وكيف يجب ان يكون ، ومتى يكون مفيدا ومؤثرا وجميلا وشاعريا وغنائيا وانسانيا ..

ان صراخ وهجاء وبكاء وسباب الانسان المتكلم لاذكى واجمل واعمق تفكيراً وتأثيراً واقناعاً من تفكير وصلاة ومغازلة وتحية الانسان المصوت .
ولا بد من التكرار هنا : انه قد يكون للعرب اشباه أو امثال في كل هذه التفاسير . ولعل هذا التكرار يكون مرعياً ومذكوراً في حساب كل من يقرؤون هذه الدراسة .

اما العرب ، لانهم يجهلون كل ذلك ، ولانهم يهبون تصويتهم كل هذه الامجاد والتفاسير والقوة والقيمة ، فلا بد ان يصوتوا بكل الكبرياء والنزق والافتضاح والفحش والبذاءة والتناول ، وبكل الهمجية والديمومة والصراخ والقبح . اليس للتصويت الذي يخلق ويصوغ ويهب كل شيء حتى اخلاق الالهة ومشاعرها وسلوكها يجب ان يكون كل الجنون والسفه والقبح والبلادة ؟

وهكذا فعلوا ويفعلون ولا بد ان يستمروا كذلك يفعلون حين يصوتون .. اي ما لم يولد فيهم من داخلهم انسان اخر اكبر جدا من الانسان الذي لقحه فيهم انبياءهم وخلفائهم وسلاطينهم وشعراؤهم وكل اسلافهم .

انه لن يوجد شيء يستطيع ان يؤدبهم او يعلمهم او يحضرهم او يعقلهم او يجعلهم يعرفون او يقتنعون ان التصويت ليس علاجاً لجميع الاشياء من كينوناتها واخلاقتها وخصائصها ، ومن جميع آلامها وامراضها وتشوهاتنا بل ومن ذواتها وذاتياتها ، ومن كل تفاسيرها - او يجعلهم يعرفون او يقتنعون ان التصويت ليس محتوماً ان يكون دائماً تفوقاً وانتصاراً على جميع الخصوم والاعداء والانداد ، في كل المواقف وتحت جميع الظروف والمواجهات . نعم ، انه لن يوجد شيء من خارجهم يستطيع ان يفعل لهم او بهم ذلك ..

انهم لا يريون ولا يستطيعون ان ينزلوا بالتصويت عن هذه المكانة ، اذ ماذا يمكن ان يكون لهم او يبقى لهم من المجد او القوة او التاريخ لو نزلوا به عنها ليضعوه في مكانه ؟

ان العربي كما يفضل ان يصوت دون ان يربح او يأخذ شيئاً على أن يصمت ويربح ويأخذ كل شيء ، فانه كذلك ليفضل ان يصوت بوقاحة وبذاءة ليكون منبوذاً مذموماً محتقراً مرفوضاً على أن يصوت بأدب وتهذيب وحياء ليكون مقبولاً محبوباً محترماً مقنناً بما يقول ويريد ويحاول - ويفضل ان يصوت بكبرياء وادعاء ليكون صغيراً وتافهاً على ان يصوت بتواضع ووقار ليكون كبيراً وعظيماً - ويفضل ان يزعم انه منتصر وقوي قهار ليكون مهزوماً ضعيفاً ذليلاً على الا يزعم لنفسه القوة والانتصار والجبروت والتفوق ليكون منتصراً وقوياً ومتفوقاً ، او على الا يكون منتصراً

ولا منهزما ، لا متفوقا ولا متفوقا عليه ، لا قويا غالبا ولا ضعيفا مغلوبا - ويفضل ان يشتم الشمس ويتهمها بكل الاظلام والبرودة وضآلة الحجم والمكان والشهرة ليكون محروما منها ومحجوبة عنه حجابا شاملا ودائما على ان يصمت عن ستمها واتهامها ليكون كل ضوئها واشراقها ومجدها وهواها ومجبتها وذهابها له وحده - ويفضل ان يزعم بصراح وجنون وسفه عظيم ان كل الناس وكل التاريخ رعايا واتباع وعبيد لابائه ولتاريخه ولاربابه وانبيائه وسلاطينه وخلفائه ليكون هو وكل ابائه وانبيائه واربابه وسلاطينه وخلفائه وكل تاريخه ومعابده واياته واحاديثه رعايا واتباعا وعبيدا لكل الناس ولكل التاريخ على ان يصمت عن هذه المزاعم ليكون واقعا وحقا ما زعم لتاريخه ولاربابه وانبيائه ولسلاطينه وخلفائه ، او على الا يكون هذا ولا هذا ، على الا يكون الها ولا عبدا . انه اي الانسان العربي ليرفض ان يكون كل المجد الصامت المذهب المتوقر ليختار ان يكون كل الهوان الصارخ الوقح الشاتم البذيء . انه ليشترى الوقاحة بكل شيء !!

ان الانسان العربي ليفضل ان يكون صوت سحابة مرعدا بكل الرعود المصوقة بكل الاصوات القبيحة اللبنيئة اللوقة النزقة ، دون ان يكون سحابة تحمل او تعطي اية قطرة مطر لتهب اليه حياة على ان يكون سحابة صامتا او مهذبة متواضعة ذكية متوقرة مستحيية في تصويتها وارعادها تحمل وتعطي كل المطر وكل الانهار والحياة والجمال وتصنع كل ذلك ، بكل الضخامة والقوة والابداع والسخاء . انه ليفضل ان يكون غرابا ناعبا على ان يكون صقرا صامتا . . . انه ليفضل ان يكون رعدا وقحا بلا سحابة على ان يكون سحابة مهذبة بلا رعد . . . انه اي الانسان العربي ليفضل ان يكون له اله زائف عاجز تافه بليد ليصوت باسمه وله مهينا شاتما محقرا متهما لكل الناس بحجة الاحترام والحب والطاعة له والدفاع عنه والايمان به على الا يكون له هذا الاله الزائف الرديء السفه ، او على ان يكون له اله مهذب ذكي كبير عاقل متحضر شهم متوقر نبيل يرفض الصراخ والسباب والاتهام والوقاحات والبذاءات والعدوان النفسي واللغوي والاخلاقي باسمه او من اجله ، او باسم اي شيء او من اجل اي شيء . ولكن ليست كل قيمة الاله ومزيته وشاعريته في ان يكون وقحا بذيثا فضاحا مفضوحا ؟ وهل يطاق الاله المذهب المتوقر الشهم الكريم او هل يطبق مثل هذا الاله نفسه ؟

ان الانسان العربي ليرفض ان يكون له زعيم او قائد يهبه كل ما في الطبيعة من احتمالات المجد والقوة والحياة والرخاء والانتصار ، لو كان اي الزعيم او القائد صامتا او مهذبا ، لا يستطيع او لا يريد ان يكون معاديا مخاصما مشاتما مبغضا مشنعا متهما محقرا بدعاوي دينية او مذهبية او وطنية او قومية او اخلاقية ، بكل الاساليب الاعلانية والمنبرية - لكي يختار اي الانسان العربي ان يكون له زعيم او قائد او نبي تتجمع كل وقاحات وبذاءات وعداوات وشتائم وفحش واحقاد وبغضاء كل المنابر والاديان والمذاهب والقوميات والوطنيات والتاريخ في فمه وضميره ونياته

وعقله واخلاقه ، صارخة بكل اللغات واللهجات والاصوات ، حتى ولو صنع ووهب له كل ما في الطبيعة والبشر والالهة وكل الاشياء من معاني واحتمالات الهوان والضعف والعار والهزائم والبؤس والموت . ولكن اليس من اقسى اساليب العدوان على كرامة الافتراض وعلى معانيه ان يفترض بان زعيما او قائدا او نبيا عربيا قد يكون صامتا او مهذبا او متوقرا ؟

انه اي الانسان العربي لو وضع في خيار بين الانتصار المذهب المتواضع الحيي الساكت عن الادعاء والغرور والمباهاة الضاجة الوقحة الهمجية المهينة ، وبين الهزيمة الضاجة بالشتائم والتهديدات وبكل لغات النقيق والطنين والتهيق والزئير - نعم ، انه لو وضع في خيار بين هذا النصر وهذا الهزيمة بكل هذه الاوصاف والشروط لهما ، لكان من البلادة التي لا يمكن غفرانها الشك في انه لا بد أن يختار هذه الهزيمة بشروطها واوصافها هذه الملائمة المرضية له جدا ، الملائمة المرضية المعجبة له في كل تاريخه ومستوياته ، بكل معانيه وتفسيره النفسية والعقلية والاخلاقية .. الدينية والمذهبية والانسانية ..

ان جميع زعماء العرب وانبيائهم وقادتهم في كل تاريخهم ومستوياتهم ومواقفهم ليختارون ان يهزموا ويرفضون ان ينتصروا اذا كانت الهزيمة تعني ان يضجروا بالادعاء والكبرياء والتهديد والشتائم والبيذات ، وكان الانتصار يعني ان يصمتوا ويتأدبوا ويتواضعوا .. ان العربي ليختار ان يكون عاريا زاعما انه لابس ويرفض ان يكون لابسا غير زاعم انه لابس كل الملابس ..

لقد آمن الانسان العربي بانبيائه ومعلميه وبخلفائه وسلطينيه وزعمائه وشعرائه باقتناع وحمية فيهما كل اوصاف التوحش والتعصب . لقد كانت اعظم امجاد وعبقريات الانسان العربي في كل تاريخه وحشية ايمانه بانبيائه وزعمائه وخلفائه وشعرائه وسلطينيه وجميع معلميه ودروايشه . ولكن لماذا آمن بهم هذا الايمان ؟ انه لم يؤمن بهم رؤية او فهما ، لمعجزاتهم او لعبقرياتهم او لما صنعوا واعطوا من حضارات او انتصار او رخاء او مجد او من حلول او علاج او من تفسير ذكي لاية مشكلة او ألم او عاهة او تشوه او عجز او حيرة او ورطة .. كذلك لم يؤمن بهم نبلا او تصدقا او حبا او صداقة او رثاء او مجاملة لهم ، او اشفاقا عليهم من الكفر بهم او من الرفض والهجر لهم أو مقاساتهم لمشاعر الهزيمة والوحدة والغربة والضياع لو لم يؤمن بهم ، مع انه قد يكون الاشفاق والرثاء والرحمة والمجاملة والشهامة من اقوى اسبابه الايمان بمن يؤمن به او بهم ..

انه لم يؤمن بهم لانه رآهم او رأى منهم أو لانه فهمهم او احترمهم او رحمهم ، او لانه قرأ في عيونهم مجد الذكاء أو الصدق أو الحب أو النظافة والطهارة . ولا لانه قرأ فيها اي في عيونهم كل اشواق الالهة وطموحها اي طموح الالهة وكل تمنياتها وعبقرياتها وقوتها ومستقبلها وكل اخلاقها ورغباتها واوامرها . ولا لانه قرأ في عيونهم كل عيون الالهة متطلعة متلهفة متضرعة محرصة على الايمان والاعجاب

والافتتان بهم .. انه لم يؤمن بهم لانه رأى في عيونهم بحرا او نهرا او سحابة او شمسا او قمرا او نجما ، ولا لانه سمع قلوبهم تخفق بلغة غير اللغة التي تخفق بها قلوب الضباع ..

انه لم يؤمن بهم لشيء من ذلك . ولكنه اي الانسان العربي آمن بهم اي بانبيائه وخلفائه وشعرائه وسلطينه ومعلميه وبقائه وزعمائه لانهم كانوا يملؤن كل آفاقه النفسية والعقلية والدينية والمذهبية والزمانية والمكانية والتاريخية بكل البذائات والوقاحات والتهديدات والاتهامات والمخاصمات والشتائم والصغائر الضاحكة تحت جميع المزاعم والانتماءات المختلفة الاسماء واللغات والقراءات ، دون اي اختلاف في النيات أو في التفاسير . لقد آمن بهم لانه وجدهم يملكون كل مجد الفحش والسباب والتطاول النفسي والاخلاقي واللغوي على كل احد وعلى كل شيء جيد ومحترم .

لقد كان الضجيج الفاحش الهيجي المهاجم على كل الجبهات والاتجاهات هو كل معجزات انبياء وزعماء وشعراء وخلفاء وقادة ومعلمي الانسان العربي الذين جن بهم ايماننا وافتقنا وتعصبا وفحشا باسمهم ومن اجلهم ! .. ان معجزات هؤلاء لم تكن مرئية او مفهومة او معقولة او معروفة او مجربة بل لقد كانت مسموعة فقط .. وايضا لماذا آمن الانسان العربي بكتبه المقدسة بكل هذا الجنون والافتقار والنزق ؟ هل فهمها او وجد فيها شيئا خارقا او ذكيا او جيدا او نبيلًا ، او انه يمكن ان يستفيد او يأخذ منها شيئا او يلتزم بشيء منها بعقله أو بمشاعره أو اهوائه أو بتقنياته أو اخلاقه أو بحياته أو بمعاملاته ؟

بل هل قرأها اية قراءة ؟ هل الناس يقرأون كتبهم المقدسة مهما قرأوها ؟ ان المؤمنين لا يقرؤون شيئا مثلما يقرؤون كتبهم المقدسة . ولكن هل قرأوها أو هل يمكن ان يقرأوها ولو مرة واحدة ؟ ان الكتب المقدسة معصومة من القراءة .. هل يمكن ان نقرأ كتابك المقدس ثم يظل مقدسا ؟ اليس الشرط الدائم لبقاء كتابك مقدسا الا تقرأه مهما قرأته ؟ ان كتابك المقدس اما غير مقروء واما غير مقدس . انه لا يستطيع ان يكون مقروءا ومقدسا . ومن شك في هذا فعليه ان يجرب شكه . ان جميع الناس لا يقرأون كتبهم المقدسة الا قراءة واحدة ، مرة واحدة ثم لا يقرأونها مرة اخرى . وهذه المرة الواحدة التي يقرأونها بها يشترط فيها ولها ان تكون قبل قراءتها . وهل يمكن ان تقرأ كتابا قبل ان تقرأه ؟ اجل ، ان اكثر الناس يقرأون الكتب التي يقرأونها قبل ان يقرأوها . ولهذا فانهم لا يقرأون مهما قرأوا .

ان كل صاحب كتاب مقدس لا يستطيع ان يقرأ كتابه المقدس الا مرة واحدة وتكون هذه المرة الواحدة قبل قراءته له والا لما ظل مقدسا .. لهذا فان قراءة الكتب المقدسة ليست قراءة . والناس يخطئون حين يقول قائلهم : قرأت كتابي المقدس . انه لو قيل ما هي الكتب التي لم يقرأها قط من يؤمنون بها اقوى الايمان ويحترمونها كل الاحترام ، أو ما هي الكتب التي يشترط للايمان بها وللاحترام لها الا

يقراها من يؤمنون بها ومن يحترمونها هذا الايمان وهذا الاحترام ، لوجب ان يكون الجواب : هي الكتب المقدسة • عجا ! كيف امتلكت الكتب المقدسة هذا المجد او هذا الهوان ؟ من اخترع لها مجدها هذا او هوانها هذا ؟

ولو قيل من هو القاريء او من هو صاحب الكتاب او مقتني الكتاب الذي يجب الا يقرأ كتابه ويجب الا يقرأه حين يقرؤه لكي يظل محترما مقدسا لكتابه ومؤمنا به لوجب ان يقال : انه هو المؤمن بكتاب مقدس او القاريء لكتاب مقدس او المقتني لكتاب مقدس • ولكن كيف لم يفتن المؤمنون الى ذلك ؟ هل عجزوا عن ان يفتنوا ام تعمدوا الا يفتنوا ؟ هل سحروا انفسهم ام سحرهم ساحر ام ارادوا ان يكونوا مثل مسحورين ؟

ما هي القراءة ؟ ان البشر حتى اليوم لم يضعوا ولم يحاولوا ان يضعوا تفسيراً محدداً او مفهوماً للقراءة • وهل يستطيعون ان يضعوا مثل هذا التفسير لو ارادوا وحاولوا ؟ وكما هم الذين يفهمون معنى القراءة او الذين يرون انه يجب ان يكون للقراءة معنى او الذين يقرؤون حين يقرؤون ؟

ومهما عجزوا عن ان يضعوا تفسيراً عالمياً او جزئياً للقراءة او مهما تراخوا او رمبوا او كسلوا فلم يريحوا وضع هذا التفسير للقراءة فانه لا يوجد خلاف في ان الذين يقرأون كتبهم المقدسة ثم تظل في اقتناعهم كتباً مقدسة لا يمكن ان يكونوا قد قرأوها او انهم حين يقرأونها يقرأونها • انه لذو قيمة حضارية وانسانية ان يعرف ان القراءة لا بد ان يكون لها معنى وان يلتزم كل قارئ بهذا المعنى ..

ان اي قارئ لكتابه المقدس لا ينوي ولا يريد ان يقرأه ، بل ولا يفهم ان عليه ان يقرأه ، بل انه يخاف ويرفض ان يقرأه ، اي ما دام يراه مقدساً ويريد ان يظل يراه مقدساً • وهل قارئ الكتاب المقدس هو وحده الذي لا يقرأ حين يقرأ ؟ اليس اكثر من يقرؤون اي شيء هم لا يقرؤون ؟ اليس تعذيباً هائلاً ان يقرأ الناس ما يقرؤون ؟

هل يستطيع او يتقبل اي مؤمن بكتاب مقدس ان يقرأ كتابه المقدس لو عرف انه حين يقرؤه لا بد ان يقرأه حقيقة وان يفسره ويفهم تفاسيره وان يقتنع بها وان تتحول الى التزام في حياته ، في تفكيره أو في اهوائه ومشاعره ونياته واخلاقه وعلاقاته مع نفسه ومع الآخرين ومع الاشياء ومع الاله الذي اوحاه اي اوحى كتابه المقدس ؟ اليس القراءة لاي كتاب مقدس وكذا اكثر القراءات لاي كتاب اساليب ونيات مختلفة من اساليب ونيات الهرب من التفكير والرؤية والفهم والالتزام او الاهتمام بأي شيء بل من اساليب ونيات الهرب من القراءة بمعانيها وتفسيرها المفترضة ؟ اليس هذه القراءات اساليب ونيات استفراغية على ما يقرأ وليست مسالة او محاورة او محاكمة لا يقرأ ؟

اليس الذي جعل الناس يستطيعون ان يؤمنوا بكتبهم المقدسة وان يقرأوها ، وهون عليهم هذا الايمان وهذه القراءة هو اقتناعهم انهم مهما قرأوها لن يقرأوها أو يفهموها أو يلتزموا بها ادنى أو اقل التزام ، أو ان تصبح مهددة لهم بأن يقرأوها

أو يفهموها أو يلتزموها أي قدر من الالتزام بأي معنى من معانيهم أو بأية صيغة من صيغهم ؟ إن نفس الاله الذي أوحى بالكتب المقدسة وصنعها لو ظن أنه قد يكون ملزماً بقراءتها وفهمها وبالالتزام النفسي أو الفكري أو الاخلاقي بها لما أوحاها أو ألهمها أو قبل أن تكون . أليس أعجز العاجزين عن الالتزام بما قال وأوحى هو الاله ؟

أليست افضل وانبل واتقى المبادي والتعاليم والنبوات والشرائع واقدرها على الاقتناع بنفسها وبمزاياها وعلى أن تكون مصحقة محترمة ومعلمة ومعلنا عنها وموعظاً بها ومرحبة بها كل المناير والمحاريب والافواه ، هي التي لا يستطيع الالتزام بها ولا يراد أو ينوي أو يفترض أو يطلب الالتزام بها والتي لا يكون خارجاً أو عاصياً أو غريباً أو وحيداً من يعلن ويزعم بكل صوته وحماسه الايمان بها ، ثم يعلن ويؤكد بكل حياته ولارادته وتحركاته الخروج عليها بل القتل والاذلال والتحقير لها ؟

نعم ، ما الذي جعل الانسان العربي يؤمن بكتابه المقدس أو بكتبه المقدسة هذا الايمان المتوحش ؟ هل فهم منها شيئاً أو وجد فيها شيئاً أو أراد منها شيئاً أو اقتنع بأن شيئاً منها قد يتحول الى شيء في حياته أو يهبه شيئاً من الذكاء أو القوة أو الجمال أو الرخاء أو الفهم أو التسامح أو الحب للآخرين أو الغفران لهم أو العجز عن التحديق في الامهم وعاهاتهم وهزائمهم وفضائحهم وعيوبهم المختلفة ، شماتة واستمتاعاً وحقدًا ونذالة ؟ حتى هذا لا تستطيعه الكتب المقدسة . لا تستطيع أن تؤدب وتزجر وتحمي المؤمنين بها من أن يحدقوا بشماتة ولذة واستمتاع وحقد في تشوهات والام وهموم وفضائح وهزائم الآخرين . .

لقد آمن الانسان العربي بكتابه المقدس بل بكتبه المقدسة لانه قد وجدها أي وجد كتبه المقدسة عالماً بل كونا لا حدود له من الشنائم والتهديدات والبذات والاتهامات والتحقيقات والتوعيدات والمخاصمات والعداوات المتفجرة بكل الصراخ والارعاد والزئير من افواه وضماير وغضب واخلاق وشهوات سكان السماء . . أليست بذات السماء هي اكثر البذات مجداً واعلاها صوتاً في التاريخ واقدرها على الاقتناع بجمال القبح ؟

اذن فلتجن اذن الانسان العربي استمتاعاً وطرباً واعجاباً وفرحاً وايماناً بكتبه المقدسة الحاملة الناقلة اليه كل شنائم واحقاد وبذات وبغضاء جميع سكان السماء ، مصوتة ومغناة بكل وقاحة ودمامة اصواتهم أي اصوات سكان السماء . . ما اجمل واتقى واغوى بذات السماء في اذني المؤمن وفي ضميره وتقواه . . ما افظع تصورات المؤمن لاخلاق السماء ولذكائنها وتهذيبها وحبها للجمال ومعرفتها بفنونه . .

جميلة ومقنعة وفاتنة انت يا اصوات السماء في اذن الانسان العربي لانك ضاجة بالوقاحة والبذاة وبالتهديد والسفه وبالتحقير والقسوة وبالتوتر المشحون ..الصاحب بكل معاني ولغات الاهتياج المجنون الهمجي الشاتم الشامات المعير الوقح . . وهل تستطيع اصوات السماء ان تكون غير ذلك أي غير كل هذا القبح ؟ هل تستطيع

ان تكون مهذبة ؟ ولو انها جاءت مهذبة او حاولت ان تكون كذلك فماذا يمكن ان يبقى لها من المجد او القوة او التقاسير ؟

وهل آمن الانسان العربي بانها اصوات السماء او اصوات تحبها السماء ؟ او عرف انتسابها الى السماء او قبل هذا الانتساب او اقتنع به الا لانها كذلك اي الا لانها كل هذه الوقاحات والضجيج والقسوة التي لا نموذج لها في اي شيء ؟

هل عرف او جرب للسماء من مزايا او امجاد غير هذه الوقاحات الضاجة المتلوة في جميع محاربيه ؟

ماذا لو جاءت كتب الانسان العربي المقدسة مهذبة ورحيمة ومتواضعة ومتوقرة وملتزمة بالذكاء والحياء والصدق والمنطق والاعتدال والحب والانصاف ؟ ماذا لو جاءت هامة الصوت او متوقرة الشئائم او ورعة في اتهاماتها وتهديداتها ومخاصماتها او مساوية لما يستطيع ويمكن ويعقل ويحترم ؟

هل يمكن حينئذ ان يراها معجزة او مقنعة او قادمة من السماء ؟ بل هل يمكن حينئذ ان يسمعها او يستمع اليها او يؤمن بها او يراها اكبر او اذكى منه ؟

بل هل يمكن حينئذ ان يراها كلاما من كلامه او من كلام ابائه ، او يتقبل ان تكون او ان تحسب كذلك ؟ هل تملك كتب الانسان العربي المقدسة اية موهبة لتجعلها مقنعة او مؤثرة او مثيرة او حتى مسموعة غير الوقاحات الضاجة العنيفة المهددة بلا وقار او ذكاء ؟

ان آيات الكتب المقدسة ونبوات الانبياء وخطب وتعاليم واوامر الزعماء والقادة والعلمين والعلماء وشعر الشعراء - ان كل ذلك عند الانسان العربي لا يساوي ما فيه من اعجاز او عبقرية او ذكاء او قوة او تهذيب او صدق او محبة او اخلاص او منطق ، وانما يساوي ما فيه من ضجيج وتوتر وتعصب وبغض وخروج على جميع القيم النفسية والفكرية والاخلاقية والحضارية والتعبيرية . وهل العبقرية والاعجاز والقوة والتهذيب والذكاء والصدق والمنطق والاخلاص شيء غير هذا في تفسير الانسان العربي اي غير الضجيج والتوتر والتعصب والبغض والخروج على كل القيم ؟

وهل استطاع او يستطيع الانسان العربي ان يفهم منها اي من الايات والنبوات والخطب والتعاليم والاورام والاشعار ، او ان يجد فيها غير ذلك اي غير ضجيجها المتوتر المتعصب المبغض وخروجها على جميع القيم الانسانية المطلوبة المطالب بها ؟ وهل الاعجاز او العبقرية شيء غير هذا او فوق هذا في جميع حسابات الانسان العربي ؟ ولو كان فيها حقا شيء من الاعجاز او العبقرية او الذكاء او الصدق او الاخلاص او القوة او الحب او المنطق المزعوم لها وفيها فهل يمكن ان يعيه او يحس به الانسان العربي ؟ باية وسيلة او طاقة او منطق او مقياس كان يمكن ان يعرف ذلك او يحسه او يقتنع به لو كان موجودا اي في آياته ونبواته وتعاليمه وفنونه ؟

هل يجروا أي انسان على الزعم ان الانسان العربي لم يؤمن بكتبه المقدسة وبنبوات انبيائه وبقيادة وعبرية وشاعرية وخلافة زعمائه وشعرائه وخلفائهم وسلطينه الا لانه ادرك ما في ذلك من جمال وصدق وتفوق وحق وحقيقة واعجاز ؟ بل هل يجروا أي انسان الا يزعم بان الانسان العربي لم يؤمن بمن آمن بهم الا لانهم كانوا نقيض اسباب الايمان بهم ؟

هل يمكن الزعم انه أي الانسان العربي يستطيع ان يعرف الشيء من نقيضة ، ان يعرف الذكاء والصق والاخلاص والمطلق والشاعرية والعبرية والنبوة والموهبة والجمال والشهامة والقيادة القادرة الصادقة الشجاعة .

نعم ، هل يمكن الزعم ان الانسان العربي يستطيع ان يميز كل ذلك او بعضه عن نقيضه ؟ هل يمكن ان يوجد وقح كل هذه الوقاحة لكي يستطيع ان يزعم مثل هذا الزعم ؟ هل توجد وقاحة او بلاهة تساوي الزعم ان الانسان العربي قد يفهم الفرق بين النبي والدجال او بين القائد الزائف والقائد العظيم او بين الكتاب المنزل من السماء والكتاب الذي بصقه ضمير اجهل وافجر شيخ او كاهن ، او الفرق بين الذكاء والغباء او بين الصدق والكذب او بين الاله واللوث ؟

اذن لقد كانت كل المعجزة والعبرية التي جعلت الانسان العربي يؤمن بما آمن به بكل هذا التعصب والاعتناع الخيف بوحشيته وبلادته وانغلاقه وغروره وبكل موهبة العدوان فيه - نعم ، لقد كانت كل المعجزة والعبرية التي وجدها الانسان العربي في اربابه وانبيائه وزعمائه وخلفائه وشعرائه وعلمائه وقادته وسلطينه ومعلميه ليؤمن بهم هذا الايمان هي للضحيج بكل لغات واصوات الفحش والقبح والتوقع والبغض والتعصب والتوتر والكبرياء والتطرف والمبالغات الصوتية والحركية والانفعالية الحمقاء المخترقة لكل حواجز وحدود وقيود الاعتسار والتعذيب والوقار والحياة والذكاء . وانها لماسة عقلية او اخلاقية او كل انواع الماساة لو ان الانسان العربي ظن او زعم ان الامر ليس كذلك ، اي افضل او اذكى من ذلك .

ماذا لو عرض في الاسواق العربية زعيمان او قائدان او شاعران او معلمان او نبيان او الهان او كتابان مقدسان او غير مقدسين ، احدهما مهذب ورصين ووقور ومفكر وصادق ومنطقي ومتسامح وهادئ الحركات والانفعالات مضبوطها وقليل الكلام خافض الصوت ، والاخر مناقض لذلك بكل عنف المناقضة وشمولها ؟ اي ونحن هنا نفترض ان السوق العربية قد يعرض فيها نوعان او مستويان من المواهب او الاخلاق ، قد يعرض فيها نقيضان من الانبياء او الزعماء او الشعراء او المفكرين او المعلمين لكي تمارس أي السوق العربية الاختيار . .

ليس محتموما ان تعرف نتيجة المباراة قبل نهايتها بل قبل بدايتها ؟ اليس محتموما ان تكون النتيجة معروفة بدون مقاساة التجربة اي لو وجد هذان النقيضان لكي يضعوا السوق العربية في محنة الاختيار او في شرفه ولذته ومتعته ؟ وهل جرب العرب الاختيار في أي وقت ؟

الليست وقاحة أو بلادة لا نموذج لها ان يشك فيمن الذي لا بد ان ينتصر في السوق العربية اعظم انتصار ، وفيمن الذي لا بد ان يهزم فيها اقصى هزيمة ، بل الذي لا بد ان يعجز حتى عن الظفر بالهزيمة لان السوق العربية لن تشعر به حينئذ او تسمع عنه او تلتف اليه او تتبالي به لكي توقع به الهزيمة . اليس محتوما ان النبي او الزعيم المحنوق المذهب الصادق لا بد ان يكون اقل من مهزوم في السوق العربية اي اقل من مشعور به او ملتفت اليه ؟

الليست هزيمة شيء نوعا من المبالاة والاهتمام به والالتفات اليه والاحساس به ؟ وهل يمكن ان تهب السوق العربية شيئا من اهتمامها او التفاتها او احساسها او من توجسها وتحسسها وتخوفها او من مقاومتها لذلك النبي او الزعيم او القائد او الشاعر او المعلم او الاله او الكتاب المقدس او غير المقدس الذي افترض انه دخلها او غزاها او عرض فيها ليتعامل معها او ليخاطبها او ليعلمها او ليقودها او ليشيرها ويحركها بتهذيبه ووقاره ورسالته وبصدقته ومنطقه وبتسامحه وهدوئه وبقليل كلامه وانخفاض صوته ؟

اليس شيئا محزنا بل ومخجلا ان يظن اي قائد او زعيم او نبي او معلم عربي انه قد ينتصر في الاسواق العربية او ان يقودها او ان يقنعها او ان يظفر باعجابها او بحماسها او بحبها او ان يعيش في صميمها بقدر ما يكون مهذبا ووقورا وصادقا ومنطقيا ومتسامحا معتدلا محبا رحيفا ، خافض الصوت ، متكلم فقط بقدر ما يحتاج الموضوع الذي يكون الكلام عنه ، وبقدر ما يكون مضبوط الحركات والانفعالات هادئها ؟

المتنبّي يروي معارك سيناء وأبحولان

ان الذي يدخل السوق العربية ليستحق كل الرثاء وكل التعزية في فقدّه لكل موهبة لو ظن ان السوق العربية قد تفهم الفرق بين النبي او القائد أو الزعيم الجيد الصادق وبين نقيضه ، او ظن انها قد تختار الجيد الصادق لاتباعه وللسير معه وللإيمان به ، او لو ظن انها اي السوق العربية قد تحترم الشيء او تؤمن به لانها تفهمه ، او لو ظن انها قد تعرف قيمة الشيء في نفس الشيء لا بأسلوب ادائه ، او لو ظن انها قد تعرف عبقرية أو معجزة او جودة أو ذكاء الزعيم أو القائد أو النبي أو المعلم ، أو ان تعرف صدقه ، في قيادته او نبوته او عقله او حياته او تدبيره لا في اساليب واخلاق ولغات ولهجات وتوترات وعدوانيات صوته .. ان اي زعيم او نبي يسر لان السوق العربية قد رحبت به لانها فهمت مزاياه لهو زعيم أو نبي يستحق كل الرثاء ..

لهذا فما التفسير الذي يجب ان نفهمه والا نفهم تفسيراً سواء حينما نجد ان زعيماً او قائداً او نبياً او معلماً او شاعراً عربياً او كتاباً مقدساً او غير مقدس قد توجته السوق العربية او التاريخ العربي ليكون مجداً لهما ، وهتفت له السوق العربية أو التاريخ العربي بكل الصراخ والجنون والنزق والغرور الوقح البليد ؟ هل يمكن ان يكون لهذا التتويج في السوق العربية غير تفسير واحد حزين أليم مهين ؟ انه حتى لو كانت هنالك احتمالات عديدة لتفسير ذلك لما كان منها اي احتمال لاي تفسير فيه اي شيء من الثناء على السوق العربية او على التاريخ العربي او على الانسان العربي . ولما كان منها اي من هذه الاحتمالات اي احتمال لتفسير ذلك تفسيراً يعني ان هذا الزعيم أو القائد أو النبي أو الشاعر أو الكتاب يحمل اية قيمة من القيم الجيدة ..

لننظر .. ان الشاعر المتنبي قد اصبح قيصر في سوق الشعر والادب العربي .. لماذا ؟ هل ذلك لانه كان شاعراً جيداً ومستحقاً لكل ما ظفر به من امجاد ورنين ؟ او لانه كان مثلاً صادقاً او شهماً او شجاعاً او نظيفاً او ابياً او عفيفاً او كارهاً او رافضاً او مقاوماً للطغيان أو التحلف أو الفساد أو السرقة والاستجداء أو اللغواء ؟

او لان قامته كانت عاجزة عن الانحناء او التحطم في اي معبد او تحت اي عرش او اغراء ؟

هل ذلك مثلا كان لانه قومي او وطني او انساني او لانه كان مناضلا ضد سيطرة غير العرب على العرب ، وضد هوان واستعباد العرب تحت طغيان حكام غير عرب ؟ هل كان المتنبي في اي موقف من مواقفه قوميا او وطنيا عربيا . هل اصابه اي قدر من الغشيان القومي او الوطني او الاخلاقي وهو يرتل القصائد الحمقاء في تمجيد غزاة العروبة ومحتلي عروشها ؟

هل ذلك لانه قد صلب او عذب او طورد او نفي او سجن او جاع ثمنا لوقوفه الدائم ، مدافعا عن حرية قومه العرب وعن كرامتهم وعزتهم ، وعن كرامة ونظافة وصنق جبهته وموهبته وكلمته وضميره ؟

كل الرثاء للمحاربين الكثيرة التي شوهتها وعاقبتها جبهة المتنبي بسجودها عليها وفيها . . .

هل لانه قد انشأ حرسا عربيا قويا واقامه حول كل باب حاكم أو لص غني غير عربي او عربي ، ليمنعوا او يقتلوا كل شاعر عربي كذاب مهين يذهب ليركع امامه اي امام باب الحاكم او اللص الغني العربي او غير العربي ، ليكذب وينشد ويؤله ويستجدي ويشتم قومه العرب تملقا لذلك الحاكم او لذلك اللص الغني غير العربي ؟

هل لانه عرف انه ليس للشاعر اي مجد غير ان يدق جميع الابواب الغوية ساجدا سائلا كاذبا مهينا ذليلا ؟

هل لانه كان عبقريا أو مفكرا أو عالما أو مصلحا أو نموذجا اخلاقيا ، تهاب الاخلاق العظيمة ان تقرأ عجزا وغيرة ورهبة من احتذائه ، وتهاب الاخلاق الصغيرة ان تقرأ خوفا من ان يقتلها التحديق في المسافة الفاصلة بينها وبين اخلاقه ، او خوفا من ان تتعلم شيئا من اخلاقه فتقاسي من أهوال الصعود والنظافة والاشراق والاباء والشهامة ؟ هل لانه كان فنانا وشاعرا عظيما يستحق ان يستبد بالسوق العربية وبالتاريخ العربي وان يتحول الى انشودتهما الدائمة ومجدهما وسلطانهما الدائم ؟

نعم ، انه لسؤال يجب ان يطرح : هل كان المتنبي فنانا أو شاعرا عظيما ؟ وحتى اذا كان ذلك كذلك فهل يمكن الافتراض ان السوق والتاريخ العربيين قد وهباه كل هذا المجد والتمجيد لهذا ؟ هل يمكن ان يكون جماله هو سبب العشق له وسبب رؤيته جميلا في عيون وقلوب السوق العربية او التاريخ العربي ؟

هل السوق والتاريخ العربيان يمدان بالاستحقاق اي لان من يمد ان يستحق ان يمد لانه مجد ولان له مجدا ؟

هل السوق والتاريخ العربيان يحبان او يعجبان او يؤمنان بقلب او فكر او ضمير - او رؤية ؟

هل هما يعرفان المجد الذي يستحق التمجيد ، او يعرفان الفرق بين المجد ونقيضه ، أو بين من يستحق المجد ومن لا يستحقه ، ومن يستحق النقيض ؟ ان السوق العربية ليست فقط عاجزة عن رفض الشيء الرديء بل انها ترحب بالشيء لانه رديء ...

ان كان المتنبي فنانا وشاعرا عبقريا فهل يحتمل ان السوق والتاريخ العربيين قد عرفا ذلك ، وانهما حينما نصباه على عرشيهما قد أرادا ان يهباه ما يستحق وان يضعاه في المكان المستحق ؟
ليس تمجيد السوق والتاريخ العربيين طعنا في مجد المجد او تشكيكا فيه واهانة له ؟

هل يوجد من يجروء على اتهام السوق العربية او التاريخ العربي بالذكاء او بالاخلاقية ؟ هل يمكن الزعم ان اي اله او نبي او زعيم او معلم او شاعر معروض في الاسواق العربية قد فهم كما هو واعطى من المجد والتمجيد فقط ما يستحقه ، كل ما يستحقه ؟

هل يوجد من يستطيع الزعم ان جميع المتوجين ، او حتى كثيرا من المتوجين ، او حتى قليلا من المتوجين في السوق العربية او في التاريخ العربي يستحقون ذلك ؟ هل يمكن الزعم ان الحشرات لم تنل من المجد والقوة والرخاء والانتصار والتفوق والاعضاء والتسامح في البيوت العربية الا بقدر ما تستحق من ذلك مذهبيا او دينيا ؟ هل يستطيع الزعم ان السوق والتاريخ العربيين كانا يحاسبان او يحاكمان او حتى يسالان أو يقرآن أو يفسران أو يفهمان أو حتى يريان وجه أو جلد أو ثياب من يغزونهما او يحكمونهما او يدعون لامتلاكهما ؟ هل يوجد مثل السوق والتاريخ العربيين تسامحا في نكائهما واخلاقهما وكرامتهما وفي استقبالهما لمن لا يستحقون اي استقبال او تقبل ؟

المتنبي كان فحشا نفسيا واخلاقيا وانسانيا ولغويا . كان مأساة تحولت الى فحش ، وفحشا يفسر بمأساة . كان بلا ضمير وبلا رحمة او حب او عاطفة انسانية ، وبلا حواجز أو زواجر اخلاقية أو نفسية أو فكرية أو من اي نوع أو باي قدر . كان وحشا انسانيا يستحق الشفقة والثناء بقدر ما يستحق الاشمزاز . . كان وقاحة بقدر ما كان قباحة ، وخطيئة بقدر ما كان خطأ وتشويها بقدر ما كان تشوها .
كان تأكيداً رهيباً لبعده الحضيض الذي يمكن ان تهبط اليه كرامة الانسان وحيأؤه وتهذيبه !!

لم يكن يهاب او يخجل أو يقاسي من أن يكون اي شيء او يتصور باية صورة او يصاغ اية صياغة ، او يفسر اي تفسير ، او يلبس اي زي ، او يقف امام اي باب ، او يهبط الى اي حضيض ، او ان يضع جبهته فوق اي تراب ركوعا تحت اي قسّم غني او قوي ، او ان يكون اية جبهة في اي وجه ، ليركع في اي معبد ، مصليا لاي وثن ، داعيا متضرعا باية لغة وبأي اسلوب وبكل لغة وكل اسلوب .

كان يتعرى كل لغات وصيغ واساليب التعري كل وقت ، في كل مكان ، تحت كل الظروف ، داخل كل العيون المحدقة المفجوة من دمامة النظر ووقاحته .. كان معجزا وهازما لكل من يريدون مباراته في الهبوط وفي الكذب والافتضاح .. كانت كل العيون والتصورات تعجز عن ملاحقته هابطا كاذبا مفتضحا مبتذلا ..

لو ان اية امرأة خاطئة لا شببيه لها في افتضاحها كانت كل حياتها تطوف في كل بلد وكل ميدان وببيت وعلى كل رجل ، عارضة جسدها العاري المشوه لتبيعه لكل من يدفع الثمن ، بلا اي شرط غير دفع الثمن ، باعلان وتشهير ودوي ومباهاة ، دون اية مقاساة نفسية او اخلاقية او حتى جسدية .

نعم ، لو أن اية امرأة كانت كذلك وفعلت كل ذلك فهل تستطيع ان تدخل مع المتنبي اية مباراة للحصول على اكبر قدر من الافتضاح ؟ لقد كان اعتذارا عن جميع المفتضحين وعزاء لهم في انفسهم وفي فقدهم لكرامتهم . ان جميع المفتضحين لو قرأوا وفسروا افتضاحه لاستصغروا افتضاحهم ..

ان كلمات . وصولي ، انتهازي ، منافق ، متقلب ، متلون ، فضاح ، مفضوح ، بلا كرامة ، بلا حياء ، بلا مبدأ ، بلا ضمير ، بلا اخلاق - ان جميع هذه الكلمات وامثالها لا تستطيع ان تكون زيا او وصفا كافيا لحياة المتنبي . انه اكبر منها جميعا .. لعل جميع اللغات لا تجد كلمة رديئة لتكون على مقاسه . لعل قبحه معجز لجميع اللغات . تاريخ الادب والشعر وكل انواع الكلمة العربية لا يستطيع اي هجاء فيه ان يعد او يكون هجاء له ، لان اي هجاء مهما كان قبحه لن يكون اكثر هجاء له من هجائه لنفسه او مثل هجائه لنفسه ، اي لانه قد اكتمل كل مستويات ومعاني القبح ، فلن يضيف اي قبح اليه قبحا .

ان هنالك قبحا لا يمكن هجاؤه بأي شيء اخر لضخامة قبحه ، لان كل تقبيح له يذهب لغوا . انه قد توجد دمامة لا يستطيع اي شيء ان يتحول الى دمامة فيها اي لا يستطيع ان يزيدها دمامة اي ان يجعلها اكبر او اظهر أو أشهر أو اقبح .

هل يمكن ان يكون هجاء العيون او الحديث عن دمامة العيون هجاء لوجه او لانسان بلا عيون ؟ هل يمكن هجاء العيون غير الموجودة بالتحدث عن وصف فيها ؟

انه لا يستطيع توجيه اي هجاء او اضافة اي هجاء الى تاريخ الادب والشعر والكلمة عند العرب الا بقدر ما يستطيع هجاء هذا الوجه او هذا الانسان الذي لم تخلق فيه عينان بهجاء العيون او بالتحدث عن دمامة العيون ..

ومع هذا فانه يمكن ان يقال : ان المتنبي بتواضع وتنازل كرامته عن جميع حقوقها الملمة او المفترضة او الحولة الى مزاعم شعرية ضاجة ، قد استطاع ان يتحول الى هجاء للتاريخ الذي لا يستطيع هجاؤه باي هجاء ، ولا باتهامه باي عيب او ذنب او عار لاكتمال كل معاني وصيغ الهجاء والذنوب والعيوب والعار فيه . فظليعة تشوهات وعيوب ذلك الذي استطاع ان يضيف الى عيوب وتشوهات التاريخ العربي اي قدر من العيوب او التشوهات !!

ان تاريخا يصبح المتنبي احد امجاده الادبية والشعرية والفنية والحضارية والاخلاقية ايضا لن يكون الا تاريخا عربيا اصيلا بكل تفاسيره . بل ان تاريخا يستطيع ان يبتلع كل هذا الهوان والتزييف الذي صاغته وهبطت اليه حياة وشعر المتنبي لن يقبل التاريخ ان يروييه او يعترف به الا موضوعا في حسابات العرب وحدهم ..

انه تاريخ لن يقبل التاريخ ان يضعه في حساباته الجيدة او الرديئة اي لن يقبل التاريخ غير العربي ماذا لو ان كاتباً أو شاعراً أو اديباً بل أو تاجراً متهاكاً مهيناً قد تنقل بمذائحه على جميع الامراء والسلطين والاقوياء والاغنياء للصوص الاغنياء الاذلاء ، وتنقل بهجائه أيضاً ، بالاسلوب والتهالك والافتضاح والمبالغات والحوافز والنيات التي فعل بها المتنبي كل حياته او التي تنقل بها المتنبي ؟

نعم ، ماذا لو ان احدا ، اي احد فعل مثل هذا في هذا العصر ؟ ماذا لو ان مثل هذا كتب وقرئ ، وعرض بأية لغة غير العربية ؟ هل يمكن ان يوجد احد ، اي احد يستطيع ان يفعله او يجرواً على فعله مهما كانت محاسباته لكرامته ؟ ولكن يجب ان يعلم اني هنا اعني « احدا » غير عربي . اما العربي فله مقاييس ومحاسبات اخرى ..

ولو وجد من يفعل هذا فبماذا يمكن ان يفسره مجتمعه او يحاسبه ويعاقبه ويراه ويقراه ؟ وهل يمكن ان يغفر له مجتمعه أو يتقبل معاشته أو محاسبته به وحسبانه عليه مهما كان تسامح وتواضع مجتمعه في اشتراطه على كرامته وفي اشتراطه لكرامته ؟ اذن كيف يستطيع اي مجتمع ان يقرأ اليوم حياة وشعر المتنبي دون ان يتفجر غضبا واشمئززا ورفضاً لانتمائه اليه ؟ هل يستطيع اي مجتمع غير العربي ان يقرأه ؟

انها لقسوة لا نموذج لها ان نحدق في التاريخ الذي صاغ المتنبي ، والذي بصق عليه المتنبي كل مستوياته وتعبيراته ، والذي استفرغ عليه قصائده بكل هوانها وفحشها وقبحها ، او ان نفسر او نحاسب او نقرأ هذا التاريخ .. انها لبلادة عقلية ونفسية واخلاقية ان نستطيع ذلك ..

وانه ايضا لشيء فاجع ومذل لكل معاني الكبرياء في الانسان ان يوجد حتى اليوم بل ان يوجد حتى في هذا العصر المذل بكبريائه وشموخه لهامات النجوم من لا يزالون يرتلون بكل نزع النشوة والمباهاة مذائح واهاجي ومنابحات المتنبي - يرتلون بها بأسلوب ومشاعر من يعضفون كل ما في الكون والاشياء من مجد ، ومن يمتصون كل ما في الشمس والاقمار من ضخامة واشراق وشموخ ، ومن ينهبون من التاريخ ومن الانسان كل ما كان لهما وفيهما وكل ما في احتمالاتهما من اباة ونظافة وتفوق وصدق وعصيان هامات ..

كل عار وهوان كل الاشياء لقوم لا يزالون حتى اليوم ، حتى في هذا العصر عصر المواجهة العربية الاسرائيلية يقرؤون وينشدون اشعار المتنبي بكل الاصوات بكل الخيلاء...

لو ان اي انسان متحضر الحياة والفكر والاخلاق والثقافة ، لا يعرف شيئا عن العرب لا بالقراءة ولا بالمواجهة والمعايشة ، لا يعرف عنهم شيئا لا تاريخا ولا حاضرا ، وفجأة قرأ اشعار المتنبي ، مدائح واهاجي ومفاخرات وملاعنات ووقاحات ، وعلم انه اي المتنبي كان عربيا بل كان مجدا عربيا ضخما ، وكان يعيش في التاريخ العربي وفي المجتمعات العربية ، وكان يستفرغ عليها وفيها ومنها وعنها كل احواله هذه ، وعلم ايضا انهم لم يحاولوا ان يرفضوه او يعالجوه او يقتلوه او يقتلوا انفسهم فرارا من العار وتخلصا من الغثيان والاشمئزاز ، فاية نماذج حينئذ يمكن ان يتصورها ذلك الانسان لتكون في تقديره وتصوره نماذج صحيحة للعرب ؟ ارشي بخيالي لتصورات ذلك الانسان الذي سوف يذهب حينئذ يصوغ في ذهنه التخيل المفجوع صورا ونماذج بشرية لقوم المتنبي ..

اجل ، لقد كان المتنبي مأساة تحولت الى فحش أو فحشا يفسر تفسيراً مأساوياً .
لقد كان عاهة فادحة تحولت الى غثيان تاريخي ..

كان الما حوله مقاسيه الى ذنوب ووقاحات ..
لم يكن المتنبي يحمل او يعيش أية علامة انسانية . بل لم يكن يتظاهر بمثل هذه العلامة أو يظن ان عليه ان يحملها او يعيشها أو حتى يتظاهر بها أو يتألم لانه لا يحملها ولا يعيشها ولا يتظاهر بها . لقد كانت احساسيه واشواقه ومطامحه معزولة عن الانسان ، عن الامه وهمومه واحتياجاته ومآسيه . لم يكن يحمل او يعيش او يقاسي اية رؤى أو احساس انسانية من اي نوع ..

لم يكن يتألم أو يريثي أو يحزن أو يبكي أو يغضب لاي شيء رديء أو ضار أو مهين أو مخيف أو مشوه يصيب الانسان ، يصيب اي انسان .
لم تكن له عيون أو آلام أو اشواق أو تطلعات أو اشتراطات انسانية ..

لم تعرف عيوبه الدموع الانسانية ، ولا قلبه الاحزان الانسانية ، ولا طموحه ولا تمذباته ولا اشواقه الاماني الانسانية ، ولا ضميره او تفكيره او اخلاقه الغضب او الرفض او الاشمئزاز الانساني . لم تعرف او تقاسي آهاته اية آهة انسانية ..
لم يقرأ او يفسر يوما ما عينا باكية او قلبا حزينا او ضميرا مفجوعا نازفا او كرامة مهانة معنذى عليها او وجها متضرعا مذعورا مقهورا .. انه لا يعرف القراءة الانسانية .. بل لقد كان يشمت ويستمتع ويتغذى ويهزأ بالآلام وعاهات وهموم وهزائم البشر .. كان يتحدث عن ذلك غريقا في النشوة والاستهزاء والكبرياء ..

لم يكن يعيش داخل اي انسان ولا مع اي انسان أو يعيش فيه اي انسان ..
كان ضميره وعينه يعيشان اقصى اساليب الوقاحة والابتهاج وهو يتحدث

عن ألوان العذاب والمآسي التي يقاسيها ويصرخ من فداحتها المظلومون والمقهورون والمصابون والمعاجزون والمشوهون وكل اصناف الضعفاء ..
 كان يجد اضخم واجمل انتصاراته وحظوظه ان يتعذب الناس ويهونوا ويظلموا وان يتحدث عن عذابهم وهوانهم ومظالمهم بشماتة وبهجة . كان يجد في عذابهم وهوانهم وهزائمهم مجده وسعادته وانتصاراته ..
 كان يحرض صانعي وموقعي العذاب والهوان بالانسان ان يزيديا من عذابهم وهوانهم ...

انه لمسب جدا ان يفسر بأي معنى من معاني الانسان . وانه لاحتمال بعيد ان يكون قد قاسي من اية عاطفة انسانية او سعد بها ..
 انه محرض للعذاب والهوان على الانسان ولو بأمانيه واشواقه وترحيبه واستمتاعه . انه يشتم ويحتقر الطغاة لانهم رحما في رؤيته لهم ، ولم يشتمهم او يحتقرهم لانهم طغاة وقتلة ولصوص وانذال واعداء للانسان . انه لم يغضب قط من اجل الانسان ..

ان معانيه وتقاسيره اسلحة مشحونة مسددة على ضعف الانسان وعلى آلامه وجراحه واحزانه وعاهاته . انه ليكاد يرشو الالام والطغاة والاقدار الشريرة ويتملقها لكي تزيد من بطشها بالبشر ، وانه ليلعننا ويهجوها اذا هي لم تفعل ذلك ..
 انه مهما أن أو بكى أو تألم فانه لن يئن أو يبكي أو يتألم بقلب أو ضمير أو عيون انسان بل باعضاء واحاسيس وشهوات ومخاوف وحش أو برغوث . انه لا يتألم أو يحزن الا لما أو احزانا بل احزانا والاما ذاتية كما يصنع الذئب والغراب . انه لم ير أو يقرأ أو يفهم أو يحترم اية دمة أو انة من اي قلب أو عين غير قلبه وعينه ..

ان قارنه بمحاكمة ومحاسبة لا بد ان يفجع ويفجع وتتعاظم فجيعته كلما ازداد ابحارا في أعماق نفسه حتى ليتحول الى راث مشفق على الوحش الذي يعيش ويعوي في داخله ، او على الكائن او الجسد او الانسان الذي يعيش ويعوي فيه مثل هذا الوحش . ان قارنه بمثل هذه المحاكمة والمحاسبة لا بد ان يجد في داخله غابة لا تشبهها اية غابة اخرى في قبح ووحشية وحوشها ..

نعم .. الذين يبحثون ويتحدثون عن الشاعر في التنبي ، ماذا يجدون ؟ حتما هم لن يجدوا فيه الا فحشا ومآسي وفصائح تاريخية وعربية حينما يبحثون لو يفكرون في تقاسيره الاخلاقية او النفسية او الانسانية . انهم لن يجدوا مجدا شعريا الا اذا كان الشعر يعني الخروج على الذكاء والعقل والمنطق والصدق والرؤية والعواطف الانسانية ...

انه لو حوكم على مدائحه واهاجيه وعلى تمجيده لنفسه وعلى حديثه عنها ، او لو فسر بذلك لما امكن ان يحكم له باي قدر من الذكاء أو الحكمة أو الاتزان أو الوقار ، بل لكان من الصعب ان يوجد فيه اي قدر من العقل او الرؤية لاي شيء ..

وحتما انه لم يكن يرى اي شيء اية رؤية . لقد كان مغلقا بكل تفاسيره دون كل شيء . لقد كان المفتوح فيه بلا اي اغلاق او حراسة لسانه فقط .
ان مدائح التنبي واهاجيه ومفاخراته واقواله عن نفسه ان لم تكن جنونا وتتحول الى اقسى حكم بالجنون على قائلها فلن يستطيع اي جنون ان يصبح جنونا او يستطيع اي مجنون ان يصبح مجنونا ؟ ان جميع المجانين لن يجدوا حينئذ من يشهد لواحد منهم بانه مجنون .

نعم ، انه اذا لم تكن اهاجي ومدائح ومفاخرات التنبي كل مستويات ومعاني الجنون فان كلمة جنون ومجنون في جميع اللغات وفي جميع استعمالاتها هي كلمة بلا موضوع وبلا مضية . . ان اي كائن لن يستطيع حينئذ ان يشير الى شيء او الى احد ليقول انه جنون او انه مجنون . ان جميع اطباء الامراض العقلية لن يكون لهم حينئذ اي عمل في هذا العالم . .

ان جميع المجدين للتنبي والقارئ له لا يفترضون ولم يفترضوا قط انه مطالب بان يكون مترنا او متوقرا او حكيما او صادقا او مهذبا او اخلاقا او ضميرا او انسانا بل او عاقلا او ذكيا . انهم لم يبحثوا عن اي شيء من هذا فيه ، ولم يعرفوا ان عليهم ان يبحثوا عنه او ان يحاكموه ويحاسبوه عليه وبه . .

لقد مجدوه بعد ان اشتراطوا بالا يكون له اي مجد ، وبعد ان اشتراطوا بان يكون التمجيد مفرغا من كل مجد بل ومراد به كل التفسير المناقضة لكل تفاسير المجد . . أليس الذين اعطاهم التاريخ ولا يزال يعطيهم كل المجد وهم نقبضه اكثر وأشهر من الذين اعطاهم او يحاول ان يعطيهم شيئا منه وهم يستحقونه ؟ أليس غباء التاريخ وكذبه يساويان غباء وكذب كل الناس ؟

انهم فقط يريدونه شاعرا ويقرؤونه ويفهمونه شاعرا ويستبد بهم شاعرا . أليس حسبانه شاعرا او الاقتناع به شاعرا مجدا يغني عن كل مجد او مجدا يستر ويغفر كل ذنب وقبح وتشوه وضعف ؟

ولكن من هو الشاعر او ما هو الشاعر اذا لم يكن حكمة ووقارا واتزاناً وذكاء وعقلا وصدقا ومنطقا وحبا واشفاقا وضميرا ورؤية وموتقا ونضالا وتقبلا ورفضاً واعجاباً واشمئزازاً ، او اذا لم يشترط او يفترض كل هذا او اي شيء من هذا فيه ؟ ولماذا يراد ان يوجد الشاعر أو ان يكون المرء شاعرا اذا لم يكن الشاعر هو كل هذا او شيئا من هذا ؟ اذا لم يكن الشاعر حبا وجمالا وصدقا وبسالة فلماذا يراد ؟

هل الشاعر اذن ، أو هل اعظم الشعراء اذن هو الذي يعوي او يصهل او يهدر او ينعق أو ينعب او يطن او يزار او يشتم او يهدد او يدعي او يكذب اكثر وافحش واعلى صوتا بلا اية قيمة انسانية او حضارية ؟

هل هو الذي يتخطى بعيدا ، بعيدا كل حدود ونماذج الحياء والوقار والاتزان والحكمة والعقل والذكاء والكرامة ليكون كل الافتضاح والعار ؟

هل هو الذي يقول للابكم : انت واضع كل اللغات ، وللامي : انت معلم التاريخ القراءة والكتابة ؟

هل هو الذي يقول بكل الجراة والوقاحة عن جهام سحابة لا تحمل اية قطرة مطر : انها هي كل البحار والانهار والامطار ، وعن اية صحراء لم تلد او ترب اية نبتة او حياة : انها هي كل المروج والزرع والحياة ، وعن اصغر وافقر قرية تعيش في ضمير البداوة ، كل قصورها وحصونها وبيوتها الخيام والحجارة والطين والتبن اليابس العابس : انها هي كل المدن التي كانت والتي سوف تكون ، وعن اصغر شيخ اصغر قبيلة : انه هو كل القياصرة والاكاسرة والاباطرة والملوك وعن اي امير او وزير او خفير لا يقرأ ولا يكتب : انه هو كل العباقره والانبياء والحكماء والعلماء وصانعي الحضارات والعلوم ؟ هل الشاعر هو الذي يقول اكبر الكلمات ليعبر عن اصغر واكذب واقبح وابلد المعاني او ليكون استقراغا بذيثا بلا أي معنى ؟ هل الشاعر هو الذي يتلقى الوحي بلا اله او ملاك أو رؤية أو الهام وينشده بلا فهم او ايمان أو صدق أو حب أو تهذيب أو تقوى ؟

نعم ، اذا كان من يقول ويصنع كل هذا هو الشاعر او هو اعظم الشعراء فلن يكون خلاف على ان المتنبي شاعر بلا قيصر كل الشعر والشعراء بل نبينهم ٠٠ اذا كان اعظم الانبياء هو ابعدهم عن معاني النبوة وعن معجزاتها وشروطها فالمتنبي هو اعظم الشعراء بلا خلاف ٠٠

هل وضعت حدود او تعريفات جزئية او عالمية تستطيع ان تكون مقنعة او قريبة من الاقتناع بمعرفة الشعر والشاعر ؟ هل وضعت حدود او قيود ليعرف بها النبي من الدجال ؟ هل استطاع البشر كلهم في كل تاريخهم ان يضعوا او يعرفوا هذه الحدود والقيود ؟

انها لصعبة معرفة ذلك ، واصعب من معرفته وضع حدود وتعريفات له تستطيع ان تكون محددة او مقنعة او قريبة من التحديد والاقتناع ٠٠ اذن هل توجد غفلة مثل غفلة من يحسبون او يزعمون انهم قد عرفوا النبي أو الاله نبيا أو الها باوصافه ومزاياه وعلاماته وشروطه ؟

ان الناس يؤمنون بالشعراء والادباء والكتاب والفنانين ، ويصدقون ويقتنعون انهم كما آمنوا بهم ، بالاسلوب والمنطق اللذين يجعلانهم يؤمنون باربابهم وانبيائهم واديانهم واطنائهم وتاريخهم ، اي بالاملاء والتلقين والتكرار وبطرحهم لهم في الاسواق ، وبالارهاب العقلي والاخلاقي والنفسي بهم ، اي بارهاب عقل واخلاق وضمير من لم يؤمنوا بهم ، او من لم يسارعوا الى الايمان بهم ، او من لم يكن ايمانهم بهم كما ينبغي ، لكي يؤمنوا بهم ، او لكي يسارعوا الى الايمان بهم ، او لكي يكون ايمانهم بهم كما ينبغي .

هل توجد سوق او مجتمع لا يصنع الايمان بمطروحاته او بمعروضاته من الالهة والانبياء والشعراء والفنانين والكتاب والادباء ومن العقائد والمذاهب والشعارات

والتقاليد ، بالارهاب العقلي والنفسي والاخلاقي ؟ ان الايمان باي اله أو مذهب أو نبي أو زعيم ليس الا خضوعا لاقصى واشمل اساليب الارهاب المتبادل . امارس بلا رؤية • ان المجتمعات تصنع هذا الارهاب وتمارسه بكل العنف دون ان تعلم او تتوي او تدبر • ان جميع المجتمعات تمارسه بعضها ضد بعض بلا نية أو معرفة احيانا • أليست عيون الآخرين ونظراتهم ومشاعرهم تصنع هذا الارهاب دون أن تقصد أو تعلم أو تريد ودون أن تستطيع الا تصنعه ؟ أليس محتوما مثلا ان يخاف عقلك وضميرك واخلاقتك من الا تؤمن بعبقريّة أو بشاعرية شاعر وجدت السرقة والمجتمع يؤمنان بشاعريته وعبقريته كما ترهب ان تتعري فيهما أو ان يעדك أو يريك جبانًا أو نذلا أو بليدا أو خائنا ؟ هل يوجد عقل أو ضمير لا ترهبه ولو احيانا مسلمات وشعارات ومواقف السوق مهما كانت بلايتها وحماقتها ؟

ومع هذا فقد يكون من غير المستطاع بل ومن غير اللائق ، الشك في ان للمتنبي مقاطع قد تعد محقة مقتحمة رائعة في رؤيتها وقوتها واثارتها وفي استبدادها اللطافي بقارئها وسامعها ومفسرها ومختبرها وبمغنيها ومرتلها وبالمتمثل بها حين حزنه أو حين سروره أو حين اعجابه أو حين ضياعه أو في مواجهة الاله ومآسيه وفواجهه • • ألسنا جميعا قد نجد في شعر المتنبي ما نغني أو نحبي أو نواسي أو نعزي أو نفسر أو ما ندق به الامنا أو هزائمنا أو احزاننا أو اية مواجهة من مواجهاتنا ؟ ألسنا احيانا وكالحنتم نجد المتنبي ينشدنا حين احزاننا وغضبنا ومسرانا وكأنه يواسينا ويراقص فرحنا ، كأنه يخاطب كل شيء فينا ؟

ولكنها مقاطع قليلة في ديوانه ، تقاسي الغربة والشذوذ ، بل تقاسي الطرد والاضطهاد والغثيان والقبح والتقبيح والتعذيب والاذلال وسط موج متلاطم من السفه والقبح والسخف والزئير البذيء البليد العقيم المفضوح الفضاح • • أليست المعاني الجيدة النادرة وسط المعاني الشاملة الرديئة لا بد ان تقاسي كل مشاعر الغربة والهزاء والضياع والاضطهاد والطرد ان تقاسي كل ما يقاسيه العقل والوقار والتعذيب والكرامة والاستحياء والنظافة والاستقامة والصدق بين اكوان من النقيض ؟

انها مقاطع لن تجد بينها وبين ما حولها على صفحات الديوان اية علاقة من اي نوع لا عقلية ولا اخلاقية ولا نفسية ولا تاريخية ولا لغوية بل ولا احتمال علاقة في الابوة أو النسب ، بل ولا اية صداقة أو تعارف أو تفاهم • • ان هذه المقاطع في الديوان كالمصلوب فوق صلبانه وبين صلبانه ، أو كالعين الجميلة في الوجه المشوه •

ولكن الا يحتمل ان هذه المقاطع أو الرؤية لها ليست الا خدعا أو انخداعا ؟ الا يحتمل ان تفسير رائتها ليس الا كتفسير من قاسى طويلا ودائما من رؤية ومواجهة ومعاشية الدمامات والنذالات والقبايح والهموم والهزائم ، فراح يتخيل أو يبدوله - فرارا من ديمومة هذه الرؤية والمواجهة والمعاشية الاليمة - انه يرى ويواجه

ويعايش ويجد نقيض هذه الديمومة اي يرى ويواجه ويعايش ويجد جمالا وشهامة ومسررات وانتصارات واشياء اخرى جيدة مناقضة ؟ انه فرار من الرؤية والمواجهة الحقيقية المؤلمة القبيحة الى التخيل المريح الجميل . انه قد يكون كذلك . . اليس المتعب من السير والضياح في الصحراء الكثيبة لا بد ان يجد في النوم فوق الصخور جمالا وسعادة وراحة ؟ .

ان الانسان محتاج دائما ا وأحيانا الى ان يجمال نفسه ويهون عليها ويهبها شيئا من الراحة والرضا ، وحينئذ قد يرى ويجد بل ويواجه جمالا وذكاء وعظمة وقوة ، اي يتخيل انه يرى ويجد ويواجه ذلك دون ان يكون شيء مما يتخيل . اننا قد نرى اقبح وابلد الاشياء هي اجمل واذكى الاشياء أو ان فيها جمالا وذكاء لكي نستريح او نسعد او نرضى . .

انه قد يتحول الى تعذيب وتحقير وتصغير واذلال وتثبيط فك الا ترى او تعايش الا الدمامات والحقارات ، والا ما يصنع لك الاحزان والتشاؤم ، وحينئذ قد تتحول بعض هذه الدمامات والحقارات وبعض هذا الذي يصنع لك الاحزان والتشاؤم ، في رؤيتك وظنك ، الى جمال وعظمة والى صانع واهب للمسررات والتقاؤل . انك قد تقترض المجد الذي لا تجده او تحتلم به او تدعيه لانك لا تجده .

وايضا الا يحتفل ان تكون هذه المقاطع المودودة قفزات شعرية ليست الا قفزات الى جذع الشجرة او الى ظهر الجمل وليست قفزا الى القمر . لعل السبب ان المجتمع الذي عدت فيه هذه المقاطع قفزا شعريا يرى ان القفز الى جذع الشجرة والى ظهر الجمل هو كل القفز واعلى القفز أليست التقاهة في المجتمع التافه عظمة ؟ ليست النملة في مجتمع الذر ضخامة ؟

لعل اكثر صيغ الجمال هي في عين الرائي وفي مجاعاته وحساباته لا في ذات المرئي . .

آه . كم في هذا من الفظاعة ومن تشوه وتهدم الشخصية ؟

انظروا . . انه اي المتنبي ليمدح حتى ليبدو من اصدق الصدق ان يقال : انه لا يملك اي قدر من الحياء أو الذكاء أو الكبرياء أو الرجولة ، وانه ليفخر حتى ليبدو من اصدق الصدق ان يقال : انه لا يملك اي قدر من العقل أو الاتزان أو الوقار أو الرؤية، وانه ليهبو حتى ليبدو من اصدق الصدق ان يقال : انه ليملك ويعيش ويختزن في ذاته كل ما عند البشر والحشرات وكل ما لا يمكن ان يكون عند البشر أو عند الحشرات من وقاحة ونذالة وفحس وعفن وقسوة وعهوان . .

وهل المتنبي الا مدح او هجاء او افتخار ؟ وهل مدحه وفخره وهجاؤه الا هجاء لكل اساليب المدح والمفاخرة والهجاء ؟ انظروا . . انه ليصغر ويتخضع ويهون وينافق حتى ليفقد كل حجم ، وانه ليتكبر ويتطاول ويدعي حتى ليبدو كان الكون كله لا يستطيع ان يتسع لحجمه ، ان يكون وعاء لحجمه . انه متخضعا متصاعرا لترق له النمل ، وانه متكبرا متطاولا لتفخر به وتهنئه كل الوقاحات والغباء . .

انظروا ٠٠ انه ليمدح نفسه حتى لتذعر وتمرض الالهة خوفا على مجده من مجده
وانه ليمدح حشرات البشر حتى لتتوارى حشرات الارض استحياء ، طائفة انه
يعنيها بمدائح ، وانه ليهجو حتى لتحسب جميع الكائنات الحاملة والباصقية
للعفونات انه قد سرق منها وبصق كل عفوناتها ! ٠٠ انظروا ٠ هل يمكن ان تتلاقى
حدود ذاته او ان تركب ذاته بعضها على بعض لكي يستطاع فهمها او تطاق رؤيتها ؟
انه لمن الصعب جدا قراءة ذهن المتنبي او تصوراته او حساباته حين يقول
مدائح واهاجيه ومفاخراته اي ان كان له ذهن وحسابات وتصورات انها لمخاطرة
ان يفترض المتنبي محاسبا او محاكما لما يقول محاسبة او محاكمة فكرية او نفسية او
اخلاقية او انسانية او حتى تصويرية او لغوية ٠

هل كان يقولها للناس ، يريد ان يسمعوها ويقرؤوها ؟ ألم يكن يخشى
ان يقرأوها ويسمعوها ويفهموها ويحاسبوها ؟ ونحن هنا قد اخترنا افتراضه
محاكما محاسبا لما يقول ٠ وقد نحتاج الى اعتذار عن هذا الافتراض ! ٠ اذن كيف يمكن
ان تكون حساباته وتصوراتها اذا قرأوها وسمعوها ، او اذا كان قد تصور انهم قد
يقرأونها ويسمعونها او انهم لا بد ان يفعلوا ذلك ؟

هل يظن او يعتقد انهم قد يطربون او يعجبون او يرحبون او يصدقون او
يحترمونها او يحترمونها قائلاً ؟

ان كان يظن او يعتقد هذا فهل يمكن التصور بانه يملك اي مستوى من العقل
او الذكاء أو الرؤية أو القراءة للاشياء ؟

هل يمكن ان يوجد من يهبط ذكاؤه وعقله ورؤيته للاشياء الى هذا المستوى
حتى ولو كان عربيا ؟

اذن هل كان يقول مدائح واهاجيه ومفاخراته هذه بحثا عن احتقار الناس له
وعن اثاره اشمئزازهم وغثيانهم وانفجاعهم به ومنه ؟

هل كان يريد تعذيبهم باصابتهم باقسي مشاعر الاحتقار والاستنكار والغضب
حتى ولو كان احتقارهم واستنكارهم وغضبهم هذا مصبوبا عليه هو ؟ هل كان يريد
ان يبصق عليهم وان يتعري ويتشوه في كل رؤاهم بهذا الاسلوب سخريه واستهزاء
بهم ، بذكائهم وبوقارهم وكبريائهم وبكل معانيهم ، ولم يكن يريد ان ينال اعجابهم
او رضاهم او حبهم او ثناءهم ؟ هل كان يريد تحقير وفضح وتعذيب كل الناس وكل
الاشياء بتحقيره وفضحه وتعذيبه لنفسه ؟

هل كان يريد ان يعلن عن مستوياتهم ، ان يحقر ويصغر مستوياتهم ، اي ان
يقول : انتم لا تساوون اكثر او اعظم من هذا ، اي لا تستحقون ان تسموا الا هذا
ولا ان تخاطبوا الا بهذا ؟

اليس هذا اعلى فنون التحقير والتصغير ان كان يريد هنا ان يصغر ويحقر ؟
هل كان يريد ان يقول : اني سوف استقرغ على عقول واخلق واذان وكرامسة
قومي العرب - استقرغ عليها كل هذا القبح والجنون والنزق ، فهل يغضبون او

يرتجفون او يفهمون او يرفضون ؟ اني اتحداهم ، اتحداهم ليفعلوا شيئا من ذلك . هل كان يريد التذليل على أن قومه العرب لا يغضبون ولا يرفضون ولا يشتمونزون مهما تجمعت عليهم اسباب الغضب والرفض والاشتمزاز ؟ هل كان يتحدى ؟ ان كان يقصد هذا التحدي فمن الممكن ان يقال : لقد انتصر في تحديه انتصارا رائعا كاملا . . . ولكن ان كان يريد ان يتحدى شهامة وكرامة وذكاء ووقار قومه العرب بهذا الاسلوب لكي يطلق منهم وفيهم رفضا او غضبا او ذكاء او موقفا او عقابا او ردا ملائما ، وكان يظن انه قد يفعل بهم ولهم شيئا من ذلك ، فقد اخطأ وهزم وعجز . . . الا يحتمل ان المتنبي قد اراد ان يفضح قومه العرب وان يثير اشمزازهم بهذا الاسلوب الوقح الرديء جدا لكي يخلق فيهم شيئا كان يريده لهم دون ان يجده فيهم ؟ هل كان محرضا او محقرا ؟ او هل يمكن ان يكون التفسير ان المتنبي لم يكن يخاطب الناس او يخاطب قومه العرب بمذائحه ومفاخراته واهاجيه ، وانما كان يخاطب اشباحا لا يستطيع فهم ذكائهم او اخلاقهم او استجاباتهم او حياتهم وكيونتهم بمنطق الانسان او بذكائه او اخلاقه او استجاباته وتصوراته ونماذجه ، لهذا خاطبها باساليب لا يمكن ان يخاطب بمثلها البشر ؟ هل يمكن ان يكون هذا هو التفسير للمتنبي حينما قال اهاجيه ومذائحه ومفاخراته ؟ اليس جميع الناس يتخيلون ولو احيانا حين يتحدثون انهم يخاطبون اشباحا غير معقولة او معروفة ، او يبدون كمن يتخيلون ويفعلون ذلك ؟

او لعل المتنبي كان يخاطب نفسه فقط ، ولم يكن حين يمدح او يهجو او يفخر ويدعي يخاطب اي كائنات غير نفسه ، لا الناس ولا اشباحا يراها او يتصورها . لعله لم يكن يرى او يواجه او يحس او يعرف او يتصور او يخاف او يحترم او يراعي او ينافق او يغازل سوى نفسه وهو يقول جنونه وحماقاته . . .

لعل نفسه كانت تتقبل بل كانت ترضى وتعجب وتطرب ان تخاطب بمذائحه واهاجيه ومفاخراته . لعلها اي نفسه كانت في تكوينها خارقة وعجيبة حتى ليرضيها ويطربها مثل هذا الجنون الذي لا مثيل له في اي جنون !!

اليس جميع الناس انما يخاطبون انفسهم حين يخاطبون الاخرين ؟ اليس مخاطبة الاخرين احد اساليب مخاطبة النفس ؟

او هل يمكن ان يكون التفسير : ان المتنبي كان يستفرغ نفسه استفراغا لا يقصد ان يخاطب به احدا مثل ما يفعل جميع المستفرغين لخراثن ابدانهم ؟ هل المستفرغون لابدانهم ولما فيها من عفونات واعباء كريمة يقتصدون ان يخاطبوا باستفراغهم هذا احدا ؟ اليس مثل هذا ولو احيانا استفراغ النفس ؟

ولكن اذن لماذا جاء استفراغه بهذا الاسلوب دون جميع الاساليب الاخرى ؟ لماذا جاء اي استفراغه بكل هذا القبح الذي لا يستطيع اي تدبير او تخطيط ان يصنع قبحا مثله ؟ اليس الاساليب الاستفراغية مختلفة المستويات والصيغ ، بل مختلفة

الذكاء والوقار والكرامة ؟ أليست توجد اساليب استقراغية مهذبة ومتحضرة وذكية ؟ بل أليست توجد اساليب استقراغية ملتزمة باعلى مستويات الاخلاقية ؟ كيف يستطيع اي مستفرغ استقراغ مثل هذا :

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من اعدائك القمران
اردلي جميلا جدت او لم تجد به فانك ما احببت في اتاني
لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لعوقه شيء عن الدوران

أو مثل هذا :

اي محل ارتقى اي عظيم اتقى
وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفريقي

نعم ، كيف تستطاع قراءة أو تفسير ذهن المتنبي أو حساباته أو تصوراتيه حينما يجرؤ على أن يقول مثل هذا الجنون الذي يعد ما سواه في ديوانه شفوذا ؟ اذن هل المتنبي شاعر ؟ ومهما كانت الصعوبة أو الاستحالة في تعريف الشاعر والشعر فهل يمكن ان يعد الكلام الذي ليس جمالا ولا حبا ولا صدقا ولا حقا ولا رؤية ولا احساسا ولا ذكاء ولا عزاء ولا تعبيراً عن واقع أو مستقبل أو أمل أو عن اية عاطفة ، بل وليس غضبا على اي قبح أو سخف ولا غير اخلاقية أو عقلية أو انسانية - نعم ، هل يمكن ان يعد مثل هذا الكلام شعرا ؟ نعم ، ان المتنبي مادحا وهاجيا ومفاخرا لمستحيل أو صعب تفسيره أو الاقتناع بانه شيء ، يمكن تفسيره .

اذن لماذا نصبت السوق والتاريخ العربيان المتنبي سلطانا على جميع سلاطين الشعر العربي ونبيا على جميع انبيائه ، ولا يزالان ينصبانه كذلك ؟ والعرب مفتنون دائما بان ينصبوا واحدا على الجميع . نبيا أو الها أو خليفة أو شاعرا على جميع آحاد نوعه .

لقد نصباه فوق مجده هذا لاسباب ليس منها حتما استحقاقه لذلك . . ليس لانهما عرفا استحقاقه ذلك ثم التزما في سلوكهما بمعرفتهما هذه . . هل السوق والتاريخ العربيان يستطيعان ان يعرفا ، ولو عرفا فهل يستطيعان ان يلتزما ؟ من يستطيع ان يتهمهما بهذا المجد الاليم ؟

لقد كان من هذه الاسباب التي نصبت المتنبي فوق هذا المجد انه اي المتنبي كان هدارا وصهالا على أعلى مستويات الهدير والصهيل ، وبكل أساليب الهدير والصهيل ، وبكل اخلاقيهما ولغاتهم وتفاصيلهما . ان هديره وصهيله لو تحولا الى كينونة لكانا اكبر من كل الكون . ان كل هدير وصهيل الطبيعة والاشياء ليتحولان الى صمت وهمس لو حوسبا بصهيل وهدير وزئير المتنبي .

لقد كان يعيش في هديره وصهيله ويتفجر من هديره وصهيله كل هدير وصهيل كل انبياء وزعماء وشعراء وسلاطين العرب الهدارين الصهالين بكل ما في اخلاقهم

وعقولهم واعصابهم ولغاتهم وتعاليمهم ونبواتهم من وقايات وبذات وسباب ونزق وكبرياء وادعاء وجهالة وبدعوة وقسوة وتقلب • لقد كان وعاء جيدا لكل انبياء وزعماء وشعراء وسلاطين العروبة في كل اجيالها التاريخية والمكانية • • لقد كان صوتا احقق تنطلق منه وتسكن فيه كل الاصوات الحمقى في كل ماضي العروبة وحاضرها ومستقبلها • •

كان المتنبي صاهلا وهادرا وزائرا مفاخرا يرتفع بالسوق العربية وبقارئه العربي الى كل ما فوق آفاق الفراغ ، الى ما فوق كل الحدود والمقاييس والنماذج والاخلاق والذكاء والحياء والعقل والوقار والتواضع والاحتمالات المعقولة والمحترمة والممكنة • • كان يرتفع بقارئه العربي من فوق تواضع العقل والتعذيب ليحلق به فوق كبرياء الجنون والفحش • •

كانت السوق العربية تقرا المتنبي أو تسمع من يقرؤه فيفقدوها صهيله كل انزانه وقدرتها على الرؤية والفهم ، وترى حينئذ انها فوق كل شيء وكل احد ، واكبر من كل شيء وكل احد • انها حينئذ لا ترى أو تحس أو تعاني شيئا من آلامها أو هوانها أو عجزها ، أو من هزائمها وتفاهاتها وذنوبها وعارها • • لقد تخطت كل ذلك وتفوقت عليه وتداولت منه وهزمت • • لقد نسيت • • لقد سحبتها الى عالم من الجنون الفريد الذي تفقد فيه كل اخلاق الرؤية والعقل والاتزان والصدق والقراءة والمحاسبة لاي شيء • • لقد اصبحت لا ترى ان لاي شيء قانونا أو حدودا أو شروطا أو ظروفًا أو منطقًا • • لقد اصبحت قادرة على التحليق والطيران فوق كل الافاق بلا اقدم أو اجنحة أو محركات وقاذفات كونية • •

لقد هزما صهيله اي صهيل المتنبي حتى تحول الى أقوى وأوفى تعويض لها عن كل رؤية وذكاء ومجد وكبرياء وعن كل واقع جيد وعزيز • لقد تحول صهيله الى أوفى كفارة عن كل بلادة وهوان وعجز ، عن كل واقع ردىء حزين ذليل •

ليس لكبرياء الكلمة المجنونة في اذن ومشاعر وأريحية الانسان العربي كل المجد والقوة والانتصار والعزاء ؟

هل يعرف الانسان العربي شيئا يساوي كبرياء الكلمة المجنونة المتكبرة ؟

كم وهبت الانسان العربي من المجد والقوة والانتصارات والنشوة ايتها الكلمة المتكبرة ؟ كم وهبت تاريخه وانبياءه وخلفاءه وشعراءه وسلاطينه وجيوشه من الغرور والرضا عن النفس ومن البديل والتعويض عن كل عجز وهوان ؟ هل يعنيه اي شيء عن مثل هذه الكلمة ؟ هل يقبل أو يعرف أو يتصور بديلا عنها ؟ هل يقبل الانسان العربي ان يشتري وقار الكلمة وتهذيبها بأي ثمن يدفع له لا يؤخذ منه ؟

هل يهز الانسان العربي ، اي انسان عربي شيء مثلما تهزه الكلمة المجنونة المتكبرة النزقة المغرورة المتفجرة بلا اي قدر من الوقار أو الذكاء أو الحياء أو التواضع

أو الرؤية ؟ هل يهزه واقع مهما كان عظيما وجميلا مثلما تهزه الكلمة المملوءة بالكبر والصلف البذيء البليد ؟

هل يقبل ان يتنازل عنها أو عن اي شيء من كبريائها أو جنونها ونزقها وغرورها وافتضاحها وبذاءتها بأي بديل أو تعويض ؟ هل يجد الانسان العربي مجدا أو نشوة في اي شيء مثلما يجد في الكلمة المصابة بكل معاني وتفسير الجنون والكبرياء الموقعة المتوقعة ؟

والمتنبى كان يهب السوق العربية والاذن العربية هذه الكلمة بأوفى أوصافها هذه . لهذا أجلسه فوق مجده هذا . لقد جاء المتنبى ليكون صوته متخطيا لكل الحدود المقبولة والمعقولة والسامح بها لكي يكون على مقاس الاذن العربية .
وقد يكون الأسلوب الذي طرح ولا يزال يطرح به المتنبى في الأسواق العربية هو احد اسباب مجده ورنينه في الاذن والتاريخ العربيين .

والأسلوب الذي يطرح به الشيء في السوق قد يكون أقوى وأدوم تأثيرا واقتناعا من أوصاف الشيء المطروح . . . وقد ظل المتنبى يطرح على الاذن العربية وفي السوق العربية بكل العنف والقسوة والانفعال والغضب والانفجاع والبغضاء ، وبكل الارهاب والارهاق ، وبكل الحقد والبذاءة والتحقير والعدوانية والسباب . كان يطرح بنيات القتال لكل شيء والانتصار عليه .

كان يطرح بهذه التفسيرات والنيات وتحت ظروفها ومقاساتها وفي مواجهتها ، ومراد لها أن تكون وتقع ، ومراد ايضا التخلص أو التخفيف منها . .

كان يطرحه من يقاسون كل ذلك ومن يريدون ان يوقعوا بالآخرين كل ذلك ، على من يقاسون ويواجهون كل ذلك ويتلاءمون معه ويعيشونه ويحسونه ، ويريدون توقيعه بكل الآخرين ، ويستمتعون بتوقيعه وبتصور توقيعه ووقوعه . . لم يكن يطرح كما تطرح الأشياء المعقولة والمحسوبة تحت حوافز أو ظروف معقولة ومحسوبة .

كان يطرحه اي يطرح المتنبى المتألمون المبعوضون الحاقدون الشامتون الشامتون المفجوعون الضاحجون ، أو الذين هم في ظروف هؤلاء وفي نياتهم ، أو الذين يملكون مواهب هؤلاء يطرحونه على أمثالهم في الواقع والمقاساة ، أو في الظروف ، أو في النيات ، أو في المواهب . ان المستريح والمهذب والمسالمة والسعيد والمشفق والمحب لن يجد رغبة أو لذة أو نشوة في ان يطرحه ولا في أن يطرح عليه . ان المترنن المهذب لن يستطيع ان يقرأه أو يستقبله . لقد كان يطرح في السوق كسلاح وتحقير وغضب وانتقام وكهجاء وسباب وتوعد وتحقير ، بتوتر وارتجاج وصخب ، ولم يكن ينشد أو يغني أو يقرأ في السوق انشادا وغناء وقراءة فقط ، بوقار وابتسام وتهذيب ومحبة ونشوة وتوازن . . ان من يقول قال المتنبى انما ينوي ان يسب ويحقر ويتهجم ويقتسو ويعاقب ويكذب ويدعي ويبالغ ويهجو بلا رحمة أو وقار أو تهذيب .

اجل . . والأسلوب الذي يطرح به الشيء لا بد أن يهبه أكثر مما يستحق أو أن

يسلبه أشياء مما يستحق . ان اي شيء لا يمكن ان يشتري أو يثمن أو تفسر قيمته مفصولا عن الزمان والمكان اللذين طرح وعرض وعاش فيهما أو عن الاسلوب الذي طرح وعرض وعاش به . .

لماذا ابتكرت الطبول واناشيد المواكب وجميع الآلات والاجهزة الصوتية ؟ ولماذا احتاجت اليها وشرعتها جميع الالهة والنبوات والزعامات والمذاهب والاديان والجيوش؟ هل استغنى اي اله او نبي أو زعيم أو مذهب أو جيش عن بلاغة الطبول وعن منطقها ؟ . .

اي اله او نبي أو زعيم أو شاعر عرض في اية سوق هل يمكن ان يكون قد نال من الانتصارات والمجد والشهرة والاتباع ، أو من الهزائم والهوان والخمول والرفض بقدر استحقاقه أو بقدر ما يساوي أو ما يجب أن يكون وينال ، مفصولا عن اخلاق ومواهب واستعداد السوق والزمان اللذين عرض فيهما أو عن الاساليب التي عرضته والتي عرض بها ؟ هل قرئت أو عرفت وفهمت مزايا اي كائن عرض في السوق مفصولا عن اخلاق وصفات الطبول والآلات الصوتية التي تدق حوله ؟

هل حدث أو هل يمكن أن يحدث هذا لاي اله أو نبي أو زعيم أو شاعر أو فنان في اي عصر أو مكان ، تحت اية حضارة أو أية بدواة . ان اي اله أو نبي أو زعيم أو معلم أو شاعر قديم سقط وقد يصعد لاختلاف زمانه ومكانه والاسلوب الذي طرح به . ولكن لماذا طرح المتنبي في السوق العربية بالاساليب التي وهبته كل هذا المجد والشهرة والدوي ؟ لماذا لم يطرح بالاساليب الاخرى المناقضة ؟ لماذا تستقبل النجوم بعض من يجيئون ويصعدون ، وتستقبل الرجوم اخرين يجيئون ثم لا يصعدون ؟

ان هذا السؤال وكذا الجواب عنه قضية اخرى . أو يراد هنا ان تفترض قضية اخرى . .

اجل ، ليست الرذائل التي حسبت على المتنبي يجب أن تحسب هي المزايا التي صنعت مجده في السوق والتاريخ العربيين ؟ أليست رذائل وذنوب وبلادة ودمامة الشيء ، أو الانسان أو الكائن هي مزاياه وتقواه وذكاءه وجماله أو هي التي حسبت أو فسرت أو زعمت كذلك ، في حسابات اخرى أو في منطق اخر أو في رؤية قوم أو مجتمع ما ؟ أليست العيون مختلفة الرؤية مهما اتفق وتوحد الرئى ؟ أليست العيون مختلفة في تفسيرها للأشياء مهما اتفقت في رؤيتها لها ؟ أليس التفسير متعدد والنص واحد ؟

لقد كانت رذائل المتنبي التي حسبت عليه : انه يدعى ويفخر ويبارز ويمتدح ويهجو ويشتم ويتناول ويبغض ويحتقر ويعادي ويهدد ويعير ويقسو ويهدر ويصهل ويعوي بلا اي قدر من الذكاء أو الصدق أو الحياء أو الرحمة أو الحب أو الاشفاق أو الاعتدال أو العدل ، وبلا اي قدر من الحكمة أو العقل أو الحاسبة أو المحاكمة أو الرؤية أو القراءة بالمنطق أو الاخلاق أو القانونية ، لاي شيء ؟ أليست رذائل المتنبي هي

خروجه الشامل على جميع مزايا الانسان الفكرية والنفسية والاخلاقية واللغوية
خروجاً حاداً متحدياً ؟

ولكن ليست هذه الرذائل هي كل المزايا أو اعظم المزايا في السوق وفي التاريخ
العربيين ، أو هي التي لا مزايا بدونها فيهما ؟

هل يمكن أن تقبل أو هل قبلت السوق العربية أو التاريخ العربي اية مزية
حقيقية إلا إذا ادخلت عليهما وفيهما مدسوسة بين هذه الرذائل ، متسللة معها ،
مقودة بها ، ومظنونة منها ؟ هل قبلت الاخلاق العربية اية مزية حقيقية أو حضارية إلا
مغشوشة بها ؟

هل يمكن أن تقبل أو هل قبلت السوق والتاريخ العربيان اية مزية حقيقية يحملها
أو يحياها أو يؤمن بها أو يدبرها ويريدها أي نبي أو زعيم أو معلم أو مفكر أو شاعر
أو مذهب أو دين أو نظام أو حضارة أو مجتمع إلا مخدوعين منخدعين بها أي بالمزية
الحقيقية ، حاسبين انها إحدى مزاياهما أي إحدى رذائلهما أو إلا مدسوسة في
رذائلهما ، مغطاة بها ، مقروءة بلغتها ، موضوعة تحت شعاراتها ، لابسة جميع ثيابها
البدوية ؟ هل استطاعت اية صيغة حضارية أو انسانية أو فكرية أن تقبل في العالم
العربي مواطنة أو مقيمة أو لاجئة أو حتى سائحة إلا تحت اكثف الملابس البدوية
التاريخية ؟

هل يمكن أن يقبل العرب أو هل قبلوا اية مزية من مزايا الحضارة أو العلم أو
الافكار أو الاخلاق أو الحياة أو الابتكارات الجديدة إلا موضوعة ومغطاة - بأسلوب
الخداع والانخداع والتسلل والدس والغش - في مواكب وحشود صارخة من رذائلهم
التاريخية البدوية ؟

هل قبلوا أي شيء غير بدوي إلا بعد أن يحولوه الى بدوي ويزعموه ويعلمونه
بدوياً ؟

هل يمكن مثلاً أن يتقبلوا حرية التفكير أو الاعتقاد أو التعبير أو أي شيء من
مزايا المتحضرين إلا بأسلوب الانخداع والتسلل والتحريف والتشويه الى أن تبعد
بل الى أن تصبح نقيضاً وهجاءً لنفسها ، أي الى أن تصبح رذيلة عربية لا مزية
انسانية أو حضارية ؟ هل حولت المزايا الحضارية والانسانية الى تشوهات ورذائل
مثلما فعل بها ذلك حينما حولها العرب الى صيغ وشعارات يدعونها ويمثلونها ؟

هل أمكن أن يقبلوا أي شيء من الحضارة إلا بعد أن زعموه في قرآنهم وتاريخهم ،
والا بعد أن وجدوه في قرآنهم وتاريخهم وتراثهم ، والا بعد أن حولوه الى اخلاق
وذكاء قرآنهم وتاريخهم وتراثهم ونبواتهم ، والا بعد أن أذن لهم قرآنهم وتاريخهم
وتراثهم ، والا بعد أن أعلن العالم المتحضر انه لم يأخذ أو يتعلم شيئاً من حضارته
إلا من قرآن العرب وتاريخها وتراثها ونبواتها ؟ انه لا يكفي إن يأخذ العالم المتحضر
جميع مزاياه عن العروبة بصمت بل لا بد من اعلان ذلك ..

هل أمكن أن يتقبل العرب شيئاً من عطايا العالم المتحضر إلا بعد أن اعترف العالم المتحضر بكل أساليب الاعتراف المتخضع الشاكر أنه ليس إلا سارقاً ، سارقاً كل ما عنده من تراث وعبقريّة ونبوات العروبة ، وأنه حينما يعطي العرب شيئاً من حضارته لا يعطيهم وإنما يرد اليهم بعض ما سرق منهم ؟ أن العرب دائماً معطون ولا يمكن أن يصبحوا آخذين ، وأن كل من سواهم آخذون ولا يستطيعون أن يصبحوا معطين .
أنه قدر الله وتاريخ وعبقريّة .

ثم هل قبلوا أي العرب هذا الشيء القليل الذي رده اليهم العالم المتحضر مما كان قد سرقه منهم ، إلا مدسوساً وملفوناً بكل ملابس وعباءات البداوة العربية ؟ حتى الصعود إلى القمر ، لم يصدق أو يتقبل العرب جوازه أو إمكانه إلا بعد أن قرأوه في قرآنهم وتراثهم .

وإن كانوا قد قبلوا أو فرض عليهم أن يقبلوا أي شيء لم يجده في قرآنهم وتراثهم وتاريخهم ونبواتهم ، ولم يعترف لهم العالم أنه قد سرقه من مقابر أربابهم وأنبيائهم وآبائهم ، فهل قبلوه إلا بعد أن صيغ ووضع في أسلوب وموهبة قرآنهم وتراثهم وتاريخهم ونبواتهم ، وإلا مكفنا بجميع إكفان بداواتهم وبجميع عباات تاريخهم ؟ هل قبلوا أية فضيلة حضارية أو إنسانية إلا محولة إلى رذيلة بدوية ، إلا مشوهة بكل عاهات البداوة ؟

إن البشر ليختلفون في فهمهم وتفسيرهم وتصورهم للفضيلة والرذيلة وللخير والشر وللجمال والحمامة ، وللذكاء والغباء ، وللنبل والنذالة ، وفي إعجابهم بهذا وأراداتهم له ، وفي اسمئزازهم من نقيضه وكرهاتهم له ، أكثر مما يختلفون ، أو مثلما يختلفون في قوتهم وضعفهم ، وفي تقدمهم وتخلفهم ، وفي إبداعهم للحضارة أو للبداوة ، وفي امتلاكهم لكل موهبة أو في عجزهم عن أية موهبة . إنهم ليختلفون في هذا لأنهم يختلفون في هذا .

إنهم بمثل هذا الاختلاف والتفاوت يختلفون ويتفاوتون في فهمهم لكون الشاعر شاعراً ولقيّمته ومكانته الشعرية ، وفي فهمهم لشعره ، وقدرتهم على الإعجاب به ، وقدره إعجابهم على أن يكون أي إعجابهم ذكياً وسوياً وقوياً أو نقيض ذلك . ما أصعب أن يكون الإعجاب ذكياً وسوياً وإن يكون كما يجب أن يكون مكاناً وقدرًا وصيغة .

إن الناس في فهمهم وتفسيرهم وتصورهم للخير والشر والجمال والقبح والفضائل والرذائل وللشعر والفنون والأفكار والقيم الأدبية والإنسانية والجمالية ، وفي إعجابهم بها وأرادتهم لها ودفاعهم عنها ووقوفهم معها – وأنا هنا افترض أنهم قد يفهمون أو يفسرون أو يتصورون شيئاً من ذلك وليسوا فقط يعتقدونه أو يقولونه أو يقرأونه أو يفعلونه .

– نعم ، إن الناس في جميع ذلك ليسوا منفصلين ولا يستطيعون أن يكونوا منفصلين عن مستوياتهم الحضارية والإنسانية والتاريخية ، ولا عن مواهبهم الذاتية

العقلية والاخلاقية والنفسية • ان احكام الناس على الاشياء وتفسيرهم لها وفهمهم ورؤيتهم لها محكوم بها عليهم اكثر من كونهم حاكمين عليها أو حاكمين بها على الاشياء أو مريدين واضعين لها • ان الرائي للشيء محكوم عليه ان يرى وعلى رؤيته بحكمها •

اذن اليس اعجاب قوم ما بشاعر أو بزعيم أو بمعلم أو باله أو نبي أو بدين أو بمذهب أو بشيء ما انما يعني ان ذلك الذي وهب الاعجاب به يستحق نقیض الاعجاب أو لا يستحق لا الاعجاب ولا نقیضه أو انه قد يستحق الاعجاب وقد يستحق النقیض دون أن يكون لاعجاب هؤلاء القوم اية دلالة لا جيدة ولا رديئة ، لا مثبتة ولا نافية ؟ اليس اعجاب اي قوم باي شيء انما يعني حيادهم من حيث الاعجاب ونقيضه اي في دلالاته التفسيرية والمنطقية والواقعية ؟

ولكن اليس تفسير اعجاب مثل هؤلاء القوم بالتفسير الاول ، اي انه اعجاب يعني النقیض ، هو التفسير الذي يجب ان يكون مقرا ؟ أجل ، انها لمحابة لما يعجب به مثل هؤلاء القوم ان يقال ان اعجابهم لا يعني المدح ولا الذم • نعم ، انها لمحابة اذ المفروض ان يكون اعجابهم هجاء للشيء الذي نال الاعجاب وليس حيادا منه • اليس محتوما ان ذوي المستويات الفكرية والنفسية والاخلاقية والتاريخية والحضارية الرديئة لا بد ان يعجبوا بما يلائم ويرضى ويشبه مستوياتهم هذه اي من نفس النوع ، وأن يرفضوا ويرهبوا ويكرهوا بل ويقاوموا ما يخالف أو يناقض أو يعادي مستوياتهم أو ما يتفوق عليها ؟ اليس محتوما ان يتحول ذلك الى تحد وارهاب واذلال وتحقير لهم ومستوياتهم ولكل معاني الطموح والكبرياء فيهم ؟ وهل يحتمل حينئذ ان يعجبوا به ، أو أن يعلنوا اعجابهم به لو أعجبوا ؟ اليس ذو المستوى الرديء يريد الاعجاب بالشيء الرديء ويستطيعه ويسعد باعلانه ؟

اذن اليس اعجاب السوق والتاريخ العربيين بالمتنبي اسلوبا من اساليب الهجاء له ؟ لقد أعجبا به لانهما وجداه تعبيرا حادا عن مستوياتهما وشهواتهما ، ولانهما قرآه وفسراه وراياه وأحباه بموهبة النقد والرؤية والقراءة والتفسير فيهما وبموهبة الحب في قلبيهما • اليس هذا اقصى معاني الهجاء ؟ اليس بعض الحب وحب بعض المحبين هجاء أو اتهاما للمحبوب ؟

وبقدر ما كان اعجاب السوق والتاريخ العربيين بالمتنبي هجاء له فان الاعجاب به اي بالمتنبي لا بد أن يصبح هجاء للمعجب به • وظاهر أن هذا الحكم لن يكون صحيحا أو محتمل الصحة الا اذا كان المعجبون بالشيء لا بد أن يروه ويقروا ويعرفوا مزاياء وذرائله وانهم لن يهبوه اعجابهم الا برؤيتهم وقراءتهم ومعرفتهم • وليت ذلك كذلك • انه اذن لمهجو بالمعجبين به ، وهاج لهم •! انه لهجاء للمعجبين به ولمدوحيه اكثر من كونه هجاء لمن هجأهم لانهم رفضوه أو ناقضوه او لانهم لم يعجبوه ••

اذن ايها التاريخ العربي ، ايتها السوق العربية ، كونا رحيمين بكرامتكما وبكرامة

هذا الشاعر المحفوظ البائس .. تراجعاً عن الإعجاب به ، توباً من قسوة هذا الإعجاب الذي يتحول الى اقسى هجاء له وهجاء لكما .. انسياء فان لم تنسياء فأنكرها احتراماً لذكائكما ولكرامتكما وأخلاقكما وأشفافاً عليه ايضاً .. اذن ايتها الموهبة العربية كوني رحيمة وشهمة ولا تعجبي بشيء جيد لئلا تحزني بأعجابك به دون أن يستحق .

ولكن هل المتنبي وحده في السوق العربية وفي التاريخ العربي بلا شبيه بل بلا مثيل بل بلا أمثال كثيرين يزاحمونهم بمزاياهم المضادة للمزايا ؟ هل يمكن أن يكون أي شيء رديء بلا أمثال كثيرين في السوق والتاريخ العربيين ؟
هل المتنبي مريض شاذ أو غريب مجهول يصيب الجسم العربي لأول مرة وآخر مرة ؟ هل يمكن أن يتفرد أي مرض أو عاهة في الجسم العربي ؟
هل هو المرض الأول والآخر في نوعه أو عنفه وقبحه ؟
هل يمكن أن يوجد أول متفرد من أي شيء أو في أي شيء أو لاي شيء بلا قبل أو مثيل ؟

هل وجد أو يوجد نوع من الأمراض أو التشوهات يظهر ويصيب مرة واحدة ثم يتوقف ويختفي بلا قبل وبلا بعد ؟
هل وجد أو يوجد مرض أو تشوه نبيل وحيني يظهر مرة واحدة ثم يختفي أو يموت حياً أو نبلاً ؟

هل توجد أو وجدت أو يمكن أن توجد بيئة نباتية أو حيوانية تنبت أو تلد نبتة أو شجرة واحدة أو حيواناً واحداً من كل النوع بلا تعدد .. واحداً أو واحدة فقط من النوع كله ، نوع النبات أو الشجر أو الحيوان بلا تكرار ولا مرة واحدة اي ولا مرة واحدة أخرى ؟

كلا المتنبي لم يكن وحده . انه لم يجيء من فراغ ولا الى فراغ ، ولم يهجم على مكان لا يلائمه أو يرفضه أو لا يعرفه أو لا يشبهه ، ولم ينبت في ارض لا تنبته ولا تزرعه ولا تحبل به أو تحتضنه وترضعه وتحنو عليه .. انه لم يلد نفسه أو يصنع نفسه من مادة غير موجودة أو نقيضاً للمادة التي صنع نفسه منها .

ان الارض لا تنبت بلا بذور ، وانها لا تنبت البذور التي لا تنبت فيها . وان النبتة ، اية نبتة لا تنبت من غير بذرتها ، أو لا تلدها بذرة غير بذرتها . ان الشيء لا يوجد الا بقانون والقانون لا يصنع مرة واحدة فقط .. انه لا بد ان يعني التعدد والتكرار . اذن فوجود الشيء حتى وجود الاله لا بد ان يعني تعدده ..

ان الطبيعة لا تستطيع ان تكون بلا توالد وتكاثر وتشابه وتعدد لتتوحد في شيء واحد بلا شبيه أو مثيل . انها لا تستطيع ان تصوغ نفسها في صيغة قبيحة واحدة .

ان العامة أو الدمامة أو البلادة أو الحماقة لا تستطيع أن تكون فريدة في أي

مجتمع ..

ان اية رداءة أو تفاهة أو صيغة جنون لا تستطيع أن تتوحد في بيتها أو عصرها .
 ان الطبيعة لا تعطي عطاياها أو تصنع شرورها وآلامها واخطاءها بالوحدانية .
 انها لا تستطيع ان تلد شيئا واحدا معيناً مرة واحدة ثم تتوقف عن الولادة ،
 عن ولادة مثيله . .

انك حينما ترى نوعاً من الدمامات أو العاهات أو الامراض أو الحماقات أو الجنون
 أو التفاهات أو من الغباء أو الطفيان أو السفه فلن تستطيع أن تفكر أو تفترض أن هذا
 الذي رأيت في ذات واحدة أو حالة واحدة أو منظر واحد هو كل ما حدث وكل ما سوف
 يحدث ، تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً ، في المجتمع الذي رأيت فيه أو في جميع
 المجتمعات . انك لو كنت مصاباً بعمالة نفسية أو بدنية لما استطعت أن تقتنع أن
 احداً غيرك قبلك أو بعدك لم يصاب ولن يصاب بهذه العاهة .

لكن لعل القبح والفحش قد تجمعا أو تألقا أو صرخا فيه بأساليب أكثر واقوى إثارة
 واغراء وفتونا . . أو لعلهما أي القبح والفحش فيه قد بدا أو حسبا أو ابصرا أو فسرا
 كذلك تحت ظروف واسباب قد وجدت وتجمعت في وقت ملائم ليحدث هذا الذي حدث .
 ان كل من تشابهوا أو تماثلوا في جمالهم أو دمامتهم ، في ذكائهم أو غبائهم ،
 في نظافتهم أو تلوثهم ، لن يروا أو يفسروا رؤية وتفسيراً متساويين . . ان العيون
 والعقول التي تراهم أو تقرأهم لن تقرأهم أو تراهم مستوى واحداً . . ان تساوي
 الاشياء والوجوه في ذواتها لا يعني تساويها في رؤية أو تفسير من يرونها ويفسرونها
 ويمارسونها . .

لقد آمن الناس في كل العصور والمجتمعات بما يسمونه الحظوظ أو الغيب أو القدر
 المدبر المقاصد المقصود . وكانوا في ايمانهم هذا عاجزين عن التحديد وعن التفسير
 لما يؤمنون به بل لم يكونوا يريدون أو يستطيعون التفكير في هذا التحديد والتفسير .
 لقد آمنوا ولا يزالون يؤمنون هذا الايمان لانه كان من الاستحالة الدائمة أو
 الصعوبة الدائمة أن يروا أو يعرفوا جميع الاسباب التي تحدث بها الاشياء والاحداث
 بالاساليب التي بها تحدث ، وفي الاوقات والظروف والازمان التي فيها تحدث .
 انه مهما كان ايماننا بالالهة أو بالطبيعة أو بالقانونية المحتملة فلن نستطيع ان
 نقلل أو نرضي دائماً حدوث الاشياء كما تحدث . .

لقد كانت الاشياء والاحداث تحدث وكأنها خروج على حل منطق وحساب وعدل
 وتوقع . كانت تبدو كذلك لغموض وتعدد ووقاحة وبلاهة وقسوة ونذالة اسبابها . .
 اذن لا بد من تفسيرها بالحظوظ والغيب وبالاقدار القادرة . . ان الايمان بالالهة
 والاديان وبكل الاساطير لم يكن الا تفسيراً للاشياء بالحظوظ والغيب والاقدار
 الفاعلة بلا قانون . .

والتفسير بالحظوظ أو الاقدار والغيب أو بالالهة ليس الا نفياً للاسباب . .
 ونفي الاسباب اسلوب من اساليب البحث عن الراحة ، ومن اساليب الاعتذار عن

العجز ، ومن اساليب الاقتناع للنفس ، مجاملة لها وتخفيفا عنها ، بأنها لم تعجز او تجهل أو تكسل ، ولكنها لم تجد . انها لا توجد تفاسير أو اسباب لما يحدث لكي نصبح مطالبين بمعرفتها أو متهمين بالعجز عن معرفتها أو بالكسل عن المحاولة لمعرفة . .

هكذا يذهب بظن ويقول المؤمنون بالحظوظ والغيب والالهة وبالأقدار المنطلقة من الظلام والضاربة في الظلام والعائشة المختبئة في الظلام . .

اذن قد يكون من الممكن الزعم ان قبح وفحش المتنبي لم يكونا اعظم كثيرا من كل قبح وفحش ولكن اسبابا وظروفا من الاسباب والظروف الغامضة التي تحتاج الى ان تفسر بالحظوظ والغيب والقدر هي التي وهبت فحشه وقبحه هذا التفوق والبريق اللذين جعلوا السوق والتاريخ العربيين يصابان بكل هذا الجنون اعجابا وافتقانا به ، لاقتناعهما بأنه لا قبح ولا فحش يساوي أو ينافس أو يقارب قبحه وفحشه .

لعل ما يسمى بالحظوظ والأقدار الجاهلة هي التي وهبت فحش المتنبي وقبحه كل هذا المجد والسلطان في السوق والتاريخ العربيين ، لحسانتهما اي فحشه وقبحه كل القبح والفحش اللذين يستحقان كل المجد والسلطان ، اللذين يستحقان كل مجد وسلطان كل القبح والفحش . اجل ، لقد كان تمجيد المتنبي في نيات ممجديه تمجيذا لأعلى صيغ القبح والفحش . فكيف رأوه يملك أعلى وأقوى هذه الصيغ ؟

حتما . . العرب لم يلتفتوا الى المتنبي ولم يشهروا به كل هذا الالتفات والتشهير الا لانهم وجدوا أو رأوا فحشه وقبحه الضاجين بكل الجنون والنزق والبذات والغرور والسياب والتطاول هما اعظم من كل قبح وفحش ، فهل هما حقا اعظم من هما كل القبح والفحش اللذين يستحقان كل المجد والسلطان ، اللذين يستحقان كل مجد ان يكونا كما رأوهما اي بكل هذا التفوق الذي لا يداني او ينافس ، بكل هذا التفوق الذي يخفي ويطرد ويهزم كل منافسة أو حتى مشاركة أو مشابهة ؟

اجل ، انك لو استطعت ان تجعل السوق العربية تراك نبي القبح والفحش لكان محتوما ان تراك نبي العبقرية والمجد القاهرة الساحر .

نعم ، قد يكون الجواب : ان فحش المتنبي وقبحه قد تلقيا من الاستقبال والحفاوة ما لم يلق اي قبح ولا اي فحش اخر لانهما قد وجدا أو ظنا أو كانا في حسابات السوق والتاريخ العربيين هما اعظم واشمل واجهر انواع ومستويات القبح والفحش . .

اجل ، قد يكون هذا التفوق في الاستقبال والحفاوة استحقاقا ، وقد يكون غلطة وسفها في تقسيم التاريخ لعطاءه ولامجاده وضرباته . هل توجد سذاجة أو سخافة أو بدوأة فكرية أو تحقير للانسان يساوي قول هذا الشاعر المحتكر لاضخم الحظوظ في الاسواق العربية :

وانما الناس بالملوك ولا يفلح عرب ملوكهم عجم

ومع هذه القسوة أو مع هذه التفاسير التي تبدو كأشد اساليب القسوة في رؤية

المتنبى وفي الحكم عليه ، فهل هو اي المتنبى يستحق العقاب أو التانيب أو المحاكمة التي يقصد بها أو منها المعاقبة ؟ هل هو مذنب خاطئ جان أم هو مصاب مجنى عليه؟ هل هو قد أراد ودبر وصنع فحشه وقبحه أم هو قد أصيب بهما ؟ هل زرع فحشه وقبحه في نفسه أم نبتا فيه كما نبت فيه لسانه وأظفاره ؟

اليس الانسان يصاب بآفاته النفسية والعقلية كما يصاب بآفاته البدنية ؟
اليس الانسان يصاب بضعف العقل أو الارادة أو الهمه أو الشهامة أو الضمير أو الايمان كما يصاب بضعف الحواس والعضلات ؟

هل يمكن أو يجوز أن يتهم أو يعاقب أو يحاسب أو حتى يلام الانسان على تشوهات وعفوناته النفسية والفكرية أو يسأل عن ذلك الا مثلما يمكن أو يجوز ان يتهم أو يعاقب أو يحاسب أو يلام أو يسأل لانه قد اصيب بالمرض أو بالوهن أو بالشيخوخة أو يقصر القامة أو بسواد اللون أو بالموت أو بنمو الخراج في جسمه أو بتكون فضلات الطعام والشراب العفنة في احشائه ، أو بكونه يجوع ويمرض ويخاف ويحزن ويحب ويكره بلا تدبير أو ارادة ؟

هل الكائن حر في ألا يكون نماذج نفسه وفكره وعقله الا بقدر حريته في ألا يكون نماذج جسمه ؟ هل يعد مذنباً في هذا الا بقدر ما يعد مذنباً في ذلك ؟ هل الذي يصيبه العمى في عقله ملوم أو مستحق للملام أكثر من الذي يصيبه العمى في عينيه ؟ من الذي صنع المتنبى ؟ هل المتنبى هو الذي صنع المتنبى ؟ أليس المسؤول عن فحش وقبح المتنبى هو الذي صنعه ؟ فمن صنعه ؟

ولو كان هو الذي صنع نفسه لكان السؤال : ومن الذي صنع فيه ارادته وقدرته على ان يصنع نفسه كما صنعها ؟

من الذي يصنع للنبته الضعيفة المشوهة ويجعلها ضعيفة مشوهة ؟ هل هي التي تصنع نفسها كذلك ، أم تربتها وبزرتها وتاريخها ومناخها ؟ أم الذي يصنعها كذلك هو الاله الذي يتحدث عنه المؤمنون ويمجدونه لانه يصنعها كذلك ؟

ومن الذي يجعل الوجه المشوه الدميم مشوها ودميماً ؟ هل هو الذي يجعل نفسه كذلك أم الذي يجعله كذلك هو الجسم الذي نبت فيه ، وهو ايضا قوانين الوراثة والظروف الاخرى الكثيرة ؟ أيهما المشوه للاخر الجاني عليه : الوجه المشوه أم الجسم الذي زرع الوجه وسقاه وحمله وكيف واعطاه بل وانبت فيه كل خصائصه الوراثة والبيئية ؟ هل الوجه هو الذي يصنع الوجه أم الجسم هو الذي يصنع ؟ هل يمكن أن يكون الوجه شيئاً غير ما يمليه ويفرضه عليه الجسم الحامل له ؟

من الذي امراض وآلم الاخر : العضو المريض أم الجسد الذي تخلق فيه العضو المريض ؟ ومن الذي خلق ضعف العضو الضعيف : هل هو العضو نفسه أم جسده ؟ هل يمكن ان يكون العضو المريض للضعيف قد اقتترف ضعفاً أو مرضاً لم ينقله اليه أو لم يصبه به الجسم أو لم يعرضه له ويلق به فيه ويحرضه عليه ؟

ومن الذي يصنع الجسد أو المولود ضعيفا أو مشوها أو بليدا ؟ هل هو الذي يصنع نفسه كذلك أم الذي يصنعه كذلك هي خصائص وطاقت واطلاق وعقول وتاريخ وتوريثات ابائه ومجتمعه وجميع الظروف الاخرى التي لم يصنعها أو يردّها أو يجبرها هو ، بل التي لم يشارك هو في صنعها أو ارادتها أو تدبيرها ، بل التي لم يكن معاصرا لكيثونتها ؟ ومن الذي يصنع القلب حزينا أو مريضا ، أو من الذي يصنع احزانه واخلاقه واستجاباته وغاياته : هل الذي يصنع ذلك القلب أم الجسد بكل تقاسيره ؟

ومن الذي يصنع انياب واطفار الوحش : هل هي الاظفار والانياب التي تصنع نفسها أم الذي يصنعها جسد الوحش وخصائصه وتاريخه وحياته ؟

ومن الذي يصنع جسد الوحش ؟ هل جسده هو الذي يصنع جسده أم آباء جسده ؟ ومن الذين يصنعون آباء جسده ؟ أيها هو المذنّب الاول أو الوحيد : النهر أم البحر أم السحاب أم الفيضان المغرق المدمر ؟ أيها هو المذنّب البادي ، بالمذنّب وإيها اكبر ذنبا ان وجد ذنب ؟

اذن من الذي صنع المتنبي باظفاره وانيابه الاخلاقية والنفسية وبعاهاته وتشوهاتة وبكل امراضه ومعاني ضعفه وقبحه وفحشه ؟

ألم يجيء أي المتنبي الى نفسه والى قومه ومنها ومنهم كما يجيء الوجه المشوه والدميم والعضو المريض الضعيف الى جسده ومن جسده ، وكما يجيء الجسد والمولود الضعيف والمريض الى كينونات ومستويات آبائه ، وكما يجيء من هذه الكينونات والمستويات ، والى تاريخها ومن تاريخها ، وكما تجيء النبتة الضعيفة القديحة المتوحشة المؤذية الى تربتها وبزرتها وبيئتها ومنها ، أو كما تجيء اظفار وانياب وامعاء ومجاعات وشهوات الوحش الى الوحش ومنه ؟ لقد جاء المتنبي الى قومه العرب ومنهم كما جاء كل هذا الى هذا ومنه ، كما جاء التشوه الى الجسم ومن الجسم ..

اذن من الخالق الجاني المسؤول هنا ؟ ومن المخلوق المجنى عليه المستحق للرحمة والاشفاق ؟

أليست محاكمة ومعاقبة وتانيب المتنبي على قبحه وفحشه يساوي معاقبة ومحاكمة وتانيب الوجه المشوه الدميم ، أو العضو المريض الضعيف ، أو المولود الضعيف المريض ، أو النبتة الضعيفة الرديئة الضارة المتوحشة ، أو الانياب والاطفار والامعاء الجائئة المفتلسة ، أو القلوب الضعيفة المريضة أو المصابة بالاحزان والغوايات والخفقان ؟! أليست مثل محاكمة ومعاقبة الجسم لوجهه أو الجلد للونه أو الوالد الاسود لابنه لانه جاء اسود مثله ..

لم يكن المتنبي الا تجمعا فادحا كثيبا أليما من خصائص واطلاق وضمائر وعقول آبائه وتاريخه وظروفه وبيئته ، ومن احياءات وتحريضات ذلك عليه وفيه وفي كل ما حوله وعلى كل ما حوله ومن حوله .

لقد تخلق كما يتخلق التشوه والدمامة والخراج والمرض والالام والاحزان والماساة والبلادة في الجسم والقلب والعقل والضمير ، وكما يتخلق القحط في الصحراء ، ويتخلق الصحراء في الارض ، ويتخلق الارض في الطبيعة ومن الطبيعة ، وكما يتخلق الوحش في احشاء الوحش ، وكما يتخلق الزلزال والبركان في موقعهما ، وكما يتخلق التفاهة في التافه . ان العدل والمنطق ان تكون الطبيعة كلها مذبذبة او لا شيء منها مذبذب .

ان المتنبي لم يكن الا ولادة طبيعية ، لقحه وحبل به وولده وحضنه وارضعه وغذاه ورباه وعلمه آباؤه الشرعيون باسلوب طبيعي محتوم ومعلوم . لقد صنع المتنبي آباؤه بالاسلوب والقانون اللذين بهما تصنع الاجسام وجوهها الدميمة وبالاسلوب والقانون اللذين بهما تصنع الوجوه الدميمة دماطاتها . . انه لم يكن ولم يتجاوز غير ما وجد واعطى ووضع فيه او غير ما استطاع وعلم وعرف وحررض عليه بل وجزى عليه . .

انه لو وجد او اعطى او وضع فيه ما هو افضل وانبل ، او لو استطاع وعرف وقبل منه ما هو افضل وانبل لفعل هذا الافضل الانبل . .
ان حب النذالة والوقاحة ليس حبا بلا تفسير ، كما ان حب المجد والتعذيب ليس بلا تفسير . .

انه لو ورث من آبائه وتاريخه ومجتمعه وجها وسيما نظيفا واعجب من حوله بوجهه الوسيم النظيف لما استبدل به وجها دميما ملوثا وقحا . . انه لم يكن عاشقا للقبح ولكنه كان مصابا به . انه لم يخطط او يصنع وجهه الا بقدر ما خطط وصاغ بدنه . . ان المتنبي لم يكن عفنا ولدته نظافة ، ولا قبحا ولدته قسامة ، ولا تفاهة ولدته عبقرية ، ولا نذالة ولدته كرامة ، ولا بغضاء ولدته محبة . .
انه لم يكن ظلما ولدته شمس ، ولا وقاحة ولدته تهذيب ، ولا هوانا ولدته كبرياء .

انه لم يكن الا عربيا ولدته مواهب وتاريخ وحضارة واخلاق ونبوات ومجتمعات عربية .

انه مولود كما استطاع ان يولد لا كما اراد ان يولد ، وان والديه ولحده بالاسلوب والمنطق اللذين بهما ولدوا عاهاتهم ودماطاتهم واحزانهم . .
لقد كان المتنبي عربيا جدا . .

انه لو كان ممكنا الاختلاف على كل شيء في المتنبي لما كان ممكنا الاختلاف على انه كان عربيا جدا . . .

لعل اعظم مزايا المتنبي او نقائصه انه كان عربيا جدا . . كان عربيا جدا بكل صيغه وتفسيره ولغاته ونماذجه وعلاقاته مع كل شيء وفي كل رؤاه .

لعل ذنوب ونقائص الآخرين الذين لم يعطوا من المجد والسلطان والشهرة مثل الذي اعطي ، هي انهم لم يكونوا عربا جدا .
وانت كم تستحق التهنة لانه من الصعب جدا أن تستطيع أو تقبل أن تكون عربيا جدا . . .

لقد ورث المتنبي مزايا العروبة وخصائصها بشمول واحتشاد ، ثم عبر عنها بقسوة وقوة وصدق ودوي واصرار وكبرياء ، باساليب لعل الآخرين أو لعل الكثيرين قد عجزوا عنها . . صعب جدا أو رهيب جدا ان ترث ذات واحدة جميع مزايا العروبة وخصائصها ثم تعبر عنها بالقوة والدوي المطلوبين أو الملائمين . .
انه لشيء رائع في طرافته وقارته ، في جماله أو دمايته ، ان ترى عربيا قويا جدا في كينونته العربية وفي تعبيره عنها ، خالصا نقيا فيها جدا دون اية تأثيرات اخرى غير عربية . .

لقد كانت حظوظك جيدة جدا أو رديئة جدا ، لانه كان من الصعب جدا ان تجد أو ترى هذا النموذج من الانسان العربي ، اي القوي جدا في كينونته العربية والقوي جدا في تعبيره عنها والخالص النقي جدا فيها اي في كينونته العربية ، دون اية تأثيرات خارجية واجنبية من اي نوع ، حضارية أو عقلية أو اخلاقية أو نفسية أو حتى لغوية . ولكن لا بد من الاقتناع بان هذه التأثيرات التي يصاب بها الانسان العربي لن تتجاوز الاسلوب أو الصيغة أو الشعار أو اللغة .

ان كل أو أكثر النماذج العربية التي تراها وتواجهها وتعاملها هم اما غير اقوياء جدا في كينوناتهم العربية وفي تعبيرهم عنها ، واما مصوغون باساليب مختلفة بتأثيرات كثيرة خارجية غير عربية ، اي انهم لا يرون أو يعرضون انفسهم أو يتعاملون معها بصيغهم العربية وحدها ، بل مستورة ومجمل بصيغ اخرى كثيرة مجاملة لهم .

لهذا لم تكن حظوظك جيدة جدا أو رديئة جدا لانه كان من النادر أو الصعب الدائم ان ترى أو تجد أو تعامل هذا الانسان العربي جدا في كينونته العربية وفي قوة تعبيره عنها وفي نقاء كينونته العربية . .

ولعلك لم ترقط عربيا بهذه الشروط ، ولعل هذا من الخير لك وللانسان العربي كذلك . .

نعم ، لعل اعظم مزايا المتنبي أو اعظم نقائصه ، انه كان عربيا جدا . .
كيف استطاع أو امكن ان يكون عربيا جدا اي عربيا فقط ؟ نعم ، لقد كان كذلك .
اذن لقد كان شيئا رهيبا في تفاسيره .

ولعل هذا هو التفسير لسلطانه المتفوق في السوق والتاريخ العربيين .
لقد وجد ولا يزال يجد كل عربي فيه احد نماذجه الفكرية أو النفسية أو الاخلاقية أو الانسانية أو اللغوية أو كل نماذج . .

وتفسير المتنبي بأنه كان عربيا جدا ، اي انه كان قويا في كينونته العربية ، لا يعني به انه كان قويا في ولائه للعروبة أو في دفاعه عنها أو في مقاساته في سبيلها ، وانما يعني به انه كان صيغة عربية حادة ، اي انه كان نموذجا حادا ومتكاملا للعربي الهدار بلا اي قيد أو شرط من قيود أو شروط الصدق أو الذكاء أو الوقار أو التهذيب أو العدل أو الاستحياء أو الرؤية أو المحاكمة أو المحاسبة للنفس ، أو من التواضع أو الحب أو المقاساة الفكرية أو الاخلاقية أو النفسية أو الانسانية أو حتى اللغوية . نموذج الانسان العربي الا يقاسي اية مقاساة عقلية أو اخلاقية أو فنية أو نفسية في تعامله مع نفسه ومع اي شيء . وهكذا كان المتنبي .

نعم لقد كان النموذج الاعلى والاصيل النقي الدائم للانسان العربي ، الذي لا يأبى ان يكونه أو أن يوصف أو يتهم به بل الذي يسعده ويملؤه غرورا أن يكونه وأن يتهم ويوصف به - لقد كان هذا النموذج هو ان يكون اقوى واشمل واضح نماذج الهدير والصهيل بلا اي قيد أو شرط من القيود أو الشروط العقلية أو الاخلاقية أو النفسية أو اللغوية أو الحضارية - من القيود أو الشروط التي لا ينبغي أو لا يمكن أن يوجد شيء بدونها كلها أو بدون كثير منها . لقد كان نموذج الانسان العربي الا يرى اية رؤية لا فكرية ولا اخلاقية ولا بصرية ولا نفسية ولا فنية ، الشيء الذي يريد أن يصفه ويفهمه ويراه .

ولقد كان المتنبي هو هذا النموذج ، أو كان هو اقرب أو من اقرب الصيغ الى هذا النموذج . لهذا استحق بعدل ومنطق كل امجاده وحظوظه هذه . . . لقد كان اي المتنبي انسانا بلا اية شروط انسانية لا على رؤيته ولا على عقله وفهمه ولا على ضميره أو لسانه أو عواطفه أو تصوراته بل كان ضد هذه الشروط . لهذا كان عربيا جدا . . . لقد كانت مجازاة المتنبي في الاسواق العربية مجازاة عربية المنطق والاخلاق والذكاء والتاريخ والقيمة والمستوى والتوقع والسخاء . . . لقد كانت مجازاة المتنبي في السوق والتاريخ العربيين مجازاة فيها كل خصائص المجازاة العربية الاصيلية .

انه لخروج على جميع التفاسير والتوقعات الا يكون اي المتنبي في السوق والتاريخ العربيين كما كان . لقد كان احتفال السوق والتاريخ العربيين بالمتنبي احتفالا باقوى واصدق نماذجهما الفكرية والاخلاقية والعاطفية واللغوية الاصيلية الدائمة .

انه لو اريد ان يفسر جميع آلهة العرب وجميع انبيائهم وخلفائهم وسلاطينهم ومعلميهم ومفكريهم وخطبائهم بشاعر واحد او بانسان واحد ، أو أن يبحث لهم عن نموذج هو اقرب النماذج اليهم ، لما كان هذا الشاعر او الانسان او النموذج غير المتنبي . ان في ذات المتنبي كل تفاسير هؤلاء وكل نماذجهم ، بكل تعبيراتها . . . انه ليس من هؤلاء ، واحد لا يعيش فيه كل المتنبي ولو بأمانيه واغانيه . . .

وانه لو أراد جميع هؤلاء الالهة والانبياء والخلفاء والزعماء والخطباء والمعلمين والمفكرين العرب ان يختاروا لهم نموذجا ليكونه أو ليقلدوه أو ليكون واضع وصانع ومخرج الدعاية والاعلان عنهم ولهم ولجميع قضاياهم وعن جميع قضاياهم ، وليكون مستشارهم ولسانهم وجليسهم ، ولكي يكون المثال الكامل الدائم لاخلاقهم ولذكائهم وصحتهم وحبهم ووقارهم ووفائهم ولالتزامهم الفكري والمذهبي والديني والاخلاقي والتاريخي ، لما اختار احد منهم أحدا غير المتنبي . .

انها لموجودة في ذات المتنبي كل تفاسير ونماذج ومواهب ونيات ولغات واخلاق ونبوات كل انبياء وخلفاء وسلطين وشعراء العرب ، بكل الشمول والضجيج والقوة . . ان كل هؤلاء لا بد ان يجدوا كل ذواتهم بكل السهولة في ذات المتنبي ، في ديوانه ، مهما كانت اميتهم العقلية والنفسية والاخلاقية والبصرية والاستنتاجية . ان اي نبي عربي لا بد أن يجد قرآنه بعض شعر المتنبي . .

ولو انهم اي هؤلاء الالهة والانبياء والزعماء والخطباء والمعلمين والمفكرين العرب انسوا بوسيلة ما انهم عرب ثم عرض عليهم جميع شعراء العالم وهم ينشدون شعرهم بلغة واحدة أو بلغات كثيرة يتقنونها ثم قيل لهم : من تختارونه شاعركم ، أو من ترونه جديرا بأن تنتموا اليه نسبا ونموذجا ، أو من تودونه مثالا لكم لو أردتم أن تصبحوا شعراء ، أو من ترونه أقرب اليكم واشبه بكم اخلاقا وتفكيريا وضميرا ونفسا وطموحا وصهيلا وغرورا .

- نعم ، لو ان هؤلاء وضعوا امام هذا الخيار لكان المحتوم أو المتوقع جدا ألا يختلفوا أو يترددوا أو يقاسوا لكي يقولوا : انه هذا ، مشيرين بكل أهوائهم وتمنياتهم ومواهبهم الى المتنبي ، أي بعد وضعهم في الحالة المفترضة . وانهم لن يتهموا بأنهم أخطأوا أو زيفوا أو كذبوا حينما يفعلون ذلك .

ولكن لا بد هنا من اشتراط محتوم افتراضه ، هو ان تكون صيغ هؤلاء الالهة والانبياء والزعماء والخطباء والمعلمين والمفكرين العرب صيغا عربية خالصة بكل تفاسيرها ونماذجها التاريخية الثابتة الاصلية ، وليست صيغا قد أصابها التغيير الشديد الطويل المستمر تحت التأثيرات الخارجية القوية التي تشبه الغزو الشامل حتى بدت ولو في الصورة واللغة كأنها صيغ أو نماذج أو مستويات غير عربية وانها لحظوظ جيدة جدا أو رديئة جدا انه من الصعب جدا أن يوجد عربي لم يصبه هذا التغيير بأسلوب ما أو بقدر ما .

وانهم اذا كان هذا التغيير قد أصاب نماذجهم العربية فمن المحتمل ان يختار بعضهم شعراء غير المتنبي حتى ولو بنية الاستحيا أو التأدب أو الدعاية أو التواضع أو الانخداع عن النموذج المطلوب وعن الشبيه . ان الانسان العربي اذا تغير نموجه الموروث فلا بد أن يخجل من الاعجاب بالمتنبي بقدر ما يخجل من الاعجاب بانبيائه وخلفائه وسلطينه الذين كانوا يعلمون اباءه الجوع والموت والهوان والايمن والصلاة .

ان بعضهم قد يرى حينئذ انه لو اختار المتنبي نموذجه لكان ذلك في حسابات الآخرين مبالغة في الكبرياء وفي ادعاء المجد الصعب جدا . . انه قد يرى ان اختياره للمتنبي نموذجا له ترف في الطموح لا يمكن قبوله أو غفرانه . . . وهو لا يريد أن يتهم هذا الاتهام . انه لهذا وبهذا قد يتنازل عن نموذجه ، ولو ادعاء ودعاية وقولا فقط لكي يرى مبالغا في التواضع والتهذيب . . ان الانسان العربي حينما يتغير تحت التأثيرات الخارجية فقد يهاب الانتماء الى المتنبي ويهاب ادعاء امتلاكه اما خوفا من الكبرياء ومن المبالغة في الادعاء ، واما خوفا من العار . .

انكن قارئين للمتنبي ومستذكرين لاشعاره ومطلين على كهوف روحه ، ثم لنستمع الى اي زعيم أو حاكم أو حتى الى اي قائد عسكري عربي ، يخطب مفاخرا أو مهددا أو شاتما أو مدعيا متكبرا أو هاجيا محقرا متهما أو كاذبا متوقفا هادرا صاهلا محاربا منازل هازما كل الاعداء والاصدقاء ، كل المحاربين والمسالمين ، مالكا لكل امجاد كل القصور والقبور ، باصقا على كل الشموس والنجوم ، ممطرا كل البحار والانهار ، فاعلا كل ذلك هو وآبؤه وشيوخ قبيلته ، زاعما ومعلنا كل ذلك بكل افواه الدنيا ومن فوق كل منابرها اي بانه هو وشيوخ قبيلته هم ممطرو كل الأنهار والبحار والسحاب . .

ثم لنستمع الى اي كتاب مقدس عربي او الى اي نبي عربي أو سلطان أو خليفة عربي ، أو لنقرأه ، متحدثا اليانا والى كل احد وكل شيء ، بكل ما في السماء وسكان السماء من كبرياء وبدواة وجاهلية وادعاء واتساع واستعلاء ، ومن تحليق وهبوط ، في كل حضيض ، وفي كل وهم ، متفلتا من كل منطق وذكاء واتزان وصدق وتهذيب وحياء وجمال وفن وموهبة شعرية أو اخلاقية أو انسانية أو حتى روحية . . .

نعم ، لنكن قارئين للمتنبي ولاشعاره واخلاقه ولكل تفاسيره ، ثم لنسمع ونقرأ اي زعيم أو حاكم أو عسكري أو اله أو نبي أو خليفة أو سلطان عربي ، أو اي كتاب مقدس عربي ، ثم لننظر هل نستطيع الا أن نقول ان جميع هؤلاء انما يقرؤون علينا ديوان المتنبي ، أو انما هم جميعا نسخ أو طبعات اخرى من المتنبي ، أو انها روح المتنبي وموهبته قد تناسختا فيهم جميعا !! انه اذا وجد اختلاف أو تباين بينه وبينهم فليس الا في القدرة على التعبير وفي اساليب التعبير . .

ولو أن احدى السحب أو الشهب أو الاعاصير ألقت بالمتنبي بيننا اليوم ليستمع الى جميع اجهزة الكلمة العربية وليقرأ كل ما نحفظه ونرويه ونطبعه وننشره من تراث انبيائنا وخلفائنا وسلاطيننا وجميع حكمائنا ، بكل هذه الضخامة والوقاحة والفرق بل والجنون في الدعاوي والغرور والطيش والبدواة والسذاجة والافتخار والهجاء والاتهام والتهديد والبغضاء والقسوة ، لما اعتقد انه يسمع أو يقرأ غير اشعاره تنشد بأساليب قد تكون أعلى ضجيجا . .

انه حينئذ لن يجد نفسه غريبا ، أو أنه يواجه أو يجد شيئا جديدا . . شيئا لم تعشه نفسه أو اخلاقه أو تفكيره أو أمانيه أو مواهبه ، أو لم تقله كلماته . انه لا بد

ان يصرخ حينئذ : كل هؤلاء تلاميذي ، رواتي ، منشدو شعري ، سارقوه • انهم لصوص ، لصوص ••

انه حينئذ لا بد ان يذهب ينشد :

وتركك في الدنيا دويا كاتما تداول سمع المرء اتمله العشر
ليطمئن الى انه لم يكن نبيا مجنونا لمؤمنين عقلاء ، الى انه لم يكن الا همسا في
مواكب صارخين والا ريحا متوقرة في بيئة اعاصير مجنونة اي في زئيرها لا تأثيرها •
انه حينئذ لن يقاسي لكي يفهم أو يقبل أو يرضى ما يسمع وما يقرأ ، كما لن
يقاسي من الخجل أو الاسمزاز أو الانفجاع حين يقرأ ويسمع كل ما يقوله ويكتبه كل
حاضر العرب ، وكل ما قاله وكتبه كل تاريخهم • انه لا بد ان يذهب حينئذ يتلو :

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا
وهذا الخلع للمتنبى عن العرش ، أو هذا الهبوط بعرشه ، أو هذه الرؤية أو التفسير
له ، لا ينبغي أن يروع أو يصدم احدا ••

ان هذه الرؤية للمتنبى لا يعنى بها انه كان مجدا أو جمالا تاريخيا عربيا أو
انسانيا يجب ان نزهى به ولكن يجب ايضا ان نتخطاه •

بل يعنى بهذه الرؤية انه كان عارا أو ضعفا أو ذنبا تاريخيا عربيا ، لا يجب فقط
ان نتخطاه ، بل ويجب ان نخجل ونتوب منه •• ان من لا يخجلون من ان يكون المتنبى
تاريخيا في تاريخهم لن يستطيعوا أن يصبحوا مجدا لاي تاريخ •

لقد كان اي المتنبى واحدة من عاهاتنا ونقائصنا وسفاهاتنا التي لم تكن تشوه
تاريخنا أو تعيش فيه فقط ، بل التي كانت هي كل تاريخنا ، بل التي كانت هي كل
امجاد تاريخنا •• كان ذنبا بين ذنوب لا ذنبا بين صالحات ، وكان ذنبا مطلقا لا ذنبا
موقتا • كان ذنبا في حسابات كل التاريخ لا في حسابات بعض التاريخ وبعض
الازمان ••

هل يمكن ان يحسب المتنبى مجدا أو جمالا تاريخيا اكثر مما يمكن ان يحسب
هذا المجد أو الجمال أولئك الانبياء والخلفاء والسلاطين والشيوخ الذين كانوا يغطون
تاريخنا ويحكمونه ، ويعلمونه البداوة والتخلف والغباء والجهل والذلة والمسكنة
والخوف والطاعة والموت فداء لحماقاتهم وغزواتهم وعداوتهم ، كما كانوا يعلمونه
الصلاة والايمان بما لا يفهمون أو يعقلون أو يحترمون أو يحبون ، وايضا يعلمونه
الاقتناع بمزايا وجود الجحيم وبمجده اي بمجد الجحيم وبمزايا التهديد به اي بالجحيم
والتخليد فيه ، والاقتناع ايضا بوجود الجنة المذخرة في السماء ، وبمزية الحرمان
منها ، بل يعلمونه كيف يكون معلنا عن احوال الجحيم مع التمجيد له ولاهواله
وللتهديد به وبها وللتخليد فيه ، وكيف يكون معلنا عن لذات الجنة مع التمجيد
للحرمان منها والثناء على هذا الحرمان وما فيه من معاني الرحمة والحب والسخاء
والعدل ، ويرهبونه اي يرهبون التاريخ ويمنعونه ان يكون ذكيا أو قويا أو شجاعا
أو صادقا أو كريما أو سلاما أو حبا أو نظيفا أو مبصرا أو قارئا أو كاتباً أو مفكرا •

اننا كما يجب ان نتلفت الى انبيائنا وخلفائنا وسلاطيننا هؤلاء باستحياء وذعر وأسى وانخفاض هامات ولصوق بالارض كذلك يجب ان نتلفت الى المنتبي • ان اعظم انبياء وقادة وقديسي اي قوم لن يكونوا اكبر او اعقل او انطف أو اتقى من اعظم شعرائهم • ان القوم الذين يصغر اكبر شعرائهم في كل معانيهم لن يكبر اكبر انبيائهم أو خلفائهم أو سلاطينهم أو قادتهم أو قديسيهم في اي معنى من معانيهم • ان الانتماء الى السماء أو الى الاله لن يتحول الى تقوى أو الى موهبة في المنتمى ••

انه لا ينبغي كما لا يستطيع تفسير المنتبي بأنه كان في عصر من العصور أو لعصر من العصور مجدا أو جمالا أو فنا ، لهذا يطلب أو يجب ان يوضع في متحف كوني لكي يأتي اليه الزوار ليقفوا أمامه متذكرين منشدين خاشعين معجبين مصلين مستلهمين مأخوذين بالامجاد الكونية التي قد ماتت والتي قد خلدها الموت بقدر ما خلدت هي الموت •• بالامجاد التي لا تموت لانها لم توجد •• أليس اخلد الامجاد هي الامجاد التي لم توجد ولو أحيانا ؟ أليس اكثر الامجاد هي امجاد لم توجد ؟

ولكن الذي ينبغي بل الذي يجب ان يفسر المنتبي بأنه كان قبحا ونزقا وعدوانا على جميع القيم الفنية والحضارية والانسانية في حساب وحكم ونماذج جميع العصور ، لهذا فالمطلوب بل الواجب أن يوضع في كهف متوحش دميم بعيد عن المدن وعن الجمال وعن المعابد والمعاهد الفنية وأن يكتب على مدخله اي على مدخل الكهف : ادخلوا هنا ثم ققوا وتساءلوا بكل الذعر والاسى والانفجاع : كيف وجد مثل هذا ، في اي عصر أو مجتمع وجد ، وابة موهبة انسانية قد استطاعت ان تحبل به وان تلده وان يعيش في حجرها أو قلبها أو ضميرها أو عينيها • ادخلوا هنا مروعين باستفكار وتصور ما يختزن في احشاء القبابر من عاهات وذنوب وعار واكاذيب • هل يوجد مختزن للقبج مثل احشاء القبابر ؟

ارثوا بصدق واشفاق للعصر أو للتاريخ أو للمجتمع أو للانسان الذي حبلت مواهبه الفكرية والاخلاقية والنفسية والحضارية بالمنتبي ثم ولدت ثم ارضعته وربته وعاش في احضانها بل عاش فوق منابرها وعروشها وهاماتها وفوق السننها وضايفرها وحيائها وكبرياتها ، يغني كل فحشه وعريه وعاره ، مستمعة اليه ، هاتفة له ، مجنونة من الاعجاب والغرور به ، غير مصدقة انه ينتمي اليها وحدها بكل مجده وعبقرياته ، عاجزة عن التصديق بأن كل مجده بعض مجدها ، عاجزة عن هذا التصديق خوفا من ان تصاب بجنون الكبرياء أو بجنون التفرد بامتلاك المجد ••

ولكن هل تستطيعون ان تجدوا قلوبا أو ضامرا أو افكارا أو اخلاقا أو احزانا تكفي لكي تحولوها الى رثاء لقوم لا يزالون ينصبون المنتبي قيصرا مطلقا فوق كل امجادهم الادبية والفنية ، بل وامجادهم العقلية والاخلاقية والبطولية والحضارية ؟ هل يستطيع اي شيء ان يتحول الى رثاء لقوم يذكرون التاريخ بالمنتبي حينما يطالبونه بأن يحصي لهم امجادهم ؟

ان المتنبي لم يكن مزية قد تخطاها الزمن أو في مقاييس زمن من الازمان ، بل لقد كان رافلة يرفضها كل زمن ، وفي مقاييس ونماذج كل زمن . لقد كان المتنبي والمعجبون به الوالدون له المستمعون اليه من قومه ، قبحا وفحشا في حساب وتفاسير كل العصور والمجتمعات ..

انه لم يكن جمالا وعبقرية في اجساد وعقول ابائنا ثم اصبح دمامة وتفاهة في اجسادنا وعقولنا . بل لقد كان دمامة وجهالة وتفاهة في اجساد وعقول ابائنا مثل ما هو في اجسادنا وعقولنا ولكنه لم يكن في اجساد وعقول ابائنا دمامة وجهالة وتفاهة تعيش في جمال وعبقرية ، بل كان شيئا يعيش في نفسه ، في نموذجه الذي تلقح وحبل به وولده وغرس فيه تفاهته ودمامته ثم ذهب يعلمه الجراءة على ممارسة ما غرس فيه بل يجزيه على هذه الجراءة والممارسة ..

نعم ، ان المتنبي كان كالمرض والجهالة اي انه لم يكن نافعا في اي عصر من العصور بل كان ضارا ومشوها في جميع العصور ولجميع العصور اي لو جاء في جميع العصور ولكنه لم يكن مرضا وجهالة يعيشان في صحة ومعرفة . لم يكن بدواة وجنونا بين عقلاء ومتحضرين ..

وانها لعبقرية في القحط والعقم والضلالة ان تكون الاشعار الموجودة في ديوان المتنبي هي كل ما قاله وحسبه شعرا في كل حياته مع ان كل عمله في الحياة ان يقول ، مادحا وهاجيا ومفاخرا وكاذبا بلا اي قيد او شرط من قيود او شروط الذكاء او الشرف أو الكرامة أو الوقار أو الكبرياء أو الصدق ، ومع ان كل ما حوله كان يحل له بل يحرضه على أن يقول كل ما يريد ويستطيع قوله ، دون ان يشترط او يضرب عليه اي قيد او شرط من القيود والشروط المطلوبة أو المعلمة ، بل يرفع عنه كل قيد وشرط ، ومع ان كل مواهبه قد تجمعت في موهبة واحدة ، يجد فيها اي في هذه الموهبة الواحدة كل الشهوة والنشوة والمجد ، وهذه الموهبة الواحدة هي ان يمارس كل الانتصاح ، كل مستوياته ونماذجه ولغاته ، مادحا بكل الكذب والنفاق والصغار ، وهاجيا بكل الفحش والزور والفجور ، ومفاخرا بنفسه باساليب هي اكبر من كل الجنون والسفاهات والبذاءات ، وكاذبا بلغة وصيغ وحوافز تستطيع ان تسلب من كل الكذب كل اغرائه واغوائه وحوافزه ومجده ، وتستطيع ان تجعل أول من فكروا في الكذب وتعاملوا به يشكون في ان تكون له اية قيمة أو اقتناع أو تأثير أو اية وظيفة أو فائدة من اي نوع وبأي تفسير لو انهم استمعوا اليه اي الى كذبه قبل ان يفكروا في ان يكذبوا وقبل ان يكذبوا . أليس بعض الكذب قادرا لضخامة وقاحته وبلادته ان يسحب من الكذب كل امجاده التاريخية وان يذل هذه الامجاد ويفسد عليها اعجابها بنفسها وان يجعله اي يجعل الكذب يشك في قدرته على ان يخدع او ينفع او يقنع ؟ أليس كذب المتنبي هو قمة هذا الكذب ؟

انه لم يكن يترك القول حياء أو ذكاء أو تكرما أو تعففا أو اشفاقا أو صدقا أو

نقدا للذات . اي انه لم يكن يترك القول رفضا للوقاحة أو الهوان أو النذالة أو الكذب أو للدعاء أو للافتضاح من اي نوع وبأي اسلوب ، أو عجزا عن ذلك أو بحثا للشروط له وعليه ، أو خوفا من العقاب عليه أو من ألا يكون مقبولا أو مغفورا أو من أن يشتمز منه النقاد أو يفضحوه أو يهزموه ويسقطوه في سوق العملات الفنية والادبية والفكرية والاخلاقية أو حتى اللغوية . . انه لم يكن يرى للملابسه أو لأي ملابس قيمة أو نفعا رفضا أو كرهاا للتعري أو للاعلان عن التشوهات .

انه لم يكن يترك القول ناقدا لنفسه أو خائفا من نقد النقاد - خائفا من ألا يكون جميلا أو كريما أو من ألا يرى جميلا أو كريما . . انه لم يكن يترك القول أو يهابه لانه كان يحقد في عيون الناس أو عيون التاريخ أو عيون ضميره أو عيون مرآته . انه لم يعرف انه قد يصبح رائيا أو مرثيا . وانه لم يجرب ذلك أو يرده أو يطلبه أو يفكر فيه . . .

ان الطبيعة لا تستطيع ان تجد في جميع نماذج قحطها نموذجا يستطيع ان يتفوق على قحط المتنبي الذي لم يستطع ان يهب في كل حياته غير ما في ديوانه من مدائح واهاج ومفاخرات بالنفس مع ان هذه الاهاجي والمدائح والمفاخرات تمتلك كل اشواقه ونشواته وغطرسته الروحية وكل طموحه الى الانتصار والمجد والدوي والتفوق والى اذلال الاخرين وتعذيبهم بامجاده ودويه وانتصاراته . . . الذي لم يستطع ان يهب غير بعض الكلمات المتناثرة الصغيرة القريبة التي لا تتخطى في اعلى مستوياتها طور التهجي الفكري - تلك الكلمات التي حسبها هو أو حسبت له صعودا تصعب ملاحقته ولو بالخيال في سموات التفكير والفلسفات الكونية الخالدة . انها كلمات صغيرة زعمت حكما أو فلسفة أو تفكيراً مخترقا لكل الافاق والحدود والزمان والمكان مع انها لا تستطيع ان ترتفع به عن امية التفكير . .

ان هذه الكلمات القليلة الصغيرة التي تنشرت في الديوان والتي حسبت افكارا أو فلسفة أو حكما تخترق سدود الكون وحدوده وتهتك اسرار ضميره ، وتقرأ وتفسر كل قوانينه واخلاقه في كل صيغ تعامله مع اربابه وتعامل اربابه معه وبه لن تكون ، مزعومة تفكيراً أو فلسفة أو رؤى بعيدة صادقة افضل من التنجيم ، مزعوما علوما فلكية ، أو من التعاويذ والرقمي ، مزعومة علوما وكشوفات طبية ، أو من تفاسير رجال الدين للكون ، مزعومة ذكاء ومنطق واخلاق اله ، أو من الخباب ، مفسرا بأنه رحمة وحب وفن وعبقرية وشاعرية وهدية اذكي واقوى واتقى الالهة ، أو من النبوات والكتب المقدسة ، مزعومة نهاية اشواط التفكير الانساني والمعرفة الانسانية والفائدة لهما في كل اطوار واسفار التاريخ ، أو من خطب واحاديث ساسة وزعماء وقادة العرب ، مزعومة افكارا أو رؤى أو مواقف أو تفاسير سياسية أو انسانية أو أي شيء يحمل اي معنى جيد أو يستحق اي احترام أو اهتمام أو مراجعة أو حتى قراءة . . .

ان التفكير لن يقبل انتماء المتنبي اليه الا بقدر ما يقبل اي قاموس سياسي ان

يضع في احد سطوره اسم ايزعيم او قائد او حاكم عربي مهما كان تواضع هذا القاموس ..
كانت بعض هذه الكلمات القافزة في الديوان بين هدير الهجاء والمديح والفخر ،
التي عدت تفكيراً او فلسفة او حكماً تفضح وتعري صمت واحتجاب الاشياء ، وتلقي
عن الحقيقة بكل الحجب والاغطية والادعاء الموضوعة فوقها لكي لا تستطاع رؤيتها
ولا تخيلها - كذا زعم لها .

- نعم ، كانت بعض هذه الكلمات مأخوذة من افواه السوق ومن تجاربها الناقصة
المتسرعة ، صيغت بلغة ضاجة مملوءة كبراً وادعاءً .. ان شعراءنا العظام لم يكونوا
الكي أو اعظم تفكيراً من السوق ولكنهم كانوا اصنع للكلام من السوق ..
اليس قحط المتنبي هذا تعبيراً عنيفاً عن قحط الطبيعة التي انبتته وسقته وكونته
ونقلت اليه قحطها أو خصبها ثم بهرت وجنت بضخامته وخصوبته ، بل ثم انتظرت
وتوقعت ان يجن أو يموت كل العالم حسداً وغيرة من خصوبته وضخامته وعجزاً عن
منافسته أو عن منافسة الطبيعة التي خلقتة وألفت فيه خصوبتها ؟ لقد كان قحط
المتنبي قحط تاريخ أو شعب أو ارض لا قحط فرد ..

**

اني هنا لاقاسي مقاساتين : مقاساة لهذه القسوة في رؤية المتنبي وتفسيره .
ومقاساة اخرى لصديق هذه القسوة في رؤيته وتفسيره .

ان ابداء الرأي الصائب الشامل الصحيح الاليم في انسان ما لاكثر ايجاعاً
وأذى له من التحديق الوقح البذيء الشامت في عاهة جسمية مهينة رهيبة فيه ..
ان الرؤية القاتلة لجد قد فرغ من بنائه وعد مجداً كونياً لاقتل من اية رصاصة قاتلة ..
ولكن لا بد ان يخفف من المقاساتين العلم باستحالة ان يقرأ اي المتنبي أو يسمع
أو يعلم هذا الرأي فيه . اجل ، استرح يا ضميري المعضب الصانع للعذاب .. استرح
فإن المتنبي القليل لن يسمع أو يقرأ أو يعلم هذا الرأي فيه ، لن يشعر بأية رصاصة
من هذه الرصاصات .

انه لو كان يوجد احتمال بان احداً ما قد يوصل اليه هذا الرأي فيه لهبت
ولتعذبت ان اتول فيه ما قلت .. جميل هو ألا تكون هنالك اية مواصلات بين الموتى
والاحياء ، بين الموتى وبين بيوتهم واهليهم والعالم الذي تركوه أو تركهم ..

ان الموتى لا يشعرون أو يتعذبون أو يعيرون بعارهم أو بذنوبهم أو بتفاهاتهم .
لن الموتى اذن لمحظوظون ، وان للموت اذن لمجداً ومزية وتقوى وكرامة ، ان له
لضميراً . ان من اعظم عطايا الموت انه يمنع من التحديق في الذات وفي النيات وفي
الراة وفي ما فات وما هو آت ، وفي عيون وضمائر وآراء ووقاحات المحققين ..

ان التحديق في الميت لن يجرح أو يخل أو يذل أو يعذب اية عاهة أو فضيحة من
عاهاته أو فضائحه . اذن كم هو منتصر اي الميت على العيون والعقول والضمائر

والاذان المحقة في سوءاته القارئة لها بكل القسوة والمحاسبة والشماتة والاستمتاع
الخبيث ..

انه لا حدود ولا نفاذ لصبر الميت وتحمله وغفرانه وتقبله ، كما لا حدود لشجاعته
واغصائه ونبله ، ولتنازله عن الكرامة والحياء والكبرياء ! ان الميت لا يرى عاره لو
هوانه أو قبحه ولا يحياه أو يجوع اليه أو يفاخر به . اذن هل يوجد كالموتى
نبلا وجمالا وكرامة وطهرا ؟

اذن كم هو شهم ونظيف وحيي هو الموت لانه هو وحده الذي يحمي من فعل
التفاهات والوقاحات والحقارات والفضائح والصغائر ، ويحمي من رؤيتها وقراءتها
ومن الاستماع اليها والاعجاب بها ومن الاشمئزاز والاستحياء منها ومن التعبير والاثام
بها . هل يستطيع اي حي ان يحمي من فعل ذلك ومن رؤيته وقراءته والاستماع اليه
ومن التعبير والاثام به ومن عذاب الاشمئزاز منه ؟

هل يوجد غافر وسائر لذنوب الاحياء ولعارهم ودما ماتهم غير موتهم أو مثل
موتهم ؟ هل يوجد عاصم من رؤية القبح ومن الاستماع اليه والاستمرار فيه ومن
العشق والتمجيد والتهافت له ومن الاتهام والتعيير به والاضطرار اليه ، سوى الموت ؟
لعل الطبيعة لم تجد شيئا غير الموت تعتذر به عن قبحها وسخفها ومخسها وبلادتها
وعن فرضها على كل حي ان يفعل الحقارة والنذالة والمهانة ، وان يواجهها ويراهها ،
ويقراها ، ويستمتع اليها ، وان يخبر بها ولو احيانا ...

لعل الطبيعة لم تفرض الموت على الانسان الا تكفيرا وتعويضا عن تشويهها
وتلويثها وتحجيرها وفضحها وتذليلها له . لعلها ابتكرت الموت عجزا عن ان تستمر
ترى الكائن يستمر يفعل ويقاسي نذالاته وفضائحه والامه ما دام حيا بلا خلاص أو
توبة .

ولعل الالهة حينما فكرت ان تخلق الاحياء وحينما خلقتهم لم يكن في حسابها
ولا منطقها ان تخلق الموت ، ولكنها قد تورطت . لقد رأت ان الاحياء ، بعد ان تورطت
بخلقهم ، لا بد ان يقاسوا كل النذالات والبذات والحقارات والبلادات والاكافيب
والفضائح والدنايا ، فاعلين ومواجهين ومبصرين وقارئين لها ومستمعين اليها بل
وعاشقين هاتفين لها وبها بل ومعجبين أو متظاهرين بالاعجاب بها بل وجازين مثنيين
عليها ولو احيانا .. ولعلها حينئذ عجزت عن ان تغفر لنفسها كل هذه القسوة ..

وحينئذ ذهبت اي الالهة تفكر كيف تتداوى من ورطتها او كيف تعتذر عنها او
كيف تستر عارها ونزقها وورطتها ، وكيف تتوب اي الالهة الى عيونها وتخفف عن
عيونها ، وعن ضمائرهما والى ضمائرهما ، من قبح وقسوة ما تواجه وترى وتعرف ،
من قسوة وقبح ما فعلت دون ان تدري او تنوي .

لقد ارادت ان تعتذر الى الاحياء مما اوقعته بهم . وهل يوجد من يجب عليه
الاعتذار مثل الالهة ؟

وهنا لم تجد ما تواجه به ورطتها هذه الا ان تخلق الموت قاصدة التكفير والعلاج .. افن لقد كان الموت أو خلق الموت هو أسلوب تداوى الالهة من الامها واطنائها .. هو اسلوبها الذي لم تجد سواء للاعتذار الى الاحياء والى عيونها وضمائرها . نعم ، لعل ذلك كذلك . لعل الموت أو التمويت هو الدواء الذي لم تجد أو تعرف الالهة دواء سواء ليكون اسلوب توبتها . لعله اسلوب توبتها الى نفسها والى مخلوقاتنا اي الى ضحاياها .. ومحتوم ان تجيء اساليب الالهة في تعبيرها عن توبتها واعتذارها خارجة على كل منطق وبراعة ..

ماذا لو ان المتنبي لم يموت ، أو لو انه عاد فرأى أو قرأ أو عرف هذا الرأي فيه ولقنعه به ، لانه قد وهب فهمًا وعقلا ومنطقًا وذكاءً جديداً ، ولانه قد تجاوز غروره الامي البائس وبدأوته العقلية والنفسية والاخلاقية واللغوية ، ولانه قد اصبح في عصر حضاري اخر بعيد جدا عن عصره ، يفسر الشعر والشعراء والهجا والمديح والفخر ويفسر كل شيء تفاسير اخرى بعيدة جدا عن تفاسيره هو وعن تفاسير عصره ؟ ماذا لو انه رأى أو قرأ أو عرف نفسه رؤية أو قراءة أو معرفة جديدة بعد أن اصبح عاجزا عن البدء بنفسه وبصنعها من جديد ؟

ليس محتوما حينئذ ان يتعذب اقصى واقصى عذاب وان يبحث عن الهرب والاختفاء باية وسيلة واسلوب والى اي مكان ؟ اليس محتوما ان ينكر نفسه ، أن ينكر انه هو الذي كان بل ان ينكر انه قد كان يوما ما هنا أو انه يعرف رجلا كان يسمى المتنبي ؟ وماذا لو انه لم يموت وظل الى اليوم أو أبدا يقول مثل الذي كان يقول ومثل الذي قاله من الدائح والاهاجي والمفاخرات والاكاذيب والاشياء الاخرى بكل مواهبه في الفحش والسفه والتخطي لكل قيود الوقار والحياء والنطق والاخلاق والاحترام للنفس ؟ وماذا لو أن انبياء العرب وصالحهم وسلطينهم وخلفاءهم الراشدين ظلوا حتى اليوم بلا موت يقولون ويعلمون ويخطبون مثلما كانوا يفعلون ؟

ان مجرد التصور لهذا ليخلق الفزع والفجعة . ماذا لو أن خلفاء العرب وانبياءهم وسلطينهم عادوا اليوم بعد أن وهبوا رؤية ومنطقا جديدين ثم ذهبوا يحاسبون ما كانوا في عصرهم بما يرونه في هذا العصر ؟

اليس اقصى اساليب التعذيب والتحجير والايذاء والفضح ان يكون كثير ممن ماتوا قد وهبوا بالخلود لكي يستمروا يفعلون حماقاتهم وفضائحهم وبذاءاتهم وبلاداتهم ومهاناتهم وشروهم ونقائصهم ولكي يستمروا يقاسون من مواجهتها ومن معرفة تفاسيرها ودلالاتها ومن رأي الناس فيها واحتقارهم ورفضهم العارف الذكي لها ، لان الثقافات والتفاسير والافكار والعصور والحضارات قد تغيرت كثيرا ؟ اليس أكثر واقسى من كل وحشية في الازلال والتحجير والتعذيب ان يكون جميع معلمي العروبة العظام قد حكم عليهم بالخلود لكي يظلوا في هذه العصور وفي كل العصور يعيشون كل مستوياتهم ونماذجهم العقلية والنفسية والاخلاقية والثقافية والحضارية واللغوية

التي كانوا يعيشونها اي مع الافتراض انهم لن يتخطوا نماذجهم ومستوياتهم تلك ؟ نعم ، شكرا لك ايها الموت ..

وايضا ، أليس شيئا رهيبا في تعذيبه ووقاحته ان يعاد كثيرون ممن ماتوا لكي يروا ويعرفوا كيف كانوا وكيف اصبحوا ، لكي يقرأوا ويفسروا ويفهموا ويبصروا وجوههم وتعبيراتهم وعقولهم وأخلاقهم وشهواتهم وأقوالهم التي كانت ؟ انهم حينئذ لا بد أن يرفضوا ان تكون لهم عيون أو اذان أو عقول لئلا يروا أو يسمعوا أو يفهموا أو يعرفوا انفسهم ..

اليس اقسى اساليب الوحشية في التعذيب والاذلال والتحقير والتهوين والاستهزاء أن يعاد الانبياء والقديسون الى الحياة لكي يروا ويعرفوا ويسمعوا ويقروا انفسهم من جديد اي في عصر جديد أي في هذا العصر مثلا ؟ هل يوجد تحقير أو ترويع أو اذلال مثل أن يواجه النبي أو القديس نفسه في عصر غير عصره ؟ اذن لقد كانت الالهة معذورة في حكمها بالموت على من تورطت في خلقهم ، وفي التزامها بالاعتذار الى الحياة احدا منهم . حتى الاعادة الى الحياة في الفردوس الموعود بها لا بد ان تكون اقسى اساليب التعذيب والتحقير والترويع للمعاد

ولكن الالهة نفسها كم هي بائسة وشقية الحظوظ ، لانها قد حكم عليها بان تستمر تواجه وترى وتقرأ ما فعلت من اخطاء وذنوب ودمايات وعاهات وتشوه وسفاه وعبث دون ان تستطيع المارقة أو الهرب أو الاستتار ، لانها لا تستطيع ان تموت ، لقد داوت مخلوقاتنا واعتذرت وتابت اليهم وخففت عنهم بالموت ، ولكنها هي لم تستطيع ان تدأوي نفسها أو تعتذر وتتوب الى نفسها أو تخفف عنها بهذه الوسيلة كما لم تجد من يفعل لها أو بها ذلك . هل يوجد مثل الالهة ضياعا وتفردا في مواجهتها لالامها واخطائها ومشاكلها وورطاتها واحتياجاتها بلا مساعد حتى ولو بارائه في احزانه ؟

ولكن قد يكون مخففا عن الالهة الام ورطتها الخالدة انها لا تصاب بأي نوع ولا بأي مستوى من التغير الذاتي أو النفسي أو الفكري أو الفني أو الاخلاقي أو الحضاري ، أو من التغير في الطموح أو التمني أو الرؤية أو القدرة . والذين لا يتجاوزون اطوارهم القديمة أو الاولى أو الذين هم طور واحد دائم هل يمكن ان يخطوا أو يقاسوا من عارهم أو هوانهم أو جهلهم أو تخلفهم أو يروه أو ينكروه ؟

انها اي الالهة لن تتحول اذن الى ناقدة لنفسها ولوهبتها ، ولن يتصاعد اذن اسمئزازها أو استقبحها أو رفضها لما ارادت ودبرت وصنعت واصبحت تواجه وتعايش . ان اشتراطها على نفسها ومطالبها لها لن يتصاعدا او يتغيرا . اذن لن تصبح ترى قديحا أو سخييا أو بليدا أو حقيرا شيئا كانت تراه جميلا أو عظيما أو ذكيا أو عبقريا . والذين لا يرون الاشياء رؤى متطورة بل ومتناقضة هل يمكن ان يصبحوا ناقدين لانفسهم أو مشمئزين من عارها ؟

أما البشر فانهم محكوم عليهم بالتغير والتطور والتخطي لانفسهم ولكينوناتهم الذاتية والحضارية والاجتماعية . انهم محكوم عليهم بأن يصبحوا ناقدين ورافضين بل وهاجين لانفسهم ولكل ما كانوه وفعلوه وارادوه باستمرار متصاعد . ولكن هل كل البشر محكوم عليهم بهذا التغير وبهذه الرؤية المتغيرة في محاكمة ومحاسبة النفس والاشياء ، حتى العرب ، حتى انبياء العرب وخلفاؤهم وحكماؤهم وشعراؤهم محكوم عليهم بذلك ؟ اليس التغير نقدا للذات ؟

ان هذا يعني حتما ان بعض الذات أو بعض وجودها أو بعض تاريخها لا بد أن يصبح هجاء وتعذيبا وتحقيرا وسببا للذات . ان الذين يتغيرون بقوة لا بد أن يقاوموا ويكرهوا ويرفضوا انفسهم ويبصروا عارها ويتعذبوا به اكثر مما يفعلون ذلك بأي شيء اخر . . .

اذن فمعاشية الذات ومواجهتها ورؤيتها وتصورها دائما في كل كينوناتها واطوارها وتاريخها ، بكل نقائصها وذنوبها وتقافاتهما وجهلها وسخفها وضآلتها ، ورطة أو قسوة لا بد من الانقاذ والهرب منها حتى ولو بالموت . ما اقسى وأوقع معاشية الذات ومواجهتها ورؤيتها ومحاسبتها ومساءلتها وتفسيرها لو وجد أو حين يوجد من يفعلون بها ذلك ؟

هكذا رأت الالهة ، وهكذا فعلت بجميع الاحياء الذين وهبتهم الحياة باسلوب للورطة أو الغلطة أو الصدفة . . انه لا يوجد أي احتمال بجودة حظوظ الالهة لانها خلقت الاحياء أو خلقت أي شيء . انها لا تستحق التهنئة بأي شيء فعلته . . ان رؤية المتنبي وابداء الرأي فيه قد هديا إلى هذه التفاسير أي إلى ان الالهة قد اضطرت إلى ابتكار الموت عجزا وفرارا من الحكم على أي كائن بالخلود في الامه وتقافاتهم وفضائحه بلا نهاية .
فهل جاءت هذه الهداية ضالة ؟

تهنئتي الصادقة الحارة المخلصة المكررة لك - للمتنبي - لانك لن تستطيع أن تعود الينا لكي ترى كيف اصبح مجدك الضخم عارا ضخما ، ليس لان رأيا صحيحا عادلا قاسيا قد قيل فيك وفي مجدك المزعوم بل لان عصرا اخر قد جاء ليحكم بهذا الرأي وبهذه الرؤية لمجدك وعلى مجدك ، وجاء أي العصر الاخر ليصنع هذا الرأي وهذه الرؤية لمجدك وعليه . وهل علم الانسان العربي ان هذا العصر قد جاء ثم استجاب لمجيئه ؟ اذن لماذا لم ير المتنبي أو أي شيء رؤية عصرية ؟

مؤلف الكتاب .. من يؤلف

ومهما قلت في المتنبي وعنه فاني اظل اشعر وارى انه يمكن ان يقال بل وينبغي ان يقال المزيد ، المزيد ، لاننا مهما تحدثنا عن عالم المأساة والقبح والافتضاح والضياع او وصفنا ذلك او نعيناه او حققنا فيه فاننا لن نجد اننا قد بلغنا نهاية الشوط او قاربناه .

لقد كان المتنبي تجمعا مأساويا رهيبا . كان قبحا بقدر ما كان عذابا وضياعا . . كان يستحق الاشفاق والثناء بقدر ما كان يصنع الغضب والاشمئزاز . كان يقاسي جدا ويتوقح ويهوى ويرذل كذلك وكأنه ينتقم من مقاساته . . كأنه انما كان يريد بذلك ان يستفرغ عذابه على عالمه بنية الانتقام والتخفيف عن الذات .

كان مشحونا بالعذاب وبالقدرة والجرأة على ان يكون ندلا ومفتضحا بلا حدود او قيود او شروط ، كأنما هذا جزء هذا بقدر ما كان هذا سبب هذا . كأنه كان يتصرف بلا غفران ولكن ايضا بلا عدوان . انه مهما اعتدى فلن يكون الا مجازيا . انه لمن الظلم والنزق ان يستقبح او يستنكر او يحاكم او يحاسب اخلاقيا او نفسيا او انسانيا او فكريا ما لم يكن ذلك بكل الفهم والرؤية لالامه التي صبت عليها ظروفه الاجتماعية والقومية والتاريخية والحضارية وخصائصه الذاتية الفاحشة في طموحها وبأسائها وبكل نقائصها الاخرى . . انه لم يكن يستطيع ان يكون اكبر أو اقوى أو انبل أو اتقى من جميع مواهب و اخلاق قومه التاريخية والعرقية . .

وايضا ما لم تكن هذه الرؤية والفهم محكومين بكل العطف على هذه الالام التي صاغت لنا المتنبي متعاونة مع استعداد الموهوب للهبوط الى كل القاع في تحقيره وتشويهه وابتذاله لذاته وحياته بل ولكل من يقول فيهم مدائح باسلوب التمجيد والتخليد وادعاء ذلك . لقد كان المتنبي عقابا ومأساة لنفسه ولمجتمعه وفيهما بقدر ما كان مجتمعه ونفسه عقابا ومأساة له وفيه . كان كتابا او قصة أليمة ورديئة ولكن هل الكتاب او القصة تؤلف نفسها ؟ ومؤلف القصة او الكتاب من مؤلفه ؟

لم يكن المتنبي يحترم شيئاً أو يتعصب له . حتى قومه لم يكن يحمل أو يعيش
اي قدر من الاحترام أو التعصب لهم . بل ولم يكن حتى يتظاهر بذلك . حتى
النفاق والنظاير لم يكن المتنبي يستطيعهما او يريد هما اذا كانا يطالبانه بان يبعو
نملا او كريما او مهزبا او وقورا او قوما . .

ان العربي مشهور بالتعصب والتجمد بقومه وبالمباهاة بهم امام الاجناس الاخرى المنافسة وغير المنافسة . انه يفعل ذلك ولو تظاهرا او ادعاء ، ولو بلا صدق او عمق او فهم او تنفيذ ، او حذرا من المناقضة السلوكية بل وضد كل الصدق والعمق والفهم والتنفيذ والحذر من المناقضة السلوكية لما يدعى ..

ولكن المتنبي خرج على هذا الخلق العربي او على هذه العنصرية العربية . . لقد كانت عنجهيات المتنبي عنجهيات ذاتية شخصية لا قومية ولا وطنية . كان غروره بفرد هو ذاته لا بشعب . كان يزعم انه هو مجد قومه دون أن يكونوا مجدا له وقد يشذ نادرا عن ذلك . لقد كان يتراكم الى كل الابواب غير العربية بل الهازمة المذلة المغتصبة الغازية لقومه العرب لا ليركع عليها وامامها منشدا مدائحها الذليلة الفضاحة في كذبها وهوانها وبلادة وفحش تفاسيرها فقط بل ولكي يهزأ بقومه ويحقرهم مؤملا ان يهبه ذلك المزيد من عطايا ورضا واعجاب اصحاب تلك الابواب . . .

ذهب الى كافور مفارقا سيف الدولة امير حلب العربي فقال :

عند الهمام ابي المسك الذي غرقت

وفي جوده مضر الحمراء واليمن
وقال في كافور ايضا محقرا لقومه العرب :

وای قبیل يستحقك قدره

معد بن عدنان فداك ويعرب

ولو لم تكن في مصر ما سرت نحوها
 بقلب الشوق المستهام المقيم
 ولا نبحت خيلي كلاب قبائل
 كان بها في الليل حملات ديلم
 وكافور هذا هو الذي قال فيه :

من اية الطرق يأتي مثلك الكرم
اين المحاجم يا كافور والجلم



لا تشتت العبد الا والعصا معه

ان العبيد لانجاس مناكيد

وحينما ذهب الى ابن العميد مادحا مستجديا تعاضمت وقاحت في تعبيره لقومه ،
لقد كان وهو متوجه اليه يغوص في مشاعر الهوان والرهبة ٠٠ انه شاعر عربي ذاهب

الى باب وزير غير عربي ليصلي ويتضرع ويسال ويهون • كيف جرؤ على ذلك ؟ وكيف اقمعه طموحه بان الباب قد يفتح له او يؤذن له بقرعه ؟ اليس هذا في حسابه يساوي ان يخطو فوق الكون كله ؟ اذن هل كان ذلك مغامرة طموح ام وقاحة سلوك ؟ تركت - يعني ناقته - دخان الرمث في اوطانها

طلبنا لقوم يوقدون العنبـرا
من يبلغ الاعراب انني بعدما
جالست رسطاليس والاسكنـدرا
ومللت نحر عشارها فاضافني
من ينحدر البدر النضار لمن قري
مسكينة هي خفقات قلبه ونظرات عينيه محاصرا بين عقل ارسطو ومجد اسكندر
الرهيب ..

وحينما انشد ابن العميد قصيدته التي فيها هذا الهجاء البذيء في هوانه وفي اهانته لقومه استصغر اي ابن العميد كرامة المتنبي وتجاسر على التهوين من شعره وشاعريته وهاجم القصيدة بقسوة المسيطر المستصغر • فلم يقاوم حتى ولا بتلجلج صوت وقاحته • • لقد غابت وذابت كل كبريائه الشرسة التي قد يجدها بعض الناس في اشعاره الصاهلة • نعم ، كانت كبرياء المتنبي كبرياء لغوية لا نفسية او اخلاقية او عقلية او سلوكية • والتراجع عن الكبرياء اللغوية الى خضوع حتى لغوي ليس شيئا صعبا • والكبرياء اللغوية هي كل كبرياء اغلب الناس واكثرهم هوانا •
لقد انشده قصيدة اخرى يعتذر فيها اعتذارا حوله الى تحقير وتصغير لقومه -
اي انشد ابن العميد :

انني اصيـد البـزة
ولكن اجل النجوم لا اصطاده
ما تعودت ان ارى كابـي
الفضل وهذا الذي اتاه اعتياده
ان في الموج للغريق لعـذرا
واضحا ان يفوته تعـداده

بائس هو ذلك الغريق الذي حكم عليه بان يعدد الامواج • ولماذا قذف من لا يستطيع السباحة بنفسه الى الامواج ؟

يريد ان يقول انه كان يمدح العرب وينشدهم اشعاره فكانوا يعجبون بل كانوا يسقطون ويتمرون اعجابا وانبهارا وانقهارا لانهم كانوا صفارا في مواهبهم الفنية والنقدية والجمالية والحضارية • اما انت وانت غير عربي او لانك غير عربي فلا لوم على اذا غرقت في بحارك وعجزت عن اصطيد اعجابك كما لا لوم على اعظم الصقور اذا عجز عن صيد النجوم او على الغريق اذا لم يستطع ان يعدد امواج المحيط الذي

غرق فيه . مسكين هذا الغريق . . مسكين !! ماذا كانت مشاعر هذا الموج حينما
سمع هذا الغريق المسكين يعتذر عن عجزه ان يعد الموج الذي غرق فيه ؟ نعم ، ما
كانت مشاعر هذا الموج المغرق للحياء والكرامة والشاعرية ؟
وقدم قائد غير عربي الى الكوفة ليقا تل ثوارا عربيا فقال المتنبي يمدح هذا القائد
غير العربي مسنها العرب وساخرها منهم ومن رعيهم للابل والاغنام ومن تاملهم
ومحاولتهم بان تكون لهم دولة عربية :

ولو كنت ادري انها سبب له
لزد سروري بالزيادة في القتل
فلا عذمت ارض العراقيين فتنة
دعتك اليها كاشف الضرر والمحل
ارادت كلاب ان تفسوز بدولة
لمن تركت رعي الشويهات والابل

ان المتنبي ليستطيع بهذا ان يصبح بطلا عربيا لا ينافس في هبوط كرامته
القومية واعلانه عن هذا الهبوط .

يقول لو عرفت ان هذه الفتنة او الثورة هي التي جعلت هذا القائد الذي ليس
عربيا يقدم الى العراق او الى الكوفة نسرت جدا بكثرة القتل والقتلى لكي يقدم كثيرا
ولكي يبقى ايضا كثيرا . ثم يتمنى ويدعو ان تكثر الفتن والحروب والماسي في
العراقيين لهذا السبب . ثم يهزأ بالعرب الذين ثاروا مؤملين ان تقوم لهم دولة
زاعما انهم لا يصلحون الا رعاة للابل والاغنام . . هوان ونذالة تعجز ارحص وانذل
المواهب والاخلاق عن ان تحبل باصغر منهما او عن ان تهبط الى حضيض هو اكثر
هبوطا من حضيضهما . والذي لا يستطاع فهمه ان يقرأ اي عربي متعصب لعروبتة
اشعار المتنبي هذه ثم يظل فيه اي قدر من الحب والاحترام له . .

وكما سبق فالمتنبي متهم اتهاما بكبرياء للنفس او الاخلاق او المواقف او بكبرياء
الشعر او الشاعرية . ولعل اتهام المتنبي بالكبرياء تعبير عن فقدان هذه الكبرياء
النفسية والاخلاقية والعقلية وعن اللهفة الى رؤية من يعيشونها ولو على ادنى
مستوياتها . . .

وكيف يتهم باي لون او قدر من الكبرياء من يقول لكافور :

ابا المسك هل في الكاس فضل اناله
فاني اغني منذ حين وتشرب

وقد يفسر قوله هذا بانه يطلب ان يجعله ملكا او واليا ، ان يهبه قطعة
او لقمة او جرعة او فضلة من عرشه او تاجه او من غطاء عرشه او تاجه . وبهذا
التفسير يصبح من العسير جدا تصور سخر المتنبي وسماجته بل وبلادته . انه
يريد بكل التضرع والتواضع والمسكنة ان يلحق بقايا الكاس .

اذن كل المجد للكبرياء العربية المتجمعة في ذات وموهبة ولسان واخلق هذا
الشاعر العربي الفادح التفسير ..

وكيف يتهم بالكبرياء من يقول عن كافور ايضا :

انا ؟ اليوم من غلمانة في عشيرة

لنا والد منه .. يفديه ولده

نعم ، لقد اصبح احد غلمان كافور العبد الخصي كما يعيره المتنبي بذلك واصبح
هؤلاء الغلمان هم عشيرته وقبيلته التي يباهي بها . اذن لتركع كل كبرياء لكبرياء
المتنبي .. بل لتتعلم كل كبرياء كبرياءها من كبرياء هذا الشاعر العربي جدا في
كبريائه وفي كل تفاسيره ..

ويقول عن ممدوح اخر غير عربي :

والناس انزل في زمانك منزلا ...

من ان تعايشهم وقدرك ارفع

انه لم يجد ما يمدح به ممدوحه هذا افضل او اقوى في حسابه من ان يهجو
ويحقر الناس بهذا الاسلوب المشحون بالوقاحة والبذاءة والغباء والعوانية والتخطي
لكل حدود وصيغ التهذيب .

والمتنبي بدوي الرؤية والتفكير والطموح ، جاهلي الموهبة ..
يقول عن نموذج الجمالسي :

من الجأذر في زي الاعاريب

حضر الحلى والطايا والجلابيب

ما اوجه الحضرة المستحسنات به

كاوجه البدويات الرعابيب

امين المعيز من الآرام ناظرة

وغير ناظرة في الحسن والطيب

حسن الحضارة مجلوب بتطرية

وفي البداة حسن غير مجلوب

ولاخرجن من الحمام ماثلة

اوراكم من صقيلات العراقيب

افدي ظباء فلاة ما عرفن بها

مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

قف ، قف ايها الهمجي الرؤية والحس والنطق والموهبة والتصور والتمني
والفن والحياة ..

انه يستتبع كل اعمال الحضارة والتمددين . يرفض الاغتسال ووجود الحمام وان
يكون الجسم نظيفا وصقلا وطريا بضا منعما او ان توضع عليه اية زينة . بل يريد
ان توضع عليه وتعيش فيه كل ادران البداة وعبوسها وقحطها وجفافها . انه لنموذج

للجمال مخجل ومهين وهاج لكل طموح حضاري وفني وجمالي في اي مجتمع انساني . .
انه لا يدري انه لا جمال بلا حياة جميلة ونظيفة وصحيحة وسعيدة مشحونة
بكل اسباب التجميل والتطرية والصقل والتهذيب والصحة . كيف لا يدري ان بدواة
الكان والحياة تصنع بدواة الجسم والحب والشعور والتعبير ؟ وهل الجمال الا جسم
وشعور وتعبير وحب ؟ وهل شيء من هذا الا مستوى حياة وحضارة ؟ اليس قول
المتنبى هذا يعني ان العربي بدوي في طموحه وفي نماذجه الفكرية والنفسية والفنية
وليس في واقعه فقط ؟ انه اذن وكما قيل والد الصحراء وليس ابنها فقط . . ان هذا
يساوي ان يقال ان جمال وقوة وصدق واستقامة العقل والذكاء والحياة والحضارة
والضمير والفهم في ان يكون الانسان جاهلا اميا بدويا لا يدخل مدرسة او معهدا
او جامعة او معملا او مختبرا او مصنعا او يقرأ او يسمع او يحمل او يرى كتابا او
حرفا او عالما او مثقفا او مفكرا او يدخل مدينة فيها شيء من ذلك او تؤمن بشيء منه .
والحلى والجلابيب والوانها الحمراء ، أليست من عمل واستعمالات الحضارة لا البدواة
كالحمامات وصقل العراقيب وصبغ الحواجيب ومضغ الكلام ؟

ويقول معبرا عن جاهلية موهبته :

حتى رجعت واقلامى قوائى لى :
المجد للسيف . . . ليس المجد للقللم

..

فلا تحسبن المجد زقا وقينة
فما المجد الا الفتك والطعنة البكر
وتضريب اعناق الملوك وان تسرى
لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دويا كانما
تداول سمع المرء انمله العشر

السيف مواجها للسيف الاخر الخاقض او العادي ، والجندي مواجها للجندي
الخصم او العدو او المؤمن ايمانا مناقضا او مخالفا ، والقتل او القتال مقاوما للقتل
او للقتال او مبتدئا له . . .

نعم ، هذا وهذا وهذا محاسبا ومحاكما ومفسرا بعضه ببعض ، اي محكوما عليه
قضية واحدة او شيئا واحدا ، لم يهب الحياة او الانسان اي مجد او نفع او شيء
طيب . انه في كل تاريخه وتحت جميع ظروفه واسبابه لم يهب او يصنع او يجبر
الا الخراب والموت والتشويه والالام والاحزان والاحقاد ، ولن ينتظر ان يفعل غير
ذلك ، بل لن يستطيع ان يفعل اي شيء غيره . .

ان البشرية في كل تاريخها لم تصب بخسران لا ربح فيه يساوي الخسران
الذي اصابتها به السيوف متخاصمة متعادية . .

ان انبل واتقى واذكى سيف او جندي او قتل او قتال لن يكون الا مداديا
او حاميا من سيف او جندي او قتل او قتال اخر . وان المداوي والحامي والمداوي
والحمي منه لم يهبأ او يصنعا اي شيء مفيد للحياة او للبشر او للعدل او للتقدم
او الحضارة او للاديان او المذاهب . . ان السيف في كل تاريخه لم يكن ولن يكون
الا ضاربا للانسان وللحياة اما بادئا او رادا على سيف اخر قد ضرب بادئا . ان
جميع الارباب والانبياء والقادة والشعراء والمعلمين الذين انزلوا السور والاناجيل
والتعاليم والاشعار في امتداح السيف كانوا يجهلون ما يصعب جهله .

ان اي سيف محارب لن يكون الا عدوانا او دفعا لعدوان يفعل سيف محارب
اخر . والمدون ودفع العدوان محاكمين ومحاسبين ومفسرين معا هل يمكن ان يكون
فيهما اي خير او ربح لاية قيمة من قيم الحياة او الانسان ؟ انه ليس الانسان هو
الذي اخترع السيف او فكر في اختراعه او احتاج اليه ولكن الذي فعل ذلك هي
احقاد وخصومات وحماقات القادة والزعماء والانبياء واللصوص المقسمين للبشر . .
ان البشرية لو لم تتبكر في كل عصورها أي سيف او سلاح او جيش أو حرب
لقتدأوى من الشيء بنفسه لما خسرت شيئا بل لربحت شيئا يتخطى كل ما يمكن ان
تؤدي اليه نتائج اية عملية حسابية .

ولو ان اي قائد او جيش او شعب حمل كل السيوف وحارب كل الحروب وانتصر
فيها كلها واذل او قطع كل الرقاب وفتح كل البلاد ، بادئا وغير بادئ ، لما كان بذلك
صانعا او كاسبا أي مجد ما لم يصنعه بوسيلة اخرى ، بوسيلة يصنعها القلم باحد
معانيه واساليبه الا بقدر ما يمكن ان تصنع ذلك انياب واطفار الوحش . . هل
يستطيع احد ان يجهل شيئا من ذلك ؟ نعم ان المتنبي يجهل كل ذلك وايضا
يجهله كل الالهة والانبياء والشعراء والحكماء الذين صنعوا الايات والمعلقات
هروية عن السموات في تمجيد السيوف . ان جاهلية موهبة المتنبي ليست وحدها
وليست اعظم الجاهليات . نعم ، انه لعزاء له أن يوجد له اشباه !!!

ان القلم هو رمز العلم والتعلم . والعلم هو وحده الذي يصنع التقدم والحضارة
والقوة . وهل يمكن ان يكون مجد بلا تقدم وقوة وحضارة ؟ اذن هل يمكن ان يكون
مجد بلا قلم ؟ اذن فالقلم هو كل المجد . بل فالقلم هو الذي يصنع السيف اي يصنع
السلاح والقوة ويتقن استعمالهما .

اذن لا مجد للسيف . . اذن كل المجد للقلم . .

ان المتنبي يجهل هذا . . اذن كم يستحق الرثاء !! . اذن فالذين يرون في المتنبي
عبقريّة عربية كم يستحقون الاشفاق او كم يستحق الاشفاق الذي عد المتنبي احدي
عبقرياتهم وامجادهم !

المجد عند المتنبي هو الطعن والفتك وتضريب الاعناق . . وهو كذلك الجيوش
المغطية للشمس السادة المعلقة للافاق بكثافة اعدادها وبالغبار والاعاصير تثيرها
وبالضجيج تطلقه . وهذا الطعن والفتك وتضريب الاعناق ليس في حساب المتنبي

من اجل فكرة او قضية او دين او مذهب او وطنية او حرية بل من اجل نفسه .. وهو ايضا اي المجد ان تحول الدنيا كلها الى دوي تعاقب به كل الاذان وتهجر به حكمة واخلاق وفداء الالهة التي دبرت وركبت في الانسان او في اي كائن اخر اذنيهم سامعتين .. كانك مجد العبور او كانك اي بتحويلك الدنيا كلها الى دوي - كانك الاجهزة والاصوات العربية المتحدثة عن معجزة العبور وعن امجاده .. او كانك اصوات القيادات والزعامات والنبوات العربية المتزاحمة المتساقطة في هذه الايام على كل مجتمع ومؤتمر وناد دولي واقليمي ، متحدثة عما في العبور من امجاد الاله وقوته وذكائه وبراعة دمائه وتخطيطه ومن حبه ومحاباته للبدواة والصحراء العربية ، وعما في مواجهات العروبة المتعاقبة لعدوهم الصغير الضئيل المجاور ، من معجزات وامجاد تحولت الى اذلال وتصغير وتحذ لكل العالم والتاريخ ولكل ما فيهما من امجاد ومعجزات .. وطالبة ايضا اي اصوات الزعامات والقيادات والنبوات العربية الرحلة والنجدة والحماية والانقاذ من خطر وعدوان هذا العدو الصغير الضئيل المجاور الذي كسب وصنع وتخلق مجد العبور ومعجزاته من الهجوم والانتصار عليه ، ومن الزحف والعبور اليه .. هذا العدو الذي وهب العرب مجد عبورهم بعبوره الدائم فوق ذكائهم وكرامتهم وكبريائهم ورؤيتهم لانفسهم وللانبياء .. كل التهينة بافضل الحظوظ لعدو نحن كل اعدائه . هل يوجد عدو افضل وانفع منا لاعدائه ؟

لقد كان المتنبي في تفسيره للمجد وفي رؤيته له وفي نماجه ورؤاه كلها ابا ونبييا عربيا جيدا وشاملا قد ورث بكل الصق والامانة والالتزام لكل احفاده وابنائهم العرب المتعاقبين جميع خصائصه ومواهبه الحزينة .. وقد جاء احفاده وابناؤه في كل اجيالهم ورثة اوفياء اتقياء في وراثتهم وتمثيلهم لكل ما صب في اصلابهم ودمائهم العرقية والتاريخية والنفسية والفكرية والاخلاقية والصوتية من معانيه ولا سيما احفاده واجياله الذين اصبحوا هم جيل المواجهة لهذا العدو الصغير النحيل الفقير المجاور ، جيل العبور .. العبور الذي تحول الى مجد ، او الذي زعم مجدا لن يستطيع كل طب العالم وسحره ورقاه ومعارفه وحضارته وامجاده واخلاقه ان تشفى من التحدث عنه والاعجاب به ومن التستر به على كل النقائص والعيوب والذنوب والهزائم والعاهات ومن تحويله الى غفران لكل شيء ، والى الهاء عن كل شيء ، وتعويض عن كل شيء وفقه للعيون عن رؤية اي شيء . حتما لا بد ان يصبح احتياج العرب الى المداواة والشفاء من مجد العبور ومن اناشيده وتقاسيره ، ومن المباهة والتخويف به ومن التلهي والتعويض والاستغفال به عن كل مجد وعمل عظيم وعن كل حماس لاي شيء اخر - نعم ، لا بد ان يصبح ذلك قضية دولية عصية .. لقد جاءت ابوة ونبوة المتنبي للعرب ، لكل العرب ابوة ونبوة لن تخفيا او تنكرا او تعابا . وجاءت بنوة وتبعية العرب ، كل العرب للمتنبي بنوة وتبعية لن تخفيا او تنكرا او تعابا او تنهيا باي تقصير او اهمال او عجز عن الالتزام .. حتما قد سمعتم ولا تزالون تسمعون ما تقوله كل الافواه والاقلام والاجهزة العربية عن مجد العبور وحرب

اكتوبر • اذن لقد عرفتم صدق وشمول ابوة ونبوة المتنبي لكل العرب في كل تاريخهم • فمن الذي يستحق التهنة بالآخر : الاب النبي ام الابن التابع الوارت ام كلاهما يستحق التهنة بدرجة واحدة من الحرارة والفرح والصدق ؟ آه لو يمكن ابلاغ المتنبي في عالمه الذي لا يستطيع التخاطب معه رسوخ وخلود وشمول ابوته ونبوته لكل العرب في كل تاريخهم •

يقول هذا الاب والنبي للعروبة في كل اجيالها متحدثا عن الروم وعن حروبهم مع العرب وعن فتياتهم اي فتيات الروم :

ونحن في جذل والروم في وجل
والبر في شغل والبحر في خجل
وكلما حلمت عذراء عندهم
فانما حلمت بالسبي والابل

كان بعض الصوفية يقولون في دعائهم « اللهم افضحنا ولا تسترنا » ويظهر انه لم يقبل من دعاء العرب الا هذا •

اي ان جميع احلام جميع نساء الروم انما هي اخلام بان الجيوش العربية القاهرة الصانعة لمجد العبور لا بد ان تسببها وان تنقلها على ابلها وجمالها الى خيام الجنود العرب لتكون اماء ومحظيات ومباحات جنسيا لهم •• ارتجفي حُجلا واشمئززا يا مسامع الكون •• اليس هذا العواء هو نفس العواء الذي يطلقه جيل العبور تباهيا وتهديدا بمجد عبورهم في هذه الاوقات ؟

اجل •• لكي نعرف أصالة بنوة وتبعية العرب لابيهم ونبيهم هذا فلنقرأ ونسمع ما تكتبه وتقول وتذيعه جميع الاجهزة العربية في هذه الاوقات عما فعلته وواقعه وما سوف تفعله وتوقعه بهذا العدو الضئيل الصغير المجاور المسكين الذي يعاديه ويرفضه ويهجره ويحاصره ويقاطعه ويسبه ويهدده كل العالم لانه اي كل العالم يهب كل حبه واعجابه وايمانه وولائه واخلاصه وصدقه وتصديقه لاخلاق العروبة ولجدها وتقواها وذكائها وشهامتها وحضارتها وصدقها وحقها ولاعطائها كل القيم لكل العالم ولكل التاريخ في كل العصور ••

ما اوفى وانتقى الخصائص والمواهب العربية التاريخية والعرقية في التزامها بالانتقال من الابداء والانبياء الى الابداء والاتباع ، ومن الابداء والاتباع الى الاحفاد واتباع الاتباع ، مختزقة متخفية جميع الحراسات التي تقيمها اقوى الحضارات لتمنع بدوات التاريخ من ان تعبر فوقها او تتسلل في احشائها وثمراتها لتعيش او لتصل الى اي مكان من عالمها وعصرها ••

ان معجزات العرب لكثيرة • ولكن اعظم واشهر هذه المعجزات هي استمرار انتقال انبيائهم وابائهم الى كل ابنائهم واتباعهم بلا اي تبديل او تغيير في كل اجيالهم ••

نعم ، ان قدرة المواهب التاريخية العربية على عصيان الحضارة وعلى اختراق حراساتها اعظم من قدرة الحضارة على اختراق هذه المواهب العربية التاريخية وعلى منعها من العدوان على عصرها وعالمها ومن تشويهها اي تشويه الحضارة بمعاصرتها ومعابشتها وبالتكلم بشعاراتها ولغاتها وبادعائها بل وبالتطاول عليها بكل تفاسير واساليب الكبرياء البدوية . هل توجد قدرة على عصيان الحضارة وعصيان جميع املاؤها واغراءاتها مثل هذه القدرة التي جعلت روح التنبي البدوية تنتقل في جميع الاجيال العربية حتى تصل الى جيل العبور لتعبر عن نفسها بكل هذه القوة حتى لكانها لم تقاس اية مقاسة من الارتحال والزحام والافتحام الطويل ، الطويل ومن عنف عصيانها لكل ضغوط واوامر جميع الحضارات ، مصررة على الاستمسك بكل مواهبها البدوية ؟

ان التنبي ليبدا ولو احيانا اضحكة اليمة وسخفا يعجز كل سخف عن تحمله . . هل يستطيع اي سخف ان يتحمل او يغفر هذا السخف الذي يجعل التنبي يؤمل ويطلب - باستجداء عجيب ان يتصدق عليه كافور او ابن العميد فيجعل منه ملكا او قيصر او اميرا او واليا او قائدا يملك البلاد والشعوب والجيوش والضياح ؟ انه يؤمل ويرجو ويسال ان ينصب فوق العرش هبة وصدة او بئمن هو قصيدة او عدة قصائد او ابيات من الشعر المثير في كذبه وهوانه ووقاحته لسخرية الحشرات لو استمعت اليه وفهمت تفاسيره وحوافزه ونياته . . شاعر يسال ويرجو ممدوحيه الذين سرقوا السلطان ان يجعلوه سلطانا اما بالتنازل او بالاقتراس . استروا ايها العرب امجاد تاريخكم او انكروها . نعم ، انكروها . . يقول في اولى قصائده لكافور :

وليس كثير ان يـزورك راجـل
فيرجع ملكا للعراقيـن واليـا
اذا كسب الناس المعالي بالنـدى
فانك تعطي في نـداك المعالي
وقد تهـب الجيش الذي جاء غازيا
لسائلك الفرد الذي جاء عافيا

ويقول له في قصيدة اخرى :

ابا المسك هل في الكأس فضل اناله
فاني اغني منذ حين وتشرب
فان لم تنط بي ضيعة او ولاية
فجودك يكسوني وفضلك ارحب

وفي قصيدة ثالثة يقول بعد ان شك في ان يصبح صاحب عرش بالسؤال والهبة جزاء على مديح لن تقبله الحشرات ثمنا لاي شيء من اخلاقها او عطائها او نظافتها او من كبريائها بل او من اعجابها :

اقمت بأرض مصر فلا ورائسي
تخب بي الركاب ولا امامي
ويقول منشدا ابن العميد :
ان لم تغثنني خيليه ورجاله
فمقتى اقود الى الاعادي عسكرا

انها لقمة السذاجة او البلاهة او السفاهة ان يفتقل من كونه مستغنيا مغاثا الى كونه صاحب جيوش يقودها الى الاعداء . ان المسافة الواسعة بلا حدود بين كون المرء العادي طالبا الاغاثة ومغاثا وبين كونه صاحب جيوش يغزو ويفتح بها الديار والشعوب ويتهر بها الاعداء ..

كيف عجزت عين المتنبي وخياله وفكره عن رؤية وتصور هذه المسافة ؟ هل كان المتنبي بلا اية اعضاء او حواس او اجهزة انسانية رائية او مفكرة او شاعرة او متصورة او محاسبة محاكمة ؟ هل كان فقط عضوا ولحدا ، عضوا ناطقا مصوتا ؟ ان هذا يساوي ان يقول اي انسان عادي او اي شاعر او كاتب مداح من هؤلاء المداحين المعاصرين : ان لم انقذ من هذا المرض او الازمة او الورطة او المشكلة او التهمة او المطاردة او البطالة او السجن ، او ان لم اعط كذا دولارا او دينارا ، او ان لم اعط طعامي وملابسي ومسكني فلن اصبحت ملكا او امبراطورا او قائدا او زعيما او حاكما او نبيا ، او متى اصبحت كذلك حينئذ ، او كيف اصبحت ..

شيء اكثر من مذهب في بلاهته وفي قبح صياغته العقلية والنفسية واللغوية والشعرية .. هل هم كثيرون اولئك الذين يرون اية مسافة عقلية او زمانية او مكانية او تاريخية او واقعية بين الاشياء وان كل المسافات تساوي ارادتهم لا رؤيتهم ؟

اما اعطاء الجيش الذي جاء غازيا ايجعد استسلامه للسائل الذي جاء عافيا او حافيا اي طالبا العطاء او الرغد فهذا لا بد ان يصبح هجاء لكل جنون لو حسب وزعم جنونا ان جميع الجانين قد يرفضون حينئذ ان يصبحوا او يعدوا او يظلوا مجانين اي مخافة ان يحسب جنونهم من نوع هذا الجنون . انه لو كان هذا شعرا لما كان هناك ذم مثل ان يقال لاي انسان : هذا شاعر ، ولو كان امتداحا لما كان هناك احتقار او هجاء يساوي ان يقال : هذا مداح او مديح او هذا ممدوح . اي مجتمع هذا المجتمع الذي يقال فيه وله مثل هذا ؟ لم يوجد في كل التاريخ الانساني احد يتمنى او يتوقع ، او تمنى او توقع او تقبل او عقل او تصور وجود مثل هذا الانسان الذي يهب الجيش الغازي المقهور لانسان او لشاعر سخيف كذاب جساء مستوها . انه لشيء لم يفعله احد ولم يتمن او يتوقع احد ان يفعله احد في اية نوبة من نوبات التاريخ البائس .

اما تصور هذا او احتسابه مديحا وشعرا فانه يعني انه لا يوجد حد ادنى

لهبوط جميع مستويات الانسان العربي تحت مستويات وصيغ الجنون والافتضاح كلها ...

نعم ، انه لا يوجد حد ادنى لهبوط الانسان العربي تحت جميع المهابط العقلية والنفسية والاخلاقية ، المتصورة والمتوقعة ، تحت انعس الظروف والاحتمالات .. شاعر يعده العرب سلطان ونبي مجدهم الشعري والفني والعقلي في كل اجيال تاريخهم ، يمدح اميرا بانه يهب جيوش الاعداء المستسلمة له بعد هزيمتها لفرد جاء اليه طالبا منه العطاء !!

قبيح هذا المادح وهذا المدوح وهذا المديح .. قبيح ، قبيح ، وقبيحة هي السوق التي يعرض فيها مثل هذا ..

هل يمكن ان يفسر العرب تفسيراً يحقرهم ويسخر منهم مثل ان يوجد فيهم او ينسب اليهم مثل هذا الشاعر الذي يمدح بمثل هذا ، مزعوما اي هذا الشاعر قمة مواهبهم الشعرية والفنية والفكرية ؟

ان تاريخا او مجتمعا يوجد او يولد فيه من يقول هذا او من يقال فيه هذا او من يقرأ او يسمع هذا بتمجيد او رضا لهو تاريخ او مجتمع لن تستطيع النجوم ان تكرر النظر اليه .

ما هي الموهبة الفنية او الشعرية او الفكرية ، وما هي قمة البلاغة والابداع ؟ وايضا ما هي النبوة ودلالاتها ومعجزاتها وصدقها وانتصارها وقوتها ؟ وما هي التقوى والقداسة والعظمة ؟ وما هي الوطنية والقومية والشجاعة والصدق والفداء والاخلاص ؟

كل الناس يتحدثون عن ذلك ويدعون ويصفون به ويمجدونه ويحسبون انهم يعرفونه . فما هو ؟

قليلون جدا هم الذين لا يدعون ويعتقدون انهم يعرفون ما يقولون وما يتحدثون عنه ويؤمنون به وما يفعلونه . ولكن كم هم الذين يعرفون ؟

المتنبى يرى ان ذلك اي تكامل الموهبة الفنية والشعرية والبلاغية بل والفكرية والبطولية القتالية في عنف المناقضة للصدق والذكاء والوقار ، اي يراه في الافتضاح جدا في مخالفة الواقع والحقيقة والمعقول والتعذيب وفي الخروج على كل ذلك ، باقسي وواقح واغبي اساليب الخروج . انه لا يعني بشيء من ذلك غير هذه المناقضة بكل العنف والافتضاح .

والمتنبى هو النموذج الشامل الحاد لقومه العرب بل النموذج الدائم لهم ، كما تكرر ذلك كثيرا . ولا بد من الاعتذار عن التكرار . والتكرار لا يستطاع الامتناع او الاستثناء عنه الا بقدر ما يستطاع ذلك عن تكرار الرؤية او الحاجة او الموقف او التصور او الرفض أو الغضب او الانشاد للاغنية الواحدة او الاشتمزاز من النظر او الشيء الواحد القبيح ..

افن فالمتنبى ، وكذا كل انسان عربي في نمونجه الاصيل الحقيقي يرى ان للشاعر او النبي او القديس او التقى او الوطني او القومي او الزعيم او القائد العظيم العبقري هو الذي يناقض بكل الفحش ، الواقع والحقيقة والتهذيب والتسامح والتواضع والعدل والاتزان ، بالرؤية والتعبير والادعاء والشعور والمباهاة والتحدى والتعصب والغرور والوقاحة والتطاول والنذالة . ان العنف والافتضاح في هذه المناقضة هو كل الشروط الفنية والفكرية والاخلاقية والدينية والاعجازية لكي يكون الانسان المعروض في السوق العربية نبيا او شاعرا او مفكرا او قديسا او زعيما عربيا عظيما ، عظيما ..

لهذا فالنبي العربي يكون نبيا صادقا عظيما منتصرا بقدر ما يناقض هذه المناقضة بكل هذه الاساليب البذيئة ، وكذلك يكون الكتاب المقدس العربي ويكون الدين والمؤمن والحاكم والزعيم والقائد والشاعر والمفكر والكاتب العربي ، اي بقدر ما يكون غنيا ومفصوحا في هذه المناقضة بكل اساليبها هذه يكون جامعا لكل الشروط المطلوبة والمثالية في منطق السوق العربية ومنطق من يحكمون ويقودون ويعلمون السوق العربية ..

نعم ، ان هذه المناقضة بكل اساليبها هذه هي كل معجزات ونبوات وعبقریات ومواهب وعظمة وقيمة وقوة وشاعرية جميع الانبياء والزعماء والقادة والحاكم والشعراء والكتاب العرب وجميع الاديان والكتب المقدسة العربية ، وكل شروطهم وشروطها . اطرح نفسك في السوق العربية بصيغة نبي او شاعر او مفكر او قديس او زعيم بلا اي قدر من الاتزان او الرؤية او الحياء تكن ذلك بكل مجده وشروطه .

انه لا فرق بين اي نبي عربي واي شاعر عربي في ان هذه هي كل معجزته وعبقريته وصدقه وتقوته .. اي ان يكون مناقضا بكل العنف والضجيج لكل الصدق والاتزان والوقار والذكاء والمنطق والرؤية والتهذيب .

هذه حقيقة كبيرة وأليمة جدا ، صعب ألا تراها كل عين لم تصب بالعمى للشامل . ولكن احدا من النقاد العرب لم يرها او راوها رؤية عربية لا حضارية . والفرق بين الرؤية العربية والرؤية الحضارية ليس اقل من الفرق بين رؤية النبوة العربية ورؤية الاجهزة العلمية او ليس اقل من الفرق بين العمامة العربية او الجبة العربية وبين المركبة الكونية في علمانيتهما ومزايهما الحضارية والانسانية .

ان النقاد العرب مصابون بكل انواع العمى الكامل .. ان عيونهم ليست عيونا بل جثث ومقابر عيون . ان الناس لا يرون بعيونهم ولكن بالانسان الذي يسكن داخل عيونهم او تسكنه عيونهم .

الناس ، اي في مستواهم الجيد يرون بعيونهم وعقولهم واخلاقهم ومشاعرهم وباشترطاتهم ومطامحهم . والنقاد العرب فاقدون للرؤية بكل ذلك . انهم لا يرون الا بأذانهم وانفاهم وتاريخهم ورواياتهم وتعاليمهم وباقدامهم المتتابعة على الخطوة

الاولى الواحدة . انهم مختصرون جدا ، لا يقالفون من آفاق واعماق وابعاد متفاوتة كما يتألف الآخرون . انهم امتداد فقط ، امتداد مكاني لا حضاري ولا انساني بل ولا امتداد زمني . هم فقط خطوات مكانية بعضها وراء بعض وليسوا خطوات بعضها فوق بعض او اوسع من بعض او مناقضا لبعض . .

**

نعم ، ان التهويل والمبالغة بلافن او ذكاء او وقار او شيء من الموهبة او الاستتار هما كل القضية بل هما كل الفن والذكاء والقوة والموهبة في اخلاق وتقاسير وحسابات السوق والتاريخ العربيين . . التهويل والمبالغة في المدح والهجاء والقبول والرفض وفي الاقتناع والافتناع المضاد ، وفي الحب والبغض والاعجاب والانكار والتصديق والتكذيب ، وفي تمجيد النفس وتمجيد كل اشياؤها من الهة وانبياء واباء وتاريخ واديان وعبقريات وانتصارات وبطولات . . وفي تحقير الآخرين والاعداء وتحقير كل ما عندهم ولهم وما كان لهم وعندهم وكل ما يدعون ويحترمون ويتبعون وكل ما به يؤمنون . . كل ماضيهم ومستقبلهم . . بكل الفزق والتعصب والعجز عن الرؤية والحاسبة ، بل بكل الرفض للرؤية والحاسبة . نعم ، كأنهم يجدون في التهويل والمبالغة تعويضا عن عجزهم في كل ما يطلب وينتظر منهم فيه القوة . .

فاللومية والدين والنبوة والشاعرية والموهبة الفنية والفكرية والوطنية والقومية وكل اساليب القوة والتفوق والمجد والنضال - كل ذلك عند الانسان العربي ليس شيئا غير هذه المبالغة وهذا التهويل ، في كل هذه المجالات والتعبيرات والموضوعات والصيغ . . بكل الخروج على كل شروط وحدود وتقاسير الفن والذكاء والوقار والاستتار والحياء والعدل والصدق والرؤية والحاسبة للنفس او لاي شيء اخر . . هل من القوانين المحتومة في منطق الاشياء ان الانسان بقدر ما يكون عاجزا في موهبته وقدرته يكون مهولا في لغته وبلاغته ومخاطبته ؟

نعم ، هل يمكن ان توجد او ان يتصور اي انسان عربي اية الوهية او نبوة او دين او زعامة او وطنية او قومية او شاعرية او اية موهبة فنية بدون هذه المبالغة وهذا التهويل بكل اوصافهما هذه التي ذكر بعضها في السطور السابقة ؟ ان موهبة التهويل والمبالغة قد حولت العرب الى سخرية والى استهزاء بكل ما يقولون والى نفى له . . أليس محتوما ان تتحول احاديثهم عن مجد « العبور » الى تحقير او تكذيب لكل ما يزعموه من امجاد لهم ماضية ، وان تتحول احاديثهم عن عبقريات زعاماتهم وقياداتهم الحاضرة الى تشكيك في عبقريات نبواتهم السابقة بل الى استهزاء بمعجزات تلك النبوات ؟

**

لقد وصف المتنبي ضموره البدني . والمتنبي كما تكرر كثيرا هو النموذج الحاد الحوي الشامل الدائم للانسان العربي في كل تاريخه ، من عصر اصحاب المعلقات الى عصر جيل العبور وعصر المتحدثين عن أمجاد هذا « العبور » من قادة ومفكرين

وشعراء وفنانين وطبالين من كل الانواع والاحجام .. الى عصر التمجيد لانتصارات الجيوش التي عبرت لكي تكون احتياجها الى ان تنفذ مشكلة ونضالا دوليين .. ليكون انقاذها من عبورها هو اجد انتصاراتها ...
يقول هذا الصوت العربي الاصيل في قبحه ووقاحة تفاسيره :

كفى بجسمي نحولا انني رجيل
لولا مخاطبتي اياك لم ترني

—*—

ولو قلم القيت في شق رأسه
من السقم ما غيرت من خط كاتب

مذهل في سذاجته البلاغية والفنية • محزن في قيمة ومستوى بلاغة مبالغته ..
اليس هذا اكثر سذاجة فنية وشاعرية ووصفية من ان يقول قائل يصف نحوله : انني لو لبست جميع اجساد وثياب ابائي في كل اجيالهم ، ثم ولدت وعشت ومت بكل الامي وصراخي وعاهاتي وذنوبي وتلوثاتي واحزاني في ضمير وامعاء وحلقوم واقدام وعيني واخني نملة لما رأيتني او سمعتني او وجدتي او لعنتني او شعرت او تالمت بي ، ولما حاكمتني او طالبت باخراحي ، لدى اية هيئة قضائية محلية او دولية او نملية او عربية ، لان نحالتي تجعلني غير موجود • تجعل النملة غير عامة بوجودي فيها ؟ • اي جمال او فن في ان تقول ان ذاتي لو ضوعفت الاف المرات ثم دست في قلب ذرة او نملة لما احست او علمت بي نبضاته لنحولي ؟
او ان يقول قائل اخر : اني ضئيل البدن حتى اني لا اخشى او استحيي من ان اتعري في عيني الاله او ان اغوص فيهما اي في عيني الاله بكل اثامي وتشوهاتني الاخلاقية لاني مطمئن الى انه لن يستطيع رؤيتي لنحافتي ؟ اني معجز لعيني الاله الومحوتين في حديثهما وفضولهما عن ان ترياني ..

ان الكون كله لو تحول الى طاقة ابصار في عيني الاله لما استطاع ان يراني حتى ولو وضعت تحت كل ما في الكون من اضواء ومجاهر مكبرة ..
او ان يقول اخر : ان ملائكة الاحصاء والتسجيل على البشر لن تستطيع ان تحصى على اي شيء لاني لحقتني لا بد ان اخفي على تحديق عيونها وضميرها ووحشيتها وعلى رغبتها الرهيبة في الافتراس ؟

اليس امثال هذه الاقوال المبالغة البليغة في سذاجتها اقرب الى الجمال الفني والشعري والفكري بل والبلاغي مما قاله المتنبي واصفا نحافته ؟ بل هل تقبل الموازنة بين هذا وهذا ؟

هل في اي شيء من هذا اي قدر من الجمال الفني او الشعري او الفكري او حتى البلاغي ؟ هل في شيء من ذلك اي تعقيد فني ؟ هل يكون جمال فني بدون تعقيد فني ؟ هل الجمال في كل نماذج الا تعقيد ، تعقيد ذاتي او فني ؟

ليس هذا فقط اسلوبا ساذجا من التهويل والمبالغة اللفظية ؟ هل فيه غير المبالغة اللفظية أو الصوتية حتى ولو ايقدر من المبالغة النفسية أو العاطفية أو الانفعالية ؟ حتى المبالغة الشعرية أو الخيالية لا يستطيع مثل هذا الاسلوب ان يصل اليها . انه لن يحرك او يغير الشعور او الخيال . واقل ما لا بد ان يهبه الفن او الشعر ان يصنع هذا التحريك والتغيير للشعور والخيال والكلام الذي لا يفعل ذلك لا يجوز ان يحسب فنا او شعرا بل او كلاما ، وانما هو سعال او تتأؤب او صفير او قرع بالاظفار على الاسنان ، او محادثة ومشاتمة بالايدي للرياح . اليس كثير من الكلام تخاطبا فقط مع الالفاظ دون ان يكون فيه اي تخاطب مع الفكر أو القلب أو الضمير أو الارادة أو التصور أو النية ومع من يكون عنه أو فيه أو معه الكلام ؟ . . انه ليس فنا او شعرا او حتى كلاما : اي كلام لا يصنع اية احياءات او تصورات او انفعالات او صور جديدة ، نفسية او خيالية او فكرية . اليس تصويت اي طائر او حيوان قد يصنع من التصورات والاحياءات النفسية أو الفكرية أو الشعرية أو الجمالية اكثر مما يستطيع ان يصنع شيئا من ذلك اكثر الكلام او الشعر العربي ؟ هل يمكن ان يصنع شيئا من ذلك قولك : انا نحيل حتى انك لن تراني لو لم اكلمك ، او حتى ان القلم لن يقاسي لو القيت في شقه او في سنه او في حرفه ؟ ان اكثر ما يحسب اعجازا شعريا او فنيا او تعليميا او فكريا او دينيا او سماويا لا يساوي في تفاسيره الشعرية أو الفنية أو الفكرية أو الدينية أو الاخلاقية أو الانسانية السعال او الصفير أو التتاؤب أو قرع الاسنان بالاظفار أو مشاتمة ومحادثة الرياح بالايدي .

**

أما نماذج في الموضوعات الأخرى فالويل لقارئها وسامعها وكاتبها من الغثيان الفني والروحي والفكري والأخلاقي بل ومن الغثيان القومي والتاريخي ، اي من الغثيان الذي لا بد ان يصيب قارئها وسامعها وكاتبها خلا من أجل قومه وتاريخه ، ورثاء لهما ، لانهما اي قومه وتاريخه يلدان ويعايشان من يفرز مثل هذا الهراء بل اللبأ . يقول مادحا :

لو استطعت ركبت الناس كلهمو

الى سعيد بن عبد الله بعرانا

—*—

خير اعضائنا الرؤوس ولكن

فضلتها بقصدك الاقدام

هابيك للليل والنهار فلو

تئهاهما لم تجز بك الايام

—*—

فخذ ماء رجله وانضجها

في المدن تأمن بوائق الزلزال

فبقيت طينه لاقت الماء
فصارت غوبية في الزلال

—*—

لو حل خاطره في مقعد لشي
او جامل لصحا او اخرس نطقا

—*—

ولو يمتهم في الحشر تجردو
لاعطوك الذي صلوا وصاموا

—*—

اخذت مواهبك الاسواق من صنع
اغني نذاك عن الاعمال والمهن
موتي ايتها الاذان والعيون لئلا تسمعي او تقرئي ما يقوله فارس الصهيل
العربي ..

انه يقول انك بهباتك قد اغنيت كل الناس فاستغنوا عن كل عمل ومهنة
وصنعة ، فلم يبق في الاسواق صانع او عامل واحد .. ومن اين يهب اذا لم يوجد
من يعملون وينتجون ليسرقهم ، ليهب مما يسرق ؟ اين عقل المتنبى ؟
لقد كان من الصعب جدا ، التصور ان اي انسان يستطيع ان يهبط الى مثل هذا
السفخ في التفكير او الخيال او حتى في القول ولو سخرية .. اي قوم هم القوم
الذين يوجد فيهم من يجرو على ان يقول مثل هذا او يستطيع قوله ؟
ويقول :

لو كان علمك بالاله مقسما
في الناس ما بعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهمو ما
انزل الفرقان والتوراة والانجيل
لو كان ما تعطيهمو من قبل ان
تعطيهمو لم يعرفوا التاميل

انه لحق من حقوق الخرس والصمم ان يقولوا ويصدقوا : انه لافضل لاي مجتمع
ان يكون كل من فيه اخرس اصم ان كان محتلا ان يتخلق فيه من يستطيع ان يقول
مثل هذا او من يستطيع ان يسمعه او يستمع اليه ، او لئلا يتخلق فيه من يقولونه
او يسمعونه او يقرؤونه ..

بل ان هذه الاقوال وامثالها كثير قد تحول الخرس والصمم الشاملين العالميين
الى مزيتين لا الى عاهتين او نكبتين ، تحولهما الى تمجيد وحماية لذكاء الانسان
ولكرامته وحيائه لا الى تحقير او تصغير او تعذيب او حرمان له او الى اعتداء عليه

او الى تشويه لكيثونته ٠٠ ان هذه الاقوال قد تتحول الى هجاء لذكاء الاله ولرحمته او لشهامته لانه قد خلق الاذان والاقواء التي تقول وتسمع مثل هذا .
اذن اليس مجدا للعرب ان تحولت مواهبهم الشعرية والفنية والانسانية والاخلاقية الى ثناء على الخرس والصمم والى تمجيد لهما ، وان تحولت ايضا الى نقد لمواهب الاله واخلاقه ؟ اليس نقد الاله وتصغيره بالسلوك تفوقا عليه ؟
اذن اليسست معالجة اي انسان عربي مصاب بالخرس او بالصمم عدوانا عليه وتشويها له ، وعدوانا على القيم الفكرية والثقافية والاخلاقية والحضارية وتشويها لها ؟ اليس كل طبيب يداوي الخرس والصمم ويشفي منهما في العالم العربي اي لو وجد مثل هذا الطبيب الشافي لا بد ان يكون صانعا للضرر والفسح والتشويه والتعذيب ؟

اليس انفع وانبل واتقى خرس هو خرس الهة العروبة وانبيائها وقادتها وزعمائها وشعرائها ومفكرها وفنانيها ؟ أليس من اعظم الابتكارات ان يستطيع ابتكار عقار او عاهة تصيهم بالخرس الدائم الكامل ؟
اليس خرس هؤلاء هو اعظم مزاياهم بل كل مزاياهم ؟

اذن هل يستطيع العلم ان يصنع للعرب هذه المزايا التي هي كل مزاياهم لكي يصبحوا اصحاب مزايا جيدة ؟ هل يستطيع اي اصحاب مزايا ان ينافسوا بكل مزاياهم مزية الخرس التي يصاب بها اي اله او نبي او شاعر او مفكر او كاتب او قائد او زعيم عربي ، اي لو اصاب بها ؟ اذن اليس عملا وطنيا واخلاقيا وانسانيا بل وتمجيذا للعروبة ان يحمي كل العرب ممن يداوون الخرس والصمم وان يعتقل جميع اطباء الخرس والصمم ان لم يكفوا عن عملهم ؟ اليس هذا اقل ما يقنع به الاستماع الى مدائح المتنبى الذي هو النموذج الدائم الشامل للحاد للموهبة العربية بكل موضوعاتها وتعبيراتها ؟

اليس الاستماع الى هذه المدائح يتحول الى غفران لتكرار الثناء على الخرس الذي يصاب به الانسان العربي ولا سيما الانسان العربي المنصب نفسه نبيا او شاعرا او مفكرا او كاتباً او قائداً او زعيما ؟ لقد كررت الثناء على الخرس والصمم يصيبان الانسان العربي او يصيبان الوهياته ونبواته وقياداته وعبقرياته اي ما يعده ويحسبه عبقرياته ٠٠

واني لاجرؤ على ان اغفر لنفسي هذا التكرار بل لن استطيع ان اغفر لها لو لم تفعله .

وهل يستطيع الا يكرر بل الا يرتل كل اوقاته ، كل الثناء على كل انواع الخرس والصمم ، من يقرأ او يسمع او يتذكر ، بتحفظ ورؤية ومحاسبة ومساءلة ، شيئا من التراث العربي الخالد ، او شيئا مما تقوله او تذيئه او تكتبه المواهب العربية المعاصرة ؟ هل يمكن ان يكون انسانا حيا من يقرأ او يسمع او يتذكر شيئا من ذلك ثم لا يظل كل اوقاته يرتل هذا الثناء على الخرس والصمم ؟ ان اي عربي يقرأ او

يسمع او يحفظ شيئاً من امجاده الثقافية والفنية والعقلية ثم لا يظل كل اوقاته يثني على الخرس والصمم يصيبان كل الوهيات ونبوات وقيادات وعبقريات العرببة القديمة والمعاصرة فلا بد ان يتهم بذكائه ورؤيته وعقله او بانسانيته او بقوميته ووطنيته ، او فلن يكون معافى او سويا او جيداً في كل ذلك . انه لا بد ان يكون انساناً قد ماتت فيه كل تفاسير الانسان وتعبيراته .

انه حينئذ لن يكون الا ثياب انسان او جثة انسان او اعضاء انسان . انه مهما كان نص او حروف او لغة انسان فلن يكون تفسير انسان . ليس اكثر البشر هم نصوص وحروف ولغات بشر دون ان يكون فيهم اي شيء من تفاسير البشر ؟

**

ولكن كيف يرى اي المتنبى نفسه او كيف يتحدث عنها ؟
انها لمغامرة غير سعيدة ان تحق في رؤيته لنفسه او في نفسه التي تحدثت عن نفسه او حين تحدثه عنها .

قبل ان تسمع او تقرأ شيئاً من ذلك يجب ان تعلم او تهب عينيك واذنيك وذكاءك ووقارك وحياءك ورثاءك شيئاً من الصبر والتحمل ومن موهبة الاعتذار والغفران والقدرة على مواجهة الانفجاع والارتياح . . . حاول قبل ذلك ان تكون قدرتك بلا حدود على استقبال اردأ او افحش الحماقات والنذالات والامتضاح . .

ضاق ذرعاً بان اضيق به ذرعاً
زمانني واستكرمتنني الكـرام
واقفا تحت اخمصي قدر نفسي
واقفا تحت اخمصي الانـام
اقراراً لذ فوق شـرار
ومراما ابغني وظلمي يـرام
دون ان يشرق الحجاز ونجد
والعراقـان بالقنـا والشام

—*—

مانال اهل الجاهلية كلهم
شعري . ولا سمعت بسحري بابل

—*—

ابدو فيسجد من بالسوء يذكرني
فلا اعاتبه صفحا واهوانا

—*—

تغرب لا مستظما غير نفسه
ولا قابلا الا لخالقه حكما

ولا نسالكا الا فؤاد عجاـجـة
ولا واجدا الا لكرمة طعمـا
يقولون لي ما انت في كل بلدة
وما تبغني .. ما ابتغي جل ان يسمى
كان بنبيهم عالمون بانـنـي
جلوب اليهم من معادنه اليتما
واني لمن قوم كان نفوسهم
بها انف ان تسكن اللحم والعظما
—*—

ودهر ناسه ناس صغـار
وان كانت لهم جثث ضخـام
وما انا منهمو بالعيش فيهم
ولكن معدن الذهب الرغام
—*—

وما الدهر الا من رواة قصائدي
اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا
ودع كل قول غير قلبي فانني
انا الطائر المحكي والآخر الصدى
—*—

انا في امة تداركها الله
غريب كصالح في تمود
—*—

اي محـل ارتقي اي عظيم اتقي
وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي
للجماعات الصوفية في الاسلام بل وفي اديان اخرى تاريخ طويل وشهير ولكنه
لم يكن مجيدا او جميلا او حتى تقيا ..

لا يتفوق المتصوفة على غيرهم اي نوع من انواع التفوق .. حتى التفوق الديني
او الروحي او الاخلاقي او الانساني لم يكونوا يتفوقونه . انهم لم يكونوا اكثر خوفا من
الله او حبا او طاعة او احتراما له او رؤية لجماله او احساسا بجماله او اقتناعا
بوجوده او بفائدة وجوده ، بفائدة وجوده له هو او لاحد سواء ، بل او استحياء
لضعفه او تعذبا لعذابه انهم لم يكونوا يعرفون اكثر من غيرهم ان لوجود الاله اي
نفع او خير له او لاي كائن اخر ..

لقد كانت كل مزاياهم او رذائلهم اختراقهم بكل الجراءة لكل اسوار وحدود
وقيود وشروط المعقول والواقع والممكن والمقبول والصدق والذكاء والرؤية للنفس

وللأشياء .. اختراق كل ذلك ومناقضته بالزعم والادعاء بل وبالتعاليم . انهم يستطيعون قولاً ان يكونوا اي شيء وكل شيء دون ان يكونوا مخطئين او كاذبين او مجانين ان جنونهم هو كل مجدهم وتقواهم وعقلهم .

انهم يعايشون الله ويساكنونه ويعلمونه وينصحونه بل ويأمرونه ويريدون له ويشيرون عليه ، ويحكمون الكون ويصوغونه ، ويفرقون البحار والمدن ، يصنعون الزلازل والبراكين والقحط والخصب والاعاصير ، ويوقعون بالشمس والقمر الخسوف والكسوف ، ويحيون الموتى ويشفون المرضى ويزيلون العاهات والتشوهات بلمس ايديهم ووضعها عليها وبقراءة الايات والدعوات والرقى وبكتابة التماائم ..

انهم لينصرون الجيوش التي يريدون نصرها بل يصنعونها ويحضرونها ويسلحونها من خفقات تقواهم وهمهمات صلواتهم وهمسات ضمائرهم .. وانهم ليقهرون الجيوش وكل الاعداء الذين يريدون قهرهم دون ان يصنعوا او يحملوا او يلمسوا او يروا سيفاً .. ان كل قوانين الكون وعضلاته ، وكل رضا الالهة وغضبها وحبها وبغضائها ، وكل الملائكة والابالسة - ان كل هؤلاء وهذه بعض جنودهم وقواتهم .. وانهم ليبصقون فتتخلق من بصقاتهم الشمس والنجوم وتتقاطر منها البحار والانهار لتكون بحاراً وانهاراً ..

انهم ليفعلون ويدعون ويعلمون كل ذلك بالارادة والكلمة والامر وبالرؤيا الغامية . انهم ليخطون جراح النجوم ويجرحون ويخترقون اجساد السحاب لتنزل امطارها ، باظافهم التي لا تتنظف مهما توضأت وصلت ..

ان كل الاحداث والأشياء والواقع والحقائق لا تساوي او تعني الا ارادتهم ورؤيتهم لها وحديثهم وعلانهم عنها ومواقفهم منها . انهم مبالغ في الخروج على منطق واخلاق الطبيعة والحياة والناس اي بادعائهم وافتضاحهم لا بقدرتهم او نياتهم او خيالهم او تمنياتهم . ان كل مزيتهم وعبقريتهم ان يخرجوا بعيداً ، بعيداً من انفسهم ومن الواقع والمعقول والمقبول والممكن ثم يقولوا ويدعوا بقدر ما يتسع للفراغ والظلام والضلال الذي لا يعيش فيه شيء من الواقع او الممكن او المعقول او المقبول او الحق او الصدق او الجمال او الذكاء او من حياتهم او قدرتهم او ارادتهم او حتى من حماسهم واهتمامهم واشواقهم ..

وكم يتسع هذا الفراغ والظلام والضلال ؟ نعم ، كم يتسع الفضاء لمن يريد بلا اي قيد ان يكون مجنوناً وسخيفاً ومفضوحاً دون ان يموت الكون او ينتحصر لشمسنا منه او رثاء له ؟

اذن ليست جميع النماذج العربية هي نماذج صوفية بهذه التفاسير الصادقة للصوفية ؟ انها لا توجد في نماذج العرب نماذج انسانية او حضارية او فنية او شعرية او فكرية او ثقافية او قيادية او عسكرية حربية . ان جميع نماذجهم نماذج صوفية ..

ان المتنبي شاعر صوفي وليس شاعرا شاعرا أو شاعرا فنانا . اي ان شاعريته لا تساوي الا ما تساويه صوفية المتصوف كما فسرت في الكلمات السابقة . وكذلك جميع الشعراء العرب ، هم شعراء صوفية لا شعراء شعراء ولا شعراء فنانون . . . اي انهم صيغ ولغات شعرية وصوفية بلا شاعرية وبلا صوفية اي بلا تقوى او فن . . .

وكذلك ايضا جميع الهة العرب وانبيائهم وزعمائهم وقادتهم ومفكرتهم وفنانيتهم ، اي هم الهة وانبياء وزعماء وقادة وفنانون ومفكرون بالتفاسير التي فسر بها الصوفية لا بالتفاسير التي يفسر بها الالهة والانبياء والزعماء والقادة والفنانون والمفكرون . . .

اي انهم الهة وانبياء وزعماء وقادة وفنانون ومفكرون صادقون وجيـدون ومعجزون ، في رؤيتهم لانفسهم ورؤية مجتمعاتهم وقومهم لهم ، بقدر ما يجيئون مناقضين بكل العنف والفحش والافتضح للمعقول والقبول والحياء والذكاء والصدق والتهذيب والواقع والممكن والجمال والمنطق بكل اساليبهما وصيغهما وشروطهما ، اي بقدر ما يكونون خارجين على كل تفاسير الالهة والانبياء والزعماء والقادة والفنانين والمفكرين التي يحاكمهم ويفسرهم ويبراهم بها ويشترطها فيهم جميع المتحضرين . ان العربي لكي يكون الشيء المزعوم او المدعى او المطلوب ليجب عليه ان تكون جميع صفاته نقيض صفات ذلك الشيء . .

لنفرا كل ما قاله في كل التاريخ وكل ما يقوله اليوم جميع الارباب والانبياء والزعماء والقادة والشعراء والمفكرين والفنانين العرب . . . اننا حينئذ لا بد ان نجدهم جميعا صوفية اي دراويش ، جاءوا بصيغ أو أسماء أو أزياء أو لغات أو دعاوى أو فوق منابر أو عروش أرباب وانبياء وشعراء وزعماء وقادة وفنانين ومفكرين . . . اي لا بد أن نجدهم جميعا ليسوا الا تهويما ، صعودا وهبوطا ، في المحالات والسخافات والبلادات دون اي التزام او احترام او رؤية للمنطق او الصدق او الواقع او الممكن او المستطاع أو الحياء أو الوقار أو الجمال أو الحب أو الشهامة . . . لا بد أن نجدهم في كل تفاسيرهم نقيض الاسماء والثياب والعروش والمنابر والمناصب التي يسمون بها او يلبسونها او يتوجونها او يصعدون فوقها . .

ان صراخ جميع الاجهزة العربية في هذه الاوقات عن مجد « العبور » وعن امجاد حرب اكتوبر او حرب رمضان لهو قمة الصوفية اي الدروشة الاخلاقية والعقلية والانسانية والتعبيرية اي قمة التعامل مع المحال ، اي قمة المناقضة للانسان المتحضر الذكي الصادق العاقل المسؤول المسائل المحاسب الرائي القاري لنفسه او لاي شيء يعمل او يتعامل به او يخاطبه او يتخاطب به او يريده او يرفضه او يريد أن يفسر به او يعرف عنه او يحكم به عليه . . . ان احاديث جميع الاصوات العربية عن امجاد حرب اكتوبر بين العرب واسرائيل هي قمة الدروشة التي ترى انها لن تكون مسموعة أو مصدقة أو محترمة أو قوية أو مقنعة أو متبعة أو مؤثرة أو قائدة الا بقدر ما تكون

خارجة على كل الصدق والذكاء والوقار والرؤية والاحترام للنفس والمحاسبة لها . والا بقدر ما تكون صادمة فاجعة لكل العيون التي ترى والاذان التي تسمع والعقول التي تفكر . اذن فالعرب في كل تاريخهم وفي كل حاضرهم ليسوا ولا سيما من هم في اماكن القمم منهم الا صوفية اي الا دراويش ، لا يحاسبون او يفسرون او يفهمون بما يقولون ، ولا يصنعون لاحد التساؤل او الاستغراب او الاندهاش او الحيرة مهما قالوا ، ولا يعذبون من يقرؤهم او يسمعهم او يحاورهم او يعاملهم بالمقاساة لكي يفهمهم او يعقلهم او يتقبلهم او يفسرهم . انهم لنافعون ومريحون جدا اولئك الذين لا يحوجون احدا الى أن يقرأهم ليفهمهم او يفسرهم او يحاسبهم . . . اولئك المغفور لهم والمنسيون لانهم لا يعنون شيئا مهما اعلنوا وقالوا وهددوا . . .

ان المتنبى اذن ليس الا صوفيا اي الا درويشا جاء بصيغة شاعر او زعم شاعرا ، لا يجوز ان يقرأ ليفهم او يفسر او يصدق وانما يقرأ كدرويش يجب ان يعالج من دروشته المجتمع الذي ولده وصاغه والذي لا يزال يؤمن به ويهتف له . . . ان كل ما قاله العرب وكل ما يقولونه اليوم وكل ما سوف يقولونه في مواجهاتهم لاسرائيل لهو اعظم حشد وثورة من حشود وثورات الدروشة في كل التاريخ الانساني . ان مواجهة العرب لاسرائيل قد تحولت الى ثورة دروشة لن تنافسها اية دروشة ثورية في أي عصر او مجتمع . . .

انها دروشة شاملة ، دروشة عقول واخلاق ونفوس ورؤى وتصورات وتعبير ومنطق وفنون وشعر ، ودروشة حروب وعداوات وصداقات ومحالفات وعلاقات وحب وبغض وهجاء وامتناد . . . انها دروشة حولت الطبيعة الى دروشة ، حولت النفط العربي الى درويش . ان دروشة العرب حولت الطبيعة الى درويش . . .

ان اعظم قائد او زعيم او محارب او مفكر او سياسي عربي ليس الا اعظم درويش ، في كل تفاسيره . ان كل عربي مسؤول او متصدر او متوج او مقروء او مسموع او صارخ او معلم ليس الا درويشا ولكن الاسماء والازيا تختلف . . .

ان كل ما يفعله ويتعامل به العرب يتحول في ايديهم وعقولهم وتصوراتهم وقدراتهم ومواقفهم منه وفي بلادهم وعلى السنتهم وفي تفاسيرهم له - يتحول الى فنون غير جميلة او ذكية او مهذبة او مسلية من الدروشة . ان الدروشة في الانسان العربي ليست فنا او حرفة او مهنة يتعلمها او مسلاة يتلها بها ويطرب لها ولكنها هي ذاته اي موهبته اي طبيعته اي كينونته وقدرته . . .

كل ما يدعى بالمؤسسات او المجالس الديمقراطية او النيابية او الشعبية ، واساليب تاليفها واختيار اعضائها وممارساتها والتعامل بها . . . الصحافة والاذاعة بكل مستوياتها وموضوعاتها ومعاركها . . .

. . . الدعاية والاعلام والتعاليم والوعظ . . . التفكير والحوار والشعر والكتاب والمقالة والمسرح والسينما والقصة والرواية . . . المذاهب والنظم ، رأسمالية واشتراكية وشيوعية وإسلامية . . .

٠٠ القومية والوطنية والعرقية والتاريخية ٠٠
 ٠٠ الحكام رؤساء وملوكا وأئمة وشيوخا ٠٠
 ٠٠ وايضا الارباب والانبياء والخلفاء وامجادهم وعروشهم ورواياتهم والروايات
 عنهم ٠٠

٠٠ الصداقات والعداوات والمعاهدات والخلافات والمؤامرات والمؤتمرات بل
 والمصافحات والمعانقات والمبارزات والمشاتمات والتحييات والمقاطعات ٠٠
 ٠٠ التدين والايمان والاقتناع والعقائد والصلوات والدفاع عن الاديان ومحاولات
 الاقتناع بها واثبات مزايها وصحتها وسماويتها ٠
 نعم ، كل ذلك لم يتحول الى ارداء فنون الدروشة ، في عقل وتصور وتعبير
 وسلوك الانسان العربي في كل ممارساته ونياته ، في كل اقطاره وتاريخه وتحت
 كل ظروفه وشعاراته ؟

بل لم يتحول التعليم بكل مراحل ، الجامعي والعام ، وكل المؤسسات
 والتخصصات العلمية الى شيء من الدروشة او شيء ليس بعيدا كثيرا عن اساليب
 الدروشة وتفاسيرها ، في ممارسات العالم العربي ؟
 وهل يوجد نموذج للدروشة مثل المتعلم او العالم او التعليم العربي ؟
 حتى الحرب والسلام والاسلحة بكل انواعها ، لم يحولها الانسان العربي
 بكل تعامله وعلاقاته بها وادائه لها الى اساليب حزينة واليمة وفادحة وفاضحة
 من الدروشة البليدة القتالة ؟

لم يحول احدث الاسلحة والاجهزة العلمية الى دروشة تلبس العمامم والعباءات
 وتداوي بالزقي والتمايم وتكتب الانكار وتتلوها لتقتل وتهزم الشيطان ؟
 وهل تحول الى افجع وافدح اساليب الدروشة شيء مثلما تحولت الحرب
 والسلام والاسلحة العلمية الحضارية بل والبدوية حينما تعامل بها الانسان العربي
 وحينما وضعها في يده وعقله وقوته وشجاعته ، بل وفي لفته وخطاباته وعلاقاته
 وحساباته؟ ما اقدر الدروشة العربية على صياغة الاشياء؟ هل يستطيع غير الانسان
 العربي ان يحول احدث الاسلحة العلمية الى دروشة ؟ هل مثلت كل ادوار ارداء
 الدراويش مثلما مثلتها الجيوش العربية حينما حاربت احدث واقوى حروبها
 بل حينما حاربت كل حروبها باذكي واعلم واحديث الاسلحة ؟ عليك اللعنة يا
 اسرائيل او لك كل الشكر ٠ هل كشف غيرك بكل هذا الفضح عن موهبة العرب في
 قدرتهم على تحويل اعلم واحديث واذكى الاسلحة الى دروشة ؟ نعم ، كل هذا وكل شيء
 غيره من شؤون الحياة هل يمكن ان يحاسب اية محاسبة علمية او حضارية او عقلية
 او اخلاقية او جدية لو ان يفسر باي شيء من ذلك او ان يخضع له او يطالب به او
 ينتظر منه ، اي حينما يفعله او يتعامل به الانسان العربي بفكره او اخلاقه او
 تصوره او لسانه او بيديه او عضلاته او بأية موهبة من مواهبه الفنية او النفسية

او التعبيرية ، الا بقدر ما يمكن ان تحاسب وتفسر وتخضع وتطالب بكل ذلك او بأي شيء منه ابعد شطحات الدراويش تهويما في المحالات والسخافات والمناقضة لكل ما يمكن ويستطاع ويعقل ويطلب ويرضي ويتوقع ؟

ان اي شيء تشترط فيه وله وفي التعامل به اقصى الشروط وكل الشروط ليصبح معنى من كل شرط ومن اي شرط اذا تعامل به الانسان العربي ..

وعنف احساسى بهذه القضية يضطرني الى التكرار ، الى ان اقول مكررا : اني اريد بالدرويش هنا هو كل من يقول كل ما يريد قوله وكل ما يستطيع قوله ، عن نفسه او عن غيره ، عن اعدائه او عن ابائه او اربابه وانبيائه وخلفائه وتاريخه وامجاده واديانه - عن اي شيء معلوم او غير معلوم بل وعمما ليس شيئا ، مادحا او حاجيا ، مؤمنا ومتقبلا ومعظما او كافرا او رافضا او محقرا او شائما ، واعدة او موعدا ، دون ان يكون مسؤولا او محاسبا او مطالبا او معاتبا او مفسرا او مستنكرا او مصدقا او مكذبا ، بل دون ان يكون مقروءا او مسموعا ، ودون ان يفعل هو بنفسه شيئا من ذلك او يطالبها بشيء منه او يقرأها او يفسرها او يسمعها او يستمع اليها او يحق فيها ليغير او يصحح او يستتر شيئا فيها او منها ، لانه لن يحسب قائلا او مريدا شيئا مهما قال ..

ان الدرويش ليس لغة تقرا او تفسر بأي منطق او مذهب او دين او واقع او اخلاق .

نعم ، بهذا ليس جميع الهة وانبياء وخلفاء وسلاطين العرب وجميع شعرائهم ومفكرهم وفنانهم وعسكريهم ومعلمهم وناطقهم بل وجماهيرهم ... - نعم ، اليسوا اصنق واشمل وأردأ النماذج لاردا الدراويش ؟ نعم ، نعم ، اليس عسكريهم ومحاربهم ومخطوهم هم اردأ نماذج الدراويش ؟

هل استطاع او يستطيع شيء ان يفسر معاني الدروشة وعمقها وشمولها واصالتها في الانسان العربي مثلما استطاعت ان تفعل ذلك احاديثه عن امجاد « عبوره » وعن انتصاراته على اسرائيل وتهديداته لها وعن جميع مواجهاته لها ومواقفه منها وتباهيه عليها ، واساليبها في الحشد ضدها ، وتعامله بالسلاح الذي حمله لقتلها ، وفهمه وتقاسيره لهذا السلاح وقراءاته له ، واحاديثه عنه تهويلا او تصغيرا ، اعجابا او احتقارا ، تقوقا عليه او خوفا منه ؟ في ايها كان الانسان العربي اكثر واردا دروشة : في تقاسيره للاله والاديان ام في تقاسيره للسلاح الذي حمله ليقاثل به دون ان يعرف او يستطيع ؟ هل يمكن ان يعد قتال العرب لاسرائيل قتال من عرف او استطاع ؟

اذن ليست كل دروشة العرب تعيش في المتنبي ، وكل دروشة المتنبي تعيش في كل العرب ؟ ألم ينقل المتنبي كل دروشته الى كل العقول والعيون والاخلاق والعصلات والاصوات والاسلحة التي واجه العرب بها اسرائيل ، والتي صنعت مجد العبور ورائته وقراءته وفسرته وحاسبته وتحذرت عنه ؟

هل يمكن ان يكون المتنبي او ان يحسب اكثر دروشة اي خروجاً على الواقع والمنطق والذكاء والصدق والوقار والانتزان والتعذيب والحياء ، وعلى كل التفسير الانسانية والحضارية والاخلاقية والنفسية والفكرية من اي نبي او خليفة او زعيم او قائد عسكري او مفكر عربي في اي عصر من العصور - او ان يكون او يحسب اي عربي من هؤلاء اكثر خروجاً من المتنبي على كل ذلك او على اي شيء منه ؟ اليس كل الفرق بين المتنبي وبين اي نبي او خليفة او قائد عربي هو فرق لغة او مكان او دعوى او عمامة وليس فرق ثقافة او اخلاق او ذكاء او رؤية ؟

مشكور انت يا جيل « العبور » او مذموم ، يا جيل المواجهة العربية الاسرائيلية . انت مشكور او قد ترى مذموماً لانك قد اثبت ان المتنبي هو كل العرب وان كل العرب هم المتنبي . لقد دللت على ان المتنبي ليس اصغر من كل الامة العربية وان كل الامة العربية ليست اكبر من المتنبي .

نعم ، ماذا ترى نفسك يا جيل « العبور » ؟ هل ترى انك بذلك قد نفعت او انك قد ضررت واسأت واهنت وقضحت ؟

هل تستطيع ان تحاسب نفسك ؟

آه يا جيل العبور . هل انت عابر ام معبور بك ؟ هل انت عبور ام تعبير ام تعبير عن عجز وجهل وخداع واكاذيب حكامك وقادتك وانبيائك وشعرائك ؟ الست تفهم هذا يا جيل العبور ؟ هل اربابك حينما يزعمون لك الامجاد يقصدون تمجيدك واحترامك ام المزيد من استعبادك ؟ الست تفهم هذا ؟

ان الحديث عن المتنبي ليس اذن حديثاً عن فرد قد جاء في فترة من التاريخ او تكرر ويتكرر في جميع فترات التاريخ ، مفسراً فرداً واحداً . ولكن الحديث عنه حديث عن مجتمع لم يكن يعيش في مرحلة من التاريخ محسوبة طويلة او قصيرة ، بل عن مجتمع يعيش كل مراحل التاريخ او هو كل التاريخ ، اي كل تاريخه هو متكرراً في صيغة واحدة منه . عن مجتمع لا يعيش التاريخ ولا يعيشه التاريخ ولكن يرويه التاريخ دون ان يروي عنه .

ان الحديث عن المتنبي هو حديث عن كل التاريخ العربي او عن الانسان العربي في كل تاريخه بكل نماجه . انه حديث عن النموذج الكامل الدائم لشعب كامل او لتاريخ كامل اي لشعب او لتاريخ لا يتخطى نفسه ، لا يتعاقب او يتفاوت في كينوناته او نماجه او في اتساع او مواقع خطواته . انه المجتمع الذي يظل فيه الفجر هو الظهيرة ، هو العشي ، هو الغروب ، هو الليل . وانه المولد او الكائن الذي يظل هو الطفل والغلام والشاب والرجل والكهل والشيخ والهرم . انه البداية التي تصبح هي كل النهاية ، او النهاية التي تجيء اقل من كل بداية . انه الفرد الواحد الذي يظل يلد ذاته حتى يصبح كل قومه في كل عصورهم كل الاباء والابناء حتى يصبح كل الانبياء والزعماء والقادة والاتباع والمؤمنين .

انه الفرد او النموذج الذي يعيش فيه كل تاريخ شعبه ، ويعيش في كل تاريخ شعبه . . . يعيش في كل مواهب شعبه في كل تاريخه ، بكل آحاده وجماعاته ومستوياته ، وتعيش في مواهبه كل مواهب شعبه ، في كل تاريخه ، بكل آحاده وجماعاته ومستوياته ، اي ولو في النية والطموح والتمني والادعاء والمباهاة . انه الابن الفرد الذي ظل ينتقل في ابناءه حتى انتقل الى جيل « العبور » منشدا كل قصائده عن امجاد « عبوره » . . .

لقد جاء المتنبي اي في صيفته الذاتية الواحدة ذات الاسم الواحد ، في فترة من التاريخ الزمني ، فتحول اي في مجتمعه الى عبقرية او اعجاز او اعجاب او تقبل وقرحيب او الى غيرة وكرامية تحت حوافز الحسد والعجز . عن المنافسة ، ثم ظل كذلك حتى اليوم ، عاجزة كل العيون عن التحديق فيه وعن استيعابه وقراءته وتفسيره ، اما رهبة واستعظاما واما جسدا وعجزا عن مباراته ويأسا من القدرة على هذه المباراة . . ان الذين لعنوه او رفضوه لم يلعنوه او يرفضوه لاسباب الموجبة فلك بل لاسباب توجب احترامه تصورها فيه . . ما التفسير لهذه الرؤية الواحدة الدائمة للمتنبي ؟ لماذا ظل العرب يرونه هذه الرؤية الواحدة الدائمة من يوم ان جاء اليهم بصيفته الفردية حتى اليوم اي حتى عصر جيل « العبور » - حتى عصر « العبور » ، الذي اصبح عصرا لكل عصر ، وتاجا لكل عصر ، وقيصرا على كل عصر ، ومحاسبا محاكما مفسرا مقياسا لكل عصر ، بل الذي اصبح اذلالا وهجاء وسبابا وهزيمة واخجالا وفضيحة كل عصر . . بل الذي تحول الى تعذيب لكل شعوب العالم ، خائفا كل شعب من ان يصبح له عصر مثله اي مثل عصر العبور ، او مجد مثل مجده ، او قادة وابطال مثل قاداته وابطاله ، او ان يرى نفسه ويتحدث عنها بالاساليب التي رأى بها جيل « العبور » ، نفسه وتحدث بها عنها والتي لا يزال وسوف طويلا يرى بها نفسه ويتحدث بها عنها . . خائفا كل شعب ان يكون له « عبور » ، كهذا « العبور » ، بكل نهاياته ونتائجه وتفاسيره بل وبكل بداياته وتخطيطاته ونياتـه ؟

اي تعذيب رهيب لاي شعب يصيبه الشك في انه قد يذهب يتحدث عن اي مجد من امجاده او عن اي عار او هزيمة من الوان عاره وهزائمه ، او ان يرى مجده او عاره هذا بالاسلوب الذي رأى ويرى به ابطال وقادة « العبور » ، عبورهم وتحدثوا ويتحدثون بمثله عن عبورهم ؟

انه ليس خوفا او حذرا مسرفا او مريضا ان يذهب قوم يطمنون انهم خرس او يطمنون ان يصابوا بالخرس لانهم سمعوا العرب يتحدثون عن مجد « عبورهم » ، بالاساليب التي بها يتحدثون . ولكن هذا يعني الافتراض ان من يسمعون العرب يتحدثون عن مجد عبورهم هذا او عن اي شيء اخر قد يحسبونهم اي يحسبون العرب ناسا من الناس يتحدثون عن اي شيء .

اذن ليس واجبا اخلاقيا وانسانيا على العرب ان يكفوا عن تحدثهم هذا او ان

يقللوا منه أو يخفوه لئلا يوجد من يذهبون يصيبون انفسهم بعاهة الخرس خوفا من ان يتحدثوا مثل تحدث العرب عن مجد عبورهم ، أو من يذهبون يصيبون انفسهم بعاهة الصمم رفضا لسماع العرب يتحدثون عن مجدهم هذا بأسلوبهم هذا؟؟ ولكن هل يحتمل ان يخاف قوم ان يتحدثوا عن اي شيء عظيم مثلما يتحدث العرب عن كل تفاهاتهم وهزائمهم زاعمين انها انتصارات وعبقريات مذلة ومعجزة لكل البشر ؟

نعم ، ان احد التفاسير لهذه الرؤية العربية الواحدة الدائمة للمتنبى هو ان العرب ظلوا في كل اجيالهم درجة تاريخية واحدة أو صيغة واحدة ثابتة مرت وظلت تمر فوق التاريخ أو تحته أو متسللة في شقوقه دون ان يستطيع تغييرها أو تصحيح اي شيء فيها ، بل دون ان يشعر اي التاريخ أو يعلم بوجودها أو بمرورها فوقه أو تحته أو في شقوقه - أو انهم اي العرب جاءوا مجتمعين في فرد واحد لا يستطيع ان يتغير ، ان يكبر أو يصغر ، لا يستطيع ان يتخطى ولادته .. وهذا الفرد الواحد العجيب ظل ينقل خصائصه الى كل احادهم وجماعاتهم في كل عصورهم ، وظلوا هم يتلقون خصائص هذا الفرد ويعيشونها ويتدارسونها ويتواصلون بها ويحفظونها ويقرؤونها ويفسرونها ، ويرونها كل المجد والقوة والتفوق وكل التاريخ والبدائية والنهاية والمسيرة والطموح . ظلوا يتلقون خصائص هذا الفرد ويجمعونها ويشحذونها حتى تفجرت في جيل «العبور» ، جيل المواجهة العربية الاسرائيلية بكل هذا القبح .. لهذا لم يكن ممكنا ان تختلف رؤيتهم للمتنبى أو يتخطوه بالموهبة أو بالطموح أو القدرة أو المثل أو المنطق أو التفسير أو التعبير أو بأي مستوى انساني أو حضاري . انهم لم يكونوا قادرين ولا مريدين ان يخرجوه من اعماقهم ، ولم يكن هو قادرا أو مريدا ان يخرج من اعماقهم . انه اي المتنبى لو خرج من نفوسهم ومواهبهم لما وجد مكانا اخر يؤويه أو يأوي اليه أو يتقبله ..

لقد ظل محتلا لكل صيغهم النفسية والعقلية والاخلاقية والتعبيرية بكل القسوة والشمول .. لكل صيغهم التي صاغوه هم بها أو التي صاغهم وصاغه بها كائن لم يستطيعوا حتى اليوم ان يعرفوه أو يعرفوا مكانه لكي يحاكموه أو يحاسبوه أو يسائلوه أو يشكروه أو ليضعوا فيه مواهب واخلاقا افضل مما اراد لهم ووضع فيهم .. نعم ، ان المتنبى لم يكن يستطيع ان يجد سكنا يقبله غير الاخلاق والمواهب العربية وان الاخلاق والمواهب العربية لن تجد من يتقبل السكن فيها غير المتنبى ونماذجه .

اجل ، لقد كان اي المتنبى المحتل لكل الصيغ العربية هو الذي وضع ونفذ ولا يزال يفعل جميع الخطط والمواجهات والهجمات التي اوقعها قادة العرب وزعمائهم ومفكروهم وعسكريهم ومقاتلوهم باسرائيل والتي لا يزالون وسوف يستمرون بوقعونها بها وهو الذي ذهب يتحدث عن ذلك بكل صوته .

لقد كلبت الخطط والعضلات هي خططه وعضلاته كما كان التصويت عنها هو تصويته .
الم يكن المتنبى هو الذي قال كل كلمة قالتها . أو اذاعتها أو كتبتها جميع

الاذاعات والصحافة وجميع اجهزة الاعلام العربية وهي تتحدث عن حرب اكتوبر وعن مجد العبور وعن قهر اسرائيل بل عن قهر كل الكون ، وعن الانتصارات العربية التي حولت كل انتصارات كل العالم في كل التاريخ الى هزائم وهوان وعار ... الى امجاد براغيث ؟

بل هل تستطيع كل امجاد العالم ان ترتفع الى مستوى امجاد البراغيث محامية بامجاد « العبور » العربي ؟

الم يكن جميع المتحدثين والمذيعين والكتاب العرب ، من عسكريين وقادة ومفكرين وشعراء وجنود ، الذين تحدثوا او اذاعوا او كتبوا او اعلنوا عن هذه الانتصارات للكونية العربية التي تحولت الى اذلال لمجد الشمس ، بل الى تمويض لعينيها واعتذار الى ضميرها واخلاقتها والى احزان قلبها عما رأت وقاست طويلا ، طويلا من عاهات وتشوهات وذنوب وصفاثر وهزائم الالهة والناس والاشياء .

نعم ، الم يكن جميع هؤلاء المتحدثين والمذيعين والعلنين انما كانوا يقرؤون ويفسرون اشعار المتنبي التي قالها عن حروبه هو وسيف الدولة مع دولة الروم والتي قالها في غير ذلك ؟ لقد كان المتنبي هو الذي قال كل ما قالته الاذاعات والصحافة العربية والمتحدثون العسكريون بكل موهبته في فقدته للحياة والرؤية والصدق والنطق والتهذيب .

الم يكونوا ينشدون قوله :

سيلم الخلق ممن ضم مجلسنا
بانني خير من تسعى به قدم
الخيال والليل والبيداء تعرفني
والطمع والضرب والقرطاس والقلم
وجامل مده في جهله ضحكي
حتى اتقه يد فراسة وفهم
اذا رايت نيوب الليث بارزة
فلا تظن ان الليث يبتسم

هل تستطيع ان تسمع او تقرا بل او تذكر في هذه الاوقات الكونية غير المتنبي متحدثا عن معجزات حرب اكتوبر وعن امجاد « العبور » ؟ لقد كان جميع المتحدثين عن امجاد العبور من حكام وقادة وزعماء وعسكريين وكتاب وشعراء يتوالدون من فجرة المتنبي ...

كانت كل مواجهاتنا بكل اساليبها لاسرائيل تحديلا لا يستطاع الاعتراض عليه على ان المتنبي مغروس بكل مواهبه وتفاسيره في كل مواهبنا وتفاسيرنا ، وعلى ان مواهبنا التي ولدته وعلمته وصاغته وحرصته واستقبلته هي نفس مواهبنا الاخلاقية والفكرية والمضلية والنفسية والدعائية التي واجهنا بها اسرائيل وعصر اسرائيل ، وعلى ان التاريخ الذي عاش بين عصر المتنبي وعصرنا ، بين عصر

جيل سيف الدولة وشاعره المتنبي وعصر جيل العبور ، لم يمر بنا ، لقد مر اي هذا التاريخ بعيدا عنا او مر فوقنا ونحن نيام ، لهذا لم ننتفح . ان مرور التاريخ لا بد ان يصنع تغيرا . ان الذين لا يصيبهم التغير فلا بد ان التاريخ لم يمر ولا يمر بهم اما لانه يمر بعيدا عنهم او فوقهم او تحتهم او لانهم لا يفسرون بالتاريخ ولا يتعاملون به .

اننا لو كنا قد تخطينا عصر المتنبي اي لو كانت مواهبنا قد تفوقت وتخطت مواهب المتنبي لما واجهنا اسرائيل كما واجهناها ، واننا لو واجهناها او حينمسا نواجهها مواجهة اقوى واذكى لكان التفسير اننا قد تخطينا المتنبي وعصره . اننا لا نستطيع ان نجمع في انفسنا بين المتنبي وعصره وبين القدرة على ان نواجه مواجهة ذكية او قوية او حضارية او مهذبة .

اننا ما دمنا نجد ونسمع قوما معجبين بالمتنبي او يتحدثون مثلما كان يتحدث او ينشدون اشعاره وأخلاقه ومواهبه ومبادئه واهاجيه ومفاخراته وادعاءاته وان كان ذلك بلغة اخرى فلن فتوقع منهم اي من قوما ان يواجهوا اسرائيل او غيرها الا كما واجهوها . السنن اليوم ودائما نتحدث مثلما كان المتنبي يتحدث وان كان ذلك بأساليب تعبيرية ولغوية اخرى ؟

ليس جميع المتحدثين العسكريين العرب انما يتحدثون مثل المتنبي ولكن الفرق فرق لغة ؟

ان المتنبي ليس فاعلا او هازما لنا ولكنه دليل علينا وعلى استحقاقنا للهازم . وان خروجه منا ومن اعجابنا واخلاقنا ومستوياتنا ليس هو الذي يشفيها من ضعفنا وهمجيتنا وغوانيتنا ولكن خروجه هذا لو خرج او اذا خرج دليل على شفافنا من ذلك . وهل يمكن ان ياتي وقت يستطيع فيه المتنبي ويريد ان يخرج من مواهبنا ، ولو استطاع ذلك وارادة فهل نأذن له بان يفعل ؟

حتما ، ان مفكري اسرائيل وغيرها من خصوم العرب لا بد ان يسعدوا ويذهب أو يهون عنهم الخوف والقلق والشعور بالخطر كلما وجدوا العرب يعيشون في عصر المتنبي ويقروونه باعجاب ومباهاة وتراقص وتواجد قومي ووطني . بتواجد وتراقص كتواجد وتراقص الصوفية . بغيبوبة عن الرؤية والذكاء والصدق والوقار كغيبوبة للصوفية . وهل العرب في غيبوبة عن ذلك ام هم فاقدون له ؟ هل مواهبهم نائمة وغائبة ام مفقودة ؟

ولن يقاسي هؤلاء المفكرون الاعداء أو الشامتون او المتفرجون اية مقاساة لكي يجدوا المتنبي عارضا نفسه مغنيا منشدا لها من اقواء وعقول وعضلات وسفاهات جميع قادتنا السياسيين والعسكريين وجميع مفكرينا وشعرائنا وفنانينا وجامهيرنا . انهم سيقروونه ويسمعونه ويجدون كل تقاسيره في كل الاصول والاقلام والاخلاق العربية المعاصرة مهما اختلفت الكلمات . ومع هذا فان المتنبي لم يكن اقسى او اطول خلودا في اعماقنا وتشويها لها وعدوانا عليها من اندلاده

ومنافسيه او مساعديه في اسواق تاريخنا ، اي من اربابنا وانبيائنا وخلفائنا وسلاطيننا وائمةنا وشيوخنا العتاة في رسوخهم وطفانهم ٠٠ اجل ، وهل كان المتنبي الا نبيا او خليفة او سلطانا او قائدا عسكريا او دينيا او شيئا عربيا قد جاء في عبادة شاعر ؟

اليس جميع هؤلاء قد ظلوا محتلين لعقولنا واخلاقنا وطموحنا وتصوراتنا ولغاتنا بل وحتى لشتائمنا وسفاهاتنا وبغضائنا في كل تاريخنا كما فعل المتنبي بكل قسوته واسلوبه ؟ بل اليس المتنبي مظلوما حينما يحاسب استعباده وتشويهه لنا باستعباد هؤلاء وتشويههم ؟

ثم اليس التفسير لبقاء المتنبي كل هذا الزمان تشويها ونموجا لجميع نماذج الانسان ومعانيه فينا هي نفس التفسير وكل التفسير لبقاء هؤلاء كذلك ؟ لقد كان المتنبي محاسبا او منافسا باربابنا وانبيائنا وخلفائنا وسلاطيننا وشيوخنا نموذا قويا في بذاته وفحشه وهمجيته ولكنه لم يكن فريدا بل لعله لم يكن الاقوى ٠٠ لو وجدت فروق بين ديوان المتنبي وكتاب مقدس عربي او اقوال نبوة عربية فلمصلحة من يمكن ان تكون هذه الفروق ؟

ماذا لو ان قصائد المتنبي المادحة الهاجية الفاخرة المبارزة المتعده نقلت الى لغة شعب يقرأ ويفسر ويشترط ويرى ويحاسب اللغات ، وقيل له : ان هذا شعر قد قيل في عصر من العصور ، وخطب به مجتمع من المجتمعات ، خطب به ملوك وقادة وزعماء وشعراء ومفكرو ذلك المجتمع ومدحوا به وتقرب به اليهم لينال رضاهم واعجابهم ونوالهم ، فقبلوا واعجبوا وفرحوا ورقصوا وغنوا ووهبوا ، اعجابا وطربا واقتناعا بامتلاك واحتكار كل مجد التاريخ لانهم به قد مدحوا وخطبوا وانشدوا ولانه قد قيل في عصرهم وشعبهم ، ولانه موهبة وعبقريه شعب هم يحكمونه ويسودونه ويستعبدونه ويعايشونه ويعاصرونه ويرهبونه ويجيئونهم ؟

وقيل لهم ايضا : ان قائل هذا الشعر والقوم الذين خطبوا ومدحوا وجنوا به اعجابا وطربا وكبرا وايمانا واستمعوا اليه وقرأوه وانشدوه وحفظوه وفسروه وحسبوه معجزة المعجزات الشعرية والفنية والفكرية والفروسية والاخلاقية التي يخلون بها كل عبقرات كل الشعوب في كل التاريخ ويستعنون بها عن كل امجاد كل الحضارات بل ويهاجونها به ، اجل ، وحسبوه مجدا وحضارة يستغنون بهما عن كل مجد وحضارة بل ويلعنون ويفاخرون بهما كل مجد وحضارة ، والعرب يفعلون ذلك بشعر المتنبي .

نعم ، وقيل لهم ايضا : ان قائل هذا الشعر وقومه لا يزالون موجودين في هذا العصر بكل عباءاتهم وعائمتهم وخيامهم ونماذجهم ، ولا يزالون ينشدونه اي هذا الشعر بنصوحه او بمعانيه او بنصوصه ومعانيه ، ولا يزالون يقرؤون ويفسرون ويخطبون وينافسون ويقاومون ويواجهون به عصرهم هذا - بل ويحولون كل قوة نفطهم الدولية والحضارية الى مزيد من الصراخ والافتضاح في صراخه

وافترضه ، ويصنعون منه وبه مجدا كونيا يدعونه مجد « العبور » ، مجدا « عبوريا » ، سيظل كل التاريخ في كل تاريخه يقرؤه على نفسه ولنفسه لكي يجد فيه كل الغفران لكل هزائمه وهوانه وذنوبه وعاهاته ونذالاته والامه واحزانه بل ولكي ينسيه كل مجد من امجاده الماضية ويستغني به عن كل مجد من امجاده الآتية بل وعن ان يصنع اي مجد في عصوره القادمة ؟ نعم ، هل يستطيع اي مجد ان يجيء بعد مجد « العبور » ؟ ألا يمنعه الحياء والرغبة من المجيء ؟ ألا يحتفل إن يصدق التاريخ مجد « العبور » ، في حديثه عن نفسه فيهاب ان يصنع اي مجد آخر ؟

اجل ، ماذا لو نقلت اشعار المتنبي الى لغة قوم يقرؤون ويفسرون ويحاسبون ما يقرؤون ويفسرون ، ويرون ان اللغات والكلمات والاشعار مسؤولة ومحاسبة ، وانها لا بد ان تكون تعبيراً عن مستويات اخلاقية وفكرية ونفسية وحضارية ، تعبيراً عن ذلك ولو بالناقضة ، ثم قيل لهؤلاء القوم الذين نقل الى لغتهم : ان هذه الاشعار كانت كل العبقرية والاعجاز الفني والعقلي والاخلاقي لقوم كانوا يلبسون جلود واجساد وثياب البشر ، ويتصافحون ويتعاطفون ويتعاملون بأساليب تجعلهم يبدوون وكأنهم بشر - كانت اي هذه الاشعار كل عبقرية واعجاز القائلين والقارئین والسامعين والمخاطبين والمادحين والممدوحين من هؤلاء القوم ، وقيل ايضا لهؤلاء القوم الذين نقل الى لغتهم : ان هؤلاء الناس الذين كانت هذه الاشعار هي كل عبقريتهم ومعجزاتهم الشعرية والفنية والعقلية والاخلاقية والحضارية لا يزالون موجودين حتى اليوم ، يملؤون الدنيا ضجيجا ومباهاة ويبصقون على نكاه ووقار ومسامح كل من فيها باحاديثهم عن امجاد « عبورهم » ، ثم قيل لهم كذلك : ان شيئا ما لم يستطع ان يعبر عن هذه الاشعار بكل القوة والاصالة والنزق مثلما عبّر عنها مجد « العبور » ، والمتحدثون عنه ؟

ماذا يمكن حينئذ ان يفهم او يتصور او يقول اصحاب هذه اللغة ؟ كم يمكن ان يكون حينئذ مقدار انفعالهم وذمولهم وعجزهم عن الفهم والتفسير والتصديق ؟ ولكن اليس هذا يحدث دائما اي نقل شعر المتنبي الى اللغات الاخرى لان تحدث الزعماء والحكام العرب الى الآخرين لا يعني الا نقل اشعار المتنبي الى لغات هؤلاء الآخرين ؟

ثم اليس محتوما حينئذ ان يقتنعوا بانه توجد كائنات خارجة وبعميدة جدا عن جميع نماذج الكائنات المعقولة والمفهومة والمعروفة والمتصورة والمتوقعة والتي يمكن ان تصبح معقولة او مفهومة او متصورة او متوقعة ، ومحتوما ايضا ان يجدوا ان جميع معارفهم ودراساتهم ومقرراتهم ورؤاهم وتجاربهم قد وقعت في افسى الورطاة لان نماذج هؤلاء الناس الذين قرأوا اشعارهم لا بد ان تتحول الى ابطال لكل ما عرفوا ودرسوا ورأوا وجربوا وتصوروا وفهموا واقتنعوا واعتقدوا اي الى ابطال لكل حقيقة ؟

كل اعتذاري واساي لذكراك يا ابا الطيب .. لذكراك التي كان من الافضل ان تكون تمجيذا واعجابا وقراءة واستنكارا لكل ألوان العظمة والجمال والنظافة والبسالة النفسية والعقلية والاخلاقية والفنية .. ان تكون اي ذكراك صلاة وترتيلا لمجد التاريخ ، تاريخ الانسان وتاريخ قومك ، قومك الجياع الى مجد التاريخ والى مجد الحياة وان كانوا لا يقاسون او يشكون من جوعهم هذا بل ولا يدرون به . وهل يوجد جوع ينافس جوع قومك من مجد الحياة ومجد التاريخ ، او صبر ينافس صبرهم على هذا الجوع ؟

نعم .. قومك الذين كان كل مجدهم مثل مجدك ، مجد لسان فاقد لكل امجاد اللسان العقلية والنفسية والاخلاقية والفنية والجمالية والحضارية . مجد لسان ليس فيه من مواهب اللسان غير الافتضاح بلا اي در من الاستتار او الوقار أو الصدق .. اجل ، كل اعتذاري واساي لذكراك يا ابا الطيب .. بال تكرار الليم المشحون بكل مشاعر الانفجاع الصادق الحاد اتقدم باعتذاري الى ذكراك .. الا تستطيع ان تكون نبيلاً ولو مرة واحدة فنتقبل اعتذاري الى ذكراك ؟

كان الافضل ان تصنع لنا ذكرانا الفرح لا الاسى . اذن ليس الواجب ان تتقدم انت الينا بالاعتذار ؟ اليس الذي يصنع لنا الاسى مكان الفرح معتديا علينا ؟ لقد كان النسيان لك ولو تعدا نوعا من الاحترام والتكريم لك ومن الاعتذار والدفاع عنك . ان نسيانك اسلوب من اساليب الاشفاق عليك والثناء لك والستر على عاهاتك . لقد كان تعدد نسيانك نوعا جيدا من التقوى الانسانية . انه ستر عليك وزجر للعيون عن التحديق في ذات لا يستطيع الناظر اليها ان يرى غير العاهات والتشوهات والعمامات والذنوب والاحوال معروضة بكل اساليب الوقاحة والافتضاح . ولكن .. لقد كنت انت المذنّب في العجز عن نسيانك . ان جميع الاصوات والاقلام العربية المنطلقة في كل الاوقات على كل القضايا وعلى كل ما ليس قضايا لتطرحك على كل الاذان والضمائر والعقول والاخلاق طرحا يجعل القدرة على نسيانك شيئا مستحيلا مهينا .

انك متدقق صارخ من كل الحناجر والاقلام والمنابر العربية في كل الاوقات والمواقف لانك موجود بكل اخلاقك وذكائك ومواهبك في كل الاخلاق والعقول والمواهب العربية . انك محتل لها .. ان احتلاك للذات العربية احتلال لا نموذج له في قوته وشموله وديمومته .

ولم تتأكد كينونتك المطلقة المستبعدة الراسخة المعبرة بكل الجبروت عن انتصارها وشمولها في كل المواهب والاخلاق والمشاعر العربية مثلما تاكدت في عصر المواجهة العربية الاسرائيلية ، مثلما تاكدت في مواهب وادعاءات ومفاخرات وصراخ جيل « العبور » .

ان اي شيء لم يكنك او يعلن عنك مثلما كانك واعلن عنك جيل العبور ، جيل حرب اكتوبر .

ان الناطقين العرب لا يذكرون بك تذكيرا فقط لقوة التشابه ولكنك بالالزام وبلا
تدبير او مقاساة تتفجر وتتقفز من اخلاقهم ومشاعرهم ومواهبهم واصواتهم . لقد
تفجرت وانطلقت منهم بالاسلوب والنطق اللذين بهما تخلقت وتنقلت فيهم .
انهم لا يذكرون بك فقط ولكنهم يقاسون من الحبل بك ، من ولادتهم لك ،
من ولادتك لهم ، من استقراغ لكل مواهبهم ، من استقراغ معانيك لكل معانيهم ،
من استقراغك على كل نبواتهم وقياداتهم واديانهم وتعاليمهم وصلواتهم ، من
وضع جميع جثثهم في اكفانك ، في تابوتك ، في عباءتك ، من حبس جميع غربانهم ،
في حجرة غرابك من تحول كل فنون غرابك البسي لمنون لكل غربانهم
لكل انبيائهم وقادتهم وزعمائهم وعسكرييهم وثوارهم وجماهيرهم . من ارتفاع
صوتك وحده في اصوات صلواتهم وقراءاتهم وانشيدهم . من قراءة وسماع كل
مدائحك واهاجيك ومفاخرتك وتهاويلك المذهلة في سخفها بقراءة وسماع قرآن واقوال
اربابهم وانبيائهم .

**

يا لها من قضية : ان الابناء يحبون بالاباء ويلدونهم كما حبل جيل « العبور » ،
جيل المواجهة لاسرائيل بالمتنبي وجيله ، وكما ولداهم . وان الاباء ليحبون بالاجداد
ويلدونهم كما حبل المتنبي وجيله باجيال الخلفاء والسلاطين والائمة وشعراء الملقات
جيل واجيال ابي هريرة البخاري وكما ولدوها . وان الاجداد ليحبون بنواتهم ويظلمون
يلدونها دون ان يحبوا باية ذوات اخرى او يلدوها اي دون ان يحبوا بابناء هم
غيرهم ، اصغر او اكبر ، هم صيغة او كينونة اخرى ، او ان يلدوهم ، كما حبلت
اجيال الخلفاء والسلاطين والائمة وشعراء الملقات واجيال البخاري وابي هريرة
بنواتها ثم ظلت تلدها دون ان تحبل باي شيء اخر او تلد هذا الشيء الاخر .
نعم ، العربي يلد ابا ، وابوه يلد جده ، وجده يلد نفسه ، يلد ولادته . انها المعجزة
العربية .

يا لها من قضية اشهر ابطالها او اعظمهم او كل ابطالها : الانسان العربي .
انه لا يوجد شعب له من البطولات مثل ما للشعب العربي . ولكن لماذا جميع
البطولات العربية هي بطولات تفاسيرها نقيض تفاسير جميع البطولات ؟ حتى رفض
النقد للذات او رؤيتها او محاسبتها هو بطولة عربية لا تنافس .

العرب حتى المصابون بالعقم الدائم يلدون اباؤهم واجدادهم ، واجدادهم يلدون
انفسهم ، يلدون ولاداتهم او يلدون كينونتهم الاولى او يلدون اخلاق ومواهب
اربابهم الاوائل ، الازليين الابديين الذين لا يتعاملون بالتاريخ او الاحداث ولا تتعامل
بهم الاحداث والتاريخ ، لهذا لا يتغيرون . انت لا تستطيع ان تكون عربيا الا بقدر
ما تلد اباؤك واجدادك ومواهب واخلاق اربابك اي الا بقدر ما تلد ولادتك الاولى .
ان الالهة هم اكثر الكائنات تغيرا لانهم هم اكثر الكائنات توالدا تصاعديا او
انتقاليا او استبداليا او تحوليا . والتوالد اذا لم يكن بهذه التفاسير فليس توالدا

ولكنه عد مكرر للشيء الواحد ، او هو تفسير للكلمة الواحدة ذات المعنى الواحد
 بعيد التفسير او بعيد اللغات او كتابتها او نطقها بعيد الخطوط او الحروف
 او اللهجات ، او هو تفسير للشيء الواحد او للمعنى الواحد بعيد التفسير . . او هو
 اي هذا التوالد يشبه وضع كتاب خرافي لا حد لعدد صفحاته ، مؤلفة كلها من كلمة
 واحدة لا يعني بها الاتفسير واحد ولا تعنى هي الا تفسير واحد . هل يوجد اسخف
 من هذا الكتاب الا التوالد الذي لا يعني الا تكرار الابهاء ؟

ان التوالد ان لم يكن تخطيا وتفوقا يصنعه الابناء ضد الابهاء وفوقهم فليس توالد
 بشر او الهة او مجتمعات ولكنه توالد حشرات او نباتات او حيوانات او جماد .
 آلهة العرب هم وحدهم الذين لا يتغيرون لانهم لا يتوالدون . وان العرب ليفخرون
 بالهتهم لانهم لا يتوالدون ولا يتغيرون . وهل يريدون او يستطيعون ان يفعلوا
 او يريدوا ما لا تستطيع او تريد الهتهم ان تكون ؟ اذن هل يمكن ان يتغير او يتوالد
 العرب . او ان يريدوا ذلك ، اعني التوالد الانساني الذي يعني تخطي الابهاء
 والتفوق عليهم ، او حتى تعني او ادعاء هذا التخطي والتفوق ؟ هل حدث ولادة عربية
 واحدة في كل التاريخ مفسرة بهذا التفسير للتوالد ؟

نعم ، العرب حتى المصابون بالعمى التام يلدون اباءهم واجدادهم ، واجدادهم
 حتى المصابون منهم بكل العمى يلدون فواتهم اي يلدون ولاداتهم . العرب مهمما
 كانوا اكثر الناس او من اكثرهم توالدا فانهم جميعا في كل تاريخهم الذي كانا
 مصابين بالعمى التام . ان احدا منهم لم يلد احدا ولم يرد ان يلد . . اما تاريخهم
 الاتي فكم نتمنى ان يصاب بالتوالد ولو تعويضا عن العمى السابق . . ان اشهر واكبر
 انبياء وخلفاء وشعراء وقادة العرب لم يستطع او يمكن ان يلد او يولد واحد منهم
 غير ولادة واحدة هي الولادة الاولى للانسان العربي الاول . .

اما الآخرون غير العرب او الآخرون المتفوقون فالاجداد يلدون الابهاء ، والابهاء يلدون
 الابهاء ، والابهاء يلدون الاحفاد . وهكذا يستمرون يتصاعدون في سماء مفتوحة لا
 نهائية ، متصاعدة بالتخطي والتفوق اي بالتوالد الانساني الحضاري . ان توالدهم
 يعني في النية والكينونة توالد نماذج جديدة في الفكر والرؤية والقدرة والتقبل
 والشوق والتمني والاحتجاج والرفض وفي الصيغة والمكان ايضا .

فأي الفريشين اكثر اعجازا واعظم معجزة : العرب الذين يلدون اباءهم واجدادهم
 ويلدون ولاداتهم ، ام هؤلاء الآخرون الذين يلد اجدادهم اباءهم ، ويولد اباؤهم
 ابناءهم ، ويولد ابناءؤهم احفادهم . . الذين يتحول التوالد فيهم دائما الى تخط وتفوق
 وصياغات جديدة للتاريخ والحياة ولكل شيء ، والى استصغار وتصغير ولكن بلا
 تحقير لكل ما رآه واحترمه وعرفته ورضيته وابتدعته عيون وعقول وعضلات واشواق
 واخلاق وطموح كل الابهاء والاجداد .

ايهم اكثر اعجازا واعظم معجزة : الذين يتوالدون الى الورا ام الذين يتوالدون الى
 الامام ؟ . . الذين يتوالدون تصاعدا وتقدما ام الذين يتوالدون تراكما وتكاثرا مكررا ؟

انسفي على الذين لا يتوالدون الا الى الوراء بل ويفخرون بذلك بل ويعاقبون ويلعنون من يريحون التوالد الى الامام ٠٠٠

نعم ، ان اي توالد ان لم يكن تجاوزا وسبقا لما كان ، للآباء وللتاريخ ، وان لم يقصد به ذلك ويخطط لذلك فلن يكون اي التوالد الا تلوينا وتعذيبا وتضخيما للمشاكل والهموم والالام والقبح ، والا عبثا سخيفا بليدا دميما ليس فيه اي شيء من الفن او الشعر او الحب أو الجمال أو الذكاء أو الروعة أو التهذيب أو الفداء أو العطاء ، ولن يكون له اي تفسير أو تسويغ في منطق اي شيء ٠٠ لن يكون فيه اي اسماء أو سرور لعيون أو ضامائر أو قلوب النجوم أو الشمس أو الالهة أو اي ترحيب أو عزاء لتحديقها فينا ٠٠

التوالد يجب ان يكون رفضا للبقاء في ذوات الآباء بل وعجزا عن هذا البقاء . يجب أن يكون التوالد ارتحالا مستمرا الى آفاق كينونات جديدة والا فلماذا العناء والعبث ؟ ان الانفصال الذاتي أو الزماني أو المكاني عن الابوين يجب ان يكون انفصال تجاوز وقدره وطور وطموح والا فلماذا ؟ ان الالهة لو كانت تتوالد لكان مرفوضا وقبيحا ان تفعل ذلك ان لم يكن توالدها تجديدا وتطويرا في النوع .

المفروض ان تكون ولادة الانسان ولادة نوع اي ان تكون تجديدا مهما كانت كل الولادات الاخرى ولادات مقدار اي كثرة اي تزامم وملء للمكان وللغرفة الواحدة : انه لن يكون شهامة أو نبلا أو جمالا أو ربعا لاي شيء اي وليد جديد يجيء ويظل يجيء ليكون فقط تكرارا وتراكما وملأ للغرفة الواحدة قبيحة هي الولادة التي لا تعني الا التزاحم الاليم على المائدة او الغرفة الواحدة او لتكرار الصورة الواحدة .

٠٠ هي قبيحة وحزينة وسخيفة رؤية الوليد محمولا على الذراع أو على الكتفين أو على اي مكان من الجسم ، او مختبئا في كيسه الدافيء المختنق المشوه باختبائه فيه ، ما لم تكن تعني رؤية او انتظار ميلاد تاريخ جديد متخطيا لكل مستويات ورؤى وتفسير وكينونات التاريخ القديم ورافضا مستصغرا لها ، وما لم تكن اي رؤية الوليد تعني كل معاني الخروج على رؤية جيل « العبور » وجيل المواجهة لاسرائيل محمولا على ذراعي المتنبي او على كتفيه او مختبئا في عفونات اخلاقه ومواهبه ، في عفونات مدائحه واماجيه ومصاهلاته البغيضة العاجزة الحمقاء ، الى ان تجرى عليه وله اسرائيل الفضاحة عملية « التوليد » في اوقاته واساليبه وظروفه القبيحة الرهيبة في قبحها وفضحها ، لينطلق صارخا بكل عواء ووقاحة وسخافة والداه المتنبي ، متحدئا عن امجاد عبوره ٠٠

قبيح ان ترى وليدا لن تعني ولادته ولن يراد او ينتظر منها الا ولادة كل انبيائه وخلفائه وسلاطينه وشعرائه واثمته وابائه المخزونة جثثهم في مقابر التاريخ المملوءة بالعفن والدماصات والفحش ، بالتفسير الذي جاءت به ولادة المتنبي لا تعني الا ولادة كل معاني كل من سبقوه من قومه ، وبالتفسير الذي جاءت به ولادة اي قائد او اي فرد من جيل « العبور » وجيل المواجهة لاسرائيل لا تعني الا ولادة كل معاني

المتنبى ومعاني جيله .. ليست ولادة اي ولزيد عربي جديد انما تعني ولادة كل من سبقوه من انبياء وخلفاء وسلاطين وائمة وشعراء وشيوخ وجماهير في كل التاريخ العربي اي في المستوى الحضاري والانساني والاخلاقي مهما اختلفت الظروف والتعبيرات والاماكن والمزاعم والتكاليف ؟ ليس احتمالا ما ان كائنا ما غامض الشخصية والاخلاق والموهبة والوظيفة ، يعيش داخل هذا الكون او فوقه او بعيدا عنه ، هو الذي دبر فكرة التوالد الانساني او التوالد كله لكي يكون اي التوالد ، اي في حسابه وتدبيره هو وسيلة التطور والتجاوز الاسرع الاشمل الى الاقوى والاذكى ، وكأنه لم يجد وسيلة غير هذه الوسيلة او مثلها لتحقيق هذا التطور ، وكان لاسباب غامضة ايضا يريد حدوث هذا التطور ، ولكنه بعد ان ابتكر التوالد لهذا الغرض وبهذه النية عجز عن تحقيق غرضه هذا او تراجع عنه لاسباب غامضة ايضا - تراجع عن تحقيق غرضه هذا وعن المضي فيه ولو في تعامله مع الانسان العربي ، وعجز عن تحقيق غرضه هذا على المستوى وبالسرعة والشمول الذي كان يريده ويتوقعه فسي تعامله مع جميع البشر .. ثم استمر الشيء اي التوالد يحدث بدون فكرته او هدفه ، اذ قد كسل او لم يبال اي هذا الكائن الغامض ان يتراجع عن مشروعه ترجعا كاملا ؟ نعم ، ليس هذا احتمالا ؟ ليس في افتراض هذا الاحتمال شيء من المجاملة لهذا الكون او لمن فوقه ان كان فوقه احد او ان كان له فوق ؟

وان لم يكن هذا الاحتمال هو التفسير المحتوم لعملية التوالد الرهيبة فاي تفسير او تسويغ يمكن تقبله او افتراضه في أية حسابات عقلية أو أخلاقية أو في أية حسابات أخرى مدبرة ومخططة ، اي اذا كان من المحتمل او المحتوم او المعقول او المفترض ان هذا الكون او اي شيء فيه محكوم او محسوب بأي اسلوب او مصدر أو مستوى من العقل أو الاخلاق أو التدبير والتخطيط ؟ أليس شيئا قبيحا ورهيبا جدا الا يكون هذا الكون محكما بأي قدر من العقل والاخلاق أو التدبير أو المنطق ؟ ولكن هل يوجد خروج على العقل والمنطق والاخلاق والتدبير والتخطيط ، وعجز عن تصور ذلك وعن فهمه والالتزام به وعن فهم وتصور شروطه اي شروط العقل والمنطق والاخلاق والتدبير والتخطيط .

اجل ، هل يوجد خروج على كل ذلك وعجز عن فهمه وتصوره وعن الالتزام به مثل الافتراض بان شيئا ما في هذا الكون محكوم او محسوب بأي قدر من المنطق أو العقل أو الاخلاق أو التدبير أو التخطيط ؟ بل هل يوجد هجاء للانسان مثل ان وجد فيه من يفترضون هذا الافتراض ويحولونه الى نبوات وكتب مقدسة يفرض بالسيف الايمان بها ؟

انه لا يوجد منطق خارج على كل تفاسير المنطق وحساباته وافتراضاته ، بل ومحقق مهين للمنطق بكل تفاسيره وحساباته وافتراضاته مثل المنطق الذي يفترض اي شيء في هذا الكون منطقيا ، او متعاملا او متفاعلا او متجاوزا مع أية صيغة من

صيح المنطق . انه لو وجد منطق يشترط المنطق في الاشياء لتعامله معها لما استطاع ان يتعامل مع اي شيء او ان يراه او يعايشه او يعاصره .
 هل امان الانسان منطقته في اية قضية او موقع مثلما امانه حينما زعم
 او اقتنع ان هذا الكون منطق او انه اخراج او ولادة او رؤية او شهوة منطق بل
 او حتى غلطة او ضربة او بصقة منطق ، او حتى عبث او مزاح منطق مصاب بكس
 شهوة العبث والمزاح المصاب بكل قوة العشق لاسخف انواع ومستويات السخف ؟
 امان الانسان منطقته مثلما امانه حينما اعلن هذا الكون هو سلاله اعظم منطق لاعظم
 اله ؟

ان حكم الانسان بان الكون منطقي او محسوب محكوم بالعقل ليس حكما ولكنه
 اعلان عاجز عن ان يعرف ما هو المنطق وعن ان يجد شيئا يكون او يعمل او يتحرك
 بالمنطق ، ليتعلم منه المنطق ، وليعرف به الفرق بين المنطقي والمنطق وبين ما ليعين
 منطقيا ولا منطقيا . .

انك حينما تقول مثلا : ان تخلق الشمس او ضخامتها او استمرارها في دوراتها
 الضالة العابثة العمياء وفي توزيعها لجحيمها وزمهريرها هو شيء منطقي او منطقي
 او اروع واذكى واتقى منطق فلست بقولك هذا تحكم ولكك تعلن عن انك لم تجد
 او تعرف او تر او تجرب او تعش شيئا تستطيع ان تعرف منه ما المنطق او يستطيع
 ان يفسر لك متى يكون الشيء منطقيا ومتى يكون غير منطقي ، وما الفرق بين
 هذا وهذا ، وتعلن عن انك لم تحاور وتساؤل او تحاسب منطقك لتعرف ما هو المنطق
 معرفة مفسرة ومحسوبة بالمنطق ، وانك ايضا لم تجد من يعلمك او يفسر ويحدد
 لك المنطق باساليب وحسابات واخلاق منطقية . . آه . . وا اسفاه على اخلاق
 وعقول وحياة وكرامة قوم لا يزالون ينصبون انفسهم معلمين لما في هذا الكون من
 منطق ، كاشفين عن وجوههم واسمائهم بحوافز الاعلان والكبرياء والجرأة . .
 ان البشر اي المتحضرين المنطقيين منهم جدا يرون ان المنطق الانساني هو
 التفاهم والتوافق والتعايش والتعامل مع الكون او مع الطبيعة وبها واتقاء التصادم
 بها والتناقض معها باسلوب ضار او مدمر او قاتل ، ويرون انه اي المنطق الانساني
 محسوب ومحكوم بذلك ، او هو اي المنطق الانساني محاولة هذا التفاهم والتوافق
 والتعايش والتعامل مع الطبيعة والاشياء مع محاولة اتقاء التصادم بها . فالمنطق
 اذن هو التكيف المريح مع الوجود .

ولكن منطق الكون او الطبيعة بماذا فهموه او فسروه او حسبوه او حاسبوه
 او ضبطوه او وجدوه ؟ وهل افترضوا ان من الممكن ان يكون للطبيعة او الكون
 منطق او طالبوا او رحبوا بان يكون لهما منطق ؟

انها قضية تركت دون محاكمة او تفسير او دراسة بل دون تساؤل او حتى
 اهتمام او شعور بالحاجة الى التفكير فيها . . ان التفسير لمنطق الانسان لا يعني
 التفسير لمنطق الطبيعة او ان لها منطقا . .

لقد اصبح المنطق في الغالب موضوعا لغويا لا منطقيا او عقليا .. انهم يقولون : هذا منطقي او منطق كما ينطقون الكلمات اللغوية وكما يضعون الاسماء والادوصاف وينطقونها .. كما يقولون : هذا ناصر او منصور وهذا جمل او فرس ، وهذا جميل او ذكي او شهم او محب او محبوب او شجاع ..

انهم يطلقون هذا الاسم او الوصف على هذا الانسان او الحيوان او الشيء كما يطلقون المنطق او المنطقية على اي وجود او سلوك كوني او طبيعي ..

انهم يفعلون كل ذلك بموهبة لغوية لا بموهبة منطقية او عقلية او تفسيرية . ان موهبة الانسان اللغوية قد تحولت الى مواهب اخرى كاذبة .. اليس محتوما ان تكون اوامام الانسان اقل عددا ومجدا وجبروتا لو كان بلا لغات ؟

ان اكثر الناس واحيانا كل الناس يتعلمون منطقهم من لغاتهم لا من منطقهم ولا من رؤاهم او محاسباتهم . وكذلك من لغاتهم يتعلمون اخلاقهم واديانهم وامجادهم وادوصاف اربابهم وانبيائهم وابائهم بل ويتعلمون حبهم وبغضهم وقراءة وتفسير مشاعرهم واهوائهم اي من لغاتهم . ان اللغات هي المفسر والموجه والمطلق المسدد للمشاعر والاهواء ... انها هي الواضعة لها طريقها والمعرفة لها باصدقائها واعداؤها اي للاهواء والمشاعر .. انها اي اللغات هي اقوى واكذب واغبي معلم للانسان ..

انها تعلم الخروج على الذكاء والمنطق والحب والصدق اكثر مما تعلم الذكاء والمنطق والحب والصدق ..

ان الانسان لم يضع او يعرف لغته بالمنطق ولكنه عرف ووضع منطقها باللغة ، وانه لم يصبح لغويا لانه منطقي او لانه عارف بالمنطق او ملتزم محترم له ، لكنه اصبح منطقيا اي زاعما ومقتنعا بانه منطقي وبان الكون والطبيعة وكل الانبياء منطقية ، وبانه يحترم ويلتزم ويعرف المنطق ، لانه لغوي .. ان الكائن اللغوي لا بد ان يتحدث عن الاشياء وان يحاول تفسيرها والحكم عليها بل ورؤيتها بالكلمات كما لا بد ان يملئ حديثه عنها وتفسيره ورؤيته لها وحكمه عليها . اذن لا بد ان تصنع اللغة المنطق .

اجل ، ان الانسان لم يضع او يعرف منطقها بالمنطق بل باللغة اي لانه كائن لغوي . كذلك لم يقتنع او يعلن ان في الطبيعة او في الاشياء او فوقها منطقا بالمنطق ولكن باللغة اي بالتعاليم اي بكونه كائنا يضع التعاليم ويتعلمها ويعلمها ويكتبها ويحفظها ويرويها ويفرضها ويصدقها بالسلوب لغوي وموهبة لغوية لا بالسلوب عقلي ولا بموهبة عقلية .. لقد تعلم واقتنع بان الطبيعة وكل الاشياء مدبرة وموضوعة ومحكومة بالمنطق بالاسلوب اللغوي الذي به تعلم الصلاة وعددها وهيئها لقد تعلم ذلك بالاسلوب اللغوي الذي تعلم به كيف يقضي الاله اوقاته فوق سمواته مع وحدته القاتلة .

انه يعلم التعاليم ويتقبلها كما يعلم اللغة فيتعلمها ، اي انه بالاصوات يعرف المنطق ويقتنع به ويعلن عنه اي بالفم والاذنين . بل انه بالاصوات اي بالفم

والاذنين يرى المنطق .. لقد رأى الانسان منطقته ومعتقداته ومرثياته بأذنيه وفمه اكثر مما رآها بعقله أو عينيه ..

ان البشر لو كانوا بلا لغات او بلا تعاليم تصوغها اللغات وكانوا بكل طاقاتهم وموابعهم العقلية لما امكن ان يؤمنوا بان هذا الكون صيغة منطقية .. انه لمحتوم حينئذ ان يؤمنوا بان اسفه واجهل واضلم حكامهم وقادتهم هو اكثر منطقية من أي شيء في هذا الكون .. انهم لو كانوا بلا لغة لما رأوا الله مطلا بكل مجده ورحمته وجماله ونكائه من فوق ودخل كل الدمامات والبلادات والالام والمبث الرهيب الكئيب . ان الله بكل اوصافه وتاريخه ليس الا صياغات لغوية قالها الفم للاذن وكانت الاذن كل الحقيقة ..

ان المنطق في كل العصور والمجتمعات والحالات ليس شيئا غير ما حسبته وزعمه الانسان منطقا . ان للاشياء المرئية او المسموعة او الملموسة ، او التي يمكن ان تكون مرئية او مسموعة أو ملموسة ، وجودا ذاتيا . اما المنطق فليس له في جميع صورته وموضوعاته الا وجود مزعوم او محسوب ، اي انه ليس له وجود ذاتي ، وكل وجوده هو زعمه وحسابه موجودا ..

مثلا ، الذباب موجود وجودا ذاتيا ، وكل المتعاملين معه يعلمون وجوده الذاتي مهما كان نكاؤهم ولكن كم هم الذين يستطيعون ان يعتقدوا ان في وجوده أو اخلاقه أو في تعامله بالناس والحياة اي منطق الا زعما وحسابنا ؟ وكل اسباب زعم المنطق وحسابه موجودا لا تتعدى حالة التلاؤم وارادته وتطبيقه ، كما لا تتعدى فهم الشيء وتفسيره وارادته ومعايشته والتعامل معه وبه كما هو بكل خصائصه واخلاقه ، بل وبكل خروجه على كل مستويات واساليب ونماذج كل منطق وكل اخلاق مزعومة هي كل الاخلاق الجيدة والمطلوبة . حتى المواطن والاحاسيس والتخيل والتمني هي أشياء ولكن المنطق لن يكون شيئا الا زعما وحسابنا ..

اذن فاصدق واشمل تعريف للمنطق انه هو التعامل القوي الذكي القادر المتحرك الانتهازى النفعي الاناني الوقح البذي مع ما ليس منطقا .. هو أن تريبد وتعشق وتتقبل وتفههم وتقتنع وتعايش وتتلاءم وتفسر بحاجتك وخوفك وضرورتك لا بعقلك اي لا بمنطقك المستقل في كينونته .. لهذا فان الناس يستطيعون ان يحيوا ويتعاملوا ويكونوا جميع كينوناتهم المتبدلة المتطورة دون اي منطق اي دون ان يزعموا او يحسبوا منطقا ما يزعمون ويحسبون منطقا ، اي بالقوة التي بها يستطيعون ان يعيشوا ويتعايشوا ويتطوروا حتى ولو انهم غيروا جميع اسماء الناس والاشياء وكل الكائنات باسماء اخرى او مضادة . كما استطاعت جميع الكائنات غير الانسان ان تحيا وتتعامل وتعمل بدون منطق اي بدون ان تحسب او تزعم سلوكها والاستجابة لحاجتها ومحاولتها التلاؤم مع غيرها ومع احتياجاتها منطقا . اذن فالانسان اكثر

خروجاً على المنطق من جميع الكائنات الأخرى لأنه يسمى ويحسب التعامل والتلاؤم مع ما ليس منطقاً والخضوع له منطقاً .

ولكن الإنسان وكذا ما سواه من الكائنات لا يستطيع الحياة أو العمل بلا أشياء بل أو بلا عواطف وإحاسيس وتخيل وتمن . . .
نعم ، ان المنطق ليس إلا لغة أو تسمية مثل ان يسمى الجبان أو المهزوم أو الذليل جداً بشجاع أو منصور أو عزيز . . .

ان جميع أجهزة الوزن والقياس والرؤية والتحليل لن تستطيع مجتمعة ان تجد في هذا الكون أو في أي شيء منه أي قدر أو نوع من المنطق . .

يقتلون الذباب ويصلون نخالقه

كان قد مر بنا سؤال يقول : هل علم الانسان العربي ان هذا العصر قد جاء ثم استجاب لمجيئه اي ثم اصبح معاصرا له ولم يظل تاريخا فقط متجمدا تجمدا ابديا في صيغة واحدة . وقد جاء الرد على هذا السؤال : ان لماذا لم ير المتنبى او اي شيء رؤية معاصرة متغيرة ..

وقد قيل ايضا اي في ما سبق : ان الانسان العربي لا يعاد بعد موته اشفاقا عليه من عذاب العودة وعارها لانه لو عاد لراى نفسه رؤية جديدة ، وحينئذ لن يكون هناك مثيل لعذابه ولاشتمزازه من مواهبه ومستوياته وكيفوناته السابقة الصغيرة الرديئة البذيئة . لو ان اعظم عربي قد كان رأى نفسه رؤية معاصرة لكان من المتوقع ان يموت رفضا لرؤيته لنفسه ..

زهيب هو ان تركب في الانسان العربي القديم عيون معاصرة فسي رؤيتها ومحاسبتها وتفسيرها كما ترى ..

ولكن الانسان العربي كالالهة العربية لا يتغير . ولعل ديمومته الابدية في ذاته بصيغة تاريخية بدوية واحدة هي التي علمت الالهة العربية كينونتها الواحدة الدائمة . اليس محتوما ان الالهة لم تتعلم اية كينونة من كينوناتها الا من الانسان ؟ اليس الانسان هو دائما معلم الالهة اخلاقها وذكاءها ومواهبها وقيمها بل وعواطفها ؟ وهل يمكن ان يكون هذا الانسان غير الانسان العربي ؟

هل عشقت ذات الاله شيئا لتختار المحي على نموجه في كل نماذجها غير ذات الانسان العربي ؟ هل يقاسي الاله غير العشق للانسان العربي ؟

واذن لا خوف على الانسان العربي من ان يخلد في الحياة او من ان يرجع اليها اي الى ما كان لان ذلك لن يصنع له شيئا من العذاب او مقاساة العار او احتقار الذات او من سبابها والاشتمزاز منها ومن كينوناتها السابقة الصغيرة الرديئة البدوية لانه اي الانسان العربي لن يصبح ناقدا او محاكما او متجاوزا لذاته السابقة في اية كينونة من كينوناتها السابقة الصغيرة ، ولن يصبح كذلك رائيا لها رؤية جديدة

او مشترطا عليها أو لها او فيها اية شروط اخرى اكثر ذكاء او كرامة او قوة او جمالا أو مجدا أو سعادة أو حرية أو حضارة أو حتى حياء وصدقا وتهذيبا وحبا . لان الذين لا يتغيرون في رؤاهم وطاقتهم وفي طموحهم ونماذجهم الانسانية والحضارية لن يصبحوا ناقدين لانفسهم او مشترطين عليها او لها او فيها ولا منكرين لاي شيء من عارها أو هوانها أو قبحها ..

اذن لماذا حكمت الالهة عليه اي على الانسان العربي بالموت بالا يعود الى الحياة كره اخرى ؟

أليس قد قيل في السطور السابقة تفسيراً لسلوك الالهة هذا : انها قضت بالموت على كل من خلقت وبالا عودة لمن ماتوا رحمة بهم واعتذارا وتوبة اليهم ، وحماية لهم من أن يظلموا أبدا يواجهون كينوناتهم التافهة الغيبية الصغيرة الفاضحة ، ويحيونها ويكررونها ويحاكمون ويعيرون ويسبون انفسهم بها ، ويعرفون كيف كانوا صفارا واطفالا وانذالا بل وعارا ، وهذا لا بد ان يصنع لهم كل العذاب واقساء واحومه ، بكل اساليبه وتفسيره النفسية والفكرية والاخلاقية والتصورية ؟ ولكن الانسان العربي مهما عاش وخلد او عاد الى الحياة لن يواجهه او يقاسي او يعرف او ينكر شيئا من ذلك لانه لا يصاب بالتغير ..

وقد يقال جوابا عن هذا السؤال الصعب : لعل الالهة لم تعرف ان الانسان العربي لا يتغير ، وانه لهذا لن يصبح ناقدا او رافضا لنفسه او مريدا للتجاوز لها ، واذن لن يتعذب او يقاسي من مواجهتها الدائمة في كل تاريخها ..

حتى الالهة قد تعجز عن تصور الديمومة التاريخية او النموذجية في الانسان العربي . انها ديمومة معجزة لخيال الالهة ..

ولعل الالهة لم تعرف ذلك عن الانسان العربي لانها لم تنظر اليه او تفكر فيه ، لان كل افكارها ونظراتها واهتماماتها بلوهمومها مملوكة للانسان الآخر . للانسان الآخر المخيف الذي صعد اليها في مخابئها ومضاجعها مسترخية متبلدة تقرأ على نفسها روايات مجدها وانتصاراتها القديمة في صحراء الكينونة والتاريخ .. صعد اليها مختبئة خوفا وحياء وراء السحاب والنجوم والقمر .. صعد اليها لا ليتعلم منها كيف يؤمن بها ويصلي لها ويتلقى منها الاوامر لاذلال اهل الارض بل ليعلمها كيف تخجل من نفسها وتتنازل عن مجدها ..

لا ، ان هذا الانسان الآخر مهذب حتى مع الالهة لهذا اقنعها بالتنازل عن الوهيتها لكي تكون اكثر مجدا وكرامة وشهامة وراحة وسرورا ..

ان هذا الانسان الآخر لم يبق لها شيئا من نظراتها أو تفكيرها أو اهتمامها ، لتعامل به الانسان العربي لكي تعرف انه مثلها لا يتغير . ان مطالبة الالهة بان تفكر في الانسان العربي وبان تنظر اليه وتهتم به عدوان بذوي على فكرها وعيونها واهتماماتها وكرامتها .. !

وقد يقال ايضا تفسيراً لذلك : لعل الالهة حينما حكمت بالموت على الانسان الاخر للاسباب المذكورة لم ترد ان تفرق بينه وبين الانسان العربي في الحكم عليه بالموت ، مع ان الانسان العربي لا يملك الاسباب التي تجعل الحكم عليه بالموت توبة واعتذاراً اليه وحماية له من مقاساة كل انواع العذاب والعار والاحتقار للنفس ..

لعلها اي الالهة قد رأت ان التفرقة بين الانسان العربي والانسان الاخر في قضية الموت قسوة او اهانة لا يتحملها ضميرها . ان تخصيصك بالخلود في ذاتك وحياتك لهو اشد اساليب التعذيب والتحقير والتشويه والفضح لك والاستهزاء بك . ان اعادتك الى الحياة لترى كيف كنت نبيا او زعيما او سلطانا بجويا دجلا كذابا جاهلا لاقسى عقاب لك ..

وقد يقال ايضا جواباً عن هذا السؤال الصعب جوابه : لعل الالهة قد فكرت بذكاء وشهامة وخوفا على الحضارة وعلى مستقبل الانسان ، فرأت انها لو خلعت الانسان العربي حيث لا تفسير لموته وقضت بالموت على الانسان الاخر لكانت العاقبة رهيبة جدا ومحطمة مشوهة للحضارة وللتقدم الانساني الشامل ، لان تكاثر الانسان العربي لا بد ان يفرق حينئذ الانسان الاخر ويسحب منه او يضعف تأثيره الحضاري المقترد بصياغة التاريخ والحياة صياغتهما الجيدة المتفوقة المعوضة عليها اي على الالهة عجزها وتبلدها وبدواتها الدائمة .. ليس مستقبل الانسان يواجه باحتمال حزين ، هو تكاثر المتخلفين الى ان يغرق في تكاثرهم المتفوقون ؟ آه . ما اخطر احتمال تكاثر المتخلفين . ان نفس المتفوقين يصنعون لانفسهم هذا الخطر ..

ولكن هل الالهة تقبل بعدل او بنظام او بمنطق ، أو هل هي تعرف ما العدل أو النظام أو المنطق لكي تسأل عن ذلك أو تحاسب عليه أو تطالب به أو يبحث لها ولما تصنعه أو تريده عن تفاسير ؟ بأي مقياس تعرف الالهة ما يجب أن تفعل ؟ هل يمكن ان يكون خالق هذا الكون وحاكمه ومعايشه يعرف أو يلتزم شيئا من العدل أو النظام أو المنطق ؟ ان فعلها وتركها الفعل كيف كانا هما كل منطقها وتفسيرها ، كما ان سقوط الحجر ، قوته وضعفه ، جماله ودمايته ، نفعه وضرره ، هو كل منطقها وتفسيره ، وكل اخلاقه وذكائه ونظامه ، بل وكل ايمانه ودينه .. أليس تفسير اخلاق الحجر ومنطقه هو اصدق وأشمل تفسير لاخلاق الالهة ولنطقها ؟

اذن يجب ألا نقاسي لكي نبحث عن منطق أو عن تفسير لما فعلت الالهة في هذه القضية أو في أية قضية أخرى . هل يوجد خادعون كاذبون أو مخدوعون مكذوب عليهم وبهم مثل الذين يذهبون يبحثون للالهة ولما تفعل عن تفاسير أو منطق ؟ انهم لبائسون وهازلون ومستحقون لكل الرثاء أولئك الذين يحاولون أن يصنعوا أو يجدوا تفاسير أو منطقاً أو تدبيراً أو تخطيطاً للالهة أو لاي شيء من كينوناتها أو من أفعالها الجيدة الذكية أو الرديئة البليدة اي المعدودة هذا أو هذا .. كيف حدث ان احدا من الاذكياء أو العقلاء حاول ذلك أو فكر فيه ؟ كيف هبط كل هذا الهبوط ؟

ان الذين يبحثون عن تفسير أو منطق لخوات الالهة أو لضرباتها ليسوا اذكى أو اتقى أو أفضل من الذين يبحثون عن تفسير أو منطق أو نظام أو عن تدبير أو تخطيط أو اخلاق للذباب في ذات الذباب حينما يقع على هذا الوجه دون الوجه الأخرى ، وفي هذا المكان دون الاماكن الأخرى ، وحينما ينقل هذه الجرثومة المرضية دون الجراثيم الأخرى ، وحينما يجي بهذه الصيغة والكينونة وبهذه الاخلاق والمواهب والصفات دون الصيغ والكينونات والاخلاق والمواهب والصفات الأخرى كيف يكون للاله منطق حين يقتل هذا أو يشوهه دون هذا أكثر أو اذكى من منطق الذباب حين يقع على هذا الوجه دون هذا ؟

هل يمكن ان تكون الالهة أكثر اخلاقية أو منطقية أو تدبيراً وتخطيطاً لما تفعل وتريد ، من الذباب ؟ هل يمكن ان يفسر العقل الالهة بالانطق والاخلاق ثم يعجز عن تفسير الذباب ؟

ان الذين يبحثون عن تفاسير عقلية أو منطقية أو اخلاقية أو تدبيرية أو تخطيطية أو انسانية لما تفعله وتكونه الالهة هم أردأ وأكثر بحثاً عن الهزل والبلادة والعبث من الذين يبحثون عن مثل هذه التفاسير في المعاهة الوقحة تصيب الوجه الجميل الحبي أو في المرض الوبيل يصيب الجسم البري النشيط العامل ، أو في اعطاء الام المتلهفة المتضرعة التي طال جدا انتظارها ابنها الوحيد اليوم لاخذها منها غدا أو لاصابته بالمعاهة الرهيبة المقعدة ، أو في الزلزال أو البركان أو الطوفان أو الاعصار المدمر للمدينة الامنة الراقدة بعد أن وهبت كل صلواتها وتضرعاتها ومبايعاتها لكل الهتها ، وبعد أن تملقتها بكل دموعها ونظراتها واهاتها وقراءتها لكل كتبها المقدسة بكل اصواتها وارترجافاتها ، وبعد أن هفتت بكل الصدق والذعر والانكسار والاطمئنان : الامان ، الامان ايتها الالهة الطيبة الكريمة الوفية ...

الامان ، الامان ايتها الالهة المجملّة المجاملة لنفسها بخلق المعاهات والدماجات والابوثة والمجاعات المحرقة المغرقة للمروج الرافعة هاماتها وقاماتها الى الشمس والنجوم مقبلة مصافحة محببة شاكرة معترفة بالجميل ، طالبة الحماية والرعاية والاتلفات والامان والمزيد من العطاء والبهاء • قبيحة ووقحة هي الشمس حينما تأذن لاي حدث طبيعي ان يقتل شجرة زرعها ونمتها ثم ارتفعت اليها تبتسم لها وتحببها وتحتمي بها ...

انه لو امكن تفسير كل شيء حتى الوباء والجنون والقتل والموت والفدر والخيانة والسرقة والنذالة والجبن والفجور والعدوان والطفيان والهوان ، بل وحتى الزعامات والقيادات والنبوات والعداوات والخصومات العربية - حتى لو امكن تفسير اخلاق وتحركات ورؤى وعقول زعماء وانبياء وحكماء العرب •

- نعم ، انه لو امكن تفسير كل ذلك تفاسير منطقية واخلاقية ودينية ومذهبية وحضارية وانسانية لبقى شيء واحد لا يمكن تفسيره بشيء ولا بواحد من هذه

التفاسير ، هذا الشيء الواحد هو الاله . . . اجل ، ان الاله هو الذي لا يمكن تفسيره ولا تسويغه مهما امكن تفسير وتسويغ كل شيء ، حتى ولو أمكن تفسير وتسويغ القيادات العربية .

وهؤلاء الذين يصرون على ان يفسروا الله بالمنطق والاخلاق والتدبير وبالخير والعدل والجمال والمحبة ، ما رأيهم لو ان مجتمعا من المجتمعات قد قرر ان تدرس وتفسر جميع الحشرات النافقة للأمراض والعفونات ، وجميع الجرائم المرضية في جميع المدارس والمعاهد والمعابد كما يفسر الاله اي بالمنطق والاخلاق والعدل والجمال والمحبة وبالتدبير الخير ، اي بانها ليست الا بحثا عن ذلك واردة وتحقيقا له وتعبيرا عنه ؟ ولكن أليس كل المؤمنين بالالهة أو بالاله الواحد يدرسون ويفسرون جميع الحشرات والجرائم في جميع المعابد والمعاهد هذا التفسير أي كما يفسرون الاله ؟ ليس الذين يفسرون الله هذه التفاسير ويرونه هذه الرؤية انما يفسرون هذه الحشرات والجرائم المرضية هذه التفاسير ، ويرونها هذه الرؤية ؟ أليست تفاسير الفنان والحكيم والمبدع هي تفاسير لفنه وحكمته وابداعه ؟ أليست هذه الحشرات والجرائم هي تفاسير الله ومنطقه وجماله ومحبه وعدله وتدبيره الخير واخلاقه ؟ أليست هي ادواته ورسائله ووسائله ؟ أليست هي انبياءه وخبرائه وعلماءه وفنانيه وعماله المهرة الكونيين ؟

أليست هذه الحشرات والجرائم وكل هذه الالام والافات هي شفاء الاله التي يقبل بها ، ويديه اللتين يصافح بهما ، وقلبه الذي يحب ويعشق به ، وعطاياه التي يهبها ، وعقاقيره التي يداوي بها ، واطباءه الذين يصنع بهم الشفاء والقوة والجمال والسعادة ، ولغاته التي يتحدث ويعلن بها ؟ أليست هي ضميره قد تخلق وتصور وجاء بهذه الصور وفي ذوات هذه الكائنات الحسوبة والسماة حشرات وجرائم ؟ هل يحتمل انها قد تخلقت أو جاءت بالكره منه وبالخروج عليه ؟ اذن هل يحتمل انها ليست احدى هداياه الجيدة ؟

كيف ، لا يعرف هؤلاء الذين يعلمون الله ويعلمون عنه بكل صلف ونزق ووقاحة الايمان ، مفسرين له بأنه محبة وخير وعدل وجمال ونظام ومنطق ورحمة واخلاق ، بل بأن كل ما يفعله ويريده ويدبره ويوقعه ويوقع به هو كل ذلك .

- اجل ، كيف لا يعرف هؤلاء ان تفاسيرهم هذه للاله هي التفاسير التي يجب ان يفسروا بها الوبئة والحشرات والأمراض والعاهات والتشوهات والموت والشيخوخة والجنون والطغيان والظلم والفساد والعبث والقحط والصحراء والزلازل والبراكين وجميع الالام والمآسي الطبيعية ؟ هل يمكن ان يكون ضمير الاله أو قلبه أو عقله أذكى أو أنقى أو أرحم من هذه الافات ؟ اذن لماذا لم يفعل دائما هذا الاذكى والانقى والارحم؟ وكيف لا يعرفون انها اذا فسرت هذه التفاسير أصبحت مقاومتها ، بل اصبح رفضها أو كرهها أو نقدها فسوقا وزندقة وثورة على الاله وعلى منطقته وتدبيره

وتخطيطه وعلى حبه وجماله ورحمته ، بل واصبح الترحيب والفرح بها والاستزادة منها والالاحاح عليها بالمجيء والتعاطف والتكاثر تقوى وتديننا ومحبة للاله بل وتقبيلا ليديه ولجبينه وضميره ؟ انه لا بد من احد تفسيرين : اما ان يكون الله رديئا وشريرا أو لن يكون اي شيء رديئا أو شريرا ..

ان الذين يجدون تفاسير جيدة في هذا الكون للاله هم كالطيور الجوارح وكالضباع والذئاب والهرر والحشرات حينما تجد تفاسير جيدة في القتل والموتى والقاذورات وفي الخرائب والدمار والظلام ، اي حينما تذهب تفسر ذلك وتفسر ما فيه من منطق وتدبير خير رحيم ، زاعمة ومقتنعة ان كل ذلك اي القتل والموت والخراب والدمار والظلام والعنف انما وجد ودبر وجوده لكي تتغذى وتحيا وتسعد وتفرح به اي الضباع والذئاب والهرر والحشرات والجوارح .

ان منطق المؤمن الواحد في آلام وحماقات الكون والحياة كل الرحمة والذكاء والتدبير لن يكون أذكى أو أنقى من منطق الحشرات والسباع لو أنها ذهبت تفسر الكون والحياة .

وانهم ايضا اي هؤلاء الذين يجدون تفاسير جيدة للاله في الكون هم كالاطباء وكحفاري القبور ودافني الموتى وحاملهم الى المقابر حينما يجدون تفاسير جيدة في الموت والامراض ، اي حينما يذهبون يفسرون ما في ذلك من منطق وتدبير خير رحيم نبيل شهم ذكي اخلاقي جدا ، زاعمين ومقتنعين ان الموت والامراض انما خططت ودبرت واريدت وفعلت لكي يكسبوا ويعملوا ويسعدوا ويفرحوا وتصبح لهم قيم وتفاسير ومعان ولكي يظفروا باهتمامات كبيرة في المجتمعات ...

مجدك ايها الاله عظيم . وحبك ورحمتك وذكاؤك وتدبيرك اعظم . الست قد خلقت ودبرت الامراض والموت والقاذورات والظلام والدمار والخرائب لكي يسعد ويتغذى ويحيا بها ويكسب منها الاطباء وحفارو القبور ودافنو الموتى والسباع والحشرات ؟ ..

أليس محتوما ان يجد الاطباء وحفارو القبور ومكفنو الموتى والقتلى وان تجد الضباع والسباع والذئاب والهرر والحشرات والطيور الجوارح من التفاسير الجيدة في الالام والمآسي والاحوال والعاهات والاختاء التي يعملون فيها ويتعاملون معها والتي تتغذى بها وتحيا عليها وتعيش فيها اكثر مما يجد المعلمون عن الاله والمعلمون له وبه من التفاسير الجيدة له في هذا الكون ؟ ان الطبيب قد يجد من التفاسير الرحيمة في العاهة تشوه الوجه الجميل اكثر مما يجد المعلم من التفاسير الرحيمة للاله حينما يخلق الوجه الجميل بين الوجهة الدميمة ..

أليس ممكنا ان يفهموا ذلك ؟ هل يمكن ان يعد جهل ذلك جهلا ؟ هل يمكن ان يرتفع الى مرتبة الجهل ؟ أليس دون ذلك جدا ؟ أليس وصف انسان أو موقف بالجهل يعد احيانا اسلوبا من أساليب التمجيد والثناء المبالغ فيه جدا ؟

أسفي على المنطق الذي يستقذر الذباب ويحتقره ويخافه ويطالب بقتله ويطارده من فوق أنفه وطعامه بل ولا يرى فيه كل الجمال والعبقرية والنظافة والمحبة والشموخ الذاتي والمنطقي ، ثم يجد في الاله كل الكمال الاخلاقي والفكري والفني والنفسي ، مع انه خالقه بل لانه خالقه .. أسفي على من يرى قبح الذباب ووقاحته ولا يرى قبح ووقاحة مريده ومصممه وخالقه ..

أسفي على المنطق الذي يرى في هذا الكون اي عيب أو نقص أو قبح ثم لا يرى في خالقه اي عيب أو نقص أو قبح ! ..

أسفي على من يلعن المرأة لقبح ما يرى فيها ثم يصلي لجمال الوجه الذي يراه فيها .. !

أسفي على من يعيب ويحتقر ويلعن ويعاقب الوجه المشوه ثم يصلي لمشوهه اعجابا وايمانا وشكرا . أسفي على من يستنكر أو يستقبح أو يقاوم أو يكره أو يستقذر اي شيء في نفسه أو في هذا الكون ثم يصلي لخالق ومدبر ومريد كل شيء . أسفي على من يغفر للصانع كل الاخطاء والعيوب والدمامات التي وضعها في صنعته ثم يعاقب الصنعة على الاخطاء والعيوب والدمامات التي وضعت فيها .. لسفي على من يرى الصانع كاملا في جميع تفاسيره ثم لا يجد أو يشكو أي عيب أو خطأ أو قبح أو عامة أو نذالة أو جنون الا في ما صنعه هذا الصانع الكامل ..

ان الاله لن يكون اعظم أو اتقى أو اذكى من الذباب أو من اية حشرة الا بقدر ما يمكن أن يكون الفكر اعظم أو اذكى أو اتقى تفكيراً من افكاره ، أو الا بقدر ما يمكن ان يكون الفنان اعظم أو اتقى أو اذكى فنياً من فنه ، أو الا بقدر ما يمكن ان يكون القلب انبل حبا من حبه ، أو الا بقدر ما يمكن ان تكون اليد اقوى ضربات من عضلاتها ، أو الا بقدر ما يمكن ان تكون عضلات اليد اقوى من اليد .. الا بقدر ما يمكن ان تكون الكف اتقى من العصي التي تضرب بها ..

كم اتمنى ان يعي الكلمات الاتية المعلمون للايمان بالاله وبكماله وتفسيره ، وان يعيها ايضا المؤمنون بهذا الاله ...

نعم ، مهندس كامل كمالاتا مطلقا أزليا ابديا ذاتيا اي لا تعليميا ، اي كامل كمالاتا اضطراريا لا خيار فيه ، يصمم وينشئ، عملا كبيرا جدا ، ليكون قضية كونية كبرى .. نريد افتراض هذا العمل في حجم هذا الكون وفي حجم وتعدد وظائفه وصوره ومشاهده ، أو في حجم الشمس أو حتى في حجم الارض ، بكل من فيها وما فيها من كائنات واحياء وبشر واشياء اخرى ، من ذباب وغيره ، ومن اوبئة وامراض وعاهات وغيرها .. ولكن لا بد من الاعتذار الى موهبة وإخلاق اي مهندس يفترض مخططا ومخرجا لاية واحدة من وحدات هذا الكون ..

نعم ، هل يحتمل ان يجي، في مثل هذا العمل الذي صممه واقامه مثل هذا المهندس ما يمكن ان يعاب ، أو ما يصح أو يجوز تغييره أو تبديله أو تصحيحه أو

اقتراح أو تمنى أي تعديل أو تغيير فيه أو عليه أي في حساب من يؤمن بكمال هذا المهندس ، بكماله المطلق الذاتي الاضطراري الذي لا يستطيع التخلص منه ، بكماله الابدئي الشامل ؟ .. أليس مفروضاً الاقتناع بأن هذا العمل كامل كملاً مطلقاً مؤبداً ؟ والعمل الكامل كملاً ابداعياً مطلقاً ، هل يجوز تغييره أو هدمه أو نقده أو تصور أي عيب فيه ؟ .. اليس محتوماً حينئذٍ ألا يكون لجميع المتعاملين مع هذا العمل الهندسي والمشاهدين له إلا موقفان : أما الإعجاب والإيمان به ورفض أي تدخل فيه بأي نوع من أنواع التدخل حتى ولا بعلاج الرض أو مقاومة الوباء أو طرد الذباب من مستقره فوق العين أو الأنف أو الطعام ؟ بل لا بد حينئذٍ من رؤية الذباب ورؤية جميع أعماله ومواقفه صيفاً جمالية ومنطقية وأخلاقية وفنية ، لا كمال ولا نكآء ولا تقوى بل أو نفع للعمل الهندسي بدونها أي بدون الذباب وبدون وقوفه فوق الأنف والعين والطعام وبدون أن يكون موصلاً للأمراض وللقاتورات وناشراً ناقلها لها .. بل لا بد من الاقتناع بأن شتم الذباب أو قتله أو طرده ليس إلا عدواناً على العمل الهندسي كله ورفضاً له ..

أما الموقف الآخر للمتعاملين والمشاهدين لهذا العمل الهندسي الكبير فهو أن يروا قبحاً أو خطأ أو أي عيب أو نقص فيه ، ويروا أنه لا بد من رفض واستنكار ومقاومة وتغيير وتصحيح ما فيه من عيوب وذنوب ونقائص ودمامات وتشوهات ومن بداءة طبيعية ومن أمراض وحشرات وذباب وآلام ومآس .. وهؤلاء الذين يقفون هذا الموقف من هذا العمل لا بد أن يعدوا منكرين لكمال هذا المهندس كافرين به متهمين له أفضع التهم واشملها ..

إن المهندس نفسه لا بد أن يراهم كذلك وإن يحسبهم خارجين عليه وعلى كماله الفني .. أما الجمع بين الإيمان بكمال هذا المهندس والاحترام له وبين رؤية أي عيب أو نقص أو خطأ في عمله يحتاج إلى تغيير أو تصحيح أو يجوز تغييره أو تصحيحه فهذا هو الحال أو السخف أو الكذب أو الغباء الذي لم يجرؤ على مثله أو على الاقتناع بمثله إلا هؤلاء الذين يؤمنون بالاله الكامل ثم لا يرون الذباب أو آية حشرة أو آفة أخرى صيغة علياً من صيغ الجمال والكمال الفكري والهندسي والفني والأخلاقي والكوني التي يجب أن تدرس وتعلم وتفسر في جميع المعاهد والمعابد ، ثم لا يرون أنه يجب أن تفتح له أي للذبابة ولاخوانه وأنداده ، وأن تفرش جميع الأبواب والوجوه والموائد ، لكي يدخل منها أي من الأبواب والنوافذ ، ولكي يستقر بترحيب وتمجيد وشكر فوقها أي فوق الوجوه والعيون والأنوف والموائد ... كيف أمكن الجمع بين الإعجاب حتى العبادة والاستقذار حتى القتل والغثيان ؟

لوحة أخرجها فنانون .. هل يمكن أن تستقبح أو تنقد أو تغير أو تتمنى تغيير أي شيء فيها ثم تظل مؤمناً بكمال هذا الفنان ؟ هل يمكن أن تركع للفنان إعجاباً بعبريته الفنية ثم تحرق أو ترفض لوحاته استقباحاً واحتقاراً وتنقيصاً لها ؟

هل يمكن ان يكون الفنان كاملا ثم تكون اعماله غير كاملة ؟ هل يمكن ان يكون العمل كاملا ثم يجوز نقده أو رفضه أو محاولة تغييره أو مقاومته أو تمنى ذلك أي مقاومته أو تغييره ؟

اذن هل يمكن ان يكون الاله كاملا ثم يكون الكون غير كامل ، أو هل يمكن ان يكون الكون كاملا ثم يجوز ذم أو تقبيح أو كره أو رفض أو تغيير أو مقاومة أي شيء فيه ؟ أو هل يمكن ان يكون الكون غير كامل ثم يكون الاله كاملا ؟ هل يمكن ان يريد النظيف للمهذب ان يكون ثوبه أو وجهه قذرا ؟ أو هل يريد التقى ان يكون عمله فاجرا ؟ اذن هل يمكن ان يكون الاله كاملا ثم يجد الانسان شيئا يبده أو يفعله أو يغيره أو يصححه أو يقاومه أو ينكره أو يخافه أو يكرهه أو يؤدي ضميره أو رؤيته أو تفكيره أو طموحه ؟ هل يمكن ان يكون الاله كما يقول عنه المؤمنون ثم يجوز لهم ان يبكوا أو يحزنوا أو يشمتزوا من رؤية أو من حدوث أو من مقاساة شيء ما ؟

نعم ، ليت المعلمين للايمان بالاله وليت المؤمنين به يعون ذلك ..

ليتهم يعون هذا الذي وعيه لا يحتاج الى وعي .. هذا الذي لا يعد واعيه واعيا الا اذا لم يكن يعنى بالوعي الا اقل مستويات الرؤية للشيء الذي لا بد ان يراه حتى العاجزون عن كل رؤية ، والرافضون لكل رؤية والخائفون من كل رؤية . هل الايمان بالاله يفسد الرؤية والتفكير ، ام للرؤية والتفكير الفاسدان يتحولان الى ايمان بالاله ؟ هل يمكن الجمع بين الرؤية والتفكير الصحيحين والايمان بالاله ؟ هل حدث هذا ؟

نعم ، كيف يخلق الله الذباب ليكون جمالا وذكاء في فنه ومجدا لمجده ، ثم يجوز قتله أو هشه أو استقذاره ، ثم لا يجب ان يرى المؤمنون بالاله انه أي الذباب يجب ان يحل اعظم واكرم وانظف واجمل ضيف على موائدهم ووجوههم وعيونهم وفي بيوتهم وقلوبهم ؟ .. كيف يخلقه ان لم يكن جمالا ولا ذكاء لجماله وذكائه ولا مجدا لمجده ؟ هل خلقه ليغيب أو يغضب أو يهين مجده وفنه وجماله وذكاءه ؟ كيف يخلقه ان كان أي الذباب دمامة أو غباء أو هوانا أو تشويها في فنه وفي مجده ؟ ان كان قد خلقه اعجابا به ورؤية لجماله ، ليكون جمالا في وجهه وتاجا فوق راسه واعلانا عن عبقريته فكيف يجوز قتله أو طرده والا فلماذا خلقه ؟

كيف يمكن انقاذ شرف الاله أو انقاذ ذكاء المؤمن بالاله من مشكلة الذباب واخوان الذباب وانداده ؟ ان الذباب هو احدى المشاكل التي تجعل العلاقات بين الاله والانسان مستحيلة .. انه لا شيء غير هذا : أما ان الذباب جمال وذكاء ومجد ، او ان هذا الكون لم يصممه ويرده ويخرجه اله جيد او قوي في أي معنى من معانيه .. انه لا بد من هذا : أما تمجيد الذباب وأما اسقاط الاله ..

كيف لا يعي المؤمنون بالاله والمعلمون للايمان به هذا التساؤل وجوابه ؟ هل وعي هذا يحتاج الى وعي أو يحسب وعيا ؟ وهل الوعي له يعد واعيا ؟ الذباب يستطيع

اسقاط الاله !! هل يمكن فهم هذا أو قبوله أو تصديقه ؟ هل يمكن الا فهم هذا وقبوله وتصديقه ؟ مجد عظيم هو مجد كائن يسقطه الذباب ! • وهل يسقط الذباب مجدا مثلما يسقط مجد الاله ؟

وهذه المحاسبة لهذه القضية بكل هذا الاصرار والعنف في الاحصاء ليس سببها الخوف من العواقب الرديئة أو المدمرة أو المضعفة التي لا بد أن يوقع فيها أو التي قد يوقع فيها الاقتناع بالمعتقدات أو بالالاهة غير الذكية أو المعقولة أو المتحضرة أو القوية - اي التي يقال ويعتقد ان مثل هذا الاقتناع بمثل هذه المعتقدات والالاهة لا بد أن يوقع فيها ..

ان هذا الخوف ليس هو السبب، بل ان هذا الخوف ليس محسوبا أو واردا • كن موهوبا اية موهبة من اي نوع ثم آمن بكل ما في التاريخ من خرافات فان موهبتك حينئذ لن تموت أو تضعف أو تهرب • ان الايمان بالمعتقدات والالاهة مهما كانت جيدة أو رديئة ، ذكية أو غبية لا تصوغ حياة الانسان ، لا تصوغ قوته ولا ضعفه ، لا ذكاه ولا غباه ، لا نشاطه ولا حماسه ، لا خموله ولا استرخاءه • كما انه اي ايمانه بالعقائد والالاهة لا يصنع جمال وجهه ولا دمامة وجهه ولا طول قامته ولا قصرها • ان عقائد الانسان وآلهته مفصلة عن كينوناته وعن اهوائه اي لا تصوغها ولا تقودها •

ولكن سبب هذه المحاسبة لهذه القضية بهذا الاسلوب هو الغضب لكرامة الفكر الانساني والرغبة في أن يكون اي فكر الانسان ومنطقه وعقله سويا وجميلا ابيا ومعافى من العاهات والتشوهات والهوان والسقوط ، ومحميا من ان يكون مستقرا لكل الاحوال والمحالات والسخافات ، دون ان يرفض شيئا أو يقاوم أو يكره أو يعرف أو ينفذ شيئا مما يلقي ويستفزع فيه ، ودون ان يسأل أو يحاسب أو يعاقب المستفزعين فيه ، بل دون أن يقرأهم أو يفسرهم أو يعرف شيئا عنهم أو من هم ، أو من أين جاءوا ، أو متى جاءوا ، أو لماذا جاءوا ، أو من جاء بهم ، أو ماذا يريدون منه أو يريد منهم ، أو ماذا يساؤون أو يعنون ، بل أو هل جاءوا حقا ، وكيف اقتنع انهم قد جاءوا • وهل يوجد مستفزعون من اي نوع في كثرة ووقاحة وقذارة المستفزعين على عقول الناس والمستفزعين لعقائد الناس ولاهتهم ؟

أليس شيئا رهيبا في قبحه وفحشه ان يحاول الانسان ان يجعل لوجهه ولجلده ولثوبه كرامة ، أن يحاول حمايته اي حماية وجهه وجلده وثوبه بأن يضع عليه حراسة ، وان يشترط له وعليه قدرا من النظافة والكرامة والاباء والغضب والرفض والجمال ، وبألا يجعله مباحا ومستقبلا لكل من يريدون أن يستفزعوا ويصبقوا عليه كل احوالهم وقذاراتهم وعاهاتهم وقبحهم وسخفهم - ثم يترك عقله وتفكيره واقتناعه وايمانه بلا اية حماية أو حراسة أو كرامة ، بلا اي قدر من الاشتراط له أو عليه ، اي بلا اي قدر من النظافة أو الجمال أو الرفض أو الغضب أو الذكاء ؟ هل يوجد مباح لكل الفسوق بكل شرفه مثل مكان الايمان في الانسان ؟

ليس كل الناس يضعون حراسات متفاوتة القوة والاسلوب على وجوههم وجلودهم وثيابهم لحمايتهم من اي استفراغ عليها أو تلويث لها ؟ ولكن كم هم الذين يضعون مثل هذه الحراسات أو يفكرون فيها لحماية عقولهم أو عقائدهم أو ضمائرهم ؟ ليس شيئاً كريهاً جداً في جميع التفاسير أن يرفض انسان ما بأن يستفرغ التاريخ على وجهه أو جسده أو ثيابه أو على بيته أو على مدينته اي شيء مما كان فيه اي في التاريخ من فذارات وأحوال وعاهات وتشوهات وضعف ، ثم يتقبل بل ثم يتقبل اكثر الناس أو كل الناس بالسلوب التوزيع أن يستفرغ اي التاريخ في عقله ومنطقه وإيمانه ، بل في عقولهم ومنطقهم وإيمانهم كل ما كان فيه اي في التاريخ من عبادات وآلهة وأنبياء ومن تشوهات ودمامات وأحوال وعداوات وبلادات اعتقادية وتعليمية ونفسية ؟ أليس التاريخ عملية استفراغ عالمية دائمة ، يستفرغ الالهة والأنبياء والمعلمين والاديان والمذاهب والاحقاد والعداوات على كل العقول والضمائر والاخلاق والمجتمعات بكل الديمومة والشمول ؟

ليس شيئاً كريهاً جداً في جميع تفاسيره ان يشترط الانسان لوجهه ولثيابه ولبيته ومدينته شيئاً من النظافة والجمال والكرامة والحماية أو كل النظافة والجمال والحماية والكرامة ولو بالمحاولة والرغبة ، ثم لا يشترط شيئاً من ذلك لعقله أو لفكره أو لإيمانه حتى ولا بالرغبة أو التمني ؟ أليس الفكر ينتشوه بالتلفاهات الاعتقادية والتعليمية اكثر وأقسى مما ينتشوه الوجه أو الثياب أو البيت بالفاذورات والاحوال ؟؟ أليست أحوال الفكر هي أبشع وأكثر وابلد وأردأ الاحوال ؟

ان جميع الناس ليرفضون ، وان كان ذلك بدرجات متفاوتة جداً ان تهان وتلوث وتبتذل وتستباح وتحقر وجوههم وثيابهم وبيوتهم وابدانهم حتى ولو لم يكن الثمن الا تحقيق الجمال والنظافة والكرامة والسمة والمستوى الجيد . اذن أليس يجب عليهم اكثر أن يرفضوا تلويث وتشويه وإهانة وابتذال واستباحة وتحقير أفكارهم بالالهة والمعتقدات البليدة السخيفة المتناقضة المستحيلة حتى ولو لم يكن الثمن الا ان نجى وتبدو ذكية ومنطقية وسوية ونظيفة ومعقولة وذات شروط على نفسها ولنفسها وذات أبواب وحدود لحراسة كرامتها وشرفها وسمعتها من الاستباحة والابتذال والاهانة والتحقير وكل اساليب وانواع الاستفراغ عليها ؟

ان الناس لا يتسامحون ولا يتنازلون عن شيء أو عن كرامة اي شيء مثلاً يفعلون في تسامحهم وتنازلهم عن كرامة إيمانهم واقتناعاتهم وتقديرهم حين يؤمنون ويعلمون ويتلقون عن التاريخ وعن المناير والمحاريب كل ما تستفرغ ويستفرغ فيهم وعليهم وكل ما كان يستفرغ على أباؤهم وفي عقول أباؤهم . . انه لا شيء يستحق اقوى الحراسات ولكنه بلا اية حراسات مثل عقل الانسان . .

اذن اليس شيئاً جيداً تعليمهم شيئاً أو مقادير من هذه الكرامة المفقودة والمتنازل عنها بلا اية شهامة أو ندم أو غضب أو أسى أو تراجع ؟

ان كل الناس ليقفون بوجوههم بكل الحماس والرهبة امام المرأة لكي تكون ولكي يجدوها ويجعلوها ولو بالمحاولة والتمني نظيفة وجميلة وسوية ومتجددة . ولكن كم هم الذين يقفون بافكارهم وايمانهم ومعتقداتهم وآلهتهم امام اية امرأة مثل هذه الوقفة لكي تكون ولكي يجدوها ويجعلوها ذكية ومنطقية ومعقولة ومحمية محروسة من السخافات والبلاغات والاكاذيب الملقنة المستفرغة عليها استفراغا اي على افكارهم وايمانهم ومعتقداتهم وآلهتهم ؟

ان لكل الوجوه مرايا يومية اي تنظر اليها وفيها كل يوم بل كل وقت . فكم هي العقائد والافكار التي لها اية مرايا ولو دهرية اي تنظر اليها او فيها ولو مرة واحدة كل الدهر ؟ ولكن لو كان للعقائد والافكار والتعاليم مرايا ذكية وصادقة وحساسة فمافان يمكن ان ترى ، وماذا يمكن ان تبقى أو ترضى ؟

ان كل الوجوه والطلعات والملابس تحاسب وتحاكم بكل القسوة واللفه والاهتمام امام جميع المرايا . . . ولكن كم هي الافكار والاعتقادات والافتقاعات والالهة التي تحاكم أو تحاسب اقل وأرفق محاكمة أو أو محاسبة امام اية امرأة ؟
آه . مسكين اي اله يوضع امام اية امرأة . ان كل جمال كل الالهة في الا توضح امام اية امرأة . . .

وان كل الابدان بكل اعضائها وخفاياها وكل الملابس والادوات والبيوت لتعالج ، وان كان ذلك على مستويات وبأساليب مختلفة ومتفاوتة ، بكل النظفات والمطهرات والمجملات والمقومات ولو أحيانا بل وبكل الحراسات أو ببعض الحراسات اي ولو أحيانا قليلة أو كثيرة . وحتى المتخلفون جدا . انهم لا بد أن يفعلوا شيئا لتنظيف وتجميل وتطهير وحماية ابدانهم وملابسهم وبيوتهم وادواتهم . . .

ولكن اين هي أو كم هي العقائد والافكار والايمان والالهة التي تعالج أو تطهر أو تنظف أو تعقم أو تجميل أو تحرس وتحمي باي اسلوب ذاتي فردي عقلي اخلاقي انساني متحرك متجدد ذكي قوي ، أو حتى بأسلوب جماعي لكي تطرح عنها كل استفراغات التاريخ واستفراغات المستفرغين المتلاحقين في مجيئهم واستفراغاتهم . ولكي لا تظل دائما مكانا متقبلا لكل عمليات واساليب وانواع الاستفراغ ؟ . وحتى المتحضرون والمتفوقون المتقدمون جدا ، لا يهبون ايمانهم أو عقائدهم أو افكارهم وتعاليمهم وآلهتهم شيئا من الاهتمام الذي يهبونه لابدانهم وملابسهم وبيوتهم لتكون نظيفة وجميلة . . . انه لا شيء يحتاج الى ان يوهب أو يعلم أو يصنع له شيء من الكرامة أو العقل والمنطق والذكاء ومن الرفض والاباء والغضب والجمال والاشتراط للنفس عليها ومن الحراسة الذاتية والرؤية الحادة الناقدة المسائلة .

- نعم ، انه لا شيء يحتاج الى كل ذلك ويفقد كل ذلك مثل ايمان الانسان وعقائده واقتناعاته وافكاره التعليمية والتاريخية ، الزهبية والدينية . انه لا شيء مباح لكل اللصوص والغزاة والباصقين ولكل الحشرات في كل الماضي والحاضر

والمستقبل مثل مكان الاعتقاد والايمان والتعاليم والالهة في ذات الانسان . ايها الباصقون المستفرغون للالهة والاديان والمذاهب والاكاذيب والاحقاد والعداوات على كل العقول والضمان والقلوب والاخلاق والمحاريب والمنابر والمعابد ، هل يوجد مجد أو سلطان أو خلود أو حرية مثل مجدكم أو سلطانكم أو حريتكم أو خلودكم ؟ ان استفراغكم هو كل معجزاتكم ..

انظر .. انك لتقف طويلا بكل الرعية امام كل مرآة تجدها خوفا من ان يكون في ثوبك أو وجهك أو نظراتك أو ملامحك اي قبح أو دنس أو تناقض أو بذاءة أو اي شيء يكره أو يحتقر أو يشتم أو لا يعقل أو يحمد أو يحب أو يعجب .. ألسنت تقف امام كل مرآة واية مرآة مثل أردأ مجنون لكي ترى وتحاسب وجهك ؟ ولكن انظر وفكر هل تقف امام اية مرآة خوفا من ان يكون كل ذلك في ايمانك وعقائدك وتعاليمك وافكارك ، بل مع تجمع كل ذلك في ايمانك وعقائدك وتعاليمك وافكارك ؟ هل يوجد وجه لا يقف امام اية مرآة ولا يملك اية مرآة مثل وجه ايمانك ومعتقداتك والهتك وانبيائك ؟ ألسنت كذلك ؟ ثم أليس كل الاخرين أو أكثرهم كذلك ؟ أليس كل الناس يقرأون ويفسرون وجوههم حتى الاميون جدا ولكن كم هم الذين يقرأون أو يفسرون ايمانهم أو اقتناعهم أو تعاليمهم أو عقولهم ؟

اذن كم يجب الرثاء للانسان الذي لا يشترط لايمانه أو لافكاره أو لعقائده أو لتعاليمه أو لآلهته وانبيائه شيئا مما يشترطه لاثوابه أو لادواته المنزلية أو النظارات التي يضعها على عينيه ، ولا يخاف على تلك شيئا مما يخافه على هذه .. ؟ كم يجب الرثاء للانسان الذي لا يهش اية ذبابة أو حشرة تسكن في عقله وتستفرغ على ذكائه ؟

كيف لا يفهم أو يشعر العالم اي دوليا ان عليه اي دوليا ايضا - كيف لا يفهم أو يشعر بكل مؤسساته ومنظماته بأن عليه اي جماعيا ان يفعل شيئا لكي يضع ولو حدا ادنى من شروط الكرامة والذكاء والجمال والعقلانية والاخلاقية لايمان الانسان ولعقائده وتعاليمه وافكاره وآلهته ؟ كيف لا يرى اي العالم كم يهون ويهبط ذكاء الانسان وكرامته حين يؤمن ويفسر آلهته ومعتقداته ؟

كيف لا يحاول اي العالم باسلوب دولي جماعي ان يضع حدا ادنى أو أعلى لقبح وسخف وتناقض وبلادة عقائد وايمان وتعاليم وآلهة الانسان كما يحاول أو كما يدعي انه يحاول لكي يضع حدا ادنى لقبح حياته بكل ما فيها من الام وامراض وأوبئة وهوان واستعباد واستغلال وتشويه واكاذيب ؟ ان كل العالم يتحدث عن تجميل وتنظيف المدن وحماية البيئة .. فهل تحدث عن تجميل وتنظيف العقول والعقائد والنفوس من استفراغات التاريخ عليها ؟

كيف يحاول دوليا وجماعيا ان يقاوم الاوبئة القادمة من التاريخ ولا يحاول اي

دوليا وجماعيا ان يقاوم العقائد والتعاليم والالهة الغيبية الكاذبة المكتوبة المشوهة المتشوهة التي لا يمكن ان تكون معقولة أو مفهومة ، القادمة ايضا من التاريخ ، والتي تعلم وتصنع وتؤكد الاحقاد والعداوات والبغضاء والتعصب الاليم البليد الموروث ؟

كيف يصمت اي العالم لقوم يعتقدون ويعلمون ويتعلمون ان الذباب وجميع الحشرات وجميع الاربئة والعاهات والتشوهات وجميع الالام انما اريدت ودبرت وخلقت بحثا عن الجمال والنظام والذكاء والمنطقية في الاشياء ، وحبا للانسان ، واحتراما له ، واشفاقا عليه ، واحسانا اليه ؟ كيف يصمت لقوم وعلى قوم يقولون ويؤمنون ان الاله قد اراد ودبر وخلق كل هذه الاشياء لانه جميل وكريم ونظيف وموي وكامل ، ولانه ايضا يريد ان ينظر الى المرأة راقصا مغنيا لنفسه راضيا عنها معجبا بها ، مقبلا لها لانه قد اصبح نظيفا محبا للنظافة حتى ليخلق الحشرات ، وجميلا محبا للجمال حتى ليخلق الدمامات والتشوهات ، ورحيما محبا للرحمة حتى ليخلق كل الالام والامراض ، وعادلا محبا للعدل حتى ليخلق الفروق ويصيب الابرياء . انه لا مثيل لعدله ولا مثيل لحبه للعدل لهذا يخلق اعلى نماذج الذكاء والجمال ليذل ويتحدى ويحقر بها ادنى نماذج الدمامة والغباء . كيف يصبر العالم على قوم يقولون بكل أصواتهم : ان الاله قد ارسل اليهم انبياء ليقولوا لهم ان الاله قد قال لهم : انه لم يخلق الذباب والدمامات والالام الا لانه جميل ونظيف ورحيم وشهم وفنان وعبقري الرؤية ؟

كيف يسكت اي العالم عن ان يصنع باسلوب دولي شيئا لتصحيح وتقويم وشفاء وتطهير ايمان وعقائد وتفكير هؤلاء القوم ولايجاد اي قدر من الكرامة والاستقامة لعقولهم ؟ كيف لا يغضب لما يلقى عقل الانسان من اذلال وتحقير وتشويه ، لما يلقى فيه من اكاذيب وبلادات وتفاهات ، مما يستفرغ فيه ؟

كيف لا يحاول باسلوب عالمي ان يقنع هؤلاء القوم انه لن يوجد تحقير واهانة لذكاء الانسان ولكرامة وشرف عقله مثل الجمع بين الايمان بان فوق هذا الكون الهما حكيم رحيم كاملا ، والايمان بانه يجوز مقاومة أو رفض أو نقد أو تغيير اي شيء فيه من حشرات واربئة وامراض وصحاري وقحط وفقر وطغيان وبدادة طبيعية ؟ اليس الايمان بوجود اله خالق حكيم رحيم كامل لا بد ان يعني الايمان بان جميع صياغات هذا الكون كاملة بكل معاني الكمال وتفاسيره كاملا مطلقا اي ازلا وابدا ؟ وهذا الايمان بهذا الكمال للكون يعني حتما الايمان بان وجود الحشرات والامراض والاربئة وجميع التشوهات والعاهات والافات وجميع ما يصنع الغضب والغليظ والاشمئزاز والاحتقار والعذاب ليس الا كاملا مدبرا ومقصودا ومرادا وجوده وبقاؤه والترحيب والاعجاب به . انه يعني الايمان بان الذباب فوق الطعام ليس الا تحية واستقبالا يحيي ويستقبل بهما الاله الآكلين .

هذا الايمان يعني حتما الايمان بان لا مقاومة ولا كراهة ولا استقذار او تغيير أو تبديل لاي شيء فيه اي في الكون . اي يعني الايمان بانه لن يوجد ما يجوز ان يعمله او يكرمه او يرفضه أو يغيره أو حتى يتمناه الانسان ، لان كل عمل الانسان لا يجوز ان يكون الا مقاومة للنقص والخطا والسفه والجهل والتخلف ، اي لا يكون الا مقاومة للاردا الاعبى ليكون الافضل الاذكى . نعم ، انه لو كان هذا الكون تدبير وتخطيط واخراج كائن كامل لكانت كل اعمال الانسان فيه اي في الكون أو معه أو ضده زندقة وتشويها وفسادا وعدوانا . لان كل عمل بل أو تفكير ضد ما صنع ودبر وخطط كاملا لن يكون الا زندقة وفسادا وعدوانا على الجمال والكمال وعلى المدير المريد المخطط الصانع الكامل . اذن هل يمكن ان يوجد أو يتصور عدو لاله خارج عليه مناقض له مخرب لبداعه ونظامه مثل من يعمل أو يغير أو يبدع شيئا في هذا الكون أو يتمتع ويحب ذلك أو يفكر فيه ؟

ان كل عمل أو تفكير أو تخطيط لن يكون مشروعا أو مطلوباً أو جيداً الا اذا كان بحثاً عن الاذكى أو الاقوى أو الافضل أو الاكمل ، أو تحقيقاً لذلك .
كيف يتاوم العالم كل تلويث للماء والطعام ثم يغفر بل يتقبل كل تلويث للعقول والتفكير والايمان ؟

تقول المنابر والمحاريب التي قد تحسب وتحسب نفسها قمة الذكاء والعبقرية والمنطقية ، مدافعة عن مزايا الذباب والحشرات والابوة ، وعن مزايا كل ما في الطبيعة والاشياء من سفه وعبث ونقائص وآلام واخطاء وتخلف وجنون .

تقول : ان جميع هذه الافات والشورور انما وجبت بتدبير حكيم ورحيم جدا لكي يقاومها الانسان ، لكي يتعلم ويعرف ويشد ويسعد ويرضى عن نفسه وعن هواه بمقاومتها وبانتصاره عليها وبأمله الدائم في الانتصار عليها . ان هذه المنابر والمحاريب تقول اشياء وتفاسير كثيرة دفاعاً عن مزايا ومنطقية ونبل كل ما يحدث في هذا الكون من آلام وجنون وقبح وغفونات وعدوان وعبث .

ان مما تقول : لقد وجدت هذه الشرور والافات لكي يجد الانسان ما يفعله ويهتم به وما يصنع له وفيه الحماس والتوقد والتفكير . ليخرج من قبح وعذاب وكآبة الكسل والاسترخاء والتبلد ، ومن مشاعر من لا وظيفة ولا قيمة ولا رسالة ولا عمل له . وهل يوجد أقبح أو أكثر اذلالاً واهانة وتحقيراً لاي انسان مثل ان يصاب بهذه المشاعر ؟ هل يمكن ان يسعد الانسان بشيء حتى ولو اخذ كل شيء ما لم يكن مجندا في عمل حتى ولو بان يقطع كل يوم يده أو رجله لكي يستمر يحاول اعادتها ؟

ولكن ماذا يساوي هذا الدفاع في ذكائه وحكمته ورحمته ؟

ليس هذا الدفاع عن الاله لونا من ألوان الغباء الذي يصعب ان يكون له شبيه في كل ألوان الغباء ؟

أليس يساوي ، اي حينما يبالغ جدا في تقديره وتفسيره ، ان يكون لانسان مئة ابن ، فيحدث في كل واحد منهم عاة وبيلة او مرضا وببلا او عديدا من العاهات والامراض . فاذا قيل له : لماذا ايها المجنون تفعل ذلك بابنائك الابرياء . . . قال افعل ذلك بهم لكي يتعلموا جميعا الطب ومقاومة جميع العاهات والامراض لانهم ، بما صنعتهم بهم قد يجدون انهم مطالبون بان يداوي بعضهم بعضا ولو نخوة ورحمة ، ليسوا بهذا لا بد ان يجدوا ما يعملونه ويهتمون به وما يصنع لهم وفيهم النشاط والحماس والتفكير والتدبير ، وما يخرج بهم من كآبة الكسل والاسترخاء والكيفونة بلا وظيفة ؟؟

أليس يساوي ان يحدث في نفسه هو عديدا من العاهات والتشوهات والامراض لكي يتعلم ابناؤه المئة أو بعضهم كل انواع الطب ليعالجوه مما اصاب به نفسه ؟ بل أليس يساوي ان يشوه او يمرض الاله نفسه لكي يتعلم التدوي من ذلك ولكي يشغل ويتلهى به ، أو لكي يستمتع اي الاله بلذة ومجد الشفاء مما اصابه والانتصار عليه وايضا لكي يهرب من الخمول والكسل ؟ أليس يساوي ان تحدث في نفسك أو في ابنك عاة أو مرضا على أمل ان يتعلم ابناء جيرانك الطب . . . أو ان تهدم بيتك أو تحطم وتخرب كل ما فيه من أدوات واجهزة لكي تتعلم انت أو زوجتك أو ابناؤك أو اقاربك أو جيرانك بناء ذلك واصلاحه ؟ . ثم تقول انت أو من يفعل شيئا من ذلك دفاعا عن النفس : انني افعل مثلما يفعل الاله بالناطق والرحمة والتفاسير التي بها يفعل اي الاله حينما يصنع الالام . . .

نعم ، أليس هذا النطق أو السلوك يساوي ان تذهب اجهزة دولة ما تعتمد ان تحدث في المجتمع أو الوطن الذي تحكمه كل الامراض والعاهات والتشوهات والالام المعروفة وغير المعروفة ، وان تصيبه ايضا اي تصيب المجتمع بكل انواع الخراب والقحط والبؤس والتخلف والهزائم والعذاب والبلادة والجهل والعتة والجنون ، لكي يتعلم افراده اي افراد المجتمع كل انواع الطب والحكمة والعلوم والانكار والمقاومة لكل ذلك والقدرة على هذه المقاومة ، ولكي يصابوا بالنشاط والحماس والتوقد والذكاء والاعجاب بالنفس وبالموهبة ، ولكي يسعدوا بالانتصارات على ما يواجهون ويقاومون ويقاسون ، ولكي يعيشوا دائما في تأميل الانتصارات . . . لكي يتعلموا كل فنون الشجاعة والانتصار على كل خطر ومشكلة وعذاب ؟؟

منطق مخيف في ذكائه وفي تقوى اخلاقه : تصيب محمدا بالعمى أو بالسلس أو بالسرطان أو بآية فظيعة اخرى أو تلقى به في اعماق بثرة قاتلة على أمل ان يتعلم محمود الطب ويصبح طبيبا ، وعلى أمل ان ينقذه من الاعماق المميتة لكي يتعلم الانقاذ والقدرة والجرأة عليه ولكي يتعلم النخوة والشهامة ويسعد بمقاساتهم وبمخاطرتهم بحياته استمساكا سعيدا بهما . . .

انه لا قسى امانة لذكاء الانسان ولكرامة عقله ولكل ما اعطى من حضارات ان يذكر هذا الدفاع ولو لنقده ورفضه واستقباحه . . . ان مجرد التحدث عنه او تصوره او روايته عن قوم لنوع رهيب من العار . . ولكن اليس هذا النوع الرهيب من العار يعرض ويفسر وينادي به كاعظم مجد لاعظم نبوة ونبي ؟

ان معنى هذا الدفاع او التفسير لهذه الافات والشورور : ان تصاب تعددا اعداد تهاب الارقام الفلكية منافستها او احصاءها من الكائنات البريئة ، من البشر وغيرهم في كل التاريخ ، بكل الامراض والعاهات والمجاعات والالام والجنون والعتة ، وبكل انواع التشوه والعذاب والقبح والاذلال والطفيان والخوف والحقارات والويلات والنقائص الرهيبة ، الرهيبة ، على امل ان يعرف افراد قليلون بعد دهور ودهور اسباب ذلك والتخفيف من احواله . . على امل ان يجيء بعد احقاب واحقاب من يظنون يقاسون احقابا واحقابا لكي يعرفوا بعض اسباب بعض ذلك ، لكي يستطيعوا بعد احقاب واحقاب علاج بعض ذلك !!

لا تسمعي ايتها الحشرات هذا المنطق الانساني . . اتضرع اليك ايتها الحشرات . لا تسمعي هذا التفكير او هذا الذكاء الانساني . لئلا ترفضي معاشية البشر او النظر اليهم احتقارا لهم ، ورهبة من ضخامة عارهم . . لئلا تحتقري كل انجازاتهم الحضارية ، لئلا تحتقري اقدامهم السائرة فوق القمر او تحتقري القمر لان اقدامهم مشت فوقه !!

اجل ، ايتها الحشرات . نرجوك ، احترمي اخنيك وذكاءك . ولا تقرئي او تسمعي الانسان حين يدافع عن ايمانه وتعاليمه وعن جمال وذكاء وشهامة اربابه . . واذا كان الاله لا يستطيع ان يرى نفسه ذكيا او حكيما او رحيما او عبقريا او قويا او شهما او فنانا او منتصرا الا بان تكون هذه الشورور والافات موجودة بالضخامة والاتساع والتنوع الذي به وجدت فماذا يقول او يرى او يصنع اذا استطاع التقدم الانساني القضاء عليها او على كثير منها او تقليلها جدا ؟ اليس محتوما ان يرى اي الاله انه حينئذ قد وقع في ورطة ، وان عليه ان يحاول الخروج منها ؟

اليس معنى هذا ان يعيدهما الى مجدهما وان يقاوم ويمنع زوالها وهزيمتها ، بل ان يقاوم ويمنع ان تصاب اي الشورور والافات والتخلف الطبيعي بأي ضعف او عجز او خطر او باحتمال هزيمة لكي يحافظ على المنطق والفرض اللذين بهما وجدت ومن اجلهما اوجدهما اي الاله ؟ اليس محتوما حينئذ ان يناضل اي الاله لكي يحمي كرامة وحقوق منطقته الذي يخطط ويحبر ويصوغ به الشورور والالام من عدوان التقدم الانساني عليه ؟

اذن والجنة السماوية التي وعد بها المؤمنون واعدت لهم . . اليس محتوما ان توجد فيها هذه الشورور والافات والالام وجميع هذه العاهات والنقائص والامراض والتشوهات بمستويات وانواع واعداد اكثر واقسى جدا بالمنطق والاسباب والتفسير

التي بها وجدت هنا ، اي لكي يتعلم الناس هناك اي في الجنة مقاومتها والتفكير ضدها والانتصار عليها ، انقاذاً لهم من الكسل والخمول والضياع والفراغ والتفاهة ، اي لكي يجنوا ما يعملونه وما يهتمون به وما يثير فيهم الحماس والنشوة والتوجه .. اي مثلما قيل في تفسير وتسيويع وجودها اي الشرور والافات والالام هنا ؟ واذا كان اي الاله قد يصنع شيئاً في الجنة ينقذ من الفراغ والكسل والخمول وهو افضل من الشرور والالام فلماذا لم يصنع هذا الشيء هنا ؟

ان الاله كما كان حكيماً رحيماً شهماً عبقرياً حينما أوجدها اي الشرور والافات والالام والمعاهات في الحياة الدنيا فانه لا بد أن يوجد لها في الجنة ، هناك ، في السماء ، بأعداد وأنواع واساليب أكثر وافدح لكي يكون حكيماً ورحيماً وشهما وعبقرياً أكثر واقوى .. أليس مفروضاً ومطلوباً ان يكون الاله شهماً ورحيماً وذكياً هنا وهناك وفي كل مكان ؟ اليس سكان الجنة أولى باهتمامه من سكان الدنيا ؟ ..

كيف يصاب الكائن بالمرض لكي يتعلم التداوي منه ؟ هل يوجد جنون مثل هذا الجنون ؟ اليس المطلوب ان يكون معافى لا مريض فيه ؟ اذن فالمنطق الا يمرض والا يحتاج الى مقاومة المرض اذا كان ذلك مستطاعاً . كيف يشوه الاله وجهه ويديه وعينيه لكي يذهب يتداوى من هذا التشويه الذي لن يشفى منه ؟

اليس ذلك كذلك ايها المعلمون لجنون لا مثيل له في كل انواع الجنون ؟ اليس جنون العقلاء والعلميين لاختلاق الالهة ولذكائنها ولزايها الايمان والايمان هو اكثر وافطع انواع الجنون جنونا ؟

انت تذهب تهدم البناء لكي تبنيه ، لكي تصبح بناء .. هل يوجد جنون مثل جنونك ؟ ان الناس يضطرون الى ان يبنيوا ، فيبنون ويصبحون بنائين ... ان الناس يتداون اذا مرضوا أو يجب عليهم أن يتداوا . ولكن هل يوجد من يوقعون الامراض بانفسهم لكي يذهبوا يتداون ؟ هل يوجد من يريدون او يستطيعون ان يهبطوا الى ذكاء الاله الذي يزعمه له المؤمنون بل والنبيون ؟

لو أن الناس خلقوا غير محتاجين الى اي بناء ، او لو انهم كانوا يجدون كل ما يحتاجون اليه من البناء مبنياً بأجل وأعظم وأقوى وانكى الاساليب والصيغ الفنية لكان هذا هو الافضل ، ولكانت محاولاتهم ان يتعلموا البناء وان يكونوا بنائين ، لو حاولوا ذلك ، لا نموذج لها في فنون الجنون . ان الناس يبنيون مثلما يتداون ، يفعلون هذا وهذا بالضرورة والاحتياج . وهم لا يدبرون احتياجهم ولكن يقعون فيه . هل يمكن ان تقتل الانسان الحي لكي يحتاج الى الدفن والتكفين ، لكي تحتاج الى ان تكون لحاداً حفاراً للقبور ، لكي تجد ما تعمله وتفكر فيه وتهتم به ، لكي يهيك ذلك الحماس والنشاط والنشوة والرضا عن النفس ... لكي تشعر بان الكون محتاج اليك وبأن لك فيه وظيفة هي حفر القبور ودفن الموتى ؟ ..

الا ترى ان كل جنون يخجل من جنون جنونك ، من غباء غباؤك ، اي لو انك ذهبت تفعل ذلك ؟ الا ترى ان كل جنون هو دون الجنون الذي تمجد وتصف به الهك ؟ هل استطعت الان ان تعرف كيف يحقر المؤمنون الاله الذي يؤمنون به وكيف يهبطون بذكائه تحت كل ذكاء ، وكيف يجعلون جنونه متفوقا على كل جنون ، بل كيف يجعلون جميع المجانين عاجزين عن ان يعرفوا او يفعلوا او يستطيعوا اي شيء او اي اسلوب من جنونه ، من جنونه الذي هو كل عقله وعبقريته ؟

ان احدا ما لا يقبل مهما هان شأنه ان يكون ذكاؤه او تدبيره او اخلاقه في مستوى الذكاء او التدبير او الاخلاق التي يراها المؤمنون اعلى واسمى ما يصفون به الاله .. ان احدا لا يستطيع او يريد او يعرف او يجرو ان يحقر احدا تحقيرا يشبه تحقير المؤمنين للاله البائس الصامت ..

كيف لا يعلم الذين يؤمنون بجمال الاله وبذكائه ورحمته وحبه وبكل الكمال له ، ويتحدثون عن ذلك ، ويعلنونه بلا استتار او تخرج انهم انما يؤمنون بجمال الطبيعة وذكائها ورحمتها وحبها وكمالها ، اي بجمال وذكاء وحب ورحمة وكمال كل ما فيها من ذباب وحشرات واوبئة وامراض وتشوه وقبح وعبث وقسوة وتناقض وسفه وفوضى وموت وشيخوخة وبدولة وقحط وتخلف وضياح وعشوائية تعاقب وتلعن كل الرؤية والتفكير والتجربة وكل حسابات وشروط ونماذج الجمال والذكاء والمعدل والنبل والشهامة والكرامة والحب والرحمة ؟ كيف لا يعرفون انهم حينما يقولون : انت جميل او نظيف او رحيم ايها الاله انما يقولون للذباب وللوباء والمرض والماعاهة انت كل الجمال والنظافة والحب والرحمة ؟

كيف امكن ان يهبط ذكاء الانسان كل هذا الهبوط ؟ وكيف استطاع ان يتعلم وان يبتلع كل هذه البلادة والغفلة ؟ ما اقدر غباء الانسان وغفلته على الاتساع والشمول .. ما اقدرهما على ان يكونا كل ما يرى ويسمع ويعتقد ويريد ويفهم ويجد ويفعل ويتوقع ويتمنى .

اي عبقريتي الانسان اعظم واشمل : عبقرية ذكائه ام عبقرية غيائه ؟ الى ايهما يجب ان يكون انتماؤه اذا كان انتماؤه عادلا وصادقا ومحسوبا بلا انخداع او خداع : الى الذكاء ام الى الغباء ؟ متى يكون الانسان اكثر صدقا وتعبيرا عن نفسه : حينما يقول : انا اذكى الكائنات ام حينما يقول : انا اغباها ؟

هل الاصدق ان يقال : ان الانسان عبقري الذكاء ام ان يقال : انه عبقري الغباء ؟ لو ان ذكاء الانسان وغباؤه تحولا الى لونين متضادين متناقضين فباي اللونين يمكن حينئذ ان يرى او ان يحسب لونه ؟

اليس من الافضل والاستر للانسان ان يكون بلا ذكاء او غباء وغير محاكم او مفسر بذكاء او غباء ؟ اليس ذلك خيرا له من ان يكون له كل هذا الذكاء وكل هذا الغباء ؟ ايهما اكثر عدوانا على الآخر : ذكاء الانسان على غيائه ام غباؤه على ذكائه ؟

ولو انهما اي ذكاء الانسان وغباؤه قد تحولوا الى مذاقين من المذاقات المختلفة المتحددة في حسابات وفي افواه المتذوقين ، اليس محتوما حينئذ ان يكون المذاق الذي تحول اليه غباؤه هو مذاقه الذي لا بد ان يعرف وان يوصف به وان يختفي المذاق الذي تحول اليه نكاؤه والا يعرف او يوصف به ؟ ولكن العقدة ان الالوان والمذاقات متداخلة ومضللة ، وغير متحددة ، وكذا الذكاء والغباؤه والخير والشر والجمال والدمامة والفضيلة والرذيلة ، وكذا كل شيء .

وهل الذكاء في جميع صيغه ومستوياته واخلاقه وعطاياه الا عمليات توسيع وتعميق وتاجيج وتحريض وتنفيذ للغباؤه ؟ هل يستطيع اي ذكاء ان يجد اي شيء يعمله غير هذا اي غير عمل الغباؤه والعمل له والتعامل معه وبه ؟

اليسست جميع مزايا الذكاء وعبقرياته ووظائفه ان يقود الغباؤه وينفذه ويعلن عنه ويخوله الى قوة وسلوك والى آلهة واديان ومذاهب ونظم ، والى تفاسير وجمال وامجاد لهذه الالهة والاديان والمذاهب والنظم وللطغاة والجباليين وللصوص الذين يكذبون ويتكلمون ويحكمون ويفجرون ويجيئون ليفعلوا جميع القبائح والدمامات والوقاحات والبلادات والطفيان باسمها ؟ هل يمكن ان يوجد او هل وجد ذكاء لا يعمل الا ما هو ذكاء ولا يطيع او يعشق او يدبر او يختار الا ما هو ذكاء او لا ينطلق الا عما هو ذكاء والا الى ما هو ذكاء ؟

اليسست كل اعمال كل الذكاء في كل تاريخه وجنسياته ان يصنع المجد والسلطان والكبرياء والكينونات القوية للغباؤه والعبث ، وان يرسل لهما الانبياء والدعاة والحماة وان ينزل لهما وباسمهما للكتب المقدسة الخالدة وان يشيد لهما المعابد والمنابر والمحارب ، وان يعد لهما الجيوش الغازية الحامية الباعضة ؟ اليس اعظم وانكى جيش ومذهب انما يحاربان تحت حوافز ولتحقيق اهداف خارجة على كل تفاسير الذكاء ؟؟

اجل ، هل يستطيع اي ذكاء ان يعمل غير الغباؤه والعبث ، او ان يتعامل او يتحاور مع غيرهما او ان يعمل لغيرهما او مطيعا لغيرهما او واجدا لغيرهما ، بل او مريدا لغيرهما ؟

هل يستطيع اي ذكاء ان يترفع عن ان يكون كل عمله ان يطيع ويخدم الغباؤه والعبث والتفامات ؟

اليس لشد الناس ذكاء هو اكثر الناس ابتكارا وابداعا للغباؤه والعبث ، وتمكين ونصرة لهما ، واعلانا عنهما ، وتجيلا لهما لانه اي اشد الناس ذكاء لا بد ان يكون اكثر الناس تعامل مع النفس والحياة والاشياء وعملها وفيها وتعاملا معها وبها ؟ اليس الاله الكبير والشمس الكبيرة اكثر ممارسة وخلق للعبث والغباؤه من الاله الصغير ومن الشمس الصغيرة ؟

ها انت اذكى الناس ، اي لتفترض نفسك كذلك • اذن حاول ان تجد شيئا غير الغباء والعيب لتبدعه او لتعمله او لتفكر فيه او لتحبه او لتهم به او لتجوع اليه او لتراه كل المجد والذكاء والعظمة ، او لترى انك مطالب بعمله وانك مجد كل القمعيد اذا عملته ؟ هل يستطيع اذكى الناس ان يتفوق على اغبي الناس في ان كليهما لن يجد ما يعمله او يحياه او يفكر فيه غير العيب والغباء ؟

ها انت اذكى الناس • مفترضا • اذن جرب ان تتحدى ذكاء لكى يجد اي شيء يستطيع ان يعمله او يفكر فيه ، غير العيب والغباء والتفاهة ايضا •• اليس كل الفرق بين اذكى الناس واغباهم هو كل الفرق بين قدرتهما واسلوبهما في التعامل مع الغباء ؟

ها انت في ذكاء وقدرة وجد الاله الذي يتصوره ويؤمن به المؤمنون •• اي لنفترضك كذلك • اذن هل تستطيع ان تفعل غير ان تخلق وتوجد ثم تقتل وتفني ان تبني وتهدم •• ان تصنع هذا الكون أو أي شيء اخر بكل ما فيه من بشر وحشرات وشموس وكائنات اخرى ، وان تصيب هؤلاء البشر والحشرات والشموس والكائنات الاخرى بالموت والتشوه والمجاعات واللذات والمسررات والالام والمخاوف وبالتغير والتناقض والتخاصم والعيب والبلادات والهموم والجمال والدمامة ، وبالحب والبغض ، وبالمرض والتداوي والشفاء ، ثم بالمرض ، وبكل شيء ونقيضه •• بالطلوع ثم الغروب ثم بالطلوع فالغروب •• بالفيضان ثم الجفاف ثم بالفيضان والجفاف •• بالموت ثم البعث ثم بالموت فالبعث •• بالجوع والخوف ثم بالاكل والامن ، ثم بالخوف والجوع ؟ هل يوجد عيب وغباء غير هذا او مثل هذا ، او هل يجد العيب والغباء لهما مجدا مثل هذا المجد ، اي مثل هذا المجد المحسوب للاله وحده ؟

نعم ، ها انت في ذكاء وقدرة وجد الاله الذي يؤمن به المؤمنون والذي يتصورون • اذن هل يوجد مثلك صانعا للعيب والغباء ، عاثشا في العيب والغباء ، عاجزا عن ان يجد ما يريده او يعمله غير العيب والغباء ، بل عن ان يرى او يواجه غير العيب والغباء ؟ هل يستطيع اي اله ان يريد او يفعل او يجد غير العيب والغباء ؟ هل يستطيع ان يخطو الا خوضا فوق العيب والغباء ؟

هل يمكن ان تكون موجودا او موجودا او مريدا او محبا ثم تكون موجدا او مريدا او محبا لغير العيب والغباء او موجودا في غيرهما او عاثشا غيرهما ؟
ها انت موجود • اذن لن يكون شيء من معاني وجودك او احتياجات وجودك الا خوضا في الغباء والعيب وانطلاقا منهما وجوعا اليهما ••

هل يستطيع اي وجود او ايجاد ان يكون غير عيب وغباء او غير خضوع او عشق للعيب والغباء ، او غير مجاعة اليهما ، او غير استمرار فيهما ، او غير بنوة لهما وتسلسل عنهما وفيهما ؟ اليس اعظم الجد والذكاء انما تناسلا وتخلقا عن اردا معاني الغباء ثم ينتهيان الى هذا الالردا من معاني الغباء وتقاسيره ؟

هل يستطيع مدبر وموجد هذا الكون أو مدبر وموجد أي شيء أن يكون مدبرا أو موحدا غير العبث والغباء مهما أراد أن يكون غير ذلك ؟

هل يمكن أن يوجد جد لم يلد له اقصى العبث أو لا ينتهي الى اقصى معاني العبث ؟

هل يستطيع أن يكون خالق الجوع أو الجائع والطعام ، وصانع المرض والشفاء والتداوي منه ، وخالق الفبقة للظماى في الصحراء ثم مرسل الغمامة المطرة اليها ، وخالق القلب الحزين ثم واضع السرور فيه .

— نعم ، هل يستطيع فاعل ذلك أن يكون فاعلا غير العبث والغباء ؟

هل يستطيع أي موجد أو موجود أن يكون في أية صيغة من صيغة افضل من ذلك ، أي افضل من أن يفعل الشيء ونقيضه ويعيش الشيء ونقيضه ، وأن يصاب بالشيء ونقيضه ، وأن يفعل ويريد ويحب ويكره ويخاف ويتالم ويحزن ويجوع ويشتهي ويكون بلا منطق أو حساب أو تخطيط أو نموذج أو مصلحة لاحد أو شيء ، وأن يحيى مبتدئا بلا ارادة أو معرفة سابقة ارادته وحسبته ودبرته ، وأن يتداول اليوم أو يحاول للتداوي اليوم من الجوع والمرض والالم والمجز والهوان والموت لكي يجوع ويمرض ويتالم ويعجز ويهون ويموت غدا لان الذي يتداوى اليوم من المرض أو الجوع أو الهوان أو الموت انما يفعل ذلك لكي يصاب غدا بما يتداوى منه حتما ، وأن يحب حياته ووجوده ونفسه وأن يستمسك بذلك ويدافع عنه ويرفض فراقه ، أي فراق حياته ونفسه ووجوده — أن يفعل ذلك لانه موجود وحي ومحكوم بنفسه لا لانه يعرف قيمة ذلك ولا لانه يربح منه او يسعد به او يهبه المجد أو الخلود ؟ كل شيء لا بد أن يفعل ويعني ويساوي نقيضه وأن ينتهي الى هذا النقيض وأن ينطلق عنه وأن يفسر به .

اذن ليس العبث والغباء هما كل وجود وكل موجود ، هما كل الذكاء والجد والمجد ايولو في التفسير لا في الصيغة ولا في الرؤية ، ولو في الصيغة والرؤية الاخيرة لا الاولى ، اي ولو في كليات كل وجود وموجود لا في جزئياتهما ؟ ان بدايات ونهايات كل الاشياء لكي تكون ذكاء أو تخطيطا أو احتياجا أو منطقا أو استجابة لذلك أو بحثا عنه . . .

اللفّة بلا موهبة .. أقبح أجهزة الاستفراغ

جميع الآلات ، العاملة ، المحركة والمصوتة والمضيئة والمخفئة والحاسبة والمفكرة محتاجة الى اجهزة ضبط ذاتية او خارجية ، موضوعة او طبيعية والا اصبحت شيئاً مخرباً وبائساً وعقيماً . وليس في هذا الوجود الطبيعي شيء ليس مضبوطاً ولو بعض الضبط ببعض هذه الاجهزة الذاتية او الخارجية ، الوضعية او الطبيعية . ان اكثر الاشياء انطلاقاً مجنوناً لا بد ان يكون محكوماً بنوع ما من انواع الضبط الذاتي لو الالهي الكونسي ..

ماذا يحدث لو ان اي شيء في هذا الوجود ، لو ان هذا النهر او الاعصار او الصوت او المرض او هذا الحزن او الضعف او الخوف او الحب او البغض لم يكن محكوماً بأي جهاز من اجهزة الضبط العديدة المختلفة الذاتية والخارجية ، الموضوعة او الطبيعية ؟ ماذا يمكن ان تتصور او يحدث لو ان خوفك او بغضك او حبك او حزنك لم يكن مضبوطاً محكوماً بأي جهاز ضبط ؟

ان هذا الكون قد جاء وبقي كما نراه ونعرفه لان جميع وحداته مضبوطة بهذه الاجهزة التي لم تكن منطقية ولا فنية ولا علمية ولا اخلاقية ولا تدبيرية بل عشوائية لم تكن نتائجها مطلوبة ولا محسوبة ولا جيدة او نافعة او معلومة قبل كينونتها او مرادة لاحد او لشيء .

انها نتائج لم تكن استجابة لاية حسابات او احتياجات . انها نتائج لم يدبرها او ينتظرها احد ..

والانسان مركب من عديد الآلات والاجهزة العاملة المتحركة والمحركة والمصوتة والمريدة والمفعلة .. المحبة المبغضة القابلة للرافضة الخائفة الحاقدة والمفكرة ايضا اي ولو بالافتراض . ان البشر لا يعرفون كائناتاً مركبات بالاسلوب الذي ركب به الانسان من هذه الاجهزة والآلات في عددها وحدها واحتمالات نتائجها ..

وجميع هذه الآلات والاجهزة او الطاقات الانسانية تمر كلها من جهاز واحد ، وتتعامل مع هذا الجهاز الواحد وتتزامن عليه ويعبر عنها جميعاً وتحتاج كلها اليه

وتعلن عن نفسها به ، وتتخاطب مع نفسها ومع كل شيء بلغته ، وتتداوى من امتلائها
المزاحم المختلق باستفراغها لذاتها في انابيه .

هذا الجهاز الواحد هو صوت الانسان او لسانه . انه طريق الانسان الى الآخرين
والى التاريخ والى الحياة ، وطريق جميع طاقاته وتفسيره الى نفسها والى مجالاتها
واهدافها ، وايضا الى التاريخ والى الحياة . ان جميع مواهب الانسان وقدراته
واحتياجاته واشواقه تظل مجهولة وسجينة ما لم تمر من هذا الطريق . .

ان كل الانسان يمر من صوته او من لسانه . انه لا شيء فيه يستطيع ان يستغني
عن صوته ، ان يمارس نفسه او يحياها بعيدا عن صوته . .

ان لسان الانسان هو الانبوب الذي يصب فيه كل تفكيره وطموحه وكل نكائه
وغبائه وصدقه وكذبه واوحاله ونظافته .

اذن كم هي اجهزة الضبط التي يحتاج اليه صوت الانسان ، وكم تحتاج هذه
الاجهزة الى الدقة والقوة والاتقان ، وكم هي الحراسات التي يجب ان تضرب عليه اي
على صوته ، وكم هي الشروط التي يجب ان تفرض على هذه الحراسات ، وكم هي
الاحتمالات الشريرة الخطيرة التي يحتمل ان يصاب بها بل التي لا بد ان يصاب بها ؟
جهاز يمر منه ويتعامل به ويحياه ويصاغ ويقرأ ويعرف به كل الانسان ، كل
اخلاقه وافكاره وثقافته ونياته وانفعالاته وحضاراته وجميع مستوياته - نعم ،
جهاز هو كل هذا بل كل هذا بعضه وبعض تقاسيره ودلالاته . اذن كم يحتاج الى
الضبط والى انواع الحراسات الجيدة القاسية ؟

اذن هل يوجد طريق مباح ومعروض لمرور كل الدمامات والبذاءات والقبائح
والفضائح منه مثل لسان الانسان ؟

نعم ، ان كل افكار الانسان وكذا تعاليمه وثقافته وامانيه وطموحه ورغباته
وارادته وخطئه وجميع احتياجاته وانفعالاته بل وجميع اقتناعاته وعقائده ورؤاه
وخيالاته وهمومه ومسرته ونياته ، تحتاج الى كل اساليب الضبط والى كل انواع
الحراسات لكي يكون صوته اي لسانه مضبوطا ومحروسا ، لان كل ذلك يمر من
لسانه ويتعامل به ويعبر عن نفسه ويقرأ جميع معانيه به وعليه وفيه .

اذن كم هي صعوبة حراسة لسان الانسان وصعوبة الاساليب التي لا بد منها
لكي يكون مضبوطا ؟

هل يمكن ان يكون تفكير الانسان او طموحه او تمنيه او حبه او بغضه مثلا
غير مضبوط او محروس ، ثم يكون جهازه الصوتي مضبوطا او محروسا ؟

رديئة جدا هي حظوظ لسان الانسان لان ضبطه يحتاج الى ضبط اشياء اخرى
كثيرة . .

ان ضبط التفكير او الطموح او الارادة لا بد ان يتحول الى ضبط للسان او فسي
اللسان ، كما ان اي اختلال أو قبح في ذلك لا بد أن يتحول الى اختلال وقبح في اللسان .

ولكن هل يمكن ان يضبط التفكير او اي معنى او تفسير من معاني الانسان وتفسيره بمحاولة ضبط لسانه ، او هل يمكن ضبط لسانه قبل او بدون ضبط تفكيره وضبط كل معانيه وتفسيره ؟ كل رثائي لك يا لسان الانسان . كل اسفي عليك ايها اللسان الانساني لان ذكائك واستقامتك مشروطان بذكاء واستقامة غيرك . . .
اذن متى يصبح جهاز الانسان الصوتي او متى يصبح لسانه جهازا ذكيا او عاقلا او نافعا ؟ بل متى اذن يصبح جهازا غير فضاح مخرب محقر مفسد مهين مسيء جالب لكل معاني الاستهزاء والسخرية والعار ؟ قاسية وكثيرة هي الحراسات المطلوبة على اللسان . ان الشروط صعبة لكي يستطيع ان يصبح جيدا ومحترما وغير فضاح ولا وقاح . . .

واذن ما اردنا الاجهزة واكثرها قبحا وتشويها وتعييرا وسبابا وبلادة وتحريضا للغثيان والاشمئزاز ؟ ما هو الجهاز الذي تنصب فيه جميع وقاحات وقبائح وبلادات وعار وفنوب جميع الاجهزة الاخرى ؟ ان هذا الجهاز هو اللسان الذي لم تضرب عليه كل انواع الحراسات ولم يحكم بكل اساليب الضبط - اي اللسان الذي لم تضرب على ذاته او على انسانيته كل انواع الحراسات القاسية الذكية ، ولم تحكم اي ذاته او انسانيته باقسي وانكى واشمل اساليب الضبط . . . ان اللسان هو العضو الذي يتطهر بتطهر غير مويتلوث بثلوث غيره . انه الضمير الذي يصنع غيرة تقواه وفسوقه، مجده وعاره . . .

واذن ما اردنا او اقبح صيغ الكينونة او صيغ الانسان وما اكثرها عاراً وافتضاحا ودماة وحقارة وبلادة وتشويها ؟ وما اقدر هذه الصيغ او الكائنات على الاعلان الشامل عما تختزن من قبح وفجش وفضائح وبلادات ونذالات ؟

ان هذه هي صيغة الانسان او ذات الانسان التي تملك لسانا لم تضرب وتفرض عليه كل هذه الحراسات وكل اساليب الضبط هذه . ان اللسان هو جهاز التفجير لعار وقبح وغفن مثل هذه الذات او الصيغة الانسانية . انه لاجمل واسترمل مثل هذه الذات او الصيغة الانسانية ان تكون بلا لسان .

انسان وهب لسانا عاشقا للكلام اي للتصويت ، قادرا جريئا عليه ، محتاجا اليه ، ماثونا له ، لانه حاكم او زعيم او قوي او نبي او معلم او موظف في اجهزة الكلمة اي التصويت - ماثونا له ان يتكلم اي يصوت بلا اي قيد او تخرج او استنكار او مزمة كيف شاء واستطاع ، بل ويهتف ويغنى له اذا فعل ذلك وكلما فعل ذلك ، بل مفروض عليه ان يتكلم .

نعم ، انسان وهب مثل هذا اللسان تحت هذه الظروف والاعراض والتحريضات ، دون اية حراسة او ضبط من الذكاء او العقل او الحكمة او اللوقار او الاخلاق او الصدق او الحياء او الاحترام لاي شيء ، هل يمكن ان يوجد او يتصور مثله نذالة وقبحا وفسادا وتشويها للعلاقات والمجتمعات والقضايا والحب والصدقة

وللعنابر والمحاريب ولجميع الاشياء التي يقع التعامل ويراد التعامل عليها وبها بين البشر ؟

وهل وجد أو يمكن ان يوجد مثل هذا الانسان موهوبا كل هذه الظروف ؟
- نعم ، انه موجود كلما وجدت الزعامات والنبوات والقيادات والمجتمعات العربية . ان كل زعيم وقائد ومعلم ونبي عربي هو الصيغة الجيدة لمثل هذا الانسان تحت جميع ظروفه الملائمة

اذن محتوم ان تكون اردا واقبح صيغة لاردا وقبح كائن هي ذات الحاكم والزعيم والنبي والمعلم والكاتب والواعظ العربي ، ثم ذات الانسان العربي العادي ، اي اذا كان مصابا بشهوة الكلام اي التصويت وبشهوة عرض الذات والاعلان عنها بالكلام الذي هو تصويت ، وكان ايضا موهوبا الجراة والقدرة على ذلك . . . وهل وجد أو يوجد عربي واحد بدرجة نبي أو زعيم أو حاكم أو قائد أو كاتب ليس مصابا بذلك وموهوبا كل ذلك ؟

ان هذا الحاكم أو الزعيم أو النبي أو المعلم أو الكاتب أو الواعظ العربي سيكون حتما بلا ضوابط أو حراسة من الذكاء أو الحكمة أو العقل أو الوقار أو الاخلاق أو الرصانة أو الحصافة لتصون وتصوغ لسانه أو لتعقله ، أو لتجعله شيئا مقبولا أو معقولا أو محسوبا أو محتملا . ان العربي لم يجرب ولا يعرف أو يتصور الحراسات أو الضوابط العقلية أو الاخلاقية أو الانسانية أو النفسية على لسانه . ان لسانه يرفض ان يكون محاسبا أو محكوما بغير لسانه .

اذن اي جهاز قبح وبذاءة وفساد وفضح سيكون ؟
انه حينئذ لا بد ان يبصق على ذاته وعلى مجتمعه وعلى كل شيء وكل قضية وكل وجه واذن وفكر ومنبر ، وعلى كل خصم وصديق ، وعلى كل موافق ومخالف ، بكل انواع واساليب البصاق والقيء والقيح والقبح والنذالة والفجور والاكاذيب والغباوات والسباب . . . ان كل غفن الطبيعة والاشياء حينئذ لن يكون ندا للغن الذي لا بد ان يستفرغه على كل شيء وكل احد . . .

فطبع حينئذ بلا حدود أو نموذج هو هذا الحاكم أو الزعيم أو النبي أو الكاتب أو المعلم أو الواعظ العربي حينما يكون ثوريا أو مذهبيا أو تجديديا ، اي حينما يكون قد وصل الى العرش أو الى المنبر أو الى النبوة أو القيادة أو الزعامة باسم الثورة أو المذهب أو التجديد بالغزو المسلح المتآمر القافز . . . ان العربي الذي يصعد الى الحكم أو الى الزعامة أو القيادة أو القوة أو المجد باسم الثورية أو المذهبية أو التجديد لا بد ان يكون أفضل النماذج لفضح الكلمة . . .

لنفرد هذه الصورة أو الصيغة أو النموذج . . .

زعيم أو حاكم أو نبي أو قائد عربي قفز على العرش باسم الثورية أو المذهبية أو النبوة أو التجديد ، مصاب بشهوة الكلام وبشهوة عرض الذات والاعلان عنها وبشهوة

التحدي والمشاركة والمبارزة وبالقدرة والجرأة على ذلك .. وهو حتما بلا اية حراسة عقلية أو اخلاقية أو نفسية من ذاته على ذاته ، على لسانه ، ولا من مجتمعه أو من تاريخه على ذاته أو على لسانه . بل وهو حتما مهتوف له بمجد مدعو له بالمزيد كلما كذب وسفه وتوقع وشتم الشمس والنجوم والسحاب . مثل هذا الزعيم أو النبي أو الحاكم أو القائد العربي كيف يطاق أو يستطاع تصور ما لا بد أن يستفرغه لسانه من البذاءات والقبح والسخف والغباء والنذالة والعدوان على كل جمال وذكاء ومجد وكرامة ومحبة وتهذيب ؟

ان مثل هذا القائد أو الزعيم أو الحاكم أو النبي العربي لا بد أن يتحول الى ايداء وتلويث وتجريح لوقار ونظامه وكرامة وحياء وتقوى أردا الحشرات .. هل يمكن ان يوجد اي نموذج أو صيغة من صيغ ونماذج الحشرات العفنة السامة القبيحة البذينة اللوثة يشبه هذا النموذج أو هذه الصيغة من النبوات أو الزعامات أو القيادات التي وهبت السنة لا قيود ولا حراسات عليها من الذكاء أو الحياء أو اللوقار أو العجز أو الرهبة أو من فقدان شهية الفضح والعرض للذات ؟

اذن هل يمكن ان يوجد مستفرغ على اخلاق وضمائر وجوه الشمس والنجوم والسحاب والانهار والحقول والحضارات والعبقريات والذكاء مثل الانسان العربي الذي يجيء بدرجة حاكم أو زعيم أو قائد أو نبي أو معلم أو كاتب أو مفكر أو شاعر أو واعظ ، اي اذا كان مصابا بشهوة الكلام وبشهوة العرض للذات والاعلان عنها ، وكان ايضا قادرا على الكلام موهوبا بالجرأة عليه ، ولا سيما اذا كان ثوريا أو مذهبيا أو تجديديا ؟ انه لا بد ان يهتف له وان يغنى لجمده وبطلته وعبقريته العلمية والعقلية والحضارية كلما قبح واقتضح وفدح استفرغه ، وانه ايضا لا بد أن يكون بلا حراسة أو ضوابط عقلية أو اخلاقية أو نفسية أو انسانية أو تاريخية أو تقليدية أو ميراثية . انه الصيغة الجيدة للصعبة الجامعة لكل شروط أعلى مستويات ونماذج القبح والوقاحة والافتضاح ..

اذن هل يمكن تصور صيغة كائن تساوي في تجمع كل الرداء والقبح والبذاءة فيها صيغة الانسان العربي الذي يجيء بدرجة نبي أو حاكم أو زعيم أو قائد أو معلم أو مفكر أو شاعر أو واعظ أو كاتب ، اي حينما يجيء ثوريا أو مذهبيا أو تجديديا ، وحينما يكون قادرا على ان يقول ما يستطيع قوله وما يريد ويشتهي قوله وما يسعد ويشعر بالكبرياء والمجد بقوله وما يهبه كل المار والافتضاح قوله ؟ قبيح هو القول الذي يجد فيه الانسان العربي كل مجده وذكائه ونشوته وقوته ..

اذن اهرابي ، بل انتحري ايتها الشمس والنجوم والزهرة والاشياء الجميلة المصابة بالاستحياء والوقار والتهذيب ، أعني ان كنت لم تستعربي وتفقد معانيك بمعايشتك للانسان العربي . اليس الانسان العربي يعرب ما يعايشه حتى الحضارات يعربها اي يفسدها ؟

اذن امربي او انتحري لئلا تواجهي او تري او تسمعي مثل هذا الانسان العربي
 .. مثل هذا المستفرغ الذي لا مثيل له في قبح ووقاحة استفراغه .. وقحة وبذيئة
 وبليدة انت ايتها الشمس والنجوم وكل الاشياء الجميلة ان كنت قد سمعت الانسان
 العربي يقول كل ما قد قاله دون ان تنتحري او تهربي او تمرضي او تصابي بالصمم
 الدائم ان كنت لم تستعربي .

ولكن اليس لهذا الانسان العربي مزايا ؟ اليس من هذه المزايا انه مهما صنع
 الاشتمزاز والغثيان لكل الضمائر والعقول والاخلاق المتحضرة بكل ما يقوله ويدعيه
 ويطالب به فانه لا يستطيع ان يقتل او يجرح او يصيب او يخيف احدا ؟ انه شيء
 فاضح ولكنه ليس شيئا قاتلا او هازما او قادرا . اليست هذه مزية ؟

اليست ذات مزية اية حشرة يؤذي منظرها أو صوتها أو سلوكها اذا لم تكن قاتلة
 أو جارحة أو ممرضة أو صانعة لاي ضرر بالحياة أو بأي شيء حولها ؟

انه اي الانسان العربي مهما بصق على كل الوجوه والاذان والمنابر والاخلاق
 والافكار المستمعة اليه فانه لن يستطيع ان يخدعها أو يقنعها أو يفسدها أو يضعفها أو
 يعجبها أو يقتلها ، أو ان يهدم بناء أو واقعا جيدا ، أو ان يمنع مستقبلا آتيا عظيما
 من المجيء ، أو ان يسلب الانكيا والمهنيين والمتوقرين والمتطهرين والمتحضرين
 اشتهاهم لذكائهم أو لتهديبهم أو لوقارهم أو لطهارتهم أو لحضارتهم مهما فرض
 عليهم الاستماع اليه ، أو ان يمنع الشمس أو الانهار أو الامطار أو الفصول من القدوم
 والطلوع والنزول في اوقاتها ، بكل قوتها وجمالها . انه مهما بصق على الشمس فان
 شيئا من بصاقه لن يضل اليها ومهما القى بكل الحجارة في وجهها فلن يتحول الى
 جراح في وجهها ..

أليس عجزه هذا مزية بل مزايا ؟ اليس كون الكلب نابحا وعاجزا عن الافتراس
 وعن ان يعض مزية لمن يسمعون نباحه ومزية فيه اي في الكلب النابح ؟

اليس نوعا من المزايا ومن الحظوظ الجيدة لك ولعينيك واذنك ان يطن الذباب
 بكل قبحه في اذنك وحولها ولكن دون ان يفسدها أو يعجبها أو يصمها أو
 يخترقها ، ودون ان يقذف فيهما داءه ، وان تتعري وتتبختر كل الحشرات ووقع
 الحشرات بكل وقاحاتها ودماستها في عينيك ولكن دون ان تسلبها الرؤية أو جمال
 الرؤية أو الرغبة في الرؤية ، ودون ان تستفرغ فيهما شيئا من احوالها وحوالها ؟
 اليس شيئا من المزية والحباية لك ان تعيش كل الاحوال حولك دون ان تستطيع القفز
 عليك لتتحول الى احوال في جسدك أو ثيابك ؟

وايضا اليس من مزايا هذا الانسان العربي انه يتحول الى شماتة ونشوة
 سعيدة ؟ ليس لاعدائه أو حساده أو منافسيه .. انه ليس ممكنا ان يكون له اعداء أو
 حساد أو منافسون .. انه لا يحسد أو ينافس أو يعادي الا الاقوياء جدا المتفوقون
 الخيفون بمواهبهم أو بقوتهم أو بأي معنى قوي من معانيهم الحضارية أو

الاخلاقية أو الانسانية أو العقلية أو الفنية أو النفسية أو حتى الجمالية الجسدية .
ان العربي هو الكائن الحاسد ابدا ، الذي لا يتحول ولم يتحول قط الى محسود . انه
المعتدي الذي لا يجازي ..

هل يوجد في الانسان العربي شيء يخشى ان يحوله الى محسود او منافس او
معادي ؟ ان العربي قد يكون مرحوما او محزنا او فاجعا او مسخورا منه ولكنه لن يكون
محسودا او منافسا او معادي . حتى نطفه لن يستطيع ان يجعله شيئا من ذلك .
ان النبط وهو كل حظوظ الانسان العربي من مجد الحياة والتاريخ والحضارة لن
يحوله الى محسود او منافس او معادي بل لقد حوله الى صانع للراء والاشفاق
والاسى والى مخدوع مضحوك عليه مضحوك منه مطموع فيه ، مكذوب عليه ، مكذوب
له ، مستهزا به ، مفسد للاخلاق ، معلم للنفاق والذالة وللصلاة في معابد الحشرات
والهتاف لاناشيدها . ان الشيء الرديء والضعيف والمهزوم لن يكون محسودا او منافسا
او معادي مهما ملك او اعطى ومهما نوفق وكذب له او عليه ..

نعم ، ان النبط العربي قد افسد واذل اخلاق وضمائر اقوى واكبر الناس اي اخلاق
وضمائر قادة وزعماء الدول المتحضرة الكبرى والصغرى لانه اضطروهم الى ان ينافقوه
ويتملقوه والى ان يصغروا في ذكائهم وكرامتهم لكي يفهموه ويرضوه ويتلاءموا معه ..
نعم ، ان الاشياء تطلب وتشتهي ويطمع فيها ويقع عليها التحاسد والتنافس
والتعادي ولكنها لا تحسد ولا تنافس ولا تعادي . ان اي شيء مهما كانت قيمته لن
يكون محسودا او منافسا او معادي مهما كان غف التحاسد والتنافس والتعادي عليه .
هل يمكن ان تحسد او تعادي او تنافس السلع او الاطعمة او الخيول والنياق
الجيدة الجميلة او الاموال بكل عملاتها وجنسياتها المختلفة ؟ ولكنها بكل الهوان
والضعف والتهافت والاستعباد والسقوط تراء وتطلب وتشتهي ويطمع فيها وتسجد
لها بكل المسكنة والتصاغر كل الهامات والقامات بل وكل الرايات ، ويتحاسد ويتعادي
ويتنافس عليها بكل اللزق والجوع والافتضاح والوحشية النفسية والاخلاقية كل
الناس ، حتى الذين صنعوا للتاريخ كل ازيائه وامجاده وعلومه كل لغاته ولهجاته ،
وحتى الذين لا يخطو التاريخ اية خطوة من خطواته الا بحثا عن خطواتهم ، وحتى الذين
علموا الاله كيف يتحدث عن نفسه ويدعى لنفسه ويرى نفسه ويعجب بنفسه ، بل
علموه اي علموا الاله كيف يقتنع بنفسه ، كيف يقتنع بانه موجود حقا ، وعلومه ان
يجرؤ على الاعلان عن نفسه وعن وجوده ..

كيف استطاع الاله ان يقتنع بانه موجود او بان وجوده شيء طيب يستحق
التباهي به والاعلان عنه ؟ اليس الذين علموه الاقتناع بذلك هم اعظم المعلمين تعليما؟
نعم ، ليس كل المتعاملين مع العرب أو فيهم قد فهمهم وفسروهم بانهم اشياء ثم
تعاملوا معهم وفيهم بهذا الفهم والتفسير ؟

اذن فالعرب لا يمكن ان يحسدوا او يعادوا او ينافسوا ، ولكن لزاياهم النفطية الاسطورية لا بد ان يقع عليهم ومن اجل الظفر بهم اي بنفطهم التعادي والتحاسد والتنافس كما يقع ذلك على الاشياء المشتهاة . . آه ايتها الموهبة العربية ، هل تستطيعين ان تصعدي الى ان تكوني محسودة أو منافسة أو معاداة ؟

نعم ، ليس الانسان العربي الذي هو بدرجة نبي أو زعيم أو قائد أو حاكم أو كاتب أو معلم أو واعظ لا بد ان يتحول بكل ما يقوله ويعلنه ويدعيه ويطالب به ويراه ويعبر عنه الى شماتة والى نشوة سعيدة ، ليس لاعدائه أو لحساده أو لمنافسيه لانه لا يملك احدا من هؤلاء . . آه ايها الانسان العربي . . . ليتني اجد من يحسدك أو ينافسك أو يعاديك أو يخافك لانه يراك قويا أو عبقريا أو عظيما أو جريئا .

ولكنه يتحول الى هذه الشماتة والنشوة السعيدة لقوم يملكون كل مواهب الاستمتاع النفسي والفكري والاخلاقي والفني بل واحيانا الاستمتاع المذهبي أو القومي أو الوطني أو الديني أو العرقي ، بعار الاخرين وتقافتهم وبلادتهم وافتضاحهم وبكل معانبيهم الصغيرة المحترقة المحقرة . . اذن فالانسان العربي الذي هو بدرجة نبي أو قائد أو كاتب أو مبدع يعلم الاخرين هذه الوقاحة اي الشماتة والفرح الخبيث .

كثيرون هم اولئك الذين يسعدون ويبتهجون ويشعرون بالمد والقدرة والقوة والتفوق حينما يرون او يسمعون او يقرؤون كل ألوان الدمامات والتفاهات والغباء والضالة والوقاحة والنذالة ، تعيشها وتتحدى وتتعامل وتقاتل وتباهي بها وتستفرغها عقول واخلاق ومواهب والسنة اناس محسوبين وموضوعين ومنصبين انبياء وزعماء وقادة وحكاما وحكماء ومعلمين وكتابا وفنانين ، اي ممن يتكلمون اللغة العربية بكل اساليبيها البلاغية الاصلية العريقة المثيرة لكل نشوات الشماتة في مشاعر وحركات المتفرجين .

الست انسانا نافعا وسارا وجيدا حينما تصبح شخصية تتجمع فيها كل معاني وتعبيرات الهزال والهزل ؟ الست قد تصنع السرور والرقص الروحي لكثير من الناس لانك مضحك ومثير للاشفاق ببلادتك أو تفاهتك أو ضاللتك أو بسخفك وفحشك اكثر واعق من ان تفعل لهم ذلك ، أو دون ان تفعل لهم ذلك بعبقريتك أو بعظمتك أو بقوتك أو بذكاكك أو بمجدك ، اي لو كنت كذلك أو شيئا من ذلك ؟ ان ضعفك المضحك قد يصنع النشوة لنظارتك . ولكن هل تصنع لهم شيئا من ذلك قوتك المخيفة ؟

اليس تمثيل ادوار الشخصيات البلهاء الغبية السفهية الضئيلة الفضاحة احد الفنون الانسانية العالمية التي يتخلى امامها اكثر الناس وقارا ورسانة وصمتا عن وقارهم ورسانتهم وصمتهم ليتفجروا بالابتهاج الصارخ المتنزي المتعري ؟ هل يوجد من لا يسعدون أو من لا ترقص عضلاتهم ابتهاجا بمشاهدة ادوار هذه الشخصيات مبالغا في تمثيل ضعفها وتقافتها ؟

لماذا ذلك ؟ ليس لان مشاهدة النقص أو العجز أو الضعف أو السخف الانساني الرهيب تصنع ألوانا كثيرة ومثيرة من البهجة والاستمتاع المتعدد المعاني والتفسيرات

والاساليب ؟ وانبياء العرب وقادتهم وزعمائهم وكل متكلميهم يقدمون هذه الشخصيات طبيعيين لا ممثلين . اذن ما اسعد نظارتهم !!

اذن هل يمكن ان يوجد من يستطيع ان يصنع هذه البهجة وهذا الاستمتاع النشوان للباحثين عن ذلك مثل الانسان العربي الذي قد اصبح نبيا او حاكما او زعيما او قائدا او معلما او مفكرا او كاتباً او شاعرا او واعظا ، كلما قال او ادعى او خاطب او خطب او جادل او خاصم او علم او اعلن او اعتقد او اقتنع او آمن او فهم او فكر او نوى بصوت مسموع او مقروء ، ولا سيما اذا كان ثوريا او مذهبيا او تجديديا او اصلاحيا ، ولا سيما ايضا اذا كان مصابيا بشهوة العرض للذات والاعلان عنها ، ومصابيا بشهوة الكلام اي بشهوة التصويت وبالجرأة والقدرة عليه . وهل وجد او هل يمكن ان يوجد اي نبي او زعيم او قائد او ثائر او مفكر او شاعر عربي ليس مصابيا بهذا وهذا اذن فهذا الانسان العربي المضحك المحزن المسخور منه ومن جميع مواهبه المتحولة الى اصوات فوق السحاب يصنع كل ألوان السرور والبهجة لجميع النظارة والمشاهدين . . . ولكن ليس محتوما ان يصنع الاسي العميق للرحماء المشفقين الرائين لضعف وسخف الآخرين ؟ ومع هذا الاستثناء فان الانسان العربي فنان عظيم في صنعه للسرور والبهجة بهذا الاسلوب العربي المتفرد . . . انه يصنع السرور والبهجة لنظارته بفنه الطبيعي الاصيل لا الممثل . . ان ضعف العربي الذي يتحول الى فن ضعف طبيعي واصيل لا تمثيل . اذن ليس فنه فنا متفوقا ؟

واذن ليس لهذا الانسان العربي مزايا ؟ أليس من اعظم مزايا الانسان العربي انه قد اثبت ان الحضارة قد تتنازل عن شجاعتها وكرامتها وكبريائها وعن صحتها وحياتها ونكائها وتحضرها بلا ضوابط او حواجز ، حينما هدها بالنفط سلاحا - حينما هدد أن يضرب بالسلاح الذي لم يبتكره او يصنعه او يعرفه او يعرف مكانه او وجوده او نفعه او استعماله او من اين جاء او لماذا جاء . .

نعم ، ان اردا صيغة لاردا كائن هو الجهاز الذي لا يوجد جهاز اخر يساويه او يشبهه في استفراغه لكل انواع الفحش والقبح والسياب والغباء والنذالات والاكافيب والفضائح بكل احجامها والوانها واصواتها ، بلا اي غضب او احتجاج او رفض او حتى مشورة او نصيحة او محاورة او استحياء او قيمة او هداية من الذكاء او المنطق او العقل او التهذيب او من القيم الحضارية او التاريخية او الانسانية او من اي نوع . . انها الصيغة التي يعجز افرس خيال عن تصور اردا منها .

وهل يمكن ان توجد هذه الصيغة التي هي اردا صيغة لاردا كائن بكل قدراتها الاستفراغية هذه الا في ذات الانسان العربي الذي يجيء في مستوى او منصب الاقوى والاكبر والاعظم والانتقى والافصح والاكثر ثورية او مذهبية او تحدينا او تجديدا او اصلاحا ، والاجرا الابسل بسالة ولسانا واعلانا عن الذات ؟ هل يمكن ان يوجد مثل هذا الانسان العربي قدرة على استفراغ كل العفونات واردا العفونات . . . ؟

ان اي لسان طويل جريء قوي جهير يركب في اي انسان عربي كبير المكانة أو المنصب أو الشهرة أو التفسير أو الجراءة فلن يكون اي هذا اللسان الموصوف الا اقبح واضخم جهاز استقراغ لاقبح واضخم الوان الفضح والقبح . ان اي قوم لن يستطيعوا ان ينافسوا العرب في امتلاكهم لاضخم جهاز لاستقراغ كل الفضح والقبح .

ان اي عربي يولد وفي فمه لسان فلن يكون الا حبلا يهدد بكل احتمالات بل بكل ولادات الفضح والقبح بكل تفاسيرهما وجنسياتهما ولغاتهما . لان اي لسان يولد في أي فم عربي لا بد ان يولد معه احتمال بأن يكون الفم الذي ولد فيه اللسان ليس الا فم نبي أو زعيم أو قائد أو حاكم أو مفكر أو شاعر أو واعظ عربي يدعي الثورية أو المذهبية أو الاصلاحية الدينية أو الاخلاقية أو التاريخية ، ويستطيع حينئذ أن يقرأ ويفسر وينشر عاره وقبحه على كل الشمس والنجوم، ومن فوق كل الشمس والنجوم، وان يهدد بهما كل الشمس والنجوم . ليس مثل هذا اللسان هو النموذج المثالي لاحتمال ان يكون افضل جهاز لاستقراغ كل القبح والفضح وأردأ أنواع القبح والفضح .

ان اعقل وانكى واحكم النبوات والقيادات والزعامات والدعايات والثقافات والمواهب العربية ، أو اقلها قبحا وفضحا وعارا وبلادة ونزقا ، هي التي تجيء أو تولد وفي نطقها آفة دائمة تقرض عليها الصمت والعلي والوقار هل توجد فضيلة تساوي ان يصاب بالخرس الدائم جميع الحكام والزعماء والانبياء والثوار والكتاب العرب ؟

ان اي لسان يولد في فم اي نبي أو زعيم أو قائد أو معلم أو مفكر أو شاعر لا بد ان تولد معه احتمالات العبقرية والعقل والذكاء والحكمة والوقار والتعذيب الا اللسان الذي يولد في فم الانسان العربي أو في فم من هو في مستوى الانسان العربي ، فانه يولد بدون اي شيء من هذه الاحتمالات ان الطبيعة لا تشترط لولادة اي لسان عربي اية ولادات أو شروط أخرى مصاحبة أو سابقة جيدة .

اذن فان اي لسان يولد في اي فم عربي فلن ينتظر له ومنه سوى احتمالين : أن يكون مصابا بالصمت والعجز ، أو أن يكون فضحا وقبحا وجنونا ليس فيه شيء من جمال أو براءة الجنون المعقول . . لهذا فانه لا امل في ستر أو في استتار اي لسان عربي الا في ان يكون مصابا بالصمت وبالعلي المانع له من ان يتحرك أو يخرج من مكانه .

وحتما لن توجد ولادة اقبح واطغر من ولادة لسان طويل جهير جريء قوي دون ان تولد معه احتمالات ذكاء أو عقل أو حكمة أو تعذيب أو وقار . ان مثل هذا اللسان لن يكون حينئذ الا تفجرا مستمرا بكل القبح والفضح والبلادة والنذالة والفحش وبكل انواع واساليب السوء بلا اي قيد أو ضبط . . .

اذن لن توجد ولادة اقبح أو اخطر من ولادة نبي أو زعيم أو قائد أو معلم أو مفكر أو شاعر عربي يولد في فمه لسان لم يصب بالصمت والعجز الشامل الدائم ، لانه لا

بديل اخر عن الصمت والعجز .. ان كل التاريخ يقول انه لا بديل للسان العربي عن الصمت والعجز .. لا بديل الا الفضح والقبح ..

اذن ايتها الافواه العربية ، كوني حية أو تقية وأصيبي كل لسان يولد فيك بالافة الجيدة ، بالعجز والصمت والعلي الشامل الدائم ..

انك ايتها الافواه العربية لن تستطيعي ان تفعلي افضل أو اعظم من ذلك . اذن افعليه . افعلي مزيتها التي لا تستطيعين غيرها وهي ان تصيبي كل لسان يولد فيك بالعجز ، بالعلي الشامل الدائم . ايتها الافواه العربية !

آه . ليت الانسان الاخر يتقدم علما واخلاقا وشهامة الى ان يصبح قادرا وجريئا على ان يعقم كل انسان لا تولد فيه احتمالات الذكاء والعقل والحكمة والحياء والتعذيب والصدق ، يعقمه تعقيما يحمله من ان يتخلق فيه اللسان .. ليت الانسان المتحضر يعقم انبياء العرب وزعماءهم وقادتهم ضد أن تولد فيهم السنة متحركة ..

لم تكن الطبيعة ذكية أو حية أو مهذبة أو رحيمة أو فنانة ، وكذلك لم تكن ذات الانسان ولا حضارته أو اخلاقه أو موهبته وحياته شيئا من ذلك حينما علمته اللغة قبل ان تعلمه العقل والذكاء والمنطق والحياء والتعذيب والصدق ، أو دون ان تعلمه ذلك . انه لا فتضاح شامل ان يكون لكائن ما لغة منطوقة ومسموعة ومكتوبة ومقروءة دون ان يكون محكوما باقسى واذكى الضوابط الحضارية والانسانية .

هل قصدت للطبيعة أو قصدت ذات الانسان وموهبته بذلك ان تقضحه وتشوهه ، ام هي قد عجزت وجهلت ان تكون ما ينبغي اي ان تكون الانكى الافضل الانفع ؟ بأي منطق أو موهبة تصوغ وتخرج ذات الانسان ذاته ؟ وهل تخرجها أو تصوغها بأي شيء أو بأي قدر من المنطق أو من الموهبة ؟

ليس شيئا جيدا لو ان جميع من لا تعيش في فواتهم احتمالات الذكاء والعقل والمنطق والوقار والتعذيب يمنعون بوسيلة ما من ان يتكلموا أو يتعلموا اية لغة ؟ ألا يحتمل ان يحدث هذا في يوم ما ؟ أليس شيئا رائعا ان تستحدث في افواه هؤلاء عاة جيدة تمنعهم من ان ينطقوا ؟

انسان يتكلم لغة دون اي شرط أو قدر أو ضابط من العقل أو الذكاء أو الحكمة أو الوقار أو التعذيب أو الصدق . انه لاعظم جهاز لاستنقار العار والقبح ..

هل يوجد ما يساوي هذا الانسان في قبحه الا اله يملك كل عضلات وشهوات وكبرياء وطموح وانانية اكبر واغوى الالهة دون ان يملك اي قدر من الحب أو الرحمة أو الشهامة أو الفهم أو الموهبة الفنية أو الفكرية أو الاخلاقية أو النفسية ؟ وهل وجد أو يمكن ان يوجد مثل هذا الاله ؟ يقول المؤمنون انه قد وجد ، وانه لا يزال موجودا وانه لا بد أن يظل موجودا ..

ولكن هذا الانسان هو حتما اكثر قبحا من الطبيعة التي وهبت كل هذه العنثية والعشوائية والقوة والضخامة والانتساع والقسوة والوقاحة والفزق والفحش دون أن

وهب شيئاً آخر غير ذلك • وهل يوجد اقبح أو اوقح من الطبيعة ؟ نعم ، اللسان المركب في الزعيم أو القائد أو النبي أو المفكر أو الشاعر العربي ؟
 لعل الطبيعة بعد أن خلقت الإنسان أو بعد أن ولدته في تعبير آخر رآته في نموذجها الأعلى متفوقاً عليها متحكماً فيها قاهراً لها ، فأصابته الغيرة ، فأرادت ودبرت الانتقام ، فصاغت لانتقامها من مخلوقها أو من وليدها المتفوق عليها ، أساليب كثيرة متفاوتة العنف والبذاءة والوحشية • وكان من هذه الأساليب الانتقامية أن خلقت الأنبياء والزعماء والقادة والحكام والمعلمين والمفكرين والشعراء والكتاب العرب ، أي أن خلقت اللسان الطويلة الجريئة القبيحة البذيئة المصابة بكل وقاحة الشبق المنبري والغدواني ، دون أن تحرسها أو تضبطها بأي قدر من الذكاء أو العقل أو الحكمة أو الصدق أو الشهامة أو المحبة أو الحياء أو من تفاسير الإنسان المتحضر - أي أن خلقت أردا صيغة لاردا كائن •• نعم ، لقد كان خلق هذا الإنسان العربي انتقاماً قوياً من مجد الإنسان ، ولكنه انتقام بليد بذيء متوحش ••

اذن لقد خلقت أو ولدت الطبيعة موهبة الإنسان العربي الاستفراغية انتقاماً من حسدها لموهبة الإنسان الآخر الحضارية والإنسانية • أي خلقت الإنسان العربي المستفرغ بلسانه لتداوي حسدها للإنسان الآخر المفكر المبدع المتحضر المتفوق عليها الحاكم المسخر لها •• ولكن هل تداوت الطبيعة بتداويها هذا أم مرضت ؟ هل شفاها خلقها للإنسان العربي المستفرغ عليها ؟

أو لعل الطبيعة أرادت أن تصنع لنفسها من الإنسان ألعاباً متناقضة ومتفاوتة المستوى والقيمة جداً ، أو أن تخلق من نفسها لنفسها ، لتعبث وتلهو ، صيغاً متباعدة جداً في حدتها الأعلى عن حدتها الأدنى ، فذهبت تخلق الإنسان المتفوق عليها والذي هو اسمى ما تستطيع وتجد وتعرف وهو حدتها الأعلى • وفي حدتها الأدنى ذهبت تخلق الزعامات والنبوات والقيادات وكل جماعات الفكر والشعر والقلم العربية التي كل عطايها كل الأعمال الاستفراغية التي تستفرغها والشعراء وانزلت عليه كتبه المقدسة وزرعت في فمه هذه اللسان الطويلة بلا حدود والمحدودة بلا ضوابط أو حواجز • ولكن اليس قد ذكر أن الاستفراغ بالتصويت ضرورة يجب السماح بها ولها ؟

لغة بلا مجد أو شرف

اللغة ، كل لغة هي وعاء أو أداة تعبير يعيش فيها الشيء ونقيضه ، ويعبر بها عن الشيء ونقيضه ، وهي ليست الشيء ولا نقيضه . انها فقط حروف واسماء وافعال ، لا ترفض أو تغضب أن تعبر عن هذا أو هذا أو أن يعيش فيها هذا أو هذا . انها لا ترفض ولا تغضب أن تكون تعبيراً عن المجد والكرامة وعن الذكاء والعبقرية والنظافة والصدق والقوة أو عن النقيض أو أن يتكلمها اصحاب هذه المواهب الجيدة أو الآخرون المناقضون .

بل انها لا تختار لنفسها ولا تستطيع أن تختار ولا تعرف كيف تختار . . .
ان اللغة لا تنم ولا تمتدح او يجب ألا تنم وألا تمتدح . ولكن الذم والامتداح لا يكونان الا لما يوضع فيها أو لمن يتكلمونها ويتعاملون بها . . . ان اللغة هي الصورة المعنوية لشخصية الانسان الادبية . والصورة ليست مسؤولة عن نفسها .

حتما لا بد ان تكون هناك فروق بين اللغات ، فروق كثيرة فنية وجمالية وغنائية . . . فروق في التحديد والضبط والوضوح واليسر والشمول والسهولة وفي التحضر والبداءة بل وفي المنطقية أو الفكرية أو القانونية . . .

ان المتفاوتين في مستوياتهم الاخلاقية والفكرية والنفسية والحضارية لا بد ان تكون هناك فروق مساوية او ينبغي ان تكون مساوية بين لغاتهم . .
هذه الفروق الكثيرة بل والضخمة لا يجوز الاختلاف عليها . . .

انه كما تختلف وتتفاوت جودة وجمالا واتقاناً ورداءة ودمامة وفوضى ملابس الناس وبيوتهم ومنهم وادوات منازلهم كذلك تختلف لغاتهم . ان اللغات ليست الا انواعاً من الملابس والبيوت والحدن والادوات . لهذا فكم تتفاوت فنياً وجمالياً !!

كل هذا صحيح ولكن ليست هذه هي القضية هنا . . .

ان الناس يعيشون في اللغة التي يتكلمونها حتى ولو لم تكن لغتهم القومية أو لغة ميلادهم ، تعيش فيها مواهبهم واخلاقهم وقوتهم وضعفهم وبدواتهم وحضارتهم

وجميع مستوياتهم • كما تعيش لغاتهم فيهم • نعم ، تعيش فيهم ويعيشون فيها ولكن قد يكون ذلك بعلاقات ادق واكثر عمقا ودلالة وتأثرا وتأثيرا مما يعيشون في بيوتهم وازيائهم ومدنهم ، ومما تعيش فيهم •

ان اللغات اماكن أو معارض أو حقول للبشر يضعون او يجمعون أو يعرضون أو يزرعون فيها كل مزاياهم وريائهم وكل احتمالاتهم الجيدة المتفوقة والرديئة المتخلفة • ان تاريخ اي قوم لن يكون اكبر أو أصغر من لغاتهم أو مما في لغاتهم أو من تفاسير لغاتهم في كل تاريخها وفي كل دلالاتها واستعمالاتها ••

اذن اللغة ، اية لغة ليست شيئا اكثر أو أقل ، افضل أو أردأ ، اذكى أو اغبى ممن يتكلمونها • انها هي هم جاءوا حروفا منطوقة ومسموعة ومكتوبة ومقروءة •• ان البشر في كل تاريخهم ليسوا الا لغاتهم جاءوا وقرئوا بأسلوب اكثر وضوحا وتحديدا وتعريفا بالذات •

حتى حينما يكذبون أو يزيفون أو يخدعون أو يبالغون لن تكون اي اللغة بأسلوب من يتكلم ويفكر ويعلم ويهدي ويصنع الحضارات والمذاهب والاديان والقيم الانسانية، وبأسلوب من يمجّد نفسه ويذل ويهزم ويقتل الاعداء والابالسة والشعور ، وايضا بأسلوب من يصلي للالهة ويشيد لها المجد والذكاء ويضع لها اجمل واذكى التفاسير والصيغ • بائسة هي الالهة • ان كل من يصلون لها ويصنعون لها المجد والمسرات والتفاسير ليسوا الا مستفرغين لتفاهاتهم ولغبائهم والامهم عليها •

لعل الطبيعة كانت تبحث عن اقوى أو اقصى اساليب العبث والنزق والتناقض والاستهزاء بنفسها وبكل شيء حينما خلقت او ولدت الانسان في نموذج او في حده الاعلى ثم خلقت أو ولدت أو استفرغت الانسان العربي الذي هو في رتبة نبي أو زعيم او قائد أو معلم او مفكر أو شاعر أو كاتب أو واعظ ، والذي هو ايضا ثوري او مذهبي أو تجديدي أو اصلاحي باسم الدين او الاخلاق أو التاريخ ، والذي هو ايضا مصاب بالشبق المنبري الصوتي الاستعراضي الاعلاني ، وبالجرأة والقدرة على ممارسة هذا الشبق بكل الكبرياء والفروسية ، اي الذي هو في رتبة المستفرغ لكل اساليب وانواع البذاءات والبلادات والوقاحات زاعما انه يصوغ الكون بذلك •

لعل الطبيعة لم تسفه وتسبخ مثل سفنها وسخفها هذا • ولعل اقبح ما في هذه القضية ان الطبيعة التي هي كل السخف والسفه والجنون والظلم هي ايضا كل العقل والحكمة والوقار والعدل والرصانة • انها هي كل الجمال والحب بقدر ما هي كل الدمامة والبغضاء •

كيف يمكن ان تكون مشاعر الطبيعة، لو كانت لها مشاعر ، حينما تضع احسدى عينيها على هذا الانسان العربي وتضع عينها الاخرى على الانسان الاخر النقيض ؟ حينما تضع عينها على هذا الانسان العربي المستفرغ لاحقاده وبذاته بأسلوب من يصنع للشمس كل امجادها ؟

هل يمكن ان نتصور ان والدا ما مهما كان سخفه وسفهه وفحشه يجروا على ان يصوغ ، قادرا متعمدا ومدبرا ، احد ولديه مالكا كل قمم ومعاني العبقرية والجمال والقوة والروعة ، والاخر مالكا كل حضيض ومعاني التفاهة والبلادة والدمامة والعجز والافتضاح والضالة بكل تفاسيرها ونماذجها ؟

كيف امكن ان يوجد من يجدون في الطبيعة منطق او ضمير او فن اله تركع له العقول والجباه حبا واعجابا ؟

ماذا لو ان الطبيعة اصبحت يوما ما متوقرة ومحترمة محاسبة لنفسها ولما تفعله ثم حدثت في ولديها فرأت كيف صاغت احدهما وهو هذا الانسان العربي المزعوم والمنصب نبيا او قائدا أو زعيما أو مفكرا أو شاعرا أو اي حامل قلم ، ورأت كيف صاغت الاخر وهو ذلك الانسان الاخر المناقض الذي اصابها تفوقه عليها بداء الفيرة ؟ كيف صاغت ابنها العربي ليكون جهاز استقراغها وصاغت ابنها الاخر ليكون منطق وطاقاة ابداعها ؟

الا يجب حينئذ ان يقتلها اشمئزازها من سخفها وسفهها ، ومحاسبة ضميرها ونكائنها لها ، وادمانها التحديق في عارها وذنوبها ؟ ماذا لو أن الاله رأى نفسه رؤية جديدة محاسبة محاكمة أو لو ان المؤمنين به رأوه مثل هذه الرؤية ؟

لقد كان من الممكن أو المفروض ان يكون ضعف الانسان العربي وقبحه صامتين أو هامسين ولكن الطبيعة لم ترد له ذلك . لهذا خلقت فيه الانبياء والزعماء والثوار والكتاب الا عرضا وتفسيرا صادقا لهم وحكما عليهم ، ولن يكونوا اصغر أو اكبر منها . ان الكذب مهما كانت حوافره وصيغه لن يكون الا تفسيرا صادقا لاعماق الكاذب وقراءة لمواهبه ومستوياته . . .

ان اسلوب الانسان في الكذب أو في الخداع والمبالغة لن يكون الا تعبيراً عنه ، عن ذكائه وغبائه وعن قوته وضعفه وعن مستويات ضميره واخلاقه وتجاربه ونياته وثقافته وظروفه المختلفة . ان اسلوب الانسان في كذبه لن يكون اصغر منه أو غيره كما ان اسلوبه في الصدق لن يكون اكبر منه أو غيره . . .

ان اي انسان لن يكذب أو يخضع أو يزور أو يبالح بذكاء أو اخلاق أو ضمائر الاخرين أو بقوتهم وضعفهم أو بأي شيء من مستوياتهم أو معانيهم ، ولكنه يفعل ذلك بمعانيه ومستوياته هو . ان كل انسان لا بد أن يكذب اذا كذب بلغته هو لا بلغة الاخرين مهما تعلم لغته من الاخرين وتكلم لغة الاخرين . . .

اذن فكذب الانسان وتهاويله واوهامه تعبير عنه بقدر ما صدقه وانزانه وحقائقه وروقاره تعبير عنه . . . بقدر ما ارتجاف عضلاته تعبير عن عضلاته وعنه هو لا عن عضلات الاخرين ولا عن الاخرين . . .

انه يصدق بموهبته ونيته بقدر ما يكذب بنفس هذه الموهبة وهذه النية . ان الناس ليتفاوتون في اساليبهم اذا كذبوا بقدر ما يتفاوتون في ذكائهم وثقافتهم واخلاقتهم وتحضرهم وفي مواهبهم وخصائصهم الاخرى .

ان الانسان ليقرا ويفهم بكذبه بقدر ما يقرا ويفهم بصدقه ولكن القارئ الفاهم له او المحاولين ذلك قد يختلفون او لا بد ان يختلفوا في قراءتهم وفهمهم له . بل ان كذب الانسان قد يكون دالا عليه ومفسرا له اكثر من صدقه لان الكذب قد يكون مدبرا ومخططا اكثر من الصدق الذي يكون استجابة بدهية احيانا . اذن فلغة الانسان تفسره بكل الصدق مهما كانت كاذبة النية والدلالة اللفظية . .

نعم ، اللغات ليست شيئا غير من يتكلمونها قد جاءوا أصواتا منطوقة ومسموعة ومكتوبة ومقروءة . ان اية لغة لن تكون اكبر أو أذكى أو أعظم من متكلميها ومن أهلها وان أهلها ومتكلميها لن يكونوا أكبر أو أذكى أو أعظم منها . ولكن قد يتكلم الصغير لغة كبيرة والعكس يحدث .

اذن لا بد ان تختلف وتتفاوت جدا حظوظ اللغات . ان تكون لغات ذات مجد وكرامة عظيمين جدا أو متواضعين ، وان تكون لغات أخرى بلا اي مجد أو كرامة ، بالمستوى أو بالواقع الذي يكون به قوم ذوي مجد وكرامة ، وقوم بلا اي مجد أو كرامة ، أو ذوي مجد وكرامة صغيرين ناهلين جدا حتى ليصعب الاعتراف بهما أو رؤيتهما أو التحدث عنهما أو حتى الإشارة اليهما . ان الامجاد والكرامات لتصاب بالنحول والضالة اكثر مما تصاب الابدان ولكن الناس لا يشكون ولا يئنون من نحول وضالة كراماتهم وامجادهم مثلما يفعلون من اجل ابدانهم . .

اذن لا بد من الاشفاق على كثير من اللغات ومن الرثاء لها لان أهلها أو متكلميها لا بد ان يهينوها ويذلوها وان يجعلوها بلا أي تاريخ من المجد أو الكرامة أو الشرف أو الذكاء أو التهذيب أو الحكمة أو العقل أو الوقار ، لانهم لا يملكون شيئا من ذلك . بل انهم بمستوياتهم الحزينة البائسة لا بد ان يتحولوا الى فضح شامل لها اي للغاتهم أو للغات التي يتكلمونها ، ولا بد ان يحولوها الى نقيض وقح دميم لهذه المزايا أو للغات التي تملك هذه المزايا . .

وهنا لا بد ان نركع ونخشع ونصمت صمتا رهيبا مرتجفا . لا بد ان نقاسي هنا احتراما لمقاساة اللغة العربية . . آه . ارتجفي ايتها النجوم احتراما ومجاملة للمقاساة التي لا بد ان تقاسيها اللغة العربية هنا . نعم ، ليحزن ويبك هنا كل ضمير واحساس كريم وليكن حزنه وبكاؤه بعض ما يجب على اللغة العربية من حزن وبكاء . انها حينما تسمع هذا التقسيم للغات ولحظوظها الجيدة والرديئة ، وحينما تفكر في هذا التقسيم وفي دلالاته وعواقبه المخيفة الاحتمالات والتفسيرات ، لا بد ان تقاسي اي اللغة العربية كل المقاساة خوفا من المكان الذي قد يضعها أو لا بد ان يضعها فيه

هذا التقسيم . ان الحديث عن حظوظ اللغات من المجد والكرامة وعن تفاوت هذه الحظوظ لا بد ان يصنع باللغة العربية كل الكآبة والقنوط ..

اذن اصدق اعتذارنا اليك ، كل اعتذارنا اليك ايتها اللغة العربية المسكينة . لك منا كل الرثاء والعزاء والمجاملة . ان حديثنا عن تفاوت حظوظ اللغات لا بد ان يصنع لك اقصى الاحزان واقسى احاسيس المثلة . لهذا لا بد من ان نعتذر اليك بكل الصديق والخشوع .

اننا لم نرد او نشته ان نؤذيك او نقسو عليك . لقد آذاك وقسا عليك من استفرغوا عليك وفيك كل ضعفهم وصغارهم وصغائرهم وتشوهاتهم الشاملة .

انك لست صانعة تشوهاتك وذنوبك . انها ذنوب وتشوهات مسقطه مستفرغة عليك .. انهم اهلك ومتكلموك . انهم زعماؤك وقادتك وانبياؤك ومعلموك ومفكروك وشعراؤك وكتابك الناطقون بك هم الذين استفرغوا عليك كل عارك وجعلوا الصهيل النزق المغرور الكاذب العاجز المتوقح البليد الشاتم المخاصم كل مجدك وكرامتك وكل تاريخك العظيم الخالد ..

لقد وهبوك كل مجد الصهيل والغرور والادعاء والتناول والكذب ان كان هذا أو شيء منه مجدا .. هل يرضيك او يسرك او يمجدك ان يكون هذا هو كل مجدك ؟

ان مجد اية لغة بل ومجد أي شيء لن يكون الا مجدا علميا أو فكريا أو عقليا منطقيا أو مجدا اخلاقيا نفسيا انسانيا تهنيبيا أو فنيا شعريا أو غيره ، اي بأن تكون اي اللغة قد صبت وتجمعت وتوالدت فيها ثم فاضت وتحفقت منها على الآخرين وعلى ما حولها مواهب وطاقات علمية وعقلية ومنطقية ، وايضا اخلاقية ونفسية وتهنيبية وانسانية ، وايضا مواهب وطاقات فنية وشعرية وغيرها ، لتحفر نفسها في جسد التاريخ وعينييه وضميره واخلاقه وذاكرته ، لتكون فيه خلودا وقوة ومجدا وجمالا . ان مجد اية لغة لن يكون الا نكاء أو حبا أو صدقا أو جمالا نفسيا أو فكريا أو فنيا أو اخلاقيا أو ابداعا وقوة تصوغ الحياة والتاريخ وتقرؤهما وتفسرهما ..

اذن رفقا باللغة العربية . لا تقرؤوها لتجدوا فيها شيئا من ذلك أو لتطالبوها بشيء منه . لا تفعلوا ذلك لئلا تقتلوهما أو تعذبوهما احراجا وتعجيزا .

لا تطالبوا اللغة العربية بشيء من ذلك لئلا تعروا اقصى القساة أو اعذب العابثين . ان اصحاء اللغة العربية هم الذين يغفرون لها وليسوا الذين يطالبونها بالجد أو يبحثون فيها عن المجد أو يدعون لها اي مجد أو يتحدثون امامها عن اي مجد ..

من هم العلماء والمفكرون العرب الذين صنعوا للغة العربية مجدا علميا أو فكريا ، ومتى وجدوا واين وجدوا أي أو مجدا عقليا أو منطقيا ؟ نزق مثير أو غفلة مثيره أن نتساءل : اين هم أو من هم الذين صنعوا للغة العربية مجدها المنطقي أو العقلي أو الفكري أو العلمي . انه تساؤل محزن في سذاجته ..

هل يستطيع التاريخ في أي طور من أطواره أن يستعمل هذا التعبير ، أي أن يقول : « هذا علم عربي أو تفكير عربي » ؟ هل جرؤ التاريخ على أن يطبق بهذا مهما تسامح في استعمالاته اللغوية ؟ أما العقل والمنطق العربيان فينبغي ألا يتحدث عنهما أو يفسرهما إلا مواقف وتحركات وخطب زعماء وقادة وحكام ومعلمي العروبة . بل هل جاءت في اللغة العربية كلمات : « علم أو علماء أو فكر أو مفكرون » مراداً بها معانيها عند المتحضرين الذين ولحوا العلماء والمفكرين أو الذين ولدهم العلماء والمفكرون ؟ هل استعملت اللغة العربية في أي عصر من عصورها كلمة « تفكير » أو « مفكر » إلا تعريباً وتقليداً بلا وعي أو ذكاء أو قصد صادق وبلا احترام أو التزام لعملية التعريب والتقليد ؟

أما استعمالات اللغة العربية لكلمة عقل ومنطق فلا بد أن تهتف : لكما كل المجد أيها العار والتفاهة . أن أية لغة تنطق بكلمة « التفكير أو المنطق العربي » لا بد أن تكون ساخرة أو منافقة أو رائية أو بائسة ..

أما كلمتا « علم وعلماء » فلم يكن يعنى بهما في كل التاريخ العربي القريب والبعيد إلا العلم بالآله وبصفاته وباعداده للجنة والنار وبتقسيمه للناس ليكون أقلهم جداً من أهل الجنة ، وليكون أكثرهم بل ليكونوا كلهم إلا أقلهم جداً من أهل النار .. والا العلم بأنه أي الآله مخادع وماكر بل بأنه ألدع وأمر الخادعين الماكرين ، وبأنه خالق وقاتل ، وبأنه يعطي ويمنع ويضرب ويصافح ويحب ويبغض ويبكي ويضحك بلا حساب ، وبأنه إناني أكثر من كل الأطفال والنساء ومن كل الطفلة المصابين باقبح أساليب الانانية ، وبأنه فعال لما يريد لا لما ينبغي أو يطلب أو يعقل أو يجمل أو ينفع ، أي بأنه يفعل بالمشيئة والقدر والشهوة لا بالمنطق أو العدل أو التخطيط أو التفكير ، وبأنه يفرق بكل القسوة والشمول والنزق بين الناس والكائنات والأشياء بلا هدف أو حكمة أو منطق مفهوم أو غير مفهوم ، بل لأنه يريد بهذا التفريق المهين الوقح المتوحش أن يرضى عن نفسه وعن فنه الهمجي وقدرته الحمقاء .. أنه يمتدح نفسه بكونه يعطي هذا بكلتا يديه ويضرب بكلتا يديه . أن العلم بهذا علم عربي ..

والا العلم بأنه لا علم إلا علمه هو أي علم الآله والا العلم به وبأخلاقه وشهوته ونزواته هذه ، أو بأنه لا علم إلا علم أنبيائه وعلم كتبه المقدسة وعلم أهله وعباده المؤمنين الصادقين المخلصين المصطفين أي العرب والمسلمين وحدهم دون كل العالمين .. أجل ، أن من أعظم علوم العرب واستعمالهم لكلمة علم : أن يعلموا أنه لا علم إلا علمهم لكونهم عرباً ولكونهم مسلمين ..

كذلك لم يكن يعنى بهما أي بكلمتي علم وعلماء في كل التاريخ العربي القريب والبعيد إلا العلم بالدين والحديث والتفسير والتاريخ العربي واللغة العربية وبقواعدها وبعلم الكلام وبالتدليل على وجود الآله وعلى عدد صفاته وعلى أنه هو وحده الموحد

والوجود والحق والصدق والفعل والفاعل ، وعلى انه لا اهتمامات له اي لئله او هموم او مسرات او فعل او تفكير او رغبة او امنية او حتى وظيفة غير ان يتخاطب مع العرب والمسلمين ، وان ينظر اليهم وينتظر منهم وينتظرهم ، وان يفكر فيهم ويرحب بهم ويبتسم لهم ، وان يؤلف لهم اجمل وارضخ الوعود والهدايا ، وينشد لهم وفيهم ومن اجلهم اروع واعذب الاناشيد ، وان يحميهم بحراسة مشددة من كل الاعداء والابالسة والاطار ، وان يقرأ عليهم ولهم كل مسراته واحزانه واوصافه . وهل لئله مجد او سرور او عمل غير ان يقرأ اوصافه على العرب وان يفسر نفسه لهم ؟

والا العلم بغزواتهم اي غزوات العرب والمسلمين وبفتوحاتهم وبقهرهم لكل العالم وباستيلائهم على كل بلاد الناس وعلى كل بيوتهم واموالهم ورقابهم وكراماتهم وحياتهم وباسترقاقهم لكل اطفالهم ونسائهم ورجالهم وبهدمهم والغنائم لكل اديانهم وتاريخهم ولكل آدابهم ومعارفهم وحضاراتهم وقيمهم وامجادهم ، وبأنهم اي العرب والمسلمين لا بد ان يظلوا هم قادة وحكام ومعلمي وانبياء كل العالم والكون ما بقيت ومضة واحدة في جسد هذه الشمس او خفقة واحدة في طاقة وهمة اي اعصار في هذا الوجود ، بل ما بقيت في عيني الاله قدرة على ان تريا ، او في قلبه قدرة على ان يحب ويكره ، او في اخلاقه قدرة على ان تختار وترفض ، او في عقله قدرة على ان يفهم ويميز ، او في ضميره أشواق الى ان يحابي ويعشق . نعم ، وهل قبل الله ان يكون موجودا أو الها الا لكي يجعل العرب هم سادة وقادة وانبياء وعلماء وحكماء كل العالم في كل الازل والابد ؟

اما كلمتا علم وعلماء في هذا العصر فان العرب لا يعنون بهما الا قراءة وتفسير أو تمنى ما قاله وفعله الآخرون والا الحديث عنه أو التناول عليه والافساد له باستيراد أو استعارة أو استيهاب بعض عطايا ومنجزاته مشوهة مهانة محقرة معتدى عليها ، والا الزعم بأنه اي علم الآخرين ليس الا مسروقا من قبور وقصور ومعابد العرب والمسلمين ومن نبواتهم وكتبهم المقدسة بل ومن وحي شعرائهم والهام متصوفتهم . . انك لعالم في فهم العرب للعلم وفي تفسيرهم له اذا علمت انه لا علم الا ما اخذ من قبور وقصور ومعابد العرب .

وايضا فان العرب لا يعنون بكلمتي علم وعلماء في العصر الحديث الا العجز عن قراءة وفهم ما علمه وقاله وفعله أولئك الآخرون . نعم ، حتى قراءة علم الآخرين اعظم علماء العرب عاجزون عنها . .

اما القدرة على قراءة وتفسير علم أولئك الآخرين فهذا مستوى علمي اذا استطاع العرب ادعاءه فلا بد ان يجعلهم يجروون على الادعاء بانهم هم الذين علموا الشمس كينوناتها . . اجل ، وهل جاءت الشمس وجاءت كما جاءت الا لكي يروها ويروا بها ويحيوها ويحيروا بها ؟ . . .

ان علماء العرب قد يعنون بالعلم في احاديثهم عنه في هذا العصر المعجز عن قراءته والخوف من قراءته لانه كائن غريب عنهم ومخالف لهم ومتفوق عليهم مرهق لهم في جميع مزاياه وشروطه ومستوياته • قد يكون اكتشافهم لردائل العلم ولاخطاره على الدين والاخلاق بل وعلى العقل والصحة والذكاء هو اعلى مستويات العلم عند علماء العرب ••

قد تكون اعظم قفزات علماء العرب العلمية ان يفسقوا العلم ويخونوه ويكفروه ويتهمونه بالخروج على تقوى واخلاق العروبة الاصيلة والاسلام • وهذا الاتهام قد تراه موهبتهم العلمية افسى اساليب الهجاء • اليس العلم بذنوب العلم هو كل العلم واعلى مستويات العلم عند العرب ؟ هل اخرجت اقلامهم من الكتب مثل الكتب التي تحذر من ذنوب واضرار العلم اي العلم المادي كما يسمونه تحقيرا له ؟

أما المجد الاخلاقي أو النفسي أو التهذيبي أو الانساني أو الشعري أو الفني بكل معانيه أو ببعض معانيه فمن هم هؤلاء الذين يمكن الادعاء بانهم قد وهبوه اللغة العربية أو وهبوها شيئا منه ؟ هل وجد هؤلاء ، واين وجدوا ، ومتى وجدوا ؟ ما اوصافهم واسماؤهم وازياؤهم ؟ الى اي قطعان المجتمع ينتمي هؤلاء ؟

هل هم الانبياء ام الزعماء ام القادة ام الحكام ام الكتاب ام المفكرون ام الوعاظ ؟ هل هم خاصة العرب ام عامتهم او خاصتهم وعامتهم ؟

اي هؤلاء يمكن الزعم بانهم قد وهبوا اللغة العربية اي مجد اخلاقي أو نفسي أو تهذيبي أو انساني أو فني أو شعري ؟

بل اي هؤلاء لا يستطيع اتهامه بل الشهادة له بل الثناء عليه بالزعم له بان جميع ما كان يفعله ويستطيعه ويريده ويتمناه ان يستفرغ على اللغة العربية كل ألوان القبح والقبح والعار والسفه والنذالة النفسية والاخلاقية واللغوية ؟ ألم يكن هذا الاستفراغ هو كل مجد وعطايا وبطولات ومواهب وتقوى جميع الانبياء والزعماء والقادة والشعراء والمفكرين والمعلمين العرب في جميع العصور ؟

ان اي قوم لم يستفرغوا على لغتهم مثلما استفرغ هؤلاء على لغتهم العربية او اقبح مما استفرغوا عليها •

ان اية لغة لم يبصق عليها وفيها وبها اردا الاخلاق والنيات والاداب والفنون والنفوس والكلمات الفاحشة العفنة مثلما بصق على اللغة العربية وبصق فيها وبصق بها - مثلما بصقت عليها وفيها وبها كل ذلك كتب العرب المقدسة ونبواتهم واكبر معلمهم وزعمائهم وقادتهم ومفكرهم وشعرائهم وكتابهم حتى كتب العرب المقدسة ، لقد جاءت لتبصق على الاخلاق والتهذيب والحب والذكاء والحضارة بحجة التعليم للاخلاق والتهذيب والحب والذكاء والحضارة • وهل جاء اي اله أو نبي عربي الا ليعلم كل الذنوب الفكرية والنفسية والاخلاقية واللغوية باسم التعليم لنقيض هذه الذنوب ؟

ان هؤلاء هم المتقيئون العظام على اللغة العربية كل أحوالها الاخلاقية والنفسية والفكرية والفنية والشعرية والدينية والمذهبية والتعليمية . اي ان هؤلاء هم الذين تقيأوا على اللغة العربية كل هذه العفونات المزعومة اخلاقا وفتونا وافكارا ودينا وعقائد وتعاليم وشعرا وتقوى ونبوات ووحيا ومحبة انسانية وهداية الى السماء ودلالة عليها اي على السماء وعلى اخلاقها ومجدها ، او تقيأوا باسم ذلك وبزعم الانتصار والغضب والحب له ..

بائسة انت ايتها اللغة العربية .. هل يستطيع كل ما في هذا الكون من بحار وانهار وسحاب ودموع وصلوات ان يفسل عنك بعض هذا العار المتراكم ؟ هل يستطيع كل مجد الحضارة ان يستر شيئا من عارك لو تحول الى غطاء لمارك ؟ او ان يصوغ لك اي مجد بعد تراكم عارك هذا لو تحول اي كل مجد الحضارة الى محاب رات لفحك كل مجد ؟

هل يستطيع اي شيء بعد هذا التاريخ الطويل الميهن الاليم ان يهبك شيئا من المجد او الكرامة او الجمال او النظافة ؟ هل يستطيع كل اساليب وعمليات التجميل والتنظيف ان تهبك شيئا من الجمال او النظافة او ان تستر شيئا من القبح او التلويث المتراكم على وجهك ؟

هل تستطيع اية قوة او معجزة خارقة ان تسحب منك ايتها اللغة العربية البائسة كل ما تقاياته عليك كتبك المقدسة ونبواتها ، وما تقاياه عليك كل قادتك وزعمائك وثوارك ومفكريك ومعلميك وفنانيك وشعرائك وجميع اصناف كتابك ؟ هل يستطيع جميع المطهرات والمنظفات العلمية التي ابتكرتها جميع العصور الحضارية ان تشفيك او تطهرك من العفونات التي لطحك بها عباقرتك العظام ؟

اذن يا لغتنا الحزينة المسكينة ، هل كان لك اي مجد او كرامة في اي عصر من عصورك ؟ اقرئي وراجعي كل تاريخك في جميع عصورك ، كل تاريخك الذي صنعه لك جميع عباقرتك العظام ، وانظري هل تجددين فيه اية علامة من علامات المجد او الكرامة ؟

اي نبي من انبيائك ، او قائد او زعيم او مفكر او شاعر او كاتب من قادتك وزعمائك ومفكريك وشعرائك وكتابتك قد وهبك اي قدر او شيء من ذلك باي اسلوب من الاساليب ؟

نعم ، راجعي وحاسبي كل مخدراتك وموروثاتك ومساراتك يا لغتنا العربية الحزينة المسكينة ؟ فكري .. اي واحد من هؤلاء لم يصبح لك وفيك وبك وعليك عارا وتشوها وسبابا ونذالة وغباة وقيئا نفسيا وفكريا واخلاقيا بل ولغويا صوتيا ؟ ان اردا ما في قضيتك ايتها اللغة العربية ان اعظم واقوى عباقرتك هو اكثر من يلوثك ويعتدى عليك .. !!

آه يا لغتنا العربية الحزينة المسكينة ، هل وجد مكان أو هل يمكن تصور مكان
قد تجمع فيه من العفن مثل الذي تجمع فيك ؟
بل هل يمكن تصور أي عفن لم ينصب ويتجمع فيك ؟ إذن لتوهبي أو تعاري كل
ما في الناس والكون والكائنات من أحزان ودموع لتذرفيها على شرفك ومجسك
المفقودين .

يا لغتنا العربية الحزينة المسكينة ، هل يستطيع التاريخ أن يتصور أو يتذكر أو
يبتكر مستفرغا للعفونات والقبح يتفوق عليك أو يساويك ؟
هل يمكن تصور عفن في ضخامة ووقاحة العفن الذي يتجمع في مكان يستفرغ
فيه كل أنبياء العروبة وكل قادتها وزعمائها ومعلميها ومفكراتها وشعرائها وفنانيها
وكتابها ووعاظها وعبادها في جميع عصورها وعصورهم ؟ هل تستطيع الطبيعة كل
الطبيعة أن تستفرغ كل ما يستطيع هؤلاء أن يستفرغوه من العار والنذالات ؟
آه إذن يا لغتنا العربية الحزينة المسكينة !!

يقول فارس الصهيل العربي .. المتنبي كاشفا عن هذه الموهبة الاستفراغية العربية:
لقد وجدت مكان القول ذا سعة فإن وجدت لسانا قائلا فقل
إن المطلوب أن يوجد اللسان القادر على الاستفراغ . أما نوع الاستفراغ واسلوبه
فليس قضية !! هكذا يقول شاعر العرب وفاضلهم الأكبر المتنبي . ومكان القول
هو الموهبة العربية المتسعة لكل الاستفراغ عليها ومنها .

هل اللغة منطق

سأعني بما سوف اكتبه في الصفحات التالية اللغة العربية وحدها .. ولست أريد ان أنفي او اثبت هنا شيئاً عن اللغات الأخرى مما نفيت عن اللغة العربية أو اثبتت لها . اني محروم من كل العلاقات باللغات الأخرى . وانا لا لجيد القتال أو الخصومة ولا أقسو فيهما الا حينما اقاتل وأخاصم نفسي ..

هل وضعت اللغة العربية أو وضعت قواعدها واستعمالاتها بمنطق أو بحساب ؟ اي هل جاءت بأسلوب أو بصيغة لا يمكن ان تجيء بغيره أو بغيرها ، أو لو جاءت بغيرهما اي بغير الصيغة والأسلوب اللذين جاءت بهما لكانت خارجة على المنطق وعلى الحساب المقدر المحدد بنظام ، أو لكانت متحدية ومفارقة للذكاء والجمال والشاعرية أو لاي شيء من الاحتياجات والخصائص الفنية ، أو لرفض الاله التحدث بها ؟ هل جاءت اللغة اي العربية كما جاءت لانه لا يمكن بل ولا يقبل أو يغفر ان تجيء بأسلوب آخر ؟

يقول اقوام لهذا التساؤل : نعم ، ويذهبون ببالفنون جدا في ايمانهم هذا . انهم يرونها اي يرون اللغة العربية لغة فنانة وشاعرة ومنطقية في جميع تركيباتها وقواعدها وحركاتها . انهم يجدونها كل الجمال الممكن والمستطاع والمطلوب والمعروف والمراد . انهم يجدون فيها كل الكمال الذي يجدونه في اخلاق الاله ومنطقه حينما يصنع العامة الرهيبة في الوجه الجميل البريء !!

انهم يرون انها قد جاءت في احسن واذكى تقويم كما خلق الانسان كذلك اي في احسن تقويم كما يقول المؤمنون وكتابهم المقدس اي ان خيال الاله لا يستطيع ان يتصور للانسان صيغة افضل ..

لقد جاءت اي في زعمهم بالمنطق وبالتركيب اللذين لو جاءت بغيرهما لكانت خروجاً على كل منطق وتركيب صحيح ، كما جاء اي في زعمهم ايضاً الكون والانسان وكل شيء . انها لو جاءت غير ما جاءت لما نزلت النبوات والكتب المقدسة العربية بها .. ان الاله اي العربي لا بد ان يرفض حينئذ التكلم بها . هل يتكلم الاله

العربي بلغة ليست مطلقة الكمال ؟

لقد جاء الكون والانسان وكل شيء بكل الشروط المنطقية والاخلاقية والفنية ، بل بكل طاقة وحسابات المنطق والاخلاق والفنون . وهكذا جاءت اللغة العربية لقد وضع الله في اللغة العربية كل الشروط الجمالية والفنية والمنطقية التي يعرفها ويستطيعها ويحبها ..

لقد جاءت اي اللغة العربية اي في زعمهم كما يجيء اي جهاز او بناء او عمل يتصوره ويريد ويخططه ويخرجه متصور مريد مخطط مخرج كامل في تصوراته وارادته وتخطيطه واخراجه وتفكيره واخلاقه وفي جميع معانيه وقدراته . انهم لا يستطيعون ان يتصوروا انه قد يوجد اي جمال او كمال او منطق او اية صيغة شاعرية او فنية خارج اللغة العربية ..

ولكن كيف ذلك ؟ الا تفسرون ؟

نعم .. مثلا ، الجمل سمي جملا والحمار حمارا والذباب ذبابا والصرصار صرصارا والانسان انسانا والرجل رجلا والمرأة امرأة والسماء سماء والارض ارضا والاله اله والشيطان شيطانا والملك ملاكا والايمان ايمانا والكفر كفرا ، وهكذا كل اسماء الاجناس والاشياء . ليست اسماء هذه المسميات موضوعة ومقروءة في تكوينها مثل احجامها وطعومها والوانها ؟

هل يمكن ان تتبادل هذه المسميات الاسماء ، اي ان يسمى الجمل حمارا والحمار جملا ، ويسمى الاله شيطانا والشيطان اله او ملاكا وتسمى السماء ارضا والارض سماء والرجل امرأة والمرأة رجلا ، وهكذا ؟ ليست استحالة تبادل هذه الاسماء مثل استحالة تبادل صفات واخلاق وخصائص وتفسير هذه المسميات ؟

ليست الاخلاقية والعقلانية والمنطقية والشاعرية والفنية والغنائية بل والتقوى الدينية والمذهبية ترفض بل وتمنع هذا التبادل كما ترفض وتمنع ان يخلق او يجيء اي شيء من هذه المسميات بغير الصيغة التي خلق او جاء بها ، لا اكبر ولا اصغر ، لا اجمل ولا اقبح ، او ان يجيء الاله اكثر رحمة او شهامة او منطقا او تواضعا او حبا او عدلا او شاعرية او رثاء للمحزونين والمعذبين والمقهورين ، او استماعا الى الباكين والمتأوهين والآنين ، او استجابة للداعين المتلهفين المستغيثين ، او تقبلا ممن يصلون ويتضرعون ويؤملون ، اكثر مما جاء - او ان تجيء الصلوات او اية عبادة من العبادات بغير الصيغة او الاعداد التي جاءت بها او في غير الاوقات والاماكن التي تؤدي فيها ؟ نعم ، هل يستطيع الاله ان يكون خيرا مما كان ؟

ان كان يستطيع فلماذا لم يكن ؟ وان لم يكن يستطيع فوا أسفاه عليه !

ليست عوامل النصب والجزم والجر والرفع وعلاماتها قد جاءت بكل المنطق والذكاء والشاعرية والفنية والحتمية والجمال بحيث يستحيل ان تجيء غير ما جاءت او تكون اكثر جمالا او ذكاء او شاعرية او منطقية او فنية لو انها جاءت غير ما جاءت ، بل او ان يكون فيها اي ذكاء او جمال او منطق او فن او شعر لو انها جاءت

غير ما جاءت ؟ أليس مجيء الاله اكثر رحمة او حبا او عدلا او رؤية او ذكاء او حياء او تهذيبا يساوي في خروجه على كل النماذج الجمالية والمنطقية والاخلاقية ان تجيء هذه العوامل غير ما جاءت ؟

« ان » وأخواتها تنصب الاسم وترفع الخبر ، و « كان » وأخواتها تفعل العكس ، فهل يمكن ان تتبادلا العمل ؟ هل يستطيع ذلك ، او هل يمكن ان تاذن به فنون او شروط الجمال او الذكاء والمنطق او الشعر او اي فن من الفنون ؟ ليست كل منهما صارت تعمل بالهام الجمال والفن والشعر والمنطق والذكاء والواجب والمحتم لا بالصدفة او القدر او الفوضى ؟

او هل يمكن او يقبل ان تجيء عوامل الجزم او الرفع او النصب او الجر ، او ان تجيء المجزومات او المرفوعات او المنصوبات او المجزورات غير ما جاءت ؟ ما الذي جعل ذلك يجيء كما جاء لو كان يمكن او ينبغي ان يجيء غير ما جاء ؟ أليس مجيء اي شيء من ذلك غير ما جاء يساوي امكانا ومنطقا واخلاقا وفنا وجمالا وحضارة وتقوفا ان يجيء الاله او الكون او الانسان او اي شيء بصيغته او ذكائه او اخلاقه او جماله او بأي معنى من معانيه غير ما جاء ؟ كيف وجب الزعم بان صيغة ذات الاله او الكون او الانسان او اي شيء قد جاءت كملا مطلقا وابديا ثم لا يجب ان يزعم مثل هذا الزعم عن جميع صيغ وعوامل واسماء اللغة العربية ؟ أليس مجيء اي شيء من ذلك غير ما جاء او نقيض ما جاء ، اي لو حدث ذلك يساوي ان يجيء ذكاء الانسان العربي او تاريخه او حضارته او زيه او منازل وبيوته وخيامه او رماحه وسيوفه او اية موهبة من مواهبه العقلية او النفسية او الاخلاقية او الحضارية او القتالية ، بصيغة او باسلوب اخر ، اقوى او اذكى ؟ ليست قوانين الامكان وشروط العبقرية والحضارة والتفوق والابداع واختيار الافضل والاقوى دائما تمنع وترفض ان يجيء اي شيء من ذلك في الانسان العربي ومنه وله غير ما جاء ؟ أليس الانسان العربي قد جاء بكل احتمالات القدرة والذكاء والجمال والعبقرية التي يستطيع ان يجيء بها ؟

انه لا يمكن ان تجيء اجمل او اذكى او أعظم مما جاءت الا اذا كان ممكنا ان يجيء الذباب او الصرصار او البرغوث غير ما جاء ، او ان يجيء اذكى او اعظم أو اكبر او انظف أو اقوى أو أكثر شموخا وكبرياء وكرامة وشهامة مما جاء . . هل يمكن الزعم بان صيغة الذباب اكثر جمالا او ذكاء او شاعرية من صيغة اللغة العربية ؟ وهل يمكن الا تكون صيغة الذباب هي كل الجمال والذكاء والفن وقد صاغها منطق الاله واخلاقه ؟

هكذا يرى ويقول كهان اللغة العربية ، المنصبون لانفسهم قياصرة على السوق باسمها اي باسم اللغة العربية وباسم الاكتشاف والرؤية والتمجيد لمجدها . . انهم يرونها او هكذا يزعمون ، كملا وجمالا مطلقيين . انهم يرونها او يزعمونها كل الممكن والمستطاع . انهم يرون فيها من الاعجاز والكمال المطلقيين في جميع معاني

وتفاسير الاعجاز والكمال بل والامكان والمستطاع مثلما يرون في القرآن ..

ايهما المعلم للاخر : القرآن ام اللغة العربية ؟ ليست اللغة العربية هي التي علمت القرآن كل فنونه وعبقرياته ؟ هل كان للقرآن معلم غير اللغة العربية ؟ اليس الله قد صاغ كل فنونه البلاغية والجمالية في قرآنه اخذا عن اللغة العربية واحتذاء بها ؟ اليسوا يرون ويقولون او يقولون فقط : ان كل آية وصياغة ولفظة ومدة ووقف في القرآن هي كل الاعجاز والكمال بل وكل الممكن والمستطاع ، وان اي تغيير لاي شيء من ذلك اي في القرآن لن يكون الا خروجا على كل الاعجاز والجمال والمنطق والممكن والمستطاع ؟ حتى الاله الذي هو قائله ومنزله لا يستطيع ان يبجل اي شيء فيه اي في القرآن لانه قد قاله وانزله بعد ان وضع فيه كل الاعجاز والجمال والمنطق والشاعرية والفنية بل وكل الممكن والمستطاع ، بعد ان وضع فيه كل معانيه ومزاياه . اليس محتوما ان الله قد وضع في القرآن كل معانيه ومزاياه ؟

وهل يستطيع او يريد الاله ان يخرج على اي شيء من المنطق او الجمال او الاعجاز او الشاعرية والفنية او على كل الممكن والمستطاع ، او ان يفعل ذلك ؟ .. ولا بد من التذكر هنا ان عبقرية القرآن ليست الا اخذا عن عبقرية اللغة العربية وتقليدا لها .

نعم ، اليس الله كمالا مطلقا ؟ وهل يستطيع او يريد الكامل كمالا مطلقا ان يفعل غير الكمال المطلق ؟ وقد فعل الله القرآن . اذن لا بد ان يكون اي القرآن كمالا مطلقا . اذن فان اي تغيير ولو خطأ في اي حرف من حروف القرآن فليس الا عدوانا على ذات الاله وفسادا لها .

اذن فالله لا يريد ولا يستطيع ان يغير اية آية أو لفظة أو صياغة في القرآن لانه لو فعل ذلك لكان خارجا على الجمال والكمال المطلقين ، بل لكان مشوها لذاته معتديا على كمالها بل منكرا لكمالها وجمالها ، بل لكان فاعلا المستحيل وغير الممكن - لكان فاعلا القبح والسفاهة والبلادة والرداءة . ان تغيير اية لفظة أو حرف في القرآن ليساوي في خروجه على منطق الاله وكماله وتدبيره سحب الشمس من قيادة الكون الذي نوجد ونعيش فيه ..

ان كهان اللغة العربية هؤلاء ، المنصبين انفسهم قياصرة فوق غفلة وسذاجة الانسان العربي بحجة التمجيد لها اي اللغة العربية وبحجة الاكتشاف والرؤية لاعجازها ولعبقرياتها ليرونها ويفسرونها بالمنطق والافتناع والاسلوب الذي يرى ويفسر به الرعايا ومعلمو الايمان ، الاعجاز الجمالي والمنطقي والفني والاخلاقي والانساني والالهي في الصيغة العبقرية التي خلق بها الذباب والبرغوث والصرصار ، والتي استفرغ الله فيها اي في صيغة الذباب والبرغوث والصرصار كل ذكائه وحبه ورحمته ونظافته وجماله وكل فنونه النفسية والفكرية والاخلاقية والشاعرية .. هل يستطيع ان ينكر اي مؤمن ان الله قد استفرغ في ذات الذباب كل مواهبه الفنية والنفسية والفكرية والاخلاقية ؟ وهل يظل مؤمنا من ينكر ذلك ؟

اجل ، لقد جاءت اللغة العربية بكل الجمال والتدبير والتخطيط والمنطق والذكاء والاعجاز والعبقريّة التي جاء بها وجه الانسان العربي والتي جاءت بها صحراؤه وجباله ووديانه وجماله واغنامه وحدائه ، بل والتي جاءت بها عبقریات ومواهب وشيوخه وانبيائه وعلمائه وخطبائه .

هل يمكن الزعم او الاقتناع بان في اللغة العربية من المواهب او الفنون الجمالية او المنطقية او التخطيطية او الاعجازية أكثر مما في زعماء او انبياء او خلفاء او خطباء العرب أو في صحرائها واغنامها وحدائها من ذلك ؟؟

انه لا يمكن الزعم بان اللغة العربية جمال او ذكاء او منطق او تدبير او تخطيط او كمال ، او انها شاعرة او فنانة او ان فيها شيئا من ذلك الا اذا كان ممكنا الزعم بان شيئا من ذلك كذلك او في ذلك او في هذه او في احد من هؤلاء . ان النبوات والزعامات والخلافات والصحارى والجبال العربية هي التي وهبت اللغة العربية كل فنونها واخلاقها ونكائنها وجمالها فكيف يمكن ان تكون اي اللغة العربية اعظم من واهبيها ؟

لقد جاءت اللغة العربية منطقية كمنطقية الصحراء التي تخلقت فوقها ، او التي عاشت وتعيش فوقها . كم كانت عينا الاله فنائيتين في رؤية الجمال وفي تصويره حينما ابتكرتا جمال صحراء العرب ؟ وكم كانتا سعيدتين بالتحقيق في جمالها ؟ هل يستطيع اي زاعم مغامر مخاطر في مزاعمه ان يزعم ان في اللغة العربية من الموهبة الجمالية او المنطقية او الفنية او الغنائية او الحتمية او الاخلاقية اكثر مما في العبادة العربية ؟ اليس العبادة العربية فنا عربيا وكذا اللغة العربية ؟ فهل يمكن ان يكون العرب قد وضعوا فنهم في اللغة وحرموا منه العبادة ؟

انه لو سئلت « ان » واخواتها : لماذا جاءت تنصب الاسم وترفع الخبر ولم تجيء العكس او ترفع الاسم والخبر او تنصبهما او تجزمهما او تجرهما او لا تفعل شيئا لما وجدت جوابا افضل من جواب « كان » واخواتها لو انها سئلت : لماذا جاءت ترفع الاسم وتنصب الخبر ولم تجيء شيئا اخر ، او من جواب الصحراء العربية او من جواب العبادة العربية لو انها سئلت : لماذا لم تجيء شيئا اذكى او افضل او اكثر تحضرا ومنطقا ، او من جواب الاله لو انه سئل : لماذا جاء يصيب بالنشوة والعامات وبالامراض والشيخوخة والموت والهوان والغباء - لماذا لم يجيء اكثر حياء ووقارا وذكاء وحبا ورحمة ومروءة ونخوة وعدلا وانسانية وايثارا - لماذا لم يجيء محاسبا محاكما معاتبا لنفسه ، مقتصا منها ، محدقا في ذنوبها واخطائها ونزواتها ومطامحها اقوى واقسى واذكى مما جاء . . !!

وهل يمكن ان يوجد جواب يساوي ضعف جواب الاله وعجزه لو انه سئل سؤال محاسبة ومحاكمة : لماذا جئت ايها الاله كما جئت في كينونتك وفي كائناتك ؟ بل انه لن يجد جوابا . . الا يحتمل ان يكون الاله قد سال نفسه هذا السؤال ؟ هل يوجد مثله خمولا وغفلة ان لم يكن قد سأل ؟

اللغة لم توضع وانما جاءت بلا اي منطق او تخطيط كما جاءت وتجيء الطبيعة ، كما جاءت الجبال والسهول والصحاري والبحار والصحور ، وكما جاءت وتجيء ذات الانسان واحزانه ومسراته واحقاده واهواؤه وشهواته واساليب تلاقحه وتناسله ، وكما جاءت وتجيء اصوات وتغريدات واغاني ونقيق الحيوانات والطيور والحشرات ..

لن يكون محتملا ان تكون اللغة قد وضعت بتدبير أو تفكير الا بقدر ما هو محتمل ان خفقات القلب وارتجاف العضلات وتقاطر العبرات وتبدلات اللون والوجه حبا أو بغضا أو خوفا أو فرحا أو اعجابا أو اشمئزا أو رضا أو غضبا أو صحة أو تعباً ومرضا قد وضعت بتدبير أو تفكير .. ولكن هل جاءت اي اللغة حينما جاءت بقواعد وعوامل متحددة موقعة اي بالاستعمال لا بالتخطيط ولا بالمنطق ، اذ هي بلا تخطيط ولا منطق كما سبق ، يلتزم بها اي بالقواعد والعوامل الضابطة لحركات الكلمات الاخيرة متكلموها ، يلتزمون بها استعمالا ونطقا لا قصدا ولا فهما ؟ هل جاءت منطوقة بالاسلوب والضبط الذي تطالب به وتعلمه القواعد قبل ان توضع وتعلم القواعد ؟

اي هل كان النطق بها متحددا ومتوحدا في استعمالات الذين يتكلمونها والذين جاءت اليهم مجيئا او تفجرت فيهم تفجرا دون أن يضعوها بالتدبير او التخطيط او المنطق او القصد والفهم والارادة الواعية ؟

اي هل كان جميع اولئك الذين كانوا يتكلمون اللغة العربية يلتزمون استعمالا ونطقا بما عرف بعد ذلك بعوامل الرفع والنصب والجزم والجر وبكل القواعد والاستعمالات الاخرى التي حولت قوانين وضوابط صارمة محتومة مدروسة ملفنة ، ام كانوا يطلقون الكلمات جزافا بالاسلوب الذي به يعملون ويتحركون ويصوتون ويحبون ويبغضون ويحقدون ويشتمون ويتهمون ويصدقون ويكذبون ، وبالاسلوب الذي به يتناسلون ويؤمنون ويصلون ويدعون الاله ويرشونه ويؤملونه ويتصورونه ويخافونه ويفهمونه ، وبالاسلوب الذي يفكرون ويفهمون ويقرؤون ويفسرون ويرون ويسمعون به الاحداث والاشياء والكون ؟ هل كان في فم الانسان العربي جهاز آلي ذاتي يضبط حركات اخر الكلمات المتبدلة ضبطا آليا ذاتيا وان هذا الجهاز يتخلق في فمه دون ان يعلم او يدبر او يريد مثلما تتخلق فيه اعضاؤه والامه وتفاهاته ومجاعاته ؟

ان اجوبة كهان اللغة على هذه التساؤلات معروفة وموحدة متحددة ، ولا يمكن ان تختلف الا بقدر ما يمكن ان تختلف اجوبة انبياء العرب وفقهاء دينهم على هذا التساؤل : هل اخلاق الاله وتدبيراته وافكاره وانفعالاته هي افضل ما يستطيع او يراد ويطلب ويتصور من الاخلاق والتدبيرات والافكار والانفعالات ، او هل في خلق الحشرات والعمائم والتشوهات والأمراض مجد أو مسرة أو نكاء أو عزاء للاله او للانسان او لاي كائن اخر ، او جمال لاي عقل او عين محدقة تبحث عن الجمال

والفن والشعر في الصيغة أو في الفكرة أو القدرة أو الشهوة أو الحاجة أو الحافز أو في المعنى أو التفسير . . ان أجوبة هؤلاء الكهان على هذا التساؤل لن تختلف الا اذا كان ممكنا ان تختلف اجوبة انبياء وخلفاء وسلاطين ومعلمي العرب لو سئلوا : هل ربح أو مجد أو سرور أو راحة للاله ان يوجد وان يوجد كما وجد أو ان يوجد الكون والانسان وان يوجد كما اوجدهما ، أو ان تكون له عينان يرى بهما التشوهات والعاهات والدمامات التي ارادتها ودبرتها واخرجتها مواهبه .

ولا بد ان رأيا اخر يرى من الصعب جدا أو من غير المستطاع ان يكون اولئك الذين كانوا يتكلمون اللغة العربية بلا تعليم أو تدبير أو تفكير كانوا يلتزمون في نطقهم بتلك القواعد والعوامل اي عوامل الرفع والنصب والجر والجزم سليقة أو تقليدا متتابعا . . اي ان يكونوا بالسليقة أو التتابع أو الالهام أو الموهبة أو بأي سبب أو تفسير اخر غير التعليم والتفكير والتدبير ، يستطيعون جميعا ان يلتزموا نطقا بضبط حركات اخر الكلمات اي رفعا ونصبا وجزما وجرا مع تعدد وتداخل وتشابه العوامل المختلفة الرافعة والناصبة والجازمة والجارّة ، أو يستطيعون جميعا الالتزام اي نطقا بكل ما تقوله القواعد الصعبة الكثيرة المعلمة ، النحوية والصرفية . . هل يمكن ان تكون هذه القضية موضوعا من موضوعات العبقرية ؟ اي هل يمكن أن يتفوق فيها العبقرى على من سواه ؟

هل يستطيع اي انسان أو مجتمع بالتقليد أو التتابع أو الالهام أو الموهبة أو السليقة ان يلتزم اي استعمالا بكل ما تقوله القواعد التي وضعها وحددها وفسرها وضبطها علماء النحو والصرف بدون ان يعلمها او يفهمها أو يفكر فيها أو يمانئها أو يحصئها احصاء تعليميا ؟

هل هذا شيء يشتطع بالذكاء أو بالحماس أو بالرغبة مهما كان مستواها وقوتها ؟

وماذا يمكن أن تقول التجربة في هذه القضية لو جربت ؟
ما الذي يمكن ان يحدث لو أن انسانا وضع من يوم ولادته بين قوم يتكلمون اللغة العربية ملتزمين في نطقهم بجميع قواعدا وبجميع عوامل حركاتها التي تعلموها بالقياساة والتدبير والتفكير ؟

هل يمكن ان يستطيع هذا الانسان الالتزام في نطقه بهذه القواعد والعوامل لانه سمع وقلد واتبع دون ان يتعلم هذه القواعد والعوامل ويحصئها ويحفظها ويقاسي في احصائها وحفظها وفهمها وفي الالتزام بها ؟ هل تستطيع ان توزع اسماء على مسمياتها لانك فقط سمعت اسماء معينة لمسميات معينة بلا تحديد ؟

اذن لعل الصواب ان اولئك العرب الاوائل لم يكونوا اي في استعمالاتهم يضبطون أو يستطيعون ان يصبطوا حركات الكلمات كما تقول وتطالب لقواعد والعوامل التي وضعت بعد ذلك التاريخ . لعلمهم قد اتهموا بذلك اتهاما فصدق هذا الاتهام دون اية محاسبة أو مراجعة أو مسائلة . .

لعلها كانت فوضى كما كان كل شيء فوضى . كيف يمكن الزعم بان النطق بالكلمات وضبط حركاتها هو وحده الذي كان مضبوطا ومنظما وموحدا محددا في مجتمع كان كل ما فيه رؤية بلا عيون ، وعيونا بلا رؤية ، ونتائج ومسلّمات بلا مقدمات او محاسبة ، وطبولا بلا موسيقى أو أوزان ، وقوافي وأوزان بلا شعر أو شعراء ، وإيماننا بلا اقتناع أو حوار ، وصحارى بلا حدود أو علامات أو طرق أو ترويض ؟ لنقرأ هذا . ان الحرف الاول والثاني من كلمة رجل أو جمل أو حجر يستطيع

بلا صعوبة ضبطهما وحفظهما بالاستماع والتعويد المتكرر . ولكن الحروف الاخيرة من هذه الكلمات متغيرة لتغير العوامل المتحركة فيها . اذن لا يستطيع حفظها حفظا ولا ضبطها بالاستماع والتكرار لانها متحركة حركة سريعة ودائمة ، لهذا هي محتاجة الى التعليم والتفكير والفهم والمقاساة . انه ليتمكن حفظ الحروف الثابتة وضبط النطق بها بالتعويد والتكرار . ولكن الصعوبة او الاستحالة في ضبط وحفظ الحروف المتحركة المتغيرة بلا تعليم ومعاناة .

اذن كيف يستطيع بالسليقة او السماع او الموهبة او التعويد او التكرار او باي تفسير اخر ضبط حركات الحروف الاخيرة المتبدلة المتحركة لتبدل وتحرك العوامل المختلفة عليها ؟ ان مثل هذا الضبط ليس وظيفة سليقة او سماع او موهبة او تعويد او تكرار او ارادة او حماس ولن يكون هذه الوظيفة . . نعم ، ثم جاء صانعو القيود والاكفان ووضعوا للغة قواعدا وعوامل حركاتها المختلفة وعددوها وزعموها قد انزلت معها .

انهم انبياء اللغة وسلاطينها الذين صنعوا لها قيودها واكفانها . ولا شيء بلا انبياء او سلاطين حتى ولا اللغات ، ولا انبياء او سلاطين الا ولا بد ان يصنعوا القيود والاكفان حتى ولا انبياء اللغات وسلاطينها . . وهل يوجد من لا يريدون ان يكونوا صناع قيود واكفان . . ان يكونوا سلاطين وانبياء ؟ ان صناعة القيود والاكفان مجد وشهوة . انها اي صناعة القيود والاكفان هي كل شهوة الانبياء والسلاطين وكل مجدهم . وان شهوة ومجد صانعي القيود والاكفان في صناعتهم هذه لا في موضوع القضية التي صنعوا باسمها القيود والاكفان . . ان اي نبي او سلطان او عارض لنفسه في السوق او فوق مآذن المعابد لن يجد لوجوده تفسيراً او معنى او تاريخاً ولا لمجده مجدا ما لم يكن صانع قيود واكفان ، وما لم تتحول قيوده واكفانه الى تاريخ يعلم ويهاب ويمجد ويطاع . . ليست اكثر الامجاد التاريخية واقواها هي امجاد قيود واكفان ، واقرى التعاليم هي التي تعلم هذه الامجاد ؟

وقد زعم هؤلاء الانبياء والسلاطين ان جميع من نطقوا باللغة العربية في تلك العصور التي كانت قبلهم كانوا بسليقتهم وموهبتهم وبولادتهم محافظين على الالتزام بهذه القواعد والعوامل المختلفة المتبدلة بلا اي اختراق او خروج ، وانهم هم لم يكونوا لذلك الا معددين ومحددين ومفسرين ومعلمين لاشياء كانت موجودة . .

انهم لم يكونوا الا كتاب وحفاظ وحي وناقلي ومعلمي نبوات . انهم انبياء بالتعليم والتفسير والرواية .

انهم لم يكونوا الا انبياء وسلاطين يحفظون ويقرؤون وينقلون وحيًا ويحولونه الى شرائع وتعاليم وكتب مقدسة تعلم وتفسر ويلزمون بها ويعلنون زندقة وخيانة كل من لم يلتزموا بهذا الوحي في اقتناعهم وسلوكهم واستعمالاتهم . نعم ، ان انبياء وسلاطين اللغة العربية ليحكمون بالزندقة والخيانة على من لا يلتزمون بتعاليمهم فيها كما يحكم مفسرو الدين على من لا يؤمنون بتفاسيرهم له . . .

ان هؤلاء المعلمين المفسرين المعددين لقيود اللغة ولاكفائها او الصانعين لقيودها ولاكفائها لم يتذكروا باهتمام او بتصادم هذا السؤال :

اذا كان من المستطاع الالتزام بقواعد اللغة التي فسرتم وعددتم او التي زعمتم ووضعتم - اذا كان من المستطاع الالتزام بها بالمحاكاة والسماع والولادة فكيف اذن لم يستمر هذا الالتزام ، وكيف احتاج الى ان يصبح تعليمًا ومعاناة صعبة ، والى ان يصبح له اي لهذا الالتزام بهذه القواعد كل هؤلاء الانبياء والسلاطين والكهان والعلمين، ومع هذا يظل اي هذا الالتزام شيئًا صعبًا ومعجزًا . بل لقد كان هذا الالتزام محتومًا بالطبيعة وبالقدر ثم صار العجز عنه محتومًا بالطبيعة والقدر اي في رأي هؤلاء . فكيف حدث هذا ؟

هل فقد الانسان العربي موهبة المحاكاة والتقليد والسماع ؟ هل فقدت اذنه ان تسمع ولسانه ان يقلد ويحكي ؟ هل يحدث ان تفقد الاذان والالسنه وظائفها واخلاقتها في مجتمع باسره ؟ لقد ماتت فيه اي في الانسان العربي عبقرية التفكير والابداع والابتكار والحضارة التي كان هو والدها وواهبها الاول او نسبيها او سحبت واغتصبت منه كما اغتصبت منه يوما ما حرية بلاده ، فهل ماتت فيه ايضا او نسيت او سحبت او اغتصبت منه موهبة السماع والمحاكاة ؟

ومهما ماتت او فقدت جميع المواهب فهل يمكن ان تموت او تفقد موهبة السماع والمحاكاة ؟

نعم ان هؤلاء لم يتذكروا هذا التساؤل باهتمام او بتصادم ووعي ، لهذا زعموا ان الانسان العربي كان ، في ذلك التاريخ او في تاريخ ما ، يعرف قواعد اللغة وعوامل الاعراب المختلفة فيها ويلتزمها نطقًا بالسماع والمحاكاة ، ثم فقد القدرة على هذه المعرفة وعلى هذا الالتزام نطقًا . هل اصبحت اذناه وفمه بعامه ما قتلت فيهما وظيفتهما ام كانت فيهما موهبة فسحبت منهما او ابطلت قدرتها على العمل ؟ كيف لم يحاور زعمهم هذا ، هذا التساؤل :

اذا كان في الانسان العربي القدرة الموروثة على ان يعرب لفته وعلى ان يعرف ويلتزم قواعد وعوامل الاعراب والحركة فيها بالسماع بل وبالفتوة فكيف فقد هذه القدرة والفتوة المولودة . . . وهل القدرات او المواهب الموروثة او المولودة كما يورث ويولد اللون والاعضاء والتكوين الذاتي - نعم ، هل هذه القدرات او المواهب تفقد من

المجتمعات أو من السلالات فقدوا شاملا ويتساوى الفاقدون لها في فقدهم لها .
هل يفقد الإنسان حاسة اللمس أو الشم أو السماع بالنسيان أو الإهمال أو بالخطيئة ؟
هل يمكن أن يفقد جميع أفراد مجتمع من المجتمعات قدرتهم على أن يتعلموا
القراءة والكتابة ، أو قدرتهم على أن يبكوا ويضحكوا أو يسروا ويحزنوا ، أو قدرتهم
على أن يسقطوا ويهونوا أو على أن يكذبوا وينافقوا أو على أن يصدقوا الأكاذيب
ويحترموا الأوغاد ؟ .

أما إذا لم يكن الإنسان العربي يملك هذه القدرة أو الموهبة الاعرابية أو السماعية
الفطرية ، هذه القدرة أو الموهبة في أذنيه وفطرته فكيف إذن كان في ذلك التاريخ
يعرف ويلتزم في نطقه كل قواعد الاعراب وعوامل الحركة المتبدلة أي قبل أن يضعوا
هم قواعدهم المعقدة الصعبة بكل هذا التعديد والتحديد والتقييد والمقاساة ؟ .
كانوا يرون ويسمعون وهم بلا أذان وعيون ثم أصبحوا لا يرون ولا يسمعون إلا إذا
ركبت لهم أذان وعيون !! ؟ . هل يحدث هذا ؟

ليس هذا الزعم يساوي أو يشبه الزعم أن العرب أو أن أي اقوام آخرين كانوا
في تاريخ ما يولدون يعرفون القراءة والكتابة أي بلا تعليم وقبل أي تعليم ، ثم
أصبحوا يولدون ولا أحد منهم يستطيع أن يعرف القراءة أو الكتابة إلا بالتعليم ؟ قوم
كانوا يصنعون العبقريات والحضارات وبيتكرون كل المعارف وهم أعراب أميون
ثم أصبحوا لا يصنعون شيئا من ذلك مهما تعلموا وواجهوا من يصنعون كل ذلك . هل
تصدقون هذا ؟

هل يمكن أن يصدق الزعم أن معرفة قواعد الاعراب المعقدة الصعبة جدا
بالسمع أو المحاكاة أو الوراثة أو بالسليقة أسهل من معرفة القراءة والكتابة بالمولد
أو بالوهبة أو بالقدر ؟ ليست معرفة القراءة والكتابة برؤية من يكتبون ويقرؤون
أسهل من معرفة أعراب الكلمات المتغيرة والالتزام بهذه المعرفة بالسمع والمحاكاة ؟
أو هل يصدق الزعم بأن سحب هذه المعرفة التي كانت في كل أفراد الأجيال السابقة
من كل أفراد الأجيال اللاحقة أسهل من سحب المعرفة الأخرى التي كانت أيضا في
جميع أفراد الأجيال السابقة من جميع أفراد الأجيال اللاحقة ؟ ليس سحب البلاهات
والبلادات التي كانت في السابقين من اللاحقين أسهل من سحب هذه المعرفة ؟
إذن كيف بقيت البلاهات والبلادات ؟

كيف يستطيع أي زاعم أن يزعم أن العرب كانوا جميعا في وقت من تاريخهم
يعرفون نطقا واستعمالا كل قواعد الاعراب بلا أي تعليم بل بالسمع والفطرة ،
ثم أصبحوا جميعا لا يعرفون شيئا من ذلك إلا بالتعليم والمقاساة الصعبة جدا ، بل قد
يعجزون عن معرفة ذلك حتى بالتعليم وبالمقاساة ؟

هل الموهبة أو السليقة التي تولد ولادة يمكن أن تسحب أو تفقد أو تنسى في
الأجيال القادمة ؟

نعم ، لعلها لم تكن قد وجدت في ذلك التاريخ لغة عربية متكاملة او لغة يمكن ان تحسب او تزعم او تعد لغة حين تعدد او تحصى اللغات ، وانما كان يوجد ما يمكن ان يسمى او يظن مشروع لغة او قصاصات او ملامح او علامات لغة او اعراض لغة او حاجة الى لغة . . اليس من المستطاع جدا ان يعيش قوم من الاقوام بمشروع لغة او بقصاصات لغة لم تصبح لغة ؟

وقد يؤيد هذا الرأي او الاحتمال او يأذن بابدائه او يحرض على ابدائه انه لم تكن توجد اي في ذلك التاريخ اية علامة من علامات اللغات ، من العلامات التي يجب ان توجد في كل لغة متكاملة ، بل التي لا بد ان توجد . .

انها لم تكن توجد اي في ذلك التاريخ كتب ولا افكار او مذاهب او نظريات او دراسات او فنون او قوانين او اية معرفة من المعارف الانسانية الجيدة ، موضوعة في اللغة العربية او منقولة اليها . لقد كانت لغة اي افتراضا بلا اي تعبير او خلق من تعبيرات اللغات او من اخلاقها . اليست للغة اخلاق وشروط ؟

هل يمكن ان توجد لغة جيدة او متكاملة دون ان يوجد معها او فيها شيء من ذلك او كل ذلك ، شيء من تعبيراتها او معانيها او اخلاقها ؟

لغة بلا تفاسير او مجد او تاريخ لغة او كينونة لغة . . هل يمكن هذا ؟ وهل يمكن ان يكون لاي قوم لغة دون ان يتخاطبوا معها وبها وان تتخاطب معهم وبهم ان كانت هذه اللغة تعني حقا للغة ؟

وهل اللغة الاتخاطب قوم اي الا كينونة وتاريخ قوم متحولين الى تعابير عديدة التفاسير ؟

هل يمكن ان يكون هذا التخاطب بين اية لغة واهلها دون ان يتحول هذا التخاطب الى كتب ونظريات ومذاهب والى فنون وقوانين ومعارف على مستوى من المستويات الجيدة او الرديئة ، اي مكتوبة ؟ اليست اللغة ، كل لغة تحويلا للنفس وللذات ولواجهاتها الى صيغ فكرية او فنية او اخلاقية او عاطفية ؟

نعم ، لعلها لم تكن توجد في ذلك التاريخ لغة عربية صحيحة لان اية علامة من علامات اية لغة صحيحة لم تكن موجودة في اللغة العربية باي اسلوب ، ولكن جاء هؤلاء الواضعون الواضعون فوضعوا اللغة العربية اي فصاغوها واخرجوها وضخموها وحولوها الى قواعد وحدود ، وشيدوها بالعوامل والضوابط والعلامات ، وزعموها موضوعة ومحكومة ومفسرة باذكي واقسى القوانين المحسوبة باذكي واقرى للعقول . الا يمكن أن يزعم لقوم صياغة لغة كما تزعم لهم المعتقدات والانتصارات والمزايا والامجاد التاريخية التي لم تكن الا وضعا وتأليفا وادعاء ؟

نعم ، لعل هؤلاء هم الذين وهبوا اللغة العربية كل ذلك ، كما انهم هم الذين وهبوا وهبوا اهلها كل هذا التراث الواسع الثقيل المخشور به من الفلسفات والدراسات والنظريات والمذاهب والعقائد والتعاليم والمحاورات والمناطحات المحولة الى اكبر الكتب واكثرها صفحات ، واقسامها عدوانا على أسواق الورق وعلى المواد

الاولية التي يصنع منها الورق . مسكين ورق الكتابة . لعله لا شيء مثله يعتدى على كرامته وعلى ذكائه وحيائه وصدقه وهيبته . . . يعتدى عليه الكتاب العربي .

لعل العربي كان في ذلك التاريخ ينطق بالكلمة دون أن يبالي بان تكون مرفوعة او منصوبة او مجزومة او مجرورة بل دون أن يعرف ذلك أو يفكر فيه أو يعرف الفرق بين هذا أو هذا ، أو أن هذا الفرق لو وجد يعني شيئاً ، أو أن هذا شيء يجب أن يكون أو أن يعطي أي اهتمام . كيف ، هل يحتمل أن العربي في ذلك التاريخ كان يهتم أو يبالي بحركة آخر الكلمات ؟ هل كان مشحوناً أو مصاباً بالاهتمامات على هذا المستوى ؟ أجل ، لعله كان ينطق بالكلمات مثلما كان يحيا ويموت ويمرض ويحس ويكره ويصادق ويبغض ويؤمن ويصلي ، ومثلما كان يدعو الله ويتصوره ويرجوه وينتظر منه ويصفه ، ومثلما كان يفضل قبيلته على جميع القبائل الأخرى وعلى جميع الناس ، ويراهم هي كل المجد والبطولة والسخاء والانتصار والعبقريّة بل كل التاريخ، أي دون أن يعرف أو يحاول أو يبالي أن يعرف لماذا يفعل ويقول ويعتقد ويتصور ويريد ذلك كذلك ، بل دون أن يعرف أن عليه أن يعرف ، أو أن هناك صيغاً ومستويات قد تكون أذكى وأفضل وأقوى من صيغته ومستوياته ، أو أن هنالك اقواماً آخرين قد يكون لديهم أعظم مما لديه ، وأن عليه أن يقرأهم أو يسمعهم أو يحدق فيهم أو يحاورهم أو يصلي في محاربيهم ليرى هل يمكن أن يتعلم منهم أو يأخذ عنهم أو أن ينافس أو يزاحم أو يكثر مزاياهم . هل يحتمل أن يكون اهتمامه بحركات الكلمات أكثر من اهتمامه بفكره أو بعقله أو بآيمانه أو بأخلاقه أو بالله أو بكل أساليب حياته ؟

لعله أي الإنسان العربي كان كذلك حتى جاء هؤلاء اللّواضعون اللّواضعون فزعموا عليه وله مزاعمهم وحكموا عليه بأحكامهم وحلّوه إلى رعية لهم ، يعلمونه ويلزمونه ويأمرونه وينهونه ويصنعون له قيوده . لعل الإنسان العربي في ذلك التاريخ قد وهب كل مجد لغته وثقافته بالأسلوب الذي وهب به في هذا العصر كل مجد نفطه . . . أنها لمغامرة أو مجازفة أو سفاهة في الرأي أو كل ذلك أن يزعم أي زاعم أن الإنسان العربي في ذلك التاريخ قد وضع لغته في صيغتها النهائية ، وقيد بها بكل قواعد ، وضبطها بكل عواملها وحركاتها وأخرجها أخرجاً كاملاً لا يحتاج إلى أي عمل أو تدخل بل ولا إلى أية مراجعة أو محاوراة أو محاسبة أو إلى تمن عليه أو له ، سوى أن تحشد له أضخم العبقريات لكي تفهمه وتفسره وتتحدث بانبهار وانقهار ورهبانية عن فنون جماله وأعجازه .

بل ونتحدث عن أنها أي اللغة العربية قد أصبحت لما فيها من فنون العبقريات هي معجزة العرب الأولى والأخيرة والدائمة التي تحدوا وفاخروا وقاتلوا بها كل من في الكون من بشر وجان وعوالم أخرى ، أي حينما تحولت أي اللغة العربية إلى كتاب مقدس هو القرآن ، بل أصبحت حينما تحولت إلى هذا الكتاب المقدس أو حينما وضعت فيه أو وضع بها ، أصبحت معجزة إله التي ذهب بكل الكبرياء وبكل النزق

والفرح يتحدى بها كل أحد وكل شيء ، واثقا بفرور كبير أو بتواضع مفرور ان احدا
لن يتحدى تحديه . نعم ، حتى الاله يتحدى ببلاغته وعبقريته وبذكائه . . هل يوجد
ما يصنع الخجل والاشمئزاز مثل أن يتحدى الاله ؟

اجل ، ان القرآن قد اصبحت معجزا لكل من في الكون ومتحديا له لانه قد تحدث
وصاغ نفسه باللغة العربية لا لانه معجز بمزاياه الذاتية او التفسيرية او التعليمية .
ان هذه المزايا صغيرة وبسيطة ، بل انها ليست مزايا . ولكن مزيته الكبرى
التي تحولت الى اعجاز كوني ابدى هي انه قد وضع في اللغة العربية .

هل اختار الله العرب ليبعث اليهم ومنهم اعظم وخاتم انبيائه الا اعجابا بلغتهم
والا لانه يريد ان يمجده نفسه ويرضى عنها لانه قد تكلم بلغتهم ؟ ان اللغة العربية هي
التي وهبت القرآن اعجازه ومجده وليس هو الواهب لها ، وان الاله لم يصبح ولم يعد
معجزا ببلاغته الا حينما تكلم باللغة العربية . .

لقد تكلم الله بلغات اخرى وصاغ تعاليمه وشرائعه وتهديداته ووحيه بتلك
اللغات الاخرى . . فهل اصبحت كتبه المقدسة المنزلة بتلك اللغات التي لم تكن اللغة
العربية معجزة ؟ هل عدناها معجزة ؟

بل هل يمكن ان يعد الله بليغا حينما تكلم بآية لغة لم تكن هي اللغة العربية ؟
اذن فروئتنا القرآن معجزا كانت لانه جاء باللغة العربية لا لانه كلام اله .
صعب جدا ان تعد معاني القرآن وتعاليمه معجزة او حتى عظيمة . انها مجموعة من
الاسواق الامية في حضاراتها واخلاقها . اذن اعجاز القرآن في لغته لا في تعاليمه
او معانيه .

نعم ليست مغامرة وسفاهة في الرأي كبرى ، الزعم ان الانسان العربي قد
صاغ لغته في تاريخه ذلك صياغة متكاملة او جيدة او مقبولة او سوية او ليست مثيرة
بضعفها وفوضاها للاسى ، وهو يعيش تلك الكينونة او الحياة التي لو وصفت بكلمة
تخلف او بدواة او جهالة او ضعف لكان وصفها بذلك اسلوبا من اساليب المبالغة
في الثناء عليها . ان كثيرا من الاشياء لتجيء تافهة وضعيفة حتى ليتحول الوصف
لها ولو بالذم الى تمجيد لها . انها لتصبح اقل من جميع اوصاف الذم التي ابتكرتها
جميع اللغات . .

ان اللغة ، آية لغة ليست الا مستوى حياة او مجتمع . انها مستوى فكري
واخلاقي وفني وحضاري . ان آية لغة لن تكون اذكي او اجمل او اكثر تنظيما او
حضارة او شاعرية من ملابس او بيوت او اسلحة او ملاعق او مواثد مخترعها . .
كيف يصنع لغة كاملة او جيدة او ذكية او محددة او منظمة من لا يعيش او
يعرف اي مستوى جيد او ذكي او منظم او متحد في تفكيره او اخلاقه او عقائده
او مشاعره او علاقاته او في اثاث منزله ؟

ليست اللغة هي الانسان في اذكي واعلى مستوياته او في اشمل واعنف
مستوياته ؟ هل يمكن ان تكون لغة غير الشاعر او الذكي او المنطقي او المحدد او

المنظم المنضبط لغة شاعرة او ذكية او منطقية او محددة او منظمة منضبطة ؟

هل يمكن ان تجيء اللغة اعظم او اكبر او اذكى من اصحابها ومتكلميها ، اعظم او اكبر او اذكى من جميع مستوياتهم في كل الوان حياتهم ؟

هل يحتمل ان تجيء لغة غير العقلاء الكبار المتحضرين لغة عاقلة او كبيسة او متحضرة ؟

كيف يستطيع ان يصنع لغة فنانة او مضبوطة او محددة او متعددة القواعد والحركات والعوامل المتبدلة المتحركة من لا يستطيع ان يصنع ملابس كذلك ، بل من لا يستطيع ان يرى قبح وفوضى وتشوهات ملابسها ليشترط عليها اي شرط ، بل ليقضى لها او فيها اي جمال او فن او نظام او آية صيغة اخرى ، انفع او اجمل او اذكى ، بل اقل هجاء وتشويها وتعويقا وتقويدا للابسيها ؟ ان اكثر المجتمعات ضبطا ودقة وتنظيما وحركة ومحاسبة ورؤية في كل شيء ولكل شيء لا بد ان تعجز . بلا تعليم ومقاساة اي بالسليقة والمحاكاة عن ضبط حركات الكلمات المتبدلة تحت العوامل المتبدلة العديدة . فكيف اذن يستطيع ذلك بكل الضبط والدقة قوم كل شيء فيهم صحراء ترفض الضبط والتحديد والتنظيم والترويض وتعجز عنه ؟ ان الحركة السريعة المتبدلة الحذرة المحسوبة ، استجابة للعوامل المختلفة الموجبة المتناقضة هي موهبة ليست من مواهب الانسان العربي . .

الانسان العربي كائن دائم . انه محكوم بالديمومة ، ديمومة الفكر والرؤية والحركة والمكان والكيونة والموهبة ان من اعظم واشهر مواهب الانسان العربي البطء في كل شيء حتى في التحدث الذي هو مجمع مواهبه . انه يتحدث ببطء يتحدى بطء حركته الى الامام والتغيير او الى فوق ، وايضا العجز عن الاحساس بالعوامل والاسباب التي تطالب بالتغير وتوجيه والتي تصنع الرؤى والافكار والتحركات المختلفة او المتصادمة او المتصارعة المتحاور . ان الحركة السريعة المتبدلة بالفكر او بالرؤية او بالاحساس ، او بالافتقار او بالكينونة موهبة يصعب اتهام الانسان العربي بها . .

انه يملك موهبة الثبات والديمومة اي ثبات وديمومة الرؤية والفكرة والافتقار والحركة بل والانفعال . حتى انفعالاته انها لا تختلف في تفاسيرها او حركاتها واتجاهاتها او في حوافزها مهما جاءت متقلبة حادة ضاحجة في ثقلها . وحتى تحركاته القريبة المدى والمتحددة الصيغة والتفسير ، انها ليست الا اسلوبا من اساليب الثبات والديمومة والا بحثا عنهما . .

انه يظل يعتقد الشيء ويراه ويفعله ويتصوره ويفسره ويعامله ويتعامل به ويحييه ويحبه او يكرهه ويمدحه او يذمه ويراه جمالا او دمامة ، حقا او باطلا ، خيرا او شرا ، مجدا او نذالة ، شجاعة او جبنا .

نعم، انه يظل كذلك مهما كانت الاسباب او العوامل الموجبة للتراجع او التغيير او التبديل او الرفض او لتحطيم كل شيء والكفر بكل شيء لكي يكون البدء من جديد .

انه يظل ابدًا يرى قبيلته ويرى امجادها وجدارتها بقيادة العالم وهدايته رؤية واحدة دائمة ، ويظل يصلي لالهه ويؤمن به ويتصوره ويفسره وينتظر منه ويخاطبه ويراه بصيغة واحدة لا تصاب بالتغيير ولا بالشك ولا بالاحتجاج او الغضب او التساؤل او الاشتمزاز او الثورة مهما بدا وجه الاله مشوها كريها عدوانيا من جميع مراهب البدوية العابسة ..

كما بظل كذلك يصنع وينتقبل ويرضى ويرى ويمجد عبقرية وشاعرية واعجازية ملابسه وبيوته وخيامه وصحرائه واسلحته وحروبه وابله واغنامه ، وعبقرية وشاعرية واعجازية اساليبه في تعامله بها وركوبه فوقها وحدائه وتربيته ورعيه واختياره لها ورؤيته ومعرفته بمزاياها وتفوقها السلالي والاخلاقي والتاريخي بل والديني والعرقى .. بل كما يرى ويعتقد الوهية وابدية كل ذلك . انه يظل ابدًا يؤمن بأبدية والوهية جميع اساليبه في الحياة حتى صناعته لملابسه واسلوبه في لبسها يراهما من تدبير الاله .

ولانه اي الانسان العربي محكوم بموهبة الثبات والديمومة فان احاده لا يختلفون او يتفاوتون في رؤاهم أو افكارهم أو معتقداتهم أو تصوراتهم أو في احكامهم أو كينوناتهم أو خطواتهم القافزة الى القمر ، أو في تحديقاتهم الى ضمير الاله أو الى يديه أو الى وجهه مطلا من الالام والتشوهات والدمامات والتفاهات والتحركات العابثة الحمقاء ، مبتسما راقصا هاتفا مغازلا لنفسه محييا قارئًا مفسداً لمجده ناظرا في كل المراهي الى وجهه مباهايا بتدبيره لكل الحماقات وخلفه لها، مطالبًا باجر مومجاراته على ذلك بكل ما يستطاع وبكل ما لا يستطاع او يعقل او يقبل من الايمان والشكر والتعبد والخضوع والهوان له والتنازل عن كل الذكاء والمنطق والكرامة والشجاعة بل والانسانية وهل يوجد اجر يساوي في فحشه وقسوته وشذوذ تفاسيره ، الاجر الذي يطالب به الاله لنفسه ؟ .. انها لا توجد ديمومة بليدة وسخيفة مثل ديمومة الاعجاب برؤية الاله مريدا ومدبرا وفاعلا لكل هذه الافات والعاهات والالام والعبث ومتحدثا عن رحمته وجماله لانه فاعل كل ذلك .

والتنقل السريع بين حركات الكلمة رفعا ونصبا وجزما وجرا وغير ذلك من التحركات تحت العوامل المختلفة ، ليس اي هذا التنقل خروجا على موهبة الثبات والديمومة في الانسان العربي ؟

وهل يهجي الانسان العربي في كل حساباته الدينية والمذهبية والاخلاقية والنفسية والعرقية مثل ان يتهم بانه ليس مصابا بالثبات والديمومة على نماذج ورؤاه كلها الازلية الابدية القبلية التاريخية ؟

الانسان العربي يلتزم بالثبات والديمومة في الاشياء التي لا يقبل او يغفر او يحتمل الثبات والديمومة فيها ، بل ويتعبان ويؤذيان ويؤخران ، فكيف لا يلتزم بهما اي بالثبات والديمومة في حركات الكلمات وهو التزام لا يصنع اي ضرر او تخلف او فساد او خروج على اية قيمة او معنى جيد او جميل ، او يجعل الابل ترفض البقاء او السير او الرؤية او التناسل في الصحراء لتهاجر منها ، رفضا لقطعتها ويؤسها وكآبتها وبدآوتها ، وبحثا عن مالكين وراكبين ومجاورين لها ، وحادين بها افضل او اقوى او اغنى من الانسان العربي ، أو يجعل النساء يرفضن أن يكن امهات لابناء لن يكونوا الا احادا في قبائل كل مجدها ان تفاخر بانسابها وجهالاتها وباستكبارها على ان تتعلم الصناعة او الحضارة بل او القراءة والكتابة ، او ان تزوج المتحضرين او أن تتزوج منهم ، ان تكون اباء او ابناء لهم ؟

هل تصدق ان اي عربي بدوي في صحرائه يرفض ان يصاهر آخذا او معطيا اعظم عبقرى او اكبر عظيم غير عربي ؟

اذا كان الانسان العربي يثبت بديمومة متدبنة بتعصب في كل اجياله المتعاقبة على اسلوب واحد في صنعه لعباته ولقهورته وفي اسلوب تعامله بهما ، مع ضخامة وقوة الاسباب والضرورات الموجبة للتغيير بل للرفض والتدمير فكيف لا ينتظر منه بحتمية هذا الثبات الموحد بلا اي تغيير او تحرك او تبدل في نطقه باخر الكلمات على حركة واحدة وصيغة واحدة دائمة أو بتحركات عشوائية غير محسوبة او مقصودة ، او بتحركات لا يعني بها الحركة المنطقية او القانونية او الالتزامية ، بل الحركة الفوضوية المصابة بالذهول والغفلة وبالعجز المنطقي والاخلاقي والعاطفي والحضاري بل وبالعجز العضلي واللغوي والبلاغي ؟

ان نقل الانسان العربي لصحرائه الى صيغ حضارية متعددة متعاقبة وتغييره لجميع اساليبه وتقاليده الفكرية والاعتقادية والاخلاقية والنفسية والفنية قد يكون اسهل عليه واقرب الى فكره وتقواه وموهبته من ان يظل يتنقل بين حركات الكلمات ، بين الرفع والنصب والجر والجزم ، خاضعا لمنطق وحساب محكوم ملزم . ان التحرك او التنقل المتناقض خضوعا لمنطق وحساب محكوم ملزم لهو شيء فوق طاقة قوم يلتزمون بكل هذه الديمومة ان يصنعوا ويقدموا ويشربوا قهوتهم بهذا الاسلوب الثابت الخارج على كل الاشتراطات الصحية والحضارية والجمالية والفنية بل والدعائية ..

ان العربي لا يتخلى عن ديمومته على الصيغة الواحدة الدائمة ولكنه قد يطرد منها طردا . نعم ، انه مطرود دائما من صيغه ، من صيغ ابائه وصحرائه وصيغ اربابه وانبيائه . واذا طرد منها اسلوبه أو مظهره أو لغته أو زيه لا منطقه أو معناه أو تفسيره أو ارادته أو موهبته . وكل مزاياء في كل تاريخه ليست غير اساليب هذا الطرد له ..

انه لا يستطاع طرد الانسان العربي من فكره او منطقته او موهبة مهما طرد من ثيابه او لغته او بلاده .

ان مفارقتها لصيغته الواحدة الدائمة تعني في حسابه واقتناعه التخلي عن وجوده او ذاته او مجده وعظمته وتاريخه بل عن اباؤه ووفائه وحبه لهم ومباهاته بهم . ان تغير الانسان العربي هو تغير وجه ولغة ومكان وليس تغير اتجاه او فكر او اخلاق او كينونة . انه ثابت في ذوات اباؤه ثبوت اباؤه في ذوات اباؤهم . . . وهل يعرف الانسان العربي مجدا يساوي مجده بثباته في ذوات اباؤه الثابتين فسي اباؤهم ؟

انه يدعو الثبات على الصيغة الواحدة واسترجاع ما فقد او ما نحل او بهت منها ، اصالة . انه لا يرى مجدا او موهبة او استقامة قومية او وطنية او حضارية مثل ان يكون اصيلا في جميع تفاسيره . . .

انه يريد ان يكون اصيلا لي ان يكون ذاته الدائمة الواحدة . . . ان يكون ديمومة صيغته مثل ديمومة صيغة الاله . ليس الاله صيغة واحدة ابدية ؟

ليست هذه الصيغة الواحدة الدائمة الثابتة للاله مجدا وجمالا له وفيه ؟ ليس التشبه بالاله اصالة عربية ؟

انه يعني في تفاسيره الا يفارق صيغة وكينوناته القديمة . يعني ان يكون الجد هو الاب والابن والحفيد جاءوا باسماء متعددة بل جاءوا باسم واحد مكرر . . .

حتى العلم والفكر والمعارف والفنون والتقدم والحضارة والاكتشافات يجب ان تكون اصالة ، اي يجب ان تكون هي ما كان او اخذا عنه او تفسيرا او تقليدا له او رجوعا اليه او صلاة في معابده وتلاوة لكتبه المقدسة او ادعاء له او تمجيذا لذكراه ولتاريخه الذي قد كان . . . انه يعني ان يكون في ثباته في ذاته وتاريخه وجميع تفاسيره مثل الاله والطبيعة في ثباتهما الابد في جميع مستوياتهما وجميع تفاسيرهما الفكرية والنفسية والاخلاقية . ان الاصالة بهذه التفاسير التي يريدها المتحدثون عنها ليست شيئا جيدا ولا حضاريا . وان التحدث عنها ليس تحدثا عن قيمة انسانية من اي نوع .

ان المبدعين والمتجددين والمتخطين للتاريخ لا يتحدثون عن هذه الاصالة . . . انهم يرفضونها . انها في تصورهم لا تعني الا البقاء الدائم في كهوف التاريخ . ان التحدث عنها كالتحدث عن عقائد وافكار وتقاليد الاءاء وعن الهتهم ومعارفهم واخلاقتهم وبيوتهم ومواصلاتهم وملابسهم واسلحتهم ، وعن اساليب حياتهم ، للاستمسك بها او لتقليدها او لاستلهاها والتعلم منها او للوقوف عندها او للدفاع عن جميع تفاسيرها وحوافرها او للاعجاب بها . ان اصالتك في افكارك او عقائدك واخلاقتك وتقاليدك او في استمسالك بالهتك وانبيائك لن تكون مقبولة الا اذا كانت اصالتك في صنع بيتك او ملابسك مطلوبة او مقبولة .

ان الانسان المتحضر اي التغير المتخطي المبدع التطلع دائما لن يكون اصيلا

ولن يقبل او يريد ان يكون اصيلا ، بل لن يستطيع ذلك او يعجب به او يدعو اليه . لانه لا بد ان يكون دائما متاثرا وآخذا عن الآخرين ومتجاوزا ما كان ورافضا له وراثيا لمحبوبه او لعجزه وتخلفه ، وغير متقبل لاستعادته او لتقليده او للحنين اليه ؛ انه دائما خارج على الامس وعلى الذات وعلى الكينونة التي كانت في الامس ، ومتكبر على ذلك ، متفوق عليه ولو بافكاره واماله وطموحه . انه لابد ان يكون متطلما دائما الى كل الجهات والافاق ، وان تكون رؤاه وتطلعاته دائما اكبر واوسع وابعد من ذاته ومن ابائه وتاريخه ومن كل ما كان ومن كل ما يرى .

ان الانسان المتخلف العاجز البدوي اكثر اصالة واستمساكا بالاصالة واعجابا بها وادعاء لها ، من الانسان الاخر ، لانه اعجز عن مغادرة ذاته ومغادرة امسه وتاريخه ومغادرة ابائه ، واعجز عن ارادة هذه المغادرة وعن الاعجاب بها وعن فهمها وتحمل التزاماتها العقلية او النفسية او الاخلاقية او التطبيقية . ان الحضارة والتقدم والحياة القوية المبدعة هي مغادرة دائمة وطموح الى هذه المغادرة . وهذه المغادرة خروج على الاصالة في تفاسيرها هذه .

انه لا يتفوق على الانسان المتخلف البدوي في اصالته الا الحشرة والحيوان . . .
لنهما اي الحيوان والحشرة هما اكثر الاصلاء اصالة ، لانهما لا يستطيعان ان يتخطيا ذاتيهما او امسهما او تاريخهما او اباءهما او يستنكرا ذلك أو يرفضاه أو يحتقراه بتفكيرهما أو اخلاقهما أو بطموحهما وتحدياتهما واشواقهما . كما لا يستطيعان ان يتأثرا بغيرهما أو يأخذا عنه . انهما اصالة دائمة شاملة . . . انهما اذا خرجا أو لو خرجا على اصالتهما لكان ذلك بلا تدبير منهما ودون ان يريدوا أو يعرفا . . .

ان الانسان المتخلف والانسان المنتمي انتماء قلبيا قد يكونان صادقين جدا حينما يقولان : نحن اصيلا . . . ولا بد ان يكونا كاذبين لو قالا : نحن غير اصيلى .
ولن يتفوق عليهما في الصدق غير الحشرة والحيوان لو قالا : نحن اصيلا وفي الكذب لو قالا : نحن غير اصيلى . . .

ان المتأثر الأخذ دائما عما حوله وعن الآخرين ، المتطور المتجاوز دائما لن يكون اصيلا ، وان المستقر الثابت دائما في ذاته وفي تاريخه العاجز عن التأثر والتخطي لن يكون الا اصيلا . . .

اي لن يكون الا متخلفا ضعيفا مغلقا غير معط للحياة او للحضارة او للتاريخ . . .
اذن كم هو شيء جيد الا يوجد أو يبقى انسان واحد أو مجتمع واحد يقول : انه اصيل ، ولر قال ذلك لما كان صادقا . . .

أتمنى أن يفهم ذلك كل هؤلاء الذين يتحدثون دائما عن الاصالة أو عن اصالتهم ، وكل أولئك الذين كانوا يتحدثون عن ذلك وهم يظنون انهم يتحدثون هذا انما يخطفون من الشمس كبرياءها وضخامتها واشراقها ونظافتها وصمود مكانها وتوابعها . أتمنى ان يعرف ذلك كل من يتحدثون عن الاصالة وهم يحسبون انهم يتحدثون هذا يطهرون وجودهم من كل عار وهوان وبلادة ونذالة نعم ان الذي يقول انه اصيل ويكون صادقا لن يكون بذلك اعظم تباهيا او اصدق من الغياب لو الصرصار لو ادعى لنفسه هذه

الدعوى أو هذا المجد .. اليس الذي يكون اصيلا دون أن يفخر باصالته اقل سوءا من الاصيل الفاخر باصالته ؟ اذن اليس الذباب اقل سوءا ؟
ان العظمة أو المجد ليس في أن يكون الكائن اصيلا ولكن في ان يكون عظيما .
وهل تكون العظمة الا خلقا وابتداعا ؟ انها ليست اتباعا أو اخذا أو تلقينا أو توريثا
أو تعليما أو تناسلا أو وقفا في طابور المصلين للاله المذكور الموصوف بوحشية
في الروايات القديمة ..

ان الذباب وكذا الصرصار اصيل ولكن ماذا تساوي اصالته ؟
ليته اي الذباب أو الصرصار يصبح غير اصيل اي يخرج على ذاته وعلى آباءه
وتاريخه ويأخذ عن كائنات اخرى افضل واعظم منه أو يهجن ويلقح بها ذاتيا وعرقيا
أو عقليا أو اخلاقيا أو نفسيا أو حضاريا . ليت جميع الضعفاء والتافهين والمتخلفين
الاصلاء في ذلك يخرجون على اصالتهم ليكونوا نسحا ونقلا عن اولئك الآخرين الاقوياء
المتقدمين المبدعين حتى ولو كانوا غير اصلاء .

اليس هذا شيئا جيدا ومطلوبا جدا لو حدث ؟
اليس هذا هو الذي يحدث دائما ولو في الزي أو اللغة أو الشعار أو فني
الجلوس داخل الغرفة الواحدة ؟

اجل ، حينما يقول البدوي المتخلف انه اصيل فهل يعني هذا افضل مما يعنيه
الاله المحنط في بداوته وفي صحراء كينونته لو قال انه اصيل ؟ وهل يسر اي انسان
ان يكون في اصالته اي في عجزه عن تخطي كينونته الواحدة الثابتة كلاله المحنط في
عباءته التاريخية ؟

كم هو رائع ومطلوب ان تخرج الطبيعة والاله على اصالتهما ليكونا شيئا
افضل واذكى واكثر تحضرا واقل بدواة وهمجية وتخلفا وثباتا في الذات وفي التاريخ
وفي الامس القريب والبعيد ؟ ليتهما يفعلان ذلك ثم يعلمان الانسان العربي
الخروج على اصالته مثلما خرجا على اصالتهما ..

ان اصالة الاله والطبيعة هما اكثر الاصالات قبحا وتخلفا وتعذيبا ولؤما وتعويقا
عن المجد والعظمة .. ايهما يختار العربي : ان يفارق العرب اصالتهم ليكونوا شيئا
اعظم ام ان يفارق الاله والطبيعة لاصالتهم ليكونا هذا الشيء الاعظم اي لو كان له ان
يختار؟ الاله اصيل، اصيل ودائما اصيل، ايدائما يتعلم ويتلقى من ذاته الدائمة الموهبة
والمستوى بلا تمرد أو تخط لذاته الاصيل . لهذا كم هو قبيح ومتخلف وبدوي
الكينونة ؟

ولو أن هؤلاء الطغاة الجبارين في مواهبهم وابداعاتهم الحضارية استطاعوا
ان يقتلوا او يهزموا في الاله وفي الطبيعة اصالتهم او يعلموها الخروج عليها
والعصيان والتجاوز لها لكان ذلك هو انبل وانفع ما اعطى هؤلاء الذين اعطوا كل شيء
حضاريا ..

اليس قتل أو هزيمة اصالة الاله والطبيعة لا بد أن تعني أو قد تعني قتل أو هزيمة اصالة الانسان العربي ؟

فهل يؤمل ان يفعلوا ذلك في يوم آت ؟
وبعد .. ان كثيرا من الناس او اكثرهم يتحدثون عن الاصالة دون ان يفكروا في معناها او يتصوروا معناها اي تصور او يروا ان عليهم ان يفعلوا شيئا من ذلك .

**

ولكن قد تفسر الاصالة بتفسير مناقضة لتفاسيرها في لغة الانسان العربي وفي نياته . نعم ، انه يجب اخلاقيا وحضاريا وعلميا ان تفسر جميع الاشياء بغير تفاسير الانسان العربي لها .

ان الاصالة قد تفسر بل لا بد ان تفسر بانها هي الا يرى او يسمع او يعتقد او يقبل او يرفض او يحب او يبغض او يوافق او يخالف او يعجب او يشمئز أو يحارب أو يسالم من ندعوه اصيلا الا بعينيه واذنيه وبفكره واقتناعه وقلبه وضميره واخلاقه ومصالحه ويديه ووجهه هو ، لا بأي املاء أو تقليد أو اتباع لأي قطيع أو لأي اله أو نبي أو معلم أو زعيم أو مذهب أو دين أو لأي طغيان أو جنون يفرضه تاريخ أو ارباب أو معبد أو سوق أو توريث أو عجز أو تكرار أو استمرار في المسيرة التي يسيرها أو يكره على المسير فيها للقطيع الطويل الممتد من الصحراء الممتدة من بداوة وبداية التاريخ ..

وإذا فسرت الاصالة بذلك فهل يمكن ان يوجد اصلاء ؟ وان وجدوا فكم يمكن ان يكون عددهم ؟

ان الاصالة في تفاسيرها الحضارية هي ان تكون عقلك وقلبك وضميرك ورؤيتك وعضلاتك واشواقك انت لا عقل ولا قلب ولا ضمير ولا رؤية ولا عضلات ولا اشواق اربابك أو انبيائك أو اربائك أو تعاليمك أو محاربك أو اشعارك المروية أو المعلقة على جدران كعبتك ، أو كتبك المقدسة المغنية لك كل اغاني البلادة والبداءة والاستسلام ، المعلقة لعينيك وعقلك وضميرك عن كل رؤية وتفكير وفهم واحتجاج واصالة اسانية ..

انها اي الاصالة هي الابداع والتفوق والتخطي الدائم الذكي الشجاع الحر الى الافضل الاذكي الاقوى الابلل . انها هي الجودة في كل شيء ..
انها الجودة والنبوغ في التفكير والرؤية والحب والارادة وفي القبول والرفض والاعجاب والاشمئزاز .

انها هي ان تكون دائما رائيا محدقا قارئا محاسبا محاكما ناقدا فاهما لكل ما تفعله أو تعتقده أو تصدقه أو تجمده أو تخاصمه أو تقاتله .
انها اي الاصالة في معناها الحضاري هي ألا تضع خطواتك على أية خطوات أخرى حتى ولا على خطوات الهك أو نبيك الا بعد ان تقرأ وتعرف كل لغات وتفسيرات ونهايات واتجاهات خطواته اي خطوات الهك أو نبيك . انه يجب ان يكون لخطوات

قدميك وقبضات وضربات يديك من الذكاء والمنطق والاعتناء والاصالة اكثر واقوى مما يجب ان يكون من ذلك لعقلك . اليس ذكاء ومنطق واقتناع عقلك مطلوباً من أجل خطوات قدميك ومن أجل قبضات وضربات يديك ؟ ايهما يصوغ الآخر : الايدي والارجل تصوغ منطق واخلاق العقول ام العقول هي التي تصوغ منطق واخلاق الايدي والارجل ؟

انها اي الاصالة هي الا تنشد مع الهك او نبيك او زعيمك او قائدك اناشيده السعيدة او الحزينة ، او تقرأ معه او وراءه تعاليمه وكتبه المنزلة الا بعد ان تحاسبها وتفهمها وتقتنع بما فيها من فن وجمال وذكاء وصدق وحقيقة . . كم سيصبح الهك او نبيك او زعيمك مجهولاً مخزولاً بليداً ضالاً مهرجاً لو أنك اصبحت اصيلاً بهذا التفسير للاصالة ؟

انها هي الا تصلي وراء امامك حتى تعلم ان ضميره وعقله واخلاقه قد تروضات اكثر واشمل مما تروضات اعضاؤه ، اي لو كنت مصلياً وكان لك امام تصلي وراءه واله تصلي له ، هي الا تقرأ او تفسر او تعرف الهك يكتابك المقدس بل برويتك له عارياً من جميع ملايبه وزيناته وحيدا من كل سدنته وحراسه وكهانه . . هي ان تقرأ وتفسر كتابك المقدس بصوتك وفكرك واقتناعك ورؤيتك لا بما يقوله سدنة وحراس الهك .

انها هي ان تعلم التاريخ وتداويه وتصححه لا ان تتعلم منه او تتداوى به او تصحح اخطائك باخطائه بل ولا بصوابه . .

ان الذين يتعلمون الصواب من التاريخ هم اكثر وافدح خطأ من الذين يتعلمون الخطأ من انفسهم وحياتهم وتجاربهم ومقاساتهم واقتحامهم . . ان الخطأ الذي تخطئه وتفعله بعقلك لاعظم مجداً وتكويناً وتعليماً لك من الصواب الذي تفهمه وتراه وتفعله بغير عقلك ، بعقل الهك او نبيك . . انها هي ان تصبح مجداً لابائك واربابك وانبيائك وزعمائك لا ان يصبحوا او يظلوا مجداً لك ، وان يروا ويفسروا ويحاسبوا ويوزنوا بعيونك وعقلك واخلاقك وموازينك انت ، لا ان يكون العكس . . ان تكون انت الرائي المفسر لهم لا المرئي المفسر . . ان ترى انت طريقك ووجهك ، جمالك وضخامتك او دمايتك وضالتك بعيونك وشروطك لا بعيونهم او شروطهم . .

ان تحول الى تفسير لذهابهم وعقائدهم وضمائرهم واخلاقهم وكتبهم المقدسة بكل سلطانك وجراتك لا ان يتحولوا الى تفسير او قيد لاي شيء من حياتك او ظروفك او رؤاك او خطواتك . . ان تكون انت نبي واله كل الهتك وانبيائك ، ونصوص وتفسير كل كتبك المقدسة ونبواتك ، وان تكون ارضك هي معلمة سمواتك . .

هي ان تقود قادتك والهتك وانبياءك وان تعلمهم وتامرهم وتصوغهم وتفكر لهم ، لا ان يفعلوا هم لك او بك شيئاً من ذلك . . هي ان تكون لهم وفيهم عيوناً جديدة لا ان يفتقروا فيك عيونك . . هي الا يكون لك كتاب مقدس لم تكتبه انت ، ولا نبي لم تعلمه وترسله انت ،

ولا كعبة أو مصلي لم تبنيها أو تبنيه أنت ، ولا اله لم تره وتختره وتتصوره وتفسره وتعلمه وتأمّره وتعاقبه وتجزه وتهده أنت . . ان تكون أنت ابا لابائك لا ابنا أو تابعا لهم ، ومعلما لامسك وتاريخك لا متعلما منهما ، مفسرا لهما لا مفسرا بهما . . انها هي ان تكون انت لا الهك أو نبيك أو اباك أو تاريخك أو مجتمعك أو الكتاب الذي تقرؤه أو الرأي الذي تسمعه . .

انها اذن في جميع تفاسيرها ولغاتنا الحضارية نقيض لها اي للاتصال في جميع تفاسيرها ولغاتنا العربية .

ان كل ما ذكر هنا هو بعض تفاسير الاصاله أو بعض التفاسير المطلوبة أو المفترضة التي تفسرها بها الحضارة وتطالب بها لها وتفترضها فيها أو التي ينبغي ان تكون . .

اذن فالعربي غير اصيل في جميع التفاسير الحضارية مهما كانت اصالته في جميع التفاسير العربية . ليست كل التفاسير العربية لكل القضايا الكونية والانسانية نقيضا لكل التفاسير الحضارية بمستوى الذي به كل القيم والمطامح والطاقات والانجازات والحوافز الحضارية نقيض لكل ما عند العرب من ذلك ؟

ان الانسان العربي خارج على جميع دلالات الاصاله ومستوياتها بقدر خروج الاله والطبيعة والبرغوث على ذلك اي بهذا التفسير للاتصال . .

نعم ، ان الاصاله هي التفوق الدائم على الذات والتاريخ والتجاوز الدائم والسريع الشامل لهما وارادة ذلك . لهذا فالانسان قد يكون اصيلا . اما الاله فلن يكون اصيلا ، كذا الطبيعة والبرغوث لن يكونا اصيلا . لهذا ايضا فان الانسان العربي لا يمكن تفسيره باي معنى من معاني الاصاله . انه ليس الا صلا او حجرا او حرفا اثريا في معبد ، او ضخامة او كثافة في حجم قطع او زيادة في عدد القطيع . انه اي الانسان العربي ليس الا تراكم حجم وليس تنوع عبقرية او اصاله . . ان لقب تراكم هو تراكم حجم الانسان الذي لا يتحول الى تراكم وتنوع عبقریات وابداع وقفزات . نعم ، قبيح هو تراكم حجم الانسان العربي .

اجل ، انها اي الاصاله كلمة تكتب وتنطق وتقرأ . وقد تفسر تفاسير جيدة وحينئذ يكون المطلوب وجيدا ان نكون اصلاء . وقد تفسر تفاسير رديئة ، وحينئذ يكون المطلوب والعظيم ان نكون خارجين على كل اصاله . .

ان القضية اذن ليست هي التفسير لهذه الكلمة أو الانتماء اليها . بل القضية هي ما الذي نريد ان نكونه ونستطيع ان نكونه ونصمم على ان نكونه . ولكن هل نكون غير ما نريد وغير ما نمتدح ؟ نعم ، نكون ما نستطيع وما نحتاج اليه مهما كانت ارادتنا ومديحنا

ولكن اذا كان كهان اللغة العربية هم الذين وضعوا قواعدها ، بادئين لا ناقلين فكيف امكن ان يتفقوا عليها ؟ بل قد يقال : كيف امكن ان يتفقوا عليها حتى ولو كانوا ناقلين لها نقلا ؟ انهم لم يستطيعوا ان يتفقوا في حكمهم على لون ثيابهم ووجوههم

أو على لون ثياب ووجوه آلهتهم وانبيائهم مع قراءتهم وتفاسيرهم ومواجهتهم ورؤيتهم الدائمة لها . اذن كيف اتفقوا في رؤيتهم لهذه القضية ؟

اعترف اني عاجز عن فهم ذلك . ولكن اليست الجماعات أو البشر جميعا قد يتفقون حيث يتوقع المنطق الا يتفقوا اكثر من اتفاقهم حيث يتوقع ويطالب المنطق ان يتفقوا ؟ فكيف اذا كانت القضية لاهوتية وهي هنا لاهوتية ؟

قد يكون الاتفاق في هذه القضية احدى الغلطات العجيبة الشاذة جدا . انها احيانا لتتعم غلطات كبرى متفق عليها تعجز كل العقول ان تفهم كيف امكن الاتفاق عليها بل تعجز كل العقول ان تدبر الاتفاق عليها وتعجز عن الانتصار في تدبيرها ذلك لو دبرته ، بل تعجز اغلب الحقائق الكبرى عن ان تتنازل هذا الاتفاق عليها الذي نالته هذه الغلطات الكبرى . . . أليست الاخطاء الكبرى هي دائما افضل وادوم حظا في التاريخ والحياة من الحقائق الكبرى ؟

انه لا بد من الاعتراف بان ها هنا سؤالا جادا ، يتحدى بل يهدد هذا الافتراض اي افتراض ان العرب لم يكونوا يعرفون او يلتزمون قواعد الاعراب وحركاته المتبدلة ، بالسليقة اي بدون تعليم فيه كل المعانة التي لا ثمن لها . هذا السؤال هو :

اذن كيف جاءت حركات الاعراب في قوافي الشعر الجاهلي مضبوطة ومحكومة بالعوامل التي وضعها وقررها كهان النحو وسلاطينه . فاذا كانت القافية مرفوعة وجدت حتما عوامل الرفع في كل وحدات القافية ، وكذا اذا كانت منصوبة أو مجرورة او ساكنة كان محتوما ان توجد العوامل الملائمة بلا اخلال أو شذوذ . . .

وايضا ، أليس مجيء هذه الاشعار مضبوطة بأوزان بحورها يعني حتما ان قائلها الذين لم يتعلموا قواعد الاعراب المتحرك التي وضعها أو احصاها وعددها سيبيويه وجنوده ، كانوا يعرفونها ويلتزمون بها بالسليقة أو الطبيعة أو الولادة أو بالهام البدولة والصحراء ، أو بعبقريّة في الاذن والفم والحس لم يعرف البشر الذين عرفوا وابدعوا كل انواع العبقريات لها مثيلا ؟ نعم ، اليست الاذن والفم العربيان عبقريين ؟ أليست كل حظوظ وحقوق الانسان العربي في العبقريّة قد تجمعت في فمه واذنيه ؟

ان اية قصيدة لن تكون صحيحة الوزن العروضي ما لم تلتزم فيها عوامل الاعراب التي تتدخل في طول الكلمة وقصرها وفي عدد حروفها اي حروفها المنطوقة . . . فالوزن العروضي محكوم بحجم الكلمة ، وحجم الكلمة محكوم بالتزام قواعد الاعراب . . .

نعم ، انه لا بد من الاعتراف بصحة وقوة هذين التساولين أو هذين النكسدين أو الاعتراضين المسددين الى هذا الرأي الذاهب الى ان العرب لم يكونوا يعرفون أو يلتزمون اعراب الكلمات المتحركة تحت العوامل المتعددة المتبدلة بدون تعليم . بل ان هذا الرأي قد يتحول الى مفاجأة فاجعة أو مذهلة أو غير محتملة الصق أو التصديق لمن يسمعه أو يقرؤه . . .

واذا لم يكن بد من محاولة الجواب فقد يقال من كثير يمكن ان يقال :

ان العرب حتما لم يكونوا يعرفون أو يلتزمون أو يستطيعون ذلك بالسليقة أو الطبيعة أو الموهبة مهما كان تفوقها ، بل ان ذلك لا يستطيع ان يكون حتى ولا احتمالا في طاقتهم . وانتظار ما لا يستطاع لن يكون تمجيذا لمن ينتظر منه ذلك ولن يكون ثناء على ذكاء أو اخلاق من ينتظره .

اذن فان عجزهم هذا لن يتحول الى عيب من عيوبهم مهما اريد التضخيم في اعداد واتساع عيوبهم ، أو مهما كانت الرغبة في تكاثر عيوبهم . . ان مثل هذا العجز لن يحسب عيبا في المتفوقين فكيف يحسب عيبا في من لا يفعلون ولا يريدون ولا يستطيعون الا ما هو عيب وعجز ونقص في جميع الحسابات والمقاييس والاشتراطات والحدود والاماني بل وفي حكم كل المذاهب والاديان والنظريات ؟ كيف يحسب عيبا في قوم كل مزاياهم ان يتحدثوا عن مزاياهم وعن هوان كل العالمين امام كل مزية من مزاياهم التي هي رواية وحديث فقط ؟

انه لا بد ان يغفر للعرب ، اشفاقا أو رثاء ، أو استهزاء أو تهوينا أو شماتة ، أو عدلا ، أو بنية السباب والهزاء ، ما لا يمكن ان يغفر لغيرهم . ان كل العالم قد روض عقله وضميره وكل حساباته على ان يغفر للعرب ما لا يمكن ان يغفر لاحد غيرهم اذن كيف لا يغفر لهم ما لا بد ان يغفر لكل احد ، ما لا بد ان يغفر لاعظم المتفوقين تفوقا ؟ نعم ، ان العرب قد اراحوا العالم من ان يقاسي أو يشغل بمحاكماتهم ومحاسباتهم وبالتفسير لهم . . ان لهم اذن فضلا على العالم . اليس من لا يضطرك الى معاتبته ومعاقبته والغضب عليه مفضلا عليك ؟

ان العرب لا يحاسبون أو يؤاخذون حيث أو حين يحاسب ويؤاخذ كل الناس ، فكيف يحاسبون أو يؤاخذون حيث أو حين لا يحاسب أو يؤاخذ احد من الناس ، أو في شيء لن يحاسب أو يؤاخذ به أو عليه اي انسان ؟ انه ليغفر للعرب ما لا يغفر لاحد فكيف لا يغفر لهم ما يغفر لكل احد ؟ اجل ان للعرب لمزية عالمية عظيمة ، هي انهم يعفون كل العالم من مقاسات النقد والقرأة والرؤية لهم والاشتراط عليهم وفيهم . اليس العالم كله لم يزل يغفر للقيادات والزعامات والنبوات والعبقريات ولجميع المواهب العربية المختلفة . . العقلية والاخلاقية والفنية والحضارية والانسانية والدينية بل واللغوية ما لا يستطيع ان يغفر مثله أو أقل منه البراغيث والنمال ؟ اليس العالم كله يغفر لاعظم واتقى النبوات والقيادات والعبقريات العربية ما لا يستطيع ان يغفر شيئا منه لاصغر واجهل وافسق صفاره وجهاله وفساقه هو ؟ ألم يكن العالم كله في كل تاريخه ومستوياته وحساباته ومواقفه ونياته يقرأ ويرى ويفسر ويحاسب ويعاقب عيوب وآثام وبذاءات وتلوثات البراغيث والصراصير وجميع الحشرات دون ان يفعل اي شيء من ذلك بعيوب وآثام وبذاءات وتلوثات الزعامات والقيادات والنبوات والمواهب العربية التي لم تنزل تستفرغ عليه وعلى نفسها وعلى التاريخ ما لا يستطيع كل تلك الحشرات ان تستفرغ مثله أو شيئا منه ؟

هل تستطيع او استطاعت جميع الحشرات في كل تاريخها ان تستفرغ القبح الذي يستفرغه زعيم او نبي او معلم او شاعر عربي واحد دون ان يصنع غثيان او غضب احد ؟ حتى الغثيان يرفض العالم ان يصاب به مهما واجه من قبح ووقاحة الزعامات والقيادات العربية .

انه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد مغفور لهم وهم يستحقون كل ألوان العقاب وأقساء مثل العرب أو غير العرب ، كما لن يوجد غفران هو اقصى من كل عقاب كالغفران الذي يهبه كل العالم بكل السخاء للزعامات والقيادات والنبوت ولكل الخصائص والمواهب والبدوات العربية المستفرغة على كل قضية وموقف وموهبة وحضارة ومشكلة وعلى كل احد وكل شيء ، كل السخف والقبح والبلادة والنذالة والعدوان والجهل والضجيج المشحون بكل لغات المضعف البذيء المتوقع المتفجر بكل تعبيرات الغرور الهمجي البهوي ، كل الاوقات ، بكل الاساليب والاعلان والدوي . . . لتتمت كل الاذان والعيون . نعم ، لتتمت كل الاذان والعيون لئلا تسمع أو تقرأ العرب وهم يستفرون على كل القضايا بأسلوب للتحليل والعلاج لها . . .

صعب ان ننظر كيف يستفرغ العرب على كل شيء جميل وقوي وذكي ونافع وانساني وحضاري كل اساليب الاستفراغ والوانه ، ثم صعب ان نرى كيف يغفر لهم كل العالم كل استفراغهم هذا . . . هل يستفرغ شيء على شيء استفراغا يشبه في قبحه استفراغ عباقرة العرب على القضايا الدولية حين يذهبون يحلونها ويفسرونها ويعلقون عليها ؟

انه مؤلم ومهين جدا ان نحاول تفسير اسباب هذا الغفران . . . كيف لا يغضب العرب من غفران العالم الشامل الدائم لهم ؟ كيف لا يدركون ما في هذا الغفران من تهوين وتحقير وتصغير لهم ؟

ان انسانا ما لن يهان او يحقر او يستهزا به مثل ان يكون عاجزا عن ان يصنع الاشمئزاز أو الاستقباح أو الانفجاع أو الغضب أو ارادة العقاب في احد مهما ضعف وقته وتوقع وتلوث وجهل وصغر وتعزى عن اقباح التشوهات والمهات والاورحال ، أو مثل ان يغفر له بالاساليب والتفاسير التي غفر بها كل العالم للقادة والزعماء والانبياء والشعراء والمفكرين والكتاب والعلماء العرب ، حاضرا وتاريخا بل ومستقبلا . هل يوجد تحقير شامل مثل الغفران الشامل اي بلا اشمئزاز أو استنكار أو غضب أو نقد أو رفض أو حتى استفراغ ؟

واشوقاه الى اليوم الذي يصبح فيه العرب اهلا لان يعاملهم العالم او الآخرون بالاشمئزاز والاستنكار والاستقباح والنقد والرفض وبالحاسبة والمحكمة القاسية اللفظة الموجعة بقدر ما يستحقون ! . . .

واشوقاه الى العصر الذي يصبح فيه العالم قارنا ومفسرا للعرب محققا فيهم بكل قسوة وشروط المنطق والاخلاق والحضارة والنماذج والمستويات الانسانية الصعبة ، لا

ان يظل غافرا لهم كل شيء غير مشترط فيهم او لهم اي شرط ، او مفترض فيهم اي معنى جيد او ذكي او قوي او كريم ، يراع او يدهش اذا افترقه فيهم . هل يعتدي على شيء مثل الاعتداء على العيون والاذان والعقول التي يحكم عليها بان تقرأ او تسمع او تحاسب اي نبي او عبقرى عربي ينقد او يفهم او يعرض او يفسر اي موضوع من موضوعات السياسة او الفكر او الدين او الاخلاق او الحياة او الكون ؟ ثم هل يوجد مغفور له مثل هذا النبي او العبقرى العربي ؟

اذن واشوقاه الى العصر الذي تنهاوى فيه كل السياط الفكرية والاخلاقية والحضارية والانسانية على الانسان العربي ، تحاكم وتحاسب وتؤدب وتعاقب فكره وضميره واخلقه وتاريخه وجميع مستوياته على كل ذكاء وجمال وانتصار وابداع وتفوق يفعله ويملكه لانه لم يجيء افضل واقرى مما جاء ، ولانه يجب ان يجيء ومطالب بان يجيء افضل واقرى مما جاء ، لانه يفترض فيه ويتوقع منه ان يكون دائما اكبر واعظم مما يحدث ومما يفعل ، اي يفترض توقعه اكبر من واقعه مهما كان واقعه ..

هل يأتي هذا العصر ، ومتى ؟ وهل توجد وسائل تجعله يأتي ويأتي سريعا ؟ وهل تعرف هذه الوسائل ان كانت موجودة او سوف توجد ؟ وهل من يعرفونها ان كانوا موجودين او سيوجدون ، يفعلونها ويحشدونها اي هذه الوسائل ؟ متى يأتي اليوم الذي لا يقسو فيه العالم على شيء مثلما يقسو على الانسان العربي حين ينقده ويقرؤه ويفسره ويحاسبه ويحدق فيه ويشترط عليه ويطالبه وينتظر منه ويعدد عطاياء الحضارية ؟

وافجيئته .. وافجيئته اذا كان من اعظم امانينا القومية ان يصبح قومنا اهلا لان يقرأوا ويفسروا ويحاسبوا ويستنكروا ويستقبحوا وينفذوا ويرفضوا ويعابوا ويعاف عارهم .. !

نعم ، يا قومنا اننا نتمنى لكم ذلك فهل تبلفون ما نتمناه ؟ هل تبلفون المستوى الذي يجعل عاركم وضعفكم وغباءكم مقروءا او مرثيا او مصروخا مشكوا منه ؟ اريدكم يا قومنا ان تبلفوا هذا الذي اتمناه لكم بكل اللهفة وقسوة الانتظار . ولعله لا احد يخيب ويهزم ويخطئ ويتعذب بانتظاره وامانيه مثل من يذهب باصرار ينتظر من العرب ويتمنى لهم شيئا جيدا ، قويا او ذكيا ..

انى اريد ان ارى الانسان العربي تعاب عليه وفيه اضخم المزايا لاني اريده دائما مفترضا اكبر واعظم مهما كبر وعظم ، ولا اريد ان اراه تغفر له وفيه دائما اصغر الرذائل واكبرها لاني لا اريده ان يفترض دائما اصغر واقل مهما صغر وقل . انى اريده ان يحاكم دائما بقسوة لاني اريده ان يفترض ويفسر ويقرأ دائما بتهاول .. ان العالم حتى اليوم لا يرى العرب او يستمع اليهم او يقرؤهم او يفسرهم او يحاكمهم او يحاسبهم او يغضب عليهم او يشتمن منهم او ينكرهم او ينقدهم بشيء

من رؤيته أو استماعه أو منطقته أو ضميره أو أخلاقه أو نماذجيه أو مقاييسه أو حضارته . انهم خارج جميع حساباته ومقاييسه الفنية والمنطقية والحضارية والانسانية . انه لا يراهم اية رؤية يرى بها نفسه . .

اذن هل يوجد هبوط يساوي هذا الهبوط الذي هبطه العالم بالعرب حاضرا وتاريخا ومستقبلا ايضا اي في ما يبدو ؟ والقيادات والزعامات والعقول العربية بل والجماهير العربية تعتقد ان العالم يمجدها ويباعمها ويؤمن بتفوق العرب على العالمين حينما يغفر لهم ، لا يحاسبهم أو يراهم مهما صغروا وتعمروا واثاروا غضب الحشرات واشتمزازها وافسدوا عليها حياءها ووقارها ونافسوها في ضآلتها وقمائها وطهارتها وشموخ مجدها . . والان ، لقد بقي الجواب عن التساؤلين السالفين الحادين .

انه مهما كانت قوة وصحة هذين السؤالين ، ومهما كان العجز عن تفسيرهما محتوما او حتى مطلقا وابديا ، فانهما لن يستطيعا ان ينقضا او يضعفا هذه الحقيقة . ان الحقيقة ليست حقيقة لانها لا تصطدم بتساؤلات او باعتراضات حادة وقوية ومعجزة ، لن يريد ويحاول الجواب عنها أو التفسير لها . بل ان اكبر الحقائق واقواها هي اكثرها تصادما بما يبدو ويظن انه يناقضها ويبطلها . هل وجدت حقيقة واحدة لا اعترض عليها ؟ لعل الحقيقة لا تكون حقيقة الا بقدر ما تتحداها وتهاجمها بل وتحاصرهما اشرس واقوى التساؤلات التي لا يعرف الجواب عنها . . ليست احتمالات تصادم الذوات والاشياء بغيرها وتناقضها مع غيرها تكون وتتوقع بقدر ما تكون اي الذوات والاشياء كبيرة وقوية وثابتة وظاهرة ؟ ليس الذي لا يواجه المناقضات والتحديات الصعبة هو اما غير الموجود أو غير القوي أو العظيم ؟ اليس الشيء يناقض ويعترض عليه ويشك فيه بقدر ما يكون كبيرا قويا واضحا مرئيا ؟

ان الاله ان كان او اذا كان او لو كان موجودا لكانت الاسئلة او الاعتراضات على وجوده اقوى واكثر تعجيزا من كل الاسئلة والاعتراضات التي قد توجه الى وجود اي كائن اخر . . ان الاعتراضات والاسئلة والشكوك حينئذ على اخلاقه ومنطقه وشهامته بل وعلى ذكائه ووقاره وعقله ورصانته لن يوجه مثلها الى اي شيء في قوتها وحسمها وتعجيزها .

ان المؤمنين جدا بالاله والانبياء ومعجزاتهم وبوجودهم وبالملائكة وبالبعث والحساب والعقاب والثواب - نعم ، ان المؤمنين بذلك اقوى ايمان ليجدون ان الاسئلة والاعتراضات التي تناقض وتتحدى ايمانهم اشرس واكثر وخطر من كل الاسئلة والاعتراضات التي قد تتحدى ايمانهم بأي شيء . . انه لا احد يستحق الرحمة والاشفاق مثل المؤمن بالاله والاديان لقسوة وقوة وكثرة ما يناقض ايمانه من التحديات والتساؤلات التي لا يستطيع الجواب عن واحد منها .

ان اقوى واشهر عقائد البشر واقتناعاتهم هي عقائدهم واقتناعاتهم التي تواجه من المناقضات والتعقيدات والازمات والاعتراضات اقساها واعتاها واكثرها تعجيزا لن

يحاول ان يفسرها او ان يعرف جوابا عنها مريحا أو مقنعا أو حاسما أو حتى متفوقا .
ان مانراه ونسمعه ونحياه ونعاشره ليواجه من اسباب واساليب وقوة النقد والرفض
والشك اكثر مما يواجه من ذلك ما نتخيله او نتمناه او ننتظره .

ولعل اصغر واضعف المعتقدات والافتقاعات في كل التاريخ الانساني هي اقلها
وقوعا تحت الهجمات والضربات والمناطحات الباطشة المفسدة لراحة ولذة وقوة
الاستيقان . ولكن هل في اليقين لذة أو قوة أو اي تفسير جيد أو جميل أو نافع أو
مريح ؟ أليس اليقين تبلا وخمولا وضعفا وتناوبا عقليا ٠٠؟ أجل ، انها لكثيرة هي
الاسئلة التي لا نعرف اجوبتها مع وجود الاجوبة عنها . ان العجز عن الجواب لا يعني
انه لا جواب . انه مهما كان الانسان مغرورا أو مهما طلب منه أو وجب عليه ان يكون
مغرورا ، فانه لن يستطيع ان يعتقد أو لن ينبغي له ان يعتقد بانه اذا لم يجد
جوابا فلا جواب . ولهذا فان جميع الاجوبة التي عرفت عن اضخم واشهر واقسى
التساؤلات لم تعرف مرة واحدة أو في مرحلة تاريخية قصيرة ، كما لم تعرف بسهولة .
وان الاجوبة التي سوف تعرف لن تعرف في محاولة واحدة ولا في زمن قصير ٠٠ حتى
اصدق واوضح واكبر الاجوبة ، انها لا تعرف ولا تأتي الا بكل البطء والمقاساة .

ان الحقائق والاجوبة لا تعرف ابدا الا متعاقبة وباسلوب بطيء وعصي وكسول
جدا . وقد يكون من التمجيد للحقائق وللاجوبة عن الاسئلة المناقضة لها ومن اساليب
وضع الاغراء فيها واعطائها قوة السلطان ان تكون متعاقبة وبطيئة . نعم ، لعل
الحقائق لا تكون بهيجة أو مفرحة أو ذات مجد الا بقدر ما تواجه من المساءلات
والمناقضات الحادة القوية العصية . ولعل الاجوبة عن هذه المساءلات والمناقضات لا
تكون كذلك الا حينما يكون مجيئها بمقاساة وعصيان وتباطؤ .

ولعل البشر لا يسعدون او يعجبون بحقائقهم أو يطربون ويتحمسون لها الا بقدر
ما ترهقهم وتعاقبهم باسلوب مجيئها وانكشافها وبقدر ما يقاسون ويتعذبون من
محاولات صد الهجمات القوية الذكية عليها عنها ومن محاولة الاجوبة عن الاسئلة
العصية . . وقد يسعدون ويفرحون ويرضون احيانا اكثر عن انفسهم وعن حقائقهم
اذا عجزوا عن صد هذه الهجمات ، مؤملين ان يصدها في نضالهم الاتي . .

اجل ، هل يمكن ان يجد البشر في اية حقيقة من حقائقهم اغراء أو جمالا أو قوة لو لم
تكن مهددة بالهجوم العنيف المخيف ، ولو لم يكونوا خائفين ومشفقين على اقتناعهم
بها وعاجزين ولو احيانا عن صد الهجوم عليها لكي يستمروا يحاولون صد الهجوم
ويستمروا يعتقدون ويعلمون انهم مناضلون دائمون ؟

هل مجد الايمان أو نشوته أو الحماس له في قيمة أو قوة ما نؤمن به ام في قوة
وشراسة المناقضة له والخوف عليه ؟ هل قيمة اي اله أو مذهب تساوي قوة
الاقتناع به وتساوي مزاياء الذاتية ام تساوي قوة المناقضة له والتشكيل فيه
والخوف عليه والدفاع عنه ؟

الليس محتوما ان يفقد البشر النشوة والحماس والتوهج والنشاط الفكري والنفسي لو ان ايمانهم بحقائقهم فقد كل تهديد وتحد ومقاومة مضادة ؟ نعم ، كم من النشوة والحماس والروعة في ان تكون لك اعتقادات تهاجمها باقوى الاسئلة التي لا تجد اجوبتها ؟ اذن اليس محتوما او محتملا جدا ان يدبر الناس لايمانهم المناقضات والمقاومات لو انهم لم يجدوا ما يناقضه اي يناقض ايمانهم ويتحداه ولو بالاسئلة التي يصعب او يرهق او يعجز الجواب عنها ؟ ان البحث عن الاجوبة وصناعة الاجوبة التي تكون مرهقة او غير مستطاعة او مقنعة غرض وفن من اغراض وفنون الحياة الانسانية الباحثة عن القلق .. ان البشر قد يتعمدون او يتمنون ولو احيانا اللقاء شيء من الغموض على حقائقهم واخفاء جوانب منها ووضعها او عرضها في موقف المهدد بالخطر والهزيمة وبالهجوم المعادي القوي ، لكي ينهضوا ويجندوا انفسهم ، عضلات وتفكيرها ومشاعر وصيحات وتحذيرا ، دفاعا عنها وخوفا عليها ، لكي يهبوا انفسهم النشوة والحماس واصناف الابطال المناضلين المهددين بوحوش الاعداء . ان الشعور بالخطر وبالمناقضة والتحدي ومحاولة المقاومة لذلك احتياج نفسي وفكري ومذهبي واخلاقي للانسان . ان فيه لتسويغا لحماقاته وتقاهاته ولرضاه عن نفسه ..

ان التساؤلات المناقضة والمعجزة احيانا ، ومحاولة الاجوبة عنها ، والوقوف موقف المدافع المهدد بالهجوم عليه وبالهزيمة او الابادة له شهوة ونشوة ورغبة من نشوات وشهوات ورغبات الحياة والبشر . ان الحياة لتحتمل ، او لتفعل وتكون وكأنها تحتمل ، لتجعل ذلك كذلك دائما في كل القضايا والمواقف .. ان فيه لفرارا من الخمول والاسترخاء ، واقتناعا للذات بان لها رسالة امام نفسها وامام كل شيء . ان القلق والنبض هما مجد الحياة وقيمتها وفرحها وجمالها . ولهذا فان من طبيعة او من قوانين الاشياء ان الشيء مهما كان واضحا ومرئيا بكل العيون والعقول والحسابات والمحاورات لا بد أن تكون فيه جوانب خفية وتقاسير غير مفهومة وان تهاجمه تساؤلات قوية لا جواب عنها او تبدو وكأنها لا جواب عنها . ان شيئا ما لن يكون بلا اعتراض او تساؤل او عقدة . ولو وجد مثل هذا لما كان له نبض او جمال او اغراء او قوة .. اذن فان جميع المناقضات والمساءلات مهما كانت شراستها وقوتها لن تستطيع نقض او اضعاف هذه القضية اي قضية ان العرب بدون تعليم لن يستطيعوا ان يعرفوا او يلتزموا حركات الاعراب المتبدلة تحت العوامل الكثيرة المتبدلة ، وانهم لم يكونوا في اية فترة من تاريخهم يعرفون ذلك او يلتزمون به او يستطيعون معرفته او التزامه . بل ان هذه المناقضات والمساءلات لا بد أن تتحول الى مزيد من الاقتناع بهذه القضية ومن الحماس لها والاغراء بها ومن اعطائها النبض والمجد والقدرة على الانتصار .. انها تحولها الى حياة وتوقد نفسي وفكري لثلاث تظل موتا وركودا وتبلدا . اليس اقوى آلهتك حياة ونبضا في نفسك هو الاله المهدد بالموت او بالهزيمة المذلة تحت الضربات والهجمات القوية المضادة التي تخشى الا تستطيع صدها ؟

اذن فليزداد كل انسان اقتناعا وفرحا وسعادة ومجدا واستمساكا بعقيدته او حقيقته او باله او مذهبه بقدر ما يواجه من المناقضات والمسايلات الذكية القوية المتحدية التي تحكم عليه دائما بان يعبئ ويجند كل نفسه ، كل اوقاته ، مدافعا صاددا للهجمات او محاولا صدھا ، وصانعا الاجوبة التي قد تكون عصية جدا او غير حاسمة او مريحة . كم هي سعادة ونشوة وفن صناعة الاجوبة الصعبة وغير المقنعة او الحاسمة ..

انه لا وسيلة غير هذه الوسيلة لكي تكون الحياة والاشياء والمعتقدات والحقائق والادھام ايضا حية نابضة مجددة ملهمة متجاوزة لمناخ وظروف الاسترخاء والخمود والتبذل .. كم انت شاعري الحياة والكينونة بقدر ما يحترق ويتنزى فكري وخيالك وتاريخك وتعاليمك تحت هجمات الاسئلة الذكية القوية التي لا تستطيع صدھا او اقناعھا او اسكاتھا .. التي لا تستطيع رفضھا او اغفالھا او الهاءھا او العجز عن سماع صوتھا او الابتعاد عن مرمى طلقاتھا ..

ان الحياة بلا مناقضة قوية متحدية كالوجود بلا حياة ، وكالحياة بلا قلب ، بلا حب ، وكالخب بلا محبوب او بلا مكان وظروف وتحريض والھام للحب . ان الحياة بلا سؤال ممجز وجواب عاجز تمويت بل واذلال وتحقير للفكر والرؤية والھماس بل وللقلب والایمان والاقتناع ..

ان اعجز العقائد والحقائق عن التحريك والتحريض والالھام بل وعن الاقتناع هي التي لا تواجه التحديات المناقضة القوية .. هي التي لا تھاجم وتدافع ، لا تخيف وتخاف بكل التوقد والتوجس والحركة والسرعة والرؤية ..

ان هذه الحقائق والعقائد هي اكثر الحقائق والعقائد موتا وخمولا وعجزا واقدرها على ايقاع الموت والخمول والعجز والبلادة والكآبة باصحابھا . كم هي ميتة ذليلة عاجزة مهجورة منسية تلك الالھة والمعتقدات والنظريات التي لا تھب علیھا دائما اقوى الاعاصير لتظل دائما خائفة مدافعة محاكمة محاسبة لنفسھا ومنطقھا وقوتھا لتظل دائما متحركة مغيرة لمواقفھا واساليبھا وخطوط دفاعھا ؟

ان اي وثن يصنع للمؤمنين به الھماس والنشوة والحركة والتسعر الفكري والعاطفي والاخلاقي لھو انفع لكل معاني الحياة من اي الھ تغطي وتذل قدماء الفليظتان كل ارجاء السموات ويزاحم عرشه الذي يجلس علیھ بتثاؤب واسترخاء وتبذل كل اطراف الكون اي ان كان مثل هذا الالھ الفادح سيتحول الى خمود وبرود فكر واحساس ورؤية وحركة واحتجاج وغضب وكينونة . اجل ، ان اي الھ او مذهب او نبي او قائد او زعيم لا يساوي نفسه بل يساوي المؤمنین به وما يطلق فيھم من نخوة وھماس وجنون متوقد مناضل . اني لا امل ولا استحيي من تكرار رأيي هذا ..

نعم ، ان ضبط حركات الكلمات المتغيرة تحت العوامل العديدة المتناقضة شيء لا يستطيع بالغريزة أو السليقة أو السماع أو المحاكاة أو الاصلة أو بالتدين أو الحب أو النظافة أو الشجاعة أو العبقرية أو القومية أو الوطنية أو الانسانية أو باخلاق العروبة وخصائصها ومزاياها العريقة . نعم ، ان مزايا العروبة ساحرة . ولكنها لن تكون ساحرة في هذه القضية . ان الساحر قد يصبح مسحورا احيانا . انه لرأي يجب ان يصنع الاسي والكآبة اعني الرأي الذي يزعم ان كل نساء واطفال وجهال وتجار ورعاة وجماهير الجاهلية كانوا بالسليقة المولودة يتنقلون بكل الالتزام مع حركات وتبدلات الكلمات المتحركة المتبدلة تحت عديد العوامل المتحركة المتبدلة الا يحتمل ان جمال وخيول العرب كانت في ذلك التاريخ العبقرى تلتزم ايضا بقواعد الاعراب ؟؟؟

اذن فان اي تشكيك أو تساؤل مهما بدت صحته أو قوته لن يستطيع أن يكون نقضا أو اضعافا لهذه الحقيقة . . انها لحقيقة يعلنها ويؤكددها ويوقع عليها ويجربها كل التاريخ بكل تجاربه ومراحله واختباراته وبكل نصوصه وقراءاته وتفسيره . .

اجل ، ان الانسان بكل حياته وكيوناته ومواجهاته وحقائقه ليس الا حشودا هائلة متراكمة متعاقبة من الاسئلة الحادة الدائمة المقلقة التي لا جواب عن واحد منها . نعم ، ان الانسان بل وكل شيء ليس الا أسئلة متراكمة مهما صممت هذه الاسئلة وكل الاسئلة . . انه لو كانت قوة الاسئلة المناقضة التي لا يستطيع الجواب عنها تنفي كينونة الشيء أو حقيقته أو وجوده لما وجد شيء يجب الاقتناع بانه غير شيء ، وغير موجود وغير حقيقة مثل الانسان . .

اذن فهذه الاسئلة وكل الاسئلة الاخرى المناقضة لهذا الرأي الذاهب الى ان العرب لم يكونوا ، بدون تعليم ، يعرفون أو يستطيعون الالتزام بقواعد الاعراب المتبدل خضوعا للعوامل المتبدلة ، هي اسئلة موجهة الى الانسان والحياة والى اي شيء ، أو موجهة الى الانسان لكونه حياة وشيئا اي لكونه وجودا ، وليست موجهة الى هذا الرأي لانه ضعيف أو خطأ ، أو هي موجهة الى هذا الرأي لكونه رأيا وشيئا اي لكونه انسانا وحياة لا لكونه ضعيفا أو خطأ . . ان كثرة الاسئلة وقوتها لا تعنيان ضعف الشيء المهاجمة له هذه الاسئلة أو لكونه خطأ بل قد تعنيان العكس أو يجب ان تعنيا العكس . . ان الاسئلة التي يمكن ان توجه الى الانسان لكونه وجودا وحياة وكيونونه أو لحساباته منطقا وشيئا جيدا أو نافعا أو معقولا أو مفيدا هي اعظم واكثر من كل الاسئلة التي يمكن ان توجه الى اي رأي من ارائه مهما كان ضعفه . . بل ان جميع الاعتراضات والاسئلة المناقضة الموجهة الى ارائه هي موجهة اليه هو لا الى ارائه .

كذلك ، فان جميع الاسئلة والاعتراضات وكذا الاجوبة ليست موجودة في نفس الاشياء بل في نفس الانسان . ان ذكاء اي شيء وغباه وكذلك جماله ودمايمته ليست في منطق أو تركيب الشيء بل في حياة الانسان . ان الاسئلة والمناقضات التي يمكن توجيهها الى افتراض ان العرب كانوا بلا تعليم يعرفون ويلتزمون قواعد الاعراب

بالطبيعة أو الارث والتوريت أو الحس أو بعبقرية الاذن والفم العربيين أو بموهبة الصدق والالتزام والتقليد والوفاء واتباع الابهاء في الانسان العربي ، لا بد ان تكون اكثر واذكى واقوى من الاسئلة والمناقضات التي يمكن ان توجه الى الافتراض المناقض القائل بان العرب لم يكونوا يعرفون أو يستطيعون ذلك بغير التعليم والتحفيز المحكومين بكل ألوان المقاساة ، بالاسلوب الذي به يعلمون ويحفظون اسماء وأوصاف واخلق وتواريخ وحروب وهموم وآلام آباءهم وانبيائهم وابطالهم وآلهتهم المرويين في الكتب والروايات والاساطير . . . الذين لا تستطيع العقول أو الاخلاق ان ترويههم أو تحفظهم أو تفهمهم أو تفسرهم بل أو ان تتقراهم لشمول شخوذهم وتحديدهم ومصادمتهم لجميع النماذج والمقاييس والشروط العقلية والاخلاقية والنفسية ولشمول خروجهم عليها . نعم ، هل يوجد شيء يستحق كل الرثاء مثل العقول أو الاخلاق التي يحكم عليها بان تقرأ وتحفظ وتتعلم أوصاف واخلق وتاريخ آلهة وانبياء وابطال وعباقره العرب ؟

ان العربي لن يستطيع ، بالسماع أو التقليد أو السليقة أو الموهبة ان يعرف أو يلتزم اعراب الكلمات المتغيرة الا بقدر ما يستطيع ان يعرف بقوة ايمانه أو ذكائه أو تدنيه لون أو طول أو اتساع العرش الذي يجلس عليه الهه ، أو من آية مادة صنع أو متى صنع أو من صنعه ، أو متى يبلى ويتحطم من طول جلوس الاله عليه ، وهل ينهض اي الاله من فوقه ، وفي اية فترة من فترات النهار أو الليل ينهض ، وكم مرة ينهض ، وإذا نهض اين يذهب أو يجلس ، وهل ينهض للراحة ام لسبب اخر ، لراحته هو ام لراحة العرش ، وهل يجلس على العرش احد سواء حين ينهض عنه ، ومن هذا الاحد الذي يجلس عليه ، وإذا جلس عليه هل يكون ملزما بان يؤدي كل اعمال الاله . . . وإذا لم يكن ينهض في اية لحظة من فوق عرشه فهل يطبق ذلك أو يريحه أو يسعده . . . هل يمكن تصور عذاب أو خمول أو عجز أو قبح مثل تصور الاله محكوما عليه بالجلوس الابدي فوق عرشه لا ينهض من فوقه ابدا ، سواء أكان جلوسه عليه جلوسا جسديا ماديا أم جلوسا ادبيا وظيفيا ؟ قبيح وبذئ منطوق من تصورا لله فوق عرشه بلا خلاص أو مفارقة . . . نعم ، هل التزامه الدائم الابدي بالجلوس فوق العرش ، ان كان محكوما عليه بهذا الالتزام ، التزام وظيفي أم اخلاقي أم نفسي أم فني أم هو اسلوب من اساليب الالف والمادة ، ام هو بسبب الكسل أو العجز أو الشيوخوخة أو رهبة المفارقة ، ام هو الخوف من احتمالات ان يكون هناك ممن حوله وفي مملكته ، منافسون متآمرون مغامرون طامحون يحسبون ويحسبون انفسهم ثوارا ، ينفون ان يسلبوه عرشه ، ويدبرون ويخططون لذلك وينتظرون الظروف الملائمة للهجوم والتففيذ ، مثل الذي يحدث اليوم ودائما فوق هذه الارض ولا سيما في العالم العربي وفي كل العالم المشابه للعالم العربي ، من توالي القفزات والمؤامرات على العروش لاسقاطها وسلبها . . . فهو اذن اي الاله يظل دائما جالسا فوق عرشه بل مصلوبا

فوق عرشه ، يقاسي من الخوف والعذاب ، توقعا للمؤامرات واحتمالات الاسقاط اكثر واقسى مما قاسى ويقاسي جميع الجالسين على العروش وعلى الحكم ولو الحكم الثوري المغتصب ، من ذلك اي من الخوف والعذاب ٠٠ اليس محتوما او محتملا ان توالي التآمر على الحكم في العالم العربي لا بد أن يصيب الاله بالخوف الرهيب على عرشه ، توجسا ان يكون في من حوله من الاعوان متآمرون سارقون للحكم ؟ هل فكر السارقون للحكم ان الاله قد يتعذب خيفة ان تسرق منه الالوهية بهذا الاسلوب الثوري المتآمر تحت اي شعار ؟

نعم ، ان الانسان العربي لن يستطيع بدون تعليم وتحفيظ ومقاساة ان يعرف ويلتزم بقواعد الاعراب الموضوعة الا بقدر ما يستطيع ان يعرف بقوة ايمانه او تقواه او ذكائه ، اي بلا انبياء وشيوخ يعلمونه ويلتقنونه - ان يعرف نوع ملابس الهه او نوع متعه وشهوته ولذاته ومسراته وتخلياته وتمنياته وطموحه واحلامه وحبه ، ونوع الرياضة والمهارة والمسللة التي يمارسها ويسعد بها ويتقنها ، ونوع الجلساء والاصدقاء والمستشارين الذين يرضاهم ويختارهم ويحبهم ويتعامل بهم ومعهم ويعتقد عليهم بثقة وشعور بالامن والمجد والمباهاة ٠٠ او ان يعرف بدون تلقين انبيائه وشيوخه ان الاله يجد سعادته ومجده وحكمته وعبريته في ان يمرض ويشوه ويقتل ويذل ؟ اجل ، هل يمكن افتراض الاله بدون كل هذا ، وهل يمكن افتراضه وله كل هذا ، او يمكن تصور هذا الذي لا يمكن افتراضه اي الاله بدونه ؟

هل يمكن تصور اية صيغة للاله او تصوره بلا اية صيغة ؟

هل يمكن ان يتقبل اية صيغة أو أن تتقبله اية صيغة ؟

هل تستطيع اية عين ان تراه او يستطيع ان يثبت امام اية عين تريد ان تراه ؟ كيف استطاع اي خيال او فكر أو ضمير أو ايمان أن يجد له اي لاله اية صيغة أو أن يجده او يتقبله في اية صيغة أو ان يخزنه في داخله اي عقل متصورا له في اية صورة أو نموذج أو تفسير ولو لحظة واحدة من الزمان ٠٠ ؟

هل يمكن ان يكون أو ان يقبل بلا اية تفاسير ، أو ان تقبل اية تفاسير توضع له ، أو ان توضع له أو فيه اية تفاسير ؟ هل يمكن ان يكون هناك منطق مصابا بالتشويه والقبح مثل المنطق الذي يضع أو يقبل للاله تفسييرا أو صيغة تستطيع العين أو الاذن أو الضمير أو الايمان أو التقوى أو الاخلاق ان تراهما أو تقرهما أو تسمعهما أو تحبهما أو تسعد بهما أو تقتنع بهما ؟

هل يمكن افتراضه مسرورا سعيدا مستمتعا متفائلا فنانا ذكيا قادرا مريدا محبا جميلا مغنيا ، أو افتراضه نقيض ذلك ؟ هل يمكن افتراضه اي شيء أو نقيضه ؟ هل يقبل اي افتراض ان يكون افتراضه ؟ هل يوجد له اي افتراض بين جميع الافتراضات ؟ هل يمكن ان يقبل أو يفهم أو يغفر له لو وضع تحت اية محاكمة أو محاسبة أو

مقاييس أو تفاسير أو توقعات ، أو ان يقبل أو يتصور طليقا من كل ذلك ومن كل شيء ؟ كيف امكن الاعتقاد ان اعفاء اي الاله من كل محاسبة ومحكمة والتزام واشتراط عليه وله وفيه هو اقوى وانتقى اساليب التكريم والتعظيم له ؟

اذن هل يمكن ان يتحول اي الاله الى تفاهم أو تلاؤم أو صداقة أو محبة مع اي عقل يفكر ويفسر ، أو اخلاق تعشق وتشتترط ، أو عيون ترى وتقرأ ، أو ضمائر تتقبل وترفض ، تبتهج وتحزن ؟ اذن كيف امكن ان تتوقف كل العيون والعقول والضمائر والاخلاق عن الرؤية والقراءة والتفسير والفهم والاشتراط وعن التقبل والرفض لكي تراه وتقرأ وتفسره وتفهمه وتجده كل الجمال والذكاء والشروط المطلوبة العظيمة . نعم ، هل رأى الله كل الجمال والذكاء الا العين التي لم تره والعقل الذي لم يقرأه . . . والضمير الذي لم يشترط عليه اي شرط ؟

هل حقر أو اهين أو عذب شيء مثل عقل الانسان وضميره وقلبه ورؤيته واخلاقه حينما فرض أو حكم عليه أو حاول ان يجد ويرى ويفسر ويفهم ويعقل ويتقبل الاله بكل رؤاه وتفكيره وطموحه ونماذجه وامانيه ومواجهاته واخلاقه ، وبكل ايمانه وصلواته وحبه وشكره وثنائه ؟ ولكن هل طلب بل أو قبل من اي انسان ان يرى الاله أو يفهمه أو يعقله أو يفسره أو يجده أو يتقبله أو يتصوره الا بأذنيه من افواه انبيائه وكهانه ؟ اليست اذنا المؤمن كل علاقاته بالاله ؟

نعم ، هل يمكن ان يفهم أو يقبل أو يغفر أو يتصور مثل هذا الاله بلا تعليم وتحفيظ واكرام الا اذا كان ممكنا معرفة قواعد الاعراب والالتزام بها بلا تحفيظ وتعليم ومكابدة غير جميلة أو سعيدة أو مشتهاة أو حتى نافعة لاي شيء أو لاي كائن ؟

نعم ، اليس القول بان كل عرب الجاهلية كانوا بلا تعليم يلتزمون قواعد الاعراب يساوي القول بان كل افراس العرب واغنامهم وانعامهم في الجاهلية كانت بحسبها الفني تنشد قصائد المعلقة الخالدة بكل أوزانها العروضية وقوافيها الموحدة دون ان تخطيء افواهها ناطقة أو أذانها سامعة ؟

غَيِّرُوا القَادَةَ وَلَكِنْ لَا تَنْتَظِرُوا أَخْبَارًا جَدِيدَةً

• • • غَيِّرُوا القَادَةَ وَلَكِنْ لَا تَقْرَأُوا النُّجُومَ أَوْ تَسْتَمِعُوا إِلَى مَفْسِرِي النُّجُومِ تَفْسِيرًا دِينِيًّا أَوْ عَرَبِيًّا • غَيِّرُوهُمْ وَلَكِنْ لَا تَنْتَظِرُوا إِنْسَانًا جَدِيدًا أَوْ قَرَأْنَا جَدِيدًا • • لَا تَنْتَظِرُوا أَنْ يَلِدَ الْإِنْسَانُ غَيْرَ إِنْسَانٍ أَوْ يَلِدَ غَيْرَ الْإِنْسَانِ إِنْسَانًا أَوْ تَلِدَ الشَّمْعَةُ شَمْسًا ، أَوْ يَلِدَ الْإِنْسَانُ الْمَصُوتَ إِنْسَانًا مُتَكَلِّمًا أَوْ مَفْكَرًا • • وَلَكِنْ لَا تَنْتَظِرُوا أَنْ يَجِيءَ السَّحَابُ إِلَى غَيْرِ أَرْضِهِ ، أَوْ يَتَكُونُ فِي غَيْرِ طَقْسِهِ ، أَوْ تَفِيضُ الْإِنْهَارُ الَّتِي لَا تَسْقِيهَا إِلَّا مَطَارٌ • • غَيِّرُوا الْقَادَةَ وَلَكِنْ لَا تَنْتَظِرُوا أَنْ تَلِدَ النَّمَالُ أَفْيَالًا أَوْ الْفَرَّانُ لَيُوثًا ، أَوْ الْغَرْبَانُ صَقُورًا أَوْ بِلَابِلُ ، أَوْ يَصْنَعُ النَّبَاحُ أَوْ الزُّثَيْرُ مَجْدًا أَوْ انْتِصَارًا أَوْ غَنَاءً ، أَوْ الْوَعْظُ جَمَالًا أَوْ نِكَاهًا أَوْ تَقْوَى أَوْ مَحَبَّةً ، أَوْ تَصْنَعُ رَعُودُ الصَّحْرَاءِ انْهَارًا ، أَوْ تَحُولُ الْمَرَاةُ الْمَزُورَةُ الْوَجْهَ الدَّمِيمَ جَمِيلًا • • وَلَكِنْ لَا تَنْتَظِرُوا أَنْ يَلِدَ الْكَائِنُ أَوْ الْكَوْنُ غَيْرَ مَنْ حَبَلَ بِهِ ، أَوْ تَنْبِتَ الْأَرْضُ غَيْرَ بَذُورِهَا ، أَوْ تَمْطُرُ السَّمَاءُ غَيْرَ سَحَابِهَا ، أَوْ تَحْبِلُ بِغَيْرِ نَجْمِهَا ، أَوْ تُولِدَ النُّجُومُ فِي غَيْرِ سَمَائِهَا ، أَوْ تَلِدَهَا غَيْرَ سَمَائِهَا أَوْ تَمْطُرُ السَّحَابَةُ غَيْرَ مَائِهَا ، أَوْ يَتَخَلَّقُ النَّبِيُّ فِي غَيْرِ شَعْبِهِ أَوْ يَلِدَهُ غَيْرُ شَعْبِهِ أَوْ يَتَكَلَّمُ بِغَيْرِ لُغَةٍ شَعْبِهِ ، أَوْ يَبْعَثُ إِلَى غَيْرِ شَعْبِهِ أَوْ يَجِيءُ أَكْبَرَ مِنْ شَعْبِهِ ، أَوْ يُوحِي إِلَيْهِ غَيْرُ مَلَائِكَةٍ أَوْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ غَيْرُ كِتَابِهِ ، أَوْ يَفْسِرُ كِتَابَهُ بِغَيْرِ لُغَةٍ وَمَنْطِقٍ وَضَعَفَ شَعْبَهُ ، أَوْ يَجِيءُ الدَّجَالُ إِلَى مَنْ لَا يَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ لِيَجِيءَ أَوْ إِلَى مَنْ لَا تَعِيشُ كُلُّ اخْلَاقِهِ فِي اخْلَاقِهِمْ • •

• • • غَيِّرُوا الْقَادَةَ وَلَكِنْ لَا تُؤْمَلُوا أَنْ يَتَحَوَّلَ النُّفُطُ الْعَرَبِيُّ إِلَى مَجْدٍ عَرَبِيٍّ أَوْ أَنْ تَلِدَ الْكَعْبَةُ إِنْسَانًا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسِيرَ فَوْقَ الْقَمَرِ بِقَدَمَيْهِ غَيْرَ الْمُسْتَوْدِئِينَ ، أَوْ أَنْ تَتَخَلَّقَ فِي أَيِّ نَبِيٍّ أَوْ قَائِدٍ أَوْ مَفْكَرٍ عَرَبِيٍّ مَوَاهِبَ غَيْرِ عَرَبِيَّةٍ أَوْ يَجِيءَ غَيْرُ صَوْتِيَةٍ أَوْ أَنْ يَتَحَوَّلَ الْعَرَبِيُّ إِلَى ثَائِرٍ حَضَارِيٍّ • • أَنْ يَصْبَحَ الثَّوْرِيُّ الْعَرَبِيُّ ثَوْرِيًّا حَضَارِيًّا • • ،

إِلَى زَمَنِ قَرِيبٍ كَانَتْ تَصْدُرُ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ مَجَلَّةٌ شَهِيرَةٌ وَمُحْتَرَمَةٌ وَحَادَةٌ فِي عَرَبِيَّتِهَا • • وَكَانَ صَاحِبُهَا يَعِدُ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ وَالرُّوَادِ الْأَوَّلِ • •

كَانَ لِهَذِهِ الْمَجَلَّةِ شِعَارٌ مَكْتُوبٌ عَلَى غِلَافِهَا • مَكْتُوبٌ بِثَقَّةٍ وَاعْجَابٍ بَلْ بِفَرَحٍ ، بِفَرَحٍ مَنْ يَكْتَشِفُ لِكْتَشَافِهِ عِبْقَرِيًّا لَنْ تَسْتَطِيعَ كُلُّ الْاِكْتِشَافَاتِ الْعِبْقَرِيَّةِ مُنَافَسَتَهُ •

كان يبدو لكاتب هذا الشعر وقائله انه به يفسر كل اخلاق التاريخ ومنطقه وقوانينه ومسيرته الدائمة في تيهه الطويل العقيم ..

يقول الشعر الكبير في حساب قائله ، بل وفي حساب قارئه :

« المسلمون الى خير ولكن الضعف في القيادة » ..

كانت هذه الكلمة في فم قائلها واذن سامعها تساوي كل ما في الكون والحياة من تفاسير . انها اقتحام لكل قوانين الطبيعة .

يا لها من كلمة سهلة وبسيطة . كان قائلها يظن ان الواقع سهل وبسيط مثل سهولتها وبساطتها . وكثير من الناس يحسبون ان الحقائق سهلة مثل سهولة الكلمات التي تقال لتعبر عنها اي عن الحقائق ، او هكذا يبدو انهم يحسبون ذلك كذلك . ولعل كثيرا من الناس يظنون ان الحقائق الصعبة والمعقدة تصبح سهلة وبسيطة اذا عبروا عنها تعبيراً سهلاً بسيطاً ..

يقول الصهال الاكبر الذي يظن ويظن له انه يحفر حكمه وكلماته في اقدم التاريخ ، ويكتبها على جبهة الطبيعة ، ويفسر بها جميع قوانين الحوادث والكيونة ، جميع قوانين البدء والانتها - أي يقول المتنبي

وانمسا الناس بالأسس بالأسس ولا ..

يفلح عـرب ملوكهم عجم

انه يرى ان الملوك اي جميع انواع الحكام والمتسلطين هم الذين يصوغون الناس ويهبونهم مزاياهم وراثتهم ، يجعلونهم اذكاء واقياء ومبدعين واعزة منتصرين ، او يجعلونهم نقيض ذلك ..

يجعلونهم عربا كل عبقريتهم ان يصوتوا او متحضرين مبدعين يفكرون ويتكلمون بصمت ...

ان الفرق بين اعظم المجتمعات وارديتها ، بين اعظمها تقدما وأكثرها تخلفا هو فرق بين ملوك اي بين سلاطين وخلفاء وقياصرة ورؤساء وثوار وقادة ، وليس فرقا بين بشر او مواهب وطاقات ..

اذن فالشعب العظيم جدا هو شعب ركب فيه او اسقط عليه من فوق النجوم ملوك وقادة وحكام من نوع ما . اما الشعب العاجز المتخلف الفاسد جدا فليس الا شعبا قد ركب فيه او اسقط عليه قادة وحكام وملوك من نوع آخر . اذن فنقل احد الشعبين الى الشعب الاخر انما يكون بنقل النوع الاخر من الحكام والقادة والملوك اليه . اذن فالشعوب لا تنقرا ولا تفسر لتفهم نقائصها واسباب عجزها وهوانها وانما يقرأ ويفسر حكامها .

ويروون عن الامام احمد بن حنبل ، وهم يريدون تمجيد ذكائه وعبقرية رؤيته وفروسية عقله انه قال :

« لو كانت لي دعوة مستجابة لدعوتها للسلطان لان صلاحه صلاح للامة وفساده فساد لها ، . . ولكن اذا كانت له مثل هذه الدعوة فلماذا لا يدعوها لكل ما في هذا الكون من الام وهموم وذنوب وعاهات ومخاوف ومظالم وحماقات لتزول ؟
 ليتعجب من هذا المنطق حتى من لا يملكون موهبة التعجب . . ليحزن حتى من لا يملكون اي قدر من فضيلة الحزن وموهبة الحزن على قوم هذه قمة منطق وعبقريّة احد ائمتهم وعبارتهم الكبار العظام . انه يهب دعوته التي يعلم انها لا بد ان تستجاب للسلطان لكي يصلح ولكي يتحول صلاحه الى صلاح للناس ، يقينا او ظنا او املا . . سذاجة عقلية ونفسية لم يقرأ التاريخ ولن يقرأ لها مثيلا الا في عباقرة العروبة وائمتها . .

اليس عبثا وغيا وسخفا لا مثيل له ان تحضر الطبيب او أن تصنعه لكي يشفي المريض او يحاول شفاءه ، اذا كنت تستطيع شفاء المريض دون احضار الطبيب ودون خلقه ، اذا كنت تستطيع شفاء المريض بل شفاء كل مريض وازالة كل مرض بكلمة واحدة تتوجه بها الى احد النجوم التي لا تراها ولا تراك ؟

اليس هذا يساوي في ذكائه وعبقريته التنفيذية ان تذهب تعلم انسانا القراءة او الكتابة او الرسم او الصلاة أو اية صنعة او موهبة او ان تخلق هذا الانسان ، لكي يحاول بعد أن تعلمه ذلك او بعد أن تخلقه ، ان يعلمك او يعلم ابنك هذا الذي علمته ، او لانك تؤمل ان يفعل ذلك بعد ان تعلمه او بعد أن تخلقه ، دون ان تفطن الى أن السلوك الذي لا يحتاج الى اية معاناة في الذكاء هو أن تعلم حينئذ نفسك او ابنك ما تريد تعلمه وتعليمه بدون هذا الوسيط ؟ اليس هذا يساوي ان تصنع لك رجلا صناعية مؤملا ان تسير عليها وانت تستطيع ان تستعيد رجلك الطبيعية بكلمة تقولها . . اليس هذا الاسلوب يساوي في خروجه على جميع بدهيات الذكاء والمنطق اسلوب الاله حينما يذهب يقاسي ويقاسي لكي يرسل الانبياء وينزل الكتب والتعاليم ويصوغ تهاويل الترغيب والترهيب ، مؤملا ان يجعل الانسان بذلك يخافه ويحبه ويعرفه فيطيعه ويعبده ويذل ويصلي له ، متعذبا بلهفات الانتظار والتأمل ، وبمشاعر الخيبة والانهزام ، - وهل وجد او يوجد معذب بلهفات الانتظار والتأمل وبمشاعر الخيبة والانهزام مثل الاله - نعم ، مع الافتراض انه اي الاله يستطيع بدون هذه الوسائط والوسائل المحتومة هزيمتها ، أن يجعل الانسان وان يصوغه كما يريد ويريد منه ؟ الاله يشقى بصنع اجهزته التعليمية مؤملا هداية الانسان وهو يستطيع هدايته بدون ذلك يقينا لا تأميلا . .

اليس محترما بل وواجبا ان تحزن لذكاء الاله في هذه القضية بل وفي كل قضية؟ وهل يوجد ذكاء يستحق من الرثاء كالرثاء الذي يستحقه ذكاء الاله ؟ بل هل يوجد ذكاء او سلوك يستحق من الغضب كالغضب الذي يستحقه ذكاء الاله وسلوكه ؟
 اذا كان الامام ابن حنبل يملك دعوة واحدة مستجابة ويعلم انها مستجابة ، وهو

يريد ان يهبها لاصلاح الناس فلماذا لا يدعوها لهم مباشرة ليعيشوا كل الهداية والصلاح اللذين يريدتهما لهم ، لا ان يذهب يدعوها للسلطان لكي يهتدي ويصلح ، ولكي يتحول اعتناؤه وصلاحه الى أمل في هداية الناس وصلاحهم ؟ انه لمنطوق وسلوك لن تخطئ فيه او تضل عنه الحشرات الصغيرة ، فكيف يخطئ ويضل عنه الامام ابن حنبل وكل من ظلوا يروون عنه ذلك باعجاب وانبهار من حكمته وعبقريته ؟ هل المعلمون والائمة الكبار هم اضعف منطقاً وسلوكاً وعبقريّة من الحشرات والديدان الصغيرة ولو احياناً ؟

انه لا بد من الاعتذار عن هذه المحاورّة التي مهما كانت قيمتها وصدقها فانها ليست هي القضية . ان القضية هنا هي اعتقاد الامام ابن حنبل والرواة عنه بل والجميع بان الحاكم هو الذي يجعل الناس عظماء واتفياء او تافهين وفاسدين . . . اذن وضع هذه المحاورات والحاسبات هنا وضع لها في غير مكانها . ولكنها لن تكون ظالمة او مظلومة ولا لائمة او ملومة في وضعها هذا . . . ويوجد حديث نبوي مشهور لا يرتاب المحدثون ولا المؤمنون في كون النبي قد قاله .

يقول هذا الحديث الكبير المعني فيما يعتقدون ويقررون :
« الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله . . . الا وهي القلب » . . .

يرى الذين يريدون ان يبذروا ويفهموا محققين في فهم اسرار الدين والحياة والتاريخ والبشر ، وفي فهم الاعماق البعيدة لكلمات النبوة : ان المراد بالقلب هنا الذي اذا صلح صلح الجسد كله واذا فسد فسد الجسد كله هو الحاكم اي الملك او الرئيس او الخليفة او الامام او القيصّر الثائر . كما أن المراد بالجسد هنا المجتمع او الشعب او الامة او الناس . ولكن ايها يصنع الاخر ويهبه ويعلمه ويصلحه ويقوده : القلب ام الجسد ان كان احدهما فاعلا والاخر مفعولا او مفعولا له او به او من اجله ؟ هل القلب فاعل او قائد للجسد اكثر من العكس ؟

ان من القضايا المتقررة التي لا تجوز الاساءة اليها بمحاولة المزيد من الاقتناع بها أو التاكيد لها لدى جميع كتاب العرب ومفكرهم ومؤرخهم ونقادهم وعلمائهم ان المجتمع المتخلف الفاسد العاجز المهزوم البليد انما يعني حاكماً فاسداً او بليداً او شريراً او رجعيّاً او عميلاً للاعداء ، وان المجتمع المناقض لهذا المجتمع انما يعني حاكماً مناقضاً في مزاياه لهذا الحاكم . ان الحاكم هو كل الداء وكل الشفاء . كل الامل واليأس . . . انه لا يوجد سبب او تفسير للهزائم او الانتصارات ، للقوة او الضعف ، للمظلمة او التفاهة ، للتقوى او الفجور في اي مجتمع ، غير الحكام والقادة .
انها لقضية يصعب التشكيك فيها او محاولة المراجعة لفهمها وتفسيرها او اختراق حواجز الاقتناع بها . . . لقد استراح المفسرون والمفكرون والعلمون العرب الى

ذلك - استراحوا من مقاساة ورهبة التفكير والفهم والرؤية ومحاكمة النفس وتجديدها والتحديث فيها .

اذن فتخلف العرب وعجزهم وهزائمهم وبلاداتهم واحقادهم وتباغضهم وجميع قبائحهم ووقاحتهم النفسية والاخلاقية والعقلية واللغوية لا يمكن تفسيرها الا بالحاكم الذي يحكمهم . كما ان شفاءهم من كل ذلك لا يكون ايضا الا بالحاكم اي بتجديده وتغييره او بنصحه وتوبته واستقامته واصلاح سريرته . ان الفرق بين الشعوب العربية وبين اقوى وارقى واتقى الشعوب لا يساوي اكثر من الفرق بين الحكام والقادة والزعماء هنا وهنا . .

وحتما هم لا يفهمون ولا يفكرون او يتساءلون : لماذا دائما يجيء حكامهم وقادتهم ضعافا او اشرارا او اندالا او جهالا او اغبياء او طغاة او بلها او بداء النفوس والعقول والاخلاق واللغات ، او لماذا يجيئون كل ذلك - كما لا يفهمون او يفكرون او يتساءلون : من الذي او ما الذي يصوغ ويهب مزايا الحكام ورذائلهم او من اين تجيء اليهم مزاياهم ورذائلهم ، او لماذا يجيئون هنا بكل هذه الرذائل وهناك بكل هذه المزايا ، ومن يقسم عليهم حظوظهم من هذه وهذه ، لماذا هم دائما هناك جيدين ، وهنا هم دائما رديئون . انهم معصومون هنا ودائما من اخلاق ونيات ولغات وخواطر المسألة والحاسبة والرؤية المحدقة . .

لقد كانوا يؤمنون بهذه القضية بالاسلوب أو المنطق الذي به يؤمنون بان للاله عينين يرى بهما كل شيء ، كل الرؤية ، كل الوقت ، دون ان يفهموا او يفكروا او يسألوا : هل هذا محتمل ، هل محتمل ان يكون الاله يرى ، وهل من لذته او سعادته او راحته او مجده او شهامته او عبقريته ان يرى كل هذا . . وهل يطبق ان يرى كل هذا دون ان تقتله رؤيته لعاره ولقسوته ولخروجه على جميع نماذج ومستويات الجمال والاحساس الفني والذكاء والرحمة والعدل . . دون أن يموت خجلا واشمئزازا وكرها ورفضاً واستقباحاً لوجوده ولقدرته وموهبته ولاشواقه وصيغته النفسية والاخلاقية والعقلية . رهيبة قبيحة هي كل صيغته ، اي صيغ الاله . كيف يطبق رؤيتهما ؟

نعم ، دون أن يفهموا او يفكروا او يسألوا : من الذي ركب فيه عينيه ، ولماذا ركبنا اي عينا الاله بكل هذه القسوة والقبح والوقاحة والبلادة والفضول والموت والعجز عن الاستجابة وعن الحب والشهامة والانفجاع والارتياح والاستحياء . هل يمكن تصور بلادة تساوي بلادة عيني الاله اللتين تريان كل هذا دون ان تعميا ؟

ان الايمان بان الاله يرى لهو ايمان لن يتفوق عليه اي ايمان اخر في نذالته ووحشيته وبلادته . انه لايمان اكثر بلادة وسخفا من الايمان بان الحكام والقادة والزعماء والانبياء والمعلمين هم الذين يهبون الناس عبقرياتهم وتفاهاتهم ، جمال

وجوههم وجماماتها ، قوة عضلاتهم وضعفها ، صفاء ضمايرهم وتلوثها . . ان الانسان لم يهيج شيئا مثلما هجا الاله حينما أعلن وآمن ان له اي لئله عينين مبصرتين . . نعم ، انه اي الاله ينظر في هذه اللحظة وفي كل لحظة بكل رؤيته ، بكل اتساع عينيه ان هذا الحيوان او الطفل او الشيخ الذي تجمعت عليه كل الالام والامهات والجراح والضربات يتلوى ويتمزق ، مستغيثا صارخا متطلعا الى السماء والى كل الجهات ، منتظرا الإنجدة مطالبا بها بلا سميع او مجيب ، دون ان يكره اي الاله نفسه أو يلعنها أو يخجل منها أو يصلبها أو يفا عينيه ، بل دون أن يبكي أو يحزن أو يهرب أو يكف عن الرؤية ، بل دون ان ينزل عن عرشه ويحوه الى حريق ليحرق بناره بلاذة وفضاظة ونذالة عينيه . انه لن يمكن تصور اي احترام أو رحمة لئله مثل قتل عينيه أو محاولة قتلها أو تمنى قتلها .

انك تؤمن بذلك . . اذن هل يوجد أوقح أو اقبح منك ايمانه ؟
اي انك تؤمن بان لئله عينين تريان كل هذه الاحزان والالام والتشوهات دون ان يقتل أو يكره عينيه . . ان ايمانك اذن للعنا وتحقيرا لمن تؤمن به . الاله يرى كل هذا بصمت أو بنشوة . هل يوجد أوقح من عينيه ؟ من الذي ابتكر الايمان وعلمه الانسان ؟ من الذي اراد تشويه الانسان بكل هذه القسوة ؟ هل شوه الانسان شيء مثلما شوهه ايمانه ؟ وهل شوه الانسان شيئا مثل تشويهه لمن يؤمن بهم أو لما يؤمن به ؟

ليس الايمان اقسى اساليب التشويه للمؤمن ولايمانه ولوضوع ايمانه ؟
هل صغر الانسان في شيء مثلما صغر في ايمانه أو هل صغر شيئا مثل تصغيره لمن آمن به أو بهم أو بها ؟

انه كثيرا ما كان يحاصرم ويخيفهم ويخرجهم باسئلته ومحاوراته المقلقة التي لا تجد جوابا ، والتي مهما ذكروا من اجوبة عنها وامتحوا اجوبتهم عنها واعلنوا اقتناعهم بها فانهم يعرفون من داخلهم انهم لم يجدوا أو يذكروا جوابا يقنعهم أو يقنع احدا ، وانهم لن يستطيعوا ان يجدوا أو يذكروا هذا الجواب . .

كان يقول لهم بكل قسوة الصدق وايلامه وبكل اغرائه ، وهل يغري الصدق احدا ، حتى الذين قد يصدقون هل يصدقون اغراء ؟ نعم ، كان يقول لهم :

« لو أن جميع زعماء وقادة ومصممي ذلك البلد - ويذكر بلدا معينا - قد اختفوا بضربة واحدة مفاجئة ، بان قتلوا أو ماتوا أو هربوا أو اسرهم احد حكام العرب الثوار ، وفي كل لحظة قد يحدث هذا التفسير الاخير ، اي ان ياسرهم احد حكام العرب الثوار ، وعلى الجميع ان يتوقعوا حدوث ذلك في كل وقت - نعم ، لو أن جميع هؤلاء اختفوا بهذا الاسلوب الشامل المفاجيء لكان محتوما ان يصعد مكانهم فوراً زعماء وقادة ومصممون اخرون ليقودوا ذلك البلد بنفس الذكاء والصدق والبراعة والاخلاص والعبقرية ، أو بمواهب وطاقات اعظم ، بصمت واتزان وتواضع .

٠٠ وايضا لو ان جميع زعماء وقادة وحكام العرب في جميع بلدانهم الثورية والرجعية ، الملكية والجمهورية ، الاشتراكية الشرقية والراسمالية الغربية ، قد اختفوا بنفس الاسلوب الشامل المفاجي ، لكان محتوما ايضا أن يقفز الى مكانهم فوراً زعماء وحكام وقادة اخرون لا يقلون عن ذهبوا عجزا وكذبا وصراخا ووقاحة وبلاذة وانهازا وغرورا وبدأوة نفسية وفكرية واخلاقية ولغوية واستعراضية اعلانية صوتية ٠٠ ،

نعم ، انه كثيرا ما كان يهوى على خمودهم وعقولهم واقتناعاتهم البليدة الخادمة ، وعلى آذانهم وكبرياتهم الموروثة والمعلمة يحققها ويدققها بهذه الافتراضات والتصورات الرهيبة في قوتها وصدقها وفي تجريحها وتعجيزها ٠٠ ولكن هل كان القوم الذين كان يحاور ويسائل يستقبلون اية محاوراة أو مسائلة ذكية وقوية ؟ اليسوا خمودا وموتا ؟

وكان احيانا يقسو جدا في صدقه وصراحته غير المعروفة او المغفورة فسي المجتمعات التي يعيش فيها ٠ اي انه كان في مقارناته حينما يقسو جدا يذكر لهم بلدا عدوا جدا ، لا يتحدث جميع العرب بكل السننهم واصواتهم ومذاهبهم ، من فوق جميع منابرهم ، ومن فوق جميع منابر كل العالم عن شيء ، مثلما يتحدثون عن خوفهم منه وعن ضخامة وشمول خطره عليهم ٠٠

نعم ، انهم يتحدثون عن هذا العدو تحدثا لا تتحدثه النعمة عن الصقر او الذئب او عن الصياد ٠٠

كان يقول لهم وكأنه يريد ان يفجر فيهم كل تعبيرات الغضب والغيرة والحماس: لماذا يتعاقب زعماء وقادة هذا البلد العدو على قيادة بلدهم اي البلد الذي نهبوه ، وعلى صياغته بمستويات تتعاضد في قوتها وذكاؤها ودعائها ، حتى لكان في احشاء هذا الكون الها قد تعهد بوفاء لهم بان ينقل الى كل زعيمهم أو قائد لاحق منهم كل المواهب المتفوقة التي كانت في الزعيم أو القائد السابق ، مضيفا اليها كل المواهب الجديدة المتخلقة او المولودة في القائد أو في الزعيم اللاحق ٠ لقد كان كل زعيم وقائد من هؤلاء الاعداء يجيء وكان فيه قدرة خارقة لتمتص كل مواهب ومزايا كل من قبله لتتجمع فيه مع مزاياه ومواهبه الجديدة المتفوقة ٠

ثم يقول اما الزعماء والقادة العرب فانهم يظلون يتعاقبون على شعوبهم بمستوى شامل دائم فاجع من الضعف حتى لكان الطبيعة قد حشدت كل نذالتها وقبحها لكسي تجعل ضعفهم ضعفا لا يستطيع ايتكار او تخيل ضعف اردا منه ٠ انظروا بكل رؤيتكم ٠ هل جاء قائد عربي واحد لم تتجمع فيه اردا المستويات لكل انواع الضعف ؟ هل جاء قائد او نبي عربي واحد لم يستوهب او يسرق من كل الضعف كل معانيه وتقاسيره ؟

انه لتصور او افتراض مخيف صادم بل مهين مذل . ولكن هل هو تصور او افتراض ؟ اليس واقعا مشهودا بالديمومة يعاقب ويفجع كل رؤية وتفكير ومساءلة ومحاسبة ؟ اليس تعاقب قادة العرب يؤكد اقصى تأكيد هذا الواقع الذي طرح بأسلوب الافتراض ، كما يؤكد بكل هذه القسوة تعاقب قادة هذا البلد العدو ؟ ان كل قائد عربي يجيء وكان جهازا خارقا قد ركب فيه لينقل اليه كل الضعف الذي كان في كل القادة العرب قبله . كيف استطاعت الطبيعة أن تجعل كل قائد ونبي عربي ناقلا كل ضعف كل من كانوا قبله إلى ضعفه ؟

وكيف يمكن او يجب ان تفهم وتفسر هذه القضية ؟

ولكن كيف حدث ان تحتاج هذه القضية الى تفسير ، او ان يقع خطأ فسي تفسيرها ؟

ان الشعوب أو المجتمعات لا تساوي قاداتها أو زعمائها أو انبياءها ، ولكن قاداتها وزعماءها وانبياءها يساؤونها ، وانها لا تفسر بهم ولكنهم هم الذين يفسرون بها . انها اي الشعوب والمجتمعات هي التي تلد قاداتها وزعماءها وانبياءها ، وتلد خصائصهم المتفاوتة والمتناقضة القيمة . انها هي ارضهم وبزورهم ومناخهم وسحابهم وانهارهم ونبابيعهم ، وليس العكس . انهم لا يكونون ولا يهبون الا ما تهب لهم وتزرع فيهم .

انها بمواهبها وخصائصها العرقية والذاتية والبشرية الانسانية هي التي تتركب وتزرع فيهم وتنقل اليهم وتورث لهم بل وتقرض عليهم جميع عضلاتهم العقلية والمنطقية والنفسية والاخلاقية والحضارية مثلما تصنع لهم عضلاتهم الجسدية ومثلما تقرض عليهم لونهم ونماذجهم البدنية الاخرى . انها تصنع لهم قوتهم وضعفهم بالمنطق والالزام اللذين بهما تصنع لون جلودهم وعيونهم ..

ان هذه العضلات والنماذج المختلفة لا تنقل اليهم من خارج شعوبهم ومجتمعاتهم التي ولدتهم وصاغتهم ، او تلقى عليهم من فوق النجوم ، كما انها لا تنبت فيهم ببتا شيطانيا أو طفيليا معزولا أو مستقلا عنها ..

ان العضلات العقلية والاخلاقية والنفسية والحضارية تنقل وتورث وتزرع وتركب كالعضلات البدنية ..

ان هؤلاء الزعماء والقادة والانبياء اذا جاءوا ضعفاء أو اغبياء أو اندالا أو مهزومين أو معتمدين أو خامدين أو فاسدين أو لصوصا وكذبة فالمنصب والمسؤول والفاعل لذلك هي شعوبهم ومجتمعاتهم التي زرعت وانبتت فيهم جميع صياغاتهم ، كما ان المسؤول عن الطفل الذي يولد مشوها أو ضعيفا أو مريضا هي الاعضاء والخوات والظروف المناخية والقوانين الوراثية التي تخلق فيها وتلقى منها كل خصائصها واملاءاتها وشروطها الرديئة دون أن يكون له أي اختيار أو علم أو تدخل أو قدرة على

الرفض أو المقاومة • لقد تلقى القادة والزعماء والحكام مواهبهم الجيدة أو الرديئة كما يتلقى الوجه جماله ودمامته ••

اذن فهو لاء القادة والزعماء والانبياء التافهون العاجزون الاغبياء مظلومون ومعتدى عليهم مهما بدوا او حسبوا او كانوا ظالمين ومعتدين جدا بالمنطق الذي به هذا الطفل الذي ولد مشوها او ضعيفا او ابله معتدى عليه ومظلوما • ان لوم الوليد المشوه او الدميم او المريض دون لوم الاعضاء التي ولدته ليس اكثر غباء او ظلما من لوم القائد البليد او الضعيف او الاحمق او الفاسد دون لوم المجتمع الذي افرزه ••

كانوا دائما يتحدثون عن الائمة وعن انهم هم الذين صنعوا وثبتوا الام اليمن وتخلفه وضعفه الرهيب • وكانوا يجدون في هذا التحدث وهذا الاقتناع الذي لا يخاطبه او يحاوره اي شك او مراجعة تفسيرها سهلا وغفرانا لعجز وذنوب كل من عدا الائمة الحاكمين • كان ذلك نوعا من الغفران للصحراء المصابة بالقحط للالقاء بالذنب كله على النبتة التي ولدتها الصحراء ضعيفة ذابلة •

اما هو فكان يقول لهم وكأنه يهزل بينما كان جادا كل الجد : اليس الشعب اليمني هو الذي صنع الام وتخلف وضعف وجاهلية وفساد ائمتهم ؟ أليس هو الذي ولد لهم وصاغهم ورباهم ضعفاء وجاهلين ومتخلفين وفاسدين وطغاة ، او هو الذي لم يلزمهم او يعلمهم او يوح اليهم او يفرض عليهم ان يكونوا شيئا افضل واغوى من ذلك ؟

اليس الشعب هو المولد والمناخ والتربية والوحي والنموذج والسماع والقراءة والرؤية الاولى والدائمة التي تلقاها الائمة ؟ اليس المعلم الاول والدائم ؟

كيف تتهم النبتة بضعفها او برداءة نوعها ولا تتهم ارضها او بذرتها او مولدها او مناخها او ظروفها بكل ذلك ؟ ايها اكثر ظلما وغفلة : اتهم هذه النبتة بما فعلت بها ارضها وظروفها ام اتهم ائمة اليمن بما فعل بهم شعبيهم ؟

كيف يتهم الوجه الدميم بانه هو الذي صنع دمامته وتشوهاتة ؟ اليس الذي وهبه دمامته هو جسده المحكوم بظروفه وباحتمالاته وطاقاته وبكل خصائصه العرقية والوراثية ؟

اليسست مسؤولية ائمة اليمن في شعبيهم وعنه تساوى مسؤولية الوجه الدميم عن جسده وفيه ؟

ان ائمة اليمن لو ولد لهم ورباهم شعب قوي متحضر لجاءوا كذلك حتما ، ولكن ذلك خيرا لهم واعظم مجدا • ان فساد الائمة وعجزهم ليسا ربعا ولا مجدا لهم بل لقد كانا عدوانا عليهم وظلما لهم واخذنا من سعادتهم ••

ان كل ذنوب ائمة اليمن ونقائصهم لا يمكن تفسيرها الا بان الشعب الذي ولد لهم ورباهم واوحى اليهم لم يكن شعبا اخر ، اعظم واغوى • اذن لقد كانت حظوظهم واقدارهم رديئة جدا • انهم ليستحقون الرثاء والجمالة لا الغضب ولا الاتهام او

العتاب .. ارثوا لائمة اليمن لانهم لم يكونوا من شعبيلدهم ويصوغهم ولادة وصياغة اعظم ..

انه مهما كان المفروض او المعتقد او الواجب المطالب به ان يكون القائد وكل من في معناه بستانيا او زارعا يصنع البستان والحقل ويهبهما النماء والجمال والبذور الصحيحة القوية ، ويجميها من الافات والامراض ، ويختار لهما اجمل المزايا وافضل الثمار ، فانه اي القائد ليس الا نبتة او شجرة في الحقل او البستان يتلقى منهما اي من الحقل والبستان كل معانيه واخلاقه ومذاقته وكل جودته وردائه ، قوته وضعفه .. ليكن القائد في المجتمع بمكانة الوجه والعضل والراس فمن الذي يصنع ويصوغ الراس والوجه والعضل ؟ وهل يستطيع ان يكون غير ما وضع ويضع فيه الجسم ؟

نعم ، ان القائد مهما كان بستانيا وزارعا فانه لن يكون كذلك او لن يؤدي عمله الا بما وضع فيه الحقل والبستان من جودة ورداءة ومن قوة وضعف . ان البستاني اذن هنا هو البستان وان الزارع هو الحقل . اذن فعيوب البستاني والزارع لن تكون الا عيوب البستان والحقل . ان العلاقة بين هذا وهذا كالعلاقة بين الجسم والعضل ..

ان شجرة او نبتة من البستان او الحقل قد وضعت في مكان البستاني او الزارع او زعمت كذلك ...

ان القادة والشعوب ليسوا نوعين من الناس ، يحاسبان او يفسران او يكونان مفصولا احدهما عن الاخر بمزاياه او برذائله ، ولكنهما نوع واحد من البشر ، تنتقل العصي والظهور بين احاده او بين جماعاته ، او يتبادل احاده وجماعاته الظهور والعصي . لهذا فلن تكون خصائص وتفاسير حاملي العصي غير خصائص وتفاسير حاملي الظهور او اصحاب الظهور ..

ان حامل العصاة والضارب بها لم يتعلم اخلاقه وتفكيره وضميره وجراته ويوهب عضلاته بل وعصاه ومواعب عصاه الا من حامل الظهر المضروب .. انه لن يكون احد الفريقين افضل او اردا اي في الافتراض الدائم او في المحاسبة الدائمة الشاملة . اي اذا حوسبا كفريقين لا كافراد في فريقين .. هل تستطيع اية عصا ان تتعلم او توهب اخلاقها او قوتها او جراتها او ذكاءها او تدبونها الا من الظهر ؟

ان نسبة العجز او الرداءة او الغباء او الوقاحة او الموهبة الصوتية في احد الفريقين اي حاملي الظهور وحاملي العصي لا بد ان تكون هي نفس النسبة في الفريق الاخر .. اي محسوبة الفروق بين اعداد الفريقين ..

ولو اختلفت هذه النسبة لكان اختلالها يعني اختلافا وتفاوتا بين الاحاد بدا وكأنه تفاوت او اختلاف في توزع المزايا بينهما اي بين فريق حاملي العصي والتيجان وفريق حاملي الظهور ولابسي القيود .. ولان ذلك كذلك فان البشر دائما وفي كل التاريخ

يتبادلون العصي والتيجان والظهور والقيود ، يتبادلون الاماكن والايدي . وانهم حتى اليوم لم يستطيعوا ان يكونوا الا حاملي تيجان وسيوف وعصي ضاربة ، والا لابسى قيود وحاملي ظهور مضروبة ..

والحاملون اللابسون لهذه ليسوا في تفاسيرهم او مواهبهم او ولادتهم غير حاملي هذه ، ليسوا اعظم او اقوى او اردأ او اضعف منهم اي في خصائصهم وطاقاتهم الذاتية المولودة والموروثة والمكنة .. انهم لا يقسمون الى هؤلاء او الى هؤلاء محاسبين بفضائلهم او بزدائلهم ..

وهؤلاء الذين يزعمون او يعتقدون ان القادة والحكام هم الذين يقدمون الشعوب ويصلحونها ، وهم الذين يؤخرونها ويفسدونها يريدون ان يجعلوا الشعوب العربية غير مسؤولة عن عجزها وتخلفها وفسادها بل وغير قادرة على ان تفارق ذلك حتى تتفضل الالهة الغافلة المسترخية فوق عروشها المتشوهة البالية من التقادم والاهمال ، او حتى تتفضل الاقدار والحظوظ الضاربة المعادية او الواهبة المصادقة بلا منطوق او عدل او استحقاق - نعم ، حتى تتفضل هذه او هذه فتخلق لهم من الغيب ، او من اللغناء والهباء ، او من اجنحة الملائكة وصلواتها ، او من تراب النجوم ، او من اشعة الشمس الضائعة الضالة في الفضاء ، قادة وحكاما وانبياء يزرعون في عقولها واخلاقتها وضماثرها وقلوبها واحاسيسها وعضلاتها العبقرية والتقوى والقوة والحماس والحب والصدق والوقار والذكاء والنظافة والكره والرفض للهدير والصهيل والنعيب وللبداءات والوقاحات والدعاوى المغرورة المتحولة الى بديل عن كل موهبة وعن كل معنى جيد مهذب ..

نعم ، ان هؤلاء يريدون بزعمهم واعتقادهم هذا اثبات براءة الشعوب العربية من ذنوبها وتخلفها وعجزها ، او لا بد ان يعني هذا .. ولعلمهم لم يريدوا تبرئة الشعوب العربية من ذلك الا لكي يبرئوا انفسهم . لعلها انانية لا شهامة .. محظوظة جدا بان كل المتحدثين والمفسرين منها يدافعون عنها حتى طغاتها وجلادوها يفعلون لها ذلك . انه ليس هذا فقط . بل ان هؤلاء ليرون ويقولون او يقولون فقط : ان في داخل ذات الانسان العربي لشحنات هائلة ، بل شحنات لا مثيل لها في ما حدث ، ولا في ما يتوقع ان يحدث ، ولا في ما يمكن ان يصعد اليه أي تصور . انها شحنات من كل انواع العبقرية بكل انواعها وموضوعاتها وتفاسيرها . انها شحنات تستطيع ان تتحول الى قفزات حضارية وانسانية لا تجرؤ الشمسوس ان تحقق فيها رهبة واستحياء وتواضعا وتادبا . ولكنها معتقلة داخل ذات الانسان العربي ، لا يمنحها من الانطلاق والتفجر والتعبير الا القادة والحكام الفاسدون الضالون الجبناء العمسلاء الجهال الانذال . ولكن هل منعوها من الانطلاق لانهم لم يقودوها ويأمروها ام لانهم اخافوها ام لانها استحييت واشمازت ان تعمل بقيادتهم وفي عهدهم ؟ انهم ليقولون : ان العرب عمالقة وعابرة وملائكة يحكمهم حكام وقادة وزعماء من

الاقزام الابلالة التفاهين .. انهم اكثر من مائة مليون ملاك عملاق عبقرى يحكمهم ويستعبدهم ويفسدهم عشرات فقط من الابلالة الصغار الفاسدين الاغبياء .. ١٠٠
لقد سمعتم كثيرا يقولون ذلك وحاورتهم في قولهم هذا . وقد شعروا بالاشفاق علي وبالرثاء لي لانني لم استطع الاقتناع بهذا الذي يقولون ويعتقدون .. ان اقوى ما في تفاسير الانسان العربي للاحداث وللأشياء قوة ايمانه بها اي بتفاسيره . بل ان تفاسيره لا تساوي سوى اعجابه بها وعجزه عن محاسبتها . ان اردا ما في تفاسير العربي لاي شيء انه لا يستطيع تخطيها اي تفاسيره مهما تخطاها كل شيء حتى ولو تخطاها هو بكل تفاسيره ..

ان هذا التفسير للانسان العربي لهو نوع من الهجاء اللفظ الذي اريد به الامتداح والدفاع ، والذي حسب امتداحا ودفاعا .. ليست جميع مدائح العرب لانفسهم او لغيرهم وكذا جميع اساليبهم الدفاعية لن تكون في جميع تفاسيرها الا هجاء وهجولا فيهما كل معاني اللفظة والفحش والقبح والغباء ؟

ان هؤلاء المدافعين والمفسرين لم يفظنوا الى انهم لم يحلوا المشكلة او يفسروها بل لقد عقدوها او فعلوا فعل من يريدون تعقيدها ، دون ان يعرفوا او يقصدوا ، وانهم ايضا بذلك لم يتحولوا الى مادحين او مدافعين عن انفسهم او عن مجتمعاتهم بل لقد اصبحوا بذلك هم اقصى واغبي الهاجين الذامين المهاجمين بوقاحة ..
كيف لم يقرأوا او يسمعوا او يروا او يسألوا هذه الاسئلة التي لا بد ان تطاردتهم وتحاصرهم . ان اي عقل مهما كان حجمه وبلادته واميته وعماء وخموله لن يستطيع الا يصطدم بهذه الاسئلة ، ولن يستطيع ان يعجز عن قراءتها او رؤيتها او الاحساس بمواجهتها مهما اراد هذا العجز ودبر له ..

ما اقدر الانسان العربي على العجز عن الرؤية والقراءة والمساءلة والتصادم وعن الاحساس بالتناقض حتى ولو كان المناقض او النقيض هو الكون كله متحولا الى عامات وتشوهات وخطايا وذنوب وقبائح لتتجمع وتتفجر كلها في عقله وضميره وعينيه وفوق اخلاقه بل وفوق اربابه وانبيائه واديانه وداخل معابده وهياكله . ان الانسان العربي لم يوهب شيئا بكل السخاء مثلما وهب العجز عن الرؤية والقراءة والمساءلة والاحساس بالمناقضة .

ولعل هذا العجز هو احدى عبقریات الانسان العربي الاصيله التي لا يستطيع شيء ان يهدمها أو يهزمها أو ينافسها ، بل التي لا يستطيع احد ان يفهمها أو يغفرها . بل لعل جميع عبقریات العرب عبقریات لا يستطيع هدمها أو هزيمتها كما لا يستطيع فهمها أو غفرانها أو منافستها ، بل انه لا احد يريد منافستها ..

أليس محتوما ان تقول لهم هذه الاسئلة بكل الصراخ وبكل الهمس ايضا ، بكل الغضب والانزعاج - ان تقول لهم :

اذا كان القادة والحكام هم الذين يهبون الشعوب عبقرياتها وحضاراتها وتقواها

فلماذا لم يهب حكام وقادة العرب ذلك بل ولا شيئا منه لشعوبهم ؟ لماذا لم يفعل ذلك قط حاكم او قائد عربي واحد لا من الثوار التقدميين الاشتراكيين ، ولا من الآخرين المناقضين ، لا من الذين يقولون : قال الله ، قال محمد ، قال القرآن او الانجيل ، ولا من الذين يقولون قالت المذاهب والنظم والنظريات المعاصرة ؟ لماذا لم يفعل ذلك نبي او خليفة عربي واحد ؟

هل يمكن تفسير هذا بانهم عاجزون جميعا اي حكام العرب وقادتهم وانبيائهم وانهم مستمرون في هذا العجز ومتساوون في مستويات ونماذج عجزهم مهما تفاوتوا في مزايعهم وفي ارتفاع اصواتهم ، او تفسيره بانهم جميعا متآمرون على شعوبهم ومدبرون مخططون لابقائها في تخلفها وعجزها وهوانها ؟ هل يوجد تفسير لهذه الظاهرة غير هذين التفسيرين ؟

ولكن لماذا خص جميع قادة العرب وحكامهم وانبيائهم مهما تكرروا وتعاقبوا بهذا العجز او بهذا التآمر والفرد دون جميع قادة وحكام وانبياء الشعوب الاخرى العظيمة ؟ من دبر هذا واراده ولماذا ، وهل جاء بتدبير ؟ وهل جاءوا جميعا اي حكام العرب وقادتهم وانبيائهم بهذا العجز او بهذا الفرد لانهم اصبحوا يحكمون ويقودون العرب ام لانهم جاءوا ولادة ووراثه وصياغة العرب ، اي لانهم جاءوا مستويات وطاقت عربية ؟

هل العرب علموا قادتهم وحكامهم هذا العجز والفساد ام ورثوهم اياها توريثا ؟ ام هل يمكن تفسير هذه الظاهرة البائسة بعجز الشعوب العربية عن التكافؤ مع قاداتها وحكامها وانبيائها ، لهذا عصتهم او عجزت عن فهمهم او استصعبت تكاليف طاعتها واتباعها لهم ، اي انهم جاءوا بعبقريتهم وتقواهم وبتعاليمهم وطموحهم وخططهم اكبر من الانسان العربي ، اكبر من عقله وقدرته ، وعضلاته وشجاعته ؟

وهذا التفسير نقض للتفسير السابق القائل : ان العرب عمالقة اتقياء يحكمهم ويقودهم اقزام اشرار .. القائل بان العرب هم دائما شمس، يطفئها أو يخفيها الظلام ، وانبياء يخدعهم ويهزمهم ويحكمهم الجالون ، فيطيعون ويتبعون . وهذا التفسير النقيض يوجد من يقولون به ومن يرونه .. اجل ، فمفسرو العرب يقولون احيانا ان الانسان العربي اكبر واعظم من قادته وحكامه و احيانا يقولون العكس .

وانهم لكثيرون اولئك الذين يقولون ويرون ان انبياء العرب وخلفاءهم واثمتهم وكثيرا من قادتهم هم بتعاليمهم وذكائهم واخلاقهم وتقواهم وبكل تفاسيرهم اكبر من الانسان العربي ، هم عمالقة وعباقره وملائكة جاءوا ليقودوا ويعلموا قزما تافها فاسدا شريرا هو الانسان العربي . انهم ليوث وافيال جاءوا الى نمال وارانب ليصنعوا منها ليوثا وافيالا . انهم اروع نشيد يغني لاذان صماء ..

بل ان جميع معلمي العرب ودعاتهم ووعاظهم ومصوتيهم ليرون ويتحدثون بكل الغرور والاعجاب والمباهاة بل بكل مشاعر اخلاق التقوى الدينية والتاريخية والوطنية بان الانسان العربي بجميع تفاسيره واحتمالاته اصغر جدا من انبيائه وخلفائه وسلاطينه وقادته الاوائل واصغر من كل ما جاءوا به من تعاليم وشرائع واخلاق وكتب مقدسة ومن نبوات .. ان العربي ليحاول ان يمجّد الهته وانبياءه وخلفاءه وقادته بتحقيره لنفسه . انها موهبة عربية عريقة ..

منذ سنوات قليلة كان يوجد هنا زعيم عربي مثير ثم ذهب باسلوب مأساوي له وللشعب الذي كان يحكمه ويصنع مأساهه بل للعرب في كل عصورهم .. ذهب مخلفا وراءه هزيمة سوف تظل عارا وتشويهها لكل التاريخ بكل تفاسيرها ..

وقد قيل وحتى اليوم يقال : ان حجم هذا الزعيم كان اكبر جدا من حجم قومه ، وكانت عبقرياته ورؤاه اكبر واوسع كثيرا من كل ما قد يستطيعون ان يفعلوا او يفهموا او يريدوا او يتقبلوا او يتحملوا . لهذا قادهم الى الهزائم والمآسي والعار على مستوى لا نموذج له في مأساويته لانه كان اضخم عملاق يقف ويتحرك ويقاتل فوق اصغر وافعال قزم . لقد عجز القزم عن حمل العملاق الذي هو اكبر واثقل وزنا من جميع العمالقة . فكان محتوما ان يسقط القزم اعياء ورهبة ورعبا ليتمزق هو ولينتهي العملاق بالاسلوب المأساوي الملائم الذي انتهى به . لقد انهار الحامل فانهار فوقه المحمول ..

لقد قتل افعال قزم اضخم عملاق لانه عجز عن حمله . انه اقبح قتل واعجبه .. ان اقواما ليقولون ذلك بانبهار وغيبوبة من الفرح والافتناع ومن ضخامة الاكتشاف الذي توصلوا اليه ، ومن اعجابهم بانفسهم وبذكائهم لانهم استطاعوا ان يدركوا ذلك ويعلمونه ..

لقد صرع الشعب القزم قائده العملاق لانه عجز عن حمله وفهمه واستيعابه وعن السير وراءه او معه وعن الايمان به . لقد القى الجسد برأسه لانه لا يستطيعه او يفهمه .

وقد سمعت ذات مرة ، منذ وقت قريب طبيبا عربيا يقول في اجتماع حافل : لقد ذهب هذا الزعيم بالاسلوب الحزين الذي به ذهب لانه كان عظيما جدا وكان شعبه العربي كله حقيرا جدا . وكان يكرر كلمة « كله » . ثم يشير بيده الى نفسه ويقول : انا احد العرب الحقراء الذين لم يكونوا يستحقون ان يكون هذا الزعيم زعيمهم . لقد كانت اهانته فادحة لهذا القائد ان نكون نحن العرب الحقراء قومه ورعاياه .. لقد كان هذا هو كل ذنبه وعذابه ..

كان هذا الطبيب العربي يقول ذلك بكل صوته وهو يرتجف ويتراقص من الاعجاب والابتهاج بما يقول . ولم يوجد في الحاضرين من استنكر ما سمع . لقد كان يقول ذلك بمشاعر وملامح متفجرة بالفرح والرضا ، كأنها مشاعر وملامح من استطاع ان يشفي الاله والطبيعة من ذكائهما واخلاقهما وعبثهما وضياعهما .

وحتمًا هذا يعني أن مجيء مثل هذا الزعيم العظيم إلى قومه العرب لتتخاطب وتتعامل بعقريته مع ضالتهم ليس إلا خسرانا فادحا . .

أن معنى هذا أنه قد جاء ليصنع لهم الهزائم والتمزق والفضائح لأنه كان كبيرا جدا ولأنهم هم كانوا صغارا جدا . أن مجيء مثل هذا الزعيم إلى أي مجتمع عربي ليس خسرانا وعذابا وهزيمة له وحده بل وللمجتمع العربي الذي جاء إليه ليقوده . . أن مجيئه هذا يساوي وضع حمل نفيس وغال وثقيل جدا لا تستطيع جميع الظهور حمله ، فوق ظهر ضعيف عاجز جدا معلق في الفضاء أي لا يحمله شيء ولا يقف فوق شيء يحمله من السقوط والتمزق هو والحمل النفيس الغالي الذي فوقه . أن معناه أن تخلق أية قيادة عربية متفوقة وموهوبة أو حتى جيدة في العالم العربي ليس إلا أسلوبا رديئا مهينا من أساليب الانتحار الرديء المهين .

أذن أية لعنة تساوي مجيء زعامة أو قيادة عربية عظيمة أو عبقرية إلى الأمة العربية ؟ أن ذلك يعني حتما سقوط القائد والشعب سقوطا فاجعا . . أذن فلنحزن ونخف كلما بدا لنا أن قيادة عربية جيدة قد ولدت أو أنها قد تولد !!

ويعني أيضا هذا أن مجيء أنبياء العرب وخلفائهم وسلاطينهم وأئمتهم بما يحملون من شرائع وأديان وكتب مقدسة ونبوات ومن طهارة وصفاء وصدق وجمال وذكاء ، لن يكون أي مجيء هؤلاء إلى قومهم العرب إلا تكاليف عمل شاق واسع ضخمة جيد جدا بلا أي ثمن أو أجر أو جزاء أو نتيجة . . أذن أيتها الأقدار الصالحة الرحيمة لا تقاسي لكي تخلق للعرب أنبياءهم وخلفاءهم وقادتهم المتفوقين الاتقياء العباقرة . أن مقاساتك أيتها الأقدار لن تهب أو تغير شيئا .

أنهم بكل ما يحملون ويعلمون يجيئون أكبر وأقوى من الإنسان العربي ، أذن لن يفهمهم أو يطبقهم أو تطيعهم أو يتأثر بهم . . أذن لماذا تقاسين لكي تخلقهم ؟ أنهم يجيئون لينعذبوا ثم يذهبون بلا نفع أو مجد أو عزاء أو جزاء - أن أحدا لن يستقبلهم أو يعرفهم .

هل هناك أي احتمال يهدد بأن يكون الإنسان العربي أصغر أو أضعف أو أبلد أو أفسد وأعصى لو لم يجيء إليه أنبياءه وخلفاؤه وسلاطينه وأئمته وقادته ونبواته وأديانه وكتبه المنزلة ؟ أذن لماذا جاءت وجاءوا ؟

هل يحتمل أن أي عربي قد ازداد ذكاؤه أو جماله أو تقوى وصفاء قلبه وضميره وسلوكه أو رؤيته وحبه للجمال والذكاء والحق والخير والصدق أو شجاعته أو قوة عضلاته لأنه حفظ القرآن وأقوال النبي وحكايات الخلفاء ؟ هل يكبر أو يزداد حجم أو جمال أو شجاعة الفئران والجمال والقرود لو أصبح لها أنبياء وقادة ومعلمون ووعاظ من الأسود والأفيال والصقور والغزلان ؟

إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يكون إلا على مقاس نفسه فلماذا يجيء إليه أرباب أو أنبياء أو قادة أكبر وأعظم من مقاساته ؟ اليس هذا يساوي أن يوضع فسوق

الشيء ما لا يستطيع حمله أو في داخله ما لا يتسع له - ان يكون الجنين اكبر من البطن ؟

هل يمكن ان تكون عضلات الانسان اقوى من عضلاته ، او يكون عقله اذكى من عقله ، او يكون ضميره او مشاعره اثنى من ضميره ومشاعره ، او يكون ابصاره اقوى من عينيه ، بمجيء الارباب والانبياء والقادة اليه ، يحملون بايديهم وافواههم وتعاليمهم وفي الواهم وكتبهم المقدسة وفي مذاهبهم الشتائم والاثامات والمديح والهجاء والوعد والوعيد بالجنة والجحيم وبكل ما فبهما من زبانية وملائكة وغللمان وحوريات ، او بان تكون لاربابه او لانبيائه او لقادته وخلفائه عضلات او عقول أو ضمائر أو مشاعر او خدع ومكايد قوية او ذكية او زوجات جيدات الاغراء ؟ وهنا لا بد ان يقفز هذا التساؤل حتى الى عقول وافواه واخلاق من لم تجرب عقولهم وافواههم واخلاقهم المسألة قط :

لماذا جاء الانسان العربي ، وكأنه يخص بذلك تخصيصا عاجزا عن التكافؤ مع اربابه وانبيائه وخلفائه وقادته واثمته ومع اديانه ومذاهبه وكتبه المقدسة ، عاجزا عن طاعتهم وطاعتها الى المدى الذي جعل مجيئهم ومجيئها بلا اي معنى جيد ؟ او لماذا جاءوا وجاءت هذه وهؤلاء اكبر منه اي من الانسان العربي حتى بدت وبدوا وكأنها وكأنهم ليسوا وليست مخاطبة له ، بل حتى كأنما جاءت وجاءوا لتعجيزه واذلاله وارهابه وافساده وتعليمه العصيان وتهوينه عليه بل وتعويده عليه وافهامه الدائم ان هذا هو الممكن فقط والمحتموم دائما ؟ نعم ، ان الانسان العربي لو حوكم باقوال اربابه وانبيائه وخلفائه وقادته لبدا الموقف وكأنهم انما جاءوا اليه لكي يفسدوه ويعلموه العصيان لهم والخروج عليهم والتعجيز له .

وهل كان اربابه وانبياءه وخلفاؤه وقادته يعرفون ذلك ، اي يعرفون انهم اكبر منه ، وانه لذلك لن يستفيد من مجيئهم شيئا ، بل لا بد ان يخسر بمجيئهم كثيرا من معاني وانواع الخسران ؟ اليس القائد او النبي الذي يجيء بما لن يفيد لانه لن يستطيع لا بد ان يكون اي ذلك القائد او النبي خسرانا وتشويها وعبثا في مجيئه ؟ ان كانوا لا يعرفون فهل يملكون اي قدر من الذكاء ، وان كانوا يعرفون فلماذا جاءوا اليه ولماذا خاطبوه ، ولماذا لم يهبطوا الى مستواه ؟ لماذا لم يتواضعوا ويصفروا ليكونوا نافعين وليكون لمجيئهم قيمة ، اية قيمة ؟ اليس الواجب على من يعرف كل اللغات الا يحدث احدا الا باللغة التي يعرفها او باللغة قد يستطيع ان يتعلمها او يفهمها ؟ اليس مجيء الاله او النبي او القائد الى قوم لن يفهموه او يستطيعوه او يطيعوه هو اكثر سخفا وعبثا من مخاطبة قوم بلغة لن يفهموها ؟

ولماذا تجيء الشعوب الاخرى متكافئة مع الهتها وانبيائها ودعاتها وقادتها ، ويجيئون متكافئين معها ، فيكون التعامل والتخاطب بين الفريقين ذكيا ومريحا ومفيدا وفعالا ؟

ولماذا الانسان العربي وحده خص بهذا الانشقاق والتفاوت والتباعد وبالعجز عن التفاهم والتلاقي بين حقوله وسحابه ، بين نجومه وسمائه ، بين لسانه وعقله ، بين عضلاته وكبرياته ، بين نبواته واتيائه ، بين صلواته ونياته ، بين رواياته وتاريخه ، بين رواياته عن تاريخه وروايات تاريخه عن تاريخه ورؤية تاريخه لتاريخه . . . لماذا يجيء الله العرب وانبياءهم وخلفاءهم وقادتهم واثمتهم دائما وجميعا عاجزين عن أن يكونوا مستطاعين أو مطاعين ، ويجيء الانسان العربي دائما عاجزا عن أن يكون مستطيعا أو مطيعا ؟ لماذا فرض على العبقريّة العربيّة ان تكون دائما عصية معصية وعلى الجماهير العربيّة ان تكون دائما عاصية لا تستطيع ان تكون تقيّة او ذكيّة او قويّة ؟

لماذا تعاضم حجم اربابه بكل هذه القسوة والفظاظة والاسراف ، وتضاعف حجم انسانيته بكل هذه التفاهة والضلالة والشح ؟ لماذا هذا البعد المفسد المشوه المجنون بين رأس الانسان العربي وبين قدميه ويديه وسائر جسده !

من الذي اراد للنموذجين أو الحجمين وخط لهما واخرجهما بكل هذا التباعد ؟ لماذا لم يأخذ من هذا الحجم ليعطي الحجم الاخر لكي يكون التعامل والتلاقي بينهما مستطاعا ومفيدا ، ويجعل المسافة الفاصلة أو الممتدة بينهما اقل بعدا لكي تكون الرؤية ممكنة ومنفذة ونافعة وكذا للتخاطب بينهما ؟

هل يوجد اقبح او اسفّه تكوينا من أن يكون الرأس اكبر واثقل من كل الجسد حتى يعجز الجسد عن حمله وتقبله والتفاهم والتعامل معه وحتى يسقط ويتمزق اعضاء وعجزا ؟ هل يمكن تصوّر ظلم وارهاق وتشويه للجسد وتحقير وتضييع للرأس مثل ان يكبر الرأس ليكون غير مفهوم او مقبول ويصغر الجسد ليكون غير قادر على أن يقبل او يستطيع ؟

ليس هذا التفسير للانسان العربي يعني هذا الجسد وهذا الرأس المخبولين في تكوينهما - اعني التفسير الذي يقول: ان انبياء العرب وقادتهم وخلفاءهم وسلطينهم واثمتهم قد تعاضموا وكبروا حتى اصبحوا عاجزين عن ان يستطيع التكافؤ معهم او فهمهم او طاعتهم واتباعهم او الصعود الى الفلك الذي يسيرون فيه ، والذي يقول ان الانسان العربي قد صغر وقته حتى اصبح عاجزا عن أن يفهم او يطيع او يتكافأ او يتطلع الى النجوم بقدميه او بجناحيه او بطموحه ؟ اي اله شرير مخبول صمم للعرب هذه الكينونة العقيمة المخبولة ؟ هل للعرب اله خاص بهم بكل هذا القبح والخبيل والعداوة ؟ هل توجد كينونة مخبولة مثل أن يكبر ويعظم الرأس حتى يعجز الجسد عن حمله وفهمه ؟ وهل يوجد خالق او مخطط مخبول مثل من يصنع او يخطط هذه الكينونة ؟

هل عرف اله غير اله العرب ، يخلق قادتهم كبارا لا يمكن الاخذ عنهم او الاتباع لهم او التوافق معهم لضخامتهم ، ويخلق انسانهم صغيرا لا يستطيع لضآلته ان

يتقبل او يريد او ينفذ او يفهم شيئا عظيما او كبيرا او ذكيا او نظيفا مما يقاسي قاداته كل القاساة لكي يدعوه اليه ويعلموه اياه ويصوغوه به ؟ كل شيء عربي حتى الاله العربي لا بد ان يجيء خروجا على كل نماذج امثاله وتعجيزا لكل فهم ولكل مستوى اخلاقي ..

وحين نرجع الى التفسير الآخر النقيض الذاهب الى ان الانسان العربي يختزن في داخله شحنات هائلة من الطاقات والمواهب العبقريّة التي لا نموذج لها في ما عرف البشر من مواهب وطاقات ، وان الذنب كله هو ذنب قاداتهم وحكامهم الاشرار الصغار المرهبين المانعين لهذه الشحنات من التفجر والانطلاق والكينونة فلا بد ان نجده تفسيرا يستحق الرثاء والاشفاق لضعفه ولعجزه عن ان يكون شيئا يصنع اي قدر من الحماس او الاهتمام او يستحق الاختلاف عليه . انه من التفسيرات التي لا تستطيع لضعفها ان يختلف عليها المختلفون ..

وهل في جميع التفسيرات العربية لاي شيء تفسير واحد يستحق الاختلاف عليه او الحوار أو التفكير فيه ؟

هل يوجد ضعف يساوي ضعف القضية التي لا تستطيع لضعفها ان تختلف او تتحاور عليها او فيها او حولها الاراء ؟ أليس ضعف مثل هذه القضية يساوي ضعف الوجه الذي لا تستطيع كل العيون والقلوب ان تختلف في رؤيتها وتفسيرها لجمالها ولا في توقدها لشواقها اليه ؟

ان اقصى الدمامات هي الدمامة التي لا تختلف او تتفاوت الرؤية لها او الحكم عليها او الاحساس بها ..

نعم .. آباء وامهات اقوياء اذكفاء اسوياء ابرار في كل تسلسلهم التاريخي ، ولكنهم لا يلدون ابدا الا ابناء مصابين بكل ألوان ومستويات البلادة والدمامة والضعف والفساد والفجور ..

واسود وذناب وافيال وصقور وجياد وكائنات مفردة ولكنها لا تلد الا الارانب والنمال والغربان والضفادع وسائر انواع الحشرات والكائنات الناعقة الناعبة .. واراض خصبة جدا ، وبذور جيدة جدا ، وطقس كأنما وضع وضعا باذكي حساب واختيار ، وانهار وغمام كأنها هي الوادة والواهة والفائدة والمقسمة لجميع الانهار والغمام لذكائها ونبل اخلاقها . ولكن الناتج لا يكون ابدا الا قحطا ومجاعات واشواكا وثمارا مرة رديئة قبيحة جدا ، كل مزاياها وفوائدها ان تعود الى البيئة العبقريّة التي ولدتها لتعاقبها وتدمرها وتشوهها ..

ومناجم مشحونة باعظم المعادن وبكل المعادن الغالية جدا ، لا يوجد في داخلها غير هذه المعادن الغالية الثمينة جدا .. ولكنها اي هذه الناجم لا تتفجر أو تقذف ابدا الا بالتراب والحجارة واللبه والحشرات المحملة بكل انواع الجراثيم والابوثة القتالة وبالاصوات القبيحة الوقحة المحدثه لكل معاني الغيظ والغضب والاشمئزاز ..

وجهاز جيد وصحيح ومضبوط جدا ، ولكنه لا ينتج الا الاخطاء الرديئة الاليمة جدا .

وقانون رياضي او علمي او فكري او اخلاقي او طبيعي صحيح جدا ولكنه لا ينتهي ابدا الا الى نتائج خاطئة وعقيمة ومدمرة جدا . . .

وخزانة ملأى بالعملات الصحيحة القوية جدا ولكن لا يستخرج منها الا العملات الزائفة المزورة . . .

وكتاب ذكي ومنطقي ومهذب وواضح جدا ، ولكنه لا بد ان يحول كل قارئ له الى بليد وسفيه ووقح وفاجر خارج على القوانين والاداب والنظام والشهامة والكرامة . . .

وأجسام قوية سليمة ولكنها لا تنبت الا قلوبا واعضاء ضعيفة مريضة .

وقلوب قوية سليمة ولكنها لا تنبض الا نبضات مختلة عليلة . . .

وعيون قوية سليمة ولكنها لا ترى اي شيء الا رؤية خاطئة ضعيفة مشوهة . . .

وصانع بارع ذكي مخلص موهوب جميع المزايا العقلية والنفسية والاخلاقية والفنية ولكن لا تصنع يداه الا اردأ واقبح وافسد الصناعات . وشاعر ورسام هما اعلى القمم الشعرية والفنية ولكنهما لا يستطيعان ان يصنعا الا اشعارا ولوحات لا يوجد من يقبل ان تكون من اعماله المبتذلة . . .

واله كامل في كل نماذجهم وتفاسيره ، ولكنه لا يخلق الا النقص والقبح الكاملين في كل نماذجهم وتفاسيرهما . . .

وعقل لا حدود لعبقريته ولكنه لا يفرز الا افكارا ضالة مشوهة مخربة .

ونبي توحى اليه كل آلهة وملائكة السماء ولكنه لا يعلم الا تعاليم تخجل منها اردأ واجهل الالباسة . . .

ان كل هذه التصورات او الافتراضات او النماذج المستحيلة الكينونة او حتى المستحيلة التصور او الافتراض هي بعض التفاسير او النماذج للرأي السابق في تفسير الانسان العربي القائل بانه يختزن في داخله شحنات حضارية وانسانية واخلاقية ودينية هي اكبر من كل الكون والحياة ولكن قادته المخربين الضعاف الاشرار هم الذين يقتلون فيه هذه الشحنات أو يفسدون أو يرهبون ويمنعونها من ان تكون او لا يعملون لاطلاقها او لا يريدون او يعرفون ذلك .

والان لنحاول وننظر ، هل نستطيع تفسير ذلك ، او نجد من يستطيع تفسيره او فهمه . . .

لماذا الانسان العربي جيد وجميع قادته وحكامه واقويائه وكبرائه رديئون وعاجزون واغبياء اشرار ؟ اية قوة شيطانية عبقرية الخبت استطاعت ابتداء هذا الذي لا يستطيع ابتداعه ؟

لماذا لا يحدث ولا مرة واحدة ان تجيء مزايا قادته وحكامه من نوع مزاياه وفي قوتها ؟

أليس حكامه وقادته هم منه ، تولد وتعيش وتتخلق وتتربى فيهم جميع الصفات والمواهب والاستعدادات التي تولد وتعيش وتتخلق وتتربى فيه هو ؟ اليس الاله او القانون او الصدفة او الطقس الذي خلقه هو الذي خلقهم ؟ وكيف عرف خالق قادة العرب انهم سوف يصبحون قادة لكي يخلق فيهم كل ألوان الفذالات والضعف ؟

هل التفسير لذلك ان الانسان العربي جيد وذكي وقوي صالح ورع القلب والضمير والسلوك بشرط الا يكون حاكما أو قائدا أي بشرط ألا يكون قويا وقادرا على أن يكون نقيض ذلك، أي بشرط أن يكون عاجزا عن أن يكون رديئا وغيبيا وفاسدا، وبشرط ألا يواجه أو يطلب منه أو يتحتم عليه أن يواجه أية مواجهات ومشاكل صعبة أو خطيرة ، تحتاج مواجهتها الى الذكاء والقدرة والمقاساة والشجاعة والاستقامة ، فاذا فقدت هذه الشروط أصبح شيئا آخر مناقضا جدا ؟ هل المعنى ان الانسان العربي قد خلق ذكيا وقويا وعظيما الى أن يصبح في موقف يفرض عليه ويطلبه وينتظر منه فيه ان يكون كذلك فاذا أصبح في مثل هذا الموقف أصبح نقيض ما خلق ؟ نعم ، هل التفسير ان الانسان العربي جيد جدا ما لم يستطع ان يكون رديئا جدا او قبل أن يكون قادرا على أن يكون رديئا جدا ٠٠ وانه أي الانسان العربي ذكي وقوي جدا ما لم يوجد في موقف يحتاج الى الذكاء والقوة ، ما لم يصبح نبيا أو ملكا أو رئيسا أو خليفة ؟

ان هذا التفسير لجودة الانسان العربي يساوي ان تقول : ان الحشرة نظيفة جدا بشرط الا تجد اية عفونة لتعسطن فيها وتتلوث وتتغذى بها - أو أن تقول : ان الطبيعة والاله بريئان من أمراض وتشويه الاطفال والشيوخ والكائنات البريئة ومن قتلهم وقتلها بشرط الا يجدا أي الاله والطبيعة هذه الكائنات وهؤلاء الاطفال والشيوخ، او قبل ان يجداهم ، أو بشرط الا يستطيعا أي الاله والطبيعة اصابتهم بذلك ، أو بشرط الا يشتهيا ذلك - أو أن تقول مادحا نفسك : اني عبقرى وشجاع جدا ولكن بشرط الا أجرب عبقريتي وشجاعتى بشرط الا استطيع ان اكون تافها وبليدا وجباناً ٠

ولا بد ان يقفز هنا سؤال يقول : لماذا الانسان العربي وحده لا يكون جيدا الا بشرط الا يستطيع ان يكون رديئا - لا يكون ذكيا او قويا أو شجاعا او عادلا او تقيا صادقا نظيفا الا بشرط الا يكون رئيسا أو ملكا أو خليفة أو سلطانا أو قائدا او معلما للاديان او المذاهب ، فاذا أصبح ذلك أصبح محتوما ان يكون نقيض نفسه ٠٠ لماذا الانسان العربي وحده : لا بد ان يصغر بقدر ما يكبر ٠٠

اذن فان من الافضل بل من الواجب عربيا وعالميا وانسانيا ان يستورد حكام وقادة وزعماء من الخارج ليكونوا حكاما وقادة وزعماء للانسان العربي لئلا يكون

حكامه وقادته وزعماءه منه • اليس في هذا انقاذ لهم وله اي لقادة وحكام الانسان العربي وللانسان العربي كذلك ؟ بل اليس في ذلك اشفاق عليهم وعليه ؟
ولكن هل يفيد ذوي المستويات او المواهب البشرية الضعيفة ان يقودهم ويحكمهم رجال ذوو مستويات ومواهب بشرية عالية ؟ هل يفيد الانسان العربي ان كان متخلف المواهب ان يحكمه رؤساء او ملوك او خلفاء او انبياء مستوردون اصحاب مواهب متفوقة ؟

نعم ، لا بد ان يكون الجواب : ان ذلك يفيدهم وان كان لن يستطيع ان يحولهم الى ذوي مواهب ومستويات اعظم او اذكى من مستوياتهم ومواهبهم • ان المواهب لا تزرع في الذات الفاقدة لها او تستورد لها من الخارج حتى ولا من الهتها وانبياؤها •

ولكن ذلك لا بد ان يفيدهم بالاسلوب او التفسير الذي يفيد القطيع او الحقل لن يشرف عليه ويرعاه اناس ذوو خبرة ومعرفة واهتمام واخلاص وقوة •• ان الكائنات ذوات المستويات الضعيفة لا بد ان تكون شيئاً افضل حينما تحكمها وتنظمها وتوجهها كائنات اخرى ذوات مزايا اقوى واذكى وافضل •• اجل •• كيف لم تقطن المنظمات الدولية ولا الدعاة والمفكرون الى ذلك اي ان الواجب ان يصدر لنا ولامثالنا رؤساء وملوك ليحكمونا كما يصدر لنا الطعام وغيره ؟

وكيف لم يطالبوا بان يعد رجال دوليون متفوقون لكي يعاروا ويصدروا باسلوب دولي شامل الى كثير من البلدان والشعوب ليكونوا لها ملوكا ورؤساء وقادة ؟ كيف لم يعلنوا ان احتياج المجتمعات العربية الى استيرادها لهؤلاء اعظم من احتياجها الى اي استيراد اخر ؟

هل هذه غفلة كثيفة ام تعمد مقصود مدبر ؟ هل يمكن ان تخفى هذه الحقيقة على افكار وخيال المتفوقين ؟ انهن هل تعمدا حرمان المتخلفين من هذه المزية او الانقاذ ؟

ليس الخبراء والعلماء والمدرسون والاساتذة والمراقبون يصدرون ويعارون ؟ بل ليست جميع المعارف والخبرات والفنون والعلوم والسلع والاسلحة تصدر ؟ اليس تصدير الرئيس او الملك او الوزير او القائد او الزعيم انفع من تصدير المدرس او الاستاذ او الخبير ؟ اليس تصدير الرأس انفع من تصدير اليد او الرجل ؟

انه لا عار ولا اهانة للكرامة او للكبرياء في ان يصدر او يعار الحكام والقادة والرؤساء والملوك اذا لم يكن عار ولا اهانة في تصدير او اعارة المدرسين والخبراء والاساتذة • اي عار في استعارة الرأس ولا عار في استعارة الشعر ؟

ولعل العالم قد تخطى طور الخوف من العار ومن الاهانة للكرامة وطور الرفض لهما او الاستحياء والمحاذرة منهما وطور التخفي حين ممارستهما او تقبلهما بل حين التعالي بممارستهما •• بل ما العار وما الكرامة ؟ هل وضعت لهما حدود او تقاسير دولية او محلية لتستطاع معرفة الفرق بينهما ومعرفة الفاعل لهذا او لזה ؟

نعم ، لعل كل العالم قد تخطى الان هذا الطور او هذا التاريخ البدوي لشمول وطول تعامله بالعار وبالامانة للكرامة ، آخذا لهما ومعطيا ، صانعا لهما ومصنوعين له وبه ، ومشاهدا لهما ، وعارفا مجربا كيف يتحدث كل الناس كل الاوقات عن رفضهما وعن البراءة منهما بكل قدرتهم على التصويت والاعلان ، حين لا يعيشون أو يهون سواهما ، او حين لا يحيون شيئا من حياتهم او مجدهم وقوتهم او من مسراتهم وانتصاراتهم الا بهما . . . اراهن بان جميع الحشرات في كل اجيالها لم تمارس من العار والهوان ومن النقص لزاعمها عن كرامتها وكبريائها مثلما مارس الانسان من ذلك في جيل واحد من اجياله . . . بل اراهن ان بطلا او قائدا او نبيا واحدا من البشر قد فعل من العار ومن الخروج على الكرامة اكثر مما فعلت جميع الحشرات في كل تاريخها . . .

أم يعني بالتفسير السابق للانسان العربي انه كله ، بكل آحاده وجماعاته جيد ومتفوق جدا في كل تفاسيره ، ولكن افرادا قليلين منه جدا رديئين وعاجزين واغبياء وانذالا جدا ، يجيئون فيه واليه مخترقين لحدوده الحصينة المحروسة بالتقوى والعبقرية ، وينبتون بين ازهاره وفي حقوله ومروجه وبساتينه باسلوب او بقانون شاذ قبيح لا يمكن فهمه او تفسيره ، ليكونوا اشجارا وثمارا وبيلة عدوانية ، تشوه وتفسد وتدمر الازهار والحقول والمروج والبساتين التي نبتت فيها - ويتخلقون اي هؤلاء الافراد في ضميره اي في ضمير الانسان العربي كما تتخلق العامة الرهيبة في الوجه الخارق الجمال - وتحبل بهم وتلدهم تقواه وعبقريته كما تحبل الام السوية السليمة القوية العبقرية الجمال بالوليد المريض المشوه الفاجع الخفيف بتشوّهه ، وكما تلده ؟ هل التفسير ان العرب بستان كوني لا يتخلق فيه الا الزهور والسرور والثمار الجيدة جدا ولكن بعض الشجيرات القبيحة الخبيثة تندس فيه احيانا ضد كل قانون لتكون كل وجهه ومراة وصيغه ؟

ان هذا التفسير الذي قد يرضاه بل ويعجب به تفسيرا للانسان العربي كثير من المعلمين والمفسرين والمحسوبين اساتذة في العالم العربي ، لا بد ان تنهاى عليه اقصى الاسئلة واقواها تعجيزا عن ان تواجه باي جواب يستطيع ان يقف ليعلن عن نفسه او ليدافع عنها او ليلبس اي زي من ازياء الاجوبة او المحاورات .

انه تفسير قد تصلي له عقول ونبوات انبياء العرب واساتذتهم ، ولكن . . . لماذا لا يصعد ابدا الى عرش القيادة والحكم والزعامة في العالم العربي الا هؤلاء الافراد المعاجزون الفاسدون الجهلاء الصارخون المغرورون الطفاة اللصوص الصانعون للهزائم والعار والفضائح والمشاكل والعداوات ؟

ليس جميع قادة العرب وحكامهم وزعمائهم هم من هذا الطراز ؟
اي منطق او قانون او تدبير او جهاز احصاء لا يستطيع ان يخطئ ولا مرة واحدة ليضع عبقريا او ذكيا او مستقيما او مهذبيا او صادقا او متواضعا او ديمقراطيا او

صانعا للانتصار أو المجد ولو واحدا مرة واحدة في مكان الحكم أو الزعامة أو القيادة أو النبوة في العالم العربي ، في أي قطر من أقطاره أو جيل من أجياله ، تحت أي مذهب أو نظام أو شعار من مذاهبه ونظمه وشعاراته الثورية الاشتراكية أو الرجعية الرأسمالية ، الجمهورية أو الملكية ؟ ليس جميع قادة العرب وحكامهم منفقيين ومتمثلين في مواهبهم وقدراتهم وأخلاقهم ونياتهم مهما اختلفوا وتفاوتوا وتعادوا وتشاتموا وتقاتلوا في شعاراتهم ، أو انتماءاتهم أو في أصواتهم ولغاتهم ، أو في مذاهبهم وأديانهم ، أو في ثورياتهم ورجعياتهم ، أو في ملكياتهم وجمهورياتهم ، أو في رأسمالياتهم واشتراكياتهم ؟ نعم ، أي قانون هذا الذي لا يخطئ ولا مرة ليضع للعرب قائدا واحدا ذكيا مفكرا مخططا متوقفا مبصرا ، لا هادرا ناعبا ناعقا صائحا بكل الفرور والوقاحة والعجز والافتضاح ؟

هل تختلف أو تتفاوت ذواتهم مهما اختلفت وتفاوتت لزيأؤهم والوانهم ، أو تختلف وتتفاوت عضلاتهم مهما اختلفت وتفاوتت ذواتهم ، أو تختلف وتتفاوت ضرباتهم مهما اختلفت وتفاوتت عضلاتهم ، أو تختلف وتتفاوت عقولهم أو أخلاقهم مهما اختلفت وتفاوتت أصواتهم وانتماءاتهم وشعاراتهم ، أو يختلف ويتفاوت حجم مزائهم وعارهم مهما اختلف وتفاوتت في تضائله حجم أعدائهم ؟ أو هل تختلف أو تتفاوت رؤاهم أو ذكاؤهم أو حماسهم مهما اختلفت وتفاوتت المشاهد والأحداث أمامهم ؟

هل يختلفون أو يتفاوتون في استبدادهم وكبريائهم مهما اختلفوا وتفاوتوا بين دساتيرهم وقرآنهم ؟ أو هل يختلفون ويتفاوتون في أحقادهم وبغضائهم مهما اختلفوا وتفاوتوا في حرارة أو أصوات أو أساليب قبلايتهم ومصافحاتهم ومعانقاتهم ؟ هل يستطيع أي شيء أن يصنع أي تفاوت بين حكام العرب وقادتهم في تعادي وتقاتل نياتهم ونظراتهم وأخلاقهم ؟

هل العرب مخصوصون أو مصابون بخصائص حرم أو حمى منها أو ارتفع فوقها كل البشر ؟ وهل من هذه الخصائص العربية أن فاسديهم وأغبياءهم وضعفاءهم وطغاتهم وأشرارهم هم الذين يريدون القفز إلى مركز القيادة والسيادة والنبوة أبدا ، وهم وحدهم الذين يدبرون لهذا القفز ويستطيعون الظفر به ، أما صالحوهم وعباقرتهم ، وهم الأكثرون بل وهم كل العرب مع استثناء هؤلاء الأفراد الأقلين ، فانهم أبدا لا يريدون ذلك أي الصعود إلى مكان القيادة والسيادة ، فلا يدبرون له ولا يستطيعونه ، لهذا فإن أحدا منهم لا يمكن أن يصبح قائدا أو حاكما ، لا رئيسا ولا ملكا في العالم العربي ، لهذا فإن أي صاحب عقل لا صاحب حنجرة فقط لم يستطع في أي وقت أن يصبح ملكا أو رئيسا أو قائدا في العالم العربي ، لم يحدث هذا في التاريخ قط ولن يحدث في المستقبل القريب غالبا ؟

هل العرب مخصوصون ابدا بان تكون سماؤهم لبيد انهم دون فسورهم ؟
وقد يقال ان هذا أي صعود الصالحين والعبارة الى مركز السيادة والقيادة والنبوة قد حدث في الماضي ، قد حدث كثيرا ، بل لقد كان هو وحده الذي يحدث في ما كان . اليس التاريخ المروي يقول هذا، يقوله دون ان يهاب التكذيب او التفسير، ان يكون مخطئا او كاذبا ؟؟

وهل توجد حقائق اصدق او اذكى مما يرويه التاريخ العربي ؟
ولكن لو كان هذا يحدث في الماضي اليس محتموا ان يحدث في الحاضر ولو قليلا ؟ بل اليس محتموا حينئذ ان يحدث في الحاضر كثيرا ، بل اكثر مما كان يحدث في الماضي ؟ اليس الحاضر هو كل الماضي بكل قوانينه وتقاسيره واخلاقه ولكن بصيغ اكثر قوة وتعبيرا وتراكما وبريقا ؟ اليس ما هو كائن هو ما كان باسلوب جديد ولكن بدون منطق جديد ؟

هل يحدث ان تفقد الاشياء اخلاقها او خصائصها او قوانينها بلا قانون او منطق او تفسير ؟ وهل من قوانين الاشياء او منطقها ان تفقد شيئا من خصائصها او اخلاقها أو توارثها لآخلاقها وخصائصها ؟ هل يستطيع اليوم الهرب من أمسه ؟
هل يحدث ان يكون شعب من الشعوب منذ الف عام او خمسمائة عام لا يحكمه او يقوده او يعلمه او يبعث اليه بالنبوءات وبالكاتب المنزلة الا اعظم العبارة الانتقاء الاقوياء المنزهين عن كل نقص وفحش وسخف وطفيان - ولا يتقبل اي ذلك الشعب في ذلك التاريخ او يريد او يصنع او يحيا ويمارس الا المجد والقوة والاستقامة والانتصار ثم يصبح اي ذلك الشعب شيئا مناقضا جدا لما كان ، اي لا يحكمه او يقوده او يصعد منابره معلما وهاديا الا أكذب وأسفه وأفسد وأضعف وأجهل القادة والحكام والمعلمين ، ولا يريد اي ذلك الشعب او يتقبل او يصنع او يطيع ويتبع او يعتقد الا اردأ وأغبى وأتفه وأضعف وأسخف الاخلاق والافعال والعقائد والتعاليم والقادة والزعماء والانبياء ؟

هل يحدث ان تسرق النجوم او الالهة المتوحشة من الابناء كل مزاياء الاباء بهذا الاسلوب الهمجي ؟
هل يحدث ان تستطيع الطبيعة أو الاشياء ان تخرج على قوانينها واستمرارها حتى ولو ارادت ذلك ؟

اي هل يحدث ان تكون كل وجوه وعقول والوان شعب من الشعوب منذ الف أو مائة سنة هي أعلى مستويات الجمال والذكاء والبياض والاشراق ثم تصبح اليوم كل وجوه وعقول والوانه هي أعلى مستويات الدمامة والغباء والسواد ، ما لم تكن قد حدثت فاجعة لهذا الكون او لهذا الشعب ، فاجعة غير معهودة وغير محكومة بالقوانين الكونية المعروفة ولم يحدث نمو فجها قط ، لكي تضع للطبيعة ولكل شيء ولقوانين الوراثة والاستمرار قوانين جديدة مناقضة مناقضة شاملة ؟ هل يستطيع الاباء اي

لو ارادوا ان يمنموا انتقال خصائصهم الذاتية والتاريخية بل والعقلية والنفسية الى الابداء ؟

ان قوانين الحاضر او ان القوانين الحاضرة لن تكون معزولة عن قوانين الماضي او عن القوانين الماضية . وان القمر او اي كوكب او شيء اخر لن يكون معزولا بشكله او بمكانه او بحجمه او بأي خلق من اخلاقه عن الكون الذي تخلق منه وفيه وعن قوانينه ، وعما طبع فيه من خصائص .

ان كل شيء لا بد ان يعمل بالخصائص والقوانين المنقلة اليه من الوجود الذي انشطر عنه . ان اي شيء واي كائن لا يستطيع ان يبدأ اخلاقه او مواهبه او نموذج ذاته او اية كينونة من كينوناته بدءا . انه لا بد ان يتلقى كل بداياته من ابائه . . .
اننا لا بد ان نكون تفسيرا لابائنا وتعبيرا عنهم مهما تفوقنا عليهم وتخطيناهم ، ومهما اردنا ذلك ونادينا به ، بل ومهما شتمناهم واحتقرناهم واتهمناهم بكل معاني التخلف والعجز . . .
اننا لن نكون شيئا عظيما قويا او رديئا ضعيفا الا نقلا عما وضع فينا ابائنا من قوة وضعف ، والا تفسيرا له .

اننا لا نستطيع التفوق على ابائنا او التجاوز لهم او رؤيتهم رؤية مستصغرة او متهمة الا بالطاقات والمواهب والاحتمالات التي ولدوها ورسخوها في كينوناتنا المستقبلية .
اننا لن نكون اذكى او اتقوى او أعلم منهم كما اننا لن نعصيمهم او نرفضهم الا لانهم هكذا فرضوا علينا وهكذا جعلونا .

ان كينوناتنا ومواهبنا واخلاقنا الحاضرة لهما تفسير لابائنا وتعبير عنهم وشهادة لهم او عليهم اصدق واقوى من جميع روايات التاريخ عنهم ومزاعمهم لهم او ضدهم . . .
اننا نحن اصدق التفسير والشهادات لابائنا والتعبير عنهم حتى حينما نصبح خروجا عليهم وتخطيا لهم . . .

اننا نحن اصح واذكى الروايات والشهادات بل والملاحظات بوجودنا الحاضر عن ابائنا الذين كانوا والذين كنا فيهم ومعهم منذ الاف السنين .
اننا نحن دائما اصدق الروايات عن ابائنا ، بل اننا نحن وحننا دائما الروايات الصادقة عنهم . ان كل رواية عنهم كاذبة ما لم تروها كينونتنا .

ليست اية حشرة وحيوان هما اصدق واذكى تفسير لابائهما الذين كانوا قبل الف عام من كل الكتب والروايات التي كتبت او رويت عن اولئك الابداء ، او التي قد تكتب او تروى عنهم ؟

بل انهما اي اية حشرة واي حيوان هما دائما التفسير الصادق والذكي لابائهما . . .
ليست مواهب قادتنا وحكامنا وزعمائنا ومفكرينا ومعلمينا الذين واجهوا اسرائيل تفسر لنا مواهب قادتنا وحكامنا وزعمائنا ومفكرينا الذين كانوا في كل التاريخ الذي كان ، اصدق واقوى مما يفسر لنا ذلك كل ما سفك او ذرف او كذب او ضيع واهين وحطم وشوه من حبر واقلام وصفحات ، تمجيدا وتالياها لهم وتهويلا

عنهم وخروجاً وصعوداً بهم فوق كل المعقول والمستطاع والممكن ؟ هل فسر لنا قادتنا الذين كانوا شيء مثلاً فسرتهم إسرائيل لان شيئاً لم يفسر قادتنا الحاضرين مثلاً فسرتهم إسرائيل ؟

وايضاً فان مواهب وطاقات واخلق ابائنا الذين كانوا هنا وكنا فيهم منذ مئات او الاف الاعوام هي تفسير وتحديد وتقويم لمواهبنا وطاقاتنا واخلقنا التي نحياها وتحيانا ونحيا بها وتحيا بنا اليوم وغدا وبعده .. نعم ، ان كل كائن هو اخذ وانتقال عن قبله والتزام بهم ، كما انه عطاء لمن بعده وانتقال اليهم والزام لهم ، بلا تدبير او ارادة او قدرة على النفع او الامتناع . ولكن لا بد ان يكون ذلك باساليب تبدو غير متحددة مع انها متحددة . لهذا فان مواهبنا وطاقاتنا واخلقنا الكائنة والمشهورة والمقروءة اليوم باعجاب او باشمئزاز هي تفسير وتحديد وتقويم لمواهب وطاقات واخلق ابائنا الذين سوف يكونون هنا يوماً ما ، وعلان عنها . ان ذلك لكذلك بقدر ما أن كينونة الكون اليوم هي تفسير وتحديد وصياغة لكينونته التي ستكون بعد ملايين الدهور . ان في داخل كينونة الشمس وصياغتها اليوم جميع كينوناتها وصيغها المستقبلية بدقة وتفاصيل متناهية في ضبطها وفي حساباتها التي لا تخطئ . ان كل ما سوف يصيب للشمس في كل عمرها هو موجود ومحسوب فيها اليوم وقبل اليوم ومنذ وجدت وقبل ان توجد كما وجدت ..

نعم، ان كل ذلك صحيح ومضبوط بقوانين الكينونة الدائمة والمحتومة ولكن القضية هي انه من المستحيل او من الصعب جدا ان نعرف او نحسب او نقرأ او نستنتج ذلك لعجزنا لا لاختلال او اختلاف في القضية او في القوانين المتعاقبة بالحثم وبالضرورة الذاتية . لهذا فانه لم يكن في الكون قط ولن يكون فيه ابدية عملية خلق بل ان كل ما حدث وما سوف يحدث فيه عمليات اخراج فقط . انه لا بدء في شيء .

ان في داخل قلب هذا الطفل الذي سوف يعيش مائة عام كل ما سوف يصاب به من امراض وافات والام ونبضات وهموم وفرح وخوف وامن وحب وبغض في كل المائة العام التي سوف يعيشها بكل الدقة والتفاصيل .. ان في جسمه الوليد كل ما سوف يصيبه من تشوهات وشيخوخة وموت ونوبات زكام محددة مقدما في اوقاتها المحتومة .. ولكن من يستطيع أن يعرف او يحسب او يستنتج او يقرأ ذلك ؟ ان القضية هي قضية العجز عن الرؤية وليست نقصا او تشوها او غموضا في المرئى ..

نعم ، ان في كل موجود أو كائن كل مستقبله وكينوناته بلا اي نقصان او زيادة او مبالغة او تقصير . بلا اي كذب او هجاء او تمجيد .

بقدر ما ان في هذا الليل او هذا النهار كل الساعات والدقائق والثواني التي سوف يعيشها معنا وينفقها علينا ونحن نياما ونتمنى ان نكون نياما ، او ونحن ايقاظا نتحرك

ونعمل ، نصعد فوق القمر ونهبط تحت حضيض جميع الاشياء لنذلل على أن صعودنا وهبوطنا كلاهما فرار من الذات ومن الصمت وليس شوقا الى القمر أو الى الحضيض ولا بحثا عن الاله لمناقشته ولا الى الحشرة لتعليمها التمرد على حضيضها - ولنذلل ايضا على أن المسافة بين سطح القمر وبين حضيض اكثر الاشياء هبوطا ليست اطول من المسافة التي تتفوق بها احدى قامتي انسانين على قمة الانسان الآخر ، أو التي تتفوق بها وثبة انسان على وثبة كائن آخر يدعى ويحسب انسانا ويبدو في تخطيط انسان ، أو التي يتفوق بها طموح قادر مبصر على خمول عاجز اعمى ..

انه لا شيء يبدا او يتغير او يخرج عن طريقه الازلي الابدی او عن صيغته الازلية الابدية مهما بدا ان كل ذلك هو الذي يحدث دائما ..

ان كل شيء قد كان في لحظة واحدة لا يمكن فهمها ثم لا شيء يكون غير عمليات الاخراج والتوزيع ..

انه لو وجد كائن مطلق وشامل في رؤيته وقراءته وحسابه وتفسيره للاشياء لاستطاع في مواجهته للكون الحاضر وفي تفكيره وتحديقه فيه ان يعرف بكل الدقة والتفاصيل كل ما سوف يكونه في كل مستقبله ، بكل صيغه واحداثه وكائناته .. ان يراه ويقراه ويفسره ويكتبه ويخضعه لجميع العمليات الحسابية الصعبة والسهلة بلا خطأ ..

ان يعرف ما الذي سوف يكونه البشر والحيوانات والحشرات بعد ملايين الدهور ، وكم سوف يكون تعداد البشر وكل الكائنات ، وكيف سوف تكون كينوناتهم وحياتهم وصيغهم الذاتية ومستوياتهم الحضارية ، وفي اي عالم او كون سوف يكونون ويعيشون ويتعاملون ..

لاستطاع ان يعرف وكأنه يرى ذات هذا الانسان الواحد المعين المشار اليه ، الذي سوف يولد أو يتخلق بعد ملايين الاعوام ، وكم سوف يكون عدد اخوته واخواته واقاربه وما عمله ، واين سوف يكون ويعيش ، وكم سوف يصنع أو يرزق من الابناء والبنات ، وما مستوى ذكائه وجماله واخلاقه وتعليمه .. وان يعرف وكأنه يرى جميع الامراض والعاهات والاحزان والمشاكل والخاوف التي لا بد ان تصيبه وتواجهه في اوقاتها واساليبها واحجامها التي لا بد ان تكونها وتكون فيها وتجي بها . وكم مرة سوف يعتقله حاكمه الثوري التقدمي الاشتراكي ، وما هي ألوان التعذيب والتهم التي لا بد ان يوقعها به وينتهم بها ..

وان يعرف عدد المرات التي سوف يذهبها الى عيادة الطبيب ، وما اسم الطبيب واين تقع عيادته وما شكلها ، وهل يستطيع شفاءه ام يزيده داء مثلما يفعل اي زعيم أو قائد أو حاكم عربي حينما يواجه اية مشكلة كبيرة أو حتى صغيرة ، فيحاول علاجها أو مشاقتها أو انكارها أو الصمت عنها ، فيكون محتوما ان يزيدها تعقيدا وعصيانا وقبحا بكل

موافقه هذه منها • نعم ، ليست معالجة قادة العرب لاية مشكلة ان يشتموها لو ينكروها او يصمتوا عنها ، وهذا افضل واذكى ما يصنعون ؟

وان يعرف ايضا وكأنه يرى عدد المرات التي سوف يكذب ويغدر ويهون وينافق فيها •• وعدد المرات التي سوف يقضم فيها اظافره او يمسك شعرات رأسه لو لحيته او شواربه ، وعدد المرات التي يتثأب ويسعل ويئن فيها •• وعدد المرات التي يلقي بها الفضلات وقلامات اظافره وبقايا طعامه في الطريق العام وعلى رؤوس وثياب السائرين كما يفعل الانسان العربي اليوم في كل المجتمعات العربية ، بل وكما يفعل ذلك اليوم ودائما كل العرب حتى اطباؤهم وعلمائهم وشعراؤهم وانبيائهم وفنانوهم ، يفعلونه بمشاعر من يؤمنون ويصلون ويمجدون الهتهم واديانهم واطنائهم وتاريخهم ، وبمشاعر من يزرعون ويصنعون الجمال والفنون والحضارات والطهارة في عيون وضماثر الشمس والنجوم والزهور ••

نعم ، ليس جميع اطباء والعلماء والشعراء والحكماء والانبياء والفنانين العرب يلقون بكل الفضلات والقمامات والقلامات فوق طهارة ونظافة ومجد السحاب والانهار بنشوات واستعراضات دينية وفنية واخلاقية وجمالية وقومية وطنية ؟

بل يفعلون ذلك وكأنهم من فرحهم ورضاهم عن انفسهم يهبون الشمس ضياءها ، والنجوم اغضاءها وتهذيبها ، والزهور عطورها والوانها والانهار وفاءها حينما تجيء في اوانها ••

كانهم يهبون الرجال موهبة التلقيح والنساء موهبة الحبل والولادة والخصوبة الرهيبة •

بل وكأنهم يعلمون الاله كيف يكون ارحم واذكى واتقى واكثر شهامة وعدلا ونشاطا ، واصح منطقا وتدييرا ، وازكى ارادة وقصدا ، واقدر على الرؤية والحركة السريعة المنقذة العليمة ••

بل وكأنهم يصبون صبا في ذات الاله كل المعاني العبقريّة القوية المطلوبة والمتنظرة منه والمزعومة فيه وله والمفقودة في كل تصرفاته ونياته وضرباته فسي كل تاريخه المنظور والمسموع والمقروء والعلوم والتصور والاستنبط والمجرب التقاسي والمتنظر ابدا بل والمشكو المصروخ المهروب منه ابدا • اجل ، هل يوجد مصروخ مهروب مشكو منه ، ومع هذا مدعو مرجو مصلى له متقرب اليه موهوب كل الثناء والتمجيد مطلوب منه كل ما يراد ويستتهي ويؤمل - نعم ، هل يوجد كائن هو كل هذا غير الاله او مثل الاله ؟ وهل في اي شيء فعله ما ليس شكوى وصراخا وهربا من الاله •

ولاستطاع ايضا ان يعرف وكأنه يرى ان هذه النبتة او الشجرة التي سوف تنبت بعد ملايين السنين لا بد ان تنبت في المكان والزمان اللذين نبتت فيها ، بنفس الشكل والظروف والقيمة ، وكيف سوف تروى ، بالسحاب ام بالانهار ام بالينابيع ام بالندى ، وان يعرف عدد القطرات التي سوف يسبها عليها السحاب ، وعدد المرات

التي تهددها بالموت والاقتراع الاعاصير والسموم ، وكم سوف تعيش ، ومتى تموت وبأي اسلوب تموت ..

وان يعرف عدد العيون التي سوف تراها ، والايدي التي سوف تمسك بها ، والارجل التي سوف تطأ عليها ، او ان شيئاً من ذلك لن يحدث لها .. بل وان يعرف بكل اليقين ان الطبيعة الخاطئة ابدا سوف تعشق عباءات شيوخ الخليج عشقا لا بد ان يتحول الى اقصى اذلال وعقاب لكرامة وقوة وحضارة كل العالم المصاب بالمجاعات النفطية .

نعم ، ان ذلك الكائن المفترض المطلق الشامل في جميع معانيه وتفسيره لا بد ان يعرف مقدما كل ذلك من رؤيته وقراءته الحاضرة للكون الحاضر المشهود بالقدر الذي يستطيع ان يعرف به العلماء اليوم ان الشمس او القمر سيصاب بالكسوف بعد كذا يوم ، وكم من الوقت سيستمر هذا الكسوف ، وهل سيكون كلياً او جزئياً ، واين ستكون منطقتة ..

وبالقدر الذي به يعرفون ان المطر سوف ينزل بعد كذا ساعة في مكان كذا .. بل ان هذا الكائن لو وجد لا بد ان يعرف بكل اليقين كل ذلك اكثر مما يستطيع ان يعرف العلماء حدوث الخسوف ونزول المطر بكل التفاصيل مقدما ..

ان اي شيء يحدث اليوم او في اي يوم آت أو بعد ملايين الاعوام الضوئية قد صمم وتقرر حدوثه في اليوم الذي سوف يحدث فيه قبل ملايين السنين الضوئية ، بل صمم وتقرر حدوثه منذ الازل ، ولكن بلا مصمم ولا مقرر . ان كل الاشياء تحدث بلا مقرر او صمم لان المصمم والمقرر حدثا بلا مقرر أو مصمم . لان الخالق قد وجد بلا خالق ... وانه ليتمكن ان يقال بهذا التفسير ان كل ما يحدث اليوم او في اي يوم آت او بعد ملايين الدهور قد حدث منذ الازل اي قد حدث بلا بداية .. انه لا يوجد امس واليوم وغد بالنسبة لحدوث الاشياء اي لتقرر وحتمية حدوثها . ان الشيء اما حادث في كل لحظة او لن يحدث في اية لحظة اي بهذا التأويل انه اذن لا شيء يحدث قبل شيء ، ان كل الاشياء تحدث او حادثة او موجودة بلا حدوث في وقت واحد او مرة واحدة . ولكنها اي جميع الاشياء تخرج او ترى شيئاً بعد شيء ، وهذا معنى حدوثها او وجودها شيئاً بعد شيء .. ان كل ما سوف يوجد قد وجد منذ الازل ، وكل ما لم يوجد من الازل لن يوجد في المستقبل . انه لا قبل ولا بعد بهذا التفسير .

ان اي مولود يولد في هذه اللحظة قد ولد او وجد بولادته ولحظة ولادته كل كينوناته وصيغه واحداًه المقبلة بالاحتم بلا وقيل وبعد .. ان صباه وشبابه وكهولته وشيخوخته وموتها امراضه وجميع مواجهاته وممارساته ومقاسياته ومسراته وكل شيء سيلقاه او يحياه - ان كل ذلك قد ولد او وجد مرة واحدة بلا قبل او بعد ، ولكن الذي يحدث ان شيئاً يخرج ويرى بعد شيء .. والاسباب والظروف التي تجعل هذه الاشياء في المولود تحدث باسلوب حدوثها وفي وقته ومكانه هي اسباب وظروف محتوم حدوثها

بالاسلوب الذي به تحدث بل وفي نفس الوقت • ويعني بحدوثها هنا خروجها ورؤيتها لا وجودها لانها موجودة منذ الازل اي في اللحظة التي وجد فيها اي شيء • واول شيء • ولكن بالتفسير السابق لعنى الوجود •• ان هذا ليس اكتشافا لاعماق بعيدة بل هو رؤية لمنظر قريب جدا •

ان ما اقله في هذه اللحظة قد صمم وتقرر منذ الازل وبلا بداية ان اقله بنفس الاسلوب والعنف والحماس والاقتناع والصيغة وفي نفس المكان والزمان • ولم يكن يحتمل الا اقله • لم يكن يحتمل ان يحدث اي شيء • يجعلني احجم عن قوله او اهاب او ارفض قوله او اعجز عن قوله •• ان كل ما يحدث لي او مني كان مستحيلا الا يحدث وان كل ما لا يحدث لي او مني كان مستحيلا ان يحدث او ان يحدث ما يجعله يحدث • ان ما اقله في هذه اللحظة قد قلته يوم ولادتي بل منذ الازل • قبل ان تظهر هذه الارض او هذه الشمس بصيغتها الحاضرة • ولكن بالتفسير السابق الذي تكرر الحديث عنه • لهذا فان كلمات قبل وبعد وحدث واحداث وخلق وامثالها في جميع اللغات لا يمكن ان تعني الا الاسلوب الظاهري او الصيغة المرئية • والبشر بهذه التعبيرات اما متساهلون ومضطرون الى هذا التساهل في تعاملهم وتخطيهم • واما مخطئون خطأ عقليا او اعتقاديا اي انهم يرون لانهم مخطئون ان هذه الكلمات تعني معانيها البعيدة والقريبة • المرئية والمنطقية غير المرئية •

ان هذا ليس حديثا عن القدر الديني او عن أي قدر بأي معنى صوفي أو روحي أو غيبي • بل أن الذي اعنيه هنا هو ضد هذا القدر بكل تفاسيره بل ضد كل قدر • انه لا يوجد قدر بأي معنى من معانيه السلفية • ولكن ضرورات وطاقتات وقوانين ذاتية محتومة ولكنها ليست محسوبة أو موضوعة بحساب •

ان العالم حينما تقول له اجهزته وحساباته ان الشمس ستصاب بالخسوف يوم كذا • وان المطر سوف ينزل بعد كذا ساعة بغزارة كذا • وان الرياح ستكون بسرعة كذا • وان مزاج الطقس سيكون اليوم أو غدا كذا • فيخبر عما قالت له اجهزته وحساباته • لا يكون اي العالم متحدثا بذلك عن اي قدر • ولن يجوز ان يوصف بانه قدري بأي تفسير من تفاسير القدرية • وان كان هذا قدرا او قدرية فانها قدر وقدرية ضد القدرية والقدر القديمين اللذين يعنى بهما ان الاحداث والاشياء والاكوان تفرض عليها كينوناتها وقوانينها من خارجها •

ان الحديث هنا حديث عن قوانين الكينونة وعن تسلسلها وتوالدها المتعاقب المحتوم • والقدر ينافي بتفاسيره قوانين الكينونة الذاتية المحتومة بكل تفاسيرها • ان القدرية القديمة تعني المشيئة الخارجية • تعني ان الاشياء لا تحدث بالحتم الذاتي •• تعني ان الاشياء احتمال لا حتم لان ارادة خارجية او أخرى تتدخل فيها لتجعلها هذا او هذا ••

انه لو لم تكن قوانين الكينونة المتسلسلة المتعاقبة بصيغة التوالد محتومة

لما أمكن ان يحدث شيء • اي ان الكون بكل احداثه ووحداته وصيغه وكيثوناته وبكل اشياؤه لو لم يوجد كله مرة واحدة اي بالتفسير السابق لما أمكن ان يحدث اي شيء • • ان الكون بكل وحداته وصيغه واحداثه موجود وليس موجودا • اذن ما لم يصبح موجودا كيف يمكن ان يصبح موجودا ؟ انه لا يوجد من يصنع له او به اليجاد •

كيف يمكن ان يوجد الشيء الذي كان يمكن الا يوجد ؟ اي كيف يمكن ان يوجد الشيء الذي لم يوجد من الازل اي بلا بداية ، اي حينما وجد اول شيء ؟ اي كيف يمكن ان يوجد الشيء الذي لم يوجد مع كل شيء مرة واحدة ؟ • • كيف يمكن ان يكون هناك ايجاد اذا لم يكن هناك موجد ، اي اذا لم يكن هناك كائن اخر يريد اليجاد ويديره وينفذه ؟

لو كان يمكن الا توجد الشمس او القمر او الحشرات او الحياة او الحضارة الانسانية او أي امة من الامم او أي انسان معين فكيف يمكن ان يوجد ذلك ؟ بأي قانون او قوة او اله يمكن حينئذ ان يوجد ؟ ولماذا حينئذ تريد وقدير وتنفذ هذه القوة او القانون او الاله ايجاد الشمس او القمر او الانسان او أي شيء ؟

نعم ، ان اي شيء يوجد لم يكن ممكنا الا يوجد • انه لم يوجد تطوعا او حبا أو شوقا أو اختيارا أو منطقا أو تدبيرا أو تخطيطا أو شهامة أو مجاملة أو تدبينا • بل لقد وجد لانه لا يستطيع الا يوجد • لقد وجد لانه كان موجودا • • لو كان ممكنا الا يوجد الاله والا يوجد كما وجد والا يوجد الاشياء والعوالم كما أوجدها ، فكيف يمكن ان يوجد وان يوجد كما وجد وان يوجد الاكوان والاشياء كما أوجدها ؟

نعم ، لقد وجد الشيء الذي وجد لانه كان موجودا • كان موجودا من الازل ، اي بلا بداية او ارادة او تدبير او تخطيط او دعوة له او تفكير فيه او منه • اننا لا نريد ان نكون او نفعل او نتغير او نحيا اختيارا او تطوعا او تخطيطا بل لاننا كنا او جئنا مريدين منذ الازل قبل وجودنا بصيغتنا هذه •

ان موت الانسان او موت الحياة لو لم يكن موجودا اي الموت من الازل اي بلا بداية لما أمكن ان يوجد • من الذي يستطيع او يريد حينئذ ان يوجد اي يوجد الموت لو لم يكن موجودا من الازل بلا بداية ؟ ان موت هذا الانسان لو لم يكن موجودا اي موته قبل ان يولد لما أمكن ان يموت •

انه لو فقد الموت يوما ما في المستقبل لكان المعنى ان فقدته قد وجد منذ الازل ولكنه اي فقدته لم ير ويعرف الا في الوقت الذي ظهر فيه • اي أن ظهوره والعلم به هما اللذان حدثا لا وجوده • •

ان كل شيء قد وجد بلا بداية ، بلا زمن ، والا فلن يوجد ابدا •
اجل ، ان الاحداث والكيثونات والاشياء هي اسباب ونتائج ولكن مجموعة الاسباب والنتائج محتوم أن تحدث كما حدثت بكل اساليبها واورقاتها واماكنها وصيغها • ولو كان ممكنا الا تحدث وكما حدثت لما كان ممكنا ان تحدث وكما حدثت •

انه لو كان هناك خالق ومخلوق لكان محتوما ان يحدثا بالاسلوب الذي به يحدثان .
ان هذا الانسان المعين الذي يصاب هذا اليوم بكآبة او بفرح او بخوف او بآية
حالة نفسية او جسمية اخرى لم يصب بذلك الا تحت اسباب وظروف ذاتية وخارجية
معينة لتكون الحالة او النتيجة كما كانت . ولكن لقد كان محتوما حدوث وتجمع
هذه الاسباب والظروف لتجيء النتيجة او الحالة التي جاءت كما جاءت بالحثم الذي
لا تدبير فيه ولا ارادة تصنعه او تفهمه او تعشقه او تستفيد منه . .

اي ان الاسباب والنتائج محتوم ان تجيء ابدا كما جاءت وكما تجيء . .

ان جميع الاسباب والنتائج موجودة منذ الازل اي بلا بداية اي بلا زمن . لهذا
فان الاسباب لم توجد قبل النتائج ولكنها ظهرت وتكلمت قبلها . نعم ، ان كل انسان
وكل شيء يولد أو يوجد مزروعا مخزونا في جسمه كل ما سوف يفعله ويصيبه بلا
أي تغيير أو تبديل أو زيادة أو نقصان .

ولماذا لا يحدث ولا مرة أن يصعد الى مركز القيادة والسلطان في العالم العربي
ولو واحد فقط من صالحى العرب وعباقرتهم ، وكل العرب صالحون وعباقرة مع
استثناءات قليلة جدا ؟ هل هم عاجزون عن هذا الصعود أم جاهلون بأسبابه أم مجفلون
خائفون من تبعاته وتكاليفه واخطائه ومحاسباته ، بل ومن اغراءاته وغواياته ، أم
هم زاهدون فيه ؟

كيف لم يحدث ولا يحدث ولو خطأ أو مجاملة من القدر أن يصعد الى قمة القيادة
والحكم ولو واحد فقط من عباقرة العرب وصالحيهيم ؟

هل هو فقد للطموح والهمة وللإحساس بالواجب أم هو تورع أو زهد أو خوف يهزم
ويذل ويقتل الطموح والهمة والإحساس والموهبة ؟

هل يوجد تفسير لهذا بأي منطق في قوانين الأشياء ؟

كيف أمكن أن يوجد من يقولون بهذا أو من يقتنعون به ؟ أي كيف أمكن أن يوجد
من يعتقدون أن في العرب مزايا اعظم من مزايا من هم دائما حكامهم وقادتهم
وانبيأؤهم ؟

ألا يعلم ذوو المزايا ما الذي لا بد ان يحدث حتما اذا هم جميعا قد قرروا
والتزموا بكل الصرامة والديمومة بالا يكونوا حكاما او قادة او معلمين وانبياء ،
ثم لم يكتفوا بهذا فقط بل قرروا والتزموا جميعا بلا اية مخالفة ان يصبحوا رعايا
واتباعا طيعين صالحين مثاليين في طاعتهم واستسلامهم للاقليين التافهين الاشرار
العاجزين المهزومين الطغاة الاغبياء الذين لا بد ان يكونوا هم وحدهم ودائما القادة
والحكام والمعلمين والدعاة الهداة - اي كما تفعل جميع الشعوب العربية في كل
تاريخها القديم والحديث في تعاملها مع حكامها وقادتها ولصوصها ودجاليتها الكبار
الصغار ؟

اذن ماذا تعني مزاياهم ، ولماذا وهبوا اية مزية حينئذ ؟ اليس اعطاء المزايا الذاتية اسلوبا عنيفا من التكليف والالزام والمسؤولية ؟ اذن اليس خيرا لهم واقل فحشا وعارا ان يكونوا بلا اية مزايا لان خضوع النذالة والضعف والبلادة والجبن والفجور للنذالة والضعف والبلادة والجبن والفجور اقل فحشا وهوانا وتُسوها من خضوع الشهامة والقوة والعبقرية والبسالة والتقوى لذلك اليس اتباع الدجال للرجال وايمانه به اقل فحشا ونذالة من اتباع النبي للرجال ومن ايمانه به ؟ هل يمكن ان يكون تداوي الطبيب عند المعالج بالسحر وبالرقية والتميمة والتعويدة مثل تدوي الرجل البسيط الجاهل ؟

لماذا تظل دائما مزايا الانسان العربي هي أردأ واقبح واضعف مستويات وصيغ الرذائل ؟ بل لماذا تتحول مزاياهم الى هذه المستويات والصيغ التي هي دائما أردأ واقبح واضعف مستويات وصيغ الرذائل ؟

اي لماذا تظل - بل تتحول - دائما شهامتهم وشجاعتهم ونكاؤهم وقوتهم وتقواهم ونظافتهم هي دائما أردأ انواع نقيضها ، لانها تظل بل تتحول دائما الى رعايا وخدم وعبيد وجنود جيدين وطيبين دائما لنقيضها ؟ لماذا تظل دائما القداسة والنبوة والعبقرية والبطولة العربية تابعة بمهانة للنذالة والوقاحة والشعوذة والتفاهة الملوثة الجبانة العربية ؟

اليس من اذكي واتقى انواع الدفاع عن العرب ان يقال ان حكامهم وزعماءهم وقادتهم ودعاتهم هم اعظم من فيهم بكل مقاييس ومعاني وانواع العظمة ، اعظم من جميع جماهيرهم ، والا كيف امكن ان ينتصر ويتفوق الأردأ الاغبي الاتفه الاضعف على الاعظم الاقوى الاذكي الاشجع ، وان يستسلم ويذل ويتعبد هذا لهذا بكل هذا الهوان والطاعة والجبن والانهيار والديمومة والتاريخية الشاملة ؟

اليس دافعا مجيدا عن العرب ان يقال انه ليس في باطنهم انبياء ولا ملائكة لان كل من يجيئونهم بالوحي ليكونوا فيهم ولهم انبياءهم من الدجالين والابالسة ؟

اذن اليس تحقيرا حادا للعرب : الزعم بانهم جيّدون او عظماء او عابرة أو احرار او شجعان او اقوياء واذكياء واتقياء وخالقو حضارات وحيات وقيم انسانية خالدة وقائدة ، ولكن قادتهم وحكامهم وانبياءهم ودعاتهم وحدهم وجميعا هم الذين ليسوا كذلك ، بل هم وحدهم ودائما النقيض لكل ذلك ؟ اليس هذا يساوي ان تقول عز انسان : انه ذكي وقوي وعبقري وشجاع ومهذب بلا حدود ولكنه لا يفعل او يفهم او يريد الا الغباء والجبن والنذالة والفحش ؟

انهم لسذاجة وغفلة تستحقان كل الرثاء ، اعني غفلة وسذاجة هؤلاء الذين يفسرون الانسان العربي تفاسير جيدة ومرضية بلا اي استثناء ثم يجنون كل التفاسير الرديئة والضعيفة في حكامه وقادته وزعمائه وفي جميع من قفروا فوق سمواته ، بل ثم لا

يجنون شيئا من هذه التفسيرات الرديئة الضعيفة الا في هؤلاء ٠٠ اذن مفسرو العرب هذه التفسيرات كيف لم يطالبوا بالا يكون للعرب حاكم واحد : ملك او رئيس او قائد من انفسهم بل بان يكون كل حكام العرب رؤساء وملوكا مستوردين دائما بالاسلوب الذي يستوردون به السلع المفقودة او الناقصة او الجيدة من الخارج ؟

كيف لم يفطنوا الى انهم بهذا التفسير لا يهبون العرب شيئا من المجد او التمجيد بل يهبطون بهم بلا قرار ، بل يبتكرون او يتصورون لهم حضيضا لا يمتلك اي كائن اخر حضيضا يساويه او يشبهه ؟ ان الذين يفسرون العرب هذه التفسيرات هم كالذين يفسرون الاله ، انهم يذمون حيث يريدون المديح ٠٠

ان اصحاب هذه التفسيرات هم من الشعوب او من الجماهير العربية . فهل هم ، وهذه تفسيرهم ومستويات تفكيرهم وفكرهم ورؤيتهم اعظم او اكثر موهبة عقلية او تصورية او نفسية او اخلاقية من قادة العرب وحكامهم وانبيائهم المتوجين ؟ هل رؤية الشعوب العربية هذه الرؤية لهذه القضية يمكن ان تجعلهم شيئا افضل من حكامهم في اي شيء ؟ ان تفسير الانسان العربي لحكامه ولنفسه ومواقفه من حكامه ومن نفسه لا بد ان تجعله شيئا لا يستطيع ان يكون اكبر او اعظم من حكامه او ان يزعم له ذلك ٠٠ لنقرأ بعقولنا التي يجب ان تكون غير عربية ، او عربية قد تخطت العقول العربية ، او تعلمت التفكير والقراءة والرؤية بمستويات اكثر من عربية . وهل تستطيع العقول العربية ان تكون غير عربية او ان تتعلم التفكير او التفسير او القراءة او الرؤية بمستويات او باساليب غير عربية او افضل من عربية ؟

نعم ، لنقرأ بعقولنا الجديدة هذه القصة او هذا الواقع المشهود لو وجدت - اي لو وجدت عقولنا الجديدة غير العربية ٠٠ لنقرأ هذا بعقولنا المفترضة ٠٠

جيش عربي كل آحاده او اغلبهم ، مع استثناءات قليلة جدا ، عبارة وابطال ومنزهون عن كل نذالة وضلالة وقبح وفحش وطغيان وفجور وتهريج وتدجيل ونباح فضاح . منزهون عن كل غوغائية وسوقية صراخية عربية ٠٠

هذا الجيش العربي يواجه في بلده فسادا وبؤسا وتخلفا وطغيانا واشياء كثيرة رهيبة لا يحتمل الصمت عنها . ويرى انه هو الحارس المؤكد لسلطان هذه الاثام والشعور ، فيغضب ويهتز ويقرر ان يصنع شيئا ٠٠

انه القفز بالتدبير والتآمر الى عرش السلطان لكي يقفز بالبلاد فوق اثماته والامه ، ولكي يتحول من حام للاثام والالام الى محطم لها منقذ منها ٠٠

انه الخروج على القانون لازالة الخارجين على الانسان . ليس الخروج على القانون حماية للانسان تمجيدا للقانون ؟ ٠٠

ولكن ما ابشع ما يحدث . ان الذين يقفزون الى العرش لينفذوا ويحرروا من الاثام والالام وكل انواع الهوان هم الاقلون الادلون الاشرار الاغبياء الكذبة المهرجون

الصائحون المرضى بالاعلان عن الذات وبعرضها ونشرها فوق كل الشرفات والحبال والاجراس العالمية ..

اما ذوو المزاييا والمواهب القادرون على الانقاذ والمريدون له والمرجونون لفعله فانهم لا يدبرون ولا يتحركون وانما يظلون خمودا في تتأؤبهم وغيبوبتهم وهوانهم ، ينتظرون حتى يقفز اولئك الاشرار الجهلة التافهون لكي يتحولوا هم الى رعايا وهتافين وجنود لها . انهم يظلون خمودا يتحدثون عن المزاييا والامجاد المفقودة المسحوقة وعن محبتهم لها وايمانهم بها دون ان يفعلوا شيئا لها كما يظلون يتحدثون عن الرذائل الموجودة المنتصرة مجذنين لخدمتها وحمايتها وطاعتها بادب واخلاص وتقوى .

انهم ليسوا الاطباء بل ولا المرضى هم الذين يجيئون ليحموا ويعالجوا ، بل هم المرضى وحاملو جراثيم الامراض وصانعوها . انه ليس المبصر هو الذي يقود العميان والمبصرين بل الاعمي هو الذي يقود المبصرين والعميان !!

انها الوبئة الرهيبة الشاملة التاريخية تجيء لكي تدأوى من الامراض الخفيفة المتواضعة المعاشية لاصحابها برفق واستحياء وشهامة ..

انه السل او السرطان يجيء ليعالج من الشحوب او من الغثيان او من كسل الكبد او من فقر الدم والضعف العام .

ان الاطباء هنا لا يتخلون عن المجيء والتقدم للعلاج والانقاذ فقط بل انهم يتحولون الى جنود للابوئة ولصانعي وناشري الامراض والى هتافين ودعاة لهم ومعلمين بمزايياهم ومزايياها اي مزاييا ابوئة .. ان الطبيب هنا ليس غير طبيب فقط بل انه طبيب مضاد يخدم الامراض ويعلم مزايياها .

انه ليس النبي او الملاك هو الذي يتلقى الوحي ويحفظه ويلتزمه وينهض به ويعلمه وينفذه ويعلمه ، ولكنه المهرج والدجال والشيطان . بل ان النبي والملاك يخدمان وينتظران باستسلام وهوان حتى يقفز المهرج والدجال والشيطان الى كرسي النبوة لكي يصبحا اي النبي والملاك رعايا وجنودا لهم اي للدجال والمهرج والشيطان . ان النبي والملاك لا يصبحان هنا بلا نبوة ولا ملائكية فقط بل انهما يتحولان الى حرب على النبوة والملائكية ، الى حرب على نفسيهما ..

وهكذا يستمر هذا الجيش العربي يكرر عملياته هذه بهذا الاسلوب ، بهذه المزايع ، بقيادة هؤلاء الاشرار الانذال الضعفاء المهرجين الصياحين . وهكذا تفعل جميع الجيوش العربية ، دون ان يقع خطأ واحد او صواب واحد اي بان يقفز الى مركز القيادة والسيادة بالتدبير والتآمر رجل واحد ولو مرة واحدة من ذوي المزاييا القوية في اي جيش عربي ليحكم ويقود وينقذ ويعالج ليكون بديلا عن النقيض ، ليكون الطبيب بديلا عن الحجام او ضارب الرمل او قاريء الكف او كاتب التميمية او باصق الرقية ، وحاميا منه ، وايضا ليكون النبي والملاك بديلين عن الدجال والمهرج والشيطان ، وحاميين منهم ، وايضا ليكون العالم او الحكيم او الفيلسوف

بجيلا عن العسكري ، وحاميا منه ، وايضا ليكون المنطق والذكاء والتفكير والصدق
بجيلا عن الصراخ والسباب والوعيد والادعاء والغرور ، وحاميا منه ، وايضا ليكون
الانسان المفكر المتحضر المتكلم بجيلا عن الكائن او عن الانسان المصوت الهدوء
الصهال ...

ان هذا هو التفسير للقول بان الشعوب العربية جيدة وعظيمة ، وان اصحاب
الرداءة والتفاهة فيها قليلون جدا ، وان هؤلاء القليلين جدا هم الذين يصعدون دائما
فوقها ليكونوا القادة والسادة والحكام والانبياء والداوين لها من كل الامها وفنوبها
وتشوهاتهما .

بل ان هذا هو بعض التفسير لهذا القول .

لماذا قرر والتزم جميع ذوي المواهب والمزايا الحضارية والانسانية والفكرية
والاخلاقية في جميع الجيوش العربية ان يتخلوا عن القيادة والزعامة لكي يستولي
عليهما العاجزون المخربون المرضي بشهوة الماخضة والمثابمة والتحدي العاجز
وبشهوة التمرري داخل كل العيون ، والذين كل اهتماماتهم وعبقرياتهم وانجازاتهم
ان يصنعوا المشاكل او ان يحرضوها ويثيروها ويلعنوها ويتحرسوا ويصطدموا
بها دون ان يفهموها او يعالجوها او يسالوها او ينتصروا عليها بل او يخذعوها
بالمهادنة او بالصمت او بالتهذيب والتواضع ؟ هل يوجد جبن او عجز او هزيمة او خطيئة
تساوي هذا القرار والالتزام ؟

وهذا التساؤل موجه الى الافتراض او الاقتناع بانه يوجد في احشاء الجيوش
العربية خير ممن بصقتهم فقفزوا فوقها ليقودوها الى الهزائم والفشائخ والمشاكل
والعجز بكل اسلحة الضجيج والغرور والوقاحات والقبايح .. هل يمكن ، اي مع
هذا الافتراض او الاقتناع فهم هذا الذي يحدث دائما في الجيوش العربية بلا تغيير
او تبديل ؟ هل يمكن حينئذ فهم الجيوش العربية او فهم الانسان العربي ؟ ولكن هل
يوجد من يطمع في فهم الانسان العربي او فهم الجيوش العربية اي اذا حوسبا او
فسرا بالانسان الاخر وبالجيوش الاخرى ؟

اما اذا فسرا وحوسبا اي الانسان العربي والجيوش العربية بنفسيهما
ومستوياتهما فهل يوجد من يعجز عن فهمهما ؟

ليس من السתר على الجيوش العربية ومن الانصاف والمحاباة لها ان يقال
ويعتقد بان الذين يقفزون فوقها دائما ليعرضوها هذا العرض العالمي الكوني الفضح
هم افضل واعظم من حبلت بهم وولدتهم مواهبها بل مواهب الانسان العربي ؟
اليس دفاعا عنك ان يقال ان الذي حكمك وقادك واذك هو اذكى واقوى منك
مهما كان ضعفه وغباؤه ؟

هل يقبل عالم الحشرات او الحيوانات او اي عالم اخر ان يكون دائما كل من
يقودونه ويحكمونه ويذلونه ويقفزون فوقه ، وكل من يفكرون له ويعلمونه وينهونه

ويأمرونه ويصبحون ملائكته وانبياءه ، هم اضعف واعجز واجهل واكذب وافسد واغبي واطفي واوقح من فيه ؟ اذا كان الاضعف والاغبي والاتفه هو دائما الذي يضرب وينتصر ويقود فما معنى الذكاء والقوة والعظمة اذن ، ولماذا ؟

ان الجيوش العربية لن تهجي باقسي من ان يقال انه يوجد فيها من هم اذكى او اشجع او اقوى او اعظم ممن يقفزون دائما فوقها . اي ان اقسى اساليب السب والهزاء للانسان العربي ان يزعم بان الذين يقاتلون من جيوشه بالسلاح لكي يصبحوا هم حكامه وقادته وانبياءه هم أردأ عبقریات جيوشه وعبقرياته ، او هم وخدمهم كل عبقریات جيوشه وكل عبقرياته الرديئة ..

ان الاعتقاد بان الذين يقفزون فوق الجيوش العربية هم اعظم من فيها لهو هزاء قاس لها ولكن القول او الاعتقاد بانهم أردأ واضعف من فيها هو هزاء اقسى .. سجل ايها التاريخ . ان كل احاد الجيوش العربية هم ملائكة وانبياء وعباقرة واطباء ، ولكنهم لاسباب لم يستطع فهمها وصعب ان يستطاع فهمها ، يذهبون بتدبير او بغفلة مذهلة بفرزون اعدادا قليلة جدا من الابالسة والدجالين والتافهين والمشعوذين ومن المعالجين بالسحر والتعاويذ والطلاسم وبالسباب والصراخ والادعاء ، لكي يكونوا دائما هم الحكام والقادة والمعلمين والداوين من كل الاثام والالام والتفاهات ومن كل نماذج الضعف والتخلف . لكي يكونوا الثوار الكونيين الشافين لك من كل تفاهاتك وتشوهاتك ..

سجل ايها التاريخ ذلك ولا تخف ان يقتلك الشعور بالعار او بالذنب او بالهوان . ارقص وغن ايها التاريخ لهذا الغباء والسخف . أليست اطول وأشهر رقصاتك واغانيك هي رقصاتك واغانيك للسخف والغباوات ؟

سجل وقل ان اقواما يقولون ما معناه ذلك دون أن يستقروا او يرتجفوا خوفا ان تحقق فيهم العيون أو العقول او التساؤلات والظنون المفجوعة بهم . ولكن هل بقي للعيون او العقول أو موهبة التساؤل شيء من كرامتها أو رؤيتها أو غضبها لتهايب اويستتر منها أو لتفجع بأي شيء ؟

جسدك ايها التاريخ مغطى بالذنوب والعاهات والنذالات والبلادات وبالعمار والقبح .. جسدك هو اكبر مزرعة كونية لانبث العار والدماصات والسخف والاكاذيب والتشويه بكل لغاته وتفسيره وفنونه .

وهل يوجد مكان في الكون لانبث ذلك غير جسدك المصاب المهان ؟ جسدك ايها التاريخ فجیعة وعقاب للعيون والعقول والضماير والانوف والايدي التي تراه او تقرؤه او تفهمه او تفسره او تحاسبه او تلمسه او تشمه . هل رأيت ايها التاريخ جسدك ولو مرة واحدة ؟

هل استطاعت عين ان تراه او جرؤت على رؤيته ؟ ان كل الناس يعيشونك ويستمتعون بك . ولكن هل استطاعت عيونهم او جرؤت على رؤية جسدك . ولكن

لا تخشى شيئاً ايها التاريخ فلقد قتلت في كل العقول والعيون والضمائر والاخلاق كل قدرتها على الرؤية مهما حاولت ان ترى ..

ان القادة والحكام والانبياء من حيث الرؤية او الفكر او التفاسير العامة ليسوا شيئاً غير شعوبهم وجماهيرهم . ليسوا افضل او اردأ منها اي من حيث الرؤية او الفكرة او التفاسير العامة او المطلقة . كذلك للشعوب او الجماهير ليست شيئاً غير قادتها وحكامها وانبيائها ، ليست اعظم او اتفه منهم اي بالمعنى السابق . ان الحكام والقادة والانبياء هم شعوبهم ، وان شعوبهم هي هم والاختلاف ليس الا في الاماكن او الكراسي او الازياء .

لهذا فانه لا يحتمل او ينتظر ان يكون شعب او مجتمع عظيماً عبقرياً او تافهاً عاجزاً بليداً ثم يكون جميع حكامه وقادته وانبيائه المتعاقبين عليه نقيضاً له اي في عبقريته او في تفاهاته . كما انه لا يحتمل او ينتظر ان يكون جميع قادة وحكام وانبياء مجتمع او شعب في جميع اطوار تعاقبهم عليه عباقرة وابطالا او جبناً وانذاً ومغفلين ورعوداً بلا اي سحاب بل بلا اي سماء ، ثم يكون شعوبهم او مجتمعهم كله او اكثره او كثير منه نقيضاً لهم اي في مزاياهم وتفوقهم او في رذائلهم وتخلفهم .. ان هذا لا يمكن الا بقدر ما يمكن ان تقوى او تضعف حدة البصر بالانتقال من كرسي الى اخر .. انه لهذا لممكن جداً ان تعرف مواهب وقدرات واخلاق اي شعب او مجتمع بمعرفة مواهب واخلاق وقدرات حكامه وقادته وانبيائه . كما انه ممكن جداً معرفة كل ذلك عن حكامه وقادته وانبيائه المتعاقبين بمعرفة ذلك عنه اي عن اي شعب او مجتمع .

بل ان معرفة هؤلاء هي معرفة مساوية لهؤلاء ..

ان احد الفريقين لتفسير او منطق للفريق الاخر لا يمكن ان يخطئ .. ان كلا الفريقين ليفسر الفريق الاخر اصدق مما يفسر اي تفسير نصه . ان اية تفاسير قد تكون غير نصوصها او خارجة عليها او غير معبرة عنها بصدق او بذكاء او بشمول او بنزاهة .. اما القادة والحكام والانبياء فانهم دائماً تفاسير لشعوبهم ومجتمعاتهم لا تخطئ ولا تضل ولا تكذب ولا تخدع ولا تجيء اقل او اضيّق . كذلك المجتمعات والشعوب هي نفس هذه التفاسير لحكامها وقادتها وانبيائها بكل هذا الصدق والشمول والدقة والنزاهة ، بكل الجمال والقوة او بكل القبح والضعف . لهذا فان الحكم على اخلاق ومواهب وتاريخ شعب من الشعوب هو حكم بنفس القدر على اخلاق ومواهب وتاريخ انبيائه وقادته وحكامه ومحا وذما فالشعب الجبان او العاجز او النافق او الذليل او التافه او الغوغائي او البليد المغرور لن يكون انبياءه وقادته الا كذلك ..

ان احدهما ليرى الاخر ويفسره كما تصنع المرأة السوية بالوجه المنشور عليها . بل ان القضية ليست هي ان احد الفريقين يفسر الاخر ويعبر عنه بكل الصدق

والشمول ، بل ان احد الفريقين هو نفس الآخر وليس تفسيره .

حتى الالهة فانها لا تستطيع ان تكون اكبر او اعظم من عبيدها والمؤمنين بها ، اي اكبر او اعظم من ذكائهم او منطقهم او تصوراتهم او من طموحهم وامانيهم ورؤاهم . ان المؤمنين بأي اله لن يكتفوا في نماذجهم العقلية او النفسية او الاخلاقية او الفنية اردا او اصغر منه كما لن يكونوا اكبر او اعظم منه . .

انها اذن لن تكون غيرهم او غير تفاسيرهم . انها في جميع تفاسيرها مساوية لهم في جميع تفاسيرهم اي مساوية لجميع معانيهم المذكورة ، اي الالهة وعبيدها والمؤمنون بها ، المصورون المتصورون لها . . بل ان كل انسان هو الهه جاء في صيغ تصورات وتضرعات ومخاطبات وتمنيات . ان اي اله هو تعبيرات من يزعمون الايمان به عن مستوياتهم . . انه يمكن جدا معرفة منطق وذكاء واخلاق وطموح وموهبة ومستويات اي انسان الفكرية والنفسية والفنية من الصور والصيغ والنماذج والتفاسير والاخلاق التي يتصورها ويضعها ويتمناها لآلهه ويحبها فيه ويمجده ويراه بها . فالمؤمن لا ينحت صور الاله او اخلاقه من ذات الاله بل من ذاته هو ، ذاته المادية والمعنوية . لهذا اوصفه دون أن يراه او يعرفه او يقرأه او يفسره او يجربه او يحاكمه لانه كان يصف ذاته ونفسه هو لا ذات او نفس الهه . .

اذن كيف يمكن ان يكون اكبر أو أعظم منه ، أو أن يكون شيئا غيره ؟ ان القائد او الزعيم او الحاكم لن يكون غير شعبه ، اكبر أو أصغر ، اذكى او اغبى منه الا اذا كان ممكنا ان يكون الاله اعظم أو اردأ من المؤمنين به .

هل يمكن أن تلد الذات او تحتوي ذاتا اكبر منها حجما ؟

ان القادة والزعماء والحكام والانبياء هم في ضماير ومواهب شعوبهم وكذا الالهة في ضماير ومواهب المؤمنين بها ، كالاجنة في بطون امهاتهم . وهل يمكن أن تكون الاجنة اكبر من بطونها ؟

**

ان اساليبنا في تقبل الاشياء ومواجهتها وفي التعامل بها ومعها والتحدث عنها لن تكون شيئا غيرنا ، اقوى واذكى او اضعف واغبى منا .
ان اساليبنا في التقبل والمواجهة والتعامل تعبير صادق وصحيح عن مواهبنا وطاقاتنا المختلفة . .

انه ليس ممكنا ان نكون شجعانا واقياء واذكياء وملتزمين بالصدق والتقوى والتطهر الروحي والاخلاقي والتعبيري ثم نصب جنودا ورعايا متبعين منفذين باخلاص لنقيض مزايانا لاننا نؤمر او نقاد او ندفع الى هذا النقيض فنطيع آمريتنا خوفا او حبا او تاديبا او خمولا او انخداعا . .

ان هذا ليستحيل في جميع قوانين الكينونة اكثر مما يستحيل ان يكون الكوكب الصغير جانبا ومركزا للكوكب الكبير ، او ان يطارد او يفترس او يخيف أو يهزم

او يذل العصفور أو الفأرة أو الارنب النسر أو السبع أو الجواد ، أو أن تحترق أو تنطفئ الشمس خجلا أو رهبة من ضوء الشمعة أو تموت أي الشمس خوفا منها أي من الشمعة وتكريما لها واطهاراً لنورها ومجدها ، أو أن تحتجب أي الشمس بكل أضوائها وامجادها امام جبروت وكثافة ووقاحة اية ظلمة ، أو أن يكون الشيطان هو دائماً السلطان الذي لا يؤمن به ولا يطيعه او يصلي له او يقاتل تحت رايته الا اخلاق وضمائر وقلوب الملائكة والانبياء •

ان قادة وحكام وانبياء بل ومفكري أي شعب او مجتمع ليسوا الا التعبير العنيف البصارخ الشامل المرئي المسموع القروء عنه أي عن الشعب او المجتمع • انهم هم هذا الشعب او المجتمع في حالة اعلانية شاملة ، او هم شعبيهم او مجتمعهم معروضا متعريا بكل وسامته واستوائه وقوته او بكل دمامته وتشوهه وضعفه • انهم هم شعبهم بكل قدرته على الصراخ والاعلان والاثارة والتاثير وعلى الظفر بالاعجاب او بالاحتقار ، بالخوف منه او بالبراء له ••

ان حكام وقادة وانبياء أي شعب او مجتمع بل وشعراء ومفكري ليسوا الا جزء الشيء الذي يؤخذ منه ليوضع تحت اجهزة التحليل والاختبار ليكون هذا الجزء من الشيء هو كل الشيء من حيث الخصائص والنسب والنوع والنتائج المستخرجة ، بحيث ان أي جزء اخر من هذا الشيء لن يكون الا مساويا لهذا الجزء الموضوع تحت اجهزة التحليل والاختبار أي في الخصائص والنسب والنوع والنتائج المحصلة • حتى انه لمن العبث والسفه ومما لا يحدث ان تحلل او تفحص جميع اجزاء الشيء لكي يكون مستطاعا الحكم عليه تحليليا ، أي على جميع اجزائه •• بقدر ما هو عبث وسخف ان نقرأ ونفسر ونعرف اخلاق ومواهب حكام وقادة وخلفاء وفقهاء وشعراء شعب من الشعوب ثم نحاول ان نقرأ ونفسر ونعرف اخلاق ومواهب انبياء ذلك الشعب •

ان اية قطرات من دم الكائن الحي أو اية مقادير من افرازات احدى غدده لمساوية لجميع القطرات والمقادير الاخرى في جميع تفاسيرها الكيميائية والوظيفية والنوعية أي في حالة واحدة ••

وحتما هذا الحكم على القادة والحكام والانبياء وعلى الشعوب والمجتمعات هو حكم على الفريقين او على من يبجون وكانهم فريقان ، هو حكم على جمع وجمع لا على فرد وفرد او لا على افراد هذا الجمع وافراد الجمع الاخر ••

أي ان أي تفاوت يكون بين أي حاكم او قائد أو نبي وبين أي فرد من الشعب هو تفاوت بين فرد وفرد وليس تفاوتاً بين نوع ونوع او بين فريق وفريق او بين قائد وفرد •

انه كالتفاوت بين الافراد والتفاوت بين الحكام والقادة والانبياء • فالفرد والقائد يتفاوتان في مزاياهما ورذائلهما بالتفسير والمنطق اللذين يتفاوت بهما الفرد والفرد ويتفاوت بهما القائد والقائد •• يتفاوتان لكونهما فردا وفردا لا لكونهما قائدا

وفردا • لهذا فان هذا التفاوت سيبقى لو اصبحا معا فردين او فائدين • ولكن لا بد من التفاوت في التعبير بين القائد والفرد • •
 انهما اي القائد والفرد قد يتفاوتان كما يتفاوت البعير والبعير والذئب والذئب والبرغوث والبرغوث لا كما يتفاوت الجواد والاتان او الصقر والغراب او الفارة والليث او الملاك والشيطان • • وحتما لا بد ان يكون التفاوت بين افراد الانسان اعظم من التفاوت بين افراد الكائنات الاخرى • انه تفاوت كالتفاوت بين الانسان ومن سواه • •

انه قد يحدث ان يكون بعض الحكام والقادة والانبياء هم اعظم في مواهبهم وطاقتهم الانسانية والبشرية من بعض افراد المجتمع او الشعب كما قد يحدث العكس او بالتفسير الذي يحدث به العكس • •

اي ليست اسباب ذلك فروقا بين الحكام والقادة وبين الشعوب لانهم قادة وحكام وشعوب بل لانهم افراد والافراد محتوم ان تكون ان تكون بينهم فروق • • انه لو كان يوجد تفاوت بين الفريقين محسوبين فريقين لكان هذا التفاوت حتما لمصلحة الحكام والقادة ، وتفسير ذلك قد تكون واضحة مقنعة •

ان المجتمع حينما يذهب يتهم حكامه وقادته واقوياءه بالضعف والعجز او الفساد او التفاهة والبلادة او باية نقيصة من النقائص الراسخة الكبرى انما هو متهم نفسه بكل ذلك وغالبا دون ان يدري • انه حينئذ يهجو نفسه مرتين وبذنبين : بكونه مثلهم ، وبخضوعه لهم وهم اشرار وتافهون كما يقول عنهم • •
 ان حاكمه او قائده كم يستورد نقائصه وذنبه من أية طبيعة اجنبية اخرى ، ولا من اية جهة بعيدة مجهولة ، ولم تورثه اياها الابالسة او الحشرات والذئاب ، ولم تخصصه بها الالهة الضاربة المتحركة في الظلام ، وانما تعلمها وورثها وتنوقها وتدرج وتجرا عليها منه اي من مجتمعه • ان مجتمعه كان قبله • انه هو والسده وخالقه ومعلمه • لقد افزره مجتمعه كما تفرز الغدة او العضو افرازاتهما السوية المريحة او المريضة المؤلمة • •

ان اي مجتمع يقول : حكامي وقادتي وزعمائي اغبياء وانذال ولصوص وخونة انما يعني ان يقول ، ولكن دون ان يدري او يريد في الغالب : انا مجتمع مؤلف من اغبياء وانذال ولصوص وخونة ، بل قد يعني دون ان يدري حتما ان يقول : لقد كان انبيائي وسلاطيني وخلفائي الذين جلوا وخذعوا ابائي اشرارا واغبياء ولصوصا وانذالا ايضا - او انما يعني ان يقول : لقد خلقت وولدت وافرزت وصغت حكامي وقادتي وشعرائي وعلماي اغبياء ولصوصا وانذالا وطفاة وخونة ، وعلمتهم ودربتهم وجراتهم ان يكونوا كذلك ، واطعتهم وصليت وهتفت وخطبت لهم وبايعتهم حينما اصبحوا كذلك او لانهم اصبحوا كذلك ، وفسرت الكتب المقدسة والاديان والمذاهب والتعاليم والاخلاق تفاسير تسوغ وتبيح لهم ان يكونوا كذلك ، بل تفاسير تحرضهم

وتأمرهم ليكونوا كذلك ، ونهيتهم بطاعتي واستسلامي بل وبإحائي وإخلاقي ومواهي ونذالاتي عن أن يكونوا أفضل من ذلك أو غير ذلك ، وحرمت عيونهم وعقولهم وأخلاقهم وتصوراتهم كما حرمت عليها أن ترى أو تتصور أو تعرف أو تجرب في أو في تاريخي شيئاً غير ذلك - إنما يعني أن يقول : لقد كنت خالفاً ووالداً ومربياً ونبياً ومعلماً ومدرّباً ومفسراً ومحرضاً وصائفاً وموحياً فلهما وهاتفاً ومبايعاً ومصلياً ومغفياً مغفياً لكل ما في حكامي وقادتي وأنبيائي وشعرائي وعلمائي من ضعف وقبح وفحش وغباء وتفاهة وأشياء أخرى .

نعم ، أن ذلك هو الذي يعني قوله أي مجتمع أو شعب يقول عن قاداته وحكامه وزعمائه وأنبيائه مثل هذا القول والاتهام ، ولكن وفي الغالب دون أن يدري أو يريد . . . أنك لو كنت مفكراً صادقاً ونافذاً الرؤية لعرفت أن اتهام وهجاء قاداتك وحكامك هو اتهام وهجاء لك أي بهذا التفسير . ولو عرف أي الشعب أو المجتمع ذلك فهل يكف عن قوله أو عن اتهامه هذا حياءً أو عدلاً أو تورعاً أو صدقاً ؟ ليس مستحيلاً أن تتهم عينيك أو لغتك أو تصرفك بالفزق أو الفحش ثم لا تكون متهماً لارادتك وشهوتك وضميرك وذكاك بشيء من ذلك ؟

أنه لن يكون عدلاً أو صدقاً أو ذكاءً أن يتهم أي مجتمع أو شعب قاداته أو حكامه أو زعماءه أو أنبياءه أي اتهام مع الشعور والافتقار ببراءة النفس من الاتهام الموجه إلا بقدر ما هو عدل وصدق وحياء وذكاء أن يتهم الإله الخالق عبيده الذين خلقهم وأرادهم ودبرهم هو بأي ذنب أو خطأ أو عصيان أو ضعف مع شعوره وافتقاره ببراءته هو مما اتهمهم به . هل يوجد اسدج أو أوقح أو أقبح أو أظلم من أن تتهم الإلهة الخالقة مخلوقاتنا التي أرادتنا ودبرتها وصاغتها وجعلتها عاجزة عن مقاومتها ؟

أجل ، أنه لمقول ومقبول بل وواجب أن يوجه أقصى الاتهام إلى نقائص وذنوب الحكام والقادة والزعماء والأنبياء ، ولكن لن يكون مقبولا أو مغفورا أن يكون موجه هذا الاتهام هم خالقي ووالدي ومفرزي هؤلاء القادة والحكام والزعماء والأنبياء ، وهم مدرّبيهم ومعلميهم ومحرضيهم على ذنوبهم ونقائصهم ، وهم الهاتفين المصلين لهم إذا اقتربوها وأعلنوها ، وهم المفسرين للاديان والمذاهب والأخلاق والكتب المقدسة لتكون تشريعا وتسويغا لها أي لذنوب ونقائص الحكام والقادة والأنبياء والزعماء ، وهم الناهيين لهم عن أن يتركوا ذنوبهم ونقائصهم بولائهم وطاعتهم لهم ، وباعجابهم بهم كلما حكموهم وقادوهم وأذلّوهم وأفسدوهم بذنوبهم ونقائصهم . . . لن يكون مقبولا أو مغفورا أن يكون متهم الإنسان هو ضميره وعقله وأرادته وأخلاقه وشهوته وعضلاته ، أي لن يكون مقبولا ولا مغفورا أن تكون موجهة هذا الاتهام إلى الحكام والقادة والزعماء هي شعوبهم وجماهيرهم ورعاياهم إلا إذا كانت تعني أن تتهم نفسها باتهامها لحكامها ولقاداتها وزعمائها بالأسلوب الذي يتهم به العامل أو الصانع أو الشاعر أو الفنان حين يتهم عمله أو صناعته أو شعره أو فنه . بل المفروض أن تخلق

وتصوغ وتبدع الشعوب حكامها وقادتها لا ان تتهمهم او تنقدهم فقط . . اليس انفسى اساليب الاتهام للخالق ان تجد في مخلوقاته عيبا او ذنبا او دماة او خطا ، ثم تعلن ذلك ، وهل عرف المؤمنون هذه الحقيقة ؟

انه لن يكون مقبولا او مغفورا ان يتهم الاله الخالق مخلوقه الذي اراده وخططه ثم خلقه واخرجه ، ما لم يكن مريدا باتهامه لمخلوقه ان يتهم نفسه . هل تستطيع ان تفهم او تحترم الهك او ان تغفر له حين يتهمك او يسبك او يتوعدك وهو مخطئك وصائنك ؟ هل غفرت له او فهمته او احترمته ؟

وايهما اكثر وقاحة وبلادة وسخفا : الالهة التي تتهم عبيدها وتبريء وتمتدح نفسها ام الشعوب التي تتهم حكامها وقادتها وزعماءها مبرئة ممجدة لنفسها ؟ هل سخر أحد من ذكائه واخلاقه وحيائه مثلما سخر الاله من ذكائه وحيائه واخلاقه حينما عاب وهدد كائننا هو مدبره ومريده وخالقه وصائنه ؟

كيف لم تعلم الالهة ان اتهامها لمن خلقت هو اتهام لها ، وكيف لم يعلم الناس ان اتهامهم لحكامهم وقادتهم هو اتهام لهم هم ؟ هل يمكن ان يجهل اي عامل ان تحقيق عمله ليس الا تحقيقا له ؟ هل يمكن الافتراض او الاقتناع بان اقل عامل او اي عامل هو اكثر ذكاء ووعيا من الالهة ومن كل الناس في هذه القضية ؟ نعم ، كيف لا تعلم اليد ان اتهامها لاصابعها بالعجز او الضعف او التشوه او بالعوان او الخطأ هو اتهام لها وانها هي المعتدية على الاصابع اكثر من العكس ؟

بل اليس الحق ان للمخلوق ان ينقد ويحكم ويحاسب خالقه على كل ذنوبه ونقائصه هو وعلى كل ذنوب ونقائص خالقه دون ان يكون للخالق ان ينقد أو يحاسب او يحاكم مخلوقه على اي شيء من ذلك ؟ اذن اليس الاله الخالق محتاجا جدا الى ان يتعلم شيئا من المنطق أو الذكاء او الاخلاق ؟

اجل ، اي الفريقين اكثر ظلما للفريق الاخر وعدوانا عليه : الشعوب التي تلد وتخلق حكامها وقادتها وانبياءها وتدريبهم وتعلمهم وتورثهم وتعرضهم وتوحي اليهم وتهيبهم عضلاتهم وذكاءهم واخلاقهم ومطامحهم ، حتى لتتهيبهم عيونهم واذانهم وضمايرهم ولغاتهم الى ان تصوغ منهم اردا نماذج القبح والضعف والسخف والبذاءة والطفيلان والجهل - تهيبهم اخلاق وشهوات وذكاء عيونهم واذانهم وضمايرهم ولغاتهم . - نعم ، هل الشعوب التي تفعل بقادتها وحكامها وانبيائها وتفعل لهم كل ذلك

هي اظلم لهم واكثر عدوانا عليهم ام هم اكثر عدوانا عليها وظلما لها حينما يذهبون يعاقبونها ويشوهونها ويقهرونها ويفسدونها بما وضعت فيهم من قدرة وجسارة وخبرة على ان يفعلوا بها ذلك ؟ لقد جاء القادة والحكام والانبياء الى مجتمعاتهم هكذا: اجنة في احشائها ثم اطفالا في حجورها ثم تلامذة في معابدها ونواديها ومدارسها ثم سياطا فوق ظهورها وكرامتها مسحوبة من عضلاتها وجلودها مفتولة بايديها .

ايهما اكثر عدوانا على الاخر وظلما له : الجسم الذي نقل العاهة او المرض الى

العضو واعد له للاصابة بذلك ام العضو المشوه او المريض الذي ذهب يعاقب ويئذل الجسم بما وضع فيه ؟ هل يمكن ان يمرض او يتشوه اي عضو الا بواسطة جسمه وباملائه واخلاته وتصرفاته ؟

ولكن من البادي، بالظلم والعدوان هنا ؟ ومن الذي وضع في الاخر ظلمه وعدوانه او حكم عليه بان يكون ظالما ومعتديا او في صورة الظالم المعتدي ؟ ان الظالم المعتدي ليس هو الذي يريد او يصوغ نفسه ظالما معتديا كما ان العضو او الجسم المشوه او المريض ليس هو المشوه الممرض لنفسه . ان الظلم والعدوان توريط واسقاط وتعذيب وليس حبا أو سعادة أو مجد أو مزية .

اذن ليست الشعوب والمجتمعات هي البائدة بالظلم لحكامها وقادتها وانبيائها وبالعدوان عليهم ، وهي ايضا التي وضعت فيهم ظلمهم وعدوانهم وحكمت عليهم بان يكونوا ظالمين معتدين او بان يبدوا ويبروا ويفسروا كذلك ؟ بل ليست هي الواقعة الزارعة المنبئة فيهم كل عدوانهم وظلمهم ، اي ليست هي الممرضة لهم بالعدوان والظلم ؟ أليس هذا هو الحكم على الجسم حينما يحاسبه ويحاكمه عضوه المريض او المشوه او حينما يحاكم ويحاسب باسم عضوه هذا ؟ اليس العضو المريض او المشوه معتدى عليه وجسمه معتديا مهما كان اي جسمه معتدى عليه ؟

ولكن هل يوجد هنا ظالم معتد ومظلوم معتدى عليه ؟ اليس هذا هو هذا ؟ اذا وقعت الخطيئة او الوقاحة فمن المذنب المسؤول ؟ هل هو العين او الاذن التي رأت او سمعت ، ام الشهوة التي ارادت ، ام الارادة التي ضعفت واستجابت ، ام الضمير الذي هزم ، ام الفكر الذي دبر او عجز عن التدبير ، ام العضو او الجهاز الذي خطأ أو ضرب أو وقع أو نفذ ؟

اذا العين أو الاذن رأت أو سمعت فاستجابت مستحسنة أو مستقبحة فهل هي فاعلة ام مفعول بها ام فاعلة مفعول بها ؟ هل هي رائية سامعة ام مسموع مرئي بها ؟ واذا القلب عشق فحفق وغوى وخطا وقاد الى العار أو الهزيمة او الى العذاب والخسران والاثم ، فهل يحسب ظالما للاعضاء التي فعل وأراد واستطاع واشتهى بها أو هل تحسب الاعضاء التي جهزت القلب وسلحته وحملته وخلقته وشحنه بكل طاقاته واخلاته ومجاعاته وقدراته ظالمة له ؟

ليست المحاسبة لهذه والحكم عليها هي نفس المحاسبة لهذا ونفس الحكم عليه ؟ ثم أليست وقاحة من الاعضاء ان تتهم القلب وتبريء نفسها ؟ ولكن هل يكون القلب وقحا لو انه اتهم الاعضاء بانها هي وحدها المسؤولة عنه والمتهمة بكل كينوناته وصياغاته وخفقاته ومساراته الجيدة والرديئة ، المريحة والمرهقة ، وبأنها هي القائدة الحاكمة الامرة له مهما حسبت القودة المحكومة المأمورة ؟ والناس دائما يعتدون ويظلمون لانهم دائما يتهمون قلوبهم وعقولهم بانها هي التي تقودهم اي تقود اعضاءهم الى المخاطر والغوايات .

ان العضو ليس عضوا فقط ولكنه عضو وقلب ، وان القلب ليس قلبا فقط ولكنه قلب وعضو . . ولكن ايهما جعل الآخر اكثر : القلب في جعله الاعضاء قلوبا أم الاعضاء في جعلها القلوب اعضاء ؟ ايهما الفاعل للآخر أو الفاعل له اكثر ؟

كذلك فان الحاكم أو القائد ليس حاكما أو قائدا فقط ولكنه قائد أو حاكم وشعب ، وان الشعب ليس شعبا فقط ولكنه قائد أو حاكم وشعب مهما بدت أو قالت الصور أو اللغات أو التفاسير أو الاماكن بل أو المذاهب أو الاديان أو التعاليم أو القوانين غير ذلك . ان كل اخلاق القائد وتصرفاته وطاقاته ولغاته محكومة ومقودة ومصنوعة بالشعب الذي يعيش كل منهما داخل الآخر . وان كل معاني الشعب وتفسيره حاكمة وقائدة وواهبه لكل معاني القائد وتفسيره . .

ان اي قائد لن يقود شعبه أو يخاطبه أو يتكلم عنه أو باسمه الا بما وضع فيه شعبه واملى عليه وعلمه .

نعم ، ان القادة والحكام والانبياء ليسوا سوى افراد من شعوبهم لم يختاروا لعظمتهم وشرفهم أو لتفاهاتهم ونذالتهن ليكونوا حكاما وقادة وانبياء . . انهم افراد وضعوا وضعا رهيبا كريها قاسيا مشوها لهم ، اي اذا كانوا قادة وحكاما وانبياء لمجتمع متخلف عاجز سفيه فاقد للمواهب الكبيرة الكريمة . .

لقد وضعوا بلا اختيار أو تدبير أو جدارة أو ارادة تكريم ليكونوا جهازا شاملا لعرض نقائص واثام مجتمعهم وللإعلان عنها وللتشهير والتذكير بها ، ولشائمة ومخاصمة ومبارزة وايداء كل الناس وكل الاشياء بها ، ولكي يكونوا صوتها اي صوت ااثام ونقائص مجتمعهم ومنبرها وممرها ومنطقها وتفسيرها الدائم وتاريخها المكتوب المقروء المعروف المحفوظ في ضمائر الالهة وفي تذكراها وذكرياتها ، المنزل في كتبها المنزلة . . . لقد وضعوا بلا رحمة أو تمجيد لهم ليكونوا كل نماذج واصوات ومعارض عار وضعف وفساد مجتمعاتهم . .

اذن هل توجد كائنات معتدى عليها ومشوهة تستحق اقصى مشاعر الرثاء والعطف مثل القادة والحكام والانبياء للمجتمعات الفاسدة العاجزة المتخلفة اي مثل قادة العرب وحكامهم وانبيائهم ؟ هل توجد اجهزة تشويه وتشوه مثل هؤلاء ؟

واذن هل توجد اجهزة تبصق كل القبح والفحش والغباء والنذالة والسفاهة على كل الاشياء والوجوه وفي كل العيون والاذان والعقول والضمائر والاخلاق وعلى كل القيم الحضارية والانسانية ، ومجلة متوجة بكل ذلك .

- نعم ، هل توجد اجهزة تفعل كل ذلك ومجلة متوجة بكل ذلك مثل أو غير هؤلاء القادة والحكام والانبياء في مثل هذه المجتمعات العاجزة الفاسدة المتخلفة ، أو مثل قادة وحكام وانبياء العرب ، أو غير هؤلاء القادة والحكام والانبياء العرب ؟ هل تستطيع عبقرية كل الالهة ؟ عبقرية كل الابالسة والملائكة ان تصوغ كائنات تستطيع ان تستفرغ التشوهات أو تصاب بالتشوهات التي يستفرغها ويصاب بها

من يحكم عليهم بان يصبحوا حكام وقادة وانبياء وشعراء وحكماء وعلماء وفقهاء وعباقره العروبة ؟

اذن قد يكون حقا أن من يستطيعون ويتقبلون ان يكونوا حكاما وقادة وانبياء للمجتمعات الفاسدة العاجزة المتخلفة او للمجتمعات العربية لا بد ان يكونوا مخصصين بقدرة اكبر على معايشة القبائح والفصائح وعلى عرضها والاعلان عنها بكل موهبة التوافق والاستحقاق او لا بد من اشتراط هذه القدرة فيهم لكي يجيئوا نماذج رائعة لانبياء وقادة وحكام هذه المجتمعات الفاسدة العاجزة المتخلفة ، أو للانبياء والقادة والحكام العرب ..

حتى الرداءة والافتضاح محتاجان الى ظروفهما الجيدة لكي يجيئا جيدين .. اذن كم تستحق من الرثاء والاشفاق أو من الغضب والاشمئزاز حينما تقبل أو تستطيع ان تكون حاكما أو قائدا أو نبيا أو شاعرا عربيا ، وحينما تكون جديرا بقيادتك أو نبوتك أو شاعريتك أو بحكمك في عالمك العربي لانك قد فعلت كل ما ينتظر من كل قائد وحاكم ونبي وشاعر عربي ، وكل ما تعود العرب أن يفعل لهم وبهم انبياءهم وحكامهم وقادتهم وشعراؤهم . وكم انت محتاج الى انواع العبقريات المضادة لكي تستطيع ان تفعل ما يفعله حكام العرب وقادتهم وانبياءهم بشعوبهم ولها .. وهل تستطيع منافسة حكام العرب وقادتهم فيما يفعلونه بشعوبهم من فضح وعار واذلال ؟ هل تمكن منافسة حملة التيجان والاقلام والالواح والسيات العرب على عالميتهم بل كونيتهم في الافتضاح والفصائح ؟

العرب ، ولعل جميع المجتمعات المتخلفة أو الفاسدة ترى وتفعل مثل فعلهم ، يذهبون دائما يؤملون امالا ضائعة ، كما يذهبون يعتقدون ويتحدثون ويفسرون وقد يحاولون بلا ذكاء وبلا انتظار لاية نتيجة جيدة .. ان الذكاء أو المنطق أو محاسبة النتائج أو انتظارها أو التحديق فيها ليس مشروطا في اي شيء أو لاي شيء . انهم يرون ويعلنون ان كل دائهم في قادتهم وحكامهم ، وان كل شفائهم المرتقب منهم ايضا . كل الشفاء وكل الداء فيهم ومنهم وبهم اي في القادة والحكام وبهم ومنهم . انهم كل المجد والقوة وكل الضعف والندالة ..

اسلوب بسيط وساذج جدا في تفسير القضية ولكنه راسخ ومقنع اقناعا يرتفع فوق جميع هواجس الشكوك والمحاسبات العقلية والمنطقية وهل يصاب الانسان العربي بالشكوك والمحاسبات العقلية مهما اصاب بالعداوات والوقاحات النفسية ؟ انه تفسير للأسباب بالنتائج ، ومحاولة لتغيير الشيء أو الحدث وانتظار لتغيير الشيء أو الحدث ، أو لتغيير أو تغيير نتائج ، وانتظار لهذا التغيير والتغيير في الشيء وفي نتائجه وللشيء ونتائجه بتغيير أو بتغيير نتائجه ، لا بتغيير أو تغيير اسبابه . ان المطر يجيء شحيا لان الحقول يصيبها الجفاف ولا يصيبها الجفاف لان المطر يجيء

شحيحا ، وان الزلزال جاء عنيفا لان البيوت تهدمت وليس العكس .
 اجل ، هذه الارض لا تنبت الا نباتا ضعيفا او مشوها . وهذه الام لا تلد الا
 ابناء مشوهين وضعفاء . وهذا الجهاز لا يعطي الا نتائج وعمليات خاطئة وضارة .
 وهذا المجتمع او الشعب لا يلد او لا يخلق الا قادة وحكاما وشعراء وانبياء ضعفاء
 وطفاء وتافهين مفرورين نباحين بلا اظفار او انياب او عضلات .
 ولكن ما العلة هنا . . العلة هي هؤلاء الابناء المشوهون الضعفاء ، وهذا النبات
 الضعيف ، وهذه النتائج والعمليات الخاطئة الضارة ، وهؤلاء القادة والحكام والانبياء
 الذين يولدون ويخلقون بلا مزايا . .

وما العلاج . . العلاج هو أن يصبح الابناء اسوياء واقوياء ، وتصبح عمليات
 ونتائج الجهاز صحيحة ونافعة ، ويصبح النبات جيدا وبريئا من الضعف والتشوه ،
 ويصبح القادة والحكام والانبياء عظاما واتقياء . . العلاج ان يصبح المخلوق ذكيا
 وقويا وجيد التكوين والاخراج لكي يصبح خالقه كذلك .

اما الشعوب والجهاز والام والارض فليست علة ولا سببا ولا مسؤولة وليس فيها
 اي عيب او نقص ، وهي لا تحتاج الى علاج او تغيير الا بان يصبح نباتها وابناؤها
 وعملياتها ونتائجها جيدة وصحيحة بلا ضعف او تشويه . .

وكذلك ايضا يصبح قادتها وحكامها وانبيائها وشعراؤها وعلماؤها . .
 نعم ، ان الام والجهاز والارض ليست هي السبب ولكن السبب هو نتائجها .
 ان الابناء هم الذين يجيئون ضعفاء ومشوهين مع أن الام سوية وقوية جدا بلا عيب
 او خطأ . وان النبات هو الذي يجيء مشوها وضعيفا مع ان الارض والبذور جيدة جدا
 بلا عيب او نقص . وان عمليات الجهاز ونتائجها هي التي تجيء خاطئة وضارة مع ان
 الجهاز كامل تكوينا وتركيبا واستعمالا . بل ان المخلوق المشوه هو الذي جعل خالقه
 مشوها وجعله يخلقه مشوها . وان القصيدة او اللوحة الرديئة هي التي جعلت الشاعر
 او الرسام رديئا وجعلته لا يستطيع ان يصنعها الا رديئة . بل ان النبات والعمليات
 والنتائج والانبياء هم الذين شوهوا الامهات والاجهزة والانبياء ، وهم الذين جعلوها لا
 تنبت ولا تعمل ولا تلد الا تشويها وضعفا وخطا ولما . ان تساقط الاشجار وتهدم
 المدينة هما اللذان جعلوا الاعصار عنيفا ، وليس عنف الاعصار هو الذي اسقط الاشجار
 وخرب المدينة . .

ان الطفل الضعيف المشوه هو الذي يلد امه ضعيفة مشوهة وهو الذي يجعلها
 لا تلده الا ضعيفا او مشوها . بل انه هو الذي يلد نفسه ضعيفا مشوها ، ثم يصير
 على ان يظل ضعيفا مشوها .

وهكذا ايضا تفسر العلاقة بين الارض ونباتها وبين الجهاز وعملياته . ان
 النتائج تحكم وتصوغ الاسباب ، وان الابناء هم واهبو الالباء الوانهم وصيغ ابدانهم
 وليس العكس . .

هكذا يرى ويقول ولكن بلا نطق هؤلاء المفسرون الذين يرون ويقولون ان كل داء العرب وضعفهم من قادتهم وحكامهم وفي قادتهم وحكامهم ، وان كل قوتهم وشفائهم المؤمنين والقادمين لن يجيئا او يخلقا الا هبات وتدبيراً وارادة وعقوبة وتوبة من حكامهم وقادتهم .. او الذين يرون ويقولون ان كل داء العرب وضعفهم من قادتهم وحكامهم، اما شفاؤهم وقوتهم فأصالة أو وراثة أو تاريخ أو عطاء والهام من السماء أو من الاقدار . ولكن القادة والحكام هم الذين يسرقون او يرهبون او يطردون او يقتلون هذه القوة والاصالة والوراثة والتاريخ والعطاء والالهام في شعوبهم وعن شعوبهم ومن شعوبهم العربية .

وهؤلاء الذين يجعلون القادة والحكام هم صانعي الداء والضعف والفساد والتخلف فقط هم المتعللون المعتدلون جدا . وما اقلهم في مفسري ومفكري العرب . اي ما اقل المفكرين والمفسرين العرب الذين يتصاعد بهم الاعتدال والتعلل الى ان يروا ان القادة هم الذين يهبون شعوبهم الضعف والردائل فقط .. اما القوة والمزايا فمن الشعوب لا من القادة ولا من غيرهم .. ان التفاسير المتقررة ترى ان الشعب العظيم ليس الا شعبا قد اهدت اليه القوى المجهولة من مكان مجهول الاسباب مجهولة بقيادة ركبوا فيه العظمة تركيبا .. ولكن لماذا يجيء دائما قادة وحكام المجتمعات الضعيفة التخلفة او قيادة وحكام العرب ، اشرارا واغبياء وفاسدين وسفهاء وضجاجين ضعفاء ؟ لماذا لا يجيئون شيئا افضل ، او لماذا يرفضون او لا يريدون او لا يحاولون ان يكونوا هذا الشيء الافضل ؟ هل كينونتهم هذه تفرض عليهم فرضا ام هم يختارونها اختيارا ؟ لماذا يختارون الاردا والاضعف والاغبي ان كانوا يختارون ؟ ومن هم الذين يفرضون عليهم ضعفهم وبلادتهم ونزقهم وفحشهم ان كان ذلك يفرض فرضا ؟ ولماذا يختار لهم دائما هؤلاء الذين يفرضون عليهم ان يكونوا كذلك ؟ لماذا لا يختارون لهم ولو احيانا ، ولو رثاء او حياء او عدلا ان يكونوا شيئا اذكى او اقوى او اتقى او اقل افتضاحا ؟ كيف لا يجد هؤلاء الذين يختارون لهم شيئا من الفرح او المجد او النخوة أو القوة في ان يجيئوا اي القادة والحكام والشعراء والمعلمون العرب شيئا اعظم أو اقل تفاعا ؟

ليس اختيار الاقوى والافضل مجدا وسعادة وقوة لمن يختار بقدر ما هو كذلك لمن يختار له ؟ ليس خلق العظمة اعظم مجدا للخالق من خلق التفاهة ؟

لماذا لا تخطئ الاقدار أو الحظوظ أو الالهة ، أو لماذا لا تصاب بالشهامة أو الرحمة أو الحياء أو الرغبة في التغيير وفي الاعجاب بموهبة الذات أو بنقواها .

— نعم ، لماذا لا تخطئ الاقدار أو الحظوظ أو الالهة أو تصاب بشيء من هذه المعاني ولو مرة واحدة فتغير من صياغتها لنماذج هؤلاء القادة والحكام والانبياء أو لنماذج القادة والحكام والانبياء العرب .. لماذا لا تجد جمالا أو فنا أو واجبا أو عدلا في تجديد صياغتها لنماذجهم ؟ ..

لماذا يجيء دائما حكام وقادة وانبياء المجتمعات القوية والمتقدمة شيئا افضل او يبدون هذا الشيء الافضل من قادة وحكام وانبياء المجتمعات الاخرى ؟ • لماذا يحدث هذا ويحدث دائما • ما التفسير لهذه الديمومة ؟ •

اذا كانت مزايا ورذائل الحكام والانبياء والقادة مفصولة عن مزايا ورذائل المجتمعات والشعوب ، او اذا لم تكن مزايا ورذائل هؤلاء هي مزايا ورذائل هذه او هي التعبير والاعلان عنها فلماذا اذن يوجد دائما هذا التفاوت الهائل الشامل بين قيادة وحكام وانبياء المجتمعات المتقدمة القوية وقادة وحكام وانبياء المجتمعات المتخلفة الضعيفة في جميع صيغهم الاخلاقية والعقلية والنفسية والانسانية بل والصوتية ، او لماذا يبدون دائما محكومين بهذا التفاوت ؟ اية قوة مجهولة عجيبة توزع القادة والانبياء هذا التوزيع ؟ ما هذه الظاهرة التي لا يستطيع الصمت او الاغضاء عنها او الهرب من مواجهتها ؟

ان جميع هذه التساؤلات الحادة لا تتخاطب او تتصادم مع عقول أو رؤى او تصورات هؤلاء المفسرين العرب الذين يرون ويعلمون ويعلمون دائما ان الانسان العربي ليس الا قداسة وعبقرية وجبروتنا وحضارة ولكن لا يستطيع ان يحكمه او يقوده او يدبر ويريد له الا الغباء والكذب والضعف والتفاهة والفساد والصراخ المصاب بكل تفاسير الغرور والوقاحة والطغيان العاجز الفضح ، بل ولا يريد أن يطيع او يتبع الا قادة وحكاما وانبياء لا يعرفون او يحيون او يستطيعون او يريدون الا هذه الرذائل • ولهذا فانه اي الانسان العربي يطيع ويتبع هؤلاء القادة والحكام والانبياء باسلوب لا يفعله اي مجتمع او شعب ولا يعامل به أي قادة او حكام او انبياء في اي زمان او مكان غير حكام العرب وقادتهم وانبيائهم • •

لهذا فان اي دارس لو انه درس وعرف بعمق قادة وحكام وانبياء مجتمع او شعب في فترة من تاريخه او في كل تاريخه لاستطاع ان يعرف بذلك كل مواهب واخلاق ومستويات ذلك المجتمع او الشعب ، وان يعرف ايضا قوته وضعفه وتقدمه وتخلفه في كل فترته التاريخية التي درس وعرف فيها حكامه وقادته وانبياءه • • ان يعرف كيف كان ذلك المجتمع يواجه مشاكله وهمومه واماله واحتياجاته ، وكيف كان يقرأها ويفسرهما ويفهمها ويعبر عنها ويطلب بها ويراه • •

كذلك لو ان دارسا درس شعبا او مجتمعا ، درسه في تاريخه او في مواجهته ومعاشيته له الى ان عرف كل تفاسيره ناطقة وصامتة لاستطاع بذلك ان يعرف كل تفاسير قادة وحكام وانبياء وشعراء ذلك المجتمع • • لكاد ان يسمع اصواتهم ويرى تعبيراتهم وهم فوق منابرهم ينعبون ويهبطون ويتفهون ويصفرون • •

لاستطاع ان يعرف ماذا كانوا يقولون ، وكيف كانوا يفكرون ويصرخون ويذمرون ويكذبون ويسفهن ويواجهون المواقف والمشاكل ويتعاملون معها وبها ، دون ان يقرأ او يسمع لاحد منهم كلمة او أن يعاشره او يعاصره او حتى يراه او يفكر

فيه . . لاستطاع ان يعرف هل كانوا متكلمين مفكرين ام كانوا مصوتين فقط كالقادة والحكام والانبياء العرب .

انه لو عرضت جميع الشعوب والمجتمعات في مكان واحد ، معبرة عن مزاياها ورذائلها ، عن قوتها وضعفها ، عن نماذجها ومستوياتها ومطامحها النفسية والانسانية والاخلاقية والفكرية والحضارية ، وعرض معها بنفس الاسلوب وفي نفس المكان والزمان جميع قادتها وحكامها وانبيائها ، معبرين عن كل معانيهم نفس التعبير ، معبرين باللغة والسلوك والتفكير والشعور والمواجهة والعضلات وبكل اساليب ووسائل التعبير ، ثم طلب من قوم بارعين في التفسير والتحليل والرؤية المبصرة ان يوزعوا كل مجتمع أو شعب على قادته وحكامه وانبيائه ، او أن يوزعوا جموع القادة والحكام والانبياء على شعوبهم ومجتمعاتهم ، محولين الى جماعات ، جماعات ، اي قادة وحكام وانبياء كل مجتمع أو شعب ، لكان احتمالا بعيدا ان يخطئ هؤلاء المفسرون المحلون الموزعون في توزيعهم هذا . انهم لو اخطأوا في هذا التوزيع لما كان خطؤهم اقل من خطأ من فسر مريد ومدبر وصائن هذا الكون بأي معنى من معاني الجمال او الحسب او الرحمة او العدل او الشهامة او الشاعرية .

لو ان كائنا ما يعيش في كون بعيد عن كوننا هذا عايش وسمع وقرأ وفهم وجرب في كونه البعيد جميع حكام وقادة ومفكري ومعلمي العرب اليوم ثم هبط على الشعوب العربية المعاصرة فعاشرها وقرأها ورآها وفسرها وفهمها فهل يمكن أن يخطئ في أن هؤلاء القادة والحكام والمفكرين المفسرين العرب هم قادة وحكام ومعلمو ومفسرو هذه الشعوب العربية التي هبط عليها ، او هل يمكن ان يقاسي لكي يفهم ذلك ؟

هل يمكن ان يخطئ في ذلك مهما استطاع النفط او غيره ان يبتكر من الازياء التنكيرية البارة الشاملة في قدرتها على الخداع والتزييف ؟

ولو انه اخطأ في هذا الاستنتاج فهل يغفر له خطؤه ؟ انه لو غفرت كل البلادات والاختفاء لما غفرت بلادة وخطأ من جهل ان قادة العرب لن يكونوا الا قاداتهم ولن يفسروا الا بذلك .

بل لو أن هذا الكائن المجهول المفترض قرأ النبوات العربية وقرأ كتبها المقدسة وتعاليمها وشرائعها واخلاقها وكل اساليب حياتها . . وقرأ ايضا كل خلفاء وسلاطين وشعراء وفقهاء العرب الذين كانوا ، ودرس كل ما قالوا وفعلوا ونووا وتصوروا وتمنوا واستطاعوا وفهموا ، وعرف كل ذلك بذكاء وشمول ، ثم قرأ الشعوب العربية المعاصرة وفهم كل تفاسيرها وابعادها واعماقها ، وسمعها مصوتة وهاتمة ومصلية ومؤمنة وشاتمة مخاصمة مفاخرة ، وسمعها ايضا صامتة وحاقدة وكارمة وفاعلة وعاجزة ، . . سمعها لاعنة محقرة متهمه لكل العالم في كل العصور ، مادحة مجدة مزكية لكل غربانها وبومها القائدة لكل تاريخها ، فهل يمكن أن يجهل ان هؤلاء الانبياء والنبوات والخلفاء والسلاطين والشعراء والفقهاء هم انبياء ونبوات وخلفاء وسلاطين وشعراء

وفقهاء هذه الشعوب العربية المعاصرة والشعوب العربية التي كانت اي ان كان قد قرأها او عاصرها وعاشها وفهمها ؟ ان قراءة ومعاصرة ومعايشة احد الفريقين هي قراءة ومعاصرة ومعايشة للفريق الاخر . ان قراءة النبي قراءة لشعبه وكذا العكس . ان محمداً لن يكون الان نبوة عربية ولن يفسر الا بانه كذلك . وان العرب لن يلدوا او يهبوا نبوة الان نبوة محمد او الا مثل نبوة محمد ، وانهم لن يكونوا الا اتباع محمد وابناء ورواته والمصلين وراءه . كما ان المتنبي لن يكون الا شاعرا عربيا ولن يفسر او يفهم الا بانه كذلك . وانه اي المتنبي لن يجد من يعجب به او يرويه ويغنيه الا ان يكون عربيا . وان العرب لن يلدوا او يهبوا الا شاعرا هو المتنبي او الا من هو مثل المتنبي شعرا وعقلا واخلاقا وتصويتا . .

ان محمداً والنتنبي ، النبي والشاعر لو خلا في كل انبياء وشعراء العالم لاستطاع ان يعرف انهما عربيان كل من عايش الشعوب العربية المعاصرة أو قرأ الشعوب العربية الخالية بذكاء وتحديق . ان الخطأ في ذلك لن يكون مغفورا اي لو وجد من يخطئ فيه . .

انه لو عاش انسان غير عربي في العالم العربي او في التاريخ العربي قارئاً ومفسراً ومحللاً ثم سمع لها او نبيا او قائداً او حاكماً او شاعراً او مفكراً عربياً يخطب او يتحدث في مجتمع دولي او في مجلس خاص ، يفاخر او يهدد او يدعي او يشاتم او يصاهر او يروي مزايا اباؤه ، ويفسر كيف ومتى علموا السحاب والانهار كيف تعرف طريقها وتتعلم الخطو والطيران على اقدامها واجنحتها وكيف تذرف دموعها في افواه الحقول والغابات الظماى ، وصاغوا للنجوم عروشها وخططوا لها مداراتها وافلاكها وركبوا فيها عيونها وعلموها مغازلاتها المتعالية ، ووضعوا الشموس والكواكب في اماكنها وصياغاتها ، ثم لم يستطع اي ذلك الانسان غير العربي ان يعرف ان هذا الذي يسمعه ليس الا عربيا جدا ، لكان هذا الانسان الذي ليس عربيا هاجيا لذكائه ولكل مواهبه في الرؤية والاستماع والمقارنة والاستنتاج والحدس - اي مهما كانت اللغة التي يتحدث بها هذا الانسان او الاله او النبي العربي ، ومهما كان الزي الذي فوقه والظروف المبهدة له عن ان يفهم بانه عربي . ان كل ما في الكون من سواثر واغطية وكذا كل ما في الحياة من حيل واساليب للاخفاء لا يستطيع ان يخفي عن الرؤية المحذقة ان الاله او النبي او القائد او المفكر العربي ، عربي . انه لا احد يعلن لكل من يسمع او يرى اويقرأ أو يفسر عن انه عربي مثل الاله والنبي والقائد والمفكر العربي .

اذن ايتها الشعوب المتخلفة المصابة بكل مواهب وفنون الفساد والضعف ، وايضا ايتها الشعوب العربية لا تلعني أو تتهمني بضعف وفساد قادتك وحكامك الا اذا كنت تريدين ان تلعني وتتهمني بضعفك وفسادك للذين انتقلوا واهجوا الى قادتك وحكامك - للذين اصبحا بالتوريث والايحاء ضعفا وفسادا في قادتك وحكامك . الا

إذا كنت تريدان ان تلعني وتتهمي احشاءك واثداءك واحضانك التي لا تلد او ترضع او تربى الا الضعفاء والمشوهين والا لكي تصنع وتحدث الضعف والتشويه بمن تخلق .. لا تقولي لولا ضعف وفساد قادتي وحكامي لما اصابني الضعف ولا الفساد .. بل قليني : لولا ضعفي وفسادي لما جاء قادتي وحكامي ضعفاء وفاسدين ، لما وجدوا من يورثهم ويعلمهم ضعفهم وفسادهم ، ويوحى اليهم بضعفهم وفسادهم ، ويغيرهم بضعفهم وفسادهم ، ويطيحهم ويهتف لهم كلما تصاعدوا وافتضحوا في فنون ضعفهم وفسادهم . قليني : لقد ولدوا فوق فراشي الذي تعلموا منه كل نماذجهم واخلاقيهم وشهواتهم قبل ان يلقي بي انا على فراشهم الذي صنعته ووضعت انا لهم .. لا تقولي : ان قادتي وحكامي هم خالقي وانبيائي بل قليني : انا خالقة ونبيه استقمت وعظمت او لو جئت تقية وقوية وعظيمة لجاء قادتي وحكامي كذلك او لولدتهم وخلقتهم كذلك ، ولعلمتهم واوحيت اليهم والزمتهم واغريتهم بان يكونوا كذلك .. لا تقولي : لقد اغتصبوا بكارتي النفسية والاخلاقية والعقلية والنضالية ، ولكن قليني : لقد ولدتهم وصغتهم وعلمتهم ليكونوا بلا اية بكاره وبلا احترام لاية بكاره من اي نوع وبأي تفسير ..

لا تقولي : ان قادتي وحكامي هم خالقي وانبيائي بل قليني : انا خالقة ونبيه قادتي وحكامي .. انا صاغتهم ومخرجتهم والموحية لهم . لقد خرجوا وتولدوا مني وعني ، ولم اخرج او اتولد منهم او عنهم . قليني لقد ولدتهم وصاغتهم احشائي واثدائي واحضائي واخلاقي وتعاليمي وصلواتي وانشيدي واشعاري وايماني وهواني . ألسنت الكائنة اولا اي قبلهم ؟ أليس الخالق والوالد هما دائما الاولين ؟ أليس كل شعب أو مجتمع هو نبياً لنبيه ؟ أليس الشعب هو الملك والوحي والكتاب والا له والرؤيا والضمير والعضلات والعرق والولادة واللغة لكل انبيائه ؟

اذن لا تتهمني او تلعني حكامك وقادتك المشوهين الغاوين المرضى ، بل اعتذري اليهم وارثي لهم كما ترثين وتحزنين لابنائك الذين تلدينهم مرضى ومشوهين أو عميانا صما .. لا تطلبي منهم ان يداووك من امراضك او الامك ، ولا تلومهم اذا عجزوا عن شفائك او اذا لم يحاولوا مداوتك .. بل انت المطلوبة دائماً لمداواتهم وشفائهم والجانية الظالمة اذا لم تفعل ذلك ! ..

ان قادتك وحكامك وانبياءك ليسوا اطباءك ولا انبياءك ولكنهم مرضاك وضحاياك وتلاميذك واتباعك والمتلقون لوحيك المتعلمون له المتأدبون به . انهم اذا جاءوا اطباءك او انبياءك فانت المنزلة عليهم الوحي ومعلمتهم الطب .

ايتها الشعوب المتخلفة العاجزة الغاوية ، او ايتها الشعوب العربية .. اذا ما روعك قبح وجوه قادتك وحكامك وهزال عضلاتهم واعضائهم وعمى بصائرهم وابصارهم فانظري الى وجوهك في مرآتك ووقعي الكشف على عضلاتك واعضاءك

وعلى بصرك وبصيرتك ، ثم اركعي بين ايديهم اي بين ايدي قادتك وحكامك ، مصلية معتذرة مستغفرة عما فعلته وواقعته بهم ، ملحّة في توبتك واستغفارك لعلهم يقبلون ويغفرون او حتى يستمعون اليك . . انه لا احد يجب ان يعتذر ويتوب مثل الشعوب حينما تقاسي من فساد وظلم وطفيان وعجز وغباء حكامها وقادتها . .

لقد عجزت عن ان تلدي او تصوعي حكامك وقادتك اصحاء او اقوياء ، فلا تعجزى عن مجاملتهم وتعويضهم بالاعتذار والاستغفار والتوبة اي اليهم وبين ايديهم ، لعلهم يتقبلون اي حكامك وقادتك اعتذارك وتوبتك . لقد قسوت عليهم بولادتك وصياغتك لهم بهذا الضعف والفتح فلا تقسي عليهم باتهامك لهم بما فعلت وواقعت بهم . .

لقد شوهت الوجه فلا تعيريه بما وضعت فيه من تشوهات والام . هل توجد نذالة مثل نذالة من يفقأ العين ثم يعيرها او يسبها لانها قبيحة او لانها لا ترى او لانها عاجزة عن ان تدل عن فقاها على طريقه ، او عن ان تقرّر اسمه مكتوبا بكل اللغات على جلود وثياب السحاب ، او عن ان ترى صورته وكل صور ابائه وانبيائه محفورة بايدي كل الالهة على جبهات وهامات جميع النجوم ، او عن ان تغني له مدائحه لابائه واوثانه ، او عن ان تريه وترى له المرائي التي لا يستطيع هو ان يراها ، او عن ان تحدّثه عن جمال وجهه او عن ان تقترح وتخطط وتصنع له وجهها جديدا اجمل جدا من وجهه القديم؟ اليس اي مجتمع يعير اي فرد من افراده باي عيب من عيوبه الجسدية او العقلية او الاخلاقية او النفسية انما هو مثل من يفقأ العين ثم يذهب يعيرها ؟

هل يوجد اوقع من الارض التي تذهب تلعن نباتاتها لانها قد انبتتها ضعيفة ومشوهة وردية المذاق والنظر والقيمة ، او من الشجرة التي تذهب تلعن ثمارها لانها جاءت اي ثمارها صغيرة او قليلة او رديئة المذاق والنظر ، او اوقع من الاله الذي يخلق الشيطان ويخلق شيطانا ، ويغريه بان يظل شيطانا ، ويصنع له الظروف الملائمة لكي يظل شيطانا جيدا جدا ، ويمهله لكي يؤدي شروره بكل العبقرية والتفوق والانتصار ، ثم يذهب اي الاله يقاسي ويقاسي لكي ينزل الكتب المقدسة والاديان ويبعث الانبياء لكي تعلم ويعلموا ضد الشيطان ولكي تلعنه ويلعنوه ، ولكي تتحدّث ويتحدّثوا اي الكتب المقدسة والاديان والانبياء عن العذاب المعد للشيطان ؟ كيف وهل وجد مثل هذا الاله ؟ هل استطاع اي خيال او فكر ان يتصوره ؟ ان الوقح هنا هو الذي تصور الاله كذلك وعلم عنه وفسره بانه كذلك . . هو الذي آمن واعلن بانه يوجد اله هو كذلك . انه وقح الايمان والرؤية والتصور . . ان شيئا ما لم يشوه ذكاء الانسان مثلما شوهه ايمانه بمثل هذا الاله وانزله النبوات والكتب لتعلم الايمان به والحب له . . .

ان الناس لا ينقسمون الى خالقين وقادة اطباء ، والى مخلوقين ومقوديين ومرضى . ان الخالقين القادة الاطباء هم المخلوقون المقودون المرضى ، وان المخلوقين المقودين المرضى هم الخالقون القائدون الاطباء . ان الفرق بين الفريقين في المناصب

والامكان والالقاب لا في الذوات او المواهب او الصفات .
 انها اذن هي المشكلة او العقدة الفريدة الصعبة جدا ، لانها هي المشكلة او العقدة
 التي عليها ان تحل نفسها لانه لا يوجد اي حلال اخر لها .
 انها اليد والسيف والرقبة والقلم والورق والجبر والكتاب .
 انه المريض والطبيب والداء والدواء والجسم واجهزة الحليل والكشف . انه لا
 يوجد هنا طبيب ومريض وداء ودواء ويد وسيف ورقبة وجلاد وعقري وتافه ونبي
 وتابع وملاك وشيطان بل هذا هو ذاتا وتفسيرا وولادة وكيونة . ولهذا فانه يحدث
 ويمكن دائما تبادل الامكان والالقاب والازياء دون ان تختلف الصورة او الرؤية او
 التفسير . دون ان تفجع او تغضب الشمس والنجوم او تهاب الرؤية لان شيئا منكرا
 جديدا قد وقع تكره التعامل معه .

اذن هل يكف الخالق حياء او تهذيبا او عدلا او توقرا عن سب واتهام وتوعد
 مخلوقيه مهما تشوهوا او اخطأوا او اذنبوا او عجزوا او ظلموا ؟
 بل الا يذهب حينئذ يستغفرهم ويتوب اليهم ويؤمل عفوهم عنه ، اي كلما
 تشوهوا او اخطأوا او اذنبوا او ظلموا او عجزوا أو عصوه وابغضوه ؟
 بل الا يذهب حينئذ يعاقب نفسه ويحاول اصلاحها وشفاءها من جميع نماذجها
 ومستوياتها العقلية والاخلاقية والنفسية والفنية ؟ انه لن يوجد اسفه من الصانع
 الذي يذهب يلعن ويعير ويعاقب صناعته لانها جاءت رديئة الا الاله الذي يذهب يلعن
 ويهدد ويعاقب مخلوقيه لانهم جاءوا عصاة او ضعفاء او اغبياء .

لعل العقل الانساني لم يتخيل او يصنع بلادة مثل بلادته حينما ذهب يعتقد
 ويعلم ويعلن ان من المنطق او العدل او مما يقبل او يغفر ان يعير او يسب او يعاقب
 الاله الخالق مخلوقيه على ذنوبهم او نقائصهم او عجزهم • اليس المعقول جدا ان
 يذهبوا هم بدينونه ويعاقبونه لانه ارادهم وصاغهم مذنبين عاجزين ناقصين ؟ كذلك
 حينما اقتنع اي الانسان أو تصور ان ذنوب ونقائص وطغيان القادة والحكام ليست
 هي اولا ودائما ذنوب ونقائص وتعليم وايحاء وتحريض وابداع وولادة شعوبهم
 ومجتمعاتهم - حينما عجز اي العقل الانساني عن أن يفهم أو يقتنع أو يتصور انهم
 اي القادة والحكام لم يكونوا قط ولن يكونوا ابدا مبتكرين لذنوبهم او لنقائصهم
 او لنفاهاتهم ، وانهم لن يكونوا الا مقلدين وتابعين ووارثين ومنفذين بل ومخلوقين
 مطبوعين مطيعين ، عاجزين عن أن يفهموا او يريدوا او يتقبلوا او يفعلوا او يكونوا
 اكبر او اعظم او اذكى - عاجزين عجزا ذاتيا وتعليميا وتاريخيا وايحاءيا . ان اي
 نبي او حاكم او قائد لن يكون الا مقدا لجماهيره وارثا لمواهبهم وعضلاتهم متعلما من
 وحيمهم واخلاقهم منسوجا من خيوطهم وغزلهم مغزولا بمغازلهم مدبوغا بمدابغ
 جلودهم .

اكرر انه حق بل حتم على الشعوب ان تحاكم وتعاقب بل وتسقط حكامها وقادتها

وزعماءها اذا استحقوا ذلك وان تقسو جدا في الاحصاء عليهم وفي تعديد ذنوبهم واخطائهم . ولكن عليها ان تعلم انها بذلك انما تحاكم وتعاقب وتسقط نفسها وتقسو في الاحصاء عليها اي على نفسها وفي تعديد ذنوبها واخطائها . وانها لن تجد ذنبا او خطأ من ذنوبهم واخطائهم الا وهما احد ذنوبها واخطائها هي انتقلا اليهم بالتوريث والتعليم والتحريض والايحاء . ان حكامها وقادتها وزعماءها ليسوا الا نسخا منها كتبتها بايديها وباقلامها وحبرها وعلى اوراقها وبلغتها وضمنتها كل معانيها وتفاصيلها ، وذهبت تقرؤها على العالم وعلى الاحداث باصواتها ومن فوق منابرها بكل اساليب التبعيد والايمان والاقتناع والتمجيد والتدليل والفهم والتشهير .

انه لم يحدث في كل التاريخ ان قوما نسخوا وكتبوا وقرأوا قاداتهم وحكامهم وانبياءهم وخلفاءهم وسلاطينهم وصوتوا بهم من فوق كل الخابر بكل اللغات والاساليب وشهروا بهم باسلوب التمجيد لهم والايمان والاقتناع بهم والدفاع عنهم والتفسير لمزاياهم ، مثلما فعل العرب ومثلما يفعلون اليوم ومستقبلا ..

ان على اي شعب او مجتمع قاسى طويلا طويلا من تعاقب القادة والزعماء والانبياء والحكام الاغبياء الطغاة العاجزين الاشرار على اذلاله وافساده وقيادته الى الهزائم والحماقات - نعم ، ان عليه ان يجرب هذا او ان يتعهد بهذا او الا يفعل الا هذا . ان عليه الا يلد الا ابناء اقوياء اتقيا عباقرة ، والا يطيع او يتقبل او يحترم الا الاقوياء الاتقياء العباقرة ، والا يصلي او يهتف الا لهؤلاء ، والا يؤمن الا بهؤلاء ، والا يقاتل او يعادي او يتحرب او ينفذ الا بقيادة هؤلاء ، والا يفعل او يحيا الا ما هو تقوى وقوة وعبقريه ، والا يفهم او يفسر او يرى او يتكلم الا بعقول وتفسير ولغات ورؤى واخلاق قوية تقي عبقرية ..

نعم ، ان على اي مجتمع او شعب قاسى في كل تاريخه من تعاقب هؤلاء الحكام والقادة والزعماء والانبياء الاشرار التافهين عليه ان يجرب الالتزام بكل هذا . ان كل ما في هذا الكون وكل من فيه من الهة وسحرة وابالسة وملائكة وقوانين لا بد حينئذ ان يضمنوا له بكل ما فيهم من جبروت وصدق ووفاء بالا يتخلق فيه او منه او يصعد فوقه الا اتقى واقرى واذكى واعظم القادة والحكام والزعماء والانبياء . انه لضمان لا يستطيع اي شيء ان يخترقه حتى ولا كل من في هذا الكون من الهة وملائكة وابالسة وسحرة وقوى خفية عمياء . واني انا لاضمن ذلك مع هؤلاء الضامين له ..

ولن يكون هناك اي احتمال لان يوجد من يستطيع او يجرؤ ان يتحدى هذا الضمان الكوني ..

اذن فلتجرب ذلك جميع الشعوب العربية . ليست الشعوب العربية قادرة على ان تجرب هذه التجربة ؟ انها لو حاولت تجربتها لما وجد من يمنعا سوى موهبتها .. نعم ، وان على الارض ان تكون جيدة التربة والبيئة والبذور والمناخ والرعاية

والحماية لها ، غزيرة المياه عذبتها • إنه حينئذ لا بد ان تضمن لها جميع الكتب المقدسة حتى كتب العرب المقدسة بأن تجيء زروعها وأشجارها وثمارها طيبة وجيدة ووافرة •• ان تجيء اعظم مما أرادت وتصورت وخططت لها الالهة ان تجيء •• نعم ، ولا بد ان اضمن انا مع ضمان جميع الكتب المقدسة ومع ضمان كتب العرب المقدسة لها ذلك • فهل من مجرب ؟ هل تجرب الشعوب العربية او الارض الصحراوية الاخلاق والضمير والمنطق والتاريخ والالهة هذا الضمان ؟ ان المشكلة ان التجربة ليست ارادة فقط بل وقدرة • ان من لا يقدر لا يجرب مهما اراد ولو جرب لما انتصر •• انه قد يكون بعض الحقيقة اتهام الشعوب العربية وكذا جميع الشعوب المتخلفة بانها عاجزة عن ان تلد الزعماء والقادة والحكام والمسلمين الانكباء الاقوياء الاتقياء وعن ان تصوغهم وتعلمهم وتربيتهم وتلزمهم ليكونوا كذلك • قد يكون هذا العجز بعض الحقيقة لا كل الحقيقة •• اما كل الحقيقة فان الشعوب العربية وكذلك جميع الشعوب المتخلفة عاجزة عن أن تفعل ذلك حقا ولكنها ايضا لا تريد أن تفعله ولا تعرف كيف تفعله وتخاف او تهاب ان تفعله • اي لو علمت انها لا تفعله وانها مطالبة بان تفعله وانها تستطيع ان تفعله وتعرف لو أرادت ان تفعله ••

انه ليتمكن اتهام هذه الشعوب او اتهام الكثيرين من آحادها وجماعاتها انهم يرفضون ان يكون لهم قادة وزعماء وحكام وانبياء من هذا الطراز القوي الذكي الصادق النظيف الطموح المتفوق ، اي يرفضون لو كانوا في موقف الخيار بين ان يكون لهم ذلك والا يكون •• يرفضون لانهم ولا بد يعرفون او يشعرون ولو بالغريزة او التوجس والالهام الغامض ان هذا الطراز من القيادات لا بد ان يكلفهم ويلزمهم بتكاليف قاسية لا يريدون او لا يستطيعون دفع ثمنها ، وان يحرمهم من مكاسب وامتيازات شخصية وانانية يرفضون ان يحرموا منها • كما لا بد ان يحاسبهم على كل خطايتهم ونياتهم وتحدياتهم حسابا قاسيا وعادلا شاملا لا افلات منه ولا تمييز او محاباة فيه •• ولا يوجد مجتمع واحد يرضى أو يتقبل كل من فيه اختيارا مثل هذا الحساب • ان عظمة القيادة او النبوة او الزعامة وكذا صدقها وعدلها وذاكؤها وقوتها ونظافتها ليست دائما ربها شخصا لكل جماعات المجتمع او لكل احاده • انه ليجود دائما وفي كل المجتمعات من يرفضون ويقاومون القيادات والنبوات العظيمة كما يوجد دائما من لا يريدون ان يكونوا ابطالا ••

ان كثيرا من هذه الجماعات والاحاد ليقاومون مثل هذه القيادات والنبوات والزعامات او يكرهونها ويرفضونها اذا عجزوا عن مقاومتها كما يقاومون ويرفضون ويكرهون الموت والامراض والانفلاس والعقاب الشديد بل اشد • لعله لا يوجد من يتقبلون القيادة او النبوة الكاملة في كل نماذجها اي لو وجدت قيادة او نبوة كاملة • اذن فالزعامات والقيادات والنبوات العربية وكذا جميع امثالها ليست فقط عاجزة عن ان تكون عادلة ونظيفة وصادقة وعظيمة ، ولكنها ايضا مكرهة ومحرضة على

الا تكون ذلك وخائفة ومستحيية من هذه الكينونة ، ومجاملة في الا تكونها ، وهاربة من الاحراج والايذاء والتعذيب لمن لا تريد تعذيبهم حينما ترفض ان تكونها اي ان تكون هذه الكينونة العادلة الصادقة النظيفة العظيمة . وهذه الكينونة لا بد ان تتحول الى تعذيب وايذاء لقوم ما . وهل يجزئ على اقتراف هذا التعذيب او الايذاء الا من وهبوا موهبة الاختراق لاجساد المتحلقين والتكذيب لامالهم وايمانهم ؟

لننظر الى جماعات المستشارين والمعاونين والمختفيين والعاملين في اجهزة الكلمة من كتاب ومذيعين ومعلقين ودعائيين واعلانيين وغيرهم ممن لا يمكن تفسيرهم بغير التفاسير التي يفسر بها الشعراء القدماء العرب حول الخليفة او الامام او السلطان او النبي العربي القديم . وهل يستطيع خيالك اوضميرك أن يتصور اويفسر أولئك الشعراء القدماء على ابواب أولئك السلاطين والخلفاء والانبياء الذين هم كل تاريخك ؟

نعم ، لننظر الى كل هؤلاء ، والى كل جماعات المتحلقين المباركين المصلين الداعين المهنتيين المفسرين المعجبين المصفقين المنشدين حول القائد او الزعيم او الحاكم الفاسد الرديء ، اللص المخرب الجاهل . نعم ، لكن اقسى القساة على عيوننا ورؤانا وتصوراتنا ولننظر الى كل هؤلاء . . .

لننظر الى جميع هؤلاء الذين شيّدوا ونظموا وضمنوا جميع مكاسبهم وامجادهم الشريرة المنهوبة لان القائد او الحاكم او الزعيم الذي تحلقوا حوله فاسد وظالم وكذاب وشرير ، ولانهم مطمئنون الى انه سوف يظل دائما كذلك . . . ما اكبر واكثر آثام وجرائم التحلق حول القادة والزعماء والحكام وجميع اصناف الاقوياء . ما اقدر هذا التحلق على الاغراء والاغواء والافساد . هل فسق بالتاريخ او ضلله شيء او امان شرفه وهمته مثل هذا التحلق ؟

لننظر الى قوة الضغوط التي لا بد ان يوجهها كل هؤلاء بكل العنف والاساليب الى مثل هذا الزعيم او القائد او الحاكم لئلا ينع من أن يكون شيئا افضل بل من أن يفكر في هذا الشيء الافضل .

ليس مثل هذا القائد او الحاكم او الزعيم بل او النبي يستحق كل الرثاء والاشفاق لو فكر في ان يخرج على كل هذه الجماعات المتحلقة حوله وان يهدم آمالها فيه وثقتها وايمانها به واطمئناتها الى انه سوف يظل كما تريد وكما تحتاج ارباحها وامتيازاتها المسروقة المغتصبة . . .

اطمئناتها الى انه سوف يظل رديئا وظالما ولصا ونذلا ومحابيا دجلا . هل يمكن ان يوجد حاكم او قائد او زعيم او نبي يستطيع ان يملك من الشجاعة او القوة او الوقاحة او القدرة او الجرأة على صدم وتكذيب الامال فيه ، وعلى معاقبة وتعذيب المؤمنين فيه ، ما يجعله يقدم على أن يفعل افضل مما جربت فيه هذه الجماعات وارادت ورضيت وكسبت منه ، بل ما يجعله يقدم على أن ينوي ذلك او يفكر فيه او

يتحدث عنه ؟ هل يوجد مزجور ومدعو ومحرض لئلا يكون شيئاً نظيفاً أو كريماً أو عظيماً أو شجاعاً بل أو مبصراً أو فاهماً مثل القائد أو الحاكم أو الزعيم بل أو النبي أو الموهوب في المجتمع المتخلف ؟

ان الحاكم أو القائد أو الزعيم أو النبي اذن ليس مولوداً مخلوقاً فقط غير عظيم في المجتمع المتخلف بل انه لحروس من أن يكون عظيماً ، بل انه لمهدد بالشنق أو الخلع لو أصبح عظيماً بل لو أراد ذلك أو فكر فيه أو رآه شيئاً أو أملاً جيداً . انه لمهدد بكل ذلك في مثل مجتمعه هذا اكثر من تهديد نقيضه بشيء من ذلك في المجتمع المناقض ان لم يصبح عظيماً في كل شيء أو لعل احتمال سقوط الحاكم أو القائد الرديء في المجتمع الرديء لو حاول أن يصبح جيداً يساوي احتمال سقوط الحاكم أو القائد الجيد في المجتمع الجيد لو استطاع أن يكون رديئاً أو لو أراد أن يجرب ذلك . نعم ، لعل الحاكم والقائد والزعيم محكوم ومقود ومتزعم عليه اكثر من العكس . لعله موضوع في الاغلال أكثر واقسى من كل من وضعهم في اغلاله .

أليست الاغلال الموضوعة عليه هي اكثر واقسى الاغلال وأعنفها اذلالاً وارهاباً وضبطاً ؟ بل أليس جميع الذين يضعون غيرهم في الاغلال ويؤمنون بمجد الاغلال هم دائماً في اغلال اقسى ؟

اننا احياناً قد نكف أو نعجز عن أن نكون صادقين أو عادلين أو اذكياء أو اقوياء أو منتصرين متطهرين لاننا محكومون بالحياء أو الوفاء أو التهذيب أو بالمجاملة والحب أو بمشاعر التحرج والاشفاق والصداقة ، أو لاننا محاط بنا من كل جهاتنا بالمتحلقين الانذال الاشرار الغواة للصوص الملاحين المرجفين الذين لا بد ان يتحولوا الى تحلق حول كل قائد وحاكم وزعيم ونبي في كل مجتمع فاسد متخلف ليكونوا له وفيه اقسى وارداً الاغلال والقيود . لهذا لن يوجد محكوم عليه بالفساد والتخلف والعجز والهوان والهزائم والنذالة والسخف والضلal والعار مثل الحاكم أو القائد أو النبي في المجتمع الفاسد العاجز المتخلف .

نعم ، اننا احياناً قد نكف عن أن نكون كل ذلك أو بعضه خضوعاً لهذه التفسيرات والمشاعر اكثر مما قد نحاول ان نكف عن النقيض خضوعاً لهذه التفسيرات والمشاعر ، وبحسبنا عنها ورغبة في أن نوصف ونعرف بها . اجل ، اننا قد نكف أو نعجز عن أن نكون ذلك خاضعين لهذه التفسيرات اي اننا قد نستحي ونهاب أو نتحرج أو نشفق من أن نفعل العظمة والخير والعدل والصدق والذكاء اكثر مما نهاب أو نستحي أو نتحرج أو نشفق من أن نفعل التفاهة والنذالة والشر والظلم والكذب والغباء والوقاحة وقد نبحت عن حب الناس ولوائهم وإخلاصهم واحترامهم وطاعتهم لنا بان نفعل النذالة اكثر مما نبحت عن ذلك منهم بان نفعل الشهامة . اننا قد نفعل النذالة لاننا نحب أن نعرف بالشهامة ، ونفعل التفاهة والقبح لاننا مصابون بحب العظمة والتفوق .

اذن فالقادة والزعماء والحكام والانبياء قد يكرهون اكرامها على أن يكونوا انذالا

ولصوصا وطفاء وظلمة ، وعلى الا يكونوا شيئا اخر اي لو كانوا محتاجين الى مثل هذا الاكرام ، وكان في عزمهم او من سعادتهم وشهوتهم ان يكونوا غير ذلك . . .
انهم اذن كالمرأة الشريفة العفيفة التي تهب نفسها حياء او رحمة او ادبا وتهذيبا او تحرجا او سخاء . . . وهل وجد مثل هذه المرأة ؟ وكيف لم توجد ؟ اليست لو وجدت هي اعظم تقوى وعفافا وكبرياء ممن يهيجبته وضميره وفكره وايمانه للالهة المتوحشة خوفا منها وطمعا في عطاياها ؟ بل اليست هذه المرأة انبل عفة وتقوى وقلبا وانظف جسدا من المرأة التي تهب جسدها للرجل النذل الوقح الكريه لانه يسمى ويحسب زوجا لها ؟ . . .

اذن فلتصل الالهة بل لتتصاغر وتتواضع تمجيذا لشهامة القادة والزعماء والحكام والمعلمين الاشرار الظلمة اللصوص ، وحياء من حيائهم وتهذيبهم ، واحتراما لعفتهم الاخلاقية والنفسية والفكرية التي يتنازلون عنها ويضحون بها استجابة لمثل المعاني والحوافز النبيلة التي تجعل المرأة الشريفة العفيفة تهب شرفها تحت املاء الحياء او الرحمة او الاشفاق او التهذيب والتأدب او الكرم او التحرج ، وتحت عجزها الانساني عن ان ترفض او تصدم او تكذب امال الطامعين فيها ، في عطائها وكرمها مع جوعهم الصادق اليها . . . اي لو وجد مثل هذه المرأة التي تستطيع ان تفهم وتفعل مثل هذه الشهامة والضخامة الانسانية . . .

ولكن كلا . فان هؤلاء القادة والزعماء والحكام والانبياء لاكثر واشمل شهامة وتهذيبا ورحمة وسخاء وحياء ومجاملة واستجابة للمؤمنين والمحتاجين الضارعين من هذه المرأة العجيبة المعجزة في عظمتها الانسانية والنفسية والاخلاقية . . . هذه المرأة التي لم توجد لان البشر لم يستطيعوا ان يبتكروا مثل هذه العظمة النفسية والاخلاقية التي تعنيها هذه المرأة التي لم توجد . . . اليس فقدا للعظمة الانسانية ان توجد المرأة التي تهب نفسها بيما او شهوة دائما دون أن توجد المرأة التي تهب نفسها كرما او نبلا او اشفاقا او حياء او عدلا او صدقة او مجاملة او احتراما ؟

نعم ، انه لم يوجد ولن يوجد من يكرمهم نبلمهم وحياءهم وتهذيبهم وكرمهم ووفاءهم وحبهم واشفاقهم ومجاملتهم وتحرجهم على الا يكونوا عظماء واتقياء وعادلين وصادقين ومتطهرين مثل حكام العرب وقادتهم وزعمائهم وانبيائهم . انهم العظمة التي تحولت الى تفاهة ، والقوة التي تحولت الى ضعف ، والحب والتهذيب للذان تحولا الى ظلم ، والتقوى التي تحولت الى فجور .

انهم تحت حوافز انبل واعظم فداية اخلاقية وانسانية اختاروا اي اضطروا الى ان يكونوا انذالا واشرارا وصغارا وطفاء ظالمين . ولكن لتركع كل شهامة وعظمة وعدل وخير وديمقراطية مبايعة ومصلبة لنذالاتهم وشروهم وتقاهاتهم وطمعانيهم . . . انهم الفجور الذي هو اتقى من كل تفاسير ونماذج التقوى . . .
اجل ، ان هاهنا لورطة . ذلك ان مصالح ومشاعر الاخرين المتوقعة المنتظرة منا ،

المخاطبة لنا ، اللاجئة المتضرعة اليها ، المتحلقة حولنا محتوم ان تتحول الى قيود ثقيلة على ذكائنا وفروسيتنا لتقاومنا وترهبنا وتضعفنا لئلا نكون صادقين او عادلين او منزهين او اتقياء الضمائر او النيات او السلوك او صارمين شجعانا ٠٠ هل وجد او يمكن ان يوجد من يستطيع ان اتيكون كل ذكائه وفروسيته النفسية والعقلية والاخلاقية والتعبيرية دون اثقل القيود المضروبة عليه .

انه لا احد يقاسي من هذه الورطة الهازمة للتقوى والعظمة ، ويخضع لاملأاتها بهوان وافتضاح وضالة ، مثل الهة العرب وانبيائهم وقادتهم وحكامهم ٠ انهم يهونون ويفتضحون ويصفرون طاعة لاملأات التقوى والشهامة والحب والرحمة والوراء والتهذيب ٠٠

ولكن ٠٠ أليس القادة والحكام والانبياء الذين يلزمون بتحمل كل هذه المقاساة الفادحة لمحاولة تفسير رداءتهم وضعفهم ، وللتدليل على تقرد رداءتهم وضعفهم باعلى مستويات المجد ، يستحقون التحية والاعجاب ؟ أليس للتحية والاعجاب اماكن واسباب غير اماكن واسباب التحية والاعجاب بل نقيضها ؟ لو وضعت شروط للتحية والاعجاب فمتى او فكم حينئذ يوجدان او فهل يوجدان ؟

أليست الرداءة والضعف المتفردان يستحقان تحيات واعجاب الاصدقاء والاعداء حتى ولو شماتة واستمقاعا او اندهاشا او انفجاعا او ذهولا أو رغبة في ان يهبوا رثاءهم واشفاقهم بسخاء أو احساسا لانانيا بالتفوق البعيدالتفاسير والمقاييس ؟ أليس تفوق المتفوق يجب ان يتحول الى ثمن نفسي او اخلاقي او مادي يدفع للمتخلف؟ أليس تخلف المتخلف يستحق شكر المتفوق ؟

اذن ليس القادة والحكام والانبياء والالهة العرب يستحقون كل التحية وكل الاعجاب بهذا التفسير لاسباب التحية والاعجاب ؟ أليس يجب على كل قادة وكل العالم ان يهبوا كل حبهم واعجابهم لكل قادة العرب اي بهذا التفسير للحب والاعجاب؟ أليست التحية والاعجاب يعنيان ولو احيانا اقسى اساليب الهجاء او يحرضان عليه أو يذكران بان الموقف موقف هجاء ؟

اجل ، وهل تلقى او يمكن ان يتلقى اي قادة أو حكام أو انبياء في اي عصر أو مجتمع من التحيات والاعجاب شيئا مما تلقاه وسوف يظل يتلقاه قادة العرب وحكامهم وانبيأؤهم وجميع خلفائهم وسلاطينهم ؟ ألم يظلوا في كل التاريخ يتلقون كل ذلك بلا اية شروط من حيث الاستحقاق أو الصدق أو الوقار ، بل ضد كل الشروط وخروجها عليها واستهزاء بها ؟ ألم يتحول الاعجاب والايمان للذان وهبهما الانسان العربي ولا يزال يهبهما لقادته وحكامه وانبيائه وسلاطينه وخلفائه بل ولكل مهرجيه وطفاته الصغار الى اسقاط لكل احتمالات الذكاء أو المجد في اي اعجاب او ايمان ، او الى تشكيك في هذه الاحتمالات ، او الى هجاء لكل من يهبون اعجابهم او ايمانهم ، ولكل من يوهبون الاعجاب او الايمان ؟ أليس الاعجاب والايمان يتحولان احيانا الى رثاء لمن

وقع منهم الاعجاب والايمان ولمن وقع عليهم الايمان والاعجاب .
هل يمكن ان تكون محترما لنفسك ثم تتقبل ان توهب شيئا من الاعجاب أو من
الايمان بك لو انك وعيت وقرأت مقادير وبلادة الايمان والاعجاب للذين وهبهما ولا
يزال يهبهما الانسان العربي لقادته وحكامه وانبيائه وخلفائه وسلاطينه ولكل صغاره
القافزين فوق كرامة وكبرياء حقوله وصحرائه ، اي ان كنت قد حدثت ببسالة ومحاسبة
وبصيرة في الوقاحات النفسية والعقلية والاخلاقية والانسانية التي عاقب وشوّه
بها التاريخ والحياة هؤلاء القادة والحكام والانبياء والسلاطين والخلفاء العرب ، والتي
لا يزالون وسوف يظلون طويلا ، طويلا يعاقبون ويشوهون بها الحياة والتاريخ ؟ كيف
تستطيع ان تتقبل أو تغفر أي اعجاب أو مديح يوجه اليك بعدما سمعت المديح
والاعجاب الموجهين الى قادة وحكام وزعماء العرب الذين قادوا مواجهات العرب
لاسرائيل ؟

هل حقر الاعجاب شيء أو احد مثلما حقره العالم باعلانه الاعجاب بحكام وقادة
وزعماء وخلفاء وانبياء وشعراء وحكماء العرب الذين كانوا او الذين هم كائنون او الذين
سوف يكونون ؟

وهل يعتدي اي العالم على شيء او يحتقر شيئا مثلما اعتدائه على هؤلاء الحكام
والقادة والزعماء والخلفاء والانبياء والشعراء والحكماء العرب ، ومثل احتقاره وتحقيره
لهم حينما يعلن اعجابه وايمانه بهم ؟

وهل حقر قوم انفسهم او قبلوا ان يحقرهم غيرهم مثلما فعل هؤلاء القادة العرب
حينما قبلوا بل فرحوا ان يعجب ويؤمن العالم بهم ويعلن عن ايمانه واعجابه بل ويحول
اي العالم ايمانه واعجابه بهم الى اناشيد وقصائد وبيانات وقرارات دولية ؟ هل
وجدت اساليب للتحقير تساوي في بذاءة وقسوة تحقيرها القرارات الدولية التي
تصدرها المنظمات الدولية تأييدا لضعف وعجز العرب ، مزعومة ايمانا واعجابه بالعرب
وبقضاياهم ؟

كيف لم يفهموا تفاسير هذا الاعجاب والايمان وتفسير الاعلان عن هذا الاعجاب
وهذا الايمان ؟ هل فهموا وقبلوا ؟ هل كان ذلك تعبيرا عن مستوى غباثهم ام عن
مستوى سخفهم ؟ ايهما اكثر اهانة لعبقرية العرب : ان يكون هذا مستوى ذكائهم أو
ان يكون مستوى كبريائهم وكرامتهم ورسالتهم ؟

هل يستطيع الاعمى المتعد ان يجهل التفسير البذيء المهيّن له لو ان احدا اعلن
اعجابه بجمال عينيّه ورجليه وبقوة ورشاقة وسرعة الابصار والحركة في عينيّه
ورجلية ؟ وهل يمكن ان يوجد هذا الوقح الذي قد يجروء على ان يعلن اعجابه بجمال وقوة
ورشاقة وسرعة عيني ورجلي الاعمى المتعد ؟

اذن هل يمكن ان يقبل الاعمى المتعد مثل هذا الاعجاب او أن يغفره كما قبل ويقبل

دائما الزعماء والقادة والانبياء والشعراء والحكماء العرب العميان المقعدون الاعلان العالمي الدائم عن الاعجاب بجمال عيونهم وارجلهم وبقوتها الخارقة على الرؤية والقفز والطيران فوق كل الاكوان العليا وعلى الاختراق بالرؤية لكل العوالم البعيدة الخفية التي لا تستطيع العيون الاخرى ان تراها - كما قبلوا ويقبلون دائما ذلك بكل الفرح والنشوة والمباهاة؟؟

اجل ، لقد وجد العرب ولا يزالون يجدون وسوف يظلون يجدون هؤلاء الوثقين العالميين الذين جرؤوا ويجرؤون دائما على أن يعلنوا عن اعجابهم بجمال وعبقريّة عيون وارجل الزعامات والقيادات والنبوات العربية العمياء المقعدة ، بل ويحولوا هذا الاعجاب الى قرارات وصلوات دولية تخفق وتذعر وتحزن لها وبها ومنها قلوب وضامئ ووقار وكرامة واستحياء الحشرات بل وصدق وتقوى وشجاعة الحشرات ؟ هل اهان العالم نفسه مثلما فعل حينما حول اعجابه بجمال ورشاقة ارجل وعيون العرب العمياء المقعدة الى قرارات دولية معلنة ؟

ان جميع مواقف الاعجاب والامتداح والتأييد التي يقفها كل العالم ، كل الاوقات ، في كل القضايا وفي كل ما ليس قضاييا - يقفها خائشا مؤدبا متصاغرا متضرعا تحت اقدام الزعامات والقيادات العربية القائمة والهالكة الماضية ، ليست اي هذه المواقف الا اساليب وقحة من اساليب اعلان الاعجاب بجمال عيني الاعمى وبقوة الابصار فيهما ، وبجمال ورشاقة وقوة رجلي المقعد وبقدرتهما على الطيران وعلى الخطو والقفز والتحليق فوق النجوم .

اذن فالعرب قد استطاعوا بلا اية مزية أو قدرة بشرية من أي نوع ، ان يحملوا بل يكرهوا بقوة واعظم واكبر واعلم دول العالم على ان تفعل هذه الوقاحة التي لم يوجد ولعله لن يوجد من يجرؤ على فعلها ، اي على ان تصعد فوق اعلى المنابر وفوق كل المنابر لتقتل اوضح القصائد لتتشدد الاعمى المقعد ، لتقول له : ما اجمل واقوى وانفسد واوسع عينيك ورجليك ، لتصدر قرارات دولية اجماعية تعلن فيها وبها ان العيون والارجل العمياء المقعدة هي اجمل واقوى وافضل وآصل واسحر العيون والارجل .

اذن ايهم الذين يستحقون الرثاء أو الهجاء اكثر : العالم الذي يهوى به هوانه ونفاقه وملكه ومتاجرته الى أن يصدر القرارات الاجماعية في امتداح جمال وقدره ورشاقته العيون العمياء والارجل المشلوله ، ام الزعامات والقيادات العربية التي يهوى بها غباؤها وصفاقتها الى أن تهب وتجزى وتجن سرورا وطربا وغرورا حين تمتدح عيونها العمياء واقدامها المشلوله ؟

لماذا لا نستورد حكمانا كما نستورد عقولنا

اذن يوجد في هذه القضية رأيان : رأي يقول : ان الشعوب العربية عظيمة وعبقريّة وتسكن في داخلها كل المواهب واعظم المواهب، ولكن آفتها هم حكامها وقادتها وزعمائها الذين يجيئون دائما نقيضا لها وتضليلا واذلالا وقتلا وفسادا لمزاياها او تعويقا لها عن الكينونة والانطلاق والظهور والتعبير ..

أما الرأي الآخر فيرى ان ضعف حكامها وزعمائها وقادتها ليس الا تعبيرا صادقا اليما منطقيا عن ضعفها ، وليس عدوانا عليها أو تزويرا أو تزيفا لها أو هزيمة أو سرقة أو تضليلا لعبقريتها أو سحبها لها من ذاتها . اذن فالرأيان متفقان على عجز الحكام والقادة والزعماء العرب عن ان يقودوا الى ما يطالبون به وينتظر منهم بأن يقودوا اليه ، ولكنهما اي الرأيين مختلفان في تفسير هذا العجز وتفسير اسبابه ، مع الاعتراف هنا بأن تسمية أو زعم الرأي الاول رايا هو مبالغة في التسامح التعبيري وتخط لكل شروط وضوابط الدقة ..

اذن ما العلاج ، أو كيف يجب ان يكون التصرف اي بعد الاعلان ان هنا تسامحا أو تنازلا عن الالتزام بالدقة في الحكم والتعبير ؟

حكام وقادة العرب عاجزون دائما – عاجزون وحدهم او عاجزون وعاجزة معهم شعوبهم .. عاجزون لان شعوبهم عاجزة ولانها عاجزة خلقتهم عاجزين .. هذه هي القضية المواجهة هنا ..

انه مرض لا بد من مقاومته وعلاجه ، وحرب لا بد من خوضها بمقدرة وانتصار وارتحال في طريق طويل محشود مرصود بكل المخاطر والمعوقات والمضلات الى غاية لا بد من بلوغها ، وقضية عظمى لا بد من الفصل فيها .. ولكن جميع الاطباء والادلاء والقادة والقضاة الموجودين والمتعاقبين لا يصلحون لذلك ولا يستطيعونه بل هم نقيض شامل حاد لكل تفاسير الاطباء والقادة والقضاة والادلاء ..

التصرف المنطقي يرى حينئذ انه لا بد من احضار او ايجاد او استيراد او استعارة اطباء وادلاء وقضاة وقادة آخرين ، باية وسيلة ومن اي مكان ، قادرين على أن يعالجوا ويحلوا ويقودوا وينصلوا ٠٠ قادرين على أن يكونوا اطباء وادلاء وقادة وقضاة بكل التفاسير والصيغ والشروط المطلوبة والمفترضة ، أي ان كان ذلك مستطاعا أو حتى محتملا ٠ ولن يكون مغفورا أو معقولا رفض استيراد أو استعارة أو خلق هؤلاء الاطباء والادلاء والقادة والقضاة من أي مكان ان استطيع ذلك ليكونوا البديل ٠ لن يغفر أو يعقل هذا الرفض تحت اي سبب أو تفسير مذهبي أو ديني أو وطني أو قومي أو غير ذلك ، أو تحت أية حالة من حالات الغفلة أو الاهمال أو التباطؤ أو الكبرياء أو العجز ٠

وتحت الهام وتوجيه وحكم هذا المنطق قيل في سطور سابقة : لماذا لا نستورد أو نستعير نحن وأمثالنا جميع حكامنا ، رؤساء وملوكا وقادة ووزراء وكل من يفترض فيهم ويطلب منهم ان يكونوا الرؤوس والقلوب والضمائر والاخلاق والمواهب والنبوات الموحية والمؤمنة والقائدة والامرة والموجهة والمسؤولة المطاعة ٠٠

نعم ، السنا في عصر الاستعارة والاستيراد والاستبدال في كل شيء ولكل شيء ؟ بل السنا في عصر زرع الاعضاء واستبدالها بل في عصر تركيب الانسان اي تركيبه تركيبا معنوياً ؟ ليس كل شيء في الانسان يركب أو يحاول ويراد تركيبه ويدعى الى تركيبه ؟ وهل يركب شيء مثلما يركب في الانسان رأسه واخلقه وضميره ؟ هل يوجد اليوم شعب أو مجتمع لا يستعير أو يستورد أو يشتري أو يستوهم الانسان بكل صيغه واساليبه وتفسيره ومستوياته ؟

الم يكن ذلك يحدث في كل التاريخ ؟ بل ألم يكن حدوثه في ارقى المجتمعات اكثر وأشمل حدوث ؟

اليس الذين يستوردون العلم أو المذهب أو الفكر أو الخبرة أو الفنون أو أية صيغة أو اسلوب من صيغ واساليب الحياة مهما كان اسلوب أو تفسير هذا الاستيراد انما هم قوم يستوردون الانسان ؟ وهل وجد أو يمكن أن يوجد من لا يستوردون كل ذلك أو بعض ذلك ، اي العلم والمذاهب والفكر والخبرة والفنون وغيرها ؟

اليس الذين يستوردون صيغة الحكم أو الحاكم ويستوردون اخلاقه وشروطه وقيود واسلوب حريته وديمقراطيته ومسؤوليته والتزاماته وحدود سلطاته وجميع اساليبه أو بعض اساليبه تعامله وتخطابه مع شعبه وفي شعبه ، انما هم قوم يستوردون الحكم ، يستوردون الملك والرئيس والوزير ومن في هذا المستوى ؟ وهل تستورد المجتمعات شيئا مثلما تستورد رؤساءها وملوكها ووزراءها وانبياءها اي بهذا التفسير للاستيراد ؟

اليس استيراد علم الانسان أو فكره أو خبرته أو فنه أو اخلاقه أو اسلوبه استيرادا له ولكن بدون ثيابه وجسمه وبطاقة جنسيته وقوميته ؟

اليس هذا نوعا من محاولة استيراد الشيء أو الانسان مشروطا عليه ان يكون بدون زيه وبطاقته الشخصية أو الوطنية ، بل مشروطا عليه وفيه ان يكون بدون مواهبه الحضارية والانسانية والذاتية القوية بل مشروطا عليه وفيه ان تنتقل اليه خصائص واخلاق مستورديه الضعيفة البدوية المتخلفة الوقحة ؟

هل من المنطق أو الذكاء أو الكرامة ان يقبل الاستماع الى الاغنية مغناة بغير صوت صاحبها وبغير حضوره ويرفض الاستماع اليها مغناة بصوت صاحبها أو بحضوره ، أو أن يقبل تفسير النظرية بغير عقل ولغة وحضور صاحبها ، ويرفض تفسيرها بل وترفض مفسرة بعقل ولغة وحضور صاحبها ، أو أن تقبل الخطة أو الخبرة أو الفكرة واضعا مطبقا لها غير صاحبها وغائبا صاحبها وترفض مطبقا واضعا لها صاحبها أو حاضرا ، أو أن يقبل الكتاب وتقبل قراءته والمحاورة لافكاره بشرط الا يقرأه أو يفسره مؤلفه وألا يكون أي مؤلفه حاضرا ، ويرفض أي كتاب وترفض قراءته ومحاورته ان كان مؤلفه حاضرا أو كان هو قارئه أو مفسره ؟ اليس هذا الرفض والقبول اي لو حدثا بهذا الاسلوب يساويان في السخف والبلادة ان يجوز أو يجب هذا ويستنكر ويرفض هذا ، أي أن يجوز أو يجب ان تستورد أو تستعار أو توهب أو تعلم أو تصدر اوصاف واخلاق وافكار واساليب وتفسير الحكم والحاكم اي رئيسا وملكا ووزيرا ونبيا وقائدا ، ويرفض الحكم والحاكم اي مستوردا أو معارا أو موهوبا أو مصدرا ، اي ان تقبل كل معانيه وصيغه ويقبل تطبيقاتها وتحكيمها بل فرضها فرضا ، ثم يرفض شخصه أو ذاته ، مطبقة منفذة لمعانيها ؟ اليس هذا يساوي ان ينصب انسان ما ملكا أو رئيسا على بلد ما لانه وحده الاحق بذلك ثم يمنع من الحضور الى البلد الذي نصب عليه ليحكم بمواهبه المتوقعة لكي يتولى الحكم بديلا عنه من لا يملك شيئا من مواهبه تنفيذا لمواهبه أو باسم مواهبه أو ليطبق مواهبه من لا يستطيع أو يعرف كيف يطبقها ؟

ان استيراد وتصدير البشر واستعارتهم مبدأ وسلوك قد فعله ولا يزال يفعله كل التاريخ وكل العالم دون ان يحس انه قد اعتدى على كرامته أو كبريائه أو ايمانه واعجابه بنفسه . بل لعل البشر في كل تاريخهم لم يصدروا أو يستوردوا شيئا مثلما صدروا واستوردوا الانسان ولعل هذا أجمل وأنبى واعظم ما فعلوا وما سوف يفعلون . اليس العلماء والخبراء وكل الوان المعلمين والمدرسين والموجهين والمستشارين والمنفذين كانوا ولا يزالون يستوردون ويصدرون ويعارون ويستعارون باتفاق وتعاقد دولي أو اقل من دولي اي ثنائي أو جماعي معين محدود ؟ اليس هؤلاء هم اغلى وانفع ما يمكن ان يصدر أو يستورد أو يعار أو يستعار أو حتى يستوهب أو ينيهب أو يسرق ؟

كيف يكون مقبولا معقولا ونافعا منفذا استيراد وتصدير هؤلاء الى المجتمعات المحتاجة اليهم ثم لا يكون مقبولا ولا معقولا ولا منفذا ولا مرغوبا فيه بل ولا مطروحا

للحوار والمساءلة استيراد وتصدير الحكام اي الملوك والرؤساء والوزراء والانبياء الى المجتمعات المحتاجة اليهم لان حكامها لا يستطيعون ولا يعرفون ولا يريحون ان يحكموها ويقودوها بذكاء أو قدرة أو صدق أو معرفة أو شجاعة الى اي مجد أو انتصار أو حرية أو حياة افضل أو أقوى أو أكثر عطاء أو ابداعا أو جمالا ؟

أو كيف يمكن ان تكون المجتمعات المتخلفة محتاجة الى العلماء والخبراء والمستشارين والعلمين والمخططين والمربين القادمين اليها من وراء حدودها الذاتية والتاريخية ثم لا تكون محتاجة الى الملوك والرؤساء والوزراء والقادة والانبياء المتخلفين خارج احسانها القومية والوطنية والحضارية والانسانية من خارج مواهبها السماوية والارضية ؟ كيف لا تجد من نفسها من يخطط وينفذ لها مصنعا أو طريقا ثم تجد من نفسها من يخطط وينفذ لها حياة وتاريخا ومجدا وشعبا قويا متحضرا حرا ؟ كيف لا يستطيع خبراءها وعلمائها ومخطوطها ومستشاروها ان يغنوها عن ان تستورد أو تستعير الخبراء والعلماء والمخططين والمستشارين ثم يستطيع ملوكها ورؤساؤها وانبيائها وقادتها ان يغنوها عن ان تستورد أو تستعير اي ملك أو رئيس أو قائد أو وزير أو نبي ليكون ملكها أو رئيسها أو قائدها أو وزيرها أو نبيها ولو وقتا محددا اي بأسلوب الاعارة أو التاجير أو الصدقة أو باي اسلوب اخر ؟

كيف تستطيع ان تصنع السيوف والاجنحة وتعجز عن صناعة الريش والخناجر؟ هل يحتمل ان يوجد مجتمع يظل يلد ويصنع العبقريات في اعلى مستوياتها بينما يظل عاجزا عن ولادة أو صناعة العبقريات في ادنى أو اواسط مستوياتها ، ويظل ايضا يلد ويخلق الشمس بينما يظل عاجزا عن ولادة وخلق النجوم ، ويظل كذلك ينبت وبزرع الهامات والقامات الصادمة للقمر بينما يظل عاجزا عن انبسات وزراعة الهامات والقامات الملامسة للسحاب ؟

هل ولادة الانبياء والحبل بهم اعسر من الحبل بالالهة وولادتهم ؟

اي هل يحتمل ان يوجد اي مجتمع يعجز عن ان يتخلق فيه المهندسون والخبراء والمربين والمخططون والمعلمون والمستشارون في اعلى نماذجهم ثم يستطيع دائما ان يتخلق فيه ومنه الملوك والرؤساء والوزراء والانبياء والقادة والائمة والسلاطين والخلفاء والثوار في اعلى نماذجهم المطلوبة والمتصورة ؟ هل يمكن ان يعجز المجتمع الذي يلد الحاكم العظيم عن ان يلد الخبير العظيم أو أن يستطيع المجتمع الذي يعجز عن ولادة الخبير العظيم ان يلد الحاكم العظيم ؟

نعم ، اننا في عصر ، من ابعد آفاق طموحه الحضاري والعلمي والانساني ان يستطيع تركيب الذات الانسانية ، تركيب اعضائها ، نقل الاعضاء الى الخوات المحتاجة اليها ، نقل أو صنع الاعضاء الاقوى والاذكى والاجمل والاصح لتكون البديل عن الاعضاء التي هي ليست كذلك .

ان البشر حين يستطيعون نقل او استعارة او تصدير الاعضاء من جسم الى جسم او من انسان الى اخر دون اية موانع عسية ، مهما كان انتماء الجسمين او الانسانيين القومي او الوطني او العرقي او المذهبي او الديني ، فلا بد ان يعد ذلك من اعظم القفزات والانجازات الحضارية والانسانية .

وهل يمكن ان يكون شيئا جيدا او مقبولا استعارة وتصدير الايدي والارجل والاصابع والاعضاء الاخرى الى غير ذواتها ثم يكون شيئا رديئا او مستفكرا او مرفوضا استعارة وتصدير الرؤوس والعقول والوجوه والضمائر والعيون الرائية الموجهة المفسرة القائدة للخطوات المدبرة الامرة الناهية لها ، الفارئة لها خطواتها واتجاهاتها ؟

هل يحتمل ان يوجد منطق يرفض نقل الرأس العبقري ليكون بديلا عن الرأس الابله او الغبي ؟

وهل استعارة واستيراد وتصدير الملوك والرؤساء والنوار والقادة والوزراء المتفوقين الا أسلوب علمي حضاري انساني جيد جدا من أساليب نقل وتصدير واستيراد واستعارة الرؤوس والعقول والضمائر والوجوه والعيون والاخلاق المتفوقة؟ اليس استيراد هؤلاء هو استيرادا لهذه ولكن محمولة فوق ذواتها لا فوق ذوات اخرى هي اقل موهبة واكثر ضعفا ؟

ليس نقل الحاكم او القائد او الزعيم او النبي العظيم الى المجتمع المتخلف لونا عظيما جدا من الوان نقل الحضارة والعلم والاخلاق الى المجتمعات الفاقدة لذلك والحاجة اليه ولكن باساليب اعظم وافضل واقدر على التنفيذ والاتقان وابعد عن احتمالات العجز والخطا والتزييف والتشويه والتوريث ؟

نعم . . الحاكم اي الملك والرئيس والقائد والزعيم والوزير ، ماذا يشترط ويفترض فيه او يطلب ويرجى منه وفيه ؟ ليس ان يكون المستوى او الحد الاعلى في الذكاء والعقل والفهم والخلق والشجاعة والانتزان والاخلاص والعدل والتواضع والحب وفي الرؤية والتحديد الى كل الافاق والاحداث والاشياء والاحتمالات ، مقروءة مفسرة محاسبة بكل الشمول والاحاطة والصدق والحماس الهاديء الراسخ المعقل الوقور ؟ ليس المفترض في الحاكم والمطلوب منه ان يكون ادق واذكى اجهزة الضبط والتوجيه والتوقيت والحساب للحركة ، للتقدم والتأخر ، للفعل والترك ، للقول وللصمت ، للقراءة الشاملة الدائمة لكل الاحتمالات . .

وحاكم المجتمع المتخلف هل يحتمل ان يستطيع الصعود الى هذا الى المستوى الاعلى من ذلك ؟ بل هل يحتمل ان يستطيع الاقتراب منه ؟

اذن هل يمكن ان يوجد اثم او تقصير او اهمال او عجز مثل الا يستعير او يستورد اي مجتمع متخلف مثل المجتمع العربي له حاكما يملك هذا المستوى او هذا الحد الاعلى من هذه الشروط والزايا او مثل الا يصدر اليه الاخرون مثل هذا الحاكم

أو ألا يحاولوا ذلك وهم يملكونه بكل الوفرة والكثرة حتى التخمة ؟ لماذا لم يصدر هؤلاء مثل هذا الحاكم الى أي شعب عربي ؟ هل هم قساة متمعدون أم مهذبون أم أغبياء وعميان لا يرون ؟

انه لتبقيح على كل المستويات وبكل التفاسير ان يصاب وطن بالقحط فيجوع اهله فيصرخوا طالبين الفوث فيستجاب لهم ، أو أن يصاب وطن بالوباء فيطلب العون فيرسل اليه بالاطباء والخبراء ضد الوبئة وبكل وسائل الوقاية والعلاج ، بينما توجد مجتمعات وشعوب كثيرة ، بل بينما اكثر شعوب العالم مصابة اصابة دائمة بالقحط الرهيب من الحكام والزعماء والانبياء والقادة القادرين على الفوث والانقاذ والعلاج والوقاية والتطبيب ولو على اردأ وادنى المستويات - بل بينما أكثر شعوب العالم مصابة اصابة دائمة بحكام وزعماء وقادة وانبياء هم اساليب شاملة من اساليب اصابة هذه الشعوب التي هي اكثر شعوب العالم بالقحط والوبئة والمجاعات أو يبدون وكأنهم كذلك - دون أن ينطلق اي صوت من المصابين بهؤلاء الحكام والزعماء والانبياء والقادة ، طالبا الاغاثة او العلاج او المساعدة باي اسلوب ، ودون ان يفعل الآخرون القادرون الاغنياء المصابون بالخصب الدائم وبالوفرة من الاطباء والتطبيب والادوية أي شيء للانقاذ او الاسعاف او التخفيف . وهل يمكن تصور مجاعة أو قحط مثل المجاعة والقحط من الحكام والزعماء والقادة ومثل المجاعة والقحط في مواهبهم ، أو تصور وباء مثل الوباء الذي يصيب به الحكام والزعماء والقادة المناقضون لشروطهم الجيدة ؟

نعم ، هل القضية هنا قضية خبث وتآمر وتدبير مقصود ام قضية غفلة وغباء وكبرياء سخيفة ؟ هل هي مؤامرة أو شبه مؤامرة مخططة ومتفق عليها ولو بالصمت والنية بين من يجب عليهم ان يطلبوا ومن يجب عليهم ان يعطوا ؟ هل رأى الحكام هنا ان الاستبدال بهم اهانة لهم أو لشعوبهم مهما كان هذا الاستبدال نافعا وضروريا ، فاستجاب الآخرون هناك لهذه الرؤية أو الرأي ؟ اذن كيف لم يروا ان استبدال حياة أو حضارة أو خبرة أو تخطيط أو نظام أو شعار أو مذهب أو علم أو خبراء وعلماء ومخططين ومدرسين ومعلمين ومستشارين بمن وبما كان عندهم من ذلك ابلغ اهانة وتحقيرا لهم ولشعوبهم بل ولكل ابائهم وتاريخهم والهتهم التي كانت والتي هي كائنة ؟

كيف تكون اهانة لاي شعب ان يستبدل حكاما بحكامه اذا لم تكن اهانة ان يستبدل عقولا بكل عقوله وعقول انبيائه وابائه ؟

هل يمكن الاختلاف على ان الاقتناع أو الاعلان بان هذا المشروع الزراعي أو الصناعي أو السكني أو التعليمي أو الطبي السهل البسيط الصغير جدا محتاج الى استيراد خبرة أو خبراء اجانب لتخطيطه وتنفيذه اقصى اهانة وتحقيرا للشعب الذي يقام فيه هذا المشروع ، لكل طبقاته وهيئاته واربابه وانبيائه وابائه وتاريخه من الاقتناع

او الاعلان بان هذا الشعب او اي شعب اخر محتاج الى استيراد حاكم او قائد او زعيم لكي يقوده او يسير معه او يوجهه الى حياة افضل واذكى واقل سخفا وطفيانا وفقرا وضعفا وتخلفا وجهالة وافتضاحا وصراخا بليدا وغرورا ومخاصمة بلا هدف او خطة ومعاداة للاعداء ولغير الاعداء بلا بحث عن شيء كما يفعل حكام العرب ؟

هل كان محتوما بل او محتملا ان تقاسي الشعوب العربية او غيرها من الشعوب المتخلفة كل هذه الحماقات والهزائم والالام والفضائح والطفيان والاذلال والمخاصمات الاستعراضية الخطابية او كثيرا منها او ان تساق اليها تحت اعلسى واغبي الاناشيد ضجيجا وغرورا لو انها كانت تعار ويصدر اليها حكامها ، رؤساؤها وملوكها ووزراؤها وانبيائها او ثوارها وقادتها من ذلك الطراز الاخر الموجود بكل الوفرة والكثرة عند الآخرين الذين يصدرون اليها كل شيء جيد وجديد من الحياة والمعارف والنظم والاساليب بل والاخلاق والعقول والتقوى بل ومن البشر ، حاملي المزايا الحضارية والانسانية الجديدة ؟ ..

بل ليس محتوما حينئذ أن تكون هذه القطعان الكبيرة المسحوقة أصح وأخصب أجساما ومراعى وان تعيش أبعد عن الذناب واللصوص والابوئة والضياع والمجاعات وعن هذه المخاصمات والملاعنت والمبارزات الرعناء التي يفرق فيها ويستهلك بها حكام الشعوب المتخلفة او حكام العرب وحدهم كل وقار واتزان وحياء وهذوء شعوبهم ؟ ماذا يمكن او يجب ان يفترض الحكام ؟ هل يفترضون رؤية وعقلا وضميرا وحبا وفداء وقدوة ونموذجا أم يفترضون أمرا ونهيا وقيادة واقداما ومغامرة أم يفترضون كل ذلك وأكثر منه ؟

أليس المفروض والمطلوب ان يكونوا النصوص والتفاسير الجيدة المتبدلة المواهب واحتياجات واحتمالات شعوبهم المتصاعدة والاعلان الذكي المذهب عنها ؟

اذن ليس المطلوب فيهم بل المشترط عليهم وفيهم ان يكونوا هم افضل واعظم النماذج الموجودة والمستطاعة دون اية شروط أو قيود على مكان أو انتماء ولادتهم أو بطاقات جنسياتهم ؟

اليس المطلوب ان يكون الدواء والمعالج والواقعي هو اجود انواع الادوية المعروفة والموجودة والمقدور عليها دون محاسبة لمصدرها او للمصانع والعقول التي صنعتها ؟

هل وجد او قد يوجد من يرفضون الدواء الافضل او يترددون في التداوي به بسبب انتماؤه او انتماء مبتكريه ، او من يرفضون التداوي لدى اقدر الاطباء على ان يشفى لهذا السبب اي سبب الانتماء الوطني او القومي او الديني ؟

أو هل يمكن ان يرفض هذا الدواء الافضل ان يكون مداويا أو واقيا أو أن يكون هو الافضل ، أو ان يرفض الجسم تقبله أو الاستجابة له بسبب هذا الانتماء ايضا ؟

وهل يمكن الإنكار أن المطلوب فيهم أي في الحكام أن يكونوا دواء ، ما ، في أحد التفاسير أو في كل التفاسير ، لبعض الأدواء أو لكل الأدواء لو استطاعوا - أن يكونوا أعظم الأدوية أن كان ذلك ممكنا ؟

وانه لن توجد أية صعوبة أو تعقيدات في هذه القضية أي في أن يستورد العرب وكل من في مستواهم المتخلف حكاهم ، ملوكا ورؤساء وقادة ووزراء ، مثل أن يقال ويعتقد أن الحاكم يجب أن يرضاه الشعب ويختاره ويعرفه ويؤمن به وأن تكون بينه وبين شعبه أو مجتمعه مشاعر اللفة ومحبة وثقة وتعارف وتقارب وتعايش تاريخي ومصيري وروحي وقومي ووطني ، وأن تكون هذه المشاعر متبادلة ، بين الحاكم والمحكوم ، والافئ تكون العلاقات مقبولة أو مريحة أو نابضة أو متعاقبة أو متشاركة في أي شيء ، أو محكومة بأي قدر من الاخلاص والتلاؤم المحب الحاني المتعاطف .. وحتما هذه مزايا وعلاقات ومشاعر يفرض بل ويطلب أن تكون قائمة دائما بين الحكام وشعوبهم . وبدونها يصبح الحكم عدوانا وتآمرا واغتصابا وتربصا .

نعم ، أن مثل هذه الصعوبة أو التعقيدات أو الاعتراضات لن تكون هنا موجودة أو واردة لأن حكام العرب ملوكا ورؤساء وثورا وقادة ووزراء لا يقفزون إلى أماكنهم تحت هذه الشروط والمشاعر ، بل انهم جميعا واثما يصعدون إلى عروشهم نقيضا لجميع هذه المشاعر والشروط وخروجاً وقحا عليها ولا سيما ثوارهم وكل من يصعدون إلى القمة بالتآمر المسلح الذي أصبح في هذه الاوقات سباقا رهيبا كثيبا في العالم العربي .. بل انه بحثا عن هذه الشروط والمشاعر يجب أن يستبدل بحكام العرب حكام مستوردون في كل الاوطان العربية ..

ومثل العرب في هذه القضية كل المجتمعات التي هي في مستواهم الحضاري والانساني أي في مستوى العرب . نعم ، انه ليجود للعرب امثال كثيرون . ولكن هل يوجد اقل منهم في أي شيء من معانيهم أو صيغهم ؟ انهم أي العرب من الاردا أو ليسوا الاردا ..

الليس محتملا جدا أن تكون هذه المشاعر المتبادلة وهذه الشروط المطلوبة موجودة حينما يكون حكام العرب مستوردين ومعارين أكثر من احتمالات وجودها حينما يظل حكامهم من انفسهم ، من ولادة تاريخهم ومواهبهم ، حينما يظل حكامهم هم حكامهم أو من نوع حكامهم الذين جربوهم وقاسوا منهم في كل تاريخهم أكثر مما قاسوا من قحط وقبح ووقاحة وبداعة تاريخهم واربابهم الصحراوية البدوية التي لا تتحضر أو تنهذب أو تفارق اميتها الابدية الهمجية ؟

بل انه لم يوجد ولن يوجد بين شيء وشيء أو بين قوم وقوم فراق أو طلاق روحي أو عقلي أو اخلاقي أو تاريخي أو انساني أو حتى قومي أو وطني مثل الفراق أو الطلاق الموقع الثابت دائما بين الشعوب العربية وحكامها في جميع هذه المعاني

والتفسير او في جميع هذه القيم المطلوبة او المفترضة هنا في هذه القضية او هذه العلاقة . ان الفراق او الطلاق بين حكام العرب وشعوبهم لهو فراق او طلاق لا نموذج له في قسوته وشموله وثباته ومرارته وامتداد زمانه حتى لكانه بلا بداية او نهاية . . انه لو نصبت اقصى الوحوش او الابلاسة حكاما ، أي ملوكا ورؤساء وثوارا وقادة ووزراء ، على الشعوب العربية لما جاءت مشاعر الخوف والبغضاء والحقد والتوجس والريبة وفقدان التوقعات المريحة او الجميلة او الصديقة بين الفريقين اردا او اقسى من المشاعر التي كانت والتي هي كائنة والتي سوف تكون بين العرب وحكامهم مهما كان لون او صيغة او مولد او شعارات حكامهم . ولكن لا بد من امتياز حكامهم الثوار بالمزيد من قسوة هذه المشاعر المتبادلة الكثيبة الرهيبة . .

نعم ، هل وجدت مقاسة في اية علاقات مثل المقاسة التي تقاسيها العلاقات دائما بين الشعوب العربية وحكامها ولا سيما الثوار منهم ؟ انه لو كان ممكنا ان تحرق المشاعر المتعادية المتباغضة المرتابة الحاقدة اصحابها او اجسادها لكان محتوما ان تحرق الشعوب العربية وحكامها مشاعر الفريقين المتبادلة بينهما . . ان تتحول اجساد الفريقين الى رماد . . عجا ! . . ما لقدر اجساد حكام العرب واجساد شعوبهم على معايشة الاحقاد والبغضاء والعداوات والريب المتبادلة . . كيف بقيت لهم اجساد لم تحترق ؟

اذن فان استيراد او استعارة حكام اجانب للعرب وسيلة جيدة وانسانية لاجاد شيء او حالة من الحب والثقة والرضا والاطمئنان ومشاعر الامان والتوقعات الجميلة في نفوسهم اي في نفوس العرب المحكومين الذين لم تجرب نفوسهم هذه الحالة في اية فترة من تاريخهم الاليم الحزين . .

كما ان ذلك اي استيراد او استعارة الحكام للعرب لا بد ان يكون فيه نوع من العلاج المخفف عن نفوسهم من قسوة الكره والخوف والغضب ومن شحنات الظنون والتجارب الاليمة القتالة . ما اجمل ان يجرب غرس اسباب الحب والثقة والتصديق والرضا والجمال والصفاء في نفوس وعقول وقلوب وضمائر وعيون واذان الشعوب العربية . ما احوجا الى ذلك .

اذن فاستعارة او استيراد الحكام للعرب ليس فقط رغبة في التقدم الى الاقوى والاذكى والانتقى والاعظم ، ووسيلة الى ذلك . بل انه ايضا علاج ووقاية للنفوس والعقول والضمائر من البغضاء والاحقاد والخاوف ومن التوقعات والظنون الاليمة اليائسة المتراكمة ، او تخفيف عنها اي عن النفوس من قسوة وضخامة ذلك . .

وكم هو قبيح في هذه القضية ان الشعوب العربية التي تقاسي كل هذه البغضاء والاحقاد والخاوف والريب من حكامها ولهم وفيهم تبدو وكأنه لا حب ولا تقديس او تاليه او تصديق او اخلاص في هذا العالم مثل حباها وتقديسها وتاليها وتصديقها واخلاصها لحكامها هؤلاء . .

ولكن في هذه القضية مشكلة صعبة الحل جدا . وقد يرى انها مستحيلة الحل .
ان استيراد او استعارة حكام للعرب لا بد ان تعني اسقاط حكامهم او وقفهم
او تاجيلهم او سلب السلطان منهم ووضعه في ايدي الحكام المستوردين . وكيف
يمكن تنفيذ هذا ؟

ان حكام العرب هنا هم الخالع الذي يطلب منه ان يكون مخلوعا ، والسوط الذي
يطلب منه ان يكون ظهرا ، والقاتل الذي يطلب منه ان يكون مقتولا . . . انهم لا بد
ان يروا ان هذا هو التفسير لهذه القضية او هو ما يرجي ويطلب منهم فيها . فهل
تستطيع تقواهم او شهاتهم ان تقنعهم او تلزمهم بان يستجيبوا لذلك او بان
يكونوا كذلك ؟

انهم حينئذ هم الذين عليهم ان يستوردوا او يستعمروا هؤلاء الحكام المصدرين
ليكونوا حكاما مكانهم ليصبحوا هم شعبا ورعية . فهل يؤمل ان يفعلوا ذلك ؟
نعم ، هذه مشكلة معقدة وصعبة فيما يبدو ، ينبغي ان توجد لها حلول بأسلوب
دولي او اقل من دولي او دولي وغير دولي . . .

وصعوبة القضية او الحاجة او الضرورة او الهدف الكبير لا يمكن ان تعني
التخلي عن المحاولة او المقاومة بل لا بد ان تعني التصاعد في قوة واصرار المحاولة
والمقاومة . وانه لفرض حضاري وانساني بل ووطني ومصلي ولو احيانا على العالم
كله ان يلتزم بهذه المحاولة والمقاومة مصمما على تخطي ومعالجة هذه المشكلة او
العقدة بكل وسائله واساليبه وقواه الحضارية والانسانية الضخمة المتنوعة القادرة
على الانتصارات المتجددة الدائمة .

والشيء قد يكون مرفوضا او مستكرها او مخفوا من كل حسابات المحاولة
وتخطيطاتها لانه لم يؤلف ، كما قد يبدو صعبا او مستحيلا لذلك فاذا حدث او فعل اي
الشيء وتكرر فعله او حدوثه اصبح مألوف ، وحينئذ لن يبدو صعبا او مستحيلا او
مرفوضا او مستكرها . . .

واستيراد الحكام وتصديرهم هما من الاشياء التي لم تؤلف بالمعنى الذي
يعنى بالحديث هنا ، لهذا فانهما يبدوان مرفوضين وكريهين وصعبين او مستحيلين .
ولو ان هذا اي استيراد الحكام وتصديرهم حدث مكررا لاصبح مألوف ولاصبح
حينئذ شيئا مقبولا ومعتولا بل شيئا مطلوبا وجيدا جدا .

ان رؤية الشيء عظيما وجميلا او قبيحا وتافها ، صوابا او خطأ قد تعني فقط
انه قد اصبح شيئا مألوف ومعتبرا ومفعولا مدحوا او انه لم يصبح كذلك . . .
ان عظمة الشيء وتفاهته وكذا جماله ودمايته ليست في ذات الشيء او في
منطقه ولكنها في رؤيته وفي الاقتناع به كذلك . . . ان جمال الزهرة المتفوق على
جمال اية نبتة اخرى ليس في ذات الزهرة بل في عيني رائيها بل ليس في عينيه وانما
في تعاليمه وتلقينه وتعويده واذنيه . . .

ان كل ما في الطبيعة من جمال لو تجمع كله في وجه او جسد او شيء واحد لما كان جميلا ولما احس نفسه جميلا ولما وجد اي منطق او قانون او جهاز او مقياس يثبت او يعلن او يعرف أنه جميل لو لم يوجد من يراه ويحسبه جميلا . . ان العيون والرؤى والاحلام والاحكام والمواقف المواجهة المعلمة المأمورة المنهية الثلاثمة والمتنافرة هي التي تصوغ الشيء جميلا ومنطقيا او تصوغه نقيضا حادا للجمال والمنطق والكرامة والشرف والمجد والشجاعة ايضا . .

ان الرؤية تعليم كالايمان والافتناع والصلاة وحب الالهة . هل رأت العيون جمال الاله ام علمت رؤيته ؟

ان اكثر اساليب الوصول الى الحكم في اكثر اوطان العالم ، في اكثر فترات التاريخ ليجب ان يراها اكثر العالم او كل العالم اكثر قبحا وسخفا واهانة للانسان وبعدا عن ان تكون معقولة او مقبولة او حادثة او مفعولة بل او مفترضة من استيراد وتصدير الحكام التفوقين المختارين دوليا او اقل من دولي ليكونوا حكاما لبلدان في مستوى البلدان العربية يحكمها حكام في مستوى الحكام العرب الذين ظل كل التاريخ يكررهم صيغة او نموذجا او مستوى حضاريا وانسانيا وبدويا واحدا تحت اسماء وازياء وشعارات ودعاوى متعددة وحيانا مختلفة او متناقضة متعادية متلاعنة . . كيف تكون مقبولة او معقولة او مألوفة مفعولة هذه الاساليب التي يتوصلون بها الى الحكم في اكثر بلدان العالم ثم لا يكون استيراد الحكام مألوفا متقدرا بل مفروضا محتوما يطالب به كل احد حتى ليطالب به الحكام المستبدل بهم المستورد البديل عنهم ؟ اليس هذا يساوي ان يظل مجتمع من المجتمعات يتداوى من كل الوبئة والامراض بالسحر والطلاسم والتعاويذ والرقي وزيارة قبور الانبياء والصالحين ويظل هذا التداوي معقولا ومقبولا ومجدا وطنيا قوميا لان هذا المجتمع يرفض ان يستورد او أن يصدر اليه اطباء موجودون عند الآخرين بلا حساب مستعدون وقادرون على انقاذه من كل اوبئته وامراضه . . او لان الذين يداوون بالرقي والتعاويذ والسحر والطلاسم او يستفيدون من ذلك يرفضون تقوم الاطباء والتنازل لهم ؟

هل يمكن ان يكون تداوي الشعوب العربية وكل الشعوب الاخرى الماثلة بحكامها لينقذوها ويشفوها من هزائمها وتخلفها وجهالاتها والامها افضل أو اقل أو أكثر اعطاء للامل وللشفاء من التداوي بالرقي والتماثم والتعاويذ والطواف حول قبور الانبياء والصالحين للحماية والعلاج من الامراض والوبئة والزلازل والبراكين ومن القحط والمجاعات وتوقف السحاب عن المجيء أو عن العطاء ؟

وهل استطاع اي حاكم عربي قديم او حديث ان يعالج من اية مشكلة او هزيمة او تخلف بغير الرقي والتماثم والتعاويذ ولكنها رقي وتماثم وتعاويذ اكثر ايذاء وتخريبا وافقارا وقتلا ؟

اليس رفض حكام العرب استيراد أو تصدير حكام متفوقين ومختارين ليكونوا بأسلوب الاعارة أو التاجير أو الصدقة حكاما للشعوب العربية ، وتقبل هذا الرفض منهم أي من حكام العرب ، أكثر قبحا وسفها وضررا من أن يرفض المداوون بالخرافات والادواهم التاريخية البدوية الجاهلية قدوم الأطباء أو استخدامهم ليدأوا بالطب والعلم ثم يقبل منهم هذا الرفض ، يقبل منهم عالميا وعربيا محليا ؟ اليس كلا الرفضين دفاعا عن الذات واستمساكا وقحا سخيلا بها ؟

وهل يحتمل أن يجرؤ المداوون بالتعاويز والبصق والكي وكتابة التمائيم والادعية على أن يعلنوا رفضهم ومقاومتهم لمجيء أو وجود الأطباء والعلماء لئلا يحلوا مكانهم ، ولو جرؤوا على هذا الرفض وهذه المقاومة فهل يحتمل أن يقبل ذلك منهم ؟ إذن كيف جرؤ حكام العرب أو كيف يجرؤون على أن يرفضوا استيراد وتصدير الحكام إلى الشعوب العربية ، ولو جرؤوا أو إذا جرؤوا على ذلك فكيف يقبل منهم ؟ هل الحكام العرب اعظم وقاحة وجهالة ونذالة من الدجالين الجهلاء أم اعظم قوة ووقاحة وجهالة ونذالة وسخفا أيضا ؟

هل يحتمل أن يكون مشعوزو العرب انفذ واصحق واذكى من حكام العرب رؤية لا لا بد من رؤيته ؟

إن مداوي العرب بالتعاويز وبالصلاة والبكاء فوق القبور قد خضعوا للغزو الحضاري العلمي فتقبلوا أن يستورد أو يستعير أو يستجدي قومهم من يداوون بالطب والعلم فلماذا لا يخضع حكام العرب لما خضع له هؤلاء فيقبلوا أن يستورد أو يستعير أو يستجدي قومهم حكاما يعالجون المشاكل والتخلف والعجز والضياع الضال فسي تيه القحط الحضاري وفي هوان الاغتراب بين المتفوقين الخلائق الاقوياء ، ذلك الاغتراب المهيئ الاليم الذي ظل التاريخ العربي يقاسيه في كل مراحل أطواره - يعالجون كل ذلك ويعالجون منه بالعلم والصدق والذكاء والتواضع والصمت وبالجرأة المحسوبة بأدق الحسابات واشملها ، لا بالخداع والصهيل والغرور والبذاءة والسباب والوعيد والقفز فوق كل حواجز وضوابط الذكاء والرؤية والمعرفة ، وبالمغامرات الحمقاء الخطابية المنبرية ، أي بالمغامرات التي لا يراود منها أو بها إلا أن تتحول إلى اعلان ودوي يشتمان ويفجعان مسامع كل الدنيا ، أو التي لا يدفع إليها أو يوقع ويورط فيها الاخطاب أو بيان أو تصريح مرعد موعد احمق ، يليقيه زعيم ممسوس ، بنية واسلوب استعراضيين اعلانيين ، يليقيه في حالة هياج صوتي مفلت من كل قيود وشروط وحسابات واوامر الذكاء والرؤية والوقار والتواضع والواقعية والمسؤولية .. يليقيه بالاسلوب الذي يتخاطب به زعماء وانبياء وحكماء وحكام العرب في كل تاريخهم ومواقفهم مع كل قضاياهم ومشاكلهم ومواجهاتهم ومع كل اصحقائهم واعدائهم ومع انفسهم ومع كل احد وبلا أي احد ؟ إن جميع حكام وقادة وزعماء العرب مصابون بالخطابية التي لا بد

ان تتحول او غالبا ما تتحول الى مواقف وخطوات عمياء ضالة خاسرة مورطة فاضحة جالبة للعار والهوان والسخرية ..

نعم ، ليست كل او اغلب مغامرات ومناطحات وتحركات حكام العرب وقادتهم مواقف خطابية ، اريد بها الخطابة وحرصت عليها الخطابة وورطت فيها الخطابة وفسرت بالرغبة في الخطابة ؟ اليس كل تاريخهم انما كان تاريخا خطابيا ، تدفعهم اليه رغبتهم في المواقف الخطابية واندفاعهم مع مواقفهم الخطابية ؟

ليست الرغبة في اقتحام كل الاذان والقرع على كل الاذان هي اي هذه الرغبة القائدة والموجهة لكل قادة وحكام العرب ، هي كل اهتماماتهم واشواقهم وامجادهم وطموحهم والتفسير لنياتهم ، هي الموقعة لكل خطواتهم الى كل اخطائهم .. هي الصعود بالصوت والسقوط بالحركة استجابة للصوت وتحت املائه وتحريضه ؟

ليست هذه الرغبة تجعلهم يخطون ويتحركون بلا اية رؤية او حساب لكي يتحول خطوهم وتحركهم الى خطابة ، وتجعلهم ايضا يخطبون ويخطبون دون ان يقصدوا غير أن يخطبوا ، وتحت ضجيج وسكر الخطابة يتحركون ويخطون دون ان يريدوا ذلك فيتيهون ويضلون ويفتضحون ويسقطون ؟

لو انه بوسيلة ما سحب من جميع حكام وزعماء وانبياء العرب ساعة ولادتهم او ساعة جلوسهم على العرش كل شهوتهم في أن يصبحوا خطبا تذاع وتسمع وتكتب وتقرأ وتروى وتفسر وتخيف ويصفق لها بل ويهدد بها فماذا كان يمكن ان يحدث او حدث ؟ اليس محتوما او مفترضا ان يكونوا حينئذ قد اصيبوا جميعا بالصمت والوقار وبالرفض للاقتراب من اي منبر ؟ وهذا ليس محتوما او مفترضا ان يعني وقايتهم من جميع المغامرات والمخاطر والمبارزات والمصاهلات السفهية الكريهة القتالة المفسدة المضللة المستنفذة لكل الاحتمالات والطاقت الجيدة ، والقائدة للتاريخ العربي في كل مسيرته الى كل هذه الاكوان من الهزائم والالام والتشوّهات والايخطاء البليدة المدمرة ؟ فادحة وشاملة هي الالام والهزائم والفضائح والنكبات التي اوقعتها بنا الشهوة الخطابية التي لا بد ان تصاب بها كل قيادة وزعامة ونبوة عربية ..

اذن كيف لم توجد هذه الوسيلة التي تسحب منهم هذه الشهوة ؟ كيف لم يوجد من يسحبونها منهم ؟ ان كان يوجد فوق هذا الكون او في داخله الهة او قوى خيرة تريد الخير والوقار والستر فلماذا لم تسحب من القيادات العربية هذه الشهوة المخربة ؟

ولكن هل يقبلون ان يكونوا حكاما او زعماء او انبياء او قادة لو سحب ذلك منهم؟ هل قبلوا اورغبوا ان يكونوا حكاما وقادة وزعماء وانبياء الا تحت املاء هذه الشهوة؟ لو ان العالم كله كان عقولا وضمائر وقلوبا واخلاقا وعيونا ولكن بلا اذان ومنابر فهل

يمكن حينئذ ان يرى حكام العرب وقادتهم ان للحكم مجدا او اغراء او ان لهم مجدا او يمكن ان يكون لهم مجد ؟

ان اقدام واجنحة وهمم ونيات جميع الزعماء والقادة والحكام العرب لا تتعامل او تتخاطب ولا تريدان تتعامل او تتخاطب الا مع المنابر والاذان والانشيد .. انها لا تتحرك الا سعيًا وشوقًا اليها وانطلاقًا منها . انها انطلاقًا اليها وانطلاق منها . انها لأتريد أو تنوي الا أن تكون حديثًا وضجيجًا واثارة ورنينًا مزعجًا صانعًا للاهتمام .. ان اشمل واجمل التفسير لكل قيادة وزعامة عربية هي احداث الرنين وارادته وروايته وقراءته والتهويل والتخويف به ..

انهم اي الزعماء والقادة والحكام العرب لا يعرفون او يتصورون ان لاقدامهم واجنحتهم او لوجودهم او لكونهم حكاما وزعماء وقادة او لقبولهم ذلك وسعادتهم به - لا يعرفون او يتصورون ان لذلك اي تفسير او وظيفة او مجد او اغراء او ثمن غير الزحف الى المنابر والاذان والانشيد والبحث عنها والانطلاق منها الى المخاطر والانديفاعات الحمقاء التي لم يقد اليها الا الضجيج الخطابي السابق الدائم والا الرغبة في الضجيج المتواصل . ان الرغبة في الرنين والضجيج تطلق الشهوة الخطابية ، وان اطلاق الشهوة الخطابية لا بد ان يقود الى المغامرات التي لا تخضع لاي حساب او مسألة ..

ان المواقف الخطابية تتحول الى التزام بالاقدام على المغامرات المجنونة في سلوك الزعامات والقيادات والنبوات العربية لكي يرضوا موافقهم الخطابية ويتوافقوا معها ويزيدوها رنينًا ولو رنين العار والهزائم . اليس للعار والهزائم رنين قد يطرب ؟ لقد خطبوا وخطبوا وخطبوا بلا اية رؤية او ذكاء او حساب .. لانهم لا بد ان يخطبوا ويتحولوا الى خطب حتى ولو لم يخطبوا ويستطيعوا ويعرفوا ان يخطبوا .. اذن لا بد ان يقدموا ويقدموا ويقدموا ايضا بلا اي قدر من الرؤية او الذكاء او الحساب او الشعور بالحاجة الى اي قدر من ذلك .. اذن قد يكون من اعظم المنافع لاستيراد حكام اجانب متفوقين ومتحضرين ليكونوا حكاما للشعوب العربية ان ذلك سوف ينفذ من نتائج ومخاطر هذه الشهوة او الموهبة او الافة الخطابية التي اصبح من المحتوم المقرر ان تصاب بها جميع الزعامات والقيادات والنبوات العربية . اليس كل عبقرية العرب او اعظم واشهر عبقرياتهم هي نبوة وعبقرية نبوة ، وهذه النبوة وعبقريتها هما كتاب وعبقرية كتاب ، وهذا الكتاب وعبقريته هما عبقرية خطابية بلاغية صوتية لفظية قرآنية ؟ اليس هذا هو كل او اعظم مجد العرب الحضاري والانساني والثقافي ؟ اليس العرب يزعمون ذلك ويعلنونه بكل مشاعر الكبرياء وصهيلها ؟

نعم ، انه محتوم او لشيء طيب ان يبحث عن الحلول لهذه المشكلة او العقدة اعني بها ان الحكام العرب لا بد ان يقاوموا مشروع او فكرة استيراد حكام لقومهم من خارجهم ، مهما اقتنعوا أي حكام العرب بان في استيراد هؤلاء الحكام كل المجد

والانقاذ والتطوير لشعوبهم وبلادهم ، بل وكل الراحة والحماية لهم هم والمستر عليهم امام تحقيق كل العيون والعقول والضمائر والاخلاق في عجزهم وافتضاحهم ..
وهنا ارى حلا . اني اراه بعيدا ومن بعيد ، ولكنني اراه ويجب ان يراه كل من يرون البعيد ومن بعيد ..
وليوضع تحت كل التفكير هذا الحل . انه حل يطرح لأول مرة لعله يقبل وينفذ ..

ان العالم العربي اصبح مصابا بالثورات والانقلابات العسكرية . ولعل الظن بانه قد يشفى من ذلك أو قد تقل نوبات اصابته بهذا الداء اهانة لذكاء الظن وتشكيك في قيمته النفسية والعقلية والتاريخية . انه لن يشفى من ذلك الا بقدر ما يمكن ان تشفى اخلاقه من الضعف والغرور ، وقلبه من الحقد والبغضاء ، وضميره من اللؤم والخسة ، وتفكيره من السذاجة والغفلة والبلادة ، ولسانه من السفه والسباب والصهيل ، وتاريخه من القحط الانساني بكل تفاسير القحط وتعبيراته ..
اذن فليكن هدف هذه الانقلابات والثورات اسقاط الحكام العرب القائمين لكي يحل مكانهم حكام اخرون مستوردون مصدرين معدون مختارون لتفوقهم ..

مختارون بالناطق الذي تختار به اذق واحداث الاجهزة الطبية لتشخيص الامراض بدل تشخيصها بيد المشعوذ البدوي الأمي .

لقد كان الثوار والانقلابيون العرب من العساكر يفعلون انقلاباتهم وثوراتهم ليكونوا هم الحكام بعد اسقاط من كانوا قبلهم ، زاعمين انهم قد جاءوا ليكونوا منقذين كونييين من كل اخطاء وخطايا وطغيان وبلادات وعجز الطبيعة والتاريخ والالهة .. منقذين من كل اخطاء وخطايا الحضارة والعلم ، ومن كل ضعف وهوان وفساد الحرية والتواضع والتفكير والصق والتعذيب ..

لقد كانوا بذلك كالذين يعالجون من الزكام والبثور والعرج لكي يمرضوا بالسل والسرطان والشلل المقعد . لقد كانوا اي الثوار العرب يجيئون ليعالجوا من العجز عن رؤية النجوم نهارا لكي يمرضوا بالعجز عن رؤية النجوم ليلا وعن رؤية الشمس ظهرا ..

نعم ، ليكون هدف الانقلابيين والثوار العرب ان يجعلوا كل الاتاق والابواب والطرق مفتوحة لكي يستورد العرب أو يصدر اليهم الحكام والزعماء والقادة كما يستوردون ويصدر اليهم كل الاشياء الجيدة ، لا ان يكون هدفهم سرقة الحكم ليصبح الحكام الذين كانوا قبلهم انبياء وحكماء وفلاسفة وعباقره وصديقين وابطالا، مناظرين ومحاورين ومحاسبين مقارنين مفسرين بهم اي بالثوار والانقلابيين العرب العساكر ..

ان الثورات والانقلابات العربية تصبح حينئذ عملا صالحا اي اذا كان او لو كان هذا هو هدفها . لعل الثوار العرب لم يفتنوا الى هذا . اليست حظوظهم من الفطنة متواضعة ؟ لعلهم لو فطنوا اليه لفعلوه ولوجدوا فيه شيئا من الاعتذار عن عارهم .

اليس هذا حلا محتملا ومطلوبا لهذه المشكلة او العقدة ؟

بل اليس هذا عملا وطنيا منقذا ورائعا يجب ان يقدمه الثوار العرب لشعوبهم ؟ ولا ينبغي ان يحسب ذلك اي استيراد الحكام ضربا من الخضوع لحكم الاجانب اي من الاحتلال او الاستعمار او الغزو الخارجي الا اذا كان ممكنا ان يحسب استيراد الخبراء والعلماء والمربين والعلمين والمستشارين والمخططين ، او استيراد العلم والحضارة والفنون والافكار والابتكارات خضوعا للحكم الاجنبي . .

وهل الحضارة والتقدم بل والاستقلال والحرية الا اخذ واستيراد بكل اساليب وتقاسير ونيات الاخذ والاستيراد ؟

ان الحاكم المستورد لا يجيء غازيا قائدا لجيش غاز يريد أن يحتل ويستغل وانما يجيء مطلوبا مستقدا ليهب دون ان يأخذ وليحكم دون أن يملك ، بل ليكون استاذا ومعلما مربيا بصيغة حاكم أو باسم حاكم .

وانه ليتمكن ان يقال ان الشعوب المتخلفة لن تفعل او تستورد شيئا انبل أو اعظم من ان تستورد حكاما متحضرين متفوقين كما ان الشعوب العظيمة المتقدمة والمنظمات الدولية لن تفعل او تصدر شيئا افضل أو اعظم من أن تصدر مثل هؤلاء الحكام لمثل هذه الشعوب . . ولعلها لا توجد سفاهة أو جهالة أو نذالة أو جفاء وتقصير مثل ان تترك الشعوب المتخلفة أو المصابة يحكمها حكامها الجهال الاغبياء العاجزون المغرورون المذلون الموقون بينما يمكن ان يصدر اليها حكام مناقضون في كل مزاياهم لحكامها المحليين .

ان يترك الاعمى يقود العميان بين حشود المهالك والمخاطر والمبصرون ينظرون ويضحكون ويسخرون . .

انه لاذل حقا ان يصمت كل العالم عن هذه القضية ، كل منظماته السياسية والثقافية والانسانية وغيرها . . ان ينسأها ويطردها من كل حساباته ، لا يفكر فيها او يتحدث عنها او يفعل لها او حتى يشعر بها او بانها موجودة ، بانها قضية يجب أن يكون لها حقوق القضايا الكبرى أو الصغرى . ان المنطق والاخلاق لا بد ان يفترضوا بل ويطالبوا ويفرضوا ان تكون هذه القضية هي اعظم او من اعظم القضايا العالمية التي يجب أن تستبد بكل اهتمامات وهموم جميع المنظمات الدولية المتعددة الحوافز والاهداف والاغراض والشعارات . . اليس الفروض بل والمطلوب ان يكون الاهتمام بالشيء مقدرا بقيمة الشيء وبنتائجه جيدة وورديئة ؟

كيف يطاق هذا المنظر أو الصورة أو الواقع الدائم المتكرر الواسع ؟ كيف يطاق الصمت عنه والتعامل معه والتحديق فيه ؟
 ليس الصمت الفكري والعاطفي والاخلاقي والنفسي هو ابلد وانذل انواع الصمت ؟

قطعان هائلة من البشر المسحوقين المهزومين المخدوعين الباحثين عن الحياة والنجاة وعن الطريق والنور ، الماضفين للامال والوعود ، والقارئین للنجوم على النجوم الامية البدوية العمياء الخرساء الصماء ، امية العقل والقلب والاخلاق والضمير .. امية الالهة والتدبير والنطق والكيفونة ..

ليست مسيرة النجوم الضالة في فراغها الرهيب اقصى اعلان عن امية الالهة وبدواتها الابدية ؟

هذه القطعان الهائلة تملكها وتتحكم فيها وتسوقها وتشرع لها وتعلمها وتنعب وتنق لها وبها افواج متعاقبة متشابهة من الذئاب والغربان والضفادع ومن العميان واللصوص والرضى بالبلاهة والتفاهة والوقاحة وبشهوة الملاعة والمخاصمة والمبارزة الخطابية الاعلانية ، وبامية التاريخ والحياة والموت وامية الصيغة والتفسير والمكان والزمان ...

بامية الدين والمجد والاخلاق والحب والموهبة والنخوة والاصالة والالوهية ..
 هذه القطعان الهائلة ، قطعان الشعوب والمجتمعات المتخلفة كيف تركت في كل التاريخ لحكامها وقادتها وزعمائها وانبيائها وغربانها هؤلاء يؤكدون ويثبتون تخلفها وهوانها ويعلمون عنهما اي عن تخلفها وهوانها ويفضحونها ويزيدونها ويحاولون استنباءهما ويستغلزنهما ويصعدون فوقهما ويسعدون ويكبرون ويقرون ويؤمنون بهما اي بتخلفها وهوانها ، اي تخلف وهوان هذه القطعان .. ؟
 هل قاست او يمكن ان تقاسي اية قطعان مثلما قاست وتقاسي هذه القطعان البشرية بلا اية حراسة او رعاية ؟

كيف تركت دون ان تعار ويصدر اليها البديل عن هؤلاء ، بل دون أن يوجد من يتحدث عن هذا البديل أو يطالب به أو يفكر فيه حتى يراه قضية من القضايا التي قد يحاسبها أو يحاورها أو يقرؤها الضمير أو الاخلاق أو الحضارة أو العلم ؟
 انه لصمت عالمي مذل حقاً . انه صمت الحضارة على كل ما يناقضها وبهينها ليست الحضارة رفضاً ونفياً دائماً وشاملاً لكل ما يناقضها ؟ اذن كيف اصببت بالصمت هنب ؟

كيف صممت وماتت وعميت عيون وضماير واخلاق كل العالم ؟ كيف سحرت لتصاب بكل هذا العجز أو البلاهة أو النذالة أو القسوة أو بكل هذا القدر من الاستمتاع بالشماتة .. بكل هذا الصمت عن الرفض والنفي ؟

انها لقضية يصعب ان يوجد لها تفسير مفهوم معقول ، اعني بها ان العالم لم يشرع ويقرر باسلوب دولي ملزم منفذ ان يعد حكاما وزعماء وقادة وانبياء ووزراء ليصدرهم بالالزام العسكري او بالقرارات التصويتية الاجماعية الى الشعوب المتخلفة التي منها حتما ودائما جميع الشعوب العربية ، وليعلن طردها ومقاطعتها ودينونتها ومعاقبتها اذا هي او ان هي رفضتهم ، اكثر مما يجب ان يفعل ضد من يرفضون ان يتخذوا اي اجراء للعلاج والوقاية من الامراض والابوئة المنتقلة حينما تنزل بهم او تزحف عليهم ، وضد من يرفضون ان يقيموا اية حراسة على الامن والقانون لحمايتهم من الخارجيين عليهما ، لحماية الارواح والاموال والاخلاق والنظام من القتلـة واللصوص ومن كل اللوان الفساد والاعتداء والتدمير والارهاب .. وهل وجد او يمكن ان يوجد خروج على القانون والنظام واختراق للامن وعدوان عليه ورفض للعلاج والوقاية من الامراض والابوئة بل ودعوة لها اي للامراض والابوئة لتجيء وتستوطن، مثل ان يترك حكام الشعوب المتخلفة حكاما لشعوبهم ، مثل ان يترك حكام العرب حكاما ؟

في كل التاريخ كانت الشعوب والمجتمعات ولا تزال تستورد الالهة والانبياء والدعاة والمعلمين من خارج حدودها وتاريخها ولغاتها ، ليكونوا لها الهة وانبياء ودعاة ومعلمين ، طاردين وهازمين بل ومحققين لاعين لالهتها وانبيائها ودعاتها ومعلميها المحليين المواطنين الوطنيين . هل وجد اله او نبي او معلم او مذهبي واحد لم تستورده شعوب كثيرة ، صغرى وكبرى ، متقدمة وقوية جدا او متخلفة وضعيفة جدا ؟

اذن كيف لم يصبح شيئا مقررًا منفذا دوليا استيراد الحكام .. الملوك والرؤساء والزعماء والوزراء والقادة والثوار الى كل الشعوب والمجتمعات المحتاجة الى ذلك ولا سيما الشعوب العربية ؟ كيف فقد العالم كل ما يزعم له من شهامة ؟ ماذا يمكن ان يكون قد حدث لو ان هذا التصدير والاستيراد للحكام قد أصبح قرارا عالميا تاريخيا منفذا ؟ ان الجواب لا بد ان يكون هو الجواب او قريبا منه لو جاء هذا السؤال : ماذا يمكن ان يكون قد حدث للمرضى والمشوهين والمصابين الذين كانوا يطببسون بالسحر والرقى والتماائم والشعارات والصلاة للموتى لو انهم طبببوا بالعلم والطب - او ماذا يمكن ان يكون قد حدث للذين كانوا ولا يزالون يذهبون يصلون للالهة صلاة الاستغاثة اذا امتنع عليهم المطر واصابهم القحط . لو انه صدر اليهم من يسخرون الطبيعية ويصنعون السحاب ويفجرون المياه من احشاء الصخور بدل الصلوات للالهة الغافلة الصماء الخرساء المشغولة بهمومها والامها وضياعا عن يصلون ويصرخون ؟ وبعد فماذا يمكن او ينبغي ان يحسب هذا الرأي في هذه القضية ، اجدا ام هزلا ؟ انا انا فانتظر ان يحسب هزلا ولكني اتمنى ان يصبح جدا .. انا ارهب ان يحسب او يعد علي جدا ولكن كم يسعدني ان يحسب ويعد علي كذلك ؟

لن استطيع ان انكر على من يحسبني هزلا او اتعجب منه ، ولكن هل استطيع
الا اعجب او اسر بمن يحسبني جادا كل الجد ؟
انه لن يهبط بخكاكك او باستقامتك او بتهذيبك وادبك ان ترى ذلك هزلا ،
ولكنه لا بد ان يعد صعودا في خيالك ان تراه جدا ، وصعودا في اخلاقك وانسانيته
ان تتمناه جدا ..

اذن عليك ان تراه هزلا وان تتمناه جدا .. ان تتمناه جدا قد اصبح واقعا ،
واقعا ..

ان هذا هو النموذج الانساني الذي اتفناه لك ..
الست هنا اتمنى لك شيئا انت تتمناه لنفسك ؟
اذن الست قد تمنيت لك افضل واكفى الصيغ الانسانية ؟



والآن .. هل تبدأ المنظمات الدولية والدول المتقدمة في عملية الانقاذ هذه اي
في تصدير الحكام الى الشعوب العربية والى جميع الشعوب الماثلة بعد اختيار اتقى
واكفى واقوى الاساليب لذلك ، بتخطيط وسلوك دوليين ملزمين ؟ هل يصاب العالم
بشيء من الشهامة والشجاعة ليفعل ذلك ؟

حتما لن يستطيع الحكام المستوردون ان يهبوا الشعوب التي يصرون اليها
او ان ينبتوا فيها مواهب وطاقات اقوى من مواهبها وطاقاتها ، ولكنهم يستطيعون
ان يفعلوا لها وبهامثلما يستطيع الراعي والمالك والبيطري الجيد ان يفعل لقطعانه
وبها .. !

كم تفجعوني يا أصحاب المواهب المخرساء

لماذا لم تبتكر الحضارة او الالهة او الطبيعة وسيلة ما تستطيع ان تسحب او تمتص من كل انسان ، ساعة ولادته او قبل ولادته ، كل ما في مستقبله وما في تصميم ذاته من احتمالات الدموع والاحزان والضعف والهوان والنفاق والبلادة والنذالة والهزائم وكل اللوان التشوهات والعاهات الجسدية والادبية ، وايضا تسحب منه او تقتل فيه كل قسوة وتعذيب الرؤية والتحديق والاشمئزاز والانفجاع والرفض ومشاعر الاغتراب وعذاب الاشتراط على الذات وعلى الاشياء بكل منطق واساليبه وفنونه ، وايضا كل اسباب العذاب والتعذيب والاحتراق الفكري والعاطفي والاخلاقي ؟ وهل توجد احوال مثل احوال هذا الاحتراق ؟ هل يمكن ان يدرك او يتصور ذلك الا المحترقون هذا الاحتراق ؟

كيف لم توجد هذه الوسيلة ، بل كيف لم تطرح كقضية ؟

لماذا لم يحاول العلم أن يفعل شيئا من ذلك ؟ اليس ابتكار مثل هذه الوسيلة هو انفع وانبل من جميع الابتكارات التي كانت والتي سوف تكون او قد تكون ؟ هل يبتكر الابتكار بقدر ما هو سهل ام بقدر ما هو ضرورة ؟

كيف ابتكر التلقيح أو التحصين ضد الامراض والابوثة ولم يبتكر شيء من ذلك ضد السقوط أو الضعف النفسي أو الفكري أو الاخلاقي أو ضد العذاب النفسي أو الفكري أو الاخلاقي ؟ هل السبب هو القدرة هنا والعجز هنا ، ام هو الاهتمام والحماس هنا وفقد الحماس والاهتمام هنا ؟ هل تستطيع جميع الابتكارات ان تتفوق في نفعها وشرفها ومجدها على ابتكار واحد يحمي الفكر والضمير والارادة والنية والاخلاق والقلب من السقوط والهوان والنذالة والبلادة والسفاهة والعذاب والبقاء والركوع ؟ في اي محراب او امام اي طغيان او تحت اي تفسير او تسويغ ؟ هل يوجد ابتكار مثل الابتكار الذي يحمي الانسان من أن يكون نذلا او سفيها او حزيناً معذباً مهيناً ؟

الا يحتمل ان تبتكر هذه الوسيلة في وقت آت ؟ ومن هم الذين سوف يكونون اول من يبتكرونها ان كان محتوما ابتكارها ؟

هل يمكن ان تظل الحضارة في كل اطوارها عاجزة عن هذا الابتكار او رافضة له ولدفع تكاليفه ؟ انه لمن الصعب اتهام الحضارة بذلك : اذن فالمفروض ان تستطيع اي الحضارة ذلك وان تفعله .. اننا لنرفض اتهام الحضارة بانها سوف تظل عاجزة عن ابتكار طريقة للتلقيح ضد ان يهون او يتعذب الانسان .

نعم ، اذن من الذين سوف يكونون اول صانع لهذه الوسيلة التي سوف تسحب وتمتص من كل انسان ساعة ولادته او قبل ذلك كل ما في ذاته ووجوده وظروفه من الاحتمالات الرديئة والاليمة الشريرة ؟

قد يكون المحتوم أو المرجح ان ترى ان العرب هم الذين سوف يكونون اول من يفعل ذلك . أليس مجد العرب هو السباق دائما ولا سيما في ابتكار واعطاء ما يصنع ويعلم الاستقامة والتقوى والسمو ويحمي من الفجور والخبث والهوان والحقارة والندالة والعذاب وكل عدوان على كرامة الانسان أو على ذكائه وشرفه وصفائه وسعادته وحبه للالهة والنظافة والعبقرية والحرية والانسانية الرافضة لكل تلوث وجبن وتنازل عن اي قدر من الكبرياء أو الصدق أو الشجاعة ؟

اذن اي العرب تحسب هم الذين سوف يكونون اول هؤلاء السباقين الى هذا المجد ؟ في حسابك ورؤيتك هل هم الثوار ام المحافظون .. الجمهوريون ام الملكيون .. النفطيون ام العاشقون المصلون للنفطيين الهاتفون بمجدهم وجمالهم ولجدهم وجمالهم .. المجددون المفسرون القارئون لتقواهم واصالتهم وعروبتهم ، المؤرخون لانسابهم السماوية ولاسماء واوصاف وتواريخ ولادات حكاهم اي حكام النفطيين .. الراوون الناسخون لها من الواح وسجلات السماء ومن ضماير ونبوات الانبياء .. الواجدون فيهم اي في النفطيين كل ذكاء الالهة وسخائها واصالتها وقوتها وحكمتها ورحمتها وحبها وكل بداوة الطبيعة واميتها الابدية ؟ نعم ، هل وجد واحد جمالا وذكاء مثلما وجد واحب العرب بلا نفط جمال وذكاء العرب المولودين في ابار النفط؟

ليس النفط هو اصفى واسخى دموع الالهة المتقاطرة من عيونها وضمايرها واخلاقتها وحبها شوقا الى اوليائها وولاتها ومواليها ابناء العروبة ، ورثاء لالاهم ومجاعاتهم التاريخية ، واعتذارا وتعويضا وتكفيرا عن قحط صحرائهم بل عن قحط مواهبهم واخلاقتهم وتاريخهم ؟ هل يوجد من يجب عليه ان يكفر عن ذنوبه بكل اساليب وتفسير ولغات التكفير مثل من صاغ مواهب واخلاق وتاريخ الانسان العربي ؟

هل صاغت الالهة دموعها واحزانها ومحبتها صياغة اذكي أو أتقى أو أنفع من صياغتها لها حينما صاغت نفطا عربيا يذل كرامة وكبرياء وذكاء وقوة وحضارة جميع الاقوياء المتحضرين ؟ هل حاول احد التكفير عن ذنوبه مثلما فعلت الالهة

حينما حولت دموعها على العرب الى نبط عربي ، اعتذارا عن اصابتها لواهبهم واخلاقهم وصحرائهم بالنبط الابدي الرهيب في قبحه ؟

اجل ، هل تستطيع عيون او اخلاق او عقول او تقوى وصدق وكلمات العرب الذين لم يخلتهم الله نفطيين ان ترى او تفهم او تسمع او تقرأ او تجد شيئا من الجمال او النظافة او الشاعرية او العبقريّة أو الرشاقة الموسيقية الانسانية التي تجدها متجمعة بكل المهابة في شخصية وكبرياء الذباب المستوى باسترخاء وامان وشموخ فوق عيون ووجوه وعقول واخلاق وانوف وموائد حكام وانبياء وشعراء وادباء ومفكري العرب الذين مجدت الالهة والطبيعة ذكاءهما وسخاءهما وشهامتهما وحكمتهم وعادلتهم بان اعطيتاهم وذهبنا تعطيانهم وتعطيانهم حتى وجب على كل من تبالغ الطبيعة أو الالهة في اعطائه ان يخاف على مقادير حظوظه من القيم الحضارية والانسانية والابداعية وعلى كل ما يحتمل ان يكون قد وضع فيه من موهبة وقُدرة واحتمالات جيدة اذ قد يكون في هذا الاعطاء من التفاسير الحزينة مثل ما في اعطاء النبط العربي للانسان العربي ؟

اليس كذلك ؟ اليس الذباب قد تحول الى موهبة جمالية وفنية ودينية بل والهيّة لانه لا يوجد ولم يوجد ضيف مكرم مستضاف محظوظ مثله في بيوت وعلى سرر وكراسي وموائد من اعطتهم الطبيعة والالهة وظلتا اي الطبيعة والالهة تعطيانهم وتعطيانهم ، محولتين عطايهما الى شيء رهيب عجيب اسمه النبط وله اسماء اخرى تقرؤها وتسمعها وتعرفها وتحفظها وتصلّي لها وبها بكل الرهبة والتقوى والاخلاص والصدق والخشوع كل الاذان والعقول والضمائر والقلوب والاخلاق بل وكل الجيوش والمصانع والحقول والبيوت والمواصلات والحركات كل شيء ، بل وكل الدول بكل طبقاتها ومنظماتها وعبقرياتها وتقاهاتها .

نعم ، وظلنا أي الالهة والطبيعة تعطيانهم وتعطيانهم هذا الكائن العجيب الرهيب حتى تنازل العطاء بل حتى رفض ان يصبح أو ان يرى نفسه مجدا أو مدحا أو امتيازاً أو خيراً أو تخصيصاً جميلاً أو مشكوراً أو مقبولا ، بل حتى اصبحت كلمة عطاء تعني كل معاني الهجاء لان النبط العربي ليس الا عطاء ، عطاء الالهة والطبيعة ؟

ايها الذباب المحظوظ كل هذه الحظوظ ، ما التفسير او المنطق لهذه العلاقات الخاصة الجيدة جدا بينك وبين اصدقائك العرب ، نفطيين وغير نفطيين ؟ قل لنا ايها الذباب ما السر في هذه العلاقات ولك ان تنتظر منا الانذيع هذا السر ان كنت ترفض اذاعته لانك تخجل منه او تخافه او تحترمه وتعجب به حتى لتأبى ان يذاع او يعرف . هل يمكن ايها الذباب المجيد الباصق مجده على كل مجد بل المكذب مجده لكل مجد ان تختار اهلك وقومك بلا اسرار وتفسيرات عجيبة ؟

لماذا لم تقسم الطبيعة او الحياة حظوظ الناس من الدموع والاحزان والالام والمكابدة ، من القلوب والعقول والضمائر والعيون والاخلاق الراهية الغاضبة الراضية

المحتجة المسترطة المحترقة ، قسمة فيها عدل او مساواة او شهامة ؟ لماذا جاءت الالهة او الطبيعة مجنونة دائما في تقسيمها للحظوظ ؟ من علم الطبيعة او الالهة اخلاقها ومنطقها وشهواتها وضرباتها ؟

لماذا تصب كل شهواتها وقسوتها ، بل كل عبقريتها التعذيبية على قوم ، على عقولهم وضمايرهم ورؤاهم واخلاقهم واشتراطاتهم وعلى جميع تصوراتهم ونماذجهم الانسانية ، لكي تجمع كل محاباتها البلهاء المصابة بكل جنون ونزق السفه ، ملقية بها اي محاباتها في ايدي وجيوب وافواه قوم اخرين ، وتحت اقدامهم وكراسيهم وحضيضهم وفوق مضاجعهم الخاملة النائمة المثاثية .. لتجعل ما يقاسيه الفريق الاول تعنيفا وتعذيبا وهجاء لعيون وذكاء وضماير ومجد وكبرياء وتاريخ الشموس والنجوم والسحاب ، وتجعل ما يستمتع به الفريق الثاني غناء ورقصا وصلاة وتدليلا لتقوى ومنطق واخلاق واعصاب وطموح الحشرات ولكل فنونها واشواقها ؟ وهل السحاب او النجوم او الشموس افضل او اتقى عيوننا او قلوبنا او اخلاقا او كبرياء من الحشرات ؟

ايتها الحظوظ الوقحة البلهاء ، من الذين دبرك وفكروا لك وقسموك ؟ باي عقل او قلب او ضمير او شهوة فعلوا ذلك ؟ هل يمكن تصور من يستطيع او يقبل ان يكون هو المقسم الواضع المدير للعقول والقلوب والضماير والاخلاق والالام والحظوظ والمواهب الانفجاع والغضب والاشترط والرؤية ، لتجيء وتكون كما جاءت وكانت ؟

هل يمكن ان يوجد من يقبل ان يكون هو الذي صاغ ذات ومواهب الالهة او الطبيعة ؟

الا يمكن أن توجد قوانين او مذاهب او قرارات يستطيع تنفيذها ويطالب بتنفيذها لتبادل العيون والعقول والقلوب والضماير ، ولتبادل مواهب الرفض والغضب والاستنكار والمقاومة والتحديق والعذاب الانساني الذي يقاسي منه الانسان لانه انسان لا لانه اعضاء ، يقاسي منه بقدر ما هو انسان لا بقدر ما هو اعضاء تعيش فيها وتهاجمها الادواء الجسدية ؟

ان البشر يقاسون باعضائهم فقط كما تقاسي الكائنات الحية الاخرى التي هي دون البشر اي دون الانسان .

اما الانسان الذي هو تخط للبشر وتفوق عليهم والذي جاء ليكون كثر من لوجودهم او كاعتذار وتويض عن وجودهم ، فانه يقاسي مقاساة انسانية ، مقاساة هي اقصى وادوم واشمل وابعد افاقا واعماقا وتفسير من كل مقاساة ، من كل مقاساة الجسم والاعضاء مهما كانت قسوة هذه المقاساة .. ان مقاساة الجسم لن تكون اكبر من الجسم . اما مقاساة الانسان بمعانيه ومثله وتطلعاته الانسانية فانها اكبر من كل الكون ومن كل ما في ضميره من الهة وتفسير ..

لماذا لم يصنع البشر في كل تاريخهم وتحت جميع نظمهم وشعاراتهم وظروفهم شيئاً من ذلك ؟

لقد فكروا في كل انواع العدالات والمساواة ، وتحدثوا طويلا وكثيرا عن ذلك وفعلوا اشياء كثيرة من اجله وحققوا الكثير منه . اذن لماذا لم يفعلوا شيئاً من اجل هذا النوع من العدالة والمساواة بل ولم يفكروا فيه او يتحدثوا عنه اعني العدالة والمساواة في العذاب الانساني اي العذاب الذي لا يراه او يقرؤه او يفسره او يفهمه او يضخمه او يقاسيه ، وايضا الذي لا يوقعه ، الا الفكر والقلب والضمير والحب والاشتراط على كل شيء ولكل شيء ؟ نعم ، حتى الحديث عن هذا العذاب لم يوجد من يتحدث عنه او يفكر فيه للرءاء او للعلاج ..

هل العدل في تقسيم العمل والتكاليف الاجتماعية المختلفة اعظم او اوجب من العدل في تقسيم احوال وعذاب الفكر والقلب والضمير والرؤية والاخلاق والاشتراط والقراءة للاشياء الاليمة الهائلة الثقافة البليدة .. قراءتها بكل اشواق الانسان وحبه ومثله وطموحه وتعاليمه ؟ وهل توجد قسوة تساوي قسوة هذه القراءة .. قراءة ما في جميع الاشياء من الام ومهانات وعبت وقناعة وغباء وهموم وتحطيم ونهايات سخيفة حزينة ؟

هل القضية هنا قضية عجز ام بلادة ام قسوة واهمال ونذالة ؟
الا يوجد من يستطيع ويريد ان يفعل هذا ؟ الا يوجد هذا الخير النبيل المنقذ الواحد ؟ اليس العدل في عذاب وتعذيب العقول والضمائر والرؤى والاخلاق والطموح والاماني هو اعظم وانبل عدل ؟

نعم ، الا يوجد من يستطيع ويقبل ان يأخذ مني بعض اخلاق عقلي وقلبي وضميري ورؤاي المحرقة المحترقة الفاجعة المفجوعة المقاتلة المتصادمة القارئة المسائلة ابدا ليعطيني شيئاً من رضا وصمت واغضاء واسترخاء وغيوبة ومسألة عقله وقلبه وضميره ورؤيته واخلاقه ومذاهبه واديانه امام كل الذنوب والتفاهات والتشوهات والنذالات والالام والاحزان والاهات والقبائح والفضائح المحاصرة لكل الافساق والتحديقات ..

ان يأخذ مني شيئاً من اناتي وصرخاتي ويعطيني شيئاً من ابتساماته وضحكاته ؟

اليست عيون اكثر الناس في كل التاريخ والمجتمعات ، وكذا عقولهم وقلوبهم وضمائرهم واخلاقهم وآذانهم ، وايضا اديانهم ومذاهبهم ونماذجهم ومثلهم التعليمية والانسانية تعيش في مصالحة ومسألة بل في معانقة مصافحة مبايعة مصادقة دائمة ، في تلاؤم وتوافق شامل ، مع كل قبح وآلم ونقاعة ونذالة وعار وجنون ، بلا اية نبضة او نوبة من نبضات او نوبات الغضب او الرفض او الكره او الانفجاع او من نيات المقاومة واردة التغيير .. ؟

ليس كل الناس الا اقلهم اعضاء واجساما اي حدودا او قيما ذاتية اي جسمية تجوع وتشتهي وتتغذى وتخاف وتبكي وتمارس الجنس بكل الافتضاح والصراخ والنزق ٠٠ وليسوا بشرا يعيش في أي منهم أي معنى أو تفسير من معاني الانسان وتفاسيره ؟ هل يقاسي شيء من الاغتراب والندرة والرفض مثلما تقاسي تفاسير الانسان ومعانيه بين البشر وفي تعاملهم مع حياتهم وذواتهم ؟

نعم ، الا يوجد من يريد ويستطيع ان يأخذ من ذاتي ويعطيني من ذاته بأسلوب التبادل ونياته ، ولو عاما أو شهرا أو اسبوعا أو يوما أو حتى ساعة واحدة ؟ اريد أن اجرب الصمت والاسترخاء ، صمت واسترخاء الرؤية والفكر والقلب والضمير والمساءلة والاشتراط ٠٠ اريد أن اجرب صمت واسترخاء كل معاني وتفسير الانسان في ذاتي ولو بعض الوقت رجاء ان تهون احوال عذاب المواجهة القارئة للرؤية المسائلة الحارة الحادة ٠٠

الا يوجد من يتقبل ويستطيع ان يسحب شيئا من حرائق طقسي الفكري والقلبي والنفسي والاخلاقي ليلقي به على طقسه الفكري والقلبي والنفسي والاخلاقي ، ثم يهبني شيئا من برودة وهدوء طقسه اي طقسه الانساني بكل قيمه وتعبيراته لكي يصاب طقسي بشيء من البرودة والهدوء والاسترخاء ليكون محتملا ، ولكي يصاب طقسه بشيء من الحرارة والتوقد ٠٠ ليصاب بشيء من الحماس والحركة والرؤية والخفقان ٠٠ ليكون صيغة من صيغ الحياة الانسانية ٠٠ ليصاب طقسي بشيء من الاغفاء المريح المفقود ويصاب طقسه بشيء من اليقظة البصرة المفقودة ٠٠ ليصاب طقسي بشيء من البلادة الممتعة ويصاب طقسه بشيء من التحديق المتوحش الوقح ؟

ليكون بين الطقسين شيء من علاقات المودة والتفاهم والتلاؤم والجمال والتقبل .
ليعطي كل منهما الآخر بعض ما حرم منه ٠٠
ليأخذ من الآخر شيئا مما اسرف في اعطائه له ٠٠

الا يمكن ان توجد عمليات تبادل ولو جزئيا بين الطقوس الانسانية ٠٠ بين الطقوس المحترقة المحرقة اشتعالا وتفجرا والطقوس المتجمدة خمودا وبرودة ؟ هل يوجد اقصى واقبح من تفاوت الطقوس الانسانية ٠٠ طقوس الضمائر والقلوب والعقول والرؤى والاخلاق ؟ اذن هل يوجد انبل من تبادل هذه الطقوس ؟

الا يوجد من يفعلون ذلك ولو شهامة أو رحمة أو عدلا أو مجاملة أو حياء أو بحثا عن التجربة الاليمة أو مشاركة في تحمل احوال العذاب والمقاساة ؟ ليست المقاساة الانسانية مستوى وقدرا انسانيين بل طموحا انسانيا بل تفوقا انسانيا ؟ هل يوجد اردا أو اخمد أو أهون أو أضيع ممن لا يقاسون كل ألوان المقاساة الانسانية واصعبها ، ممن لا يقاسون لعجزهم أو خمولهم أو هوانهم أو هربهم ؟ ثم ليست المشاركة في

العذاب المشروع المحتوم العظيم وتجربته لذة ومجدا وشوقا وتحليقا فوق البسالة والنذالة والقبح ؟

هل يوجد انذل ممن لا يشاركون في العذاب النبيل ، ممن لا يجدون في هذه المشاركة كل النشوة ؟

ليس من انبل واتقى اساليب النبل والتقوى ان تبادل بشيء من طقسك المتجمد من الخمود والخمول والبرودة انسانا اخر بشيء من طقسه المحترق المتوهج المتفجر ، اي ان تستطيع ذلك وتفعله ؟

كيف تستطيع ان تقبل نفسك او ترضى عنها حين يكون طقسك الانساني ثلجا وحولك انسان اخر طقسه الانساني جحيم دون ان تنقل شيئا من ثلجك الى جحيمه وشيئا من جحيمه الى ثلجك وانت تستطيع ان تفعل ذلك ؟

اما اذا كنت عاجزا ان تفعل هذا وانت تريد وترى فعله فكيف يمكن ان يكون عذابك واشمئزازك واستقبحاك ؟ انك اذن يا صاحب الطقس الانساني الثلجي بين اصحاب الطقوس الانسانية المسكونة المشحونة بالجحيم اما نذل جدا او معذب جدا . اذن الا يوجد رحماء كرماء اتقياء شجعان مغامرون فداثيون يتقبلون ويستطيعون هذا التبادل للطقوس الانسانية المختلفة والمتفاوتة في حرارتها وتفجرها وفي برويتها وخمودها اكثر من اختلاف وتفاوت طقوس الطبيعة ؟ الا يوجد هؤلاء الذين يستطيعون ويريدون وينفذون تبادل طقوس العقول والضمائر والقلوب والرؤى والاخلاق بل طقوس جميع المواهب الانسانية ، مواهب التقبل والرفض والرضا والغضب والتوقد والخمود والانفجاع والتلاؤم والاستسلام والمقاومة ومواهب الطموح والاشتراط والمساءلة ؟ هل وجد هؤلاء في التاريخ ، في اي طور من اطواره ؟ كيف لم يوجدوا ان لم يكونوا قد وجدوا ؟

اريد ان اجدهم فهل اجدهم ؟ هل يجيئون ؟ متى يجيئون ؟ هل يوجد تفاوت أليم وظالم ومستنكر مثل التفاوت في هذه الطقوس ، طقوس المواهب الانسانية ؟

انا في انتظار هؤلاء الرحماء الكرماء الاتقياء الشجعان المغامرين الفدائيين القادرين على هذا التبادل والمريدين الفاعلين له . فهل اجدهم ؟ هل اجد احدا منهم ؟ هل الناس مصابون بكل هذا القحط حتى لا اجد واحدا من هؤلاء ؟ اريد ان اجد هذا المبادل الواحد ولا اريد أن يكون قحط الانسان العربي مغلقا دون كل اختراق ..

آه يا اصحاب العقول والقلوب والضمائر والعيون والاذان والاخلاق الخامدة المسترخية الضاحكة الراضية الصامتة عن جميع الرؤى والمحاسبات والمحكمات والمحاورات والاشتراطات والمساءلات والانفعالات الانسانية ، وفي مواجهة كل القبائح والفضائح والنقائص والالام والشور ، بل الراقصة المغنية الهاتفة لكل ذلك ..

آه يا اصحاب الذوات المفلقة دون كل مواجهة ومحاسبة ومساءلة انسانية احتجاجية .

آه لو تجربون عذاب العقول والقلوب والضمائر والعيون الرائية المحاسبة المحاكمة المطالبة المسائلة المشتركة .. لو تجربون عذاب من يرون ويفسرون ويحاسبون ويحاورون ويشترطون ويقرؤون باعماقهم لا باصواتهم .
باشتراطاتهم ورؤاهم ومواجهاتهم لا بتعاليمهم او مذاهبهم او اديانهم او خطب زعمائهم وانبيائهم ..

آه يا اصحاب هذه العقول والقلوب والضمائر والرؤى والاخلاق الخادمة المسترخية الراضية الصامتة بلا اي غضب او انفجاع او انفجار او توقد انساني .. ما اكثركم واعنف تعذيبكم وترويعكم لذوي المواهب الاخرى المضادة .. لذوي الطقس الانساني المضاد ، المضاد بكل القسوة والشمول .

آه لو تجربون العقول والقلوب والضمائر والعيون والاخلاق التي لم ترثوها او ترووها او تتعلموها من اباؤكم او تاريخكم او محاربكم او تعاليمكم ..
لو تجربون الاذان والتفاسير الاخرى لتسمعوا وتفسروا بها ما تقوله الافواه العربية .. افواه النبوات والعبريات والشاعريات والزعامات العربية .. افواه الالهة العربية والكتب المقدسة العربية ..

لتسمعوا وتفسروا بها ما قالته وانزلته وعلمته الالهيات العربية ..
آه يا اصحاب المواهب الصامتة عن كل شيء وفي مواجهة كل شيء بلا اي اعجاب او غضب انساني ، بلا اي نبض او خفقان ، بلا اي حب او اسى انساني ..
آه لو تجربون المواهب الاخرى النابضة الخافقة المتفجرة المتنزية النازفة المسا واحتجاجا ورؤية وقراءة واشترطا ومساءلة ..

آه يا اصحاب الاصوات الناطقة الصارخة والمواهب الصامتة الخرساء آه يا اصحاب المواهب المفلقة دون كل رؤية وقراءة وتفسير واحتجاج ونقد وغضب واشترطا وانفجاس .

آه . انكم لتعذبون وتفجعون وتعاقبون كل تفاسير وشروط الانسان في ذاتي ..
ان صمت كل معاني الانسان فيكم عن اي تعبير انساني ليتحول الى دماء وبلادة في وجوه وتفاسير كل الاشياء .. انكم لهجاء لكل تفاسير الحشرات فيكم .. لكل منطق واخلاق الاله المزعم فيكم ..

**

هل ترثون لمن لا يقرأ او يسمع الا ما تكتبه وتقوله الاقلام والافواه العربية ، ولا يحاور او يخاطب او يعامل او يجد او ينتظر الا العقول والاخلاق والمواهب العربية؟ ارثوا له ان لم تستطيعوا ان تفعلوا له غير الرثاء . ان رثاءكم له مجاملة لعذابه وانفجاعه . اليس الرثاء للمفجوع الروع صدقة اخلاقية ؟ اليس صدقة او هدية قلب وضмир يتعذبان بالرؤية والتصور والجوار والمواجهة ؟

هل يمكن ان يعد قلبا او ضميرا قلب او ضمير لا يقاسي بالرؤية والتصوّر والمجاورة والمواجهة ؟ هل يكون انسانا من لا يتصدق باحزانه او رثائه او دموعه او بأهاته ان لم يستطع ان يفعل غير ذلك ؟ هل يوجد انذل ممن لا يهب حتى ولا انفعالاته ؟

اذن ارثوا لعربي يرى ويسمع ويقرأ ويفسر ويفكر ويحاسب ويشترط ويعامل ويتعامل بعيون واذان وعقل واخلاق واحاسيس ومقاييس غير عربية بينما يعيش في عالم كله عربي ، عربي النماذج والصور والتفسير والاصوات .. عربي النبوات والزعامات والعبقريات والانتصارات والكبرياء .. عربي الاديان والفنون والالهة .. وبلي من عالم كل ما فيه عربي حتى الهته ونبواته واديانه وفنونه عربية الصيغة والولادة والتفسير والاصالة ..

نعم ، ارثوا له بعذاب وانفجاع وتوهج لا بخمود واسترخاء وبلادة .. اشفقوا عليه ، رددوا الالهات من اجله فانه لا عذاب مثل عذاب انسان عربي يعيش في داخله انسان غير عربي ، ويعيش خارجه في عالم كله عربي .. هل عرفتم او رأيتم مثل هذا الانسان او تصورتهم عذابا مثل عذابه ؟

ان الفرق باي انسان محكوم عليه بان يعيش في عالم كل من فيه وما فيه عربي لن يكون مستطاعا الا بان يكون الانسان الذي يسكن في ذاته عربيا ، عربيا جدا بكل تفاسيره الانسانية .

اما الفرق الاخر البديل فلن يكون مستطاعا او متصورا الا بالا يكون عالمه عربيا ، بالا يكون فيه شيء عربي اي في عالمه ..

أما أن تكون غير عربي الرؤية والضمير والقلب والتفكير والاخلاق والاشتراط وان تعيش في العالم العربي وحمودائما دون ان تقاسي كل ألوان العذاب الانساني فذلك هو المحال السخيف اي الا ان تكون انسانا لثيما ندلا ، اي ممن يستمتعون ويسعدون ويتغنون بالشّماتة بالآخرين ، برؤية ومواجهة عارهم وفضائحهم ونقائصهم المثيرة . ولكن هل غير العربي يرى العربي رؤية محاسبة ؟

هل يستطيع غير عربي الموهبة ان يقرأ اي عربي قراءة نقد او محاكمة او اشتراط او انتظار لشيء ؟

اجل ، ان الفرق الاخر البديل هو الا يكون عالمه عربيا او يكون فيه اي شيء عربي . حتى ارضه وسمواته وطقوسه الطبيعية يجب ألا تكون عربية . بل حتى الهه يجب الا يكون حينئذ الهها عربيا ..

اليس من اقصى اساليب التعذيب والتشويه والترويع ان تعيش او تتعامل اخلاق او صفات او تعاليم أو ذات اله عربي داخل ذات انسان غير عربي أي أن يفرض على مواهب غير عربية ان تعايش وتعامل من داخلها مواهب اله عربي ؟ وهل تستطيع اية ذات غير عربية التفاسير ان تعايش من داخلها او خارجها الهها عربي التفاسير ؟

حتى حبه اي حب اي انسان يعيش في داخل ذاته انسان غير عربي الرؤية أو العقل أو القلب أو الضمير أو الاخلاق أو الاشتراط والمحاسبة ، حتى حبه يجب الا يكون نجمه اي نجم حبه نجما عربيا ، كذلك يجب الا يكون فلكه أو سماؤه أو مداره أو قوانين جاذبيته عربية ٠٠ !

انظر الى هذا الانسان العربي والى كل عربي كيف ينظر في كل مرآة الى وجهه والى تاريخه والى ابائه والى كل ما حوله ، معجبا مبتسما راضيا مفاخرًا مغنيا منشدا بكل الصراخ لمعلقاته واياته ورؤاياته عن انتصاراته وعبقرياته وامجاده الماثلة لكل مقابر التاريخ وكهوفه ونقوشه ، دون ان يبكي او يهرب او يمرض او يموت انصعاقا او غضبا او خجلا أو أن يغض من صوته او يهون من اعجابه بوجهه او بمرآته أو بجمال وعبقريّة اطفاله وزوجته وقبيلته واهله أو بقريته أو خيمته أو منزله أو ساعة يده أو لون ثيابه أو فرسه أو ناقته أو تفوقه على جيرانه وعلى كل العالم ٠٠٠

أو أن يقلل من احاديثه عن امجاد عبوره أو يتوقر في احاديثه هذه .

نعم ، دون ان يفعل شيئا من ذلك استقباحا لكل ما يحاصر كل وجوده واتجاهاته من دمامات ونذالات وبلادات وسفه وسخف وعجز وطغيان وهوان وفضائح وهزائم والام وعاهات وتشوهات بشرية تحولت الى ثوار وسلطين وملوك ورؤساء وانبياء، يحكمون ويتجبرون ويذلون ويتألهون ويسرقون ويسوقون ويقودون الى الهزائم والالام والفضائح والمغامرات المجنونة يفعلون كل ذلك باسم الازل والابد ٠٠ باسم الارض والسما والحياء والتاريخ والكون والقوانين والمذاهب والاديان والاخلاق والالهة ٠٠ باسم كل ذلك ومن اجله وتمجيده له وفقاعا عنه يفعلون كل القبح والسخف والسفه والبلادة والاكاذيب والعار والذنوب والعداوات ، بكل الجهر ونيات الاعلان ، بل بكل اساليب ولغات الانشاد والتباهي ٠٠ نعم ، ليس من اصالة الانسان العربي ان يتحدث عن اقبح واعظم رذائله باعجاب لا يتحدث بشيء منه احد من ذوي اضمخ المزايل عن شيء من مزاياه ؟ المباهة بنقائص الذات خلق عربي اصيل ٠٠ ان هذا الانسان العربي يفعل كل ذلك ويبدو كذلك دون ان يتفجر غضبا أو رفضا أو مقاومة أو روعا أو استقباحا أو محاكمة لان الانسان الذي يسكن في ذاته ، في عقله وقلبه وضميره وعينه وطموحه واشتراطاته وفي ايمانه وتدينه وطاعته هو انسان عربي جدا ٠٠ عربي العين والاذن والعقل والقلب والضمير والاخلاق والاحاسيس والنماذج والخيال والطموح والكبرياء والشروط ٠٠ عربي الاله والانبياء والدين والشعر والفن واللغة والبلاغة والتصويت ٠٠ عربي الكرامة والتعذيب والوقار والصدق والاحترام للذات وايضا عربي الثورة . فطبع ان يكون انسان ما عربي الثورة ٠٠ العربي الثائر هل تستطيع قراءته أو تفسيره أو التحقيق فيه مهما استطعت ذلك بالعربي غير الثائر؟ هل يجابى شيء أو تجود حظوظ أي شيء فيه مهما استطعت ذلك بالعربي غير الثائر ؟ كل ذلك للقبائح والفضائح والنذالات والشرور والذنوب التي لا يراها أو يقرؤها أو

يعايشها أو يفسرها أو يتعامل بها إلا انسان عربي يعيش في داخله كل معاني الانسان العربي ؟ هل وجد مثل الموهبة العربية الاصلية غافرة لما لا يجوز أو يمكن الفجران له ؟ هل تستطيع اية دمامة ان تتبرج مثلما تفعل بلا اي رهبة مواجهة للانسان العربي ؟

ما انكأك واجملك واصدقك واعظمك وانبلك واتقاك يا اغبي الغباوات واقبـح العمامات واكذب الاكاذيب واتفه التفاهات وانذل النذالات وافجر الفجور حين يكون الانسان العربي الذي لا يوجد في داخل ذاته إلا الانسان العربي هو كل من يراك ويحاورك ويحاسبك ويطلبك ويقرؤك ويفسرك ويشترط عليك ويحاكمك باخلاقه ونماجه وطموحه وخياله وبآبائه وانبيائه واربابه وتاريخه . انه لا يوجد مجامل لجميع ألوان العيوب والنقائص والضعف والهبوط مثل الانسان العربي رائيا قارئاً مفسراً محاكماً معاملاً مشروطاً فاعلاً مؤملاً مطالباً ..

كريمة ونبيلة ومتواضعة انت ايتها الاخلاق والمواهب العربية في محاكمتك ومحاورتك ورؤيتك ومعاملتك لكل شيء ردي وقبيح وبليد . ولكن هل حدث أو يمكن ان يحدث مثل هذا الاختراق للقوانين التي لا تخترق أي ان يتخلق انسان غير عربي في ذات انسان عربي ؟ وكيفما كان الجواب فاني اتمنى الا يحدث لك ذلك والا يكون قد حدث ..

ان العرب ليظلون يتحدثون بكل الاصوات عن امجادهم وعظمتهم التي قد كانت في زعمهم ورواياتهم عن انفسهم لانفسهم .. نعم ، انهم يظلون يتحدثون دائماً بكل الاصوات والمباهاة عن عظمتهم وامجادهم تلك المروية حتى ليبدو التفسير ان تحدثهم هذا هو الذي شغلهم واغناهم وعوضهم عن أن يصنعوا أي شيء من العظمة أو المجد بايديهم أو عقولهم أو اخلاقتهم ، ان يصنعوه بغير افواههم واصواتهم .. حتى ليبدو التفسير ان اصواتهم وافواههم قد سرقت من ذواتهم كل احتمالات ان تتخلق فيها عضلات أو عقول أو اخلاق أو أية طاقات اخرى ..

كانهم يرون ان الافواه هي كل الاعضاء والعضلات والعبقريات بل وكل الاخلاق والاديان والجمال والحب والعطاء .

كانهم يرون ان الحديث عن الشيء اعظم من فعل الشيء بل هو فعل للشيء .. ليسوا يرون ان فم الاله اقوى من عضلاته ، بل يرون ان فمه أي فم الاله هو الذي يفعل لا عضلاته ؟ اليس الاله في تدينهم وتصورهم وتعاليمهم فما ، فما فقط لا عضلات ولا أي شيء اخر ؟

ان الاله فم فقط، اذن هل يمكن ان يكونوا هم أو ان يقبلوا أن يكونوا اكثر من فم ؟ هل يستطيعون أو يقبلون أن يكونوا اكثر من الاله ؟ هل يقبل أو يغفر تدينهم أو تصورهم أو تهذيبهم ان يكون الاله اكثر أو اعظم أو اقوى من فم يصوت على الاشياء ويصوت لها ويصوت بها وتصوت به كل الاشياء ؟

اليس الاله في كل تعاليمهم واعتقاداتهم تصويتا يفعل ويعامل بالتصويت كما يعامل ويعبد بالتصويت ؟ اليس الصلوات والعبادات تصويتا ؟ اليس جميع اوامر الاله ووصاياه ووحيه الى عباده وانبيائه تصويتا ويراد لها وبها ان تتحول الى تصويت لتظل تصويتا ؟ اليس الصيغة الكاملة الدائمة للاله انه فم واذن : فم يصوت واذن تستمتع الى الاصوات الموجهة اليه بكل الشهوة والنشوة ؟

اليس كتابه المنزل على قومه العرب تصويتا بلا تشبيه ، تصويتا حول كل عربي الى جهاز مصوت في كل اوقاته على كل قضاياء ومواقفه ولكل قضاياء ومواقفه؟ اليس التصويت بهذا الكتاب قد حول المؤمنين به الى اسواق دائمة من الاصوات والمصوتين بلا مثيل في القبح والبلاهة ؟

لقد أنكروا واستبشعوا - مجتمعين او مختلفين - ان يكون الاله ايديا وأرجلا او اعضاء او طاقة او ذاتا حسية مرئية ملموسة متصورة محددة ، ولكنهم آمنوا بكل الحسم والصرامة بانه فم مصوت مسموع . . ان فمه المصوت فيما يؤمنون ويعلمون هو كل علاقاته ومعاملاته مع كل الاشياء وكل الناس وبكل الاشياء وكل الناس . انه اي فمه المصوت هو كل عبقرياته وآياته وتحدياته .

انه فم مصوت يسمعه كل شيء ويصنع كل شيء بصوته اي بفمه المصوت ، وليس اي الاله ذاتا حسية مرئية تخطط وتنفذ وتريد وتعمل بطاقات وقوانين الذات الموجودة المحسوسة الحكومة بقوانين الكينونة واخلاقتها وشروطها وتفسيرها وبقوانين الفعل او الخلق وضروراته وشروطه . ان الله لا يفعل بقوانين الفعل او بقوانين القدرة الذاتية بل بقوانين الفم اي الصوت .

وكذلك الانسان العربي . فالاله العربي والانسان العربي لا يتفاوتان في مواهبهما الذاتية مهما تفاوتتا في مكانتهما الاجتماعية .

اذن ايهما المعلم للاخر : الاله هو الذي علم الانسان العربي بأن يكون فمًا مصوتا فقط ام الانسان العربي هو الذي علم الاله بان يكون كذلك ؟

ايهما الذي علم او صاغ او قلد او رأى الاخر واراده كذلك ؟

ايهما خلق الاخر على صيغته : الاله خلق الانسان العربي على صيغته ام الانسان العربي خلق الاله على صيغة الانسان العربي ؟ الا يكون التفسير ان الاله صاغ نفسه على صيغة الانسان العربي او ان الانسان العربي درب وروض نفسه ليكون صيغة لاله ؟ اليس العلاقات بين الاله العربي والانسان العربي توجب ان يصوغ كل منهما نفسه واذلاقه ليكون على نموذج الاخر ؟ اذن ليس الاله العربي والانسان العربي كلاهما ظالما ومظلوما لان كليهما قد صاغ الاخر على نمودجه ؟

نعم ، كان افواههم اي افواه العرب قد سحبت من عضلاتهم وعضائهم وعقولهم وعيونهم واخلاقتهم بل وقد يقال : ومن تاريخهم ومستقبلهم كل احتمالات القدرة والهمة والرؤية والحماى والوظيفة . .

كان افواههم قد تحولت الى اقوى اجهزة امتصاص لامتصاص كل طاقات واشواق وتفاسير وطموح الانسان فيهم . .
 كانوا لم تترك لهم شيئا يطمحون او يشناقون اليه او يغارون عليه او يسألون عنه او يلتزمون به او يفعلونه . كانوا قد فرغتهم من كل معانيهم . .
 كانوا اي افواههم شروخ او جروح رهيبة تنزف وتنساقط منها كل قيمهم وقدراتهم واشواقهم وامالهم . . كانوا كل حظوظهم من الانسان . اليس فم الانسان هو اقوى واشمل اجهزة الاستنزاف والنزيف الكونية لطاقات الانسان ومعانيه ؟

كان الطبيعة او الالهة قد غلظت اشنع واقتل غلظة اذ قد جمعت ووضعت كل حظوظ الانسان العربي من معاني الانسان ومواهبه وحقوقه واشواقه في لسانه بينما كانت اي الطبيعة او الالهة تحسب انها تجمع ثم تقسم كل عبقرياتها على عبقرياته ، على اجهزة واعضاء عبقرياته ، بل بينما كانت تريد ان تفعل ذلك اي للانسان العربي . . هل يمكن الا تخطيء الالهة والطبيعة ؟ بل ليست كل الاخطاء التي كانت والتي سوف تكون هي اخطاء الالهة والطبيعة ؟ واذا اخطأت فهل يمكن ان تضع اخطاءها في غير ذات الانسان العربي ؟

اليس محتوما ان تخطيء حين تتعامل مع الانسان العربي ، ان تخطيء رهبة واستحياء وشعورا بالعجز والضالة ؟

نعم ، لعل الطبيعة او الالهة او هما معا اردتا ان تحابيا الانسان العربي وان تهبا كل عبقرياتهما وطاقاتهما مقسمة على كل معانيه واحتياجاته وقضايا حياته ليكون عبقريا ومتفوقا في كل شيء ، بل ليكون سارقا من كل الاخرين جميع حقوقهم وحظوظهم من العبقرية والتفوق ، فاخطأت اي الطبيعة والالهة فبدأتا بصنع لسانه فاستهلك صنعهما للسانه كل اشواقهما وحماسهما وقدراتهما فاصيبتا بالارهاق والملل وحسبتا انهما قد صبتا في ذاته كل عبقرياتهما فاصبح عبقريا في كل شيء بل مالكا لكل العبقريات التي تطالب العدالة والمنطق بان تقسم على كل الشعوب ، وحينئذ هربت العبقريات الحضارية والفكرية والاخلاقية والنفسية والفنية والانسانية التي ارادت الطبيعة والالهة ان تجمعها في الانسان العربي وتخصها بها ، هربت مقسمة على جميع الشعوب الاخرى . نعم ، لعل الطبيعة والالهة بدأتا ، بصنع لسان الانسان العربي وحين فرغتا من صنعه انطلق يصوت اي يتكلم ويفكر ويبدع في زعمه ، وحين سمعته اصابهما الروح . وحينئذ قررنا الا تخلقنا فيه اية موهبة اخرى خيفة ان تجيء كما جاء لسانه . .

اذن هل من المحتمل او المنتظر او الجيد ان تعالجا اي الالهة والطبيعة خطاهما هذا وتكفرا وتتراجعا عنه وتعودا لتصنعا الانسان العربي كما اردتا صنعه وتعيدا اليه تجميع جميع العبقريات فيه وله ، جميع العبقريات التي هربت منه الى الاخرين ؟

هل نؤمل ان تفعل الطبيعة والالهة ذلك ؟ وهل تستطيعان فعله ؟ وهل من الخير للعرب او للعالم ان تستطيعا فعله وان تفعلاه ؟

هل تستطيعان ان تسكتا او تصبرا على خطيئتهما الرهيب هذا ؟ ولكن هل من اخلاق الطبيعة او الالهة التراجع عن اي خطأ او خلق من اخطائها او اخلاقها ؟

نعم ، لنظل نعلن بالتكرار الدائم الفاجع ان الطبيعة والالهة قد شغلنا بصنع لسان الانسان العربي فهربت جميع المزايا الاخرى الى الاخرين قبل ان تفرغا من صنع وتركيب لسانه لكي تصنعا وتركبا فيه شيئا من تلك المزايا الهاربة ، الهاربة باسلوب يشبه التدبير المتآمر الفرح بهذا الهرب ، المريد له . . . ونعلن ايضا بالتكرار الدائم عن الاحتمال الاخر وهو ان الالهة والطبيعة قد فجعتا حينما سمعتا الانسان العربي يتكلم اي يصوت فكفتا عن ان تخلقا فيه غير لسانه وكان لسانه اول ما خلقتا فيه . . .

ولكن هل نظل نعلن ذلك باسلوب ونيات البكاء ام باسلوب ونيات الشكوى المطالبة بالتراجع والتصحيح المنتظرة للتراجع والتصحيح ؟

اجل ، هل في اي شيء مما ينكر ويؤذي ويرفض ويعاب ويحقر ويعذب ويسبي ، ويدمر ما ليس احد نقائج وعطايا غلطات الالهة او الطبيعة او هما معا ؟ هل يمكن ان توجد اية سخافة او حماة أو نذالة أو وقاحة لولا غلطات الالهة والطبيعة ؟ اذن هل يوجد مذهب غير الاله والطبيعة ؟

ايتها النمال الضخمة ، نتضرع اليك ، الى مجدك وقوتك ، الى عضلاتك الادبية والجسدية . . . هبي قادة العروبة وانبياءها وزعماءها وحكماءها وشعراءها وفلاسفتها وكتابها واحرارها . . .

هبيهم شيئا من اخلاقك او ذكائك او حيائك او كبريائك او انتصاراتك ، او من صدقك ونظافتك ووقارك واتزانك ، او من عفتك وشموخ هامتك وقامتك وتحدياتك القارئة المفسرة المحاسبة المتعالية . . .

هبيهم شيئا من شاعريتك وفنونك وادابك ومنطقك وتهذيبك وطهارة نياتك وضميرك ولغتك وتصويتك وصلواتك وايمانك وانتماءاتك المذهبية والدينية والقومية والثورية ، ومن صمتك الوقور الذكي الحني . هبيهم اي قدر من التقوى الدينية او المذهبية او التاريخية . ان هذه التقوى هي كل مزيتهم ودعواهم . فهل يعيشون منها شيئا ؟

اعيرهم ايتها النمال شيئا من بدانتك الفكرية والنفسية والاخلاقية والذاتية . . . اشفقي على نحافتهم الانسانية . . . على نحافة عقولهم وقلوبهم وضمايرهم واخلاقهم . . . على ضمور مواهبهم . . . على صمت الابداع والحضارة فيهم . . . علمهم كيف تكبر معانيهم وتفاسيرهم وكيف يصغر او يتصاغر زئيرهم . . . كيف يعلون ويجهرون افعالا ويخفتون ويتواضعون اصواتا . . .

كيف تضيق وتهمس افواههم ، وكيف تتسع وتصرخ مواهبهم ..
علميهم وكوني بهم رحيمة ..

اقرئي اينها النمال بدانتك المعنوية والعضلية على نحافة العرب المعنوية والعضلية
لكي تتحولي الى اشفاق عليهم ورثاء لهم والى معلمة لعضلاتهم ومواهبهم الانسانية
ليكون فيهم شيء من ضخامتك العضلية والادبية ..

حدقي اينها النمال في انتصاراتك القتالية لكي تشفقي على هزائم العرب
العسكرية ...

حدقي في مواجباتهم لاحدى وحداتك اي للنملة اسرائيل واحاديثهم عنها وخوفهم
منها واستعداداتهم لها ، ثم انظري هل تستطيعين الا تذهبي تحاولين بكل الكبرياء
والاعجاب بالنفس ان تعلميهم شيئا من فنون القتال والقدرة على الانتصار وعلى
العظمة والشموخ حين مواجهة النمال .

نعم ، ثم انظري هل تستطيعين مهما كانت قسوتك وجلافتك الا تكوني بهم رحيمة
أو الا تتحولي الى معلمة لعضلاتهم ولواهبهم وطاقاتهم ومعانيهم الانسانية ..
الى معلمة راثية لكبريائهم الانسانية .. هل قرأت او فسرت يوما ما مواجهة من
مواجهاتهم لاحدى وحداتك اي لاسرائيل ؟ ..

اينها النمال والبراغيث والضفادع والعصافير .. اخبري ابناء العروبة ان اجمل
واقوى وانظف واكرم الحشرات ليست اعلاما أو أقبحها أو أوقحها أصواتا ، وان أعلى
الاصوات وأقواها وأذكاهما وأقدرهما على الانتصار هي التي تطلقها العضلات والعقول
والاخلاق وليست التي تطلقها الافواه .. هي التي تفعل وتكون وترى وليست التي
تسمع ..

اخبريهم ان اللغات ليست اصواتا او كلاما او حماسا او بلاغة او كبرا . ولكنها
اي اللغات منطق وفكر وشعر وابداع وتهذيب ورؤية ووقار بل وصمت .
اخبريهم ان اللغة صمت ، صمت وانها لا تتحول الى نطق الا حينما تصبح فكرا
وشعرا وابداعا وحبا وحضارة واخلاقا .. اخبريهم انه لا شيء يعلم الصمت ويحتاج
الى الصمت ويطلب بالصمت مثل اللغة ..

اخبريهم ان الانسان قد اخترع اللغة ليفكر ويبدع ويحب ويرى ويقول الشعر
والفنون لا ليتكلم ، لا ليكون كائننا لغويا صوتيا ، اي عربيا .
لا ليكون نبيا أو زعيما أو معلما أو شاعرا عربيا كل مجده وطموحه وتاريخه مجد
وطموح وتاريخ لغة ..

لا لتكون كل مواهبه وابداعه واشواقه وانتصاراته وايمانه وتقواه ومذاهبه
وثوراته لغة ، لغة عربية . اخبريهم انها لم توجد لغة لتكون بديلا واغناء عن كل مجد
وعظمة وموهبة غير اللغة العربية ..

قولي لهم لقد ابتكر الانسان اللغة ليصمت ، ليصمت لغة وينطق حياة وفعلا وتفكيراً وتحديداً وتطلعا واحساسا لا ليكون لغة فقط كما كان الانسان العربي وكما يريد أن يكون وكما يفخر انه قد كان . .

قولي لهم ان الانسان ليس كائننا لغويا ولكنه كائن عاقل مفكر راء مفسر متأمل صامت . انه لا يتكلم حين يتكلم ولكنه يفكر ويفعل ويحيا ويحب ويصادق . . علميهم ان الشجاع القوي القلب والفكر واليد والقدرة والابداع لا بد أن يكون جبان الصوت متواضعه ضعيفه حبيبه .

اجل ، ايتها النمل والبراغيث والضفادع والعصافير ، علمي وهبي انبياء العرب و زعماءها وحكماءها وشعراءها وفرسانها وعباقرتها وحرارها وكتابها اشياء كثيرة من ضخامتكم المضلية والادبية . . علميهم كيف يواجهون اسرائيل النملة وكيف يقرؤونها ويفسرونها ويرونها ويتحدثون عنها وينشدون قصائدهم ضدها وكيف يشتمونها ويحرقونها ويفسرون انتصاراتهم عليها أن لم يكن بد من ان يفعلوا ذلك . علميهم ايتها النمل كيف يتعاملون مع هذه النملة ، مع اسرائيل ، كيف ينظرون الى وجوههم في مرآتها .

**

ويلتاه لامة لا بد ان يكون او يبدو صادقا وعبقريا ومصيبا كل من ظن بها اردا واقسى الظنون ، وكل من فسرهما ويفسرهما اقبح التفاسير واكثرها تشاؤما ، كما لا بد ان يكون مخطئا وكاذبا وبليدا كل من فسرهما او يفسرها تفاسير جيدة او جميلة او متفائلة . .

لامة لا بد ان تتحول الى تكذيب لكل المعجبين بها ، المنتظرين منها ولها ، والى تصديق لكل الساخرين بها المنكرين لمزاياها .

لامة لا بد ان يصبح انبياؤها واعدائها المتشائمون لها ومنها جدا هم اصدق واذكى الانبياء والاعداء واخدهم نبوات ، ويصبح انبياؤها واصدقاؤها المتفائلون لها وبها هم اكذب وابلد الانبياء والاصدقاء وأعماهم عيوننا . .

هل تصدق هذا ؟ هل تصدق انه لكي تكون نبيا صادق النبوة ابداء ، او اذا اردت ان تكون هذا النبي الصادق النبوة ابداء ، فان عليك لكي تكونه ان تكون متشائما بالموهبة والتفكير والاحساس والارادة والحياة والظروف والشهوة ثم أن تحول كل تشاؤمك هذا ، كل اوقاتك بكل طاقاتك الى احاديث عن العرب والى تفاسير لهم والى نبوات عنهم دون أن تتحدث عن احد سواهم او تفسره او تتنبأ له او عنه . . ان تكون مريضا جدا بالتشاؤم ، ثم تتحدث دائما بكل مرضك عن العرب وحدهم ؟

هل تصدق انك بقدر ما تكون مريضا بالتشاؤم في رؤيتك للانسان العربي تكون نبيا ؟

هل تصدق ان الانسان العربي هو اعظم محابة للمرضى بالتشاؤم وللمرضى بالقسوة في تفاسيرهم للناس وللأشياء ، كما انه اي الانسان العربي هو اقوى ثناء

على هؤلاء المرضى ؟ هل حول شيء المرض بالتشاؤم الى اذكي واصدق الفنون مثلما حولته الى ذلك، قراءة ورؤية ومحاسبة مواهب وطاقات الانسان العربي في كل عصوره ؟ نعم ، انك لتستطيع بسهولة ان تصبح نبيا لا تخطئ اية نبوة من نبواته وذلك بان تذهب تقرأ وتفسر الانسان العربي في كل اجياله وسمواته قراءة وتفسير قاسية وشاملة في تشاؤمها ويأسها بلا اي تفاؤل او تأميل .

فهل تحب أن تصبح هذا النبي السهل الرخيص المعصوم ؟

ما اكرمكم وانبلكم ايها العرب .. انكم لتحولون الناس الصغار جدا الى انبياء لا تكذب نبواتهم بالكرم والنبل واليسر الذي تصدقون به الانبياء الكاذبين الذين لا تصدق اية نبوة من نبواتهم بالكرم والنبل واليسر والاقتناع الذي به تتعلمون النبوات والعبريات والعلوم وقراءة وكتابة وتفسير كل الاشياء من الانبياء الاميين الذين لا يقرؤون ولا يكتبون والذين يفاخرون بانهم لا يقرؤون ولا يكتبون ..

كل الرثاء لامة كل من فيها متفائلون او انبياء يعلمون للتفاؤل لان كل من فيها كاذبون او بلا ذكاء او رؤية او طموح او نماذج او شروط على اي شيء يفعلونه او يريدونه او يواجهونه او يتصورونه او يتمنونه ..

كل من فيها متفائلون او انبياء تفاؤل لان كل ما فيها يفرض ويعلم التشاؤم .. لانه ليس فيها شيء واحد لا يسخر من كل من يتفائل او لا يقول لكل من يفكر في ان يكون متفائلا او معلما للتفاؤل : انظر الي واقراني وفسرني اولا قبل ان تفعل اي لثلا تفعل بل وحينئذ لن تفعل ، حتما لن تفعل !! ..

هل يمكن ان تتفائل وانت عربي وتعيش في العالم العربي مالم تكن حشرة عمياء، حشرة امية ؟

لامة ليس فيها متشاؤم او غاضب واحد أي تشاؤما أو غضبا انسانيا مع انه ليس فيها شيء أو احد لا يصنع كل الغضب وكل التشاؤم بكل تفاسيرهما ونماذجهما وصيغهما الانسانية والبرغوثية .

لامة ليس فيها ولم يكن فيها قط انسان واحد استطاع او اشتهى او اراد او فكر ان يغضب غضبا عقليا او اخلاقيا .. ليس فيها ولم يكن فيها هذا الغاضب الواحد لان كل من فيها وما فيها يصنع هذا الغضب لكل العقول والعيون والاخلاق التي لم تلداه وتعلمها وتروضا هذه الامة .

نعم ، ليس في هذه الامة ولم يكن فيها قط احد يغضب هذا الغضب لان كل ما فيها يصنع هذا الغضب .

ليس فيها من يئن او يحزن او يتعذب بفكره او ضميره او مثله أو أخلاقه ، مهما تحول كل من فيها وما فيها بكل تفاسيره اثنى اقصى واقصى مشاعر الحزن أو العذاب أو الشماتة أو الاشتمزاز أو الرثاء أو الفرح أو الغضب لافكار وضمائر ومثل وأخلاق وعيون كل من يواجهونها أو يقرؤونها أو يفسرونها أو يعاملونها أو يحاسبونها

بأي منطق أو نموذج أو اشتراط أو ينتظرون منها ولها ، من اصدقائها واعدائها ومن ليسوا لها باصدقاء أو اعداء .

لأمة كل احزانها ومسرراتها وحبها وبغضائها ورضاعها وغضبها والامها ولذاتها وهزائمها وانتصاراتها وفواجعها . . برغوثية لا انسانية اي جسدية لا ادبية .

لأمة لم يتعامل اي تفسير من تفاسير الانسان فيها مع اي موقف من مواقفها او مع اية مواجهة من مواجهاتها او مع اية نية من نياتها . . لأمة لا شبيه لها في تنازلها عن ان تفسر نفسها او تفسر غيرها تفاسير انسانية او ان تطالب نفسها او تطالب غيرها باي التزام لاي شيء من هذه التفاسير الانسانية . .
لأمة ليست لها اية حدود او شروط او اشواق او هموم انسانية . . ان كل همومها واشواقها وشروطها وحدودها ذاتية . .

ليست لها اية مطالب او تمنيات انسانية . . ان كل مطالبها وتمنياتها مطالب وتمنيات عدد افرازية .

انها لا ترى او تقرأ او تفكر او تفسر او تحاسب او تحاكم أو تقبل أو ترفض أو تعجب أو تحب أو تفهم بعيونها أو عقلها أو ضميرها أو قلبها أو اخلاقها بل بجلدها وثيابها ويديها وبيتها وابنائها وقبائلها . . انها لترى وتفكر بيديها وجلدها وثيابها وقبيلتها أكثر مما تفعل ذلك بعيونها وعقلها وضميرها . .

حتى صلواتها وتدينها وايمانها ، انها لا تؤمن او تتدين او تصلي برويتها أو بقلبها أو بضميرها أو بأشواقها أو بتقواها أو بشاعريتها أو بتحديثها الى الاعالي ، بل بحركاتها وجباها وركبها واصواتها وهبوطها . ان صلواتها وايمانها وتدينها اصوات وحركات لا صلوات ولا ايمان ولا تقوى ولا محبة للالهة . .

نعم ، انها لا تصلي او تؤمن لانها حب او حنين أو ضمير أو رثاء أو غناء أو احزان أو دموع أو تحويمات وتحليلقات انسانية بل لانها اجساد متحركة واصوات مستفرغة . . انه ليس في داخلها انسان يصلي ويؤمن ولكن في وجهها جبهة تسجد وتسقط . . انه ليس في تعبدها او حبها اي معنى او تفسير من معاني او تفاسير التعبد او الحب . .

انه ليس فيها من يريد او يستطيع ان يحبك او يحترمك او يقف معك او حتى يقرأك او يذكرك او يتذكرك او يصفحك او يراك لانك قيمة حضارية او اخلاقية او فكرية او فنية او مذهبية ، كما انه ليس فيها من يستطيع او يريد ان يرفضك او يحزن لك لانك قيمة مضادة لكل هذه القيم الانسانية ولكل القيم الاخرى . . ليس فيها من يراك قيمة انسانية او ضد كل قيمة . . كل من فيها يراك شيئاً لا انساناً ، شيئاً يحتاج اليه كشيء ، او لا يحتاج اليه ، وهكذا يريدك . . أمة كل من فيها انما يحسبك ويحاسبك ويقيسك بموازينه وابعاده وحدوده البرغوثية اذ ليس فيها من

له اية موازين أو ابعاد أو حدود انسانية اي ادبية من اي نوع ، او من يطالب بهذه الابعاد والحدود والموازين او الاوزان او يشترطها او يفترضها ..

ليس فيها من يريد او يستطيع ان يفسرك او يحدق فيك باحثا عن اي معنى انساني . ان كل من فيها لا يريد او ينوي الا أن يلمسك ويحسك ويقبضك ويزنك كما يفعل باية سلعة من سلعة الخاصة التي لا يطلب او يفترض او يشترط فيها اي معنى غير معنى السلعة ، السلعة التي لا يبحث او ينتظر فيها اي قدر من شرف الانسان او كبريائه او ذكائه او اخلاقه او ضميره او قلبه او فكره او رفضه او غضبه او نظافته او شجاعته .

انهم جميعا لا يريدونك او يرونك او يفترضونك الا شيئا ذا حجم ووزن يسقط في ايديهم وموازينهم ، ولا يريدونك ان تكون او ان يروك انسانا ذا قيمة او صيغة تقهر او تبهر او تعجب عيونهم او عقولهم او اخلاقهم أو مثلهم المكتوبة المروية .. يريدونك شيئا يستجيب لشهواتهم لا انسانا يتحدى ويحاور عقولهم وضمائرهم وأخلاقهم ..

انهم لا يستطيعون او يريدون ان يقرأوك او يفسروك او يفهموك او يعاملوك او يجدوك الا كذلك . انهم لن يقوموك او يقدروك او يزنوك باية قيمة انسانية الا بقدر ما يفعلون ذلك مع ثيابهم وكراسيهم وسررهم ..

انهم لا يبحثون فيك عن الانسان ان كان فيك اي انسان او اي قدر من الانسان .. ان كل بحثهم فيك عن الشيء ان كان فيك اي شيء او اي احتمال لاي شيء . لهذا فانهم لا يفسرون او يحاسبون اي انسان بمقادير معاني الانسان فيه بل بمقادير معاني الشيء او احجام واوزان الشيء فيه اي الشيء الموضوع في حسابهم ..

انهم لن يبحثوا فيك عن التفاسير الانسانية او يتقبلوها او ينتظروها منك أو يعاملوك او يحاسبوك بها الا بقدر ما يفعلون ذلك مع نياقهم واغنامهم .

انهم يريدونك شيئا يعيشونه ويعيشون به وفيه ومعه ولا يريدونك انسانا يحدق فيهم ويفرؤهم وينقدهم ويطالبهم ويحكمهم ويشترط عليهم ويفسرهم بالتفاسير والنماذج الانسانية الصعبة . انه مهما كانت صورك ولغانتك وملابسك واعضاؤك ظاهرة انسانية فانهم لا يقبلون منك الا ان تكون شيئا في جميع معانيك وتفاسيرك .

انهم ليعفونك من ان تفسر باي تفسير من تفاسير الانسان ، بل انهم ليقاوموك لئلا يكون فيك اي قدر من تفاسير الانسان ، بقدر ما يفرضون عليك الا تفسرهم او تحاسبهم باي تفسير من هذه التفاسير الانسانية .. وانا هنا افترض انهم يفهمون ان للانسان تفاسير انسانية غير تفاسيره الجسدية وافترض انهم يفهمون هذه التفاسير الانسانية ..

انهم ليهابون ويأبون ان يفسروا احدا او أن يفسرهم احد أية تفاسير انسانية .
انهم ليرون في هذه التفاسير ، مفسرين او مفسرين بها ، اقصى اساليب التعذيب
والتعجيز ، والفضح لهم ...

انهم ليرفضون ويرهبون وجود الانسان في داخلهم بقدر ما يرفضون ويرهبون
وجوده في داخل من يرونهم او يفسرونهم او يعاملونهم او يواجهونهم او ينتظرون
منهم - اي الانسان الرائي الناقد المحاكم المحاسب الفكر المقاوم الصادق المشترك
لنفسه وعليها ولغيره وعلى غيره ..

ولكن هل يمكن ان يخافوا وجود مثل هذا الانسان اي الرائي الناقد المحاكم
المحاسب الفكر المشترك للصادق ؟ هل يتصورون وجوده ؟

هل جربوا وجوده لكي يخشوا وجوده او يتصوروا وجوده ؟
انهم لا يستطيعون ان يتصوروا معاشة او مواجهة مثل هذا الانسان بل ولا
حتى افتراض وجوده ، لا مستوطنا ذواتهم ولا مستوطنا اية ذوات حولهم ، تراهم
وتحاسبهم وتتعامل معهم .

انهم لا يستطيعون ان يتصوروا وجود مثل هذا الانسان الا بقدر ما يستطيعون
معاشته ومساكنته والالتزام به وبمعانيه ، يعونها ويعيشونها ويفرضونها على من
يعايشون ويعاملون ، ويفترضونها فيهم ..

اجل ، انهم لن يستطيعوا ان يتقبلوك او يتحملوك او يتلاءموا معك او ان
تسد نظراتك اليهم ما لم تكن مفرغا من كل معاني الانسان وتفاسيره بقدر ما هم
مفرغون من كل ذلك ..

**

اجل ، كل الرثاء لامة لا يوجد ولم يوجد فيها من قاسى او يقاسى بفكره او
ضميره او اخلاقه او مثله الانسانية او الحضارية او حتى الدينية او القومية او
الوطنية ، من اية دمامة او بلادة او نذالة أو هوان أو سفه أو سخف أو عار او
انهيار . بل ليس فيها من استطاع او يستطيع رؤية شيء من ذلك او قراءته او
التفكير فيه مهما سد عليه كل طرقه وآفاقه واصبح كل وجوده ومعاشاته . هل يوجد من
يستحق كل الرثاء مثل من لا تقاسي عقولهم او ضمايرهم او رؤاهم او اخلاقهم او
مثلهم اي انفجاع مهما واجهوا وعاشوا وهبطوا وفعلوا او فعل بهم ؟

ان جميع صيحات الغضب والاستنكار والوعظ التي يطلقها كل من في هذه الامة
باسم القيم الدينية او الفكرية او الزهنية او الاخلاقية ليست سوى صيحات لفظية
صوتية ، ليس فيها اي تفسير من تفاسير الفكر او القلب أو الضمير أو الصدق
أو العمق أو التقوى أو الارادة أو التصميم ..

لهذا لا يوجد ولم يوجد في هذه الامة من يرى او يفسر او يحاسب اي شيء
يفعله او يريد او يواجه ويجده ويعامله الا بالرؤية والمنطق والاخلاق والانفعالات

التي يرى او يفسر او يحاسب بها المصّرصار او البرغوث الكون والناس وحياته واخلاقه وظروفه ..

لهذا ايضا فان تفاؤل وتشاؤم كل آحاد وجماعات هذه الامة هما تشاؤم وتفاؤل اجساد وغدد وخلايا وتصويت ووعظ وحكاية وليس تفاؤل او تشاؤم فكر او رؤية أو ضمير أو اخلاق أو جمال أو دمامة أو خير أو شر أو مجد أو تفاهة أو انتصار أو هزيمة • ليسا تشاؤم او تفاؤل انسان • لهذا ليس في هذه الامة اي متشائم او متفائل بالتفاسير الانسانية للتشاؤم والتفاؤل لانهما اي التشاؤم والتفاؤل رؤية وحساب وتفكير ورصد بكل الاحاطة والجرأة والصدق والعمق ..

وهل في هذه الامة من يستطيعون ذلك او حتى يريدونه او يعرفونه ؟
ان التشاؤم والتفاؤل اي بتفاسيرهما الانسانية والحضارية والعلمية ليسا الا تحليقا وتحديقا وطوفانا وانتشارا وغوصا بكل الفكر والتطلع والرغبة والحماس والبسالة في احشاء وخلايا وضماير ونبضات كل الاحداث والاشياء والذات الماضية والحاضرة والآتية • انهما اذن اي التشاؤم والتفاؤل لايعد واعلى من ان تصعد او تصل اليهما خطوات واجنحة كل ما في هذه الامة من خيول ونياق اصيلة في مواهبها العربية •

نعم ، امة كل اصوات كل من فيها لن تكون الا اصواتا لفظية جسدية نحاسية .. لن تكون فيها اية اصوات منطقية او فكرية او فنية او جمالية أو اخلاقية أو حتى كلامية او وعظية او غنائية او عصفورية • لن تكون فيها اية اصوات انسانية اي مفسرة باي قدر او مستوى من اخلاقية او منطقية او شاعرية او غنائية الاصوات الانسانية ..

ان كل اصواتها لن تكون الا كاصوات التصادم بين اجساد الاشياء .. ولكن الفرق لا بد ان يكون كبيرا ومذلا مخجلا بين اصوات التصادم ، تصادم اجساد الاشياء واصوات انبياء وزعماء وقادة وشعراء وعباقره وجماهير امتي العربية • ان اية اصوات لن تستطيع ان تهبط لكي تستطيع ان تكون ندا لاصوات عظماء امتي العربية او مثلها او شبيهة بها او قريبة منها ..

ان الحقد والقبح والغباء والفحش والسفاهة التي لا بد ان تكون بكل السخاء والوفرة في اصوات انبياء وزعماء وقادة وشعراء وعباقره امتي العربية ، في نبواتهم وشاعرياتهم وزعاماتهم وقياداتهم وعبقرياتهم ، لن يكون منها شيء في اصوات التصادم بين اجساد الاشياء • ليست اذن اصوات التصادم بين اجساد الاشياء متفوقة جدا بكل تفاسير التفوق على اصوات عباقره وانبياء وعظماء امتي العربية ؟ اذن هل يستطيع كل ما في مشاعر واخلاق كل الاشياء من رثاء ان يصبح رثاء كافيا لامة تصبح كل اصوات التصادم بين كل الاشياء الجسدية اتقى واذكى واكثر تهذيبا وشاعرية وغنائية من كل اصوات كل نبواتها وزعاماتها وقياداتها وشاعرياتها

وعبقرياتها وكل اللوان فلسفاتهما، ومن كل اصوات كل كتبها المنزلة وصلواتها المتبتلة،
ومن كل اصوات كل آياتها وسورها المصابة بكل عاهات وتشوهات البلاغة الصوتية
العربية ؟

يا كل احتمالات الضمائر والقلوب والاخلاق والاحزان والانفجاع المختزنة
في طاقات ومواهب جميع الاشياء ، تحولي الى رثاء لكي تهيبه لامتي العربية التي لا
تستطيع اصوات نبواتها وزعاماتها وعبقرياتها واصوات آياتها وسورها في كتبها
المنزلة وصلواتها المتضرعة لالهتها الموحشة ان ترتفع في ذكائها أو تقواها أو
وقارها أو تهذيبها أو في تفاسيرها الفنية أو الاخلاقية الى اصوات الطبول أو
الرعود أو الحجارة أو الى اصوات الكائنات الصالحة أو الهادرة أو الزائرة أو النابجة
أو الناعبة أو الناعقة ، مع ان اصوات الهة وعظماء امتي العربية هؤلاء هي كل
كلامهم وتفكيرهم وعبقرياتهم التاريخية والحضارية والانسانية والدينيّة
والبلاغية بل والعسكرية ..

يا كل طاقات الرثاء في مواهب وعواطف كل الاشياء تحولي الى اشمل واعمق
رثاء لامتي العربية التي لم تستطع ولا تستطيع ان تعرف الفرق أو تصنع الفرق
بين التصويت والتفكير ، بين التصويت والشعر .. ان تعرف ان اللغة شعر وفكر لا
تصويت ، أو ان تريد أو تستطيع أو تعرف ان تجعلها كذلك ، أو أن تعرف ان
التصويت ليس حضارة أو قوة أو مجدا أو انتصارا أو تقوى دينية أو مذهبية أو
انسانية أو صعودا الى القمر ، وانه اي التصويت لن يصبح كذلك أو شيئا منه ،
مهما كان اي التصويت هو كل عبقریات النبوات والزعامات والقيادات والشاعريات
والديانات العربية .

اجل ، لامتي العربية التي لم تعرف ولا تريد أو تستطيع أو تنوي أو تتمنى ان
تعرف ان مجد الحديث عن الصعود الى القمر اقل من مجد الصعود اليه ، أو أن الحديث
عن هذا الصعود ليس صعودا ، أو انه لا يجوز ادعاء الصعود بلا صعود ..

الفهرس

صفحة

٥	الشمس بصمت ٠٠ أم القمر بصراخ
٧	حين وصل وفد من السماء الى القاهرة
٣٦	تعليم غير الموهوبين ٠٠ اضخم عملية تزوير
٧٤	انت مبصوق في رأسك ولست مؤمنا
١٣٥	كن سهيلا بلا جواد ٠٠ لا جوادا بلا سهيل
٢٦٥	العلاقة بين فم النبي وآذان السوق
٢٨١	يوم يحاكم العرب البشر امام الاله
٣٠٩	اسمعوا ٠٠ كل الناس رعايا لنا
٣١٩	لماذا يلد الانسان الانبياء والقادة
٣٤٣	لماذا الاذن قبل العقل في بلاغة القرآن
٣٨٢	حينما تلد كل يوم نبيا
٣٩٥	لا تقراوا هذا ٠٠ لئلا تشفقوا قبور أنبيائكم
٤١٩	اقراوا هذا ٠٠ كي يتواضع اعجابكم بتاريخ قبوركم
٤٢٧	وما الناس الا منشدون لمجدنا
٤٨٥	لو قسمت العبقريه بعدل ٠٠ لما قامت اية حضارة
٥١٤	غرابا ناعبا ٠٠ لا صقرا صامتا
٥٣١	المتنبي يروي معارك سيناء والجولان
٥٧١	مؤلف الكتاب ٠٠ من يؤلفه
٦١٣	يقتلون الذباب ويصلون لخالقه
٦٣٦	اللغة بلا موهبة ٠٠ أقبح اجهزة الاستفراغ
٦٤٩	لغة بلا مجد أو شرف
٦٦٠	هل اللغة منطق
٦٩٥	غيروا القادة ولكن لا تنتظروا اخبارا جديدة
٧٥٨	لماذا لا نستورد حكامنا كما نستورد عقولنا
٧٧٨	كم تفجعونني يا اصحاب المواهب الخرساء

طبع في باريس سنة ١٩٧٧
على مطابع شركة مونمارتر
للطباعة والنشر تلفون : ٨٤٥٦٩٨٤